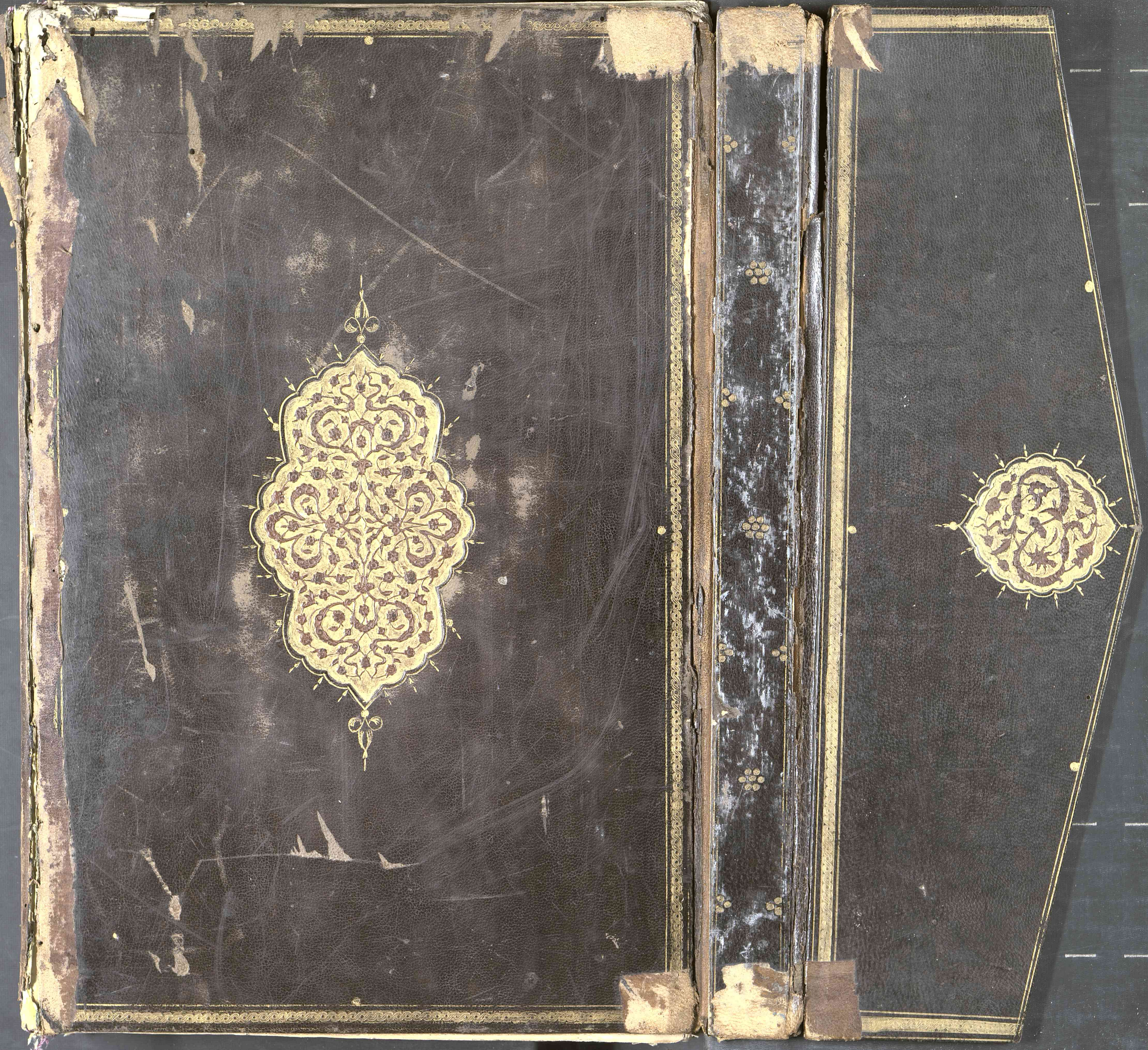

تیب
٥٠

دخل في سلك ملك الفقير حسن المدرس

١٠٩٦

اوراق
عددی
٣٩٨

مدد شد

عدد سطر
٢٥

بسم الله
حسبی الله وكفى
تحول هذا الكتاب الجليل بالشراء
الى عبد القادر [illegible] بثمن
في اواسط محرم شهر الحرام
١٠٣١

[illegible] ... انبه اندم يا رب
العالمين [illegible] ... آخر
و [illegible] طول عمرم ايله
[illegible] وكشف علوم وعلم عمل
[illegible] هر حالده رضاكدن ايرمه يارب وآخر
[illegible] ايمان [illegible] ايله جمله مؤمن يارب
العالمين آمين يا معين ١٠٣٢
قاله وكتبه عبد القادر [illegible]
والديه [illegible] في ...
اواسط شهر شوال المكرم [illegible] ١١٠١
الكبرى [illegible]
الهادي
١٠١٣

[illegible] الى العبد [illegible] حسن المدرس [illegible]

٢٥٤

هو المعز
قد وقف هذا المصحف الجليل حضرة سلطاننا الأعظم الأكرم
سلطان سلاطين البر والبحر السلطان ابن السلطان السلطان
الغازي محمود خان [illegible] حسبة لله تعالى
وقفا صحيحا شرعيا [illegible] طالع [illegible]
نعمة الله المفتش بأوقاف [illegible]
عفر له

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بالاعجاز في النظام المنفرد بالازلية وقدم الكلام المقدس عن التشبيه في
الاساليب والاحكام المنزه عن التشريك في الشرايع والاحكام انزل على عبده كتابا محكما اياته من
لدن حكيم خبير ونزله منجما كفاء الحوادث انه بعباده لخبير بصير غرقت في بحار اساليبه بنو قحطان
وبكمت عما يدانيه زعماء معد وعدنان تعالى عن معارضة البشر كلام مبدع الاشياء ومنشئ القدر
والصلوة على صفوة قصي ومضر سيد الرسل افضل اهل المدر والوبر وعلى آله وصحبه الاخيار
سيما الذين هاجروا والذين تبوؤا الدار وبعد فان من صرف نقد عمره في درك المعارف وسهر غايصا
على فوايد العوارف حاز قصب السبق في مضمار السعادة وفاز بالرقيب والمعلى يوم الوفادة والعلم باسرار
كلام الله من بينها نار على علم بل شمس طالعة من افق الحكم نعم هو الكاشف عن جمال مراد الله لثامه الرافع
عن كنون فوايد ختامه من عد من حزبه واعوانه وجال في حلبة رهانه وميدانه لا ريب انه في اسعد طالع
مولود وفي ام الكتاب اسمه محمود الكلام في اطرايه ليس له امد ولذا كانت التفاسير بلا عدد خاض
بحار حقايقه ذوو الجد من الاوايل وغاص في لجته اولوا الجد من الاواخر فوا نواجيذ الدهر بالدرر الفرايد
ونادوا على جبينه غرر الفوايد فاحببت ان اكون من اسرتهم واحشر في زمرتهم وان لم اكن من عدتهم
ومعدودا من جملتهم فوجهت ركاب العزم نحو ذلك المطلب الازين عسى ان آتي للناس بكتاب عن بر
ابسط عن جماله ما اعتراه من غبش الظلام ممن زاغ عن منهج الحق لتضليل الانام آتي بالحق وهو باسم
الحق واذهب بالباطل وهو نادم لجلج اذكر لاستيفاء معانيه السبع المتواترة واحذف منها الشواذ
المنافرة وسميته خاضعا لله غاية الاماني في تفسير الكلام الرباني وهو بعناية الله طبق المسمى لذلك
والالقاب تنزل من السما واذا برز كالبدر في التمام والقى عن وجهه اللثام يهدي لي بحر المعارف
ومعدن العوارف لوقوارف من نصب لاهل الفضل ميزان الفضايل ليجازي طبقتها جزل الفواضل
الاسد الكرار والمزن المدرار ابي الفتح فاتح القسطنطينية ناصر دين الله الناشئ من الدوحة العثمانية
السلطان بن السلطان محمد خان بن مرادخان بن عثمان ملكه الله بسيط الارض ومهد له من الطول
الى العرض والله تعالى اسال ان يجعله خالصا لوجهه الكريم ونجاة لي من عذابه الاليم انه جواد كريم

سورة الفاتحة مكية وقيل نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة وابعد من قال مدنية تسمى الوافية والكافية
والشافية وسورة الشفاء والدعاء والحمد والشكر والوجه في الكل واضح وام القرآن لاشتمالها على اصول ما فصل
في القرآن وسورة الكنز لذلك وسورة الصلوة اذ بها تكون مجزية او فاضلة والمثاني لانها تثنى في كل ركعة
او لنزولها مرتين سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد صراط الذين انعمت عليهم آية دون البسملة ومنهم
من عكس بسم الله الرحمن الرحيم اختلف في كونها من القرآن في اوايل السور ذهب ابن مسعود ومالك رضي
الله عنهما وهو المشهور من مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى وان لم يوجد له نص الى انها ليست من القرآن
وعليه قراء المدينة والشام والبصرة وذهب الزهري وسعيد بن جبير والشافعي وابن كثير من مكة وعاصم والكسائي

من كوفة رحمهم الله الى انها آية من كل سورة والدليل عليه كتبها في المصاحف [illegible] مع انها جردت عن
الشكل والنقط لئلا يكون ما بين دفتي المصحف سوى القرآن على ما نقل عن محمد بن الحسن حين سئل عنها فقال ما بين
دفتي المصحف قرآن و[illegible] كثير وعاصم والكسائي ولقول ابن عباس رضي الله عنه من تركها فقد
ترك مائة واربع عشرة آية ومن لم يثبتها قال انما يبتدئ بها تيمنا لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ ببسم الله فهو
ابتر ولما كان وضع الحروف الجارة لايصال معاني الافعال الى الاسماء فلابد للباء من فعل يتعلق به ثم ذلك المطلق
يتعين بالقراين كالفعل المبدو به مثل القراءة هنا وكذلك كل فعل شرع فيه كالاكل والشرب والعمل بموجب الخبر
حاصل لوجود معنى الابتداء في ضمن تلك الخاصة وهو غرض الشارع اذ لا تعبد بافراد الابتداء والباء آلة ووسيلة فالابتداء
باسمه تعالى والقام الاسم لتناول المضاف ساير اسمايه صريحا وان دل عليها الاسم الجامع التزاما وللفرق بين اليمين والتيمن
اذ الاول بالمعنى والثاني باللفظ والاولى تقديرها يقدر موخرا لافادة الحصر لانه رد على المشرك بالله اللات
والعزى كما في اياك نعبد وانما قدم في اقرا باسم ربك لكونها اول سورة فالامر بالقراءة اهم لكون المخاطب من لا يتوهم
في حقه الاشراك ثم هذا انما يتاتى اذا لم تكن السورة مصدرة بالبسملة نزولا والا فالكلام فيه كساير السور كانه
قيل باسم الله اقرا ثم قال باسم ربك الذي خلق اقرا اما تكريرا للتنبيه [illegible] ان اول تعليم وباسم ربك اقرا كيفما قرأت
ابتداء واثناء ولذلك شرعت في الاجزاء والابعاض والباء للاستعانة [illegible] المصاحبة كانه قيل مستعينا بالله اقرا
وقيل للآلة لان اعتقاد الموحد ان الفعل بدونه لا يتاتى بل يكون خداجا كما ان الكتبة لا تكون بدون القلم
والاول ادور في كلام العرب واحسن تحاشيا عن اطلاق لفظ الآلة على اسمه تعالى ولانه لا معنى لكون اسمه آلة
الا الاستعانة ثم هذا ونظايره مقول على السنة العباد تعليما وا[illegible] والاصل في بناء حروف المعاني السكون كقد
وبل ثم الفتح لانه اخ السكون استعمالا خفة واوثر الكسر في الباء لف[illegible] يناسب العدم وليكون المؤثر على وفق الاثر
والاسم احد الاسماء العشرة التي بنت العرب اوايلها على السكون استعمالا وان كانت متحركة تقديرا في قولهم اصل اسم سمو
والحكمة في وضعها كذلك طلب الخفة والتفنن واجتلاب الهمزة للا[illegible] ابتداء بالساكن محال بل لان فيه لكنة
وبشاعة ولان الحرف الاول كالاس للبناء فاريد احكامه وعكـ[illegible] آخر الكلمة محل الاطلاق والراحة واختصاص
الهمزة لانه حرف شديد من اقصى الحلق اجدر بالجبران ومنهم من حرك الساكن [illegible] وضما على الاصل او ليدل على الواو
المحذوفة وجاء مقصورا كهدى قال شاعر الله اسماك سمى مباركا وهو فعل او فعل حذف منه الواو كما حذف في
اللام في يد ودم دل عليه تصاريفه كاسماء وسمي وسميت ومعناه لانه [illegible] بالمسمى واشارة لذكره وقيل
من الوسم وهي العلامة وحذفت الالف منه في الكتابة لكثرة الدور وال[illegible] ثبوتها لان وضع الكلمة على حكم
الابتداء ولذلك تثبت في اقرا باسم ربك مع انهم طولوا الباء ليكون كا[illegible] والله اصله اله عرف ثم ادغم
اعتباطا دل عليه وجوب الادغام والتعويض ولذلك قطع همزته في النداء [illegible] قياسا ووجوب الادغام
والتعويض من خواصه وهو من الاعلام الغالبة بعد الادغام تقديرا وقبله [illegible] عربي خلافا للبلخي جامد
عند سيبويه واحد قولي الخليل واليه ذهب الشافعي في طايفة وجزم المتاخرون [illegible] من اله الرجل فزع اليه
فعال بمعنى مفعول او من وله اجبه ابدلت الواو همزة او من لاه احتجب [illegible] تاهت البرية في كنه ذاته كذلك
في اسمه لئلا يشتبه شي ذاتا وصفة واسما تعالى وتقدس وتفخيم لامه اذا لم يكن [illegible] كسرة سنة العرب كابرا
عن كابر لكونه ادل على تعظيم الاسم وهو الاسم الاعظم عند المحققين ولكن شرطه الاستغراق في بحر الاخلاص
ورقق مكسورا ليروق على المسامع والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان من رحم بعد نقله [illegible] فعل بضم العين لان الصفة
المشبهة لا تشتق الا من فعل لازم وهذا مطرد في باب المدح مثل رفيع الدرجات وبديع السموات وفي الرحمن
من المبالغة ما ليس في الرحيم لان زيادة المباني لزيادة المعاني وهي اما في الكم كقوله يا رحمن الدنيا ورحيم
الاخرة او الكيف كما في رحمن الدنيا والاخرة ورحيمها واشتقاقهما من الرحمة بمعنى [illegible] والعطف وهي من وا

تمامه
آثرك الله به ايثاركا

الاجسام اريد لازمها وهو الانعام او ارادته وهذا مطرد في كثير من صفاته تعالى ومنه قيل اذا لم تنفع
البدايات فعليك بالنهايات واختصاصه به تعالى حرم وجدان مؤنثه فيرجع الى اخواته في منع الصرف وهي كل
فعلان من فعل بكسر العين فان قلت قد جاء رحمن اليمامة لمسيلمة الكذاب قال شاعرهم وانت غيث الورى
لا زلت رحمانا قلت خروج عن اللغة تعنتا في الكفر ولم يسلك به سنن التزكي كما في شجاع باسل وجواد فياض
ايثارا لطريقة التتميم لانها اقضى لحق المقام وافضى الى المرام اذ الملحوظ في مقام الكبرياء جلائل النعم ثم اتبع
بالرحيم الى ان الكل منه وان عنايته شاملة لذرات الوجود منه يسأل الجليل والحقير كما روي انه تعالى وحى
الى موسى عليه السلام ارفع الي كل حاجة حتى الملح الذي تجعله في عجينك الحمد لله هو الثناء والنداء على الجميل
الاختياري والمدح على الجميل مطلقا وقيل يترادفان والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لسانا او جنانا
او اركانا قال ● افادتكم النعماء مني ثلاثة ● يدي ولساني والضمير المحجبا ● واللسان اشيع شعبة لاعرابه
عن الخفايا والخبايا وعدم احتمال الغير كما في آداب الجوارح واليه اشار بقوله الحمد رأس الشكر لم يشكر الله من لم
يحمده وهو من المصادر التي تحذف ناصبها سماعا اذا استعمل باللام والعدول الى الرفع لقصد دوام الثبوت
بمعونة المقام كما في سائر الجمل الاسمية ولا ينافي ذلك مع النصب لانه بتقدير الفعل الدال على الحدوث ولذلك
عدل الخليل الى سلام في جواب قالوا سلاما ليكون احسن تحية واللام فيه للاشارة الى الماهية كما في
ارسلها العراك وهذه الاشارة هي الفارقة بينها وبين النكرة والمعنى ان هذا الجنس مختص به تعالى لا يتجاوزه
فان قلت اختصاص الجنس اوجب انحصار الافراد فما بالهم يكون الاستغراق اشد انكارا قلت انكار الاستغراق
انكار لان يكون معنى اللام وضعا الا ... الى اطباقهم عليه في ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا فان
قلت فقد صح في المقام الاستغراق ... اوثر الجنس قلت الحصر في الجنس مستفاد من جوهر اللفظ على
طريقة البرهان من غير معونة المقام بخلاف المثال المشتمل على الاستثناء المقتضي لشمول الافراد صريحا
وهذا كالبسملة مقول على السنة العباد رب العالمين الرب مصدر وصف به او صفة بعد تنزيل فعله
منزلة اللازم والتربية ايصال الشيء ... الله تعالى هو الرؤوف الموصل الى كل كمال فلذلك لا يطلق
على غيره الا مضافا والعالم ما يعلم به الشيء كالخاتم غلب فيما يعلم به الصانع وجمع ليلا يتبادر العالم المشاهد
او افراد نوع او جنس والقدر المشترك وبالواو والنون للتغليب وقيل المراد الثقلان والملائكة وقيل افراد
الانسان اذ في كل فرد ما تفرق في العالمين مع بدايع اخرى قال وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم
الاكبر الرحمن الرحيم سبق الكلام فيهما مالك يوم الدين مثل يا سارق الليل اهل الدار اضيف اسم الفاعل الى
الظرف اتساعا والمعنى مالك ... مور في يوم الدين وانما وقع صفة المعرفة لان الاضافة فيه حقيقية
اما لقصد الاستمرار اذ يراد الامور في الزمان او لتنزيل ما سيكون منزلة الكائن لتحقق وقوعه لا محالة
كقوله ونادى اصحاب الجنة وقرأ الحرميان وابن عامر وابو بكر وابو عمرو وحمزة ملك مقصورا وهو الاحسن
لكونه للثبوت والاضافة الى ... م الدين والجزاء شان الملوك ولعموم ما تحت حيطته والكلام في اللغة فلا يفتح
الاختصاص الشرعي وللاتفاق على ملك الناس فيوافق الفاتحة الخاتمة ولان اهل الحرمين اعلى سندا وافصح لغة
وعليه الرسم وكثرة الثواب بزيادة الحروف معارض بقوة المعنى والدين الجزاء كما تدين تدان والطاعة او
الشريعة فتعدد مضاف والصفات المذكورة جارية مدحا دالة على علية انحصار المحامد مع الوعد والوعيد
في الاول صريحا وفي الثاني رمزا اشارة الى سبق رحمته غضبه ليكون العبد بين الخوف والرجاء راجحا جانبه
وقد استوفى فيها ما يتعلق بالمبدأ والمعاد فتأمل اياك نعبد واياك نستعين ايا هو الضمير واللواحق
كالكاف والهاء والياء لبيان المراد به وعن الزجاج ان ايا اسم مضاف والمضمر ما بعده لقولهم اذا بلغ الرجل
الستين فاياه وايا الشواب ورد بان المثال شاذ لا يعول عليه وعن الخليل ان ايا ضمير اضيف الى اللواحق

ولم يوافقه احد لان الضمير لا يضاف والمثال المذكور فيه ما فيه لا يتم دليلا والكوفية على ان المجموع ضمير ورد
بان الاختلاف باللواحق غير معهود في الضماير والعبادة اقصى غاية الخضوع ولذلك اختصت بمن هو في اعلى
مراتب العلو ومنه طريق معبد اي مذلل وقدمت على الاستعانة لان الوسايل امام المطالب واطلقت الاستعانة
لتتناول كل مستعان فيه والاوفق ان يكون الاستعانة في العبادة لان اياك نعبد بيان لحمدهم وقوله
اهدنا الصراط المستقيم بيان اياك نستعين كانه قيل كيف اعينكم قالوا اهدنا الصراط المستقيم فيتسق
النظام غاية الاتساق فان قلت كيف يستقيم ان يكون اياك نعبد بيانا للحمد وشرط البيان مساواته للمبين
قلت الاعتراف باللسان لما كان ابلغ من ساير انواع العبادات ولذلك جعله الشارع راس الشكر جعل عين
العبادة التي هي اقصى غاية الخضوع واريد بالحمد صرف العبد ما انعم الله عليه الى ما خلق لاجله على ما هو اللائق
بالمقام وما اشير اليه بيان المعنى اللغوي وقدم المفعول للتخصيص ولما كان الحصر المستفاد منه بطريق
المحوي دون الاسناد لا اشتبه على اقوام واخراج الكلام من الغيبة الى الخطاب تفنن فان الكلام اذا
نقل من اسلوب الى آخر كان انشط للسامع وادعى الى الاصغاء ولذلك اكثر منه البلغاء في اشعارهم
وخطبهم وكما يباهون في توسيع الاشباح بالجمع بين لون ولون فهم في قوت الارواح ارعى في الاتيان بفن و
هذا وقد يختص موقعه بنكتة شريفة كما في اياك نعبد وذلك انه لما ذكر الحمد بطريق الحصر لمستحقه الحقيقي
الدال عليه الاسم الاعظم توجهت النفس اليه توجها تاما فلما اجريت عليه تلك الصفات الدالة على استحقاقه
مفصلة ازداد المحرك شيئا فشيئا الى ان قال مالك يوم الدين بيده ازمة الامور لم تتمالك ان اقبلت
اليه بغاية الخضوع ونهاية الاستكانة واستغرقت في المقام الذي اشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم
اعبد الله كانك تراه وهو آخر مقام السالكين اهدنا الصراط المستقيم الهدى متعد ولازم ويتعدى الى الثاني
بنفسه وبالى وباللام الاولى لغة الحجاز وليس من قبيل واختار موسى قومه وهدايته تعالى نوعان الدلالة
الى الموصل وخلق الاهتداء واليهما اشار بقوله والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء وتفسيرها بافاضة
القوى تسامح ثم حصر المحامد فيه تعالى وعرفه بتلك الصفات التي اجراها عليه يهتدي بلا ريب فطلب الهداية
منه طلب الزيادة او الثبات وصيغة افعل دعاء مع الخضوع امر مع الاستعلاء التماس مع التساوي والطريق
المستقيم هو الاسلام لانه الموصل الى السعادة الابدية بلا اعوجاج ولا انحراف واصله السين من سرط
الطعام اذا ابتلعه لانها تبلع السابلة او العكس كما سميت لقما لذلك وبه قرأ ابن كثير في رواية قنبل
والجمهور بالصاد مبدلا من السين لمناسبته الطاء في الاستعلاء والاطباق والاطلاق تنقال من السين
الى الطاء انتقال من التسفل الى العلو وهي لغة قريش وعليه رسم المصحف وحمزة اشم الصاد زاء حيث وقع
في القرآن في رواية خلف ووافقه خلاد في الاول هنا ومعنى الاشمام مزج الحرف بآخر مزجه به شيوعا ليكون حرفا
بين حرفين وفي ذلك رعاية الجانبين صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وفائدته التوكيد
لانه ذكر الشيء مرتين مع تكرير العامل وبه يمتاز عن التوكيد وعطف البيان وفيه ايضاح بعد الاجمال وشهادة
على طريق المسلمين بالاستقامة على آكد وجه والنعمة فعلة من النعومة وهي اللين والمراد بها المنعم به وهو الاسلام
والمنعم عليهم المؤمنون وقيل الانبياء وعن ابن عباس رضي الله عنه قوم موسى قبل التبديل وقيل الذين
اشير بقوله اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا اختلاف في المنعم به ولذلك
اطلق ولان من قاربه لم تفته نعمة وقرأ حمزة عليهم بضم الهاء وكذا اليهم ولديهم حيث وقع وهي لغة الحجاز
وهي الاصل قبل الاتصال وكسرها الباقون لمجانسته الياء وضم الميم موصولا بالواو ابن كثير وقالون في وجه
وقع رعاية للاصل لان اصلهم همو واسكنه الباقون تخفيفا وعليه رسم المصحف والضمير المجرور في محل النصب
على المفعولية غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم او صفة لان الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه

مثله ولقد امرّ على اللئيم يسبّني ولان غير تعرّف بالاضافة الى ماله ضدّ معيّن كما في عليك بالحركة غير السكون
والمجرور في محلّ الرّفع لقيامه مقام الفاعل وكلّ من مات كافرا ضالّ مغضوب عليه وقيل المغضوب عليهم هم اليهود
غضب الله وفي حقّ النصارى ضلّوا واضلّوا والوجه هو الاوّل لظهور العموم وليجيء هذا الوعيد لغير الطائفتين
ولوصحّ رفعه الى رسول الله لكان منه اشارة الى رسوخ هولاء في الغضب واولئك في الضلال لا الانحصار
وقيل يتّجه ان يقال المغضوب عليهم هم العصاة لقوله في حقّ القاتل وغضب الله عليه قلت دعوى كون كلّ
عاص مغضوبا عليه باطلة لان الغضب منه تعالى اما انتقام او ارادته وهي مفضية اليه وكون كلّ من عصى
كذلك ممنوع والاستدلال بالغضب في آية القتل غير ناهض لانّه مصروف عن ظاهره في مقام التّرهيب كالخلود
المفرون به اتّفاقا ولئن اجري على ظاهره لم يلحق به كلّ ما يوجب العصيان لظهور الفارق ولا الضّالّين الضّلال
عدم الاهتداء وسلوك غير الطّريق ولا هذه مذكّرة تفيد استقلال نفي ما دخلت عليه مبالغة كما في قوله لا بارد
ولا كريم ودفع وهم كون المنفي هو المجموع وتكون بعد واو تقدّمه نفي صريح او غير صريح كغير والدّليل على ان غير في
معنى لا جواز قولك انا زيدا غير ضارب كقولك انا زيدا لا ضارب ولا يجوز انا زيدا مثل ضارب لان معمول
المضاف اليه لا يتقدّم المضاف آمين ليس من القرآن اتّفاقا وانّما ختم السورة به لانّها دعاء وسنّ ختم
الدّعاء به لما روى ابو داود ان آمين يحفظ الدّعاء من الخيبة كما يحفظ الختم الكتاب عن اطّلاع الغير عليه
وعنه صلّى الله عليه وسلّم ان جبرئيل عليه السّلام علّمني آمين عند ختم الفاتحة وهو اسم استجب وما يراد فه
وعن الزجاج اسم المصدر كالاستجابة ويشكل عليه بناؤه وفيه لغتان المدّ والقصر وتشديد خطأ يجهر
به الامام والمأموم عند الشافعي في الجهريّة لكونه تابعا للقراءة ولما روي انه كان يجهر به ومن خلفه
حتّى ان للمسجد للجّة وعن ابي حنيفة رحمه الله يخفيها الامام والمأموم لانّه دعاء الجهر لكونه تابعا للقراءة
وما روي من الجهر محمول على التّعليم روى البخاري عن ابي سعيد بن المعلّى ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
قال لا علّمنّك اعظم سورة في القرآن فاتحة الكتاب هي السّبع المثاني والقرآن الّذي اوتيته وروى مسلم والنسائي
عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان جالسا وعنده جبرئيل اذ سمع نقيضا فوقه
فرفع جبرئيل رأسه وبصره الى السّماء وقال هذا باب فتح لم يفتح قطّ فنزل منه ملك لم ينزل قطّ فاتى رسول
الله وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبيّ فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة حرفا الّا اوتيته وعن حذيفة
بن اليمان ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال ان الله يبعث العذاب على قوم حتما مقضيّا فيقرأ صبيّ من صبيانهم
في الكتاب الحمد لله ربّ العالمين فيرفع الله عنهم العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنيّة آيها مائتان وثمانون وسبع

بسم الله الرحمن الرحيم الم حروف الهجاء اسماء البسائط في مباني الكلم وذلك لان
دلالة الالف على وسط حروف قال وكان كدلالة الاسد على الحيوان المعروف بلا تفاوت فيما يرجع الى نفس
الدّلالة ولاعتوار خواصّ الاسم من الاضافة والتّعريف وغيرهما عليه وقد نصّ عليه امام اهل العربية خليل
بن احمد وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر
امثالها ولا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف لم يرد مصطلح النحو فانّه عرف حادث ولمّا كانت
مركّبة راعوا في وضعها لطيفة بان جعلوا المسمّى صدر الاسم ليكون اوّل ما يقرع الاسماع الا الالف فانّهم
استعاروا الهمزة مكان مسمّاها لئلّا يقع الابتداء بالسّاكن وسكون آخرها وقف كسائر الاسماء اذا عدّدت
نحو دار ثوب بساط فاذا وليها العامل ظهر الاعراب لانّ قابلية المحلّ يحتاج الى المؤثّر والدّليل على ان
ان سكون اعجازها وقف وليس بسكون بناء الجمع فيها بين السّاكنين والّا لحذي بالاخفّ لكثرة بها خذو
كيف واين وكونها مقصورة حالة الهجاء فاذا ادركها الاعراب مدّت كقوله ما قال لا قطّ الّا في تشهّده
لولا التّشهّد لم يسمع له لاء فان حالة الهجاء خليقة بالاخفّ لكثرة الدّور وهي في اوائل السّور اعلام منقولة

لها نصّ عليه سيبويه وهي على نوعين نوع لا يتأتّى فيه الّا الحكاية نحو الم وكهيعص وآخر يتأتّى فيه الاعراب
والحكاية وهذا امّا ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او عدّة اسماء على زنة المفرد كحم وطس فانّها على وزن
قابيل وكذا طسين ميم لو فتح النّون وضمّ اليه الميم كان مثل دارابجرد والحكاية لخفّته ولا نيابته عن الاصل
المنقول منه اكثر وقد اعرب العبسيّ في قوله يذكّرني حاميم والرّمح شاجر فهلّا تلا حاميم قبل التّقدّم ومنعه
الصّرف للعلميّة والتّأنيث والحكاية نقل القول محفوظا صورته الاولى كقولك قرأت الحمد لله وسورة انزلناها
قال وجدنا في كتاب بني تميم احقّ الخيل بالرّكض المعار وفي الاتيان بها محكيّة اشارة الى انّ مسمّياتها
وهي السّورة مركّبة من مدلولاتها ففيه نوع ايقاظ ولذلك لو سمّي رجل بها لم تصحّ الحكاية لفوات الاشارة
المذكورة وانّما كتبت على صور مسمّياتها والقياس صورها مثل صاد ونون لانّ خطّ المصحف خارج
عن القياس قال درستويه خطّان لا يقاسان خطّ المصحف وخطّ العروض فان قلت خطّ العروض داخل في
القياس له وجه وهو ان الدّاخل في الاوزان الحروف الملفوظة دون المكتوبة فكتبوا ما يدخل في الوزن
على صورته كالتّنوين على صورة النّون والاشباع بعد الضّمّة واوا والكسرة ياء فما وجه مخالفة خطّ المصحف
والعدول لا بدّ له من حكمة سيّما وقد وقع ذلك باتّفاق خير القرون قلت كلّ كلمة خالف فيها القياس له
فائدة ذكرت في علم الرّسم واعظم الفوائد اجمالا ان يكون محجوبا عن العدوّ كاهل الكتاب ولا يكون طريق اخذ
القرآن السّماع من افواه الرّجال كما كان في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هذا وقيل كتبت كذلك
اختصارا لعدم اللّبس اذ لا طائل في التّلفّظ بها غير متهجّاة وانضمّ الى ذلك جري العادة بالتّلفّظ بالاسم
والكتابة بالمسمّى والقرآن المجيد يلائمه الاختصار وقد قرئ صاد وقاف بالاعراب فتحا وكسرا امّا الفتح
فعلى انّه النّصب باذكر وعدم التّنوين لامتناع الصّرف او مجرورة باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلنّ
وهذا وجه قول ابن عبّاس رضي الله عنه اقسم الله تعالى بهذه الحروف وامّا نصبها بحذف الجارّ واعمال
القسم فلا لانّ ما بعدها مجرور وهو القرآن والقلم وهما معطوفان فان قلت يجعل الواو للقسم دون
العطف قلت نصّ الخليل على كونه مستكرها لاستلزامه الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد وامّا الكسر فللجدّ
في الهرب عن التقاء السّاكنين وقيل هي حروف مقطّعة على نمط التّعديد في اوائل السّور مسرودة ايقاظا
لمن تحدّى بالقرآن وذلك ان كلام العرب مؤلّف من هذه الحروف مواد كلامكم في الاشعار والخطب والمحاورات
فان لم يكن ما اتى به محمّد من عند الله فهلّا تأتون بمثله ولو كان بمقدار ثلث آيات وقيل كانت العرب
في التّلفّظ بمسمّيات الحروف الواقعة في مباني الكلمات متساوية الاقدام وامّا التّلفّظ بحروف الهجاء على نمط
التّعديد كان مخصوصا بمن قرأ وخطّ وخالط الكتّاب قال تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطّه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان تصدير السّور بها ليكون اوّل ما يقرع الاسماع مستقلّا بنوع اغراب تقدمة
للاعجاز وطليعة له هذا وقد روعي في وقوعها على الوجه الواقع في اوائل السّور من ذكر الحروف المخصوصة
دون الجميع وما عداها وما لوحظ في ذلك ممّا يتعلّق بمخارج الحروف وصفاتها ما يدهش الفطن المتبحّر وتنقسم
الى ثنائي وثلاثي والثّلاثي الى ساكن الوسط ومتحرّكه فالاوّل مثل را وحا لا مدّ فيه زائدا على مقدار الالف
والثّاني ما كان فيه بعد حرف المدّ ساكن نحو ميم وسين وصاد وقاف يمدّ للسّبعة زائدا على حرف المدّ مقدار حاجز
بين السّاكنين ولذلك يسمّى مدّ الحجز والعدل وليس في الفواتح حرف اللّين سوى عين ولهم فيه وجهان المدّ
لما ذكرنا في حرف المدّ والقصر لقصور حرف اللّين لعدم مجانسته حركة ما قبله واذا كانت على نمط التّعديد او كانت
اسماء السّور اخبارا حذف المبتدأ منها او منصوبة باذكر او قسما محذوف الجواب فالوقف عليها تامّ لاستقلالها ومن
شرط في التّامّ استقلال ما بعده ايضا يلزمه ان لا يكون الوقف على اواخر السّور تامّا وامّا اعرابها فان كانت مقطّعات
على نمط التّعديد فلا يتصوّر الاعراب وامّا اذا جعلت اسماء السّور فهي مرفوعة على الابتداء ان صحّ ان يكون

ما بعدها خبرا او على الخبرية عن مبتداء محذوفا ومنصوبة باذكر او مجرورة باضمار حرف القسم كما تقدم ذلك الكتاب
المشار اليه ما دل عليه الم وهي السورة او القرآن فالاشارة اليه بذلك الموضوع للبعيد لان الكلام بعد التكلم به
في حكم المتباعد قال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في
المتباعد فان قلت قبل وصوله ذلك على حاله قلت لما كان مقطوعا بوصوله جعل كانه واصل وكثيرا ما يولف
المتكلم كلاما يلاحظ فيه حين تاليفه وصوله الى المخاطب به وقيل ذلك اشارة الى الكتاب الموعود في التورية
والانجيل او الى الموعود بقوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فان قلت فعلى الاول المشار اليه مونث فما وجه تذكير
المشار به قلت ان كان ما بعده خبرا اجري حكمه على المبتداء في التذكير لكونهما متحدين ذاتا كما اجري عليه
في التانيث في قوله من كانت امك وان كان وصفا فلكون الاشارة اليه صريحا كقولك هند ذلك الانسان
قال النابغة نبئت نعمى على الهجران عاتبة • سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري • والكتاب لغة الجمع
مصدر كتب وشرعا هو المنزل للاعجاز بسورة منه يطلق على الكل والبعض وهو المراد للاخبار به فلا وجه لما
قيل اطلق على المنظوم قبل ان يكتب لانه مما يكتب ويرادفه القران وان كان اشهر منه وكل منهما يطلق
على القديم ايضا وفي تاليف ذلك الكتاب اذا جعل اسم السورة وجوه ان يكون الم مبتدا وذلك مبتداء ثانيا
والكتاب خبره والجملة خبر المبتداء الاول والمعنى ان هذا هو الكتاب الكامل كقولك زيد هو الرجل قال هم القوم
كل القوم يا ام خالد وان يكون ذلك خبرا والكتاب صفته ومعناه الم هو ذلك الكتاب الموعود على ان اللام
للعهد اذ لا فايدة في الاخبار عن السورة بصدق جنس الكتاب عليها ويجوز ان يكون ذلك بدلا وان يكون
الم خبر مبتداء اي هذه الم وان جعلت حروف التعديد فذلك مبتداء وما بعده خبره او خبر مبتداء محذوف
اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب ومبتداء والكتاب صفته ولا ريب فيه هو الخبر والريب لغة
القلق والاضطراب ومنه ريب الدهر لنوايبه مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة طلق على الشك اطلاقا للمسبب
على السبب لان الشك مما يقلق النفس ويزعجها ونفي جنس الريب عنه وكم مرتاب شقي فيه لانه لسطوع برهانه
بحيث لا يتصور فيه الريب وان يتشبث بذيله غبار منه فالمنفي هو كونه بتلك الصفة وكونه مظنة له كقولك
لمن يكابرك بعد ظهور الحق من غير امكان شبهة هذا مما لا شك فيه وان كان المخاطب منكرا فضلا عن الشك
وهذا التقرير حسنه ايضا مما لا شك فيه وانما اجري الكلام على ظاهره ولم يقدم الظرف كما في لا فيها غول لان
الحصر هناك مقصود لانها في مقابلة خمور الدنيا ولو قدم هنا لدل ان في كتاب آخر ريبا والقرآن بذكر في
الكتب السماوية وفساده لايح مع انه لو خلا عن هذا فليس بغرض بل الغرض انه ليس بمحل الريب وقيل معناه
لا ريب فيه للمتقين على ان هدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي وضعفه
لايح لفوات المبالغة المقصودة في مقام نفي الريب هدى للمتقين هدى مصدر كالسرى وزنه فعل لان
الزنة على الاصول وكونه هدى للمتقين والمتقي لا يكون الا مهتديا يراد به التثبيت او الزيادة وكلاهما
هدى او اريد بهم المشارفون للتقوى عبر عنهم بالمتقين لانه اخص وليكون صدرا اولى الزهراوين اسم خواص
اوليايه تعالى وكونه هدى لا يقتضي ان يكون جميع ابعاضه كذلك ككونه معجزا وعربيا ودعوى ذلك
والقول بان المجمل والمتشابه لم ينفك عن بيان تعيين المراد منه غير ظاهر لا سيما عند من يقول بوجوب الوقف
على الا الله والمتقي شرعا من اتى بالفرايض واجتنب الكباير ولم يصر على الصغاير من الوقاية وهي فرط الصيانة
ولها ثلث مراتب الاولى التقوي من الشرك والثانية ما اشير اليه آنفا والثالث ربط السر على الله والتبرو
عن كل شيء سواه وقد اشار اليها في قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا
وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا ومحل هدى للمتقين الرفع على خبرية محذوف او خبر آخر لذلك او مبتداء والظرف
المتقدم خبره ويجوز نصبه على الحال والعامل فيه الظرف او معنى الاشارة والذي هو اشد توغلا في البلاغة

وارسخ قدما ان يكتفي بروابط عقلية بين الجمل المذكورة فيقال الم جملة مستقلة حذف منها المبتداء او طايفة
من حروف الهجاء وفيها تنبيه على ان الكلام المتحدى به اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان العلمية لا تنافي
لمح المعاني الاصلية وذلك الكتاب جملة ثانية تدل على ان المتحدى به هو الكتاب الكامل وفيه تقرير لجهة التحدي
وشد من اعضاده ولا ريب فيه جملة ثالثة تشهد بكماله اذ لا كمال فوق حق اليقين قيل لبعض العلماء فيم لذتك
قال في حجة تتبختر اتضاحا وشبهة تتضاءل افتضاحا وتاكيد لذلك الكتاب لانه لما اخبر عنه بانه الكتاب الكامل
كان مظنة ان يتوهم انه مبالغة في مقام المدح وليس الامر محمولا على الحقيقة ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فتقرر
انه يقين لا يحوم حوله شك وحق لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذين يؤمنون بالغيب موصول
بالمتقين صفة مجرورة او نصب او رفع على المدح فهو في حكم التابع لاتصاله معنى او مقطوع مبتداء خبره اولئك
على هدى فعلى الاول الوقف على المتقين حسن غير تام ثم ان جعلت صفة فاما كاشفة وقد اشار بذكر الايمان والصلوة
والزكوة الى فعل جميع الطاعات وترك ساير المعاصي بالطف وجه وذلك ان الايمان اس لا يقوم شيء بدونه
والصلوة عماد الدين التي تنهى عن الفحشاء والمنكر والصدقة بذل شقيق الروح وسماها الشارع برهانا
وقنطرة الاسلام فذكر الثلثة ينطوي على ذكر ساير العبادات وترك السيئات كما هو اللايق ببلاغة القرآن
ورموزه مع ما في ذلك من الاشارة الى مرتبة الصلوة والزكوة بين ساير الفروع وهذا ما يقال ان الثلثة
كناية عن فعل الطاعات وترك السيئات او مادحة كصفات الله الجارية عليه اجلالا له او مقيدة ومناط
الفرق ان المتقي ان حمل على المعنى الشرعي فالوصف كاشف ان كان المخاطب لم يعرف مفهوم الموصوف مفصلا
والا فمادحة وان حمل على من اجتنب الكباير فالوصف مخصص والايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته
غيري فاستعمل في التصديق اما مجازا لان من صدق الشخص آمنه التكذيب وحقيقته فيه ايضا وهذا هو الظاهر
واستعماله بالباء لتضمين معنى الاعتراف والاقرار وقد يعدى باللام لتضمينه معنى الاذعان وقد تكون
همزته للصيرورة كما يحكى عن ابي زيد ما آمنت ان اجد صحابة ويجوز ان يكون الجار والمجرور في محل
النصب حالا اي غايبين عن المؤمن به فالغيبة على هذا بمعنى الخفاء وعلى الاول بمعنى الغايب اما تسمية بالمصدر
كرجل عدل واما فيعل كقيل كخفيف والمراد منه ما لا ينفذ فيه ابتداء الا علم علام الغيوب والانبياء والمؤمنون
انما يعلمون منه ما اعلمهم او نصب لهم عليه دليلا عقليا او سمعيا كالصانع وصفاته والنبوات وقيل المراد
بالغيب القلب اي يؤمنون بقلوبهم تعريضا بالمنافقين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فالباء
آلة كما في كتبت بالقلم فان قلت ما الايمان المنجي عند الله قلت هو التصديق بما علم مجيء الرسول به ضرورة
وزادت الحنفية الاقرار كنا زايدا يسقط بالاكراه والخوارج والمعتزلة الاعمال وان كان بين معتقد الفريقين
فرق واما المحدثون فهم براء من مذهب هولاء وانما اعتبروا الاعمال في كمال الايمان كيف لا وهم الذين
يروون من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق ويخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة
من الايمان وابدل ورش عن نافع والسوسي عن ابي عمرو الهمزة واوا حيث وقع في القران وكذا حمزة
في الوقف ويقيمون الصلوة القيام لغة الانتصاب والاقامة افعال منه يقال اقمت العود اذا سويته وازلت
اعوجاجه فاستعيرت لتعديل اركانها وحفظها عن الخلل في سننها وآدابها بعد ما صارت حقيقته في تعديل
الاجسام وقيل حقيقته في الاعيان والمعاني ايضا لغة او يديمونها من قام السوق اذا نفق لانها اذا دووم
عليها كانت كالشيء المرغوب النافق الذي يتنافس فيه المحصلون او يصلحون شانها بتحصيل ما يتوقف عليه
من القوام وهو ما يقوم به الشيء يقال فلان قوام اهله اي قايم بامرهم يصلح شانهم او يتشمرون لادائها
بلا فتور من قام بالامر اذا تشمر له ومنه قامت الحرب على الساق وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد والصلوة
فعلة من صلى اذا دعا قال الاعشى وقابلها الريح في دنها • وصلى على دنها وارتسم • والمراد بها الاركان

المخصوصة سميت بها لاشتمالها على الدعاء كما سميت سبحة لاشتمالها على التسبيح يوضع موضع المصدر يقال صلى صلوة وليس لمصدره استعمال وقيل من الصلا لان المصلي يحرك صلويه والصلوان المرتفعان في جانبي منبت الذنب ثم قيل صلي اذا دعا تشبيها له بالمصلي في تخشعه وليس بوجه لان الاشتقاق مما ليس يحدث قليل ولان الصلوة في اشعار الجاهلية بمعنى الدعاء شايعة ولم يكن لهم علم بالاركان المخصوصة فانى لهم التجوز بما لا علم لهم به وانما كتبت بالواو للاشعار بالاصل كهدي وسري بالياء وقيل كتبت بالواو على لفظ المفخم وليس بشيء اذ لم يقراء به احد فكيف يوضع الرسم باتفاق الصحابة على شيء لا وجود له واما تغليظ ورش لامه ليس لامالة الالف نحو مخرج الواو بل لان الصاد من الحروف المستعلية فغلظ اللام لمقاربة الصاد كما فخمه في ظلموا وطال ومما رزقناهم ينفقون الرزق لغة كل ما ينتفع به الحيوان حراما كان او حلالا لقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ولقوله وما من دابة الا على الله رزقها وما في الآية يراد به الحلال بقرينة المدح على انفاقه والمراد منه الزكوة المفروضة لكونه قرين الصلوة او ما يعمها وساير الانفاقات في سبيل الله كقوله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله سرا وعلانية وهذا اوفق بمقام المدح والتقديم للاهتمام وقيل للتخصيص اي يخصون بعض ما رزقناهم دون الكل تحاشيا عن رذيلة الاسراف قلت لا سرف في الخير كما لا شرف في الشر ويدل عليه قوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصه في مقام المدح وقوله والذين لا يجدون الا جهدهم وفي الحديث افضل الصدقة جهد المقل وقضية الصديق في التجرد وايثاره الكل متواترة فان قلت فما فايدة من اذا قلت فايدتها ان انفاق البعض كاف في نيل رتبة المنفقين ويدل دلالة ظاهرة على ان انفاق الكل نور على نور والاولى حمله على ما يشمل المعارف ايضا كانه قيل من كل ما منحوه يبذلون وفي الحديث ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم اهل الكتاب الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كعبد الله بن سلام واضرابه عطف على الذين يؤمنون بالغيب فيشملهم صفة التقوى ان لم يكن الموصول الاول مقطوعا او هم الاولون والعطف باعتبار تغاير الصفات كقوله الى القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم والايمان بالغيب وان يشمل الايمان بالكتب المنزلة الا انه افرد اشعارا بمكانته ولذلك اعيد الموصول ولم يكتف بذكر الصلة مبالغة كان الموصوف بها مغاير للموصوف بما تقدم وهذا الوجه اوجه لان الايمان بالكل مشترك بين الكل ولا دلالة في الافراد بالذكر على الايمان به منفردا كفاك شاهدا قوله قولوا آمنا بالله ثم قال وما اوتي موسى وعيسى ولان الصفات السابقة شاملة للمؤمنين فلا وجه لتخصيصها بطايفة ولان ما ياتي في بناء يوقنون على انما يحسن موقعه على هذا الوجه والا لاوهم خروج الاولين وفي ما انزل تغليب للموجود على المترقب لان الايمان بالكل واجب والانزال نقل الشيء من علو الى سفل وهو على الاعراض محال فهو وصف بمتعلق حامله ومبلغه واذا التقي حرف المد الهمزة بعده يزاد في مده للسبعة اذا كانتا في كلمة كجاء وشاء لان الهمزة حرف قوي وحرف المد ضعيف يزاد في مده ليقاوم القوي وتجانس المجاور واذا كانتا في كلمتين فلهم فيه خلاف لعروض الاتصال وبالآخرة هم يوقنون تانيث الآخر اسم فاعل من آخر بمعنى تاخر من الصفات الغالبة على تلك الدار كالدنيا على هذه ثم جرتا مجرى الاسماء حتى ترك ذكر موصوفها والايقان واليقين اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه فلا يوصف به العلم القديم ولا الضروري فلا يقال ايقنت ان الواحد نصف الاثنين كذا قيل ويشكل بقوله لترونها عين اليقين فان المشاهدة اعلى مراتب اليقين وفي بناء يوقنون على الضمير اشارة الى ان ما عليه اهل الكتاب جهل محض كما ان معتقدهم خيال باطل وكذا تقديم بالآخرة ونقل ورش حركة الهمزة الى اللام وكذا كل همزة قطع بنقل حركتها الى الساكن قبلها وحمزة في الوقف وجهان النقل وعدمه وجه النقل ارادة التخفيف لان سكون ما قبلها يمنع التسهيل ولا يجوز

الحذف راسا لعدم ما يدل عليه اولئك على هدى من ربهم واولئك خبر الذين يؤمنون بالغيب وما عطف عليه ان كان مستانفا جوابا لمن يقول ما للمتقين اختصوا بالهدى بين الانام فدل بالاوصاف المذكورة على انهم احقاء بذلك الاختصاص وان جعل موصولا والذين يؤمنون بما انزل اليك كلاما مستانفا غير معطوف على الموصول الاول ولا على المتقين فاولئك على هدى خبر عنه وان جعل موصولا بالمتقين لفظا او معنى وعطف عليه والذين يؤمنون بما انزل اليك فالاستيناف واقع على اولئك وليس بوجه لانه بعد ذكر اختصاص المتقين بالهدى واجراء الصفات التي اهلتهم لذلك لا وجه للسؤال عن موجبه الا على تقدير غفلة السايل فاشير باولئك الى تلك الصفات التي لو تاملها اغنته عن السؤال وضم الى الهدى نتيجتها وهي الفلاح تحاشيا عن وصمة التكرار فان قلت صفة التقوى كافية في علية الاختصاص فما اوردته على الثاني وارد على الاول قلت ليس المجمل فاذا فصلت صفات المتقين وخصصت لم يبق للسؤال مجال واعلم ان الموصول الثاني اذا جعل مستانفا ولم يجر على المتقين انما يحسن اذا قصد به التعريض باهل الكتاب الذين يزعمون انهم على هدى وليسوا منه في شيء اذ لو لم يقصد ذلك فحق الموصول الثاني ان يكون جاريا على ما جرى عليه الاول لعدم فايدة العدول مع اتحادهما ذاتا فان قلت فاجعل الثاني مخالفا للاول ذاتا وقد استقام الكلام بلا تعريض قلت اذا كان مغايرا للاول ذاتا فالوجه عطفه على الاول ليشملها صفة التقوى واذا جعل مستانفا فالوجه قصد التعريض ايضا ليلايتوهم انتفاء الحكم عن الموصول الاول وانما عدل عن الضمير الى اسم الاشارة للدلالة على ان ما يرد بعده فالمشار اليهم احقاء به لتلك الصفات السابقة وفي اسم الاشارة يلاحظ المشار اليه مع الصفات المميزة له دون الضمير فان قلت قد ذكروا في اياك نعبد ان العدول من الغيبة الى الخطاب لكونه ادل على التميز الذي لا يحق العبادة بدونه فقد دل على ان الصفات المميزة تعتبر في الضماير ايضا قلت المراد كمال التمايز الا انهم يقولون جعل المسند اليه اسم الاشارة ليفيد اكمل تمييز ولذلك يؤثره البلغاء قال حاتم الطائي لما اشتوى ما آثر ممدوحه فذلك ان يهلك فحسبي ثناؤه والاستعارة في على تبعية شبه تمكنهم من الهدى من غير مانع ولا مزاحم من الشبه والشكوك باعتلاء الراكب مركوبه فجرت الاستعارة اولا في مطلق الاعتلاء ثم في معنى على تبعا وذلك لان معنى الحروف غير مستقل بالمفهومية فلا تصلح ان يكون مشبها او مشبها بها اصالة وكذلك الافعال لاشتمال معانيها على النسب فيقع التشبيه في المصادر ثم يسري الى الافعال تبعا والتنكير في هدى للتعظيم اي هدى واي هدى واتفق السبعة على ادغام النون الساكنة في الراء واللام بلا غنة اما الادغام فلتلاحق المخرج واما عدم الغنة للمبالغة في التخفيف ونقلها عن ابن عامر وعاصم سهو واولئك هم المفلحون كرر اسم الاشارة دلالة على انهم مستبدون بكل من الهدى والفلاح على حيالها وادخل العاطف لاختلاف الجملتين مفهوما وقصدا لان الغرض في الاول اثبات الهدى لمن اشير اليه في الدنيا لتلك الصفات والغرض من الثانية الفوز في الآخرة من اجل الهدى بخلاف قوله اولئك هم الغافلون بعد قوله اولئك كالانعام فانهما وان اختلفا ذاتا ومفهوما فقد اتحدا غرضا وقصدا لان الغرض من تشبيه الكفرة بالانعام ليس الا الحكم عليهم بالغفلة المتناهية فالثانية مؤكدة او بيان فلا مجال للعاطف ومن قال انهما متحدان مفهوما فقد التبس عليه وفايدة ضمير الفصل تاكيد الحصر المستفاد من تعريف الخبر وتمييزه اياه عن الصفة وقد يقال انه مبتداء وما بعده خبره ومعنى التعريف في المفلحون اما العهد وذلك انك احطت علما بان طايفة من الناس يفلحون فكانه قيل ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم مفلحون كما اذا بلغك ان انسانا من اهل بلدك قد تاب فقلت من التايب فقيل زيد التايب على ما اختاره سيبويه من ابوك من كون من مبتداء والمعنى ازيد ابوك ام عمرو وكانه قيل المتقون هم المفلحون ام غيرهم فالمطلوب الحكم بالمفلحون على احدى تلك الخصوصيات واما الجنس على معنى ان صفة الفلاح اذا حصلت وقامت بطايفة فالمتقون هم هم لا يعدونهم وهذا المعنى من فروع الجنس وابلغ شعبه لدعوى

الاتحاد بخلاف الجمع لانتفاء هذه الدعوى فيه ولدقة مسلكه يحتاج الي تامل وافٍ والفلاح الشق
ولذلك سمي الحارث فلاحًا والمراد به الفوز لان من فاز ببغيته كانه انفتح في وجهه كل باب خير وكل
ما وافقه في الفاء والعين دال علي معناه كفلق وفلذ وقد شيد شان المتقين بما لا مزيد عليه من طرق شتي
ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل ترغيبًا للسامع في انتهاج منهجهم لينال ما نالوا
وفقنا الله لذلك بفضله وكرمه ان الذين كفروا سنة الله تعالى في كتابه العزيز ارداف قصة الابرار
بالكفار وبالعكس واتباع الوعد بالوعيد اذ بضدها تتبين الاشياء ولم تعطف الثانية علي الاولي
لتباينهما غرضًا واسلوبًا لان الاولي مسوقة لوصف الكتاب بكمال الهداية وانه الموعود المتحدي باعجازه
والثانية لبيان حال الكفرة واصرارهم بحيث لا يجدي فيهم الايات والنذر والحكم في الاولي علي الكتاب
وفي الثانية علي الكفار ولا ينفاوت هذا باجراء الموصول علي المتقين واستينافه لان الكلام المبني علي
السؤال الناشي من الاول متصل به معنى ولا يكون الموصول الثاني مبتداء مخبرا عنه باولئك لان
ذلك الوجه انما يحسن اذا قصد به التعريض بمن لم يؤمن بالقرآن من اهل الكتاب وزعمهم انهم مؤمنون
عند الله ولا مدخل لقصة الكفار في ذلك الغرض والموصول كاللام في العهدية والجنس وفرعه
يجوز ان يراد به ناس معدودون معروفون بالنفاق كعبد الله بن ابي واضرابه والجنس شامل
لهم ولغيرهم والاخبار بالاصرار تخصصه بالبعض والكفر لغة الستر وشرعا انكار شيء عنر وجوده
في الايمان وشد الزنار والقاء المصحف في القاذورات انما عد كفرا لكونه دليلا علي خبث الباطن والنزاع
بين اهل الحق والاعتزال انما هو في اثبات الكلام القديم القايم بذاته تعالى مع الاتفاق علي حدوث
اللفظ فلا وجه للرد عليهم بان ذلك مقتضى التعلق وهو لا يستلزم حدوث الكلام سواء عليهم
أانذرتهم ام لم تنذرهم السواء لغة العدل وعدم رجحان الطرفين قال تعالى فانبذ اليهم علي سواء
اسم للمصدر يوصف به كقوله في اربعة ايام سواء وما في الاية اما خبر عما بعده مقدم عليه وعدم
التثنية لكونه مصدرا او خبر عما قبله مسند الي ما بعده اي مستو عليهم انذارك وعدمه والاول
هو الوجه لان الغرض من الوصف بالمصادر المبالغة في شان محالها كانها صارت عين ما قام بها وانما
صح وقوع الفعل مخبرا عنه لان الجملة في معنى المصدر المضاف الي الفاعل مبلا الي جانب المعني
كما في لا تاكل السمك وتشرب اللبن وام والهمزة جردتا عن الاستفهام لمطلق الاستواء لان اللفظ
الحامل لمعنيين قد يجرد لاحدهما قال سيبويه جري علي حرف الاستفهام ما جري علي حرف النداء في قولهم
اللهم اغفر لنا ايتها العصابة لانه جرد عن قصد الاقبال لمجرد الاختصاص فان قلت اذا جردتا
لمعنى الاستواء يؤل المعني الي ان المستويين سواء قلت لا ضير اذ المعني المتنا وبان وقوعا سواء في
عدم النفع وانما قال سواء عليهم دون عليك كما في قوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون لان الانذار واجب عليه ينال به المثوبة العظمى فلا تساوي بالنسبة اليه والانذار الابلاغ مع
التخويف واقتصر عليه لانه الاتم سهل نافع وابن كثير وابو عمرو الهمزة الثانية بين بين هنا وحيث
وقع همزتا القطع متلاصقتين ووافقهم ابن عامر في رواية هشام في المفتوحة وابدلها ورش في رواية
المصريين عنه الفا وروما للتخفيف لان همزة القطع في غاية الشدة وفي بين بين قسط من الحركة
قال قطرب هي لغة قريش وان لم تكن قياسية لكنها كثرت حتى اطردت والعجب ممن زعم
انه ناقل القراآت ثم يطعن في المتواتر بما تخيله لا يؤمنون خبر ان فقد سواء خبرا مقدما ما ليكون
الجملة اعتراضا وان جعل اسم فاعل ما بعده فاعله تعين ان يكون لا يؤمنون بيانا او تاكيدا وهذا اوجه
لان الاخبار بنبا وي الانذار وعدمه اقوي في افادة الغرض المسوق له الكلام وهو بيان تمردهم

مثلوا للمعهود بابي جهل وابي لهب والوليد والمثال غير مطابق لان هولاء كانوا موتى نزول الاية منه

اذ لو جرى على ظاهره لزم عطف الاسم وهو تشرب بالنصب على الفعل بل عطف مفرد على جملة لا محل لها منه

في الكفر فالشان ان يجعل عمدة لان الاعتراض في صورة المستغني عنه ومنه ظهر ان الابدال ساقط
لان المبدل اوفي بالمقصود والشرط عكسه واما جعله خبرا بعد خبر وحالا مؤكدة مما لا يخفي متانته وما علم
الله تعالى عدم وقوعه او اخبر به ليس التكليف به محالا بل النزاع فيما لا يكون متعلق القدرة الحادثة وان
كان ممكنا واما المحال لذاته لم يقل به احد وان جاز عقلا عند من لم يوجب لفعله غرضا ختم الله علي قلوبهم
وعلي سمعهم وعلي ابصارهم غشاوة استيناف دال علي علية استواء الانذار وعدمه الختم والكتم اخوان
ولا ختم ولا تغشية حقيقة بل المعنى علي تشبيه احداث هيأة في القلوب والاسماع مانعة من خلوص
الحق وقبوله بضرب الخاتم علي الاواني استعارة محسوس لمعقول بجامع عقلي هو الاشتمال علي منع القابل
عما شانه ان يقبله فسرت الاستعارة في الفعل تبعا او تشبيه صورة منتزعة من القلب والحالة الحادثة
فيه المانعة من الانتفاع بالامور الدينية بصورة منتزعة من الشيء والختم الوارد عليه المانع من الانتفاع
بما فيه والالفاظ المنوية في التمثيل كافيه وان لم يستقم تقديرها وقس حال الابصار مع الغطاء علي القلوب
والاسماع مع الختم وهذه الاشياء ونظايرها كاينة بخلق الله وارادته اذ لا قبح لصنعه يخلق ما يشاء
ويحكم ما يريد ومن لم يجوز ذلك اول في مثلها تاء ويلات الاول جعل اسناد الختم اليه تعالى كناية عن
رسوخ بتوا القلوب والاسماع وفرط التمكن حتى كانه امر خلقي الثاني تمثيل قلوبهم بقلوب ختم الله
عليها كقلوب البهايم او قلوب مقدرة ختم عليها فالاسناد حقيقي وان كان الختم مجازا والتمثيل في
المجموع كما في قولك اراك ايها المفتي تقدم رجلا وتؤخر اخرى الثالث ان هذه الاشياء من الشيطان
والاسناد اليه تعالى اسناد الي السبب لانه باقداره والمسند ايضا مجاز كقوله اذا ردعا في القدر من تستعيرها
الرابع ان الختم مستعار لترك القسر والالجاء لانه لازمه وفيه اشارة الي تناهي طغيانهم وان لا سبيل
الي ايمانهم الا القسر لولا بناء التكليف علي الاختيار الخامس ان هذا حكاية ما كانوا يقولون قلوبنا في
اكنة وفي اذاننا وقر رد عليهم زعمهم الباطل وانما ادخل السمع تحت الختم دون الغشاوة لقوله ختم
علي سمعه وقلبه ولان ادراك كل منهما لا يختص بجهة والختم يمنع الوصول من الجهات والقلب هو العضو
الصنوبري ويطلق علي العقل كقوله لمن كان له قلب والسمع والبصر الجارحتان المعروفتان ويطلقان
علي الادراك بهما وعلي نفس القوة المدركة وافراد السمع لانه مصدر في الاصل واعادة الجار للدلالة
علي الاستقلال مبالغة وتنكير غشاوة للتنويع اي نوع غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن ايات
الله او التعظيم وارتفاعهما علي الابتداء عند سيبويه والفاعلية عند الاخفش وربما ايد بالعطف علي
الفعلية ولم يمنع اباعمرو والكسائي امالة الف ابصارهم الصاد المطبقة المستعلية لان في الراء من
صفات القوة ما يقاوم ذلك وقيل لما في الراء من التكرير وليس بشيء لان قولهم الراء حرف مكرر ليس معناه
ان حين التلفظ يقع مكررا بل معناه ان اللافظ يلصق لسانه بالحنك الاعلي لئلا يقع لحن بارتعاد اللسان
فحدث رآان كذا عن امام النحو خليل بن احمد ولهم عذاب عظيم العذاب كالنكال وزنا ومعنى ومنه اعذب
عن الشيء نكل عنه وفي حديث علي لما ارسل سرية اعذبوا عن ذكر النساء ومنه وصف الشراب بالعذوبة
لانه يقمع العطش كما يسمى فراتا لانه يفرته اي يكسره والعظيم ما لا يحاط به يستعمل في الجثث والمعاني
وكما ان الحقير دون الصغير يكون العظيم فوق الكبير بحكم العادة لان الاشرف يقابل بالاخس والحديث
الالهي الكبرياء ردائي والعظمة ازاري يدل علي خلافه لان الرداء اشرف حالا من الازار ومن الناس
من يقول امنا بالله وباليوم الاخر هولاء المنافقون اهل الدرك الاسفل وهم اقبح الكفرة ولذلك
عطف قصتهم علي قصة الماحضين وفصل صفاتهم الذميمة في ثلث عشرة ايات وعطف القصة علي القصة
يكفيه التناسب في الغرض ومن لم يهتد اليه اشكل عليه مواضع من التنزيل واصل ناس اناس لانهم يونسون

هو السكاكي كما ذكره الشريف المحقق

اي يبصرون كما سموا بشرًا لذلك يدل عليه انسان انيسي خذفت همزته تخفيفًا وقيل من النوس وهو الاضطراب
بدليل نويس والجواب انه من تغيير النسب كاينسان ووزنه فعال لان الياء في الحذف والمبدل على الاصول
ليندرج بها الى معرفة حصول الصيغة ويعكس في القلب لا له على اصله ولذلك يقال اصل عفل واللام
فيه للجنس وفايدة الاخبار بان من يقول كذا من الناس التعجب من شانه وان تلك الصفات تنافي الانسانية
ويجوز ان يكون مضمون الجار والمجرور مبتداء كقول الحماسي فمنهم ليوث لا ترام وبعضهم مما قمش وضم حبل
الحاطب او للعهد اي ومن المصرين طايفة كذا ولا ينافي ما ذكر من تثنية الكلام بالماحضين لان المنافقين
لما افردوا باحوال واحكام كان المقصود من ذلك الحكم المشترك بيان حال الماحضين ثم على الاول من موصوفة
لان الجنس لا توقيت فيه فكذا في ابعاضه وعلى الثاني موصوله وبالوجهين ورد التنزيل من المومنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه ومنهم الذين يوذون النبي واليوم الاخر هو الابد الذي لا امد له او من
وقت النشور الى ان يدخل فريق في الجنة وفريق في السعير لانه اخر الاوقات المحدودة وذكره مع الله
تعالى للدلالة على انهم آمنوا بالمبداء والمعاد واحاطوا بقطريه واما ل ابو عمرو الف الناس لكثرة
الدور وما هم بمومنين رد لدعواهم على ابلغ وجه لان كونهم في عداد المومنين من لوازم ايمانهم
فاخراجهم عن زمرتهم نفي لايمانهم على طريقة البرهان ولذلك زيدت الباء وقد دلت الاية على ان
الايمان ليس مجرد القول مع ابطان الكفر وفيه بطلان مذهب الكرامية يخادعون الله والذين
آمنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تريد به لتوقعه في المكروه من حيث لا يدري ومنه ضب خادع
اذا قبل الى الحارش ثم خرج من نافقايه وفي الحديث يكون في آخر الزمان سنون خداعة ان تكون
ذات امطار بلا ريع ومعنى مخادعة المنافقين علام الغيوب ومخادعته اياهم ان من الجانبين معاملة
شبيهة بالخداع لان اظهارهم الايمان مع ابطان الكفر واجراء الله تعالى عليهم احكام المومنين
وهم اهل الدرك الاسفل وكذلك امتثال الرسول والمومنين باجراء الاحكام عليهم صورته
صورة الخداع ففي يخادعون استعارة بتبعيه اولجهلهم بالله وبصفاته اعتقد واجواز ذلك
فهو ترجمة معتقدهم او ذكر الله توطئة تنبيها على قوة اختصاص المومنين به وقربهم منه حتى
ان الفعل المتعلق بهم يصح تعلقه به كقولك اعجبني زيد وكرمه ومثله والله ورسوله احق
ان يرضوه او نسب اليه تعالى ما هو لرسوله على نمط المجاز العقلي لانه الناطق عنه ومبلغ احكامه او
يخادعون بمعنى يخدعون اخرج الى زنة المفاعلة مبالغة لان الفاعل اذا قابله مقابل وم
توفرت دواعيه شوقا الى الغلبة وكان لهم في الخداع اغراض سلامتهم من القتل والاسر ونيل
ما ينال المومنون من المغانم واطلاعهم على عورات المومنين واذاعة اسرارهم والقاء الاكاذيب
المرجفة ولذلك سماهم المرجفين في المدينة وما يخادعون الا انفسهم لان ضرر خداعهم لا يتعدى
ولا يحيق المكر السيئ الا باهله او يخادعون انفسهم باباطيل الاماني وتمنيهم هي ايضا امثالها
فيخدع كل منهما الاخر ويحمله على ارتكاب سبلها فان قلت للنفس ذات الشيء وحقيقته وحقيقة
الخداع تقتضي فاعلين مختارين قلت يكفي في تصوير ذلك التغاير اعتبارا ولو توهما وفاعل بمعنى فعل
والاخراج الى المفاعلة لتلك المبالغة ويويد قراءة الكوفيين وابن عامر يخدعون مقصورا و
عليه الرسم ويطلق النفس على الروح وعلى القلب والدم والماء وما يشعرون ان ضرر الخداع لا يتخطاهم
والشعور علم يكتسب بالمشاعر والحواس الظاهرة وفيه اشارة الى انهم اضل سبيلا من الانعام في
قلوبهم مرض مستانف لبيان موجب خداعهم وما هم فيه من النفاق ويجوز ان يكون تقريرا
لعدم شعورهم والاول اولى لان لا يشعرون سبيله الاعراض والمرض حقيقة فيما يعرض البدن

ويخرجه عن الاعتدال وكان بهم الرياسة وفوات كل الرشي امرض قلوبهم او اريد به الاعراض النفسانية
كالغل والحسد وساير الاخلاق المتولدة من الكفر وسوء العقيدة فانها عقيدة آفة في الادراك
فزادهم الله مرضا بنصر رسوله وتبسط في البلاد وكثرة الفتوح او بانزال الايات والسور فانهم ازدادوا
كفرا بزيادة ما كفروا به كما ازداد به المومنون ايمانا واسناده الى السورة في قوله فزادتهم
رجسا اسناد الى السبب وعطف الفعلية على الاسمية للدلالة على ان ذلك المرض لم يزل غضا طريا
وانه تسبب لازدياد مرضهم المحقق اذ لولا تدنس الفطرة لا زداد وابزيادة امداد الاسلام ونزول الايات
شفاء وقد ظهر ان حمله على الخبر دون الدعاء هو الوجه ولهم عذاب اليم مولم يقال الم فهو
اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب مبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع وكقولك الم اليم
ووجع وجيع بما كانوا يكذبون بسبب كذبهم واقحام كان للدلالة على الاستمرار في الماضي والكذب
هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه وقبحه ليس ذاتيا فيحسن اذا كان فيه نجاة مظلوم وخص بالذكر
من بين جهات استحقاقهم تخييلا للحوق العذاب لاجله تنفيرا عنه وقراء غير الكوفيين مشددا
اي يكذبون الرسول ولم يومنوا به ويجوز ان يكون مبالغة في الكذب كصدق في صدق او كثرة الفاعل
كموتت الابل فيرجع الى قراءة التخفيف سوى ما يفيده من المبالغة او من كذب الوحشي اذا جرى
شوطا ثم نظر وراءه كانه يكذب رايه لان المنافقين حايرون مترددون قال الله تعالى مذبذبين بين ذلك
والمختار هو التشديد على كل وجه واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على تكذبون او يقول آمنا
والاول اوجه لقربه ولافادته تسبب الفساد للعذاب وخلوه عن تخلل البيان والاستيناف بين اجزاء
الصلة او الصفة وان لم يكن اجنبيا وقد يويد الثاني بكون الايات على نمط التعديد قصدا
الى اتصافهم بكل منها استقلالا ولئلا يفوت المبالغة في التنفير عن الكذب بمشاركة غيره
في التسبب للعذاب واما عطفه على ومن الناس يستلزم خروج هذه الصفة وما بعدها من قصة المنافقين
او على ذلك التقدير لا يحسن عود الضماير اليهم والافساد جعل الشيء فاسدا اي خارجا عن عند له
وانما جعلوا مفسدين ما في الارض لانهم كانوا يميلون الكفار ويما لئونهم على المسلمين ويحرفون
الكلم من بعد مواضعها وذلك مما يهيج الحروب والفتن وفيه فساد الدنيا والدين او جعل ما كانوا فيه
عين الفساد كانه قيل لا تاتوا بالفساد والقايل رسول الله او المومنون اذ لم ينفع الله معهم كلام
ابتداء قالوا انما نحن مصلحون اي حالنا مقصور على الاصلاح لا يشوبه شيء من الافساد وآثروا انما
لادعائهم ان اصلاحهم بين مكشوف الا انهم هم المفسدون الاحرف تنبيه ينبه على تحقيق ما بعده
وقيل مركب من همزة الانكار ولا النافية فهي من مقدمات اليمين وطلايعه كان واللام سلفي بها
القسم رد دعويهم ابلغ رد بان حصر حالهم في الافساد لاحظ لهم في الاصلاح قلبا لدعويهم ووسط
ضميرا لفصل توكيدا للحصر المستفاد من تعريف الخبر والاوجه حمل اللام على الاتحاد والضمير لتوكيد
نسبة الاتحاد كما في هم المفلحون ولكن لا يشعرون سبق تحقيقه واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس
سلكوا معهم سلوك المرشد مع الطالب المسترشد نهوهم عن الفساد وارتكاب الرذايل ثم امروهم
بالاتصاف بالايمان الذي هو اساس الحسنات تحليه بعد التخلية اللام للعهد والناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم لانهم مقابلوهم في الايمان او عبد الله بن سلام واشياعه
لانهم مع تلك المقابلة ناطقون لهم بالايمان حاضرون في الاذهان او الجنس اي الكاملون في الانسانية
كان من عداهم ليس بانسان كما في ذلك الكتاب وقوله اذ الناس ناس والزمان زمان واسناد الفعل
الى لفظها وما اختص به الاسم هو الاسناد الى معناه نحو قام زيد فالمسند اليه هنا اللفظ باعتبار

المعنى وانما لم يتعرض النحاة لبيان هذا القسم من الاسناد لانه يعلم حاله بالمقايسة اولان ماله ذلك
فعل ماض واذا قيل لهم لا تفسدوا اي هذا القول قالوا انؤمن كما آمن السفهاء السفه الخفة في الرأي
واللام للعهد اشير به الى الناس السابق ذكرهما وللجنس ويدخل فيهم الجاري ذكرهم لانهم اعرق
الناس في السفه عندهم اما لتدبس فطنتهم يرون الحسن قبيحا كالمريض المختل ذا يقته يجد الحلو مرا
او قالوه تجلدا وعدم مبالاة بمن فارقهم من شيعتهم وما في الموضعين مصدرية او كافة الا انهم
هم السفهاء ولكن لا يعلمون لاعتقادهم الباطل حقا مع جلاء برهانه وانما فصل الاولى بنفي الشعور
وهذه بنفي العلم لان امر الديانة يحتاج الى تأمل في تمييز الحق عن الباطل ولا كذلك الافساد
في الارض واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ليس من التكرار في شيء لان قوله ومن الناس من يقول آمنا
لبيان معتقدهم وادعائهم حيازة الايمان من الجهات وما هم منه في شيء وهذا لبيان سلوكهم مع المؤمنين
ولو لم يكن الغرض ذلك لم يلزم التكرار ايضا لان المعنى ومن الناس من يتلفظ بالايمان نفاقا للخداع
ثم اشار الى ان ذلك عند لقاء المؤمنين للحاجة استهزاء واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت
بفلان واليه اذا انفردت به ومنه خلاك الذم اي مضى وانفرد او من خلوت به اذ سخرت منه وعدي
بالى لتضمين معنى الانهاء وشياطينهم شطارهم الذين ماثلوا الشياطين في التمرد والشيطان فعلان
من شطن اي بعد لبعده عن الخير والصلاح او من شاط اي بطل فالنون زائدة قالوا انا معكم
قلبا واعتقادا آثروا في مخاطبة اخوانهم الاسمية مؤكدة بان لانهم في ذلك على صدق رغبته
ونشاط وكمال اريحية وهو رائج منهم ومع المؤمنين الفعلية لانهم لم يكونوا سابقا موسومين بذلك
فلم يرج منهم لو ادعوا غير احداث الايمان ولم يكن ايضا صادرا عن اريحية كما ترى من يتكلم بكلام تكلفا
انما نحن مستهزؤن تاكيد لانا معكم لان الاستهزاء بالاسلام دفعه على ابلغ وجه ورفع نقيض الشيء
تاكيد لثباته وانا له ما عسى يتوهم من تجوز وقيل انا معكم فلوكيا يلزمه ان قولنا آمنا عند لقاء
المؤمنين ليس على حقيقته فقولهم انما نحن مستهزؤن توكيد لذلك اللازم والاول اوجه لان التاكيد
يكون للكلام لا للوازمه او بدل لانه اوفى بالمقصود وهو التصليب في الباطل واستيناف لظهور ورود السؤال
كانه قيل كيف تكونون معنا مع قولكم للمؤمنين آمنا والاستهزاء الاستخفاف من الهزء وهو القتل سريعا
الله يستهزئ بهم الاستهزاء من باب السخرية والعبث ولا يليق ذلك بالحكيم فالمراد منه انزال الهوان
وتحقير شانهم لان ذلك غاية فعل المستهزئ وغرضه الذي يرميه او لعلاقة الشبه الصوري والعدول
عن الحقيقة للاشارة الى ان مذاهبهم حقيق بان يسخر بها الساخرون وانما لم يعطف لان ما حكي عنهم
من شناعة ما ارتكبوه مما يحرك كل سامع ان يقول من هذا شانه ما مصير امره وصدر باسم الله للدلالة
على ان المؤمنين عنده بمكان وهو الذي يتولى مجازاة اعدائهم مع الاشارة الى ان استهزاء
المنافقين مضمحل في جنب استهزائه لصدوره عمن يضمحل كل شيء تحت قدرته ومن قال سمي جزاء
الاستهزاء استهزاء لكونه مماثلا له في القدر ثم قال لا يؤبه باستهزائهم في مقابلة ما يفعل الله بهم
فقد تناقض كلامه وايثار المضارع للدلالة على تجدد الفعل واستمراره وكذا كانت نكايات الله
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وتحل قريبا من دارهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون
مد الجيش وامده اذا زاده وليس من المد في العمر لانه يتعدى باللام والحذف والايصال خلاف الاصل
وما روي عن ابن كثير يمدهم بضم الياء يدل عليه والطغيان مصدر طغى تجاوز عن الحد واضافته
اليهم كاضافة الحسن الى زيد في قولك اعجبني حسن زيد فلا يدل على انه ليس بخلق الله وارادته وايثار طريق
الابهام والتفسير للدلالة على اضافة كثرة الاسباب والعمه في البصيرة كالعمى في البصر اولئك الذين اشتروا

الضلالة بالهدى تعليل لاستحقاقهم الاستهزاء الابلغ والمد في الطغيان او اعتراض مقرر لمدهم في الطغيان
ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى استبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر
ومنه قوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا والمراد بالهدى تمكنهم منه او ان التكليف وتيسر الاسباب والفطرة
التي فطروا عليها لانها اساس الهدى والضلال الجور عن القصد استعير للذهاب عن الصواب في الدين فما ربحت تجارتهم
اي خسروا في ذلك الاستبدال لان راس مالهم الذي استبدلوا به بضاده وهو الضلال والضال خاسر
وامر ولو نال ما نال ولان من لم يسلم له راس ماله لا يوصف بالربح ولما استعار الاشتراء للاستبدال
رشحه بذكر الربح ترتيبا للاستعارة لان مبناها على تناسي التشبيه وذكر روادف المشبه به وتوابعه
يشد من اعضاده الا ترى قوله ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري لما استعار النسر
النسر للشيب وابن داية للشباب كيف رشحه بذكر التعشيش والوكر فان قلت نفي الربح عن التجارة
حقيقة الا ترى انك لو قلت ما ربحت التجارة بل التاجر لم يكن هناك مجاز وكذا قولك ما صام النهار
فما وجه قول من يقول ان الاسناد فيه مجاز قلت جعل عدم الربح كناية عن الخسران وان كان اعم
منه تصريحا بانتفاء مقصود التجارة وهو الربح مع حصول ضده بخلاف ما لو قيل خسرت تجارتهم
وكذا كل فعل نفي عن غير فاعله كقولك ما صام النهار وما نام الليل ان اجري على ظاهره كان حقيقة
وان اول بفعل آخر ثابت للفاعل كافطر وسهر كان مجازا وما كانوا مهتدين ليس المراد منه
عدم الاهتداء في الدين ليكون تكرارا بل تقرير للترشيح وتشييد لاركانه بان هؤلاء الذين خسروا
في التجارة لم يكونوا داخلين في زمرة البصراء بالامور ونجوز عطفه على اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى من تمام التعليل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا المثل في الاصل بمعنى النظير نقل الى قول
مثل مضربه بمورده ولا يضرب مثلا الا ما فيه غرابة ثم استعير لكل شان فيه غرابة وللامثال في
كشف الحقائق واظهار الخفايا شان لا نه يريك المعقول في صورة المحسوس والمتخيل متحققا ولذلك
كثر في كلام الله وكلام الحكماء والبلغاء والجملة مقررة لقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة
او الجملة قصة المنافقين والذي وضع موضع الذين لكثرة وقوعه لكونه وصلة الى وصف كل معرفة
واستطالته بالصلة ولان الذين ليس جمعا له حقيقة بل زيد الياء والنون للدلالة على الزيادة
الا ترى الى وجودهما في الرفع او قصد جنس المستوقد او بتقدير الفوج ونحوه على ان التشبيه ليس للذوات
حتى يتشكل واشتقاق النار من نار ينور اذا تحرك واضطرب وهو هذا الجسم اللطيف المعروف والنور
ضوؤها فلما اضاءت ما حوله عطف على استوقد والاضاءة فرط الانارة متعد وما الموصولة مفعوله
او لازم مسند الى ما والتانيث لان ما حوله اماكن او مسند الى ضمير النار وما مزيدة وحوله ظرف
لغو وموصوله مع صلتها مفعول فيه والاول اوجه لان الثاني يقتضي ذكر في لان حذفه عن لفظ
مكان لكثرته ولا كثرة في الموصول فان قلت اذا كان الفعل لازما مسندا الى ضمير النار يلزم وجود
النار حول المستوقد حتى يتصور اضاءتها فيه قلت النار وان لم توجد فقد وجد ضوؤها فالاسناد
الى النار اسناد الى السبب كما في بنى الامير المدينة وتاليف الحول للدوران والاطافة ومنه الحول
للعام وحال الشيء واستحال وحال الانسان لعوارضه ذهب الله بنورهم جواب لما جمع الضمير مع توحيده
في استوقد وحوله بالنظر الى اللفظ والمعنى والغرض تصوير حال المنافق فلا وجه لما يقال ان المستوقد
لم يفعل ما يستحق به اذهاب نوره وقيل مستانف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم
حال المستوقد والجواب محذوف اي خمدت نارهم او طفئت حذف ايجازا ومبالغة في سوء حال المستوقد
بالابهام ولكونه مستطالا بصلته والضمير للمنافقين في هذا الوجه والاول اوجه لان ذهاب النور

شديد الملايمة مع الاستيقاد ولان المبالغة في المشبه به يستلزم المبالغة في المشبه ضمنا ولان كونه
من تتمة التمثيل الاول يوجب مطابقته للتمثيل الثاني لاشتماله على مبالغات مع ان الاستيناف لا وجه له
لان سبب تماثل حالهم قد علم مما سبق وقيل بدل من جملة التمثيل على وجه البيان وفيه فوات
المبالغة في حذف الجواب لاستدعائه ان يكون اوفى من المبدل منه وانما وصف النار بالاضاءة
اولا لما تقرر ان الباطل له صولة ثم يضمحل كنار العرفج ويحتمل ان يراد النار المجازية كالفتنة وعداوة
الاسلام والوصف بالاضاءة ترشيح للمجاز وآثر الباء على الهمزة لدلالتها على المصاحبة واللصوق وما
يمسكه الله فلا مرسل له وتركهم في ظلمات ترك الشيء طرحه يتعدى الى مفعول واحد وقد يضمن معنى
التصيير فالى مفعولين كقول عنترة العبسي فتركته جزر السباع ينشنه ومنه ما في الاية لان اصله هم في ظلمات
والظلمة عدم النور وقيل عرض يضاده واصله المنع من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها
تسد البصر وتمنع وهذا ما يعتقده الجمهور فلا يرد ان العدم لا يكون مانعا وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق
وظلمة يوم القيمة او ظلمة الضلال وسخط الله وظلمة العقاب او ظلمة شديدة كانها ظلمات كما في الحديث
الظلم ظلمات يوم القيمة وان عاد الضمير الى المستوقد فالظلمات ظلمة الليل منضما الى ظلمة الغمام
وتطبيقه لا يبصرون اي ليس لهم ابصار راسا فلا يقدر له مفعول لفوات المبالغة واعلم ان الاية يجوز
ان يكون تمثيلا وتشبيها مفرقا وذلك ان المستوقد سعى في ايقاد النار وكدح في احيائها وحصل
على طرف من الاضاءة المطلوبة ثم انطفات وزالت بالكلية سريعا فبقي حايرا في ظلمات كالاعمى وكذلك
المنافق اظهر كلمة الايمان وحصل بها منافع الامن والامان ففجعه الله بالموت وصيره الى ظلمات
متراكمة فان لوحظ في كل واحد من الجانبين هيئة وحدانية ملتئمة من تلك المعاني تشارك الاخرى
في هيئة منتزعة منها لحصول تباشير المقصود وفوت الرجاء والوقوع في حيرة الحرمان والخيبة كان
تمثيلا وان قصد تشبيه كل واحد من تلك المعاني بما يناظره كان تشبيها مفرقا والاول اوجه لما
في تشبيه الهيئات من جزالة المعنى والخلو عن التكلف في طلب وجه الشبه في كل متناظرين لا سيما
اذا كان ذكر المشبهات مطويا ولان لفظ المثل يتبادر منه القصة الغريبة كالمثل السائر وهي
الهيئة المركبة دون كل واحد صم بكم عمي ترقي في بيان حال المنافق من التمثيل المذكور الى ما هو
فوقه في الجزء اعطاء للمقام حقه وسواء جعل ذهب الله بنورهم جواب لما اولا فالمبتدا المقدر ضمير المنافقين
كانت حواسهم سليمة ولكن حيث لم يصغوا الى الحق ولم ينطقوا به ولم ينظروا في الافاق والانفس وتقديم
الصم على البكم بين لان تلقي الايات من الشارع مقدم على ذكرها والنطق بها واما تاخير العمى فلانه تامل
لعمى القلب وهو معقول صرف فاستحق التاخير الى قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما
وصما لما اريد به رؤية البصر كيف قدم دلالة على ان المحشور اشد ما عليه فقد البصر ثم البكم لئلا يستجير
بمغيث وهو من التشبيه البليغ الذي حمل فيه المشبه به على المشبه مع حذف الاداة ووجه الشبه وليس من
الاستعارة في شيء لان شرطها كون الكلام خاليا عن ذكر المستعار له لفظا وتقديرا ونية بحيث يجوز
ان يراد بالمشبه به معناه الحقيقي لولا القرينة وذلك لان مبنى الاستعارة على تناسي التشبيه ولاجل ذلك
كانت المرشحة اقوى اقسام الاستعارة فان قلت قد ذكروا ان قول الشاعر قد زر ازراره على القمر
من الاستعارة مع ان الضمير المجرور عائد الى المشبه قلت المراد من طي المشبه ان لا يذكر على وجه الحمل فلا
ينافي ذكره على وجه آخر لانه لا يقدح في التناسي المطلوب فهم لا يرجعون نتيجة قوله صم بكم عمي وذلك
لان فاقد الحواس لا يتصور منه رجوع او كصيب من السماء او في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع
فيه فاطلق للتساوي من غير شك نحو جالس الحسن او ابن سيرين وهو عطف على كمثل الذي استوقد نارا

وظلمة

اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم في اذانهم والمعنى قصة المنافقين شبيهة بهاتين
القصتين بايهما شبهت فقد اصبت وكذا ان جمعت والصيب فيعل من صاب المطر نزل وقيل هو السحاب
قال الشماخ واسحم دان صادق الوعد صيب ولما بالغ فيه مادة وتنكيرا دالا على التهويل كتنكير
النار في التمثيل الاول ايده بتعريف السماء الدال على العموم وشمول الافاق لان كل افق يسمى
سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء اي قطعة ارض وقطعة سماء اذ لا يتصور ان يكون بينه وبين الحبيبة
بعد جميع الارض والسماء وان اريد به السحاب فالمراد انه مطبق آخذ بآفاق السماء فيه ظلمات اي في
الصيب فان اريد به المطر فالظلمات ظلمة تكاثفه وتتابع قطره واظلال غمامه وظلمة الليل والسحاب فظلمة
سحمته وتطبيقه وظلمة الليل وارتفاعه بالظرف لاعتماده على الموصوف ورعد وبرق الرعد صوت شديد
يحصل من اصطكاك اجرام السحاب يتولد منها باذن الله نار لامعة هي البرق لبريقه ووقوع المطر ظرفا لهما
لوجود الملابسة لكونهما في اعلاه ومصبه كقولك زيد في البلد وان كان في طرف منه لان الظرفية
الحقيقية وهي كون الشيء مكانا لاخر غير مراده وان كان الظرف سحابا لانهما عرضان والتمكن من خواص
الاجسام وانما لم يجمعا لانهما مصدران في الاصل وجاءت منكرات على قياس تنكير النار والصيب اي
ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق كلام مستانف
كانه قيل كيف حالهم مع ذلك الرعد والبرق فقال يجعلون اصابعهم في اذانهم والمجعول في الاذان
وان كان رؤس الاصابع الا ان اطلاق الكل وارادة الجزء من المبالغة الدالة على انهم لو قدروا
على ادخالها بكمالها لفعلوا والصاعقة قطعة نار في غاية الحدة تنفصل من السحاب اذا اصطكت اجرامه
لا تمر بشيء الا احرقته ولذلك اشتق لها هذا الاسم من الصعق وهو الهلاك كقوله وخر موسى صعقا
ومن فيه ابتدائية فيها معنى العلية حذر الموت علة للجعل المعلل وكلاهما باعث غير غرض والموت
عرض يضاد الحيوة لقوله خلق الموت والحيوة وقيل عدم الموت والخلق بمعنى التقدير على ان اعدام
الملكات مجعولة عند المحققين والله محيط بالكافرين اعتراض دال على ان الحذر غير نافع ووضع الكافرين
موضع الضمير ليظهر استحقاقهم شدة الامر على طريقة قوله اصابت حرث قوم ظلموا والمراد بالكافرين المنا
وانما وسط حالهم بين احوال المشبه به والقياس تقديمها او تاخيرها اشارة الى شدة الاتصال بين
المشبه والمشبه به ودلالة على فرط الاهتمام بشان المشبه والاحاطة مجاز عن شمول قدرته وعدم
الفوات على نمط الاستعارة التبعية او شبه حالهم معه بحال المحيط على انها تمثيلية ولا يتصور اجتماعهما
لتنافي اللوازم لاستلزام التبعية البساطة والتمثيل التركيب يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف
ثان كانه قيل ذلك حالهم مع الرعد وصواعقه فما حالهم مع البرق والخطف الاخذ بالسرعة كلما اضاء لهم
مشوا فيه استيناف ثالث جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وفيه بيان
شدة الحال على المنافقين وتناهي حيرتهم بطريق التشبيه فاذا خفق البرق مشوا خطوات يسيرة
مع خوف خطف الابصار واذا اظلم عليهم قاموا [illegible] واذا خفي وفتر لمعانه وقفوا وانما اتى كلما
مع الاضاءة واذا مع الاظلام لان الاضاءة مطلوبة لهم وهمتهم معقودة بها ولا كذلك الاظلام
والمشي يقابله الوقوف وانما قابله بالقيام للدلالة على انهم حالة فتور البرق قيام ينتظرون
الخفوق واظلم جاء متعديا ولازما نقله الليث واللزوم اكثر استعمالا له ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم عطف على مجموع الجمل الاستينافية لان المعنى لو شاء الله ان يذهب سماعهم بقصيف الرعد
وابصارهم بوميض البرق وكلمة لو لمجرد ربط الجزاء بالشرط من غير دلالة على انتفاء احدهما لانتفاء
الاخر فهي بمنزلة ان ويجوز ان يكون على اصلها دالة على ان الرعد والبرق بلغا مبلغا لم يحتاجا في ازالة

ذكره صاحب الكشف

مستغن باالحواس الا على مجرد تعلق المشية ومفعول المشية كثر حذفه لدلالة الجواب عليه الا اذا كان
غريبا او عظيما لوقوف كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته فلم يكتف بالقرينة لاحتمال ضد المقصود واعلم ان هذا التشبيه
ابلغ من الاول لانه ادل على فرط الحيرة ونهاية شدة الامر ولذلك اخره تدرجا وهو كالاول يحتمل التفريق
بان تشبه دين الاسلام الذي به الحيوة الابدية بالصيب ولما كان على وجه الخداع اوجب الهلاك كما اوجب
الصيب وان كان رحمة هلاك هولاء المستخفين وشبه الكفار بالظلمات لان الظلمة سبب حيرة ذوي
الصيب كما ان شبه اهل النفاق سبب حيرتهم وزيادة ضلالهم وكل واحد من الرعد والبرق شبه به
وعد المومنين ووعيد المنافقين وما يصيب الكفار من الافزاع والبلايا من جهة اهل الاسلام بالصواعق
ونفاقهم حذرا من نكايات المومنين واطلاعهم عليهم بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت
من حيث انه لا بد من قدر الله شيئا واما قوله يكاد البرق يخطف ابصارهم وما بعده من متممات
الرعد والبرق زيادة في تصويرهما واطنابا في شرح الوعيد لان الكلام بالاصالة فيه هذا والقول
الحق والمذهب الجزل كما اشير اليه سابقا جعله من التشبيه المركب فانك اذا تصورت حال من اخذته
السماء في ليلة تكاثف ظلمتها بتراكم السحب وانتساج قطراتها وتواتر فيها الرعود الهايلة والبروق
الخاطفة والصواعق المخيفة وهم في ذلك يزاولون غمرات الموت حصل في نفسك حالة تعرف بها حال
المنافقين على وجه يتقاصر عنه تشبيه تلك المفردات بمقابلاتها بحيث لا يبقى لك مجال الريب
ان الله على كل شيء قدير دليل على لو شاء الله لذهب بحواسهم لانه شيء من الاشياء داخل تحت هذا
العموم والشيء وما يرادفه اعم وجودا من كل اعم كما ان لفظ الله اشد خصوصا من كل خاص والمعدوم
ليس بشيء بمعنى انه لا تقرر له ولا ثبوت بدون الوجود والمعتزلة قالوا به في المعدوم الممكن و
لغة يطلق على كل ما امكن ان يخبر عنه ويتصور حتى المحال وهذا هو المناسب للمقام ويخرج عنه المحال
بقرينة العقل كخروج الواجب عن قوله والله خالق كل شيء ولا حاجة الى ان يقال كل ما شاء الله فهو
موجود في الجملة لانه قبل تعلق القدرة والمشية وحين التعلق ليس بموجود ولا بشيء وبعد لا يتعلق
والقدرة صفة حقيقية تقتضي التمكن من الايجاد وليست نفس التمكن ولا نفي العجز عنه والقادر هو الذي
ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل والقدير كامل القدرة البالغ نهاية القوة ولذلك لم يوصف به غير الله
يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما ذكر الفرق وعقايدهم ونتايج اعمالهم ورغب ورهب بما لا مزيد عليه
اقبل عليهم مخاطبا ليزيل مرارة التكليف بلذة الخطاب كما هو داب السيد الرؤوف وياء حرف ينادى به
البعيد ونداء الله به عباده وهو اقرب من حبل الوريد لاظهار الكبرياء وبعد مقام التعريف والتحجم
اقبل عليهم وندا الله به عباده وسابر عباده بهذا لان الامره
الهاء عوضا عن المضاف اليه لكون اي لازم الاضافة ونداء الله رسله وساير عباده على هذا الوجه مستقل باوجه
ونواهيه امور عظام من حقها ان يقبل عليها المنادي بشراشره والنداء بحرف التنبيه والناس
من التاكيد تكرر الذكر والايضاح بعد الابهام وكون اللفظ موضوعا للبعيد وافخام حرف التنبيه فيعم الموجود وقت
اسم جمع واسماؤها المحلاة للعموم حيث لا عهد علم ذلك من موارد الاستعمال فيعم الموجود وقت
النزول بشرايط التكليف ومن سيوجد لبقاء شرعه الى اخر الدهر وعموم مقتضى خطابه وما روي عن علقمة
والحسن ان يا ايها الناس مكي لم يصح نقله مع الاتفاق على ان السورة مدنية ولو صح لم يقدح في عمومه
والعبادة المامور بها اعم من فعل القلب والجوارح تتعين بحسب المخاطب كما تقول لجماعة احدهم
لا يصلي والآخر لا يصوم والثالث لا يحج اعبدوا الله وان خصت بفعل الجوارح فالمؤمن مامور بزيادتها
والكافر بايقاع الشرط اولا ثم بالمشروط ثانيا لان الامر بالشيء امر بما لا يتم الا به كالمامور بالصلوة
فانه مأمور بالوضوء وايثار الرب بين اسمائه الحسنى للدلالة على ان الامر بالعبادة لتربيته وايصال ال

الكمال وان كان شاقا على النفس وقيل لان الموجب للعبادة هي التربية الذي خلقكم صفة مادحة لان
الرب المتفق على الوهية بين الفريقين وكذا ان خص الخطاب بالمشركين لانه رب الارباب ويجوز ان
يكون مخصصة لاطلاقهم الرب على آلهتهم والخلق هو الايجاد على تقدير واستواء يقال خلق النعل
اذا قدرها والذين من قبلكم من الامم فيه تغليب لانه موضوع لجمع الذكور فلا يتناول غير الانسان فضلا
عما يتقدمه بالذات او بالزمان ولو جعل منا ولا لغير العقلاء ايضا تغليبا فلا معنى للتقدم ذاتا
وقراء زيد بن علي من قبلكم على ان من موصولة فيكون تاكيدا بالمرادف وموصوفة خبر مبتداء والجملة
صلة الذين لعلكم تتقون لعل موضوع لانشاء توقع مرغوب ويسمى ترجيا او مرهوب ويسمى
اشفاقا وكل منهما اما راجع الى المتكلم وهو الاصل لان المعاني قايمة به او المخاطب لانه متلبس بالكلام
تلبسا تاما وقد يرجع الى غيرهما فمن الاول لعل زيدا يكرمني ومن الثاني فقولا له قولا لينا لعله
يتذكر او يخشى ومن الثالث قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي بلغت من الحرص على ايمانهم
مبلغا يرجون ان تترك بعض ما يوحى اليك وقد جاءت في كلامه تعالى للاطماع على داب الملوك
في المواعيد المقطوع بانجازها من الاقتصار على لعل وعسى دلالة على انه لا فرق بين الجزم وغيره في كلامهم
مع الايماء الى انه لا ينبغي الاتكال على العبادة والاجتهاد وما في الآية ليست من تلك المعاني في شيء
لان الرجاء من علام الغيوب المطلع على عواقب الامور محال وكذا من المخاطبين لان حال خلقهم لا
يتصور لهم بالتقوى ولا مجال للاشفاق وكذا للاطماع لان التقوى من افعالهم شاقة عليهم فهي مجاز
عن الطلب لانه لا يستلزم حصول المطلوب او عن ترتب الغاية على ما هي ثمرة له لان تعليل افعاله
بالحكم والمصالح بمعنى انها نهاية كمالية افضى اليها فعل الحكيم تعالى هو الحق الذي لا مرية فيه
وانما المنفي عن فعله هو الغرض الباعث الذي لولاه لم يقدم على الفعل على ان طايفة من الاصحاب
رضي الله عنهم قد جوزت ذلك فان قلت هلا تحمله على ترجي العباد متعلقا باعبدوا اي
اعبدوه راجين وصولكم الى التقوى التي هي اعلى مراتب العبادة او بخلقكم على انه حال مقدرة
اي خلقكم مقدرا رجاءكم للتقوى كما في قوله وبشرناه باسحاق نبيا اي مقدرا نبوته قلت لان
تعلقه باعبدوا يستلزم توسط الحال من فاعله بين وصفي مفعوله فان الذي جعل لكم الارض
فراشا صفة لربكم معنى وان رفع او نصب على المدح واما تقدير الرجاء حين الخلق ففيه ان المقدر
اذ ذاك هو التقوى لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولان كثيرا من الناس لا يخطرون
التقوى بالبال فضلا عن رجائها فكيف يقيد الخلق بتقدير الرجاء والآية دلت على ان الطريق
الى معرفته تعالى هو النظر في الانفس والآفاق وان العبد وان بلغ نهاية الامر وهي التقوى لا يستحق
اجرا على مولاه لان النعم السابقة تفوق عمله فهو عاجز عن شكر بعضها بل الشكر نعمة اخرى تقتضي
شكرا آخر وهلم جرا اذا كان شكري نعمة الله نعمة عليه مجددة كيف السبيل الى الشكر الذي جعل لكم
الارض فراشا اشارة الى بعض اصول النعم وقدم الارض لان وجود المتمكن بدون المكان بديهي
الاحالة وجعل يكون بمعنى صار وبمعنى خلق نحو جعل الظلمات والنور وبمعنى صير كما في الآية ومعنى الفراش
كونها لينة مبسوطة تصلح للقعود والنوم عليها وكريتها ان ثبتت لا تنافي الفراشية لانها لعظم
جرمها الجوانب البارزة لا يخرجها عن الكروية والسماء بناء قبة مضروبة عليكم اسم جنس يقع على الواحد
والمتعدد وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا
اذا اعرسوا بنوا عليها قبة وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ايجاد الاشياء بقدرته
تعالى لكن جرت عادته بربط بعض الاشياء باسبابها من ذلك جعل الماء سببا لما يخرج من الارض من الثمار

أزواجا

والحبوب وساير انواع النبات كقوله فاخرجنا به انواعا من نبات شتى بان اودع في الماء قوة فاعله وفي
الارض قوة قابله وله تعالى في ذلك الجعل ونقل الاشياء في الاطوار مدرجا لها من حال الى حال حكم وعبر
للنظار بعين الاعتبار والاستبصار ومن تبعيضية لشهادة النظاير فاخرجنا به من كل الثمرات فاخرجنا به ثمرات
ولان المكتنفين به منكران وسما الماء والرزق ولانه الواقع اذ لم يخرج بالماء المنزل كل الثمرات وكم من
ثمرة بعد في حيز الامكان وكذا المنزل بعض الماء فالمعنى اخرج لكم شيئا من الثمرات لاجل ان يرزقكم فرزقا
مفعول له او مفعول مطلق لاخرج لانه بمعنى رزق ولكم ظرف لغو ويجوز ان يكون بمعنى المرزوق نصبا
على الحال وان يكون بيانا فرزقا مفعول به لاخرج على ان المراد به العين ولكم ظرف مستقر صفة ومن الثمرات
بيان له مقدم فصار حالا اي اخرج مرزوقا لكم هو الثمرات ولا فرق بين جمع القلة والكثرة اذا عرفا
في مقام الاستغراق على انهما يتقارضان كما في كم تركوا من جنات وثلثة قروء لاسيما والثمرة اريد بها
الكثرة لا الوحدة كقولك ادركت ثمرة بستان فلان فيكون ابلغ ولا اقل من المساواة فلا تجعلوا لله اندادا
باعبدوا ولان العبادة شاملة للتوحيد كانه قال امركم بالعبادة فلا تشركوا به شيئا لان اصل العبادة
واساسها هو التوحيد وقيل نهي معطوف على الامر عليه وفيه ان الاولى الواو وبدل الفاء كقوله واعبدوا
ولا تشركوا به شيئا وقيل نصب بتقدير ان وليس بشيء لان شرطه كون الاول سببا للثاني والعبادة
لا يكون سببا للتوحيد الذي هو اساسها ونصب لعل انتصاب فاطلع في قوله لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانما يصح باعتبار صورة لعل لانه مجاز عن الطلب كما صح
نطيره في ليت بدون التمني كقولك لمن همك همه ليتك تحدثني فنفرح همي وهذا معنى حسن لاشتماله
على التنبيه على تقصيرهم وان المطلوب منهم صورة المرجو وبالذي جعل اذا رفعته خبر مبتدء كانه
قيل هو الذي حفكم بدلايل التوحيد فلا تشركوا به واما اذا نصبته على الاختصاص فلا اذ لا معنى
لقولك اعني الذي جعل كذا وكذا فلا تشركوا به وكذا ان جعل وصفا والند هو المثل المخالف المناوي
من ند البعير اذا شرد فهو كالضد لفظا ومعنى والمشركون لم يدعوا في الاوثان الاستقلال بالالوهية
بل كان زعمهم انها شفعاؤهم عند الله ولكن لما سموها آلهة وعظموها بالتقرب اليها وتعفير الجباه
لها الضر والنفع اشبهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات لها خواص الالوهية فتهكم
بهم وشنع عليهم بانهم اثبتوا لمن لا ند له اندادا وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن
نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك
يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من فاعل فلا تجعلوا والمفعول متروك نسيا اي والحال انكم
من اهل العلم والمعرفة لا يشق غباركم او محذوف اي وانتم تعلمون ان هذه الجمادات لا تماثله
ولا تصلح للالوهية والاول ابلغ ذما وعلى الوجهين الغرض منه التوبيخ لا تقييد الحكم فان العالم
والجاهل سواء في توجه التكليف هذا وفي تفصيل آيات الآفاق اشارة الى تفصيل ما اجمل من خلق الانسان
خلقكم فان الارض مثال للبدن والسماء للنفس والماء للعقل والثمرات للفضايل النظرية والعملية
الحاصلة من استعمال العقل الحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية ولما قرر دلالة الصانع والتوحيد
بآيات الآفاق والانفس على وجه دلت على ثبوت صفات الكمال ونعوت الجلال اضاف الى تقرير
اثبات نبوة رسوله ومبلغ احكامه الداعي الى توحيده بقوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فأتوا بسورة من مثله معجزاته وان فاتها الاحصاء كثرة الا ان القرآن اعظم معجزاته لكونه باقيا
على وجه الدهر الى آخر الزمان مع ابنائه عما كان وما يكون وهو دافع للريب واوضح للشبهة
لانه لسان من تحدى به فارشدهم الى كيفية تعرفهم حاله اهو من عند الله كما يدعيه ام من عند نفسه

داشبوا الهام

ادرك رسول الله قبل بعثته وكان لا ياكل
ما ذبح باسم الاصنام قال رسول الله صلعم في حقه
انه ياتي يوم القيمة امة وحده

كما يزعمون بان يجربوا قواهم في الاتيان بمقدار اقصر سورة منه لانهم اهل جلدته المتكلمون بلغته
فاذا عجزوا عن آخرهم ظهر انهم كابروا وخالفوا مقتضى العقل كما جحدوا التوحيد هوى وعنادا وانما آثر
التنزيل على الانزال لانه منشأ قدحهم ومحل ارتيابهم حيث جاء على نمط خطبهم ورسايلهم واشعارهم
وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل لهم ان ارتبتم فأتوا باقل نجم منه فانه ايسر عليكم فالذي
اتخذوه ريبة قادحة جعل ذريعة الى كونه حقا لا يحوم حول حماه شك وفيه غاية الالزام والتبكيت و
السورة طايفة من القرآن ملقبة باسم خاص هو علم لها كسورة الفاتحة والاخلاص ولا يرد آية الكرسي
والمداينة لانه مجرد اضافة ولم يبلغ حد العلمية ماخوذة من سور البلد لانها طايفة محوزة على حيالها
كالبلد المسور او من السورة بمعنى الرتبة كما في قول النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس
غرابها بمطار فانها منازل ومراتب للقاري او لانها في نفسها منازل ومراتب في الطول والقصر والاحكام
بعضها فوق بعض اين رتبة قل هو الله من تبت ونظايرهما وقيل من السور مهموزا وهو بقية الشيء وليس
بقوي لفظا اذ لم يقرأ به ولان فضلة الشيء وبقيته تنبئ عن القلة والحقارة وذهاب الاكثر ولا ذهاب
هنا لشيء ما والحكمة في تفصيل القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتنشيط القاري والترغيب
فيه وتسهيل الحفظ فانه اذا ختم سورة تنفس لذلك كالمسافر اذا قطع مرحلة او ميلا او فرسخا الى غير ذلك
من الفوايد من مثله صفة سورة والضمير لما نزلنا ومن بيانية لان السورة المفروضة التي بها تعلق
الامر التعجيزي مثل المنزل في حسن النظم وغرابة البيان وقيل تبعيضية وفيها ايهام ان للمنزل مثلا عجزوا
عن الاتيان ببعضه او لعبدنا فمن ابتدائية لان السورة المفروضة مبتداء ناشية من مثل العبد وعلى
هذا يجوز ان يكون الجار متعلقا بفأتوا لان للعبد مثلا في البشرية والعربية والامية فيجوز قصد التعجيز
باعتبار المأتي به وهي السورة من مثله الموجود واما اذا عاد الضمير الى المنزل فبادر منه ان له مثلا محققا
والعجز انما هو عن الاتيان بشيء منه هذا والاوجه رد الضمير الى المنزل لموافقة النظاير فأتوا بسورة مثله
فأتوا بعشر سور مثله ولانه الذي سبق له الكلام واقتضاه المقام لفرض الارتياب فيه وذكر العبد وقع
بالعرض ولان في عود الضمير الى العبد تركا للتصريح بان السورة المأتي بها يجب ان يكون مماثلة للمنزل
نظما واسلوبا ولان الجم الغفير اذا خوطبوا بالاتيان بمقدار اقصر سورة كان ابلغ في التحدي من ان يقال
لهم ليأت واحد منكم بنحو ما اتى به هذا الواحد وهو الذي يلايم قوله وادعوا شهداءكم من دون الله دون
ظرف مكان مثل عند وفيه معنى القرب والدنو لتوافقهما في الحروف الاصول فمعنى دون زيد ادنى مكان منه
فاستعير لتفاوت الرتب ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد والجار متعلق بادعوا او بشهداءكم فان تعلق
بالثاني فالمراد بالشهداء الاصنام اي ادعوا الاصنام التي اتخذتموها آلهة تشهد لكم يوم القيمة او ادعوا
التي تشهد لكم يوم القيمة بين يدي الله بانكم على الحق كقول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه
اي قدامها ومن في الاول ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والمجرور في محل النصب على الحال وفي الثاني
تبعيضية لان الفعل واقع في بعض جهة القدام كقولك جئت من خلفك والظرف لغو وعلى الوجهين تهكم بهم
حيث امروا بان يستظهروا في معارضة القرآن الذي اخرس كل منطيق بالجماد او شهداءكم من دون الله
من دون اوليائه المؤمنين وهم رؤساؤكم ووجوه المشاهد وفرسان البلاغة يريد ان امر الاعجاز في الظهور
بلغ مبلغا لا يرضى هؤلاء المعروفون بالمحاماة والذب عنكم في المهمات لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد
واستقامة المحال الجلي احالته فالجار والمجرور في محل الحال ومن ابتدائية ايضا وان تعلق بالدعاء فالمعنى
ادعوا اولياءكم وهم زعماء القوم متجاوزين اولياء الله فانهم يشهدون عليكم لا لكم ومن للابتداء
والظرف مستقر او ادعوا شهداءكم من الناس في تصحيح دعواكم كما هو المتعارف في اثبات الحقوق عند

حراب بخاء ولاء وقد يقال
مهملة ابنا بالكسر دالبيته

الحكام ولا تقتصروا على قولكم الله يعلم الله يشهد انا لصادقون كما هو ديدن المبطل في دعواكم كما هو المتعارف
في كدعاوي فقيل لرجل من العرب كيف نسبك قال علوي الحمد لله فقيل له قولك ريبة في نسبك اذا دعوا من حضركم
من الانس والجن ليأتوا بمثله متجاوزين الله فانه ممن حضركم لا تستعينوا به فانه المنفرد بالقدرة على الاتيان
بمثله وهذا ارجح الوجوه الذي يشهد له قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ومن في هذين الوجهين ايضا ابتدائية والظرف مستقر
وقد يقال من في الوجوه كلها بمعنى في كما في سائر الظروف اللازمة التي تكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تجر
الا بمن ان كنتم صادقين في انه كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار عن الشيء
على ما هو عليه فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اي جربتم قواكم واستنبا
لكم العجز فاتركوا العناد فعبر عن الاتيان بالفعل تعبيرا عن الملزوم باللازم على طريقة الكناية ايثارا للايجاز
هو حلية القرآن كما اذا عدد عليك صاحبك جملة من الافعال مستكثرة تقول في جوابه نعم ما فعلت وكذا
عن ترك العناد باتقاء النار لان من اتقى النار ترك العناد فهو من لوازمه وروادفه
وكان الظاهر اذا لا انه كلام الله ابتداء وعدم الاتيان مقطوع به وانما آثر ان اما سوقا للكلام على حسب
حسبانهم قبل التأمل واغترارهم بما كانوا فيه من الفصاحة والبلاغة وعلى طريقة التهكم كما يقول المدل
بقوته لمن دونه ان غلبتك ما ذا تقول ولن كلمة مقتضية لنفي المستقبل مع التأكيد وعن الخليل
ان اصلها لا ان وعن الفراء لا ابدلت الالف نونا والواو اعتراضية والجملة الاعتراضية لا محل لها من
الاعراب لعدم وقوعها موقعا يستحق الاعراب وهو موقع المفرد وفي الآية دليلان لاثباتها للنبوة ظهور كون
المتحدى به معجزا والاخبار بالغيب اذ لو عارضوا لنقل لتوفر الدواعي واذا عجز الذين قالوا لو نشاء لقلنا
مثل هذا فمن بعدهم اعجز والمخاطب شرطه ان يكون عالما بمضمون الصلة والصفة ولذلك اشتهرا ان
الصفات قبل العلم بها اخبار كما ان الاخبار بعد العلم بها اوصاف فالمخاطب بهذه النار المشركون
وقد سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم او اهل الكتاب نارا موصوفة او من آية التحريم ان تقدم
نزولها والمخاطب باية التحريم المؤمنون وقد علموا الوصف بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتنكير تارة والتعريف اخرى تفنن فلا وجه للقول بان آية التحريم مكية لا تفاق الثقات على انها
مدنية من غير استثناء شيء منها والوقود ما يوقد به وانما قرن بين الناس والحجارة جمعا بين العابد
والمعبود لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم زيادة في تحسرهم لانهم كانوا يعبدونها
لدفع العذاب اعدت للكافرين هيئت وجعلت لهم عدة صلة بلا عاطف على قياس الاخبار والصفات او حال
من النار بتقدير قد او استئناف وفيه دلالة على ان النار مخلوقة وانها بالاصالة للكفار وبشر الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار عقب ذكر الاشقياء وما اعد لهم بذكر السعداء
وما لهم من النعم والآلاء كما اشير اليه سابقا من جريان سنة الله تعالى في القرآن بتثنية الاضداد والمقابلات
تنشيطا لاكتساب ما يزلف وتثبيطا عن الاقدام على ما يتلف وهو من عطف القصة على القصة فالتناسب في الغرضين
بالضدية وهما عقاب الكفار وثواب المؤمنين كاف في حسنه وقيل عطف على فاتقوا النار وفيه ان التقدير
اذا فان لم تفعلوا اتقوا ايها الكفار فبشر انت يا فلان ولا ارتباط بينهما ولان عطف الامر لمخاطب على الامر
لمخاطب آخر انما يحسن اذا صرح فيه بالنداء وقيل عطف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس اي قل كذا وكذا
وبشر وفيه ان قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا لا يصلح ان يكون مقولا للعبد الا باجرائه على طريقة
كلام الامر وفيه تكلف وقيل عطف على مقدر بعد اعدت اي فانذر الذين كفروا بتلك النار وبشر الذين
آمنوا والاول هو الوجه والبشارة هو الخبر السار لانه يظهر به السرور على البشرة ولذلك لو قال من بشرني

من عبيدي بقدوم زيد فهو حر فبشروه مرتبا لم يعتق دون الاول بخلاف ما اذا قال من اخبرني فانهم يعتقون
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه او لعالم كل عصر ولكل من يتأتى منه البشارة وهذا ابلغ وعطف الصالحات
على الايمان دل على عدم دخولها فيه واما ترتيب الثواب عليهما فللترغيب في الاعمال الصالحة الا يرى
كيف رتب على مجرد الايمان في قوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق وقوله وبشر المؤمنين واستغراق
الجمع كالمفرد في تناول كل فرد فرد ولا يلزم منه ان يأتي كل احد بكل العبادات بل يختلف باختلاف احوال
المكلفين من الغنى والفقر والاقامة والسفر ففيه شائبة توزيع والعمل الصالح ما ورد الثناء عليه من
الشارع فخرج المباح وان كان حسنا شرعا والجنة اسم لدار الثواب سميت بذلك لاستتار ارضها بالاشجار
او لاستتار ما فيها من النعيم وهي اسم للقدر المشترك لها مراتب متفاوتة بقدر الاستحقاقات فلكل طبقة من
العاملين جنات واقعة في مرتبة واحدة فالتنكير للتنويع واعلى المراتب الفردوس وفي الحديث اذا سألتم
الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة نسأل الله ان يجعلنا من سكانه بفضله واحسانه ومعنى جري
الانهار تحتها جريها تحت اشجارها النابتة على شواطئها كما هو المتعارف في بساتين الدنيا والنهر بسكون
الهاء والفتح اكثر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر واسناد الجري الذي هو الماء اليها
مجاز واللام فيه للجنس من غير نظر الى عموم او خصوص كما في اهلك الناس الدينار والدرهم
او بدل الاضافة او للعهد تقديرا او تحقيقا ان سبق نزول قوله وانهار من ماء غير آسن وهذا احسن
لانه الاصل لا سيما اذا لم يكن قصد الاستغراق كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا صفة ثانية لجنات بدون
العاطف او استئناف لانه لما ذكر ان لهم جنات لم يخل خلد السامع من ان يقع فيه التردد في حال تلك
الثمار وهل تشبه ثمار الدنيا ام لا وهذا هو الوجه لما علم من فوائد الاستئناف والاستقلال بالفائدة
ولان الاعتراض في قوله واتوا به متشابها على هذا اوقع لانه يؤكد ما سيق له الكلام بخلاف ما اذا
كان وصفا تابعا ومن في الموضعين للابتداء والمعنى ان الفعل المطلق وهو الرزق جعل مبتدأ
من الجنات وبعد تقييده بالابتداء منها جعل مبتدأ من الثمرة والمراد بها النوع لا الفرد اذ لا معنى
لابتداء الرزق من البستان من تفاحة واحدة لانه يوجب ان يكون المرزوق قطعة منها ليكون من الابتداء
وكلا الظرفين لغو ويجوز ان يكون من ثمرة بيانا فالظرف الاول لغو والثاني مستقر وقع حالا من رزقا
فانه مفعول ثان لرزقوا في الوجهين وعلى هذا يجوز حمل الثمرة على النوع والفرد لان كل فرد مرزوق
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل اي في الدنيا وحذف اداة التشبيه لاستحكام الشبه كقولك زيد اسد
ويجوز ان يكون اشارة الى النوع دون الخاص كقولك مشيرا الى الماء الجاري هذا الماء لا ينقطع
واتوا به متشابها معترضة ان جوز الاعتراض في آخر الكلام والا فتذييل والتشابه يقتضي التعدد
فالضمير راجع الى جنس المرزوق الشامل للنوعين كانه قيل اتوا به متشابها نوعاه النوع الذي في الدنيا
والنوع الذي في الآخرة ولا يلزم ان يكون الاتيان بهما في الآخرة بل الاتيان بالاخير كاف في ذلك
نظرا الى ان تمام الاتيان به ويجوز ان يكون الضمير للرزق والمعنى اتوا بمرزوق الجنة متشابها الا فراد
والاول هو الوجه الملائم لاعجاز التنزيل لاشتماله على بدائع نكت بقاء كلما على عمومه اذ في الوجه الثاني
يختص بما عدا المرة الاولى وبقاء قبل على اطلاقه ولان الابتهاج والاغتباط انما يحصل اذا كان التشابه
بين ثمار الدنيا وثمار الجنة ولان التشابه في الحقائق مع اختلاف الصفات اتم في باب التشابه ولان عدم
الاستئناف متعين في الوجه الثاني فتفوت تلك الفوائد وهذه عدة فوائد يكفي كل واحدة عدة لاولوية
الاول ولهم فيها ازواج مطهرة الزوج قرين للشيء من جنسه يشمل الذكر والانثى والتطهير يشمل الانجاس
والادناس الطبيعية بحسب العرف بل هو في تطهير الاخلاق عن الرذائل اشهر وايثاره على الطاهرات لدلالته

على ان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا لله ففيه من الفخامة ما نرى وهم فيها خالدون هذا رأس النعم ونهاية
السعادة ۞ لا طيب للعيش ما دامت منغصة ۞ لذاته بادكار الموت والهرم ۞ والخلد هو البقاء مع الدوام ۞ وما
جعلنا لبشر من قبلك الخلد وتقديم الظرف للاختصاص والتقييد بالأبد في مواقعه توكيد كما يرا لنا كيدات
واستبعاد بقاء البدن مؤبدا قصور والله على كل شيء قدير مع ان احوال تلك الدار غير قياسية ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما ذكر الكتاب ومن انتفع به ومن لم ينتفع اردفه باثبات وجود الصانع
وحقية الكتاب ونبوة من اتى به لئلا يكون الكلام خطابيا ورتب عليه وعيد المنكر ووعد المقر ازاحة
عن طريق المسترشد ما عسى ان يعتريه من شبه المنكرين وساقه مساق امر واضح البطلان عند كل ذي بصيرة
في صورة من الصور ليكون منارا له ومقياسا لسائر الشبه وفيه تحقيق لما تقدم من انه هدى للمتقين
دون غيرهم وانما قطع عما تقدم لانه باب برأسه وكانت شبهة هؤلاء السفهاء انهم قالوا كيف يكون
كلام الله وفيه ذكر الذباب والعنكبوت اين مقام الربوبية عن حقارة هذه الاشياء وعميت بصيرتهم
عن ان الضارب للمثل غرضه الذي يرمي به ايضاح القضية المشتبهة وارادة المعقول في صورة المحسوس
كشفا عن حقيقة الحال فهو ينسج على منوال ذلك الغرض ولا عليه من كون الممثل به جليلا او حقيرا ولما كان
الجمادات التي يتخذونها اندادا من دون الله لا يتوهم منها اصابة نفع ولا دفع ضر فهل يوجد في الاذهان
شيء يضرب المثل به في شانها احرى واولى من بيت العنكبوت في الوهن والضعف وعدم مقاومة الذباب
والحياء امر وجداني غني عن التعريف من حيث الماهية كسائر الوجدانيات وقد نبه عليه بانه تغير
انكسار يعتري الانسان خوف الملام لئلا يلتبس ببعض الوجدانيات فلا يرد انه قد يكون لا حتشام من يستحيى
منه ولما كان محالا على الله اريد به لازمه وهو الترك وجاء على طريقة التمثيل كما تقدم في الرحمة
والغضب وما في الاية من قبيل لا تاخذه سنة ولا نوم ولم يلد ولم يولد فلا يحتاج اليه ما في الحديث
ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما صفرا وان يضرب لما يحوره المحل باضمار من
او منصوب بافضاء الفعل والضرب لغة هو الاعتماد المؤلم وضرب المثل اعتماده من ضرب اللبن
ومن الله تعالى صنعه وايجاده وما ابهامية تفيد توكيد ما افاده تنكير ما قبلها كانه قيل مثلا
اي مثل كان في الحقارة او صلة للتاكيد نفسه لا للشيوع كما في فيما نقضهم وفيما رحمة كانه قيل ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا البته وانتصاب مثلا وبعوضة على المفعولية لما في الضرب من معنى الجعل والتصيير
وقدم الثاني على الاول اهتماما واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع لانها تقطع الجلد فما فوقها
اي في الحقارة والقلة وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم جناحها مثلا للدنيا او في العظم والجرم
كالذباب والعنكبوت لانهما سبب النزول والاول هو الوجه لانه المعنى الذي سيق له الكلام المفيد
للمبالغة في الرد وفي احتمال المعنيين حديث عايشة الذي رواه مسلم ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فاما الذين آمنوا اما حرف وضع للتفصيل فقد يكون
لمجمل سابق كقولك جاء القوم اما العلماء فكذا وقد لا يذكر القسيم ويكتفى بما يقوم مقامه اشارة الى
ان ما دخلت عليه هو المقصود الذي سيق له الكلام كقوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ مع قوله
والراسخون لان الغرض ذم الزايغين وقد يكون تفصيلا لما في الذهن مع سبق ما يدل عليه بوجه كما في الاية
فان قوله ان الله لا يستحيي دل على ان ثمة من داخله شبهة او بدونه كما في صدر الكتب والرسايل وفايدتها
التوكيد لما في التفصيل بعد الاجمال من الدلالة على الاعتناء بشان المذكور بعدها ولما دلت على ان المذكور
بعدها هو المختار والمقصود من بين الاشياء لا محالة كيف كان ولم يكن للشرط معنى غير ربط امر بآخر قيل
انه حرف فيه معنى الشرط ولما لزمت طريقة واحدة التزم حذف الفعل كما التزم حذف متعلق الظرف في نحو

يرد على الفاضل فانه فسر بالمكث الطويل دام او لم يدم ومنهم من منعه استعماله الا انه لا بد بعد ... لانه حكم غريب خارج عن عرف الدار ... لما ... النقل ... على ان ما ذكر لم يوافق قول احد من ارباب اللغة

زيد في الدار وقدم جزء مما في حيزها تعويضا عن المحذوف وتنبيها على انه النوع المراد تفصيل جنسه
من مصدر او ظرف او ذات او غير ذلك وقول سيبويه اما زيد فمنطلق مهما يكن من شيء ايضاح لمعنى التفصيل
واشارة الى وجه كونها حرفا فيه معنى الشرط فلا يتوهم منه كونها اسما عنده ليحتاج الى المحلات فيعلمون
انه الحق من ربهم اي الثابت الذي لا يجوز انكاره لما تقدم من فوايده والضمير للمثل او لان يضرب
واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا كان الظاهر فلا يعلمون ليطابق قرينه والعدول
الى المنزل ايثار للكناية ليكون برهانا على جهلهم ولما في ذا من التعجب وفي هذا من الاستحقار كما في
قول عايشة رضي الله عنها عجبا لابن عمرو هذا حين افتى بنقض الضفاير للنساء في الغسل وفي
ماذا وجهان ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلة والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا
اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية والاحسن في الجواب على الاول الرفع وعلى الثاني
النصب وجوز العكس اذا اتفق السائل والمجيب في الفعل وكان السؤال في المتعلق ففي مثل قوله ماذا انزل
ربكم قالوا اساطير الاولين يتعين الرفع وهذا بحسب الاصل لان ما في الاية ليس على معنى الاستفهام وارادة
الله تعالى صفة حقيقية ترجح احد طرفي المقدور وتخصيصه بوجه وتفسيرها بالترجيح تسامح ثم الترجيح
ان كان مع ميل الى تفصيل يسمى اختيارا ومثلا منصوب على التمييز او الحال كقوله ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا استيناف جار مجرى الاعتراض تتميما للبيان او عطف بيان يفسر ان كلا من الفريقين
موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا هدى كما ان الجهل بحسن موقعه ضلال وقيل جواب ماذا والعدول
الى الفعل للدلالة على التجدد والحدوث وفيه ان الاستفهام ليس على اصله ليقتضي الجواب وكثرة المؤمنين
بالذات وفي انفسهم وان قلوا في مقابلة الضالين فان كلا من القلة والكثرة تعتبر بالذات وبالاضافة
او ان قلوا كما فهم كثيرون كيفا فلم ار امثال الرجال تفاوتت ۞ لدى المجد حتى عد الف بواحد ۞ والاستدلال
على قلتهم بقوله وقليل من عبادي الشكور غير سديد لان المراد به البالغ في الشكر غايته وما في الاية مجرد
الايمان بما انزل لقوله فاما الذين آمنوا وما يضل به الا الفاسقين الخارجين عن الايمان لانصراف المطلق
الى الكامل بقرينة المقام والفسق لغة الخروج ومن ارتكب كبيرة مجمعا عليها فهو فاسق يقطع بدخوله الجنة
لقوله يخرج من النار من كان في قلبه وزن ذرة من ايمان ومن قال مرتكب الكبيرة كافر او خارج عن الايمان
غير داخل في الكفر فقد ضل سواء السبيل بقدحه فيما تواتر عن خاتم الرسل وخرق اجماع خير القرون والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل الذين ينقضون عهد الله من بعد صفة الفاسقين والنقض فك التركيب
وتحليل اجزائه واكثر ما يستعمل في طاقات الحبل واستعماله في العهد على طريقة الاستعارة بان شبه العهد
الذي هو سبب الوصلة بين المتعاهدين بالحبل الذي هو سبب الوصلة بين الجسمين واوقع النقض الذي من روادف
الحبل عليه فالاستعارة في العهد مكنية وفي النقض تصريحية تحقيقية لانه شبه ابطال العهد بابطال تاليف
الجسم واطلق اسم المشبه به على المشبه وهي قرينة استعارة الحبل للعهد وبه ظهر ان قرينة المكنية لا تلزم
ان تكون تخييلية كما في اظفار المنية ويد الشمال ولله مع عباده ثلثة عهود الاول عهده في عالم الذر على كافة
الخلق حيث اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى والثاني على الانبياء ان يبلغوا انباءه الى عباده
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم والثالث على العلماء الذين هم ورثة الانبياء واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقد يطلق على الامان واليمين والذمة والحفاظ وما في الاية
هو الاول والثالث والناقض احبار اهل الكتاب حيث كتموا نعت محمد وحرفوا الكلم من بعد مواضعها
وكذا من زاغ في اتباع المتشابه من غيرنا وبل دون الثاني لان النقض من الانبياء محال من بعد ميثاقه
مفعال بمعنى ما يوثق به من الوثاقة وهي الابرام والاحكام اما من الله بالايات والكتب او منهم بالالتزام

والقبول ويجوز ان يكون مصدرا والضمير على الوجهين للعهد ومن ابتدائية وقد يستعمل بمعنى العهد
كقوله وينقضون الميثاق واذ اخذ الله ميثاق النبيين ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة
لا يرضاها الله تعالى من قطع الارحام وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء ولا تكرار لان الاول
في العقايد وهذا في الافعال والفروع والامر هو القول الجازم ويجمع على الاوامر وصيغته من نحو افعل حقيقته
في طلب الفعل استعلاء وقد يطلق على المأمور به تسمية للمفعول به باسم المصدر فانه مما يؤمر به وشانا لانه شيء
اي مقصود ويفسدون في الارض بما امكنهم لا سيما صدهم المسترشدين عن الايمان اولئك هم الخاسرون لاستبدالهم
الضلال بالهدى والنقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعذاب بالمغفرة واتبعهم في ذلك ضعفا وءهم
فاولئك الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة كيف تكفرون بالله كيف مطلق في السؤال عن الاحوال
كلها ولما كان الاستفهام للانكار والتعجيب والمقام مقام مبالغة افاد العموم كانه قال لا يجوز ان يكون
لكفركم حال ما توجد فيه وانكار احوال الشيء كلها انكار له بطريق البرهان اذ لا يعقل وجوده الا على حال
من الاحوال وكنتم امواتا ترابا ونطفا في اصلاب الاباء وعلقا ومضغا في ارحام الامهات والموت لا يقتضي
سبق الحيوة بل هو عدم الحيوة مطلقا لقوله فسقناه الى بلد ميت او كنتم كالاموات في عدم الروح والاحساس
فاحياكم عطفه بالفاء لعدم التراخي بين الموت واعطاء الحيوة بخلاف الاماتة بعدها والاحياء بعد ذلك الامام
ثم يميتكم ثم يحييكم في القبر او وقت النشور واعم منهما فان الفعل لا يدل على العموم وضعا ولا على المرة
والقبر اول منازل الآخرة فبين الاحياءين شدة ارتباط والواقع حالا على حدتها حتى يقال كيف صح وقوع
حالا ولا القصة من حيث هي حتى يقال بعضها ماض وبعضها مستقبل بل العلم بمضمون القصة كانه قيل
كيف تتصور منكم الكفر وانتم عالمون باول هذه القصة واخرها والاحياء ثانيا وان لم نعلم به بعضهم
جعلوا عالمين به للدلايل القاطعة ثم اليه ترجعون للمجازاة وما عدد عليهم من الآيات مع كونها دلايل
وآيات وجود الصانع من اوايل النعم واعظمها فهي صارف قوي عن الكفر من الوجهين والحيوة
صفة يتبعها الحس والارادة ولا يشترط فيها وجود البنية وحيوة الله صفة حقيقية توجب
صحة العلم والقدرة وتفسيرها بصحة الاتصاف تسامح وانما التفت الى الخطاب لانه ابلغ في التقريع
وحمله على خطاب المؤمنين خاصة بعيد عن المقام وكيف يبالغ هذه المبالغة مع مدح آنفا بقوله فاما الذين
آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم بعد تصدير السورة باوصافهم الكاملة والحكم المترتب عليها
وهو كونهم على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وليس المساق للامتنان حتى يكون تعديد
تلك الآلاء امتنانا هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا اي انواع ما يحتاجون اليه من اجزاء الارض من المعا
وما عليها من الموجودات قبل وجودكم وهي مع كونها نعما دنيوية يحصل من النظر فيها معرفة المبدأ
والمعاد وما فيها من الانس واللذة يذكر بنعيم الآخرة وما فيها من الهموم والوحشة واسبابها
كانها انموذج عذاب الآخرة ثم استوى الى السماء الاستواء مشتق من السواء وهو وسط الشيء وحاقه
والمراد انه بعد تمام خلق الارض وما فيها قصد ايجاد السموات من غير ان يحدث شيئا آخر يقال استوى
الى كذا كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا لا يلوي الى غيره وثم على اصلها من التراخي زمانا لقوله
في سورة السجدة خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام ثم استوى الى السماء فقضيهن سبع سموات في يومين ومن غفل عن هذا التفصيل جعل ثم للتراخي
رتبة لقوله والارض بعد ذلك دحاها وقيل الدحو متاخر عن خلق السماء لا عن التسوية وليس بسديد
لان قوله بعد ذلك دحاها اشارة الى السابق وهو رفع السمك والتسوية فان قلت فما وجه قوله
والارض بعد ذلك دحاها قلت وجه النصب بنحو تدبر وتذكر واذكر الارض بعد ذلك ثم شرع

في تفصيل احوالها مستانفا بقوله دحاها اخرج منها ماءها ومرعيها والجبال ارسيها متاعا لكم ولانعامكم
وفيه اشارة الى ان آيات الارض قاصرة عن عجايب ملكوت السموات وما يروى من ايجاد الجوهرة النورية
والنظر بعين الجلال المبطن بالرحمة والجمال وذوبها وامتياز لطيفها عن كثيفها وصعود المادة الدخانية
وبقاء الكثيف ان صح فكل ذلك سابق على الايام الستة فسويهن سبع سموات خلقهن سويات لا عوج لها
فيها ولا فطور والضمير للسماء لانه جنس وقيل جمع سماءة او مبهم وسبع سموات تفسيره وهذا اوجه لما
فيه من الابهام والتفسير كقولك ربه رجلا وبالمناقضة على ان الجمعية لم تثبت وفي عود ضمير جمع المؤنث
الى الجنس تكلف وهو بكل شيء عليم اعتراض وتذييل يقرر ما سبق اي لاجل كونه عالما بالاشياء كلها وبرا
الكاينات من الارض والسموات على احسن نظام ومن كان علمه وقدرته بهذا الكمال استبعاد الاعادة منه
غاية الجهل ونهاية الضلال واسكن ابو عمرو وقالون والكسائي هاء هو وهي بعد الواو والفاء
واللام لتنزلها منزلة الجزء بواسطة الاتصال فصار المذكر كعضد والمؤنث ككتف واذ قال ربك للملئكة
اني جاعل في الارض خليفة ذكرهم بالاجل ما انعم عليهم وهو تكريم آدم باسجاده سكان ملكوته له من الملأ
الاعلى والكروبيين فان شرف الآباء سار في الذرية ولذلك لم يكن العلوية كفوا لغيرها واذا اسم
بمعنى الوقت الماضي يضاف الى الجملة بعدها ولذلك بني وانتصابه باذكر كانه قال اشكر النعم السابقة
واذكر وقت هذه التي لا نعمة فوقها لتعرف قدر ما انعم الله عليك والغرض الحث على القيام بشكرها ومن
جعله لازم الظرفية قدر الحادث كانه قيل اذكر الحادث في ذلك الوقت ويجوز انتصابه بقالوا ويتعين
ان يكون عطف قصة على قصة مبتداة من قوله كيف تكفرون او من قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا
والملئكة جمع ملأك كالشمايل جمع شمال قال ولست لانسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب
وهو من الالوكة وبني للرسالة لكونهم رسل الله الى البشر في تنفيذ امره وفي الفاء والعين قلب مكاني
والميم زايدة على انه موضع الرسالة او مصدر بمعنى المفعول وقيل لأك لغة اصلية فان ثبت فهو اولى
لسلامته من القلب وقيل من ملك والهمزة زايدة لدوران م ل ك مع القوة والشدة كالملك والمالك
وملك الطريق بالحركات الثلث معظمه وهذا المعنى ظاهر في الملئكة كلهم وكفاك كونهم يسبحون الليل
والنهار لا يفترون وكونهم واسطة في عجايب ما يظهر في العالم السفلي والياء للتاكيد معنى الجمعية
كالصياقلة وجاعل من جعل الذي يتعدى الى مفعولين وبما في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره
والتاء للمبالغة والمراد ذرية آدم لقوله هو الذي جعلكم خلايف الارض ولانه لو اريد هو لم يكن
لقول الملئكة اتجعل فيها من يفسد فيها وجه وانما افرد باعتباره لانه الاصل الجامع كما يستغنى بذكر
ابي القبيلة كهاشم ومضر والمراد الخلافة في الحكم والانبياء خلفاء الله على عباده يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض ومن يسير بسيرهم في اممهم فهم خلفاء الرسل قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء عرفوا ذلك من الطبيعة البشرية لانه اخبرهم مفصلا بكيفية خلقه من تراب ثم من طين منتن
ثم يصير كالفخار فيجتمع فيه العناصر الاربعة المتنافرة الطباع او من اللوح او قاسوهم على من سكن
قبلهم من الجن او من لفظ الخليفة ان اريد به الخليفة في الحكم لاقتضائه تقدم الظلم والتعدي والسفك
والسفح اخوان وهو الصب بكثرة ونحن نسبح بحمدك الواو للحال والباء للاستعانة او الصحبة والمعية
والتسبيح تبعيد الله عن كل ما لا يليق بجلاله والجمع بينه وبين التقديس للمبالغة وقيل التسبيح في الاعمال
والطاعات والتقديس في المعارف والاعتقادات وقيل لوحظ في الاول حال العارف لان اصله
من سبح الفرس اذا ابعد في الجري وفي الثاني حال المعروف لان القدس هو الطهر ولاح منه ان الثاني
ابلغ لان منشاه الذات ولما قابلوا نهاية الافساد وهو السفك بنهاية الاصلاح وهو التقديس

نشأ منهم التعجب الذي بعثهم عن الحكمة الخفية قال اني اعلم ما لا تعلمون من المصلحة الراجحة وسيفصل بعضها وانما شاورهم ليكون المشاورة سنة بين عباده لكونها فعل علام الغيوب ولئلا يعتريهم الشبهة وليعلموا ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير للشر القليل خارج عن الحكمة وقد استبان ان سؤالهم كان سؤال استعلام لا غيبة وحسد واعجاب منهم لانهم معصومون عن الذنب راسا لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وعلم ادم الاسماء كلها آدم كآزر ونظائره اسماء عجمية واشتقاقه من الادمة بمعنى اشتقاقا من العجمي من المصدر العربي غير سديد ودعوى جريان الاشتقاق في ساير اللغات او توافق اللغتين بعيدة والتعليم كان بعد السجود لقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وانما قدم لشدة ارتباطه برد دعوى الملائكة وعدم علمهم بما احاط به علما والمعنى علمه اسماء المسميات وحقايقها ومنافعها وخواصها اذ لا فضل يعتد به في العلم بمجرد الالفاظ واللغات ولذلك قد رد بعضهم حذف المضاف اي علمه مسميات الالفاظ وفيه ان التعليم والانباء لا يتعلق الا بالاسماء ولا يتوجه على الاول لان تلك الاحوال والخواص لها اسماء ثم عرضهم على الملائكة اي المسميات غلب العقلاء فقال انبئوني باسماء هؤلاء امر تعجيز ان كنتم صادقين ان هذه الطايفة وجه الحكمة في خلقهم غير جلي اي من كان يزعم ان القيام بمعرفة الله وطاعته على اكمل الاحوال من الجهات كلها من شانه وعينه عن غيره ينبغي ان لا يخفى عليه مثل هذه الاشياء فحين خفي عليكم ذلك وعلمه ادم تبين لكم انه لم يكن مقصورا على الافساد كما ظننتم بل كان مشرفا بشرف العلم محيطا باسماء الاشياء ومسمياتها وخواصها ومنافعها التي عليها مدار امر الخلافة واساس بناء العدل والحكم بين الناس فقد ظهرت الحكمة في استخلافه واستحقاقه وقيل ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم ويرد عليه ان الملائكة لم تزعم ولم تعتقد ذلك وغاية الامر انهم استشكلوا القضية وارادوا الاطلاع على خصوص الحكمة وان علموا انه تعالى شانه لا يخلوا فعله عن حكمة بل حكم وكيف يخفي مثله على الكروبيين بل على سيدهم وامام الملا الاعلى جبرئيل عليه السلام وهو الذي علم سيد الانام فان قلت اذا كان السؤال عن الحكمة ولم يكن منهم زعم الاولوية فلم هذا التوبيخ والتعجيز وهلا اخبرهم بالحكمة اذ سالوا عنها قلت لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة كان حال قربهم منه وعلمهم بقوا مصدقا بانه حكيم يقتضي ان يقولوا لك الشان الاعلى وما تعلقت به ارادتك هو الصواب وعين الكمال ولما لم يسلكوا ذلك المسلك بل اجابوه بما افاد الاستغراب والاستعجاب باجرائهم مجرى الزاعم لبعد مقامهم عن مثل هذا الجواب الا ترى ان النبي المار على قرية وهي خاوية على عروشها لما قال انى يحيي هذه الله بعد موتها متعجبا كيف اماته الله مائة عام ثم بعثه لبعد حاله عن مقام التعجب لا اراه الله احيا واحد من تلك الاموات كما اراه ابرهيم عليه السلام حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز ودليل لما قلنا ان ذلك لم يكن اعتراضا بل استعلاما وصدروا الكلام بسبحان الذي هو من مفاتيح التوبة كقول موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقول يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين دلالة على ان ما كان منهم من عدم التفويض ذنب يحتاج الى التوبة على ما هو طريق المقربين من عد خلاف الاولى جريمة وسبحان علم التسبيح البليغ وقيل ذلك في غير حال الاضافة والحق انها لا تنافي العلمية كحاتم طي وعنترة عبس انك انت العليم كامل العلم شامله والتاكيد بان وانت دفع لما سبق منهم من مخايل الريب الحكيم المتقن

في صنعه الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة وان خفيت على اللبيب الالمعي قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم فلما انباهم باسمائهم اعاد المظهر ليوقع عليه لفظ الانباء صريحا قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض ما خفي عليكم من امورها استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون الا انه ابسط واشرح وان كان ما لا تعلمون اشمل لشموله جميع معلوماته فليس للثاني دليلا على الاول واعلم ما تبدون ما ابديتم من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها وايثار المضارع لاستحضار صورة فعلهم حال المعاينة وما كنتم تكتمون قبل المشاورة وظننتم ان الله لا يخلق افضل منكم خلقا وذلك لما راوا افساد سكان الارض قبل آدم على ما روي ابن عباس رضي الله عنه ان اول من سكن الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فارسل الله عليهم ابليس مع طايفة من الملائكة فقتلوا منهم وطردوا البقية الى الجزاير واطراف الجبال وقيل ما اظهروا وما ابطن ابليس من عدمها وقد تبين ان شرف الانسان انما هو بالعلم وحيث عري عنه الحق بالبهايم بل هو ادنى واضل وان ساير الكمالات والاعمال بدونه في حيز العدم الا ترى ان الهدهد مع اجرامه واستحقاقه العقوبة وهو طير ضعيف لا معوان له ولا ظهير كيف استظهر لمسئلة جزئية وقال احطت بما لم تحط به يخاطب به سليمان الذي علم منطق الطير واوتي العلم من كل شيء ودل ظاهر الآية على ما قاله الاشعري ان اللغات توقيفية وتاويل التعليم بالاقدار والتمكين خلاف الظاهر وعلى ان علم الملائكة يقبل الزيادة وليس في الآية ما يدل على قصور الملائكة عن رتبة الخلافة وان التركيب يفيد ما لا يفيد الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكاينات كيف وله تعالى ان يوجد في الجزء الذي لا يتجزى الحيوة وما يتبعها من الكمالات على ان الملائكة اجسام نورانية لطيفة قابلة للتشكل باي شكل ارادوا ومن ثم سير جبرئيل عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم الحروب والارشاد في الجزئيات لا سيما تعليمه لنوح في اختراع السفينة لم يرتب في ذلك وما كان الله ليعجزه من شيء وناهيك تعلمهم الاسماء من آدم لما انباهم فان قلت اذا كانت الملائكة بهذه المثابة فما وجه تفضيل الانسان عليهم كما فصل في موضعه قلت وجه ذلك ان اماتة القوى الشهوانية والغضبية التي هي حزب الشيطان وكبح عنان النفس عن اتباع الهوى الذي هو مقتضاها جبلة بتسخيرها وتهذيبها بحيث تصير مطواعة لجند الرحمن وهي القوة العقلية من خواص الانسان فاذا انضم الى شرف العلم كان نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم السجود لغة الخضوع والانحطاط قال ترى الاكم فيها سجدا للحوافر واسجد اي طأطأ قال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا وهو المراد بما في الآية وتخصيصه بوضع الجبهة عرف حادث ويجوز ان يكون مرادا واختلاف الاحوال باختلاف الاوقات والشرايع في امثاله لا يلزم اتفاقا وعليه يحمل سجدة اخوة يوسف عليه السلام ان صح انه كان بوضع الجبهة والمسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم جعل قبلة كالبيت تشريفا له ولما كان تحسين الاشياء شرعا فالاوجه كلها حسنة وقد سبق ان السجود كان سابقا على التعليم واللام فيه كاللام في اقم الصلوة لدلوك الشمس والقول بان الانسان نسخة لما في العالم الروحاني والجسماني يتوقف على وجود المجردات ولم يقل به اكثر اهل الحق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عن الطاعة وطلب العلو وتعدى عن قدره وقد صرح بالعلة في قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والاستثناء متصل والمانع وهو عدم دخوله في الملائكة مرتفع بالتغليب ويدل عليه قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك ولو لم يكن مامورا به لم يكن لذكر الاباء والاستكبار وجه وفيه دلالة على ان المامور جميع الملائكة كما دل على ذلك تعريف الجمع ونص عليه كل واجمعون وكان من الكافرين في علم الله اشارة الى الموجب اذ لا يمكن تغير معلومه ولا يستلزم تكليف المحال لوجود الاختيار او صار من الكافرين لاستقباحه ما استحسنه الله تعالى لان ترك المامور به لا يوجب الكفر ثم ترتيب قوله كان من الجن صريح في انه لم يكن ملكا وانما كان جنيا مغمورا

قوله ففسق عن

بينهم وليس من الملائكة وان اطلق عليهم لفظ الجن لاستتارهم قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا كيف والملائكة عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لا يعصون الله ما امرهم فالقول بان
الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود وان من الملائكة من ليس بمعصوم وتجويز ان لا تخالف الملائكة بالذات
الشياطين وان خالفوهم بالعوارض والصفات مخالف للنصوص وما هو مركوز في الفطر السليمة ونسبته
الى ابن عباس رضي الله عنه اعظم واطم بل المروي عنه والله اعلم ان طايفة من الملائكة يقال لهم
الجن والا ابليس كان منهم رواه ابن جرير وفي الاية دليل على ان الامر للوجوب والفورية علمت
من فاء فقعوا وان السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وايمان الموافاة على ما نقل
عن الاشعري تابع لتلك السعادة السابقة وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون
بمعنى اتخاذ المسكن لاستلزامه اللبث لا بمعنى ترك الحركة ولذلك ذكر بدون في واكد المستكن بانت ليلا
يلزم العطف على المستكن بلا فصل وانما استقام امر الغايب بصيغة افعل تغليبا وايثاره على اسكنا
مع اختصاره اشعار بالاصالة والتبعية والزوج قرين الشيء من جنسه يشمل الذكر والانثى وقد تلحقه
التاء والجنة دارا للثواب وقد تواترت بذلك الاخبار وصرح موسى في مناظرته بذلك حيث قال اهبطت
الناس من الجنة بخطيئتك وفي حديث الشفاعة ممن كان سبب اخراجكم من الجنة وفي لفظة الهبوط ايضا
دلالة صريحة والقول بانها كانت بستانا في ارض فلسطين او بين فارس وكرمان من موضوعات القدرية
النافين لخلق الجنة وكلا منها رغدا اكلا واسعا حيث شئتما في اي مكان ولا تقربا هذه الشجرة
هي الحنطة وقيل الكرمة وقيل التينة او شجرة غير معروفة من اكل منها احدث والاول هو المشهور والتاء
للوحدة نوعا او شخصا وهذا اولى مبالغة في ازاحة العلة وعلى التقديرين اللام للجنس لان الجاري
على المبهم هو اسم الجنس المعرف تعريفه البتة وقد بالغ في النهي عن الاكل باقحام لفظ القرب لان من رعى
حول الحمى يوشك ان يواقعه فتكونا من الظالمين انفسكما بالاخراج من النعيم المقيم وتعريضها للآفات
عطف على النهي او نصب على الجواب وعلى الوجهين الفاء للسببية فازلهما الشيطان عنها اصدر الشيطان
زلتهما عن الشجرة كقوله وما فعلته عن امري اي صادرا عنه والحاصل حملهما على الزلة بسببها او عن الجنة
بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها من زل رجله اذا زالت عن مكانها فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم لا من الجنة
لان الازال اخراج مع الابعاد فلا يعطف عليه مطلقه بالفاء وعلى الاول جاز الوجهان وقرا حمزة
فازالهما من الازالة والاول ابلغ لدلالته على المزاولة والاحتيال وعليه الرسم قيل توسل الى اغوائهما
بعد خروجه بان ناديهما من وراء الباب وقيل دخل في فم الحية فدخلت به وقيل لم يكن ممنوعا من الدخول
للوسوسة بل تكرمة قلت كل هذا رجم بالغيب ولا دليل عليه والآيات دلت على انه كان قبل خروجه
وهي قوله الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فوسوس اليه
الشيطان فان الفاء الاولى دلت على عدم تراخي القول عن الاباء والثانية على عدم تراخي الوسوسة
عن القول وكذا لفظ هذا يدل على حضوره حين هذا القول لهما وقوله انظرني الى يوم يبعثون اذ لو كان
الامر بالخروج قبل الاغواء لم يكن لهذا القول وجه لان في الجنة لا موت ولا بعث واظهر منه قوله
لازينن لهم في الارض وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحوا والجمع بادخال الذرية لانهما الاصل فكانهما
الجنس كله والدليل عليه قوله في سورة طه اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو لان القصة واحدة
والتعادي بين الذرية لا بينهما وبين ابليس وكذا قوله فمن تبع هداي الى آخره فانه بيان لجزاء الفريقين
ولا ذكر لابليس ولكم في الارض مستقر مكان استقرار او استقرار ومتاع منفعة وتمتع يقال متع النهار
اذا طال وقد اشتهر استعماله في نفع يشارف الزوال كمتاع المسافر ولذلك يستعمل في معرض التحقير

الى حين الى يوم القيمة والموت ابتداؤه لان من مات فقد قامت قيامته ولا دخال مقدمة الشيء فيه
ولا انتفاعه بالقبر لانه مسكنه فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها والتلقي التعرض للقاء فاطلق على
الاستقبال للدلالة على انه تلقاها بالاجلال والاكرام كما يتلقى الاعزة وقرا ابن كثير برفع كلمات اي وصلت
اليه والاول هو الاصل واحسن والجار والمجرور حال من كلمات في الوجهين والكلمات ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن ابن مسعود رضي الله عنه احب الكلام الى الله تعالى
ما قال ابونا آدم سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك فتاب عليه ولم
ذكر حوا لانها تبع كما يطوى ذكر النساء في اكثر الاحكام وقد روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه ان آدم
لما اصاب الخطيئة قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال وكتبت علي هذا قال بلى قال ان تبت هل انت
راجعي الى الجنة قال بلى وبالفاء دل على ان التلقي كان توبة من آدم والتوبة من العبد الرجوع
الى الطاعة بالاقلاع عن المعصية والعزم على ان لا يعود يلزمه الندم على الماضي ومن الله تعالى الرجوع
اليه بالغفران ومحو الذنب عن ديوان الحفظة انه هو التواب شديد العناية بقبول توبة العبد لو استغرق
في المعاصي دهرا ثم اقلع قبل ان يغرغر ولو بلمحة كان كيوم ولدته امه ولذا اكد بوجوه الرحيم حيث لم
يقتصر على التجاوز بل يتخذه حبيبا ويجعل مكان سيئاته حسنات قلنا اهبطوا منها جميعا ليس فيه تكرار
لان الاول لبيان حال آدم ولذلك فرع عليه حديث التلقي وقبول التوبة وذكر الذرية بالتبع
وفي الثاني بالعكس ولذلك اكده بقوله جميعا وفصل بعده حال الفريقين واستانف له الكلام ولم
ينطه بالاول وقيل كرر تاكيدا وقيل الاول من الجنة الى السماء والثاني منه الى الارض والوجه
هو الاول ونصب جميعا على الحال ولا دلالة فيه على الاجتماع في الزمان فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي
الشرط الثاني مع جوابه جواب للاول كقولك ان اكرمتني فان قدرت على المجازاة فعلت وفي الاتيان بحرف
الشك واتيان الرسل كاين لا محالة لانه قدر ووعد ووعده لا يخلف للايذان بان الارسال والانزال
تفضل منه وللتنبيه على ان ما اوتي آدم من الهدى وعلم الاسماء كاف لذريته فان اتى بشيء آخر فذلك
والا فقد كفى ذلك مع انه جبر ما فات بما ونون التاكيد واضاف الهدى ثانيا للتشريف فهو عين الاول
الاول لانها نكرة اعيدت معرفا وقيل الثاني اعم فيشتمل ما اقتضاه العقل فان اراد به اقتضاء العقل
استقلالا من دون ارسال وانزال فلم يقل به وان اراد ما يرجع اليه فلا عموم اذ لا حكم قبل البعثة
فلا خوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والذين كفروا و
كذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على من تبع اي ومن لم يتبع والعدول
الى المنزل للتنفير عن الكفر والتكذيب والآيات الاحكام المنزلة ومفهوم الآية ان من لم يكذب
بايات الله لا يخلد فان قلت ما وقع من آدم لم يكن الا نسيانا في الفروع والنسيان مغتفر فكيف
سمي عصيانا وغواية قلت عوتب على ترك التحفظ وفرط الاحتياط والاغترار بقول العدو
مع قرب العهد بالتحذير منه والتصريح بعداوته والانبياء والرسل يواخذون بالذرات وآدم اول
الناس وقدوتهم فشدد عليه تهيبا لاولاده ولطفا بهم والله مع عباده لا سيما مع رسله شان
ليس لغيره فلا يجترئ احد على ان يقول عصى آدم فتاب الله عليه او غوى او اذنب فان ابتلي فله
فيه اسوة فان هذه جريمة عظيمة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم خصهم من بين المخاطبين
لانهم اهل العلم واولى بان يكونوا اتباع رسول الله شكرا للنعمة اللاحقة والسابقة على اسلافهم
من الانجاء واغراق العدو والعفو وقبول التوبة فان النعمة على الآباء واصلة بالابناء واسرائيل
لقب يعقوب معناه بالعبرية صفوة الله او عبد الله وفي كونه عبد الله تشريف له والذكر اعم من اللسان

لان المراد منه الشكر واوفوا بعهدي اوف بعهدكم العهد هو الذمة والحفاظ ولا يكون الا بين
اثنين فالمعنى وفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان والطاعة او اتباع محمد واوف بما عاهدتكم عليه من
الثواب ورفع الآصار والاغلال اشار الى الاول بقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل ووعد عليهم
الايمان والاعمال ثم قال لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات والى الثاني بقوله الذين يتبعون الرسول
النبي ووعد عليهم امورا ثم قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال فالعهد مضاف الى المفعول في الاول
والثاني اذ لا معنى لقولك اوف بعهد غيرك ولما كان المعاهد عليه جملة فالقيام بكلها هي الاستقامة
المامور بها في قوله فاستقم كما امرت وادناها التصديق بالقلب والاقرار باللسان واياي فارهبون هو
اوكد من اياك نعبد في الاختصاص لان الاختصاص نفي واثبات فاذا تكرر الاثبات تاكد الاختصاص
على ان الاثبات الاول حتى يمكن اعتباره على وجه الاختصاص لكونه مفسرا لما فيه الاختصاص لاسيما
اذا قدر الشرط العام اي مهما يكن من شيء فاياي فارهبون صار اوكد من وجه آخر الواو للعطف
والفاء الجزائية اخرت الى المفسر بعد حذف المفسر ولا يمنع عمل الفعل المشغول بالضمير فيما قبله كقوله
وربك فكبر وبل الله فاعبد وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم اذ لا وجه للكفر به والحال انه مصدق
لشرعكم والمراد به التصديق في كونه من عند الله فلا يقدح في ذلك نسخ بعض فروعه واليه يشير حديث
رواه مسلم الانبياء بنو العلات الاب واحد والامهات شتى ولا تكونوا اول كافر به اول افعل
تفضيل بدليل ولي واولين اصله اوول ابدلت الهمزة واوا ثم ادغمت فاذا اضيف الى نكرة يجب مطابقته
موصوفه لما اضيف اليه فالتقدير اول فوج او فريق او كل واحد والكلام تعريض باهل الكتاب بانهم كانوا
احقاء بان يكونوا اول مؤمن به لما عندهم من اسباب الاولية من كمال معرفتهم به يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
وكانوا يستفتحون به على الذين كفروا فلا يرد ان المشركين اول كافر به ولان الكفر مطلقا منهي كيف
ما كان فما وجه التقييد بالاولية وقيل زيد الاولية مع العلم او اول كافر من اهل الكتاب ومثل اول
كافر واول كافر بالتورية على ان الضمير في به لما معكم فان الكفر بالقرآن كفر بها كالعكس
ايضا لوجوب الايمان بكل الكتب وقد دل اعجازه على انه كلام الله وهم يعلمون ولذلك وبخهم بقوله
وانتم تعلمون فلا وجه لما يقال انما يلزم من الكفر بالقرآن بما معهم ان لو كان كفرهم به انه كذب كله واما
اذا كفروا بكونه كلام الله واعتقدوا ان فيه الصادق والكاذب فلا ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا
لا تستبدلوا بالايمان الرياسة والرشاء عبر عن المشتري بلفظ الثمن الذي هو المشترى به تقريعا لهم و
تجهيلا حيث جعلوا ما حقه ان يكون وسيلة مبذولة في نيل المطالب مطلوبا حتى بذلوا فيه الاعز الاشرف
واياي فاتقون بامتثال الاوامر واجتناب المناهي فصل الاولى بالرهبة وهذه بالتقوى لان الاتقاء هو التحفظ
وفرط الصيانة ولا ريب في كونه مسبوقا بالرهبة ولذلك عقب الاول ذكر النعمة والوفاء والثاني الايمان
بالمنزل لان التقوى نتيجته وغايته وقيل لان الاولى نعم العالم والمقلد والثانية تخص اهل العلم فامروا
بالتقوى الذي هو منتهى السلوك وفيه ان المخاطب واحد في الايتين ولا تفكك الضمائر ولا تلبسوا
الحق بالباطل اي تخلطوه به بان تكتبوا في التورية ما ليس منه او لا تجعلوا الحق ملتبسا على الناس بسبب
الباطل فالباء على الاول صلة وعلى الثاني للاستعانة والاول اظهر لان الصلة من تمام الفعل واكثر
ولان مآل الثاني الى الاول لوجود الخلط لا محالة ولا تكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي ومعنى كتمان الحق
محوه عن التورية او تحريفا للكلم عن مواضعها كان في التورية نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة ابيض
بدلوه بقصير اشقر او منصوب باضمار ان والواو للجمع اي لا تجمعوا بين اللبس والكتمان لا على معنى ان المذموم
هو الجمع بل نعيا عليهم الجمع بين امرين كل منها مستقل بالقبح والشناعة ولذلك اعاد الحق وانتم تعلمون

من قوله يا بني اسرائيل الى آخر الاوامر والنواهي المرتبة الى قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة بعد هذا فانه عام للارشاد والحمل على ذلك لا ينفك النظم ويتشوش

زيادة للتقبيح لان الجاهل ربما يعذر واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة صلوة المسلمين وزكوتهم اللام للعهد
او الجنس على ان ما عدا صلوة المسلمين وزكوتهم ليس بصلوة وزكوة واركعوا مع الراكعين لان صلوة اليهود
لا ركوع لها او صلوا مع المصلين جماعة فانها تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة ولا دليل فيه على وجوبها
لانه نهي عما كانوا معتادين به من الانفراد فيكفي كونها سنة مؤكدة وفي الآية دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع وقيل الركوع الانقياد والخضوع فيكون تتميما اتامرون الناس بالبر الهمزة للتقرير مع الانكار
والتعجيب ومعنى التقرير الالجاء الى الاقرار لان الامر بلغ في الانكشاف مبلغا لا يمكن المخاطب انكاره وقد يجتمع
مع التحقيق كما في الآية ويوجد كل منهما بدون الآخر والبر الخير الواسع من البر وهو الفضاء ومنه قول المجيب صدقت
وبررت اي اتيت بخير واسع في صدقك حيث دعوت كاسا معا الى الفلاح وتنسون انفسكم تتركونها عن البر
كالشيء المنسي عن ابن عباس رضي الله عنه كان احبار اليهود يامرون من نصحوه باتباع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وفي معناه قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون روى
البخاري ومسلم عن اسامة بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار
فتندلق اقتابه فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل النار فيقولون يا فلان الم تكن تامرنا بالمعروف وتنهانا
عن المنكر فيقول كنت آمركم ولا افعل وانهاكم وافعل ولقد احسن من قال ما اقبح التزهيد من عالم
يزهد الناس ولا يزهد لو كان في تزهيده صادقا اضحى واسى بيته المسجد وانتم تتلون الكتاب تبكيت
لهم افلا تعقلون ما تتلونه فتعرفوا وخامة عاقبة ما انتم فيه واستعينوا بالصبر والصلوة لما كلفوا بترك
ما الفوه من الرياسة ودين الآباء وكان مشقا عليهم ارشدوا الى ما يسهل عليهم ذلك وهو الصبر
على تكاليف الصلوة والقيام بها على الوجه الاكمل مراعى فيها الاركان والشرائط والسنن والآداب فان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر واستعينوا على النوائب بالصبر والصلوة بالجمع بينهما وعن حذيفة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وقيل الصوم والصلوة لان في الصوم
حبس النفس عن المفطرات وهذا اوجه لان في الصوم جلاء النفس وقطع الشهوات التي هي جنود الشيطان
وفي الصلوة مناجاة الحق وفيضان الانوار وهي جامعة لانواع العبادات البدنية جنانا ولسانا واركانا
ولذلك كانت عماد الدين وانها لكبيرة الا على الخاشعين الضمير للصلوة ان قيد الصبر بالصبر عليها لانها
المقصود والمذكور لفظا وان فسر بمعنى آخر فالضمير للاستعانة ليكون اشمل والخشوع الانقياد اصله
الانحطاط يقال مكان خاشع ولذلك يوصف القلب بالخشوع كما يوصف به الجوارح وبينها رضا الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم اللقاء مجاز عن الرؤية او الثواب والظن على اصله من الطمع والتوقع اذ لا قطع بذلك
او عن مطلق الجزاء فالظن بمعنى اليقين لانه مقطوع به يؤيده قوله وانهم اليه راجعون الا ان يقدر له عامل
اي ويعلمون وهو خلاف الظاهر والظن بمعنى اليقين كثير قال فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد
ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها وانما خفت عليهم لعلمهم بما ادخر الله لهم وفي المثل من ايقن
بالخلف جاد بالعطية ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن ذلك قال قدوة المتقين جعلت قرة
عيني في الصلوة وارحنا يا بلال بها يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اخذ في تقرير النعمة وتفصيلها
ولذلك اعاد النداء واني فضلتكم على العالمين على عالمي زمانهم حملا على الموجود بالفعل كانوا اشرف
القبائل كالعلوية في زماننا او على الجم الغفير يقال اذا رأيت فلانا فقد رأيت العالم قال لو زرته
لرأيت الناس في رجل فلا دلالة فيه على تفضيلهم على الملائكة ولا على امة اخرى فضلت عن خير الامم واتقوا يوما
اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي ومنه الجزية وحديث جذعة بن نيار تجزي
لا تجزي عن احد بعدك والتنكير في الاسماء الثلثة في سياق النفي للعموم اي نفس ما عن اي نفس كانت

شيا ما او ادني جزاء علي انه مصدر والجملة صفة يوما حذف منه العايد اما مع الجار ابتداء علي ما آثره سيبويه
او تدريجا بحذف الجار اولا والضمير ثانيا بعد ايصاله له كما ذهب اليه المبرد والكسائي والشايع حذف العايد من الصلة
ثم من الصفة ثم من الخبر ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فداء اصله المساواة اطلق علي الفداء لانه
يساوي المفدي به بالفتح من غير الجنس وبالكسر منه والضمير للنفس الثانية او الاولى ويؤيد الاول ولا هم ينصرون
فان ضميرهم للنفوس المجزي عنها والتذكير باعتبار الاشخاص لقوله ولا يقبل منها عدل ولا ينفعها شفاعة ولقوله
ولا تنفعهم شفاعة الشافعين سد عليهم طرق دفع العذاب لانه اما ان يكون مجانا او بعوض او بشفاعة او بقهر
ناصر ولا دلالة فيه علي عدم الشفاعة لاهل الكباير لانه عام بالآيات والاحاديث او مقيد بموطن او بما قبل الاذن
وقرأ ابو عمرو وابن كثير تقبل بتاء التانيث والتذكير احسن لوجود الفاصل واذ نجيناكم من آل فرعون من
قبيل عطف جبريل وميكائيل علي الملائكة واصل آل اهل بدليل تصغيره علي اهيل واختص بالاناسي دون
الاماكن وذوي الاخطار منهم دينا كآل هرون او دنيا كآل فرعون وعن الكسائي اصله اول ونقل عن اعرابي
فصيح اويل في تصغيره وقيل الآل القرابة تابعها والاهل اعم ولذلك وتر في الصلوة الآل وفرعون لقب
من ملك مصر كقيصر لملك الروم وتبع لمن ملك اليمن وكان اسمه مصعب بن ريان او وليد بن مصعب
يسومونكم سوء العذاب يكلفونكم من سام المشتري السلعة اذا طلبها والسوء مصدر ساءه واصله العذاب
السوء ثم قدم واضيف والمعنى اسوء العذاب لان العذاب كله سيء والجملة حال من الضمير او من آل فرعون او منهما
لوجود ضمير كل يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم او استيناف وعطفه في سورة ابراهيم لكونه
اشد العذاب فامتاز امتياز جبريل وميكائيل وكان سبب ذبح الابناء قول الكهنة سيولد من بني اسرائيل مولود
يكون زوال ملكه علي يديه وقد عمي قلبه لان قول الكهنة ان كان حقا فلا بد من وقوعه وان كان باطلا
فلاي شيء تقتل الاطفال وفي ذلكم بلاء محنة والاشارة الي صنيعهم او نعمة والاشارة الي الانجاء والاختبار

بكم

بالشر للصبر وبالخير للشكر وهذا اليق بقوله من ربكم واوفق بمقام تعداد النعم عظيم صفة بلاء واذ فرقنا
البحر فلقناه لاجل انجائكم الباء للسببية او ملتبسا بكم فالباء للمصاحبة كقول ابي الطيب ندوس بنا الجماجم
والتريبا فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون تشاهدون ذلك لا تشكون فيه ملتذون مسرورون
وسياتي القصة مستوفاه واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن
لهم كتاب وعد الله موسى ان يوتيه كتابا وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وذكر الليالي لانها غرر
الشهور حين يري الهلال وانتصاب اربعين علي الظرفية اما علي قول ابن عباس رضي الله عنه كله في اربعين
يوما وليلة فواضح ومن خصه بالاول او بالآخر فكذا لانه من باب رايته سنة كذا يكفي فيه وقوع الفعل
في جزء ومن قال بعد فللاتصال وعدم التراخي والمفعول به محذوف وهو المشترك بين الطرفين اي واعدنا
موسى الوحي وواعدنا المجيء والاولي ان تجري اربعين مجري المفعول به وفيه مبالغة بجعل ميقات الوعد
موعودا وقرأ ابو عمرو وعدنا بغير الف وعليه الرسم والمعنى ظاهر ويمكن ان يحمل قراءة الجمهور عليه واتيان
المفاعلة للمبالغة ثم اتخذتم العجل من بعده اي الها من بعد ذهاب موسى وانتم ظالمون باتخاذ العجل
الها ثم عفونا عنكم من بعد ذلك الامر العظيم العفو المحو من عفا الشيء عفاء درس وهلك ابلغ من الغفران
وافراد الخطاب باعتبار كل احد لعلكم تشكرون لكي تشكروا او لتكونوا في صورة من يرجى منه الشكر واذ اتينا
موسى الكتاب والفرقان اي الكتاب الجامع بين كونه كتابا منزلا وبين كونه فرقانا كقوله ولقد اتينا موسى وهرون
الفرقان اي الكتاب وضياء وذكرى والتعريف فيه دون ضياء وذكرا لكونه معهودا كالاعلام دونهما
او البرهان الفارق بين المحق والمبطل من ساير معجزاته او الشرع الفارق بين المعروف والمنكر والنصر الذي
فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ليوم بدر لعلكم تهتدون بالتامل في الكتاب

والتفكر

والتفكر في آيات الله واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فان قلت اليس قد تقدم ذكر اتخاذ
العجل وان الله تعالى عفا عنهم قلت اعاده مفصلا حثا للموجودين علي اتباع النبي الامي الذي وضع عنهم
تلك الآصار التي كانت علي آبائهم واكتفي في التوبة بالندم فتوبوا الي بارئكم اي قد ظلمتم فتوبوا الفاء للسببية
وايثار البارئ دون ساير الاسماء الحسنى للتنبيه علي غباوتهم حيث آثروا علي خالق الاشياء بريئة من الخلل والتناقض
العجل الذي هو ابلد الحيوانات فاقتلوا انفسكم بايديكم وهو البخع او من لم يعبد العجل عابده والتعبير بالانفس
لما بينهما من التعلق في القرابة والاتحاد في الاعتقاد وتفسير القتل بقطع الشهوات كما قيل من لم يقتل النفس لم
يحيها غير مستقيم لكون القتل مرادا قطعا عن ابن عباس رضي الله عنه اجتبى الذين عبدوا العجل بافنية دورهم
وقام الذين لم يعبدوا واخذوا الخناجر في ايديهم وكان الوالد يرى ولده وذو القرابة قريبه فيشق عليه
فالقى الله عليهم ظلمة شديدة فدعا موسى وهرون فانكشفت عن سبعين الف قتيل ذلكم خير لكم عند بارئكم لكونه
وصلة الي الحيوة الابدية ووسيلة الي رضوان الله واسكن ابو عمرو وهمز بارئكم لثقل توالي ثلث حركات وروى
عنه الدوري الاختلاس اكتفاء به عن السكون فتاب عليكم من قول موسى جواب شرط محذوف اي ان فعلتم فقد تاب
عليكم او من كلامه تعالى عطف علي محذوف اي ففعلتم فتاب عليكم ففيه التفات من الغيبة وهو لفظ القوم الي
الخطاب ومن التكلم الي الغيبة في فتاب انه هو التواب الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها الرحيم الذي يبدل
مكان السيئة الحسنة واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة في ايثار لن دلالة علي مراجعات بينه
وبينهم لانها لا تقع جوابا ابتداء والجهر مستعار للرؤية عيانا لانه من خواص الصوت وليس فيه دلالة علي
عدم جواز الرؤية ولا ان كفرهم كان بسبب طلبها الا يرى ان موسى قد سالها وانما كفروا بتعنتهم وعدم الاعتداد
بساير معجزاته وهذا ظاهر لمن كان له قلب او القى السمع فاخذتكم الصاعقة الرجفة وكان فيها موتكم او نار فيها وانتم
تنظرون ما اصابكم من مصيبة او اثره لا تشكون فيه ثم بعثناكم من بعد موتكم يوما وليلة لعلكم تشكرون نعمة البعث
او ما كفرتموه سابقا هؤلاء هم السبعون الذين اختارهم موسى لميقات ربه فلما سمعوا كلامه طلبوا الرؤية عيانا
وهذه القصص قد بسطت في ساير السور واشير اليها هنا موجزة لان سوقها لتعداد النعم علي المخاطبين وآبائهم
وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى لما ذكر ما رفع عنهم من النقم شرع يفصل ما اولاهم
من النعم والغمام السحاب الابيض سمي به لانه يغم السماء ويواريها والمن الترنجبين كان ينزل عليهم علي صفة
الثلج بين الطلوعين والسلوى السمان وهو نوع من الطير دون الحمام جثة وكانوا مامورين بان ياخذوا قدر
كفايتهم ولا يدخروا فاخذوه وخبوه فنتن روى البخاري انه قال صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز
اللحم كلوا من طيبات ما رزقناكم علي ارادة القول وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بتعريضها للسخط واذ
قلنا ادخلوا هذه القرية هي بيت المقدس وقيل اريحا والاول هو الصواب فكلوا منها حيث شئتم رغدا
واسعا صفة مصدر او في موضع الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب المسجد الاقصى وهو المسمى الآن باب
حطة سجدا علي هيئة الراكعين تواضعا لله وشكرا علي نجاتهم من التيه وقهر عدوهم وهم الجبارون الذين
قاتلهم يوشع بعد موت موسى وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة فعلة كالجلسة والركبة والمراد حطة
الاوزار لقوله نغفر لكم خطاياكم جزم علي الجواب وقرأ نافع بالياء وابن عامر بتاء التانيث علي بناء المفعول
والمختار قراءة الباقين بالنون للاصالة وفخامة المعنى ولقوله وسنزيد المحسنين علي غفران الخطايا بانواع
المزايا واخراجه عن الجواب الي الاخبار للدلالة علي الوقوع لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم
قالوا مكان حطة حنطة حمراء في شعرة فان قلت لم يحك تبديل الفعل فانه روى انهم دخلوا زحفا علي استاههم
مقنعي رؤوسهم قلت اكتفى بالقول فانه اظهر في المخالفة ولانه ربما يتوهم ان الدخول علي ذلك الوجه كان لعذر
فانزلنا علي الذين ظلموا رجزا من السماء عذابا وهو الطاعون مات منهم في ساعة سبعون الفا بما كانوا يفسقون

قابله الناسخ

لان توبتهم لم يكن بذلك بل بازهاق النفس نعم لو اخذ ذلك اشاره كان وجها

بسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى وهذه الآية ابلغ من آية الاعراف من وجوه احاج سنزيد عن الجواب وتكرير
الظلم والجمع بينه وبين الفسق وتبديل الانزال بالارسال وذلك لان هذه خطاب معهم وتلك اخبار عنهم
ولان هذه نزلت بعد تلك فلا بد من زيادة فايدة واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك
الحجر اللام فيه للعهد لانه كان حجرا معهودا على هيئة راس الانسان او راس ثور نزل به آدم مع العصا من الجنة
فتوارثه الانبياء فدفعه اليه شعيب عليه السلام مع العصا او للجنس اي حجر كان وهذا ابلغ في الاعجاز فانفجرت
منه اثنتى عشرة عينا اي فان ضربت وضرب والفاء على الوجهين فصيحة لانها تنبئ عن محذوف اشارة الى ان السبب
الاصيل في ذلك هو امر الله وارادته لا فعل والوجه هو الثاني لقلة التقدير ولان الفاء الجزائية لا تصح بدون
قد واضماره ضعيف قد علم كل اناس مشربهم اي كل سبط عرف العين المختصة به لئلا يقع تنازع كلوا واشربوا
على ارادة القول من رزق الله المن والسلوى والماء واضافة الرزق اليه لكونه حاصلا من غير كد منهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين لا تعتدوا حال كونكم مفسدين وانما قيد به لانه ربما كان على وجه الجواز لمقابلة المعتدي
بمثل فعله وقيل حال موكدة ومن عرف الله بصفات الكمال لا يستغرب امثال هذه الامور هذا ونبوع الماء
من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم اغرب وابدع من الحجر لانه متعارف في الاحجار وصخور الجبال
واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ارادوا المن والسلوى ووحدته باعتبار عدم تبدله كما يقال
مايدة الامير طعام واحد يريدون على نمط وان اشتملت على الوان فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض
الاسناد مجاز من بقلها الخضر والمراد طايبه وقثائها وفومها وعدسها وبصلها من قبيل عطف جبريل على الملائكة
وقيل الفوم الحنطة لقول العرب فوموا لنا اي اخبزوا والاول اوفق بالبصل ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه بالثاء وشعر حسان رضي الله عنه وانتم اناس لئام الاصول • طعامكم الفوم والحوقل • اراد الثوم والبصل
كانوا فلاحة اكارين مالت نفوسهم الى ما الفوهم قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير بدله
المن والسلوى والباء داخلة على المبدل المتروك اهبطوا مصرا هي البلدة المعروفة والصرف لسكون الوسط
او باعتبار البلد والمكان وان كان اصله مصرايم عجميا فلعدم التانيث وعدم الاعتداد بالعجمة لوجود
التعريب والتصرف والاولى ان يراد مصر من الامصار لان ما طلبوه ليس منحصرا في تلك البلدة والتيه
مشرف على ساير البلاد فيكون منه الهبوط اليها كلها فان لكم ما سالتم اي ذلك الادنى وضربت عليهم
الذلة والمسكنة جعلت محيطة بهم احاطة القبة بداخلها او لصقت بهم الصاق الطين بالحايط وعلى الوجهين
استعارة مكنية ولا ينافي كون الكلام كناية عن كونهم اذلاء صاغرين ولا ترى اليهود الا اذلاء مساكين
اما جبلة او تكلفا خيفة تضاعف الجزية وفي المثل فلان اذل من اليهودي وباؤا بغضب من الله اي رجعوا
من سفرهم الذي كان للجهاد مصاحبين لغضب الله او صاروا احقاء من قولك باء فلان بفلان اذا ساواه
ذلك اشارة الى جميع ما حل بهم بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق اللام للجنس
والمعنى انه باطل عندهم ايضا كما في الواقع فهو كقوله بغير حق في آل عمران والاولى ان يكون للعهد وهو ما
يعتقدونه ويدينون به وتنكيره في آل عمران للعموم وايثار المضارع لاستحضار تلك الصورة الشنيعة والاشارة
الى انهم ساعون في قتل محمد عليه السلام وقرا نافع نبيئين بالهمز ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كرر الاشارة
دلالة على ان لهم غير الكفر بآيات الله وقتل الانبياء معاصي اخر واعتداء في الحدود تكفي جالبة للذلة وبواء الغضب
فكيف والاجتماع كاين او اشار الى الكفر والقتل بيانا لسبب السبب وهو التمرن على العصيان والاعتداء
ويجوز ان يكون الباء بمعنى مع فيكون كالاول اي ذلك الكفر والقتل مع العصيان والاعتداء والاول سبب
كامل فكيف وقد انضم اليه الثاني والاشارة الى اشياء بلفظ المفرد شايع بتاويل المذكور ان الذين آمنوا
بالسنتهم دون قلوبهم والذين هادوا دخلوا في اليهودية سموا بذلك اما لانهم هادوا اي تابوا من عبادة

العجل ولقولهم انا هدنا اليك او معرب يهوذا اكبر اولاد يعقوب تسمية باسم ابي القبيلة والنصارى جمع نصران
كندامى في ندمان والياء في نصراني للمبالغة كما في سودي ودواري سموا بذلك لنصرهم المسيح او لانهم كانوا معه
في قرية تسمى نصران او ناصرة سموا بها واخذ اسمهم من اسمها والصابئين قوم من النصارى مالوا عن دينهم الى
عبادة الملائكة من صبا مهموزا اذا مال وقرا نافع بالياء وترك الهمز اجتزاء بدلالة الكسرة قبل الياء عليه
وقيل صبا يصبو لغة والهمز هي الفصحى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا اي منهم فلهم اجرهم عند ربهم
خبر من ان جعل مبتداء والجملة خبر ان وان جعل من بدلا من الذين فخبر ان ودخول الفاء لتضمن الموصول معنى الشرط
وفيه الزام لسيبويه حيث منع دخول الفاء بعد دخول ان ولا خوف عليهم من ارتكاب ما سلف ولا هم يحزنون على فايت
بل ينالون اجرا كاملا والكلام من حديث ضربت الذلة الى هنا مستطرد لبيان انهم لما آثروا الامتهان باستبدال
الذي هو ادنى بالذي هو خير كان ذلك اول ذلة اصابتهم ثم بين ان من كان جهله في تلك الرتبة غير بدع منه
الكفر بآيات الله وقتل الانبياء ثم ضم اليهم اضرابهم ممن تمرن على الكفر وان من اخلص في ايمانه فاز بما فاز به المخلص
وباء بالرضوان بدل بوء الغضب ترغيبا في الايمان واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى عليه السلام والعمل بما في التورية
ورفعنا فوقكم الطور حين عصيتم روي ان موسى لما جاءهم بالتورية شق عليهم ما فيه من التكاليف فابوا قبولها
فقلع جبريل الطور ورفعه فوقهم كانه ظلة وقربه اليهم شيئا فشيئا حتى وضع احد جانبي راسهم الى الارض
وهم ينظرون باحدى العينين الى الجبل فلما سجدوا رفع الله عنهم فهم الى الآن يسجدون على حرف الراس لانها
سجدة رفع الله تعالى به العذاب خذوا ما آتيناكم بقوة باجتهاد وجد واذكروا ما فيه احفظوا احكامه او ادرسوه
فيشمل ذكر القلب واللسان لعلكم تتقون لكي تتقوا او تكونون في صورة من يرجى منه التقوى ثم توليتم من
بعد ذلك اعرضتم بعد ذلك الميثاق فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق اسلافكم للتوبة لان المخاطبين
لم يؤمنوا لقوله افتطمعون ان يؤمنوا لكم لكنتم من الخاسرين بعض الكاملين في الخسران ولقد علمتم الذين اعتدوا
منكم في السبت اللام توطية والسبت الراحة والقطع ومنه سبت اليهود لكفهم عن الاعمال او لقطعهم ذلك اليوم
عن غيره بالحكم وهو حرمة الصيد فيه كان اهل ايلة على شاطئ البحر فابتلاهم الله بحرمة الصيد في يوم السبت فكانت
الحيتان تاتيهم يوم سبتهم شرعا مخرجة خراطيمها ويوم لا يسبتون لا يرون منها واحدا فاحتالوا في صيدها بان
اتخذوا على الشاطئ حياضا وشرعوا اليها الجداول ليدخلها الحيتان يوم السبت فيصطادوها يوم الاحد فقلنا لهم
كونوا قردة خاسئين اذلاء من الخسء وهو الصغار والامر للتسخير والمراد سرعة التكون اذ لا قدرة لهم على الصيرورة
قيل صار شيوخهم خنازير وشبابهم قردة وعن مجاهد رحمه الله مسخت قلوبهم دون صورهم وهو خلاف
الاجماع مع انه لا يلائم مقام الترهيب فجعلناها اي المسخة نكالا زجرا لما بين يديها وما خلفها من الامم وكان امر المسخة
في كتب الاولين فاعتبروا بها ودخول الفاء باعتبار الفريق اللاحق او من قرب من اهل عصر المسخة ومن بعد
لان اليد عن قرب من اضيف اليه واللام على الوجهين صلة وايثار ما على من تحقيرا لشانهم لصدور الكلام
عن مقام الكبرياء واظهار السخط او لما تقدم من ذنوبهم وما تاخر والنكال بمعنى العقوبة واللام للتعليل
فان قلت بعد المسخة لم يبقوا مكلفين حتى يتصور منهم ذنب قلت يحمل على ما سنوه من الصيد وساير المعاصي
كما في قوله ونكتب ما قدموا وآثارهم وقوله بما قدم واخر وموعظة للمتقين لكل متق حضرها او سمع واذ قال موسى
لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول القصة واذ قتلتم نفسا وانما قدمت هذه الآية لتنفصل نظم مساويهم
من نسبة النبي الى الهزء وترك الامتثال سريعا والاشتغال بما لا يعني من الاستقصاء في السؤال كان شيخ موسر
في بني اسرائيل وله ابن فقتله بنو عمه ليرثوا الشيخ وقيل كان الشيخ عقيما وله بنو اخ فقتلوه مستعجلين اخذ ماله
وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فرفعوا القصة الى موسى عليه السلام فامرهم ان يذبحوا
بقرة ويضربوا الميت ببعضها ليحيى الميت ويخبر بالقاتل قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزو او نفس الهزو

بعد حيوة الميت من لحم بقره ميت وقرء حمزه بسكون الزاء وهي لغة تميم واسد وابدل حفص الهمز واوا استثقالا
للهمزة بعد الضمتين وكذا حمزة وقفا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مقام الارشاد لا سيما
من المرسل بتبليغ الاحكام سفه ولذلك استعاذ بالله قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ما صفتها المميزة لكون
حقيقتها معلومة كقولك ما زيد فيجاب بفاضل ونحوه وقيل اقيمت ما مقام كيف واي ايماء الى ان هذه البقرة
كانها نوع خارج عن حقيقة البقر قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية الفارض
من الفرض وهو القطع لانها قطعت العمر وبلغت آخره وتركيب البكر للاولية ومنه الباكورة لاول الثمر عوان بين
ذلك بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين وايثارها لقصد الاختصار كما جعلوا فعل نايبا
عن افعال جمة والذي حسنه ان اسماء الاشارة والموصولات ليست على قانون ساير الاسماء في التثنية والجمع
والتانيث بل وضعت صيغا مخصوصة فلذلك سهل الامر فيها وقد يقع مثله في الضمير ايضا كقول روبة فيها خطوط
من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق حيث لم يقل كانها عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا لما
شددوا شدد الله عليهم ولو ذبحوا ادنى بقرة اجزأتهم وايم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم آخر الابد وقيل
بل كانت معينة وتاخير البيان عن وقت الخطاب جايز وفيه انه تاخير عن وقت الحاجة لا الخطاب فافعلوا ما تؤ
مرون اي تؤمرونه كقولك امرتك الخير فان حذف الجار قد شاع فيه حتى لحق بالمتعدي قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع شدة الصفرة كالحلوك للسواد والقنو للحمرة
يوصف به اللون حقيقة والملون بسببه مثله حسن الوجه ومؤدب الغلام وعن الحسن سوداء شديدة السواد
على ان الفقوع ترشيح والسواد الخاص جالب للسرور كسواد الحدق تسر الناظرين السرور لذة القلب عند حصول
مرغوب او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسوال الاول
ومزيد استكشاف ان البقر تشابه علينا اعتذار عن التكرير وتعليل للاستكشاف فان البقرة بتلك الصفة كثيرة
عن عمر بن عبد العزيز انه قال لبعض عماله اذا كتبت اليك ان اعط فلانا شاة فلا تراجعني اضاين ام ماعز فاني
اذا قلت لك ضاين قلت ذكر ام انثى واذا قلت ذكر قلت اسود ام ابيض وانا ان شاء الله لمهتدون الى المطلوب
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث الذلول ضد الصعب من الذل بكسر الذال صفة
بقرة ولا الثانية موكدة الاولى والمعنى بقرة غير مذللة بالحراث والسقي مسلمة سلمها الله من العيوب كلها
واهلها من العمل لا شية فيها لا لون فيها يخالف صفرتها حتى القرن والظلف يقال وشاه وشيا اذ اخلط لونه لونا
آخر قالوا الآن جئت بالحق بالوصف المطلوب فذبحوها القتاء فصيحة اي فحصلوها فذبحوها وما كادوا يفعلون
في هذه الحالة ايضا لكثرة تعنتهم وتثاقلهم او لخوف الفضيحة او لغلاء الثمن روي انهم طلبوها اربعين
سنة فلم يجدوها ثم ظفروا بها عند ارملة لها يتيم وكان ابوه من الصالحين فلما دنا له الموت كانت عجلة فذهب بها
الى غيضة وسيبها وقال يا رب هذه امانة عندك لهذا اليتيم فرباها الله تعالى احسن تربية وادى الامانة
في وقتها حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكان ثمن البقرة ثلثة دراهم واذ قتلتم نفسا نسب الفعل لوجوده بينهم
فادارأتم فيها مجاز عن الاختصام او كناية عنه لانه من روادفه او حقيقة والمعنى دفع بعضكم قتلها الى بعض ودفع
كل منكم الآخر من البراءة الى التهمة والله مخرج ما كنتم تكتمون لا محالة ولذلك اوثر الاسمية وانما عمل مخرج
لانه حكاية المستقبل بالماضي كما عمل باسط ذراعيه لكونه حكاية حال ماضية والجملة اعتراض بين المعطوف و
المعطوف عليه فقلنا اضربوه ببعضها الضمير للنفس والتذكير باعتبار الشخص والمراد اي بعض كان وقيل
ضربوه باللسان وقيل بالاذن وقيل بالفخذ اليمنى وقيل غير ذلك والله اعلم والمعنى فضربوه فحيي فحذف
المعطوف والمعطوف عليه لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى عليه مع الاشارة الى ان الاحياء كان بمحض
قدرته وارادته تعالى من دون تاثير للضرب ويريكم آياته لعلكم تعقلون خطاب لمن حضر القتيل والمنكرين

البعث في زمان رسول الله وهذا اوجه لعدم احتياجه الى تقدير القول ولانهم الذين عدلوا عن مقتضى
العقل فيقع لعلكم تعقلون في حاق موقعه ولان اراءة الاحياء لهم قد وجد ابلغ من هذا لقوله ثم بعثناكم من بعد
موتكم وافراد الخطاب في ذلك ايماء الى ان الاحياء امر عظيم يخاطب به كل من يتاتى له الخطاب وكان الله قادرا
على الاحياء ابتداء وانما اجرى الامر على النمط المحكي لما في ذلك من بدايع الحكم بركة برالوالدين وحسن اثر التوكل
وان من وقع في شدة ينبغي ان يتقرب الى الله ويوثر الاحسن ويغالي في الثمن روي ان عمر بن خطاب
قرب بدنة بثلثمائة دينار ومن لطايف اشاراته من اراد الحيوة الحقيقية يجب عليه ان يقتل نفسه الجاهلة
الطالبة للماء والعلف الشبيهة بالبقرة حين تجاوزت حد الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر فهي حينئذ كاملة
القوى معجبة بحالها ليحيى بعد ذلك حيوة طيبة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك اشارة الى جميع ما عدد من الآيات
وثم لاستبعاد القسوة بعدها لوجود الاسباب المزيحة لها كقوله ثم انتم تمترون والقسوة الغلظ مع الصلابة
مثل بها حال القلوب في عدم الاعتبار والاتعاظ ولذلك رتب عليه قوله فهي كالحجارة لان هذا التشبيه
متفرع على عرفان حالها او اشد قسوة عطف على الكاف فانه يقدر مضافا اي مثل اشد من الحجارة كالحديد مثلا
او يدونه على معنى انها كالحجارة او هي اشد منها والمعنى ان من عرف حالها فهو مخير في احد التشبيهين او احد
الامرين ولا شك من المتكلم ولا من السامع وانما اوثر اشد قسوة وان صح بناء اسم التفضيل من القسوة وهو احصر
لدلالة اشد على الزيادة جوهرا وهيئة اعتناء بشان الزيادة او لم يرد تفضيل القلوب في القسوة على الحجارة
بل اشتراك القسوتين في الشدة ثم تفضيل قسوة القلوب في الشدة ولا تفاوت في الحاصل لان قولك فلان
اكثر علما من فلان التفضيل راجع الى العلم الا ان لفظ اشد اشهر استعمالا في التوصل وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله عطف على جملة فهي كالحجارة
وتعليل للتفضيل وتقرير له معنى والتفجر التفتح والجري بكثرة والخشية محمولة على الحقيقة لان المزاج ليس شرطا
في الحيوة وتسليم الحجر حديث مشهور وقيل مجاز عن الانقياد اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم وهي متعلقة
بالافعال السابقة كلها وما الله بغافل عما تعملون قرأ ابن كثير بياء الغيبة والخطاب اشد وعيدا افتطمعون
ان يؤمنوا لكم الخطاب لرسول الله والمؤمنين والهمزة للانكار والاستبعاد الايمان منهم وقد كان فريق
منهم اي من اليهود يسمعون كلام الله اي التورية ثم يحرفونه كتحريفهم نعت رسول الله عليه وسلم وآية الرجم
وفي لفظ السماع اشارة الى عدم حظهم من معناه من بعد ما عقلوه فهموا مراد الله منه وهم يعلمون ان التحريف
كفر وضلال واذا كان علماؤهم كذلك فما ظنك بالجهال السفلة منهم وقيل هؤلاء السبعون المختارون لما سمعوا
كلام الله لموسى عليه السلام بالامر والنهي قالوا لقومهم سمعنا يقول في آخر كلامه ان استطعتم فافعلوا وان شئتم
فلا تفعلوا واذا لقوا الذين آمنوا اي منافقوهم حذف المضاف لوجود القرينة قالوا آمنا احدثنا الايمان
واذا خلا بعضهم بعض اليهود الى بعض متحدثا اليه قالوا غير المنافقين لهم على وجه العتاب اتحدثونهم
اي المؤمنين بما فتح الله عليكم بينه لكم يقال فتحته على كذا اذا اوقفته عليه ويجوز ان يكون فاعل قالوا آمنا
اظهارا للتصلب وانكارا عليهم ان يصدر منهم في المستقبل فهم مع المؤمنين منافقون حقا ومع اخوانهم في صورة منافقين
ليحاجوكم به اي بما في كتابكم عند ربكم جعلوا محاجتهم بما في كتابه محاجة عند الله لان حاصل قولهم في كتاب الله
كذا عند الله كذا لان المراد حكمه ومبنى الكلام على الاحتجاج في الدنيا لانهم يعلمون انهم يوم القيمة محجوبون
ابدوا ام اخفوا افلا تعقلون من تمام كلامهم واحتمال كونه كلام الله تعالى مع المؤمنين متصلا بقوله افتطمعون
بعيد لكون رسول الله عليه السلام مخاطبا به اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ولا يخفى عليه
خافية الضمير للقايل والمقول له ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني جمع امنية من منى الشيء قدره والمعنى
جهلة لا يعلمون شيئا من الكتاب لكن يقدرون من عند انفسهم ان الله يغفر لهم وان آباءهم الانبياء

التوليع اختلاف الالوان من ولعه جعله مخططا

اي الكهل

صلى

مخاطبا به اولا تعقل بعيد عن مقامه

يشفع لهم وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وغير ذلك من الاكاذيب والاستثناء منقطع لان تلك الاباطيل
والمحرف الذي تلقفوه من علمائهم ليس من الكتاب والعلم في شيء وان هم الا يظنون في مرديهم الظن يطلق
بازاء العلم على كل رأي وان كان جازما كاعتقاد المقلد سوى بين العالم والمقلد في الضلال ثم اشار الى
ان العالم لكونه قدوة في الاضلال له مزيد العذاب بقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم الويل الهلاك
مصدر وال ولم يستعمل وقيل واد او جبل في جهنم وصح الابتداء به لكونه دعاء مثل سلام وذكر اليد للتوكيد ودفع
المجاز كقولك رأيته بعيني ثم يقولون هذا من عند الله ثم للتراخي رتبة لان القول اشد جرما من الكتبة ليشتروا
به ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو بقاء الرياسة واكل الرشى فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون اي كتبتهم
وكسبهم او للذي كتبوه ويكسبونه والاول احسن لفظا ومعنى كرر الويل بازاء كل فعل مبالغة وآثر المضارع في
الكسب لكونه ممتدا دون الكتبة وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة نوع آخر من اكاذيبهم اي اياما
قليلة قيل سبعة مقدار بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة بزعمهم في مقابلة كل الف يوم وقيل اربعين ايام عبادة
العجل قل اتخذتم عند الله عهدا وعدا موثقا فلن يخلف الله عهده لا محالة لاستحالة الخلف في وعده والفاء
جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم وقرا ابن كثير وحفص بالاظهار على الاصل والباقون بالادغام لقرب الدال
من التاء ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة للهمزة ومعنى الاستفهام التقرير لعلم المستفهم وهو
رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقوع الشق الآخر وهو الافتراء ففي الكلام تهكم بهم او منقطعة والاستفهام
في اتخذتم للانكار وفي ام للتحقيق او الحمل على الاقرار والتقريع بلى اثبات لما نفوه من العذاب الدائم من كسب
سيئة الكسب تحصيل الشيء بالاختيار فان كان فيه زيادة نفع سمي اكتسابا واحاطت به خطيئته بحيث لم
يوجد له حسنة قط اذ معها لا احاطة والخطيئة اسم للذنب من خطئ بالكسر خطأ وخطأ سواء كان بالقصد
او بالعرض لقوله ان قتلهم كان خطأ كبيرا وقرا نافع خطيئاته بالجمع والافراد اولى لان المحيط هو الكفر
حقيقة فاولئك اصحاب النار الملازمون لها هم فيها خالدون لا غيرهم من اصحاب الكبائر وتفسير الخلود باللبث
الطويل غير واف بالمقصود مع الابهام المخل والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون جرت سنته تعالى في كتابه بان يشفع الوعد بالوعيد ترغيبا وترهيبا ليرجى ثوابه ويخشى عقابه
وبضدها تتبين الاشياء واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله لما طال الخطاب عدل الى الغيبة
تفننا وتذكيرا بان الخطاب مع بني اسرائيل ولا تعبدون اخبار في معنى النهي بدليل قوله قولوا وهذا ابلغ من صريح
النهي كان المخاطب سارع الى الامتثال وانت تخبر عنه ولا بد من تقدير القول اي قائلين او قولنا على انه بدل
من الميثاق وجواب لاخذنا ميثاقهم لان القول الجازم المبثوث جار مجرى القسم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في
الكتاب لتفسدن في الارض ويجوز ان يكون في تأويل المصدر بان محذوفة تسمع بالمعيدي وقوله الا ايها الزاجري
احضر الوغا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي لا يعبدون بياء الغيبة وبالوالدين احسانا تحسنون او احسنوا
جزاء للتربية وذي القربى واليتامى والمساكين اليتم لغة الانفراد وتخصيصه بالصغر عرفا للشرع والمسكنة
من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا وقرا حمزة والكسائي حسنا بفتح الحاء والسين والاول ابلغ
لكونه وصفا بالمصدر والقول الحسن اظهار نعته صلى الله عليه وسلم وعن الثوري الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ما كان عليهم في شرع موسى ثم توليتم التفات من الغيبة سواء خوطب الحاضرون
او غلبوا لان بني اسرائيل طريق الغيبة الا قليلا منكم هم الذين اقاموا اليهودية ومن اسلم منهم بعد النسخ وانتم
معرضون جملة معترضة اي وانتم قوم عادتكم الاعراض وهما مترادفان وقيل التولي ان يرجع عودا على بدء
والاعراض ان يأخذ عن المنهج في العرض فهو اسوء حالا من التولي وفي الجمع غاية الذم واذ اخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم نزل قتل الغير واخراجه منزلة قتل نفسه واخراجه لاتصاله

رد على الثاني

لقوله

اتوا

دينا ونسبا او لترتب القصاص عليه واشتراك العار والصغار بين المخرج والمخرج ثم اقررتم وانتم تشهدون
اي اقر اسلافكم وشهدوا على انفسهم والاسناد الى الحاضرين لكونهم على طريقتهم او وانتم ايها المخاطبون
مقرون بذلك على اسلافكم وانما ذكرت الشهادة بعد الاقرار مبالغة كما في قولك فلان مقر بكذا شاهد على نفسه
او وانتم مستمرون بعد الاقرار ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد اخذ الميثاق والمعنى ثم انتم الموصوفون
بنقيض تلك الصفة وبهذا الاعتبار صح الحمل كما تقول فلان غير الذي كنت تعرفه وقيل هؤلاء اسم موصول تقتلون
انفسكم اشارة الى نقض لا تسفكون وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اشارة الى نقض لا تخرجون انفسكم تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان تتعاونون من الظهر لانه مناط القوة وقرا الكوفيون بحذف تاء المضارعة تخفيفا
وفي ذكر العدوان بعد الاثم ترق لانه ظلم الغير وان يأتوكم اسارى تفادوهم كان بين الاوس والخزرج
محاربات وكانت قريظة من اليهود حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وقيل بنو قينقاع كانوا حلفاء الاوس
وقريظة والنضير للخزرج فكان اذا اسر منهم احد فادوه وجمعوا له من اليهود كلهم وكان الله قد اخذ عليهم
في التورية الميثاق بفداء الاسرى وترك القتل والاخراج والمظاهرة فاعرضوا عن الكل الا الفداء وقرا حمزة
اسرى وهو قياس جمع فعيل كقتلى وجرحى والباقون اسارى على انه جمع الجمع او جمع آخر كقدامى في جمع قديم وعن
ابي عمرو اسرى عند الاخذ واسارى بعد الاستمرار وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وحمزة تفدوهم وهو
الاصل لان الفادي معطي الفداء وعليه الرسم فيحمل قراءة المد عليه وقيل فداه اذا خلصه بالمال وفاداه
خلصه بالاسير وهو محرم عليكم اخراجهم الضمير للشان او مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون
من المصدر والمذكور بيان له ولم يتعرض للقتل للعلم به من حال الاخراج افتؤمنون ببعض الكتاب بالفداء
وتكفرون ببعض ما عداه من القتل والاخراج فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا
الخزي ذل يستحيى منه كالقتل والاسر وضرب الجزية ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب اي اشد انواع
عذاب الآخرة وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد وقرا نافع وابن كثير وابو بكر بياء الغيبة والخطاب
ابلغ ترهيبا اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة آثروها على الآخرة حين استبدلوها بها فلا يخفف
عنهم العذاب في الدنيا والآخرة ولا هم ينصرون بدفع وقهر من احد ولقد آتينا موسى الكتاب التورية بعد
اغراق فرعون وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره رسلا كثيرة لقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى سبعين
الفا وقيل اربعة آلاف يقال قفيت فلانا اذا اتبعته وقفيته بفلان اتبعته اياه فالباء داخل على التابع
مأخوذ من القفا كذنبته من الذنب وآتينا عيسى بن مريم البينات افرده بالذكر وان كان من بني اسرائيل
لانه صاحب شرع لفظ سرياني اصله ايشوع وكذا مريم معناه الخادم وقيل العابد ولعله تحب مجالسة
الرجال وكانه من قبيل المفازة للمهلك والسليم للديغ وقيل عربي وزنه مفعل اذ فعيل ليس من اوزانه
والبينات معجزاته الواضحة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وايدناه بروح القدس جبريل او روحه
اي الروح المقدسة من اضافة الموصوف الى ما اشتق منه الوصف مبالغة في ثبوته له كقولهم حاتم الجود
وقرا ابن كثير باسكان دال القدس حيث وقع افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال
هوى بالكسر اذا احب وبالفتح سقط والهمزة للتوبيخ والتعجيب من ترتب هذا الفعل على ما سبق والفاء
عاطفة للشرطية على الفعلية قبلها لعنى ولقد آتينا موسى ويجوز ان يكون عطفا على مقدر كانه قال ولقد
آتينا موسى الكتاب وارسلنا بعده رسلا كراما فجحدتم وعصيتم افعلتم ذلك فكلما جاءكم رسول استكبرتم
عن الايمان ففريقا كذبتم كموسى وعيسى عليهما السلام وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى عليهما السلام
وايثار المضارع اما للاستحضار تلك الصورة الفظيعة او للدلالة على انهم كانوا ساعين في قتل
محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك سحروه وسموه يوم خيبر وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله

وسلّم قال في مرضه الّذي توفّي فيه لا زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا قلوبنا غلف
ذات غلاف لا يصل اليها ما يقول محمّد مستعار من الاغلف الّذي لم يختتن او هو مخفّف غلف جمع غلاف
كفرش في فراش اي اوعية للعلوم فلا حاجة لنا بعلم محمّد بل لعنهم الله بكفرهم طردهم من رحمته بسبب صرفهم
القدرة والارادة من الطّاعة الى ايثار الكفر فافسدوا الفطرة او هم جهلة ملعونون من اين لهم الاستغناء
عنه فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة لتاكيد معنى القلّة وهو ايمانهم ببعض ما في التّورية ولا مجال للمصدريّة
ويجوز ان يكون القلّة بمعنى العدم لعدم الاعتداد بذلك الايمان وقليلا من صفات الاحيان ولمّا جاءهم
كتاب من عند الله اي القرآن مصدّق لما معهم من الكتاب ولا يخالفه في الاصول وكانوا من قبل يستفتحون
على الّذين كفروا يستنصرون به على المشركين ويقولون اللّهمّ انصرنا بالنّبيّ المبعوث في آخر الزمان
ويقولون للمشركين قد اظلّ زمان من يجدّد نعته فاذا خرج نقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل كانوا يفتحون
على المشركين ويعرفونهم قرب زمانه والسّين للمبالغة كما في استعجب او سال بعضهم بعضا وانما صحّ وقوع
الجملة حالا عمّا قبله لما بين الكتاب والنّبيّ من الاتّصال وجواب لمّا محذوف لدلالة جواب الثاني عليه
او الثّاني تكرير للاوّل والفاء للدلالة على ان مجيئه كان عقيب الاستفتاح به فلمّا جاءهم ما عرفوا
كفروا به حسدا فلعنة الله على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة
انّما لحقتهم لكفرهم فاللّام للعهد او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليّا بئسما اشتروا به انفسهم
ما نكرة موصوفة تمييز فاعل بئس والمخصوص ان يكفروا بما انزل الله والتّعبير بالمضارع استحضار
للصّورة كما في نظايره واشتروا معناه باعوا لانّهم ظانّين خلاصها لكونهم موقنين هلاكها لا يشكّون
فضلا عن الظّنّ بوقوع النّقيض بغيا علّة اشتروا لا ان يكفروا لانّ المعنى المسوق له الكلام ذمّهم
على ايثار الكفر على الايمان معلّلا بالحسد لا ذمّ الكفر المعلّل والفصل ليس باجنبيّ لانّ المخصوص
فاعل معنى والصّفة والموصوف شيء واحد ان ينزّل الله اي حسدوه على ان ينزّل الله من فضله الّذي
هو الوحي على من يشاء من عباده واقتضت حكمته ارساله وقرا ابن كثير وابو عمرو ان ينزل الله مخفّفا
فباءوا بغضب عطف على اشتروا والجارّ والمجرور في محلّ النّصب على الحال على غضب صفته اي فصاروا
احقّاء بترادف الغضب للكفر والحسد او لكفرهم بعيسى ومحمّد عليهما السّلام وللكافرين عذاب مهين لاستكبارهم
عن اتّباع الحقّ وقيل العذاب المهين للكافرين لانّ عذاب المؤمن طهرة لذنوبه قلت لانّنا في قوله انّك
من تدخل النّار فقد اخزيته واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله كلّه قالوا نؤمن بما انزل علينا وحده ويكفرون
بما وراءه عطف على قالوا والعدول اما للتّصوير او للدلالة على استمرار كفرهم الى زمان الاخبار
او حال ان جوّز كون المضارع المثبت حالا مع الواو والوراء مصدر في الاصل مشترك بين الخلف والقدّام
لانّ التّواري يقع بكلّ منهما وهو الحقّ الضّمير لما مصدّقا لما معهم حال مؤكّدة ردّ لمقالتهم بانّ احدا لكتب
كفر بما عداه فهم كافرون بالتّورية قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين بالتّورية اذ ليس
فيها جواز قتل مؤمن فضلا عن نبيّ والخاطبون وان لم تقتلوا الّا انّهم على دين آبائهم معتقدون صواب
افعالهم اسند فعلهم اليهم ولقد جاءكم موسى بالبيّنات المعجزات الظّاهرة هي آيات التّسع ثمّ اتّخذتم
العجل الها من بعده وانتم ظالمون اي وانتم قوم دابكم الظّلم فلا يبعد منكم عبادة العجل اعتراض
او حال والغرض منه التّوبيخ اذ عبادة العجل لا يكون الّا ظلما واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطّور
خذوا ما آتيناكم بقوّة واسمعوا كرّر رفع الطّور لما نيط به من الزّيادة او لانّ الاوّل تذكير النّعمة وهذا
احتجاج عليهم في ردّ دعوى الايمان قالوا سمعنا وعصينا تفصيل لما اجمله هناك من قوله ثمّ تولّيتم
وانتم معرضون واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم يقال سيف اشرب سمّا ولون مشرب حمرة والمعنى جعلوا

لشاربين حبّ العجل نافذا في اعماقهم نفوذ الماء فيما يتغلغل وذكر القلب لبيان المحلّ بعد الاسناد الى الجملة كقوله انّما
يأكلون في بطونهم نارا او نفي الابهام والتّفسير والتّمكّن المستفاد من الظّرف وجعل العجل هو المشرب دون حبّه
ممّا لا يخفى من الفخامة قل بئس ما يأمركم به ايمانكم بالتّورية لانّه ليس في التّورية عبادة العجل وفي اسناد
الامر الى ايمانهم واضافته اليهم تهكّم استهزاء ودلالة على انّ ايمانا يدعو الى عبادة العجل ممّا
لا يليق بهم ان كنتم مؤمنين قدحا وتقديرا قل ان كانت لكم الدّار الآخرة عند الله كما تزعمون لن يدخل
الجنّة الّا من كان هودا خالصة نصب على الحال وان لم تجوّز الحال عن اسم كان فعن المستكنّ في لكم من دون
النّاس كلّهم فتمنّوا الموت ان كنتم صادقين في دعواكم لانّ من يتيقّن انّ الجنّة له ما ذا توقّفه في دار البلايا
والآفات ولن يتمنّوه ابدا بما قدّمت ايديهم من الكفر والمعاصي عن رسول الله عليه وسلّم لو تمنّوا لشرق
كلّ يهوديّ بريقه ولم يبق على وجه الارض يهوديّ وانّما اسند فعل الجملة الى اليد لانّها جناح الانسان
ومحلّ اثار قدرته وبها اكثر اعماله والله عليم بالظّالمين اي بهم وصفهم بالظّلم في الافتراء على الله
ودعوى ما ليس لهم عنده ولتجدنّهم احرص النّاس على حيوة اي حيوة متطاولة ولذلك نكره فانّي لهم
تمنّي الموت ومن الّذين اشركوا عطف على احرص النّاس معنى لانّ تقديره احرص من النّاس وانّما افرد
المشركين بالذكر لانّهم لا يقولون بالمعاد فهم في غاية الحرص على الحيوة فاذا زاد حرص اليهوديّ
الّذين يزعمون انّ لهم الجنّة من دون النّاس فقد ظهر انّهم كاذبون في ذلك الزّعم اختفاء باعظم التّوبيخ
ويجوز ان يكون ومن الّذين اشركوا كلاما مبتدأ على انّ المراد بهم اليهود لقولهم عزير ابن الله والمعنى
ومن هؤلاء اليهود اناس يودّ احدهم وعلى الاوّل استيناف لبيان زيادة حرصهم لو يعمّر الف سنة لو مصدريّة
مفعول يودّ او للتّمنّي حكاية لودادتهم وكان القياس لو اعمّر وانّما عدل عنه لئلّا يلتبس في مثل ودّ زيد لو
فعل بتمنّي فعل الحاكي وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمّر الضّمير لاحدهم وان يعمّر فاعل بمزحزحه اي وما
احد بمزحزحه من العذاب تعميره او لما دلّ عليه ان يعمّر من مصدره وان يعمّر بدل منه او مبهم فسّر ان يعمّر
والزّحزحة التّبعيد والله بصير بما يعملون وعيدهم قل من كان عدوّا لجبريل كانت اليهود تزعم انّ جبريل عدوّهم
لانّه ملك العذاب اهلك الامم السّالفة وانّ ميكائيل صديقهم لانّه موكّل بالامطار والخصب روي الشّعبي
انّ عمر بن الخطّاب كان كثيرا لدخول مدارس اليهود ويستمع الى التّورية فيري اليهود ان دخوله لميله الى
اليهوديّة فقالوا يوما قد طمعنا فيك يا ابن الخطّاب فقال والله ما ازددت بدخولي عليكم الّا بصيرة في امر
محمّد ثمّ سألوه عن الملك الّذي يجيء بالوحي على محمّد فقال جبريل فقالوا ذاك عدوّنا لو كان ميكائيل
لآمنّا به فقال عمر كيف منزلتهما عند الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال عمر رضي
الله عنه ان كان الامر كما تقولون فهما ليسا بعدوّين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوّا لاحدهما كان عدوّا
للآخر ومن كان عدوّا لهما كان عدوّا لله فجاء عمر الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقد سبقه جبريل بالوحي
قرأ حمزة والكسائي جبرئيل كسلسبيل وابن كثير كذلك الّا انّه حذف الهمزة وابو بكر كذلك الّا انّه حذف الياء
دون الهمزة والباقون بكسر الجيم والراء وحذف الهمزة على وزن قنديل وهو المختار لانّه لغة الحجاز فانّه نزّله
على قلبك الضّمير للقرآن وان لم يسبق له ذكر كانّه علم لفرط شهرته لا يذهب الوهم الى غيره جعل تفهيم جبريل ايّاه
تنزيلا على قلبه مجازا وفي على دلالة على انّ المنزل اخذ بمجامع قلبه باذن الله بارادته وتيسيره مصدّقا لما بين
يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من المفعول وجزاء الشّرط محذوف مسبّب عن المذكور اي من كان عدوّا
لجبريل فلا وجه لعداوته لانّه الّذي نزّل القرآن المصدّق لكتابه فهو حقيق بان يصادق ولا يعادى او من
كان عدوّا له فلعداوته وجه لانّه لنا في بما يكرهه ويزيل رياسته وقيل التقدير من كان عدوّا لجبريل فليمت
كمدا فانّه نزّل القرآن على قلبك من كان عدوّا لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكائيل فانّ الله عدوّ

للكافرين اي لهم والاظهار للدلالة على علة المعاداة وافراد الملكين لمزيتهما كانهما غير داخلين في الملائكة وفي
الكلام دلالة على ان عداوة كل واحد مما ذكر كفر لارتباط الجزاء به لا بالمجموع وقرا ابو عمرو وحفص
ميكال بحذف الهمزة والياء ونافع بحذف الياء والباقون باثباتهما والكل لغات ولقد انزلنا اليك آيات
بينات وما يكفر بها الا الفاسقون نزل في ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا
بآية نعرفها واللام في الفاسقون للجنس اي الكاملون في الفسق والاولى ان يكون للعهد مشارا بها الى اليهود
ليقع الحصر موقعه لان الكلام في عد كفرانهم المتناهية اولا وآخرا فالوصف بالتمرد اليق بحالهم اوكلما عاهدوا
عهدا الواو للعطف على محذوف اي اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا اذ لا مجال للعطف على الكلام
السابق نبذه فريق منهم نقضه والنبذ طرح الشيء من غير مبالاة وقيل بفريق لان بعضهم لم ينقضه ودل
بكلما على وقوعه منهم كثيرا آخرها نقض قريظة عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب بل اكثرهم لا يؤمنون
بالتورية ولا يعدون نقض العهد ذنبا وفيه دلالة على ان الموفين بالعهد هم الاقلون ولما جاءهم رسول
من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب وراء ظهورهم
كناية عن الاعراض به وعدم الاعتداد باحكامه عن الثوري ادرجوه في الحرير وحلوه حلاله ولا حرموا
حرامه وقيل كتاب الله تعالى هو القرآن والنبذ يقتضي سابقة الاخذ فالمراد الاعراض عنه بعد الزامه
اياهم ولزومهم القبول كانهم لا يعلمون لا يشكون في كونه كتاب الله ولكن شبهوا بمن لا يعلم لسلوكهم
منهج من يجهل او كانهم لا يعلمون انهم عالمون من غير شك وهذا ادل على رصانة علمهم المستفاد من الذين
اوتوا الكتاب واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان عطف على نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم
واتبعوا كتب السحر التي كانت الشياطين تقرؤنها على عهد سليمان وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون
السمع ويضمون الى ما سمعوا كذبات ويلقونها الى الكهنة فدونوها في الكتب وفشا ذلك في زمن سليمان
فنسبوه اليه وقالوا انما سخر الجن بهذا قال ابن عباس رضي الله عنه فجمع سليمان تلك الكتب ودفنها
تحت كرسيه وكان الامر على ذلك حتى مات سليمان والعلماء العارفون حال سليمان فتمثل شيطان في صورة
انسان واتى اليهود فقال هل ادلكم على كنز علم سليمان فاتى موضع الكرسي وقال احفروا هذا الموضع
فحفروا فوجدوا الصندوقا فاخرجوه واعتقدوا انه علم سليمان وفشى فيهم ان سليمان كان ساحرا فرد الله
عليهم بقوله وما كفر سليمان بعمل السحر وانما يكفر الساحر اذا اعتقد تاثيره استقلالا وانضم اليه ما هو
كفر كعبادة الكواكب والا فهو من اكبر الكبائر واما تعلمه فكذلك الا اذا دعت اليه حاجة بان فشى في ناحية
واريد تبيين فساده ورد الخلق الى الحق كتعلم الفلسفة للذب عن الدين ودفع الشبه ولكن الشياطين
كفروا باعتقاد السحر وعمله للاغواء والسحر لغة الصرف حكاه الازهري عن الفراء ويونس ولا يظهر الا على
يد فاسق شرير بمزاولة قول او فعل محرم كما ان الكرامة لا تظهر الا على يد مؤمن متق وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي ولكن مخففا والمعنى واحد يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا وما انزل على الملكين عطف على السحر
كانه نوع اقوى وقيل ما نافية عطف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة والملكان جبرئيل وميكائيل
وعلى هذا هاروت وماروت بدل بعض الشياطين ويرده قوله انما نحن فتنة فلا تكفر اذ مثله لا يقوله الشيطان
المغوي ببابل ظرف او حال هاروت وماروت بدل او عطف بيان بما ملكان انزلا ابتلاء للناس كما ابتلي
قوم طالوت بالنهر وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة ابتلاء واختبار فلا تكفر بتعلمه واعتقاد حقيته
فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
بارادته وتيسيره والسحر سبب من الاسباب ويتعلمون ما يضرهم لان علمه يجر الى العمل لان مجرد علمه لا يترتب
عليه فائدة ولا ينفعهم بوجه وما كان ضررا محضا لا يقربه عاقل ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه استبدل

كتاب الله

السحر بكتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب من الخلافة وهي الملاسة يقال للمرأة الرتقاء الخلقاء
اللام الاولى جواب القسم والثانية ابتدائية تعلق العلم عن العمل ولبئس ما شروا به انفسهم عطف على جملة القسم
وجوابه او على الجواب وعطف الانشاء على الاخبار شايع كثير لو كانوا يعلمون اثبت لهم اولا العلم على طريق التوكيد
ثم نفاه عنهم لعدم جريهم على موجب العلم ومقتضاه دلالة على ان من لم يعمل بعلمه كمن لا يعلم فان العلم بالقبح
للارتداع عن القبيح فحيث الارتداع لا نفع وما لا نفع فيه كالمعدوم وقيل المثبت اولا العقل الغريزي او العلم
الاجمالي بقبح الفعل وفيه ان الكلام مع علماء اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون
مع رصانة علمهم بما فيه ولو انهم آمنوا بمحمد عليه السلام وما انزل عليه واتقوا التحريف واتباع السحر
لمثوبة من عند الله خير اي لاثابهم الله مثوبة والعدول الى المنزل للدلالة على ثبات المثوبة لهم واستقرارها
على تقدير الايمان والتقوى وفي ذكر من عند الله خير تحريضهم وترغيب لغيرهم في الايمان والتقوى لو كانوا
يعلمون تقدم تحقيقه ويجوز حمل لو على التمني في الموضعين والمعنى انهم على حال يتلهف الناظر فيها
يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا نوع آخر من كفر اليهود وخداعهم وذلك ان المؤمنين
كانوا في مجلس التخاطب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون راعنا يا رسول الله حتى نفهم ما تقوله وكان
راعنا كلمة مسبة بالعبرانية فتنزعوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر المسلمون ان يقولوا ما يؤدي
معناه وهو انظرنا من النظر بمعنى الانتظار وروي ان سعد بن معاذ قال لهم عليكم لعنة الله لئن سمعتها من احد
منكم لاضربن عنقه فقالوا انكم تقولونها فنزلت واسمعوا كلامه باذان واعية حتى لا تحتاجوا الى تلك الكلمة
او بدلها او سماع طاعة على انه تعريض باليهود او اسمعوا ما نهيتم عنه [illegible] به بجد حتى تعودوا الى مثله
فهو تاكيد للاول والاول املاء فائدة وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
الود حب الشيء مع التمني ان ينزل عليكم من خير من ربكم من وحي من الاولى بيان والثانية لتاكيد الاستغراق
والثالثة للابتداء والله يختص برحمته بوحيه ونبوته من يشاء اختصاصه واقتضت حكمته والله ذو الفضل
العظيم حيث يخص فردا من البشر من بني نوعه بالرسالة التي لا رتبة فوقها بعد الالوهية ولذلك خاطب
سيد الرسل تارة بقوله وكان فضل الله عليك كبيرا واخرى بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ما ننسخ من آية
او ننسها من مطاعن اليهود ايضا القدح في رسالته بالنسخ يقولون يامر اليوم بحكم وغدا بما ينافيه والنسخ لغة
الازالة والنقل يقال نسخت الشمس الظل ونسخت الكتاب ومنه التناسخ ومناسخات المواريث وفي الشرع بيان
انتهاء حكم شرعي بآخر يعارضه وقيل رفع حكم شرعي والمراد رفع تعلقه والمآل واحد والنسخ قد يكون
للفظ والحكم وهو كثير وكذا نسخ الحكم وحده واما نسخ اللفظ دون المعنى فقليل ومنه الشيخ والشيخة اذا زنيا
فارجموهما جزاء بما كسبا نكالا من الله قال عمر لولا ان يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لاثبتها في المصحف لئلا
يقول احد انا لم نجده في كتاب الله الا انا قد قرأناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم والنساء التاخير في الانزال
او الاذهاب عن القلوب وقرا الكوفيون ونافع وابن عامر بضم النون وكسر السين من الانساء وهو الاذهاب
عن القلب او الامر بتركه قراءتها نات بخير منها للمكلف اما في الدنيا ان كان البدل اخف ويدخل فيه النسخ لا الى
بدل او في الاخرى ان كان اثقل او مثلها اما في الثقل او في الثواب ويشمل النسخ بالوحي المتلو وغيره ويعم
النسخ والانساء اذ لا امتناع في الاتيان بعد انساء حكم بما يكون اخف او اكثر ثوابا وقيل الخير في النسخ والمثل
في النسيء على طريقة اللف الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على النسخ والاتيان بالبدل الم تعلم ان الله له
ملك السموات والارض توضيح للاول وجار مجرى تعليله وما لكم من دون الله من ولي يتولى اموركم ولا نصير
يدفع عنكم اذا اراد بكم سوءا وفيه دلالة على انه المؤثر في الكائنات من غير واسطة ام تريدون ان تسألوا
رسولكم كما سئل موسى من قبل ام منقطعة لان قوله الم تعلم الى آخره حمل على الثقة معادلة له كانه قيل اتثقون

الفرق بين بدل النسخ وبدل الانساء ان بدل النسخ لا بد من تعلقه بالمنسوخ بخلاف الانساء فالاول كانه الدرج والثاني كما يجاب الذكون [illegible] على انكار العلاة

بعد العلم بما يوجب الوثوق ام لا وتفترحون كما اقترحت اسلاف اليهود وفيه حمل على الوثوق على ابلغ وجه
كقوله فهل انتم منتهون بعد بيان مفاسد الخمر ويجوز ان يكون منقطعة بان نزلهم منزلة من يريد السؤال
بعد بيان الصارف عنه فانكر عليهم والظاهر ان المخاطب هم المؤمنون كما في قوله يا ايها الذين آمنوا
لا تسألوا عن اشياء ولذلك ذيله بقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل دلالة
على ان اقتراح الآيات من شيم الكفار مبالغة في المنع فلا يحوم حول خواطرهم وقيل نزلت في اهل الكتاب
حين سألوه ان ينزل عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا
كتابا نقرؤه ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا نوع آخر من قبايح اليهود
بعد وقعة احد دعا احبار اليهود عمارا وحذيفة الى دينهم حملهم على ذلك ما وقع في المسلمين من بعض
الانكسار حسدا من عند انفسهم اي كاينا متبالغا من اصل نفوسهم ويجوز ان يكون متعلقا بود على معنى
انهم ودوا ذلك من قبل انفسهم لا ميلا مع الحق والاول هو الوجه لانه اقرب ولان مال الثاني اليه
ولان قوله من بعد ما تبين لهم الحق مغن عنه فاعفوا تجاوزوا من عفا الرسم اذا ذهب اثره واصفحوا اعرضوا
ولا تثربوا من صفح الوجه وهو جانبه لان المعرض يبدي اولا جانبه فهو ابلغ من العفو حتى يأتي الله
بامره هو قتل قريظة واجلاء النضير ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على الانتقام منهم ولكن اقتضت
حكمته التاخير واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا امرهم بالتقرب اليه ليكون وسيلة الى
دفع مكايدهم وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان تعميم بعد التخصيص تجدوه عند الله اي ثوابه
ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان
نصرانيا وانما لف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل قايل قوله لا من الالباس لان كل فرقة
تضلل الاخرى وافراد الاسم وجمع الخبر باعتبار لفظ من ومعناه تلك امانيهم اشارة الى جميع ما تقدم
من قوله ما يود الذين كفروا الى ما في الآية قل هاتوا برهانكم على ما تدعون متصل بقوله لن يدخل
الجنة وما بينهما اعتراض وهات اسم فعل معناه احضر ان كنتم صادقين في جعل الصدق بمنزلة الملزوم
لاقامة البرهان دلالة على ان ما لا دليل عليه لا ثبوت له فان قلت الدليل ملزوم وانتفاؤه لا يوجب
انتفاء المدلول لجواز وجود ملزوم آخر قلت مبنى الكلام على انتفاء الملزومات كلها وعدم جواز التقليد
في العقايد لما نفوه ثم ابتداء بقوله من اسلم وجهه لله اي ذاته وهو محسن مخلص في ايمانه اي من اتصف
بهذه الاوصاف كاينا من كان على طريق كلام المنصف فله اجره عند ربه كاملا من غير نقص ويجوز ان يكون
من اسلم جواب سؤال كانه قيل من يدخلها فقيل من اسلم وقوله فله اجره تتميم زيادة على دخول الجنة
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون من وقوع مكروه او فوات مطلوب وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي شيء يعتد به في امر الدين لما فرغ من قدحهم في الاسلام شرع
في قدحهم فيما بينهم والظاهر ان المراد نقل مقالتهم وقيل تناظروا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما قدم وفد نجران وهم يتلون الكتاب الواو للحال والمراد جنس الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون
الجهلة من المشركين والمعطلة مثل قولهم صفة مصدر اي قولا مثل قولهم والكاف في كذلك في محل الحال
اي قالت الجهلة مثل ما سمعت من هؤلاء على ذلك النمط فلفظ المثل دل على التماثل في المؤدى والكاف
على التوافق في الصفات ويجوز ان يكون الكاف منحة فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
بان يكذبهم ويدخلهم النار ويوفيهم ما يستحقونه من العذاب فان الحكم بين الخصمين لا يقتضي ان يكون
احدهما محقا ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه اي لا اظلم وان يذكر ثاني مفعولي منع مفعول و

المعهود نوع من عند انفسهم
لان الحسد لا يكون الا كذلك

بالثاني

اي كراهة ان يذكر وحذف ثاني مفعولي منع ليشيع في الدخول والعمارة ونحوهما فان قلت كم من ذنب اعظم
من المنع المذكور لا سيما الشرك بالله قلت اذا كان الباعث على المنع كراهة الذكر يكون المانع كافرا لا محالة
والآية واردة لبيان زيادة شناعة حال اهل الكتاب بانهم مع كونهم نافين لساير الاديان مانعون المساجد
عن ذكر الله فهم مستغرقون في الضلال قولا وفعلا واعتقادا نزلت في الروم خربوا المسجد الاقصى واحرقوا
التورية وقيل في المشركين لما صدوا رسول الله عليه السلام عام الحديبية وسعى في خرابها تعطيلها
عن الذكر او تخريب بنيانها وانما آثر الجمع والمنع من احد المسجدين لاستواء ساير المساجد في ذلك الحكم
لان السبب لا يخصص اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خايفين اي ما كان اللايق بحالهم ان يدخلوا
المساجد الا خايفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم لولا ظلمهم وعتوهم او ما كان لهم في حكم الله المسطور
في اللوح الا ذلك ففيه وعد للمسلمين بالنصر وقد وقع ذلك بحمد الله نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد نزول قوله انما المشركون نجس لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان واستخلص
الفاروق بيت المقدس من ايدي الروم اولا وصلاح الدين يوسف ثانيا في خلافة الناصر لدين الله واختلفت
الائمة في جواز دخول الكافر المسجد جوزه ابو حنيفة رحمه الله ومنعه مالك رحمه الله وفرق الشافعي
رحمه الله بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي بالقتل والسبي وضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب
عظيم لا يحيط بكنهه علم البشر ولله المشرق والمغرب خلقا وملكا مستطرد عند ذكر المساجد و
تمهيد لنفي الولد لان مكون الجهات مقدس عنها والولد من جنس الوالد فيستحيل ان يماثله ذو جهة
فاينما تولوا فثم وجه الله الوجه والجهة كالوزن والزنة مصدران نقلا الى الاسم والعرب يقول
الوجه للقصد قال شعر رب العباد اليه الوجه والعمل والمعنى ففي اي مكان فعلتم التولية
نحو القبلة فهي الجهة التي ارادها وارتضاها ولا يختص عبادته بالمساجد على ما رواه البخاري في خبر صح
جعلت لي الارض مسجدا فاي رجل ادركته الصلوة فليصل حيث كان وعن جابر نزلت في سرية صلوا
في ظلمة الليل ثم يتبينوا اخطاءهم وقيل نزلت في المسافر يصلي النفل حيث توجه وقيل نزلت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث صلى نحو بيت المقدس مدة في المدينة وفيه توطية لنسخ القبلة وعن ابن
عباس رضي الله عنه اول ما نسخ في القرآن القبلة ان الله واسع رحمته حيث سهل عليكم امر القبلة
عليم بالمصالح وقالوا اتخذ الله ولدا اي اهل الكتاب والمشركون قالت اليهود عزير بن الله والنصارى
المسيح ابن الله والمشركون الملائكة بنات الله وقرأ ابن عامر قالوا بدون الواو وعليه رسم مصحف
الشام على انه مستانف كانه قيل هل انقطع حبل مفترياتهم او امتد وقيل بل قالوا اعظم من ذلك
وتتمة للاعتراض زيادة لافراطهم في الظلم سبحانه تنزيه له عما نسب اليه بل له ما في السموات والارض
خلقا وملكا ومن جملته العزير والمسيح والملائكة كل له قانتون منقادون وما هذا شانه لا يجانس المكون
فكيف يكون ولدا وانما غلب غير اولي العقل ولا تحقيرا لشانهم لاقتضاء المقام ذلك كما عبر عن الملائكة
باسم الجنة في مثله واولوا العقل ثانيا اشارة الى ان الجمادات في الانقياد لمشيته كانها عقلاء مميزون
ففي مقام كبريائه العقلاء كالجمادات وفي مقام العبودية بالعكس بديع السموات والارض من اضافة
الصفة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه والابداع ايجاد الشيء دفعة ومنه البدعة لما لا اصل له
في الدين فهو الصق بالمقام من الصنع والتكوين وامثالهما نزهه عن الولد لان الولد جزء من الوالد
منفصل منه ومبدع الاشياء منزه عن الانفعال وفيه رد على النصارى فان من اوجد الاكوان من غير
مادة ايجاد مولود من غير اب لا يستبعد منه واذا قضى امرا اراد تكوينه والتعبير بالقضاء للدلالة
على التمام واللزوم فهو اخص من الارادة فانما يقول له كن فيكون شبه الحالة المقصودة من تعلق ارادته

اوله
استغفر الله ذنبا لست محصيه

بالمكونات وسرعة ايجاده بلا ريث ولا توقف على اسباب ومواد وروية بامر آمر نافذ التصرف في المامور
المطيع الذي لا يتوقف في الامتثال فاستعمل فيها ما حقه ان يستعمل في ذلك ولا قول هناك ولا امر وقيل
بل جرت السنة الالهية بان يكون الاشياء بكلمة كن والمامور هو الحاضر في العلم لان وجودات الاشياء
في العلم الازلي تعينات والمامور به الدخول في الوجود بمقتضى الارادة وفي الكلام ترق اذ هذا الشان
اقوى في الابداع من كونه بديع السموات والارض وقرا ابن عامر كن فيكون بالنصب على الجواب
لفظا وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله اي المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله طلبوا
ان يكلمهم الله كفاحا او تاتينا آية لعدم اعتدادهم بالقرآن وساير المعجزات كذلك قال الذين
من قبلهم من الامم السالفة مثل قولهم مثل قول هؤلاء قالت اليهود ارنا الله جهرة وقالت النصارى
هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم في الكفر والعناد قد بينا الآيات
لقوم يوقنون ايقانا خاليا عن الكفر لان الايقان المجرد عن الاذعان والقبول ليس من الايمان في
شيء لقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم انا ارسلناك بالحق ملتبسا به حال مؤكدة لان الارسال
من الله لا يكون الا كذلك بشيرا بالجنة لمن آمن ونذيرا من النار لمن كفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم
لم لم يؤمنوا عبر باصحاب الجحيم اشارة الى انهم مخلوقون لها فلذلك لم ينجع الانذار وقرا نافع ولا تسأل
على الخطاب اما لان حالهم في الفظاعة بلغت حدا توحش السامع او المتكلم من التكلم بها او لما روي
القرضي وابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال ليت شعري ما فعل ابواي اي على ما انتهى امرهما
فنزلت والاول هو الوجه لقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اقناط له
عن اتباعهم اياه فانه كان يلاطف معهم رجاء ان يتبعوه او صرحوا بذلك فحكى الله كلامهم يؤيده
قوله قل ان هدى الله هو الهدى فانه يقتضي سابقة قول منهم اي دين الاسلام هو الهدى الذي
يجب اتباعه لا الهوى الذي تدعون اليه وعبر عن الاسلام بهدى الله لوقوعه في مقابلة هواهم ولئن اتبعت
اهواءهم جمع هوى وهو راي يتبع الشهوة وميل اللذة بعد الذي جاءك من العلم ببطلان ما هم فيه
او من الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي يتولى امورك ولا نصير يدفع عقابه عنك الذين
آتيناهم الكتاب المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام يتلونه حق تلاوته من غير تحريف وتبديل تعريض بالمحرفين
خبرا وحال مقدرة والخبر اولئك يؤمنون به بكتابه ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم من الى
ما ذكر اولا من اشترائهم الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين خاطبهم اولا من بين بني آدم وحثهم على اتباع من هو رحمة للعالمين فانقسموا الى مقبل
ومعرض ثم خاطبهم ثانيا خطابا شاملا للفريقين تحبيرا لمن اهتدى وتخييرا لمن كذب وابى فليس التكرير
لمجرد التقرير مع ما فيه من حسن التخلص الى ذكر جدهم قدوة الموحدين على وجه يؤكد ما ندبوا اليه واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون تقدم تفسيره
وانما ذكر القبول مع العدل والنفع مع الشفاعة عكس الاول تفننا واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات الابتلاء
والبلاء بمعنى الامتحان يتضمن امرين تعرف ما يجهل من حال الشيء وظهور جودته ورداءته فقد يقصدان
وقد يقصد احدهما والاول محال في حقه تعالى فتعين الثاني وقيل ابتلاه اصابه بالبلاء
والمكروه لان التكاليف شاقة على النفس وهو عائد الى الاول مع استهجان اطلاق لفظ البلاء والمكروه
على اوامر الله والعامل في اذ اذكر او اذ ابتلاه كان كيت وكيت او قال اني جاعلك والكلمات الاحكام
كقوله وصدقت بكلمات ربها عن ابن عباس رضي الله عنه هي عشرة خمسة في الرأس قص الشارب
والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمسة في البدن تقليم الاظفار ونتف الابط

وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء روى مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة الا ان في روايتها اعفاء اللحية بدل الفرق وغسل البراجم بدل الختان
وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الكلمات انها ثلثون سهما من خصال الايمان عشر في براءة
التائبون الى آخر الآية وعشر في الاحزاب ان المسلمين الى آخر الصفات وعشر في اول قد افلح المؤمنون
وعن الحسن ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والهجرة والالقاء في النار وذبح الولد وقيل ابتلاه بالمناسك
فاتمهن قام بها على الوجه الاكمل وابراهيم الذي وفى قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمر
عامل اذ وان جعل هو العامل فالواو داخلة عليه تقديرا من عطف القصة على القصة المعادة اجمالا
بقوله يا بني اسرائيل اذكروا ويجوز ان يكون بيانا على الوجه الاول فيراد بالكلمات الامور الاربعة وهي الامامة
وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل الكل والامام فعال بمعنى المفعول اسم لمن يؤتم به كالازار
قال ومن ذريتي عطف على الضمير المجرور لان الاضافة اللفظية في تقدير الانفصال اي وجاعل ذريتي
الامامة ايضا اخرجه في صورة الاخبار اهتماما بوقوعه وتفاديا عن صورة الامر خطابا لمن تعالى شانه
فهو كعطف التلقين في قولك وزيدا لمن قال سأكرمك يجعل نفسك نائبا عن المتكلم وفيه من الاختصار والحسن
ما يروق كل ناظر وانما لم يسأل الكل ذريته لعلمه بان بعضهم لا يؤمن قال لا ينال عهدي الظالمين
اجابة الى سؤاله وابرز ما اشار اليه في السؤال من البعضية اي انما ينالها من كان عادلا كقولك لا يرث
مني اجنبي لمن قال اوص لبنيك والآية دلت على ان الظلم الموجود مانع واما ان الطارئ يبطل الامامة
فلا ولا دلالة فيه على عصمة الانبياء قبل النبوة لان الفاسق بعد التوبة صالح للامامة واذ جعلنا البيت
علم بالغلبة للكعبة الشريفة مثابة للناس مرجعا من ثاب رجع اي يثوب الزائرون اليه اما باعيانهم
او بامثالهم لان الزائر ربما لا يثوب واللام للجنس وانما اسند اليه لاتحاد الكل في الاسلام والقصد الى الحج
والاعتمار وقيل للاستغراق والمراد الكمل والاشراف وامنا اي ذا امن او نفس امن وصفا بالمصدر مبالغة
والامن للساكن اما في الدنيا فلان الناس يتخطفون حوله او لان الجاني اذا التجأ اليه لا يتعرض له كما ذهب
اليه ابو حنيفة او في الآخرة لان الحج يجب ما قبله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى خطاب لامة محمد عليه السلام
بتقدير القول والامر للاستحباب وايثار الاشرف لان الفرض لا يختص بمكان اجماعا وللحديث المستفيض كما
تقدم في قوله فاينما تولوا فثم وجه الله روى البخاري عن انس بن مالك عن عمر رضي الله عنهم وافقني ربي
في ثلث قلت يا رسول الله لو اتخذنا مقام ابراهيم مصلى فنزلت وقلت لو امرت نساءك بالحجاب فنزلت آية
الحجاب وقلت لنسائه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا فنزلت ومقام ابرهيم هو الحجر الذي قام عليه
حين بنى البيت فغاصت رجله فيه فالمعنى عند مقامه وكان عند الحائط فنقل الى المقام الذي الآن به لئلا
يشق على الطائفين ولما وقع سيل الجحاف وذهب السيل بالمقام الى اسفل مكة سأل عمر المطلب بن ابي وداعة عن
مكانه وكان قد قاس من البيت الى مكانه بخيط مخافة مثله فدل على المكان الذي الآن به وضرب عليه عمر سدا
لئلا يصل اليه السيل وقيل مقامه الحرم كله فالامر بالتوجه اليه للاتفاق عند من اكتفى بالجهة وقرا نافع وابن
عامر واتخذوا بالفتح ماضيا والكسر آكد وادل على المشروعية وقرا ابن عامر ابراهام بالالف في احدى الروايتين
وعليه رسم مصحف الشام وهو اصله في السريانية والياء بعد التعريب وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي
للطائفين اي امرناهما امرا مؤكدا بتطهير البيت من الانجاس والاقذار ان مصدرية او مفسرة والعاكفين المجاورين
المقيمين فيه او الواقفين فيه للصلوة لقوله والقائمين او المعتكفين وهذا هو الوجه لشموله اصناف العباد
لما روي ان الله تعالى ينزل كل يوم مائة وعشرين رحمة ستين للطائفين واربعين للمصلين وعشرين للعاكفين
والركع السجود فان قلت تطهير البيت واجب سواء كان فيه احد المذكورين او لا فما وجه تقييد التطهير بهم

قلت وجهه الامتنان علي هولاء بان مثل ابرهيم في رفعة شانه امر بتطهير مكان عبادتهم فان قلت لم لم يعطف
السجود علي الركع كما عطفا لعاكف علي الطايف قلت لانهما عبارة عن المصلي لعدم مشروعية الركوع عبادة
واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا اي اهله فان قلت لم جاء في سورة ابرهيم معرفا عكس ما هنا قلت ذا لك
سابق نزولا اشار به الي الحاضر في الذهن قبل كينونته بلدا وهذا انما قاله بعد ما صار بلدا فالمسؤل اولا صلوحه
للسكني بالامن في اكثر الاحوال كساير البلاد وثانيا ازالة خوف يعتري البلاد الامنه او الاستدامة
واحدهما امن الدنيا والاخر امن الاخرة وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قاس الرزق
علي الامامة قال ومن كفر عطف علي من امن عطف تلقين كانه قال قل ومن كفر فانك مجاب وليس شان الامامة
ويجوز عطفه علي مقدر اي ارزق من امن ومن كفر بلفظ الخبر وان يكون من كفر مبتداء فامتعه خبره اي فانا
امتعه قليلا والفاء لما في المبتداء من معني الشرط والكفر سبب لقلة التمتيع وقراء نافع وابن عامر فامتعه من امتعه
والتشديد ابلغ واشهر ثم اضطره الي عذاب النار الزه اليه لا يجد الي غيره سبيلا ثم للتراخي رتبه اذ لا فاصله
بين زوال التمتيع ودخول النار لان قبر الكافر حفرة من حفر النيران وبئس المصير المخصوص محذوف اي النار
او مصيرهم واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل انزل الله لادم البيت المعمور ياقوتة حمراء الي موضع
البيت وحج اليه ادم من الهند اربعين حجة وكان باقيا الي زمن الطوفان فرفع وكان مكانه رابية يذهب السيل
من حواليه الي ان امر الله تعالي ابرهيم ببناء بيت علي تلك الرابية والمضارع حكاية حال ماضيه والقواعد جمع قاعدة
وهي اساس جرت مجري الاسماء ومعني رفع الاساس رفع البناء عليه من باب جري النهر والجمع باعتبار الاجزاء
كان كل جزء اساس وسافات البناء من الحجر والطين لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع البناء وانما لم يضف
القواعد الي البيت مع كونه اخصر ايثارا للابهام والتفسير تفخيما لشان المبين روي الترمذي والنسائي ان البناء
الي موضع الحجر جاء جبرئيل بالحجر الاسود وهو اشد بياضا من الثلج فسوده خطايا بني ادم وانما اخر ذكر اسمعيل
عن رفع القواعد لانه كان معينا وابرهيم هو الباني ربنا تقبل منا بتقدير القول انك انت السميع لدعائنا
العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين او منقادين من اسلم انقاد والمعني زدنا اخلاصا وانقيادا ومن
ذريتنا امة مسلمة لك بعض ذريتنا ويجوز ان يكون من بيانا وانما دعوا للذرية لانهم احق بالشفقة واولي
بالرعاية الاتري الي قوله قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اراد امة محمد عليه السلام وارنا مناسكنا متعبدا تنا
والنسك في الاصل غاية العبادة ثم غلب علي اعمال الحج وقرا ابن كثير وابو عمرو في رواية السوسي بسكون الراء
لثقل الكسرة علي الراء والدوري عنه باختلاس الكسرة جمعا بين التخفيف وابقاء الحركة لانها حركة الهمزة
المنقوله وهذا هو المختار للتوسط وتب علينا ما فرط منا او استتابة لذريتهما انك انت التواب قابل التوب
الرحيم تبدل سيئات التايب حسنات ربنا وابعث فيهم في الامة رسولا منهم من قومهم هو رسول الله اذ لم يبعث
من ذرية اسمعيل نبي غيره روي الامام احمد عن عرباض بن سارية وابي امامة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال انا دعوة ابرهيم وبشري عيسي ورويا امي راءت امي انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام وكان
في ذلك اشارة الي بقاء شرعه بالشام الي اخر الدهر ولذلك هنا ينزل عيسي ويهلك الدجال يتلو عليهم اياتك
دلايل وحدانيتك وكمال ذاتك وصفاتك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة المعارف اصولا وفروعا وانما اخر
في الاية التلاوة اشارة الي ظهورها وانها غنية عن التفهيم ويزكيهم يطهرهم عن اوضار الشرك والمعاصي
او يوم القيمة حين يشهدون علي الامم انك انت العزيز الغالب لا يعجزك مراد الحكيم الذي لا يفعل الا ما اقتضته
الحكمة ومن يرغب عن ملة ابرهيم انكار لان يكون عاقل راغبا عن ملته لانها في الحسن اوضح من كل واضح
والملة من امللت الكتاب جمعته او مللت الطريق سلكته ترادف الدين والشريعة واكثر ما يستعمل في الاصول ولذلك
يقال ملة الانبياء واحدة ولا تضاف الي الله فلا يقال ملة الله بخلاف الشرع والدين الا من سفه نفسه

السافر بالفاء كل عرق من البناء
ذكره الجوهري

لما ارتفع

بدل لان من يرغب غير موجب ويجوز النصب اي استخفها واذلها متعد بنفسه وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمض
الناس وقيل تمييز وان كان معرفة علي الشذوذ كغبن رايه وقول نابغة الذبياني اجب الظهر ليس له سنام او بنزع
الخافض وعن الزجاج ضمن معني جهل والمعني لا يرغب عن ملته الا من جهل نفسه وهو معني حسن لدلالته علي جلاء
ملته وفايق حسنها فلا يتوجه القول بان الجاهل قد يعذر ولقد اصطفيناه في الدنيا بالرسالة جواب قسم محذوف
وانه في الاخرة لمن الصالحين مند رجا في زمرتهم والصلاح وصف جامع لمعني الاستقامة مع الله وعباده وقيل انما
وصف بالصلاح ترغيبا فيه لانه مما توصف به مثله ومن كان حاله في الدارين هذا فالراغب عن طريقه سفيه اذ قال
له ربه اسلم ظرف للاصطفاء اراد انه منذ تميز كان مصطفي من حداثة سنه الي ان فارق الدنيا او اسلم ازدد
اخلاصا كقوله يا ايها النبي اتق الله او نصب باذكر اي اذكر ذلك الوقت وجوابه ليظهر انه المصطفي الذي
لا يرغب عن ملته ويجوز ان يكون متعلقا بقال وعدم العاطف للدلالة علي مبادرته كانه مع الامر به قال
اسلمت لرب العالمين دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمه ومهاجرا فاسلم سلمة وابي مهاجر فنزلت ووصي بها ابرهيم
بنيه عطف قصة علي اخري والضمير للملة او عطف علي قال اسلمت والضمير لقوله اسلمت باعتبار الكلمة والمعني وصي
بنيه بان يقول كل منهم اسلمت والاول هو الوجه ولذلك اتي بالمظهر وعطف عليه يعقوب والتوصية التقدم الي
الغير بفعل فيه صلاح واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله وقراء نافع وابن عامر اوصي وعليه
رسم مصحف الشام والمدينة والتشديد ابلغ ويعقوب عطف علي ابرهيم اي وصي هو ايضا بنيه يا بني بتقدير القول
عند البصرية وعند الكوفيين يتعلق بوصي لما فيه من معني القول ان الله اصطفي لكم الدين اي وفقكم للاخذ
بصفوة الاديان وهو الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون النهي راجع الي القيد لان الموت لا اختيار فيه
والمعني لا يكن حدوث الموت الضروري الا في حال اسلامكم كقولك للمسيئ في صلوته لا تصل الا وانت خاشع اشارة
الي ان الصلوة بلا خشوع كلا صلوة ومعناه ان الموت علي غير الاسلام موت لا خير فيه ام كنتم شهداء اذ حضر
يعقوب الموت ام منقطعة للاضراب عن الكلام الاول والاخذ فيما سواه والخطاب للمؤمنين وذلك انه لما حث
علي اتباع ملة ابراهيم وبين حاله وحال يعقوب في التوحيد والاهتمام به انكر ان يكونوا شاهدين لتلك الاحوال
وانما حصل لهم العلم بها سماعا ممن لا ينطق عن الهوي فكان حقيقا بالاتباع او لليهود حيث زعموا انه لم يمت
بنيه الا علي اليهودية علي ان الاستفهام للتقرير اي اسلافكم كانوا حاضرين حتي وصي يعقوب بنيه بالتوحيد
وقد تواتر ذلك بينكم فكيف تدعون عليه اليهودية او علي ان الانكار قد تم عند قوله ما تعبدون من بعدي و
قوله قالوا نعبد بيان لفساد دعويهم ويجوز ان يكون ام متصلة اي اتدعون علي الانبياء اليهودية ام كان اسلافكم
حاضرين وصية بنيه والغرض تبكيتهم لاعترافهم بالثاني اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي بعد موتي
ما عام في العقلاء وغيرهم عند الابهام سواء كان للاستفهام او غيره فاذا علم لشي خص من بذوي العلم وما بغيرهم
ويجوز ان يحمل ما في الاية علي الصفة اي ما نعت ما تعبدونه قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحاق
عد اسمعيل من الاباء تغليبا وفي الحديث عم المرء صنو ابيه اي عديله وقايم مقامه عند فقده الها واحدا بدل من الهك
لكونه موصوفا مثل ناصية خاطئة وفايدته دفع توهم التعدد الناشي من العطف كما في غلامك وغلام زيد ويجوز
نصبه علي الاختصاص ونحن له مسلمون منقادون حال من الفاعل او المفعول او عطف علي نعبد والعدول الي الاسمية
افادة لكلا نوعي الاستمرار او اعتراض يؤكد امر العبادة تلك امة المذكورون انفا قد خلت لها ما كسبت من التوحيد
والاعمال ولكم ما كسبتم لا ينجيكم وفي الحديث ادم من تراب والناس من ادم لا فضل لعربي علي عجمي ومن
بطي به عمله لم يسرع به نسبه ولا تسألون عما كانوا يعملون فضلا عن المواخذة به او التواب وقالوا كونوا
هودا او نصاري او للتنويع اي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصاري كونوا نصاري تهتدوا قل بل ملة ابرهيم
اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او نتبع ملته حنيفا مايلا من الباطل الي الحق قال حنيفا دينا عن كل دين

قائله صاحب الكشف

فكم

فاخذ

اوله
ولكنا خلقنا اذخلقنا

والحنف بفتح النون ميل في اليدين والرجلين وانتصابه على الحال من المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل
اخوانا وانما يحسن اذا جاز وقوعه موقع المضاف كما في المثالين بخلاف قولك ضربت غلام هند جالسة والعامل
فيه هو العامل في المضاف وما كان من المشركين تعريض لمن يدعي انه على ملته وهو مشرك كاليهود والنصارى
وعبدة الاوثان قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين بمنزلة البدل او البيان لقوله قل بل ملة ابرهيم لان المراد
به هو وامته والاولى ان يكون لاهل الكتاب القائلين كونوا هودا او نصارى ليتلائم الكلام كانه قيل قل في
جوابهم اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا اي القرآن لانهم امة الدعوة او لان النبي هو القائل بل
فحكى الله تعالى كلامه ولو حكى كلامهم لقيل وما انزل اليكم وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
الصحف وان نزلت على ابرهيم الا انا ولاده واحفاده كانوا متعبدين بها كتعبدنا بالقرآن الاسباط جمع سبط وهو
ولد الولد واصله الاسترسال والامتداد فقال شعر وجاءت به سبط العظام كانما عمامته فوق الرجال لواء
سمي به الحافد لانه امتداد في الفرع وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل غير الاسلوب ايماء لابانة
عظم شان الكتابين ولم يعد الموصول مع عيسى لان اكثر احكامه بالتورية فكان ما اوتي موسى اوتيه ايضا وما
اوتي النبيون المذكورون وغيرهم والنزول لا يكون الا من فوق فيستعمل بعلى وبالى لملاحظة معنى الوصول
من ربهم لا نفرق بين احد منهم في النبوة وان تفاوتوا رتبة وانما دخل بين على احد لانه اسم لمن يخاطب
يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع وليس ذلك لوقوعه في سياق النفي الا يرى الى عدم استقامة قولك
لا نفرق بين رسول ونحن له مسلمون منقادون بالجوارح والاعمال فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا اتى الكلام
على الفرض تبكيتا لان دين الحق واحد لا مثل له فاذا رجعوا الى انفسهم هجم بهم الفكر الى ان ذلك منحصر فيما
آمن به المؤمنون وقيل الباء للاستعانة اي وجدوا الايمان واحدثوه بواسطة شهادتكم قولا واعتقادا
وقد يقال بزيادة الباء والمثل على ان ما مصدرية فان قلت اذا كان الخطاب في قوله قولوا آمنا لاهل الكتاب
فما وجه قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به قلت تقديره قل لهم اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا
فان آمنوا بمثل ما آمنت به انت واصحابك فقد اهتدوا وان تولوا اعرضوا عما عرضت عليهم فانما هم في شقاق
ما هم الا في شق والايمان في شق آخر ولبسوا وعدوا من طلب الحق في شيء فسيكفيكهم الله امرهم لا محالة
وان تاخر وهو السميع العليم يسمع اقوالكم ويعلم نياتكم وعد ووعيد صبغة الله مصدر مؤكد لنفسه لكونه
مضمون جملة لا محتمل لها غيره وهي آمنا اي طهرنا الله تطهيرا لا مثل تطهيركم كانت النصارى تغمس اولادها
في المعمودية ويقولون الآن صار نصرانيا حقا وهي ماء اصفر فاطلاق الصبغ على طريقة المشاكلة الحالية
واختصاصه بالنصارى مع ان الخطاب لهم ولليهود لوقوعه بينهم او الاستعارة لان الايمان حلية
المؤمن او لظهور اثره عليه ظهور الصبغ على المصبوغ او لانه اشرب قلبه اشراب الصبغ الثوب وامر
المسلمين ان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا ومن احسن من الله صبغة لا احسن منه لانه يصبغ
بالايمان الذي لا ينمحي اثره سرمدا ونحن له عابدون عطف على آمنا ومن جعل صبغة الله نصبا على البدل
من ملة ابرهيم او على الاغراء اي الزموا صبغة جعله اعتراضا تعريضا بمن اشرك في عبادته لئلا يقع الفصل
بين المعطوف والمعطوف عليه بالاجنبي والعطف على فعل الاغراء بتقدير القول اي الزموا وقولوا نحن
له عابدون تكلف واضمار بلا دليل قل اتحاجوننا في الله في شانه وايثاره نبيا من العرب كانوا يزعمون
ان ابرهيم سال الله ان يكون النبوة في اولاد اسحق والملك في اولاد اسمعيل وهو ربنا وربكم الناس في ذلك
سواء ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فقد استوينا فطرة واكتسابا فلم يبق الا فضل الله ورحمته لمن يشاء من عباده
ونحن له مخلصون الايمان والطاعة دونكم فنحن اولى واكثر قابلية والاخلاص افراد الشيء عما يشوبه والمراد
العمل لوجه الله وقد روعي في الفواصل اسلوب الترقي ذكر اولا الاسلام وثانيا العبادة وثالثا

الاخلاص ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى اضراب عن الخطاب
في اتحاجوننا وام منقطعة لانكار هذا القول عليهم وقرأ حمزة وابن عامر والكسائي وحفص بالخطاب على ان
ام متصلة معادلة للهمزة اتحاجوننا وهذا ابلغ لدلالته على ان كل واحد من الامرين منكر فكيف وقد اجتمعا
كقولك لمن اخطا رايا ومقالا اتبديك ام تقريرك وكذا ان جعلت منقطعة قل أانتم اعلم ام الله وقد نفى
مما تنسبون اليهم ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله الظرفان مستقران صفتا شهادة والمعنى لا اظلم
من اهل الكتاب حيث كتموا شهادة الله لابرهيم بالحنيفية في التورية والانجيل فقد ضموا الى الكتمان التكذيب
وفيه تقرير لما انكر عليهم من الادعاء وتعريض بهم في كتمانهم شهادة الله لمحمد في كتابهم او المعنى لو
كتمنا معشر المسلمين شهادة الله له لكنا اظلم الناس والماضي في الاول على اصله وفي الثاني للتعريض كما
في لئن اشركت وما الله بغافل عما يعملون وعيد لهم تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون
عما كانوا يعملون خطاب للمؤمنين تحذيرا عن التاسي بهم كرره للتاكيد والتقرير وخاتمة للشروع في مشرع
آخر وقيل الاول اريد به الانبياء والثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم
الخفاف الاحلام المنهمكون في التقليد وهم اليهود لانهم كانوا يودون موافقته او المنافقون لانهم وجدوا
موضع الطعن او المشركون قالوا سيعود الى دين آبائه كما رجع الى القبلة وانما اخبر به قبل الوقوع
ليتوطن نفسه ويتلقى المكروه بصدر رحيب ويستحضر الجواب قبل الحاجة ليكون اثبت عند الحجاج وفي المثل
قبل الرمي يراش السهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اي شيء صرفهم عن بيت المقدس والقبلة الجهة
التي يستقبلها الانسان غلبت على الجهة التي يتوجه اليها المصلي او المكان قل لله المشرق والمغرب
فاي مكان وجهة شرعه كان قبلة لان مدار حسن الاشياء وقبحها امره ونهيه يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم الى ما اقتضته حكمته ومنه التوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي جعلناكم امة وسطا هذا الجعل البديع الذي تشاهدونه فالاشارة الى الجعل
المدلول عليه بالفعل والكاف مقحمة تفخيما ولذلك امتد بما وضع لبعد المشار اليه وقيل المعنى على التشبيه
اي كما جعلناكم مهديين جعلنا قبلتكم اشرف القبل والوسط مركز الدائرة وبالسكون ما بين الاطراف
من الاماكن المبهمة ولذلك تقول جلست في وسط الدار في الاول وجلست وسط في الثاني ثم اطلق على
كل حسن لكونه بين الافراط والتفريط حتى صار مثلا خير الامور الوسط والمفرد والجمع فيه سواء اي جعلناكم
خيارا او عدولا لان الوسط عدل لتساوي نسبة الاطراف اليه لتكونوا شهداء على الناس يوم القيمة ويكون
الرسول عليكم شهيدا روى البخاري وغيره ان الامم المكذبة ينكرون تبليغ الرسل فيستشهد الرسل بامة محمد
عليه السلام فيقول الامم من اين علمتم وانتم لم تكونوا موجودين فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه
المنزل على نبينا فيؤتى برسول الله مزكيا لهم فيشهد بصدقهم وانما عدي شهادته بعلى مع انها لهم لا عليهم
لتضمين معنى المراقبة لاشتراط كون المزكي وفي ذلك غاية مدح لهم وقدمت الصلة لاختصاص شهادته بهم
ولا يقدح في ذلك كونه شاهدا للرسل ايضا لان هذه تزكية وتلك شهادة تبليغ على ان الحصر اضافي لان التقابل
بين الامم لا بين امته والرسل وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها ثاني مفعولي
جعل وهي الكعبة فانه كان قبل الهجرة يستقبلها او بيت المقدس لانه توجه اليه بعد الهجرة سبعة عشر شهرا
فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اي ما
رددناك الى قبلتك الاولى الا امتحانا وتمييزا بين الصادق في اسلامه الثابت وبين الناكص المتزلزل
او ما جعلنا بيت المقدس قبلتك الا لامر عارض وهو الامتحان والا فاصل شانك ان يكون الكعبة قبلتك لانها
اشرف الاماكن وانت اشرف الرسل وبناء جدك وقبلته وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت

المقدس لا انه كان يجعل البيت بينه وبين بيت المقدس وانما قال لنعلم ولم يزل عالما ارادة علم يتعلق به الجزاء واراد علم الرسول والمؤمنين اسنده الي ذاته تجوزا لانهم خواصه واهل الزلفى عنده او اراد التمييز لان العلم سببه او هو من باب التمثيل مصورا احاله بحال من يريد ان يعلم وان كانت لكبيرة التحويلة والجملة ان مخففة واللام هي الفارقة وقيل اللام عوض عن اسمها وفارقة بينها وبين المشددة وهو سهو وكذا جعل الضمير للصلوة الا علي الذين هدي الله الي الصواب وما كان الله ليضيع ايمانكم صلوتكم قبل تحويل القبلة روي البخاري عن البراء قالوا كيف باخواننا الذين ماتوا قبل التحويل فنزلت وقيل ثباتكم وعدتكم لكم ان الله بالناس لرؤف رحيم الرأفة شدة الرحمة فذكرها بعدها تتميم وقيل للفواصل وفيه انه مطرد حيث وقع وقرء ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر بالقصر علي انه صفة مشبهة وهو ابلغ لدلالته علي اللزوم قد نرى تقلب وجهك في السماء تردده في جهة السماء تطلعا للوحي كان يتوقع ان يوجه الي الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الي الاتباع ولئلا يظن اليهود اتباعه اياهم فلنولينك قبلة ترضاها نجعلنك واليا متمكنا من استقبالها او تلي سمتها دون سمت بيت المقدس فول وجهك شطر المسجد الحرام الشطر في الاصل ما انفصل من الشئ واكثر ما يستعمل في النصف كما في الحديث الطهور شطر الايمان وتقعد احديكن شطر دهرها لا تصلي وليس في ذكر المسجد دلالة علي ان الجهة كافية للبعيد كما ذهب اليه ابو حنيفه ومالك والشافعي رحمهم الله لانهم لا يريدون بالجهة المسجد الحرام بل تدل علي عكسه لان مستقبل الكعبة كالخطوط المستقيمة من محيط الدايرة الي المركز وان كانت وسع دايرة تتصور والتكليف بحسب الامكان فان امكن اصابة العين يقينا كداخل المسجد فذاك والا فظنا ولا حرج في ذلك فلا يرد التوجه الي طرف الدايرة ولا الصف المستطيل لانه اما ظان للاصابة اولا فعلي الاول مصيب وعلي الثاني لم يات بما كلف روي البخاري ومسلم عن ابن عمر وبينا الناس يصلون صلوة الصبح في مسجد قباء اذ جاء رجل فقال ان رسول الله انزل عليه القران بالتوجه الي الكعبة وكانوا في الركوع فداروا كما هم قبل البيت واستدل به علي قبول خبر الواحد وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خصه بالذكر قضاء لوطره لمهم ثم عمم لئلا يظن انه من خواص البلد او من خواصه دون امته وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم لانه في السالفة ان المبشر به يصلي الي القبلتين لا لعلمهم بان عادة الله تخصيص كل شريعة بقبلة اذ لا دليل علي ذلك كيف والقبلة منحصرة في الكعبة وبيت المقدس في الشرايع كلها وما الله بغافل عما تعملون وعيد لاهل الكتاب وقرء ابن عامر وحمزة والكسائي بالخطاب للمؤمنين والغيبة احسن لان الكلام في معاند اهل الكتاب بعد علمهم ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية اقناط له عن ايمانهم واشارة الي انهم الذين طبع الله علي قلوبهم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المحذوف الدال الموطئة وساد مسد جواب الشرط ايضا وما انت بتابع قبلتهم عطف علي القسمية لا علي الجواب وايثار الاسمية للدوام لا طماعهم فان اليهود ارادوا خداعه وقالوا لو ثبت علي قبلته كنا نرجو ان يكون الموعود المبشر به وما بعضهم بتابع قبلة بعض اي اهل الكتاب يخالف بعضهم بعضا في القبلة ايضا فان اليهود يصلي الي الغرب والنصارى الي الشرق ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم كلام وارد علي سبيل الفرض بعد ما اخبر بكونه غير تابع لهم حسما لمادة اطماعهم مع الاشارة الي فظاعة حال المخالف لا تباعه هواه وفيه مبالغة من نيف وعشرة اوجه انك اذا لمن الظالمين الداخلين في زمرتهم الموسومين بسمتهم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الضمير لرسول الله صلي الله عليه وسلم متصل بقوله وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم ولابتناء علمهم هذا علي العلم بانه يصلي الي القبلتين وقيل الضمير للتحويل او القران او العلم ويؤيد الاول ما روي ان عبد الله بن سلام قال لعمر اني اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني

في احد قوليه

وما قيل ان رسول الله صلعم كان في الصلوة فسهو

الكتب

لم اشك فيه وابني ربما خانت امه فقبل عمر رأسه فان قلت طريقة التشبيه يدل علي ان معرفتهم بالابناء اقوي فما وجه قول عبد الله قلت اراد عبد الله ان بنوته قطعية والولد لظاهر الفراش وما في الاية بالنظر الي الظاهر فان كونه ابنا له مشاهد والنبوة نظرية وان فريقا منهم ليكتمون الحق الضمير للعارفين قسمهم الي مذعن ومعاند فدل علي ان المعرفة ليس بايمان وهم يعلمون تاكيد للذم لان الجاهل ربما يعذر الحق خبر مبتداء اي ما جاءك من العلم او الذي يكتمونه الحق واللام للجنس كما في ذلك الكتاب من ربك خبر بعد خبر او حال او الحق مبتداء ومن ذلك خبره واللام للعهد اشارة الي ما جاء به رسول الله او الي الذي يكتمونه واللام للجنس كما في الحمد لله فلا تكونن من الممترين الخطاب عام او للرسول والمراد امته اشارة الي ان من كان مومنا به امتراؤه كامترائه والمراد تثبيته علي اليقين ولكل وجهة هو موليها الضمير لكل والمفعول محذوف اي وجهه او لله والمحذوف ضمير كل اي الله موليها اياه والمعني لكل ملة من الملل جهة يتوجهون اليها ولكل واحد منكم يا امة محمد جهة يتوجه اليها من شمال وجنوب وغيرهما وقرا ابن عامر موليها بفتح اللام فالضمير لكل لا غير فاستبقوا الخيرات كلها من امر القبلة وغيره وقيل امروا بالسابق الي الجهات الفاضلة وهي المسامتة للكعبة واذا امروا بسبق بعضهم بعضا فسبق غيرهم اولى اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا يا اهل الاديان او يا امة محمد والاول اوجه لان الكلام في اهل الملل واختلافهم علي منوال قوله ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ان الله علي كل شئ قدير فهو قادر علي الاتيان بكم بعد التشتت وتفرق الاجزاء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام من اي مكان خرجت للسفر وانه للحق من ربك الامر بالتوجه وما الله بغافل عما يعملون وعيد لمن ترك التوجه من اليهود كما اوعد اولا علي الكتمان وقرء ابو عمرو يعملون بالغيب والاول اوجه ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ذكر الامر بالتولية ثلث مرات لان امر القبلة من عظايم الامور ومظان الاشتباه فهو حقيق بالتقرير والتحرير اثر تقرير وتحرير ولانه نيط بالاخر ففي الاول تكريم الرسول بالاجابة الي مبتغاه مدمجا فيه وجوبه علي كل ملل مع التصريح بسفه اليهود وفي الثاني بيان حكم السفر حيث كان لئلا يظن اختصاصه بالمدينة او بالمقيمين وخصه بالخطاب لانه سيد القوم وامام الكل واردفه بوعيد المخالف وفي الثالث تشريفا لامته بالخطاب مؤكدا فيه وجوبا لتمسك به مبينا حكمة الحكم بقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة لليهود حيث كان في كتابهم انه يصلي الي القبلتين او للمشركين حيث قالوا ما له ترك قبلة ابرهيم الا الذين ظلموا منهم بدل ونجوز نصبه اي الا المعاندون فانهم باقون علي حججهم يقولون ما توجه الي الكعبة الا حبا لوطنه وانما سمي الشبهة الواهية حجة لانهم يسوقونها مساق الحجة كقوله حجتهم داحضة والاشبه انه من قبيل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب فلا تخشوهم لانهم علي الباطل واخشوني في مخالفة امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون متعلق اللام محذوف اي لاتمام النعمة عليكم وارادة اهتدائكم امرتكم بذلك او عطف علي مقدر كانه قيل اخشون لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وانما حذف المعطوف عليه اختصارا ودلالة علي ان الفايدة غير واحدة وتمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه الموت علي الاسلام وقيل عطف علي لئلا يكون وقوله فلا تخشوهم وما عطف عليه جار مجري الاعتراض وهو بعيد لا سيما اذا فسر تمام النعمة بالموت علي الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا في محل المصدر اما متعلق في الاخرة كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول امرتكم بالتوجه او بقوله فاذكروني والفاء تخللت بين العامل والمعمول كما في وربك فكبر منكم من جلدتكم تعرفون نسبه وحسبه يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم علي محاسن

لان الكلام مع رسول الله وامته

الاخلاق فقدمه على تعليم الكتاب والحكمة لانه المقصود وفيه تنشيط للمخاطب وفي دعوة ابراهيم اخر نظرا الى
الوجود ويعلمكم الكتاب والحكمة علم الشرايع ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون لولا الوحي من الاخبار بالمغيبات
واحوال المعاد فاذكروني اذكركم بالمغفرة والثواب روى البخاري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى يا ابن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وان ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير
منهم وان دنوت مني شبرا دنوت منك باعا وان اتيتني تمشي اتيتك هرولة واشكروا لي نعمتي عداه باللام
لتضمين معنى الاخلاص ولا تكفرون بالجحد والعصيان تصريح بما علم ضمنا يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر
والصلوة بعد الامر بجملة من التكاليف دلهم على ما يتوسلون به اليها وهو الصبر والصلوة التي هي المناجاة
مع من هو غاية الغايات ونهاية الطلبات والمناسب ان يراد بالصبر الصوم لانقطاع النفس عن الشهوات الشاغلة
عن التوجه الى جناب القدس ان الله مع الصابرين بالحفظ والاعانة تسهيل للامر وتنشيط للمخاطب ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي بل هم احياء اضراب عن نهيهم الى الاخبار بهذا وليس معطوفا على اموات
عطف مفرد او جملة بتقديرهم اموات لعدم كونه مقولا لهم ولكن لا تشعرون بحيوتهم نزلت في شهداء بدر
وقيل في شهداء بئر معونة والمراد الحيوة بالابدان لان الروحانية مشتركة بين المؤمنين قاطبة ولذلك
قيده بالرزق والفرح ولما روى مسلم ان ارواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ولا
دلالة في قوله لا تشعرون على ان الحيوة ليست بالجسد بل على العكس اذ دل لان الشعور علم يستند الى الحواس
ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ولنعاملنكم معاملة المختبر ونكر الشيء للدلالة على ان ما يصيب المؤمن
نزر بالنظر الى ما يدفعه الله واخبر به قبل الوقوع ليوطنوا انفسهم عليه ليهون عند الوقوع ونقص
من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او على الخوف وعن الشافعي رحمه الله ان الخوف خوف الله
والجوع صيام رمضان والنقص من الاموال الزكوة ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وفي كون
الخوف خوف الله وعده من المصايب نظر وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون عطف على الجملة القسمية لا على جوابها ازاح مرارة المصايب بلذة البشارة والخطاب عام
ونكر مصيبة ليوافق تنكير شيء ويدل على ان الجزاء المذكور بعده مترتب على ادناها روي ان سراج رسول
الله طفيء فاسترجع فقيل اهي مصيبة فقال نعم كل شيء يوذي المؤمن مصيبة روى مسلم عن ام سلمة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مسلم تصيبه مصيبة يقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني
في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا آجره الله واخلف له خيرا منها فلما مات ابو سلمة قلت من اين لي خير
من ابي سلمة ثم قلته فاخلف الله تعالى لي خيرا منه رسول الله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة مبتدأ
وخبر والجملة مستانفة دالة على المبشر به والصلوة من الله الرأفة والعطف كانه قيل عليهم من الله رأفة
ورحمة والتنكير للتفخيم والجمع للدلالة على التكثير كالتثنية في لبيك وحاصله البشارة باتصال
المسار وعلى التوالي ودفع المضار واسباب الملال واولئك هم المهتدون الى طريق الصواب سيق مدحا لهم
ان الصفا والمروة جبلان معروفان واصل الصفا الصخرة الملساء من الصفو وهو الخلوص والمروة الحجر
البراق الذي يقدح منه من شعاير الله من مناسكه جمع شعيرة من الشعور بمعنى العلم واضافتها
الى الله لانها اعلام مواضع عبادته واذا اضيفت الى الشرع اريد بها العلامات كالاذان والاقامة
فمن حج البيت قصده او اعتمر زاره كانه ماخوذ من العمارة فلا جناح عليه ان يطوف بهما روى البخاري
ومسلم عن عايشة رضي الله عنها ان الانصار كانوا يهلون قبل الاسلام لمناة صنم لهم بالمشلل
وكانوا يتحرجون من الطواف بين الصفا والمروة فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله وعن
ابن اسحاق ان اسافا ونايلة رجل ومرأة زنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين فوضع احدهما على الصفا والآخر

على المروة فكره المسلمون الطواف بينهما لذلك فنزلت فهذا الشافعي ورواية عن احمد والمشهور عن مالك رحمهم
الله انه ركن لقوله صلى الله عليه وسلم اسعوا فان الله تعالى قد كتب عليكم السعي وعند ابي حنيفة رحمه الله
واجب لان رفع الجناح اعم من الوجوب وخبر الواحد لا يثبت الركن ولا في قراءة ابن مسعود ان لا يطوف بهما
زايدة جمعا بين الآية والحديث ومن تطوع خيرا اي طاعة ما ترغيب في الطاعات كلها فهو خير له وقرء حمزة
والكسائي يطوع بياء الغيبة مضارع تطوع ادغمت التاء في الطاء والماضي اخف فان الله شاكر يثيب
على طاعته عليم كامل العلم ترغيب في الاخلاص وترهيب عن الرياء ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى نزلت في احبار اليهود لما حرفوا وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والآيات الدالة
على نبوته من بعد ما بيناه لخصناه للناس كافة بحيث لم يكن فيها اشتباه في الكتاب في التورية لا القرآن
اولئك يلعنهم الله لعنهم والمضارع للتصوير لم يدخل الفاء في اولئك ليدل على ان لعنهم ليس لهذا السبب
وحده بل الاسباب جمة ويلعنهم اللاعنون كل من يتاتى منه اللعنة من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا
ندموا على ما فعلوا واصلحوا ما افسدوه وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم اي بينوا للناس
ما كتموه فانه من تمام توبتهم واظهروا توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويقتدي بهم غيرهم من اضرابهم ان
الذين كفروا وماتوا وهم كفار من الكاتمين وغيرهم او منهم على ان الموصول معهود لان الكلام فيهم اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لعنهم احياء وامواتا واوثر في الاول المضارعية وفي الثاني
الاسمية لان امور الدنيا على التجدد والآخرة على الثبوت والدوام واتى بعلى ليدل على الشمول
والاستقرار خالدين فيها في اللعنة او في النار لدلالة السياق عليها لا يخفف عنهم العذاب تكذيب
لمن يقول بعنا دون بالعذاب فيهون عليهم ولا هم ينظرون يمهلون دفع لتوهم التخفيف كما دفع بالاول
كيفا او لا ينظر اليهم تحقيرا لهم او لا ينظرون ليعتذروا والهكم اله واحد لا اله فرد في الالوهية وفي اعادة
اله ثانيا فخامة وزيادة تقرير كقولك اميرنا امير كريم لا اله الا هو لا اله في الوجود الا هو استينافا
لتقرير الالوهية ودفع توهم اختصاص الوحدانية باله المخاطبين واوثر البدل لانه المقصود والنسبة
اليه بعد نقض النفي وهو اثبات الرحمن الرحيم خبران آخران لالهكم تقرير لاستحقاقه العبادة بحسب
الصفات ايضا ولما سمعه المشركون قالوا فات باية تدل على دعواك فنزل قوله ان في خلق السموات والارض
دون الارض لما روي انها مختلفة الحقايق بخلاف الارض واختلاف الليل والنهار تعاقبهما او تعاكسهما
طولا وقصرا والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس بالذي ينفعهم او بنفعهم على ان ما مصدرية
والفاعل ضمير البحر او الجري لا الفلك لانه جمع وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية
بيان فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات بعد يبسها وزوال نضارتها وبث فيها من كل دابة عطف على
انزل داخل تحت حكم الصلة لان احيى متصل به داخل تحت الصلة ايضا او عطف على احيى مسبب عن الانزال
لان المطر سبب لبث الدواب في الارض من العقلاء وغيرهم لان امر الارزاق من النبات والاشجار والزروع
والثمار والمياه في الانهار مبني على المطر والاول اولى لان انزال الماء والبث آتيان حينئذ والتكثير
مطلوب والاستغناء عن تقدير الجار والمجرور وظهور كون من بيانا وعلى الثاني تبعيضية لان الموجود
بعض الممكن اولان في السماء ايضا دواب كما سياتي في سورة الشورى وتصريف الرياح في مهابها قبولا
ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها باردة وحارة وعاصفة ولينة تارة بالرحمة واخرى بالعذاب والسحاب
المسخر بين السماء والارض بمحض القدرة والمشية واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم
يعقلون ينظرون بنور البصيرة في الكاينات واستينافها تفصيل الآيات متعذر والامر الجلي هو ان المذكورات
امور ممكنة تحتاج في وجودها الى مرجح واجب دفعا للتسلسل ودل على وحدانيته الانتظام المستمر

اذ لوكان فيهما آلهة لذهب كلّ اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وحديث المنطقة والدايرة والاوج
والحضيض وحركة الفلك حشو يصان عنه تفسير احسن الحديث وانما اطنب لان الكلام مع المنكرين
عبدة الجماد ولذلك اختصر في آل عمران لما كان المخاطب احبار اهل الكتاب ومن الناس من يتخذ من دون
الله اندادا يحبّونهم امثالا في الالوهيّة وهي الاصنام وقيل هم الرؤساء الذين كانوا يصدرون عن او
لقوله اذ تبرّا الذين اتّبعوا من الذين اتّبعوا ولا دلالة فيه لجواز ان يكونوا غيرهم ومعنى محبتهم اياها
تعظيمها واظهار طاعتها كحبّ الله والذين كتعظيم الله مأخوذ من حبّة القلب يقال حببته واحببته اصبت
حبته نحبه قلبي ضرب الطين على البناء والذين آمنوا اشدّ حبّا لله لانهم لا يعدلون عنه بحال بخلاف
المشركين عند الشدايد يعبدون صنما دهرا ثم يتركونه ويعبدون غيره كان لباهلة صنم من حيس اكلوه
في المجاعة آثار اشدّ حبّا على احبّ لشيوعه في الاشدّ محبوبيّته ولو يرى الذين ظلموا لو يرى هؤلاء المتخذون
اندادا والمظهر مع الموصول للدلالة على شدّة ظلمهم في اتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه اجرى
المستقبل مجرى الماضي لتحقّق وقوعه كقوله ونادى اصحاب الجنّة وعبّر عنه بالمضارع استحضارا للصورة الهايلة
انّ القوة لله جميعا ان القدرة لله لا تأثير لقدرة غيره ساد مسدّ مفعولي يرى وانّ الله شديد العقاب
جواب لو محذوف اي لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم لما يرون من فظيع العذاب في مقابلة ظلمهم
الفاحش وقرا نافع وابن عامر ولو ترى بالخطاب لرسول الله او لكل من يتأتّى منه الرؤية وهذا ابلغ ولذلك
اتفقوا في ولو ترى اذ المجرمون وابن عامر يُرون على بناء المفعول اذ تبرّا الذين اتّبعوا من الذين اتّبعوا
بدل من اذ يرون اي تبرّا المتبوعون من الاتباع وراوا العذاب حال من الاتباع والمتبوعين ويجوز العطف
على تبرّا وتقطّعت بهم الاسباب عطف على راوا او الواو للحال والاول احسن لظهور استقلاله في الاستعظام
من غير ان يكون قيدا للفعل والاسباب هي الوصل التي كانت بينهم والسبب في الاصل هو الحبل الذي يرتقى
وقال الذين اتّبعوا الاتباع لو انّ لنا كرّة فنتبرّا منهم كما تبرّؤوا منّا لو للتمني ولذلك اجيب
بالفاء وانما تمنّوا الكرّة الى الدنيا لان التبرّي في الاخرة لا يعود عليهم بضير لانهم في شغل شاغل
كذلك يريهم الله مثل هذه الاراءة اشارة الى مصدر الفعل اعمالهم حسرات عليهم ثالث مفعولي
اري ان كان من رؤية القلب والا فحال وهذا اظهر والمعنى ان اعمالهم تنقلب عليهم حسرات وما هم بخارجين
من النار اصله يخرجون والعدول للدلالة على الدوام يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا اي بعض ما
في الارض من تبعيضيّة في موقع المفعول وحلالا حال او مفعول به ومن ابتدائيّة طيّبا خاليا عن الشبهة وقيل
ما استطابه الطبع المستقيم ولا تتّبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما احلّه الله من السايبة والوصيلة والحام والخطوة
بضمّ الخاء مسافة ما بين القدمين وقرا بضمّ الطاء ابن عامر والكسائي والبزّي وحفص وهو الاصل في جمع الاسم
والاسكان للتخفيف انه لكم عدوّ مبين ظاهر العداوة لا شيء اجلى من عداوته انما يامركم بالسوء والفحشاء
بيان وتقرير لعداوته استعار الامر لتسويله ووسوسته تسفيها لهم واشارة الى انهم بمنزلة المامورين له في
سرعة طاعتهم والسوء كل ما قبح شرعا والفحشاء ما جاوز الحدّ منه وقيل الاول ما لا حدّ فيه والثاني ما شرع فيه
حدّ وقيل ما تخدّان ذاتا سوء لاغتمام العاقل به فحشاء لاستقباحه اياه وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ
الولد وتحريم السوايب وفيه دليل على عدم جواز اتباع الظنّ ما عدا ظنّ المجتهد لانه مامور باتباعه
لان ظنه موصل الى العلم كما ظنّ واذا قيل لهم اتّبعوا ما انزل الله الضمير للناس التفاتا الى الغيبة للدلالة
على انهم احقّاء بصرف الخطاب والاعراض عنهم كانه نادى العقلاء الى التعجّب من ضلالهم قيل هم المشركون
وقيل طايفة من اليهود قالوا بل نتّبع ما الفينا عليه آباءنا وجدناهم عليه لانهم كانوا خيرا منّا اولوكان آباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الهمزة للانكار والواو للحال وقيل للعطف على محذوف والمعنى ايتّبعونهم ولوكان

المانع قايما واورده على طريق الانصاف كانه قال قلنا سلّموا ان هناك مانعا اولا وخرج بذلك تقليد الا
والمجتهدين ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء عطف على الشرطيّة تقرير ما ذمّهم
به من التقليد ويجوز عطفه على آباؤهم والذين كفروا مظهر في موقع المضمر والمعنى تشبيه حال داعيهم الى الايمان
بحال راعي بهايم يصوّت عليها ولا يدرك من صوته الا مجرّد جرس ودوي اوحال المدعوّ بالبهايم فيقدّر مضاف
اما في المشبّه اي مثل داعيهم او في المشبّه به اي كمثل بهايم الذي اذ لا يحسّ بدون ذلك وان كان مركّبا
لا يلاحظ مفرداته مناسبة للطرفين ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصمّ الاصلخ ولفظ ما والنعيق يؤيّد الاول
وقيل معناه مثلهم في اتباع آبائهم كمثل البهايم في الجهل بحقيقة الحال لانّ البهايم لا تعرف ما تحت الدعاء
والنداء وقيل مثلهم في دعايهم الاصنام كمثل الناعق بالبهايم ولا حاجة الى تقدير مضاف وفيه ان لا معنى
للاستثناء لانّ الاصنام لا تسمع ايضا شيئا وان جعل من التشبيه المركّب لانّ المذكور في الجانبين لا بدّ وان
يكون له مدخل في انتزاع الهيئة وان لم يكن وجه ملحوظا صمّ بكم عمي رفع على الذمّ تقرير وتوكيد لما تقدّم
فهم لا يعقلون لانعدام طرق الادراك والمراد عمى القلب فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب يا ايها
الذين آمنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم من مستلذاته لانّ الحلّ قد علم من امر الاباحة والخلوّ عن الشبهة من قوله
حلالا طيّبا وخصّ به المؤمنين لانه في معرض الامتنان واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون جعل الشكر
لازما للعبادة لانه بالجنان والاركان واللسان فلا وجود للعبادة بدونه انما حرّم عليكم الميتة
خصّ منه السمك والجراد والدم خصّ منه الكبد والطحال لقوله صلى الله عليه وسلم احلّت لنا ميتتان
ودمان ولحم الخنزير خصّه بالذكر لانه المتعارف في الاكل ويعلم منه حكم سايره دلالة وما اهلّ به لغير
الله ما ذبح باسم غيره الاهلال من الهلل وهو اول الشيء ومنه الهلال للقمر واهلّ الصبي رفع صوته اول
ما يولد وكانوا يرفعون اصواتهم باسم الاصنام والمعنى انما حرّم عليكم هذه المذكورات لا ما حرّمتموه
من السايبة والوصيلة فالقصر اضافي لوجود محرّمات آخر فمن اضطرّ غير باغ على مضطرّ آخر كسر نون من
ابو عمرو وعاصم وحمزة على الاصل في التقاء الساكنين وضمّه الباقون على الاتباع ولا عاد متجاوز
سدّ الرمق فلا اثم عليه في تناوله انّ الله غفور لفعله ذلك رحيم حيث رخّص مع قيام المحرّم انّ الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا يسيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم
الا النار اي الا ما يؤدّي ويفضي الى النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرّة وقوله ياكلن كل ليلة
اكافا او يوم القيمة لا ياكلون الا النار وجعل البطن ظرفا للاكل مبالغة كانه قال ملاء بطونهم ولا
يكلّمهم الله يوم القيمة كناية عن عدم اكرامهم او عن اذلالهم والانتقام منهم او كلاما يحبّونه مجاز بجعل
ما لا يحب كلا كلام لوقوع التكليم لا محالة لقوله لنسألنّهم اجمعين ولا يزكّيهم ولا يثني عليهم كما يثني على المؤمنين
ولهم عذاب اليم مع ذلك الحرمان اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة فما اصبرهم
على النار تعجيب للسامع من حالهم في التلبّس بموجبات النار ذلك بانّ الله نزّل الكتاب بالحقّ اي ذلك
العذاب بسبب انّ الله انزل جنس الكتاب ملتبسا بالحقّ وانّ الذين اختلفوا في الكتاب القايلون بحقيّة التورية
وبطلان القرآن او ذلك الكفر من اليهود لاجل خلافا للمشركين في القرآن على انّ الكتاب معهود لانّ
القرآن هو المتبادر منه واختلافهم فيه قول بعضهم شعر وآخرين منهم سحر والمعنى لو لم يقدح قريش
في القرآن لما جسرت اليهود على الكفريّة وعلى الوجهين الجملة حال والسببيّة راجعة اليها لا الى ما دخل عليه
الباء لفي شقاق بعيد لانّ الكتب السماوية يصدّق بعضها بعضا ولانّ اساليب القرآن تباين الشعر والسحر
ليس البرّ ان تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب اذ اكثر خوضهم امر القبلة و
المعنى ليس توليكم المشرق والمغرب من جنس البرّ لكونها منسوخة او عامّ لهم وللمسلمين والمعنى ليس البرّ

الكامل الذي يهتم به الحوض في شان القبلة وقرا حمزة وحفص ليس البر بالنصب على الخبرية والرفع اولى
لجريه على الاصل في تقدم الاسم ولقراءة على رضي الله عنه بان تولوا ولاتفاقهم عليه في ليس البر بان تاتوا البيوت
ولكن البر من آمن بالله بتقدير مضاف اي بر من آمن او البر بمعنى ذي البر او مجاز في الاسناد كما في قولها وانما
هي اقبال وادبار وهذا اوجه وقرا نافع وابن عامر ولكن مخففا والبر مرفوعا واليوم الآخر والملائكة والكتاب
جنس الكتاب او القرآن كما نزل الكتاب والنبيين كلهم واتى المال على حبه حب المال لما روى مسلم والبخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل اي الصدقة افضل قال ان تصدق
وانت صحيح شحيح ترجو الغنى وتخشى الفقر او حب الله او الايتاء والجار والمجرور حال على الوجوه ذوي القربى
قدمهم لان ايتاءهم صدقة وصلة واليتامى والمساكين جمع مسكين اي دايم السكون اسكنه الفقر كالسكير
في دايم السكر وابن السبيل المسافر المجتاز الذي لا يجد ما يبلغه الوطن والاضافة للملابسة والسائلين
وان كانوا اغنياء لما روى ابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق وان جاء على فرس وفي
الرقاب المكاتبين او فك الاسرى واقام الصلوة واتى الزكوة المفروضتين والاول في التطوع والحث
على نوافل الصدقات او في المال حق سوى الزكوة لما روى ابن ماجه والترمذي عن فاطمة بنت قيس انها
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل في المال حق سوى الزكوة فتلاها ويحمل قوله نسخت الزكوة
كل صدقة على الواجب المقدر وقيل الاولى لبيان مصارف الزكوة وفيه بعد لايجابه تقييد ذوي القربى
واليتامى بالمحاويج والسائلين بالفقراء ونقص بعض والموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الخالق والخلق والصابرين

وهم العاملون عليها والمؤلفة قلوبهم

في البأساء والضراء في اموالهم وانفسهم اخرج من بين الصفات نصبا على المدح اظهارا لفضل الصبر على الشدايد
وحين البأس وقت التحام القتال اولئك الذين صدقوا في دعوى الايمان لاتصافهم باصوله وفروعه وتحليهم
بحلي العقايد والاعمال ظاهرا وباطنا واولئك هم المتقون الكفر والمعاصي وفيه تعريض باهل الكتاب
بانهم الذين كذبوا واولئك هم الفاسقون يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر
والعبد بالعبد والانثى بالانثى روى البخاري والنسائي ان في بني اسرائيل كان القصاص دون الدية
فنزلت وعن ابن جبير والشعبي كان بين الحيين من احياء العرب في الجاهلية قتال ولاحدهما طول على الآخر فحلفوا
ان تقتلوا بالعبد منهم الحر وبالانثى الذكر فنزلت ولا مفهوم للآية عند القائل به لان شرطه
ان لا يظهر للقيد فايدة وسبب النزول قد كشف عن الفايدة ولانه يلزم ان لا يقتل الذكر بالانثى وبالعكس
ولم يقولوا به واستدل لا لمن لم يقتل الحر بالعبد بالقياس على الاطراف فانه مجمع عليه ولان العبد مال
فلا يساوي المالك والقصاص يقتضي ذلك لانه من قص الاثر اذا تتبعه وعلى عدم قتل المؤمن بالكافر بحديث
رواه البخاري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم

رد على العامى

بكافر وما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم خيبر مسلما بكافر لم يصح سنده ولم يروه الا ابراهيم
بن يحيى وهو كذاب وآية المايدة لا دلالة فيها الا لانها حكاية ما في التورية بل لان الحكم مفيد بهم لقوله
وكتبنا عليهم فيها كما اذا قلت يجب على بني هاشم ان لا ياخذوا من الزكوة فلا بيننا ولا غيرهم فمن عفي له
من اخيه شيء من العفو اي شيء يسير فانه كان لسقوط القصاص في موضع المصدر الموصوف كضرب ضرب
شديد وليس بمفعول به لان عفا لا يتعدى اليه صريحا بل يتعدى بعن الى الجاني كقولك عفوت
عن فلان او الى الجناية كقولك عفوت عن ذنبه واذا ذكر الجاني والجناية فيذكر الجاني باللام يقال
عفا الله لزيد عن ذنبه والجناية هنا في حكم المذكور لسبق العلم بها فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان
اي فليكن اتباع او فالامر اتباع توصيه للعافي والمعفو عنه بان لا يطالب ولي المقتول القاتل بعنف
وان يؤدي القاتل اليه الدية بلا مطل وتسويف وسمى ولي المقتول اخا القاتل ترقيقا له وتذكيرا باخوة

الاسلام

الاسلام ذلك المذكور من الحكم تخفيف من ربكم عما كان في التورية من وجوب القصاص البتة ورحمة في شرعية
القصاص والدية حيث لم يجب العفو كما في الانجيل وقيل كان في التورية القصاص والعفو دون الدية
وعند الشافعي رحمه الله يخير الولي بين الثلثة وعند ابي حنيفة رحمه الله الواجب القصاص والدية
بدل لا يكون الا برضى القاتل ولفظ كتب وعفا صريحان فيما ذهب اليه وعن مالك اذا عفا الولي
عن القصاص والدية يضرب القاتل ماية ويحبس سنة فمن اعتدى بعد ذلك يقتل الجاني وغيره
كما كان في الجاهلية فله عذاب اليم شديد الالم وعن قتادة يقتل لا محالة لما روى احمد عن سمرة
عنه صلى الله عليه وسلم لا اعافي احدا قتل بعد الدية ولكم في القصاص حيوة الظرف ان خبران
او الثاني خبر والاول حال والمعنى لكم في مشروعية القصاص حيوة عظيمة لما كانوا في الجاهلية
يقتلون جماعة بواحد ولان القاتل اذا علم انه يقتل يرتدع فيسلم هو وصاحبه وهذا كلام في
اقصى البلاغة لان قول العرب القتل انفى للقتل في معناه كان ابلغ كلام عندهم وقد فاقه ما في
التنزيل بقلة حروفه والنص على المطلوب وهو الحيوة والتنكير الدال على التعظيم والاطراد
دونه لان القتل ظلما ادعى للقتل وخلوه عن التكرار واستغنائه عن التقدير بخلافه اذ المعنى
انفى من تركه وبالطباق وكون الشيء ظرفا لضده والخلو عن توالي الاسباب الخفيفة المخلة بسلاسة
الكلام والتقديم الدال على الحصر يا اولي الالباب لعلكم تتقون النجاة وعن القصاص وعبر عن
العقول بالالباب اشارة الى ان من لا عقل له كانه ظرف خال كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت اماراته واسبابه ان ترك خيرا مالا والتعبير عنه بالخير اشارة الى ان فايدة المال ان
يتوسل به الى ان فايدة المال ان يتوسل به الى الخير وعن علي وعايشة رضي الله عنهما هو المال
الكثير الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وانما حسن تذكير الفعل للفصل وهذا مطرد
فلا حاجة الى تاويل الوصية بالايصاء والعامل في اذا كتب لا الوصية لضعف المصدر
المعرف ولتقدمهما عليه وكانت الوصية للوالدين والاقربين واجبة بهذه الآية من غير تقدير
الانصباء فنسخت باية المواريث وهي قوله يوصيكم الله في اولادكم وقوله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية للوارث المراد بها الزيادة على نصيبه
اشار اليها فان لفظ الوصية في عرف الشرع يطلق على جميع الاوامر والنواهي والمواعظ
والتخصيص بالشرع المضاف الى ما بعد الموت عرف طار فظهر ان لا نسخ في الآية ولا تعارض
بينها وبين آية المواريث بالمعروف بالعدل لا يفضل احد منهما على الآخر اذا كانا في طبقة وتفسيره
بان لا يتجاوز عن الثلث لا معنى له لان ذلك في الاجانب كيف وآية المواريث بيان لها حقا على

رد على الكشاف والقاضي

المتقين قيده بهم لانهم المنتفعون به فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحقق
عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المبدل الا على الموصي والموصى له وجمع الضمير
بعد الافراد بالنظر الى المعنى ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله المبدل عليم بتبديله فمن خاف

الا على المبدل

من موص جنفا توقع وظن ميلا منه على سبيل الخطا او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى
لهم بان اجراهم على قانون الشرع فلا اثم عليه لانه يسعى في اظهار الحق وقرا ابو بكر وحمزة
والكسائي موص بالتشديد وتبديل الباطل ان الله غفور لما فرط من الموصي خطا رحيم بان شرع
تدارك ذلك باصلاح المبدل يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم

وتبديل الباطل

من الانبياء والامم فان اول من صام آدم فالتشبيه في مجرد الفرضية او ثلثين يوما كما رواه الحسن
ففي الكمية وانما زادت النصارى عشرين يوما لموتان وقع فيهم وقيل وقع في الحر اخروه الى الشتا

وزادوا فيه او في حرمة التناول بعد العشاء رواه ابن عمر ثم نسخ بقوله احل لكم ليلة الصيام الرفث
وانما عبر بالكتابة عن الفرض مبالغة في الالزام لعلكم تتقون بحركته فانه ينور القلب اذ لا يسع فيه
الريآء او تجتنبون المعاصي فانه يكسر القوة الشهوية وقد روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء او لعلكم تنتظمون
في زمرة المتقين وتندرجون في لباسهم وتبرزون في شعارهم اياما معدودات معلوما عددها
او قلائل لعدم العد في الكثير بل يهال هيلا وفي التعبير به دون شهر كامل تهوين وتيسير على السامع
روى البخاري ومسلم عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان
يصوم عاشورآء فلما نزلت قال من شاء صامه ومن شاء افطر وانتصاب اياما بالصيام لجواز عمل
المصدر في الظرف مع الفاصل وان لم يجز في غيره فمن كان منكم مريضا مرضا يشق معه الصوم لقوله
يريد الله بكم اليسر او على سفر مستعليا عليه فلا يجوز الافطار يوم انشاء السفر ولذلك اوثر على المرتحل
سفر يقصر فيه الصلوة صرفا للمطلق الى الكامل وهو الذي يقع فيه المشقة غالبا وقيد الشافعي
رحمه الله بان لا يكون سفر معصية فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان اول
ما فرض الصوم قبل ان يعتادوه من شاء صام ومن شاء افطر وفدى حتى نسخ بقوله فمن شهد منكم
الشهر فليصمه وعن ابن عباس رضي الله عنه الآية في العجائز والشيوخ الهرمى ومعنى يطيقونه
يجهدونه وبناه هم فيه مشقة فالآية محكمة ويؤيد الاول كلمة على اذ على ما ذهب اليه كان الله م
هو الظاهر وقوله وان تصوموا خير ورواية البخاري التخيير في الابتداء والفدية نصف صاع
من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز قرأ فدية بالاضافة نافع وابن ذكوان والباقون
منونا ورفع طعام بدلا منه ونافع وابن عامر مساكين مجموعا بلا تنوين مراعاة للذين فمن تطوع خيرا زاد
في الفدية فهو خير له من الاقتصار على الواجب وان تصوموا خير لكم من الافطار والغداء لمزية العزيمة
على الرخصة وجعل الخطاب للمرخص مطلقا ليندرج فيه المريض والمسافر بردّه ان المريض والمسافر
اذا نضرّر الاخير في صومهما وناهيك قوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر ولذا
ذهب ابو هريره رضي الله عنه الى وجوب الافطار ان كنتم تعلمون خيرية الصوم وانما آثر ان الخيرية
معلومة لميل النفوس الى الافطار وجواب الشرط محذوف اي اخترتموه دل عليه ما قبله شهر رمضان
فعلان من رمض احترق من الرمضاء كانهم سموه بذلك لاحتراقهم من شدة الجوع او لانهم لما نقلوا
اسماء الشهور من اللغة القديمة سموها باسماء الازمنة الواقعة فيها فوافق هذا زمن الحر والعلم هو
المجموع ومنع صرف احد جزئي العلم لان الغالب في الكنى الاضافة الى الاعلام فاجروا غيرها مجريها
الا يرى الى عدم جواز اللام في ابني تراب وابن داية ووجوبه في امرئ القيس وجوازه في العباس
والحسن كل ذلك نظرا الى انه لا يغير عن حاله كالعلم وعن مجاهد رمضان من اسماء الله واما قوله صلى
الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه فمن باب واسئل القرية
لامن الالباس وارتفاعه على انه خبر مبتداء او مبتداء خبره ما بعده وقيل بدل اشتمال وان قدر مضاف
قبل كل من الصيام وفيه بعد لكثرة الفاصلة الذي انزل فيه القرآن في ليلة القدر منه لقوله
تعالى انا انزلناه في ليلة القدر نزل جملة الى بيت العزة في سماء الدنيا وفي مواقع النجوم بحسب الوقايع
نزل على رسول صلى الله عليه وسلم في ثلث وعشرين سنة روى الامام احمد عن واثلة ان صحف ابرهيم
انزلت في اول ليلة من رمضان والزبور في الثانية عشرة والقرآن في الرابعة والعشرين وبه استدل

طايفة على ان ليلة القدر ليلة اربع وعشرين من رمضان وقرأ ابن كثير بنقل حركة الهمزة الى ما قبله وابدله
حيث وقع معرفا ومنكرا هدى للناس هاديا لهم الى الحق وبينات من الهدى صفة بينات اي بينات من جنس
ما يهدي الله به والفرقان ومن جنس ما يفرق به بين الحق والباطل عطف على الهدى وجمع بينات لان حجج
الاحكام ابعاضه فمن شهد منكم الشهر فليصمه من شهدت الجمعه ادركتها ويخرج المريض والمسافر بقوله
ومن كان منكم مريضا او على سفر وقيل الشهود بمعنى الحضور والاقامة وانتصاب الشهر على الظرف فيخرج
به المسافر والمريض خارج من قاعدة عدم الحرج لقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج وذكرهما بعده ليرتب
عليه القضاء بقوله فعدة من ايام اخر اي فعليه عدد ايام افطرفيها لا يلاحظ فيها الطول والقصر ولا الموالاة
والمواصلة يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الحرج في الدين ولذلك رخص من افطار المريض والمسافر
واكتفى بالعدة من غير مضايقة في الوقت والكيف ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون
الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من الامر بمراعاة العدة في الاداء والقضاء
ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا العدة علة للامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة للعلم بالقضاء
والخروج عن عهدة الفطر وقرأ ابو بكر تكملوا بتشديد الميم ولعلكم تشكرون علة التيسير وهذا نوع
من اللف والنشر بديع قليل الوقوع نظيره ان تقول ضربت زيدا واعطيت عمرا وخرجت من البلد للتاديب
والاكرام ومخافة الشر فعلت ويجوز العطف على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم ولتعلموا ما تعملون
وان يعطف على اليسر كقوله يريدون ليطفئوا نور الله فاللام لتاكيد معنى الارادة والاول اوجه لذلك
اللف البديع ولما في الثاني من كثرة الحذف وانما عدي التكبير بعلى لتضمين معنى الحمد اي لتكبروه حامدين
والمراد تعظيم لله وقيل تكبير عند رؤية الهلال فيفوت ذلك اللف مع انه تقييد بلا دليل واذا سالك
عبادي عني فاني قريب تمثيل لحاله بحال من قرب لاحاطة علمه بالاقوال والاحوال والافعال روى ابن ابي
حاتم ان اعرابيا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربنا اقريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
وعن الحسن سال الصحابة رضي الله عنهم اين ربنا والاية سيقت اعتراضا بين احكام الصوم تاكيدا لما ذكره
من امر الصوم دلالة على ان الذي هذا شانه حقيق بالاستجابة اجيب دعوة الداع اذا دعان صفة قريب
او خبر بعد خبر فليستجيبوا لي بالايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني وليؤمنوا بي بعد الاستجابة
او ليدوموا على الايمان ان جعلت نفس الايمان لعلهم يرشدون راجين الرشد وهو اصابة الحق احل لكم ليلة
الصيام الرفث الى نسائكم روى البخاري عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون
النساء في رمضان كله فخان رجال انفسهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كان لهم الاكل والشرب والوقاع
الى العشاء ثم ان ناسا اصابوا من الطعام والنساء بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال وزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر ما كنت خليقا بذلك
يا عمر فنزلت والرفث الفحش في القول وفي المثل هذه مرافثة لا منافثة كني به عن الجماع لانه لا يخلو عن ذلك
مطايبة بين الزوجين وعدي بالى لتضمين معنى الافضاء ولم يكن به وبامثاله من المباشرة والمس واللمس
لسوق الكلام معهم في معرض العتاب لوقوعهم في المحظور قبل الاباحة هن لباس لكم وانتم لباس لهن
استيناف لبيان موجب الاحلال لان شدة الاختلاط جالبة للمواقعة شبه كلا منهما باللباس لصاحبه
لاشتمال كل منهما على الآخر لدى الاعتناق او لان كلا منهما يستر الآخر من الفجور والكلام من التشبيه البليغ
لا الاستعارة علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم بتعريضها للعقاب والاختيان ابلغ من الخيانة لدلالته
على تعمل كالاكتساب والكسب فتاب عليكم قبل توبتكم وعفا عنكم ما فرط منكم تصريح بما علم ضمنا لان التوبة
تجب ما قبلها فالآن باشروهن فان قلت اي فايدة في هذا الامر بعد قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث

قلت فايدته دفع توهم احلال ما وقع منهم كما تقول لمن اكل لك مالا احللته لك وليعطف عليه قوله وابتغوا ما كتب
الله لكم من الولد لا قضاء الوطر لان الحكمة في ايداع الشهوة في الذكر والانثى هو ذلك وفيه توبيخ لهم حيث
وقعوا فيها وقعوا فيه لقضاء الشهوة وقيل نهي عن العزل لان الامر بطلب النسل نهي عن ضده وقيل اطلبوا
الماتي والمحل الحلال لا المحرم وكلاهما بعيد عن المقام وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر روي مسلم والبخاري رحمهما الله عن سهل بن سعد رضي الله عنه ان الاية نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال
اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب الى ان يتبينا له
فنزل من الفجر فعلموا ان المراد بهما الليل والنهار وليس فيه تاخير البيان عن وقت الحاجة لان الصوم محله النهار
فذكر الخيطين لبياض الصبح وسواد الليل كان ظاهرا من دلالة الحال غايته انه التبس على الاوساط دون ذوي
البصاير وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لما حمل الخيطين على الحقيقة انك عريض الوسادة
شاهد صدق ودليل ظاهر لانه حيث غفل عن المراد مع وضوحه ثم ازيح الاشتباه بزيادة البيان وفي الاية
دلالة على جواز صوم من اصبح جنبا كما صرح به حديث عايشة رضي الله عنها كان يصبح رسول الله صايما
وهو جنب ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لانتهايه بعد بيان ابتدايه ولا دلالة فيه على جواز النية بالنهار
ولا على وجوبه بالليل واستدل الشافعي رحمه الله تعالى على تبييتها بالليل في الفرض بقوله صلى الله
عليه وسلم لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل ولا على حرمة صوم الوصال اذ لا يلزم من بيان وقت الافطار
عدم جواز المواصلة بل الوصال انما حرم بقوله لا تواصلوا على ما رواه البخاري وغيره ولا تباشروهن لا تجامعوهن
بدليل قوله فالآن باشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون الاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد
القربة وفي الاية دلالة على اختصاصه بالمسجد اي مسجد كان اما الاول فلان المباشرة حرام في الاعتكاف
اجماعا فلو لم يكن المسجد قيدا لكان المراد بيان حرمته في المسجد واما الثاني فلعموم الجمع وعن الزهري
وابن المنذر يختص بالجامع وعن سعيد بن المسيب بالمساجد الثلثة مسجد رسول الله والمسجد الحرام والمسجد
الاقصى لقوله صلى الله عليه وسلم لا يشد الرحال الا الى ثلثة مساجد وخصه ابو حنيفة رحمه الله بمسجد
يصلى فيها الخمس جماعة وله امام ومؤذن معلوم تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة ذوات حدود فلا تقربوها
اي حدودها فضلا عن تجاوزها فهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اتقى الشبهات استبرا لدينه ومن رعى حول الحمى يوشك ان يواقعه كذلك يبين الله آياته
للناس مثل هذا التبيين الواضح يبين ساير دلايل احكامه لعلهم يتقون مخالفة اوامره ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل لا ياكل كل منكم مال الآخر بوجه غير مشروع وتدلوا بها الى الحكام عطف على النهي ومنصوب
باضمار ان ولا يلزم تقييد الحرمة بالاجتماع والادلاء القاء الدلو في البير تجوز به عن الالقاء والمراد القاء شانها
وحكومتها او القاء بعضها اليهم رشوة لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور واليمين الكاذبة
وجور الحاكم روى البخاري ومسلم عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله قال انما انا بشر وانتم تختصمون الي
ولعل بعضكم يكون الحن بحجته فاقضي على نحو ما اسمع فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له بقطعة من النار
وانتم تعلمون انكم مبطلون فان قبح المعصية مع العلم اشد يسئلونك عن الاهلة السايل معاذ وثعلبة بن غنم
الانصاري قالوا ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يتزايد ثم يتناقص الى ان يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس
والحج يوقتون بها امور معاشهم لا سيما الحج فانه يحتاج الى الوقت المعين اداء وقضاء وقيل الجواب من الاسلوب
الحكيم لانهم سالوا عن السبب والفاعل فاجيبوا بالغاية والحكمة وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى لما اجيبوا عن سؤال الاهلة ببيان الحكمة كانه قال لهم دعوا السؤال عن الحكمة في افعاله فانها
لا تخلو عن حكم ومصالح وانظروا فيما تعتقدونه برا وليس سؤال الاهلة من البر في شيء روى البخاري عن البراء

كانوا في الجاهلية اذا احرموا اتوا البيوت من ظهورها وعن جابر كانت الانصار تفعله دون قريش وقيل
استطراد لانهم كانوا يفعلونه في الحج وقيل تمثيل لتعكيسهم في السؤال بمن يدخل البيت من غير بابه والاول هو الوجه
للحديث ويدل على هذا اشارة واتوا البيوت من ابوابها عطف على مقدر اي انظروا واتوا او قل هي مواقيت
وقل ليس البر وقل واتوا البيوت وقرا ابو عمرو وحفص وورش كسر باء البيوت بالضم على الاتباع
واتقوا الله في التجاوز عن احكامه لعلكم تفلحون حال كونكم راجين للفلاح وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
يناجزونكم القتال ويبارزون دون المحاجزين نسخت بقوله وقاتلوا المشركين كافة او من له قدرة دون
المشايخ والصبيان او من يصد دفنا لكم او في الحرم والاشهر الحرم لما خاف المسلمون عام الحديبية حين شارط
المشركون ان يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في العام القابل ان لا يفوا بالشرط وعن ابي العالية
اول آية نزلت في القتال بالمدينة وعن الصديق اول آية نزلت فيه بعد الهجرة اذن للذين يقاتلون والقول
بانها مكية سهو ولا تعتدوا يعم كل اعتداء من قتل النساء والصبيان والرهبان والمثلة ان الله لا يحب المعتدين
لا يريد بهم خيرا واقتلوهم حيث ثقفتموهم وجدتموهم من الثقف وهو الادراك ومنه غلام ثقف اي سريع
خفيف الحركة واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بمن لم
يسلم واوصى باخراج المشركين من جزيرة العرب والفتنة اشد من القتل اي اخراجهم اياكم من الوطن اشد من
قتلكم اياهم على ان اللام للعهد او اخراجكم اياهم اشق عليهم من قتلهم فيكون حثا على اخراجهم او عذاب
الآخرة بعد القتل اشد كقوله ولعذاب الاخرة اشق ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه تكريما
للبلد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا اثم عليهم آثر فاقتلوهم ليدل على اباحة القتال بالاولى وقرا
حمزة والكسائي الافعال الثلثة بالقصر والمد اولى لان القتال مقدمة القتل فاذا لم يحل فالقتل احرى كذلك
جزاء الكافرين الذين كفروا بما اوجب الله من حرمة الحرام فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم
يقبل توبتهم ويرحمهم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك لقوله ويكون الدين لله فان انتهوا عن الشرك
فلا عدوان الا على الظالمين كناية اي لا ظلم على المنتهين او لا ظلم الا على الظالمين على طريق المشاكلة
او لا عدوان الا عليكم لو ظلمتموهم بعد الانتهاء بان يسلط الله عليكم من ينتقم منكم على سواء فهو مظهر
موضع المضمر مع المشاكلة الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت بعد الحديبية لما عزم رسول الله واصحابه
الى قضاء العمرة فخاف اصحابه ان يمنعوا دخول مكة كما منعوا في العام الماضي وكان ذلك في ذي
القعدة فاباح الله لهم القتال كما فعل المشركون فانهم رموا بالحجارة والسهام في الحديبية وقيل نزلت لما
حاصر الطايف ودخلوا القعدة والحرمات قصاص الحرمة ما يحافظ عليه عرضا كان او ملا والمراد منها
ما يجوز القصاص فيه فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ذكر الاعتداء ثانيا مشاكلة كقوله
وجزاء سيئة سيئة واتقوا الله في رعاية المماثلة واعلموا ان الله مع المتقين كلاءة ونصرا في الدنيا ورحمة
في الاخرة وانفقوا في سبيل الله تتمة لامر القتال لانه بالمال والرجال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة لا تجعلوا
ايديكم ملقاة الى الهلاك وانفسكم بالكف عن القتال على ما روى الترمذي وابو داود عن ابي ايوب الانصاري
انه قال فينا نزلت معشر الانصار لما وضع الحرب اوزارها رجعنا الى اموالنا فكانت التهلكة ترك القتال وروى
البخاري عن حذيفة نزلت في الامساك عن النفقة في سبيل الله وعن الحسن في البخل وعن زيد بن اسلم في اناس كانوا
يغزون بغير نفقة وكانوا كلا على الناس والتهلكة مصدر على ان اللام مكسورة ضمت كالجوار واحسنوا
ان الله يحب المحسنين ولا مطلب اعلى من حب الله واتموا الحج والعمرة لله ايتوا بهما كاملين بمناسكهما والامر
بالاتمام امر بالاداء على صفة التمام لا بالوصف وحده فيدل على وجوب العمرة كالحج وما روى احمد والترمذي
عن جابر ان رسول الله سئل عن العمرة اواجبة هي فقال لا معارض برواية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم نا بعوا بين الحج والعمرة وقول عمر لمن قال وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي هُديت
لسنة نبيك تقرير لفرضيتهما وعن علي رضي الله عنه اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وعن الثوري
من الميقات وعن عمر رضي الله عنه افراد كل منهما بسفر لله خالصا لوجه الله فان احصرتم منعتم يقال حصره
واحصره اذا منعه مثل صده واصده فيتناول باطلاقه كل منع وعليه بنى ابو حنيفة رحمه الله الحكم
وخصه مالك والشافعي رحمهما الله بالعدو لما روى البخاري ومسلم والنسائي عن عايشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني
اذ لو كان المرض حصرا لم يحتج الى الاشتراط وما رواه احمد والترمذي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كسر او عرج فقد حل لو صح لم يعارض ما رووه ويؤيده تقييد ابن عباس
رضي الله عنه بالعدو وهو القدوة في مدارك التنزيل فما استيسر من الهدي اي فعليكم ما تيسر من الازواج
الثمانية الابل والبقر والضان والمعز والهدي جمع هدية كجدي وجدية ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي
محله اي لا تحلوا حتى يبلغ الهدي الذي بعثتموه الحرم فانه محل النحر وهذا ظاهر على مذهب ابي حنيفة
وحمله الشافعي رحمه الله على موضع الاحصار لانه المكان الذي عينه الشارع لما روى البخاري ان رسول
الله نحر الهدي عام الحديبية خارج الحرم فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه
جراحة او قمل ففدية من صيام او صدقة او نسك وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري
عن كعب بن عجرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت ارى
ان الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة قلت لا قال صم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل واحد نصف صاع
من طعام فاذا امنتم الاحصار او كنتم في سعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج بان نوى العمرة قبل الحج فانه تمتع
بما حرم عليه بعد اعمال العمرة فما استيسر من الهدي جبرانا للاستمتاع فلا ياكل منه وعن ابي حنيفة رحمه
الله هو كالاضحية فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام فعليه صيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال بالحج وعن
ابي حنيفة رحمه الله اذا رجعتم من عرفات تلك عشرة على نمط فذلكة الحساب الاجمال بعد التفصيل
افادة للعلمين ودفعا لوهم ان يكون الواو الواصلة بمعنى او الفاصلة وان يكون السبعة اطلقت على
الكثرة لا العدد المخصوص كاملة دفع لوهم المجاز واشارة الى انها وان كانت عند الحساب عددا
ناقصا فهي كاملة في الثواب وقيامها مقام المبدل ذلك الحكم المذكور لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام لا ينبغي على المتمتع ان كان مقيما بمكة او فيما دون مسافة القصر منها وعند ابي حنيفة رحمه الله
ذلك مشار به الى التمتع فلا متعة ولا قران للمقيم يؤيد ما ذهب اليه ان الكلام مسوق له وذكر الفدية
بالعرض واتقوا الله في مخالفة اوامره واعلموا ان الله شديد العقاب استيناف للحث على التقوى الحج
اشهر معلومات معروفات في الجاهلية والاسلام والمراد وقت الاحرام به وهي شوال وذو القعدة
والتسعة ايام مع ليلة النحر عند الشافعي رحمه الله مع يوم النحر وفائدته وقوع طواف الركن في وقته والا
فقد فات بفوات الوقوف يوم عرفة واطلاق الاشهر على الشهرين والعشر تجوز اما لعلاقة الاجتماع فيما
فوق الواحد او لتنزيل بعض الثالث منزلة كله لا نافية بوقوع افعال الحج فيه فمن فرض فيهن الحج بالنية
عند الشافعي رحمه الله والتلبية وتقليد الهدي عند ابي حنيفة رحمه الله فلا رفث ولا فسوق ولا
جدال في الحج عن ابن عباس رضي الله عنه الرفث الجماع ومقدماته والفسوق السيئات والجدال المراء
مع صاحبك بحيث تغضبه فالنفي في الثلثة بمعنى النهي مبالغة وقيل الاولان نهي والثالث نفي اي
لا تفاخروا والمعنى لا ترفثوا ولا تفسقوا وقد ارتفع الاختلاف في الحج بتعيين وقته وموقفه ورفع ما كان عليه
المشركون من التقديم والتاخير كانوا يؤخرون الحج كل عامين من شهر الى آخر فيكون العام الاول

فالحج

حتى علم ذكر الجدال مع الرفث والفسق

ثلثة عشر شهرا والثاني اثنا عشر وكذا الثالث مع الرابع فكل سنتين خمسة وعشرون شهرا فيستدير
بحجهم في كل خمس وعشرين سنة والسنة التي حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وافق حسابهم ذا الحجة وكان
قريش يقف بمزدلفة وسائر الناس بعرفات فارتفع ذلك الخلاف ايضا وقرأه ابن كثير وابو عمرو برفع الاولين
على معنى لا يكون رفث ولا فسوق والثاني لا نفي ليس بعسر لكن عنها مطلقا وهذا يؤيد الوجه الثاني في
معنى الجدال وكذا ما رواه البخاري من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وما تفعلوا من خير
قليلا كان او كثيرا يعلمه الله فيجازي عليه وتزودوا روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ان ناسا من اليمن
كانوا يحجون من غير زاد زعما منهم انهم متوكلون ويكونون كلا على الناس فامروا بالتزود فان خير الزاد التقوى
عن سؤال الناس والتثقيل عليهم وفيه اشارة الى ان زاد سفر الآخرة نوع آخر ليس من المأكل والمشارب بل هو
التقوى واتقون يا اولي الالباب ختم على التقوى اولا واكده ثانيا بان يكون المقصود بها هواه وتمام هم
اولو الالباب نشاطا لهم ولان تقوى الله وخشيته مقتضى اللب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم
روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما جاء
الاسلام تأثموا في القيام بها بالتجارة فنزلت وسماه فضلا اذ لا وجوب عليه فاذا افضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام الافاضة الدفع بالكثرة مستعارا من افاضة الماء والمفعول محذوف اي
انفسكم وعرفات لذلك البقعة جمع لا واحد له كاذرعات وتنوينه للمقابلة غير منصرف للعلمية والتانيث
وقيل منصرف لان هذه التاء ليست للتانيث واختصاصها بالتانيث يمنع تقدير تاء اخرى والخفي منع
صرفها ان اعتبرت البقعة والصرف ان اعتبر المكان وانما سمي به اما لان آدم وحوى التقيا فيه فتعارفا
اولان الناس يتعارفون فيه او لان جبريل عرفها ابراهيم المناسك فلما اتى الجبل قال اعرفت وفي الآية
دليل على وجوب الوقوف بعرفات لانه اذا دل على القطع كان قال الافاضة واجبة عليكم فاذا انبيتم
بها فاذكروا الله عند المشعر الحرام وهذا يقتضي سابقة استقراره بعرفات ليكون ابتداؤها منها وايده قوله صلى
الله عليه وسلم الحج عرفة والمشعر الحرام جبل قزح وثم بناء معروف والمزدلفة كلها موقف والدعاء الا
انه القرب من موقف الامام افضل كالوقوف بموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصخرات بعرفات
والمشعر من الشعور لانه معلم للعبادة واذكروه كما هداكم ذكرا يشبه هدايته لكم في الكمال ما مصدرية او كافة
وان كنتم من قبله لمن الضالين عن طريق الحق ثم افيضوا من حيث افاض الناس عطف على الامر بالذكر
والذكر بعد الافاضة لا محالة فثم للتراخي رتبة كانت قريش تقف بمزدلفة ولا تقف بعرفات مع سائر
الناس جهلا لانهم سكان الحرم لا يخرجون الى الحل فامروا بالوقوف بعرفات وان يفيضوا من حيث افاض
سائر الناس او امر الناس بالافاضة بعد المشعر الى منى فالمراد في الناس العهد وهم قريش لانهم كانوا
يقفون منه وقرئ الناسي بكسر السين فالمراد آدم عليه السلام واستغفروا الله في ذلك الاماكن والازمان
ان الله غفور يغفر ذنوبكم رحيم ينيلكم بعد العفو فاذا قضيتم مناسككم اعمال الحج فاذكروا الله كذكركم
آباءكم كما كانوا في الجاهلية بعد قضاء المناسك ينشدون ويتفاخرون باثابهم امر المسلمون بترك ذلك
والاشتغال بذكر الله وكذكركم اباءكم اي كذكر الاطفال لا يعرفون غيرهم فالمقصود التوجه الى جناب
قدسه بلا التفات الى غيره او اشد ذكرا بل كونوا اشد ذكرا او عطف على ذكركم بتقدير مضاف اي او
كذكر قوم اشد منكم ذكرا لآبائهم او على آبائكم على ان المصدر بمعنى المفعول اي كذكركم شيئا اشد مذكورية
من آبائكم او على ذكر بطريق المجاز بجعل الذكر ذاكرا فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين لبيان
تفاوت هممهم واحوالهم ربنا آتنا في الدنيا اي عجل لنا حظنا وما له في الآخرة من خلاق لعدم جعله
الدنيا وسيلة للآخرة بقصر نظره عليها والخلاق النصيب لان حظ الانسان مخلوق له ومن فلان خليق

كذا قيل وليس كذلك بل هو على الاول ولا فرق

علم

او الناسي من النسيان

كوريه

بكاجد يرلايق واصل الخلاقة الملاسة يقال للرثقاء الخلقاء ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة نصيبا
بجعله وسيلة ولذلك سماه حسنة وفي الاخرة حسنة نعيما وقنا عذاب النار اي عذاب الآخرة لانه اعظم
انواعه وقد دخل في الحسنيين خير الدارين روي مسلم عن انس رضي الله عنهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال اذا اتاكم الله الحسنة في الدنيا والآخرة ووقاكم عذاب النار فقد اتاكم الخير كله اولئك لهم نصيب مما
كسبوا اي لهم نصيب وافر من جنس ما سألوا من الحسنة من ابتدائية او تبعيضية لان الحسنيين ناشيئان من مطلق
الحسنة ونوعان منه وسمي الدعاء كسبا لانه مخ العبادة اولاجل ما كسبوا والتعليل لا ينافي الابتداء
وقيل اولئك اشارة الي الفريقين وفيه ان امر الكافر قد ختم بقوله ما له في الآخرة من خلاق وليس ما رزق
في الدنيا من نصيب لاجل كفره ولا من جنسه والله سريع الحساب عن قريب يحاسبكم فبادروا او سريع
حسابه يحاسب الخلق في مقدار حلبة شاة وروي في مقدار فواق ناقة وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه في
لمحة طرفه لا يشغله شان عن شان وعد ووعيد وحسن موقعه بعد ذكر المناسك الكثيرة واذكروا الله
في ايام معدودات عن ابن عباس رضي الله عنه الايام المعلومات عشر ذي الحجة والمعدودات ايام التشريق
والذكر التكبير عند الجمار وادبار الصلوات فمن تعجل تعجل واستعجل مطاوعان لعجل وجاء متعديا بين
اي تعجل الذهاب والاول اوفق بقوله في يومين في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عند الشافعي
رحمه الله وبعد طلوع الفجر عند ابي حنيفه رحمه الله والاول اظهر فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه
بان رمي الجمار في الثالث بعد الزوال عند الشافعي رحمه الله وعند ابي حنيفه رحمه الله قبل الزوال
لان التخيير تجويز كلا الطرفين وليس من لوازمه التساوي لمن اتقي اي ذلك التخيير ورفع الاثم للمتقي
لانه تصلقة الشبه وتعرض به وفيه اشارة الي انه الحاج حقيقة وغيره غير ملتفت اليه واتقوا الله ليعبا
بجعلكم ممن له التخيير ومعه الخطاب واعلموا انكم اليه تحشرون فتوسلوا اليه بالتقوى فانها نهاية
السالكين ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الجار متعلق بالقول اي قوله في الدنيا وطلب
حظ منها يروقك وتعظم في نفسك لحلاوة عبارته ورشاقة الفاظه ويعجبك اي يروقك في الدنيا لا في
الآخرة اذ لا قول له هناك اما لانه يرهقه من شدة الخوف او لا يوذن له في الكلام او يختم على لسانه ‌ صوابه يوخذ
ويشهد الله علي ما في قلبه من الود والصدق كقولهم نشهد انك لرسول الله وهو الد الخصام اي شديد
الجدال علي ان الخصام مصدر من اضافة الصفة الي فاعلها كحسن الوجه او جمع خصيم والمعني اشد الخصوم
لا لان الد اسم تفضيل لكون جمعه لدا بل لان اللدد شدة الخصومة فهو بالنسبة الي ما دونه اشد واشتقاقه
من لديدي الوادي لجانبيه لانه ياخذ في كل جانب من الجدال والعداوة والآية في شان المنافقين وقيل نزلت
في الاخنس بن شريق الثقفي كان حلو المنطق يدعي حب رسول الله وليس بصحيح لان الاخنس اسلم سنة
الفتح وحسن اسلامه فان قلت لم لا يجوز ان يكون اسلم بعد نزول الآية قلت يمنع ذلك قوله في صفة جنسه ‌ نقل اسلامه الى كوري وبرهان الدين الحلبي في شرح الشفاء
واذا تولي سعي في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل باتلاف الاموال وقتل الانفس والذراري
او بشوم كفره ونفاقه يمنع الله القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ولو كان صادقا في قوله
لما ارتكب ما لا يرضاه الله واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم الزمته به وحملته عليه حمية الجاهلية
لجاجا وعنادا يقال اخذته بكذا اذا الزمته اياه او علي رد قول الواعظ فحسبه جهنم كافيه جزاء وعذابا
علم لدار العقاب وفي الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب القسم والمخصوص محذوف
للعلم به والمهاد ما يمهد كالفراش لفظا ومعني ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله عن ابن عباس
وانس رضي الله عنهم نزلت في صهيب هاجر في اثر رسول الله فاخذه المشركون فقال انا رجل كبير غريب لا اضر
ولا انفع اعطيكم مالي ودعوني اذهب فرضوا بذلك ولما ورد المدينة تلقاه عمر رضي الله عنه وكان بينهما

المواخاة فناداه يا صهيب ربح البيع وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اخبرهم بقصته فقال صهيب
هذا خبر السماء وقيل نزلت في الجهاد وكل امر بمعروف ونهي عن منكر ويشري بمعني باع نفسه وبذلها في
مرضات الله والله رؤف بالعباد واولو الرحمة ولذلك ارشدهم الي ما فيه رضاه الذي لا مطلب اعلي منه
يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بكسر السين وفتحه نافع وابن كثير والكسائي وهما لغتان
الانقياد والطاعة والخطاب للمؤمنين او لاهل الكتاب الذين آمنوا بنبيهم او المنافقين الذين آمنوا
بالسنتهم او للكل وكافة حال من ضمير ادخلوا او من السلم لانها تؤنث كالحرب وكافة اسم الجملة
لانها تكف الاجزاء من الخروج والتفرق وعن يونس والاخفش ان السلم هو الاسلام فالخطاب لاهل
الكتاب ام للمنافقين اولهما ونحو خطاب المؤمنين بتقدير مضاف اي ادخلوا في شعبه ووقوعه لان لفظ
الدخول يابي حمله علي الثبات والازدياد ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق وقراء
ابن كثير في رواية قنبل وحفص وابن عامر والكسائي بضم الطاء انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة
فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات خرجتم عن الانقياد والاسلام من زل في الطين اذا وقع
فاعلموا ان الله عزيز غالب حكيم لا يؤاخذ الا بعد الزام الحجة هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في
ظلل من الغمام اي ما ينتظرون الا اتيان امره وباسه او المأتي به محذوف اي اتيانه بالبلية
والنقم والظلل جمع ظلة كقلل في قلة وهي ما اظلك ولذلك بينه بالغمام والاتيان علي هذا الوجه
قطع لان الغمام مظنة الرحمة فاتيان الشر منه لا شيء فوقه كما ان اتيان الخير من مظان الشر لا اسر
منه والملائكة لانهم وسايط في امره وتنفيذ احكامه وقضي الامر يقضي ويفرغ منه وايثار الماضي
لتحققه لا محاله والي الله ترجع الامور كلها فذلكة القصة وقراء نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم علي بناء ‌ وعاصم
المفعول من الرجع والباقون بالعكس من الرجوع والاول اشهر وابلغ لدلالته علي ان راجعا مو كلا
بها سل بني اسرائيل اردف الامر بالدخول في السلم بنقض بني اسرائيل عهودا كثيرة تحذيرا عن ارتكاب
مثله والمامور بالسؤال اما رسول الله او كل احد والقصد التقريع لا الجواب كم اتيناهم من آية
بينة كم خبرية او استفهامية للتقرير ولا ينافي التقريع مفعول ثان لآتيناهم والجملة في موضع المصدر
كانه قيل سل هذا السؤال او المفعول به او بيان للمقصود اي سلهم جواب هذا السؤال او في محل
الحال اي قائلا من آية تمييز كم واذا فصل بينه وبين المميز حسن الاتيان بمن والآيات اما معجزات ‌ صوابه الدالة
انبيائهم او آيات كتبهم ودلايل الاحكام ومن يبدل نعمة الله اياته الدالة علي صدق الرسل
او آياته الدالة علي بعث محمد وصحة دينه سماها نعمة لانها اسباب الهدي ووسايل النجاة من بعد ما جاءه
اي من بعد ما عرف انها آية او تمكن منه والا فلا تبديل لا يكون الا بعد المجيء فان الله شديد العقاب
دليل الجزاء اي يعاقبه زين للذين كفروا الحيوة الدنيا بيان للعلة الباعثة والمزين حقيقة هو الله ‌ قابله النجا
لانه خالق الخير والشر وقيل اذ ما من شيء الا وهو فاعله وفيه ان الخالق عند الفاعل يظهر في الزين
والشرفه او الشيطان والاسناد مجاز ويسخرون من الذين آمنوا من فقراء المهاجرين كبلال وعمار عطف علي
زين والعدول الي المضارع لقصد الاستمرار وقيل حال بتقدير وليس بوجه اذ لا معني لتقييد التزيين
بحال السخرية والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة رتبة او مكانا لانهم في العليين والتعبير عن الايمان ‌ المبتداء ‌ قابله التعارات
بالتقوى تذكير بها وترغيب فيها لان هذا الحكم عام لكافة المؤمنين والله يرزق من يشاء بغير
حساب بغير تقدير كناية عن التوسعة فالبسط علي الكفار استدراج ليكون وسيلة الي النقمة
كان الناس امة واحدة علي الاسلام عن ابن عباس رضي الله عنه من آدم الي نوح عشرة قرون كلهم
علي التوحيد وقيل بعد نوح عليه السلام اذ ما نجا معه الا من آمن وقيل علي الكفر ولا دليل

له فاختلفوا في الايمان فبعث الله النبيين لان كفر الكل يصلح حكمة للبعث فلا يحتاج الي الاختلاف مبشرين بالجنة
لمن آمن ومنذرين لمن كفر وانزل معهم الكتاب جنس الكتاب فلا يلزم ان يكون مع كل كتاب واحد بخصه بالحق
حال من الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه اي الله او النبي او الكتاب وانما اعاد المظهر لعدم اختصاص
حكمه بالذين اختلفوا وما اختلف فيه اي في الحق الا الذين اوتوه اي الكتاب عكسوا الامر بان جعلوا ما انزل
للوفاق سببا للخلاف والمراد زيادة الاختلاف لوجود اصله قبل البعثة من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم
حسدا وظلما لحرصهم علي الدنيا فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق اي هدي الذين آمنوا الي الحق
الذي اختلف فيه من اختلف باذنه بارادته وتيسيره والله يهدي من يشاء الي صراط مستقيم يوفقه لسلوكه
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعني الهمزة فيها التقريب وانكار الحسبان ورسول الله صلي الله عليه
وسلم وامته داخلون في عموم النبيين والذين آمنوا خوطبوا علي طريق الالتفات تشجيعا لهم علي الثبات والصبر
ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي بمنزلة المثل في الغرابة ولما نظيره ثم في ان الفعل المذكور بعدها
منتظر متوقع لا نفيه مستهم البأساء والضراء بيان للمثل جواب سؤال مقدر وزلزلوا ازعجوا ازعاجا شديدا
يشبه الزلزلة حتي يقول الرسول والذين آمنوا معه متي نصر الله اي بلغت الشدة مبلغا ضج الرسول
واستبطاء النصر وتمناه مع كمال ثبات الرسل وغاية صبرهم علي البلايا والرزايا وقرأ نافع يقول بالرفع علي انه
حكاية حال ماضية والباقون بالنصب علي الاستقبال نظرا الي ما قبله وهذا ابلغ لما فيه من صريح التدرج
الي تلك الغاية الا ان نصر الله قريب اي اجيبوا الي طلبتهم وقيل لهم قد قرب النصر ودنا الفرج وقيل هذا
مقول الرسول ومتي نصر الله مقول من معه وفيه فوات بيان تناهي الامر في الشدة فلا يحسن يسألونك
ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامي وابن السبيل سألوا عن المنفق فاجيبوا ببيان
المصرف مفصلا مدمجا فيه ما سألوا وهو ما انفقتم من خير لان النفقة لا يعتد بها ما لم يقع موقعها قال
ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتي يصاب بها طريق المصنع والمجيب بمنزلة الطبيب يبني العلاج علي مقتضي
المرض لا علي قول المريض وعن ابن عباس رضي الله عنه ان عمرو بن الجموح سأل رسول الله ماذا ننفق من
اموالنا واين نضعها فنزلت فعلي هذا في السؤال المحكي في التنزيل اختصارا اعتمادا علي الجواب وما تفعلوا
من خير ما شرطية فان الله به عليم اي اي شيء تفعلونه من الخير فالله مجازيكم عليه كتب عليكم القتال
قدم ذكر الانفاق وعقبه بالقتال لا علاء كلمته ترقيا من الادني الي الاعلي وهو كره لكم مكروه فعل بمعني
المكروه كالخبز او شاق مصدر بمعني الفاعل واتفق السبعة علي ضم الكاف وعسي ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
والتكاليف كلها كذلك لانها خلاف هوي النفس ولا يلزم منه كراهة حكم الله كما في الشرور فانها مكروهة
منكرة مع كونها بقضاء الله ومشيته وعسي ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ومنه المعاصي والله يعلم ما فيه
الخير والشر وانتم لا تعلمون ذلك يسألونك عن الشهر الحرام روي ابن اسحق عن ابن عباس وابن هشام
عن زياد البكائي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث سرية الي نخلة بين مكة والطايف لترصد قريشا وتعلم
خبرها بعد ما رجع من بدر الاولي وامر عليهم عبد الله بن جحش واعطاه كتابا ولم يدر ما فيه وامره ان لا يقرأه
الا اذا بلغ مكان كذا فلما بلغ قرأ وقال سمعا وطاعة لرسول الله صلي الله عليه وسلم فلما بلغوا نخلة
وجد واعيرا لقريش تمر بهم فتعرضوا لها فقتلوا بعضا واسروا بعضا وكان اول يوم من رجب فظنوه اخر الجمادي
فلما قدموا بالاسري والغنيمة وكانت اول غنيمة جاءت رسول الله اعظم ذلك المشركون واليهود فقالوا محمد يستحل
الشهر الحرام وتوقف رسول الله صلي الله عليه وسلم في امر الغنيمة وقال لهم ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام فنزلت
والمعني يسألك المسلم والكافر عن الشهر الحرام قتال فيه بدل اشتمال قل قتال فيه كبير اثم كبير منسوخ باية القتال
فان قلت حيث وجدتموهم في آية القتال عام في المكان والكلام في الزمان قلت عموم الامكنة قرينة عموم

الزمان اذ انما في حق النسخ لا يفيد فان وصد عن سبيل الله كما فعلوا عام الحديبية مبتدأ خبره اكبر وكفر به
بالله والمسجد الحرام عطف علي سبيل لامتناع العطف علي الضمير المجرور بدون اعادة الجار ولا وجه لتقدير
الجار اذ لا معني للكفر بالمسجد والصد والكفر متحدان ذاتا فكان لا فاصلة واخراج اهله منه كما فعلوا برسول
الله والمومنين اكبر عند الله اي جرايم قريش وكبايرها اعظم جرما مما فعلت السرية فما لهم لا يذكرون عيوب انفسهم
والفتنة اكبر من القتل يعم المذكورات وغيرها ولا يزالون يقاتلونكم حتي يردوكم عن دينكم لكي يردوكم ان استطاعوا
ايثار ان مع الجزم بعدم الوقوع للدلالة علي انه من المحالات المفروضة ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم استدل به الشافعي رحمه الله بقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله ومبني مسئلة حمل المطلق
علي المقيد تماما هنالك وثمرة الخلاف تظهر فيما اذا صلي وارتد والعياذ بالله ثم اسلم والوقت باق يجب اعادتها
لبقاء السبب دون قضاء غيرها لانعدام السبب في الدنيا لا يعتد بها بل يسلب عنه اسم المسلم واحكامه ولا
بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون دايمون ان الذين آمنوا والذين هاجروا اعاد الموصول تعظيما
لشان الهجرة وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمه الله اشار بالرجاء الي ان العمل غير موجب ولان العبرة
بالخاتمة وهي غيب ولما لم يعقب بالخيبة بل بما يصدقه علم انهم واصلون الي المرجو والله غفور لفرطاتهم رحيم
باجزال الاجر والثواب ولم ينقصه ما وقع في الشهر الحرام من القتل يسألونك عن الخمر والميسر روي الامام
احمد عن عمر رضي الله عنه لما نزل تحريم الخمر في اية النحل تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال اللهم بين لنا
في الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت آية المايدة الي
قوله فهل انتم منتهون قال انتهينا والخمر مصدر خمره اي ستره سمي به العصير اذا اشتد وقذف بالزبد
لانه يستر العقل وهل يخص هذا الاسم بعصير العنب فيه كلام واستدل الشافعي رحمه الله علي ان كل مسكر
حرام بما رواه مسلم الخمر ما خامر العقل وكل مسكر حرام وعند ابي حنيفة رحمه الله يحل شرب المثلث وهو ما طبخ
من عصير العنب ونقيع التمر والزبيب حتي ذهب ثلثاه ما لم يسكر ولم يقصد بشربه اللهو والطرب والميسر
القمار من اليسر مصدر كالموعد لانه اخذ مال الغير بالسهولة او من اليسار لانه يسلب يساره قل فيهما
اثم كبير اي في تعاطيهما فان قلت كيف سوغوا شربها بعد هذا قلت فهموا ان الحرمة باعتبار جلب المفاسد
لا لذاتهما ومنافع للناس من الطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وتوفر المروة والتشجيع وكسب المال
في الميسر وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء المثلثة لكثرة ما يترتب عليهما من الاثام وهو المختار وافق قوله
ومنافع واثمهما اكبر من نفعهما كم افتقرت من غني واذلت من عز وسلبت من نعمة وجلبت من نقمة ونسخت
من مودة ونسجت من عداوة وبالجملة مفتاح الشرور وام الخبايث وفي الحديث من شربها لم يشرب خمر الجنة
وسقاه الله من طينة الخبال عصارة اهل النار ويسألونك ماذا ينفقون سألوا اولا عن حقيقة المنفق وهذا
سؤال عن وصفه قل العفو الفاضل عن الحاجة لئلا يحتاج الي السؤال روي ابو داود ان رجلا اتي رسول الله
صلي الله عليه وسلم ببيضة ذهب وقال يا رسول الله اصبت هذا من معدن فخذها واجعلها في الصدقة
فاخذها منه وحذفه بها لو اصابه لعقره او لشجه وقال يأتي احدكم بماله ثم يجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غني وهذا اذا لم يكن له قوة يقين وكمال توكل لقوله ويؤثرون علي انفسهم في معرض المدح
ولقوله خير الصدقة جهد المقل وقضية الصديق وخروجه عن ماله مشهورة وقيل المراد بالغني غني
القلب وقرأ ابو عمرو العفو بالرفع علي انه خبر مبتدأ محذوف والنصب اقل تغييرا وابلغ كذلك يبين الله
لكم الايات اي ساير الايات الدالة علي الاحكام افرد الخطاب ولا باعتبار كل من يخاطب ثم اجمل ثانيا
لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة اي في امور الدارين وتؤثرون ما هو انفع وابقي ويجوز ان يتعلق بيبين
وتوسيط التفكر بين الجار ومتعلقه للاهتمام ويسألونك عن اليتامي روي ابو داود والنسائي عن ابن عباس

رضي الله عنهم لما نزلت ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن تحاموا مداخلة الايتام والتولي عليهم
وشق ذلك عليهم قل اصلاح لهم اي مخالطتهم على وجه الاصلاح خير من المجانبة وان تخالطوهم فاخوانكم
اي فلا استبعاد فان الاخوة تقتضي المخالطة والالتيام والايتلاف والله يعلم المفسد من المصلح فيجزي والاصلاح
ولا عليكم بعد ذلك ان طرا فساد ولو شاء الله لاعنتكم لاوقعكم في العنة اي المشقة بالمنع عن المخالطة ان الله
عزيز غالب على ما اراده حكيم متقن في صنعه لا يريد الا ما فيه حكمة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن المخالطة
تعم النكاح فناسب ذكر المحرمات بعدها نزلت في ابي مرثد الغنوي كان يهوي بغيا اسمها عناق فلما اسلم
دعته الى الخلو بها فقال ويحك قد حال دون ذلك الاسلام فدعته الى التزوج بها فقال حتى استامر رسول الله
فاستامره فنزلت والكتابيات وان دخلن في المشركات خصهن آية المايدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
فان المايدة آخر القرآن نزولا لا نسخ فيها ولامة مؤمنة خير من مشركة في معرض التعليل وايثار الامة
لان النساء اماء الله ولو اعجبتكم اي المشركة لو للتاكيد ثبوت الحكم والواو اما للعطف على مقدر هو ضد
المذكور اي لو لم تعجبكم والحال ولو كان الحال كذا ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا باق على عمومه ولعبد
مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك اي المشركات والمشركون يدعون الى النار الى اسبابه من الكفر والمعاصي
وفي يدعون تغليب الذكور واستعمال المشترك في معنييه وكل من الواو والنون ضمير ولا اندفاع لاعتبار
الجنسيتين والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه اي وليائه لوقوعه في مقابلة اولئك يدعون الى النار
ولقوله باذنه اذ لا معنى للقول بان الله يدعو باذنه وانما اسند اليه تشريفا لهم ويبين آياته للناس لعلهم
يتذكرون ليكونوا في صورة المرجو منهم التذكر فصل الآية بالتذكر لظهور قبح ازدواج المؤمن والمشركة ويسا
لونك عن المحيض روى مسلم عن انس رضي الله عنه ان اليهود كانوا لا يواكلون الحيض ولا يساكنوهن فسال
ثابت بن الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمحيض مصدر كالمبيت ذكر يسالونك في سبعة
مواضع ثلثة بالواو واربعة بدونه ولعل المقرونات بالواو في وقت واحد قل هو اذى شي من المقذورات
فاعتزلوا النساء في المحيض اي وقاعهن في زمان الحيض قصدا بين افراط اليهود وتفريط النصارى
من مباشرتهن في حال الحيض واستدل الشافعي رحمه الله على هذا بما روى انس رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قرأ الآية وقال اصنعوا كل شيء الا النكاح وبما روى مسروق عن
عايشة رضي الله عنها له كل شيء الا الشعار وفي رواية الا فرجها وابو حنيفة رحمه الله الى حرمة ما اشتمل
عليه الازار لما روى مسلم والبخاري عن ميمونة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا اراد ان يباشر احدى نسائه وهي حايض امرها ان تتزر وبه قال الشافعي في احد قوليه ولا تقربوهن
من القربان وهو الوقاع حتى يطهرن وقرا حمزة والكسائي بتشديد الطاء فحمل ابو حنيفة رحمه الله قراءة التخفيف
على اكثر الحيض حتى تحل بمجرد الانقطاع لان الطهر نقيض الحيض وقراءة التشديد على اقل من العشرة فلا تحل حتى
تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة الا ان تكون ذمية فتحل بالانقطاع وحمل الشافعي رحمه الله قراءة التخفيف على
الغسل ايضا لان طهر بمعنى اغتسل كما في حديث ام سلمة اذا افضت الماء عليك فقد طهرت او تجوز للاتفاق
في فاذا تطهرن وذهب الاوزاعي الى غسل الفرج ومجاهد الى الوضوء فاتوهن من حيث امركم الله وهو
القبل ان الله يحب التوابين المكثرين من التوبة او الذين يتوبون من ادنى شيء كالوطي قبل الطهر والتطهر
روى احمد واصحاب السنن ان من اتى امراة وهي حايض يتصدق بدينار ونصفه ويحب المتطهرين من الانجاس
والمستقذرات طبعا وان كانت مباحة وللترغيب عاد المحبة نساؤكم حرث لكم بيان لقوله فاتوهن من حيث
امركم الله شبه حال اتيانهم النساء من المأتي بحال اتيان المحارث في عدم الاختصاص بجهة دون اخرى
وفيه تعريض باليهود القايلين بان من اتى امراته في قبلها من دبرها جاء الولد احول رواه مسلم عن جابر فاتوا

رد على العامه

الحيض

نزلت ص

الحديث الاول رواه الامام احمد والثاني ابن جرير منه

حرثكم انى شئتم تصريح بما علم التزاما وليعطف عليه قوله وقدموا لانفسكم اي الاعمال الصالحات وقيل التسمية
حال الجماع وقيل هو طلب الولد وهذا اوفق لان اتيان الحرث كناية عن الوقاع الذي يقصد به الولد لاقضاء
الوطر كما ان الاذى عن المستقذر قصدا الى التنفير والاعتزال كناية عن ترك الوطي قصدا الى التبعيد
وحيث امركم الله كناية عن القبل تحذيرا عن غيره وفيها تعريضات باليهود والنصارى والراغبين في غير القبل
واتقوا الله ان تعتدوا حدوده واعلموا انكم ملاقوه فسايلكم عنها وبشر المؤمنين عطف على قل هو اذى تحريض
على الامتثال لما سبق من الاوامر والنواهي ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
برزخا وحجابا لما حلفتم عليه من الخيرات كالبر والاتقاء والاصلاح ونحو ذلك من عرضت العود على الاناء
فالايمان مجاز عن الامور المحلوف عليها وان تبروا وما عطف عليه عطف بيان واللام تتعلق بالفعل او الايمان
حقيقة وان تبروا مقدر باللام والعرضة بمعنى المعرض كالهدف والمعنى لا تجعلوا الله معرضا لحلفكم تحلفون به
دايما فان ذلك ابتذال له اي كفوا عن ذلك لتبروا فهو نهي معلل وعلى الاول المعلل منهي وهو الوجه
لما روى البخاري ومسلم عن ابي موسى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لا احلف
على يمين وارى غيرها خيرا منها الا اتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني ولما روي انها نزلت في ابي بكر حين
حلف لا ينفق على مسطح وقيل في عبد الله بن رواحة حلف لا يكلم النعمان بن بشير زوج اخته والله سميع لايمانكم
عليم بنياتكم لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو من كل شيء الساقط في حديث ابي هريرة رضي الله عنه
اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والامام يخطب انصت فقد لغوت وهو عند الشافعي رحمه الله ما رواه ابو داود
عن عايشة رضي الله عنها وابن عباس عن رسول الله هو كلام الرجل لا والله بلى والله وعند ابي حنيفة
رحمه الله هو الحلف بالظن على ما كان ولم يكن ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته قصدا يشمل الغموس
وغيره ولا فرق بين المكسوبة والمعقودة عند الشافعي رحمه الله والمواخذة الكفارة او العقوبة ان لم
يكفر وعند ابي حنيفة رحمه الله لا كفارة في المكسوبة وهي الغموس وهي ان يحلف عمدا على خلاف الواقع في
الماضي والمعقودة هي التي توثق بالقصد والنية على امر في المستقبل بفعله او لا يفعله والله غفور لا يواخذ
باللغو حليم لم يعاجل بالعقوبة بعد الحنث للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر صيغ القسم تعدى
بعلى والتعدية بمن لتضمنه معنى البعد وحال من الضمير في الخبر اي تربص اربعة اشهر حاصل للذين يؤلون حال
كونه من نسائهم والتربص الانتظار والمراقبة مصدر اضيف الى المفعول فان فاؤا رجعوا في اليمين بالحنث
فان الله غفور اثم الحنث بالكفارة رحيم بشرع الكفارة تلافيا وان عزموا الطلاق فان الله سميع لطلاقهم
عليم بنياتهم الايلاء حلف الزوج على الامتناع من الوطي اما مطلقا او مقيدا باكثر من اربعة اشهر وحكمه
بعد المدة الفياة اي الرجوع اما بالوطي او الوعد ان عجز فان لم يفئ طلقها فان ابى طلقها القاضي
استدل الشافعي رحمه الله على هذا بالفاء في فان فاؤا فانها تدل على ان طلب الفياة بعد اربعة
اشهر وبقوله ان الله سميع لدلالته على ان من الزوج كلاما وذهب ابو حنيفة رحمه الله الى جواز
الايلاء في اربعة اشهر فان فاء في المدة لزمته الكفارة والا بانت منه بطلقة وجعل قوله
فان فاؤا تفصيلا لقوله للذين يؤلون من نسائهم والسماع متعلقا بما يقع من المقاولة عند ترك
الفياة والضرار وفيه ان المفصل عين المجمل ولا تعقيب الا في الذكر وما في الآية متغايران وجودا
والمطلقات عام خص منه الامة والصغيرة والايسة وذات الحمل وغير المدخول بها بنصوص اخر
يتربصن بانفسهن خبر اريد به الانشاء مجازا تشبيها لما هو مطلوب الوقوع بالمتحقق في الحال
او الاستقبال ابلغ من صريح الامر لدلالته على انهن يمتثلن لا محالة وبناؤه على المبتدا
زاده وكادة لتكرر الاسناد واقحام الانفس هنا دون الايلاء لان القرء من صفاتهن

لطف كنايه

كناية

ونوالطلاق

دونه وقيل لان نفوسهن طوامح الي الرجال في العدة فامرن بحفظها وكفها ثلثة قروء القرء لغة
الحيض والطهر والي الاول ذهب ابوحنيفة رحمه الله في تفسير الاية مستدلا بما روي ابوداود
والترمذي عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال طلاق الامة طلقتان
وعدتها حيضتان ولاتفاقهم علي الحيض في الاستبراء ولما رواه ابوداود عن فاطمة بنت ابي (حيضتان)
جبيش دعي الصلوة ايام اقرايك وذهب الشافعي الي الثاني مستدلا بقوله فطلقوهن
لعدتهن فان اللام للتوقيت كقوله ولما جاء موسي لميقاتنا وقوله اقم الصلوة لدلوك الشمس وبما
رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنه انه طلق امراته وهي حايض فامره رسول الله صلي
الله عليه وسلم ان يراجع ثم يطلقها في كل قرء تطليقة ورواية الشيخين مقدمة عند التعارض
والاعتراض بان ما ذهب اليه يبطل مدلول الخاص القطعي وهو الثلثة لاعتداده بساعة بل لحظة
من الطهر غيرنا هض عنده اسم للكل ولكل جزء منه فان قلت اذا كان اسما لكل جزء منه فكان ينبغي ان (لا الطهر)
ينقضي العدة بثلث ساعات من طهر وقع فيه الطلاق قلت الطهر الذي يجعله قرءا شرطه ان يكون (رد علي الشافعي حيث جعل ...)
محاطا بدمين ولذلك لم يجعل طهر الصغيرة قبل الحيض قرءا وبذلك يسقط وسم التحكم حيث جعل جزءا
من الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءا دون الثالث وايثار جمع الكثرة مع الثلثة للاتساع في استعمال
كل موضع الاخر مع اشتمال كل قرء علي اجزاء كثيرة ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
من الولد والحيض استعجالا القبول قولها ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر ليس بشرط في عدم الكتمان
حتي لو لم يؤمن حل لها ذلك بل قصد اعظام ذلك وان عدم الاقدام عليه من لوازم الايمان وبعولتهن
احق بردهن البعولة جمع بعل والتاء لتاكيد معني الجمع كالفحولة والضمير اخص من المرجع لاختصاص
هذا الحكم بالرجعيات والمعني ان الزوج احق بالرجعة منها بالاباء كقولهم الصيف احر من الشتاء
وفيه حث لا قاربها بان يكونوا عونا له ان تنازعا في ذلك في زمان التربص اذ بعده مستقله بما شاءت
ان ارادوا اصلاحا اي الاحقية عند الله مفيدة بارادة الاصلاح لا في الظاهر لان تلك الارادة
امر خفي ومناط الاحكام الظواهر وسنن الفتوي غير سنن التقوي ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
من الحقوق والرعاية وللرجال عليهن درجة مزية في الحق وزيادة فضيلة باعتبار الخلقة والدرجة منزلة
لوحظ فيها التفوق كما اعتبر التسفل في الدركة والله عزيز قادر علي الانتقام ممن خالف امره حكيم حيث
فضل الرجال لانهم قوامون علي النساء بالنفقة والحراسة وبيناركونهن في غرض الازواج الطلاق مرتان
اي الطلاق المعقب للرجعة طلقتان لان الكلام في شان الرجعيات وحكم البواين مستوفي في سورة
الطلاق ولما روي ابوداود عن ابن عباس رضي الله عنه كان في بداء الاسلام الرجل احق بامراته
وان طلقها مائة تطليقة وكذا عن ابن جرير وابن ابي حاتم عن عروة ولحديث هلال طلق زوجته ثلثا
وعند ابي حنيفة رحمه الله تعليم لكيفية ايقاع الطلاق اي ان الطلاق الشرعي تطليقة بعد تطليقة
دون الجمع والارسال فانه بدعة فامساك بمعروف او تسريح باحسان متفرع علي التعليم فبعد العلم بكيفية
الطلاق انتم مخيرون بين الامساك وحسن المعاشرة والطلاق علي الوجه المشروع تخييرا بين الفاضل والمفضول
لان الطلاق انكر المباحات وعند الشافعي رحمه الله التسريح باحسان الطلقة الثالثة او ودع الرجعة
حتي تبين بانقضاء العدة ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا نزلت في جميلة بنت ابي بن سلول
كانت عند ثابت بن قيس روي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه انها جاءت رسول الله
صلي الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ثابت لا اعتب عليه في خلق ولا دين ولكن اكره الكفر في الاسلام
اكره ذمامنه راية مقبلا في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال تردين عليه

حديقته وكان اصدقها حديقة فقالت نعم فاختلفا والخطاب للحكام لانهم الامرون وهذا القدر كاف في
الاسناد وان لم يكن مسبوقا بالترافع او للازواج والحكام ويتصرفا الي كل ما يليق به او للازواج وان كان الخطاب
في فان خفتم للحكام لانه تفنن في الخطاب ومثله كثير الا ان يخافا اي الزوجان الا يقيما حدود الله من مواقف
الزوجية وقرا حمزة يخافا علي بناء المفعول علي ان ما بعده بدل اشتمال من الضمير وفيه تاييد لكون الخطاب
للحكام فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي شئ كان جميع المهر او اقل
او كثير فاندفع به وهم البعضية مما اتيتموهن تمسك طايفة من السلف منهم ابن عباس والحسن رضي الله عنهما
بظاهر الاية علي اختصاص الخلع بحال الشقاق وبما روي الترمذي عن ثوبان ايما امراة سالت زوجها طلاقها (اذا صح حال الشقاق)
من غير باس فحرام عليها رايحة الجنة والاية علي ان القيد محمول علي الغالب حتي قال الشافعي رحمه الله اذا صح
في حال الشقاق ففي الوفاق اولي واختلف فيه هل هو طلاق او فسخ فذهب الامام احمد والشافعي في احد
قوليه الي انه فسخ ان كان بلفظ الخلع او المفاداة وفي اصح قوليه الي انه طلاق وثمرة الخلاف ان كان فسخا لا
ينقص به عدد الطلاق واختلفوا في لحوق الطلاق بعد الخلع بالمختلعة عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك ان
اتبع الخلع طلاقا من غير سكوت تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون الكاملون
في الظلم فان طلقها اي بعد الطلقتين وحديث الخلع بيان لاحد قسمي الطلاق وهو الذي علي عوض وعند
الشافعي رحمه الله حديث الخلع معترض والطلقتان رجعيتان فلا تحل له من بعد حتي تنكح زوجا غيره النكاح هو
العقد لاسناده الي الزوجة لا الاصابة لانه فعل الزوج وانما اشترطت زيادة علي الكتاب لحديث العسيلة فانه
مشهور فان قلت ما رواه الثقات من قوله لعن الله المحلل والمحلل له يناقض الاية لان الزوج الثاني محلل البتة
قلت ذاك محمول علي الاشتراط او اضماره فلا تناقض لاختلاف المورد فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما
علي الزوجين ان يتراجعا يرجع كل منهما الي صاحبه ان ظنا ان يقيما حدود الله في احكام الزوجية وايثار الظن
لان اليقين متعذر وحمل الظن علي اليقين مع كونه رجما بالغيب ينافيه ان الناصبة الدالة علي التوقع وتلك
حدود الله يبينها لقوم يعلمون اي يعملون بعلمهم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن شارفن اخر العدة
اذ بعد انقضائها لا زوجية والاجل يطلق علي اخر المدة كما يطلق عليها اما اشتراكا او تجوزا في احدهما فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف اعاده مفرعا علي بيان مدة الرجعة وليعطف عليه ولا تمسكوهن ضرارا كانوا
يطلقون فاذا شارفت انقضاء العدة راجعوها لا للامساك بل ضرارا لتعتدوا عليهن ومن يفعل ذلك فقد
ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله هزوا كانوا يطلقون ويعتقون ثم منهم من يقول كنت لاعبا
فنزلت روي ابوداود والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ثلث جدهن
جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم بارسال الرسول ورفع سنة الجاهلية (واعلموا)
والذكر اعم من اللساني لان المراد منه الشكر وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة علم الشريعة عطف علي نعمة الله
المفسر بارسال الرسول فيناله ما لنظم يعظكم به جملة حالية واتقوا الله ان الله بكل شئ عليم تاكيد
وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن روي البخاري ان اخت معقل بن يسار كانت عند رجل فطلقها
فلما انقضت عدتها خطبها مع ساير الخطاب فابي معقل فنزلت واستدل به من قال لا تزوج المراة نفسها ولا
محمول علي الحقيقة وهو اخر العدة وهذا معني قول الشافعي دل بالسياق علي افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان
تسميتهم ازواجا بعد العدة باعتبار ما كان خطاب للاولياء وقيل خطاب للازواج لما روي انهم كانوا يمنعون
المطلقات من التزوج بالغيرة الجاهلية والاحسن ان يكون خطابا عاما ليسلم من انتشار الخطاب
لان الخطاب في اذا طلقتم خاص بالازواج ولما فيه من تهويل امر العضل فعلي الاولياء والازواج ان لا يحوموا
حوله وعلي الناس كافة نصر المظلوم اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء فيه تغليب اذ ظرف للنكاح

او العضل بالمعروف بما يعرف شرعا ويستحسنه المروة ذلك اشارة الى ما مضى من الاحكام خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لان حرف الخطاب في اسماء الاشارة لمن يتلقى الكلام سواء كان مخاطبا بالحكم اولا وليس هذا خطابا
لرئيس القوم بمنزلة خطابهم كما في يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ولكل من يتاتى منه تلقي الكلام وهذا اوفق لا
الخطاب اللاحق والسابق عام يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الآخر لانه المنتفع بالموعظة ذلكم ازكى
لكم افضل واكثر خيرا واطهر من دنس الآثام وصف للشيء بوصف صاحبه والله يعلم ما فيه صلاحكم وانتم لا تعلمون
لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن خبر في معنى الامر مبالغة والامر للندب ان وجد غير الام وان لم يوجد
او وجدت ولم يرضع الا من امه او كان الوالد عاجزا عن اجرة الظئر ويجوز استيجار الام عند الشافعي رحمه الله
بكل حال وعند ابي حنيفة رحمه الله لا يجوز ما دامت في النكاح او معتدة حولين كاملين دفع للتجوز بتنزيل ما يقرب
الكل منزلته ولا ينافي هذا كون اسم العدد خاصا لا يحتمل الزيادة والنقصان لان المدلول مراد ادعاء لمن اراد
ان يتم الرضاعة اللام بيان لمن خوطب كما في هيت لك بيان للمهيت به اي الخطاب لك هلم واسرع والضمير للاب لانه
الذي يجب عليه الارضاع والمعنى هذا نهاية المدة ويجوز النقص ان لم يتضرر الولد وعند ابي حنيفة رحمه
مدته ثلثون شهرا لقوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن اي اجر المثل وبه
استدل الشافعي رحمه الله على جواز استيجار الام مطلقا وعند ابي حنيفة رحمه الله الوالدات المطلقات
لان الكلام فيهن والنفقة والكسوة لاجل الرضاع وانما قال المولود له دون الوالد دلالة على وجوب قيامهم
برزق المرضع وايماء الى ان النسب الى الآباء في الكفاءة وغيرها عاب هشام بن علي المامون قبل الخلافة بانه
ابن امة ويروم الخلافة فقال له المامون ان هاجر كانت امة وقد ولدت اسمعيل ومن نسلها سيد ولد آدم
فانشد الشاعر للمامون فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللابناء ابناء آباء بالمعروف حسب ما يليق
به من اليسار والفقر والتوسط لا تكلف نفس الا وسعها تعليل للتقييد بالمعروف ولا يمنع جواز تكليف المحال
لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده اي لا تشاق كل منهما الآخر لاجل الولد بان تطلب هي منه فوق المعروف
وما ليس بعدل من الرزق والكسوة ولا هو يمنع حقها او يطلب انتزاع الولد منها وهي راغبة في ارضاعه واشباه
ذلك وان كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وبالعكس ويجوز ان يكون بضاد
بمعنى تضر والباء صلة اي لا تضر والده بولده بان تفرط في تعهده اذا لم يرضها الوالد وكذا الوالد بان ينزعه منها
سوء خلق بان ينتزعه منها بعد ما الفها وقرا ابن كثير وابو عمرو ولا تضار بالرفع وهو ابلغ لكونه خبرا
اريد به الانشاء وانما نسب الولد اليهما استعطافا بان لا يضر كل منهما ولا يضار صاحبه لانه يول
الى الاضرار بالولد وعلى الوارث مثل ذلك عطف على المولود له وما بينهما تعليل معترض والوارث
الصبي لتقدم ذكر الولد والاصل في اللام العهد ولان الولد اذا كان له مال لا يجب على الوالد
اجرة الارضاع وقيل يعم ما عدا الولاد لعموم اللفظ والاشتقاق من الارث فقيل وارث المولود له
وقيل وارث الصبي مطلقا عند ابن ابي ليلى ومن كان ذا رحم محرم عند ابي حنيفة رحمه الله وقيل ا
من الآباء والامهات وقيل عصابته وقيل وعلى الوارث اي الباقي من الابوين بعد موت الآخر وفيه
فلو اذا التقدير فعلى الاب النفقة وعلى الباقي من الاب والام فان ارادا فصالا عن تراض منهما
وتشاور فلا جناح عليهما التحديد بالحولين وجواز النقص علم سابقا الا ان من اراد كان ظاهرا في
الاب فاشار هنا الى ان للام حقا في الجملة وليست معزولة عن النظر راسا وان اردتم ان تسترضعوا
اولادكم فلا جناح عليكم اي اذا اتفق الوالد والوالدة على تسليم الولد الى المرضع فلا جناح في ذلك
سواء كان بالام عذر او لا يقال ارضعت المراة واسترضعها كانجح واستنجح بمعنى فالمفعول الاول
محذوف للعلم به اذا سلمتم ما اتيتم اي ما اردتم ايتاؤه وقرا ابن كثير بالقصر اي ما اردتم فعله

اولد
لا بد زين بعتي ان يكون له
ام من الروم او سوداء عجماء

صوله

والاول احسن وليس التسليم شرطا لرفع الجناح بل حث على الاولى بالمروة والاصلح بالولد اذ بذلك
يزداد رغبتها ويقوي اهتمامها بالمعروف متعلق بسلمتم اي بالطريق المعروف شرعا ومروة واتقوا الله
بالمحافظة على حدوده واعلموا ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه خافية والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي ازواج الذين يتوفون منكم او والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا بعدهم وهذا اولى لان الظاهر من النكرة المعادة المغايرة وانما قال عشرا الا ان
الليالي غرر الايام والشهور باعتبار الهلال قال الله ان لبثتم الا عشرا خص الحامل بقوله واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن والامة قياسا على عدة الطلاق وما روي عن علي وابن عباس رضي الله
عنهما عدة الحامل باقصى الاجلين متروك بالاجماع وقرا علي ابن ابي طالب يتوفون على بناء الفاعل
بمعنى يستوفون اعمارهم وما روي انه خطا السائل عن الميت من المتوفي باسم الفاعل محمول على ان السائل
لم يكن بليغا عارفا بمواقع الكلام والحكمة في المدة اعتبارها بمدة الايلاء التي هي غاية صبر المراة عن الزوج
على ما نقل عن عمر رضي الله عنه وقيل لان الولد يتحرك في اربعة اشهر وزيد العشر استظهارا فاذا
بلغن اجلهن اخر المدة فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن ايها الحكام مما كان محرما عليهن من الزينة والتعرض
للخطاب بالمعروف والله بما تعملون خبير فصل الآية الاولى بالبصير وهذه بالخبير لان الارضاع واحكامه
امور مكشوفة بخلاف العدة وضبط ايامها ربما يتساهل فيه الحكام ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء التعريض امالة الكلام الى عرض اي جانب يدل على الغرض والفرق ان استعمال اللفظ في
الموضوع له حقيقة وفي غيره مجاز والكناية لفظ مستعمل في غير الموضوع له مع جواز ارادة الموضوع له ايضا
والتعريض ما فهم من السياق من غير استعمال في المعرض به كقول الراغب في المعتدة مثلك لا يوجد وكم
لك من طالب والخطبة اسم الحالة الا انه خص بطلب النكاح او اكننتم في انفسكم اضمرتم علم الله
انكم ستذكرونهن لغلبة ميل الرجال الى النساء ولذلك اباح التعريض والاضمار وفيه توبيخ لطيف
ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن مقدر اي اذكروهن لا تواعدوهن سرا والسر كناية عن الوطي
لانه مما يسر به ثم اطلق على العقد مجازا ولم يطلق عليه ابتداء لعدم العلاقة الا ان تقولوا قولا معروفا
متعلق بلا تواعدوهن والقول المعروف هو التعريض اي لا تواعدوهن نكاحا الا بطريق التعريض
وحكم المعتدة من الطلاق البائن حكم المتوفي عنها زوجها ولا تعزموا عقدة النكاح نهي عن العزم
مبالغة في تحريم المباشرة وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح لان معنى العزم في الاصل اي لا تبرموا
النكاح ولا تلزموه حتى يبلغ الكتاب اجله اي ما كتب وفرض من امر العدة آخر مدته ونهاية امره
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم والميل فاحذروه واعلموا ان الله غفور رحيم لما عزمتم
عليه ولم تعملوه خوفا منه حليم لا يعاجل بالعقوبة لا جناح عليكم لم يعطفه لان ما تقدم في شان المعتدة
وخطبتها وهذا في بيان المهر والجناح هو المهر لقوله بعد هذا وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم
ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة لشيء لا ايجاب مهر كلا او بعضا مدة انتفاء
احد الامرين المس والفرض قرا حمزة والكسائي تماسوهن لان المراد به الوقاع ولا يكون الا بين الشخصين
والقصر اولى لان الوطء فعل الزوج والفريضة فعيل بمعنى المفعول والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية
ويجوز ان يكون مصدرا ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره الموسع الغني يقال اوسع الرجل
اذا صار ذا سعة وغنى والمقتر ضيق الحال من القتار وهو رايحة الطبخ او من القتر وهو الغبار لتغير
حاله وكابة وجهه وقرا حمزة والكسائي وحفص قدره بتحريك الدال وهما لغتان والمتعة درع
وملحفة وخمار عند ابي حنيفة رحمه الله الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل

واستحسن الشافعي رحمه الله ان لا ينقص عن ثلثين درهما والظاهر تخصيص المتعة بغير الممسوسة اذا
طلقت قبل الفرض والحق بها الشافعي المدخول بها استدلالا بقوله فتعالين امتعكن في اية التخيير فالتي
لا متعة لها ذات الشطر متاعا بالمعروف شرعا ومروة حقا على المحسنين ترغيب في اعطاء المتعة بانه وصف
المحسنين لانه قد روي ان حسن بن علي رضي الله عنهما طلق امراته ومتعها عشرة الاف فقالت متاع
قليل من حبيب مفارق وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم
اي لهن نصف ما فرض ولا متعة لانه قسيم ذات المتعة الا ان يعفون اي المطلقات النون ضمير
ولذلك لم يسقط بالناصب او يعفو الذي بيده عقدة النكاح قيل هو الولي واليه ذهب مالك
والشافعي رحمهما الله في قوله القديم والصحيح انه الزوج والمعني او يترك الزوج طلب النصف
واطلاق العفو وهو الاسقاط علي الزيادة مشاكلة وعطفه على المستثنى وحكمه ترك الواجب وفي
المعطوف الزيادة عليه لاشتراكهما في عدم الطلب اي الا ان تعفوا المراة فلا شئ او يكمله الزوج
فلا نصف وان تعفوا اقرب للتقوى لان من ترك حقه الذي نطق به القران فهو بترك الشبهات اسمح وعن
ابن عباس رضي الله عنه الخطاب للزوجين وفيه تغليب الذكور ولا تنسوا الفضل بينكم اي تفضل
بعضكم علي بعض ترغيب في المسامحة الخطاب للاولياء والازواج ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع
عنده الفضل والاحسان حافظوا على الصلوات عقب الحث على العفو والنهي عن نسيان الفضل
بالحث علي محافظة الصلوات لانها تهيئ النفس لايثار كوامل الملكات فانها الناهية عن الفحشاء
والمنكر جمعا بين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والمراد بالمحافظة رعاية اركانها وشرايطها
وسننها وادابها والصلوة الوسطي اي الفضلي من الوسط بمعنى المختار ولذلك افردت بالذكر
وهي صلوة العصر لكثرة الاخبار في فضلها ولقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن
الصلوة الوسطي صلوة العصر ملاء الله بيوتهم وقبورهم نارا وقد اكثروا القول فيها ولا يعارض
ما روينا شئ مما ذكروا وقوموا لله قانتين خاشعين او ذاكرين الله لا غير لما روي مسلم عن ابن
مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرد السلام وهو في الصلوة فلما
رجعنا من الحبشة فسلمنا عليه فلم يرد علينا وقال ان الله يحدث من امره ما شاء وان مما احدث
ان لا تكلموا في الصلوة فان خفتم من عدو وغيره فرجالا جمع راجل كقيام في قايم او ركبانا جمع راكب ظاهر
فيما ذهب اليه الشافعي رحمه الله من جوازها لدي المسايفة والمشي وقيده ابو حنيفه رحمه الله بما اذا
امكن الوقوف مستدلا بان رسول الله صلي الله عليه وسلم لم يصل يوم الخندق اربع صلوات فلو صح
كيف اتفق لم يتركها فاذا امنتم من الخوف فاذكروا الله اي صلوا علي الوجه الذي علمكم والتعبير
بالذكر للدلالة علي ان الفرض من الصلوة ذكر الله او اشكروه كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون اي شكرا يوازي
تعليمه اياكم من الشرايع والاحكام التي لا يمكن الوقوف عليه بفكر ونظر والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم مفعول مطلق اي فليوصوا اوكتب الله عليهم وصية وقرا نافع وابن كثير
وابو بكر والكسائي بالرفع علي انه مبتداء خبره لازواجهم كسلام عليك او وعليهم وصية اوكتب عليهم
متاعا الي الحول نصب بوصية اوبفعله ان قدر غير اخراج بدل منه او حال من ازواجهم او مصدر موكد
لان الوصية بالتمتيع تدل على عدم الاخراج والاية منسوخة بالتي تقدمت اربعة اشهر
وعشرا لان ترتيب التنزول لا يلزم ان يكون على ترتيب الوضع كما في سيقول السفهاء مع قد نري تقلب وجهك
ولا يقدح فيه كون ترتيب الوضع على وفق ترتيب النزول والنفقة سقطت بالارث لا لان قوله فلهن الربع
فلهن الثمن دل علي ان لها ذلك لا غير بل لانتقال المال الي الورثة وانما اوجب الشافعي السكني

بما رواه الترمذي ان الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها ولم تكن ساكنه
في بيت يملكه زوجها فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ترجع الي بني خدره فقال امكثي حتي
يبلغ الكتاب اجله فان خرجن فلا جناح عليكم ايها الولاة والحكام فيما فعلن في انفسهن من معروف لم ينكره
الشرع وهذا يدل علي انها لم تكن مجبرة على عدم الخروج بل مخيرة والله عزيز قادر علي الانتقام حكيم في بناء
الاحكام على المصالح وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين استدل به منها وجب المتعة لكل مطلقه وخص الشافعي
رحمه الله عن هذا العام المطلقة قبل الدخول اذا كان لها مسمى لدلالة النص بايما يه علي ان نصف المهر
لهن في مقابلة المتعة للمفوضة دون دخول وحمله الحنفية علي اعم من الواجب والمستحب وفيه جمع بين الحقيقة
والمجاز اذا التقدير وعلى الازواج للمطلقات وقيل تكرار للتاكيد في المطلقات للعهد كذلك يبين الله لكم
اياته الدالة علي الاحكام والاشارة الى المذكور من احكام الطلاق والعدد لعلكم تعقلون فتعملون بموجبها
الم تر الي الذين خرجوا من ديارهم بعد بيان جملة من الاحكام استطرد قصة دالة على تاثير قدرته وسرعة
تكون مراده ليكون المخاطب بها علي حذر من مخالفته الاستفهام للتقرير والمخاطب مما من احاط بقصتهم
علما من اهل الكتاب والاخبار او كل احد ممن لم ير ولم يسمع وهذا ابلغ لدلالته على انها لم تخف علي احد
والروية مجاز عن النظر ولذلك وصلت بالي او عن الادراك والمعنى الم ينته علمك اليهم والاول اوجه
لان النظر امر اختياري دون الادراك فهو الصق بالاعتبار عن ابن عباس رضي الله عنه هم اهل داوردان
قرية قبل واسط فروا من الطاعون وقيل قوم من بني اسرائيل دعاهم نبيهم الي الجهاد فلم يجيبوه
وفروا من ديارهم وهم الوف اي الاف كثيرة ولم يعلم عدد معين حذر الموت علة للخروج فقال لهم
الله موتوا اي اماتهم دفعة شبه تعلق الارادة بموتهم دفعه بامر الامر المطاع وموتهم على ذلك
الوجه بامتثال المامور المبادر طاعة ثم احياهم بعد ما تمزقت لحومهم وتغيرت عظامهم وتفرقت وصالهم
مر حزقيل النبي فتعجب من عظم قدرة الله علي الاحياء فاوحي اليه ان نادهم قوموا باذن الله فنادهم
فاذاهم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك ان الله لذو فضل على الناس يري بعضهم الايات وبقصها
للاخرين ليكون وسيلة الي مزيد الايقان ولكن اكثر الناس لا يشكرون بالتامل والاعتبار ولما عرفهم
بان الحذر لا يغني من القدر شيئا حثهم علي القتال في سبيل الله بقوله وقاتلوا في سبيل الله واعلموا
ان الله سميع عليم وفيه تعريض بالمنافقين الذين كانوا يقاتلون للغنايم ولما كانت سورة البقرة
سنام القران والجهاد سنام الدين كرره بطرق شتى استينافا واستطرادا واردفه بالانفاق الذي
لا يمكن الجهاد بدونه بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض لغة القطع وفي الشرع هو المال
المعطي ليقضي بمثله استعير لبذل المال والنفس في الجهاد رجاء الثواب ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاقراض
والاستفهام للعرض والحث علي الانفاق فهو ابلغ من الامر وسماه قرضا دلالة علي لزوم ثوابه ووجوب
تحققه وحسنا تحذيرا عن الرياء ولانه يجر النفع الي المقرض بخلاف اقراض الناس فيضاعفه له اي يجزيه
اضعافا كثيرة لا يحيط بها الا علمه تعالي وناهيك ما يسميه الله كثيرا روي ابن ابي حاتم عن ابن عمر رضي
الله عنه لما نزلت مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا رب زد فنزل وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
وحمزة والكسائي بالرفع والباقون بالنصب بان مضمرة بعد فاء الجواب وثقله ابن كثير وابن عامر مع الفصل
والتخفيف اكثر لما روي ابو عمرو وتقول العرب ضعفت درهمك جعلته درهمين وضاعفته جعلته
اكثر وضعف الشئ مثلاه فلو قال لك عندي ضعف درهم لزمه درهمان وقيل ضعف الشئ مثله والله يقبض
ويبسط لمن يشاء بين المنع والعطاء وقرا نافع وابن كثير في رواية البزي وابو عمرو والكسائي بالصاد

والسين هو الاصل وابدال الصاد منه لمشاكلة الطاء اطباقا واستعلاء واليه ترجعون فيجزي كل ما قدم
الم تر الي الملاء من بني اسرائيل قصه اخري تشجع علي القتال وتخذ زعنا للتكاسل والتقاعد من بعد موسي
حال من الملاء اذ قالوا لنبي لهم قيل هو شمعون وقيل اشمويل وقيل يوشع ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل
نصدر عن رائه جزم علي الجواب قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا عسي لتوقع وقوع
الخبر فلا وجه للاستفهام عنه لانه معني قايم بالمتكلم بل الاستفهام فيه لتقرير الخبر وتحقيقة لان
افعال المقاربة قيود لاخبارها والمعني ترك المقاتلة منكم امر متوقع ثم حققه بادخال هل دلالة
علي ان ذلك المتوقع كاين مثلها في هل اتي علي الانسان وقرا نافع بكسر السين وهما لغتان والفتح
اخف واشهر قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي داع لنا الي ترك
القتال وقد اصبنا باشد المصايب من ترك الاوطان ومفارقة الابناء والولدان وذلك ان قوم
جالوت كانوا علي ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوك بني اسرائيل اربعماية واربعين
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم قيل كان القليل ثلثماية وثلثة عشر عدد اهل بدر والله
عليم بالظالمين وعيد للكثير علي ما فعلوا وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا عطف علي
مقدر اي قال لهم ان الله كتب عليكم القتال وجعل لكم طالوت اميرا قالوا اني يكون له الملك
علينا ونحن احق بالملك منه كان من سبط يهودا وكان الملك في سبط لاوي فلذلك ادعوا الاحقية
ولم يؤت سعة من المال حال اخري معطوفة علي الاولي وكلاهما في التحقيق تعليل للاستبعاد قدحوا
اولا في نسبه وثانيا في حسبه قال ان الله اصطفاه عليكم الناس اولاد ادم المختار من اختاره الله وزاده
بسطة في العلم والجسم وهما اللذان يحتاج الملك اليهما ليكون بعلمه ذا رأي وتدبير وبجسامته عظيما في الاعين
لا بنسبه الناظر والله يؤتي ملكه من يشاء فلا وجه لمعارضته ودعوي الاحقية بعد تعلق ارادته بخلافه
والله واسع عليم واسع الفضل كامل العلم ما يختار الا الحكمة وان خفيت وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان
ياتيكم التابوت هو الصندوق فعلوت من التوب لانه يرجع اليه مرة بعد اخري وليس بفاعول من تبت لقلة
ما فاؤه ولامه من جنس واحد كسلس وقلق فيه سكينة من ربكم سكون وطمانينة الضمير للاتيان وكان
موسي اذا قاتل قدمه امامه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل وقيل كان صورة من زبرجد وياقوت ولها راس
كراس الهرة وجناحان فتان فتزف التابوت نحو العدو فتسكن قلوبهم وقيل كان فيه صور الانبياء ومن قال
التابوت هو القلب والسكينة هي العلم ماذا يقول في قوله وبقية مما ترك ال موسي وال هرون هي رضاض
الالواح وعصا موسي وعمامة هرون والال مقحم وقيل الهما انبياء بني اسرائيل فان كلهم اولاد يعقوب تحمله
الملايكة وذلك ان التورية بعد موسي رفع الي السماء وقيل كان بيد جالوت فوقع فيهم طاعون حتي هلكت
منهم خمس مداين فتشاءموا به فحملوه علي ثورين ليخرجوه من بينهم فاستاقهما الملايكة الي طالوت ان في
ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين من كلام الله او كلام النبي فلما فصل طالوت بالجنود اي فصل نفسه
من الفصل ويجوز ان يكون لازما من الفصول كوقف من الوقوف قال ان الله مبتليكم بنهر قال ابن
عباس رضي الله عنه هو نهر الشريعة بين الاردن وفلسطين فمن شرب منه فليس مني اي من ابتداء شربه منه
فليس متصلا بي ومتحدا معي في الدين كقوله انت مني بمنزلة هرون من موسي والشرب حقيقة في الكرع واليه
ذهب ابو حنيفة رحمه الله فيمن حلف لا يشرب من هذا النهر وصاحباه الي مطلق الشرب عرفا ومن لم يطعمه
فانه مني اي لم يذقه كقوله وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا من اغترف غرفة بيده استثناء منقطع من قوله
فمن شرب منه لان الاغتراف ليس من جنس الكرع فلا اتصال وان حمل الشرب علي المطلق فالاستثناء متصل ويجوز
ان يكون مستثني من قوله ومن لم يطعمه فانه مني علي معني ان المغترف ليس مني لان الاغتراف كان رخصه ولا

اوله
مان شئت حرث النساء سوكم

لبطل فايدة النهر فشربوا منه الا قليلا منهم عن البراء كنا نتحدث ان اهل بدر عدد اصحاب طالوت فلما جاوزه
هو والذين امنوا معه لم يتجاوز الا ذلك القليل قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده القايل ناس من المؤ
منين غير كمل في اليقين وقيل القايل هم الكثير كانهم تقاولوا بعد ما جاز القليل النهر وفيه بعد لان الكثير
ممنوعون من الذهاب لقوله فليس مني فلا حاجة بهم الي الاعتذار قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله وهم الخلص
منهم او كل من جاز ان كان القايل الاول هم الكثير كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بارادته
وتيسيره والله مع الصابرين حث علي الثبات في مداحض الحرب ولما برزوا لجالوت وجنوده ظهروا وتصافوا للحرب
وجالوت اسم جبار من اولاد عمليق بن عاد كانت بيضته زنة ثلثماية رطل قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا
وانصرنا علي القوم الكافرين املاء قلوبنا قدموا سؤال الصبر لانه سبب الثبات والنصر عاقبتهما فهزموهم باذن الله
بعونه وتيسيره وقتل داود جالوت كان ايشي ابا داود وله سبعة بنين داود اصغرهم فاوحي الي ذلك النبي
ان قاتل داود وكان يرعي الغنم فطلبه طالوت من ابيه فلما جاء كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت خذنا معك
فانك ستقتل جالوت فالقاها في مخلاته فلما قتله كان له بنت زوجه طالوت اياها واتاه الله الملك بعد ان
كان راعيا والحكمة النبوة وعلم الشريعة وعلمه مما يشاء من كلام الطيور وصنعة الدروع ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض اللام للجنس والبعضان مبهمان او البعض المدفوع بهم الكفار لان العاقبة للمتقين لفسدت الارض
بقتل المسلمين ونحو ذلك مما يفضي الي الحرب او لهلك اهل الارض بالكلية بشؤم الكفار وقرا نافع دفاع وهما
مصدرا دفع والقصر اشهر ولكن الله ذو فضل علي العالمين بترتيب اسباب البقاء تلك ايات الله نتلوها
عليك بالحق الامور المذكورة في شان طالوت وجالوت او ما ذكر من اول السورة الي هنا وهذا اوجه ليكون
فذلكة ورجوعا الي ما بدئ به من حديث النبوة بقوله وانك لمن المرسلين داخل في زمرتهم لانك تخبر عن وقايعهم
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ثم استانف بما يدل علي انه افضلهم فضلا
عن ان يكون منهم بقوله تلك الرسل اي المذكورون فانهم اولوا العزم او ما ذكر وما هم في علمه او جملتهم فاللام
للاستغراق فضلنا بعضهم علي بعض في الرتبة منهم من كلم الله من غير واسطة وهو موسي بيان لجهة تفضيله ورفع
بعضهم درجات كثيرة من جهات شتي ولذلك لم يشر الي ما به فضل وليس ذلك الا رسول الله صلي الله عليه وسلم
لما روي البخاري انه كان في يوم كتف شاة فنهس منه نهسة وقال انا سيد ولد ادم اتعرفون بم ذلك ثم ذكر حديث
الشفاعة وقيامه في المقام المحمود وفي تنكيرها لبعض فخامة لا يخفي لدلالته علي انه اوضح من ان يشتبه علي احد
وحمله علي ابرهيم بعيد لان الكلام مسوق لبيان فضل رسول الله فلا يجوز اخلاؤه عن ذكره واما ابراهيم
فالفرق متفقون علي حبه ونبوته فلا يحتاج الي ذكره هذا ما عليه المفسرون ولكن فيه اشكال وهو ان قوله
تلك الرسل ظاهر ان رسول الله ليس منهم لان الاشارة لاينتاوله وما بعده تفصيل لاحوال اوليك واتينا
عيسي بن مريم البينات المعجزات الواضحة من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتي اضافه الي امه تكذيبا للنصاري
في دعوي البنوة والنفث في ايتاء البينات الي المتكلم مبالغة في دفع وهم الربوبية وايدناه بروح القدس روح
مطهرة من غير واسطة اب وقيل بارسال جبريل سكن داله ابن كثير ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم
اي الذين كانوا بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات متعلق بما اقتتل ولكن اختلفوا فمنهم من امن بتوفيق الله
ومنهم من كفر بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر للتاكيد وللاستدراك بقوله ولكن الله يفعل ما يريد اي لكنه
لم يشا عدم القتال بل ثبوته فوقع مراده فالكلام علي قانون العربية من انتفاء المسبب لانتفاء سببه يا ايها
الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم يشمل الواجب والمندوب ويتناول المنفق في الجهاد فينتظم مع ايات القتال
وايصال الوعيد باعتبار اشتماله علي الواجب من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة صفات
اليوم وقرا ابو عمرو وابن كثير الثلثة بالفتح وهو اقوي والرفع علي تقدير سؤال هل هنا بيع او خلة او شفاعة

جالوت

ادا

والمعني ان التدارك إما بالاداء ولا معاملة هناك او بالمجاملة من الاخوان والخلان ولا وجود لها لكل امري منهم
يومئذ شان يغنيه او بالابراء بالشفاعة ولا سبيل اليه لا سيما في حقوق العباد والكافرون هم الظالمون عبر عن تارك
الزكوة بالكافر تغليظا كما في آية الحج او تسمية للمشارف باسم المباشر كما في هدي للمتقين او تعبيرا باللازم عن
الملزوم لان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا
الا هو الحي القيوم هذه آية الكرسي والاخبار في فضلها فوق الاحصاء منها ما روي ابي بن كعب سألني رسول
الله صلي الله عليه وسلم اي آية في كتاب الله اعظم قلت آية الكرسي فضرب بيده في صدري فقال ليهنك
العلم يا ابا المنذر حيوته تعالي صفة حقيقية توجب العلم والقدرة والقيوم الدايم البقاء لا يطلق علي غيره
تعالي وقيل القايم بنفسه المقيم لغيره والمعني هو المستحق للالوهية لاختصاصه بصفاتها والحي القيوم اما بدل
من هو او خبر ثان لا تاخذه سنة ولا نوم السنة النعاس المتقدم علي النوم قال وسنان اقصده النعاس
فرنقت في عينه سنة وليس بنايم فتقديمها رعاية الوجود والابتداء بالاخف كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
وليس من قبيل التتميم بل من هو اسلوب الاحاطة والاحصاء والجملة مقررة لقيوميته لان التيقظ ينبئ عن القيام
بالتدبير له ما في السموات وما في الارض تقرير لعظمته وكبريائه ولافتقار الكل اليه فلكيا كان او ارضيا وهذا
ايضا تقرير لقيوميته من وجه آخر من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي لا يصدر من احد شفاعة الا باذن
خاص وفيه ايضا تقرير لكبريائه بانه كما انفرد بالايجاد ابتداء كذلك منفرد بالتشفع بقاء وفيه رد علي
المشركين في ان شركاءهم شفعاء عند الله والشفاعة اعم من ان تكون في ازالة نقصان او افادة جبران يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم الضمير لما في السموات والارض باعتبار العقلاء وما بين ايديهم وما خلفهم امور
الدنيا والآخرة وفيه تقرير للقيومية لاقتضائها العلم التام ولقوله له ما في السموات وما في الارض لان
موجد الشيء يعلم ما هو عليه وما يؤول اليه ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء لحدوثهم وحدوث
علمهم وسع كرسيه السموات والارض روي الثقات ان الله تعالي كرسيا دون عرشه لا يعلم عظمه الا هو وعن ابن
عباس رضي الله عنه لو ان السموات السبع والارضين السبع بسطن ثم وصلن لم يكن في سعة الكرسي وقيل المراد تصوير
عظمته تعالي بعظمة من يكون له كرسي هذا نعته فاطلق المركب الحسي المتوهم علي المعني العقلي المحقق والجملة
ايضا تقرير لقيوميته باعتبار سعة العلم وتعلقه بالمعلومات كلها او تجلاله وعظم قدره ولا يؤده حفظهما
لا يشغله ولا يشق عليه تتميم حسن وهو العلي العظيم المتصف بصفات الكمال والجلال لا اكراه في الدين لان امر الايمان
علي الاختيار لا يتصور فيه الاكراه وروي ابو داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في الانصار
كانت المرأة قبل الاسلام تقول ان عاش ولدي لله علي ان اجعله يهوديا فلما اجلي اليهود ارادوا انتزاع الاولاد
الذين تهودوا بالاكراه وقيل في اهل الكتاب ان بذلوا الجزية وقيل منسوخة باية القتال قد تبين الرشد من الغي
تميز الكفر من الايمان بالدلايل التبرع فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان فعلوت من طغا يطلق علي كل راس في الضلال
مفردا وجمعا كقوله اولياؤهم الطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي لا انفصام لها شبه التدين
بالدين الحق بالتمسك بالعروة الوثقي المتخذ من الحبل المحكم المامون انقطاعه والفصم بالفاء قطع بلا ابانة وبالقاف
مع الابانة ايثاره مبالغة في الوثاقة والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا قصدوا الايمان يخرجهم من الظلمات
الي النور الي الايمان والظلمات شبه الجهل ووساوس الشيطان والذين كفروا صمموا علي الكفر اولياؤهم الطاغوت
الشياطين وكل مضل يخرجونهم من النور الي الظلمات من الايمان الفطري ويجوز ان يكون آمنوا وكفروا علي ظاهرهما
والمراد بالظلمات الشبه وبالنور البينات والاسناد الي الطاغوت مجاز للتسبب اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لم يذكر وعد المؤمنين في مقابلته ايماء الي انه شيء يطول شرحه الم تر الي الذي حاج ابرهيم في ربه ذكر من الفريقين الذي
فردين بما علم في الايمان والكفر تصويرا للاخراج من الظلمات الي النور وبالعكس والاستفهام للتعجيب ان اتاه الله

الملك اللام للعلة حقيقة والمعني حمله علي ذلك البطر او مجاز باعتبار الاستعقاب كما في قوله فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا او الوقت مقدر والغرض تعكيسه في جعل الكفر مكان الشكر وهذا المحاج نمرود بن كوش بن كنعان
بن سام بن نوح اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت ظرف حاج او بدل من اتاه ان قدر الوقت باعتبار امتداد
الزمان قال انا احيي واميت قيل اخذ رجلين فقتل احدهما واطلق الآخر قال ابرهيم فان الله يأتي
بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب كان الاعتراض عليه لايحا بان يقول ليس ما اتيت به من الاحياء
والامانة في شيء لكن لما كان جاهلا وكلامه خارجا عن قانون التوجيه اراد ازاحة الشبهة بحيث لا يبقي
مجال للريب وليس من الانتقال الذي يعده اهل النظر عيبا في المناظرة فان ذلك قبل تمام الدليل وحجة
الخليل عليه السلام كانت تامة علي انه في التحقيق ليس من الانتقال من دليل الي آخر بل الي مثال اجلي لا يقبل
الشبهة لان الشمس للعالم بمثابة الروح فبهت الذي كفر صار مبهوتا بعد الفام الحجر والله لا يهدي القوم الظالمين لمين
الذين سبق في علمه انهم اهل النار او كالذي مر علي قرية تقديره او ارايت مثل الذي عطف جملة الي اخري
فحذف لدلالة المر عليه وخص بحرف التشبيه لان منكري الاحياء اكثر من مدعي الربوبية والجاهل
بكيفيته اكثر من ان يحصي او التقدير ارايت مثل الذي حاج ابرهيم ومثل الذي مر علي قرية علي انه من عطف
المفرد والقرية بيت المقدس حين خربها بخت نصر والمار عن مجاهد كافر وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما
عزير وهو المشهور وارجح رعاية للتفصيل المقدم لان نمرود مثال من وليه الطاغوت وهذا مثال من وليه الرحمن
ولان كلام الله مع الكافر لا يحتاج الي تكلف وهي خاوية علي عروشها ساقطة حيطانها علي السقوف او خالية
بين الناس سالمة قايمة علي عروشها والعروش جمع العريش وهو ما يرفع ليستظل به قال اني يحيي هذه الله بعد موتها
انكار ان كان المار كافرا وتعجب من باهر قدرته ان كان نبيا كقول زكريا اني يكون لي غلام فاماته الله
مائة عام ثم بعثه بعد تلك المدة قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم اضرب عن اليوم لان تمام يوم
كامل غير معتاد وقيل لانه مات وقت الضحي وكان احياؤه قبل غيبوبة الشمس فلما راي الشمس قال او بعض يوم
قال بل لبثت مائة عام فانظر الي طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير من السنة والهاء اصل لقولهم سانهت
او هاء سكت لقولهم سنوات في الجمع فعلي الاول الجزم باسكان الهاء وعلي الثاني بحذف الواو ويجوز ان يكون مضاعفا
من سن تغير كقوله من حمإ مسنون وقرأ حمزة والكسائي لم يتسن في الوصل بلا هاء ذهابا الي ان اصله واو مضاعف
فلا وجه للهاء والمختار اثباتها اما لانها اصل او لاجراء الوصل مجري الوقف اتباعا للرسم وتوحيد الضمير
العايد الي الطعام والشراب لانه الجنس الذي به عيش الانسان قيل كان طعامه تينا وعنبا وشرابه عصيرا
او لبنا وانظر الي حمارك كيف تفرقت عظامه وقيل انظر اليه حيا سالما عاش مائة عام حيث ربط من غير ماء
وعلف ولنجعلك آية للناس فعلنا ما فعلنا قيل لما نام كان عمره اربعين سنة فلما جاء قومه قال انا عزير قالوا
عزير فقد من مائة سنة وكان يحفظ التورية فقراء عليهم فقالوا هذا ابن الله كان عنده منذ غاب وكان علي
صورته شابا وابنه شيخا قد بلغ مائة وعشرين سنة وابن ابنه تسعين وفي ذلك يقول الشاعر واسود راس
شاب من قبله ابنه ● ومن قبله ابن ابنه فهو اكبر ● تري ابنه شيخا يدب علي العصا ● ولحيته سوداء والراس اشقر
وعمر ابيه اربعون امرها ● ولابن ابنه في الناس تسعون غبر ● وانظر الي العظام عظام حمارك او الموتي
الذين تعجبت من احيائهم والانشاز الرفع من نشز المكان ارتفع وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو ننشرها بالراء
المهملة من نشره احياه والاول اوفق لان المعني علي التركيب والحيوة متاخر لقوله ثم نكسوها لحما فلما تبين
له ما كان خفيا من كيفية الاحياء قال اعلم ان الله علي كل شيء قدير لان عين اليقين اعلي مراتب العلم وقرأ
حمزة والكسائي اعلم بهمزة الوصل مع الجزم امرا اي قال له تعالي ارتق الي عين اليقين كما قال بعد هذا
لابرهيم واعلم ان الله عزيز حكيم او قال عزير مخاطبا نفسه توبيخا وتبكيتا او علي زوال الشك ان كان القائل كافرا

واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى سؤال عن كيفية الاعادة لا عن نفسها قال اولم تؤمن بالاعادة
الاعادة ولا بد لها من كيفية لان الافعال الواقعة لا تخلو عنها والاستفهام للتقرير قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي فان العلم الحاصل بالمشاهدة لا تعتريه الشبه وفي العيان معنى لا يوجد في البرهان قال فخذ اربعة من
الطير فصرهن اليك ضمها اليك ليحصل لك ما تطلب وقرأ حمزة بكسر الصاد وهما لغتان ثم اجعل على كل
جبل منهن جزءا امر بذبحها وخلط لحومها وان يأخذ رؤسها عنده ويجعل اللحم المختلط اجزاء على كل جبل
جزءا منه حتى لا يلتبس عليه اذا احياها الله وقرأ ابو بكر بضم اسكان الزاء وهما لغتان الضم للحجاز والاسكان
لتميم ثم ادعهن يأتينك سعيا ساعيات مشيا او طيرانا واعلم ان الله عزيز لا يغالب ولا يأتي عليه مراد
حكيم في اخفاء الاحياء والاعادة على الناس ابتلاء قيل كانت الطيور طاوسا وغرابا وديكا وحمامة وكان في
ايثارهن اشارة الى ان السالك انما يصل اذا امات القوة الشهوية الطالبة للزخارف التي هي صفة
الطاوس والغضبية الباعثة على الصولة والترفع التي هي صفة الديك وازاح عن النفس الدناءة والميل
الى جيفة الدنيا التي هي صفة الغراب والخفة والمسارعة في المستلذات التي هي صفة الحمام فان قلت
كل من عزير وابرهيم كان موقنا بان الله قادر على الاحياء والخفاء في الكيفية فلم ارشد ابراهيم من غير توقف
واماتت عزيرا مائة عام ثم اراه ذلك قلت لان ابراهيم ساله متأدبا بسؤال مسترشد وكان في عبارة عزير
معنى التعجب ولذلك اراه في نفسه وجعله آية للناس والمقربون يعاملون بمثل هذه المعاملات الا يرى
ان موسى عليه السلام لما قيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا كيف عتب الله تعالى عليه حيث لم يرد العلم
الى الله وسيره في الارض طالبا للعلم متلمذا لمن ليس في رتبته مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
عقب سؤال ابراهيم بالحث على الانفاق كانه قال ليس الكمال في الكشف عن كيفية الاعادة وتحصيل العلم بها انما
الكمال فيما يدخر لما بعد البعث ولا وسيلة اوثق من التقرب اليه بانفاق المال في سبيله كمثل حبة انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة اي مثل نفقتهم ليلايم جانب المشبه به وان كان من تشبيه المركب الذي لا يلاحظ
فيه المفردات وايثار سنابل على سنبلات للدلالة على الكثرة في المعنى لاشتمال كل سنبلة على مائة حبة وهذا
واقع في الدخن والذرة وفي البر في الاراضي المغلة مع ان المدرك بالحس يجوز ان يكون خياليا كما في اعلام
ياقوت نشرن على رماح من زبرجد روى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الانفاق في سبيل
الله فجاء رجل بناقة مخطومة فقال لك بها سبعمائة ناقة مخطومة يوم القيمة والله يضاعف لمن يشاء على
هذا العدد الى اضعاف لا يعلمها غيره وذلك بحسب قوة اليقين والاوقات والصدقة والله واسع عليم
لمن يستحق الزيادة الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى تحذير عن القوادح
في الانفاق المن الاعتداد بالمعروف بان يرى له فضلا على من احسن اليه والاذى ان يذكر بلسانه احسانه
او يواجهه به ويقول فعلت معك وفعلت وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن
وفيه ايضا طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن لهم اجرهم عند ربهم لم يدخل الفاء في
خبر الموصول اشعارا بان السبب لذلك الاجر هو فضله تعالى والاعمال امارات وانما ادخلها في قوله
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم اعتدادا بها لاستيعاب الازمنة والتخلي
عن وصمة الرياء وقيل لم يدخل الفاء ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف اذا فعلوا وفيه ان الانفاق
سرا وعلانية اولى بذلك فكان ترك الفاء اظهر ولا خوف عليهم من فوات ولا هم يحزنون على منترقب قول معروف
ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى صح الابتداء بالنكرة لتخصصها بالوصف والمعطوف على المخصص حكمه
حكمه والتحقيق ان التخصص ليس بشرط على ما اشار اليه ابن الدهان اذا صح المعنى اخبر بما شئت والمعنى
الرد الجميل للسائل كقول الغني له يفتح الله عليك وامثاله والتجاوز عنه ان بدا منه غلظة والحاف في

السؤال خير من الصدقة التي يتبعها اذى واكتفى بالاذى لدلالته على قرينه وفي الحديث الكلمة الطيبة
صدقة وكفك نفسك عن الشر صدقة والله غني عن انفاق منفق وانما حث على الانفاق لينال به الزلفى
فلا ينبغي ان يبطل بالمن والاذى حليم لا يعاجل بالعقوبة روى مسلم عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم المنان بصدقته
والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر مساق الآية الاولى للترغيب في الصدقة
خاليا عن المن والاذى وهذه في ذم من ابطل صدقته بشيء منهما او رآى بها وشبهه بفعل المنافق تحذيرا
عن ارتكابه وحثا على اجتنابه والكاف في موضع الحال او المصدر ثم صور حاله المحسوس لم يخل ذو بصر عن معرفته
بقوله فمثله كمثل صفوان حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب
لا يقدرون على شيء مما كسبوا اي من ثوابه كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وانما
جمع الضمير في لا يقدرون مع انه حال من الذي واستيناف والضمير عائد اليه لارادة الموصول جنسا او بقدر
فوج وما في معناه او الذي في موضع الذين كما في الذي خاضوا والله لا يهدي القوم الكافرين لا يخلق فيهم
الاهتداء وهم الذين جبلوا على الكفر ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
اي ليثبتوا بذلك بعض انفسهم على سائر العبادات فان بذل المال اشق شيء فمن اتى به هان عليه غيره او تثبيتا
للاسلام فهم ناشيا من انفسهم فان الانفاق امارة ان الايمان من اصل النفس وسنخ القلب وتثبيتا للمؤمنين
ليعلموا انهم صادقون في الايمان ومن يحتمل التبعيض والابتداء ارجح لان مقصودهم ان يعلم المؤمنون
ثباتهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل اي حال نفقة هؤلاء
لكونها ناشية عن ينبوع الصدق والاخلاص كحال جنة في مكان مرتفع لان الشجر فيه احسن وانمى
وواصلها المطر وابلا وطلا فان الطل يغني غناء الوابل لحسن المكان وطيب الثرى ومن نظم الخليل
امام النحو يمدح بستانا على ربوة ترفعت عن ندى الاعماق وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقياها
او حالهم في نتاج القليل والكثير الاضعاف لاجورهم كحال الجنة في نتاج الوابل والطل الواصلين اليها
الاضعاف لاثمارها والله بما تعملون بصير حث على الاخلاص وتحذير من الرياء آثر البصير على الخبير ايماء
الى ان الرياء وان كان خفيا كالمبصر عنده ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري
من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات افرد النخيل والاعناب لكونهما اكرم الشجر واكثر منافع وثمرهما
فاكهة وقوت واصابه الكبر الواو للحال او للعطف على ان يكون بالتأويل اي كانه قيل ايود احدكم
لو كانت له جنة واصابه الكبر وذلك لان المضارع بدخول ان تخلص للاستقبال فلا يعطف عليه الماضي
وله ذرية ضعفاء حال من الهاء في اصابه فاصابها اعصار فيه نار عطف على اصابه الكبر والاعصار الريح
المستديرة في الارض يرتفع نحو السماء فاحترقت اي الجنة مثل ضربه الله تعالى لمن يحبط اعماله الصالحة بالرياء
فاذا كان يوم القيمة وهو افقر ما يكون اليها لا يجد لها اثرا والمعنى في جانب المشبه به انكار ان يود احد
هذا الحال المستفاد من المجموع كذلك يبين الله لكم الآيات كلها ايضاحا وكشفا لعلكم تتفكرون
لكي تتفكروا في العاقبة وتجتنبوا ما يورثكم الندامة يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من خيار
مكسوبكم لان الحل علم من الامر بيان للمنفق بعد تقييد الانفاق بالاخلاص ومما اخرجنا لكم من الارض
ومن طيبات ما اخرجنا اعاد الجار للدلالة على الاستقلال كما في ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ولا
تيمموا الخبيث قرأ ابن كثير في رواية البزي بادغام التاء في الوصل لعدم الابتداء بالساكن والتخفيف
اخف واشهر منه تنفقون دون غيره حال مقدرة ولستم باخذيه حال اخرى على الترادف او التداخل الا ان تغمضوا

فيه اي لا تاخذونه بوجه من الوجوه الا بالتسامح يقال اغمضت عن كذا وغمضت واغمضت اذا تغافلت عنه كانك لا تبصر قال ومن لا يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب روي الترمذي عن البراء قال فينا نزلت كان الرجل يأتي بالقنو الحشف فيعلقه بين الاسطوانتين في المسجد لاهل الصفة واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته او كثير الثناء على المنفق وكم اثنى في كتابه على المنفق في سبيله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء بالبخل والعرب تسمي البخل فحشاء الوعد يستعمل في الخير والشر ان ذكر مفعوله والا فالوعد في الخير والايعاد والوعيد في الشر والله يعدكم مغفرة منه بالانفاق وفضلا في الدنيا عوضا عما بذلتم وتقديم المغفرة للدلالة على ان العاقل يجب ان يكون قصده الاول ذاك والله واسع فضله عليم بنية المنفق ترغيب في الاخلاص وايثار الاجود للصدقة يؤتي الحكمة من يشاء العلم مع الايقان والعمل مع الانفاق ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا واي خير كثيرا تاكيد له كما اكده بالتكثير كيفا وما يذكر الا اولوا الالباب العقول الخالصة عن شوائب الوهم حث على العمل بما تضمنته الاي السابقة من انفاق الطيب واجتناب الخبيث وتوخي المغفرة والفضل وعدم الركون الى المن والاذى وايثار التذكر ايماء الى جلاء تلك المقاصد وما انفقتم من نفقة في طاعة او معصية او نذرتم من نذر التزاما في الذمة فان الله يعلمه يجازيكم عليه من اطلاق الملزوم وارادة اللازم وما للظالمين من انصار مقابلة الجمع بالجمع لقصد التوزيع اي ما لظالم من نصير قط ان تبدوا الصدقات فنعما هي ما في فنعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة اي نعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وهما لغتان وقرا ابو عمرو وقالون وابو بكر باختلاس كسر العين تخفيفا وهو المختار رعاية للجانبين وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم اي صدقة التطوع لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انها سرا افضل صدقة العلانية سبعين ضعفا وصدقة الفرض تفضل علانيتها السر خمسة وعشرين ضعفا وقيد الاعطاء للفقراء في حال السر لانه مظنة الالتباس فانه اكثر ما يكون ليلا روي البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله منهم رجل تصدق بيمينه فاخفاها حتى لا يعلم شماله ويكفر عنكم سيئاتكم قرا بالياء ابن عامر وحفص مسندا الى ضمير الله وجزمه نافع وحمزة والكسائي والمختار النون لانه الفخم والجزم لاندراج تكفير الذنوب في جزاء الصدقات موافقا لقوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار لان الخبرة هي العلم ببواطن الامور ليس عليك هداهم خلق الاهتداء فيهم تسلية له كان يشق عليه عدم امتثال بعضهم ولكن الله يهدي من يشاء هدايته وما تنفقوا من خير من مال سماه خيرا باعتبار ثوابه فلانفسكم لا ينجاوزها ثوابه وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله عطف على جملة وما تنفقوا والمعنى ان انفاقكم لما كان لوجه الله فلا وجه للمن والاذى والاحسن ان يكون حالا اي ما تنفقوا فلانفسكم ثوابه حال كونكم تنفقونه ابتغاء وجه الله روي النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه كانوا يكرهون ان يرضخوا لانسابهم المشركين فسالوا رسول الله فنزلت والمعنى على هذا ليس عليك هداهم حتى تمنع الصدقة عليهم كي يسلموا وانما عليك الحث على مكارم الاخلاق وكل ما ابتغي به وجه الله سواء كان على بر وفاجر فهو واصل الى المنفق مشكور فيه سعيه وما تنفقوا من خير يوف اليكم اجره كاملا وليس في هذا دلالة على ان الصدقة على الصالح والطالح سيان بل ترغيب في الصدقة على الكافة وانتم لا تظلمون تنقصون من ثوابه للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي اجعلوا صدقاتكم للفقراء الموصوفين او صدقاتكم لهم على الابتداء والخبر والاحصار بالجهاد او المرض والخوف لا يستطيعون ضربا في الارض لطلب المعاش لاشتغالهم بالجهاد او وجود المانع والاكثرون على انها نزلت في اصحاب الصفة من فقراء المهاجرين لم يكونوا محصورين في عدد كانوا يزيدون وينقصون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر اصحابه بان يعشي كل رجل واحدا منهم فاذا فضل جماعة يعشيهم هو يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف لاظهارهم الغنا مبالغة في العفة وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو

والكسائي يحسب بكسر السين وهو المختار لانه لغة الحجاز تعرفهم بسيماهم انت او كل احد بر ثاثة حالهم ولسان الحال انطق لا يسألون الناس الحافا الحاحا ومبالغة بل ان سألوا سألوا تعريضا واصل الحاف من اللحاف كانه يسأل كل شيء حتى اللحاف ولشمول سؤاله الناس شمول اللحاف صاحبه او يسألون الناس راسا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر لا ضب ولا انجحار وهذا اوجه لقوله يحسبهم الجاهل اغنياء ولما روي البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي يرده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان انما المسكين الذي يتعفف اقرؤوا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا ولم يرو عن هؤلاء الاجلاء سؤال قط وايثار هذا الاسلوب للدلالة على ان حالهم كان يقتضي الالحاف لولا غنى النفس يبعثهم على التعفف وما تنفقوا من خير فان الله به عليم حث على الاخلاص الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات كلها لا يتعللون بعذر ولا يؤخرون من وقت الى وقت ويدخل فيه النفقة على العيال وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في علي بن ابي طالب كان معه اربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وعن ابن المسيب نزلت في علف خيل الغزاة وقيل نزلت في الصديق تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ادخل الفاء قصدا الى سببية اعمالهم اعتدادا بها وان كان الاجر فضلا منه تعالى الذين يأكلون الربوا لم يعطف القصة على ما قبلها لكمال التباين بين الغرضين والربوا لغة الزيادة وفي الشرع زيادة مخصوصة اما في الاجل كربوا النسيئة او في العين كربوا الفضل وانما كتب بالواو للدلالة على الاصل كالزكوة والصلوة لا على لغة المفخم اذ لم يقرا به احد وكتب الالف بعدها تشبيها بواو الجمع وخص الاكل لانه معظم منافعه ولانه اكثر ما يكون في المطعومات عند العرب لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس من الجنون والخبط الضرب على غير الاستواء تشبيها لخبط العشواء ذلك العقاب بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا هدم لقياسهم لانه في مقابلة النص ان لو كان صحيحا كيف وهو قياس مع الفارق فان من اعطى درهمين بدرهم لا يقابل احد درهميه بشيء ولان الفضل فيه متحقق وفي البيع متوهم باختلاف الاوقات والاسواق فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف لا يؤاخذ بما اربى قبل التحريم وامره الى الله يعامل بما شاء ومن عاد الى الاستحلال فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مع سائر الكفرة يمحق الله الربوا المحق المحو والابطال مناف للغرض لان مرتكبه لم يرم الا الزيادة اشارة الى انه لو لم يكن فيه عذاب الاخرة لكفي به زاجرا ويربي الصدقات يكثرها او يكثر ثوابها لما روي البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يربيه كما يربي احدكم فلوه والله لا يحب كل كفار اثيم بالقول والفعل يشير الى ان من عاد بعد هذا البيان فهو كفار اثيم وهذا الحكم مخصوص بالمستحل لانهم الذين يقولون انما البيع مثل الربوا وسيذكر حكم مرتكب الفعل من دون استحلال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم لم يدخل الفاء للدلالة على تحقق الوقوع ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون افردهما بالذكر لزيادة الشرف يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا نزلت في ثقيف اربوا بني المغيرة بمكة في الجاهلية فلما جاء الاسلام طالبوهم فابوا وقالوا لا نؤدي الربوا في الاسلام فتحاكموا الى عتاب بن اسيد قاضي مكة فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يساله الحكم في ذلك فنزلت ان كنتم مؤمنين فان الامتثال لامر الله دليل الايمان فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بحرب واي حرب ولذلك لم يصفه وعن ابن عباس رضي الله عنه يقال لاكل الربوا يوم القيمة خذ سلاحك للحرب وقرا حمزة وابو بكر آذنوا بالمد اي اعلموا غيركم وهذا ابلغ كانهم امتثلوا وامروا باعلام الغير وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون غيركم ولا تظلمون انتم ومفهوم الاية انهم ان لم يتوبوا ليس لهم رؤس

دفع لما استشكله الفاضل سم

اموالهم وهو كذلك ان كانوا مستحلين والا فحكمهم التعزير والمحاربة ان كانوا ذوي شوكة والمفهوم ملغى للاجماع
على خلافه اولان الكلام مسوق لدفع توهم ان سقوط راس المال من تمام التوبة وان كان ذو عسرة فنظرة الى
ميسرة اي ان وجد الغريم معسرا كان تامة والنظرة بمعنى الانظار اي فالحكم الانظار الى اوان اليسار وقرا نافع
ميسرة بضم السين وهي لغة الحجاز والتنوين للتقليل اشارة الى انه يجب الاداء بادنى يسار وان تصدقوا خير لكم
اي تصدقكم بالانظار خير لكم من المطالبة لما روى الامام احمد من انظر معسرا قبل ان يحل الدين فله بكل يوم مثله
صدقة وان انظر بعد ان يحل فله بكل يوم مثلاه صدقة او بالابراء عن راس المال لما روى مسلم من احب نفس عن غريمه
او محى عنه كان في ظل العرش يوم القيامة وقرا عاصم تصدقوا مخففا بحذف التاء ان كنتم تعلمون حث على العمل
واشارة الى فله العاملين واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وقرا ابو عمرو بفتح التاء من الرجوع والضم
ابلغ واكثر ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون بنقص ثواب روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه
انها آخر آية نزلت عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وثلثين يوما وعن سعيد بن جبير عاش بعدها
تسع ليال يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا
العين او آخذا منه كقولك بايعته اذا باعك او بعته وانما ذكر الدين لان المراد به احد العوضين فلا يدل عليه
الفعل فيبقى الضمير بلا مرجع او لتخليص المعنى المشترك ورفع الاجمال فان التداين قد يكون بمعنى التجازي ولان
التنوين فيه للتنويع فلو لم يذكر لا وهم ان الدين لا يكون الا مؤجلا الى اجل مسمى اي اجل معلوم لان الجهل
بمقداره ينافي حكمه مشروعية الاجل ويودي الى التنازع فاكتبوه امر ارشاد لانه اوثق وعن ابن عباس رضي
الله عنه المراد به السلم لما حرم الله الربوا احل السلم وليكتب بينكم كاتب بالعدل الجار والمجرور صفة اي
كاتب مامون فقيه عالم بالشروط ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتابة الوثايق
لا يبدل ولا يغير ويجوز تعلقه بقوله فليكتب والمعنى نهي الكاتب عن الاباء عن الكتابة المطلقة ثم الامر
بها مقيدة بالنهج الذي ارشده الله اليه وهذا ابلغ لما في التقديم من المبالغة والتدرج من المطلق الى
المقيد وليملل الذي عليه الحق لا يملي الا الذي عليه الحق لانه المقر بالحق ولئلا يكون له سبيل الى النزاع
وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ولا ينقص في الاملاء عن حق صاحبه فان كان الذي عليه الحق سفيها
محجورا عليه او ضعيفا شيخا كبيرا او صبيا او لا يستطيع ان يمل هو لعي او خرس فليملل وليه بالعدل من يلي
امره ويقوم مقامه واستشهدوا شهيدين من رجالكم من رجال المومنين كلهم احرارا وجوز شريح وابن
سيرين رحمهما الله شهادة العبيد لانهم من رجالنا وابو حنيفة رحمه الله شهادة الكفار بعضهم
على بعض مع اختلاف الملل فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان اي فالمستشهد رجل وامراتان وخص الشافعي
شهادة النساء بالاموال لعموم البلوى ولانها لم ترد الا في آية المداينة وجوز شهادة اربع فيما
لا يطلع عليه غير النساء وابو حنيفة رحمه الله بما عدا الحدود والقصاص لقوله صلى الله عليه وسلم
ادرؤا الحدود بالشبهات ونقصان عقل المراة شبهة والقضاء بالشاهد واليمين ثبت بالاحاديث دلا
مفهوم للآية ولو سلم لا يعارض النص كما في النكول عن اليمين ممن ترضون من الشهداء تعرفون عدالتهم
في محل الرفع على الوصفية ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى اي استشهدوا امراتين لانه تذكر
احديهما الاخرى ان ضلت اي نسيت وانما ذكر الضلال لانه الذي يجب به التذكير والعدول
عن الظاهر للاعتناء بشان التذكير حتى كان المهروب منه صار مطلوبا لاجله وقرا حمزة ان بالكسر شرطا
ورفع تذكر لكونه جوابا بعد الفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو فتذكر مخففا من الاذكار والتشديد
ابلغ ولذلك اتفقوا في فتذكر وكان الظاهر فتذكرها الاخرى وانما اعاد المظهر لايقاع التذكير على صريح
ما اسند اليه الضلال ولا لبس لان الاخرى غير الضالة لان المعرفة المعادة عين الاولى ولا ياب

دفع لما استشكله التفتازاني سم

الشهداء اذا ما دعوا لاقامة الشهادة ان تعينوا او لتحملها واليه ذهب قتاده وعلى هذا لفظ الشهداء
مجاز باعتبار المشارفة فان قلت في صحيح مسلم عن زيد بن خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم
بخير الشهداء الذي ياتي بشهادته قبل ان يسالها وفيه وفي البخاري الا اخبركم بشر الشهداء الذين يشهدون قبل
ان يستشهدوا فما التوفيق قلت الاول محمول على العدول الذين يقيمون الشهادة لله لاحياء حقوق الناس والثاني
على شهود الزور الذين يبيعون دينهم بدنيا غيرهم ولا تساموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله كنى بالسامة
عن الكسل اذ لا سامة قبل الفعل عدل عنه لانه صفة المنافق لا ياتون الصلوة الا وهم كسالى او هو على اصله فيمن
كثرت مداينته ولا تكرار في ذكر الاجل لان الاول في العقد وهذا في الكتابة ذلكم اشارة الى ان تكتبوا
لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط عند الله واقوم للشهادة افعل التفضيل من المزيد على مذهب سيبويه
لان قسط معناه جار لا يبنى منه اقسط بمعنى اعدل وكذا اقوم لان المعنى اشد اقامة لا اقاما وجعلهما من النسب
كلابن وتامر اي اشد قسطا واشد استقامة بعيد لعدم جريانهما على الفعل وادنى الا ترتابوا اقرب من انتفاء
الريب الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم اي الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد كان ناقصة وتجارة
اسمها وحاضرة نعت الاسم وتديرونها خبر كان وقرا عاصم بنصب تجارة على ان في كان ضمير الاموال والرفع احسن
فليس عليكم جناح الا تكتبوها فلا باس واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين والمعنى على بناء
الفاعل النهي عن اضرارهما بالزيادة والنقصان في الكتابة والشهادة وعلى بناء المفعول ان يضرا بان لا يعطى
الكاتب اجره وان يحمل الشاهد على المجيء من مكان بعيد او تحجزا عن مهمهما وان تفعلوا فانه فسوق بكم اي ما نهيتم
عنه واتقوا الله في المحافظة على احكامه ويعلمكم الله استيناف لا حال لان المضارع المثبت لا يكون مصدرا
بالواو والله بكل شيء عليم ولذلك شرع الاحكام المذكوره رعاية لمصالحكم وكرر لفظ الجلالة لاستقلال
الجمل فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه وان كنتم على سفر ولم تجدوا
كاتبا فرهان مقبوضة اي فالمستوثق به الرهان المقبوضة وذكر السفر خارج مخرج الغالب لان اكثر اوقاتهم
كانت في الجهاد وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل الى جوار الله ودرعه مرهونة وعند مالك
لزومه لا يتوقف على القبض لقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عند شروطهم وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن
بضم الراء والهاء كلاهما جمع رهن وكسر الراء اكثر فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته سماه امانة
حيث اكتفى الداين بديانة المدين ولم ياخذ به رهنا وفي ذلك حث له على ان يكون عند ظن الداين به وليتق الله
ربه في اداء الامانة جمع بين لفظ الجلالة والرب الدال على الجلال والكمال ترغيبا وترهيبا لعظم شان الامانة
واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم الدين امانة لا دين لمن لا امانة له ولا تكتموا الشهادة الا قرار بالامانة
فانه شهادة المرء على نفسه او خطاب للشهود ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي ياثم قلبه او قلبه ياثم خبران واسناد
الاثم الى القلب لان الكتمان فعله واللسان ترجمانه او لانه رئيس الاعضاء والمضغة التي اذا اصلحت صلح الجسد كله
واذا افسدت فسد الجسد كله والله بما تعملون عليم وعيد على الكتمان لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
تقرير لعلمه وبرهان على قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله حجة على من انكر الحساب ولا يلزم منه
التكليف بالمحال لان الحساب غير العقاب فالآية محكمة والصحيح انها منسوخة لما روى مسلم انها لما نزلت ضج المسلمون
منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقولون كما قال اهل الكتاب سمعنا وعصينا قولوا سمعنا
واطعنا فلما فعلوه نسخها الله بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء دليل
على ان اصحاب الكباير في مشية تعالى وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بجزم الفعلين عطفا
على الجواب ومن رفعه على عطف على الشرطية وادغم الراء في اللام ابو عمرو في رواية السوسي وادغم الباء يعذب
في الميم نافع في رواية قالون وابن كثير في احد الوجهين وابو عمرو وحمزة والكسائي وهو مذهب الكسائي والفراء

ونقل عن سيبويه منعه معللا بان الراء فيه تكرار يفوت بالادغام وقد قدمنا في امالة ابصارهم النقل عن الخليل
ان لا تكرير في الراء ولا شك ان ابا عمرو اعلى كعبا والعجب ممن هو قدوة في الدين يقتدي بمن ضل ويقدح في الكلام
المتواتر سماعه عمن لا ينطق عن الهوى ولو سلم فبعد نقله تواترا غايته ان يكون شاذا والله على كل شيء قدير ومنه
المغفرة والعذاب آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل اي كل منهم مبتدأ آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله خبره والجملة مستانفة لبيان المومن به فيحسن الوقف على المومنون او المومنون مبتدأ والتنوين
في كل عوض عن ضميرهم المومنين خاصة وهذا الوجه حسن اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالافراد
ولان ايمانه ليس بطريق الاستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه بالافراد على ارادة القرآن او الجنس فيعم
الكتب ويرادف الجمع واشملية المفرد في المعرف غير مسلمة والنقل عن ابن عباس رضي الله عنه الكتاب اكثر
من الكتب معارض بالقواطع والله لا يحب الظالمين لا نفرق بين احد من رسله اي بين جمع منهم لان احدا
اسم من يخاطب مفردا كان او جمعا ذكرا كان او انثى وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك منصوب باضمار فعله اي اغفر
مغفرتك التي لا يقدر عليها غيرك ربنا واليك المصير ايمان بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يتيسر
لها من غير ضيق ومشقة ولذلك اول ما فرض الصلوة خمسين صلوة ثم نسخ الى الخمس لها ما كسبت وعليها ما
لا يتجاوزها مكسوبها آثر الاكتساب في الشر لانجذاب النفس الى الشهوات دلالة على انه يثبت على الخير كيف
ما كان ولا يجازي على الشر الا بعد اعتمال وتصرف لطفا منه ولما قالوا غفرانك اردفه بهذا الكلام دلالة
غفرانه اذ لو كلفوا فوق الطاقة لم يقدروا على الطاعة وسماع القبول اعتراض حسن بين اجزاء المحكي عنهم ربنا
لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تواخذنا بتفريط يكون سببا للوقوع فيهما لانهما قلما ينفكان الا عن
تقصير سابق وما يتسبب عنهما كالقتل خطا ونسيانا لانه لا مواخذة على نفس الخطاء والنسيان لقوله صلى
الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطاء والنسيان او ان الله تعالى حكى عنهم ثناء عليهم دلالة على ان ساحتهم
بريئة من لوث العمد فيختص بمن اتقى الله حق تقاته او المطلوب استدامة ما علم دوامه اظهارا للشكر عند من يجيز
التكليف بما ليس بمقدور ربنا ولا تحمل علينا اصرا الاصر الثقل الذي يحبس صاحبه في مكانه كما حملته
على الذين من قبلنا من الامم كالقتل للتوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة ووجوب القصاص
بدون جواز العفو وغيرها من احكام التورية ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبات النازلة
بالذين كلفوا الاصار وتجوز العفو ان يكون تكريرا للاول اهتماما بطلب العفو وقيل المراد ما لا يطيقه
البشر فيدل على جواز التكليف بالمحال وفيه انه كان اللايق بالنظم تقديمه على سوال وضع الاصر عنهم لان
عظم الخطر بن يقدم علاجا واعف عنا ما سلف واغفر لنا واستر سيئاتنا ولا تفضحنا وارحمنا بالتوفيق والعصمة
عن الوقوع في شيء منها انت مولانا سيدنا او ناصرنا ومتولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من
شان السيد نصر عبده او فان ذلك من امورنا التي انت تتولاها ختمت السورة الكريمة بما بدات به من ذكر
اوليائه السامعين المطيعين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وجعل ختام ذلك كله ما يدل على
ان كمال حال العارف لا ينال مستمدا من بحر جوده الفياض بلسان الحال والمقال او بذلك ارتقاؤه في مدارج
الكمال واقتباسه لانوار الجلال والجمال ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ذوي النجاة
عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه
وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى السدرة المنتهى اعطى ثلثا الصلوات الخمس وخواتيم
سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك من امته وروى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام
كان عند رسول الله فسمع نقيضا فرفع بصره وقال هذا باب فتح من السماء ما فتح قط نزل منه ملك لم ينزل قط فاتى
رسول الله وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة والاحاديث في فضايلها لا تعدت

والله يحب المحسنين

والحمد لمن الاولى جلت والصلوة على من به دايرة الرسل تمت سورة آل عمران مدنية آيتها مايتان
بسم الله الرحمن الرحيم الم اسم السورة او حروف مقطعة صدرت بها السورة
ايقاظا وقد سبق انها معربة ساكنة الاعجاز وقفا لعدم مقتضى الاعراب وعند القايل بالبناء ايضا سكونها سكون
وقف ولذلك اغتفر فيها التقاء الساكنين وكان القياس سكون الميم في الم الله الا ان القراء اطبقوا على
تحريكه واوثر الفتحة للخفة وتفخيم اللام في الله فذهب سيبويه وطايفة الى ان الحركة لالتقاء الساكنين
والفتح لما اشير اليه وآخرون الى انها حركة الهمزة نقلت بعد حذفها الهمزة تخفيفا لان الميم في حكم الوقف
فهمزة الوصل للقطع لكونها في الابتداء فان قلت نقل الحركة الى ما قبل من احكام الوصل فاذا كان الميم
في حكم الوقف فما وجه النقل قلت لانه وقف معنى لكونه على نمط التعديد ووصل لفظا لعدم السكت وروى
يحيى عن ابي بكر عن عاصم السكون على الاصل الله لا اله الا هو الحي القيوم تقدم عليه الكلام في آية الكرسي والحديث
الوارد في ان الاسم الاعظم في هاتين الآيتين نزل عليك الكتاب القرآن منجما لذكره في مقابلة انزل بالحق بالعدل
او بالصدق او بالاعجاز الدال على انه من عند الله مصدقا لما بين يديه من الكتب حال موكدة من المفعول
وبين مستعار من المكان للزمان لما بينهما من التلبس وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى عليهما
السلام افردا بالذكر لعظم شانهما ودخول اللام عليهما دليل العربية واليه ذهب نحاة البصرة والكوفة و
اشتقاق التورية من الوري وهو ايقاد النار بالزند لكونها مظهر الاحكام والوقايع اصله ووريه قلبت
الواو الاولى فاء كما في تولج والانجيل من النجل وهو الاتساع لكون اكثره محامد وتقديسا وقيل لفظان عجميان
من قبل من قبل القرآن هدى للناس حال من الكتابين واللام للعهد اي للناس الذين تعبدوا باحكام
التورية والانجيل وانزل الفرقان اي القرآن اعاده ليرتب عليه ما بعده وغيرا لعنوان للدلالة على كونه
فارقا بين الحق والباطل باعجازه دون التورية والانجيل وقيل هو الزبور داود وذكره بعد التورية والانجيل
لاشتماله على المواعظ والزواجر وجنس الكتب لان كلها تفرق بين الحق والباطل ان الذين كفروا بآيات
الله الدالة على تفرده بالالوهية وصدق الرسل والكتب لهم عذاب شديد مختص بهم والله عزيز ذو انتقام
غالب لا يغالب لا يقدر على مثل انتقامه منتقم وهو عقوبة المجرم من النقم وهو العيب ان الله لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء تقرير لقيوميته لان القايم بنفسه المقيم لغيره يلزمه ان يكون بهذه المثابة
من العلم والشيء المنكر في سياق النفي يتناول كل موجود وعبر عن العالم بالسماء والارض لان الحس
لا يتجاوزهما فيهما العالم ظاهرا وقدم الارض لانها بالانحطاط ابعد عن مقام كبريائه فالعلم بها ادل على
كمال العلم ولانها محل نزول الكتب ودار التكليف وقيل قدمت ترقيا هو الذي يصوركم في الارحام كيف
يشاء تحقيق لكمال علمه بتصوير الجنين في ظلمة الرحم كيف ما تعلقت به ارادته على اشكال مختلفة وصور متباينة
على مر الدهور في كل الاقطار وفيه رد على النصارى دعوى الالوهية لعيسى عليه السلام لانهم قايلون بانه
مصور في الرحم فان صدر السورة الى نيف وثمانين آية نزلت في وفد نجران على ما ياتي شرح القصة
لا اله الا هو نتيجة للسابق لاختصاص ذلك الشان به فلا الوهية لغيره العزيز الغالب لكمال قدرته الحكيم
المتقن في صنعه بوفور علمه وبالغ حكمته هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات حفظت عن الاجمال
والاشتباه هن ام الكتاب اصله الذي يدل على اصل الشرع وفروعه ويرد اليه غيره بالتاويل افرد ام وكان
الظاهر امهات باعتبار كل واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح المقصود منها بسهوله بل يحتاج الى استنباط
علوم يتوقف الاطلاع عليها على تحصيلها مع اتعاب القرايح وتدقيق النظر وردها الى المحكم لينال الراسخون بذلك
معالي الدرجات فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الحق الى الباطل فيتبعون ما تشابه منه دون المحكم ابتغاء
الفتنة طلب فتنة الناس بالتشكيك في دينهم وابتغاء تاويله بما يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله

والراسخون في العلم الثابتون فيه بقدم راسخ المتمكنون منه غاية التمكن فانهم يحملونه على الحق الذي يجب حمله
عليه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله تعالى كعدد الزبانية والاول هو الوجه لان الايمان بان
الكل من عند الله حاصل لعموم المؤمنين فيستدرك وصفا للرسوخ ولان حظ الراسخين لو كان الايمان به دون
العلم لكان الاوفق واما الراسخون لكونه في مقابلة الزايغين ولان ام الكتاب في وصف المحكم انما يظهر اذا ردوا
اليه المتشابه ولان حصر الكتاب في القسمين لا يتم اذا فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه ولان التذييل بقوله وما
يذكر الا اولوا الالباب يؤكد رسوخهم بانهم خالص عقولهم واصلون الى كنه الامر واقفون على الحقايق الناخة
عن بصاير غيرهم واعلم انه لا منكر لاشتمال القرآن على حقايق لا سبيل للبشر عليها لقوله وما اوتيتم من العلم
الا قليلا ولقوله صلى الله عليه وسلم هو البحر لا تنقضي عجايبه انما الكلام في المتشابه المذكور في قوله واخر
متشابهات في ان ما سبق لتلك المعاني التي استأثر الله بها لها ظاهر كلفنا تصديقه ايمانا وفيه جمع بين ما
درج عليه السلف واستمر عليه الخلف والمحكم اصل يرجع اليه كل من القسمين احدهما بيانا والآخر ايمانا يقولون آمنا
مستانف على الوجه الاول موضح لحال الراسخين او حال من المعطوف لقيام القرينة كما في قوله ويعقوب نافلة وضمير
للمتشابه او للكتاب كل من عند ربنا كل من القسمين وما يذكر الا اولوا الالباب عطف على يقولون وعلى ما يعلم
تاويله في الوجه الثاني ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملها عن منهج الراسخين بعد اذ هديتنا اليه وهب لنا من لدنك
رحمة توفيقا لما يزلفنا عندك او علما فايضا من جناب قدسك لا طريق اليه بالكد والتعلم انك انت الوهاب حقيقة
ومن عداك وان افاض فهو مستفيض من بينا رجودك ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه بدل من النداء
الاول من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بتقدير مضاف اي لحسابه او لجزايه ان الله لا يخلف الميعاد الوعد مصدر
كالموعد والالتفات من الخطاب الى كلمة الجلالة للدلالة على ان الالوهية تنافي الخلف تلميح للمعنى الاصلي قبل
العلمية ان الذين كفروا برسول الله ليصح التشبيه بآل فرعون والذين من قبلهم لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا من هذه بدلية وشيئا اما مصدرا ومفعول به اي شيئا من الاغناء او شيئا من الاشياء
بدل طاعته كقوله فلبث لنا من ماء زمزم شربة بدله ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد ويجوز ان يكون
للابتداء واولئك هم وقود النار ما يوقد به كداب آل فرعون الدأب كالكدح هو الاستمرار على العمل اريد به الاستمرار
على الظلم والكاف في محل الرفع اي دأب هؤلاء كدأب آل فرعون او النصب مصدر لن تغني او وقود اي عدم
اغناء مثل عدم الاغناء عن آل فرعون او توقد بهم النار كما توقد باولئك والذين من قبلهم من الامم كذبوا
باياتنا جملة حالية او استيناف او خبر الذين ان جعل مبتداء فاخذهم الله بذنوبهم من التكذيب وغيره والله شديد
العقاب تهويل للمواخذة وزيادة تحذير قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الخطاب
لمشركي مكة والمراد مغلوبيتهم يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنه الخطاب لليهود جمعهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد بدر بالمدينة وقال يا معشر اليهود احذروا ما نزل بقريش اسلموا قالوا لا يغرنك انك قاتلت
قوما اغمارا بالحرب لئن قاتلتنا لتعلمن انا نحن الناس وقيل كان اليهود بعد بدر اتفقوا على انه النبي المبشر به
في التورية وعزموا على اتباعه فقال بعضهم نصبر واحتى ننظر له وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا في امره فهذا
يدل على نزولها بعد احد والاول قبل بدر والوسط على الوسط وقرا حمزة والكسايي الفعلين بياء الغيبة
والمعنى بلغهم كلامي سيغلبون كقوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم قد كان لكم آية في فئتين التقتا الخطاب
للمشركين او للمؤمنين او لليهود او للكل فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين رؤية
مكشوفة لا لبس فيها اي يرى المؤمنون المشركين مثلي عدد المسلمين وكان المسلمون ثلثمايه وبضعة عشر والمشركون
نحو الف قللوا في اعينهم ليجترؤا عليهم لانهم كانوا مامورين بمصابرة مثليهم بقوله فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين لان سورة الانفال نزلت بعد بدر او يرى المشركون المؤمنين مثلي عددهم ستمائة ونيفا

او مثلي عدد الكفار الفين كثرهم الله المؤمنين في اعينهم ليجتنبوا وقوله ويقللكم في اعينهم قبل التحام القتال وقرا
نافع بالخطاب للمشركين اي ترون المؤمنين مثلي عددهم او مثلي فئتكم او للمؤمنين او لليهود والتقدير ترونهم رؤية
عين لو رأيتموهم او الخطاب للكل وهذا اوجه لان للكل آية في ذلك ولقوله ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ومحل
يرونهم على الغيبة استيناف وعلى الخطاب حال من ضمير لكم ولا يقدح هذا في الحسيات لانه معجزة خارقة والله يؤيد
بنصره من يشاء كما نصر اهل بدر مع قلتهم ان في ذلك النصر لعبرة لاولي الابصار مقياسا لمن له بصيرة فعلة من العبور
والمراد بها التجاوز من الشيء الى اشكاله ونظايره زين للناس حب الشهوات المزين هو الله لانه الخالق وعن الحسن
هو الشيطان عبر عن المشتهيات بالشهوات مبالغة كانهم احبوها حتى احبوا شهواتها والاوفق بمقام التنفير ان
يكون اشارة الى استرذالها لانها صفة البهايم واخسها اكثرها شهوة كالخنزير فانه مثل في ذلك وبه ظهر ان
لا وجه لما قيل زينها لهم ليتوسلوا بها الى السعادة الابدية من النساء والبنين والقناطير المقنطرة القنطار
المال الكثير روى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سيل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اثنا عشر الف اوقية وروى الحاكم عن انس الف اوقية والمقنطرة من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة وانما
وصف القناطير بها على طريقة العرب اذا ارادوا المبالغة كقولهم ليل اليل وظل ظليل من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث المسومة من السومة وهي العلامة اي الخيل الجياد كانها شايتين الخيل
وقيل من السوم وهو الرعي والانعام الازواج الثمانية الابل والبقر والضان والمعز ذلك متاع الحيوة الدنيا
سماه اولا شهوة وآخرا متاع الدنيا مبالغة في التنفير والله عنده حسن المآب وفيه ايماء الى زوال ذلك المتاع
القليل قل اؤنبيكم بخير من ذلكم المذكور للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
كلام مستانف لبيان ما هو خير كقولك هل ادلك على رجل فاضل عندي رجل نعته كذا وكذا ويجوز ان يتعلق
اللام بخير والتقييد بالمتقين لانهم المنتفعون به ويرتفع جنات على الخبرية اي هو جنات وعند ربهم يتعلق
باتقوا على معنى ثبت تقواهم عند ربهم شهادة لهم بالاخلاص ويجوز ان يكون خبرا مقدما وازواج مطهرة مما
يستقذر في النساء ورضوان من الله الذي هو فوق كل نعمة وقرا ابو بكر ورضوان بضم الراء كالرجحان لغة
تميم وقيس والكسر اخف واشهر والله بصير بالعباد حث على الاخلاص الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار رفع او نصب على المدح او جر صفة المتقين على الثاني والمعنى على العموم وترتيب
سؤال الغفران على الايمان وحده دل على انه كاف في الاستحقاق الصابرين والصادقين والقانتين و
المنفقين والمستغفرين بالاسحار صفة الذين يقولون او مدح بعد مدح وتوسيط الواو بين الصفات للدلالة
على كمالهم في كل واحدة والتقييد بالاسحار لانه وقت شريف روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى السماء الدنيا اذا بقي الثلث الاخير من الليل ويقول هل
من تايب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له وذلك كل ليلة ونظام الصفات على وفق احوال السالك
فان اول امره قطع المالوفات والصبر على مفارقتها ثم الصدق في عدم العود اليها ثم الدوام على الطاعة
بدل المعاصي لان الحسنات يذهبن السيئات ثم انفاق المال الذي هو شقيق الروح وحبه راس كل خطيئة
ولذلك جعله رسول الله برهانا ثم الاستغفار مما يعتريه من التقصير الذي هو من لوازم البشرية ولذلك قال
سيد المقربين انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة شهد الله انه لا اله الا هو استدل على
وحدانيته بالادلة المبثوثة في الآفاق والانفس ثم شرع في الادلة العقلية وقطعه عن الاول لانه
فن آخر شبهت دلالته على وحدانيته بانزال الكتب وارسال الرسل على طريقة الاستعارة التبعية
بالشهادة والوجه الكشف والبيان والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالاستدلال والكل داخل تحت الدلالة
فلا جمع بين الحقيقة والمجاز قايما بالقسط مقيما للعدل الباء للتعدية حال من فاعل شهد وجاز افراد المعطوف

قال الفاضل سماها اولا شهوة واخرا متاع الحيوة الدنيا فكيف يستقيم ما ذهب اليه منه

او العباد وجه طول الفصل على الاول وتخصيص العباد بالمتقين صح

اي استدلالا واضحا على المشركين الاستدلال بان يكون لتحصيل المجهول وثانيا لالزام الخصم وهذا المراد منه

عليه به لعدم اللبس كما فى ويعقوب نافلة واخر عن الملائكة واولى العلم اعتناء بشهادتهما ونصب على
المدح وهو فى النكرة قليل لاسيما اذا كان المنتصب عنه معرفة كما فى الآية لانه فى الاصل وصف مقطوع
وجعله صفة اسم لا بعيد لوجود الفاصل الاجنبى والاوجه ان يكون حالا من هو لانه اقرب وادل على المقصود
وهو دخوله تحت الشهادة كالتوحيد واوفق بالاستعمال من ان الحال المؤكدة اكثر ما تكون بعد الجملة الاسمية
حتى ذهب كثيرون الى انها لا يكون الا كذلك وان كان الحق خلافه وكذا جعله نصبا على المدح من هو اوجه من
جعله مدحا من فاعل شهد لا اله الا هو العزيز الحكيم كرره لان التوحيد اعظم المقاصد وآثر الوصفين
لان العزة وهى القهر والغلبة تلايم الوحدانية والحكمة القيام بالقسط وارتفاعهما على البدل من هو وقيل صفة
فاعل شهد وفيه طول الفصل بين الصفة والموصوف روى الطبرانى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يجاء
بصاحب شهد الله يوم القيمة فيقول الله لعبدى عندى عهد ادخلوه الجنة ان الدين عند الله الاسلام لا غير
من قصر المسند اليه على المسند والجملة مؤكدة لجملة شهد الله ايذان بان الاسلام هو التوحيد والعدل والتدرع
بالشرع الذى جاء به محمد عليه السلام وقرأ الكسائى ان بالفتح بدل كل من انه لا اله الا هو وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى او ارباب الكتب كلها فى دين الاسلام فقال بعضهم حق وبعضهم
مخصوص بالعرب ونفاه آخرون راسا او فى التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير بن الله او اليهود
وذلك ان موسى عليه السلام استودع التورية سبعين حبرا فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين
فاللام فى الاول والثالث للعهد وفى الثانى للجنس الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الامر بغيا بينهم ظلما وحسدا
على حظوظ الدنيا ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب وعيد لهم فان حاجوك جادلوك بعد ظهور الحق
فقل اسلمت وجهى لله دفعا للمحاجة اذ لا معنى لها بعد اتضاح الحق والوجه مجاز عن الذات ومن اتبعن كذلك
عطف على التاء وحسن لوجود الفصل وقل للذين اوتوا الكتاب قبل القرآن والاميين مشركى العرب اسلمتم
الاستفهام السامع وتعييره بالمعاندة بعد تلخيص الحق كما تقول بعد تحرير المسئلة بالبرهان الساطع لمن يقصر
فهمه هل فهمت لا ام لك نعيا عليه بالبلادة وكقوله تعالى فهل انتم منتهون فى تحريم الخمر اشارة الى شدة
حرصهم على شربها فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم وان تولوا فانما عليك البلاغ فلم يضروك
لانك مبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم روى ابن ابى حاتم عن ابى عبيدة
انه سأل رسول الله صلى الله وسلم عن اشد الناس عذابا قال رجل قتل نبيا او من امر بالمعروف ونهى عن المنكر
ثم قال قتل بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا اول النهار فقام مائة وسبعون امروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر فقتلوهم آخر النهار وعن ابن مسعود رضى الله عنه اقاموا سوق بقلهم آخر النهار والحكم على المعاصرين
بدليل قوله فبشرهم وهم لم يباشروا القتل لرضاهم بفعل الاوائل ودورانهم حول قتل محمد ولذلك آثر المضارع
الدال على الاستمرار وتنكير الحق هنا وتعريفه فى البقرة مع وحدة القصة تفنن واشارة الى ان العهد الذهنى
بمثابة النكرة وقرأ حمزة ويقاتلون الثانى من المقاتلة والقصر ابلغ ذما والرسم مختلف اولئك الذين حبطت
اعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الجمع لقصد التوزيع كما سبق الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب اى نصيبا هو الكتاب او نصيبا منه على ان من بيان او تبعيض واللام للعهد لان
المراد التورية او من جنس الكتب ومن ابتداء او تبعيض او من اللوح ومن ابتداء والتنوين للتعظيم يدعون
الى كتاب الله الى التورية وعن الحسن هو القرآن لانهم لم يشكوا فيه ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم لان فريقا
منهم آمنوا وهم معرضون دأبهم الاعراض نزلت فى الرجم وقيل فى رد دعواهم ان ابرهيم كان يهوديا وثم
لاستبعاد التولى بعد العلم بانه كتاب الله ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات سبعة

قاله العصام

فى اسلمت

لا استعصاء

ايام بقدر بقاء الدنيا سبعة الآف سنة بكل الف يوم افتراء منهم وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون
من انهم ابناء الله واحباؤه وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من اكاذيبهم فكيف اذا جمعنا
هم ليوم لا ريب فيه كيف يكون حالهم فى ذلك اليوم استعظام لما يلحقهم وتكذيب لدعويهم بابلغ
وجه ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء كسبها وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب الضمير للنفس لانه
فى معنى كل الناس قل اللهم مالك الملك الميم المشددة عوض عن حرف النداء لانه حرفان واوثر الميم
لانه شفوى كالواو وهذا من خواص هذا الاسم كاختصاصه بتاء القسم وقطع الهمزة فى النداء
مع حرف التعريف ومالك الملك نداء ثان عند سيبويه لان اللهم لا يوصف لان وقوع خلف حرف النداء
بينهما كوقوع حرف النداء وعند الكوفيين اصله يا الله آمنا بخير خفف لكثرة الدور مثل عموا صباحا ورد بانه
يجوز الجمع اذا ويمتنع اللهم العنه ونحوه تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الملك الاول عام لمقام
المدح ولانه المفهوم الاصلى والاخيران بعض لان المعطى والمنزوع حصة وتعز من تشاء بالتوفيق والنصر
وتذل من تشاء بالخذلان والادبار بيدك الخير لم يذكر الشر مراعاة للادب فى الخطاب ولان الكلام فيه
لما روى البخارى لما خط رسول الله الخندق يوم الاحزاب ظهرت كدية لم تعمل فيها المعاول فوجهوا اليه سلمان
فاتى واخذ المعول وضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتى المدينة فكبر وكبر المسلمون وقال
اضاءت لى قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية وقال اضاءت لى القصور الحمر من ارض الروم
ثم ضرب الثالثة وقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبرئيل ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون
يمنيكم ملك فارس والروم وانتم تحفرون الخندق حول المدينة من الفرق انك على كل شيء قدير ثم استدل
على ذلك بباهر قدرته بقوله تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل تعاقب بينهما وتخرج الحى من الميت
الحيوان من النطفة او العالم من الجاهل وتخرج الميت من الحى النطفة من الحيوان او الجاهل من العالم وترزق من
تشاء بغير حساب ومن هذا شأنه ايتاء جزء من الملك ونزعه ايسر ما يكون عليه وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر وابو بكر الميت مخففا لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين منهيا ونهى عنهم لان فى
ولايتهم مندوحة عن موالاة الكفار وذلك لان الحب فى الله والبغض فى الله اصل كبير فى الايمان على ما روى
البخارى من احب لله وابغض لله فقد استكمل الايمان ذكره عقيب ما بين ان الخير كله بيده حسما لتوهم نفع منهم
ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء بل ينسلخ عنه اذ الضدان لا يجتمعان قال تود عدوى ثم تزعم انني
صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة فتحاسنوا معهم ظاهرا من كلام عيسى بن مريم كن
وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فى مخالفة اوامره والى الله المصير فاستعدوا للقائه قل ان تخفوا
ما فى صدوركم من موالاة الكفار وغيرها او تبدوه يعلمه الله لاستواء الكل فى علمه ويعلم ما فى السموات وما
فى الارض علما حضوريا والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما
عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم نصب بتود وما عملت عطف على ما عملت اى تود كل نفس
يوم تجد خيرها وشرها حاضرين لو كان بينها وبين ذلك اليوم امد بعيد ويجوز ان يكون منصوبا باذكر ويقع على
ما عملت وحده ويرتفع وما عملت من سوء على الابتداء وخبره يود وضمير بينه لما عملت من سوء ويجوز عطف ما
عملت على ما عملت ويكون تود حالا والضمير اما لليوم او لما عملت وما موصولة لا لان الشرط لا يصح لارتفاع
يود لان فعل الشرط اذا كان ماضيا والجزاء مضارعا مثبتا يجوز فيه الرفع والجزم واطباق القراء على احد
الجائزين وان كان مرجوحا جائز كقوله وجمع الشمس والقمر بل لان هذا الكلام حكاية الكاين فى ذلك اليوم
والموصولة تفيد الوقوع والكينونة ولا كذلك الشرطية ويحذركم الله نفسه كرره تأكيدا ليكون نصب عينهم
والله رؤف بالعباد لذلك بين لهم وحذر قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله عن الحسن نزلت فى

الاول ايراد على الكل حيث منع الرفع
على تقدير الشرط فى تود والثانى على
الامام حيث استدل باتفاق القراء
على الرفع على انها موصولة منه

قوم ادعوا محبة الله والمحبة امر وجداني لا يحتاج الى كشف وبيان الا ما يميزها عن ساير الوجدانيات وعن هذا
قيل هي ادراك الكمال من حيث انه مؤثر فكلما كان الكمال اشد يكون المحبة اقوى وعن بعض العارفين المحبة سارية
في الموجودات كلها عليها مدار المبدأ والايجاد وفي الجملة محبة العبد لله ايثار طاعته ومن الله الرضى والقبول
ويغفر لكم ذنوبكم اذ لا عقوبة مع الرضى والله غفور رحيم كثير الغفران والاحسان فكيف بمن احبه قل اطيعوا الله
والرسول بيان لاتباعه الذي هو سبب لمحبة الله ولم يعد الفعل لانه مامور به بخلاف واطيعوا الله واطيعوا
الرسول ويا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول لانه ابتداء كلام منه تعالى اعتناء بطاعة رسوله
فان تولوا تتولوا فحذف احدى التائين ويجوز ان يكون ماضيا اخبارا من الله فان الله لا يحب الكافرين ايثار الظاهر
للاشارة الى العلة وليعمهم وغيرهم ان الله اصطفى آدم ونوحا بالنبوة وآل ابرهيم اسمعيل واسحق كان من اهل
الكتاب لو كان النبي الموعود لكان من ولد اسحاق فكذبهم الله وآل عمران موسى وهرون ابني عمران بن يصهر
او عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف سنة وثمانماية على العالمين كلهم فيه دليل على فضل الانبياء
على الملائكة ذرية بعضها من بعض متصلة يتشعب بعض من بعض وقد دخل في آل ابرهيم رسول الله وفي آل عمران
وكذا في الذرية او في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع قول اهل الكتاب عليم
بمن يصلح للاصطفاء اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا او نصب باذكر او متعلق
بسميع عليم على التنازع هذه حنة بنت فاقوذ كانت عقيما وقد عجزت قال ابن اسحاق رات طايرا يطعم فرخه
فاشتهت الولد وقالت اللهم ان رزقتني ولدا احرره لسدانة المسجد الاقصى وكان هذا مشروعا في شرعهم
فلما احست بالحمل قالت هذا الكلام عن ما على الوفاء فتقبل مني هذا النذر انك انت السميع العليم اظهارا للاخلاص
فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى كان التحرير للسدانة خاصا بالذكور وكان قولها اني نذرت لك ما في بطني
محررا سوالا وطلبا لان يكون الولد ذكرا بذكر لازمه فلما خاب رجاؤها اظهرت التحزن والتحسر فليس المراد فايدة الخبر
ولا لازمها وانثى في محل النصب على الحال وتانيث الضمير العايد الى ما باعتبار الحبر لان الحال خبر معنى كانها قالت
ما في بطني انثى من غير اعتبار التانيث في الضمير ليلزم ان يكون التقدير وضعت الانثى انثى والله اعلم بما وضعت
بالشيء وضعته تعظيم للمولود لما يبطبه من عظايم الامور وانها آية للعالمين وقرا ابن عامر وابو بكر وضعت بتاء
التكلم كانها سلت نفسها وقالت لعل فيها سرا وليس الذكر كالانثى التي وهبتها بل هي اشرف واجل بيان وتفسير
لقوله والله اعلم بما وضعت واللام في الاسمين للعهد خارجا اما الانثى فلسبق الذكر صريحا واما الذكر فلان
ما في بطني كناية عن الذكر بقرينة التحرير وقيل من تمام قولها تحزنا اظهارا للتفاوت وليس بوجه بعد التسلية
بقولها والله اعلم بما وضعت واني سميتها مريم عطف على اني وضعتها لان التسمية منها بدليل واني اعيذها بك
وما بين المعطوفين جملتان معترضتان متعاطفتان وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن باقامتها
مقام الذكر ولم يقبل قبلها انثى للسدانة وصانها وذريتها من مس الشيطان على ما روى البخاري ومسلم ما من
مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا ابن مريم وامه ولا يلزم من ذلك الاغواء
واختصاص بعض المصطفين بامر لا يوجب تفضيله على الباقين وانبتها نباتا حسنا بين الانبياء والصالحين وكفلها
زكريا كانت تحته خالتها ايشاع بنت فاقوذ اخت حنة وقوله في حديث المعراج عيسى ويحيى ابنا خالة تجوز بجعل
خالة امه خالة له وقرا كفل بتشديد الفاء الكوفيون وزكريا بالقصر الا شعبة فانه مد ونصبه والباقون
بالتخفيف مع المد مرفوعا والقصر اخف وانسب بموسى وعيسى ويحيى كلما دخل عليها زكريا المحراب لما بلغت
مبلغ النساء بنى لها زكريا غرفة في مقدم المسجد يرقى اليها بالسلم والمحراب كل موضع مشرف عال ومنه محراب
المسجد وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه قال يا مريم انى لك هذا فان الابواب مغلقة قالت هو من عند
الله كرامة كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس ان الله يرزق من يشاء بغير حساب من كلامها

او من كلامه تعالى روى ابو يعلى عن جابر رضي الله عنه ان فاطمة اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في المجاعة رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع اليها بها وقال هلم يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو
خبزا ولحما فقال اني لك هذا قالت هو من عند الله فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء
العالمين هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان والزمان على ان هنا مستعار له قال رب هب لي من لدنك
ذرية طيبة كان شيخا كبيرا وامراته عاقر ولذلك قال من لدنك كفول مريم هو من عند الله وانما طلب في
ابان كبره لانه خفت الموالي من ورائي وقيل لما ولدت حنة مريم وهي عقيم تنبه وقيل تنبه من رؤية فاكهة
الشتاء في الصيف دعاي او كل دعاء فنادته الملائكة وهو قايم يصلي في المحراب لم يبرح من مكانه المنادي
جبريل والجمع للتعظيم والذرية فعلية او فعولة من الذر قلبت الهمزة ياء وادغمت وقرا حمزة والكسائي
فناداه لان المونث غير حقيقي والتانيث احسن لعدم الفاصل ان الله يبشرك بيحيى سماه الله تشريفا له
وقرا ابن عامر وحمزة ان بالكسر لان النداء في معنى القول وقرا حمزة والكسائي يبشرك مخففا من البشارة
والتشديد ابلغ واكثر مصدقا بكلمة من الله بعيسى فهو اول من آمن به سمي عيسى كلمة لتكونه من كلمة كن
او بكتاب الله وكلامه كقوله وكلمة الله هي العليا واختصاصها باللفظ المفرد عرف طار وسيدا شريفا في قومه
بالتقوى لم يذنب ولم يهم به قط وحصورا نفسه عن النساء اشتغالا بالطاعة لا لافة عنه فانه نقص يصان
عنه الانبياء وعن مذام الاخلاق كلها ونبيا من الصالحين ناشيا من قوم صالحين وصفه بالنسب الفاخر بعد
الثناء عليه بالحسب الزاهر قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر استعلام لكيفية حصوله ايكون
وهما على حالهما او يعودان شابين كان عمره تسعين سنة وعمر امراته ثمانين لا استبعاد من قدرته تعالى كيف
وهو الطالب ابتداء قال كذلك الله يفعل ما يشاء على هذه الصفة وهو التوليد من الشيخ الهرم
والعجوز العاقر يفعل كل شيء تعلقت به مشيته من غير تفاوت قال رب اجعل لي آية اعرف بها الحبل لا تلقاه
بالشكر ويزول عني مرارة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام بلياليها لقوله في مريم ثلث ليال حبس لسانه
عن التكلم الا لذكر الله اسعافا له الى ما ابتغاه لا لافة خرس لقوله في مريم سويا اي سالما وحذف هنا لكون ذلك
اسبق نزولا الا رمزا اشارة اصله الى ما ابتغاه التحريك لانه يحصل من تحريك الحاجب ومنه سمي البحر راموزا
والاستثناء منقطع او متصل لانه يفهم منه ما يفهم من الكلام واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار لانهما
اشرف الاوقات واقرب الى الاجابة او عبر عن الكل بالطرفين واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك بالقبول
ولم يقبل انثى للسدانة قبلها او بالرزق من عنده وطهرك من اقذار النساء او مما قذفك به اليهود واصطفاك
على نساء العالمين بابن من غير اب وبسائر الكرامات روى الترمذي عن انس عن رسول الله حسبك من نساء العالمين
مريم بنت عمران وآسية امراة فرعون وفاطمة بنت محمد عليه السلام وخديجة بنت خويلد وزاد البخاري وفضل
عايشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام ومن انكر الكرامة حمل كلام الملائكة اياها على معجزة زكريا
او ارهاص بنبوة عيسى للاجماع على عدم نبوة النساء يا مريم اقنتي لربك دومي على طاعته واسجدي وصلي
لان السجود احد اركانها واركعي مع الراكعين وصلي جماعة قدم السجود اما لانه كان كذلك في شرعهم وليقارن
الركوع بالراكعين ولو قال اسجدي مع الساجدين لم يدل على صلوة الجماعة لان السجود عبادة مستقلة
دون الركوع ذلك المذكور من الوقايع من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
اي ما تخبر به لا سبيل لنظر العقل اليه وهم ينكرون الوحي والسماع فلم يبق ما يحتاج الى النفي سوى المشاهدة
التي هي اظهر انتفاء ففي نفيها تهكم بهم مع ثبوت كونه يوحى الله على ابلغ وجه والاقلام هي التي كانوا يكتبون
بها التورية والقاؤها هو الاقتراع بها لما وضعتها لفتها في خرقة وأتت بها الى حجبة بيت المقدس وقالت
دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فذهبوا الى نهر الاردن وقالوا

كل من ثبت قلمه على الجرية فهو كفيلها فثبت قلم زكريا وذلك لان خالتها كانت عنده والخالة بمنزلة الام ايهم
يكفل مريم اي يلقون ليعلموا او ينظروا لان التعليق بالاستفهام من خواص الافعال الادراكية والالقاء سبب
للعلم والنظر بالبصيرة في الجملة وما كنت لديهم اذ يختصمون في شانها اخره عن الالقاء لكونه بديعا خارقا اذ
قالت الملائكة يا مريم بدل من اذ قالت الملائكة او اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان
متسع كما تقول لقيته سنة كذا ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ليس المراد من الاسم ما يقابل
اللقب بل ما يقع به الامتياز وهو مجموع الثلثه لا كل واحد اذ ربما يقع الاشتراك والمسيح عبرا في اصله مسيحا و
معناه المبارك فهو من القاب المدح كالعتيق والفاروق وقيل عربي ابن عباس رضي الله عنه لقب به لانه
كان لا يمسح ذا عاهة الا بري او لانه ممسوح بالبركة او من الاوزار وانما قال ابن مريم مع ان الخطاب معها
لان ذلك هو موجب التبشير وكونه آية لان الابناء ينسبون الى الاباء ودفعا لشبهه النصارى وجيها في
الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة والآخرة بعلو الدرجة وقبول الشفاعة وانتصابه على الحال من كلمة لانها نكرة
موصوفة ومن المقربين اخص من الوجاهة ويكلم الناس في المهد وكهلا بلا تفاوت وايثار المضارع للدلالة
على ذلك والمهد مصدر سمي به ما يمهد فيه ومن الصالحين من جملتهم وفي عدادهم حال اخرى وهذه الاحوال
كلها مقدرة قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب واستبعاد لانه على خلاف العادة قال كذلك
الله يخلق ما يشاء القايل جبرئيل او الله وجبرئيل حاك لها ولما كان الولد من غرايب ابعد من الولد من
شيخ وعجوز آثر الخلق على الفعل لدلالته على التقدير اذا قضى امرا اذا اراده والتعبير بالقضاء للدلالة
على اللزوم فانما يقول له كن فيكون فلا استبعاد وقراء ابن عامر يكون بالنصب على جواب الامر صورة طوى
والرفع احسن معنى واحلى من التكلف طوى ذكر الحمل والولادة لذكرهما في سورة مريم وهي اسبق نزولا
ونعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل عطف على يبشرك بتقدير القول اي ان الله يبشرك ويقول نعلمه
او على وجيها اي ومقولا فيه نعلمه او على نخلق كذلك وهذا اولى لعدم الفصل وقراء نافع وعاصم بالياء فلا حاجة
الى تقدير القول لكن النون ادل على التعظيم والكتاب الكتبه كذا عن ابن عباس والحكمة العلم المقرون بالعمل
ورسولا الى بني اسرائيل المنصوبات المتقدمة في حكم الغيبة وهذا في حكم التكلم لقوله اني قد جئتكم وكذا مصدقا
لقوله لما بين يدي فيضمر القول اي يعلمه ويقول ارسلت رسولا او لان الرسول والمصدق فيهما معنى القول كانه
قيل وناطقا وهذا اوجه لعدم الحذف اني قد جئتكم بآية من ربكم باني اني اخلق لكم من الطين اصور بدل من اني
او خبر مبتداء محذوف اي هو اني او بدل من آية وهو الوجه لدلالته على ان ذلك بقدرته تعالى وقرأ نافع
بالكسر على الاستيناف والمختار الفتح لذلك الاوجه كهيئة الطير كصورته فعله من هياه بمعنى نهيا
فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله حقيقه الطير ذا روح بارادة الله وتيسيره وقراء نافع طايرا وهو الظاهر
وتذكير الضمير باعتبار لفظ الكاف والتانيث في المايدة باعتبار المعنى وهي الهيئة وابري الاكمه الذي
ولد اعمى فانه اغرب في الاعجاز والابرص لعجز الاطباء عن ازالته واحيي الموتى باذن الله يتعلق بالاحياء
لانه محل وهم الاستقلال وقيل بالافعال الثلثه لقوله وتبري الاكمه والابرص باذني في المايدة وانبئكم
بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بما لا سبيل الى معرفته الا بالوحي ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين
بالآيات ومصدقا لما بين يدي من التورية وهذا شان الرسل يصدق بعضهم بعضا عطف على رسولا
بالوجهين السابقين ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم من عطف الجمل اي جيئكم بآية وجئتكم لاحل لكم ويجوز
ان يكون مصدقا ايضا عطفا على بآية ويكون الكل في معنى الحال اي جئتكم ملتبسا بآية وكاينا لاحل لكم
ومصدقا لما بين يدي فلا يتخلل بين المعطوفين اجنبي وفيه دلالة على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى
ولا ينافي ذلك حكمه بما في التورية في الجملة كنسخ القرآن بعضه بعضا وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله

وذلك اذا جعل مصدقا
معطوفا على رسولا

واطيعون ان الله ربي وربكم هذا هو الآية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض ومعنى كون هذا القول آية
انه من علامات النبوة بعد ثبوتها بالمعجزات الباهرة لانه مقول كل الرسل والانبياء على ان صدوره ممن
نشا بين قوم بدلوا الدين وحرفوا الكتاب وقتلوا الانبياء خارق للعادة ونجوز ان يكون في التورية من
جاءكم بهذا القول فهو رسول فاعبدوه استكمالا للقوة العملية كما ان الاول استكمال للقوة النظرية
هذا صراط مستقيم اي الجمع بين الامرين كقوله صلى الله عليه وسلم قل آمنت ثم استقم فلما احس عيسى منهم
الكفر تحقق عنده كالمحسوس قال من انصاري الى الله ذاهبا الى نصر دينه او الجار متعلق
بانصاري مضمنا معنى الضم والاضافة اي من ينصرني مضيفا نفسه الى الله او الى بمعنى في او اللام دون
مع لقوله قال الحواريون نحن انصار الله الى انصار دينه الحواري منسوب الى الحور وهو
البياض الخالص والالف من تغيير النسبة اطلق على خالصة الرجل وخاصته آمنا بالله واشهد بانا
مسلمون مخلصون لله ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول قابلين هذا القول باللسان والاعتقاد فاكتبنا
مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او الشاهدين بوحدانيتك او مع امة محمد عليه
السلام فانهم يشهدون للانبياء بالتبليغ ومكروا ومكر الله الضمير لمن احس منهم الكفر ومكر الله للازدواج
والمشاكلة والله خير الماكرين لكمال علمه وقدرته اذ قال الله ظرف لمكر الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك
الي قابضك من الارض ورافعك الى السماء من توفيت المال استوفيته او متوفيك نوما فانه اخ الموت كقوله
وهو الذي يتوفيكم بالليل او رافعك الآن وبعد النزول متوفيك وتقديمه اهتماما لئلا يتوهم ان
بالرفع يبخوا من الموت وقيل اماته الله سبع ساعات وقيل ثلثة ايام وليس بحق منقول عن اهل الكتاب
ومطهرك من الذين كفروا من دنس اخلاقهم وخبث جوارهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى
يوم القيمة هم الذين آمنوا به في زمانه ومن بعدهم الى يوم القيمه ولم يسمع ان اليهود قامت لهم راية
بل لم يزالوا مقهورين تحت السيف والجزية حتى صار مثلا اذل من اليهود ثم الى مرجعكم انت ومن وافقك
ومن خالفك فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون واجازي كلا بموجب عمله ثم فصل فاما الذين كفروا فاعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا والآخرة ترتيب عذاب الدنيا على الرجوع اليه وهو يوم القيمة باعتبار انه من
مقدمات عذاب الاخرة وطلايعه وقيل المرجع اعم من الدنيوي والاخروي والى يوم القيمة غاية الفوقية
لا غاية الجعل والرجوع متراخ عن الجعل وما لهم من ناصرين في الدارين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم كاملة لسبق رحمته آثر النون على الهمز رمزا الى غلبة رحمته وقراء حفص بالياء والله
لا يحب الظالمين تذييل حسن لان تعذيب المحب محبوب وقد الم به ابو الطيب في قوله وما الهجر الا الوصل ما لم
يكن قلى ذلك نتلوه عليك مبتداء وخبر اي نباء عيسى وغيره من الآيات والذكر الحكيم خبر ان آخران والذكر
القرآن وصف بوصف من قام به او لاشتماله على الحكم كانه ناطق بها وقيل هو اللوح ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم شانه كشانه شبه الغريب بالاغرب حسما لمادة شبهة الخصم والتشبيه انما يقتضي المشاركة في
الوصف المقصود فلا يقدح كون آدم من غير اب وام لكونهما متشاركين في وجدا وجودا خارجا عن العادة فمن
قال بالوهية عيسى لكونه من غير اب محجوج بآدم خلقه من تراب قدره وصوره ثم قال له كن انشاه خلقا
آخر انسانا ذا روح فيكون فكان حكاية حال ماضيه وقراء ابن عامر يكون بالنصب على الجواب باعتبار
اللفظ الحق من ربك خبر مبتداء اي المذكور من شان عيسى ومن ربك حال من ضمير الحق او مبتداء وخبر
اي جنس الحق من ربك والاول اوجه لان المقصود تقرير كون عيسى كآدم فلا تكن من الممترين الخطاب له والمراد
نهي الشامعين او هو من باب التهييج والالهاب فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم من الدلايل الموجبة
للعلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل اي قل لهم كل منكم ومني يدعو

ذكره القاضي

نفسه واعزة اهله ثم نقول بهلة الله علي الكاذب والبهلة بالضم والفتح اللعنة فنجعل لعنة الله علي الكاذبين
تفسير الابتهال روي البيهقي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم سنة تسع من الهجرة كتب الي اهل نجران كتابا يدعوهم
الي الاسلام ونجران واد باليمن كان فيه مائة وعشرون قرية مسيرة يوم للراكب المسرع فلما ورد عليهم
كتابه ارسلوا اربعة عشر رجلا رؤساء وهم ثلثة العاقب والسيد وابوحارثة وافدين لاستعلام خبر رسول
الله صلي الله عليه وسلم فتلا عليهم من اول السورة الي هنا فابوا الا العناد فدعاهم الي المباهلة فواعدوه
الي صبيحة الغد فلما اصبحوا غدا رسول الله صلي الله عليه وسلم محتضنا الحسن اخذا بيد الحسين وفاطمة تمشي
خلفه وعلي خلفهما رضي الله عنهم وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران وهو ابوحارثة يا قوم
اني لاري وجوها لو يشاء الله ان يزيل بها جبلا من مكانه لازاله اني اري ان نوادعوا الرجل فقالوا
يا ابا القاسم انت علي دينك ونحن علي ديننا ولا نباهل فقال اسلموا يكن لكم ما للمسلمين فابوا فقال بيننا
وبينكم الحرب فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة بل نصالحك علي ان نؤدي اليك في كل سنة الفي حلة الف في
رجب والف في صفر فكتب بذلك كتابا وسألوه ان يرسل معهم رجلا امينا يحكم بينهم في اشياء كانوا
مختلفين فيها فارسل معهم اباعبيدة بن الجراح قال الزهري فهو اول جزية في الاسلام وعن ابن
اسحق ان وفد نجران كانوا ستين راكبا اربعة عشر من اشرافهم وانما دعا الابناء والنساء الي المباهلة
لان اعز شيء علي المرء من نفسه استظهارا ودلالة علي انه موقن بهلاك خصمه واعزته وقدمهم لانهم مفدون
بالارواح لاسيما عند العرب وفي هذا فضل ظاهر لعلي وفاطمة وابنيهما ان هذا لهو القصص الحق اي الذي
قص عليك من نبا عيسى واللام داخلة علي ضمير الفصل لانه اقرب الي المبتداء فهو بالجواز اولي من الخبر
وما من اله الا الله رد علي النصاري في التثليث وان الله لهو العزيز الحكيم الغالب المتقن في صنعه ومن تجرد
عن الوصفين لا يصلح للالوهية فكيف بعيسى والنصاري يزعمون ان اذل الخلق وهم اليهود قتلوه فان تولوا
فان الله عليم بالمفسدين اي بهم اثر المظهر للدلالة علي انهم مفسدون للعقائد مضلون ولذلك قال
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم
عامة في اهل الكتاب وقيل في يهود مدينة وقيل في وفد نجران ومعني سواء ان الرسل والكتب متفقون
فيه ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله تفسير للكلمة
فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون تعريض بانهم كافرون حيث تولوا عن الحق بعد ظهوره او اشهدوا
بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب جدلا او صراعا اشهد باني الغالب فقد تدرج في هذه المناظرة لحسن
تدرج ذكر اولا كيفية حدوث مريم التي هي اصل عيسى ثم اطواره التي تقلب فيها المنافية للالوهية ثم ازاح
شبهتهم بما هو اغرب حالا منه ولما اصروا علي العناد وعدم الانقياد دعاهم الي المباهلة ولما احجموا عنها
اخذ معهم في نوع آخر من الارشاد وهو الدعاء الي ما تطابق عليه الملك ولما ايس منهم احسن المتاركة
وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل
الا من بعده عن ابن اسحق تنازع نصاري نجران واحبار اليهود عند رسول الله صلي الله عليه وسلم في ابرهيم
وادعي كل فرقة انه كان علي دينهم فنزلت افلا تعقلون ان المتقدم لا يكون علي طريق المتاخر وبين ابرهيم
وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفاسنة ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما
ليس لكم به علم انتم مبتداء وهؤلاء خبر وحاججتم جملة مبينة كررها التنبيه لشدة غفلتهم والاشارة للتحقير
كانه قال انتم هؤلاء الحمقاء وبيان ذلكم انكم جادلتم بالباطل فيما له اصل في كتابكم فكيف تجادلون فيما
لا يلتبس ببطلانه علي احد وقراء ورش وقنبل هانتم بالقصر علي ان اصله اانتم قلبت الهمزة هاء لاستثقال
الجمع والله يعلم وانتم لا تعلمون فعليكم باتباع رسوله الناطق بوحيه ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما

الكلام ان ممن حجة ولاحد وطريقة علي الاحد مهم

علم ضمنا مبالغة في تلخيص الحق ولكن كان حنيفا مائلا عن الباطل مسلما لله وما كان من المشركين تعريض بمن يدعي
انه علي ملته ان اولي الناس بابرهيم للذين اتبعوه اخصهم به واقربهم اليه من الولي وهو القرب وهذا النبي
والذين آمنوا من امته افرده مع امته بالذكر وان دخلوا في الذين اتبعوه لمزيد التشرف والذين اتبعوه فيما
مضي ثم النبي والمؤمنون والله ولي المؤمنين ناصرهم ومتولي امورهم دعت يهود قريظة والنضير حذيفة
وعمارا ومعاذا الي اليهودية فنزل ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم
اذ بذلك يضاعف لهم العذاب او لا امثالهم الاغبياء وايثار الانفس لاتحادهم دينا وما يشعرون لغاية جهلهم
سلبوا الشعور اضل من البهايم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله الشاهدة بصدق الرسول هي ما في
التورية والانجيل من نعت رسول الله او بايات الله جميعا وانتم تشهدون مجاز عن الاعتراف بحقيتها اي
تعلمون علما كالمشاهدة يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل تخلطونه به وتكتمون الحق نعت محمد ونبوته
اعاد لفظ الحق ليوقع عليه الكتمان اولانه مغاير للاول وانتم تعلمون وانتم اهل العلم الذين شانهم الارشاد
دون الاضلال او وانتم تعلمون ما علي كاتم الحق من الاثم وقالت طايفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل
علي الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وجه النهار اوله كقوله من كان مسرورا بمقتل مالك
فليات نساءنا بوجه نهار هذا من مكايد اليهود تشاوروا ان يؤمنوا بمحمد وما انزل عليه في اول النهار ويكفروا
آخر النهار لعلة ان يوقعوا الشك في قلب من آمن ويقول هؤلاء اهل الكتاب لو لم يعلموا بطلان دينه لما رجعوا
وقيل فعلوا لما حولت القبلة قال لهم كعب بن الاشرف صلوا معهم صلوة الصبح الي الكعبة ثم صلوا في آخر
النهار الي الصخرة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدي هدي الله ان يؤتي احد مثل ما اوتيتم
اي لا تؤمنوا بان يؤتي احد مثل ما اوتيتم من الكتاب ولا تظهروا التصديق بذلك الا لاتباعكم لا للمسلمين
لئلا يزدادوا تصلبا ولا للمشركين لئلا يرغبوا فيه وقوله قل ان الهدي هدي الله اعتراض للرد عليهم فيما
حاولوا بان من اراد توفيقه لا يرده عن الايمان مكايدهم وحيلهم ويجوز ان يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع
دينكم وح في ان يؤتي وجوه اما ان يتعلق بفعل مضمر تقديرا للام اي لان يؤتي احد مثل ما اوتيتم دبرتم
ما دبرتم اي ما دعاكم الي ذلك الا الحسد ويؤيده قراءة ابن كثير اان يؤتي بالاستفهام تقريرا وتوبيخا
او ينتصب بمضمر اي لا تنكروا ان يؤتي احد مثل ما اوتيتم او خبران وهدي الله بدل والمعنى قل ان هدي الله
ان يؤتي احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم به عند ربكم حتي يحاجوكم به في حكم الله وقضائه فيدحضوا به حجتكم وعلي
الوجوه الاول او بمعني الواو وجهة العدول الدلالة علي الاستقلال قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم اعتراض آخر ابلغ من الاول ومن اهل الكتاب
من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك اشار الي انهم ليسوا علي الضلال
باسرهم بل منهم ذوا مانة كاملة بحيث لو امنته علي جملة كثيرة من غير بينه يؤده اليك كاملا ومنهم
خاين يخون في اقل شيء ولو طلبته منه انكر الا ما دمت عليه قايما بالبينه والرفع الي الحاكم او بان تدفع اليه
ثم لا تفارقه حتي تأخذه منه فانه لا يقدر علي الانكار لوجود العين حاضرة وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وفنحاص
بن عازوراء استودع رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقيه ذهبا فاداه اليه واستودع آخر
فنحاص دينارا فجحده وقيل المأمونون النصاري والخونة اليهود وقراء ابوعمرو وحمزة وابوبكر باسكان الهاء
في الاصل والباقون بالكسر والصلة الا قالون وهشاما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل اثم وعتاب
عن سعيد بن جبير لما نزلت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية
الا هو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الي البر والفاجر ويقولون علي الله الكذب اي يكذبون في مقالتهم
ويكذبون في نسبته الي الله ثانيا وهم يعلمون انهم كاذبون مزيد توبيخ بلي عليهم سبيل من وفي بعهده

من قال الا سيدون ... قيل اصداد ان ... نهم مواصدوا
... كان قبلك ... الغداء ... ملك من زهير
العبسي بعد ...

واتقى فان الله يحب المتقين استيناف تقرر الجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الي من والمعنى
من اوفي باداء الامانة واتقى الخيانة فان الله يحبه والاتيان بالمظهر للدلالة على انه بذلك يدخل في
زمرة المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اي يستبدلون بما عاهدوا عليه من الايمان
بالمبعوث وبما حلفوا عليه ليؤمنن به ولينصرنه بالثمن القليل وهو الرئوس والارتشاء اولئك لا خلاق
لهم في الآخرة لا نصيب لهم من الخلاقة وهي الملاسة ومنه الخلقاء للمرأة الرتقا ولا يكلمهم الله كلام الرضى لقوله
فوربك لنسألنهم اجمعين او كناية عن الغضب والحمل على عدم انتفاعهم بايات الله وكلامه بعيد بدليل
السياق والسباق ولا ينظر اليهم يوم القيمة النظر تقلب الحدقة محال في حقه تعالى فهو كناية عن الاحسان
وتركه عن الاهانة والسخط ولا يزكيهم كما زكى المؤمنين بالثناء عليهم ولهم عذاب اليم فوق هذه المحن وان منهم
لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب يميلونها من الصحيح الى المحرف لم يرضوا بالتحريف والتلبيس على الجهال حتى جعلوه
من جملة كتاب الله المتلو لتحسبوه انتم ايها المسلمون الضمير للمحرف من الكتاب وما هو من الكتاب في شئ ويقولون
هو من عند الله صرح بما رمز اليه بالحسبان لئلا يكون لهم سبيل الى غلط الحاسب وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب مستمرون عليه وهم يعلمون ذلك لفرط جرأتهم على الله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم الحكمة
او الحكم بين الناس والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله روي ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله
عنه لما اجتمع نصارى نجران واليهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو رافع القرظي اتريد
ان نعبدك يا محمد فقال معاذ الله ما بذلك بعثني فانزل الله ما كان لبشر ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول
هذا القول الرباني منسوب الى الرب اي كونوا عباده المختصين به لان الشئ ينسب الى ما اشتهر ومن اشتهر به والالف
والنون من تغييرات النسب وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره علماء حلماء حكماء وعن الحسن فقهاء ماخوذ
من قوله بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون واذ كان من يعلم الكتاب ويدرسه ربانيا فكيف بالانبياء
وفيه اشارة الى ان علما لا يفضي الى ذلك المسبب كلا علم وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير يعلمون مخففا من العلم
والتشديد ابلغ لكونه مسبوقا بالعلم ولدلالته الدراسة عليه ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
كلام مستأنف والفاعل ضمير الله او بشر وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي بالرفع وهو احسن لان
النصب يفيض مفدارا عطفا على ان يؤتيه والضمير لبشر لا غير ولا مزيد لبعد العهد وتخلل الفاصل بالاستدراك
والمعنى ما استقام لبشر ايتاء الله الكتاب اياه وقوله كونوا عبادا لي من دون الله ولا امره اياكم باتخاذ الملائكة
والنبيين اربابا وعدل الى ثم في الثاني للدلالة على بعد هذا القول عمن اوتي بذلك الايتان او لا على اصلها
نافية والمعنى ما صح ايتاء الله بشرا النبوة ثم يقول لكم اعبدوني وينهى عن عبادة امثاله من الملائكة والانبياء
ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وفيه دليل على ان المخاطبين مسلمون لما روي انهم قالوا له اذن لنا ان نسجد لك
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه اللام
الاولى موطئة وما شرطية باتيتكم او موصولة مبتدا والخبر من كتاب ولتؤمنن به جواب القسم والميثاق مضاف
الى المفعول لما روي ابن عباس رضي الله عنه لما اخرج الذرية من ظهر آدم اخذ الميثاق على الانبياء
والرسل ان يقروا لمحمد وان جاءهم يؤمنوا به وعنه وعن علي بن ابي طالب عنهما ما بعث الله نبيا الا اخذ
عليه الميثاق بنبوة محمد والايمان به ان ادركه واذا كان هذا حال الانبياء فكيف بالامم وفيه ذم وتوبيخ للمحرفين
وقيل اضافة الفاعل اي اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على الامم وقيل المراد بالانبياء بنو اسرائيل على
طريق التهكم لادعائهم انهم اولى بالنبوة وقرأ حمزة لما بكسر اللام الجارة متعلقه باخذ على ان ما مصدرية
ومن تبعيضية اي لاجل ايتاء بعض الكتاب والحكمة ثم مجئ رسول مصدق او موصولة بحذف العائد كقوله
فاصدع بما تؤمرون بيانية وعن الاخفش لما معكم قام مقام العائد واذ نصب باذكر اي اذكر ذلك الوقت

قاله الفاتحة وانما كان بسعد الالف هذا حاله يوم القيمة منه

رضي الله

ليظهر للمنكر ما خصك الله به من المقام العالي والرتبة السنية قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري
اي عهدي سمي به لثقل المحافظة عليه قالوا اقررنا قال فاشهدوا بعضكم على بعض وادوا هذه
الشهادة على انفسكم الى اممكم او الى الرسول وانا معكم من الشاهدين حث على المحافظة على الشهادة
بان من لا يخفى عليه خافية مشاركهم فيها فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون الكاملون
في الفسق والخروج عن الطاعة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة السابقة وهمزة الانكار
توسطت داخلة على المفعول لانه محل الانكار او على مقدر اي يقولون فغير دين الله يبغون وله
اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها طايعين رغبة كالمؤمنين والملائكة او مكرهين بالسيف
ونحوه كنتق الجبل ادراك الغرق والاشفاء على الموت ومسخرين فانهم لا يقدرون على الامتناع عما
قضى عليهم واليه ترجعون قرأ حفص يرجعون بياء الغيبة وهو وابو عمرو ويبغون كذلك والخطاب
هو المختار توبيخا لهم مكافحة وهو نكتة الالتفات قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم
واسمعيل واسحق والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر رسوله الله بان
يخبر عن نفسه وعن امته بالايمان بالله وبما انزل عليهم والقرآن وان كان نازلا عليه الا ان
امته متعبدون بما فيه كاولاد ابرهيم والاسباط بالصحف فكان نازلا عليهم ايضا وآتي في البقرة
قولوا خطابا له ولامته او اجلالا له على طريقة الملوك مع تقدم قل بل ملة ابرهيم صونا عن التكرار
والنزول يستعمل بعلى وهو الاصل لانه حركة من فوق وبالى باعتبار الوصول لا نفرق بين احد
منهم في موضع الحال ونحن له مسلمون منقادون ولذلك آمنا بكل الانبياء والكتب ومخلصون
تعريضا بالمنافقين ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه استدل به على اتحاد الاسلام
والايمان فان اريد الاتحاد مفهوما فغير ناهض وان اريد الاتحاد صدقا في الشرع فتام وهو
في الاخرة من الخاسرين لاتلافه رأس ماله وهي الفطرة التي فطر الناس عليها كيف يهدي الله
قوما كفروا بعد اسلامهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات روي الحاكم والنسائي
عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في رجل من الانصار ارتد والعياذ بالله وعن مجاهد
نزلت في الحارث بن سويد كفر بعد الاسلام ثم رجع وحسن اسلامه والمعنى استبعاد هداية الله من
كفر بعد الايمان وشهادته بان الرسول حق وبعد ما جاء به الشواهد من القرآن وساير المعجزات
شهدوا عطف على ايمانهم لانه بتقدير الفعل مع ان او في موضع الحال بتقدير قد ولا يجوز عطفه
على كفروا لفساد المعنى والله لا يهدي القوم الظالمين لا يوفقهم للايمان اولئك جزاؤهم ان
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين اي الموصوفون ملعونون من كل احد حتى من انفسهم
فانهم يلعنون المبطل او يوم القيمة يدعون بالثبور ومفهومه وان دل على عدم لعن غيرهم الا انه
ملغى بالنصوص الدالة على لعن الكافر خالدين فيها في اللعنة او في النار لقوله لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون يمهلون فيه رد لما يقوله الملاحدة من انهم يعتادون فلا يحسون بالالم الا
الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا ما اخلوا به من الحقوق فان توبة المرتد لا تسقطها فان الله
غفور لما صدر منهم رحيم بقبول توبتهم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم اليهود
كفروا بعيسى وازدادوا كفرا بمحمد وآمنوا به قبل بعثته وكفروا به بعدها وازدادوا كفرا بالاستمرار
على معاداته وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في قوم اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة وازدادوا
كفرا بان قالوا نتربص بمحمد ريب المنون لن تقبل توبتهم استدل به الامام احمد على ان من تكرر
ارتداده لا تقبل توبته والجمهور على ان المراد استمراره الى الموت لساير النصوص واولئك

ارادة بالايمان الاسلام

سم الضالون طريق الصواب ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به
ادخل الفاء في الخبر لان الموت على الكفر سبب لامتناع قبول الفدية بخلاف الآية الاولى فان ايراد الموصول
لتحقيق الخبر لا يذانه بالاصرار المفضي الى عدم الرجوع والمعنى لا يقبل منه فدية ولو افتدى بملء الارض
فانه غاية الكثرة عرفا اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين سد عليهم طريق الخلاص لانه اما بطريق
الافتداء او الدفع بالقهر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون حث على الانفاق قبل فوات وقته روى البخاري
ومسلم لما نزلت قال ابو طلحة يا رسول الله ارى ربنا يسألنا من اموالنا وان احب اموالي بيرحاء
فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها
ابو طلحة في الاقربين وتصدق عمر بسهمه من خيبر وجاء زيد بن حارثة بفرس له فاعطاه رسول الله ابنه اسامة
فقال زيد انما اردت الصدقة فقال ان الله قد قبل صدقتك وما تنفقوا من شيء اي شيء كان فلا يستحقر
شيء وفي الحديث لا تحقرن امرأة جارتها ولو بفرسن شاة وفيه اتقوا النار ولو بشق تمرة فان الله به عليم
فيجازيكم عليه كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل كل المطعومات والحل مصدر بمعنى الفاعل ويفيد مضاف
قضية الانفاق كانت مستطردة لمناسبة الافتداء الكافر حين لا ينفع ثم عاد الى قبائح اليهود القائلين بعدم
النسخ ولما تلا عليهم فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر قالوا لسنا مخصوصين بذلك بل كانت محرمة من لدن نوح عليه السلام فكذبهم الله في ذلك
الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية حرم على نفسه لحوم الابل والبانها كانت احب
الطعام اليه وكان به عرق النساء فنذر ان شفاه الله ان يتركها وقيل كان ذلك باشارة الاطباء
والاستدلال به على جواز الاجتهاد للانبياء غير ناهض لجواز كونه بالوحي قل فأتوا بالتورية فاتلوها
ان كنتم صادقين فان في التورية ان ذلك التحريم خاص بهم فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك من بعد
ظهور ما ذكر فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم حيث كذبوا كتابهم الذي آمنوا به ولما الفمهم الحجر في
قال صدق الله فيما اخبر به في القرآن والتورية فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا مائلا عن الباطل خاطبهم على طريق الانصاف
حيث لم يقل اتبعوني بل امرهم باتباع من يفتخرون باتباعه وما كان من المشركين تعريض بهم وتكذيب لهم
في ادعائهم انهم على ملته ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين اشارة الى حل شبهة
اخرى لليهود قالوا كيف يكون محمد على ملة ابرهيم وقد ترك التوجه الى بيت المقدس الذي هو قبلة الانبياء
فاشار الى ان ذلك مما يدل على انه على ملته لان الكعبة قبلته وهي اقدم من بيت المقدس واشرف روى
البخاري ومسلم عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام
قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون سنة مكة وبكة اسمان لتلك البلدة الشريفة وقيل
بكة موضع البيت ومكة سائر البلد وهو ظاهر النظم سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها وقيل
لان الناس يبكون فيها اي يزحم بعضهم بعضا ولا مكان اكثر بركة منه كم من تجارة نفقت ورقبة عتقت
وهدى للعالمين لانه قبلتهم في صلواتهم ولما فيه من الآيات العظام ولذلك بينه بقوله فيه آيات بينات الضمير
للحرم البيت مقام ابرهيم الحجر الذي غاص فيه قدمه لما قام عليه وهو يبني وقيل لما جاء زائرا قالت له امرأة اسمعيل
عليه السلام انزل حتى تغسل رأسك لان سارة كانت شرطت عليه ان لا ينزل وانما صح بيان الجملة بالواحد
لتعدد جهاته غوص القدم والانغماز في الحجر الصلد وبقاؤه على مر الدهور وناهيك ان القرامطة اخذوا الحجر
الاسود الى بلادهم واعماهم الله عن المقام او لانه اشار الى جنس الآيات بذكر اعظمها وطوى ذكر الآخر لكثرتها
منها انحراف الطيور عن موازاته وضواري السباع تخالط الصيد وكل جبار قصده قصمه الله وقصة اصحاب
الفيل اجلى دليل ومن دخله كان آمنا ليس من الآيات بل بيان لشرفه والامن اما في الدنيا على ما ذهب اليه

بيرحاء بفتح الباء وكسرها اسم حديقة بالمدينة وبخ بالسكون والتنوين ورايح بالياء المثناة ويروى بالموحدة من الربح

وقد صح ان المسجد الحرام والاقصى اول من بناهما آدم منه

ابن عباس وابو حنيفة من عاذ بالبيت وعليه قصاص لا يتعرض له ولكن لا يطعم ولا يسقى حتى يضطر الى الخروج وهو
الظاهر لقوله انا جعلنا حرما آمنا وقوله وآمنهم من خوف ولما روى مسلم والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ثم قال ان هذا البلد
حرمه الله يوم خلق السموات والارض لم يحل لاحد قبلي وانما حل لي ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم
القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها فليبلغ الشاهد الغائب واما في الآخرة لما
روى البخاري وغيره من حج ولم يرفث فكانما ولدته امه والمطلق وهو الاحسن فيهما ولهما وعن ابن مسعود رضي
الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس يومئذ مقبرة وقال يبعث الله من هذه
البقعة سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر
وروى انه قال يؤخذ بالحجون والبقيع وهما مقبرتا مكة والمدينة وينثران في الجنة ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا الحج لغة القصد وشرعا هو القصد المخصوص بين الاشرف البيت والحرم
ثم دعا كافة الناس اليه والحج احد اركان الاسلام بالاحاديث والاجماع والآية وفيها انواع من التاكيد ابراز
الامر به في صورة الخبر والابدال المشتمل على الاجمال والتفصيل ولام الاختصاص واسمية الجملة وتسميته تاركه
كافرا ووجوبه في العمر مرة لما روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس اكل عام يا رسول الله فقال لو قلت لوجب ذروني
ما تركتكم الحج مرة وروى الترمذي عن ابن عمر ان رجلا سأل رسول الله عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة
وعند مالك قوة البدن كافية لقوله واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر وقرأ حمزة و
الكسائي وحفص حج البيت بكسر الحاء على انهما لغتان وعن الزجاج المفتوح مصدر والمكسور اسم والمختار هو الفتح
لاتفاقهم في واذن في الناس بالحج ومن كفر بتركه مستحلا او هو تهديد كقوله من ترك الصلوة عامدا فقد كفر
روى الترمذي عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فان الله غني عن العالمين دل على غناه عن حجه بطريق البرهان لانه اذا كان
غنيا عن العالمين يتناوله لا محالة قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اذ لم يبق لكم شبهة فضلا عن حجة والله
شهيد على ما تعملون والعاقل لا يرتكب ما لا نفع فيه فكيف بما يجلب سخط القادر القاهر قل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من آمن لم ترضوا بضلالكم حتى تضموا اليه اضلال المسترشدين تبغونها عوجا توهمون الناس ان
فيها اعوجاجا او تبغون انفسكم لطلب المحال يقال بغيتك الشيء اذا طلبته له وانتم شهداء عالمون بانها سبيل الله
او انتم موصوفون بالعدالة والديانة بين اتباعكم وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم يا ايها الذين آمنوا ان
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نوع آخر من مكايد اليهود وذلك ان الاوس
والخزرج قبيلتان من عرب اليمن من اولاد سبا الذي ضرب به المثل في قولهم ذهبوا ايدي سبا وكان بين هاتين
القبيلتين عداوة قديمة ومحاربات كثيرة منها يوم بعاث كان الظفر في ذلك اليوم للاوس وكان شاس بن
قيس كثير العداوة للاسلام واهله فمر يوما ونفر من الاوس والخزرج جلوس فغاظه ذلك فامر شابا كان معه
ان يجلس اليهم وينشدهم الاشعار ويذكرهم يوم بعاث فلما انشدهم وذكرهم تحركت فيهم الحمية ونادوا السلاح
السلاح عازمين على القتال فبلغ رسول الله امرهم فخرج اليهم وقال اتدعون بدعوى الجاهلية وانا بين
اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام فعرف القوم انها من نزغات الشيطان فالقوا السلاح وتعانقوا فلم يكن يوم
اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم فانصرفوا ورسول الله بينهم كالبدر بين الانجم وكيف تكفرون وانتم
تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار لان يوجد لهم حال يتصور معها الكفر لان القرآن الذي هو هدى
ونور يتلى عليهم غضا طريا وفيهم رسول الله يشاهدون منه الآيات والمعجزات على التوالي ومن يعتصم

عباس

حال

ابن عباس

بالله فقد اهتدى الى صراط مستقيم من التجاء اليه ومن تمسك بدينه فقد حصل له الهدى لامحاله وجعل هدى
الجزاء مع قد ليلا ينقلب مستقبلا يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته اصل تقاة وقاة قلبت واوه
تاء كما في تراث وتجاه عن ابن مسعود رضي الله حق تقاته ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى
رواه الحكم موقوفا وعن ابن عباس رضي الله عنه ان لا يأخذه في الله لومة لايم وعن بعض العارفين ان يحافظ
على الحدود ظاهرا وعلى الاخلاص باطنا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي لا تكونوا حال الموت الا على الاسلام
النهي راجع الى القيد كقولك لا تلق الاسد الا وانت ذو سلاح واعتصموا بحبل الله جميعا استعارة تمثيلية
على اعتبار تشبيه الحالة بالحالة او الحبل مستعار للعهد او القرآن لقوله تركت فيكم ما ان تمسكتم به
لن تضلوا القرآن حبل الله المتين والاعتصام مستعار للوثوق بالعهد او ترشيح لاستعارة الحبل لان اضافته
الى الله قرينة ولا تفرقوا لا تفعلوا شيئا يوجب تفرقكم وفي الحديث يد الله على الجماعة من شذ شذ في النار
واذكروا نعمة الله عليكم اشكروها اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم كانت العرب قبل الاسلام متفرقين
بينهم التحارب والتغادر فالف الله بينهم الالفة والمودة ببركة الايمان والاوس والخزرج واخلان في العموم
فاصبحتم بنعمته اخوانا اي صرتم اخوانا ملتبسين بنعمة الله المراد اخوة الاسلام وكنتم على شفا حفرة
من النار شفا كل شيء حرفه واوي والمعنى لو ماتوا على الكفر لوقعوا في حفرة من النار وهي قبرا لكافر
فانها حفرة من حفر النيران فانقذكم منها من النار او من الشفا وهو الوجه لان الانقاذ منه وتانيث الضمير
لان الشفا من الحفرة كما تقول سقطت بعض انامله كذلك يبين الله لكم الآيات مثل هذا البيان الجلي
يبين ساير اياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية يجب على الكل ويسقط بفعل البعض كصلوة الجنازة ودفن الى الخير
الميت وشرط القايم به العلم بالاحكام والحدود وكيفية التعاذير ويجب على الجاهل التعلم اذا لم يقم به
غيره ويختلف باختلاف المذاهب ويكون واجبا ومندوبا ويكره اذا خاف على نفسه وله ثلث مراتب كما روى
البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان
لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وعطف يأمرون بالمعروف على يدعون من عطف
جبرئيل على الملايكة واولئك هم المفلحون اي الموصوفون بهم الكاملون في الفلاح عن حذيفة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن ان
يبعث الله عليكم عقابا ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا نهيا ولا عن التفرق
وثانيا عن المشابهة بمن تفرق مبالغة من بعد ما جاءهم البينات الدلايل الواضحة والمراد النهي عن الاختلاف عن
الناشي عن الاهواء فيخرج عنه اختلاف المجتهدين واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
انتصاب يوم بالظرف او باذكر مضمرا وبعظيم البياض والسواد على الحقيقة سيما اهل السعادة والشقاوة
او كنايتان عن السرور والحزن فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق اذ قلتم بلى بعد الست
بربكم وقيل هم اليهود والنصارى آمنوا به قبل بعثته فلما جاءهم ما عرفوا كفروا وقيل اهل البدع الذين بدعتهم
كفر كالمجسمة والمعطلة والهمزة للتوبيخ والقايل الملايكة وفايدة القول زيادة العذاب وتوفير حظ السامعة
فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله في الجنة
من اطلاق الملزوم وارادة اللازم اشارة الى ان دخول الجنة بفضل رحمته تعالى لا بالعمل وانما وسط
حديث السواد ليكون الفاتحة والخاتمة بحلية المؤمنين هم فيها خالدون مستأنف لبيان حالهم في الرحمة
او حال لان صدر الاسمية ضمير فلا حاجة الى الواو تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ملتبسة به وما الله
يريد ظلما للعالمين شيئا منه لاحد منهم نفاه بنفي لازمه اذ لو وقع كان مرادا له ودل على ان ظلم العباد

بينهم مراد له وان لم يرض به فمن استدل به على انه لا يريد ظلم العباد بعضهم بعضا فقد زلت به القدم ولله ما رد على الله و
في السموات وما في الارض ايجادا وملكا فكيف يتصور منه الظلم والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد او
وعد كنتم خير امة اخرجت للناس اي في علم الله او في اللوح والخطاب لامته كافة لما روى الترمذي عن بهز بن
حكيم عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها و
اكرمها عند الله وقيل للصحابة وقيل للشهداء والصالحين تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف
لبيان الخيرية واللام للاستغراق اي كل معروف وكل منكر مستمرون على ذلك وبه خرج الامم والاستدلال
به على حجية الاجماع غير ناهض لان قيام واحد وشرذمة كاف في ذلك والاسناد الى الكل لوقوع الفعل
بينهم وتؤمنون بالله باتصافه بكل ما يليق به آخره للدلالة على ان امرهم بالمعروف والنهي عن المنكر ايمانا
بالله وتصديقا به ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم لاندراجهم في زمرة خير الامم منهم المؤمنون كعبد الله
بن سلام واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى باللسان كالطعن في دينكم ودنياكم بحثا ثالثا لكم هذه
الجملة وما عطف عليها والتي قبلها وما عطف عليها وردت على طريق الاستطراد تتميما لبيان حالهم ولم
يعطف احد الاستطرادين على الآخر لكون كل منها نوعا آخر من الكلام وان يقاتلوكم يولوكم الادبار لفرط
خوفهم ثم لا ينصرون اي ثم اخبر كما انهم لا ينصرون قط ولذلك لم يعطفه على الجزاء لئلا يتقيد بالشرط
وثم للتراخي رتبة فان الاخبار باستمرار الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليهم ضربت عليهم الذلة بالقبة تشبيه الذلة
على طريق الاستعارة بالكناية والضرب تخييل او شبه احاطتها بهم باحاطة القبة على من فيها استعارة
تبعية اينما ثقفوا اينما وجدوا اشرافا وغربا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم الاحوال لشدة
لاعزلهم في حالة الا في حال اعتصامهم بذمة الله وذمة المسلمين وانما اعاد الحبل لتغاير الذمتين لان
حبل الله هو الاسلام وحبل المسلمين هو عقد الجزية او عهد الله ايفاؤهم بالجزية وعهد المسلمين تقدير
كمية الجزية او من قبيل الله ورسوله احق ان يرضوه لان الناس هم المؤمنون فيتحد الحبلان وباؤوا
بغضب من الله صاروا احقاء به وهو ارادة الانتقام وضربت عليهم المسكنة الفقر اكثر اليهود فقراء او الذلة
في النفس والمسكنة الانكسار ظاهرا كيف لا والتزام الجزية اعزاجوا لهم ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات ونه حال ورنى الجوه يوضد للحيته اللى هما اعراجواه منه
الله اي المذكور من ضرب الذلة وغيرها كائن بسبب كفرهم بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق في
اعتقادهم يوقنون بان قتلهم ظلم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك الكفر والقتل بسبب
عصيانهم فان الاصرار على الصغاير يفضي الى الكباير والاكباب عليها يؤدي الى الكفر غالبا او ضرب
الذلة مسبب عن الكفر والمعاصي ايضا فيدل على انهم مخاطبون بالفروع ليسوا سواء اي الا قلون
وهم من آمن من اهل الكتاب والاكثرون الفاسقون من اهل الكتاب امة قايمة استيناف لبيان حال الاقلين
بعد بيان حال الاكثر ومعنى قايمة عادلة من قام العود اذا زال اعوجاجه او القيام كناية عن الجد يدل
عليه وصف اضدادهم بالكسل يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون عبر عن صلوتهم تهجدا بلبها
وهو الذكر المدلول عليه بالتلاوة والسجود الذي هو اقرب مقامات العبد في معراجه زيادة تصويرها
وتمييزا عن صلوة اهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر تعريض بمقابليهم لان ايمانهم بالله واليوم
الآخر ليس بايمان ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يداهنون ويسارعون في الخيرات كلها من فرط
رغبتهم لان من رغب في شيء سارع اليه بكل ممكن وآثر الفور على التراخي واولئك من الصالحين اي الذين
صلحت احوالهم مع الله والخلق او بعض الصالحين معدودون منهم وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي جزاءه
ضمن معنى الحرمان ولذلك عدي الى مفعولين وقرأ حمزة والكسائي وحفص الفعلين بياء الغيبة والضمير
لاهل الكتاب والخطاب تما التفات او على سنن كنتم خير امة لان قصة اهل الكتاب معترضة استطرادا

والله عليم بالمتقين حث على الاخلاص وبشارة للمتقين ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون من الاغنياء او من العذاب مثل ما ينفقون في هذه
الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته الصر البرد وهو مصدر في الاصل
جيئ به على الاصل او صفة بمعنى الباردة وصف به الريح الباردة مبالغة او من قبيل التجريد انتزع
من الريح ريح باردة كقوله لكم في رسول الله اسوة وقول الشاعر وفي الرحمن للضعفاء كافي التشبيه
شبه ما كانوا ينفقون في المكارم والمفاخر لا يبتغون بها وجه الله بالزرع الذي اصابه البرد المفرط
قبل اوانه فجعله حطاما او ما كانوا ينفقونه في عداوة رسول الله ولم يبلغوا به ما راموا وانما قيد الحرث
بقوم ظلموا لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ وما ظلمهم الله اي المنفقين بابطال اعمالهم ولكن انفسهم
يظلمون لانهم باشروا اسباب سخطه يا ايها الذين لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل خاصته وصاحب سره
ومنه بطانة الثوب لخفائها ومنه بطانة الرجل واستنارها روي البخاري مرفوعا انه صلى الله وسلم
قال في مدح الانصار الناس دثار والانصار شعار وروي ابو داود عن ابي هريرة رضي
الله عنه عن رسول الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل من دونكم من دون المؤمنين
صفة ويجوز تعلقه بلا تتخذوا لا يالونكم خبالا من الالو وهو التقصير يقال لا الو جهدا على تضمين
معنى المنع فيتعدي الى المفعول الثاني والخبال الفساد ودوا ما عنتم عنتكم وهو اشد الضرر وابلغه
اصله كسر العظم بعد الجبر قد بدت البغضاء من افواههم من فلتات لسانهم من فرط البعض كالاناء
الممتلي وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا قد بينا لكم الايات لشرح احوالهم والجمل المذكورة مستانفات
كل منها علة مستقلة للنهي ولذلك ترك تعاطفها ويجوز ان يكون كل لاحقه علة للسابقة سوى قوله
قد بينا لكم الايات فانه لا يصلح تعليلا لبدوا لبغضاء فيكون كلاما مبتداء والحمل على الصفة يوهم
تقييد النهي يكون البطانة على هذه الصفات ان كنتم يعقلون وفي ايثار ان وجعل الفاصلة تعقلون
توبيخ على وقع منهم من نوع موالاة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم انتم مبتداء واولاء خبره وها
للتنبيه فان قلت قد تقدم نظيره في محاجة اليهود ها انتم هولاء فلم اقتصر على احدي الهاءين هاهنا
قلت دعوي اليهود ان ابرهيم كان يهوديا ناشية عن فرط الغفلة لان المتقدم لا يعقل ان يكون على مذهب
المتاخر فكررت الهاء لذلك بخلاف مودة المؤمنين لمن لا يحبهم فانه احسان الى غير مستحقه فلم يكن بذلك
البعد وتؤمنون بالكتاب كله حال بتقدير المبتداء من المفعول اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكل الكتاب
او عطف على تحبونهم على معنى ها انتم تجمعون بين المحبة والايمان بالكتب كلها وهم لا يحبونكم ولا يؤمنون
بشئ من الكتب فلا جامع بينكم وبينهم واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
النادم والمغتاظ كثيرا ما يعضان الانامل من شدة الاسف والندم قال الحارث بن ظالم
المري فاقتل اقواما لياما اذلة يعضون من غيظ روس الانامل وقال الاخر غيري جني وانا المعاقب
فيكم فكانني سبابة المتندم قل موتوا بغيظكم اي ازدادوا غيظا الى ان تموتوا به وذلك بازدياد شوكة
الاسلام وارتفاع شانه ان الله عليم بذات الصدور داخل في مقوله اي قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى
مما تسرون بينكم وهو مضمرات قلوبكم الثي في الصدور او استيناف منه تعالى يقرر ما اطلعه عليه
من اسرارهم او تذييل لكل ما سبق من قوله ها انتم وعيدا على اضمار حسودتهم واطلاعا لرسوله على نفاقهم
وتحذيرا لهم عسى ان يرجعوا والاحسن ان يكون تسلية لرسول الله عليه وسلم برجاء العاقبة وعلو الشان
من غير قول للمخاطب كانه قال حدث نفسك بهذا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا
بها لفرط عداوتهم يحسدونكم على العافية اثر في الحسنة المس لانه ادنى الاصابة وفي السيئة الا
صابة

رد على الفاضل لا ان الفاء يزود عند الداهد النعوى لفوله تعالى احجار يحبهم الغاتوله

من المركب

اصبوا

صلى الله

كسرا

لانهم لا يفرحون بادني اصابة وان تصبروا على اذاهم وتنفقوا اموالهم وتصبروا على مرارة التكاليف
وتجتنبوا محارم الله لا يضركم كيدهم شيئا ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقرأ نافع وابن كثير
وابو عمرو لا يضركم من ضار يضير والمعنى واحد والتشديد اشهر ان الله بما يعملون محيط
علمه فيجازيهم واذ غدوت من اهلك من حجرة عايشة اي اذكر ذلك الوقت ليظهر لك ان النصر
ولما لم يصبروا اصابهم واليه اشار بقوله قل هو من عند انفسكم هذه وقعة احد كانت في شوال
من سنة ثلث من الهجرة وذلك ان ابا سفيان لما جامع العير وقتل من قتل من اشرافهم
ببدر قالوا نجعل هذه الاموال لقتال محمد فجمعوا الجموع وخرجوا في ثلثة الاف اميرهم ابو سفيان
فنزلوا باحد يوم الاربعا فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة استشار الاصحاب فاشار
اليه اكثر الانصار بالاقامة بالمدينة وفيهم عبد الله بن ابي راس النفاق قالوا ما دخل علينا عدو
قط الا اصبنا منه وما خرجنا اليه الا اصاب منا دعهم ان اقاموا اقاموا بشر محبس لا ماء ولا علف
وان قاتلوا قاتلهم الرجال ورمي في وجوههم النساء والصبيان الحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين
واشار اليه بالخروج بعض من فاته بدر واراد الله اكرامه بالشهادة قالوا يا رسول الله اخرج بنا
الى هولاء الكلاب لا يرون انا جبنا فدخل ولبس لامته وظاهر بين الدرعين فندم المشيرون
بالخروج وقالوا يا رسول الله افعل ما بدا لك ان شئت قمت قال لا ينبغي لنبي ان
يلبس لامته ثم يرجع حتى يحكم الله فخرج في الف فلما سار شوطا رجع ابن ابي المنافق في ثلث الجيش
وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرا حتى نزل بالشعب
في جانب عدوة الوادي وجعل ظهره الى احد تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال مواطن ومواقف
يستعمل في مجرد المكان اتساعا كقوله في مقعد صدق وذلك انه لما اصبح يوم السبت تهيأ
للحرب وجعل يصف اصحابه ويسويهم كما يسوي القدح وامر على الرماة عبد الله بن جبير وهم خمسون
رجلا وقال الزموا مكانكم وانضحوا الخيل ولا تبرحوا مكانكم لنا او علينا وان خطفتنا
الطيور وكانت معه قريش ما ئتا فرس على ميمنتها خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن ابي
جهل والله سميع لاقوالكم عليم بضمايركم اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا ظرف لسميع عليم على التنازع
او بدل من اذ غدوت والطايفتان بنو حارثة وبنو سلمة الفشل الجبن وموجب ذلك ان المنافقين
لما رجعوا همت الطايفتان بالرجوع وكانت همته لا عزما معها او كانت عزمة فثبتهما الله تعالى ت
والله وليهما عاصمهما ومتولي امورهما روي مسلم البخاري عن جابر فينا نزلت وما يسرنا ان لا تنزل
لقوله تعالى والله وليهما وعلى الله فليتوكل المتوكلون لا على غيره ولقد نصركم الله ببدر اسم ما سمي
باسم صاحبه بدر بن النار رجل من جهينة اول قتال وقع بين رسول الله وبين المشركين بها وافق
ذلك السابع عشر من رمضان سنة ثنتين من الهجرة اعز الله الاسلام فيه وجنده وانتم اذلة ثلثمائة
وثلثة عشر اكثرهم مشاة يتعقبون وفيهم فرسان وسبعون بعيرا والعدو في زهاء الف وعدة
كاملة على الخيول المسومة فاتقوا الله لعلكم تشكرون بتقواكم لان نعمة النصر تقتضي المقابلة
بالتقوى شكرا او التقوى شكر للنعمة مستجلب للنصر فعليكم بها اذ يقول للمؤمنين ظرف لنصركم
او بدل من اذ غدوت على ان هذا القول كان يوم احد ونزول الملائكة كان مشروطا بالصبر والثبات
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين استفهام الانكار دخل على النفي فافاد
الاثبات وقرأ ابن عامر منزلين بفتح النون وتشديد الزاء بلى ايجاب بعد النفي اي بلى يكفيكم
الامداد ثم قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا في الان الحاضر من غير ريث مستعار من فور

منوط بالعبرة

ما اصابهم

المؤمنون

انا لقدر وهوا لغليان يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة مسومين زيادة على العدد الاول عن ابن
عباس رضي الله عنه كانت خيولهم معلمه بالصوف الابيض في نواصيها واذنابها ولم يقاتل الملايكة
الا يوم بدر وفي غيره وان نزلت لم تقاتل وعن هشام بن عروة كانت خيلهم بلقا وعن الزجاج
كانت ثيابهم بيضا وقيل كانت عمايمهم صفرا مرخاة على اكتافهم على صورة عمامة زبير وفايدته
اظهار الشجاع نفسه وعدم الالتباس عند التحام القتال وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الواو
مسومين لان الفرسان هم الذين يسومون والفتح اشهر وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمين قلوبكم
به اي ما جعل الامداد الا ليجلب لكم سرورا ولتطمين قلوبكم بالعدد الكثير ويندفع به وساوس
الشيطان استعارة البشارة من القول للفعل وما النصر الا من عند الله لا من عند العدد والعدد
العزيز الغالب الذي لا يغالب الحكيم في نصر المومنين بانزال الملايكة تارة وبدونه اخرى ليقطع
طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم الله على ان اذ تقول ظرف له لا بدل من اذ غدوت والمعنى نصركم
ببدر ليهلك طايفة من الكفار وكذا وكذا او بقوله وما النصر الا من عند الله وهذا احسن لعمومه
وجوابه على وجهي البدل والظرف او يكبتهم يخزيهم بقال كبته بمعنى اصاب كبده بالغيظ والحرقة
فينقلبوا خايبين لم ينالوا ما ارادوا ليس لك من الامر شيء روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت بعد الركوع ويدعو على مضر واحيا من العرب
فنزل ليس لك من الامر شيء وروي ايضا عن انس رضي الله عنه انه لما كسرت رباعيته وشج راسه
جعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم فنزل اي انما انت عبد منذر و
مامور بالقتال وقد فعلت ما امرت به كانه عاتبه على استبعاد فلاح القوم لان منهم من آمن
كابي سفيان وخالد بن الوليد او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على ليقطع وليس لك من الامر شيء
اعتراض بين المتقابلين فان القطع والكبت في العاجل والتوبة والتعذيب في الاجل ويجوز ان يكون منصوبا
باضمار ان عطفا على المجرور او المرفوع اعني الامر او شيء اي ليس لك من الامر التوبة عليهم او التعذيب
او ليس لك من التوبة عليهم او تعذيبهم شيء وعلى الوجهين من عطف الخاص على العام في شمول النفي
الخاص وقيل بمعنى الا اي ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب الله عليهم فيسرك او يعذبهم فانهم
ظالمون علة التعذيب ولله ما في السموات وما في الارض ايجادا وملكا تقرير لقوله ليس لك من الامر
شيء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا علة لصنعه ملاك الامر مشيته والتقييد بالتوبة
قول بلا دليل ومعارض لما تواتر من الاحاديث معنى والله غفور كثير الغفران رحيم لا يعاجل بالعقوبة
يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة هذا ايضا من اخلاق الكفار بعد ما نهاهم
عن موالاتهم نهاهم عن الانصاف باخلاقهم وسلوك سننهم والتقييد باضعافا مضاعفة زيادة
توبيخ واشارة الى ما كانوا فيه من الطريقة التي لا يرضاها ذو المروة من اكل الربوا فلا مفهوم
له وقرا ابن كثير وابن عامر مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون لكي تفلحوا واتقوا النار
التي اعدت للكافرين بالاصالة فلا تشاركوهم في اسبابها واطيعوا الله والرسول مبالغة في الحث
على التقوى لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم الى موجباتها ووسايلها وقرا نافع وابن عامر
سارعوا بدون الواو اما على الاستيناف على تقدير سوال او حذفا لعاطف لعدم اللبس وكذا رسم
مصحف المدينة والشام وجنة عرضها السموات والارض ليس القصد الى تحديد عرض الجنة بل هو كناية
عن غاية السعة بما هو غاية في ذلك في علم السامعين والتمثيل بالعرض لانه اقصر من الطول وعن ابن
عباس رضي الله عنه لو بسطنا السموات والارض ووصلت كانت مقدار عرض الجنة واما طولها فلا

يحيط به الا علام الغيوب اعدت للمتقين الآتي وصفهم ولا يلزم منه ان لا يدخلها العصاة من المومنين
لان المراد انها لهم اعدت اصالة كالنار للكفار الذين ينفقون في السراء والضراء حالتي الرخاء والشدة
او في جميع الاحوال لان الانسان لا ينفك عن احديهما روي ان عايشة رضي الله عنها تصدقت بحبة
عنب والكاظمين الغيظ يقال كظم البعير اذا رد جرته الى جوفه والمراد عدم امضايه واخفايه
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تعدون فيكم الصرعة قلنا
الذي لا يصرعه الرجال قال لا ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب والعافين
عن الناس جرايمهم عند القدرة اخص من كظم الغيظ واخفايه من دون العفو وعن ابن عباس
رضي الله عنه اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين العافون عن الناس هلموا الى ربكم خذوا
اجوركم والله يحب المحسنين هولاء المذكورين اللام للعهد والاولى الاستغراق فيتناولهم ويدخلون
دخولا اوليا والذين اذا فعلوا فاحشة عطف على المتقين وهولاء التايبين والفاحشة فعلة
متناهية في قبحها او ظلموا انفسهم بارتكاب اي ذنب كان ذكروا الله بصفات الجلال والجمال فاستغفروا
لذنوبهم رغبة ورهبة ومن يغفر الذنوب الا الله بالغ في الدلالة على سعة رحمته بايثار الاسم
الجامع واستغراق الذنوب باللام وتصدير الكلام بالاستفهام الدال على انه المنفرد بذلك ولا
اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه لئلا ينفك المغفرة عن الاستغفار وفي الحديث التايب
من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة تجب ما قبلها ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على المعاصي
وهم يعلمون حال من فاعل يصروا على ان حرف النفي منصب عليهما بمعنى ان عدم الاصرار متحقق
البتة حال كونهم عالمين قبح الاصرار اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها خبر والذين اذا فعلوا ان لم يعطف على المتقين والا فكلام مستانف لبيان
حال المتقين والتايبين وقوله والله يحب المحسنين في البين لرفع شان المتقين وليس في الآية
الا ان الجنة اعدت للمتقين والتايبين او للمتقين خاصة والتايبون اجرهم مغفرة وجنات
ولا دلالة في ذلك على عدم دخول المصر الا مفهوما وهو ملغي لان الكلام مسوق لتهييب كله
الربوا والترغيب في الاقلاع والتقييد بعدم الاصرار يلايم الغرض وشرط المفهوم عند القايل
به ان لا يكون له فايدة اخرى ونعم اجر العاملين اي المذكور سمي عوض العمل جزاء اولا واجرا ثانيا
بالنظر الى المعطي والعامل قد خلت من قبلكم سنن وقايع الامم المكذبة وطرق هلاكها المختلفة
فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين تروا منازلهم خاوية بما ظلموا حثهم على الاعتبار
بما يشاهدون من احوال امثالهم هذا بيان للناس من سوء عاقبتهم ان داموا على التكذيب
وهدى وموعظة للمتقين زيادة هدى وتثبيت لهم ويجوز ان يكون قد خلت جملة معترضة حثا
على الايمان وقوله هذا بيان اشارة الى ما لخص من حال المتقين والتايبين ولا تهنوا ولا تحزنوا
عطف على فانظروا تسلية لهم لان النظر الى تلك الوقايع يورث الطمانينة بان العاقبة لحزب
الله كرا الى اتمام حديث احد بعد توشيط حديث الربوا والدلالة على انه نوع آخر من حرب الله
وحديث الجهاد الاكبر لان الاعم الاهم وانتم الاعلون شانا لانكم تقاتلون لاعلاء كلمة
الله او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او اعلون في العاقبة
لان حزب الله هم الغالبون ان كنتم مومنين اي لا تهنوا ان صح ايمانكم تعييرهم لان ما
بدا منهم ينافي قوة الايمان او متعلق باعلون ان فسر بالبشارة بالعلو في العاقبة اي انتم
الاعلون ان كنتم مصدقين بهذه البشارة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله

بما صدقت بحبة عنب كان من كان حاضرا
بعجب من قلبه فانه لم ... منى فرده اشاره
الى قوله تعالى ... ذرة خيرا يره
منه

اى اعدت للمتقين

يوم بدر ويوم احد اول النهار وقبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة
والكسائي وابو بكر القرح بضم القاف على انهما لغتان اوبالفتح الجراح وبالضم ألمها وتلك الايام
مبتداء وخبر نداولها جملة موضحة كما في قولك انت حاتم بجود اوحالا وخبر بعد خبر والمداولة من الدولة
وهي الكرة والعود والايام اوقات النصر والغلبة والمعنى نجعل النصر تارة لهؤلاء وفي حديث ابي
سفيان لما ساله هرقل عن حال حربهم مع رسول الله الحرب بيننا سجال وليعلم الله الذين آمنوا
ليميزوا الثابت على الايمان من المتزلزل من اطلاق السبب وارادة المسبب وتمثيل اي فعلنا فعل من يريد
ان يعلم الثابت على الايمان اوعلما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلم الثابت موجودا فالمعلل محذوف
اوالعلة محذوفة والمعلل نداولها لكيت وكيت وليعلم وانما حذفت للدلالة على ان المصلحة
في ذلك غير واحدة ويتخذ منكم شهداء وليكرم منكم ناسا بفضل الشهادة وقيل يتخذ منكم من يصلح
للشهادة على الامم وفيه ان تلك الشهادة عامة لكافة الامة والله لا يحب الظالمين اعتراض
بين العلل للدلالة على ان اداله النصر والظفر للكفار تارة ليست لانه اسند راجا وليمحص الله
الذين آمنوا عطف على ويتخذ واللام بمعنى كي والتمحيص التشئ اي ليطهرهم من الذنوب
فتلوا اوقتلوا ويمحق الكافرين يهلكم المحق نقص الشئ قليلا قليلا فالتمحيص في الحالين للمؤمنين ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة انكر حسبانهم دخول الجنة دون القيام بما آمروا به من مشاق
التكليف تصريحا بما عرض به اولا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي ولما تجاهدوا منكم لان
ولما تجاهدوا نفي المعلوم اذ لو وقع لكان معلوما له ولما كلم في نفي الماضي الا ان فيه معنى التوقع
فيدل على ان الجهاد المنفي في الماضي متوقع في المستقبل ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو
بمعنى الجمع والمعنى انكار حسبان دخول الجنة مالم يتحقق الامران معا ولقد كنتم تمنون الموت اسبابه هم
الذين تخلفوا عن بدر وحرضوا رسول الله على الخروج الى احد من قبل ان تلقوه وتشاهدوا شدته
فقد رايتموه حين قتل اخوانكم وانتم تنظرون والحال انكم بصراء تشاهدون ذلك لا علة بكم ولا غفلة
وفيه دلالة على كراهة تمني لقاء العدو لا الشهادة لما روى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لولا ان
اشق على امتي لما تعدت خلف سرية ولوددت ان اقتل ثم احيى ثم اقتل ثم احيى ولقد قال عبد الله
بن رواحة لما ركب متوجها الى غزوة موتة وقيل له ردك الله سالما • لكنني اسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الزبدا • اوطعنة بيدي حران مجهزة • بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثي • ارشدك الله من غاز وقد رشدا • ولزوم تمني غلبة الكفار من تمني
الشهادة وسمي محمد رسول الله رمى يوم احد عبد الله بن قمئة رسول الله فشجه ونادي الشيطان
في الناس قتل محمد فحصل بذلك وهن في الناس رسول الله في طايفة من اصحابه ينادي الي عباد الله
فانحازت اليه طايفه فلامهم فقالوا فديناك بآبائنا وامهاتنا سمعنا انك قتلت والقصر قصر قلب
كانهم من شدة تعظيمهم رسول الله اعتقدوا ان شانه يخالف شان سائر الرسل
يدل عليه انه لما انتقل الى جوار الله قال عمر من قال ان محمدا مات ضربت عنقه بل ذهب الى الله
وسيعود ويضرب اعناق رجال حتى جاء ابو بكر فكشف عن وجهه وقال بابي انت وامي لا يميتك الله
موتتين اما الموتة التي كتبت عليك فقد متها ثم قرأ على الناس هذه الآية فكانهم لم يسمعوها
قبل فلم يبق رجل الا شرع يتلوها وقيل قصرا فراد كانهم اعتقدوا جمعه بين الوصفين الرسالة والتبري
من الموت وعلى هذا قد خلت من قبله الرسل ابتداء كلام وعلى الاول وصف رسول افان مات اوقتل
انقلبتم على اعقابكم الهمزة للانكار والفاء لربط مضمون الجزاء بعد تقييده بالشرط بالجملة التي

قاله القاضي

روى ذلك البخاري

تخليص

رد على الناسخ

قاله صاحب المصباح

قبلها وبين وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي اجعلتم خلو الرسل من قبله سببا لانقلابكم
على الاعقاب بعد خلو محمد كان الواجب عليكم عكس ذلك وهو التمسك بدينه بعده وقدم الموت مع
ان الكلام في القتل لانه الذي لابد منه والقتل احد اسبابه ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
من الضرر اومن الاشياء لتعاليه وغناه وسيجزي الله الشاكرين نعمة الاسلام مدح الثابتين في
ذلك اليوم لما فشا خبر قتله قال انس بن النضر يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت فقاتلوا
على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وفيه نزل من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اولكل شاكر فيدخل فيهم الثابتون دخولا اوليا وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله بقضائه لا الاقدام بدنيه ولا الاحجام بتقصيه فيه تشجيع لهم لما كان
الموت قايما بالنفس اخرجه مخرج فعل لها كتابا موجلا مصدر موكد لان المعنى كتب كتابا موجلا له
وقت معين لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بالذين خالفوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتركوا المركز لئلا يفوتهم الغنيمة ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها
مدح الثابتين والذين قالوا لا نخالف قول رسول الله قدم ثواب الدنيا لان الكلام فيه واخره
في سورة الشورى لسوق الكلام في الترغيب وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر باسكان هاء نؤته في الموضعين
وسنجزي الشاكرين اعاده بنون العظمة مبالغة في الاعتداد بفعلهم وكاين اصله اي دخل
عليها كاف التشبيه والنون اصله التنوين كتب نونا على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن على وزن
فاعل ووجهه قلب الياء الى مكان الهمزة ثم حذف احدى اليائين وقلب الاخرى الفا وعلى الوجهين
معناه الكثرة من نبي تمييز قاتل معه ربيون كثير العلماء والعباد منسوب الى الرب والكسر لتغيير
النسب وقيل منسوب الى الربة وهي الجماعة وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وقتل مجهولا والربيون
قايم مقام فاعله وهذا ابلغ لان القتل يستلزم المقاتلة دون العكس وقيل في قتل ضمير النبي ومعه
ربيون جملة حالية وليس بقوي لما روي عن الحسن انه لم يقتل نبي في الحرب ولان الكلام
في تعيير من تزلزل يوم احد ولم يثبت ثبات الربيين مع الانبياء فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله
الوهن ضعف الراي والبصيرة كقول على الاواهن في عزم وما ضعفوا عن مباشرة القتال وما
استكانوا وما خضعوا كما خضعتم تعريض بمن تذلل منهم قال بعض المسلمين ليت
عبد الله بن ابي اخذ لنا من ابي سفيان عهدا والله يحب الصابرين لا سيما في مواطن الحرب
وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين وما كان قولهم الا هذا القول وهو نسبة الذنوب والاسراف الى انفسهم
مع كونهم ربانيين هضما واستقصارا وقدم الاستغفار على طلب النصرة ليكون اقرب الى الاجابة
لوقوعه بعد زكاء وطهارة واتفقوا على نصب قولهم خبرا والفعل المأول بالمصدر اسما وذلك لان
ما كان معلوما مسلما يجعل محكوما عليه كما في اخوك زيد تارة وزيد اخوك اخرى فكان ذلك القول
المخصوص معلوم والمجهول كونه قولهم فحصر قولهم في ذلك المخصوص لا يتجاوزه مدحا لهم وقيل
لان الفعل لدلالته على النسبة وزمان الحدث اعرف وفيه ان الاعرفية لا يقتضي ذلك كما في
زيد اخوك فان المضاف الى الضمير اعرف فيه شئ من العلم مع ان الفعل في تاويل المصدر المضاف
فيتساويان على انه غير مطرد لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا برفع فتنتهم في قراءة ابن كثير
وابن عامر وحفص فآتاهم الله ثواب الدنيا بالنصر وطيب الذكر والثناء عليهم وحسن ثواب الآخرة
زاد لفظ الحسن دلالة على انه المعتد به وثواب الدنيا انموذج وطليعة له والله يحب المحسنين تذييل

بما هو افضل من كلّ ثواب يا ايّها الّذين آمنوا ان تطيعوا الّذين كفروا يردّوكم على اعقابكم
فتنقلبوا خاسرين تقدّم ان ناسًا من المسلمين قالوا ليت عبد الله بن ابيّ اخذ لنا عهدا من ابي سفيان
فامّا الّذين كفروا عبد الله او المنافقون قالوا ارجعوا الى آبائكم لو كان نبيّا لم يصبه ما اصابه
او اليهود قالوا هو بشر مثلنا يوم له ويوم عليه او الخطاب للمؤمنين كافّة بان يجانبوا الكفّار
ولا يطيعوهم في شيء بل الله مولاكم ناصركم وهو خير النّاصرين لا نصر الا من عنده فلا حاجة بكم
الى غيره سنلقي في قلوب الّذين كفروا الرّعب لما انصرف المشركون نادى ابو سفيان رسول
الله وقال يا محمّد يوم بيوم بدر والحرب سجال بيننا موسم بدر في العام القابل ان شئت فقال
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ان شاء الله فلمّا كان موسم بدر خرج رسول الله وفاء
بوعده ولم يخرج ابو سفيان القى الله الرّعب في قلبه وضمّ عين الرّعب ابن عامر والكسائي وهما
لغتان والاسكان اخفّ بما اشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطانا برهانا ليس المعنى ان للشرك
برهانا لو انزله ثمّ دعواهم بل هو من قبيل لا ضبّ بها ينجحر اي لا ضبّ ولا انجحار وفايدته انّ لو
كان له دليل انزل لقوله ما فرّطنا في الكتاب من شيء ومأواهم النّار مرجعهم وبئس مثوى
الظّالمين النّار ولقد صدقكم الله وعده بالنّصر اذ تحسّونهم تقتلونهم قتل استيصال من حسّه
باذنه بتيسيره حتّى اذا فشلتم جبنتم حتّى ابتدائيّة داخلة على الجملة وجواب اذا محذوف اي
منعكم نصره وتنازعتم في الامر حين انهزم المشركون قال بعض الرّماة نذهب الى الغنيمة وقال
اميرهم لا تبرحوا ولا تخالفوا قول رسول الله وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبّون من النّصر والظّفر
منكم من يريد الدّنيا الّذين طلبوا الغنيمة ومنكم من يريد الآخرة الّذين ثبتوا ثمّ صرفكم عنهم
حتّى قتلوا منكم سبعين رجلا وقتلوا اميرالرّماة فانّه ثبت مكانه مع سبعة ليبتليكم ليعاملكم
معاملة المختبر ولقد عفا عنكم ما فرط من العصيان والله ذو فضل على المؤمنين في الاحوال كلّها
بالنّصر او بالاجر اذ تصعدون منصوب باذكروا اي اذكروا ذلك الوقت لتعلموا قبح فعلكم وفضل الله
عليكم بالعفو او متعلّق بصرفكم او بيبتليكم والاصعاد الابعاد في الارض ولا تلوون على احد لا
تلتفتون عطفا ورقّة على احد من شدّة خوفكم والرّسول يدعوكم في اخراكم في ساقتكم والجماعة
المتاخّرة ينادكم الىّ عباد الله من كرّ فله الجنّة فاثابكم غمّا بغمّ غمّا مضاعفا متّصلا بغمّ
من الجرح والقتل والارجاف بقتل رسول الله او اثابكم غمّ الانصراف والانهزام بسبب ما اذقتم
رسول الله غمّ المخالفة لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لكي تتمرّنوا على الشّدائد فلا تحزنوا
فيما بعد على نفع فائت ولا ضرّ لاحق وقيل في اثابكم ضمير الرّسول اي واساكم في الاغتمام كما اغتممتم
لاجله لما اصابه من الشجّ وكسر رباعيته اغتمّ لاجلكم ولم يثرّب على عصيانكم لئلا تحزنوا على الغنائم
من النّصر ولا على ما اصابكم من الانهزام والله خبير بما تعملون ببواطن اعمالكم حيث على الاخلاص
ثمّ انزل عليكم من بعد الغمّ امنة نعاسا روى البخاري عن ابي طلحة قال اخذني النّعاس ونحن
في المصاف حتّى وقع السّيف من يدي مرارا وعن ابن مسعود النّعاس في القتال من الله وفي الصّلوة
من الشّيطان والامنة مصدر كالامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منه او حال مقدم ونعاسا
هو المفعول وهذا اوجه لقوله في الانفال اذ يغشيكم النّعاس امنة او مفعول له او حال من المخاطبين
بتقدير مضاف اي ذوي امنة او على انّه جمع آمن يغشى طايفة منكم اي النّعاس وقرء حمزة و
الكسائي بالتّانيث مسندا الى ضمير امنة والتّذكير احسن لقربه ولقوله في الانفال يغشاكم النّعاس
وطايفة مبتداء والخبر محذوف اي وثمه طايفة او فيكم طايفة على ان الخطاب للفريقين والخبر

فقد اهمّتهم لانّ النّكرة موصوفة تقديرا اي وطايفة اخرى قد اهمّتهم ويظنّون هو الخبر والواو
للحال نصّ عليه سيبويه والاحسن العطف على الفعليّة للدّلالة على حدوث الامن للمؤمنين واستمرار
الخوف للمنافقين قد اهمّتهم انفسهم صارت مهمّة لهم ليس لهم مهمّ غيرها او اقلقتهم واوقعتهم
في الهموم يقال اهمّه الامر اذا كان مهمّا له واهمّه اقلقه يظنّون بالله غير الحقّ صفة اخرى
لطايفة او حال من المفعول او استيناف بيان لما قبله وغير الحقّ نصب على المصدر ظنّ الجاهليّة
بدل منه اي ظنّا مختصّا بالجاهليّة يقولون هل لنا من الامر من شيء استينافا وحالا او بدل
من يظنّون لانّ السّؤال لما كان صادرا عن الظّن بناء على انّه طلب علم فيما يشكّ او يظنّ جاز
ابداله منه اذ الظّن والعلم متعلّق بما يقال في جواب ذلك الاستفهام فلا يلزم كون الاستفهام
ترجمة للخبر قل انّ الامر كلّه لله النّصر والظّفر لاوليائه كتب الله لاغلبنّ انا ورسلي
وقرء ابو عمرو كلّه بالرّفع على الابتداء والنّصب اظهر لظهور كلّ في التّاكيد يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك حال من فاعل يقولون وقل انّ الامر كلّه لله اعتراض واستيناف وهو الوجه
لقلّة الاعتراض بين الحال وصاحبه ولفوايد الاستيناف يقولون لو كان لنا من الامر شيء
بدل من يخفون يدلّ على انّ سؤالهم لم يكن سؤال مسترشد عن الزّبير كنت انعس فى المصاف سمعت
معتّب بن قشير يقول هذا الكلام ما قتلنا ههنا في المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الّذين كتب
عليهم القتل الى مضاجعهم الى مصارعهم والاماكن الّتي قتلوا فيها لانّ قضاء الله لا يردّ وعلمه
لا يتغيّر وليبتلي الله ما في صدوركم عطف على علّة محذوفة مع معلّلها اي فعل ذلك لمصالح جمّة ولا
بتلاء ما في صدوركم من الاخلاص والنّفاق ولابراز سرايرها وليمحّص ما في قلوبكم ليكشفه وتخلّصه
من الوساوس والله عليم بذات الصّدور بمضمراتها الّتي هي اخفى من السّر حثّ على الاخلاص انّ
الّذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان انّما استزلّهم الشّيطان ببعض ما كسبوا الاستزلال طلب الايقاع
في الزّلل من زلّت به القدم وهو التّولّي هنا والمعنى انّ الّذين فرّوا من القتال وقت التقاء الفريقين
انّما اوقعهم الشّيطان في ذلك لاجل ذنوب كسبوها سابقا والذّنب يجرّ الى الذّنب او لم يستحقّوا
التّاييد الالهيّ لاجلها او لاجل ذنب المخالفة وترك المركز وهذا هو الوجه دلّ عليه قوله حتّى اذا
فشلتم وقوله قل هو من عند انفسكم وما قيل ذكّرهم الشّيطان الذّنوب السّابقة فكرهوا لقاء الله معها
فاخّروا الجهاد الى ان يتوبوا منها فكالمحال وكيف يعقل من امثالهم ترك رسول الله واخوانهم تحت سيف
العدوّ خوفا من ذنوبهم وهل توبة اقوى من الثّبات في ذلك الموطن والتّعبيد بالبعض لقوله ويعفو
عن كثير ولقد عفا الله عنهم لما ندموا انّ الله غفور للذّنوب حليم لا يعاجل بالانتقام يا ايّها
الّذين آمنوا لا تكونوا كالّذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض وكانوا غزّى لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا كان الكفّار والمنافقون لجهلهم بالقدر اذا مات احد من اخوانهم في سفر او قتل
في غزوة قالوا لو كان مقيما سلم فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك الاعتقاد وحسن موقعه بعد
ذكر استزلال الشّيطان وانّما جاز ان يكون اذا ضربوا ظرفا لقالوا مع انّ المستقبل لا يكون ظرفا للماضي
لانّ المعنى لا تكونوا كالّذين كفروا اذا ضرب اخوانهم في الارض وماتوا قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا
وفايدة التّقديم بتّ القول بالوقوع ويجوز ان يكون اذا ظرفا للاحوال العارضة لهم اذا ضربوا وعن الزّجاج
اذا لمجرّد الوقت وغزّى جمع غاز كفسّق جمع فاسق ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ذلك الاعتقاد
الفاسد غصّة وغمّا اللّام للعاقبة كقوله ليكون لهم عدوّا او لا تكونوا مثلهم ليجعل ذلك الاعتقاد
خاصّة حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت ابطال لذلك الوهم والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين

رد على العاضي
استشكل كون يقولون هل لنا من الامر من شيء
بدلا لاشتماله على الاستفهام و قد ظهر من تقريره
جوابه

عن تخيل مثله وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي يعملون بالغيب وعيدا للمنافقين والخطاب احسن
لوقوعه بعد نهي المؤمنين ولقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون اللام
الاولى موطية والثانية جواب القسم السادّ مسدّ جواب الشرط والمعنى ان الموت والقتل في سبيل
الله من المغفرة لذنوبكم والرحمة المدخرة لكم خير مما تجمعونه من الحطام الفاني لو سلمتم وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وابو بكر متم بضم الميم في جميع القرآن وحفص وافق هنا وهو افصح واكثر وقرا
حفص يجمعون بالياء الغيبة اي مما يجمعه المنافقون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون لا الى غيره
قدم القتل ههنا لان الكلام فيه واحق بالمغفرة والرحمة واخر ثانيا لان المحشورين موتا اكثر فبما رحمة
من الله لنت لهم اي بعد ما وقع منهم ما لنت لهم الا برحمة وافرة من الله وهو ان ربط على جاشك و
وفقك للرفق بهم فلم تثرب بل اغتممت لاجلهم وزيادة ما لتاكيد معنى الحصر ولو كنت فظا سيئ الخلق
غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك مخافة اللوم والمؤاخذة فاعف عنهم فيما يتعلق بك
واستغفر لهم مما هو حق لله وهو الفرار من الزحف وشاورهم في الامر اي امر كان تطييبا لقلوبهم او في
امر الحرب ولم يزل كان يشاورهم قبل نزول الآية وكانه لما شاورهم في قصة احد واشاروا بالخروج ثم فووا
كان مظنة ان يترك مشاورتهم وليكون سنة في امته وعنه ما ندم من استشار ولا خاب من استخار
وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب المشاورة عليه بعد نزول الآية فاذا عزمت فتوكل على الله اذا جمعت
رايك بعد المشاورة فتوكل عليه والعدول الى المظهر لانه الاسم الجامع لصفات الجمال والجلال له شان في مقام
الوعد والوعيد لا يخل به في مواردهما وقرا جعفر الصادق فاذا عزمت بتاء التكلم اي اذا امرتك امرا فما
لا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين علة للامر ان ينصركم الله فلا غالب لكم اذ لا ناصر الا من عنده وان
يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده غير الاسلوب لما في من ذا من الاستبعاد كقوله من ذا الذي
يشفع عنده وعلى الله فليتوكل المؤمنون كلهم لا يثقوا بان لا مؤثر سواه وما كان لنبي ان يغل يقال غل
واغل اخذ شيئا من الغنيمة خفية اصله الخفاء ومنه غل الصدور روى ابو داود والترمذي عن ابن عباس
رضي الله عنه ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الصحابة رضي الله عنهم لعل رسول الله اخذها
لنفسه فنزلت تنزيها له وعن مقاتل نزلت في الرماة لما تركوا المركز وقالوا نخاف ان يقول من اخذ شيئا
فهو له ولما عاتبهم قال ظننتم انا نغل وما قيل خافوا ان لا يقسم كما لا يقسم يوم بدر فاسد الاصل وقرا نافع
وابن عامر وحمزة والكسائي يغل بضم الياء والمعنى يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يات
بما غل يوم القيمة يعينه يحمله بعيرا او شاة رواه مسلم روي ان اعرابيا كان قد سرق نافجة مسك فلما
سمع الآية قال الحمد لله احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ثم توفى كل نفس ما كسبت غلولا
وغيره ولذلك اورده عاما وهم لا يظلمون بزيادة او نقصان افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله
ليس كذلك بل بينهما بون بعيد ومأويه جهنم وبئس المصير جهنم حذف المخصوص هم درجات عند الله ذووا
درجات حذف المضاف او لهم درجات حذف الجار او شبهوا بالدرجات في التفاوت والدرجة منزلة لوحظ
فيها العلو كما لوحظ في الدركة النزول ففيها تغليب والله بصير بما يعملون لا يخفى عليه منه شيء
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم عربيا مثلهم يعرفون نسبه وصدقه وامانته
فلا نعمة اجل منه وقرئ من انفسهم اي اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن
معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وهاشم ذروة
قريش ومحمد ذروة هاشم يتلو عليهم آياته دلائل وحدانية الله على الاستمرار بين اظهرهم
يراجعونه في كل مشتبه ويزكيهم من دنس الطبايع بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعلمهم الكتاب

رد على الكلام وانما كان فاسد الاصل لما روى البخاري عن علي رضي الله عنه
اصابني شارف من غنايم بدر واعطاني
رسول الله شارفا من الخمس منه

والحكمة القرآن والسنة او يتلو عليهم ايات كتابه الدالة على نبوته ويعلمهم معانيها واحكام الشرع
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان مخففة والجملة في موقع الحال او استينافا ولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها يوم بدر قتلوا منهم سبعين واسروا سبعين قلتم اني هذا كيف نصاب ونحن موعودون
بالنصر لما ظرف مضاف الى الجملة بعده والواقع موقع الجزاء ناصبه قلتم وانى هذا مقول القول
والواو عاطفة او على مقدر نحو افعلتم كذا او على قوله لقد صدقكم الله لان ما في البين كله قصة
احد والهمزة متخللة بين المعطوف عليه والمعطوف للتقريع والتقريع على ما تضمنه المعطوف قل هو
من عند انفسكم بترككم المركز ومخالفتكم الرسول او نحو وجكم من المدينة وروي عن علي باخذكم
الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على ان يصيب بكم مرة ومنكم اخرى وما اصابكم
يوم التقى الجمعان الفريقان يوم احد فباذن الله بارادته وقضائه ودخول الفاء لتضمن المبتدأ
معنى الشرط على معنى ان ذلك سبب للاخبار بانه من الله نحو وما بكم من نعمة فمن الله وليعلم المؤمنين
وليعلم الذين نافقوا اي فعل ذلك ليمتاز الفريقان وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله من
تمام الصلة عطف على نافقوا او كلام مستقل عطف على وما اصابكم او ادفعوا عن موالكم ان لم تقاتلوا
نصرة لدين الله او كثروا سواد المؤمنين فانه مما يروع العدو القايل عبد الله بن عمرو ابو جابر بن
قاله لابن ابي لما انخزل بثلث العسكر قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم جحدوا ان يكون لهم علم بالقتال راسا
او خطأوا رسول الله والمؤمنين بان القتال يقتضي نوع تكافؤ ورجاء غلبة وما هم فيه القاء النفس
الى التهلكة هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان اي قربهم من الكفر في ذلك اليوم يزيد على قربهم
من الايمان لانهم قبل ذلك لم يتظاهروا بالكفر بل كانوا مذبذبين او يقدر مضاف اي لاهل
الكفر اقرب نصرة لان تقليل سواد المؤمنين تقوية لاهل الشرك يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم هو قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وما بينهما اعتراض والله اعلم بما يكتمون منكم لانكم تعلمون
بامارات ومخايل وهو يعلم تفاصيله الذين قالوا لاخوانهم لاجلهم الموصول بدل من الذين نافقوا
او رفع او نصب على الذم او بدل من واو قالوا او المجرور في بافواههم وابدال المظهر عن ضمير الغايب
شايع كقول الفرزدق على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم بدلا
من الضمير المجرور وقعدوا والحال انهم قعدوا عن القتال لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين لان انفسكم اهم والموت هو المهروب منه لان القتل احد اسبابه الفهم الحجر
لانهم مع شدة عنادهم لا يقدرون على انكاره ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في
شهداء بئر معونة وكانوا سبعين رجلا وقيل في شهداء احد والحكم عام الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم او لاي مخاطب كان وقرا هشام في وجه يحسبن اي حاسب او مسند الى الذين قتلوا
والمفعول الاول محذوف اي لا يحسبن الشهداء انفسهم امواتا والخطاب احسن لما روي ابن عباس
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اصيب اخوانكم جعل الله ارواحهم في جوف
طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة تحت العرش فقالوا
من يبلغ اخواننا ما نحن فيه فخوطب رسول الله واخبر بحالهم وقرا هشام قتلوا اولا وابن عامر ثانيا
بالتشديد والتخفيف ظهر لانه مدار الحكم بل احياء عند ربهم قربا ورتبة يرزقون اكلا وشربا
كساير الاحياء فرحين بما اتيهم الله من فضله من القرب والكرامة ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
الذين تخلفوا من اخوانهم او بكافة المسلمين الى آخر الدهر لما شاهدوا ما اعد الله للمؤمنين ان لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون بدل اشتمال من الذين اي يستبشرون بعدم الخوف والحزن لمن خلفهم آثر المضارع

ما تعدل عن على الى الكلام ومع لنعوذ بماكر
حلال الاطباق وقوله لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكيف تواصدون
تذنيب على عنده منه

روى الامام ابن حنبل والترمذي والنسائي
بعد ما عاتب الله رسوله على اخذ الفداء صبر
اصحابه بين ضرب رقاب الاسرى وبين اخذ الفداء
بشرط ان تقتل منهم على عددهم سبعون رجلا واخذوا
الفداء فقالوا اما نكره الشهادة على يد الكفار
حديث غريب منه

في الرزق والاستبشار لانهما على التجدد حينا فحينا بخلاف الفرح فانه لازم مستمر والآية صريحة في انهم
احياء بالابدان ابد لوا ابدانا اخرى من الاجساد لان الترغيب في الجهاد انما يكون بذلك والا فالارواح
المؤمنين في عليين متنعمة نطق به الكتاب والسنة وقوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها
دليل على ان العرض للارواح والاجساد معا على ان الارواح ايضا اجسام لطيفة فيجوز ان يكون الفرح
والتنعم لها وفيه احماد لمن يتمنى لاخيه المؤمن خيرا كما رواه البخاري لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما
يحب لنفسه يستبشرون بنعمة من الله بثواب جزيل وفضل زيادة على جزاء اعمالهم وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين من تمام المستبشر به عطف على فضل يؤيد ان الذين لم يلحقوا بهم هم المؤمنون كافة وقرا
الكسائي ان بالكسر على الاستيناف وهو ابلغ وفيه اشارة الى ما نالوه من رتبة الشهادة بايمانهم
الكامل وسعيهم في اسباب الشهادة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين
او نصب على المدح او مبتدا خبره للذين احسنوا لما رجع المشركون من احد قالوا فيما بينهم لا محمدا قتلتم
ولا الكواعب اردفتم بئس ما صنعتم وهموا بالرجوع فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنادى
في الناس بالخروج الى المشركين وقال لا يخرج الا من كان معنا بالامس فقال جابر وكان لم يشهد يا رسول
الله خلفني ابي على سبع اخوات فاذن له فخرج في آثارهم حتى بلغ حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية
اميال والقى الله الرعب في قلوب المشركين فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه سالمين فاثنى
بالثناء من الله روى البخاري عن عايشة رضي الله عنها انها قالت لعروة بن الزبير ابوك وجدك ابو بكر
ممن استجابوا لله والرسول وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بضم القاف وقد سبق انهما لغتان للذين
احسنوا منهم بالخروج واتقوا مخالفة رسول الله اجر عظيم لا يعلم قدره غير الله الوصف للمدح ومن بيان
لان كلا منهم محسن الذين قال لهم الناس ركب عبد القيس وقيل نعيم بن مسعود الاشجعي
ان الناس قد جمعوا لكم اي ابا سفيان فالمعرفة المعادة ليست عين الاول واللام اشارة الى المذكور
بل الى ما يعرفه المخاطب فاخشوهم فزادهم ذلك القول ايمانا حيث لم يعتدوا به فازدادوا يقينا او كمالا
لان الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اصابهم القرح من افضل الطاعات وقالوا حسبنا
الله كافينا ونعم الوكيل الموكول اليه او نذيل فانقلبوا بنعمة من الله بثواب جزيل وفضل وربح وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما واعد ابا سفيان ان يلاقيه ببدر وخرج ولم يخرج ابو سفيان وكان
للعرب في ذي القعدة موسم ببدر فوافاه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فاتباعوا
وكسبوا ربحا لم يمسسهم سوء من العدو واتبعوا رضوان الله باتباع رسول الله والله ذو فضل عظيم مر ذلك
ما من به على هولاء وفيه تحسير للقاعدين وتخطية لرايهم انما ذلكم الشيطان اشارة الى القايل ان الناس
قد جمعوا لكم والشيطان خبرا وصفة على التشبيه او اشارة الى القول بتقدير المضاف والشيطان ابليس فالتجوز
في الاسناد حيث نسب قول ذلك القايل الى ابليس يخوف اولياءه اي يخوفكم اولياءه وقيل المذكور هو
المفعول الاول والثاني محذوف اي يخوفهم من ابي سفيان واصحابه فلا تخافوهم الخطاب للخارجين معه
والنهي عن الشيء لا يستلزم وقوعه او النهي عن الخوف في المستقبل او للقاعدين واولياءه من وضع
المظهر موضع المضمر نعيا عليهم بانهم اولياء الشيطان وخافوني ان كنتم مؤمنين فان الايمان يستلزم
القول بان لا مؤثر غيره وايثاره مع كونهم مؤمنين قطعا لما كان بهم من فتور لكون اكثرهم جرحى او
مصابا بقتل قريب او صديق ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر في اسبابه من جمع الناس والانفاق
عليهم كما فعل ابو سفيان واقرانه وقيل اريد المنافقون وقيل اهل الكتاب الذين يحرفون الكلم قال
القشيري الحزن على كفر الكافر عبادة يوجر عليها الا ان رسول الله كان يفرط في ذلك لقوله فلا تذهب
نفسك

معترضة

رد على البيضاوي حيث استدل بقوله فلا تخافوهم على ان الخطاب للقاعدين

اللتى

ان

ان ا

عليهم حسرات وقيل معناه لا يحزنك كفرهم فانهم لا يضرونك به وانما يضرون انفسهم وقرا نافع يحزنك
من احزن عن الفراء انهما لغتان وعن الخليل حزنته ادخلت فيه الحزن واحزنته صيرته حزينا انهم لن يضروا
الله شيئا دينه او اولياءه شيئا من الضرر او من الاشياء مفعول مطلق او مفعول به يريد الله ان
لا يجعل لهم حظا في الآخرة خبر بعد خبر او استيناف ذكر الارادة للدلالة على ان الشرور ايضا بارادته
وايماء الى ان تماديهم بلغ حدا لم يرد لهم ادنى نصيب من رحمته وسعت كل شيء ولهم عذاب عظيم
فوق ذلك الحرمان دفع لتوهم الاقتصار عليه ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا تكرير
للاول او هذا في اهل الكتاب الذين حرفوا واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ولهم عذاب اليم في مقابلة
ما التذوا به من الرياسة والرشى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم اي الذي نطيله
لهم من العمر يقال املى لفرسه اذا ارخى طيله ان مع ما في حيزه ساد مسد المفعولين وقرا حمزة
بالخطاب اما للرسول لله او لكل حاسب واقتصر على المفعول الاول لان البدل وهو انما نملي لهم هو المقصود
او يقدر مضاف في الاول اي حال الذين او في الثاني اي اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وتكامل اسباب عقوبتهم هذا وامثاله ظاهر ان جوز تعليل فعله بالغرض وان لم نجوز فهي حكمة
صالحة لانها فعله الكامل او على التشبيه بالعلة كقوله ليكون لهم عدوا ولهم عذاب مهين في مقابلة
استكبارهم وطغيانهم ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب
للخلص واهل النفاق واللام للتاكيد اي ما كان مقتضى حكمته ان يترك الفريقين مختلطين لا تمايز
بينهما اشارة الى الحكمة في انصراف اهل النفاق وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وقرا حمزة والكسائي
يميز مشددا من التمييز وهو ابلغ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء
فيعلمه بعض المغيبات يشير الى اخبار رسول الله بان فلانا منافق وانه من اهل النار ليس من علم الغيب
في شيء فآمنوا بالله بانه المنفرد بعلم الغيب ورسله بان الله هو الذي يطلعهم على بعض الغيوب وان
تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو
خيرا لهم المفعول الاول محذوف اي بخلهم وان جعل فيه ضمير رسول الله او اي حاسب كان وفي
قراءة حمزة بالتاء بتقدير مضاف اي بخل الذين وقرا عاصم وابن عامر وحمزة هنا والموضعين الباقيين
يحسبن بفتح السين وهو القياس والكسر لغة الحجاز وفي قوله بما آتاهم الله دون اموالهم
زيادة ذم بان اللايق بهم ان يحسنوا كما احسن الله بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة
سيلزمون وباله والطوق مثل في اللزوم او نفسه حقيقة لما روى البخاري عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله مالا فلم يؤد زكوته مثل له
يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه فياخذ بشدقيه ويقول انا مالك انا كنزك ولله ميراث
السموات والارض ستتركونه له حث على الانفاق قبل فوات وقته والله بما تعملون خبير وعيد
للبخلاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بياء الغيبة لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن
اغنياء دخل ابو بكر رضي الله عنه مدراس اليهود وفيه جماعة من اليهود منهم فنحاص بن عازوراء
وكانوا من احبارهم فتلا عليهم واقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير يسالنا القرض يا
معشر اليهود يريد تكذيب القرآن والا كم آية في التورية تحث على الصدقة فضرب الصديق في وجهه
وقال لولا العهد بيننا لضربت عنقك سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي نثبتنا في كتابنا
مقالتهم السين للتاكيد مجردا ولهذا عطف عليه الماضي وهو قتل الانبياء والعدول الى المضارع
مبالغة كانه معد بين يدي الكاتب يطالعه حينا فحينا ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي نقول لهم

هذا القول عند الانتقام ايفاء لمسامعهم مرارة حيث لم تصغ الى الحق والحريق النار العظيمة ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد اى بسبب عملكم ولاجل ان الله ليس بظلام احدا بدون الجناية وذكر الايدي لان اكثر الاعمال بهاتزاول وايثار الظلام مع كونه لايظلم مثقال ذرة باعتبار كثرة المتعلق او لانه لوظلم لكان ظلمه فى النهاية كساير صفاته اولان ذلك العذاب لوكان ظلما لكان ظلما عظيما الذين قالوا ان الله عهد الينا وصانا رفع اونصب على الذم او بدل من الذين او من العبيد ان لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار يريدون ان فى التورية هذا الحكم افتراء على الله قل جاءكم رسل من قبلي بالبينات المعجزات الواضحات وبالذي قلتم وبمعنى ما قلتموه لان الذي قالوه الفاظ مخصوصة بهم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فى دعواكم فان كذبوك فقد كذبت رسل من قبلك جاوا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية له بان تكذيب الجهلة للانبياء امر قديم ليس مختصا به والزبر جمع زبور كرسل فى رسول وهى الصحف والكتاب المنير التورية او هو والانجيل والزبور وقرا ابن عامر بالزبر وبالكتاب بزيادة الباء تاكيدا وهو رسم مصحف الشام كل نفس ذايقة الموت لامحالة وانما توفون اجوركم يوم القيمة اجزية اعمالكم كاملة فان بعضها قد وصل اليهم لان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز الفوز الذي كل فوز دونه والزحزحة تكرير الزح وهو التبعيد والجذب بعجلة روي الامام احمد عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليات الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اشارة الى ما يعوق السالك عن ادراك ذلك الفوز شبه حيوة هذه الدار بمتاع ردي يغش به المشتري ويدلس عليه ثم يظهر له حقيقة الحال ويندم حيث لا ينفعه الندم وهذا لمن لا يتوسل بها الى الباقي لقوله نعم المال الصالح للرجل الصالح لتبلون فى اموالكم وانفسكم بالقتل والاسر والجرح وانفاق الاموال فى سبل الخير ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا بالطعن فى والافتراء عليكم وانواع الهجو خاطبهم به قبل وقوعه ليوطنوا انفسهم على احتماله عند الوقوع وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور من معزومات الامور التى عزم الله عليكم وفرضها او مما تعزمون عليها لوجوبها او من عازم الامور على ان الاسناد مجازي كقوله فاذا عزم الامر واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه اي اذكر ذلك الوقت الذي اخذ الله الميثاق على علماء اهل الكتاب على لسان انبيائهم وقرا نافع وابن عامر وحمزة وحفص الفعلين بالخطاب على الحكاية عند الاخذ والضمير المنصوب للكتاب او لرسول الله ولا تكتمونه تاكيد وتصريح بما علم ضمنا فنبذوه وراء ظهورهم كناية عن عدم الاعتداد به وعكسه جعله نصب عينه واشتروا به ثمنا قليلا متاعا فانيا فبئس ما يشترون يستبدلون به والآية وان نزلت فى اهل الكتاب فالحكم عام لقوله صلى الله عليه وسلم من كتم علما من اهله الجمه الله بلجام من النار وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه ما اخذ الله على الجاهلين ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب روي البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجالا من المنافقين كانوا يتخلفون عن الغزو فاذا قدم رسول الله اعتذروا اليه واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت وعن ابن عباس رضى الله عنه سال رسول الله اليهود عن شئ فكتموه واخبروه بخلافه واستحمدوا اليه وفرحوا والمعنى لا تحسبن يا محمد هولاء الذين يفرحون بمفازة من العذاب على ان

الفعل الثاني مع الفاعل تاكيد للاول والفاء زايدة للدلالة على ان افعالهم المذكورة سبب لعدم الحسبان وقرا نافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر الفعل الاول بياء الغيبة والفاعل ضمير الرسول واول المفعولين الموصول والثاني بمفازة ان قدر للثاني ثان والا فالعكس والموصول هو الفاعل والمفعول الاول محذوف اى انفسهم والثاني على ما ذكر وقرا ابن كثير وابو عمرو الفعل الثاني بياء الغيبة وضم الباء مسندا الى ضمير الى الموصول ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض هو الغني المطلق لا كما قاله اليهود انه فقير والله على كل شئ قدير يقدر على اغناء الفقراء وانما دعاكم الى الصدقة لتنالوا بذلك الاجر والثواب ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب دليل على كونه ملك السموات والارض يتصرف فيهما كيف يشاء عن عطاء ذهبت انا وابن عمرو وعبيد بن عمير الى عايشة رضي الله عنها فقال عبيد اخبرنا باعجب ما رايت من رسول الله فقالت كل امره كان عجبا اتاني ليلة ودخل فى لحافي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد لليلة قلت اني احب قربك واحب ما تحب فقام الى القربة فتوضا فصلى وبكى حتى بل الارض ثم لم يزل كذلك حتى جاءه بلال يؤذنه بالصلوة فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تاخر قال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد نزلت على هذه الليلة ان فى خلق السموات وتلاها ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وانما اطنب فى سورة البقرة لان الكلام هناك مع عبدة الاصنام الذين هم كالانعام وهنا مع احبار اليهود ولذلك فصل ثمة بيعقلون وهذه باولى الالباب اي العقول الخالصة عن معارضة الوهم تعريضا بالاحبار الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم احوال مترادفة والموصول فى محل الجر على الوصفية اشار الى ان الاخلاق الزكية والافعال الحميدة تعين على تصفية الباطن وانجلاء النفس للانتقاش بغوامض العلوم ودقايق الاسرار ويتفكرون فى خلق السموات والارض فى بدايع صنعها وعجايب اوضاعها روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له العمل كل يوم بقدر عمل اهل الارض اراد المماثلة فى الكيف واراد بعمله التفكر فى امر الله لان احدا لا يقدر على قدر عمل اهل الارض بالجوارح قيل ما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر ربنا ما خلقت هذا باطلا بتقدير القول اي قايلين اشارة الى السموات والارض باعتبار المخلوق والعدول من الضمير الى اسم الاشارة للدلالة على كمال التمييز وضرب من التعظيم وباطلا صفة مصدر او حال اي ما اوجدت هذا المكون عبثا بل ليستدل به على وحدانيتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك سبحانك فقنا عذاب النار اي نحن نطيعك فقنا عذاب النار الذي هو جزاء العاصين ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ادخلته فى الخزي اطلقه ليقابل قوله فازوفيه دليل على ان العذاب الروحاني اشد وما للظالمين من انصار لكالمسلمين فى الظلم فيخرج الفاسق ولو عمم لا يدل على عدم الشفاعة لان النصرة دفع بالقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ايقاع السماع على المنادي باعتبار الوصف وهو النداء ابهم المنادي ثم فسره تفخيما لشانه والمنادي له والمنادي هو الرسول لانه الداعي حقيقة وقيل القرآن ويعدي باللام والى لتضمنه معنى الاختصاص والانتهاء ان آمنوا بربكم ان مصدرية او مفسرة فآمنا دلت الفاء على اتصال ايمانهم بالنداء ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا جمعوا بين الغفران والتكفير مبالغة والاول فى الكباير والثاني فى الصغاير فانها مكفرة باجتناب الكباير وتوفنا مع الابرار معدودين منهم جمع بر واسم جمع لبار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك على تصديقهم او على لسانهم سالوه انجازما وعد مع انه لا يخلف الميعاد خضوعا لجناب قدسه والتذاذا بمناجاته ولا تخزنا يوم القيمة بكشف

السّتر عن فضايحنا انك لا تخلف الميعاد لذلك سالناك لا لاستحقاق فنا خمس مطالب من غير عاطف لاستقلال
كلّ وصدّرها بلفظ الرّبّ توسّلا بجوده السّابق الى استجلاب اللّاحق فاستجاب لهم ربّهم الّذي توسّلوا
بجوده ولذلك اعاد لفظه يقال استجاب له واستجابه واجابه بمعنى مع ما في السّين من قوّة المعنى انّي لا اضيع
عمل عامل منكم باني بني الكلام في الجواب على ما بنوا عليه من الاطناب عناية ولطفا من ذكر او انثى بيان لعامل
لانّه بمعنى شخص روى الحاكم عن امّ سلمة انها قالت يا رسول الله لم اسمع الله يذكر النّساء في الهجرة فنزلت بعضكم
من بعض في الدّين ومن اصل واحد اعتراض يؤكّد التّساوي في الثّواب فالّذين هاجروا واخرجوا من ديارهم
واوذوا في سبيلي تفصيل لعمل العامل اعتدادا به وتفخيما كانّه قال الّذين فعلوا هذه الافعال المرضيّة
وقاتلوا وقتلوا وقرا حمزة والكسائي بتقديم المقصور على الممدود لانّ الواو لا ترتيب فيه اولانّ
القتال وقع من بعضهم بعد قتل البعض ففيه زيادة مدح لاكفّرنّ عنهم سيّئاتهم ولادخلنّهم جنّات
تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله تفضّلا منه لانّ الاعمال وسايل عاديه والتفت الى الاسم
الجامع من التكلّم للدلالة على الالوهيّة الّتي من شانها التفضّل والعطاء والله عنده حسن الثّواب تتميم
لما تقدّم وتوكيد له والاتيان بالمصدر مضافا مبالغة لا يغرّنّك تقلّب الّذين كفروا في البلاد تردّدهم
فيها بالمتاجر والمزارع وساير الاسباب الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم كقوله لا تمدّنّ عينيك
الى ما متّعنا به ازواجا منهم والمراد تثبيته او خوطب هو والمراد امّته كما في نظايره او الخطاب عامّ
متاع قليل في نفسه لما روى البخاري انّ آخر من يدخل الجنّة له بقدر الدّنيا عشر مرّات وقال
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما الدّنيا في الآخرة الّا مثل ما يدخل احدكم اصبعه في اليمّ فلينظر بم يرجع
او قليل البقاء سريع الزّوال ثمّ ماويهم جهنّم مصيرهم وبئس المهاد المخصوص محذوف اي جهنّم
لكن الّذين اتّقوا ربّهم لهم جنّات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النّزل
ما يعدّ للضّيف قال ابو الشّعر وكنّا اذا الجبّار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وانتصابه على الحال من جنّات ان جعل فاعلا لاعتماده او من الضّمير في الظّرف ان جعل مبتداء او على المصدر
المؤكّد لمضمون الجملة كانّه قيل رزقا او عطاء وما عند الله خير للابرار من متاع الدّنيا للفجّار انّ
الابرار لفي نعيم وانّ الفجّار لفي جحيم وانّ من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم
روى مسلم والبخاري انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نعى النّجاشيّ ملك الحبشة وكان مؤمنا برسول
الله وخرج باصحابه الى البقيع وصلّى عليه فقال المنافقون الا ترون الى هذا يصلّي على علج نصراني فنزلت وبه
استدلّ الشّافعي رحمه الله على صلوة الغايب خاشعين لله لكمال علمهم بكبريائه لا يشترون بايات الله
ثمنا قليلا تعريض بالمحرّفين منهم اولئك لهم اجرهم عند ربّهم لم يره احد ولم يخطر بقلبه انّ الله سريع
الحساب كناية عن قرب انجاز ما وعد لانّه من لوازمه او عن كمال علمه على احاطته بمقادير الاجور ومراتب
الاستحقاق يا ايّها الّذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا على مشاقّ الطّاعات وصابروا
على المجاهدة مع الاعداء الظّاهرة والباطنة افرده بالذّكر لانّه اشقّ وافضل وترصّدوا في الثّغور للعدوّ
روى البخاري عن سهل بن سعد السّاعدي انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال رباط يوم خير
من الدّنيا وما فيها وروى مسلم عن سلمان انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال رباط يوم وليلة
خير من صيام شهر وقيامه وان مات اجري عليه رزقه وعمله وروى ابو داود كلّ ميّت يختم على عمله
الّا المرابط وروى التّرمذي عن عثمان رضي الله عنه انه قال رباط يوم خير من الف فيما سواه وروى الامام
احمد عن عثمان رضي الله انه قال وهو على المنبر سمعت رسول الله يقول يوم خير من الف يوم بصيام والف
ليلة بقيام وفي الاوامر الثّلثة اشارة الى المراتب الثّلثة المعبّر عنها بالشّريعة والطّريقة والحقيقة

كانّه قيل اصبروا على مشاقّ الطّاعات ومجاهدة النّفس في رفض المالوفات ورابطوا السّرّ على جناب القدس
للتّرصّد للواردات واتّقوا الله في المحافظة عليها لعلّكم تفلحون تفوزون بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر

بسم الله الرّحمن الرّحيم

يا ايّها النّاس خطاب لكافّة النّاس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة هي نفس آدم وخلق منها
زوجها حوّاء خلقها من اقصر ضلع في الجانب الايسر عطف على مقدّر صفة نفس اي خلقكم من نفس خلقها وخلق
منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفيّة الخلق الكثير من النّفس الواحدة بانّه انشاها
ثمّ شفعها باخرى متكوّنة منها ثمّ بثّ من الزّوجين مما لا تحصى وفي الخطاب تغليب او خاصّ بالموجودين
والعطف على خلقكم والمبثوث غير المخاطب كانّه قال خلقكم من نفس آدم وخلق منها امّكم حوّاء وبثّ منهما
رجالا كثيرا ونساء فان قلت المخلوق من آدم هي حوّاء لا المخاطبون فكان الظّاهر تقديمها وخلقكم منهما قلت
القصد هو الاشارة الى المنشا والاصل الّذي تفرّعوا وتشعّبوا منه ليدلّ على كمال القدرة واسباغ النّعمة
الموجبين لمن قام بهما غاية الخوف ومزيد الشّكر ليقع بعد الامر بالتّقوى ما يوجبها ولا دلالة فيه على عدم
مدخليّة الزّوج في وجود المخاطبين وانّما وصف الرّجال بالكثرة دون النّساء لانّهنّ اكثر من الرّجال
واتّقوا الله الّذي تساءلون به والارحام بالنّصب عطفا على اسم الله اي واتّقوا الارحام لا تقطعوها
لقوله ووصّينا الانسان بوالديه وقوله وآت ذا القربى حقّه او على محلّ الجارّ والمجرور فانّ العرب تسال
بالله وبالرّحم تقول ناشدتك الله والرّحم والمعنى يسال بعضكم بعضا بالله وبالرّحم او تسالون غيركم على
انّ تفاعل بمعنى فعل وهذا مطّرد اذا كان في الفاعل كثرة وقرا الكوفيّون تساءلون مخفّفا وقرا حمزة
والارحام بالجرّ على القسم او العطف على المجرور بدون اعادة الجارّ والتّوليد كما ذهب اليه نحاة الكوفة
والقراءة المتواترة يكفيها وجه نحوي انّ الله كان عليكم رقيبا مراقبا حفيظا واتوا اليتامى اموالهم تفصيل
ما يتعلّق بالارحام من رعاية اليتامى وبيان المواريث والوصايا والعدل في النّكاح وما يتّصل بذلك
اليتم لغة الانفراد واليتيم شرعا صغير لا اب له والمراد البلّغ لانّ الولاة وقيم الايتام انّما يؤمرون بدفع الاموال
اليهم بعد البلوغ فاللّفظ مجاز باعتبار ما كان وايثاره على الحقيقة للاختصار والحثّ على ايتاء اموالهم
بعد ايناس الرّشد منهم قبل زوال هذا الاسم منهم عرفا وقياس جمعه فعلاء كلؤماء في كريم او فعلى كمرضى في
مريض وانّما جمع على فعالى لجريه مجرى الاسماء فجمع على يتايم ثمّ يتامى اولانّ اليتم من الافات فجمع على يتمى
كاسير واسرى ثمّ على فعالى كاسارى ولا تتبدّلوا الخبيث بالطّيّب لا تتركوا الكسب الحلال وتاكلوا مال اليتيم
او لا تختاروا الخبيث وهو اضاعة مال اليتيم على الطّيّب الّذي هو حفظه او لا تاخذوا الطّيّب من مال اليتيم
وتعطوا الرّديّ مكانه فان قلت هذا معنى التّبديل لانّ الباء دخلت على الماخوذ والتّبدّل يقتضي دخولها على
المتروك كقوله ومن يتبدّل الكفر بالايمان قلت اذا بدّل الرّديّ بالجيّد لنفسه فقد تبدّل لليتيم الرّديّ
بالجيّد واوثر التّبدّل ملاحظا جانب اليتيم لانّ الكلام في شانه ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم مضمومة اليها
هذا اذا لم يكن محتاجا لقوله ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف انّه كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرا الحسن
حوبا بالفتح مصدر حاب وان خفتم الّا تقسطوا في اليتامى روى البخاري عن عايشة رضي الله عنها اليتيمة
تكون في حجر وليّها فيرغب في مالها وجمالها فيتزوّجها ولا يقسط لها في المهر فنهوا عن نكاحهنّ الّا ان تقسطوا
لهنّ وعن ابن عبّاس رضي الله عنه كان الرّجل في الجاهليّة يكثر من النّساء ولا يقدر على القيام بحقّهنّ
ولمّا نزلت الآية الاولى تحرّجوا عن ولاية مال اليتيم فقيل لهم ان تحرّجتم عن ولاية مال اليتيم خوفا من الاثم
فما لكم لا تتحرّجون عن هذا الاثم وقيل كانوا لا يتحرّجون من الزّنا ويتحرّجون ولاية اليتيم فقيل لهم ان تحرّجتم
عن ذلك تحرّجوا عن هذا ايضا فانكحوا ما طاب لكم من النّساء ما استطابته انفسكم عامّ خصّه قوله حرّمت

العامل هو لازم

عليكم امهاتكم او ما حلّ لكم على انه مجمل بيّن به وما قيل ان الامر للاباحة فيؤل الى ابيح لكم غير لازم لان الاباحة
راجعة الى قوله وثلث ورباع اي ابيح لكم من غير المحرمات هذا العدد وانتصابها على الحال من فاعل طاب
اي ابيح لكم نكاح الطيبات مفصلات على هذه الاعداد غير منصرفة للعدل والوصف لانها لم تستعمل غير
صفة ومن لم يقيد بالوصفية لعروضها فلكونها معدولة لفظا ومعنى لان ثلث معدول عن ثلثه ومعناه
لقصد التكرير نكرات خلافا للكوفيين والمعنى تخيير المخاطبين بين هذه الاعداد من غير تجاوز ومن جوز
نكاح التسع مستدلا بان الواو للجمع لم يحافظ على كيفية النكاح المشار اليها بالتعديد والتفصيل فان قلت كان
الظاهر او لانها جاءت للتخيير كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين قلت المعنى تخيير المخاطبين بين هذه الاعداد
من غير تجاوز والاحد الامرين غير مجموع بينهما فيكون التخيير في هذه الاعداد غير مجموع بينها ومعنى الواو
التخيير من غير تجاوز وهو المراد فان خفتم الا تعدلوا فواحدة اي اختاروا الواحدة وذروا تلك الاعداد او ما
ملكت ايمانكم من السراري من غير حصر ذلك اي اختيار الواحدة او التسري ادنى الا تعولوا تميلوا وتجوروا عن
الحق يقال عال الميزان اذا مال وفي شعر ابي طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم. بميزان قسط لا يخيس شعيرة
له شاهد من نفسه غير عايل وعن الشافعي رحمه الله تقولوا يكثر عيالكم يقال عال يعول بمعنى مان يمون
جعله كناية عن كثرة العيال لان من كثر عياله لزمه المؤنة نقله الازهري عن الاصمعي والكسائي
والدارقطني عن زيد بن اسلم فالقادح في الشافعي رحمه الله قادح في نفسه لعدم احاطته باقوال العربية
والآثار مع ان الشافعي رحمه الله في معرفة لسان العرب اعلى كعبا واطول باعا من الثقات المذكورين فان
قلت هب ان اللغة استقامت كيف وجه القلة مع تجويز التسري من غير حصر قلت المهاير تحتاج الى زيادة
النفقة والسكنى اللايق والكسوة المعتبرة باعتبار حال الزوج من اليسار والتوسط والفقر وان ولدت
فلها ان لا ترضع الولد وان ارضعته فلها طلب الاجرة وكل ذلك منتف في الاماء وآتوا النساء صدقاتهن
نحلة مهورهن جمع صدقة بضم الدال وبالسكون والنحلة العطية نحله كذا اعطاه ومنه قول الصديق لعايشة
رضي الله عنهما كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابه على المصدر والحال من الفاعل او المفعول
او منحولة او تفضلا من الله حالا من الصدقات او من نحل كذا اذا دان به اي ديانة على انه مفعول له
او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء فانهم كانوا يأخذون المولّيات
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه كانوا يتأثمون ان يأخذوا شيئا مما ساقوه فابيح لهم ذلك وحيث قيد
بطيب النفس دل على ضيق المسلك ووجوب الاحتياط ولذلك روي عن عمر بن الخطاب انه كتب الى قضاته
ايما امراة اعطت شيئا زوجها ثم رجعت فلها ذلك وكذا روي عن القاضي شريح وقيد بشيء منه حثا لها
على عدم هبة الكل واليه ذهب الليث فلم يجوز التبرع الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها قبل الولادة
وعن مالك يجوز من الثيب دون البكر وتذكير الضمير باعتبار المعنى لان التقدير آتوا كل واحدة صداقها
او لجريان الضمير مجرى اسم الاشارة كقوله قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات والمراد بالاكل الانفاق
تعبيرا عنه باشهر المنافع هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام اذا لذ من غير نغص ومرؤ حمد عاقبته من غير ضرر
انتصابهما على المصدر اي كلا هنيئا مريئا ويجوز ان يكونا دعاء كسقيا ورعيا فيحسن الوقف على فكلوه ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم الخطاب للاولياء والسفهاء الصغار والمجانين والمبذرون اضاف الاموال اليهم لانها مما
يقام به المعاش ويدخر لاوقات الحاجة وبهذا المعنى لا يختص باربابها كقوله ولا تقتلوا انفسكم وقوله فمما ملكت
ايمانكم قصد الى الجنس فان احدا لا يقتل نفسه ولا يؤمن بنكاح مملوكته او لكل احد والغرض النهي عن صرف
المال الى من يضيعه التي جعل الله لكم قياما اي سبب قيامكم من قبيل نما هنأ قبال يؤيدان الخطاب
لكل احد وارزقوهم فيها اجعلوها مكان رزقهم بان يتجروا فيها لئلا ياكلها الانفاق ولذلك اتى في على من

مثنى

وفي الاساس ع الكل وبالا الفرض من السري
ليس التوالد وهذا الاسنى علاه عدل عنه
منه القادح الثعلبي

مهور

المولية في الغلب والثاكلي

وقولوا لهم قولا معروفا حسنا بان يقول الولي لمن تحت حجره المال مالك اذا صلحت للتصرف دفعته اليك
ويقول الرجل لعياله اذا ربحت في سفري هذا او ربحت في بيعي كسوتكم ووسعت عليكم وابتلوا اليتامى
حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم اي اختبروا عقولهم في التصرف قبل
البلوغ حتى اذا تبين لكم رشدهم وهو صلاح الدين والدنيا عند الجمهور والمروي عن ابن عباس رضي
الله عنه واعتبر ابو حنيفة رحمه الله التهدي الى التصرف في المال لا غير وبلوغ النكاح كناية عن الاحتلام
او خمس عشرة سنة لما روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
احد وانا ابن اربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضت عليه يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني واعتبر
ابو حنيفة في الغلام ثماني عشرة فان اونس منه الرشد فذاك والا يترك الى خمس وعشرين سنة فيدفع اليه
ماله رشيدا كان او غير رشيد وعند الجمهور لا يدفع الا اذا كان رشيدا والكلام من اعتراض الشرط على الشرط
فيعترض المعترض مقدما على الحكم والايناس الابصار من غير شبهة استعير للتبيين ونكر الرشد للاكتفاء بادنى
شيء منه وحتى ابتدائية وفيها ايضا معنى الغاية والفاء دلت على وجوب الدفع بعد الايناس من غير توقف
ولذلك اعتبر الابتلاء قبل البلوغ ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لا
سرافكم ومبادرتكم كبرهم يقال كبر كعلم في السن وكبر كحسن في القدر والعظم وكذا في القول ومن كان
غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف اي ان كان قيم اليتيم غنيا فليقنع بما رزقه الله اشفاقا
عليه وطلبا للاجر الآخرة وان كان فقيرا يأكل بقدر القوت وما يسد اوده اجرة له وقيل يرد بدله
ان ايسر ويؤيد الاول الاستعفاف لان غاية العفة لا توجد في الامتناع عما لا حق له فيه روى ابو داود
ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل مال يتيم في حجره قال بالمعروف غير متأثل مالا
ولا واق مالك بماله فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم دفعا للتهمة والخصومة واستدل به
الشافعي رحمه الله على عدم قبول قول القيم في الدفع وكفى بالله حسيبا محاسبا حث على مراعاة ماله
للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون نزلت في ام
كحة امراة اوس بن ثابت مات زوجها وترك ثلث بنات وبني عم فاخذوا ميراثه على طريقة الجاهلية
كانوا يخصون الميراث بالذكور لانهم محاربون ويحمون الحوزة فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله وبعث الى بني عمه لا تتصرفوا في المال فنزلت
ابطالا لما كانوا عليه ثم بين الانصباء بقوله يوصيكم الله الى آخره وفي ايثار الاقرب اشارة الى
حجب الابعد وهو على حرمان ذوي الارحام ادل من العكس مما قل منه بدل مما ترك او كثر نصيبا مفروضا
انتصاب نصيبا على المصدر كقوله فريضة من الله او الحال او الاختصاص وان نكر في النكرة ومعنى مفروضا
لازما فلا يسقط باعراض الوارث واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم
منه الامر للندب ولذلك لم يضرب له حد ولو اجمالا كما في المتعة وقيل للوجوب وقيل منسوخ باية
المواريث واولوا القربى من ليس له شيء في ذلك الميراث وقدم الايتم فالاهم وقولوا لهم قولا معروفا
بان تستقلوا ما تعطونهم او قولا جميلا ان كانت التركة عقارا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم لو مع ما في حيزه صلة الذين والامر للاوصياء متصل بقوله وابتلوا اليتامى وما
في البين من احكام الميراث تتميم لان الوارث فيهم اليتيم والبالغ فتعرض لوصيته الاوصياء رعاية
لجانبهما والذين يجلسون الى المريض فلا يدعون ان يوصي بحيث يتضرر ورثته ولذلك كره العلماء
الوصية بالثلث ان كان في المال قلة او في الورثة كثرة استدلالا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسعد بن ابي وقاص الثلث والثلث كثير انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم فقراء يتكففون

رد على ابي بكر الرازي من الحنفية

اسم ابي وقاص مالك

الناس او للورثة حثا على الايتاء لمن حضر القسمة وعلى الوجهين متصل بقوله واذا حضر القسمة وعلى الوجه
الثالث معناه وليخش الذين شانهم لو شارفوا على الموت وكانت لهم صغار كيف يخافون ضياعهم ويودون
لهم كافلا محسنا فليكونوا مع ايتام الغير على ذلك النمط فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ذكر اولا الخشية
لانها الباعثة على الامتثال وثانيا التقوى لانها نهاية مقامات السالك والقول السديد ان يقولوا للمحتضر
انظر ان كان لاحد عليك حق وظن بالله خيرا ان الله يغفر الذنوب جميعا ويقول الوصي لليتيم تادب باداب
الشرع ويدله على محاسن الاخلاق والورثة لمن حضر القسمة ليس هذا على مقداركم وما يلايم هذا فان
الكلمة الطيبة ايضا صدقة ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما يويد ان الامر للاوصياء انما ياكلون في
بطونهم نارا لانه يجر الى النار وعن ابي برزة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقومون يوم القيمة وافوا
هم تتاجج نارا وروي انه يبعث اكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن انفه وفيه واذ نيه
وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم ومعنى في بطونهم ملا بطونهم لان حقيقة الظرفية
الاحاطة بالمظروف بحيث لا ينفصل الظرف منه ولذلك قيده في قوله شعر كلوا في بعض بطنكم تعففوا
وسيصلون سعيرا عن قريب يدخلون نارا موقدة من صلي النار لازمها وقرا ابن عامر وابو بكر يصلون
بضم الياء من اصليته القيته في النار والاول ابلغ يوصيكم الله في اولادكم يعهد اليكم في شانهم للذكر
مثل حظ الانثيين بيان لذلك المجمل والمراد حاله الاجتماع للاجماع على ان للابن جميع المال حالة الانفراد
فان كن نساء اي الاولاد المت نساء خلصا انث الضمير باعتبار الخبر فوق اثنتين بالغة ما بلغت صفة
او خبر ثان فلهن ثلثا ما ترك استدل بظاهره ابن عباس رضي الله والحق الثنتين بالواحدة واجمع
من عداه على انهما في حكم الجماعة لما روى ابو داود وابن ماجة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى
لبنتي سعد بن الربيع الثلثين ولان الواحدة تاخذ مع الذكر الثلث فمع الانثى من باب الاولى
وقياسا على الاختين لكونهما ابعد من الميت واقحام فوق لدفع وهم الزيادة بازدياد العدد وان كانت
واحدة فلها النصف وهو نصف حظ الذكر ايضا اذا انفرد ولابويه لابوي الميت لكل واحد منهما بدل
بتكرير العامل السدس مما ترك ان كان له ولد ذكرا او انثى فان كان ذكرا فذاك وان كان انثى فله
الباقي ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث والباقي للاب بالعصوبة وقرا
حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا وعن الكسائي انها لغة قريش فان كان له اخوة فلامه السدس
فان كان معها الاب فله الباقي لانه يحجب الاخوة وللاخوين والاخوات حكم الاخوة اجماعا روى البيهقي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه نازع عثمان في ذلك وقال الاخوان ليسا اخوة في لسان قومك فقال
لا انقض ما كان قبلي وانتشر في الاقطار من بعد وصية يوصي بها او دين اي القسمة على هذا النمط
من بعد هذين الامرين اجتماعا وانفرادا ولذلك اثر او وقدم الوصية وان كانت متاخرة عن الدين
لان الدين له طالب معين والوصية اكثر ما يكون لجهات البر فيقع فيها التساهل ولان نفوس الورثة
موطنه على اداء الدين دونها وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر يوصى بفتح الصاد واقامة الجار والمجرور
مقام الفاعل اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اعتراض يوكد شان الوصية ويحث
على امضائها اذ المقصود ان من اوصى منهم اكثر نفعا لكم لا نكم بامضاء وصيته تنالون ثواب الاخرة
ولا شك انه خير من ان يترك لكم متاعا فانيا او اذا لم تدروا ايهم اقرب نفعا يوم القيمة لما في الحديث
ان الابن يرفع الى منزله الاب ان كان ارفع درجه وبالعكس فارضوا بما قسم الله ولا تقولوا لم اخر الاب
عن الابن ولم حاز الاب المال دون الام فريضة من الله نصب على المصدر ان الله كان عليما كامل العلم حكيما
متقن الصنع في كل ما دبره ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع

مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين اطلق الولد ليتناول ما كان من الزوج وغيره ذكرا كان او انثى
ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين
ر وعن شرف الزوج كما روعي شرف الذكر على الانثى وترك ذكر الواحدة اشارة الى عدم الفرق وان كان
رجل يورث كلالة الكلالة القرابة التي لا تكون ولدا من الكلال وهو الاعياء لكلالها عن القرابة المماسة
كانها ارادت ان تصل فكلت ولم تبلغ وقيل من تكلل بالشيء احاط به لانها في الجوانب وحواشي النسب
يطلق على الميت وعلى الوارث اطلاقا للمصدر على العين او بتقدير مضاف فالمعنى على الاول ان كان الميت
يورث منه حال كونه وان جعل يورث وصفا فكلالة خبر كان وعلى الثاني ان كان رجل اورث مالا كلالة
كلالة والاعراب كما تقدم ويجوز نصب كلالة على المفعول له في الوجهين لانها قائمة بالطرفين كقولك
ورثه عصوبة او ولاء او ورث كذلك او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس ضميره للواحد
من الرجل والمراة وضمير منهما للاخ والاخت ان كان الميت هو الكلالة وان كان الوارث فضميره
منهما راجع الى اسم كان وواحد من الاخوين اي فلكل منه ومن اخيه او اخته وحكم الانفراد علم منه ضرورة
وحكم المراة المعطوفة باو لدلالة على التسوية حكم الرجل فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث
لا يتجاوزونه ولما ذكر في اخر السورة حال الاخوة والاخوات من الابوين ومن الاب بقوله يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن
لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الا
نثيين دل على ان المراد بالاخوة والاخوات هنا من الام وعليه اجماع الائمة من بعد وصية يوصى
بها او دين كرره لئلا يتوهم اختصاصه بطايفة دون اخرى غير مضار بان يزيد في الوصية على الثلث
او لا ينوي بالوصية القربة بل اضرار الورثة او يقر بالدين لمن ليس له عليه دين فان قلت قد ذكر الوصية
سابقا مرتين ولم يذكر هذا القيد قلت ذكره اخرا لئلا يتكرر ولان المضارة اكثر ما يقع في الكلالة
لبعد القرابة وقلة الشفقة وصية من الله مصدر موكد او منصوب بغير مضار مفعول به والله عليم
بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة سميت حدودا لعدم جواز
التجاوز عنها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة والجمع
باعتبار معنى من وذلك الفوز العظيم الذي كل فوز دونه ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا فيها حال كالاول والافراد باعتبار لفظ من وقرا نافع وابن عامر في الموضعين ندخله
بالنون وهو اقوى ترغيبا وترهيبا وله عذاب مهين لاستهانته باحكام الله واللاتي ياتين الفاحشة
من نسائكم الفاحشة الزنا لفحش قبحها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم من رجالكم المومنين والحكمة
في اعتبار الاربعة في الزنا دون القتل مع انه اعظم كونه حق الله المبني على المساهلة والتستر
فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت ملائكة الموت او يستوفي الموت ارواحهن
او يجعل الله لهن سبيلا روى مسلم واصحاب السنن عن عبادة بن الصامت انزل الله تعالى على
رسوله ذات يوم فلما سري عنه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة
والثيب بالثيب رجم بالحجارة فان قلت كيف صح نسخ القران بالحديث الذي هو من الاحاد
قلت ليس هذا من النسخ بل بيان لقوله او يجعل الله لهن سبيلا فانه مجمل وعن ابن عباس رضي الله
عنه نسخها سورة النور وكانه اراد اية الجلد والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما واللذان ياتيانها
منكم اي الرجل والمراة فيه تغليب الاولى لبيان حكم يخص النساء وهذه يعم الفريقين وقيل الاولى في الزنا
وهذه في اللواطة وقرا ابن كثير بتشديد النون احدهما نون التثنية والاخرى عوض عن الياء

نيه

حكيما

كلالة

المحذوفة فآذوهما بالتوبيخ البالغ والتقريع البليغ فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما لان التوبة تجب
ما قبلها ان الله كان توابا شديدا لعناية لقبول التوبة رحيما بعباده ولذلك شرع التوبة انما التوبة
على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب اي الذين يعملون الذنب عمدا او خطاء
ملتبسين بالجهل فان من عرف عظمة الله لا يجترئ على معصيته والقرب امر اضافي وقد بينه في الآية
الثانية بقوله اذا حضر احدهم الموت والحديث المشهور ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر عن ابن
عباس رضي الله عنه ما لم يشاهد ملك الموت فاولئك يتوب الله عليهم يقبل توبتهم ويجازيهم
عليها بالغ في الحث على التوبة بايثار على الدالة على اللزوم والوجوب مع تعاليه عن وجوب شئ ولزومه
عليه لتحقق وقوعه لا محاله وكان الله عليما باخلاص التائب حكيما بالعفو والصفح عنه وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار
سوى بين المسوف لتوبته الى حضرة الموت وبين المايت على الكفر سواء كان المسوف فاسقا او كافرا
وقيل المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون والوجه هو الاول لحديث الغرغرة وليلا ينتفي حال
الفاسق المصر غير مبينة فان قلت اذا شمل الفاسق فما قولك في قوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما
مع ان الفاسق المصر في المشية ولا يجزم له بعذاب قلت الاعتداد لا يستلزم وقوع العذاب كالجزاء
في قوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها في حق الاعتداد من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا ابدل الدال
تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها مكرهات او كارهات روى البخاري عن ابن
عباس رضي الله عنه كان اذا مات الرجل اولياؤه احق بامرأته ان شاء تزوجها احدهم وان شاؤا
زوجوها وعنه ان المرأة في الجاهلية كانت اذا توفي عنها زوجها فجاء رجل القى عليها ثوبه كان احق بها
وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم على انها لغة وعن ابي عمرو والفراء بالفتح الاكراه والاجبار
بالضم المشقة ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن كان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من
حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدي منه بما لها الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالزنا والسلاطة والنشوز
الاستثناء من اعم الاوقات او من اعم العلل وقرأ ابن كثير وابو بكر بكسر الياء من بين لان ما
اي فاحشة جلية وعاشروهن بالمعروف بطيب القول ومحاسن الاخلاق عن رسول الله خيركم خيركم لاهله
وانا خيركم لاهله فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا بان يرزق منها
اولادا صالحين او يبدل البغضاء مودة وفي الحديث لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره فيها خلقا رضي منها
آخر وفيه تنكح المرأة لمالها وجمالها ودينها عليك بذات الدين تربت يداك وايضا في الصبر عليها رياضة
النفس وتهذيب اخلاقها وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احديهن قنطارا مالا كثيرا
من قنطرت الشئ رفعته ومنه القنطرة فلا تأخذوا منه شيئا قل وكرر اتأخذونه بهتانا واثما مبينا
البهتان الكذب الذي يبهت به المكذوب عليه ويحير تشع فيه فاستعمل في كل باطل وقيل كان
الرجل اذا كره امرأته رماها ببهتان فالكلام خارج مخرج الغالب والجمع بينه وبين الاثم مبالغة
والعطف باعتبار الصفات وانتصابهما على الحال او المفعول له غاية روى زبير بن بكار ان عمر بن
الخطاب قال وهو على المنبر لا تغالوا في مهور النساء وان كانت بنت ذي القصة يزيد بن الحصين
الحارثي فمن زاد القيت الزيادة في بيت المال فقالت امرأة طويلة في انفها فطس ما ذاك اليك
قال ولم قالت لان الله يقول وآتيتم احديهن قنطارا فقال عمر رضي الله عنه امرأة اصابت ورجل
اخطأ والمستعان بالله وهذا يدل على الجواز والاولى عدم المغالاة لما روى الامام احمد والترمذي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصدق امرأة من نسائه ولا واحدة من بناته اكثر من اثنتي

القاذر

عشر اوقية وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض بالوقاع وساير انواع الامتزاج والاختلاط واخذن
منكم ميثاقا غليظا هو الامساك بالمعروف والتسريح باحسان وفي الحديث استوصوا بالنساء خيرا
فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وخلوة الصحيحة كافية
في ذلك عند ابي حنيفة رحمه الله لحديث رواه الدارقطني وروي عن علي رضي الله عنه ايضا
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء كانوا يتعاطونه في الجاهلية والنكاح الوطئ فيشمل المهاير والسراري
او العقد ويقاس الامة الموطوءة على المنكوحة وما موصولة او مصدرية بمعنى المفعول الا ما قد سلف
تاكيد الشئ بما يشبه نقيضه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب لان
نكاح ما قد سلف محال وقيل الاستثناء منقطع اي لكن ما قد سلف لا مواخذة عليه انه كان فاحشة
شرعا ومقتا عقلا كانوا يسمونه نكاح المقت قبل ورود النهي وساء سبيلا في المتعارف ومجرى العادات
حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت التحريم حكم
من احكام الله تعالى لا يتعلق الا بفعل المكلف واضافته الى الاعيان كما في الآية وفي قوله حرمت عليكم
الميتة للملابسة وعدم اللبس ثم تعيين المحذوف الى خصوص القراين كالنكاح والاكل فانهما اظهر
المقاصد واسبق الى الفهم وقد دل عليه قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم واذا حرم النكاح الذي
هو وسيلة الاستمتاعات حرمت بطريق الاولى وقيل ان كانت الحرمة لمعنى في ذات المحرم يسند الحرمة
وتوقع عليه كالميتة مثلا والا فيقدر مضاف يناسب لحرمة شاة الغير والام كل انثى لها عليك
ولاد قريبا وبعيدا والعمة كل انثى شاركت احدا بائك في احد اصليه والخالة كل انثى شاركت
امك في اصلها وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة روى البخاري ومسلم عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة قيل خص منه اربع صور الاولى يجوز للرجل ان يتزوج
اخت ابنه من الرضاع دون النسب الثانية له ان يتزوج ام اخيه من الرضاع دون النسب الاخرى بان ام
النافلة وجدة الولد والحق ان لا استثناء لان الحرمة في النسب للمصاهرة لا له واختلف في مقدار الرضاع
قال مطلقه مالك وابو حنيفة رحمهما الله تعالى لاطلاق الآية والحديث وقيده بالثلث وما
فوقه احمد واسحق بن راهويه لما روى مسلم عن عايشة رضي الله عنها لا تحرم المصة والمصتان ولا الا
ملاجة ولا الاملاجتان وذهب الشافعي رحمه الله الى خمس رضعات لما روى مسلم عن عايشة رضي
الله عنها كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات معلومات تحرمن ثم نسخت بخمس وفي المدة فعند الشافعي
رحمه الله في الحولين وعند ابي حنيفة رحمه الله الى ثلثين شهرا وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم
الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة من غيره وذكر الحجر خارج مخرج الغالب وفيه اشارة الى علة التحريم
لانها في الاختلاط والتقلب كالولد والى ظاهره ذهب داود الظاهري من نسائكم اللاتي دخلتم بهن حال
من الربائب ومن ابتدائية وذهب بعضهم الى انه متعلق بالربائب وامهات النساء حتى شرط الدخول
فيهن ايضا وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وزيد بن ثابت ووجهه جعل من اتصالية او ابتدائية
في الثاني بيانية في الاول الا ان الاجماع على خلافه وعن ابن عباس رضي الله عنه ام المرأة مبهمة في
كتاب الله اراد انها محرمة من كل وجه كالليل البهيم الذي لا نور فيه والخيل البهيم الذي لا شية
فيه وعند ابي حنيفة رحمه الله الخلوة كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم صرح به بعد
الاشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم رفع لما كانوا عليه من تحريم مطلقة الدعي
فلا يرد ابن الرضاع والحافد والتعبير بالحلائل لبنتا ولا امته الموطوءة وان تجمعوا بين الاختين نكاحا

علىٰ

او في ملك اليمين وطئًا الا ما قد سلف منكم فانه مغفور لكم بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما على ان
الاستثناء منقطع ويجوز ان يكون من تاكيد الشيء بما يشبه نقيضه والمحصنات من النساء عطف على المحرمات
الاحصان لغة المنع من الحصانة ويكون بالعفة كما في قوله والذين يرمون المحصنات وبالاسلام كما في قوله فاذا
احصن وبالتزوج كما في الآية الا ما ملكت ايمانكم من ذوات الازواج روي مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه ان ناسا اصابوا سبايا يوم اوطاس فتحرجوا منها لاجل ازواجهن فنزلت وقيده ابو حنيفة رحمه الله بما لم
يسب معها الزوج وخص المشترية ذات الزوج اجماعا كتاب الله عليكم ذلك التحريم نصب على المصدر بمضمر
واحل لكم ما وراء ذلكم ما سوى المذكور الا ما خص من الخالة والعمة رضاعا وقرا حمزة والكسائي وحفص
احل على بناء المفعول عطف على حرمت او على ناصب كتاب الله كما في بناء الفاعل ان تبتغوا باموالكم
مفعول له ارادة ان تبتغوا او بدل اشتمال مما وراء ذلكم والابتغاء الطلب اريد به طلب خاص بالمهر والثمن
محصنين غير مسافحين السفح الصب اريد به الزنا لانه غرض الزاني بخلاف النكاح فان الغرض منه التوالد
ذكره بعد الاحصان لتعيين معناه فما استمتعتم به منهن الضمير لما وراء ذلك ومن ابتدائية اي فالذي
تمتعتم به من جماع ونكاح وخلوة من المنكوحات فآتوهن اجورهن مهورهن خبر عن الموصول بحذف العايد
لعدم اللبس ويجوز ان يكون ما شرطية ولا حذف لان الخبر مجموع الشرط والجزاء وان يكون ما عبارة
عن النساء ذهابا الى الوصف دون الذات لانهن منزلة غير ذوي العقول فالمستمتع به نفسهن والضمير في به
راجع الى لفظ ما وفي فآتوهن الى معناه وفي منهن الى ما وراء ومن للبيان او للتبعيض وسمي
المهر اجرا لانه عوض البضع فريضة حال من الاجور او صفة مصدر ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من
بعد الفريضة من زيادة في الصداق او نقصان منه وغير ذلك من مواجب النكاح وقيل نزلت في نكاح المتعة
والمعنى لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من زيادة الاجل بعد الاجل والحق ان نكاح المتعة ثبت بالحديث
ونسخ به لما روي مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ايها الناس اني كنت اذنت لكم
في الاستمتاع وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة وعن الشافعي رحمه الله ابيح مرتين ونسخ مرتين لهذا
الحديث ولما روي البخاري عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم يوم
خيبر نكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما في كل ما شرع ومن لم يستطع
منكم طولا اي غنى من الطول الزيادة في الامتداد مفعول لم يستطع ان ينكح المحصنات المؤمنات متعلق بطولا
بتقدير الجار اي على ان ينكح ويجوز ان يكون طولا بتقدير مضاف اي لعدم طول وان ينكح بدل منه والاحصان
الحرية لان الحراير مصونات عن ابتذال الرق بدليل قوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات من
تفريع نكاحهن بالقاء استدل الشافعي رحمه الله على تحريم نكاح الامة لواجد طول الحرة ومن اضافة الفتيات
الى المخاطبين على عدم جواز نكاح الامة الكتابية مطلقا والاستدلال بعد اشتراط الايمان في الحراير على عدم اشتراطه
في الاماء غير ناهض لان عدم الاشتراط في الحراير مستفاد من قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم ولا يمكن الحاق الاماء بهن لوجود الفارق من رق الولد وثبوت حق المولى عليها في الخدمة وما على الناكح
من المهانة بخروجها وولوجها روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم عبدي وامتي
كلكم عبيد الله وليقل فتاي وفتاتي وقرا الكسائي المحصنات غير الذي تقدم بكسر الصاد على معنى احصن
انفسهن والفتح على انها محصنات باحصان الازواج وهذا اشهر والله اعلم بايمانكم ترغيب في نكاح الصالحات
من الاماء لما في النفوس من الانفة والاستنكاف من ذلك فاشار الى الامة ربما كانت اكمل ايمانا من الحرة
وان الاولى بالرجل ان يكون مطمح نظره الصلاح والديانة فان للاخلاق سراية بعضكم من بعض متواصلون
في الادمية فلا وجه للاستنكاف فانكحوهن باذن اهلهن مواليهن عبر بالاهل لان موالي القوم منهم

فاد الشيخ ابن حجر ابيح
ستة وانه ثم حرم
منه

مرة على الثلاث و

ان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت والطلاق الاذن يتناول المباشرة
والتوكيل ودل ايضا على جواز مباشرتها باذن الولي كما ذهب اليه ابو حنيفه رحمه الله وآتوهن اجورهن
باذن المولي علم ذلك من تقييد النكاح باذنه وايثار هذا الاسلوب للدلالة على ان المولى انما يستحق المهر
بتبعية ملك الرقبة وفيه اشارة الى تاكيد وجوب الاداء الى الحراير وقيل لفظ المولى مقدر وذهب
مالك الى ظاهره جريا على اصله من جواز تمليك الرقيق بالمعروف من غير ضرر ولا ضرار محصنات عفايف وقرا
الكسائي بكسر الصاد غير مسافحات مجاهرات بالزنا ولا متخذات اخدان اخلاء في السر جمع خدن فاذا احصن
بالتزوج وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص على بناء المجهول وهو المختار فان اتين بفاحشة بزنا
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب الحراير من الجلد لان الرجم لا ينتصف وبالاحصان اشار الى
عدم اختلاف الحالين كما في الحراير ذلك نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم الزنا اصله الامر الشاق ومنه
التعنت في الامر وفيه تاييد لما ذهب اليه الشافعي رحمه الله وان تصبروا عن نكاح الاماء خير لكم من التزوج
بهن لان ارقاق الولد امانة معنى ولان الامة لا تقيم اعباء البيت قال ومن لم يكن في بيته قهرمانة
فذلك بيت لا ابا لك ضايع والله غفور للصابر ان بدا منه زلة رحيم ولذلك شرع نكاح الاماء يريد
الله ليبين لكم يريد الله اظهار الاحكام لكم اللام لتاكيد معنى الارادة لما فيها من معناها كما في جئتك لاكرمك
ومدخولها مفعول به ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهجهم وطرقهم التي سلكوها لتقتدوا بهم ويتوب
عليكم ويستر زلاتكم والله عليم بالمصالح حكيم فيما شرع والله يريد ان يتوب عليكم كرره توكيدا وليقابل
قوله ويريد الذين يتبعون الشهوات وتعلق ارادته بوقوع التوبة بينهم لا يستلزم وقوعه من الكل والذين
يتبعون الشهوات كل فاجر منهمك وقيل اليهود وقيل المجوس لانهم يحلون نكاح المحارم ان تميلوا عن الحق
ميلا عظيما موصلا الى الكفر يريد الله ان يخفف عنكم ولذلك اباح النكاح والتسري وعمم النكاح
في الحراير والاماء توسعة من فضله لان النساء حبايل الشيطان ليس على الانسان اشق منهن
في باب دينه عن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من ابن آدم الا واتاهم من قبل النساء فقد اتى
علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف على فتنة النساء
وخلق الانسان ضعيفا لا صبر له على المشاق يشير الى لمية التوسعة وانها مقتضى الحكمة يا ايها الذين
آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل يشير الى ما به يقوم امر المنزل وكيفيه مشروعيته تحصيل
اسبابه وخص الاكل لانه اكمل المنافع واكثره احتياجا الا ان تكون تجارة عن تراض منكم الاستثناء
منقطع لان التجارة ليس من الباطل في شيء اي لكن اقصدوا التجارة او لكن وقوع تجارة عن تراض غير
منهي وانما خص التجارة بالذكر لانها اعم اسباب الملك او من استعمال المقيد في المطلق وقرا
غير الكوفيين بالرفع على كان التامة ولا تقتلوا انفسكم اخوانكم من المؤمنين وانفسكم بتعريضها للعقاب
او مباشره كما يفعله بعض الجهلة كالروافض في مشاهد الايمة ان الله كان بكم رحيما حيث بين لكم الاحكام
وشرعها على وجه السهولة ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما الى ما ذكر من المناهي العدوان ظلم الغير
لاشتماله على معنى التجاوز والعطف باعتبار تغاير الصفة فسوف نصليه نارا ندخله نارا عظيمة يقال
اصليته النار اذا دخلته للاحراق محمول على الاستحلال او الموت من غير توبة ان شاء بشهادة ساير
النصوص وكان ذلك على الله يسيرا لاستواء الممكنات في قدرته من غير مزاحم ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه على لسان الرسول نكفر عنكم سيئاتكم صغايركم والفرق بين الصغيرة والكبيرة ان كل
ذنب شرع له حد وكان قبحه مساويا له او زايدا عليه فهي كبيرة فلا تنحصر في عدد كما اشار اليه
ابن عباس رضي الله عنه لما قيل له هي سبعة انها سبعمائة اقرب وما نقل عن بعض السلف لا صغيرة

الى

وقرأ نافع مدخلا بفتح الميم هنا وفي الحج والباقون بضمها

في الذنوب اراد معني آخر وهو النظر الي مخالفته وكبريائه والا فالآيات والاحاديث ناطقة بالفرق
وندخلكم مدخلا كريما شريفا هو دار السلام من كل مكروه ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم علي بعض التمني
طلب الشيء ممكنا او محالا مع الحرص من تمنيت الكتاب قرأته فان المتمني يناجي نفسه بالمتمني ويدل
عليه قوله ما كل ما يتمني المرء يدركه وقيل لا يكون الا في طلب المحال حث علي محاسن الاخلاق بعد
بيان الذنوب وكيفية الخروج منها وهذا اذا لم يقصد به التقرب الي الله تعالي لما روي البخاري
لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فسلطه علي هلكته في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يقضي به
ويعلمه الناس للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن جعل لكل من الرجل والمرأة
ما قدر له من الحظ كسبا ارشادا الي طلب المعاش روي الامام احمد عن ام سلمة انها قالت يا رسول الله
يغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف ما لهم من الميراث فنزلت واسألوا الله من فضله الواسع عطف علي ولا تتمنوا
وما بينهما اعتراض روي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسأل وان افضل العبادة انتظار الفرج وقرأ ابن كثير
والكسائي وسلوا الله بنقل حركة الهمزة وحذفها وحذف همزة الوصل تخفيفا ان الله كان بكل شيء
عليما يعلم من يستحق البسط والقبض ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل مال تركه
هؤلاء جعلنا وراثا يحوزونه والتقدير وجعلنا لكل مما ترك فلا فاصل بين الموصوف والصفة او لكل
قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ولا يتوجه ان للموالي جميع المال لا نصيبا منه
لان في التركة مؤن التجهيز وقد يكون الوصايا والديون او ولكل موروث جعلنا وراثا علي ان
من صلة موالي لما فيه من معني الفعل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون والوالدان وان دخلا
في الاقربين الا انهما افردا لشرفهما وزيادة في الاهتمام والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم مبتدأ
وخبر والفاء لتضمن الموصول معني الشرط ويجوز عطفه علي الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن
المتقدمة مؤكدة ونصبه علي شريطة التفسير نحو زيدا فاضربه عن ابن عباس رضي الله عنه كان
قبل الاسلام يعاقد الرجل الرجل ويقول دمي دمك وحربي حربك وترثني وارثك وكان الامر علي
ذلك في ابتداء الاسلام حتي نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب الله فان قلت لا تنافي
بين هذا وبين توريث الحلف قلت روي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ذهب الميراث ولكن
يوصي له وفسر قوله فآتوهم نصيبهم علي التناصر والنصيحة وذهب ابو حنيفة رحمه الله الي ان رجلا لو
اسلم علي يد رجل وتعاقدا علي ان يتوارثا يرثه ان لم يكن له وارث آخر وقرأ غير الكوفيين بما قدرتم بالمد
ان الله كان علي كل شيء شهيدا رقيبا فاحذروه في مخالفة اوامره الرجال قوامون علي النساء بما فضل
الله بعضهم علي بعض وبما انفقوا من اموالهم قام بالامر حفظه ورعاه وفلان قوام اهله اي يقيم
شأنهم اشار الي وجه الحكمة في تفضيل الرجال علي النساء في الحظوظ والقسم بامرين احدهما موهبي
لا دخل للسعي والكسب فيه كالنبوة والامامة والقضاء وعموم الشهادة والجمعة والاعياد والآخر
كسبي وهو انفاق الاموال في المهور والنفقات روي ابن جرير ان سعد بن الربيع الانصاري رضي الله
عنه وهو احد النقباء ليلة العقبة لطم امرأته زينب بنت زيد بن ابي زهير فانطلق بها ابوها الي رسول
الله صلي الله عليه وسلم فامر بالقصاص فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله غيره والذي اراده الله
خير فالصالحات قانتات مطيعات من قنت اطاع ومن يقنت منكن لله او قائمات بحقوق الازواج
ومنه افضل الصلوة طول القنوت حافظات للغيب ما يجب حفظه من الاموال والاسرار التي تقع بين
الازواج في الخلوات وفي ايقاع الحفظ علي الغيب مبالغة في الوصف بالحفظ بما حفظ الله اي بحفظ

ورد على السجاوندي

المراد بالقصاص التعزير منه

وقرأ ابو جعفر بما حفظ الله بالنصب اي بحفظهن الله بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه منه

الله اياهن بان اوصي الله ورسوله برعاية حقوق الازواج فالحفظ مسند الي السبب الامر والبناء
للمقابلة او يحفظ الله اياهن عن الخيانة علي ان الحفظ او بالوعد علي المحافظة والوعيد علي الخيانة علي ان
الحفظ مجاز عن سببه وما مصدرية علي الوجوه واللاتي تخافون نشوزهن النشوز لغة الارتفاع فانها
بالعصيان ترتفع عن رتبتها فعظوهن بما اعد الله للمطيعات من الثواب والمناشزات من العقاب
روي البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا دعي الرجل امرأته
الي فراشه فابت لعنتها الملائكة الي الصباح وروي عنه لو امرت ان يسجد احد لغير الله لامرت
المرأة ان تسجد لزوجها واهجروهن في المضاجع فان ذلك شديد عليهن وعن ابن عباس رضي الله عنه
كناية عن عدم الجماع واضربوهن ضربا خفيفا لا كسر فيه ولا اجراح ولا في الوجه والاعضاء الرئيسة
فان اطعنكم في احدي تلك الاحوال فلا تبغوا عليهن سبيلا بوجه قولا وفعلا فان التائب من الذنب
كمن لا ذنب له وذكر الوحشة وحشة ان الله كان عليا كبيرا ومع ذلك اذا تاب العبد تاب عليه فتخلقوا
باخلاقه وان خفتم شقاق بينهما الخطاب للولاة والحكام اضافة الشقاق الي البين مجازا ما تشبيها
بالمفعول به اتساعا في الظرف وبالفاعل بجعل البين شاقا كأنهما رصايما فابعثوا حكما من اهله
وحكما من اهلها ان اشتبه عليكم حال الظالم منهما وقيد الاهل استحباب لانهم اشفق واسعي في الاصلاح
ولا دلالة فيه علي جواز التحكيم فان الحكمين ليسا من جهة الزوجين بل من جهة الولاة وهل لهما
الجمع والتفريق بغير رضي الزوجين علي الجديد من قولي الشافعي وقول ابي حنيفة نعم ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما اي ان قصد الحكمان الاصلاح بين الزوجين بنية صادقة وفق الله بين الزوجين
واوقع الالفة بينهما وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا الاصلاح وفق الله بين كلمتيهما وحصل
الغرض وقيل للزوجين اي ان تابا عن الضرار واضمار الشر والمنافقة يبدل الله البغض بالمحبة
والشقاق بالوفاق ان الله كان عليما خبيرا كامل العلم بظواهر الاشياء وبواطنها يعلم كيف يولف
بينهما وفيه تحذير للحكمين عن السعي بالفساد كما ان في الاول ترغيبا في الاصلاح واعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئا استوفي جملة من الاحكام ثم عاد الي التوحيد الذي هو ملاك الامر وانتصاب
شيئا علي المصدر اي شيئا من الاشراك او المفعول به اي شيئا ما وبالوالدين احسانا اي احسنوا
احسانا وبذي القربي ذي القرابة فان الصدقة عليه صدقة وصلة رحم واليتامي و
المساكين والجار ذي القربي الذي قرب جواره روي البخاري عن عائشة رضي الله عنها
سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم ان لي جارين فالي ايهما اهدي فقال الي اقربهما بابا
وقيل الجار ذي القرابة والاول هو الوجه لتقدم ذي القرابة والجار الجنب بعيد الدار والاجنبي
والصاحب بالجنب وابن السبيل الرفيق في السفر او التعلم او المرأة روي البخاري ومسلم عن ابن عمر
رضي الله عنه ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتي ظننت انه سيورثه وما ملكت ايمانكم الارقاء روي
انه صلي الله عليه وسلم قال في مرض موته الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم فجعل يكررها ان الله لا يحب
من كان مختالا فخورا متكبرا انياها كثير الفخر بحطام الدنيا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
بدل من من كان مختالا او نصب او رفع علي الذم وفي الحديث اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم
وقيل البخل البخلاء من بخل بمال غيره وروي ابو داود شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وروي
الترمذي خصلتان لا تجتمعان في المؤمن البخل وسوء الخلق وروي ايضا ثلثة لا يدخلون الجنة خب و
بخيل ومنان وقرأ حمزة والكسائي البخل بفتح الباء والخاء والضم اكثر ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
عابهم علي كتمان ما انعم الله عليهم كما عابهم علي البخل ان الله يحب ان يري اثر نعمته علي عبده واما بنعمة ربك

فحدث وقيل نزلت في اليهود بخلوا بما اوتوا في التورية وكتموا ما انعم الله عليهم من نبوة محمد عليه السلام
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا في مقابلة ذلك الاختيال والافتخار اوقع الظاهر موقع المضمر للاشعار بالعلة
وللعموم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ليقال انه جواد روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
اول من يدخل النار مسلم صرف ماله في وجوه البر لا اخلاصا بل ليقال فذلك حظه ولا يؤمنون بالله ولا
باليوم الآخر ليكون باعثا لهم على الحذر مما يحبط العمل ومن يكن الشيطان له قرينا في الدنيا يزين له القبائح
ويحثه على ارتكابها او في الآخرة بان يقرن معه في النار لقوله وقيضنا لهم قرناء فساء قرينا قرينه وماذا
عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله انكار ونعي عليهم كمال جهلهم فان العاقل
يسارع الى ما فيه احتمال نفع فكيف والمدعو اليه رأس كل منقبة ومنبع كل سعادة الضمير للمنفقين رياء او لهم
وللباخلين وكان الله بهم عليما لو اخلصوا او كان الله بهم عليما انهم لا يؤمنون فلذلك لم تجد فيهم الآيات
والنذر ان الله لا يظلم مثقال ذرة وزن ذرة نقصانا من الثواب وزيادة في العقاب والذرة النملة الصغيرة
وقيل اجزاء الهباء المبثوث في الكوة عند شعاع الشمس وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ادخل يده في
التراب ثم اخرجها وقال كل هذه ذرات والمثقال مفعال من الثقل وان تك حسنة يضاعفها يضاعف
ثوابها اقله عشرة اضعاف واكثره لا يعلمه الا الله والتانيث باعتبار الخبر او لاكتساب التانيث من المضاف
اليه وحذف النون تبعا للواو وهذا مطرد فيما لا ساكن بعده لكثرة الدور وقرأ نافع وابن كثير حسنة بالرفع
على كان التامة وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعّف مشددا ويؤت من لدنه اجرا عظيما لا يقادر قدره اشار
بقوله من لدنه الى انه تفضل منه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اي بنبيهم عليهم بالتكذيب اي فكيف بمن — بشهيد
كذبك في ذلك الوقت استعظام للهول وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اشارة الى كل مكذب من كل امة
وشهادته شهادة امته كما رواه البخاري وتقدم في سورة البقرة ويحتمل ان يكون شهادته ايضا والاول
ادل على عظم شانه ويجوز ان يكون اشارة الى مكذبي امته روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه قال لي اقرأ علي القرآن قلت اقرأ عليك وعليك انزل قال اني احب
ان اسمعه من غيري فقرأت سورة النساء حتى بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا فقال حسبك فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قيل كان بكاء سرور حيث شرف امته بالشهادة — القول بانه بكاء سرور قول صاحب الكشاف منه
للانبياء والظاهر انه بكاء شفقة على عباد الله يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض
كناية عن الموت والدفن لعظم ما يشاهدون والباء للملابسة او بمعنى على وقرأ نافع وابن عامر تسّوى بفتح — الاول لصاحب الكشف والذي ارتضاه الحق لكونه رحمة للعالمين منه
التاء والتشديد بادغام احدى التاءين وقرأ حمزة والكسائي بالفتح والتخفيف بحذف احدى التاءين والبا
قون بالضم والتشديد وهو المختار لانه الاصل ولا يكتمون الله حديثا لا يقدرون على كتمانه لان الجوارح
تشهد عليهم عطف على يود ويومئذ متعلق بالفعلين ويجوز ان يكون عطفا على تسوى داخلا تحت التمني
او حالا من الضمير على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انهم اذا رأوا مغفرة الله للمذنبين يقولون
والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم فحينئذ من شدة الخجل يودون ان لو لم
يكذبوا في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اردف اهوال
القيمة بالمحافظة على اشرف الوسائل في ذلك اليوم عنه صلى الله عليه وسلم اول ما يحاسب المرء عليه
الصلوة فان كانت وافية يقال فيسوى سائر اعماله بها روى الترمذي عن علي ابن ابي طالب صنع عبد الرحمن
بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فاخذت منا وحضرت الصلوة فقدموا فلانا فقرأ قل يا ايها الكافرون
اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون فنزلت والمراد النهي عن قربها في اوقات الصلوة وقيل لا تقربوا
مواضعها وهي المساجد كما تجنب الصبيان والمجانين من اطلاق الحال على المحل حتى تعلموا ما تقولون بعلم منه
حد السكر وهو ان يشرب حتى لا يدري ما يقول ولا جنبا على جملة وانتم سكارى لان الجمل التي لها محل من الاعراب

في حكم

في حكم المفردات والجنب يطلق على المفرد والجمع مذكرا كان او مؤنثا الا عابري سبيل الا مسافرين حال
مقيدة للفعل المقيد بالحال الاولى كانه قيل لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون
فيها وفيه ايماء الى ان سائر الاعذار مثل السفر وايثاره بالذكر لانه الغالب فلا ينافي هذا الحصر ما
يذكر بعد من الموجبات ويجوز ان يكون وصفا للحال اي جنبا غير عابري سبيل حتى تغتسلوا غاية للنهي
وفيه اشارة الى ان المصلي ينبغي ان يكون مراعيا لطهارة الباطن مما يلوث من الحقد والحسد وغيرهما
وبه استدل الشافعي رحمه الله على ان التيمم غير رافع للحدث لانه سماه جنبا مع التيمم وان كنتم
مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط كنى به عن الحدث لجري العادة بقضاء الوطر في الغائط وهو
المكان المنخفض او لامستم النساء كناية عن الوقاع وذهب الشافعي رحمه الله الى ظاهره وجعل ملامسة
الذكر والانثى من اسباب الحدث لقراءة حمزة والكسائي لمستم بالقصر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكره في مقابلة الوقاع في حديث المقر بالزنا حيث قال لعلك قبلت او لمست والاستدلال بتقدم
الجنابة غير ناهض لان ذلك في استعمال الماء وهذا في اباحة التيمم فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
ذكر اربعة والاسناد الى الامور الاولان سبب للترخيص والعدول من الماء الى التراب والثالث للوضوء
والرابع للغسل والجزاء شيء واحد لاشتراك الكل فيه فان عدم وجدان الماء معتبر في الكل اما حقيقة
كما في الثلثة او تقديرا كما في المريض الذي لم يقدر على استعمال الماء وقدم المرض والسفر لانهما من اغلب
الاسباب فكانه قال ان جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء خصوصا المرضى والمسافرون فتيمموا
وكان الظاهر او جئتم من الغائط عدل الى المنزل لئلا يسند الفعل الى المخاطب في المستقذر صعيدا طيبا
ترابا طاهرا او صاعدا على وجه الارض وعن ثعلب والزجاج هو وجه الارض واليه ذهب ابو حنيفة رحمه
الله حتى لو ضرب يده على حجر صلد ومسح به صح تيممه فامسحوا بوجوهكم وايديكم تعليم لكيفيته ولم
يبين غاية المسح لانه مبين في الوضوء وبينه قول رسول الله لعمار وفعله ان الله كان عفوا غفورا
متجاوزا ستارا ولذلك شرع العدول من الماء الذي هو غاية في اللطافة الى التراب الذي هو اكثف
الاركان الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب حظا وافرا منه تعجيب من حال احبار اليهود والرؤية
فعل القلب اي الم ينته اليهم علمك او النظر يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدي مع ذلك
العلم ويريدون ان تضلوا السبيل ايضا فتساووهم في الجهل والشقاء والله اعلم باعدائكم منكم لانكم
تعلمون بالمخايل والآيات وهو مطلع على ما في الصدور ومن الضمائر وكفى بالله وليا فلا تتولوهم وكفى
بالله نصيرا ناصرا فتوكلوا عليه الباء في الموضعين صلة تؤكد الاسناد لان حروف الجر لايصال معاني
الافعال الى الاسماء من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا او لاعدائكم وما في البين اعتراض والمعنى
ينصركم منهم كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا لتضمين معنى الانجاء ويجوز تعلقه بما
بعده اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه يزيلونها راسا او يبدلونها بما يشتهون ويأوّ
تأويلا باطلا ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع دعاء عليه بالصمم او الموت او اسمع — لونها
غير مسمع جوابا ترضاه وله وجه مدح يورّى به اي غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان كلاما اذا قال
له ما يكرهه وراعنا حتى نفهمك كلامك كلمة سب عند اليهود ليا بالسنتهم عن الحق الى الباطل يقصدون
السب ويظهرون انهم ارادوا معنى الرعاية وطعنا في الدين قدحا في دينكم ولو انهم قالوا سمعنا و
اطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم واسد واعدل اريد بصيغة افعل الزيادة المطلقة و
لكن لعنهم الله بكفرهم طردهم لاجل كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعتد به سماه
ايمانا على زعمهم او القلة بمعنى العدم كقول ابي كثير قليل التشكي في مهم يصيبه او الاستثناء من ضمير

[الهامش: ... الاسناد لا الى الحدث عمار ... بانه قال ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الارض ونفخ وجه ونفعه واليه ذهب الامام احمد وهو الظاهر من مذهب البخاري منه]

الفاعل اي الا قليلا منهم آمنوا يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها الطمس محو الشيء وازالة اثره يقال ليل وامس وطريق طامس يتعدى ولا يتعدى والمعنى آمنوا قبل ان نمحو آثار الوجوه ونزيل محاسنها من العيون والحواجب وغيرها فنصيرها على هيأة الاقفاء مطموسة الفاء للسببية او للتعقيب فالتوعد بالامرين الطمس وتعكيس الحال بجعل الوجه قفاء وبالعكس والوجوه رؤساء القوم على عرف العرب اي من قبل ان نسلب وجاهتهم ونردهم الى حيث جاؤا الى بلاد الشام وقد اجلاهم عمر رضي الله عنه الى اذرعات وتيما او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت بان جعلناهم قردة وخنازير وهذا مترقب في اليهود سيقع فيهم المسخ وقيل كان مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن طايفة عن ابن جرير ان كعب الاحبار من اليهود لما سمع الآية اسلم مكانه وكان امر الله الذي اراده مفعولا واقعا لا محاله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ترغيب في الايمان بعد ما قدم عظيم جرايم اليهود والمشركين وقد دل صريحا على انه لا يغفر الشرك ويغفر ما دونه لمن يشاء وايده ساير الآيات والاحاديث المتواترة معنى فمن قيد الثاني بالتوبة فقد حرف الكلم والمراد من الشرك الكفر مطلقا لقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وايثار الشرك لانه حال المخاطبين من اليهود وعبدة الاوثان ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اي ما يوجب ذلك اشتقاقه من الغزي وهو القطع لانه اخترعه من عنده يطلق على القول والفعل والمراد به القدر المشترك الم تر الى الذين يزكون انفسهم هم اهل الكتاب قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وغير هذا من مختلقاتهم بل الله يزكي من يشاء بالتوفيق للطاعات والثناء عليه ولا يظلمون فتيلا اقل قليل والفتيل ما في شق النواة يضرب به المثل في القلة انظر نظر تعجب الخطاب عام كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم وتزكيتهم انفسهم وكفى به اثما مبينا لا يخفى على احد الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ذلك القول والزعم تعجيب من نوع آخر من اباطيل اليهود الجبت يطلق على كل باطل غير عربي لاجتماع الجيم والباء من غير حرف ذولقي والطاغوت راس كل ضلالة شيطانا كان او انسانا يطلق على المفرد والجمع اشتقاقه من الطغيان وهو التجاوز عن الحد ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وامثالهما جاؤا اهل مكة يحالفونهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون انتم اهل الكتاب واهل العلم نحن نسقي الحاج ونفك العاني ونحن خير ام محمد فقالوا انتم خير فنزلت اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا اذ لا انزد ارادته ولا يقاوم قدرته فان قلت النصر اخص من التناصر فلا يستلزم سلبه سلبه قلنا اراد ان الكامل في باب التضرع اذا لم يقدر على نصرهم فغيره ابعد بمراحل ام لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون الناس نقيرا ام منقطعة انكار لان يكون لهم ملك واشارة الى انهم احقاء بذلك بانهم لو نالوه لمنعوا الناس اقل قليل والنقير النقرة في ظهر النواة اضرب عن ذمهم بوصفهم انفسهم بالزكاء الى ذمهم بالبخل لان الاتصاف بالرذيلة ابلغ ذما من الخلو عن الفضيلة ولان كالدليل على ان لا زكاء والمعنى انكار الجمع بين الامرين فان ابناء الملك كان حريا بان يؤثروا منه جانبا فحب خولهم وقد عكسوا والمعنى لو كان لهم نصيب كامل من ملك الله لشحوا بادنى شيء كقوله لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم فالفاء في فاذن للسببية والجزائية لشرط محذوف على التقادير ويجوز ان تكون عاطفة والمنكر مجموع الامرين والتوبيخ اي فقد اوتوا نصيبا من الملك فانهم كانوا ذوي ثروة واموال جزيلة وشحوا باقل قليل واذن على هذا لزيادة الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله اضراب عن الاضراب تدرجا فان الحسد انكر واشنع لانه بخل واعتراض على الحكيم وعدم الرضا بما قسم والناس رسول

70

الله والفضل النبوة او هو والمؤمنون والفضل النصر المتواتر والمدد المتكاثر والعز المتظاهر يوما فيوما فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما الفاء فصيحة اي ان كان حسدهم رسول الله والمؤمنين على ما آتاهم الله من العز والنبوة والنصر فقد عرفوا ان اسلافه قد اوتوا مع النبوة ملكا عظيما مثل داود وسليمان فلا بدع في ان يخوله الله ما خول وهو افضل الرسل وعنه صلى الله عليه وسلم خيرني الله بين ان اكون نبيا ملكا وان اكون نبيا عبدا فاخترت ان اكون عبدا نبيا فانا آكل كما ياكل العبيد واجلس كما يجلس العبيد وقيل عابوه بكثرة النساء فاجيبوا بان في الانبياء من كان اكثر نساء فان داود كان له مائة امرأة وسليمان كان له ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه اي فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من اعرض عنه وانكره مع علمه او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابرهيم من آمن به ومنهم من اعرض وانكر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون وكفى بجهنم سعيرا نارا موقدة من سعرت النار اوقدتها ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كاينا من كان آل ابرهيم او غيرهم كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها مكانها جلودا اخر وازلنا فسادها وجعلناها جلودا صحيحة كما كانت روى ابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبدل جلودهم في الساعة الواحدة مائة وعشرين مرة وروى الامام احمد عن ابن عمر عن رسول الله ان ما بين شحمة اذن الكافر وعاتقه مسيرة سبعمائة عام وغلظ جلده سبعون ذراعا ليذوقوا العذاب على الدوام ان الله كان عزيزا غالبا على كل شيء حكيما فيما اعد من العذاب لمن كذب باياته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم عذاب الكفار لان الكلام مسوق لبيان شانهم وفي ايثار السين هنا وصريح ذكر الابد اشارة الى سبق رحمته غضبه لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ظلا وافيا ليس فيه شائبة حرور في مقابلة ظل الكفار ظل ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب ترمي بشرر كالقصر ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ارداف ما نعى به على اهل الكفار من الخيانة وتحريف الكلم بالامر باداء الامانة الخطاب للمؤمنين كافة والامانة تعم ما بين العبد وبين الله وما بين الله والعباد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة اراد ان يدخل البيت وكان في يد عثمان بن ابي طلحة الحجبي فطلبه منه فابى فقال علي رضي الله عنه اعط المفتاح رسول الله قال لو علمت انه رسول الله ما منعته فلوى علي يده واخذ منه المفتاح فلما دخل البيت ودخل معه بلال واسامة بن زيد صلى فيه ركعتين ودعا في نواحي البيت ثم خرج فطلب العباس منه المفتاح لتكون له السدانة والسقاية فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فلما جاءه علي بالمفتاح معتذرا قال اكرهت واذيت اولا ثم جئت معتذرا فقرأ عليه الآية وقال الآن نزلت في شانك فاسلم عثمان مكانه واستمرت السدانة في اولاده الى يومنا هذا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل قيل الخطاب للولاة لان الحكم شانهم والحق عمومه كالاول لما روى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الرجل راع في بيته ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ان الله نعما يعظكم به ما نكرة موصوفة اي نعم شيئا الذي يعظكم به او موصولة اي نعم الشيء قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين وابن كثير وورش وحفص بكسر النون والعين وابو عمرو وقالون وابو بكر بكسر النون واختلاس كسر العين الاول هو الاصل والثاني لاتباع النون العين والثالث لطلب الخفة لاجتماع الكسرتين وهو المختار ان الله كان سميعا عليما لاقوالكم في الاحكام بصيرا باحوالكم من الميل الى الحق والباطل يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم امر الرعايا باطاعة الولاة بعدما وصى الولاة بهم وطاعة الولاة طاعة الله ورسوله

لماروي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الطاعة في المعروف
ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والاية عامة في كل من بلي امرا من امور المسلمين فان تنازعتم في شيء فردوه
الي الله والرسول الى الكتاب والسنة ولا دليل فيه لمنكر القياس لان الرد الى الكتاب والسنة لا يكون
الا بجامع وهو القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر بالمبدء والمعاد آثران بعد ندائهم يوصف
الايمان اشارة الى ان التنازع ليس من اخلاق المؤمنين ذلك الرد خير واحسن تاويلا عاقبة المراد الزيادة
المطلقة اذ لا خير في عدم الرد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا
الي الطاغوت تعجيب ممن لم يرض بحكم الله ورسوله نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي
الي رسول الله ودعا المنافق الى كعب بن الاشرف فتحاكما الى رسول الله فحكم لليهودي فلم يرض المنافق ودعا
الي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله ولم يرض بقضائه فقال عمر اكذلك فقال
نعم فقال مكانكما حتى اخرج فدخل وخرج والسيف في يده فضرب عنق المنافق وقال هكذا اقضي لمن لم يرض حكم رسول
الله فنزلت وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق صيغة مبالغة
كالناموس والجاسوس والطاغوت كعب بن الاشرف اما لشدة طغيانه او على التشبيه بالشيطان استعارة
او الشيطان بان جعل التحاكم الى غير رسول الله تحاكما الى الشيطان وهذا اولي لقوله وقد امروا ان
يكفروا به اي بالشيطان ولقوله ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا اسند البعد الى الضلال مجازا
مبالغة في ضلال صاحبه واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله لكم من الكتاب والي الرسول والى حكمه
رايت المنافقين من رؤية البصر يصدون عنك صدودا يعرضون عنك الجملة في محل الحال يدل على انهم
كانوا مستمرين على الاعراض فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم بما اكتسبوا من الاثم بالاعراض
عن حكم الله تعالى تهويل للعذاب الذي سينزل بهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا اليك
بان لا نشغل بالك ولذلك تحاكمنا الى غيرك وتوفيقا بين الخصمين لا اعراضا عن حكمك ففرج عنا هذه
المصيبة بدعائك وقيل جاء اولياء بشير المنافق يطالبون عمر بدمه وقد اهدره الله فعلى هذا اذا لمجرد
الظرفية اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق ورسوخ العداوة فاعرض عنهم مجاملة لاظهار
الايمان وان لا يقال محمد يقتل اصحابه وعظهم كما هو داب الناصح الشفيق وقل لهم في انفسهم قولا بليغا مؤثرا
في انفسهم يغتمون به ويستشعرون منه الخوف بان يقول حالكم في النفاق معلوم وان بدا منكم شيء آخر
من المخالفة لم يبق الا السيف لكم وهذه المجاملة ليست الا لاظهاركم الايمان او قل لهم قولا بليغا
في الخلوات لان النصح في الخلوة انجع وادعى الى القبول او الجار متعلق ببليغا اي قل لهم في شان نفوسهم المأوفة
بداء الجهل ومرض النفاق بان يداووها بترياق الايمان وصفو الاخلاص فالبليغ في هذا الوجه من البلاغة
وفي الاولين من البلوغ بمعنى الوصول والتاثير وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته
او بارادته وتيسيره واذا انحصرت الفائدة في طاعته فمن ابى فقد نازع الله في احكامه فكان قتله عين
الصواب ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى غيرك وساير وجوه النفاق جاؤك مقرين بالذنب
فاستغفروا الله طلبوا مغفرته واستغفر لهم الرسول شفيعا عدل من الخطاب الى لفظ الرسول دلالة على
ان من كان في منصب الرسالة حقيق بان يكون شفيعا للمذنبين لوجدوا الله توابا رحيما فلا فعلهم توبتهم
منفصلا عليهم فلا وربك لا يؤمنون لا مزيدة للقسم كما في لا اقسم والفاء للدلالة على ان القسم مسبب عن
حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما التبس عليهم ومنه الشجرة لاختلاط اغصانها وفي لفظ التحكيم اشارة الى انه
يجب ان يكونوا هم الطالبين منك الحكم الساعين اليك ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيق صدر
وقلقا ويسلموا وينقادوا لحكمك تسليما انقيادا ظاهرا روي مسلم والبخاري انها نزلت في الزبير ورجل من

من الانصار اختصما في شراج من الحرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى
جارك فقال الانصاري لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله وقال اسق يا زبير حتى يرجع الماء الى الجدر
كان في الاول امر بما كان فيه رفق لصاحبه فلما احفظه استوفى للزبير حقه والقول بان خصم الزبير حاطب
بن ابي بلتعة سهو لان حاطبا حليف قريش ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم كما كتبنا على بني اسرائيل
او اخرجوا من دياركم تنزل الى الادنى ما فعلوه الا قليل منهم وقراء ابن عامر الا قليلا وهم الكمل او الا فعلا
قليلا كاينا منهم وفيه توبيخ شديد حيث جعلهم اقل انقيادا من بني اسرائيل وهم خير القرون من خير امة
وعن شريح بن عبيد لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن رواحة وقال هذا
من ذلك القليل ولو انهم فعلوا ما يوعظون به آثره على يؤمرون به اشارة الى ان اوامره من قبيل
الوعظ والنصح كالدواء المر من الطبيب لكان خيرا لهم عاجلا وآجلا واشد تثبيتا لدينهم او لما هم فيه
من المال والمنال واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما عطف على الجزاء وزيادة اذن للدلالة على ان هذا
الجزاء بعد ترتب السابق ويحتمل القسم اي اذن والله لآتيناهم كما في قول الحماسي اذن لقام بنصري
ولهديناهم صراطا مستقيما لا اعوجاج فيه اخره عن اعطاء الاجر لانه المقصود منه ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وحديث المنافقين واعراضهم
مستطرد روت عايشه وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم ان ناسا من اصحاب رسول الله شكوا اليه
شدة حبهم اياه وخوفهم من فراقه في الجنة فانه يرفع الى اعلى المنازل فنزلت من النبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين بيان للمنعم عليهم اربعة اقسام الانبياء الذين حازوا قصب السبق في مضمار
السعادة جمعوا بين الكمال والتكميل وهم الواسطة بين الله وبين عباده في العرفان والاتصال والصديقون
المبالغون في الصدق كابي بكر وعمر ومن نهج منهجهم رضي الله عنهم والشهداء الذين جادوا بارواحهم
في اعلاء كلمة الله اخلاصا والصالحون الذين صلحت احوالهم مع الله وعباده لا الذين عرفانهم بالله بامارات
واقناعات لعدم الاعتداد بها في العقايد لا سيما في معرفة الله تعالى وحسن اولئك رفيقا الرفيق كالصديق
يطلق على المفرد والجمع والظاهر انه جمع حال او تمييز ويجوز ان يكون تمييزا مفردا قصد به بيان الجنس
كالماء والعسل ذلك الفضل من الله مبتداء وخبر على ان الجار والمجرور من تتمة الخبر حال منه او الفضل وصف
والجار والمجرور هو الخبر اي ذلك الانعام تفضل منه تعالى وفيه حث على الدخول في زمرتهم وكفى بالله
عليما بمن هو اهل لذلك يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر الحذر كالاثر والاثر التيقظ والاحتراز
جعل ماخوذا على طريقة الاستعارة بالكناية بيان رتبة التشهيد مما تحث على المبادرة الي نيلها من
غير عدة واسباب فاشار الى ان القصد اعلاء كلمة الله واهلاك اعدائه وذلك بالاسباب والآلات
فانفروا ثبات جماعات كالسرايا جمع ثبة من تثبيت فلان اذا ذكرت مآثره او انفروا جميعا جيشا واحدا
وكوكبة مجتمعة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان لوقوع الخبر فاصلا والثانية
جواب القسم والقسمية خبر ان وبطاء بمعنى تبطاء والتشديد للتكثير او للتعدية اي يبطئ غيره
ويدعوه الى التقاعد هذا كان حال المنافقين كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد انخزل مع ثلثمائة فان
اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا بعد ذلك من نعم الله عليه ولئن اصابكم
فضل من الله ليقولن كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين القول ومفعوله وهو يا ليتني كنت
معهم ليشتمل على التهكم لان تشبيه حالهم بحال عديم المودة يشعر بثبوت المودة بينهم ومعلوم ان لا
مودة لان الكلام في بيان نفاقهم وجعله داخلا تحت المقول بان يقول المنافق لضعفة المسلمين كان لم يكن بينكم
وبين مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز بعيد عن المقام بل غير واقع جزما وقرء ابن كثير وحفص

يكن با لتانيث والتذكير احسن لوجود الفاصل فافوز فوزا عظيما عدوا ما ينالونه من سهم الغنيمة فوزا عظيما
لقصور نظرهم على حطام الدنيا فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة يشترونها ويختارونها
على الآخرة حث للمبطئين على التشمير والتحوق بالفائزين الفاء للتعقيب وحث للمؤمنين على القتال وان لا يبالوا
بالمنافقين والفاء جواب شرط مقدر والمعنى ان تبطأ هؤلاء المؤثرون للحيوة الدنية فليقاتل في اعلاء كلمة
الله الذين باعوا الحيوة الدنيا واشتروا بها الآخرة ومن يقاتل في سبيل الله كابينا من كان فيقتل
ويغلب قدم القتل مع ان قصد المقاتل الغلبة تشجيعا لنفور النفوس منه فسوف نؤتيه اجرا عظيما لا يحيط
به الا علام الغيوب وما لكم مبتداء وخبر اي اي صارف لكم لا تقاتلون في سبيل الله حال كونكم غير مقاتلين
في سبيل الله والمستضعفين وسبيل المستضعفين وهو استخلاصهم من ايدي المشركين او نصب على الاختصاص
لان سبيل الله يشمل ابواب البر كانه قيل واخص من ذلك خلاص هؤلاء الضعفة من الرجال والنساء والولدان
بيان للمستضعفين على وجه الترقي من الاقوي لانه اذا كان مستضعفا فالاضعف اولى وذكر الولدان
للدلالة على فرط ظلمهم حيث عذبوا الاطفال الذين هم محل الرافة والترحم وقيل الولدان العبيد والاماء
لاطلاق الوليد عليهما وتجمع على الولدان والوجه هو الاول لما روي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه كنت
انا وامي منهم الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها هي مكة شرفها الله وصفت
بوصف اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم فخرج من خرج
وفتح الله مكة على رسوله فجاءهم خير ولي وخير ناصر من غير كلفة ومشقة وليس الذي يستتبع القطر دايما
كمن جاء في داره وابل القطر فخرج بعد فتح مكة الى هوازن وهي غزوة حنين وولي عتاب بن اسيد واليا على
اهل مكة وكان سنه ثماني عشرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت اسيدا في الجنة
وكان مات مشركا فاولته بابنه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ترغيب للمؤمنين بان قتالهم في ازالة
الانجاس المشركين واماطة للاذي عن سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت في طريق الشيطان
الموصل الى النار فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا غايته الوسوسة والكذب كان
يوم بدر مع المشركين وقال لا غالب لكم اليوم من الناس فلما راي امداد الملايكة نكص على عقبيه و
قال اني اري ما لا ترون الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
كان المفروض بمكة من الاحكام الصلوة والزكوة بمعنى مواساة الفقراء والمساكين ومقاديرها بينت بالمدينة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مامورا بترك التعرض للكفار بقوله دع اذاهم واصبر ونظايرهما فجاء
عبد الرحمن بن عوف واناس من الصحابة يستاذنون في القتال فلم ياذن لهم فلما كتب عليهم القتال اذا
فريق منهم يخشون الناس كخشية الله كاهل خشية الله حال كونهم متشبهين بهم او اشد خشية عطف
على الحال والمعنى يخشون الناس حال كونهم اشد خشية الله فالتفاضل بين خشيتي الفريقين ولا يجوز
ان يكون اشد صفة مصدر محذوف لان الخشية الموصوفة باشد يلزم ان يكون اقوي من ساير الخشيات
في الخشية ولا يستقيم الاعلى طريقة جد جده وقد تقدم مستوفي في اشد قسوة في البقرة وقالوا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب زيادة تقبيح حيث لم يكتفوا بما في ضميرهم من الخوف بل اظهروا الضجر
قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فلم تطلبون الاقامة على ذلك القليل ولا تظلمون فتيلا
ادني شيء من ثوابكم وقراء ابن كثير وحمزة والكسائي بياء الغيبة والخطاب على الالتفات ابلغ في التسلية
اينما تكونوا يدرككم الموت في اي مكان كنتم ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور مرتفعة حصينة وعن السدي
في بروج السماء واذا كان الموت امرا محتوما وقدرا مقدورا فلا وجه لطلب تاخير القتال فلا الاقدام
في القتال يدنيه ولا الاحجام يقصيه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا

هذه من عندك الضمير للمبطئين وما في البين مستطرد لترغيب المؤمنين وقيل نزلت في اليهود قالوا منذ قدم
محمد غلت الاسعار ونقصت الثمار والحسنة تطلق على الطاعة والنعمة وكذا السيئة على الاثم والبلية
والمراد بهما الخصب والقحط بقرينة الاصابة والحسنة كثيرة الوقوع وكان الظاهر اذا وانما اثر للدلالة
على انهم احقاء بان يتواتر عليهم النعم قل كل من عند الله بيده القبض والبسط فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا شيئا من الحديث او حديثا كاملا في البيان والبلاغة وهو القرآن احسن الحديث
الناطق بان الامر كله اليه ولا واسطة في استجلابه وان كان من عند الله ايجادا وخلقا والخطاب عام
والاحسن ان يكون الخطاب لرسول الله دلالة على ان مع نزاهته عن الشوايب وقربه من الله اذا كان كذلك
فالغير اولى وعن بعض العارفين اذا عصيت الله اعلم من خلق دابتي وارسلناك للناس رسولا الجار يتعلق
برسولا اي للناس كافة فلا ينبغي ان يخرج احد من طاعتك وفيه اشارة الى تعكيسهم حيث تشاءموا
بالرحمة المرسلة وجالب خير الدارين وكفى بالله شهيدا على رسالتك بان ايدك بمعجزات ظاهرة وآيات
باهرة دالة على صدق دعواك من يطع الرسول فقد اطاع الله بالغ في الحث على اتباعه بجعل طاعته
طاعته ثم هدد بقوله ومن تولي فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا ضابطا لاحوالهم ما ارسلناك الا مبشرا
ونذيرا ويقولون طاعة امرنا او شاننا طاعتك فاذا برزوا من عندك ظهروا بيت طايفة منهم غير
الذي يقول وبرا مرا آخر من بيت الامر اذا دبره بالليل لانه تجمع الآراء والحواس فالفكر فيه اصوب
وادغم التاء في الطاء ابو عمرو وحمزة لقرب المخرج والله يكتب ما يبيتون علام الغيوب اذا كتب
شيئا دل على كمال اعتنائه بمجازاة فاعله والاسناد مجاز لانه الآمر وما موصولة والمصدرية ابلغ
فاعرض عنهم وتوكل على الله فوض امرك اليه وكفى بالله وكيلا موكولا اليه ولا ينافي هذا لبس آلات
الحرب وساير مكايد القتال لانها اسباب دافعة لوساوس الشيطان افلا يتدبرون القرآن فيستدلون
به على رسالتك لانه كلام فوق طوق البشر صادر عن امي لم يتعاط كتابة وقريظا وخطبا والتدبر
النظر في دبر الشيء وعواقبه والفكر النظر في مقدماته وسوابقه ثم استعمل في كل تامل ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لفظا بان يوجد فيه موضع طعن يدركه ارباب البلاغة
ولم يقع انه نزل منجما بين اقوام حراص على القدح فيه ومعنى بان يوجد فيه نقل مخالف لما في زبر
الاولين مع احتوائه على احوال المبداء والمعاد واحكام الشرايع اصولا وفروعا وما قيل لو كان من
عند غير الله لكان مختلفا بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه بناء على الفرض اي لو فرض وقوع معجز
فيه لكان في البعض خاصة او يكون ماخوذا من كلام الله على طريق الاقتباس ونحوه واذا جاءهم امر
من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم عطف على ويقولون طاعة
وقوله افلا يتدبرون القرآن اعتراض تحذيرا عن اضمار ما يخالف الظاهر وان في تدبر القرآن ما يجر
الى طاعة المنزل عليه وضميرهم لبعض ضعفة المؤمنين لان ضمير يقولون يعم المبيت وغيره وكان هؤلاء
اذا بلغهم من سرايا رسول الله امر يسر او يحزن بادروا الى اذاعته واشهاره فيقع بذلك مفاسد
ولو لقوا ذلك الخبر بعد سماعه الى رسول الله وذوي التجارب لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي
يستخرجون تدبيره بافكارهم التاقبة من استنبط الماء اذا اخرجه من البير بكدح ومشقة وقيل كانوا
اذا وقفوا على امر من الامن او الخوف من رسول الله واطلعوا عليه من جهته اذاعوه وكان في ذلك
مفاسد ولو سكتوا عنه كانهم لم يسمعوا لعلمه المستنبطون كيفية تدبيره ولما اشاعوا ان رسول الله
طلق نسوانه ساله عمر هل طلقت نساءك قال لا قال عمر انا من الذين يستنبطونه وقيل كانوا يسمعون
امرا من الامن او الخوف من افواه المنافقين وردوه الى الرسول والى اولي الامر عدم اذاعته الى ان يسمعوا

منهم فالمستنبطون هم المذيعون لاستعلامهم الخبر من الرسول واولي الامر فمن على هذا ابتدائية وعلى الاولين
بيانية تجريدية او تبعيضية ولولا فضل الله عليكم ورحمته ايها المؤمنون بارسال الرسول لاتبعتم الشيطان
الا قليلا منكم يوفقه الله بعلم من لدنه كزيد بن نفيل موحد الجاهلية لم يسجد لصنم ولم ياكل ذبيحة المشركين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناء عليه يحشر يوم القيمة امة وحده والتمثيل بورقة
بن نوفل سهو لانه ادرك رسول الله وآمن به واخبره بانهم يخرجونه من مكة ويعادونه وتمنى ان يدرك
ذلك اليوم رواه البخاري او المعنى ولولا فضل الله عليكم ايها الرسول والمؤمنون لاتبعتم الشيطان
بالاصغاء الى المبطئين في ترك القتال الا قليلا هو الرسول والمستنبطون وهذا انسب بالمقام وفيه
احماد حال الاقوياء وتحريك حمية الضعفاء واذا وفقت ايها الرسول هذا التوفيق من تجنب اتباع
الشيطان والتثبت هذا الفضل فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك وحرض المؤمنين
على القتال بما اعد الله من الاجر لمن يقاتل في سبيله عسى الله ان يكف باس الذين كفروا من قريش
وقد فعل فان ابا سفيان واعد رسول الله يوم احد ان يلقاه في القابل ببدر فالقى الله الرعب في
قلبه فلم يجسر على المجيء والله اشد باسا من كل ذي باس واشد تنكيلا تعذيبا كاللازم للاول من يشفع
شفاعة حسنة يكن له نصيب منها من اجرها الشفاعة من الشفع لان الشافع يضم نفسه الى ذي الحاجة
والحسنة ما كانت لدفع مفسدة دينية او جلب مصلحة كذلك ومن يشفع شفاعة سيئة ما يجلب وزرا
يكن له كفل منها من وزرها والكفل المثل من الكفالة وهي القيام بمثل ما على الغريم آثم لان جزاء
السيئة سيئة مثلها بخلاف الحسنة فان الاجر فيها مضاعف وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات
على الشيء اقتدر قال زبير بن عبد المطلب وكنت على اساءته مقيتا اشتقاقه من القوت لانه يمسك
النفس ويحفظها واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها اردف الشفاعة التي هي من حقوق المسلمين
ماهو افضل منها وهو السلام روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الاسلام افضل
قال ان تطعم الطعام وتقرا السلام على من عرفت ومن لم تعرف وروى ابن جرير ان سلمان الفارسي قال
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله ثم جاء
آخر فقال السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم جاء آخر فقال السلام عليك
ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الرجل يا رسول الله زدت فلانا
فقال انك لم تدع شيئا وقال الله تعالى او ردوها فرددناها عليك ابتداء السلام سنة وردها
فرض وهذا مما يستظرف يقال سنة افضل من الفرض وله مواضع يستثنى فيها تركه كالخلاء والحمام والصلوة
فان سلم لا يستحق الجواب ومن دابه ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب
الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر وابتداؤه من واحد كاف وكذا الرد ان الله كان على
كل شيء حسيبا محاسبا مجازيا عليه حث على محافظته فانه مما يتساهل فيه الله لا اله الا هو مبتدا
وخبرا ولا آله الا هو اعتراض يؤكد معنى الالوهية والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة واللام جواب قسم
محذوف تعليل لما قبله وعدي بالى لتضمين معنى الحشر لا ريب فيه اي في يوم القيمة حال من اليوم او في
الجمع صفة مصدر ومن اصدق من الله حديثا اي لا احد لان الكذب للضرورة والجهل بقبحه وعلام الغيوب
والغنى المطلق محال في حقه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقرا حمزة والكسائي باشمام الصاد زايا لان
الصاد مهموس والدال مجهور فقرب بينهما بحصة من الزاء فما لكم في المنافقين فئتين نصب على الحال كقولك
ما لك قائما اي اي شيء ظهر لكم من امارات الايمان حتى افترقتم في شانهم روى الامام احمد عن زيد بن ثابت
انها نزلت في الذين انخزلوا يوم احد ثلثمائة رجل وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوم تكلموا بالاسلام

بمكة وخرجوا مظاهرين للمشركين وقيل في قوم هاجروا ثم استاذنوا رسول الله في البدو ولا جتواء
المدينة فلحقوا بالمشركين وقيل في العرنيين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا سرحه
ولا يكاد يصح لانهم قتلوا في ذلك اليوم شر قتل قطعت ايديهم وارجلهم وسمرت اعينهم والقوا
في الحرة حتى ماتوا عطشا والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى الكفر بما كسبوا من اسبابه من الركس وهو رد
الشيء مقلوبا الجملة حالية تؤكد معنى الانكار ولذلك امدح بقوله اتريدون ان تهدوا من اضل
الله جعل ترددهم في ايمانهم بعد ظهور نفاقهم بمثابة الارادة لما اراد الله ضده ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا الخطاب لرسول الله لانه ارسل رحمة للعالمين فاذا لم يقدر هو فغيره بمراحل ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء في الكفر والشقاء استيناف لبيان بعد حالهم عن الاهتداء فلا تتخذوا منهم اولياء
حتى يهاجروا في سبيل الله لا تتولوهم حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة خالصة في الجهاد معكم او من مكة فان
تولوا اعرضوا عن ذلك الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم اذ لا فرق بينهم
وبين ساير المشركين ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا لينقطع الحبل بينكم من كل وجه زيادة على ساير الكفار
لانهم اخبث الكفرة ولذلك بالغ بتكرير النهي وتنكير المفعول وتكرير لا الا الذين يصلون الى قوم
بينكم وبينهم استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم لا من لا تتخذوا منهم وليا لان اتخاذ الولي حرام بلا
استثناء بخلاف القتل والقوم هم الاسلميون سيدهم هلال بن عويمر كان بينه وبين رسول الله عهد سنة
الفتح ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل اليه ولجا اليه فله الجوار وقيل هم بنو بكر بن مناة او جاؤكم
حصرت صدورهم قد حصرت في محل الحال والعطف على الصلة اي والذين كفوا عن قتالكم دلالة على ان
المكافة عن القتال احد سببي عدم التعرض كالاتصال بالمعاهدين ويجوز عطفه على الصفة والمعنى
والذين يصلون الى قوم حصرت صدورهم فان المتصل بمن كف حكمه حكمه والاول اوجه لان المتصل
بالكاف كاف فلا وجه للحاقه به بخلاف المتصل بالمعاهد ولان قوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم تقرير
للكف لا الاتصال ولان هؤلاء بنو مدلج سيدهم سراقة بن مالك جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسال ان يوادع قومه فان اسلم قريش اسلموا فبعث معه خالد بن الوليد فصالحهم على ان لا يعينوا رسول
الله ولا يعينوا عليه وان اسلمت قريش اسلموا ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم لان كراهة قتال الفريقين علة
لحصر الصدور ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان يقوي قلوبهم على قتالكم فلقاتلوكم فيه امتنان وتوكيد
للكف عنهم بعد كفهم ولذلك امدح بقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم بعد ذلك الاعتزال والقوا اليكم
السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا للتعرض بوجه ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم
هؤلاء منافقوا الاعراب حول المدينة غطفان وبنو عبد الدار وبنو اسد كانوا اذا قدموا المدينة اظهروا
الايمان واذا رجعوا الى قومهم كفروا كلما ردوا الى الفتنة كلما دعوا الى الشرك او قتال المسلمين اركسوا
فيها قلبوا فيها شر قلب لان الواقع في الحفرة منكوسا شر من الواقع سويا فان لم يعتزلوكم في جانب ويلقوا
اليكم السلم الانقياد ظاهرا اشارة الى عدم ايمانهم باطنا ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم في اي مكان تمكنتم منهم ابلغ من قوله حيث وجدتموهم لان الثقافة في الاصل
الخفة والحذق واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة لانكشاف حالهم وعظم جرمهم وما
كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا ما كان من شيم المؤمن واخلاقه قتل اخيه المؤمن في شيء
من الاحوال ولعله من العلل او قتلا بوجه الا في حال الخطا او للخطا ولا يلزم منه جواز القتل
خطا شرعا نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل لامه قتل الحرث بن يزيد العامري خطا وذلك
ان عياشا اسلم قبل الهجرة وهاجر الى المدينة فحلفت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى

يرجع فخرج ابوجهل ومعه الحرث فوجدوه في اطم فقال له ابوجهل اليس محمد يامر بصلة الارحام صل امك
وانت على دينك فلم يزل به حتى انزله فلما فسحا به عن المدينة كتفاه وضربه كل منهما مائة جلدة فقال ل
هذا اخي فمن انت ياحارث لله علي ان تمكنت منك ان اقتلك فقدم على امه فحلفت ان لا تحل كتافه حتى
يكفر فارتد ثم هاجر ثانيا وهاجر بعده الحارث فلقيه عياش بقباء ولم يدر باسلامه فقتله والقتل الخطا
ان لا يقصد الفعل او الشخص ويقصد بما لا يزهق غالبا او يقصد ولا يكون مكلفا ومن قتل مؤمنا خطا
فتحرير رقبة مؤمنة فعليه او واجبه اعتاق نفس مؤمنه وعن ابن عباس رضي الله عنه لا تصح الا
اذا صلت وصامت والتحرير جعل الشيء حرا وهو في الاصل الكريم الخالص من العيب واطلاق الرقبه
من اطلاق الجزء الذي لا يوجد الكل بدونه عليه آثر لانه محل الزينه في الانسان كقوله المؤذنون اطول
اعناقا يوم القيمه ودية مسلمه الى اهله الى ورثته فان الدية ميراث لما روي الضحاك بن سفيان
الكلابي كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اورث امراة اشيم الضبابي من دية زوجها
وهذه الدية على العاقلة بخمسه لما روي البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله قضى
بها على العاقلة فان لم توجد عاقلة فعلى بيت المال لما روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنه لما قتل خالد بن الوليد بني جذيمة خطا بعث رسول الله عليا فوداهم وكذا اذا لم يكن للميت وارث
فالدية لبيت المال الا ان يصدقوا اي الا ان يعفوا اهل الميت عن الدية عبر عنه بالصدقة حثا عليه
ولان كل معروف صدقة والاستثناء من اعم الاحوال فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة
مؤمنة اي ان كان المقتول مؤمنا واهله كفرة محاربون ولا وراثة بين المؤمن والكافر فالواجب
التحرير لانه حق الله لا لسقط اتلف نفسا فعليه احياء اخرى لان الرق موت معنى والعتق في الاصل
مصدر اطلق على الجمع وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة
مؤمنة اي وان كان المقتول من اهل الذمة او من قوم معاهدين فالحكم في الدية والتحرير حكم المسلم
في اصل الوجوب لا في الكمية فان دية الذمي والمعاهد ثلث دية المسلم وقدم الدية هنا والتحرير
في المسلم لان اهل الذمة ضعفة ربما يطمع فيهم والتحرير حق الله لا طالب له ربما يتساهل فيه وحمل
الشافعي الرقبة المطلقة في ساير الكفارات على المؤمنة هنا على اصله من حمل المطلق على المقيد مطلقا
فمن لم يجد الرقبة بان لم يجدها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين قيدا للتتابع تغليظ
عليه فان افطر فعليه الاستيناف توبة من الله مفعول له لمقدر اي شرع ذلك وكان الله عليما
باحوال عباده حكيما في شرع الاحكام على الوجه المذكور لم يوجب القصاص على الجاني خطا ولم يهمل
شان المقتول راسا وشرع الدية والتحرير رعاية لحق الله وحق العباد ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما اي جزاؤه ذلك واللايق به
الا ان الله يغفر ما دون الشرك لمن شاء ومحمول على الاستحلال توفيقا بين الادلة وعلى هذا
اجماع الصحابة وروي عن ابن عباس رضي الله عنه خلافه روي الترمذي والنسائي وابن ماجه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزوال الدنيا اهون على الله من قتل مسلم وروي الترمذي عن ابي
هريره وابي سعيد رضي الله عنهما لو ان اهل الدنيا اشتركوا في دم مسلم لاكبهم الله في النار وروي
ايضا عن ابن عباس رضي الله عنه ان المقتول ياتي يوم القيمة واوداجه تشخب وما يقول يارب سل
هذا لم قتلني فيدنيه الله حتى يدنيه من العرش يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا
بالغوا في الكشف والاحتياط حتى لا تقعوا في محرم وقرا حمزة والكسائي هنا والثاني فتثبتوا بالثاء
من الثبات عدم العجلة في قتل من ترونه في دار الحرب ربما كان اسيرا مسلما ولا تقبلوا قول مخبر ولا تقولوا

لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا روي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه كان رجل في غنم له فلحقه
المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه واخذوا غنمه فنزلت وقرا نافع وابن عامر وحمزة بقصر السلام
بمعنى الانقياد والطاعة وهو المختار لانه مناط حقن الدم وعليه الرسم تبتغون عرض الحيوة
الدنيا لا اعلاء كلمة الله فعند الله مغانم كثيرة له خزاين السموات والارض اطلبوا الرزق من وجه آخر
كذلك كنتم من قبل غير مشتهرين بالايمان ثابتي القدم فيه فمن الله عليكم بالثبات والرسوخ فيه فتبينوا
كرره تاكيدا روي البخاري ومسلم ان سرية اغارت على فدك فراوا رجلا في غنمه فشد عليه
اسامة بالسيف فقال لا اله الا الله فلم يرجع عنه فقتله فاخبر بذلك رسول الله فشق عليه وقال
كيف بك اذا جاء يوم القيمه ولا اله الا الله معه قال انما قال خوفا من السيف فقال هلا
شققت قلبه قال اسامة مازال يكررها حتى تمنيت ان لو اسلمت ذلك اليوم ان الله كان بما تعملون
خبيرا عالما بضمايركم لا يستوى القاعدون من المؤمنين الامر بالتثبت يوقع في الوهم التقاعد
عن الجهاد فحث على المبادرة اليه والجار والمجرور في محل الحال غير اولى الضرر ذوي العاهات
من العمى والمرض والعرج وغيرها روي البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم املى علي لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وفخذه على
فخذي فجاء ابن ام مكتوم وهو يمليها فقال لو استطيع لجاهدت فثقلت فخذه على فخذي حتى خشيت
ان يرض فخذي ثم سري عنه فقال اكتب غير اولى الضرر قال زيد كاني انظر الى ملحقها عند
صدع الكتف وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة غير اولى بالرفع على الوصف لان القاعدون لا توقيت
فيه والاخبار بعدم التساوي مع كونه معلوما باوايل العقول لاذكار ما بينهما من التفاوت
هز العطف الكسامع ليانف عن التقاعد مثله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والمجاهدون
في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي في اعلاء كلمته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على
القاعدين درجة استيناف لبيان عدم التساوي وانتصاب درجه بنزع الخافض وعلى المصدر
وكلا وعد الله الحسنى كلا من المجاهد والقاعد المنزلة الحسنة وفضل الله المجاهدين على القاعدين
اجرا عظيما نصب على المصدر لتضمن فضل معنى اجر درجات منه ومغفرة ورحمة بدل من اجرا
او نصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا كانه قيل فضلهم تفضيلا ونصب مغفرة
ورحمة باضمار فعلهما وانما كرر جزاء المجاهدين اعتناء لكون الجهاد سنام الدين وافرد الدرجة
اولا وجمعه ثانيا اشارة الى ان التنكير للتعظيم فهي في المعنى درجات والاولى درجتهم عند الله
والثانيه مراتبهم في الجنه او الدرجة في الدنيا من الغنيمة والذكر الجميل والدرجات في الاخرة
ولذلك اردفه بالمغفرة والرحمة او الدرجه لمن جاهد بالمال والنفس والدرجات لمن ربط سره
على الله او الدرجه للجهاد الاصغر والدرجات للاكبر وهو جهاد النفس على ما روي عنه انه
قال في انصرافه من تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وما قيل ان المفضلين درجه
هم المفضلون على القاعدين اولى الضرر والمفضلون درجات المفضلون على من تخلف من غير
ضرر اكتفاء بغيرهم لان الجهاد فرض كفاية ففيه ان اولى الضرر لا ينقص اجرهم دل عليه
الاستثناء كما اذا قلت لا تساوي بين زيد وعمرو في العطاء الا اذا كان عمرو فقيرا ولما روي
البخاري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينه اقواما ما سرتم
مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر وكان الله
غفورا لما فرط منهم رحيما ولذلك اجزل لهم الاجر ان الذين توفاهم الملايكه يحتمل الماضي

والمضارع هؤلاء قوم اقاموا بين المشركين حيث كانت الهجرة واجبة ظالمي انفسهم بعد الهجرة قالوا فيم
كنتم اي قال الملايكه في اي شان كنتم حيث لم تهاجروا توبيخا لهم قالوا كنا مستضعفين في الارض
ارض مكة قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها كما هاجر اقرانكم فاولئك ماويهم جهنم
دل على انهم كاذبون في الاعتذار عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في طايفة منهم قتلوا يوم بدر
خرجوا مع المشركين وساءت مصيرا اي جهنم الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا
يستطيعون حيلة من الزاد والراحلة ولا يهتدون سبيلا لا معرفة لهم بالطريق ولا يظفرون بالرفيق
صفة المستضعفين مع ما عطف عليه لعدم التوقيت فيه وانما ادخل الولدان في حكم الرجال والنساء مع
انهم لا يستحقون الوعيد وان استطاعوا لعدم التكليف مبالغة في شان الهجرة وايهاما بان غير
المكلف لو استطاع لوجب عليه وايماء الى بعد البلوغ لا محيص عنها فاولئك عسى الله ان يعفو
عنهم دل بذكر عسى والعفو على التضييق في ترك الهجرة بان من لم يجب عليه يجب ان يعد تركها
ذنبا يحتاج الى العفو المرجو وكان الله عفوا من المضطر غفورا ستارا للزلات ومن يهاجر
في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة اي طريقا واسعا واتساعا في الرزق ترغيب في
الهجرة قال النابغه كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب او طريقا يراغم بسلوكه قومه
اي يفارقهم على رغم منهم يقال راغم فلان قومه اذا نابذهم مغاضبة من الرغام بالفتح وهو
التراب ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت نزلت في حكم بن حزام الاسدي
وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في ضمرة بن جندب لما سمع قوله تعالى لا يستطيعون حيلة فقال
لاولاده احملوني على السرير وكان شيخا كبيرا لا يستمسك على الراحلة فلما بلغ التنعيم ادركه
الموت فضرب بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لرسولك وهذه لك ابايعك على ما بايعك
عليه رسولك فقد وقع اجره على الله في ايثار قد ولفظ الوقوع وعلى الدالين على اللزوم وابهام
الاجر والتعبير عنه بالاجر دون الثواب والاسم الجامع شان المبالغة ليس بالخفي وكان الله غفورا
لما فرط منه رحيما حيث جعل قاصدا لفعل كفاعله واذا ضربتم في الارض سافرتم فيها لطلب الرزق
ثم اتسع فيه فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة الرباعيه باسقاط ركعتين ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا خارج مخرج الغالب اذ كانت اسفارهم غزوات وسرايا ولما روى مسلم عن يعلي بن امية
سالت عن عمر بن الخطاب ما لنا نقصر وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت
منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته وروى
الترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينه
لا يخاف الا رب العالمين يصلي ركعتين الى مكة استدل الشافعي رحمه الله بقوله لا جناح
عليكم على جواز الاتمام وبما روى البخاري عن عايشه رضي الله عنها ان رسول الله عليه وسلم قصروا
ثم كل ذلك فعل وشرط ان يكون سفرا مباحا لقوله في المضطر غير متجانف لاثم فاذا شرط جواز اكل
الميتة لابقاء المهجة بعدم العصيان فالقصر اولى بذلك واستدل ابو حنيفة رحمه الله على اطلاق السفر
باطلاق الآية وعلى كون القصر عزيمة بما روى البخاري ومسلم عن عايشة رضي الله عنها فرضت الصلوة
ركعتين ركعتين فاقرت صلوة السفر لما هاجر رسول الله وزيد في صلوة الحضر وبهذا يسقط ما قيل
ان القصر في الاحوال كالايماء والتخفيف دون الكم ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا علة للتخفيف
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من لم يجوز صلوة الخوف بعده والصواب خلافه
لانه اذا جازت مع وجوده فبدونه اولى فلتقم طايفه منهم معك مصلين معك وليأخذوا اسلحتهم

75

اي المصلون امر ندب وقيل امر وجوب فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم اي الساجدون للحراسة ولتأت
طايفه اخرى لم يصلوا فليصلوا معك استدل به مالك على ان الطايفه تتم صلوتها ثم تذهب الى وجه
العدو والكل صواب لانه صلى بعسفان وبذات الرقاع وببطن النخل مختلفا وقد روي عنه الامام احمد
ست طرق في كيفيتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر مأخوذ التنزيلة منزلة الآلة وانما ضم
اخذه الى الاسلحة هنا دون الاول لان حال الصلوة وقت انتهاز الفرصة فامروا بكمال التحفظ ود
الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة استيناف تعليلا للامر
بالتحفظ ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم دفعا للاذى ورفع
الجناح ربما يؤيد ان الامر الاول للوجوب وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا
مهينا تقوية لقلوبهم واشارة الى ان الامر باخذ الحذر والاسلحة لكونهما نوعا من العبادة والاعتصام
انما هو بعصمة الله تعالى فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اذا اردتم
اداءها استدل به الشافعي رحمه الله على وجوب الاداء حال المسايفة والمقارعة وحمل قوله فاذا
اطمأننتم فاقيموا الصلوة على حالة الامن اي ادوها معدلة الاركان وايثار الفاء دون ثم لعدم التراخي
بين الخوف والامن والمعنى عند ابي حنيفه رحمه الله اذا صليتم صلوة الخوف فداوموا على ذكر الله في
الاحوال كلها كقوله يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقوله اذا اطمأننتم
عطف على واذا ضربتم في الارض وذكر صلوة الخوف مستطرد لتقدم ذكر الخوف في صلوة السفر ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا مكتوبة مقيدة بوقت لا يجوز تاخيرها عنه كساير الموقتات يؤيد ما ذهب
اليه الشافعي من وجوب الاداء حال المسايفة وقيل موقوتا مفروضا لان الوقت من لوازمه اما مضيقا او
موسعا ولا دلالة فيه على ان الكفار غير مكلفين بالفروع بل هو كقوله هدى للمتقين ولا تهنوا في ابتغاء
القوم بعد التخفيف عنهم اشد تخفيف حثهم على النهوض ببرهان جلي ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما
تالمون وترجون من الله ما لا يرجون اي اذا ساويتم اياهم في الالم ولكم رجاء النصر عاجلا والثواب اجلا
فالواجب عليكم المبادرة لظهور الترجيح نزلت في بدر الصغرى تثاقل بعضهم عن الخروج لما كان بهم من
الجراح والوهن وكان الله عليما باحوالكم حكيما في كل ما دبر وامر انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس بما اراك الله كان الكلام في شان المنافقين وتخلفهم عن الجهاد فوقع الكلام في احكام
السفر استطرادا ثم عاد الى استيفاء احوالهم روى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في طعمه
بن الابيرق احد بني ظفر سرق درعا وجرابا فيه دقيق من قتادة بن النعمان واودعه زيد بن السمين اليهودي
وكان قد انتثر الدقيق من الجراب في الطريق فلما اصبحوا تتبعوا الدقيق فوجدوا الدرع عند اليهودي
اودعنيه طعمه فانكر طعمة فاحتكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبادر اخوة طعمة بشر ومبشر وبشير و
قالوا يا رسول الله ان لم تجادل لنا نفتضح مع اليهود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة اعتنائه
بشان المؤمنين احب ان يظهر الحق لطعمه دون اليهودي لا انه هم بالجدال باطلا مبرأ عن ذلك وكفى شاهدا
قوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم هو الميل اليسير فضلا عن وقوع الميل والنهي عن الشيء لا
يستلزم سبق وجوده فان قلت فما وجه قوله واستغفر الله مقرونا بلا تجادل فان قلت كونه يود ظهور
الحق لاحد الخصمين دون الآخر مع استوائه نسبة الكل اليه وعلو شانه واعتلائه غارب التقوى يعد
منه امرا موجبا للاستغفار الا يرى الى قوله انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة
ولا تكن للخاينين خصيما عطف على مقدر اي تمسك بما امرت ولا تكن واستغفر الله عن ذلك الخاطر ان
الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم كاينا من كان ان الله لا يحب من كان

خوانا اثيما كثير الخيانة مؤمنا كان او كافرا وايثار صيغة المبالغة لان الله كريم لا يواخذ على القليل
وفيه اشارة الى كثرة خيانة طعمة جيء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسارق فامر بقطع يده فقالت
امه اعف عنه يا امير المؤمنين فانها اول سرقة سرقها فقال كذبت ان الله لا يواخذ اول مرة روي
ان طعمة هرب الى مكة مرتدا فدخل حائطا ليسرق فوقع عليه الحائط فمات تحت الهدم عليه لعنة الله
يستخفون من الناس ولذلك يامرونك بالجدال بالملا ولا يستخفون من الله وهو اجدر بالحياء وهو
معهم عالم بحالهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول من رمي البريء بالخيانة وتبرئة الخائن التبييت
التدبير بالليل لان الوقت فيه اخلى والرأي اصفى وكان الله بما يعملون محيطا لا يخفى عليه منه
شيء ها انتم هؤلاء الهاء للتنبيه وانتم اولاء مبتدأ وخبر اي انتم الموصوفون بالوصف العجيب ثم بينه
بقوله جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فرضا وتقديرا وقيل الخطاب لقوم طعمة ويرده قوله فمن
يجادل الله عنهم اي عن طعمة وقومه يوم القيمة اذا حل بهما العذاب ام من يكون عليهم وكيلا
حفيظا ومحاميا ومن يعمل سوءا ذنبا يسوء به غيره او يظلم نفسه بذنب بينه وبين الله وقيل هو الشرك
لقوله ان الشرك لظلم عظيم ثم يستغفر الله يجد الله غفورا لذنبه فان قلت حق العبد لا يسقط
بالاستغفار قلت المراد من الاستغفار التوبة بشرائطها ومنها استحلال حق الغير او اداؤه وايضا لا يلزم
اداء حق الغير من ماله او عمله بل اما ان يؤديه من خزاين كرمه ان قبل توبته ورضي عنه دلت
عليه الاحاديث الصحيحة دلالة ظاهرة رحيما متفضلا بتبديل سيئاته حسنات ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه لا يتعداه وباله وكان الله عليما باحوال العباد حكيما لا يؤاخذ احدا بذنب
غيره ومن يكسب خطيئة صغيرة اسم للخطأ بكسر الخاء او اثما كبيرة ثم يرم به بما كسب وبالاثم او باحد
الامرين بريئا عنه فقد احتمل بهتانا عظيما ذنبا بهت به واثما مبينا ذنبا واضحا ولولا فضل الله عليك
ورحمته بالعصمة لهمت طائفة منهم ان يضلوك لاثرهمهم في اضلالك وما يضلون الا انفسهم
لان وباله عائد اليهم وما يضرونك من شيء اقل قليل لان الله يعصمك من الناس وانزل الله
عليك الكتاب القرآن والحكمة علم الشرايع امتنانا عليه واشارة الى انه بعيد عما راموه من الاضلال
وعلمك ما لم تكن ما لا يمكنك علمه بالكسب والنظر كاحوال المعاد وساير المغيبات التي اخبر بها وكان فضل
الله عليك عظيما اذ لا فضيلة فوق المعرفة وقد خصك بالحظ الاوفى وقد آتيناك من لدنا علما
قال رأيت ربي في احسن صورة فقال لي فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا اعلم فوضع كفه بين كتفي
فعلمت ما بين السماء والارض فقلت يختصم في الكفارات والحدود لا خير في كثير من نجويهم مما يسرون به
تقبيح لما تساروا به وبيتوه في اضلاله بالمجادلة الا من امر بصدقة الا نجوى من امر بصدقة ففي نجواه
خير ومعروف امر بمعروف لما روي البخاري الامر بالمعروف صدقة او اصلاح بين الناس فيما اختلفوا
وتنازعوا فيه روي الترمذي عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بافضل
من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وعنه ليس الكذاب من يصلح
بين الناس فينمي خيرا ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله مخلصا فسوف نؤتيه اجرا عظيما ذكر
الامر اولا ورتب الاجر على الفاعل اما لان الامر كناية عن الفاعل لان الغرض هو الفعل او ومن يفعل
كناية عن الامر لوقوع الفعل على كل عمل وقرأ ابو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء والنون ابلغ ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى طريق الصواب المشاقة المخالفة لان كلا منهما في شق غير
شق الآخر ويتبع غير سبيل المؤمنين ما هم عليه من الدين يشمل الاصول والفروع نوله ما تولى نكله
الى ما اختاره من الضلال ونصله جهنم من اصليته النار ادخلته فيها قرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر

باسكان هاء نوله ونصله تخفيفا وساءت مصيرا اي جهنم استدل بالآية على حجية الاجماع بناء
على ان الجزاء مرتب على كل واحد من المشاقة واتباع غير سبيلهم لان مجرد مشاقة الرسول كان في
استحقاق الوعيد فان قلت الاجماع اتفاق مجتهدي عصر على حكم شرعي والمؤمنون جمع مستغرق يشمل
كل مؤمن الى آخر الدهر فاين الدلالة قلت قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال طائفة من امتي
ظاهرين على الحق الى قيام الساعة لا يضرهم من خالفهم دل على ان المراد اهل عصر والمقلد خارج
لعدم اهليته لاخذ الحكم من الدليل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره
اهتماما كتكرير ساير الاحكام والقصص المهمة ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وصف الضلال
بالبعد مجاز مبالغة اذ لا ضلال فوق الشرك وختم ذلك بقوله ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما
لاتصالها بقصة اهل الكتاب المحرفين للكلم وهذه بقصة طعمة وقومه الضالين الساعين في اضلال
سيد المعصومين ان يدعون من دونه الا اناثا استيناف لتحقير ما اتخذوه شريكا والاناث اصنامهم
كاللات والعزى ومناة وعن الحسن كان لكل حي من احياء العرب صنم يعبدونه تسمى انثى بني فلان
والملائكة يسمونها بنات الله وان يدعون في الحقيقة الا شيطانا مريدا املس مجردا عن الخير لانهم
عبدوها باغوائه لعنه الله صفة ثانية وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا مقدرا مقطوعا عن
غيره صفة اخرى اي جامعا بين اللعن وبين هذا القول ولاضلنهم ولامنينهم عن طريق
الحق ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام ما كان يفعله المشركون علامة للسوائب والبحائر ولامرنهم
فليغيرن خلق الله كالوشم والوشر والتنميص والتفليج لما روي مسلم والبخاري عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات المتفلجات للحسن
المغيرات خلق الله وعن مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما تغيير دين الله وفطرته التي فطر الناس
عليها ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله متجاوزا عن ولاء وليه فقد خسر خسرانا مبينا جليا لا يحتاج الى
روية وتامل يعدهم المواعيد الكاذبة ويمنيهم الاماني الباطلة بان الجمادات تشفع لهم وما يعدهم
الشيطان الا غرورا باطلا لا حقيقة له اولئك ماويهم جهنم مآلهم ومرجعهم ولا يجدون عنها
محيصا محيدا ومعدلا من حاص عن الشيء عدل عنه مصدر وبه يتعلق الجار او مكان فيتعلق بالفعل والذين
آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد من الله لاوليائه
في مقابلة وعد الشيطان وعد الله حقا الاول مصدر مؤكد لنفسه لان ما تقدمه من الكلام وعد
والثاني مؤكد لغيره وهو الباطل بمعنى انه يدفعه ويقطع احتماله ومن اصدق من الله قيلا قولا
تاكيد آخر ابلغ لدلالته على صدق اخباره وان لا اصدق منه وهذه المبالغات بازاء مبالغات
ابليس في اكاذيبه ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب الخطاب للمشركين لما تقدم من قوله ان
يدعون الا اناثا كانوا يقولون ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن احسن حالا افرأيت الذي كفر
باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا واهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل للمسلمين تنازعوا
واهل الكتاب نحن خير كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء
وكتابنا يحكم على كتابكم من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا يتولى امره ولا نصيرا يدفع
عنه العذاب فان قلت اذا كان الخطاب للمسلمين يلزم ان يكون كل مؤمن مجزيا بسوء عمله
قلت هو كذلك الا انه لا يلزم ان يكون في الآخرة لما روي ابو سعيد وابو هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر به
من سيئاته او مقيد بعدم التوبة والعفو لساير النصوص ومن يعمل من الصالحات بعض الصالحات

لان كل مؤمن لا يعمل كل الصالحات من ذكر وانثى في موضع الحال ومن بيان وهو مؤمن اذ لا يعتد
بعمل دون الايمان فان قلت قد روي البخاري ان حكيم بن حزام قال يا رسول الله ارايت اشياء كنت
تحنث بها في الجاهلية فقال اسلمت على ما اسلفت قلت معناه ان تلك الحسنات جرتك الى الاسلام
ومخصوص بها . وهو مؤمن في آخر العمر لاطلاق اللفظ فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون اي لا ينقصون
والمؤمنون وغيرهم كذلك دلالة نقيرا فعيل بمعنى مفعول هو شق النواة وقرا ابن كثير وابو عمرو
وابو بكر ويدخلون بضم اليآء وهو ابلغ مدحا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله ذاته عبر عنه بالوجه
لانه اشرف الاعضاء ومحل السجود الذي هو اقصى الخضوع وهو محسن مخلص في ذلك العمل فسره
الحديث بان تعبد الله كانك تراه واتبع ملة ابرهيم من التوحيد وسائر العقايد حنيفا مايلا من كل
باطل حال من ابرهيم واتخذ الله ابرهيم خليلا اعتراض للترغيب في اتباعه والخليل من الخلة وهي اقصى غاية
المحبة كانها دخلت في اعماق قلبه وخلاله او من الخلل فان الصديق يسد كل منهما خلل الآخر او من
الخلة بالفتح وهي الصفة فان الخليلين متوافقان في الخصال او بمعنى الحاجة فان كلا منهما يرغب الى
خليله في النوايب ومن الخل بفتح الخآء وهو الثوب البالي والجسم النحيف فان الحب اذا استولى نهك الجسم
بلى الهوى اسفا يوم النوى بدني وقال ان جسمي بعد حالي كالخل وهو الطريق في الرمل
لان الخليلين على طريقة واحدة وفي الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وليس في
الكلام دلالة على انحصار الخلة فيه روي البخاري ان رسول الله صلى الله وسلم قال في آخر خطبة
خطبها لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله ولله ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار من يشاء ويجوز ان يتصل بقوله ومن يعمل سوءا ومن يعمل
من الصالحات وقوله ومن احسن دينا الى آخره اعتراض بين كلامين متصلين معنى واتخذ الله ابرهيم
خليلا يتعلق بقوله واتبع ملة ابرهيم على انه اعتراض في آخر الكلام وكان الله بكل شيء محيطا علما وقدرة
يختار من علم انه اهل للاختيار ويستفتونك في النساء عاد الى ما كان مبنى السورة عليه من احكام
النساء بعد ما استطرد من احكام الجهاد واحوال المنافقين قل الله يفتيكم فيهن في شانهن وما يتلى
عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او المستتر لوجود الفصل من قبيل اعجبني زيد وكرمه لان دليل الحكم
هو المتلو وهو قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل ما يتلى
مبتدا وفي الكتاب خبره على ان المراد بالكتاب اللوح او قسم بما يتلى في الكتاب واما جعل الواو عاطفة
على المجرور فمحتمل لفظا لعدم الفاصل ومعنى اذ التقدير يفتيكم في حق ما يتلى عليكم في يتامى
النساء صلة يتلى او بدل من فيهن بدل بعض ولا يجوز غيره ان كان ما يتلى مرفوعا على الابتداء
او مجرورا على القسم اذ لا معنى لتقييد ما في اللوح ولا للقسم بهذا القيد مع ما في الاول من الفصل
بالخبر بين اجزاء الصلة والاضافة بمعنى من اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن من الميراث عبر عنه
بالكتابة مبالغة في الوجوب وترغبون ان تنكحوهن في نكاحهن ان كن جميلات او عن نكاحهن
ان كن ذميمات لما روي ابن عباس رضي الله عنه كانوا في الجاهلية اذا كان عند احد يتيمة القى
عليها ثوبه فان كانت جميلة تزوجها واكل مالها وان كانت ذميمة منعها عن الزواج حتى تموت
عنده فيرثها والمستضعفين من الولدان كانوا لا يورثونهم ويقولون انما يرث من يباشر الحروب
ويحمي الحوزة عطف على يتامى النساء وكذا قوله وان تقوموا لليتامى بالقسط ان لم يكن بدلا
من فيهن والخطاب في شان يتامى النساء للاوليآء خاصة وفي المستضعفين لهم وللورثة البالغين
او للاحياء بان يباشروا على الوجه المشروع وفي ان تقوموا للايمة والعوام وما تفعلوا من خير

والحق الثاني وهو كل من آمن
لقوله صلى الله اذا احسن اسلامه
يكتب له كل حسنة كان زلفها
الى آخر الكلام منه

وغيرهم لذلك يشير الى ان الظرف
لا تظلمونه احال راجع الى الذكور
الاناث او للذكور خاصة فيعاير علمه
الاناث منه

فلما
كان او كثيرا فان الله كان به عليما مجازيا به ترغيب فيما امروا به وان امراة خافت من
بعلها نشوزا ترفعا عليها بعدم المودة والرحمة وتقليل النفقة من النشز وهو المكان المرتفع
او اعراضا حقها او كلها دالا عليه بان يسامحها في بعض ما يجب له روي ابو داود عن ابن عباس رضي الله
عنه خشيت سودة ان يطلقها رسول الله فجعلت يومها لعايشة على ان لا يطلقها فامسكها وجعل
يومها لعايشة فنزلت وروي البخاري عن عايشة رضي الله عنها الرجل يكون عنده المراة ليس بمستكثر
منها فتقول اجعلك من شاني في حل فنزلت وقرا الكوفيون يصلحا بضم اليآء والفصل وهو المختار
والصلح خير من الخصومة في كل شيء او من الفرقة او النشوز والاعراض او خير من الخيور كما ان الخصومة
شر من الشرور وعلى كل تقدير اعتراض يؤكد دفع الجناح بانه مندوب فضلا عن الجواز واحضرت
الانفس الشح جعل لازما لها غير مفارق الهاب وتهييج الى تكليفها فانها بالطبع ناكبة عن الصلح
فليدع الطبع اللئيم الى التحلي بالخلق الكريم وان تحسنوا ايها الازواج وتتقوا عن المشاقة وتتركوا
النشوز والاعراض رغب الطرفين في اسباب الالفة دلالة على ان الوفاق عنده احب من الفراق
روي ابو داود وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابغض الحلال الى الله الطلاق فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء عدلا من كل وجه ظاهرا وباطنا كما روت عايشة رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسايه ثم يقول يا رب هذا قسمي فيما املك فلا تلمني
فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على العدل اذ لو كان ممكنا لكان رسول الله اولى به فلا تميلوا
كل الميل فتتركوا المقدور فتذروها كالمعلقة لا ذات زوج ولا مطلقة وان تصلحوا ما وقع من
الخلاف والنشوز وتتقوا في المستقبل عن ارتكاب مثله فان الله كان غفورا كثير الغفران يتجاوز عما
سلف رحيما عسى ان يوفق في المستقبل برحمته ومن رحمته جعل لكم من انفسكم ازواجا وان يتفرقا
ولو يقع الصلح يغن الله كلا من سعته من فضله الواسع وكان الله واسعا فضله وطريق رزقه
يكون تارة بالزوج واخرى بدونه حكيما بما كانت الفرقة احسن عاقبة لهما ولله ما في السموات
وما في الارض برهان على سعة فضله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم جنس الكتاب
واياكم في القرآن في مواضع شتى ان اتقوا الله ان مفسرة او بان مصدرية والمعنى ان الامر
بالتقوى شرع قديم لم تخل عنه كتاب ولا امة وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في
الارض عطف على ان اتقوا اي وصينا كم ومن تقدمكم بالتقوى وقلنا لكم ولهم ان تكفروا
بما وصينا كم وكان الله غنيا عن طاعتكم وعن كل شيء حميدا في ذاته حمد ام لم تحمد واحمد
ذاته قبل الحامدين والاكوان كلها حامدة بلسان الحال حيث بسط على الماهيات بساط الوجود
واعطى كل شيء خلقه ولله ما في السموات وما في الارض كرره تاكيدا الان التقوى والخشية
اصل كل خير وتمهيدا لما بعده وكفى بالله شهيدا وكيلا موكولا اليه ان يشا يذهبكم لانه
المالك المتصرف ويات باخرين جنس آخر لا ناسي وما يعلم جنود ربك الا هو والخطاب
لقريش لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على ظهر سلمان وقال هم قوم
هذا وكان الله على ذلك قديرا بالغ القدرة من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة تقريرا لاقتداره اي من كان يريد ثواب الدنيا فما باله يرضى بالاخس
الاوضع وعند الله الاحسن الارفع وبهذا يرتبط الجزاء بالشرط او عند الله كلا مما يعطى
كلا ما اقتضته الحكمة لقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد

حرث الدنيا نؤته منها وكان الله سميعا بصيرا ترتيبهما على الارادة للدلالة على ان ما في الضمير عنده
بمثابة المسموع والمبصر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شديدي القيام بالعدل جادين فيه
شهداء لله حال كونكم تقيمون الشهادة لوجه الله ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم والمراد
بها الاقرار لانه في لزام الحق كالشهادة او الوالدين والاقربين فان قلت قدم القسط هنا واخره
في المائدة مع اتحاد الاسلوب قلت مع التفنن اهتماما بالعدل لان شهادة المرء على نفسه والاقربين
مظنة الجور والعدول ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ان يكن احد هذين فلا تمنع الشهادة
على غناه طلبا لرضاه او فقره شفقة عليه فان الله اولى وارحم بالجنسين وقد حكم باقامة
الشهادة عليهما وانما ثنى الضمير لدلالة او على الامرين في الجملة وآثر على الافراد مع ظهوره قصدا
الى التعميم وان لا يتوهم اختصاص الاولوية باحدهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا كراهة
العدل بين الناس او ارادة للعدول عن الحق وان تلووا او تعرضوا ان تلووا السنتكم عن الشهادة
او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون بصيرا وعيد على اللي والاعراض وقرا ابن عامر تلوا
بضم اللام على وزن تعوا من الولاية او الواو الاولى قلبت همزة ثم خففت فنوا في الاولى يا ايها
الذين آمنوا احدثوا الايمان في الماضي آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب
الذي انزل من قبل استمروا على ذلك الايمان في المستقبل او ازدادوا او آمنوا بكل الكتب والرسل
ان كان الخطاب لاهل الكتاب الذين قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض او باللسان والقلب ان كان لاهل
النفاق الذين قالوا آمنا ولم تؤمن قلوبهم وايثار نزل في القرآن لنزوله منجما وقرا ابن كثير وابو
عمرو وابن عامر الفعلين على بناء المفعول ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
اي بشيء من المذكورات فان الكفر بواحد منها كفر بسايره فقد ضل عن طريق الحق ضلالا بعيدا
الاسناد مجاز مبالغة في بعد صاحبه ان الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل ثم آمنوا بالتوبة
ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد المراد جنس اليهود الذين هذه صفتهم لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم سبيلا طريقا الى المغفرة لانهم اهل الطبع والختم مستهزؤون بالدين والرسل و
استدل الامام احمد على ان من تكرر ارتداده لا تقبل توبته وروي عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما استعارة تهكمية تدل على ان الآية في المنافقين الذين
يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين رفع او نصب على الذم ايبتغون عندهم العزة لموالاة
فان العزة لله جميعا فيجعل منها لاوليائه نصيبا لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم
ايها المؤمنون في الكتاب في القرآن ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم
ان مخففة حذف منها ضمير الشان والانشائية لا تصلح مفسرة فالمعنى يحرم عليكم القعود معهم لانه
من لوازم النهي والمراد بالمنزل عليهم آية الانعام واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره نزلت بمكة حين كان المؤمنون بها اسوة المشركين الخايضين في القرآن
فان الخطاب وان كان لرسول الله فالمراد الاصحاب حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم
لان الرضى بالكفر كفر وقول موسى لفرعون وآله اشدد على قلوبهم ليس رضى بالكفر بل دعاء على
العدو بافتح الاشياء مع استقباحه والرضى بالشيء استحسان له ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا دل على ان الخطاب في انزل عليكم يعم الخلص وغيرهم وان المجالسين هم المنافقون ولما
لم ينكر على المؤمنين في آية الانعام لانهم كانوا عاجزين ضعفة الذين يتربصون بكم بدل من الذين
يتخذون منصوب او مرفوع او مجرور صفة للمنافقين فان كان لكم فتح من الله ظفر بالكفار وغلبته

وليس في آية المائدة ذكر النفس والاقربين منه

نهم

وقرا عاصم على بناء الفاعل

عليهم

عليهم قالوا الم نكن معكم شاركونا في الغنيمة كما شاركناكم في القتال وان كان للكافرين نصيب سمي ظفر
المؤمنين فتحا لانهدام ركن الكفر به فحق له ذلك الاسم بخلاف ظفر المشركين فانه استدراج وحظ قليل
قالوا الم نستحوذ عليكم نغلبكم حين كان الظفر للمسلمين وكنا قادرين على قتلكم واسركم وقد ابقينا عليكم
جاء الفعل على الاصل وعن ابي زيد قياس مطرد يقال استجاب واستجوب ونمنعكم من المؤمنين بان
خيلنا لهم شوكتكم وتوانينا في المظاهرة فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا في الدنيا بالحجة وفي الآخرة بالتوبيخ او بوجه فيه مذله واستدل به على بينونة المراة بارتداد
الزوج وعدم صحة بيع المسلم للكافر ومن قال بصحته امر بازالة ملكه ان المنافقين
يخادعون الله جهلا منهم بانه لا يخادع او فعلهم في ابطان الكفر واظهار الايمان فعل المخادع او اوليائه
والاسناد اليه للتشريف وهو خادعهم في الخداع باجراء احكام المؤمنين وهم اهل الدرك الاسفل واذا
قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين لانهم لا يرجون ثوابها روى البخاري ومسلم اثقل الصلوة
على المنافقين صلوة العشاء وصلوة الفجر وفي الحديث لا يقول احدكم كسلت وليقل لغبت يراؤن الناس
استيناف لبيان كسلهم اي يرؤون الناس انهم مثلهم ويريهم الناس كذلك او المفاعلة بمعنى التفعيل
كناعم بمعنى نعم ولا يذكرون الله الا قليلا عند مرآة الناس ولا يصلون الا قليلا او الذكر ذكرا لقلب
والقلة بمعنى العدم مذبذبين بين ذلك بين الايمان والكفر من الذب وهو الدفع او من الذبة وهي
الطريق عن ابن عباس رضي الله عنه اتبعوا ذبة قريش لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا نسبة لهم الى احدي
الطايفتين روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين
تعير الى هذه مرة والى هذه مرة ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهداية يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون الله المؤمنين فانه صفة المنافق ولانه لا بون ابعد مما بين
الايمان والكفر اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة واضحة لانهم اعداء الله ومصادقة
عدو الصديق معاداة للصديق قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك
عنك بعازب ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لشدة كفرهم ولجهنم سبع دركات ولها سبعة ابواب
وقرا الكوفيون الدرك بسكون الراء والفتح اكثر ولن تجد لهم نصيرا يدفع عنهم العذاب الا الذين
تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوه واعتصموا بالله بدينه واخلصوا دينهم لله في ذلك الاعتصام
عكس ما كانوا فيه فاولئك مع المؤمنين في زمرتهم وعدادهم وسوف يؤتي الله المؤمنين اجرا عظيما
لا يقادر قدره ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لا حاجة به الى عذابكم لانه غني مطلق وانما
يعذب من لم يشكر نعمته ولم يؤمن بمقتضى حكمته قدم الشكر لان افاضة النعم يقتضي شكر موليها
عرف على ما هو عليه اولا ثم ذلك الشكر الاجمالي بحركة الجنان يعرف على ما هو عليه وهو الايمان
ثم تتبع ذلك الشكر المفصل بالجنان واللسان والاركان او قدم اهتماما وقليل من عبادي الشكور وكان
الله شاكرا قابلا للشكر عليما كامل العلم باخلاص الشاكر ومراتب الشكر لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
الا من ظلم الا جهر المظلوم فانه لا يحبه لقوله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل روى ابو داود
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
وكان الله سميعا قول المظلوم عليما بحال الظالم ان تبدوا خيرا تظهروه او تخفوه او تعفوا عن سوء
اصابكم فان الله كان عفوا كثيرا لتجاوز قديرا بليغ القدرة على الانتقام مع ذلك يعفو ويصفح
فتخلقوا انتم باخلاقه ارشاد الى الافضل بعد تجويز الادنى ولذلك جعل ابداء الخير واخفاؤه
شرطا تمهيدا واوقع العفو جزاء ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله

وانما كرر لفظ الكفر لانه صفة المنافق منه

الشاة العايرة التي تردد بين الغنمين لشخ المتبوع تريد الفحل ضرب للمنافق مثل السوء

هم اهل الكتاب الذين كفروا ببعض الانبياء وكفرهم بالله وصفه بالولد اولان الكفر بالرسل كفر به وهذا
وفق لقوله يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض تشهيا من عند
انفسهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا بين الايمان والكفر طريقا الى الله اولئك هم الكاملون
في الكفر حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي حق كونهم كاملين في الكفر او كفروا كفرا حقا لا شك فيه
لان انكار احد الرسل في حكم انكار الكل لاشتراك العلة وهي المعجزة واعتدنا للكافرين اي لهم ولكل كافر
عذابا مهينا لاهانتهم بالرسل المكرمين والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم صح دخول
بين على احد لانه اسم من يصلح مخاطبا مفردا كان او جمعا اوليك سوف نوتيهم اجورهم سوف لتاكيد
الوعد لا لتاخير الموعود وذلك ان المضارع يحتمل الحال والاستقبال فاذا دخل عليه سوف اكد ما كان
موضوعا من الاثبات في المستقبل مثله لن في النفي ولذلك قال سيبويه لن يفعل نفي سوف يفعل
وقرا حفص يوتيهم بالياء والنون ابلغ وكان الله غفورا كثير الغفران رحيما بالغ الرحمة يسالك اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة كما نزل التورية وعن ابن جريج سالوه ان ينزل
عليهم كتابا من الله الى فلان وفلان يامرهم فيه بتصديقه فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط
مقدر اي سالوك انزال الكتاب فلا تضجر فان اسلافهم سالوا موسى اعظم مما سالوك هولاء فقالوا
ارنا الله جهرة عيانا نراه كما يرى بعضا بعضا نصب على المصدر او الحال والفاء لتفصيل المجمل فاخذتهم
الصاعقة نار محرقة بظلمهم بتعنتهم بعد ظهور الحق كما صاروا قردة وخنازير بعد صيد السبت وليس
فيه ما يدل على عدم امكان الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل الها من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات
الظاهرات فعفونا عن ذلك بعد توبتهم وآتينا موسى سلطانا مبينا لم يبق لهم في نبوته شبهة
وانما كانوا يرتكبون المنكر لفرط غباوتهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وهو ترك العمل بما في التورية
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا باب المسجد الاقصى حين فتحه يوشع بعد موت موسى وهو الباب الذي
يسمى اليوم بباب حطة وقيل وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا والطور مشرف عليهم بيد جبريل
وهو سهو لان نتق الجبل فوقهم كان في زمن موسى والطور مشرف عليهم بيد جبريل وقلنا
لهم لا تعدوا في السبت بصيد السمك واخذنا منهم على هذه الاحكام ميثاقا غليظا مؤكدا غاية التاكيد
فبما نقضهم ميثاقهم ما المؤكد الباء للتاكيد تتعلق بمقدر اي لعناهم صرح به في المائدة وعن الزجاج
يتعلق بحرمنا على معنى السببية ولا يتاتى الا اذا جعل فبظلم من الذين هادوا بدلا عن قوله فبما
نقضهم وفيه بعد لطول الفصل وابدال الجار والمجرور مع الفاء وكفرهم بآيات الله التي جاء بها
موسى وقتلهم الانبياء كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام بغير حق بغير استحقاق للقتل في اعتقادهم
وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلم فلا حاجة لنا الى علمك او في اكنة مما تدعونا اليه كما قال المشركون
لرسول الله بل طبع الله عليها بكفرهم اي ليس الامر كما زعموا فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن
سلام او ايمانا قليلا لا يعتد به وبكفرهم عطف على فبما نقضهم وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم مستطرد
لنفي قولهم قلوبنا غلف والعطف على بكفرهم مرجوح لان احد الكفرين مستقل بالسببية للطبع
كما في ساير الآيات وقولهم على مريم بهتانا عظيما لنسبتها الى الفاحشة ووصفه بالعظيم لانهم قالوا ذلك
بعد ما راوا منها الكرامات والخوارق وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وصفوه
بهذه الاوصاف الجميلة تهكما كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون او وضع الله الذكر
الحسن مكان قبايح وصفوه بها دفعا لقدره وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اشتبه عليهم
الفعل مسند الى الجار والمجرور ارسله الله الى بني اسرائيل رسولا فادعى الرسالة وابرا الاكمه

والابرص

والابرص واحيى الموتى ودعا على طايفة من اليهود فمسخوا قردة وخنازير فاجتمعت طايفة منهم على
قتله فدخل القمامة ومعه شمعون فاوحى الله اليه اني رافعك الي ومطهرك من اليهود الانجاس
فسال شمعون ان يلقى عليه شبهه ليقتل على يد اليهود لامر اراده الله من اضلال اليهود والنصارى فدخلوا
وعيسى قد رفع وشمعون جالس في صورة عيسى فقتلوه ثم قالوا اين صاحبه وقال بعضهم الوجه وجه
عيسى والبدن ليس بدنه فذلك قوله شبه لهم وقيل دخل احد اليهود القمامة وعيسى قد رفع فرجع
اليهم وقد القى الله عليه شبه عيسى فقتلوه ثم دخلوا فلم يجدوا في القمامة احدا فقالوا ان كان
هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى لفي
شك منه مستغرقون في الشك لا يخرجون منه اذ ليس له بيان سوى القرآن وهم لا يؤمنون به من علم
الا اتباع الظن استثناء منقطع لان الظن ليس من العلم في شيء او العلم مطلق الاعتقاد فانه استعمال
مشهور ومعنى اتباع الظن بعد الحكم بالاستغراق في الشك ان قصارى امرهم ان تلوح لهم تارة امارة ثم
يضمحل ثم يغطسون في بحر الشك وهذا اشد في الحيرة من استمرار الشك خالصا وما قتلوه يقينا اي عدم
قتله متيقن قيد للنفي دل عليه قوله بل رفعه الله اليه ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اي متيقنين
قتله بل اشتبه عليهم والوجه هو الاول لان هذا قد علم مما تقدم وكان الله عزيزا غالبا اذا اراد شيئا
كان حكيما في كل ما دبر وان كان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اللام جواب قسم محذوف
والاستثناء من اعم الاوصاف والموصوف مبتدا مقدم او فاعل الظرف اي وان احد من اهل الكتاب او
وان من اهل الكتاب احد الا يؤمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولو عند زهوق روحه عند انكشاف
الغطاء حين لا يقبل الايمان عليه ابن عباس رضي الله عنه وهو الظاهر من اطلاق اهل الكتاب
وقيل الضميران لعيسى عليه السلام بناء على ما رواه البخاري مرفوعا يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم
حاكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرفع الجزية ولا يقبل الا الاسلام فاليهود والنصارى الذين
يدركونه يؤمنون كلهم وهذا مناسب للسياق اذ بعد نزوله يرفع الشبهه ويكذب الطايفتين و
يوم القيمة يكون عليهم شهيدا بكفرهم او بايمانهم فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم اي ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم وهو الكباير التي عدوها وتلك
الطيبات هي التي ذكرها في الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى اخر الآية فان قلت تحريمها
من احكام التورية قبل الظلم والكفر بعيسى ومحمد عليهما السلام والصد عن سبيل الله قلت ابتداء
التحريم كان لظلم منهم لقوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل واستمراره من الظلم الحادث الا ترى
الى قوله يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث ويضع عنهم اصرهم في نعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل فبظلم اشارة الى قوله في الانعام ذلك جزيناهم ببغيهم على انه متعلق بحرمنا
وحده وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وما عطف عليه متعلق بمحذوف واخذهم الربوا وقد نهوا عنه
حرام في ساير الشرايع وفيه دلالة على ان النهي يفيد التحريم عند عدم الصارف وخص الاخذ
وان كان المعطي ايضا اثما لكونه اعظم جرما واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة على الاحكام
وتحريف ما انزل الله واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما عطف على حرمنا لكن الراسخون في العلم
منهم الثابتون القدم فيه المتقنون كعبد الله بن سلام والمؤمنون منهم او مطلقا يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك خبر الراسخون والمقيمين الصلوة نصب على المدح لبيان فضلهم او مجرور
عطف على ما انزل اي يؤمنون بالمقيمين الصلوة وهم الانبياء لان الصلوة شريعة ساير الانبياء والمؤتون
الزكوة عطف على الراسخون او الضمير في يؤمنون لوجود الفصل وكذا والمؤمنون بالله واليوم

الآخر اي بالمبداء والمعاد ان جعل اولئك مبتداء اخبرخ سنؤتيهم اجرا عظيما لايقادر قدره لحيازتهم
العقايد الخالصة والاعمال الصالحة وقرا سيؤتيهم بالنون وهو ابلغ في الوعد انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده منصل بقوله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
وما في البين استطراد لبعض قبائحهم دلالة على ان ذلك السوال ليس بادل منكرا رتكبوه وابتداء
بنوح لانه اول عذب قومه ولانه ابو البشر ثانيا لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين ولان معجزته
كانت في نفسه عاش الفا ونيفا ولم يشب ولم يسقط له سن واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبورا عد المشاهر منهم
اثني عشر وذكر زبور داود دون صحف الانبياء دلالة على ان فضله به لا بالملك وقرا حمزة زبورا
بضم الزاء جمع زبور بمعنى مزبور ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل قبل هذه السورة في الانعام
والصافات والانبياء وانتصاب رسلا اما بنزع الخافض او بفعل دل عليه اوحينا اي ارسلنا ورسلا
لم نقصصهم عليك روي عن ابي ذر مرفوعا ان جملتهم مائة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة
وثلثة عشر عدد اهل بدر وليس في الاية ما ينافيه وكلم الله موسى تكليما من غير واسطة هذا نهاية
مراتب الوحي واكده بالمصدر دفعا للتجوز وانما اشار الى اجل احواله تكذيبا لليهود من دعوى بقاء
شريعته ولذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاتم النبيين رسلا مبشرين ومنذرين نصب
على البدل او التاكيد او المدح وهو اوجه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل بان يقولوا لولا
ارسلت الينا رسولا كيف ومع كثرة الرسل يقولون يوم القيمة ما جاءنا من بشير ولا نذير واستدل
به الاشعري رحمه الله على ان لا تكليف قبل البعثة وكان الله عزيزا غالبا على امره يفعل ما يريد
حكيما في ارسال الرسل لعدم اهتداء العقل الى احوال المعاد لكن الله يشهد بما انزل اليك استدراك
من مفهوم الكلام السابق لان سوالهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء تكذيب لما جاء به والمعنى يشهد
بانه كلامه بان جعله معجزا خارقا فالباء آلة او يشهد لك بان المنزل عليك كلامه فالباء صلة انزله
بعلمه استيناف يقرر ويؤكد شهادته والمعنى انزله ملتبسا بعلمه الخاص به بان الفه معجزا كما اذا رايت
فعلا متقنا تقول فعله بعلم او حال من الفاعل اي انزله اليك وهو عالم بانك اهل لذلك الله اعلم
حيث يجعل رسالته فالجملة مؤكدة للصلة او انزله ملتبسا بعلمه بمصالح العباد مشتملا على بيانها
او انزله ملتبسا بعلمه محفوظا من الشياطين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والملائكة يشهدون
بما شهد الله علموا ذلك باخبار الله تعالى روى الدارمي مرفوعا ان الله تعالى قرا طه ويس
قبل خلق السموات والارض بالف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا وطوبى لاجواف
تحمل هذا وطوبى لالسنة تتكلم بهذا وليس فيه ما ينبه على ان اليهود كانوا يودون ان يعلموا نبوته من غير
نظر علمت الملائكة وانهم لو اتوا بالنظر الصحيح لعلموا نبوته واي حاجة الى النظر وهم يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفى بالله شهيدا على نبوتك بما ايدك به من المعجزات الباهرة
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله هم اليهود الذين اضلوا المسترشدين بان حرفوا نعت رسول الله
قد ضلوا ضلالا بعيدا لان المضل غارق في الضلال بعيدا اقلاعه ان الذين كفروا وظلموا بترك
الواجبات او محمدا صلى الله عليه وسلم بتحريف نعته او تغالوا وافرطوا في الكفر لم يكن الله ليغفر لهم
ان ماتوا على ذلك ولا ليهديهم طريقا يوم القيمة الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا حكم بذلك
في الازل وفي ذكر الهداية تهكم وكان ذلك على الله يسيرا لا يتوقف الا على تعلق الارادة في الحديث
القدسي خلقت هؤلاء للنار ولا ابالي يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم خاطب كافة

الناس بعد ازاحة الشبهة والجار والمجرور في الموضعين حال الاول من الفاعل والثاني من المفعول
فآمنوا خيرا لكم انتصابه بمضمر اي اقصدوا خيرا او صفة مصدر اي ايمانا خيرا لكم او خبر يكن عند الكوفية
وان تكفروا بعد ظهور الحق بالدلائل وهذا النصح فان لله ما في السموات وما في الارض من الاجرام المحوية
والاجزاء الداخلة فهو غني عنكم وانما ارشدكم رافة بكم وكان الله عليما كامل العلم باحوال الخلق حكيما في كل
ما دبره يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم لما ازاح الشبهة عن حال محمد عليه السلام اراد ازاحتها عن عيسى
عليه السلام وخص اهل الكتاب لان اليهود والنصارى بين افراط وتفريط ولا تقولوا على الله الا الحق
الذي هو ثابت في الواقع انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها فليس هو من غير رشدة
كما يقول اليهود ولا ابنا كما يقول النصارى ورفع عيسى عطف بيان لانه اشهر وتسميته بالكلمة تسمية الشيء باسم سببه
وروح منه كاينة من جهته كساير الارواح المخلوقة سوى انه من غير اب وقيل سمي روحا لانه
كان يحيي الموتى او النفوس الميتة بداء الجهل بالحكمة والمعارف او ذو روح جسم كساير الاجسام لا يليق
له مقام الالوهية او التولد ممن لا يجانسه شيء فآمنوا بالله ورسله وعيسى من جملتهم ولا تقولوا ثلثة
اي الآلهة ثلثة قول الملكانية والنسطورية قالوا هو ابن الله واليعاقبة قالوا هو الله وضلالتهم ظاهرة فلا حاجة
الى ايراد خرافاتهم التي لا تعقل انتهوا خيرا لكم انتهوا عن التثليث وفي اعراب خيرا ما تقدم انما الله
اله واحد لا شريك له في ايثار انما دلالة على ظهور الحكم بادنى تامل سبحانه ان يكون له ولد انزهه
عن هذه النقيصة لان الولد يشارك الوالد ولو من وجه وليس كمثله شيء له ما في السموات وما في
الارض خلقا وملكا فلا يجانسه شيء وهو غني عن ولد يكون له ظهيرا وكفى بالله وكيلا حافظا يوكل اليه الامور
تقرير لغناه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله استفعال من النكف يقال نكف دمعه اذ نحاه لان
المترفع عن الشيء ينحي نفسه عنه او من النكاف داء ياخذ في حلق البعير ولا الملائكة المقربون الكروبيون
كجبرئيل وميكائيل ومن يقاربهم رتبة نزلت في وفد نجران لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لم تعيب صاحبنا قال بماذا عبته قالوا تقول فيه انه عبد الله قال ان صاحبكم يابى بذلك تمسك
به من فضل الملائكة على الانبياء لان هذا اسلوب الترقي يقول هذا امر لا ياتف عنه امير ولا وزير
ولا سلطان وهذا مستقيم لو سيق الكلام لبيان الافضلية بين الفريقين وليس كذلك بل انما سيق لدفع
شبهة النصارى وهي انه موجود من غير اب مع كمال العلم والقدرة على احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص ولا شك ان الملائكة في باب التجرد والاطلاع على المغيبات والقدرة على الاعمال
الشاقة لا سيما المقربين منهم اعلى شانا من عيسى عليه السلام وناهيك ما جرى على المؤتفكات
بريشة من جناح جبرئيل والقول بانه رد على النصارى وعبدة الملائكة من مشركي العرب مع
كون السياق ياباه لا يدفع شبهة الترقي وكذا القول بان غايته كون المقربين افضل من عيسى
ولا يلزم منه افضلية الجنس على ما هو المتنازع فيه يبطل كون خواص البشر افضل من خواص الملك مع
انه انما يصلح ردا للنصارى لو كان عندهم مسلما كون الملائكة افضل منه هيهات ومن يستنكف عن
عبادته الاستنكاف اخص من الاستكبار لانه تكبر مع الاعراض ولذلك عطف عليه ويستكبر فسيحشرهم
اليه جميعا للمجازاة فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم اجزية اعمالهم سماها
اجورا تنبيها على استحقاقهم ودلالة على لزوم ثبوتها ويزيدهم من فضله زيادة على ثوابها
واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
اقتصر في المجمل على ذكر احد الفريقين وهو المستنكف وفي المفصل ذكر الفريقين اما لان احدهما
يدل على الآخر فطوى ذكره او لان القصد بيان عذاب المستنكف من وجهين التعذيب بنار الجحيم

وبناء الحسرة عند الاطلاع على جزاء ضدّه بل هذه النار اقوى واشد عند اهل العرفان هذا والتصد بـ
بانما يؤيد الوجه الاوّل يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم البرهان الحجة القاطعة والمراد به
رسول الله او شرعه لقوله الصدق فهو برهان وانزلنا اليكم نورا مبينا هو القرآن لظهور اعجازه وهدايته
الى كل خير فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه في الجنة من اطلاق الحال على
المحل وفضل من عطف الشيء على نفسه باعتبار الصفة او زايد على قدر الثواب ويهديهم اليه صراطا
مستقيما لا اعوجاج فيه اخّره اهتماما بالمقصود يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة روى مسلم والبخاري
ان جابر بن عبد الله في حجة الوداع كان مريضا فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
لا يعقل فتوضا وصبّ عليه من وضوءه فافاق فقال يا رسول الله لا يرثني الا الكلالة فكيف الميراث فنزلت
وهي آخر آية نزلت كما ان براءة آخر سورة نزلت وقد تقدم تفسير الكلالة اول السورة ان امرؤ هلك
ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ليس له ولد صفة لا حال لان امرؤ نكرة ولان المعنى ليس على التقييد
وله اخت فلها نصف ما ترك فان قلت لها النصف اجماعا ان ترك بنتا والثلث ان ترك بنتين او اكثر اشكال
فكان المراد من الولد الابن فانها تسقط به قلت الكلام في الفرض المقدّر وهي مع البنات عصبة فلا
والاستدلال على عموم الولد بان الكلام في الكلالة وهو من لا يكون له ولد ولا والد ليس بناهض لان الكلالة
اسم مشترك بين الوارث الذي ليس باصل ولا فرع ومورث كذلك والكلام في الاول صرح به في حديث جابر
وهو لا ينافي وجود البنات فضلا عن بنت والمراد الاخت من الابوين او من الاب لان التي من الام لها
السدس لا غير تقدم في اول السورة وهو يرثها ان لم يكن لها ولد اي المرء يرث الاخت جميع ما تركت ان لم
يكن لها ولد اصلا اذ مع الذكر ساقط ومع الانثى له ما بقي بعد الفرض فان كانتا اثنتين اي ان كان الوارث
من الاخوات اثنتين او اكثر كما تقدم في قوله فوق اثنتين والتانيث باعتبار الخبر فلهما الثلثان مما ترك
وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا كراهة ان تضلوا في
طريق الحكم اولئلا تضلوا في طريق الحكم اولئلا تضلوا وما قيل يبين ضلالكم لو خليتم
لانه من شانكم ففيه ان الذي بينه من اول السورة الى الخاتمة احكام اصولا وفروعا فلا ضرورة الى هذا
المعنى القلق والله بكل شيء عليم كامل العلم فالذي قرر من الاحكام ناش عن حكمة وان دقت على بعض
الافهام تمت والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وفى واوفى بالعهد
قام بموجبه والثاني ابلغ والعقد العهد الموثق مستعار من ربط الحبل ولما كانت السورة مشتملة على
امهات الاحكام اصولا وفروعا اجملها اولا براعة الاستهلال ثم بينها مفصلة بعد الاجمال احلت لكم
بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع من حيوان البر والبحر من البهامة وهي النكارة ومنه مبهم
والانعام الازواج الثمانية من الابل والبقر والغنم والاضافة بيانية وقيل بهيمة الانعام
الظباء وبقر الوحش لانها تقارب الانعام فالاضافة بمعنى اللام لملابسة الشبه او جعل من الاول
مبالغة في التشبيه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه لان المتلو
لفظ مستثنى من البهيمة غير محلي الصيد حال من ضمير لكم وانتم حرم وانتم محرمون حال من فاعل
محلي فان قلت هذا ظاهر ان حمل بهيمة الانعام على الظباء وبقر الوحش واما اذا اريد بها الازواج
الثمانية فلا لان احلالها لا يختص بحال امتناع المحرم عن الصيد قلت ذكرها امتنانا بعدم التحريج
وان لا يتوهم انها كالصيد وعن الاخفش حال من فاعل اوفوا ولا غبار عليه وان بعد لفظا ان الله
يحكم ما يريد لا يسال عما يفعل يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله جمع شعيرة اسم ما جعل شعارا

غلب على معالم الحج لانها امور مدركة بالمشاعر والاضافة للتشريف ولا الشهر الحرام هو الاربعة المعروفة
ولا الهدي ما يهدي للكعبة ولا القلائد ما قلد من الهدي بقلادة اشعارا بانها هدي فلا يتعرض لها من قبيل
عطف جبرئيل على الملائكة او لا تحلوا نفس القلائد فضلا عن البدن المقلدة ولا آمين البيت الحرام يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا مؤمنا كان او كافرا نزلت في حطم بن هند البكري من اليمامة اغار على سرح المدينة
ثم في العام القابل عام عمرة القضاء احرم معتمرا والاخبار عن الكافر بابتغاء الرضوان باعتبار ظنه
على المبالغة في الكف عن المسلم الامّ لان توهم ابتغاء الرضوان يوجب الكف فضلا عن تحققه عن ابن عباس
والشعبي انها نسخت بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والحق انه تخصيص لبقاء الحكم في المسلم
الا ان يشترط مقارنة المخصص والجملة حال من ضمير آمين لا وصف له لانه عامل فلا يوصف وقرأ ابو بكر
رضوان الاول دون الثاني بضم الراء وهما لغتان واذا حللتم فاصطادوا امر اباحة لان الحرمة كانت
لعارض فلا يلزم منه ان يكون كل امر بعد الحظر للاباحة ولا يجرمنكم شنآن قوم وقرأ ابو بكر وابن عامر
بسكون النون كلاهما مصدر شناه بالغ في بغضه والفتح اكثر وجرم بمعنى كسب معدي الى المفعولين
ان صدوركم عن المسجد الحرام مفعول له بتقدير اللام وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة شرطا دل
على جوابه ما تقدمه والفتح هو المختار لتحقق معللة لان الصد عام الحديبية سنة ست والآية
نزلت سنة ثمان ووجه الكسر التوبيخ على ان ذلك الصد مما ينبغي ان لا يكون الا على وجه الفرض او
بتقدير ان كانوا اذ لا صد بعد الفتح ان تعتدوا تجاوزوا احكم الله ثاني مفعولي يجرمنكم وتعاونوا
على البر والتقوى على فعل الخيرات والاتقاء عن المحارم ولا تعاونوا على الاثم على ترك ما امر الله
والعدوان والتجاوز عما حدّه الله روى البخاري عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل هذا نصرته مظلوما فكيف نصرته ظالما فقال تمنعه من
الظلم واتقوا الله في مجامع اموركم ان الله شديد العقاب حقيق بان يتقى حرمت عليكم الميتة
هي التي ماتت حتف انفها والدم المسفوح كانوا يفصدون البعير ويأكلون دمه ولحم الخنزير
وساير اجزائه افرد اللحم لانه المتعارف اكله وما اهل لغير الله به ما ذبح باسم الاصنام
الاهلال رفع الصوت والمنخنقة التي ماتت خنقا او حبست والموقوذة التي ضربت بالخشب فماتت
والمتردية الساقطة من مكان عال والنطيحة التي نطحتها الاخرى والتاء لعدم ذكر الموصوف
وما اكل السبع ذو ناب الا ما ذكيتم ادركتم ذكاته وذلك بقطع الحلقوم والمري مع شخوب
الدم من الاوداج بكل محدد لا يكون عظما ولا ظفرا وما ذبح على النصب واحد الانصاب
قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تأتينه وقيل جمع واحدها نصاب ككتب وكتاب او جمع
نصب كسقف وسقف كانوا ينصبون الحجارة حول البيت يذبحون عليها تقربا اليها وان تستقسموا
بالازلام جمع زلم كقفل او زلم كفرس ثلثة اقداح مكتوب على احدها افعل وعلى الاخرى لا تفعل
والثالثة غفل كانوا يجعلونها في وعاء فاذا عرض لهم مهم اخرجوا واحدة منها فان خرج افعل
مضوا فيه وان خرج لا تفعل انتهوا وان خرج الغفل اجالوا ثانيا ومعنى الاستقسام بها طلب ما قسم
القسم والحظ ذلكم المذكور من المحرمات فسق خروج عن طاعة الله وشرعه لانه توسل الى
استعلام الغيب من غير الله كاستعلام الخير والشر من الكهنة واهل التنجيم وقيل هو طلب
قسمة الجزور بها وكونه فسقا لانه ميسر وليست القرعة التي قال بها الشافعي رحمه الله
منه لما روى البخاري ان رسول الله كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه وهو حق شرعي فيقاس
عليه اليوم يئس الذين كفروا من دينكم من ابطال دينكم بان يرجعوا الى دينهم محللين هذه

الخبايث فلا تخشوهم بعد اظهار الله دينه واخشوني اخلصوا الي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم بدل من اليوم والمراد به الزمان الحاضر لا اليوم المتعارف كقولك اصبح فلان غنيا كان بالامس يتكفف او المتعارف لما روي البخاري عن طارق بن شهاب ان يهوديا قال لعمر رضي الله عنه آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال عمر قد علمنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه نزلت ورسول الله واقفا صلى الله عليه وسلم لم تبكي قال لانا كنا في زيادة بعد الاكمال فقال صدقت يا عمر وعاش بعد نزولها احدا وثمانين يوما واتممت عليكم نعمتي باكمال دينكم وفتح مكة واخراج المشركين من الحرم وتطهير البيت من الاصنام والازلام ورضيت لكم الاسلام دينا اخترته لكم من بين الاديان فمن اضطر غير باغ متصل بالمحرمات وقوله ذلكم فسق وما بعده اعتراض يؤكد معنى التحريم في مخمصة بان لا يجد شيئا غيرها مصدر كالمغيبة من الخمص وهو الجوع غير متجانف لاثم منحرف قاصد له بان يأكل فوق سد الرمق او يدخر منه واستدل به الشافعي على ان العاصي بسفره لا يترخص له وحد الاضطرار ان يخاف الهلاك على نفسه او ما يقرب منه فان الله غفور لما تناوله ضرورة رحيم بالترخيص فيه يسألونك ماذا احل لهم لما تلا عليهم المحرمات سأله عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما احله الكتاب والسنة والقياس واستطابته العرب وما علمتم من الجوارح وصيد ما علمتم اي مصدر لانه عطف على الطيبات ويجوز ان يكون شرطية مبتداء والجملة عطفا على جملة ما احل ولا حاجة الى تقدير المضاف والجوارح السباع والطيور من الجرح وهو الكسب ويعلم ما جرحتم بالنهار فيحل مخوفه ومجروحه مكلبين حال مؤكدة معلمين الكلاب لان اكثر الصيد بها او لان الكلب يطلق على ساير السباع من كلب اشتد يقال كلب عليه الدهر وفي الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك تعلمونهن مما علمكم الله الهمكم من كيفية التعليم ولطايف الحيل او ما هو شرط في حل صيده من الاسترسال بارساله والانزجار بزجره وعدم الاكل منه وهذا اوجه لافادته ان شرط المكلب ان يكون فقيها في باب الصيد فكلوا مما امسكن عليكم من غير تصرف فيه بذلك يتم تعليمه وهذا عام عند الشافعي رحمه الله في جوارح الطيور وخصه ابو حنيفة بالسباع لتعذر تعليم الطيور الى هذا الحد واذكروا اسم الله عليه على ما علمتم عند ارساله او على ما امسكن ان ادركتم وبه حيوة واتقوا الله بالمحافظة على حدوده ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيجازيكم على اعمالكم اليوم احل لكم الطيبات بدل من قوله اليوم اكملت لكم دينكم والسؤال والجواب في البين اعتراض وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اخذ بعمومه ابو حنيفة رحمه الله وخصه الشافعي رحمه الله بغير متنصرة العرب كتغلب وتنوخ وبهرام وجذام ولخم وعاملة كما روي ابن جرير عن علي رضي الله عنه لا تاكلوا ذبائحهم لانهم لم يتمسكوا من النصرانية الا بشرب الخمر وطعامكم حل لهم فلا جناح عليكم ان تطعموهم او حل لهم في اعتقادهم والمحصنات من المؤمنات الحراير اليه ذهب الشافعي فلم تجوز نكاح الامة لواجد طول الحرة او العفايف وهذا اوجه لقوله محصنات غير مسافحات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم الحراير والعفايف كما في المسلمات ولذلك لم يجوز الشافعي رحمه الله نكاح الامة الكتابية والحرة ان كانت اسرائيلية فذاك والا فلا يجوز نكاحها الا بعد العلم بدخول آبائها في ذلك الدين قبل النسخ اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن المراد التزام المهر كما في المسلمات وايثار الايتاء مبالغة محصنين اعفاء دفع لتوهم حمل الاجر على معناه واستدل بظاهره الامام احمد فلم يجوز عقد الفاجر على العفيفة غير مسافحين

على ياقعد معرفة ومعنى الاكمال ان الحج اخر اركان الاسلام [illegible] رواه ابن جرير عن عمر رضي الله عنه [illegible] رسول

المهلهل [illegible] ولا [illegible] زيد الخيل الطائي كان اسمه زيد الخيل سماه رسول الله زيد الخير

حال مؤكدة ولا متخذي اخدان جمع خدن وهو الصديق يطلق على الذكر والانثى واتخاذ الاخدان ما يفعله الفسقة من التعشق والتعلق بمعينة وقيل السفاح الزنا جهرا وهذا سرا ومن يكفر بالايمان شرايعه فقد حبط عمله ان مات عليه لقوله فيمت وهو كافر في البقرة وهو في الاخرة من الخاسرين من عدادهم ولم يخرجه العمل السابق يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اذا اردتم القيام من اقامة المسبب مقام السبب او احد لازمي الشيء مقام الاخر اذ قصدتم التوجه الى الصلوة وذلك لانه لو اريد به مباشرة الصلوة عقيب القيام يلزم ان يكون الوضوء في الصلوة او بعدها ولو اريد القيام اليها يلزم ان يكون الوضوء بعد القيام متصلا بالصلوة والخطاب للمحدثين بقرينة الحال ولكونه صرح به في البدل واما حمل الخطاب على المحدثين والامر للندب وايجابه على المحدث فمع كونه مخالفا لاتفاق العلماء تخصيص لا دليل عليه وكذا القول بانه كان فرضا لكل صلوة ثم نسخ اذ ناسخ الكتاب لا يكون الا متواترا واني له ذلك هذا وقد روي مسلم عن ابي بريدة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء فقال صنعت شيئا لم تكن تصنعه قال عمدا فعلته يا عمر وسورة المايدة نزلت بعد الفتح ومن جعل الامر مشتركا او للقدر المشترك وهو الطلب الراجح اوجوز الجمع بين المعنيين فالامر عنده ظاهر فاغسلوا وجوهكم الغسل اسالة الماء والوجه ما بين منبت الشعر الي آخر الذقن طولا وما بين الاذنين عرضا وايديكم الي المرافق جمع مرفق بالكسر والفتح متصل الذراع والعضد الجمهور على وجوب غسله لان الي للغاية من غير دلالة على الدخول والخروج فاخذ بالاحتياط وقد روي جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ ادار الماء على مرفقه وقيل اذا تناولها صدر الكلام دخلت كما في الآية والا فهي لمد الحكم كاتموا الصيام ولا يطرد لورود قرأت القرآن الي سورة كذا واسري بعبده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى طردا وعكسا وامسحوا برؤسكم المسح متعد ضمن معنى الالصاق فعدي بالباء فيصدق بادنى شيء ولو بعض شعرة كما ذهب اليه الشافعي رحمه الله والايراد بان ذلك القدر حاصل في غسل الوجه غير موجه لوجوب الترتيب عنده وذهب مالك واحمد رحمهما الله الى وجوب الاستيعاب لما روي مسلم والبخاري عن عبد الله بن زيد انه وصف وضوء رسول الله فمسح راسه بيديه فاقبل بهما وادبر وابو حنيفة رحمه الله الى ربع الراس لحديث المغيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على الناصية والظاهر ما ذهب اليه الشافعي رحمه الله لان حكاية الفعل لا تعم وارجلكم الى الكعبين قرأه ابن كثير وابو عمرو وابو بكر وحمزه بالجر للجوار كحور عين او بتقدير وامسحوا برؤسكم مرادا به الغسل اشارة الى الاقتصاد لان آخر الوضوء محل الاسراف مع عدم الالباس بضرب الغاية فان قلت قراءة النصب بالعطف على محل المجرور لا على المغسول لوجود الفاصل قلت لو سلم تساوي الاحتمالين فالترجيح بما روي البخاري عن ابن عمر اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمسح على ارجلنا فنادي باعلى صوته ويل للاعقاب من النار وبانه اقرب الى الاحتياط لان الغسل مسح دون العكس وعن الشافعي رحمه اراد بالنصب قوما وبالجر آخرين يريد به المسح على الخف وان كنتم جنبا فاطهروا بالغوا في الطهارة بغسل البدن كله اصله تطهروا ادغمت التاء فاجتلبت الهمزة وان كنتم مرضى مرضا يمنع استعمال الماء او على سفر او جاء احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء في هذه الاحوال اما حقيقة او تقديرا بان يحتاج اليه لعطش محترم فتيمموا صعيدا طيبا ترابا طاهرا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من ذلك التراب ما يريد الله

ليجعل عليكم من حرج ادنى حرج اومن زايدة والاول اوجه لغاية بعد التراب من الماء ولكن يريد ليطهركم
في الاحوال كلها ولذلك جعل التيمم بدل الوضوء اذ قل ما يفقد التراب وهو ظاهر فيما ذهب اليه ابو
حنيفة رحمه الله من كون التيمم رافعا للحدث وحمله الشافعي رحمه الله على التطهير من الذنوب
لقوله في النساء ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا حيث جعل الغسل نهاية الجنابة وليتم نعمته عليكم
بافاضة المعارف والتوسعة في اسباب الطاعات لعلكم تشكرون لتكونوا في صورة من يرجى منه الشكر
وفيه اشارة الى كون الانسان كفورا واذكروا نعمة الله عليكم نعمة الاسلام اوكل نعمه وميثاقه الذي
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا كان اذا اسلم احد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبايعه على السمع والطاعة في المنشط والمكره وقيل المراد به بيعة الانصار ليلة العقبة سنة احدى
عشرة من النبوة كانوا اثني عشر رجلا وفي سنة ثلثة عشر بايعوه ايضا وكانوا سبعين وبايعه
الانصار والمهاجرون تحت الشجرة وهم الف وخمسمائة او بعمائة واتقوا الله في نقض الميثاق وفي
السمع والطاعة ظاهرا وباطنا ان الله عليم بذات الصدور من الضماير يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط بالعدل ولا يجرمنكم يحملنكم شنآن قوم شدة بغضهم على ان لا تعدلوا معهم اعدلوا
هو اقرب للتقوى صرح بما علم ضمنا مبالغة في شان العدل واذا كان هذا في شان الكفار الاعداء
فما ظنك بالمؤمنين والضمير للمصدر المدلول عليه واتقوا الله في المحافظة على الحدود ان الله خبير بما
تعملون حث على الاخلاص وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم
اورد الجزاء جملة اسمية على طريق الاستيناف من جوابا لسؤال بخلاف سورة الفتح مبالغة في تحققه
فان قلت لم روعي هنا ولم يراع هناك قلت لان هذا متاخر نزولا فيفيد زيادة
بالاجمال والتفصيل فان قلت لم روعي هنا ولم يراع هناك
ولذكره بعد الشهادة والامر بالعدل والتقوى والقيام بها من اشق الاعمال وذكره هناك بعد
الاوصاف الكمالية للصحابة وقيل الجملة مفعول القول المقدر والوعد لان فيه معنى القول والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ذكرهم للتقابل ترهيبا بعد الترغيب يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم روى مسلم
والبخاري عن جابر رضي الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة ذات الرقاع
سنة خمس من الهجرة فنزلنا واديا فتفرقنا نستظل الشجرة وتركنا شجرة ظليلة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فعلق سيفه ونام في ظلها فاستقيظ وسيفه في يد اعرابي مشرك صلتا فقال من يمنعك
مني فقال الله ثم شام الاعرابي السيف فتناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وقال من
يمنعك مني ثم اجتمع اليه اصحابه رضي الله عنهم فنزلت وعن ابن اسحق ومجاهد ذهب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى يهود بني النضير يستقرض منهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية
خطأ فقالوا نكرمك يا ابا القاسم واقعدوه في صفة وامروا واحدا منهم ان يعلو السطح ويلقي
عليه رحى فاخبره جبرئيل فقام وانصرف سالما فنزلت واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
لتفرده بالامر اعاد المظهر لدلالته على النعوت الموجبة للتوكل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اردف الامر بحفظ الميثاق على بني اسرئيل ونقضهم ذلك الميثاق
وما حل بهم بعده من النكال تحذيرا ولطفا بالتسامعين عن ابن عباس رضي الله عنه لما استقر
بنو اسرئيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله على لسان موسى عليه السلام بالمسير الى اريحا
وارض الشام وقال كتبتها لكم دار قرار وكان يسكنها العمالقة وكانت بنو اسرئيل اثني عشر
سبطا فجعل على كل سبط نقيبا ينقب عن شانهم ويعرف احوالهم وقال الله اني معكم بالنصر

والاعانة لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة اكتفى بهما لانهما امّا العبادات وآمنتم برسلي استمرتم
على الايمان بهم وعزرتموهم نصرتموهم من العزر وهو المنع ومنه التعزير قال القطامي
تعنفني والمرء ينفعه العزر واقرضتم الله قرضا حسنا يشمل انواع البر لاكفرن عنكم سيئاتكم
جواب القسم ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك
منكم بعد اخذ الميثاق والوعد المؤكد فقد ضل سواء السبيل اخطأ الطريق المستقيم من اضافة
الصفة الى الموصوف فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم عن رحمتنا اما مزيدة توكيدا
وجعلنا قلوبهم قاسية من القسوة وهي اليبس والصلابة مجاز عن عدم تاثرها بالايات
والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهو ابلغ يحرفون الكلم عن مواضعه بيان لقسوة قلوبهم
اذ لا قسوة اشد من تحريف كلام الله والافتراء عليه ونسوا حظا مما ذكروا به نصيبا وافيا
من العلم بشوم معاصيهم عن ابن مسعود رضي الله عنه ان المرء ينسى بعض العلوم بالمعصية وتلا
الآية من تبعضية او النسيان مجاز عن الترك ومن للابتداء وما ذكروا به في التورية وجوب
اتباع محمد عليه السلام ولا تزال تطلع على خائنة منهم يريدان الاخلاف على طريق الاسلاف
اذ بهم خيانة الرسل والخائنة مصدر كالعافية او وصف لمقدر كنفس وفرقة والتاء للمبالغة
كالراوية الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا فاعف عنهم تجاوز عن ذنبهم واصفح واعرض ولا
تعاتب قيل نسخ باية السيف والظاهر ان هذا فيما يتعلق به من خيانتهم لاطباق الجمهور
على ان لا نسخ في المايدة ولقوله ان الله يحب المحسنين لحسن موقعه على ذلك التقدير ومن الذين
قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم ميثاق الذين تقدم ذكرهم او ميثاق الذين قالوا انا نصارى
وفي قوله من الذين قالوا انا نصارى دون ومن النصارى اشارة الى انهم ليسوا من دين النصارى
الا زعما وادعاء فنسوا حظا مما ذكروا به تقدم تفسيره فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى
يوم القيمة اوقعنا والصقنا بهم من الغراء وهو ما يلصق به ان فتحته قصرت وان كسرته مددت
ثم ترتيب اللعن على نقض اليهود ووصفهم بالقسوة والخيانة والاكتفاء في النصارى بالاغراء
والاقتصار على نسيان الذكر دل على غلو اليهود في الكفر وانهم اسوء حالا وسوف ينبئهم الله
بما كانوا يصنعون يقصدونه من الكفر والنقض يا اهل الكتاب خاطب الجنس بعد بيان حال كل
فريق قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كاية الرجم ونعت محمد عليه
السلام ويعفو عن كثير مما لا تدعو ضرورة الى اظهاره والكثرة باعتبار ذاته دون التقابل
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين اي القرآن قدم اشرف وصفيه والمبين من ابان لازما ومتعديا
ولم يعطفه لاستقلاله بالهداية يهدي به الله بالقرآن من اتبع رضوانه ما ارتضاه من الدين
سبل السلام طريق السلامة او سبيل الله على ان السلام من اسمائه تعالى ويخرجهم من الظلمات
الى النور من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والمعرفة باذنه بتوفيقه وتيسيره ويهديهم
الى صراط مستقيم كرره للتاكيد وبين ان جمع السبيل للتعظيم ويجوز ان يراد به الفروع لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم هم القايلون باتحاد اللاهوت والناسوت قل فمن يملك
من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا الملك هو الامساك
بقوة والحفظ بحزم والمعنى من يقدر على منعه من مراده ان تعلقت به ارادته والاقتصار على من
في الارض لان الكلام في عيسى عليه السلام ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما
يشاء كيف يشاء ومن ذلك عيسى وامه واذا كان ابداء الكل وافناؤه منه انى يتوهم لشي شائبة

لا لوهية والله على كل شيء قدير ومن ذلك خلق عيسى عيشى من غراب وقالت اليهود والنصارى نحن
ابناء الله واحباؤه اتباع ابنائه كما تقول خواص الملوك نحن الملوك والاحباء جمع الحبيب بمعنى المحبوب
قل فلم يعذبكم بذنوبكم بالمسخ في الدنيا والعذاب في الاخرة اياما معدودة ان صح ما ادعيتم فان احدا لا يواخذ
حبيبه فقال واذا المحبوب اتى بذنب واحد جاء محاسنه بالف شفيع ولا اشياع ابنه وانصاره وفي المثل
لاجل عين الف عين مكرم روى انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لا يلقى
الله حبيبه في النار وما قيل من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه غير لازم وكم ابن عاق
اباه ولا دلالة للكلام عليه بل انتم بشر ومن تزعمون انكم اشياعه بشر ممن خلق لا مزية لكم اضرب
عن الجواب للقطع بعجزهم عنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء مؤمنا كان او كافرا ان لم يتب ولله
ملك السموات والارض وما بينهما كرره لترتب عليه امر المعاد كما رتب على الاول امر المبداء واليه المصير
فيجازي كل احد على عمله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم الدين الحق وفي اضافته اليه
توبيخ لهم حيث لم يرضوا بمن ارتضاه على فترة من الرسل على عهد منهم وشدة احتياج اليه اصل الفترة
الانكسار اطلق على ما بين الرسولين لضعف الدين الجار يتعلق بجاء كم او في محل الحال روى البخاري عن
ابن عباس رضي الله عنه ان مدة الفترة كانت ستمائة سنة ولا نبي بين عيسى وبين رسول الله
عليهما السلام لقوله انا اولى الناس بابن مريم لا نبي بيني وبينه وقيل كان بينهما اربعة انبياء
ثلثه من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي ان تقولوا ما جاءنا ولا بشير ولا نذير
لئلا تقولوا فقد جاءكم بشير ونذير اي لا تعتذروا فقد جاءكم ابطل اعتذاركم والله على كل
شيء قدير واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اي اذكر رواه البخاري
ذلك الوقت لتحيط علما بما قاساه من جهلة بني اسرائيل فان فيه ما يسليك اذ جعل فيكم انبياء
من لدن يعقوب عليه السلام لم يبعث الانبياء في طايفة اكثر مما بعث فيهم وجعلكم ملوكا
تملكون انفسكم بعد ان كنتم في يد القبط عبيدا او ملوك مصر بعد فرعون وقيل من له زوجة ودار
وخادم فهو ملك روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له السنا من فقراء المهاجرين
فقال هل لك من امرأة ودار تسكنه قال بلى قال فانت من الاغنياء قال ولي خادم قال فانت من الملوك
وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر والآيات التسع وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
في التيه يا قوم ادخلوا الارض المقدسة هي الشام من نهر الفرات الى وادي العريش الوادي الايمن
وتقديسها بانها موطن الانبياء وبها قبلتهم وهي ارض المحشر التي كتب الله لكم تشجيع لهم بانها قد كتبت
لهم قبل خلق السموات والارض بخمسين الف عام ولا ترتدوا على ادباركم الى مصر او بمخالفة موسى
فتنقلبوا جزم بالعطف او نصب على الجواب خاسرين خير الدارين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
الجبار فعال من جبر بمعنى اجبر هو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وقيل من يقتل اذا غضب
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بحربهم قال رجلان من
الذين يخافون الله كانه قيل من الكمل المتقين هما يوشع بن نون وكالب بن يوفنه انعم الله
عليهما بالثبات وقوة القلب ادخلوا عليهم الباب باب المدينة فاذا دخلتموه فانكم غالبون
علموا ذلك باخبار موسى عليه السلام او من عادة الله نصر الرسل او لما شاهدوا من حال فرعون
والظاهر انهم لما راوا اعظم اجسامهم علموا انهم لا يتمكنون من القتال في المضايق وذلك ان
موسى ارسل اثني عشر رجلا وهم النقباء جواسيس يأتونه بخبرهم فلقيهم رجل منهم فجعل كلهم
في كساء واتى بهم قومه فقالوا من انتم قالوا نحن اصحاب موسى قال واحد منهم ادوسهم برجلي

فقال

فقال ملكهم اطلقوهم ليخبروا بحالكم وما شاهدوه فلما رجعوا واخبروا بحالهم قال بنو اسرائيل ما قالوا
وقيل كانا رجلين من العمالقة آمنوا بموسى وبعد لا يخ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين بانه
لا مؤثر غيره قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها نفوا الدخول على ابلغ وجه بلن ثم قيدوه
بالزمان بذكر الابد ثم اشار دوا اليه ان الابد لم يريدوا به معناه فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
لم يريدوا حقيقة الذهاب والا لكفروا واستبانهم بل ارادوا انك منصور من عند الله وقد شاهدنا
حالك مع فرعون ونصره معك حيث كنت ومعنى انا ههنا قاعدون انا لا نرجع بل ننتظر خبرك معهم
وقيل ارادوا حقيقة الذهاب لجهلهم وعدم مبالاتهم واذا قابلت بمقالتهم مقالة الانصار يوم
بدر لما استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال قريش قالوا لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل
بل نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ولو ضربت اكبادها الى برك الغماد لاتبعناك
ظهر لك ما فضلت به خير الامم قال رب اني لا املك الا نفسي واخي نصب بالعطف على نفسي او
على ضمير اني او رفع عطف على ان وما في حيزها كانه قال انا لا املك الا نفسي وهرون كذلك او على
المستكن في لا املك لوجود الفصل ولم يذكر الرجلين لعدم الوثوق بهما او اشار الى قلة من يوافقه
على طريقة تمثيل حاله بحال من لا يملك الا نفسه واخاه او اراد بالاخ من يواخيه في الدين والغرض
من الاخبار بث الشكوى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين خلصنا من مجاورتهم ولخلافهم الذميمة
قال فانها محرمة عليهم اي الارض المقدسة اربعين سنة يتيهون في الارض الظرف متعلق بيتيهون
والتحريم على اطلاقه والصحيح تعلقه به لما روى ابن عباس رضي الله عنه ان الله استجاب دعاء موسى
فمات هرون بعد سنة وهو بعد ثلث سنين فقال حين حضرته الوفاة اللهم ادنني من الارض المقدسة
ولو برميه حجر فاستجاب الله منه فهو في الارض المقدسة بينه وبين بيت المقدس ثلث فراسخ تقريبا
وبعد اربعين سنة بعث الله يوشع بن نون نبيا فسار بمن بقي منهم ففتح بيت المقدس وقتل الجبابرة
وكان يوم الجمعة بعد العصر فخاف دخول السبت فنادى اللهم احبس الشمس علي فحبسها حتى فتحها
الى القصة اشار ابو تمام بقوله فوالله ما ادري الاحلام نايم المت بنا ام كان في الركب يوشع فلا تأس
على القوم الفاسقين بعد استجابة دعائك لرقة القرابة واتل عليهم نبأ ابني آدم لما كان كفر
اهل الكتاب برسول الله صلى الله عليه وسلم ناشيا من الحسد امره بان يتلو عليهم حال اول من
حسد وما اثمر له حسده كان في شرع آدم تزويج الاخوات الاخوة وان لا يزوج توامه وكانت
توأمة قابيل ~~فابى قابيل~~ اجمل من توامه هابيل فابى قابيل ان يتزوجها هابيل وقال توامتي
انا اولى بها فقال آدم عليه السلام تقربا بقربان فايكما يقبل منه فهو على الحق وكان صاحب
زرع فجاء بحزمة حصيد اخبث ما كان في زرعه وهابيل صاحب ضرع فجاء بكبش احسن ما كان
في غنمه فنزلت النار على قربان هابيل بالحق تلاوة بالحق صفة مصدرا وحال من المفعول اي
نبأ ملتبسا بالحق او من الفاعل اي وانت محق ملتبس بالصدق والباء في الاوجه للملابسة اذ
قربا قربانا ظرف للبناء اي حديثهم في ذلك الوقت او بدل بتقدير مضاف اي حديث ذلك
الوقت والقربان ما يتقرب به كالقرآن والحلوان ولم يثن لانه مصدر في الاصل فتقبل من
احدهما ولم يتقبل من الآخر لسوء ضميره قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين
فلو كنت منهم لتقبل منك فان قلت انما يتقبل الله من المتقين لا يدل على انه يتقبل من كل متق
كما اذا قلت فلان لا يقبل الا عطاء الملوك لا يلزم ان يقبل عطاء كل ملك قلت اراد ان قبول قربانه
لاجل تقواه واوهمه انه لو كان متقيا لكان مثله في قبوله لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا

بباسط يدي اليك لاقتلك آثر الاسمية في الجواب مؤكدة بالباء مبالغة اخراجا له عن الاتصاف
بهذه الرذيلة على آكد وجه كما تقدم في وما هم بمؤمنين اني اخاف الله رب العالمين بل اختار الاولى
وان كان الدفع جائزا وقيل لم يكن جائزا في شرع آدم يؤيده انني اخاف الله وفي الحديث كن خير ابني آدم
مظلوما ولا تكن ظالما اني اريد ان تبوء باثمي واثمك باثم قتلي واثمك السابق من الحسد او بمثل
اثم قتلي اياك لو باشرته واثم قتلك اياي الذي تباشره كما في الحديث المستبان ما قالا فعلى البادي
ما لم يعتد المظلوم وقيل باثمي يوم القيمة فان الظالم اذا لم يكن له حسنات يحمل سيئات المظلوم
فتكون من اصحاب النار لكفرك بانكار ما شرع الله وذلك جزاء الظالمين عند الله فطوعت له نفسه
قتل اخيه سهلت وهونت من طاع له المرتع اتسع فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ لم يظفر
بما قتله لاجله وحمله على ظهره سبعة ايام دائرا به لا يدري ما ذا يفعل به روى البخاري ومسلم
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقتل نفس ظلما
الا كان على ابن آدم الاول كفل منه لانه اول من سن القتل وروي ان الشيطان جاءه في صورة
ناصح وقال هل تدري لماذا اكلت النار قربان اخيك انما اكلته لانه كان يعبدها ويتقرب
اليها فشرع قابل في عبادة النار ثم قال له انت في سآمة مما فاتك فاشتغل بدفع همك فعلمه
آلات الملاهي وشرب الخمر ونشأت ذريته على الكفر والفسوق فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوأة اخيه بعد ما اروح وشق عليه حمله ارسل الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما
الآخر وحفر له ودفنه فيه قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب من الويل وهو الهلاك
يتاسف بها على فائت واشار الى وجه الشبه بقوله فاواري سوأة اخي كل ما يستحي منه من السوء
فاصبح من النادمين على حمله ومشقته تلك الايام وقيل على قتله لا توبة بل لعدم ظفره
بالمطلوب ونكد عيشه عن ابن عباس رضي الله عنه لم يكن قبل قتله شوك على شجر ولا حموضة في
ثمر ولا يعدو ذئب على غنم ولم يضحك آدم مائة سنة حتى جاءته الملائكة بتحية من الله وقالوا حياك
ربك وبياك وينسب اليه شعر ملحون انه رثى به هابيل وهو كذب عليه لان الشعر ليس من شيم
الانبياء من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما
قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا الاجل مصدر اجل كذا جناه والمعنى ان
ذلك القتل جنى وجر على بني اسرائيل هذا الحكم وهو ان من قتل نفسا لم يبح الشرع قتله بان
يقتل نفسا توجب القصاص او يفعل فسادا يوجبه كزنى المحصن وقطع الطريق والردة فكانما
قتل كل فرد ولد ويولد الى يوم القيمة من مؤمن وكافر وكذلك احياؤها والتسبب في خلاصها
وانما كان كذلك لاستواء الكل في الجنسية المكرمة ترغيبا في الاحياء وتنفيرا عن القتل والافناء
روى ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة
لقي الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله وتخصيص بني اسرائيل بالذكر لانه في عدة مثالبهم
وانهم بعد ان كان هذا في كتابهم قتلوا الانبياء سئل الحسن البصري عن هذا فقال ما جعل الله دماء
هذه الامة اهون من دماء بني اسرائيل ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم
بعد ذلك المذكور من الكتبه وآيات الرسل في الارض لمسرفون مبالغون في الافساد ولم ينزجروا
بذلك انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله محاربة الله ورسوله محاربة المؤمنين ومن بينهم
من اهل الذمة ويسعون في الارض فسادا للفساد ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم
من خلاف او ينفوا من الارض ذهب بعضهم الى ان الامام مخير في قطاع الطريق بين سد العقوبات

بتباك اصحابك

استدلالا بظاهرها وحملها ابو حنيفة رحمه الله على التنويع لانها اجزية مختلفة غلظا وخفة
فلا يكون الا في مقابلة جنايات كذلك فان ظفر بهم قبل قتل واخذ مال حبسوا حتى يتوبوا هو المراد
بالنفي وان اخذوا مالا يبلغ نصيب كل واحد نصاب السرقة قطعت ايديهم وارجلهم
من خلاف وان قتلوا ولم ياخذوا مالا قتلوا حدا وان جمعوا بين القتل واخذ المال ان شاء
قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وان شاء اقتصر على القتل او الصلب
وبه قال الشافعي رحمه الله الا انه حمل النفي على فل شوكتهم وتشريدهم في البلاد و
بحيم القتل والصلب ان اخذوا المال وقتلوا بان يقتل اولا ثم يصلب ميتا ثلثة ايام والآية
نزلت في العرنيين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمل اعينهم فنسخ بها وقيل نزلت
في قوم هلال بن عويمر مر بهم ناس يريدون رسول الله فقطعوا عليهم الطريق ذلك لهم خزي
في الدنيا ذل ولهم في الآخرة عذاب عظيم يضمحل ذل الدنيا عنده الا الذين تابوا من قبل
ان تقدروا عليهم فان حق الله يسقط دون حق العباد ان لم يكونوا حربية فاعلموا ان
الله غفور لما سلف منهم رحيم بجعل سيئاتهم حسنات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة اسم ما يتقرب به من وسل بكذا تقرب به قدم عليه الامر بالتقوى
لما تقدم من قول هابيل انما يتقبل الله من المتقين وجاهدوا في سبيله من كل بر بما بلغت
اليه طاقتكم لعلكم تفلحون تفوزون بمرضاته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا
من صنوف المال ناطقا وصامتا ومثله معه والواو بمعنى مع يدل على معية الثبوت ومع
على اقتران الثابتين حال الثبوت والعامل فيه الفعل المقدر بعد لو لا معنى الفعل في لهم لجواز
العطف لوجود الفاصل وتعينه في العامل المعنوي ليفتدوا به وتوحيد الضمير باعتبار المذكور
من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ليس المعنى على انهم لو زادوا على المذكور تقبل منهم
بل ايراد كلمة يفهم منه دوام العذاب ولزومه على طريق الكناية ويجوز ان يكون تمثيلا
لحالهم في عدم التفصي عن العذاب بحال من يكون له امثال ما في الارض ويريد بها الخلاص
عن العذاب ولا يجد اليه سبيلا ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار بيان لسوء حالهم
وما هم بخارجين منها آثر الاسمية مؤكدة بالباء ردا على ابلغ وجه ولهم عذاب مقيم ابدا لا يفارقهم
دفع لما يقوله بعض الملاحدة من انهم يعتادون فلا يحسون بالالم روى البخاري ومسلم عن انس
رضي الله عنه قال يؤتى بالرجل من اهل النار فيقول الله له تفتدي بقراب الارض ذهبا لو كان
لك فيقول كذبت قد سألتك اهون من ذلك فلم تفعل يريد كلمة التوحيد والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه كانه قال حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم ثم
اشار الى الحكم بقوله فاقطعوا ايديهما وذهب المبرد الى انها جملة والفاء لتضمن المبتدأ
معنى الشرط وليس من قبيل وربك فكبر لان الفاء الجزائية يمنع العمل فيما قبلها والمقطوع
اليمين من الكوع بينه فعله صلى الله عليه وسلم الحسن وما يقطع به مال مخرج عن الحرز خفية
مقداره عشرة دراهم عند ابي حنيفة رحمه الله وربع دينار عند الشافعي ودرهم عند الحسن
جزاء بما كسبا نكالا من الله نصب على المفعول له وترك العاطف لان المعنى ان القطع
الذي للجزاء لقصد النكال وقدم السارق لانه اكثر ما يكون في الرجال وقطع العضو الجاني
منه دون الزاني محافظة على العورة وابقاء النسل والله عزيز غالب على امره حكيم
في كل ما شرع من الزواجر فمن تاب من بعد ظلمه واصلح ما افسد بالرد والاستحلال

فيعود ربك

فان الله يتوب عليه بقبل توبته ان الله غفور للذنوب رحيم بقبول التوبة الم تعلم ان الله
له ملك السموات والارض استفهام تقريري اي قد علمت ذلك الخطاب عام يعذب من يشاء و
يغفر لمن يشاء قدم التعذيب لان الكلام في موجب العقاب والله على كل شيء قدير والاختصاص
من الارادة يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر في تقوية اسبابه واعانة اعوانه
وقرا نافع بضم الياء وكسر الزاء وقد تقدم في آل عمران انه ابلغ من الذين قالوا آمنا بافواههم
الجار يتعلق بقالوا دون آمنا ولم تؤمن قلوبهم حال او عطف ومن الذين هادوا من اليهود
سماعون للكذب مبتداء خبره من الذين هادوا او خبر مبتداء محذوف اي هم والضمير لليهود او
للطايفتين باعتبار وقوع الفعل بينهم واللام للتاكيد والسماع بمعنى القبول كقوله سمع الله
لمن حمده او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك بالزيادة والنقصان
سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اي يسمعون منك للانهاء الى اكابرهم الذين لم ياتوك تكبرا
وافراطا يحرفون الكلم من بعد مواضعه لانه وصف عظماء هم الذين كانوا يجادلونه وكذا قوله
بعد اكالون للسحت فانه وصف للاحبار في اكل الرشى والجملة حال من قوم لكونه موصوفا او صفة
وهذا ادل على الذم من قوله يحرفون الكلم عن مواضعه لدلالة بعد على الاستقرار و
الثبات يقولون ان اوتيتم هذا يجري في اعرابه الوجوه المذكورة فخذوه اي المحرف وان لم
تؤتوه فاحذروا قبوله نزلت في يهود زنى شريف منهم بشريفة وكان الحكم في التورية
الرجم فظنوا ان الحكم عند رسول الله الجلد فرفعوا اليه وقالوا ان حكم بالجلد فاقبلوا وان حكم
بالرجم فلا تقبلوا فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجم فابوا قبوله وقالوا ليس عندنا
الا تسويد وجوههما وتحميلهما فانزل الله قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
فاتوا بالتورية فوضع القاري يده على آية الرجم وقرا ما قبله وما بعده فقال عبد الله
بن سلام مره برفع يده فرفعها فوجدوا آية الرجم قال عبد الله بن عمر رضي الله
عنه فامر بهما فرجما عند المسجد وانا ممن رجمهما ومن يرد الله فتنته اضلاله فلن تملك له
من الله شيئا من الهداية دل هذا على ان حزنه كان شفقة عليهم اولئك الذين لم يرد الله
ان يطهر قلوبهم من الشرك والنفاق لهم في الدنيا خزي بظهور كذبهم على الله في كتابه الذي
يؤمنون به وغير ذلك من الذلة المضروبة عليهم ولهم في الآخرة عذاب عظيم لا نسبة لخزي
الدنيا اليه سماعون للكذب اكالون للسحت هو الحرام لانه مسحوت البركة واسحت لها اذا
اختلط بالحلال من سحته واسحته استاصله وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بضم الحاء
والمراد به ما كانوا ياخذونه من الرشى على الاحكام وتحريف الكلم فان جاؤك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم انت مخير نسخ بقوله واحكم بينهم بما انزل الله وبه قال الشافعي وابو حنيفة
رحمهما الله الا ان الشافعي قيد وجوب الحكم بما اذا كان احد الخصمين مسلما وان تعرض عنهم
فلن يضروك شيئا من الضرر لان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
بالعدل ان الله يحب المقسطين العادلين في الاحكام وكيف يحكمونك تعجيب من طلبهم الحكم
منه وهم لا يؤمنون ولا يكتفا به واشارة الى انهم انما تحاكموا اليه لغرضهم وعندهم
التورية والحال ان عندهم ما يغنيهم عن السوال فيها حكم الله تقرير لكون التورية مغنية
عن طلب الحكم منه ثم يتولون من بعد ذلك التحكيم ثم لاستبعاد التولي بعد الرضى بحكمه
داخل تحت التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم فضلا عن الايمان بغيره او ليسوا بالكمل

الى سفلتهم الذين لم يحضروا واعلى بجالسة وقيل

وهذا يرد على من قال انه لا نسخ في المائدة الا ان تعالى [illegible] لانا نسخ من غيرها منه

في الايمان تهكم بهم لانهم كانوا يزعمون ذلك انا انزلنا التورية فيها هدى ونور عظم شان
التورية من يد توبيخ لهم يحكم بها النبيون من لدن موسى الى محمد عليهما السلام الذين اسلموا
صفة مدح لا للموصوف فان النبوة اعلى شانا من الاسلام بل للصفة نفسها اشارة الى عظم شانها
تعريضا باليهود بانهم ليسوا على ملة الاسلام التي هي دين الانبياء ويجوز ان يراد بالاسلام
التفويض بالكلية والتوجه الى جناب القدس كقول ابرهيم اسلمت لرب العالمين والمعنى هم مع
نباهة شانهم منقادون لحكم التورية وهؤلاء يعرضون عنه ويحرفونه للذين هادوا صلة يحكم
او انزلنا لان نفعه عايد اليهم والربانيون العلماء الزهاد منسوب الى الرب والالف والنون
لتغيير النسب والاحبار جمع حبر بالكسر والفتح العالم الكبير بما استحفظوا من كتاب الله لاجل استحفاظ
الانبياء اياهم الحكم والقضاء بما فيه ويجوز ان يكون الضمير لهم وللانبياء اي بان كلفهم الله حفظه من
التحريف والتبديل وكانوا عليه شهداء رقباء يحفظونه عن التبديل والتحريف فلا تخشوا الناس اي اذا
علمتم ان الاحبار كانوا حافظين للتورية حاكمين بما فيه فانتم اولى بذلك فلا تجوروا في الاحكام خشية
من الناس واخشوني لان الامر كله بيدي ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا حطاما فانيا كما فعل اهل الكتا
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون حقيقة ان اعتقد واجوازه والا كفروا باشرف
نعم الله وهو العلم الذي لم يعملوا به وكتبنا عليهم فيها في التورية ان النفس بالنفس والعين
بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص استدل به ابو حنيفه
رحمه الله على ان المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد بناء على انه حكي شرع من قبلنا على انه
شرعنا وخالفه الشافعي رحمه الله لما روى البخاري عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر وحكي الاجماع على عدم
قتل الحر بالعبد ولما قال ابن عباس رضي الله عنه ان الاية اوجبت القود لزوما من غير
بدل ولا عفو فلا تعمنا ولا تنسخ الحر بالحر والعبد بالعبد قرا نافع الاذن سكون الذال
وقرا الكسائي العين وما بعدها بالرفع عطفا على ان واسمها لان الكتابة فيها معنى القول
فالمفتوحة بعدها في حكم المكسورة وقرا هو وابن كثير وابو عمرو وابن عامر الجروح بالرفع
والوجه ما تقدم فمن تصدق به بالقصاص سمي العفو صدقة ترغيبا فهو كفارة له يكفر الله به
ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه القصاص ولا يخفى بعده ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الظالمون الكاملون في الظلم وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم قفيت زيدا اذا جئت بعده
وتعدي الى الثاني بالباء تقول قفيت زيدا بعمرو وحذف المفعول الاول لان على آثارهم
ساد مسده اي اتبعنا انبياء بني اسرائيل بعيسى مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل
فيه هدى ونور فيه هذان الوصفان ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف على فيه هدى
وكذا قوله وهدى وموعظة ويجوز نصبهما على العلية للمتقين لانهم المنتفعون به وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه اي قلنا لعيسى بن مريم بان يحكموا بما فيه على حد وما آتيكم
الرسول فخذوه وقرا حمزة بكسر اللام ونصب الفعل على انها لام كي عطفا على هدى لانه في
حكم المصدر وان انتصب هدى على الحال يتعلق بآتينا عطفا على علة محذوفة ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الفاسقون فصل اولا بالكفر وثانيا بالظلم وثالثا بالفسق فعن ابن عباس
رضي الله عنه ان الكل في اهل الكتاب لما سئل عنه قال نعم القوم انتم ما كان من حلو فهو لكم
وما كان من مر فهو لاهل الكتاب وعن الشعبي ان الاول في المسلمين والثانية في اليهود والثالثة

انما كان بعد الاذن الكلي انما تكون للمصدق لا لمن تصدق عليه منه

في النصارى وعن ابن مسعود والحسن رضي الله عنهما الكل في الكل وهو الوجه وفي الآية دليل على
ان شريعة عيسى عليه السلام كانت ناسخة لشرع موسى عليه السلام والقول بان مما انزل الله في
الانجيل العمل بما في التورية خلاف الظاهر ويرده لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وانزلنا اليك
الكتاب القرآن بالحق ملتبسا به مصدقا لما بين يديه من الكتاب ما تقدمه من الكتب اللام في الاول
للعهد وفي الثاني للجنس ويجوز العهد باعتبار كونه سماويا خص بما عدا القرآن ومهيمنا عليه رقيبا
وحفيظا يشهد بصدقه من الامن اصله مؤامن بهمزتين قلبت الاولى هاء والثانية ياء تخفيفا
فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق منحرفا عنه ضمن جاء معناه فعدي
بعن لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الشرعة والشريعة طريق الماء اطلق على الدين الموصل الى
زلال الحيوة الابدية والمنهاج الطريق الواضح فالعطف باعتبار الصفة وقيل المنهاج الدليل
الموصل الى الدين ولا يلزم المخالفة في كل الاحكام فلا ينافي شرع من قبلنا شرعنا ولا قوله فبهديهم
اقتده لانه في العقايد التي لا تتبدل ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة تابعة لشرع واحد ولكن
ليبلوكم فيما آتيكم من الشرايع المختلفة فان ترك المألوف مخالف لهوى النفس الا يرى انهم لما كانوا
لم يروا في اشهر الحج العمرة في الجاهلية لما امرهم بها كيف شق عليهم وتوقفوا فيه حتى قال لو استقبلت
من امري ما استدبرت لما سقت الهدي فاستبقوا الخيرات كلها الاستباق بمعنى المسابقة وهي
القصد الى التقدم على الآخر في السبق الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون فيجازي
السابق والمقصر على قدر سعيه ويميز المحق عن المبطل وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على
الكتاب او على بالحق ان موصولة اي وبالحكم او عطف بحسب المعنى على فاحكم كرره ليناط به قوله
ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك روى ابن اسحاق عن
ابن عباس رضي الله عنه ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قالوا تعالوا
نذهب الى محمد نفتنه فاتوا رسول الله وقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار وانا ان اتبعناك اتبعك
اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنتحاكم اليك فتحكم لنا ونحن نؤمن بك فابى ذلك فنزلت فان
تولوا اعرضوا عن حكمك فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بسبب توليهم
وابهمه اشارة الى عظمه بين الذنوب كقول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها والمراد
عذاب الدنيا لان العذاب على الكل في الآخرة وكان ذلك عن قريب قتل قريظة واجلاء النضير
وان كثيرا من الناس لفاسقون خارجون عن طاعة الله افحكم الجاهلية يبغون كانت بنو
النضير اشرف عن قريظة فكان النضيري لا يقتل بالقرظي ودية القرظي نصف دية
النضيري فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم بالسواء فقالوا نرجع الى حكم
آبائنا فنزلت وفيه توبيخ لهم حيث كانوا اهل العلم ويتبعون الملة الجاهلية وقرأ ابن
عامر تبغون بالخطاب وهو اشد تقريعا ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي لا احسن
حكم الله لا يخص قوما دون قوم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تعتمدوا
اعداء الله ورسوله ثم علل بقوله بعضهم اولياء بعض لان الجنسية علة الضم وفي الحديث المرء
على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وقال شاعر عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ومن يتولهم
منكم فانه منهم تشديد وتنفير كقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا
ان الله لا يهدي القوم الظالمين الكاملين في الظلم وهم الذين لا يتركون موالاتهم بعد النهي
عن عبد الله بن عتبة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ليتق احدكم ان يكون يهوديا

بعض

اخوه
وكل قرين بالمقارن يقتدي

اتباع طائفة من اليهود

ونصرانيا فعلمنا انه يريد هذه الآية فترى الذين في قلوبهم مرض نفاق يسارعون فيهم روى
ابن اسحق ان قينقاع نقضت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين عبد الله بن سلول وعبادة
بن الصامت وبينهم موالاة وحلف فاما عبادة بن الصامت فانه تبرأ منهم وقال اتولى الله و
رسوله والمؤمنين واما ابن سلول فهو الذي في قلبه مرض قال انا لا ابرأ من موالاتهم اني لي موالا
واسبابا ولا ادري ما يكون من ريب الزمان ودوايره فقال له رسول الله يا ابا الحباب ما نفست به
من ولاء اليهود على عبادة فهولك دونه فقال رضيت والمسارعة تستعمل بالى وايثار
في للدلالة على انه داخل في عدادهم واحد منهم يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة فعسى الله ان يأتي
بالفتح بفتح مكة ويظهر شوكة الاسلام او امر من عنده من قتل قريظة واجلاء النضير وضرب
الجزية على غيرهم فيصبحوا فيصير المنافقون على ما اسروا في انفسهم من الشك في امر رسول الله
نادمين حين لا ينفعهم الندم ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم
انهم لمعكم كلام مبتدأ اي ويقول المؤمنون في ذلك الوقت فيما بينهم هذا الكلام اظهارا لما انعم
الله عليهم او مواجهة لليهود ونصبه ابو عمرو على ان عسى فعل تام وان يأتي بدل من فاعله و
يقول عطف عليه او بتقدير آمنوا به اي عسى الله ان يقول الذين آمنوا او لما كان قول المؤمنين مسببا
عن الاتيان بالفتح اقيم مقامه مبالغة في اتحاده او عطف على الفتح لانه بتقدير الاسم مع ان او على
فيصبحوا لانه جواب الترجي وهو من الله تحقيق وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بحذف الواو
جواب سؤال اي ماذا يقول المؤمنون اذا جاء الله بالفتح والرسم مختلف ثابتة في العراقي محذوفة
في الحجازي والشامي وجهد الايمان افراغ الوسع فيها توكيد حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين في
الدارين من قول المؤمنين تعجبا يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ارتد في زمن رسول
الله ثلث طوايف بنو مدلج وسيدهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي بالبمن قتله فيروز الديلمي
واصحابه وبنو حنيفه قوم مسيلمة الكذاب فقتل في ايام الصديق قتله الوحشي قاتل حمزه وبنوا
اسد قوم طليحه ثم اسلم طليحه وحسن اسلامه وسبع طوايف في زمن الصديق فزارة وغطفان وبنو
سليم وبنو يربوع وبعض تميم وكنده وبنو بكر بن وايل وقرأ نافع وابن عامر ومن يرتدد بفك
الادغام وهو الاصل لان ثاني المثلين ساكن وعليه رسم الامام والمدني والشامي ومن ادغم حرك
الثانية روم التخفيف فسوف يأتي الله بقوم هم اهل اليمن وقيل فارس روى انها لما نزلت
وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على عاتق سلمان وقال هم هذا وذووه فان قلت
اين الراجع الى المبتدأ قلت ان جعل الخبر الجزاء وحده فالتقدير يأتي الله بقوم مكانهم وان
جعل الشرط والجزاء فضمير دينه يحبهم ويحبونه محبة الله عبده توفيقه للايمان والطاعة و
غفران ذنوبه ومحبة العبد امتثال اوامره واجتناب ما نهاه والناس في ذلك متفاوتون تفاوتا
بقوة الحصر وقدم محبته لانها الاصل والموجب لمحبة العبد اذلة على المؤمنين من الذل بضم
الذال ضد العزة عدي بعلى اما للمقابلة او لتضمين معنى العطف والحنو اعزة على الكافرين غالبين
بالبأس كقوله اشداء على الكفار يجاهدون في سبيل الله في اعلاء كلمته ولا يخافون لومة لائم
اي يجاهدون وحالهم هذا لا كالمنافقين الذين يجاهدون نفاقا وطمعا في المغانم خائفين من
لوم اليهود او عطف على معنى انهم في دينهم صلاب او حديون لا يشق غبارهم يفعلون الآباء
والابناء وفيه توكيد من وجهين بناء المرة وتنكير لائم اي لا يخافون شيئا من اللوم من لائم ما ذلك
المذكور من الاوصاف الشريفة فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع فضله عليم بمن يستحقه

انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا متصل بقوله لا تتخذوا وما في البين تاكيد للنهي وانما افرد
الولي ليكون في الكلام اصل وتبع كقوله صلى الله عليه وسلم للخطيب لما قال ومن يعصهما فقد غوي
قل من يعص الله ورسوله بئس خطيب القوم الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون رفع او
نصب على المدح او بدل من الموصول تمييزا للخلص من الذين آمنوا السنة ومعنى راكعون خاشعون
مدح لهم بانهم جامعون بين حسن الاعمال ظاهرا وباطنا وقيل حال من يؤتون الزكوة لما روي
ابن عباس رضي الله عنه ان سائلا مر بعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو راكع فالقى اليه خاتمه
فنزلت وعلى هذا ايثار الجمع اعظاما له وترغيبا لغيره والحصر للمبالغة لكونه في اقصى مراتب
البر ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون الحزب طايفة اجتمعوا لامر
حزبهم اقامه مقام المضمر اشارة الى انهم اعلام في كونهم حزب الله لا يسبق الى الفهم غيرهم او ذكر
الله للتنويه وحزب الله رسول الله والمومنون والمعنى ومن يتولاهم فقد تولى حزب الله والاول اوفق
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
والكفار اولياء اقرا اهل الكتاب ولا ضم اليهم الكفار ثانيا لشدة عداوة اهل الكتاب والغرض من
الهزو تحقيرا للمهزو به ومن اللعب طلب الفرح وقرا ابو عمرو والكسائي والكفار بالجر وهو المختار
لقرب المعطوف عليه ولشمول الاستهزاء الفريقين ولقراءة ابي ومن الكفار واتقوا الله ان كنتم
مومنين في ايثار ان دلالة على نوع موالاة بينهم واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا
اي واذكروا ذلك الوقت ليظهر لكم موجب عدم موالاتهم كانوا يتضاحكون عند ركوع المومنين
وسجودهم ويكثرون اللغو يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ذلك بانهم قوم لا يعقلون
اذ لو عقلوا ما اتخذوا افضل الاعمال ومعراج العبد ومحل مناجاة الرب هزوا كيف ولا عبادة بدنية
الا وهي موجودة في الصلوة وفي كل ركعة سجدتان واقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد روي
ابن جرير انه كان بالمدينة رجل من نصارى نجران كلما سمع في الاذان اشهد ان محمدا رسول الله يقول
حرق الله الكاذب فدخل خادمه بالنار ليلا وهو نايم فتطاير منها شرارة فاحرقه الله واهله
وماله قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل اي
ما تعيبون منا الا ما هو اصل المناقب وهو الايمان بالله بكل الكتب المنزلة عن ابن عباس رضي
الله عنه ان جمعا من اليهود قالوا لرسول الله بما ذا تومن قال بالله وبما انزل الينا وبما انزل
الى ابرهيم وعد الانبياء الى عيسى فعابوه لما ذكر عيسى فنزلت وان اكثركم فاسقون عطف على
ان آمنا اي ما تعيبون الا الجمع بين ايماننا وفسقكم او على المجرور اي بايماننا بالله وبان اكثركم
فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك المتقدم اي اهله مثوبة عند الله استعمال المثوبة في الشر
على طريقة التهكم نحو فبشرهم بعذاب اليم وتحية بينهم ضرب وجيع من لعنه الله وغضب عليه وجعل
منهم القردة والخنازير خبر مبتداء اي هو لعنه الله او بدل من شر او نصب بما دل عليه انبئكم ذكر
اليهود باقبح الاوصاف وهو الطرد من رحمته الواسعة وتبديل خلقهم من احسن تقويم الى اخس
شكل وصورة من القردة والخنازير وهولاء هم اصحاب السبت مسخ شبانهم قردة وشيوخهم
خنازير وقيل القردة اصحاب السبت والخنازير اصحاب المائدة وعبد الطاغوت الشيطان او
الكاهن او الساحر او الصنم وكل رأس شر طاغوت صيغة مبالغة من طغى وقرا حمزة عبد الله
بضم الباء وجر الطاغوت على انه اسم جمع او مفرد كحذر وفطن وهو الغالي في العبودية اولئك
شر مكانا اسناد الشر الى المكان كناية عن ثبوته لهم كقولهم المجد بين برديه والسلام على المجلس

لعالي واضل عن سواء السبيل عن وسطه المعتدل واسم التفضيل في امثال هذه المواضع من
المجاراة والبناء على زعم الخصم والا فلا مشاركة بين المومنين وبين اليهود واذا جاؤكم قالوا آمنا هولاء
منافقوا اليهود وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به حال من فاعل جاؤا ولذا دخلت عليه قد
ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متوقعا اخبار الله بنفاقهم وزاد الضمير وقدمه في
الجملة الثانية لان خروجهم بالكفر بعد سماع كلام الله ومواعظ رسول الله مستبعد والله اعلم بما كانوا
يكتمون في ضمايرهم من العداوة وترى كثيرا منهم من اليهود يسارعون في الاثم في الشرك لقولهم عزير
ابن الله او في الزور بالتحريف والافتراء على الله لقوله وقولهم الاثم والعدوان والظلم المتعدي و
اكلهم السحت الحرام افرده بالذكر لان اليهود موسومون باكل الرشى لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تخضيض وحث للزهاد والعلماء منهم على النهي
عن المنكر لبئس ما كانوا يصنعون اي الربانيون والاحبار آثر لفظ الصنع الذي يحتاج الى تدرب
وتعمل زيادة توبيخ لهم لان مرتكب المنكر له داعية اليه والتذاذ بمباشرته بخلاف تارك التهي عنه
ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه هي اشد آية في القرآن وقالت اليهود يد الله مغلولة الغل والبسط
كنايتان عن البخل والجود او مجازان ولذلك لو جاد مقطوع اليدين لقيل بسط يده بالعطاء الا ترى
الى قوله في وصف السحاب جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده كانوا
اصحاب اموال وزروع فاخذهم الله بالقتل والقحط لما كذبوا موسى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين
ونقص من الاموال والثمرات لانهم لما لم يشكروا اجل نعم الله منعهم اعمها وهي الخصب والقايل فنحاص
بن عازوراء اسند قوله الى الكل لانهم رضوا بما قال غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل
ولذلك لا ترى ابخل من اليهود ولا انكد عيشا او بحقيقة الغل في الدنيا بالاسر والرق وفي الاخرة حين
يسحبون الى جهنم والاغلال في اعناقهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان اثنتى ما نفوه من جوده
على ابلغ وجه اذ غاية احوال الجواد ان يعطي للسايل بيديه ينفق كيف يشاء استيناف لبيان البسط
اليدين او حال من مفهومه لانه في معنى الجواد اي ينفق على وفق حكمته لا ينقص الانفاق عن خزاينه
شيئا كما رواه مسلم عنه عز وجل عطائي كلام ومنعي كلام وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا اذا سمعوا مثالبهم وقبايحهم وكان ان الايمان يزداد المومن به فكذلك الكفر
يزداد بازدياد ما كفر به والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة لا يوافقون على كلمة
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله مجاز عن السعي في اسباب الحرب والفتن عن قتادة لما خالفوا
حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر وافسد وا ثانيا فسلط عليهم قطوس الرومي ثم جاء الاسلام
وهم تحت يد المجوس ودل كلما على ان ذلك كان دابهم ويسعون في الارض فسادا باخذ الرشى و
تحريف كتاب الله وتضليل العوام والله لا يحب المفسدين كل مفسد منهم ومن غيرهم ولو ان اهل
الكتاب آمنوا بما جاء به محمد عليه السلام واتقوا عما كانوا فيه من السعي بالفساد لكفرنا عنهم
سيئاتهم لان الايمان يجب ما قبله ولادخلناهم جنات النعيم تفضلا بعد العفو عن جناياتهم
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم وهو القرآن المجيد لانهم مكلفون
بما فيه لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم كناية عن السعة في الرزق كقوله ولو ان اهل القرى
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض او من فوقهم ثمار الاشجار ومن تحتهم حبوب

لا كذبوا رسول الله كما فعل ذلك آل فرعون

الزروع ومن فوقهم الجنة لانها فوق السماء ومن تحت ارجلهم الدنيا لانها تحت تصرفهم متمكنين
منها اشارة الى ان ما يصيبهم من القلة والقحط بسبب كفرهم منهم امة مقتصدة هم الذين آمنوا
منهم وكثير منهم ساء ما يعملون ما اسوء عملهم من الاشراك وتحريف الكتاب يا ايها الرسول بلغ ما انزل
اليك من ربك من الوحي وان ازداد اليهود بذلك طغيانا وكفرا فلا تبال وان لم تفعل ما امرت به وتركت
منه ادنى شيء فما بلغت رسالته خرجت منها وسلب منك اسم الرسول كالمصلي اذا ترك ركنا من اركانها
وشرايطها لم يكن مصليا روي مسلم والبخاري عن عايشة رضي الله عنها من قال ان رسول الله لم يبلغ
شيئا مما انزل اليه فقد كذب والله يقول بلغ ما انزل اليك ولو كتم شيئا لكتم وتخشى الناس والله احق ان
تخشاه وما قيل المراد تبليغ ما يتعلق بمصالح العباد فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه مع كونه
قولا بلا دليل مناقض للحديث وعموم ما دل عليه كلمة ما وقراء نافع وابن عامر رسالاته جمعا باعتبار
الاحكام والله يعصمك من الناس ازاحة في عدم التبليغ نزلت في حجة الوداع فلا اشكال في كسر رباعيته
وشج رأسه يوم احد وقيل المراد عصمته من القتل عن عايشة وانس بن مالك رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يحرس بالليل فكان ليلة من الليالي في قبة فاخرج رأسه من القبة
وقال ايها الناس انصرفوا فان الله قد عصمني ان الله لا يهدي القوم الكافرين الذين خلقوا للنار
وقيل لا يمكنهم منك لان التمكين لازم للهداية وفيه توكيد للعصمة قل يا اهل الكتاب لستم على شيء
من الدين حتى تقيموا التورية والانجيل بان تزيلوا ما حرفتم وبدلتم وما انزل اليكم من ربكم وهو
القرآن بان تؤمنوا بما فيه وليزيدن كثيرا منهم ما انزل الكتاب من ربك طغيانا وكفرا كرره ليرتب
عليه قوله فلا تأس على القوم الكافرين لا تحزن اشد الحزن ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون
والنصارى ارتفع الصابئون على الابتداء والخبر محذوف على نمط فاني وقيار بها لغريب والمذكور
خبره ويقدر لان خبر كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض على ما اختاره سيبويه في زيد وعمرو
قايم واما عطفه على محل ان واسمها فلا يجوز لان ذلك مشروط بتقدم الخبر فلا يقول ان زيدا وعمرو
منطلقان برفع عمرو على الابتداء لاجتماع عاملين مختلفين على معمول واحد فان قلت فقدر لان
خبرا وقد زال المانع قلت الخبر صالح للمجموع والتقدير خلاف الاصل ولا نكته للعدول من آمن
بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون قدم الابعد فالابعد فان المنافقين
واليهود ابعد عن الايمان من الصابية وهم ابعد من النصارى والعايد محذوف اي منهم فان قلت
ذكر في سورة البقرة فلهم اجرهم عند ربهم فلم اختص هنا قلت لتقدم تلك نزولا فاكتفي باصل الكلام
لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا اعاد ذكر اخذ الميثاق ليرتب عليه ساير قبايحهم
ليعلم ان نقض الميثاق منهم كان من وجوه شتى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم من التكاليف
فريقا كذبوا كمحمد وعيسى عليهما السلام وفريقا يقتلون كزكريا ويحيى آثر في القتل المضارع تصوير
الحال الفعلة الشنيعة وحسبوا ان لا تكون فتنة بعد ذلك التكذيب والقتل ان مع ما في حيزه
ساد مسد مفعولي الحسبان وفيه اشارة الى خطائهم في ذلك الحسبان فعموا عن طريق الحق وصموا
عن استماعه ثم تاب الله عليهم قبل توبتهم لما تابوا ثم عموا وصموا مرة بعد اخرى والمراد بهولاء
اعقاب اوليك كثير منهم بدل من الضمير لكونه موصوفا ولا حاجة الى جعله من قبيل اكلوني
البراغيث والله بصير بما يعملون وعيد لهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم اعاده
لان ما تقدم مقاله من عاصر رسول الله الذين حاجوه من وفد نجران وهذه مقالة مركان في

هذا اذا اريد بالذين آمنوا الى بالسنتهم لا المومنون صفا منه

عهد عيسى بدليل قوله وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم وقد سبق ان هذا مقالة
اليعاقبة انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة منعه منها كما يمنع المكلف من الحرام ومأويه
النار منزله المعد له وما للظالمين من انصار من كلامه تعالى اي اذا كان من ادعوا له الالوهية
هذا كلامه من اين لهم ناصر بعده او من تمام نصح عيسى مواجهة اي لا ناصر لكم في هذا القول او من
عذاب الآخرة وايثار المظهر للدلالة على انهم بذلك القول داخلون في زمرة الظالمين وجمع الانصار
اما باعتبار زعمهم او على طريق مقابلة الجمع بالجمع او بتقدير مضاف اي جنس الانصار لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلثه هولاء النسطورية والملكائية وما من اله يستحق العبادة الا اله واحد في
ذاته وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اقام المظهر مقام المضمر تكريرا للشهادة
عليهم بالكفر واعلاما بانهم اعلام في الكفر لان المبين لا محالة افلا يتوبون الى الله عطف على قوله لقد
كفروا او على يصرون مقدرا والهمزة للتعجب من اصرارهم بعد تكررا لشهادة عليهم بالكفر ويستغفرونه
لما سلف من ذنوبهم والله غفور لما سلف رحيم حيث دعاهم الى التوبة بعد ذلك الكفر البليغ ما
المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل شانه كشانهم ان كانت الشبهة في ابراء الاكمه
والابرص فصيرورة عصا موسى حية مع تلك الصفات اغرب وان كان في تولداته من غير والد فآدم
اولى بذلك منه وامه صديقة كساير الصديقين وفيه دلالة على انها لم تكن نبية كما زعم بعضهم ولا
موسومة بما رماها به اليهود كانا ياكلان الطعام يحتاجان الى ما يحتاج اليه ساير الحيوانات وتخصيص
الطعام لان النصارى لا يقدرون على انكاره انظر كيف نبين لهم الآيات على اسلوب بديع حاسم
للشبهة ثم انظر اني يؤفكون كيف يصرفون عن الحق بعد ظهوره ثم للتراخي بين التعجبين لان اعراضهم
بعد ذلك البيان العجيب اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا شيئا من المضار
والمنافع دينا ودنيا وفي ابراء الاكمه والابرص لم يكن مستبدا به بل مستفيدا والله هو السميع لاقوالكم
العليم لعقايدكم اي اتعبدون العاجز وتذرون القادر على ان عدم ضره ونفعه اياكم كناية عن عجزه
كما ان السمع والعلم كناية عن القدرة وايثار ما لكون الكلام في مقام الكبرياء تبعيدا له عن مقام
الالوهية قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق او غلوا غير الحق على انه وصف مؤكد كامس
الدابر لان الغلو لا يكون حقا وباطلا لانه تجاوز عن الحد فلا يكون موصوفا بالحقية قط الا نزيه
الى قوله اياكم والغلو في الدين ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل قبل بعثة محمد عليه السلام
واضلوا كثيرا ممن شايعهم وضلوا بعد بعثته عن سواء السبيل متعلق بضلوا لفظا وبالثلثه معنى
لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم تنفير عن اتباعهم بانهم ملعونون
على لسان الرسل ثابت لعنتهم في الكتب الالهية عن ابن عباس رضي الله عنه لعنهم الله في زبور
داود وانجيل عيسى وقيل دعا داود على اهل ايلة لما احلوا السبت فمسخوا قردة ودعا عيسى على
اهل المايدة لما كفروا فمسخوا خنازير ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون لم يكن ذلك اللعن الا للافراط
والغلو في العصيان لان الرحيم لا يواخذ الا بعد الاسراف كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه تفسير للاعتداء
في المعصية لان الانسان له داعية الى مباشرة المعصية واما ترك النهي فلا والمعنى لم ينه بعضهم
بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل ما فعلوه او ارادوا فعله روي ابو داود عن ابن مسعود رضي
الله عنه ان رسول صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا من بني اسرائيل كان يرى الآخر في معصية
يقول له اتق الله ثم يلقاه في الغد فيكون اكيله وشريبه ثم قال والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد المسيء او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض او يلعنكم كما

اعوذ واعوق من عذر المبغض

قال … بنو النساء ابن حزم
وطايفه من السلف منه

الا غير الحق

لعنهم وروي ابو داود والترمذي عن ابي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جاير لبئس ما كانوا يفعلون تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا
ترقي بهم الحال في الضلال حتي يوالون من يباشر اشد المنكرات فضلا عن النهي عنه لبئس ما قدمت لهم
انفسهم ما اسوء ما قدموه ليوم يشتد فيه الحاجة ان سخط الله عليهم مخصوص بالذم علي تقدير
المضاف اي موجب سخط الله وفي العذاب هم خالدون لا محالة ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي الذي
امنوا به وما انزل اليه من الكتاب والمحمد والقرآن علي ان الكلام في منا فقي اهل الكتاب ما اتخذوهم
اوليآء للتنافي بين الولايتين ولكن كثيرا منهم فاسقون فلذلك يوادونهم لتجدن اشد الناس
عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا كفي باليهود خزيا كونهم ملزوزين مع المشركين في قرن
حيث ذكروا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري وان لم يكونوا من النصاري
حقا ذلك بان منهم قسيسين علماء من قس الشيء طلبه قال يصحن عن قس الاذي غوا فلا ورهبانا
عبادا من رهب الشيء خافه وانهم لا يستكبرون لرقة طبعهم ورافة قلوبهم وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
ورحمة وفيه حث علي محاسن الاخلاق فانها محمودة من الكافر فكيف من المؤمن لما اعتق رسول الله
صلي الله عليه وسلم بنت حاتم واعطاها نفقة فقال اكرموها فان اباها كان يقري الضيف واذا
سمعوا ما انزل الي الرسول تري اعينهم تفيض من الدمع عطف علي لا يستكبرون يقال فاض الماء
اذا كثر وسال عن جوانب الحوض اطلق علي الامتلاء اطلاق المسبب علي السبب والاسناد مجاز مثل جري
النهر والدمع مصدر عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في النجاشي واصحابه وذلك ان بعد وقعة
بدر ارسل المشركون عمرو بن العاص الي النجاشي يطلب منه من هاجر الي الحبشة من اصحاب
رسول الله ليقتلوهم بدل قتلاهم فلما وفد اليه عمرو ذكر له انهم يعيبون عيسي بن مريم فدعا
هم النجاشي الي مجلسه وجمع القسيسين والرهبان ووضعوا الكراسي ونشروا عليها الانجيل فلما
حضروا مجلسه وكان جعفر بن ابي طالب اكبرهم فساله النجاشي عن شان رسول الله وما ياءمر
فذكر انه يامر بالصلوة والصدق والعفاف وصلة الارحام وقال هل معك من كلام الله الذي جاء به
قال بلي قال فاتل منه وكان جعفر حسن الصوت جهوريا فافتتح سورة مريم فلما سمعوا شان عيسي
في حمله وتوالده بكوا هذا البكاء الذي اخبر الله عنه فقال النجاشي لعمرو ابن عيب عيسي قال
عمرو اليس تقول فيه انه عبد الله وكان بيد النجاشي قضيب فقال والله ان عيسي بن مريم
ليباهي بان يكون عبد الله ولم يتجاوز عيسي عن كونه عبدا مقدار هذا العود ثم رد هدية المشركين
وقال لجعفر واصحابه كونوا آمنين مما عرفوا من الحق من الاولي ابتدائية والثانيه بيانية وماموصولة
او تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق او مصدرية يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين الذين
يشهدون للانبياء بالتبليغ وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدآء علي الناس وما لنا
لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق جملة حالية والعامل فيها معني الفعل في اللام استبعدوا ان يكونوا
غير مؤمنين مع قيام موجب الايمان روي الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه ان هؤلاء كانوا ملاحين
قدموا مع جعفر يكونوا غير مؤمنين واصحابه عام خيبر فآمنوا برسول الله فقال لهم لعلكم اذا رجعتم
الي ارضكم انقلبتم قالوا وما لنا لا نؤمن ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخري
والعامل فيها هو العامل فيها في الاولي مقيدا بها اي اي شيء يحصل لنا غير مؤمنين والحال انا نطمع
او حال عن فاعل لا نؤمن او عطف عليه باعتبار النفي اي وما لنا ان نجمع عدم الايمان والطمع
او باعتبار المنفي اي وما لنا لا نجمع بين الايمان والطمع بالدخول في صحبة الصالحين بالدخول في الاسلام

رافة

٩٥

فاثابهم الله بما قالوا بذلك القول الناشي عن خلوص الاعتقاد جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك جزآء المحسنين كل محسن والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم الملازمون لها غير الاسلوب دلالة علي سعة رحمته وسبقها والتكذيب بالآيات
وان كان داخلا في الكفر الا انه صرح به لانه في مقابلة كلام المصدقين بما جاءهم من الحق
يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم كما فعل اهل الكتاب ولا تتركوها ترك
الحرام تزهدا وتقشفا روي مسلم والبخاري ان ناسا من اصحاب رسول الله سالوا ازواجه
عن عمله سرا فكانهم تقالوه وقالوا اين نحن منه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
فقال بعضهم انا لا اتزوج النسآء وقال بعضهم انا لا انام علي الفراش فبلغ ذلك
رسول الله فقال ما بال اقوام يقولون كذا وكذا والله اني اخشاكم واعلمكم بالله لكني اصوم و
افطر واقوم وانام واكل اللحم واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وعن الحسن
انه دعي الي طعام فذهب باصحابه فقعد علي المائدة وكان عليها الوان وفيها الفالوذ فاعتزل
فرقد السبخي ناحية فقال الحسن ما له اصايم هو قالوا لا لكنه يكره الالوان فاقبل الحسن عليه
وقال يا فرقد لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن ما عابه مسلم وقيل له ان فلانا
لا ياكل الفالوذ يقول لا اقدر علي شكره فقال جاهل نعمة الله عليه في الماء البارد اكبر من
الفالوذ ولا تعتدوا لا تتجاوزوا حد الاعتدال الي الاسراف او حد الشرع او بتحريم الطيبات
او لا تظلموا مطلقا انه لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا لا مقيدا بهذا الحال دل علي ان
الرزق قد يكون حراما وحمله علي الحال المؤكدة او صفة لمصدر خلاف الظاهر مفعول
كلوا الرجال حذف العايد الي الموصول طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان
به وبصفاته وافعاله من الثواب والعقاب يوجب التقوي لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو
قول الرجل لا والله وبلي والله من غير قصد اليه ذهب الشافعي واحمد رحمهما الله او ما يظن انه
كذا ولم يكن كذلك واليه ذهب ابو حنيفه وقيل اليمين في الغضب ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان عزمتم عليها ووثقتموها بربط القلب قرا حمزة وابو بكر وابن ذكوان بالتخفيف والباقون
مشددا وزاد ابن ذكوان الفا بعد العين اما علي ان المفاعلة بمعني فعل نحو عافاك الله
او عاهدتم غيركم بالايمان والمختار القصر والتخفيف اكتفاء بمجرد العزم فكفارته اطعام عشرة
مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند ابي حنيفة رحمه الله ومد من اي
كان عند الشافعي رحمه الله من اوسط ما تطعمون اهليكم صفة اطعام او صفة مصدر اي طعاما
من اوسط او مفعول به او بدل من اطعام اي من الاعدل بين الاعلي والادني توسطا بين الافراط
والتفريط وعن عطاء من خير او كسوتهم عطف علي اطعام علي ان الكسوة فعل فان قلت هل يصح
عطفه علي محل من اوسط قلت نعم ان قدر مضاف اي الباس كسوتهم او تجعل قبيل علفتها تبنا وماء
باردا او المقدار من الكسوة ما يطلق عليه اسمها او تحرير رقبة سالمة وشرط الشافعي الايمان
حملا للمطلق علي المقيد به في كفارة القتل فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام فعليه صوم ثلثه ايام
وشرط ابو حنيفه رحمه الله التتابع لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه ذلك المذكور كفارة ايمانكم
اذا حلفتم وحنثتم في ايمانكم واحفظوا ايمانكم لا تحنثوا فيها فان الحنث هتك لاسمه تعالي كذلك
يبين الله لكم آياته مثل هذا البيان الشافي يبين ساير دلايل احكامه لعلكم تشكرون نعمة العلم
والتخيير في الكفارة والتسهيل فيه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام

مز

رجس من عمل الشيطان الميسر القمار والانصاب الاحجار المنصوبة التي كانوا يذبحون عليها لاصنامهم
او الاصنام والازلام الاقداح التي كانوا يتفالون بها او يقسمون بها الجزور والرجس النجس لانه
كثيرا فيما يستقذر من الاخلاق افرده لانه مصدر في الاصل او لانه خبر الخمر وحده لان قول من عمل
الشيطان بيان له وهو عام في المذكورات كلها فاجتنبوه اي تعاطي المذكورات لعلكم تفلحون لكي
تفوزوا انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر افردهما بالذكر لان
الكلام مع المومنين وهم لم يتعاطوا الانصاب والازلام ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة التي
هي عماد دينكم ولذلك افردهما فهل انتم منتهون ابلغ من ان يقال انتهوا لان العاقل اذا تامل
ما سبق من الاوصاف يرتدع لا محالة كانه قال قد تلي عليكم ما فيها من الفساد فبعد
هذا البيان هل انتم منتهون ام لا اكد تحريمها بوجوه تصدير الكلام بانما وقرانها بالانصاب والازلام
اللذين هما من امارات اهل الاوثان والحكم عليها بالنجاسة وجعل الاجتناب عنها الفلاح وما فيها
من ضرر الدنيا وقوع العداوة والبغضاء والدين من الحجاب عن ذكر الله الذي به حيوة القلوب
الا بذكر الله تطمئن القلوب روي ابو داود عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعن في الخمر عشرة بايعها وشاربها وساقيها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة له
واكل ثمنها وروي مسلم ان تميما الداري كان يهدي لرسول الله كل عام راوية خمر فجاء بها بعد
تحريم الخمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حرمت بعدك فقال يا رسول الله ابيعها
وانتفع بثمنها قال ان الذي حرمها حرم ثمنها واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا
عن مخالفة اوامرهما ونواهيهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين فلا تضرون
الا انفسكم فان الرسول قد بلغ ما عليه ابلاغه ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا من الخمر قبل تحريمها روي البزار عن جابر ان ناسا قتلوا يوم احد وقد صبحوا الخمر
فقال قيم اليهود فنزلت وقيل معناه رفع الجناح عن سائر المستلذات لئلا يقاس على الخمر وهذا
اوفق بقوله اذا ما اتقوا وآمنوا ثبتوا على ايمانهم وعملوا الصالحات ثم اتقوا ما تجدد حرمته
كالخمر وآمنوا بانه حكم الله ثم اتقوا ثم استمروا على التقوى واحسنوا واخلصوا في ذلك كله لقوله
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه او احسنوا على الناس بما امكنهم وقيل اشارة في المواضع
الثلثة الى مراتب التقوي الاول ان يتقي ما حرم الله وهي تقوى العوام والثاني ان يتقي الشبهات
وهي تقوي الخواص والثالث تقوى المتقربين وهي ربط السر عليه تعالى والى ذلك يشير قوله
ما زاغ البصر وما طغى والله يحب المحسنين يوفقهم للطاعات ويحل لهم المثوبات ويعفو عنهم السيئات
يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية كثر
الصيد بينهم بحيث كانوا يقدرون على اخذه باليد ونكر الشيء تحقيرا له لانه ليس من الامور العظام
كبذل الاموال والارواح وحمله احمد والشافعي رحمهما الله على التنويع فخصاه بالماكول لانه
المتعارف في الصيد ولقوله خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن شيء الغراب والحداة والفارة
والعقرب والكلب العقور ليعلم الله من يخافه بالغيب ليميز الخائف من عذابه متلبسا بالغيب عن غيره
فمن اعتدي بعد ذلك بعد ورود النهي فله عذاب اليم في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه
يضرب ظهرا وبطنا يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اعاد النداء وصرح بالنهي
مبالغة وليرتب عليه الجزاء في الدنيا وذكر القتل دون الذبح لان الصيد قل ما يتمكن من ذبحه
فمن قتله منكم متعمدا قاصدا قتله فجزاء مثل ما قتل من النعم اي فعليه جزاء مماثل للمقتول

حال كونه من جنس النعم وقراء غير الكوفيين باضافة جزاء اضافة للمصدر الى المفعول اي فعليه ان
يجزي المقتول مثله وجعله من قبيل مثلك لا يبخل لا يلائم يحكم به ذوا عدل منكم بانه مثل المقتول
ان لم يكن منصوصا من الشارع هذا اذا كان له مثل في النعم والا فالقيمة وعند ابي حنيفة رحمه الله
سواء كان المقتول مثليا او لا ليس الا القيمة ثم هو مخير فيها ان شاء تصدق بها وان شاء اشترى به
هديا وجوز الشافعي رحمه الله ان يكون القاتل احد الحكمين هديا بالغ الكعبة تذبح في الحرم
باتفاق الايمة فان قلت وجوب الجزاء حكم عام في العمد والخطاء فما وجه قوله متعمدا قلت
انما ذكره ليرتب عليه حكم التاثيم بقوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه فان
قلت كيف الحق به الخطأ في حكم الجزاء ولا جامع بين الخطاء والعمد قلت لم يلحق به قياسا بل اجماعا
على ان ضمان المتلفات لا يختص بالعمد او كفارة طعام مساكين بدل كفارة او عطف بيان وقراء
نافع وابن عامر بالاضافة كفارة نحو خاتم فضة او عدل ذلك صياما يساوي الطعام بان يطعم
كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره او يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ
طعام مسكين تخير بين ان يتصدق به او يصوم عنه يوما هذا عند ابي حنيفة رحمه الله والشافعي
رحمه الله الا ان طعام كل مسكين مد من اي طعام كان عنده ليذوق وبال امره يتعلق بمحذوف
دل عليه الكلام اي وجب عليه جزاء الصيد على النمط المذكور ليذوق وخامة جنايته من الوبل
وهو الثقل ومنه الوابل للمطر العظيم القطر عفا الله عما سلف من الصيد قبل التحريم اذ لا مواخذة
على الفروع قبل البيان اتفاقا ومن عاد بعد النهي فينتقم الله منه بالكفارة او بالعقوبة
اي فهو ينتقم الله منه خبر مبتداء لان الجزاء اذا كان مضارعا لا يدخله الفاء والله عزيز
غالب ذو انتقام لا يقدر على منعه احد اذا اراد احل لكم صيد البحر مصيده وطعامه ايضا متاعا لكم
وللسيارة متعلق بطعامه اي احل لكم الانتفاع بصيد البحر واكل ذلك الصيد طريا لكم وللمسافرين
يتزودون منه وقيل الضمير في طعامه للبحر وهو ما قذفه ميتا رواه ابو هريرة رضي الله عنه
مرفوعا وتخصيص ابي حنيفة رحمه الله الصيد بالسمك يرده حديث ابن عمر رضي الله عنه هو البحر
الطهور ماؤه الحل ميتته رواه البخاري واهل السنن وكذا حديث جيش بن ابي عبيدة اكلوا مدة
من دابة تسمي عنبر وبقي معهم بقية اكل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما ما دمتم محرمين اصطاده بنفسه او امر غيره او اصطاده غير محرم للمحرم و
خصه ابو حنيفة رحمه الله بما اصطاده بنفسه او امر غيره ويرده حديث صعب بن جثامة كما رواه
البخاري ومسلم انه اهدي لرسول الله حمارا وحشيا وهو محرم فرده عليه فلما راي انه شق عليه
قال ما رددناه عليك الا انا حرم وانما رده لانه صاده لاجله بدليل انه قبله من ابي
قتادة كما رواه ايضا ولا دليل له في قوله ما دمتم حرما لانه قيد لحرمة ما حرم سواء كان صيده او صيد
غيره ولولا حديثه ابي قتادة لحرم مطلقا لدخوله تحت صيد البر ولا في قوله لا تقتلوا الصيد لان
نهي المخاطب عن قتل الصيد وهو محرم لا يدل على حل ما صاده غيره لاجله ولا على ان ما قتله
لا يحل له اكله ولا لغيره لانه في حكم الميتة فهذه الآية لاحكام اخري لا تدل عليها الآية الاولى
واتقوا الله في المحافظة على حدوده الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة لما حرم صيد المحرم اشار
الى شرف الكعبة ليدل على ان من دخل في اعمالها وحريمها حقيق بان يومن من اذاه لسراية الامن
منها اليه البيت الحرام عطف بيان وله في هذا الموضع شان لا يخفى قياما للناس قيام الشيء و
قوامه ما به صلاح الشيء واستقامته وكذلك البيت المعظم للتجار يرجون فضل الاموال ويحطون

لكم

دليله

حمل الاوزار عنه وقراء ابن عامر قيما مقصورًا وهي لغة والشهر الحرام ذا الحجة لانه ايام الحج او
الجنس لحصول الامن منها والتمكن من السفر والهدي تمتنع بها الفقرآء ويثاب بها المتقربون
والقلايد ذوات القلايد افردها لانها اشرف واكثر ثوابا ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في
السموات وما في الارض فلا يخلو فعله عن حكمة وان الله بكل شيء عليم المذكور وغيره اعلموا
ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم قدم صفة الجلال لانه في مقام التخويف ما على
الرسول الا البلاغ وقد ادى ما عليه والله يعلم ما تبدون وما تكتمون حث على الاخلاص قل لا
يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك ايها المخاطب كثرة الخبيث في بادي الراي اورد فيه قصة
المحرم لان الحرم محل القرابين والصدقات على المجاورين المحاويج فاتقوا الله في انفاق الخبيث
يا اولي الالباب يا ذوي العقول الخالصة لعلكم تفلحون لكي تفوزوا يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا
عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم روي الترمذي انهم سالوه في حجة الوداع الحج كل عام فسكت
ثم قالوا افي كل عام فقال لو قلت لوجب دعوني ما تركتكم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم
فنزلت وروي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ان قوما كانوا يسالونه استهزآء فيقول الرجل
من ابي ويقول الآخر اذا ضلت ناقته اين ناقته وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اي
حين نزول الوحي ان سالتم عنها نظهر لكم ببيان رسول الله وقيل ان تسالوا عن تلك الاشياء
ما دام رسول الله فيكم يظهر لكم ما يسؤكم عفا الله عنها عما سلف من المسايل والله غفور
حليم لا يعاجل بالعقوبة قد سالها قوم من قبلكم اي المسئلة دل عليها ذكر الفعل الضمير في
موقع المصدر وهو من الحذف والايصال او السؤال بمعنى الاستعطاء من سالته درهما كسوالك
اصحاب المايدة وقوم صالح ثم اصبحوا بها بما سالوا عنه وبسبب المسئلة كافرين ما جعل الله من
بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام اردف النهي عن السؤال باشياء من اخلاق الجاهلية تاكيدا
للنهي اشارة الى ان تلك المسئلة من هذه القبيل ومعنى ما جعل ما شرع والبحيرة ناقة كانت
اذا نتجت خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوه وحرموا الانتفاع بها ولا تطرد عن ماء
ولا مرعى وكان الرجل يقول ان قدمت من سفري سالما او شفيت من مرضي فناقتي سايبة يريد
تحريم الانتفاع بها او عبدي سايبة يريد ان لا عقل ولا توارث واذا ولدت الشاة ذكرا وانثى
قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وان ولدت ذكرا وحده ذبحوه واذا نتجت من صلب
الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا تركب ولا تطرد عن مرعى وهذا هو الحام ولكن الذين
كفروا يفترون على الله الكذب كانوا يزعمون انه شرع ابرهيم روي البخاري رحمه الله عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت عمرو بن لحي في النار
يجر قصبه وهو اول من سيب السوايب وغير دين ابرهيم عليه السلام واكثرهم لا يعقلون بل هم كالانعام
فلذلك يصدر منهم ما لا يعقل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه آباءنا تقرير لعدم عقلهم وتناهي بلادتهم حيث لا يتبعون الموحد بالمعجزات ويقلدون آباءهم
اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة للانكار والمعنى ايقلدونهم
وهم على هذا الحال لان شرط المقتدي ان يكون عالما مهتديا يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم
نصب انفسكم على الاغراء اي الزموا انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر بقدر الطاقة
او لم يقدروا عليه لفساد الزمان لما روي الترمذي رحمه الله عن ابي ثعلبة رضي الله عنه
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر

حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة
نفسك فان من ورآئكم اياما الصبر فيهن كالقبض على الجمر للعامل فيهن اجر خمسين رجلا
يعملون مثل عملكم لا يضركم من ضل مستانفا وجزم على الجواب اذا اهتديتم بعد ان اديتم
ما عليكم من الامر والنهي الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين
يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت ظرف للشهادة اي شارفه الموت
حين الوصية بدل من اذا قيل في هذا الابدال دليل على وجوب الوصية لانه جعل زمان
حضور الموت الذي لا بد منه زمان الوصية قلت لا دلالة في ذلك كقولك اغد الي اذا
طلعت الشمس حين صلوة الضحى وحاصله ان لزوم وجود الظرف ليس مستلزما لوجود المظروف
اثنان خبر مبتدا على تقدير مضاف اي شهادة بينكم شهادة اثنين او فاعل شهادة بينكم اي
فرض عليكم ان تشهد اثنان ذوا عدل منكم صفة اثنان اي من اقارب الموصي وعن ابن عباس
رضي الله عنه من المسلمين او آخران من غيركم من غير الاقارب او من غير المسلمين ان انتم ضربتم في
الارض فاصابتكم مصيبة الموت شارفكم عطف على ضربتم وجزاء الشرط محذوف دل عليه الكلام
اي ان وقع الموت في السفر ولم تجدوا الاقارب فاستشهدوا من الاجانب او من غير المسلمين روي
الترمذي وابن ماجه رحمهما الله عن ابن عباس رضي الله عنه ان تميم بن اوس الداري
وعدي بن بداء كانا نصرانيين وكانا بالشام في تجارة فقدم مولى لبني سهم يقال له بزيل
بن ابي مريم فلما حضرته الوفاة اوصى اليهما ان يوصلا ما تركه الى اهله وكان في تركته
جام من فضة فباعاه بالف درهم واقتسماه قال تميم فلما اسلمت جئت اهله بخمسمائة
درهم واخبرتهم الخبر فوثبوا على عدي فانكر فاحتكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحلفوه بما يعظم به اهل دينه فحلف فقام عمرو بن العاص وآخر من قومه فحلفا فنزعت
الخمسمائة منه ففيهم نزلت الآية تحبسونهما استئنافا وصفة آخران من بعد الصلوة
صلوة العصر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استحلف عديا بعد صلوة العصر عند المنبر
ولان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدها وقيل جنس الصلوة فانها تنهى عن الفحشاء
والمنكر فيقسمان بالله ان ارتبتم اعتراض بين القسم وجوابه وهو لا نشتري به ثمنا
اي بالقسم ولو كان ذا قربى اي المقسم له ولا نكتم شهادة الله التي امر باظهارها وحفظها
الاضافة للتعظيم انا اذا لمن الآثمين لو كتمناها او حرفناها والغرض المبالغة في الصدق وايماء
الى انهما من الداخلين تحت قوله كونوا قوامين بالقسط شهدآء لله ولو على انفسكم او الوالدين
والاقربين فان عثر على انهما استحقا اثما اطلع على انهما جنيا اثما بان كذبا في تلك
الشهادة يقال استحق كذا اذا لاق به ان ينسب اليه ومرتكب الاثم حقيق بان ينسب اليه فجعل
استحق كناية عن الجناية فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني
عليهم وهم ورثة الميت الاوليان الاقربان من الميت من ساير الورثة رفع على البدل من آخران
او من ضمير يقومان او مبتدا خبره آخران لا العكس لكون الخبر معرفة والمبتدا نكرة او خبر مبتدا
محذوف اي هما الاوليان وقرا حفص استحق على بناء الفاعل على ان الاوليان فاعل و
المعنى استحق الاوليان على ساير الورثة اقامتهما للشهادة في مقابلة شهادة الجانبين وقرا
حمزة وابو بكر الاولين بصيغة الجمع صفة الذين مجرورا او نصبا على المدح فيقسمان بالله
لشهادتنا احق من شهادتهما اولى بالقبول كما فعل عمرو وصاحبه مع عدي وما اعتدنا

في هذه الشهادة ما هو الحق انا اذا لمن الظالمين داخلين في زمرتهم لو تجاوزنا الحق ذلك ادنى
ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي شرعية الحكم على الوجه المذكور
اقرب الى ان يأتي الشهداء بالشهادة على وجه الصدق او يخافوا من رد ايمانهم بقيام آخرين من
اهل الميت يقسمان على خلاف ما اقسموا عليه واي واحد من الامرين كان من اداء الشهادة
بالصدق والامتناع عن الاداء على وجه الكذب كان فيه صلاح فان قلت للمائدة لا نسخ فيها وفي
الآيتين احكام لم يقل بها الائمة وجوب الايصاء الى اثنين وتحليف الشاهد وحلف اثنين من الورثة
وكون اليمين بعد العصر قلت ليس في الآية ما يوجب الايصاء الى الاثنين بل دلالة على الاولى
لاسيما في السفر فانه مظنة الآفات والاثنان اذا كانا وصيين يحلفان اذا اتهما كما في قصة بديل
فان تميما وعديا كانا وصيين في ايصال التركة الى اهل الموصي واما حلف الاثنين من الورثة
فهو اذا ادعى الوصي بعد ثبوت الجناية تملك شيء من التركة كما فعل عداء وتميم في الجام
فاليمين على الورثة المنكرين فليست اليمين المردودة بعد حلف الوصيين وذكر الاثنين للاسقاطها
حتى لو كان الوارث واحدا كان الحكم كذا بلا خلاف فان قلنا المذكور في الآية هو الشهادة فكيف يحمل
على الايصاء قلت الايصاء اشهاد على نفسه كما ان الاقرار كذلك لقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله ولو على انفسكم فان قلت هلا قيل بالنسخ وفيه ارتفاع الاشكال قلت ناسخه لابد وان يكون
متواترا وانى لك به فان قلت اجماع الامة كاشف عنه قلت معارض بما ذكر من تقرير الاحكام واتقوا
الله في احكامه واسمعوا سماع تدبر وطاعة والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل
متعلق بيهدي او نصب باذكر او يوم يجمع الله الرسل يكون كيت وكيت او بدل من كلمة الجلالة
كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه فيقول ماذا اجبتم اجابة اقرار او انكار والقصد اظهار المعدلة
وتوبيخ الامم المكذبة على رؤس الاشهاد وماذا نصب على المصدر قالوا لا علم لنا بالنسبة
الى علمك الشامل او تختص به دونك او لا علم لنا او لا علم لنا ببواطنهم وايمانهم المنجي او هو
اظهار للشكاية كما يقول المتظلم في جواب الحاكم بحضرة الظالم ماذا فعل بك لا اعلم او لا علم لنا
بما احدثوا بعدنا كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل يدهشون من هول السؤال
ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم وفيه ان الرسل آمنون لقوله لا يخاف لدي المرسلون ولقولهم
انك انت علام الغيوب وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الغين لمناسبة الياء وثقل الضمة اذ قال
الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي بدل من يوم يجمع الله الرسل من نمط ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار او نصب باذكر وقيل لما قال له اذكر نعمتي كان يلبس الشعر ويأكل الشجر لا اهل ولا مال
ولا وطن ولا دار واليه اشار ابو العلا بقوله سعد المسيح يسيح في الغبراء لا ولد يموت ولا بناء
يخرب والوجه هو الاول لقوله وكنت عليهم شهيدا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم عليك
وعلى والدتك بالاصطفاء على نساء العالمين والنعمة على الاصول نعمة على الفروع اذ ايدتك
بروح القدس بالكلام الذي به حيوة القلوب لقوله يكلم الناس ففي روح القدس مجاز لغوي
وحكمي والاضافة الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام وقيل بجبرئيل في المهد وكهلا
في الحالين على السواء وفيه دلالة على انه رفع بعد الكهولة وهي ما فوق الثلثين وقيل فيه دلالة
على انه نزل في اخر الزمان لانه حين رفع لم يكن كهلا وليس بشيء لانه حين النزول يكون شيخا
والمشهور ان رفع وهو ابن ثلث وثلثين سنة واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
خصا بالذكر مما ثنا وله الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة القول الصواب واذ تخلق من

الطين كهيئة الطير باذني بتوفيقي وتيسيري فتنفخ فيها الضمير للكاف لانه صفة الهيئة المشبهة
فتكون طيرا باذني كرر الاذن مبالغة في دفع وهم الاستقلال على ما ظنه اهل الضلال وقرأ نافع
طائرا اي واحدا من جنس الطير وتبرئ الاكمه الذي ولد اعمى والابرص باذني معجزة لك
واذ تخرج الموتى من قبورهم باذني قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية وكان اذا اراد احياء
ميت صلى ركعتين ثم قال يا قديم يا خفي يا دائم يا فرد يا وتر يا احد يا صمد وقيل لما احيى
سام بن نوح رآه اشمط فقال ما بالك اشمط ولم يكن قبل ابرهيم شيب قال لما ناديت
ظننت انه يوم القيمة فمن ذلك هذا الشيب واذ كففت بني اسرائيل عنك اليهود لما هموا بقتله
اذ جئتهم بالبينات المعجزات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ظاهر يعرفه كل احد
وقرأ حمزة والكسائي ساحر يريدون عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين على لسانك
او في الانجيل لانهم مكلفون بما فيه كانه اوحى اليهم كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا وعن الحسن
اوحى اليهم الهاما كقوله واوحينا الى ام موسى ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد
باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون ظرف لمسلمون او لقالوا آمنا يا عيسى بن مريم المختار
في اعرابه الفتح لانه علم موصوف بابن مضاف الى علم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة
من السماء المائدة خوان اذا كان عليها طعام من ماده اذا اعطاه كانها يعطى من تقدم اليها
واستدل بظاهره على ان القائلين لم يكونوا مؤمنين لان المؤمن لا يشك في قدرة الله تعالى
والحق انهم كانوا مؤمنين لقوله تعالى كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين
من انصاري الى الله وقولهم هذا كقول ابرهيم عليه السلام كيف تحيي الموتى وقوله ولكن ليطمئن
قلبي او السؤال عن الفعل دون القدرة تعبيرا عنه بلازمه وقرأ الكسائي تستطيع بتاء الخطاب
ونصب ربك اي مسئلة ربك قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين كامل الايمان
قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا بينوا عذرهم في طلبها بانهم ارادوها لغرض صحيح
وهو ان نكتفي بذلك عن طلب المعاش ونتوفر لطاعة الله ونعلم ان قد صدقتنا في رسالتك
علم المشاهدة الذي هو اعلى مراتب اليقين ونكون عليها من الشاهدين لبني اسرائيل قال
عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء لما علم صحة غرضهم دعا الله لما
طلبوه تكون لنا عيدا يوم نزولها قيل كان يوم نزولها يوم احد ولذلك اتخذه النصارى عيدا
وقيل كناية عن السرور العائد لاولنا واخرنا وآية منك يدل بتكرير العامل اي لمن في زماننا
ولمن يأتي بعدنا من اهل الدين او المقدم والاتباع او اخر الناس كالهم وارزقنا ما سألنا
وانت خير الرازقين اذ غيرك واسطة وانت الرازق حقيقة قال الله اني منزلها عليكم لا محالة
واثر الجمع لان السؤال كان لاجلهم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من
العالمين وكذلك وقع فانهم لما كفروا مسخوا قردة وخنازير ولم يقع بعد مثله فان
قلت ذكرت انهم كانوا مؤمنين لقوله كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من
انصاري الى الله لكون الحواريين انصار الله فكيف يستقيم ان يكون المؤمنون مأمورين بان
يكونوا مثل قوم كفروا ومسخوا قردة والخنازير قلت الحواريون فرقتان فرقة استمروا على
ايمانهم وفرقة كفروا روي ان عيسى عليه السلام لما اراد ان يسأل الله تعالى انزال المائدة
لبس الصوف وصلى ركعتين وقام على رجليه ناكسا راسه مسبلا دمعه ودعا فنزلت سفرة حمراء
بين غمامتين حتى سقطت بين ايديهم فقال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم

عملا فليكشف عنها فقال شمعون انت اولى بذلك فقام عيسى عليه السلام وبكى بكاء طويلا ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا فيها سمكة مشوية لا شوك فيها ولا فلوس تسيل دسما عند راسها
ملح وعند ذنبها خل وحولها انواع البقول سوى الكراث وخمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون امن طعام الدنيا هذا يا روح
الله ام من طعام الجنة فقال ليس من شيء منهما ولكن شيء ابتدعه الله فكلوا واشكروا نعمة ربكم فقالوا
اول آكل فقال معاذ الله ليأكل من سألها فخافوا فلم يأكلوا فاطعمها الفاقلة وكانوا اكثر من الف فاكلوا
حتى شبعوا ثم طارت وكانت تنزل كل يوم ضحى يأكل منها الاغنياء والفقراء فاوحى الله تعالى الى عيسى
عليه السلام ان اجعل رزقي في الفقراء فعظم ذلك على الاغنياء فشكوا وشككوا فمسخوا قردة وخنازير
وما روي عن الحسن انها لم تنزل لا يصح لقوله تعالى اني منزلها عليكم فان قلت لو نزلت لبقيت الى آخر
الدهر لقوله عيدا لاولنا وآخرنا وبه تمسك الناقل عن الحسن قلت كان ذلك مشروطا بعدم كفرهم
واذ قال الله يا عيسى بن مريم يقوله يوم القيمة وايثار الماضي لكونه محقق الوقوع ءانت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله سوى الله على انه صفة الهين فتكون الآلهة ثلثة او يتعلق
باتخذوني اي شريكين لله في الالوهية واستحقاق العبادة كما قال المشركون ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله قال سبحانك انزهك عما لا يليق بكبريائك روي انه يقع على الارض ويسيل
من تحت كل شعرة عين الدم ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق نفي الكون وما ليس بحق على وجه
العموم مبالغة في التبري عما نسب اليه ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
اي تعلم معلومي ولا اعلم معلومك عبر عنه بلا اعلم ما في نفسك مشاكلة انك انت علام الغيوب لا غيرك
تقرير للجملتين لان الحصر يشتمل على الاثبات والنفي فالاثبات تقرير لتعلم ما في نفسي والنفي تقرير
لقوله ولا اعلم ما في نفسك ما قلت لهم الا ما امرتني به رد العلم اليه على ابلغ وجه ثم نفى ما نسب اليه
كذلك ان اعبدوا الله ربي وربكم ان مفسرة لمعنى القول كانه قال ما امرتهم الا ما امرتني به الا انه
عدل عنه الى المنزل تأدبا لئلا يجعل ربه ونفسه آمرين ولا اطرد ان يجعل مفسرة بعد كل فعل فيه
معنى القول ويجوز ان يكون مصدرية بدلا من المجرور في به ولا يقدح فيه بقاء الموصول بلا عايد اذ ليس
من شرط البدل استقامة المعنى به مع طرح المبدل وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم مدة بقائي
فيهم فلما توفيتني برفعي الى السماء كنت انت الرقيب عليهم المطلع على احوالهم وانت على كل شيء شهيد
مطلع ان تعذبهم فانهم عبادك والسيد متصرف في ملكه وفي اضافة العباد اليه تعطيف
وقيل معناه عبادك العاصون بالعذاب وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم الغالب الذي
لا يفعل الا ما فيه حكمه بل حكم فان قلت كان الظاهر انت الغفور الرحيم كما قال ابرهيم ومن عصاني
فانك غفور رحيم فاي وجه للعدول قلت قول ابرهيم في الدنيا والعصاة احياء اشار الى انك قادر على
مغفرتهم وان ترحمهم بالتوبة واما العفو عن الكافر في الآخرة فشان العزيز الغالب الذي يفعل ما
يشاء والعفو عن الشرك جائز عقلا وانما امتنع لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به قال الله هذا
يوم ينفع الصادقين صدقهم اي هذا اليوم يوم ينفع صدق الصادقين وقرأ نافع بنصب يوم مفعولا
فيه على ان هذا اشارة الى قوله انت قلت للناس اي قال الله هذا القول لعيسى في ذلك
اليوم فان قلت هلا كان مبنيا كما في يوم لا تملك نفس لنفس شيئا قلنا اليه ذهب الكوفيون
ومنعه البصريون لان المضارع معرب ولا يقاس على لا تملك لان لا مع مدخوله غير متمكن
فافترقا والمعنى ان في هذا اليوم ينفع الصادقين صدقهم المستمر بهم في الدارين كصدق عيسى

عليه السلام لان الصدق في الآخرة لا يجدي كصدق ابليس وساير الكفار لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم الذي كل فوز دونه لله ملك
السموات والارض وما فيهن من الكاينات الاجزاء والجزئيات وفيه تكذيب للنصارى لان عيسى وامه
من جملة ما في السموات والارض وغلب غير العقلاء فانزما على من لكون الكلام صادرا عن مقام الكبرياء
والسخط على من اتخذ آلها دونه وهو على كل شيء قدير فيقدر على خلق الولد بلا والد اشار الى ازاحة شبهة
النصارى تمت المايدة والحمد لله على نعمه الزايدة
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض و
جعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا اخبر بالجملة الاسمية الدالة على انحصار المحامد فيه تعالى
اظهارا للغنى عن حمد الحامدين واشارة الى ان حمدهم لم يثبت له شيئا لم يكن ثابتا بل ذلك منهم
ذكر لبعض اوصافه الكمالية ليعود نفعه اليهم واوقع خلق السموات والارض وانشاء الظلمات و
النور فيها في مقابلة الحمد لانها اصول النعم التي تعم الملائكة والثقلين وغيرها والفرق بين الخلق
والجعل هو انه لوحظ في مفهوم الخلق التقدير والتسوية وفي الجعل معنى الارتباط بين الشيئين
بان ينشأ احدهما من الآخر كالظلمات والنور فانهما ينشآن من تكاثف الاجرام والنيرات
وقد يتعدى الى مفعولين فيكون فيه معنى التصيير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا وقدم السموات لعظمها وشرفها لا لتقدمها في الوجود وجمع السموات دون الارض للتخفيف
لقوله من الارض مثلهن وجمع الظلمات دون النور لانه لا ارادة الجنس ولم يعكس ليكون فيه نوع
طباق السموات والارض وقيل لان اسباب الظلمة كثيرة بخلاف النور وتفسير النور بالهدى
والظلمات بالاضلال والهدى واحد والضلال كثير لا يلايم المقام ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
عطف على الاسمية اي انه تعالى حقيق بالحمد على هذه النعم والكفار يعدلون عن شكره او على
خلق اي الفعلية والمعنى خلق هذه الاجرام وما يترتب عليها من الظلمات والنور ثم الذين
كفروا يساوون به من لا يقدر على شيء فالباء صلة يعدلون من العدل وثم على الوجهين للاستبعاد
هو الذي خلقكم من طين قدم دليل الآفاق كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم لتقدمها
وظهورها وكونها اصولا وموادا ثم قضى اجلا هو الموت واجل مسمى عنده تفرد به لا يعلمه
غيره وهو القيمة اوما بين الموت والبعث والاجل يطلق على آخر المدة وعلى مجموعها وقيل الاول
النوم والثاني الموت وتنكير مسمى للتعظيم ولذلك قدم على الظرف بخلاف قولك عندي ثوب
جيد وكتاب صحيح ثم انتم تمترون من المرية وهي الشك وهذا الاستبعاد فوق الاول لانضمام دليل
الانفس الى الآفاق مع اشتماله على المبدا والمعاد ولذلك قدم الضمير لتقوي الحكم وخاطب الذين
هم به يعدلون توبيخا لهم وتقبيحا لما هم فيه من الامتراء بعد هذا البرهان الجلي والدليل
النير وهو الله مبتداء وخبره في السموات وفي الارض المتفرد بالالوهية فيهما فالجار متعلق بما دل
عليه لفظة الجلالة من الصفات التي اشتهر بها او خبر بعد خبر يعلم سركم وجهركم تقرير لتفرده
وتوحده بالالوهية لان الذي يكون السر والجهر عنده سواء هو الله لا شريك له في ذلك او
خبر آخر ويعلم ما تكسبون من افعال ساير الجوارح تعميم بعد التخصيص واشار الى انه كما تفرد بايجاد
السموات والارض وانشاء الظلمة والنور فيهما وخلق البشر من الطين وحكمه عليهم بالموت
ثم بالبعث كذلك ينفرد بما بين المبداء والمعاد من التدبير والالوهية في السموات والارض
والعلم الشامل باقوالهم سرا وجهرا بل بجميع ما يأتون ويذرون لا يعزب عنه مثقال ذرة

وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين عاد الى اسلوب الغيبة بنعيدا لهم
عن ساحة الحضور لانكارهم الدلايل والمعجزات الباهرة من الاولى استغراقيه والثانية تبعيضية
وآثر كان ايماء الى ان اعراضهم عن ايات الله امر مستمر فقد كذبوا بالحق لما جاءهم في معرض الجزاء
لشرط مقدر اي ان كانوا معرضين عن الآيات الدالة على نبوتك فلا تعجب لانهم كذبوا بما هو
هو اعظم الآيات وهو القرآن ولكماله في ظهوره عبر عنه بالحق فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن
عند نزول العذاب بهم جمع الانباء كناية عن عظم العذاب لان الواقعة اذا عظمت تواترت الاخبار
بها مخالفة المراد ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن القرن بالكسر مثلك في السن وبالفتح اهل زمان واحد
وقيل سبعون سنه وقيل ثمانون والاول هو المراد قال شعر اذا ذهب القرن الذي انت فيهم
وخلفت في قرن فانت غريب الاستفهام للتقرير وكم خبرية والمعنى ان هولاء قد شاهدوا آثار المكذبين
قبلهم لا يعتبرون وكانت مساكن عاد وثمود واصحاب الحجر في ممرهم الى الشام ويجوز ان يكون من
روية القلب فانهم سمعوا تلك الاخبار وتوارث عندهم مكناهم في الارض جعلناهم متمكنين فيها
ينصرفون كيف شاؤا في اعمار مبسطا وله وقوى واموال متزايدة ما لم نمكن لكم يا اهل مكة عاد الى الخطاب
ايقاظا لهم عن سنة الغفلة كما هو دأب السيد الرؤف يعرض عن عبده المذنب ثم يلتفت اليه ناصحا
وارسلنا السماء عليهم مدرارا متتابعا من الدرة وهي سيلان اللبن والسماء هو المطر كقوله شعر
اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا او السحاب او السماء حقيقه ومعنى ارسالهما
ارسال ما فيهما تجوزا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في رغد عيش فاهلكناهم بذنوبهم اي
بالغوا في العصيان فاستاصلناهم ولم تغن عنهم تلك الاسباب والقوى وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين
يعمرون الارض ويسكنونها فنحن قادرون على ان نفعل بكم ما فعلنا باوليك ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
وحيا سماويا مكتوبا في الورق القرطاس بالكسر والضم وكذا القرطس بفتح القاف ما كتب فيه بشيء فلمسوه بايديهم
لان اللمس باليد اقوى ما يكون في رفع الشبهة اذ لو قيد بالروية لقالوا انما سكرت ابصارنا وذكر
الايدي مع ان اللمس لا يكون الا باليد كقولهم ابصرته بعيني وسمعته باذني لقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين عنادا آثر المظهر ليدل على ان ذلك القول ناش عن كفرهم وقالوا لولا انزل عليه
ملك يشهد له بالرسالة ولو انزلنا ملكا يشهد له كما اقترحوه لقضي الامر اي امرهم وشانهم لانهم
لا بد وان يكذبوا ثم لا ينظرون طرفة عين وقد جرت عادته تعالى بانه يستاصل من كذب بعد الآية
المقترحة كما فعل بثمود بعد الناقة وباصحاب المايدة بعد نزولها وقيل لقضي الامر اي ماتوا من هول
مشاهدة الملك وعظم خلقته والوجه الاول لقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لو كان ذلك
الرسول الذي يطلبونه ملكا لكان في صورة رجل لان البشر لا يقدر على الاستفادة من الملك وهو في
صورته ولذلك كان اكثر ما يأتي جبريل رسول الله في صورة دحية لانه كان اجمل العرب في زمانه وانما
راه في صورته مرتين ولم يستفد منه في تلك الحالة وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب لو مقدر اي لخلطنا
عليهم ما يخلطون على انفسهم اذا راوا الملك في صورة الانسان يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولكون
العمدة في تصديقه المعجزة وهولاء لا يؤمنون بها فلا فايدة في ارساله ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله بان ما يلقاه ليس خاصا به بل شان ساير الرسل مع المعاندين فحاق بالذين سخروا
منهم ما كانوا به يستهزؤن احاط بالمستهزئين منهم الذي جلبه الاستهزاء وتسبب له وهو الهلاك
والعذاب قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين لما قصر ادراكهم عن الدلايل العقلية
امرهم بالنظر في الامور المحسوسة لا سيما البصر فان مدركه اجلى من كل بديهي والفرق بينه وبين

قوله قل سيروا في الارض ان في الفاء معنى سببية الاول للثاني وليس مقصودا في ذاته ولا كذلك في ثم
بل السير مقصود لذاته قل لمن في السموات والارض خلقا وملكا حالا فيهما او جزءا داخلا قل لله
منعين للجواب لا يقدرون على انكاره وان كانوا بكما لا ينطقون به كتب على نفسه الرحمة كناية عن
سعة رحمته وانها كالواجب الذي لا يمكن الاخلال ولذلك ارسل الرسل وامهل بعد التكذيب ارسال ليجمعنكم
الى يوم القيمة جواب قسم محذوف والمعنى ليجمعنكم في القبور الى يوم القيمة او في يوم القيمة الى بمعنى
في وقيل بدل بعض من رحمته لان جمعه في ذلك اليوم بعض رحمته وفيه ان الخطاب للفريقين واتى رحمة
لمن يقول يا ليتني كنت ترابا لا ريب فيه في ذلك اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بابطال فطرتها
ودنسوا مرآتها بصدي الغواية وعدم النظر في الآفاق والانفس وموضعه رفع على الذم او على الابتداء
والخبر فهم لا يؤمنون والظاهر كون عدم الايمان سببا للخسران لكن قصد ان ابطال تلك الفطرة هو
الذي ادى بهم الى عدم التصديق وله ما سكن في الليل والنهار من السكنى يتعدى بفي كقوله و
سكنتم في مساكن الذين ظلموا وقد تحذف كقولك سكنت الدار او من السكون ضد الحركة واكتفى به كقوله
سرابيل تقيكم الحر وآثر السكون لانه ادخل في كونه نعمة وهو السميع العليم كما لا يخرج عن ملكه و
سلطانه شيء فكذلك لا يخفى عن سمعه سر ولا يعزب عن علمه ذرة قل اغير الله اتخذ وليا كانوا
يدعونه الى عبادة الاصنام ويقولون ما نعبد آلهتنا قدم المفعول لانه المنكر لا اتخاذ الولي
مطلقا فان اتخاذ الله وليا مطلوب فاطر السموات والارض خالقهما من فطرت الشيء شققته و
عن ابن عباس ما كنت اعلم معنى الفاطر حتى احتكم الي اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها
ولعله لم يكن لغة قريش وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق ايثار الطعام لشدة الحاجة اليه
وقرئ بفتح العين الاول وكسره في الثاني فالضميران لغير الله وعلى بناء الفاعل فيهما اي يطعم
تارة ولا يطعم اخرى قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لكونه اول داع الى الله فلا يمكن تقدم
غيره عليه ولا تكونن من المشركين عطف على امرت بتقدير قيل وعلى قل استدل على عدم جواز
عبادة غيره بالعقل بان غيره لا ينفع فلا يختاره ذو عقل ثم بالنقل عمن له الخلق والامر وقدم الدليل
العقلي لكونه العمده لعدم اعترافهم بصحة النقل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم قطع لاطماعهم راسا فان العاقل لا يرتكب شيئا يظن فيه ضررا واشارة وتعريض بانهم
عصاة مستحقون للعذاب وآثر لفظ الرب ايماء الى ان من يكون مربيا محسنا عصيانه في غاية
القبح والجواب محذوف دل عليه ما تقدم من الشرط وفايدة هذا التقديم الاهتمام من يصرف
عنه يومئذ ذلك العذاب فقد رحمه فوفق بالنجاة من عذاب الآخرة اللهم اذقنا برد عفوك و
اسقنا من صفو رحمتك وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يصرف بفتح الياء على بناء الفاعل وذلك
الفوز المبين الواضح المكشوف وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الخطاب له صلى الله
عليه وسلم والمراد تثبيته واسماع غيره او هو خطاب لكل احد وان يمسسك بخير فهو على كل شيء
قدير على ايصال الخير اليك قادر على ازالته فعليك تقييده بالشكر وفي سورة يونس وان يردك
بخير بلفظ الارادة بدل المس المنبئ عن القلة ترجيحا لجانب رحمته وايضا قدم الشر على الخير لان دفع
المفاسد اهم من جلب المصالح وهو القاهر فوق عباده تصوير لعلو شانه ونفاذ امره فيهم وتقرير
للكلام السابق فان من تفرد بالعلو ونفاذ الامر اليه يرجع الامر كله في الشر والخير وهو الحكيم
يفعل على وفق الحكمة الخبير ببواطن الامور فكما هو متصف بصفات الجلال كذلك متفرد بنعوت
الكمال قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قال المشركون من يشهد لك بالرسالة

فانا قد سألنا اهل الكتاب فلم يعرفوك والشيء لغة يطلق على ما يتعقل ويمكن الاخبار عنه موجود اكان
اومعدوما محالا كان اوممكنا فهو ابلغ في العموم من قولك اي شهيد اكبر قل الله شهيد بيني وبينكم
يجوز ان يتم الكلام عند قوله الله اي الله اكبر ثم يبتدئ اي هو شهيد وان يكون الله شهيد هو الجواب
او وحي الي هذا القرآن لانذركم به يا اهل مكة واكتفى بالانذار لكونه اهم ومن بلغ من الاسود والاحمر
او لثقلين اوالى يوم القيمة فانه مرسل الى الكل اءنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى استفهام
تقرير مع انكار بليغ بان من لم يصلح ان يكون معه آله آخر فذا شركوا معه آلهة قل لا اشهد فان شهدوا
بتعدد الآلهة فلا تشهد معهم قل انما هو آله واحد احصر الالوهية فيه وانني بري مما تشركون تصريح
بما علم ضمنا يعرفونه محمدا كما يعرفون ابناءهم من غير تفرقة في كمال العلم والايقان عن عبد الله بن سلام
انه قال انا اعرفه افوي من معرفتي بابني فقال له عمر رضي الله لم ذلك قال لان ابني ربما لم
يكن مني بان خانت امه واما محمد عليه لم يحتمل غيره تقبل عمر يافوخه الذين خسروا فهم لا يؤمنون
استيناف لبيان عدم ايمانهم اي ليس عدم الايمان لعدم المعرفة به بل لانهم افسدوا فطرة الله التي
هي بمنزلة الاكسير ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا لا احد اظلم ممن قصد الكذب على الله
وهم اليهود والنصاري والمشركون القائلون باتخاذ الولد اوكذب باياته على صدق مدعي النبوة
آثارا وان كانوا جامعين دلالة على ان كل واحد من الامرين كاف في اظلميه المتصف به فكيف بمن جمع
انه الشأن لا يفلح الظالمون فما ظنك بالاظلم ويوم نحشرهم جميعا للجزاء نصب بمضمر اي يكون
كيت وكيت حذف للتهويل ثم نقول للذين اشركوا بالله اين شركاؤكم اي شركاء الله بزعمكم
الذين كنتم تزعمون انهم شركاؤه لعلها لم تكن حاضرة حين هذا القول اولعدم عنائها كانها
ليست بحاضرة ثم لم تكن فتنتهم اي ضلالهم وكفرهم الفتنة لغة الضلال والافساد قال ما انتم
عليه بفاتنين اي مضلين مفسدين الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون في ذلك
اليوم عند من لا يخفى عليه خافية وذلك ان المرء يحشر على صفته التي كان تموتون كما تعيشون
وتحشرون كما تموتون وقيل يقولون ذلك من فرط الحيرة والدهشة كما يقوله المواخذ بالذنب
عند العقوبة وان علم انه لا يروج وانث لم تكن حمزة والكسائي لتانيث الخبر نحو من كانت امك
و فتنتهم ابن كثير وابن عامر وحفص بالرفع ونصب باء ربنا على النداء حمزة والكسائي انظر
كيف كذبوا على انفسهم تعجيب من كذبهم فان الانسان ربما يكذب على الغير اذا رجا ان يروج منه
واما ان يكذب على نفسه مع الجزم بانه لا يروج منه فهو غاية السفاهة وضل عنهم ما كانوا
يفترون غاب عنهم ما كانوا يجعلونه عدة لذلك اليوم ومنهم من يستمع اليك من المشركين من
يستمع القرآن حين تتلوه استمع اليه نفر من المشركين فيهم ابو جهل وابو سفيان والنضر بن الحارث
فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما يقول الا مثل ما اقوله لكم وكان النضر قصاص المشركين
يقرأ عليهم وقايع العجم مما جرى بين رستم واسفنديار وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية
لا يصل اليها الحق جمع كنان كازمة وزمام وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا صمما
وان استمعوا فلا اسماع لفقد آلته وهو بالفتح الثقل في الاذن وبالكسر هو الحمل وتقديم القلوب
على الآذان مع ان ادراك المسموعات طريقها السمع لانها مناط الفائدة وان يروا كل آية ما انيث
بها وما لم يأت مما اقترحوها لا يؤمنوا بها لانهم مخلوقون للنار مختوم على قلوبهم حتى
اذا جاؤك ليس لحتى عمل لانها لا تعمل في الجمل وتجرد تجريدا عن الظرفية فيكون مجرورا
بها يجادلونك اي بلغ كفرهم الى ان لم يرفعوا رأسا برأس بل يجادلون بالباطل ليدحضوا به

الحق يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين بيان للمجادلة او حال من فاعلها وهو
العامل في حتى والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم او الاسطارة بالكسر وهم ينهون عنه و
ينأون عنه جمعوا بين الضلال والاضلال وكان اذا ورد مكة مسترشد يحذرونه ويمنعونه عن اتباع
رسول الله عن ابن عباس نزلت في ابي طالب فانه كان ينهى قريشا عن التعرض له وينأى ويجانب
عنه وقيل في اعمامه العشرة وان يهلكون الا انفسهم لان ضررها يباشرونه لا يلحق بها وما يشعرون
وليس لهم بذلك شعور وفيه اشارة الى انهم دون البهايم ولو ترى اذ وقفوا على النار اروها وهي
تحتهم مطلعين عليها اوعرفوا مقدار عذابها من وقفته على كذا عرفته اياه الخطاب لكل احد لان
شناعة حالهم لا تختص رؤية راء والجواب محذوف اي لرايت امرا عظيما فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا من
شدة العذاب ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين عطف على التمني عطفا لخبر على الانشاء
لوقوعه بعد القول او على المتمنى وحال عن ضميره وقوله انهم لكاذبون باعتبار ما تضمنه من الوعد
والا فالتمني انشاء قراء حمزة ولا نكذب بالنصب باضمار ان بعد الواو فانه كالفاء في جواب الاشياء
وقرأ نكون بالنصب حمزة وابن عامر وحفص ورفع ابن عامر الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما تفوهوا به اي ليس الامر كما زعموا بل لما شهدت عليهم
جوارحهم وبدت فضائحهم وقعوا في حيص بيص فذكروا لا عزما على الايمان بقلوبهم والقول
بان هذا قول المنافقين يرده كون السورة مكية ولا نفاق بها ولو ردوا الى الدنيا بعد الوقوف على
النار لعادوا لما نهوا عنه لكونهم في علم الله من اصحاب النار وانهم لكاذبون في ذلك الوعد لعدم
مطابقته الواقع وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا عطف على الجزاء اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا كما
يقولون قبل معاينة القيمة ان هي الا حياتنا او على انهم لكاذبون في كل ما يقولون وهم الذين
قالوا ان هي الا حياتنا او عطف على نهوا وما نحن بمبعوثين مستانف لتقرير السابق وتوكيده و
لو ترى اذ وقفوا على ربهم للسؤال على وجه التقريع كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه وهذا
الوقوف اشد من الاول ولذلك اخره وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقال اليس هذا بالحق مستانف جواب
سؤال كانه قيل ماذا قال لهم ربهم والاشارة الى لقاء الله الذي كانوا ينكرونه لقوله قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله والاستفهام للتوبيخ قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد بالقسم واثروا لفظ الرب لعلمهم
بان ما كلفوا به في الدنيا كان تفضلا وتربية مع ما فيه من الاستعطاف قال فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون بكفركم وستركم الحق قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله فايدة هذا ترهيب السامعين حتى اذا
جاءتهم الساعة بغتة غاية للتكذيب لان خسرانهم لا غاية له والساعة من سوع بمعنى حتى سميت القيمة
بها لسرعة مجيئها كانها حاضرة والبغتة مصدر بغت الامر اذا وقع فجاءة نصب على الحال او على المصدر
لانها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا تعال فهذا اوانك الالتهف والتندم من حسركه اذا كشفه لانها تكشف
عن الحزن الكامن على ما فرطنا فيها في الدنيا لسبق ذكرها او في الساعة اي في شانها والاعداد لها
والتفريط التقصير من فرط القوم سبقتهم لانه لما فاته الامر كانه سبقه فلم يدركوه وهم يحملون
اوزارهم على ظهورهم اي يقولون ذلك القول والحال ان ظهورهم مثقلة بالاوزار والآثام واصل
الوزر الثقل وذكر الظهر معه لكون الاثقال اكثر ما تحمل على الظهر نحو قوله بما كسبت ايديكم الا ساء
ما يزرون وزرهم صدره بحرف التنبيه ايقاظا للسامع وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو منحصرة في
هاتين الرذيلتين اللعب ما يجلب به السرور واللهو ما يدفع به الهم وتقديم كل منهما على الآخر جاء
من المقام والكلام هنا مع الذين يأكلون كما تاكل الانعام فلذلك قدم اللعب وللدار الآخرة خير للذين

يتقون للذين خص المتقين بالذكر لانهم الفايزون بها وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة بالاضافة افلا تعقلون بياء
الغيبة اي المشركون وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالخطاب تغليبا قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
قد للتحقيق مثل قد يعلم الله المعوقين ومما يقال انه للتكثير فيه ان علم الله لا يقبل الزيادة والنقصان
والذي يقولون هو قولهم ان هذا الا اساطير الاولين وامثاله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات
الله يجحدون فان قلت كذب الخبر عدم مطابقته للواقع والتكذيب نسبة المخبر الى ذلك وكانوا مطبقين
على تكذيبه فكيف نفى عنه قلت جعل تكذيبه تكذيبا لله في ابانة المنزلة استعظاما وتسلية له او المنفى
صدور التكذيب عنهم بالقلب وليس قصدهم تكذيبك لانك موسوم عندهم بالصدق وانما يقصدون
تكذيبي والجحود باياتي روى ابن جرير ان اخنس بن شريق خلا بابي جهل يوم بدر وقال يا ابا الحكم اخبرني
عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا غيري وغيرك فقال والله لم يكذب محمد قط وانه لصادق و
لكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فما لساير قريش قرأ نافع والكسائي يكذبونك مخففا
ولقد كذبت رسل من قبلك من لم يكن في زمنك فصبروا على ما كذبوا واوذوا بانواع من المحن فصبروا عليها
حتى اتاهم نصرنا الموعود فانت اولى بذلك ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده نحو قوله انا لننصر رسلنا ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين بعض اخبارهم
فيما انزل اليك واحطت علما بما كان لهم من النصر في العاقبة من التبعيضية فاعل جاء وان كان كبر
عليك اعراضهم عظم وشق آثار وان كان اعراضهم متحققا وشاقا عليه دلالة على انه كان ينبغي
منه ذلك بعد علمه بحال الرسل مع اممهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما
فتأتيهم بآية جوابه محذوف لانسياق الذهن اليه اي فافعل ومع جوابه جواب للشرط الاول
والمعنى قد علمت حال الرسل وما قاسوا مع اممهم فعليك بالتأسي بهم وان عظم عليك ما
تلقاه من اعراض قومك فان قدرت على ان تطلب سربا ومنفذا في الارض او درجا ومصعدا في
السماء فتأتيهم بآية تكون سبب تصديقك عليك ان تبادر اليها وهذا الكلام مدح له صلى
الله عليه وسلم بشدة حرصه على ايمان قومه ووفور رأفته والجار والمجرور في الموضعين صفة
نفقا وسلما او يتعلقان بتبتغي او حالان من مستكنه اي ذاهبا في الارض او صاعدا في السماء
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو تعلقت مشيئته بهدايتهم وجمعهم عليها لجمعهم حذف
مفعول المشيئة لدلالة الجواب عليه فلا تكونن من الجاهلين ان الكل بمشيئته وهذا وامثاله
انما يقال له تعريضا بغيره وتثبيتا له في مواطن يضطرب فيه انما يستجيب الذين يسمعون
الاستجابة الاجابة على وفق ما دعي اليه ولا يتصور بدون السماع والموتى يبعثهم الله نحييهم
بقدرته والمعنى ان هؤلاء لكونهم مختوما على قلوبهم في حكم الموتى ولا قدرة لك على احياء
الموتى مثل قوله انك لا تسمع الموتى ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ثم اليه
يرجعون فيسمعون او فيجازيهم بما يستحقونه وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قالوه عنادا
وعدم اعتداد بساير المعجزات كما قال قوم هود يا هود ما جئتنا ببينة وتذكير الفعل لان المؤنث
غير حقيقي مع وجود الفاصلة قل ان الله قادر على ان ينزل آية اقترحوها كقولهم لن نؤمن لك
حتى تنزل علينا كتابا نقرأه وآية تضطرهم على الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان نزول الآية المقترحة ضررهم لانهم اذا عصوا بعدها استوصلوا او لا يعلمون قدرته
على ذلك لجهلهم بالله وبصفاته وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه ليس شيء من هذين
الجنسين الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها وانما جمع الخبر وهو الا امم

قوله اريد به لكن المتعلق لا بشيء مخصوص
كما اشعر اليه

قيد المشيئة بالعزم الكواشي
وهو مذهب الاعتزال

مع كون المبتدا مفردا حملا على المعنى لان قوله من دابة ولا طاير دال على الاستغراق مغن عن ان
يقال وما من دواب ولا طيور ومعنى وصف دابة بفي الارض وطاير يطير بجناحيه القصد الى زيادة
التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع ولا طاير قط في جو السماء الا امم
امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء اي اللوح المحفوظ فانه الديوان الذي يضبط امور الملك والملكوت
وان كان لا يعزب عن علمه تعالى شيء اظهارا للعظمة وجريا على آداب الملك والسلطنة والقصد من هذا
الكلام اظهار كمال قدرته وعلمه ليكون دليلا على جهلهم وانه لو كان في نزول الآية من مصالحهم
لانزلها ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها ذكر الضمير تغليبا للعقلاء روى الامام احمد عن ابي ذر
ان رسول الله رأى شاتين ينتطحان فقال ان الله سيقضي بينهما يوم القيمة وعن ابي هريرة يحشر
كل ذي نفس ليقتص المظلوم من الظالم حتى ينتصف الجماء من القرناء والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون
ما نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات مستغرقون فيها لا الحول
الدواب والطيور مشاهدة ولم يستدلوا بها على وحدانيته فهو غريق في الظلمات وقيل ظلمة
الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد من يشاء الله يضلله اضلاله ومن يشأ يجعله على صراط
مستقيم مستعليا على الطريق القويم متمكنا تمكن الراكب من مركوبه غير الاسلوب دلالة على غلبة
رحمته قل ارأيتكم اي اخبروني لما كان العلم والمشاهدة سبب الاخبار صح وضع كل منهما موضع طلب
الاخبار والكاف حرف لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شانه ولو كان للكاف محل
لكان التقدير ارأيت نفسك زيدا ما شانه وفساده لائح ان اتاكم عذاب الله في الدنيا او اتتكم
الساعة من تدعون اغير الله تدعون تخصونه بالدعاء فيما اصابكم ان كنتم صادقين ان الاصنام
آلهة دون الله جوابه محذوف اي فادعوها بل اياه تدعون عطف على اغير الله اضراب عنه اي لا تدعون
غيره لما تقرر في النفوس وركز في الاذهان انه لا يقدر على دفع ضر سواه فيكشف ما تدعون اليه
الى كشفه القاء ذلك على ان كشفه لا يتراخى عن الدعاء لكمال قدرته ووفور رأفته ان شاء
ذلك الكشف وقيده بالمشية ليدل على انه متفضل في ذلك وتنسون ما تشركون به من الاباطيل
وفيه توبيخ شديد لانها كانت معدة للشدايد ودفع المهلكات فما نسيت عندها الا لحقارها ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك كاينة قبل زمانك من ابتدائية اذ لا يتسلط معها تقدير الانتهاء نحو
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقيل زايدة وليس بمرضي لان الكلام موجب فاخذناهم بالبأساء
الجوع والقحط والضراء البلاء والمرض اسمان مؤنثان لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون بدل عتوهم
فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا حرف التخصيص للتوبيخ على ترك التضرع لقيام الموجب وعدم الصارف
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك بما يوجب شدة الانتقام
منهم وهي قسوة القلب واتباعهم لما سول لهم الشيطان وزينه فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء
والضراء عدهم تذكرة لان العاقل اذا ابتلي بشيء منها توجه الى الله بشراشره وتخضع له
فيصرف عنه كما حكاه عن يونس وايوب عليهما السلام فتحنا عليهم ابواب كل شيء فتح الابواب
كناية عن افاضة النعم وكثرتها اي انعمنا عليهم انواعا من كل جنس وكذلك عادة الله في خلقه
يراوح عليهم بالسراء والضراء امتحانا بالصبر والشكر قرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد حتى اذا فرحوا
بما اوتوا من الخير والنعم ولم يزيدوا على الفرح والطرب من غير شكر ولا قصد للاعتداد اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون آيسون من رحمة الله من ابلس اذا يئس ومنه ابليس للشيطان فقطع دابر
القوم الذين ظلموا اي اهلكناهم عن آخرهم لان الدابر هو الآتي في دبرهم واذا لم يبق هو فما

لم يفرق اهل اللغة بين البأس والضر منه

من باب الاولى والحمد لله رب العالمين على هلاكهم لان هلاك عدو الله وعدو المومنين لانعمة فوقه
وفي الحديث الكافر اذا مات يستريح منه البلاد والعباد قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اي اصمكم
واعماكم قدم السمع لانه آلة تلقي الاوامر والنواهي من الرسل وختم على قلوبكم فلا تدركون شيئا وتاخيرها
لان صرف القوي واستعمالها مقدم على الادراكات ولذلك يقال من فقد حسا فقد علما من اله غير الله ياتيكم
به بالماخوذ لدلالة الفعل عليه او بالمذكور اي ليس غيره انظر كيف نصرف الايات نكرر الدلايل الدالة على
وحدانيتنا وصدقك باساليب مختلفة تارة في صورة الترغيب والترهيب وتارة بالنقل وتارة بالعقل
الاستفهام للتعجب ثم هم يصدفون يعرضون استبعاد لان يعرض من له فهم عن مثلها قل ارايتكم ان اتيكم عذاب
الله بغتة او جهرة ليلا او نهارا او غير موقت بوقت معين كما خسف بقارون او موقتا كاهلاك قوم
صالح فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فهل يهلك الا القوم الظالمون
اي لا يهلك به احد سوى الظالمين وانتم منهم اد لا ظلم فوق الشرك وما نرسل المرسلين الا مبشرين من
آمن ومنذرين من عصى وكفر فمن آمن منهم واصلح وندم على ما كان منه من الكفر والعصيان فلا خوف
عليهم ولاهم يحزنون على فايت بما ارتكبوه قبل الايمان افرد الضمير اولا وجمعه ثانيا نظرا الى لفظ
من ومعناه والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون المس اللمس باليد اسناده الى العذ
بجعله كالطالب لهم كناية عن سرعة نفاذ امره وايماء الى سعة رحمته لانه ينبئ عن القلة قل لا اقول
لكم عندي خزاين الله جواب لقولهم لولا انزل اليه ملك او يلقى اليه كنز والخزاين جمع خزانة وهي ما يحفظ
فيها الاموال من خزنت الشي كتمته ولا اعلم الغيب جواب لقولهم متى هذا الوعد لما كان توعدهم بمجي
العذاب محله نصب عطف على عندي خزاين الله ولا اقول لكم اني ملك اقدر على ما يقدر عليه الملايكة
ان اتبع الا ما يوحى الي ليس لي من صفات الا اتباع الوحي الحصر اضافي يريد التبرا عن تلك الدعا
الباطلة واثبات ماهو نهاية كمالات البشر قل هل يستوي الذين الاعمى والبصير اي لا يستويان مثل
في الضال والمهتدي او الجاهل والعالم وتقديم الاعمى مع ان الملكات متقدمة على عدماتها لان
الكلام مع المتصف بها افلا تتفكرون تاتون بالفكر الصحيح ليوديكم الى التفرقة بين الحق والباطل وانذر به
بما يوحى اليك الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم من المومنين والكفار فان من لا يعتقد الحشر لا وجه
لانذاره ومشركوا العرب كان منهم من يعتقد الحشر ومنهم دهرية يقولون ما يهلكنا الا الدهر ليس لهم
من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال او مستانف لعلهم يتقون راجيا انت منهم التقوى او يرجى منهم
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه روي مسلم عن سعد بن ابي وقاص كنا
ستة نفر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست
اسميهما فقال المشركون اطرد هولاء لا يجرون علينا فوقع في نفس رسول الله عليه السلام ما شاء الله
ان يقع فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والوجه الذات والتقييد
به للاشارة الى الاخلاص وان العمل بدونه كلا عمل ما عليك من حسابهم من شي وما من حسابك عليهم
من شي كانوا يقولون ما نتبعك يا محمد هولاء الا لفقرهم واحتياجهم فانه صلى الله عليه وسلم كان
يواسيهم فرد الله تعالى مقالتهم بانه على تقدير صحة ما يقولون لست مواخذا بذلك فان حسابهم
لا يتعداهم اليك ولا حسابك يتعداك اليهم والكلام وان كان مسوقا لبيان حسابهم الا انه اردفه بحسابه
ليستوفي معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى من الثانية زايدة لتوكيد معنى الاستغراق والاولى ابتدائية
والجار والمجرور حال من شي قدم عليه لكونه نكرة وقيل الضمير للمشركين ويرده قوله فتطردهم نصب لكونه
جواب النفي فتكون من الظالمين جواب للنهي والمعنى لا تطردهم فتدخل في زمرة الظالمين وكذلك فتنا

بعضهم ببعض ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا اي مثل ذلك الفتن الذي فتن به روسا قريش
مع المومنين فتنا سائر الناس بعضهم ببعض حتى كان ذلك سببا لقول المشركين هذا القول وذلك ان
المشركين لقصور نظرهم على حطام الدنيا كانوا يستبعدون وينكرون ان يكون الفقرا ممنونا عليهم بالتوفيق
دونهم ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليس الله باعلم بالشاكرين الاستفهام للانكار يفيد الاثبات
والمعنى الله اعلم بالشاكرين نعمه وقد اقتضت حكمته بان يكون الشاكر منعما عليه بالاسلام واذا جاءك
الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة امره باكرامهم مكان طردهم ووصفهم
بما يوجب ذلك وهو الايمان بايات الله واتباع حججه وان يبشرهم بان الله قد اعد لهم وراء هذا الاكرام
من رحمته ما تقر به اعينهم وعبر عن ذلك بالكتابة مبالغة في صدق الوعد وقيل ان قوما جاؤا الى رسول
الله وانا قد اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف
وقراه نافع وابن عامر وعاصم بالفتح بدلا من الرحمة بجهالة في موضع الحال اي جاهلا بقبحه وكونه
مما يضره في الدين روي ان عمر بن الخطاب اشار الى رسول الله بطرد الفقرا عن مجلسه اذا
حضره صناديد قريش او فاعلا فعل الجهلة من غير روية اذ الحكيم لا يرتكب شيئا الا بعد تامل ونظر
في العاقبة ثم تاب من بعد ذلك العمل السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود فانه غفور رحيم
فتحه من فتح الاول سوى نافع استيناف ذلك وكذلك نفصل الايات اي مثل ذلك التفصيل الواضح
نفصل ايات القرآن في احوال المجرمين والمطيعين وهو انه ذكر اهل الطبع بقوله والذين كذبوا باياتنا
صم وبكم في الظلمات ومن فيه امارة القبول مومنا كان او كافرا بقوله وانذر به الذين يخافون ان
يحشروا والمتقين بقوله ولا تطرد الذين يدعون ولتستبين سبيل المجرمين قراءة نافع بالتاء ونصب
سبيل ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعامل كلا بما يليق به فصلنا ذلك التفصيل وقراءة ابن
كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء الفوقانية من استبان بمعنى تبين لمجيئه لازما و
متعديا والباقون بالياء لان السبيل تجوز فيه التذكير كالطريق اي ليتضح لك قل اني نهيت نهاني الله
قبل النبوة بما ركب في من العقل السالم عن معارضة الوهم وبعده بالايات الزاجرة عن عبادة غيره
ان اعبد الذين تدعون من دون الله ما تسمونها آلهة الدعاء بمعنى العبادة قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاكم
عبادتكم قل لا اتبع اهواءكم تصريحا بما علم ضمنا قطعا لاطماعهم وتعليلا للانتهاء بانه اتباع للاهواء قد ضللت
اذا على تقدير وقوع ذلك ضلالا بينا وما انا من المهتدين معدودا من جملتهم وزمرتهم قل اني على بينة
من ربي دليل مبين للمطلوب يشمل الدلايل العقلية والنقلية من القرآن وغيرها وكذبتم به الضمير
للرب او للبينة لانها في معنى الدليل ما عندي ما تستعجلون به العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وبقولهم متى هذا الوعد
مستبطئين نزول العذاب ان الحكم الا لله له الامر كله ان قدم العذاب او اخر ليس لاحد عليه اعتراض يقضي
الحق اي القضاء او مفعول به اي يصنعه قال عليهما من الدرع مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ
تبع وقرا نافع وابن كثير وعاصم يقص بالصاد من قص اثره اذا تتبعه وهو خير الفاصلين الحاكمين
قل لو ان عندي ما تستعجلون به من نزول العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لعاجلتكم بالعذاب انتقاما
لله لا فترائكم عليه وازحت الهم عن قلبي والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك لكي تعلموا ان الامر
بيده وهو اعلم بالظالمين وسيجازيكم على ظلمكم وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو شبه الغيب بالاشياء
المستوثق بها بالاقفال استعارة بالكناية واثبت لها المفاتح تخييلا جمع مفتح ومن عرف المفتاح وعرف
كيف يفتح به توصل به الى ما في الخزانة والله تعالى هو المنفرد بالغيب لا يقدر على التوصل اليها احد

لان علمه بمنزله المفتاح ويجوز ان يكون جمع مَفتح بفتح الميم وهي المخزن اي عنده خزاين الغيب ليس
لاحد وصول اليها يؤيده قوله وان من شئ الا عندنا خزاينه ويعلم ما في البر من الغرايب والبحر من العجايب
كيف وهو الذي ابدعها واودعها فيه وما تسقط من ورقة الا يعلمها قبل سقوطها و وقت سقوطها ولا حبة
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة بحسب المعنى الا في كتاب مبين بدل من الا يعلمها
بدل الكل لان المراد به علمه تعالى او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح المحفوظ وقرئت الثلثه با
لرفع عطف على محل من ورقة او على الابتداء والخبر الا في كتاب وهو الذي يتوفاكم بالليل بالنوم
الذي هو الموت الاصغر والتوفي اخذ الشئ وافيا وكذلك النايم لا فرق بينه وبين الجماد ويعلم ما
جرحتم بالنهار كسبتم ولا مفهوم للكلام بل بناء على الغالب ثم يبعثكم فيه في النهار الذي بعد انقضاء
الليل والنهار الاول هو السابق على الليل وانما قدم التوفي لكونه اغرب وادل على كمال القدرة
ليقضي اجل مسمى مدة مضروبة للمستيقظ فيصل الى اخرها ثم اليه مرجعكم بعد بعث الموت ثم
ينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليها والخطاب مع الكفار لقوله ثم انتم تشركون ولذلك بسط الكلام
ولا فقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو كان دالا على ما فصل وهو القاهر فوق عباده الغالب
المتعالي يتصرف فيهم كما يشاء ويرسل عليكم حفظة الكرام الكاتبين الموكلين بحفظ اعمالكم والحكمه
في ذلك ان الانسان اذا علم ان له مراقبا يضبط حركاته وسكناته وسيواجهه بها على رؤس الاشهاد
ينزجر عن القبايح بخلاف ما اذا كان الامر مفوضا على علم مولاه فانه كثيرا ما يعتمد على لطفه ولذلك
ترى اكثر الناس يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك
الموت واعوانه قيل هم اربعة عشر سبعة من ملايكة الرحمه وسبعة من ملايكة العذاب وهو الذي
يباشر قبض الروح فاذا قبضه فان كان مؤمنا سلمه الى ملايكة الرحمة وان كان كافرا فالى ملايكة
العذاب والارض بين يديه مثل الطست ولا يرفع بصره عنها فاذا حان اجل واحد منهم حط اليه خط
فيعلم بذلك ولم يعلم قبل ذلك الا علام الغيوب وهم لا يفرطون لا يتجاوزون عن ذلك الوقت ولا
يقدمون ثم ردوا الى الله بعد التوفي مولاهم الحق سيدهم الحق لان ساير الموالي مجازية وهذا
الرد يحتمل ان يكون بعد الموت حين يفارق الروح البدن لما روى مسلم ان الارواح تعرض على الله فيقول
الله تعالى ردوها الى آخر الاجل فيستقر ارواح المؤمنين في عليين وارواح الكفار في سجين او الحشر
الى الله للجزاء الا له الحكم لا لغيره صدره بحرف التنبيه ايقاظا للسامع وهو اسرع الحاسبين اذ لا
يشغله شان عن شان وفي الحديث يحاسب الخلق في مقدار حلبة شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر كناية
عن شدايدهما تدعونه جملة حالية تضرعا وخفية مثل اللين خافي الاصوات معاداكم من الشدة
قراءة ابو بكر عن عاصم بكسر الخاء لئن انجيتنا من هذه الشدايد بتقدير القول اي قايلين لنكونن من الشاكرين
اللام الاولى موطية والثانية جواب القسم قرا الكوفيون انجانا بصيغة الغيبة قل الله ينجيكم منها
مشعين قدم الضمير ليفيد التقوي في الحكم وتبرز الجملة في صورة الاسمية الدالة على الاستمرار زيادة
في التوبيخ حيث بدلوا بالشكر على تلك النعمة الشرك قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا
من فوقكم بالطوفان والقذف بالحجارة والصيحة كما فعل بقوم نوح ولوط وهود او من تحت ارجلكم بالخسف
والاغراق والزلازل كما فعل بقارون وفرعون وقيل من فوقكم من قبل كباركم ومن تحت ارجلكم
من قبل سفلتكم او يلبسكم شيعا يخلطكم فرقا بان يتشرب في قلوبكم اهواء مختلفة قال شعر
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض شدته من القتل
والنهب وعن خباب بن الارت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قلت يا رسول الله

هذ

لقد رايتك تصلي صلوة ما رايتك تصلي مثلها قال اجل انها صلوة رغبة ورهبة سالت
ربي فيها ثلثا فاعطاني اثنتين وزوي عني واحدة سألته ان لا يسلط على امتي عدوا من غيرهم
فاعطاني وسألته ان لا ياخذهم بالسنة فاعطاني وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني
انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد والامر والنهي والانجاء والاهلاك وتصريف الليل
والنهار لعلهم يفقهون لكي يفهموا وفيه انهم من الجهل والبلادة بمكان وكذب به قومك اي
بالقرآن وهو الحق الكاين الذي لا محاله عنه والحق والصدق متحدان ذاتا وان اختلفا
عتبارا قل لست عليكم بوكيل بمسلط عليكم املك التصرف فيكم حتى اجبركم على التصديق به لكل نباء
مستقر لكل خبر اخبر الله به وقت قرار ووقوع لا يتخطاه وسوف تعلمون ذلك اذا وقع واذا رايت
الذين يخوضون في آياتنا كان المشركون اذا سمعوا القرآن كذبوه واستهزؤا به نهي عن مجالستهم
في الوقت الخطاب له والمراد هو وامته فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره ذكر
الضمير لكون الآيات عبارة عن القرآن واما ينسينك الشيطان اسناد مجازي لكونه بوسوسته وقراء
ابن عامر ينسينك مشددا وهو ابلغ فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين
آثر الظاهر موضع المضمر اشارة الى انهم ظالمون بذلك الخوض وما على الذين يتقون من حسابهم
من شئ اذا جالسوهم حين خوضهم جعل نفي الحساب دليلا على نفي الاثم ولكن ذكرى لكن عليهم ان
يذكروهم ذكرى ويعرفوهم قبح صنيعهم فان ذلك امر بالمعروف يؤجرون عليه نصب على المصدر
او رفع على الابتداء ولا يجوز عطفه على محل من شئ لفساد المعنى ولا على لفظه لان من لا تزاد
في الاثبات منع زيادة من هنا وتجويزه في قوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك تحكم لعلهم يتقون
الخوض وتنفعهم الذكرى ويجوز ان يكون الضمير للمتقين اي لعل المتقين يستمرون على تقواهم
اذا نهوا المشركين عن ذلك المنكر نزلت حين قال المسلمون لئن كنا نقوم كلما خاض المشركون
في القرآن لم نقدر على طواف ولا حلوة وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لم يكن للمشركين دين
وانما اضاف اليهم الدين بمعنى انهم اتخذوا الدين الواجب الحق شيئا من جنس اللعب واللهو
وهو عبادة الاصنام او اتخذوا ما يتدينون ويجعلونه بمنزلة الدين من الاديان شيئا من اللعب
واللهو واتخذوا دين الاسلام الذي هو دينهم الذي كلفوا به لعبا ولهوا يسخرون به وقيل لكل
قوم عيدا اتخذوه لعبا ولهوا الا المسلمين فان عيدهم الصلوه والصدقة والتكبير وغرتهم الحيوة
الدنيا فلم ينظروا في امر الآخرة وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى
الهلاك اصله المنع ومنه شجاع باسل لامتناعه من قرنه بقوته ليس لها من دون الله ولي ولا نصير
يدفع عنها العذاب بقوته ولا شفيع يستوهب ذنوبها بشفاعته الجملة صفة نفس او حال من فاعل
كسبت وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء العدل يطلق على الفدية كما في قوله تعالى ولا
يؤخذ منها عدل والمراد هنا الفداء لكونه مفعولا مطلقا لا يؤخذ منها الفعل مسند الى الجار والمجرور
ولا يجوز اسناده الى ضمير المصدر لانه للتوكيد ولا سند اليه والى ضميره الا اذا كان للنوع او المرة
اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي المتخذون دينهم لعبا ولهوا اسلموا الى العذاب والهلاك بسبب كسبهم
تلك الجرايم لهم شراب من حميم وعذاب اليم استيناف لتفصيل ذلك الابسال او حال من ضمير ابسلوا
مبين لهيئته بما كانوا يكفرون بما استمروا على الكفر قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا
نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قبل اسلامه
والمعنى انعبد ما لا نفع فيه ولا ضر متجاوزين عن عبادته تعالى ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك

رواه الامام احمد

دلك

وهو البيضاوي

اراد انه لا يسند اليه الا اذا كان للنوع او النوع الا انه [illegible] والمانع هنا عدم تعلق الاخذ به لان الماضي [illegible] المجهول لانه مع قوله لا يؤخذ منها [illegible]

بعد اذ هدانا الله الى الاسلام اي لا يكون ذلك كالذي استهوته الشياطين فى الارض استهامه
مردة الجن فى مهامه الارض لا يدري مرامه من هوي يهوي بالكسر اذا سقط من الاعلى الى الاسفل
ومحل الكاف النصب على الحال من ضمير نرد اي مشبهين به حيران متحيرا له اصحاب لهذا الذي استهوته
الشياطين حال اخرى يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه او الى الطريق المستقيم تسمية بالمصدر
مبالغة ائتنا قايلين له ائتنا رحمة عليه وتعطفا قل ان هدى الله وهو الاسلام او الهداية اليه هو
الهدى لا غير ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وامرنا لنسلم لرب العالمين عطف على محل ان
هدى الله داخل تحت القول واللام للتعليل تقديره امرنا بان نسلم للاسلام لا لغرض آخر وقيل اللام
فيه بمعنى الباء وقيل زايدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلوة
وانما امر رسول الله بان يقول هذا الكلام مع ان الآية نزلت فى ابي بكر اشارة الى غاية الاتحاد بينهما
وان كلا منهما يقوم مقام الآخر وانه لو اجاب كان جوابه ما اجاب به رسول الله وفيه من تعظيم الصديق
ما لا يخفى وهو الذي اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم على وفق اعمالكم وهو الذي خلق السموات
والارض بالحق اي خلقا ملتبسا بالحق لا الباطل واللعب كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين وقوله ربنا ما خلقت هذا باطلا والمعنى انا خلقناهما ليتدبروا فى شانهما ويستدلوا بذلك على كمال
قدرة مبدعهما وعلى وحدانيته وتفرده بالالوهية ويوم يقول كن فيكون قوله الحق قوله مبتداء والحق
صفته ويوم يقول خبره مثل قولك القتال يوم الجمعة والمعنى قوله الحق كاين حين يقول لشئ من الاشياء
كن فيكون ذلك الشئ فيكون برهانا على قوله وهو الذي خلق السموات والارض بالحق لدخول كينونتهما
تحت هذا العموم ويجوز ان يراد بالقول المقول والمقضى فالظرف يتعلق بمقدر اي يقوم بالحق حين
يقول لمقضيه كن لعدم جواز الاخبار بالظرف حينئذ وله الملك مبتداء وخبر يوم ينفخ فى الصور ظرف له
والمعنى لا ملك فى ذلك اليوم لا حقيقة ولا مجازا الا له تعالى والصور قرن فيه ارواح الخلايق فاذا كان
وقت البعث نفخ فيه اسرافيل فطار كل روح الى جسده وعن الكلبي لا ادري معنى الصور وقيل جمع صورة
كبسر وبسرة والمعنى ينفخ الارواح فى الصور اي الاجساد عالم الغيب والشهادة رفع على المدح او خبر مبتداء
وهو الحكيم فى كل صنع الخبير ببواطن الاشياء واحوالها فذلكة الآية لان من يكون له ذلك الابداع
لا يكون الا كذلك واذ قال ابرهيم لابيه آزر كان المشركون يزعمون انهم على ملة ابرهيم ويدعون
الاستغناء بذلك عن ساير الاديان فلما نعى عليهم عبادة الاصنام كذبهم فى دعواهم الانتساب الى
ملته فانه قدوة الموحدين واول من كسر الاصنام وآزر عطف بيان لابيه واتفق المورخون على ان
اسم ابيه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل آزر لقب له ومعناه الشيخ او المعوج وقيل
اسم صنم والمضاف مقدر وقيل نصب بفعل يفسره ما بعده اي تعبد آزر وقرئ بالرفع على النداء اتتخذ
اصناما آلهة اتى بصيغة الجمع مبالغة فى تجهيله حيث لم يرض باله آخر من دون الله انى اريك وقومك
فى ضلال مبين ظاهر لان ما لا يسمع ولا يبصر بينه وبين الالوهية بون بعيد وكذلك نرى ابرهيم ملكوت
السموات والارض كما وفقناه لاطلاعه على ضلال قومه شرحنا صدره بالمعارف والملكوت من الملك
كالرهبوت من الرهبة وايثار المضارع حكاية عن الماضي وتصوير له وليكون من الموقنين فعلنا ذلك
او ليستدل وليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى عطف قال ابرهيم وكذلك
نرى جملة معترضة او تفصيل وبيان لرؤية الملكوت كان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والكواكب
فاراد ان يوقظهم من غفلتهم ويرشدهم الى طريق الاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح يابى ان يكون
شئ منها الها لظهور امارة الحدوث عنها وقيل قال هذا الكلام اول اوان بلوغه يقال جنه

ستره وجن عليه اظلم فلما افل قال لا احب الافلين الافول الغروب ومن عدم محبته يلزم عدم العبادة
بالطريق الاولى فلما راى القمر بازغا طالعا ابتداء البزوغ الربيع جاء اوله قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم
يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين استعان به فى درك الحق لما التبس عليه الامر وكثرت الشبه
واراد تنبيه قومه بانهم على الضلال ان لم يوفقهم الله واخبر عن نفسه اظهارا للنصفة فلما راى
الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر لان عظم الاله مركوز فى النفوس او قاله اظهارا لشبهة
الخصم وانما ذكر اسم الاشارة مع ان المشار اليه مونث باعتبار الخبر وفيه صيانة الرب عن
لفظ المونث فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام العلوية لانها متغيرة متبدلة من
حال الى حال وذلك دليل الحدوث مناف للالوهية واستدل بالافول دون البزوغ مع ان كلا منهما
امارة الحدوث لان بالبزوغ يظهر سلطان الكواكب وكماله ولذلك تسجد عبدة الشمس حين طلوعها
وبالافول يزول وينعدم اثره فهو ابهر فى الدلالة ولتعدد دلالته لكونه مسبوقا بالبزوغ وقيل
لانه راى الكوكب الذي كانوا يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال ولا يطرد فى القمر
والشمس لذكر البزوغ فيهما مع ان اللفظ يابى ذلك التوجيه لتنكير الكوكب انى وجهت وجهى
للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين لما ابطل شبهة قومه وادى ما عليه من النصح
وصرح بالبراءة من تلك الشركاء صرف كليته الى من فطر السموات السابقة فى الوجود على تلك الكواكب
وتبرا عن الاشراك راسا بعد تبروه عما يشركون وحاجه قومه خاصموه فى التوحيد ونفى الشركاء
كما قال مشركوا العرب لرسول الله اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب قال اتحاجونى
فى الله انكر المحاجة فى وحدانيته ففى كل شئ له آية تدل على انه واحد قرا نافع وابن عامر بتخفيف
النون وقد هدانى الله الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به كانوا يخوفونه بان آلهتهم ستصيبه
بمكروه اي لا اوقت مشية الله ان يصيبنى مكروه منها فحينئذ اخاف وسع ربى كل شئ علما لعل
ان يكون تعلق علمه بان يصل الى منها مكروه او ان علمه محيط بكل شئ فهو عالم بانى لا اخاف
ما اشركتم به فان الخوف فعل القلب لا يطلع عليه غيره تعالى افلا تتفكرون وكيف اخاف ما اشركتم
معناه استبعاد لانها لا تضر ولا تنفع ولا تخافون انكم اشركتم بالله بمن بيده الضر والنفع اى ما لكم
تنكرون على الامن فى موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن فى موضع الخوف ما لم ينزل به
عليكم سلطانا دليلا قاطعا لا يجوز مخالفته فان حسن الاشياء وقبحها منه تعالى فاي الفريقين
احق بالامن اذا تاملتم كلا منا فاي واحد احق بالامن منى ومنكم نظير قوله صلى الله عليه وسلم
للمشركين وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وهذا النوع من الكلام يسمى كلام المنصف وانما
عدل الى الفريقين ولم يقل انا وانتم تحاشيا من تزكية النفس ان كنتم تعلمون ما يجب ان يخاف
الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون يجوز ان يكون جوابا منه
او من الله تعالى واللبس هو الخلط والظلم هو الشرك روى البخاري لما نزلت شق على المسلمين
فقالوا وأينا لم يظلم يا رسول الله فقال ليس ما تظنونه بل هو الشرك قال لقمان لابنه ان الشرك
لظلم عظيم فالتنوين فى بظلم للتعظيم ومعنى لبس الايمان بالكفر تغطيته به وستره ولذلك
يسمى ما يستر الانسان لباسا ولو اجرى الظلم على عمومه لم يلزم منه تعذيب العصاة غايته
ان لا يكون لهم الامن وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه اي ما استدل به ابرهيم من تلك
الدلايل انما علمه بهدايتنا لانه استعان بنا حيث قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين
والجار فى قوله على قومه متعلق بحجتنا سواء جعلته خبر تلك او بدلا منه نرفع درجات من نشاء

بالعلم والمعارف قرأه الكوفيون بالتنوين ونصب درجات على المصدر او التمييز وهو ابلغ ان ربك حكيم
في فعاله خبير بحال من يستحق الرفع والخفض ووهبنا له اسحق ولدا من صلبه ويعقوب نافلة فان الذرية
الصالحة من النعم الجزيلة كلا هدينا كلا منهما مفعول هدينا ونوحا هدينا من قبل اي من قبل ابرهيم
عد نعمة على ابرهيم لان شرف الاباء يسري الى الابناء ومن ذريته الضمير لنوح لان لوطا ويونس ليسا
من ذرية ابرهيم وقيل الضمير لابرهيم والمذكورون من ذريته تغليبا ولعل هذا هو الراجح لان سوق
الكلام له بانه لما قرر حجة التوحيد وذب عنها اكرمه الله تعالى برفع الدرجات وجعل مشاهير الانبيا
من ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون معطوفات على نوحا وكذلك نجزي المحسنين
كما جزينا ابرهيم بانواع من الكرامات وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين الكاملين في الصلاح
واسمعيل واليسع وقرأ حمزة والكسائي والليسع بتشديد اللام وسكون الياء على انه اعجمي دخله اللام
ويونس بن متى ولوطا بن هاران وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة ويدخل في العالمين الملائكة
ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا ومن تبعيضيه اي فضلنا كل الانبياء وبعض ابائهم
وذرياتهم واخوانهم وعلم من ذكر عيسى في الذرية اطلاقها على اولاد البنات فالحسن والحسين
من ذرية رسول الله واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم كرره
لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط
عنهم ما كانوا يعملون اي لو اشرك هؤلاء الانبياء الكمل مع علو شانهم لحبط عملهم كما يحبط عمل
ساير الناس فان الله غني عن العالمين وهذا امر فرضي ولذلك آثر لو الدالة على استحالة وقوع
الشرط اولئك الذين آتيناهم الكتاب جنس الكتاب والحكم الامر والقضاء على الناس والنبوة
ذكرها بعد ايتاء الكتاب دفعا للتجوز فان الكتاب يضاف الى الامة لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
فان يكفر بها بالتوحيد او بالثلثة المذكورة هؤلاء كفار مكة فقد وكلنا بها قوما هم الانبياء المذكورون
وقيل هم اصحاب رسول الله وكل من آمن به وقيل الملائكة وادعى الانصار انها هم وقيل هم الفرس
قاله مجاهد ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها ليسوا بها بكافرين الباء
الاولى صلة كافرين والثانية تاكيد النفي اولئك الذين هدى الله اي الانبياء المذكورون فبهداهم
اقتده لا بغيرها المراد بها الالهيات واصول الدين التي لا يتبدل بتبدل الملل لقوله لكل منكم
جعلنا شرعة ومنهاجا فلا دليل في الآية على انه عليه السلام كان متعبدا بشرع من قبله وقرأ
حمزة والكسائي بحذف الهاء وابن عامر بكسر الهاء على انها كناية المصدر والباقون بسكونها
اجراء للوصل مجرى الوقف واتفق الكل على السكون في الوقف قل لا اسالكم عليه على التبليغ اجرا حتى
تتهموني بذلك ان هو الا ذكرى للعالمين الا تذكرة وموعظة لكل من يعقل من الثقلين
وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء لما ذكر رؤساء الانبياء واتفاقهم في الملة
واصل الدين شنع على من انكر النبوة راسا بانه جاهل بالله وبصفاته فان ارحم الراحمين كيف
يترك عباده في ظلمة الجهل من غير ارسال رسول يبصرهم طريق الوصول اليه تعالى ولم يعرفوا ايضا
شدة عذابه وقوة بطشه ولذلك اقدموا على هذا القول روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا اليهود الى الله وكان مالك بن الصعب من احبار اليهود حاضرا شرع يدافع كلام رسول الله جهلا
وعنادا فقال له رسول الله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر
السمين فانت الحبر السمين قد سمنت مما اطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر بن الخطاب
وقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال قومه ويلك ما هذا الذي بدا منك فقال انه اغضبني

فقلت ما بلغكم فنزعوه عن الحبورة وولوا كعب بن الاشرف وقيل نزلت في مشركي مكة لان السورة
مكية ويرده قوله تجعلونه قراطيس لانه وصف اليهود قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا
وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا الزام اليهود بما لا يقدرون على انكاره
وادرج فيه ما هو نهاية في التقريع بان الكلام المنزل على موسى جملة جعلوه بحسب اغراضهم اوراقا
متفرقة يظهرون بعضه الذي يوافق غرضهم الفاسد ويخفون الذي لا يلايمهم وقرأ ابن
كثير وابو عمرو الافعال الثلثة بالغيبة والخطاب ابلغ توبيخا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
زيادة على ما في التورية من المعارف والحكم الذي خص بها القرآن الكريم هذا ان كان المراد
بالآية اليهود وان كان المشركين فالامر ظاهر فانهم ما انذروا ولا اباؤهم قل الله متعين
للجواب لا يمكن سواه ثم ذرهم في خوضهم يلعبون دعهم في باطلهم لاعبين فلا عليك بعد
ذلك التبليغ منسوخة باية السيف ويلعبون حال من المنصوب في ذرهم او من المجرور في خوضهم
ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم وهذا كتاب انزلناه
مبارك المشار اليه هو القرآن والمبارك من البركة وهي النماء والزيادة في الرد عليهم بانزال
التورية امر رسول الله بالجواب وفي انزال القرآن اجاب بنفسه مسند الانزال الى ضمير الجمع
الدال على عظم المنزل اجلالا للقرآن مصدق الذي بين يديه من الكتب السماوية فلا وجه
لانكاره لا سيما ممن يكون من اهل الكتاب ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه وصف الكتاب
لان المعنى انزلناه للبركات والتصديق والانذار قرأه بالغيبة ابو بكر بن عن عاصم والخطاب احسن
لان رسول الله هو المنذر حقيقة وام القرى مكة لانها مكان اول بيت وضع للناس او لان
الارض دحيت من تحتها او لان الناس يرجعون اليها في المواسم او لعظم شانها وكونها قبلة
ساير القرى ومن حولها من جميع الجوانب الى انقطاع الارض والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون
به وهم على صلوتهم يحافظون لان من ايقن بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب هو الذي
يتامل في القرآن ويتدبره ويبعثه ذلك على الايمان رجاء لذلك الثواب وخوفا من ذلك
العقاب وانما وصفهم بمحافظة الصلوة لانها عماد الدين لتكررها واشتمالها على شرايط
كثيرة ولذلك وصفها بانها كبيرة الا على الخاشعين ولان الآتي بها لا يخل بغيرها في الاغلب
ولذلك وصفها بانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد
اظلم منه وهو الذي يدعي الرسالة لنفسه افتراء على الله مثل مسيلمة الكذاب والاسود
العنسي او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول
الله الوحي فلما نزل اول قد افلح المؤمنون القاه اليه رسول الله حتى بلغ خلق الانسان وتقلبه
في اطواره من النطفة الى العلقة ثم الى المضغة ثم الى كسوة العظام لحما ثم الى انشاء خلق
آخر وكان عربيا بليغا قال فتبارك الله احسن الخالقين فقال له رسول الله اكتب كذا انزل
فقال ان كان محمد صادقا فقد نزل علي الوحي كما نزل اليه فارتد ثم عاد الى الاسلام واكثر
بلاد المغرب فتحت على يديه في زمن عثمان وقيل كان يكتب في موضع عليم حكيم عزيز حكيم
وفي موضع سميع عليم غفور رحيم وهذا باطل اذ لو وقع منه ذلك مرة لنبهه عليه رسول الله
لقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو النضر
بن الحارث القائل لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون المذكورون او جنسهم
في غمرات الموت شدائده وهي سكراته من غمره الماء اذا ستره والملائكة باسطوا ايديهم

عياش

هذا ذكره ... وهو منقول عن بعض الموضع كان ... باطل ... ان يلعب بالقرآن ... رسول الله ...

كناية عن غاية التسلط فان الغريم اذا بالغ فى التقاضى بسط يديه جاذبا باطواق صاحبه
اخرجوا انفسكم قائلين لهم هذا القول تغليظا عليهم وايحاشا لاسماعهم ليتكامل عليهم العذاب
من جميع الحواس او اخرجوها من ايدينا ان كان لكم قدرة وقد علموا ان لا قدرة لهم فهو من النمط
الاول اليوم تجزون عذاب الهون من تتمة المقول والمراد به يوم الموت او الوقت الذى ما لا يتناهى
والهون الهوان الشديد واضافه العذاب من قبيل رجل سوء يعيد العراقة فى الهوان بما كنتم
تقولون على الله غير الحق من انزال الوحى ودعوى النبوة واثبات الشريك والولد له تعالى
وكنتم عن آياته تستكبرون ترفعون انفسكم عن التدبر فيها فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا
فرادى منفردين عن الاموال والاولاد والطواغيت التى كنتم تعبدونها جمع فرد على خلاف القياس
كانه لما كان بمعنى الفردان على وزن السكران جمع جمعه كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى
او حال ثانية او صفة مصدر جئتمونا وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم من متاع الدنيا
من خوله الشيء اذا ملكه وراء ظهوركم ولم تقدموا منه شيئا ليوم يشتد اليه الحاجة فيه
وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء الله فى عبادتكم لانهم
مشاركون له فى الربوبية لقد تقطع بينكم قراه بالرفع نافع وابن عامر وحمزة وابو بكر عن عاصم
والمعنى انصرم الوصل الذى كان بينكم والباقون بالنصب والفعل مسند الى ضمير المصدر
اى وقع التقطع وهذا فى بناء الفاعل نظير قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون فى بناء المفعول
او بقدر الامر اى تقطع الامر بينكم يؤيده قراءة من قرأ لقد تقطع ما بينكم والبين من الاضداد
وضل عنكم ما كنتم تزعمون من الاشراك والشفاعة ان الله فالق الحب والنوى برهان على التوحيد
بعد ابطال الاشراك والفلق لغة الشق والمعنى شاق الحب والنوى باخراج النجم والشجر منهما
وعن مجاهد المراد شق الحب والنواة والوجه ما تقدم يخرج الحى من الميت اراد النجم والشجر
النامين او المؤمن من الكافر والعالم من الجاهل وهذا اقعد معنى والاول اوفق للمقام
ومخرج الميت من الحى كالحب من النبات والبيض من الطير او الكافر والجاهل من المؤمن والعالم
وانما آثر اسم الفاعل عطفا على فالق الحب لان قوله يخرج الحى من الميت بيان على الوجه الاول
واستيناف على الثانى عبر عنه بالمضارع استحضارا لتلك الصورة لانه ابدع واغرب ذلكم الله
المحيى المميت هو الحقيق بالمعبودية فانى تؤفكون تصرفون عنه استفهام توبيخ وتعجب فالق الاصباح
شاق ظلمة الليل عن بياض الصبح وهو غلس آخر الليل كقوله تغرى ليل عن بياض نهار او
شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار والاصباح مصدر سمى به الصبح وقرئ بالفتح
على صيغة الجمع وجاعل الليل سكنا يسكن اليه ويطمأن ولذلك سميت المرأة والنار سكنا او ما
يسكن فيه لقوله وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه وانتصابه بجاعل لكونه بمعنى الاستمرار
الشامل للازمنة فبالنظر الى الحال والاستقبال اضافته غير حقيقية فيعمل وبالنظر الى الماضى حقيقية
فلوحظ فى مالك يوم الدين وفاطر السموات جانب الماضى ولذلك وصف بها المعرفة وهنا جانب
الحال والاستقبال ولذلك عمل الاسم فلا حاجة الى تقدير فعل ناصب له والشمس والقمر حسبانا
عطف على محل الليل لانتصابه بجاعل وعلى لفظ فى قراءة الكوفيين جعل بصيغة الماضى والحسبان
بضم الحاء حسب يحسب كنصر ينصر معناه العد والاحصاء ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما
على حساب لان الاوقات تضبط بدورهما والحسبان بالكسر مصدر حسب يحسب كعلم يعلم معناه
الظن والتخمين وما يقال ان كلا منهما بمعنى الظن والتخمين وما يقال سهو ذلك تقدير العزيز

اى ذلك الجعل او المذكور من الفلق والجعل تقدير الغالب القهار الذى سخر الاشياء العليم الكامل
العلم ناط بكل شيء سخره ما يليق به من المصالح والمنافع وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات
البر والبحر اى فى ظلمات الليل والاضافة الى البر والبحر لادنى ملابسة او الظلمات استعارة
لمشتبهات الطرق اللام الاولى للتخصيص والثانية للعلة قد فصلنا الآيات الدلائل الدالة على
الوحدانية لقوم يعلمون لانهم الذين يفهمون الدلائل وهو الذى انشأكم من نفس واحدة يريد آدم
فانه الاصل والمنشأ بواسطة وبغير واسطة فمستقر ومستودع اى لكم استقرار فى اصلاب الآباء او
فوق الارض او مكانه واستيداع فى الارحام او تحت الارض او مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر
القاف اى فمنكم مستقر ومنكم مستودع على ان الاول اسم فاعل والثانى اسم مفعول قد فصلنا
الآيات لقوم يفقهون انما ختم الدليل الاول بالعلم وهذا بالفقه لان انشاء ذرية آدم منه
ادق مسلكا من جعل النجوم اسبابا للاهتداء فكان استعمال الفقه يدل على كمال الفطنة ودقة
النظر وهو الذى انزل من السماء ماء من السحاب او من جهة العلو فان ما علاك سماء فاخرجنا به
نبات كل شيء من اصناف ما ينبت فالسبب واحد والمسببات مختلفة كقوله تعالى يسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض فى الاكل دليل على كمال علمه وتفرده بالايجاد ولذلك اسنده الى
ضمير المتكلم ملتفتا اليه من اسلوب الغيبة فاخرجنا منه خضرا غضا طريا مع يبس الحبة المخرج
منها يقال اخضر وخضر مثل اعور وعور نخرج منه حبا متراكبا بعضه فوق بعض كما يشاهد فى
السنابل ومن النخل من طلعها قنوان جمع قنو وهو من النخل بمنزلة العنقود من الكرم ويسمى
العذق بكسر العين والذال المعجمة قنوان مبتدأ ومن النخل خبره ومن طلعها بدل البعض ويجوز
ان يقدر الخبر فعلا خاصا لدلالة اخرجنا عليه اى ويخرجه من النخل لكثرة الحذف دانية قريبة
بعضها من بعض لقوة الشجر بكثرة حمله او قريبة المتناول فان النخل ثم وهو قصير القامة وقد
شاهدنا منه ما يكون اعذاقه على الارض وانما اقتصر على وصف الدنو وان كان منه ما يكون
عاليا لكونه ادخل فى كونه نعمة وقيل اكتفى باحد الضدين لدلالته على الآخر كقوله سرابيل
تقيكم الحر وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع اى وثم جنات من اعناب
او ولكم جنات من اعناب او وجنات عطف على قنوان ومن اعناب على من النخل عطف المفرد
على المفرد كقول الشاعر عندى اصطبار وشكوى عند قاتلتى فلا يلزم ان يكون
العنب خارجا من النخل والزيتون والرمان عطف على نبات ايضا والاحسن النصب على الاختصاص
لكونهما اشرف الثمار مشتبها وغير متشابه حال من الجميع او من الرمان اى بعض الثمار متشابه
فى اللون والطعم وبعضه غير متشابه يقال اشتبه وتشابه بمعنى انظروا الى ثمره اذا اثمر
حين يبدو ويخفى لا طعم ولا لون يعتد به وينعه وحين نضجه مصدر مضاف الى الفاعل من ينع
الثمر اذا استوى وصلح فانه يصير ذا لون وطعم معجب وقيل جمع يانع كتجر وتاجر فان ذلك الا
نقلاب دليل على تأثير حكمة الصانع وقرأ حمزة والكسائى ثمره بضمتين على صيغة الجمع ان فى ذلكم
لآيات لقوم يؤمنون فانهم المتأملون فى دقائق صنايعه المستدلون بالآثار على وجود المؤثر
وبانتظامها على حسن الانتظام على تفرده بذلك وجعلوا لله شركاء الجن عطف على قصة اخرى
والجن الملائكة لاجتنانها وعبر به عنها تحقيرا وتبعيدا لها عن رتبة الالوهية لانها مخفية
لا عين ولا اثر او الشياطين لان الكفار اطاعوهم وعبدوا الاوثان بتسويلهم او اعتقدوا
ان الله خالق الخير والشيطان خالق الشر كما يقول الثنوية جعل بمعنى صير ومفعولاه لله شركاء

ولا يشترط استقامة المعنى لان المبدل ليس فى حكم التنحيه من كل وجه او شركاء الجن مفعولاه وقدم
المفعول الثانى استعظاما للشريك وخلقهم والحال انهم عالمون بان من جعلوه شريكا له مخلوق من
مخلوقاته زيادة توبيخ وان ذلك العلم لا ثمرة له وقرئ وخلقهم مصدرا بمعنى المفعول عطفا على
شركاء اي وجعلوا له مختلقاتهم حيث قالوا والله امرنا بها وخرقوا من الخرق وهو الشق كانهم
شقوا العدم واخرجوا منه وقرا نافع خرقوا مشددا مبالغة له بنين وبنات قالت اليهود عزير بن
الله وقالت النصارى المسيح بن الله وبعض مشركى العرب الملائكة بنات الله بغير علم تصريح
بما علم ضمنا فى محل الحال من الفاعل اي جاهلين او مصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون اي
انزه الموصوف عما وصفوه به وتعالى عن تلك الاوصاف ولحوقها به بديع السموات والارض تقرير
لتعاليه عن تلك الصفات باثبات ما يضادها وهو ان السموات والارض التى هى من مخلوقاته
بديعه عديمة النظير فكيف يكون له ولد اذ لو كان له ولد لكان نظيرا له او هو بديع فى السموات
والارض لا نظير له او هو مبدع السموات والارض من العدم فلا حاجة له الى الولد ليكون له
ظهيرا انى يكون له ولدا استبعاد لان يكون له ولد ولم يكن له صاحبة يتولد منها الولد وهم يعترفون
بذلك وهذا توبيخ وتجهيل لمن يثبت له الولد مع اعترافه بان لا صاحبة له وخلق كل شئ ولو له
شئ لا محاله وما كان مخلوقا له لا يكون ولدا لانه ملك وهو بينا فى النبوة وهو بكل شئ عليم
اي كما تفرد بخلق الاشياء فكذلك تفرد بالعلم الكامل الشامل فانسدت انحاء الاحتياج
الى الولد وقيل لان الولد كفو لوالده والله عالم بالذات بجميع المعلومات وغيره ليس كذلك
اجماعا وفيه ان الكفاءة لا تستلزم التساوي من كل وجه كما نرى بين الاباء والبنين ذلكم
اشارة الى الموصوف بصفات الالوهية الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار مترادفة
ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا اعاد وصف الخالقية لانه اجلى البراهين
وكذلك اكثر ايراده فى القرآن الكريم فاعبدوه مسبب عن تلك الاوصاف وان كان مستحقا
لذاته مع قطع النظر عن كل صفة وهو على كل شئ وكيل حال من المفعول توكيد للامر بالعبادة
اليها وهو مع تلك الصفات موصوف بكونه موكولا اليه جميع الامور يتولاها ويراقب احوالها
لا تدركه الابصار وهو لا تحيط به لانه غير جسم وجسمانى فهو اخص من الرؤية فلا يستلزم
نفيه نفيها او لا تدركه الابصار كلها فالنفى متوجه الى الاستغراق كقولك لم اضرب زيدا
عبثا وشبهة فالنفى للرؤية انما هى فى الوقوع لا فى الامكان لان نفى الشئ لا يدل على امتناعه و
البصر النور المودع فى الجارحة الذي به رؤية الاشياء ويطلق على الجارحة ايضا والاول هو المراد
لقوله وهو يدرك الابصار لان تفرده انما هو بادراك تلك لا الجارحة وهو اللطيف الخبير وقت
حكمته فى كل شئ او لطيف بعباده فى المضايق خبير بنياتهم او اللوصفان نشر لما تقدم اللطيف
للا تدركه الابصار والخبير ليدرك الابصار قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة
وهى للقلب كالبصر للعين والمراد الدلايل القاطعة جعلها بصاير دلالة على غاية جلائها
فمن ابصر بقلبه وآمن فلنفسه نفعه لا لغيره ومن عمى قلبه عن ادراكها فعليها وباله ذلك
وما انا عليكم بحفيظ ان على الا البلاغ الآية واردة على لسانه صلى الله عليه وسلم وكذلك نصرف
الآيات اي كما صرفنا الآيات السابقة الدالة على الوحدانية نصرف ساير الآيات فى القرآن وليقولوا
درست متعلقه محذوف اي صرفنا واللام للعاقبة كقوله ليكون لهم عدوا والدرس هو القراءة
والتعلم وقراءة ابن كثير وابو عمرو دارست اهل الكتاب لكونهم مشهورين بذلك وابن عامر درست

بضم الدال بناء التانيث من الدروس والمراد التقدم فى الزمان كقولهم اساطير الاولين المد والخطاب
اولى لقوله واعانه عليه قوم آخرون وقوله انما يعلمه بشر ولنبينه اللام على اصله من التعليل
والضمير للايات باعتبار المعنى لانها القرآن او للمصدر لقوم يعلمون لان الجاهل بمعزل عن الفهم اتبع
ما اوحى اليك من ربك بالتدين به اذ لا عليك بعد البلاغ الا ذلك لا اله الا هو حال مؤكدة بعد الفعلية
كقوله قائما بالقسط او اعتراض اكد به ايجاب الاتباع واعرض عن المشركين منسوخة باية السيف او المراد
عدم الالتفات اليهم دون الكف ولو شاء الله ما اشركوا صريح فى ان اشراكهم بمشيته وما جعلناك
عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل متولى امورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
السب ذكر مساوى الشئ على سبيل النقص والتحقير وما وصف الله به آلهتهم من دون كونها
حصب جهنم ونظايره فى معرض الاستدلال على عدم صلاحيتها للالوهية فيسبوا الله عدوا
تجاوزا عن الحق بغير علم جهلا منهم بمن يليق به السب وسب آلهتهم وان كان طاعة ولكن طاعة
ولكن حيث اشتمل على المفسدة انقلب مفسدة دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح والتخلية
كذلك زينا لكل امة عملهم كما زينا لهؤلاء خالق الاشياء زينا لكل امة عملهم من الخير والشر
ويجوز ان يراد بكل امة الكفار لان الكلام فيهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون
مجاز عن الحساب والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر فى موقع الحال اي بالغين
فى الايمان جهدهم وطاقتهم والداعى لهم الى هذا القسم التعنت واستحقار ما اتى به من القرآن
وغيره من المعجزات لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات كلها عند الله
لا عندي فلا قدرة لى على الاتيان بها اذا اراد شيئا منها وما يشعركم استفهام انكار انها
اذا جاءت لا يؤمنون كان المؤمنون يتمنون مجئ الآي المقترحة لعلها يكون سببا لايمانهم فرد الله
عليهم بانكم لا تدرون عدم ايمانهم اذا جاءت تلك الايات فلذلك تمنيتم مجيئها فالنفى انما
توجه الى ما هو الواقع لا الى مدعاهم وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل كذا روي عن الخليل
وعليه قول امرئ القيس عوجوا على الطلل المحيل لاننا نبكى على الديار كما بكى ابن خذام وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابو بكر فى رواية انها بالكسر ابتداء كلام كانه قال وما يشعركم ما يكون
منهم بعد نزول الآية المقترحة ثم اخبرانهم لا يؤمنون وقرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون
بناء الخطاب فالانكار فى ما يشعركم للكافرين على حلفهم ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على
لا يؤمنون داخل تحت الانكار اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم عن سنن الاستقامة
بان نطبع عليها فلا يفقهون الحق ولا يبصرونه تمثيل لما لهم بحال الظرف المقلوب الذي لا يمسك
شيئا كما لم يؤمنوا به اي فلا يؤمنون بالمقترحة كما لم يؤمنوا بما انزل الله من ساير الآيات اول مرة
قبل الاقتراح ونذرهم فى طغيانهم يعمهون فى تجاوزهم عن الحق متحيرين عطف على لا يؤمنون ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا اشار الى بعض تلك الآي المقترحة
فانهم كانوا تارة يقولون لولا انزل علينا الملائكة فتخبرنا بانك رسول وتارة يقولون فأتنا
بآبائنا ان كنت من الصادقين وتارة لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا والقبل
بضم القاف والباء بمعنى الكافل والضامن او جمع قبيل بمعنى جماعة او مصدر بمعنى المقابلة كقبلا
بكسر القاف وفتح الباء وهى قراءة نافع وابن عامر وعلى التقادير حال من كل وانما جاز لعمومه ما كانوا
ليؤمنوا الا ان يشاء الله الا وقت تعلق مشيته به استثناء من اعم الاحوال ولكن اكثرهم يجهلون

و لذلك اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم يؤمنون عند الآيات المقترحة واكثر المسلمين يجهلون ذلك
ولذلك يتمنون نزولها طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن اي كما جعلنا
لك من يعاديك جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا من مردة الفريقين لينالوا بذلك الاجر العظيم وليتسلى
العلماء اذا عاداهم الجهلة ويتأسوا بالانبياء وعدوا اريد به الجنس ولذلك وقع شياطين بدلا عنه او
شياطين اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني وعن مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد علي
من شياطين الجن فاني اذا تعوذت هرب شياطين الجن بخلاف شياطين الانس وكانه الى ذلك اشير
بتقديم شياطين الانس يوحي بعضهم الى بعض الوحي الكلام الخفي والمراد به وسوسة الشياطين
زخرف القول اباطيله هو في الاصل الذهب واستعماله كثر في المموه والباطل غرورا خداعا مصدر
غره يغره وهذا الوزن نادر في المصادر المتعدية ونصبه على العلة او الحال ولو شاء ربك ما فعلوه
ذلك الغرور او الايحاء صريح في ان وقوع الشرور بمشيته فذرهم وما يفترون فلا عليك بعد الابلاغ
منسوخ باية السيف ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة والا فعلى
مقدر اي لينالوا بذلك اجرا ولتصغى واللام فيه وفي ليرضوه وليقترفوا لام العاقبة لان جعل
الانبياء مبتلين بعداوة الشياطين ليس لصغو افئدة الكافرين ولكن لما ترتب عليه جعل كالغرض و
ليرضوه الضمير المنصوب فيه والمجرور في اليه عايد الى ما عاد اليه ضمير فعلوه وليقترفوا ما هم مقترفون
من الآثام من قرف لعياله اذا كسب افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير
الله اطلب حكما يحكم بيني وبينكم رد لما كانوا يقولون اجعل بيننا وبينك حكما فالهمزة للانكار وغير
مفعول ابتغي وحكما حال منه وعكسه لا يستقيم لان غير معرفة بالاضافة لتعين الضد والحكم هو
الحاكم مطلقا وفي المثل في بيته يؤتى الحكم وفي الحديث يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا
وقيل يختص بالحاكم العادل ولا سند له وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا الى سور
وسوره الى آيات او مفصلا فيه الحق والباطل وقد دل ذلك المنزل على صدقي وكوني على الحق
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق عضد دلالة الاعجاز على صدق القرآن
بعلم اهل الكتاب الموصول للجنس فيكفي ان يعلم ذلك علماؤهم وقيل من لم يعلم كان متمكنا منه
وانما علم اهل الكتاب بانه منزل من عند الله بموافقته لكتابهم وتصديقه اياه مع كونه صادرا
ممن لم يخالط احدا من علمائهم وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن
من الممترين من نمط لئن اشركت ليحبطن عملك من الكلام الذي يراد به الالهاب والتهييج او
فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون او الخطاب له والمراد امته لانه الواسطة والمترجم
عن احوالهم او المراد كل احد على معنى لا يليق باحد الامتراء في ذلك فانه غاية في الوضوح وسطوع
البرهان وتمت كلمات ربك صدقا فيما كان من الاخبار وعدلا فيما كان من الاحكام نصبا على
الحال او التمييز او المفعول له لا مبدل لكلماته بان يأتي احد باصدق من اخباره وفي الاحكام
باعدل منها او تمت اي استقرت ودامت لعدم ورود النسخ عليها او لا يتطرق عليها التحريف
كما تطرق على سائر الكتب فيكون ضمانا من الله بحفظه كقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فيختص
بكلمات القرآن وقرأ الكوفيون كلمة بالتوحيد لارادة الجنس وهو السميع لما يقولونه من المقترحات
العليم بقصدهم من ذلك وعنادهم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله لان اكثر من
في الارض ضلال فلا ينبغي ان يلتفت اليهم في مقترحاتهم فان اتباعهم مفض الى الضلال ان يتبعون

الا الظن الذي هو اكذب الحديث وان هم الا يخرصون يكذبون الخرص هو التقدير والتخمين وانما فسر
بالكذب لئلا يقع التكرار والمعنى ان حالهم وصفتهم منحصرة في الظن ولما كان الظن محتملا للصدق حصر
ظنهم في الكذب فهو كالعلة للنهي عن اطاعتهم ان ربك هو اعلم بالمهتدين كان المشركون يقولون
لمن اسلم صبا وضل فرد الله تلك المقالة عليهم اجمل رد بانه اعلم بالضال والمهتدي من غيره ولم يسند
الضلال اليهم صريحا لئلا يشق عليهم ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه
اسم التفضيل لا به اذ لا يعمل النصب في الظاهر ويجوز ان يكون استفهاما مبتدأ علق عنها الفعل واعلميته
لا يحتاج الى برهان ولا تقييد بوجه دون وجه فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع
المضلين كانوا يقولون الميتة اكلها اولى من المذكاة لانها ماتت بقتل الله ان كنتم بآياته مؤمنين
فاقصروا اكلكم على ما ذكر اسم الله عليه الحصر مستفاد من الوصف كقولك كل من مال الغني وانما
آثر ان وان كان ايمانهم مقطوعا به اذ ربما خالج قلبهم شبهة حين قال المشركون
ما قتل الله اولى بالاكل مما قتلتم وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه اي ما عرض لكم واي
مانع من اكل ما ذكر اسم الله عليه خاصة وهذا القيد علم من الوصف وقد اشكل حله على بعض فزعم
ان المشركين كانوا يحرمون المذكاة ويحللون ما ذبح باسم آلهتهم او مات حتف انفه وقد فصل لكم
ما حرم عليكم جملة حالية وما فصله من المحرمات هو ما في آخر هذه السورة من قوله قل لا اجد
فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا الى آخر الآية فانه
وان كان متأخرا في الوضع متقدم نزولا قرأ نافع والكوفيون فصل على بناء الفاعل وقرأ نافع وحفص
حرم على بناء الفاعل مثل فصل الا ما اضطررتم اليه من المحرم فانه يحل تناوله ايضا رخصة
مع قيام المحرم ابقاء لمهجة المؤمن وذلك بقدر الضرورة وما يسد به الرمق وان كثيرا ليضلون
بتحليل الحرام وتحريم الحلال او ان كثيرا من الناس ضالون اشارة الى ان الضلال ليس مختصا
بالمشركين وقرأ الكوفيون بضم الياء وهو ابلغ باهوائهم بغير علم بما يشتهونه من الضلال غير مستند
الى دليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين حدود الله فيجازيهم عليه وذروا
ظاهر الاثم وباطنه اي دعوا كل ما يوجب الاثم ما يؤتى به جهارا وما يفعل سرا او ما يكون بالجوارح وما يكون
بالقلب ان الذين يكسبون الاثم ظاهرا او باطنا سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر الآية يدل على حرمة ما لم يذكر اسم الله عليه حيوانا كان او غيره
لكن المراد هو الحيوان المأكول اجماعا ويتناول بظاهره متروك التسمية مطلقا وذهب ابو حنيفة
الى حل متروك التسمية نسيانا وهو رواية عن مالك وابن حنبل ومذهب داود لما روي انه
صلى الله عليه وسلم سئل عن متروك التسمية نسيانا فقال كلوه فان تسمية الله على قلب كل
مسلم ولقوله وانه لفسق لان ترك اسمه نسيانا ليس بفسق وهذا هو المشهور عن مالك واحمد
وذهب الشافعي الى حله مطلقا عمدا تركه او نسيانا لقوله وانه لفسق فانه في موقع الحال اذ لا
يستقيم عطفه على الانشاء ولا على الصلة وقد بين الفسق بقوله اهل لغير الله به في آخر السورة
ولما كان سابقا نزولا اكتفى بذكره وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وان اطعتموهم في استحلال
ما حرم الله انكم لمشركون فانكم جعلتم لله شريكا في تشريع الاحكام حسن حذف الفاء من الجزاء
لان الشرط لفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل
حال المؤمن بحال من يكون ميتا ثم يحصل له الحيوة واعطي نورا يمشي به حيث اراد من غير

تعب ولا تكذيب يحصل به مطالبه كمن مثله في الظلمات المتراكمة مستمر في تلك الظلمات لا يهتدي
الى مقصد من مقاصده فالحيوة هي الايمان والنور الذي يمشي به في الناس هي معرفة احكام المبدأ
والمعاد اصولا وفروعا والظلمات هي الكفر والشبهات فانها تنقلب ظلمات حقيقة يوم القيمة ليس
بخارج منها ابدا حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وكان الظاهر كمن هو في
الظلمات وانما اقحم المثل لدلالته على الحال والصفة روي انها نزلت في حمزة وابي جهل كذلك
زين للكافرين ما كانوا يعملون كما زين للمؤمنين ايمانهم او كما زين للمشركين عملهم زين لسائر
الكفار والمزين هو الله لقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة
اكابر مجرمين يستتبعون الضعفاء على الكفر جعلنا في كل قرية مثلهم ابتلاء قوله اكابر مجرميها مفعولا
جعلنا لكونه بمعنى صيرنا قدم الثاني على الاول ويجوز ان يكون في كل قرية اكابر مفعوليه ومجرميها
بدلا او مضافا اليه بدليل قراءة اكبر مجرميها وان يكون في كل قرية ظرفا لغوا واكابر مجرميها مفعولا اول
وليمكروا مفعولا ثانيا وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون ان ذلك الضرر عايد اليهم واذا جاءتهم
آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله القايل وليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم انا اولى بالنبوة منك لاني اكبر سنا واكثر مالا وقيل ابو جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف
في الشرف حتى اذا كنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى ولا نتبعه حتى يأتينا
وحي كما يأتيه والاسناد الى الكل لوقوع الفعل بينهم الله اعلم حيث يجعل رسالته كلام مستأنف
للرد عليهم وابطال قياسهم فان النبوة فضل من الله تعالى يختص بها من يشاء ليس بكثرة المال ولا كبر
السن من اسبابها ولوازمها وقرأ ابن كثير وحفص رسالته بالافراد وفتح التاء والجمع اظهر نظرا
الى الاحكام سيصيب الذين اجرموا صغار وضع الموصول موضع الضمير ليشعر الصلة بعلية الحكم
والصغار هو الذل من صغر على وزن علم عند الله اي يوم القيمة او ناشيا من قبله في الدنيا
كما وقع يوم بدر وعذاب شديد مضافا الى ذلك الذل بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او مكافاة
على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام مسبب عن الكلام السابق اي اذا
تبين ان النبوة ليست الا فضلا منه فمن اراد هدايته وتوفيقه شرح صدره للاسلام والانقياد
لامر الله فانشع بنور الايمان وانكشف عنه ظلمة الكفر والجهل ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ومن اراد اضلاله وخذلانه يلقي الشبهة وكدورات الجهل على ظلمة
النفس التي لها جبلة فلا يتمكن من الوصول الى ذلك لانعدام القابلية ولذلك مثله بمن يريد
الصعود الى السماء روي ان ابن عباس قرأ الآية ثم قيل هل من بني بكر هنا احد فقال رجل نعم
انا من بني بكر قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر الذي لا طريق فيه فقال
ابن عباس كذلك قلب الكافر وقد روي مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم سئل عن شرح الصدر فقال
هو نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينفسح قال هل لذلك امارة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد لما بعد الموت وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف والباقون بالتشديد وحرجا
بكسر الراء نافع وابو بكر وقرأ ابن كثير يصعد باسكان الصاد وتخفيف العين والباقون بفتحها مشددة
الا ابا بكر فانه لم يشدد العين وزاد الفا بعدها كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون اي كما
جعل عليهم الضيق والحرج في الدنيا يجعل عليهم العذاب في الآخرة واللعن والطرد وضع المظهر موضع
المضمر للتعليل وهذا صراط ربك مستقيما اشارة الى ما ينبه من ان النبوة فضل منه وان الاسعاد

والاشقاء

والاشقاء بيده او الاسلام صراطه المستقيم الذي لا اعوجاج فيه قد فصلنا الآيات الدالة على حقية
تلك الصراط لقوم يذكرون العهد الذي اخذ عليهم في عالم الذر او في الكتب السماوية على لسان
الانبياء والتذكر ضد النسيان لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلام التي هي الجنة اضافة اليه
تعالى فان السلام من اسمائه تعظيما للمضاف واختير من اسمائه للمح معنى السلامة فيه او السلام
بمعنى السلامة فانها لا سقم فيها ولا تعب او لان تحيتهم فيها سلام عند ربهم اي مخفية حالها لا يعلم
كنهها غيره وهو وليهم ناصرهم ومتولي امرهم الى غيره تشريفا لهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم
الصالحة فكما لم يشركوا احدا معه في تلك الاعمال فكذلك لم يشرك في جزائهم احدا ولا يطلعه عليه
ويوم نحشرهم جميعا منصوب باذكر او بمقدر اي قلنا او ويوم نحشرهم ونقول لهم يا معشر الجن يكون
من الامر ما لا يمكن شرحه والضمير للثقلين والجن قد سبق ذكرهم في قوله وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم يا معشر الجن يريد الشياطين منهم قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم او
استتبعتم كثيرا منهم وانما يقال لهم هذا الكلام توبيخا وتقريعا على سوء صنيعهم وقال اولياؤهم
من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض كان انتفاع الانس بالجن على زعمهم في الجاهلية اذا نزل
مسافر منهم في مفازة يقول اعوذ برب هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت آمنا في جواره
وانتفاع الجن سرورهم بهذا القول الدال على احتياج الانس اليهم وتلك مرتبة جليلة عند
الجن وشرف ظاهر وقيل انتفاع الانس بالجن اخذ الشيء والكهانة واباطيل القول منهم فان
قلت كيف خاطب الجن واجاب الانس وما وجه ذلك قلت خطاب الجن كان لتقريع الانس لكونه
مع شرفه وعلو شانه يصير تابعا لذلك الشرير الخسيس فلم يستحق الخطاب فانه نوع تكريم فكان
الجواب من الانس لكونهم مجرمين يحتاجون الى نوع اعتذار وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا
هو البعث وعن الماتريدي الموت يقولون هذا الكلام للتلهف على الفايت والاسف قال النار مثواكم
خالدين فيها اي هذا الاعتذار لا يغني شيئا فان النار مقركم ومقامكم حال كونكم دايمين
فيها الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلبون منها الى الزمهرير او الايام البرزخ وهو ما
بين الموت والبعث او بعد البعث الى استقرار فريق في الجنة وفريق في السعير ان ربك حكيم في
افعاله متقن في كل ما دبر عليم كامل العلم اتقان فعله مسبوق بذلك العلم وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا اي كما ولينا الجن الانس كذلك نولي الظلمة بعضهم على بعض في الاغواء
والوسوسة او في العذاب يوم القيمة وفي الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل
بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم من قبيل قوله
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فان خروجهما من الملح لا من العذب يوم كم هذا اي يوم القيمة قالوا
شهدنا على انفسنا اقررنا على انفسنا بالجرم واستحقاق العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا اي قالوا
ذلك القول والحال انهم كانوا مغرورين بالحياة الدنية واللذات المخدجة السريعة الزوال
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين كرر الشهادة لان الاولى حكاية حالهم والثانية
ذم لهم وتخطية على ما كان منهم من الغرور واقرارهم بالكفر في هذه الآية وانكارهم في قوله
والله ربنا ما كنا مشركين باعتبار الحالين في وقتين مختلفين ذلك اشارة الى ارسال الرسل
ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للارسال وان مصدرية او
مخففة من المثقلة فيقدر ضمير الشان وبظلم حال من القرى بتقدير الاهل اي ملتبسين
بظلم في حال غفلتهم او من فاعل مهلك اي ملتبسا بظلم ويحتمل العلية وفيه دليل للشيخ

الاشعري على ان لا تكليف قبل البعثة ولكل درجات مما عملوا لكل واحد من المرسل اليهم مراتب
لاجل اعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر واطلاق الدرجات على القبيلين تغليب وما ربك بغافل
عما يعملون عن اعمالهم اعتراض في آخر الكلام او تتميم وقرأ ابن عامر بالخطاب تغليبا وربك الغني
المطلق لانسداد انحاء الاحتياج عليه ذو الرحمة البالغة ولذلك ارسل الرسل وشرع الاحكام تكميلا
للعباد بالمعارف والاعمال الصالحة ان يشأ يذهبكم تقرير لمعنى الغني اي ليس له اليكم حاجة وانما
ابقاكم رحمة لتداركوا ما فرط منكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق آثر ما على من قصدا
الى الوصف كانه قيل ويستخلف من بعدكم المطيع لامره كما انشأكم من ذرية قوم آخرين جيلا بعد
جيل انما توعدون لآت اي البعث واحواله او العذاب او ظهور هذا الدين كله وما انتم بمعجزين
فائتين طالبكم من اعجزه الشيء اذا فاته مأخوذ من عجز الشيء وهو مؤخره قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
اي تمكنكم مصدر مكن بالضم فهو مكين اذا تمكن غاية ما يمكن او اعملوا على طريقتكم وجهتكم التي
انتم عليها من الكفر والعصيان فهي بمعنى المكان يقال مكان ومكانة كمقام ومقامة وعلى الوجهين
الامر للتهديد على نمط اعملوا ما شئتم والوعيد اذا كان بصيغة الامر يفيد غاية الانذار كان
المهدد قد عزم على تعذيب المهدد فيامره بما يوجب ذلك ويفضي اليه وفيه ايماء الى ان المهدد
لا ينفع منه الا الشر فهو لازم له واجب عليه فعله كالمأمور به اني عامل على تمكني او جهتي
قرأ ابو بكر مكاناتكم بالجمع وهو ابلغ في التهديد فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار من
استفهامية والفعل معلق عنه او خبرية مع ما في حيزها قائم مقام المفعولين او العلم بمعنى المعرفة
والموصول مفعوله وعاقبة الدار هي العاقبة الحسنى واضافتها الى الدار لانها تحصل بما
في هذه الدار من الاعمال الصالحة كلام المنصف حيث لم ينسب الخصم الى الضلال صريحا لنا نف
نفسه انه لا يفلح الظالمون كافرا كان او غيره وجعلوا لله اي مشركوا العرب مما ذرأ خلق من
الحرث والانعام من الزرع والمواشي نصيبا محفوظا مفرزا فقالوا هذا لله بزعمهم هذا ما
يستحقه ونجبان يصرف في ابواب البر هذا لشركائنا التي تقربنا الى الله زلفى يستحق صرف بعض آخر
اليه لكونها وسيلة الى المعبود بالحق فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل
الى شركائهم كانوا يصرفون ما عينوه اذا كان ازكى واحسن الى سدنة آلهتهم ويصرفون الردي
الى الفقراء والمساكين ترجيحا لآلهتهم على خالق الكائنات ولفظ الزعم اشارة الى انه
باطل اخترعوه من عند انفسهم وقرأ الكسائي في الموضعين بضم الزاء والفتح لغة الحجاز وهي
افصح ساء ما يحكمون بئس شيئا حكمهم هذا وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
اي مثل ذلك التزيين البليغ والمشبه به تزيين جعل ما خلق الله من الحرث والانعام للاصنام
منه نصيبا شركاؤهم فاعل زين وهم الشياطين من الجن او سدنة الاصنام وكانوا يقتلون الاولاد
اما خشية الاملاق او العار كما في وأد البنات او تقربا الى الله باعز الاشياء كما فعل عبد المطلب
حين نذر ان ولد له عشرة بنين يذبح لله واحدا منهم وقرأ ابن عامر زين على بناء المفعول مسندا
الى قتل ونصب اولادهم وجر شركائهم باضافة قتل اليه والفصل بين المضافين واقع في شعر
الفصحاء ولو لم يثبت ذلك منهم كانت هذه القراءة كافية في صحته لانها قراءة افصح الخلق ثبتت
عنه تواترا فمن طعن فيها لما تخالف قول بعض النحاة فقد زلت به قدمه ليردوهم ليهلكوهم
من الردى وهو الهلاك وليلبسوا عليهم دينهم الذي كلفوا به وهو الدين الحق او دينهم الذي
كانوا عليه وهو دين ابرهيم قبل شركهم والمزين ان كان من الشياطين فاللام للتعليل وان كان

من السدنة فللعاقبة ولو شاء الله ما فعلوه التزيين او القتل او ذلك كله لان افعالهم مخلوقة له
تعالى بمشيئته فذرهم وما يفترون افتراءهم او وما يفترونه من مخترعاتهم وينسبونه الى الله ويزعمون
انه شرعه وقالوا هذه انعام وحرث حجر اشارة الى ما جعلوه للاصنام من الحرث والانعام والحجر كالذبح
والطحن بمعنى المفعول وهو الحرام لانه محجور شرعا يستوي فيه الذكر والانثى والواحد والكثير لانه في
عداد الاسماء لا يطعمها الا من نشاء وهم خدم الاوثان او من نشاء من الرجال والنساء بزعمهم متعلق
بالقول اي قالوا ذلك بمجرد زعم منهم وانعام حرمت ظهورها وهي الحوامي التي تقدمت عطف
على هذه انعام وانعام لا يذكرون اسم الله عليها بل اسماء آلهتهم وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون
على ظهورها والمعنى انهم قسموا اموالهم الى هذه الاقسام الثلثة افتراء على الله للافتراء او مفترين
او افتروا افتراء لان ذلك القول بمعنى الافتراء سيجزيهم بما كانوا يفترون بقدره عذابا او بسبب ذلك
وانما زاد لفظ كان للدلالة على ان ذلك عادة مستمرة منهم فيظهر بذلك استحقاقهم وقالوا ما في بطون
هذه الانعام نوع آخر من اباطيلهم وهو ما في بطون البحاير والسوايب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
وحرام على الاناث انث خالصة وذكر محرم حملا على اللفظ وان يكن ميتة فهم فيه شركاء الرجال و
النساء فيه سواء قرأ ابن عامر وعاصم في رواية شعبة تكن بتاء التانيث ورفع ميتة ابن كثير وابن
عامر وجه التانيث ورفع الميتة جعل كان تامة ووجه التانيث مع نصب ميتة جعل كان ناقصة
مضمرا فيه ضمير الانعام ووجه التذكير مع الرفع جعل كان تامة ووجهه مع النصب جعلها ناقصة والمختار
التانيث مع الرافع لكون التانيث حقيقيا في بعض الصور والرفع لا يحتاج الى اضمار سيجزيهم وصفهم
جزاء وصفهم ونسبتهم الى الله ما هو بريء عنه واصل الوصف الكشف والاظهار تقول وصفت زيدا
بكذا اذا اظهرت ما فيه مدحا كان او ذما انه حكيم في ذلك الجزاء عليم باستحقاقهم قد خسر الذين قتلوا
اولادهم اعاده لان الكلام سبق هناك لبيان ان ما يصدر عنهم من تحريم ما احله الله ومن قتل
الاولاد مسبب عن تزيين الشياطين وهذا لبيان خسرانهم وهو حكم يتعلق بهم سفها لخفة عقلهم بغير علم
في موقع الحال يؤكد معنى السفه وحرموا ما رزقهم الله وهي البحاير والسوايب والحوامي افتراء على الله
في اعرابه الوجوه السابقة في نظيره قد ضلوا عن الصواب وما كانوا مهتدين ولم يدخلوا في زمرة المهتدين
قط وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات عطف على القصة السابقة لابطال ما تقدم
من الاحكام التي اخترعوها الجنات الكروم لانها اكثر اشجار البساتين نفعا والمعروش ما رفع قضبانه
من الارض وغير المعروش ما كان على وجه الارض وقيل المعروش ما في الامصار والرساتيق مما انبته
الناس واعتنوا به وغير المعروش ما نبت في الجبال والبراري والنخل والزرع مختلفا اكله ما يؤكل منه
في اللون والطعم والرائحة والحجم تذكير الضمير باعتبار المذكور مختلفا حال مقدرة او نصب على القطع
والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض الافراد دون بعض كلوا من ثمره امر اباحة اذا اثمر
وقت ظهور ثمره دفع لوهم عدم جواز التناول منه بناء على كون المساكين شركاء فيه وآتوا حقه يوم
حصاده وهو ما يعطيه المالك لمن حضر تبرعا لا الزكوة المفروضة وان كانت الآية مكية لان الزكوة
فرضت بمكة في الجملة وبين المقادير بالمدينة وعن ابن عمر وسعيد بن جبير ان هذا شيء غير الزكوة
وهو حق النظر لمن حضر وكما غلب الثمر في الاول على الحب غلب الحصاد على الجذاذ ثانيا وقرأ حمزة والكسائي
ونافع وابن كثير بكسر الحاء وهما لغتان في نظايره كالقطاف والجذاذ ولا تسرفوا بصرفه في المعصية
اذ لا سرف في الانفاق في وجوه البر لقوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة كذا
فسره مجاهد وقيل لا تسرفوا في الصدقة لما روي انها نزلت في ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخل ففرقها

في المساكين ولقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين تعليل للحكم السابق تحذيرًا عن ارتكابه
ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشاء من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما ينسج
من صوفه ووبره وشعره فرشا وقيل الحمولة الكبار والفرش الصغار كالفصلان والغنم لدنوها من الارض
ولا تتبعوا خطوات الشيطان وساوسه وتسويلاته فى تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة من لدن آدم ثمانية ازواج بدل من حمولة او مفعول كلوا بتقدير مضاف والزوج ضد الفرد
ويقال للشئ اذا كان له قرين من جنسه يزاوجه كقوله خلق الزوجين الذكر والانثى وهو المراد فى الآية
من الضان جمع ضائن كركب وراكب والانثى ضائنة وقد يجمع كفان ومن المعز اثنين بدل من ثمانية ان صح
وقوع البدل عن البدل والا فهو بدل من حمولة وفرشا ومن المعز اثنين الذكر والانثى وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر بفتح العين وهو نظير الضان فى المفرد والجمع قل آلذكرين حرم ام الانثيين منصوب
بحرم المقصود انكار التحريم وانما ورد فى صورة انكار المفعول ليكون انكارا له بطريق برهانى اذ لا بد
للفعل من شئ يتعلق به فاذا نفى جميع ما يتعلق به مفصلا لزم نفيه اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
ام منصلة عطف على المنصلة الاولى كانوا يحرمون ذكور الجنسين تارة واناثهما اخرى والاولاد كيف
كانت انفرادا واختلاطا انكر ذلك كله والزمهم بقوله نبئونى بعلم ان كنتم صادقين اخبرونى ملتبسين
بعلم ان المحرم على الوجه الذى تدعونه هو الله لا بالجهل والافتراء كما هو دأبكم وقيل بامر معلوم من جهة
الله ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
الكلام هنا هو الكلام المتقدم فى الضان والمعز ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا وهذا مقابل لقوله
نبئونى بعلم اضرب عن البرهان الى العيان لانه ابلغ فى التبكيت كما تقول لصاحبك مكذبا له الملائكة
اخبرتك بهذا ام طالعته من اللوح المحفوظ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم
كذبهم فى دعواهم على ابلغ وجه حيث حكم بانه لا اظلم منهم وانى يمن ليعمهم وكل مفترى على الله
وادخل عليه الفاء اشعارا بسببية ما تقدم وعلل فعل المفترى بالفتح علة وهو الاضلال بالجهل
الذى كل عيب دونه ان الله لا يهدى القوم الظالمين الكاملين فى الظلم المختوم على قلوبهم قل
لا اجد فيما اوحى الى متلوا وغيره لعموم لفظ ما محرما على طاعم يطعمه اى طاعم كان الا ان يكون ميتة
استثناء من محرما لوقوعه فى سياق النفى والمراد ما مات حتف انفه وخص بما عدا السمك والجراد
لقوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة تكون بالتانيث
باعتبار الخبر وابن عامر برفع الميتة بجعل كان تامة او دما مسفوحا مصبوبا فى العروق لا كالكبد
والطحال للحديث المتقدم ولكونهما غير مسفوحين عطف على ميتة وفى قراءة ابن عامر عطف على
ان مع ما فى حيزه اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس اى الخنزير او لحمه
نجس خبيث او فسقا اهل لغير الله به عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل والاهلال به
لغير الله صفة جارية مجرى التعليل وانما سمى المذبوح لآلهتهم فسقا لتوغله فى باب الفسق ويجوز
ان يكون مفعولا له قدم على فعله المعلل اهتماما وعلى هذا اهل معطوف على يكون والمستكن فيه
راجع الى ما رجع اليه مستكن يكون فمن اضطر فمن دعته ضرورة الى تناول شئ من المذكورات غير باغ
متعد على مضطر مثله ولا عاد متجاوز قدر سد الرمق فان ربك غفور لا يواخذه بذلك رحيم
حيث انعم عليه بحله والآية لا تنفى حرمة شئ آخر غير المذكورات اذ غاية الامر انه لم يجد الى ذلك الوقت
محرما سواها وكذلك الحصر فى قوله انما حرم عليكم الميتة الى آخر الآية فلا يلزم نسخ الكتاب بحديث
حرم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطيور وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر اى على

اليهود خاصة حرمنا لهم كل ذى ظفر والظفر هو العظم النابت على اصبع الحيوان من دابة وطاير واراد به
ما سوى البقر والغنم لقوله ومن البقر والغنم حرمنا شحومهما وحرمنا الشحوم من البقر والغنم وعن ابن
عباس انه لم يحرم عليهم من مفرج الاصابع شئ كالابل والبط والنعام وانما كرر الفعل واضاف
الشحوم مبالغة فى التحريم الا ما حملت ظهورهما من الشحم فانه باق على اباحته او الحوايا او ما حملته
الحوايا جمع حوية وحاوية وهى المعاء اى الا ما حملت ظهورهما والا شحوم الحوايا او ما اختلط بعظم
ما اتصل به كالالية وما فى القوايم والرؤس والعيون ذلك اى الجزاء المذكور او التحريم جزيناهم ببغيهم
بسبب ظلمهم هو نظير قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وانا لصادقون
فى ان هذا التحريم خاص بهم لاجل ظلمهم لا ما يدعونه من ان المحرمات كانت فى شريعة نوح وابرهيم
واسمعيل فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك امهلكم بعد التكذيب ولا يرد باسه عن القوم
المجرمين الكاملين فى الاجرام لانه وان امهل لا يهمل سيقول الذين اشركوا اخبار عن الغيب ووقوع
مخبره دليل على كونه من عند الله لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شئ اعتقدوا ان كل ما هو
واقع بمشيته تعالى حق لانهم جعلوا كل مراد مامورا به وكل مامور به حسنا فاصابوا فى الثانى وهم حسن
حالا ممن اخطأ فى القضيتين كذلك كذب الذين من قبلهم مثل تكذيب هؤلاء كذب متقدموهم
رسلهم ولو كان الكفر والضلال غير داخل تحت مشيته تعالى لنسبهم الى الكذب لا التكذيب وحمل
المشية على مشية القسر مكابرة ورجم بالغيب حتى ذاقوا باسنا الذى انزلنا هم ايماء الى انه سينزل
بهم ما نزل باولئك قل هل عندكم من علم مستند الى دليل لما تزعمونه فتخرجوه لنا تظهروه مجاراة
للخصم روما للتبكيت والا كون العلم عندهم معلوم الانتفاء ولذلك حصر حالهم واعتقادهم فى الظن
بقوله ان تتبعون الا الظن الذى لا يجدى فى مقابلة القاطع وان انتم الا تخرصون اى تكذبون فى
ذلك الظن قل فلله الحجة البالغة الغالبة اى انتم محجوجون ملزمون لانكم تقولون ما فعلنا من
الاشراك بمشيته تعالى وما كان بمشيته لا اعتراض فيه على مرتكبه فحجكم ايضا على الحق بل كل
من اتى بفعل فهو محق فيرتفع التكليف ولا تتناقض المذاهب فلو شاء لهديكم اجمعين مرتب على دعواهم
ان ما ارتكبوه بمشيته تعالى وقوله قل فلله الحجة البالغة اعتراض والمعنى اذا كان الكل بمشيته فلو
اراد هدايتكم لهداكم حذف مفعول المشية لدلالة جواب لو عليه قل هلم شهداءكم الذين يشهدون
ان الله حرم هذا هلم اسم فعل ويأتى لازما كقوله هلم الينا يستوى فيه المفرد والجمع عند الحجاز بين
وبنو تميم يؤنث ويجمع وما فى الآية دليل الحجازيين اى هاتوا شهداءكم المخصوصين بكم الذين قلدتموهم
ولذلك اضافهم اليهم واتى بالموصول ليدل على العلم بشانهم ولو لم يصف لكان موهما بان المطلق
منهم الانبياء لشهداء بالحق وليس بغرض لقوله فان شهدوا فلا تشهد معهم ويجوز ان يكون الكلام
على الفرض والتقدير والمراد بالشهداء الاصنام والغرض تثبيته صلى الله عليه وسلم ولا تتبع اهواء
الذين كذبوا باياتنا تعميم بعد التخصيص لان تلك الشهادة من جملة الاهواء واشار المظهر اشارة
الى ان تلك الشهادة والاتباع تكذيب بايات الله والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون جملية
حالية من الفاعل لزيادة التقبيح والتشنيع كما تقول فلان تارك الصلوة واخبرك بانه لا يعتقد
وجوبها قل تعالوا مشتق من العلو واصله ان يخاطب به من كان فى سفل ثم اتسع فيه لما ابطل ما
ابتدعوه من الاحكام بالقواطع ثم دعاهم الى الحق الواضح اتل ما حرم ربكم عليكم ما موصولة منصوبة
بفعل التلاوة واستفهامية نصب بفعل التحريم والجملة مفعول اتل لانه فى معنى القول وفى جعلها
مصدرية تعسف لان التحريم ليس بمتلو الا على التأويل وعليكم يصح تعلقه بكل من الفعلين الا تشركوا

شيئًا ان مفسرة ولا تشركوا نهي ليصح عطف الامر عليه وان هذا صراطي مستقيمًا متعلق بفاتبعوه بتقدير
اللام ويعود الضمير اليه لتقدمه لفظا ولا يصح عطفه على ان لا تشركوا لكونه ليس من المحرمات في شيء فان
قلت وكذا الاوامر المذكورة المعطوفة قلت اريد بالاوامر اضدادها مجازا اشارة الى ان الانتهاء
عن تلك الاضداد غير كاف بل يجب الاتيان بتلك الافعال او عليكم اسم فعل بمعنى الزموا وان به ناصبة
موصولة بلا الناهية واما جعلها مصدرية بدلا من ما او من العايد المحذوف فلا لاستلزامه القول بزيادة
الناهية وبالوالدين احسانا لا تسيئوا اليهما واحسنوا ولا تقتلوا اولادكم من املاق لقوله خشية املاق
وقيل هذه في الفقراء الذين كانوا يقتلون اولادهم لوجود الفقر وتلك في الاغنياء الذين كانوا يقتلون
الاولاد من خوف حصول الفقر والدليل على ذلك تقديم المخاطبين هنا وتاخيرهم هناك والاملاق الافتقار
من الملق وهو المحو نحن نرزقكم واياهم تعليل للنهي ازاحة للعذر في ترك المنهي عنه ولا تقربوا الفواحش
كبار الذنوب كالزنا والسرقة وقذف المحصن ما ظهر وما بطن بدل من الفواحش يشمل كل كبيرة لعدم خروج
شيء عنهما ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق افرد بالذكر وما بعده لعظمه والقتل بالحق
مذكور في كتب الفروع ذلكم المذكور مفصلا وصاكم به امركم بحفظه التوصية امر بالشيء مع التاكيد
لعلكم تعقلون تستعملون عقولكم وترشدون لان المذكورات امور ظاهرة بعد توجه العقل ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن من سايرها وهي المبالغة في حفظه حتى
يبلغ اشده كمال عقله وقواه مفرد كآنك وقيل جمع لا مفرد له كابابيل وليس جمع شدة كانعم جمع نعمة
لان انعما جمع نعم لا نعمة واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل لا نكلف نفسا الا وسعها وتقدر
على القيام به اردف ايفاء الكيل والميزان به لان الوقوف على حد السواء فيهما عسر جدا واذا قلتم فاعدلوا
يشمل الحكم والشهادة ولو كان ذا قربى اي المشهود عليه كقوله ولو على انفسكم او الوالدين وبعهد الله
اوفوا بما عاهدكم عليه بقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون افردها
بتوصية مستقلة لكونها امورا جساما ولما تقدم ذكرها في كثير من الآي ختم الاية بالتذكر الذي
يقتضي سبق العلم الذي لحقه النسيان وقرا حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الذال هنا وحيث
وقع وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى ما ذكر من اول السورة الى هنا من التوحيد وشرايع الاسلام
قرا ابن عامر بالتخفيف وحمزة والكسائي بالكسر مشددا والباقون بالفتح والتشديد والمختار الكسر
لسلامته عن الحذف والتقدير ولكونه في مصحف ابي وهذا صراط ربك وابن مسعود وهذا صراط ربكم
فاتبعوه فاسلكوه ولا تتبعوا السبل دواعي الشهوات ومسالك الهوى وعن ابن مسعود خط لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه
وشماله وقال هذه سبل وعلى كل منها شيطان يدعو اليه وقرا الاية فتفرق بكم عن سبيله
الموصل اليه وهو ما شرعه على لسان رسله والباء للتعدية اي يفرقكم ويزيغكم ذلكم وصاكم
به لعلكم تتقون اتى بلعل ايماء الى ان سلوكها امر خطر وعن ابن عباس ان هذه الايات
محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب ثم آتينا موسى الكتاب عطف على ذلكم وصاكم لا على الفعلية
لعدم استقامة المعنى وثم للتراخي رتبة اي اعظم من تلك التوصية انزال الكتابين الى موسى والينا
وقيل عطف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحاق ويعقوب فثم على ظاهره تماما
حال او مفعول له لكونه بمعنى اتماما او مصدر من غير فعله نحو انبتنا نباتا على الذي احسن اي تماما
لكرامة كل محسن على ان اللام للجنس ويؤيده قراءة ابن مسعود على الذين احسنوا او للعهد والمراد به
موسى الذي احسن في كل ما امر به من الطاعة او تماما على الذي احسنه موسى من العلم والمعارف

من قولهم احسن فلان فيما فعل اي اجاد والمعنى زيادة على ما عنده من العلم وتفصيلا لكل شيء يحتاج
اليه في الدين اصولا وفروعا عطف على تماما يجري فيه وجوه اعرابه وهدى ورحمة لعلهم بلقاء
ربهم يؤمنون بجزائه وثوابه وهذا كتاب مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون اي القرآن
عطف على آتينا داخل في حيز ثم وايثار الاسمية المصدرة باسم الاشارة الدالة على كمال التمييز ووصفه
بالانزال الدال على العلو والبركة التي تشمل كل نفع وخير اظهار الشرفه وانا فيه لمحله وختم الاية بالرحمة
التي هي صفته وختم الاولى بالايمان الذي هو فعلهم ان تقولوا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا
بحذف المضاف عند البصريين وحرف النفي عند الكوفيين انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا
اليهود والنصارى وصح الحصر لان الزبور لم يشتمل على الاحكام وان كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين
لا ندري ما هي ان مخففة واللام الفارقة بينها وبين النافية او تقولوا لو انا انزل الكتاب شيء من الكتب
لكنا اهدى منهم لغزارة فهمنا وسرعة ادراكنا ودقة نظرنا فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة لا
تقبل انقطاع الشبهة فيها وهدى ورحمة جعلها نفس الهدى والرحمة مبالغة وتسميتها حجة بالنظر الى
الخصم وهدى بالنظر الى المطلوب ورحمة بالنظر الى الطالب فمن اظلم ممن كذب بآيات الله لا اظلم
منه وصدف عنها صد الناس عنها او منع الناس عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا يصدون
عنها سوء العذاب العذاب السيء من اضافة الصفة الى الموصوف بما كانوا يصدفون لم يذكر جزاء
التكذيب بل جزاء الصدف اشارة الى فرط قبحه لانه ضرر متعد وصد للمسترشد هل ينظرون
الاستفهام بمعنى النفي ولذلك صح الاستثناء الا ان تاتيهم الملايكة ملايكة الموت او العذاب او ياتي
ربك امره بالعذاب او الايات كلها وهو يوم القيمة ولذلك قابله بقوله او ياتي بعض آيات ربك
يريد اشراط الساعة روى مسلم عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لا تقوم حتى ترون
قبلها عشر آيات فذكر الدجال والدخان والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى وياجوج
وثلث خسوف خسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس
الى المحشر يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لان الامر عيان حينيذ والايمان المعتبر
هو الايمان بالغيب لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او حال من الضمير المجرور او كسبت في ايمانها خيرا
عطف على آمنت استدل به على عدم نفع الايمان المجرد عن العمل وذلك ان او يات لعموم النفي
كقوله ولا تطع منهم آثما او كفورا اي واحدا منهما واخرى لنفي العموم وذلك اذا قدر عطف النفي
على النفي ثم جيء باو والاية من قبيل الثاني لتعذر الاول لانه اذا انتفى الايمان انتفى كسب الخير في
الايمان بالضرورة فالمعنى انتفاء الايمان وانتفاء كسب الخير فيه سيان والجواب انه من قبيل اللف
التقديري اي لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه فيوافق
ساير الايات والاحاديث او هو من قبيل القلب اي لم تكن كسبت خيرا او آمنت من قبل وفايدة هذا
القلب التنبيه بتقديم الايمان على انه الاصل الذي يناط به النجاة قل انتظروا انا منتظرون ذلك
قلنا فيه التنبيه ولكم الويل ان الذين فارقوا دينهم تركوه بالمد وقرا غير حمزة والكسائي فرقوا
من التفرقة وهي التجزية اي آمنوا ببعض وكفروا ببعض وهذه ابلغ بالوعيد واوفق لقوله وكانوا
شيعا والقول بان معنى القراءتين واحد لان من فرق فقد فارق ذهول عن عكسه اذ من فارق لا يلزم
ان يكون فرق وشيعا جمع شيعة وهي الطايفة التي تشيع اماما لست منهم في شيء فاتركهم وما هم

اللذة والشهوة كذو لدوه وتوجيه التعليل بما وفق له المولف وهو اولى لظهور النكتة فيه منه

فايدة الامام

عليه منسوخه باية السيف او لا تسال عن اصحاب الجحيم اوانت بري منهم انما امرهم الى الله هو الذي
يحاسبهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون كناية عن العقاب تقول لمن جنى عليك مهددا له ساخبرك بما فعلت
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها تفضلا منه تعالى وهذا اقل ما ورد وقد صح سبعمائة الى اضعاف لا يعلمها
الا الله وذلك باعتبار الاخلاص والامكنة والاوقات وقيل المراد بالعشرة الكثرة وانما حذف التاء لان الامثال
في معنى الحسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ان لم يعف عنها وخلود الكافر جزاء بالمثل لانه
كان عازما على الاستمرار لو عاش ابدا وهم لا يظلمون نقصا من الثواب او زيادة في العذاب جاء على المتعارف
والا فالظلم من المالك الحقيقي مستحيل وان زاد ونقص قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي لقوله
ان اهتديت فيما يوحي الى ربي دينا نصب على البدل من محل صراط او على الاختصاص قيما فيعل من قام
كسيد من ساد وقرا الكوفيون وابن عامر قيما على وزن عوضا مصدرا كرجل عدل فهو ابلغ معنى والاول
ابلغ صيغة ملة ابرهيم عطف بيان لدينا وما شرعه الله على لسان الرسل يسمى دينا واسلاما باعتبار الاجتماع
عليه وشرعا وشريعة باعتبار وصول المتمسكين به الى نيل رحمته حنيفا مايلا من الباطل حال من المضاف
اليه وما كان من المشركين رد على المشركين الذين يزعمون انهم على ملته قل ان صلاتي ونسكي عباداتي كلها
وافراد الصلوة لزيادة شرفها او قرباني في الحج لانهم كانوا يذبحون القرابين للاصنام ومحياي ومماتي لله رب
ما يقارن حياتي وما يقارن مماتي من الطاعات كالصدقة الجارية والولد الصالح والعلم ما نطق به الحديث
وقرا ورش عن نافع باسكان الياء في الوصل لان زيادة المد تقوم مقام الحركة لله رب العالمين خالصا له
لا لغيره لا شريك له في ذلك تعريض للمشركين وبذلك امرت لا بغيره تصريح بما علم ضمنا وانا اول المسلمين
زمانا لان اسلام امته بعده او رتبة لان احدا لا يلحقه في كمال الاسلام وهذا اوجه لان الاول ظاهر الاحتياج
الى الاخبار به قل اغير الله ابغي ربا انكار لان يتخذ ربا سواه وهو رب كل شيء ومنه ما تعبدونه ولا تكسب كل
نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر لغة الثقل جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة للجزاء فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون يبين الرشد من الغي ويجازي المحق
والمبطل وهو الذي جعلكم خلايف الارض صفة اخرى دالة على عدم جواز الاشتراك ولما كان صلى الله عليه
وسلم آخر الرسل كانت امته خلايف ساير الامم او يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يتصرفون فيها ورفع
بعضكم فوق بعض بالملك والشرف والعلم والرزق درجات متفاوتة ليبلوكم فيما آتيكم ليعاملكم معاملة
المختبر ان ربك سريع العقاب لان وقوعه متعلق بارادته لا غير وانما قدمه لان الكلام مع المشركين وانه
لغفور رحيم اكده باللام واسنده الى ذاته المقدسة ايماء الى وفور غفرانه وسبق رحمته غضبه وكان
افتتاح السورة بالحمد وختامها بالرحمة التي لا نعمة اجل منها فانتظم آخرها بالاول غاية الانتظام وهو
اللايق بكلام الملك العلام

بسم الله الرحمن الرحيم

المص اسم السورة او القرآن والاول اولى لان البعض اذا استقل بالكمال والاعجاز فالكل اجدر او حروف
متعددة ايقاظا او اغرابا كما سبق في مثله كتاب خبر المص او خبر محذوف اي هو كتاب انزل اليك صفته
فلا يكن في صدرك حرج منه شك لان الشاك حرج الصدر قلقه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه
والمراد نهيه عن حرج الصدر وانما عبر عنه بعدم الحرج تعبيرا عن الملزوم باللازم نظيره ولا يجدوا في انفسهم
غلظة او حرج وضيق صدر في تبليغه مخافة التكذيب او القيام بحقه كما ينبغي فان الله مؤيدك لتنذر به
متعلق بانزل اي انزل لانذارك به او بالنهي اي انما نهيت عن الحرج والقلق لتكون جسورا على التبليغ

وذكرى

وذكرى للمؤمنين عطف على تنذر لكونه مصدرا في المعنى ويقدر له فعل من جنسه اي وتذكر ذكرى فانه
بمعنى التذكير ويحتمل الرفع عطفا على كتاب وخبر مبتداء محذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم جميع ما انزل
هذه السورة وغيرها ولذلك اتى بالمظهر وليشتمل السنة ايضا لانه لم ينطق عن الهوى بل ليس كلامه
الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء من دون الله من الجن والانس يضلونكم عن طريق الحق او من دون
دين الله دين اولياء وقرئ لا تبتغوا بالغين المعجمة قليلا ما تذكرون تذكرا قليلا او زمانا قليلا
اذ لو تذكرتم حق التذكر لما تركتم ولاية الله او دينه الحق ما مصدرية والعامل في قليلا الفعل المذكور
اذ ليس المأول بالمصدر في حكمه من كل وجه او زايدة لتاكيد معنى القلة وقرا ابن عامر بزيادة الياء
في اول الفعل اي من بعثت اليهم لا يتذكرون الا قليلا وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وابن عامر
يذكرون مخففا الذال والباقون بالادغام والمختار هو الادغام والخطاب ليجري الكلام على السنن الاول
وكم من قرية اهلكناها اي كثير من القرى اردنا اهلاكها بدليل فجاءها باسنا عذابنا بياتا بايتين
والبيتوتة النوم ليلا كالقيلولة نهارا او هم قايلون عطف على بياتا وانما حذف الواو الحالية كراهة
الجمع بين حرفي العطف لان الواو الحالية عاطفة في الاصل وانما خص الوقتين لانهما وقت الدعة والاستراحة
ووقوع العذاب فيهما افضع ولذلك اهلك قوم لوط في آخر السحر لانه اطيب ساعات الليل
فما كان دعويهم اي دعاؤهم الذي كانوا ينتحلونه اذ جاءهم باسنا وقت مجيء العذاب الا ان قالوا
انا كنا ظالمين الا الاعتراف ببطلانه او ما كان دعاؤهم واستغاثتهم الا هذا القول تحسرا
لعلمهم بان ليس الوقت قابلا للاستغاثة فلنسئلن الذين ارسل اليهم الامم وعن اجابتهم الرسل
ولنسئلن المرسلين عن تبليغهم وعما اجيبوا به ولا ينافيه قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس
ولا جان لاختلاف الحال باختلاف المواقف ولا قوله ولا يسال عن ذنوبهم المجرمين لان هذا سوال
توبيخ والمنفي سوال التعريض والحساب والقول بان المنفي سوال استعلام سهو لان الاستعلام
على علام الغيوب محال فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين ظاهرهم
وباطنهم وما كنا غايبين عنهم لم يبق فايدته التاكيد وتخصيص العلم بالحضوري الذي لا يقبل
شبهه ولا يحوم حوله ريب والوزن مبتداء يومئذ خبر المبتداء الحق صفة الوزن او هو الخبر لانه
بمعنى الكاين او خبر محذوف ومعناه العدل السوي الذي لا زيغ فيه والموزون صحايف الاعمال
لما روى الترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن عمر ان صلى الله عليه وسلم قال يؤتى برجل من
امتي على رؤس الاشهاد فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول اتنكر شيئا
من هذا فيقول لا يا رب فيقول الله ان لك عندنا حسنة ولا ظلم اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول له احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه
السجلات فيقول انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في اخرى فطاشت السجلات وثقلت
البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء وفايدة هذا الوزن مع انه تعالى لا يخفى عليه خافية اظهار
المعدلة وازاحة المعذرة بمحضر الخلايق وقيل الوزن القضاء او مجازات الاعمال بثوابهما فمن ثقلت
موازينه حسناته جمع موزون او ما يوزن به جمع ميزان وانما جمع باعتبار الموزونات وتعددها
والاول اوجه لقوله ونضع الموازين القسط فاولئك هم المفلحون الفايزون بالنجاة يوم الحساب
ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم حيث اوردوها مورد الهلاك وفوتوها
الحياة الابدية ونعيمها بما كانوا باياتنا يظلمون يكذبون وضع موضع التكذيب دلالة على ان
التكذيب بايات الله ظلم كقوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ولقد مكناكم في الارض جعلنا

لكم مكانا تسكنونه او جعلنا لكم متمكنين يتصرفون فيها كيف شئتم وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي
ما به قوام العيش والياء في الاصل متحركة فلا تنقلب همزة في الجمع وكذلك مكايل ومبايع والمحققون على ان
قرائته بالهمزة لحن فاحش ومنهم من شبهه بما الياء فيه زائدة فهمزه قليلا ما تشكرون شكرا قليلا او زمانا
قليلا ولقد خلقناكم اي اباكم آدم طينا ثم صورناكم بصوره الانسان في احسن تقويم لقوله ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم او لقد قدرناكم في علمنا ثم صورناكم في ظهر آدم ثم بحركم ان قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين لم يدخل في زمرتهم قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك لا من بدع لتاكيد
معنى الفعل مثله لئلا يعلم اهل الكتاب وقد حذفها في قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقيل الممنوع
من الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى عدم السجود وانما التفت من التكلم الى الغيبة بعد عصيانه
لانحطاطه عن ساحة الحضور بارتكاب المخالفة والنكير قال انا خير منه استانف بذكر العلة ليكون جوابا
وزيادة خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لخيريته واخطا من وجوه لانه لم يلاحظ الآمر بل المامور به
وهذا جهل منه لان من كان مريدا محبا ينقاد في كل ما امر به ولانه صرح بافضليته في تلك الحضرة ولو كان
الامر كما زعم فرضا كان الواجب عليه اظهار الطاعة هضما للنفس كما هو داب الفضلاء في المحافل مع المفضولين
ولان ما قاله قول بالحسن والقبح عقلا فهو اول من سن ذلك المذهب الباطل مع انه لو سلم له القول
بالحسن العقلي لم يتم له ما رامه لان خيرية النار من التراب ممنوعة لان النار مفسدة بالطبع معدة
للعذاب وان كان فيها نفع ما فبالعرض والتراب اصل المنافع كلها من جميع الاجناس والانواع حيوانا ونباتا
معبد الملائكة ومعفر جباههم قبل خلق آدم وكان ابليس عارفا بذلك بل قيل انه كان رئيس تلك الطائفة
وكان في علمه تعالى ان التراب يكون مادة اجسام العباد المكرمين من الانبياء والرسل وماويهم في حيوتهم
ومرقدهم في جوار الله بعد مماتهم والنار الذي افتخر بها منشا كل عقرب وحية وسجن اعداء الله وموضع
سخطه وكانت الحكمة اقتضت ازلا بان يكون معذبا بما افتخر به قدوة للاشقياء ليعلم انه لم يات ما اتاه الا
من جهله واعظم جهالاته لم يتدارك ذنبه بالتوبة ليذيقه برد العفو وحلاوة الغفران كما فعل صفيه آدم
من اعظام الذنب والمبادرة الى التوبة النصوح ونسبة الظلم الى نفسه بقوله ربنا ظلمنا انفسنا
مع ان ما ارتكبه كان في حيز العفو لانه وقع منه نسيانا لقوله فنسي ولم نجد له عزما قال اهبط منها
من الجنة فما يكون لك ان تتكبر اي لا يصح ولا يجوز لك التكبر فيها وقد وجد منك ذلك فوجب طردك
فاخرج انك من الصاغرين داخل في زمرتهم من الصغار وهو الذل والهوان وحق له ذلك فانه نازع الحق
تعالى رداء الكبرياء وفي الحديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وفي الحديث ان الله
خاطب الجبال وقال ستقف بها على واحد منكم سفينة نوح عليه السلام فتطاولت الجبال وتقاصر الجودي
فساقها الله اليه واستوت عليه قال انظرني الى يوم يبعثون الى يوم القيمة قال انك من المنظرين اجابة
الى طلبته استدراجا قال فبما اغويتني اي بسبب اغوائي وايقاعي في الغي وهو ضد الرشاد والباء
متعلقة بفعل القسم لا بلاقعدن لان اللام تصد عنه او الباء للقسم اقسم بالاغواء الذي هو فعل
الله لاقعدن لهم صراطك المستقيم هو دين الاسلام ونصبه على الظرف وان كان حذف في من المحدود شاذ
نحو قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر
والبطن ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من الجهات الاربع كما هو شان
قطاع الطريق على السابلة واستعمال جهة الامام والخلف بمن واليمين والشمال بعن وارد على لغة العرب
واستعمالهم وقيل انما ذكر من في الاولين لانه متوجه اليهم من تينك الجهتين ومن جهة اليمين والشمال
منحرف عنهم فيوجد فيهما معنى المجاوزة وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم

من جهة الدنيا وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من شهواتهم وقيل انما لم يذكر جهة الفوق
لان الرحمة تنزل منها وجهة التحت لانه موضع السجود ومقام القرب منه تعالى ولا تجد اكثرهم شاكرين
نعمك منقادين لاوامرك وانما قال ذلك ظنا لانه حين كان آدم جسدا ملقى بين مكة والطائف رآه خلقا
اجوف فقال مخلوق خفيف لو سلطت عليه لاغوينه والى هذا الظن اشار بقوله ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه او سمعه من الملائكة حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال اخرج منها مذؤما مذموما
من الذام وهو العيب يهمز ولا يهمز مدحورا مبعدا من الدحور وهو الطرد والاقصاء لمن تبعك منهم
لاملان جهنم منكم اجمعين اللام الاولى موطية والثانية جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ بكسر
اللام والمعنى لمن تبعك هذا الوعيد ومتعلق باخرج ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما
اي قلنا يا آدم عطف على قلنا للملائكة اسجدوا لا على ما بعد قلنا لفساد المعنى اذ يؤول المعنى الى قلنا للملائكة
يا آدم ولم يعطف ايضا على ما بعد قال ليكون التقدير قال لابليس اخرج ويا آدم اسكن لان ذلك
في مقام الاستيناف لجزاء ابليس على ما بدا منه وعزمه على التعرض لاضلال بني آدم بكل ممكن وهذا من تتمة
الانعام على بني آدم باكرام ابيهم ولا تقربا هذه الشجرة هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل التينة والهاء
في هذه عوض عن الياء بدليل تصغيره على ذيا فتكونا من الظالمين نصب من جملتهم جزم على العطف
او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة
ومنه وسواس الحلي ليبدي لهما ليظهر لهما علة للوسوسة ولا ينافي قصده اضلالهما والايقاع في المعصية
ما ووري عنهما من سوآتهما غطي وستر من المواراة بمعنى الستر ومنه حتى توارت بالحجاب والسوءة العورة
سميت به لان انكشافها يسوء المرء وكانا لا يريانها من انفسهما وهذا يدل على ان كشف العورة من العظائم
ولا يجوز الا بقدر الضرورة والزوجان وان كان جايزا لكل منهما النظر الى عورة صاحبه الا انه مخل
الا انه مخل بالمروة وفي الصحيح عن عايشة رضي الله عنها ما رايت منه ولا راى مني تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحذف المفعول لان ذكره مستهجن وانما لم تقلب الواو الاولى همزة لان الثانية مدة بخلاف اويصل وقال
ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الا كراهة كونكما متصفين بهما
ولا تدل على افضلية الملك مطلقا كيف وقد امروا بالسجود له بل كان القصد من الملكية الانقطاع عن الشهوات
وما يحتاج اليه البشر والتبتل بالمرة على عبادته تعالى كالملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقاسمهما
اني لكما لمن الناصحين حلف لهما واخرج على زنة المفاعلة مبالغة او حلفا له بالقبول بعد ما حلف لهما بالنصح فدلاهما
بغرور اوقعهما في الخطيئة بغرور بشيء يغتر به وهو الوسوسة والمقاسمة والتدلية فيه معنى التسفل
والنزول ماخوذ من الدلو فكانه بالايقاع في الخطيئة نزلهما من رتبة عالية ومقام سني قيل كانا لا يعتقدان
ان احدا يحلف كاذبا فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما فلما اخذا في الاكل فان الذوق من مبادي الاكل ولذلك
لا يبطل الصوم به وهذا ظاهر في ان بدو السوءة كان بعد الذوق قبل الاكل وفي سورة طه فاكلا منها فبدت
لهما سوآتهما يدل على ان ذلك كان بعد الاكل والتوفيق ان البدو كان بداؤه بعد الذوق وتمامه وكماله بعد الاكل
لتكامل الجناية حينئذ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة شرعا يخصفان ورقة فوق ورقة اصله من خصف
النعل وهو ان يجعل طرقة منه فوق طرقة وذكر الفاء في قوله في سورة طه فطفقا لا ينافي ذكر الواو
فطفقا لا ينافي ذكر الواو هنا مع اتحاد القصة لان الواو للجمع المطلق وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة
واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين فيه دليل على ان النهي يفيد تحريم المنهي عنه ان لم يصرف عنه
صارف وانما ذكر اسم الاشارة الموضوع للقريب اولا وللبعيد ثانيا لانهما بعد وقوع ما وقع واطلاعهما
على تغرير ابليس فرا من الشجرة فكانت حين العتاب بعيدة عنهما قالا ربنا ظلمنا انفسنا نقصنا حظنا بارتكاب

وفي قراءة ابن مسعود اوري

مخالفة امرك الموجب للاحتطاط شاننا والقول بان الظلم تعريضها للاخراج من الجنة لايستقيم لانهما لم يعلما
بعد انهما مخرجان بل علم ذلك من قوله اهبطوا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ان لم تغفر لنا وترحمنا
بقبول توبتنا لنكونن من الذين خسروا خسرانا مبينا وهذا دليل على ان الصغاير يجوز العقاب عليها عقلا
مع اجتناب الكباير وانما علم عدم العقاب من الشرع لقوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
ونظايره من الاحاديث قال اهبطوا من الجنه الى الارض خطاب لآدم وحواء وذريتهما اولهما ولابليس ذكره ثانيا
تبعا لانه قرينهم والاول هو الاول هو الوجه بعضكم لبعض عدو حال من الفاعل وانما صح وقوع الاسمية حالا بالضمير
وحده لانها في معنى المفرد اي متعادين ولكم في الارض مستقر ومتاع موضع استقرار وتمتع او استقرار وتمتع
الى حين الى حين الموت قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء استيناف جواب سؤال كانه
بعد استقرارنا كيف يكون الحال قرا حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء والباقون بالضم وهو المختار لقوله
ويخرجكم اخراجا يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم انزلنا اسبابه لان الاجرام السفلية المركبة
من النبات والحيوان والمعادن انما تتكون باسباب سماوية كالسحاب والريح والمطر مثله انزل [illegible]
الحديد فيه باس شديد وفي الحديث ان المشركين كانوا اذا قدم احدهم حاجا او معتمرا وجد من اهل
الحرم من يعيره الثياب طاف فيها والا طاف عريانا فنزلت وانما ذكره بعد قصة آدم وغرته باغواء الشيطان
ايماء الى انه من وسواس الشيطان وهو اول محنة اصابت آدم من قبله وريشا الريش والرياش اللباس
الفاخر ومنه ريش الطاير لانه جماله وقيل هو المال والخصب ومنه ارتاش فلان اذا احسنت حاله ولباس
التقوى لباس الورع وخشيته تعالى ذلك خير رفع على الابتداء والخبر اما الجملة التي هي ذلك خير كانه
قيل ولباس التقوى هو خير لان اسم الاشارة بمنزلة الضمير في ربط المبتدا بالخبر او ذلك صفة لانه في
تاويل المشار اليه وخير خبره وعلى هذا ذلك لتعظيم لباس التقوى ويجوز ان يكون اشارة الى اللباس
المواري تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى لباس الحرب من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها
مما يتقى به في الحروب قرا نافع وابن عامر والكسائي لباس بالنصب عطفا على لباسا والمختار الرفع ذلك
من آيات الله اي الانزال او تنويع اللباس من دلايله الدالة على كمال قدرته ووفور فضله ورحمته لعلهم
يذكرون فيتعظون ويتوقون للشكر وانما التفت من الخطاب الى الغيبة لانتقال الكلام من فعله المشتمل
على التفضيل الى فعلهم المشعر بذهولهم عن تصور ذلك الاحسان فضلا عن القيام بالشكر له فهم احقاء
بالبعد عن ساحة الحضور يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يضلنكم عن طريق الحق من فتنه اذا اضله لا من فتن
بمعنى امتحن واختبر كما اخرج ابويكم من الجنه اوقعهما في الزلة الموجبة للخروج والاسناد اليه مجاز بعلاقة
السببية وانما استانف الكلام ولم يعطف القصة على القصة لانه شروع في نوع آخر من الكلام وانما اسند
النهي الى الشيطان مبالغة في التحذير كما تقول لا يدن منك الاسد ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
حال من ابويكم او من فاعل اخرج او منهما والاسناد الى السبب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم حث
على غاية التحذر منه عدو مترصد والخفاء عن الابصار واستتاره عنها يوجب كمال اسباب كيده وقبيله
جنوده وذريته وهو في الاصل الجماعة فوق الثلثة اذا كانوا اشتاتا وانما عطف على المستتر في يريكم لانه
موكد بالمنفصل ولا دلالة في الآية على عدم امكان الرؤية وقد ورد في الاحاديث رؤية جماعة من الصحابة
رواه البخاري وغيره انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون ابلغ في التحذير من الاول ولذلك لم
يعطفه عليه المؤكد وصرح بان من يوالي الشياطين ليس بمؤمن واسند الجعل الى نفسه دلالة على
كونه حتما مقضيا واذا فعلوا فاحشة اي اولياء الشياطين والفاحشة ذنب تناهى قبحه كالزنى والقتل
والطواف عريانا قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها استدلوا على حسنها بقضيتين الاولى تقليد

ابائهم المخطئين والثانية الافتراء على الله تعالى بانه الآمر بها ولما كان تقليد الآباء فساده واضحا نفى حسنها
بقضيتين الاولى لم يتعرض له ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لا لانه قبيح منه اذ لا يتصور
منه لانه المالك المطلق بل لانه يختار لعباده محاسن الاعمال وليس في الآية دليل على القبح العقلي لان
المراد به ما يكون سببا للعقاب آجلا وملايمات الطبع ووصف الكمال والنقص حسنها وقبحها عقلي اتفاقا
وليس فيها ايضا ما يدل على بطلان التقليد مطلقا بل ما قام البرهان على خلافه اتقولون على الله ما لا
تعلمون انكار وتوبيخ على ذلك القول ويتضمن النهي عن افتراء مثله وفيه ايماء الى ان القول بلا علم مذموم
وان لم يكن منسوبا اليه تعالى قل امر ربي بالقسط اي بالتوحيد الذي هو اساس كل عمل او بالامر المتوسط
بين الافراط والتفريط الذي هو المحمود واقيموا وجوهكم عطف على مقدر اي قوموا بالقسط واجعلوا
الى القبلة عند كل مسجد في كل وقت صلوة او في كل مكانها وقيل توجهوا اليه غير عادلين الى غيره من
المعبودات والاول اوفق بالمقام وادعوه مخلصين له الدين اعبدوه مخلصين له الطاعة وانما اطلق
الدعاء لانها مخ العبادات ولان العابد حين الدعاء يتوجه الى معبوده بالجواد كما بداكم تعودون
جار مجرى التعليل اذا كان منشاكم منه ومعادكم اليه فلا وجه للاشراك في العبادة وتشبيه الاعادة
بالبداء من حيث ان كلا منهما نسبته الى قدرته سواء وهم يعترفون بالبداء او من حيث التجرد والانفراد
عن المال والاهل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة او من حيث الشقاوة والسعادة لان الخاتمة
فرع البداية ولذلك قال فريقا هدى خلق فيهم الهداية الموصلة الى السعادة وفريقا حق عليهم الضلالة
اي اخلهم فضلوا ولزمتهم الضلالة وانما اسند الهداية الى ذاته المقدسة دون الاضلال اشارة
الى سبق رحمته وسعتها انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل للزوم الضلالة وتحقيق
لها ويحسبون انهم مهتدون اي مع كونهم ضالين لا يلتفتون الى مرشد لفرط جهلهم وليس يلزم منه
تساوي المعاند والمخطي في الذم والعقاب وان اشتركوا في الجملة فيهما يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد
لما امرهم باقامة الوجوه نحو القبلة في الصلوة امر بستر العورة الذي هو من شروطها ايضا وانما عبر عنه
بالزينة لئلا يتوهم الاقتصار على قدر الحاجة وقيل بل المراد ان يكون المصلي لابسا احسن الثياب واجملها
كما ورد الامر بذلك في الجمع والاعياد وكلوا واشربوا المراد بهما الطيب الطاهر كما قيد في غير هذا الموضع
ولا تسرفوا بتحريم الحلال والافراط في الاكل والشره عليه واظهار الخيلاء باكل المستلذات على الفقراء
المحاويج وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة
وعن علي بن الحسين رضي الله عنه جمع الله الطب في نصف آية وقرا كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين المتجاوزين حد الاعتدال وعن مجاهد لو انفقت مثل احد ذهبا في طاعة الله لم يكن سرفا ولو انفقت
درهما في معصيته كان سرفا وقيل لبعض السلف لا شرف في السرف فقال نعم كما لا سرف
في الشرف وقيل لا تسرفوا لا تتركوا قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق انكار
لان يكون ما يتجمل به حراما على المومن كيف وقد خلق لهم ما في الارض جميعا روى مسلم عن عبد الله بن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل
ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال رسول الله ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق
وغمط الناس ولم يكتف بذلك بل امر باظهار شكره فقال واما بنعمة ربك فحدث والحق ان مناط التقوى
هو القلب وفي الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم وانما ينظر الى قلوبكم ونياتكم والطيبات
من الرزق هي الماكل والمشارب المستلذة والاباحة انما علمت من هذا النص ولا دلالة فيه على ان
الاصل فيها الاباحة قبل الشرع قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا وان شاركهم فيها غيرهم فذلك

بالعرض خالصة يوم القيمة حال كونها مختصة بهم فى ذلك اليوم ولم يقل فى الآخرة فى مقابلة الدنيا اشارة
الى انهم فى ذلك اليوم فى تجمل وطيبات قبل مصيرهم الى الجنة اللهم اجعلنا منهم باواسع العطايا وقراء نافع
بالرفع على انه خبر بعد الخبر كذلك نفصل الآيات مثل هذا التفصيل نفصل ساير الايات لقوم يعلمون فانهم هم
الذين ينتفعون به زاد لفظ القوم اشارة الى كمال من قام به العلم قل انما حرم ربى الفواحش جاء بصيغة
الحصر توكيد الاباحة ما قدم والفواحش كل ذنب تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن
ما خفى والاثم مطلق الذنب تعميم بعد التخصيص وقيل شرب الخمر لان الاثم من اسمائه شعر
قالوا شربت الاثم قلت كلا وانما شربت الذي فى تركه عندي الاثم والبغى الظلم على الغير سواء تعلق بماله او بعرضه
او بنفسه وقوله بغير الحق والبغى لا يكون الا كذلك تنفير عن ارتكابه ولا يراد به الكفر لقوله وان تشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا برهانا يدل على حقيقته بل اخترعتموه سفاهة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون من الالحاد
فى صفاته كاتخاذ الولد وامر بالفحشاء ولكل امة اجل مدة مقدرة لاعمارهم او لنزول العذاب وفيه اشارة
الى ان ظلمهم قد تجاوز حده وانهم اهل لنزول العذاب بهم لولا ذلك الاجل الذي لا يعلم الحكمة فيه الا هو
فاذا جاء اجلهم اخر المدة المقدرة لا يستأخرون ساعة عن ذلك الوقت والمراد بالساعة ادنى ما يتصور
من الزمان لا المتعارف ولا يستقدمون عليه عطف على الشرطيه لا الجزاء لعدم استقامة المعنى والسين
للتأكيد مثله فى سنكتب ما قالوا وقيل لشدة الهول لا يطلبون التقدم والتاخر يا بنى آدم اما يأتينكم
رسل منكم يقصون عليكم اياتى يتلونها كما امروا من قص الاثر تتبعه وفايدة منكم الترغيب فى اتباعهم لانهم
من الجنس الذي يوجب الالفة والاتيان وان كان محققا لكن لما لم يكن واجبا كما زعمه اهل التعليم اتى لفظ ان
واكده بما جريا لما فات من معنى اذا فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جواب للشرط اي من اتقى
الشرك والتكذيب واصلح ما افسد فقد جمع بين هذين الفوزين والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اوليك
اصحاب النار هم فيها خالدون لم يدخل الفاء فى الجزاء لدلالة السابقة على تقديرها او ايماء الى المسامحة
فى الوعيد لان الفاء تدل على سببية السابق فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته ساوى
بين الامرين فى القباحة فالويل لمن قال فى الدين قولا بغير علم اوليك ينالهم نصيبهم من الكتاب الموصوفون
بهذه الصفة لهم حظ من الارزاق والاعمار فى الدنيا يستوفونها فالكتاب بمعنى المكتوب وهو اللوح المحفوظ
اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يقبضون ارواحهم غاية لنيل النصيب وحتى هذه هى التى يبتدأ بعدها
الكلام قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله جواب اذا استفهام تقريع اي هذا يوم الحاجة فكان
الواجب ان تستعينوا بما كنتم تعبدون جباهكم فى عبادتها قالوا ضلوا عنا اقرار منهم بعبادتها فان
قلت اذا كان قولهم ضلوا عنا اقرارا منهم بالكفر فما فايدة قوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
قلت فايدته زيادة التوبيخ واظهار لفظ الكفر الذي دل عليه قولهم ضلوا عنا التزاما قال ادخلوا فى
امم القايل هو الله مثل قوله قال اخسئوا وخطابه مع المجرمين لا يستبعد لانه خطاب غضب وانتقام
او بعض الملايكة قد خلت من قبلكم صفة امم من الجن والانس بيان لها فى النار متعلق بادخلوا وفى امم
اي كائنين فى زمرتهم وعدادهم وفيه اشارة الى ان دخولهم فى زمرتهم اشد عليهم من عذاب النار
ولذلك قدمه كما قال فى النفس المطمئنة فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى لان دخولها فى تلك الطايفة
اشرف واعلى من دخول الجنة السر فى السكان لا فى المنزل كلما دخلت امة لعنت اختها وهى الطايفة التى سنت
ذلك الكفر وكان المؤمنين اخوة فى الدين فكذلك الكفر حتى اذا اداركوا فيها جميعا الاتباع والقادة
قالت اخريهم دخولا لاوليهم للمتقدمة اي فى حقهم لا مخاطبة لقوله ربنا هؤلاء اضلونا بان سنوا لنا
الكفر والتكذيب فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا على عذابنا لانهم ضلوا واضلوا قال الله لكل ضعف

اي منكم ومنهم اما القادة فللضلال والاضلال واما الاتباع فللكفر والتقليد ولانهم ضالون مضلون
ايضا ولكن لا تعلمون ما لكل منكم وقراء عاصم فى رواية ابى بكر بياء الغيبة على الانفصال وقالت اوليهم
لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل اخذوا هذا الكلام من قوله تعالى لكل ضعف لدلالته على مساواة
الفريقين فى الجناية فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الله للفريقين ان الذين
كذبوا باياتنا واستكبروا عنها عن الاذعان لاحكامها لا تفتح لهم ابواب السماء حتى يصلوا الى الجنة التى
هى فى السماء فضلا عن دخولها او لاعمالهم اليه يصعد الكلم الطيب او لارواحهم بل ترد الى السجين لورود
الاحاديث بذلك كله قراء حمزة والكسائى بالياء الغيبة والتخفيف وابو عمرو بالخطاب مخففا والباقون
بالخطاب مشددا والمختار هو التانيث لوجود الفاصل فان قلت قوله تعالى مفتحة لهم الابواب فى حق
المؤمنين يدل على فتح جميع ابواب الجنة وعلى ذلك القياس يكون معنى قوله لا تفتح لهم ابواب السماء
جميع ابوابها ولا يلزم منه عدم فتح شئ من ابوابها قلت النفى موجه الى اصل الفعل لا على القيد ولا يد
خلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط تعليق بالمحال عادة والخياط والمخيط اسم لما يخاط به وهى الابرة و
كالازار والميزر لما يتزر به وكذلك نجزى المجرمين الكافرين الكاملين فى الاجرام وانما عبر عن الكفر
بالاجرام ايماء الى قبحه وزجرا عن ارتكابه وانما اعاد الكلام مؤكدا بالتأكيدات البالغة لئلا يتوهم
من الخلود المكث الطويل وليترتب عليه شدايد العذاب التى خلت عنها الاية السابقة من قوله لهم من جهنم
مهاد فراش فعال بمعنى المفعول ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهى ما يتغطى به جمعه ليدل على تكاثفه
وعظم العذاب منه كقوله من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وانما لم يجمع الاول لكونه مصدرا فى
الاصل وكذلك نجزى الظالمين العابدين غير الله وهذا الحكم اخص من الاول اذ لا يلزم من عدم دخول
الجنة دخول النار والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اوليك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون اعاد الكلام ليرتب عليه وصف حالهم فيها وحسن مقامهم واعترض بين المبتدأ
والخبر بقوله لا نكلف نفسا الا وسعها ترغيبا فى العمل الصالح الموصل الى النعيم المقيم بانه مع كونه
مورثا لتلك السعادة سهل التناول ونزعنا ما فى صدورهم من غل اتماما للنعمة فان من فى
صدره غل وحقد وان كان فى ارفه حال وارغد عيش لم يخل عن حرج صدر وضيق عطن وعن على رضى الله
عنه حين قتل طلحة والزبير فى وقعة الجمل انى لارجوا ان اكون انا وهؤلاء منهم تجرى من تحتهم الانهار
توفير الحظ الباصرة مع انه يسرى سروره الى ساير الحواس ويذهب عن القلب الحزن وقالوا الحمد لله
الذي هدانا لهذا لما كان وسيلة لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هدايته وتوفيقه
وهذا الكلام منهم على وجه الالتذاذ والسرور اذ لا تكليف هناك وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله
عليه وقراء ابن عامر ما كنا بدون الواو على انه بيان وهو رسم مصحف الشام والمختار اثبات الواو
لعدم ظهور البيان لقد جاءت رسل ربنا بالحق اعتراف منهم بعد عين اليقين كما اعترفوا فى الدنيا
بعد علم اليقين ونودوا ان تلكم الجنة اشار بلفظ البعيد باعتبار ما كانوا يعلمون فى الدنيا بالوصف
كما تقول لصاحبك مشيرا الى رجل بين يديك هذا ذلك الرجل الذي كنت تسمع به او تعظيما لها
والقول بانه يقال لهم قبل الدخول يرده قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا فان هذا النداء بعد ذلك
القول اورثتموها بما كنتم تعملون منحتموها بسبب اعمالكم والاعمال وان لم يكن سببا حقيقيا مستلزما
عقلا ولكن جرت عادته تعالى بذلك فكان سببا عاديا وقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احدكم الجنة
بعمله نفى للسبب الحقيقى وانما عبر عن اعطائه وتفضله بالايراث لانه اقوى اسباب الملك لحصوله
حتما من غير اختيار وشعور وقيل ورثوها من الكفار لما ورد فى الحديث لكل مؤمن موضعا من النار

يرد على القاضى فيطلب فى سورة فاطر الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ثم قال الذى احلنا دار المقامة من فضله منه

يضاف الى نصيب واحد من الكفار ولكل كافر موضعا من الجنة يضاف الى حظ واحد من اهل الجنة هذا او فوق
بالمقام لمحاورة الطايفتين ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا قالوا نعم هذه المقالة تبجحا واظهارا للشماتة وهو الذ الاشياء كما ان اشد العذاب
شماتة الاعداء وانما اتى بلفظ الوعد في العذاب مشاكلة ولم يضفه كما اضاف الاول اما لانه علم من الاول
لانه قسيمه او لان ما وجدوه لم يكن كله موجودا مخصوصا بهم كالبعث والحساب قالوا نعم اقرار بالوجدان
وقرا الكسائي بكسر العين وهما لغتان والفتح هو المختار لانه لغة اهل الحجاز وعامة العرب فاذن
موذن بينهم استقرار الفريقين وانقضاء تلك المحاورة قيل هو اسرافيل ان لعنة الله على الظالمين اخبار
بحصول اللعنة لهم وفايدته التحسير عليهم وتنفير السامع عن ارتكاب الظلم وان هي المخففة حذف عنها
ضمير الشان وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد وهو المختار لكونه اصلا مع خلوه عن الاضمار
الذين يصدون عن سبيل الله يمنعون القاصدين عن الاسلام ويبغونها عوجا يطلبون لها عيبا بكسر العين
عيب المعاني وما لا انتصاب له وبالفتح عيب الاجسام المنتصبة ومحله الجر على انه صفة مقررة او رفع
على المدح او نصب على الاختصاص وهم بالاخرة كافرون منكرون لها وفيه اشارة الى ان ارتكابهم الظلم
اعتقادهم المصير الى من يجازيهم وبينهما حجاب هو السور الذي ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب وعلى الاعراف رجال اعراف ذلك السور اي عاليه جمع عرف مستعار من عرف الفرس
والديك هم طايفة من المومنين قصر بهم العمل يوقفون بين الجنة والنار على ذلك السور الى وقت يريده
الله وقيل هم الانبياء والشهداء يوقفون كرامة وقيل هم العلماء ورد بذلك الحديث يوقفون للشفاعة
فيمن عمل بعلمهم يعرفون كلا بسيماهم هذا قبل دخول الجنة يعلمون ذلك بالهام الله او علامة كبياض الوجه
وسواده يدل عليه لفظ السيما لانها فعلا من الوسم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يا اهل الجنة اما
حين الدخول او بعده لم يدخلوها وهم يطمعون حال من فاعل نادوا وقيل ان كان اهل الاعراف المقصرين
فالحال عن الواو وان كانوا الانبياء او الشهداء او خيار المومنين فعن اصحاب الجنة وانما ذهب الى هذا
استبعادا لان يكون دخول الانبياء متاخرا عن الامم وليس بشيء لما روى البخاري ومسلم في حديث الشفاعة عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة فاخر لربي ساجدا فاشفع الى ربي فيحد لي حدا فاخرجهم
من النار وادخلهم الجنة ثم اعود فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم ذكر العود ثالثا على هذا
وقد روينا ايضا انه يقال يقول له يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن وهم شركاء
الناس في ساير الابواب فان قلت ما معنى الطمع والانبياء قاطعون بدخول الجنة قلت لانا في بين الطمع
في رحمته والقطع بموجب وعده واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار راوا ما فيه من العذاب استعاذوا
بالله قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين في النار وانما لم يقل ولما نظروا اهل النار اشارة الى ان رويتهم
ليس مقصودا بالذات بل كان صارفا صرف ابصارهم نحوهم ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم
من روساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرة اعدادكم او ما لكم وما كنتم تستكبرون ولا وجود استكباركم
عن الحق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهولاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قول الرجال
اشاروا بهولاء الى فقراء المهاجرين كخباب وعمار وبلال فانّ صناديد قريش كانوا يحلفون انهم لا يدخلون
الجنة وليسوا باهلها ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وكانهم لما راوا الفقراء بصدد
الدخول خاطبوا المشركين بذلك الخطاب ثم التفتوا فقالوا هذا الكلام وقيل لما عير اصحاب الاعراف
اهل النار وحلفوا بانكم لا تدخلونها ايضا فقال الله تعالى اهولاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
ادخلوا الجنة والوجه هو الاول ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة بعد استقرار كل طايفة في مستقرهما

ان افيضوا علينا من الماء الافاضة الافراغ والصب وقيل دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم
الله من ساير الاشربة او ساير الماكل من قبيل علفتها تبنا وماء باردا وهذا يمكن ان يكون على الحقيقة بانهم
لا يعلمون حرمة ذلك عليهم او قالوه حسرة وتحيرا وان ايقنوا عدم الحصول قالوا ان الله حرمهما
على الكافرين استعارة تبعية كقوله شعر ومن بعد ايام العقيق وحاجر حرام على عيني ان تطعما الكرى
اذ لا تكليف هناك الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا من قول اصحاب الجنة او من قول الله واللهو ما يلهو به
الانسان اي يصرف همه به واللعب ما يجلب به الفرح وغرتهم الحيوة الدنيا خدعتهم فاليوم ننساهم
نفعل بهم فعل الناسين اي نتركهم كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون
وكما كانوا عطف على ما المتقدمة لم يعد الجار للقرب لفظا ومعنى وتلخيصه نجازيهم بمثل ما فعلوا ولقد
جيناهم بكتاب فصلناه اياته يفهم من يخاطب به معانيها على علم عالمين بما فيه من الحكم والاحكام ولفظ
على للدلالة على كمال العلم حال من المرفوع في فصلناه وجعله حالا من المفعول ليس بذلك الحسن وفيه
دليل على انه تعالى عالم بالعلم وقرئ فضلناه اي على ساير الكتب هدى ورحمة لقوم يومنون حال
من منصوب فصلناه هل ينظرون الا تاويله اي ما ينتظر هولاء الا ما يوول امر الكتاب اليه من وقوع
ما نطق به من الوعد والوعيد الضمير للمكذبين المستكبرين وقصة اصحاب الاعراف كانت استطرادا
للترغيب والترهيب يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل هو يوم القيمة قد جاءت
رسل ربنا بالحق اي تبين لنا ان ما جاءوا به كان حقا فهل لنا من شفعاء اليوم فيشفعوا لنا او نرد
فنعمل غير الذي كنا نعمل عطف جملة فعلية على اسمية وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا والمعنى
على الرفع تمنى الشفاعة او الرد وعلى النصب تمنى الشفاعة بدون الرد او مع الرد ويجوز ان يكون
او بمعنى الى ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي وعلى هذا المعنى تمنى التشفيع للشفاعة المفضية
الى الرد قد خسروا انفسهم حين اوردوها موارد الهالكين وضل عنهم ما كانوا يفترون من المعبودات
الباطلة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام لما بين حال الفريقين في المعاد
ذكر الى ذكر المبداء وكيفية وجود الكاينات على النمط الذي فطرت عليه ارشادا للضالين و
تثبيتا للمهتدين والخلق هو الايجاد واقتصر على ذكر السموات والارض دون ما بينهما لانه ذكره
في مواضع اخر ولان احدا لم يقل بالفصل او لانهما اذا كانتا مخلوقتين له فغيرهما بالاولى
والاخلق والمراد بالايام الاوقات او مقدارها لو كان هناك طلوع شمس وغروب وفيه دليل على انه
فاعل بالاختيار وارشاد للعباد على التاني في الامور تخلقا باخلاق الله تعالى ثم استوى
على العرش اي بعد تكامل خلق الاشياء اجرى احكامه على الموجودات اسعادا واشقاء واماتة واحياء
لان ذاته تعالى وان كانت قديمة لم تزل ولكن اثار سلطنته انما ظهرت بعد وجود الاشياء
فمثل حاله بحال ملك جلس على سرير ملكه للنظر في شان من تحت حكمه والقول بان العرش هو الجسم
المحيط بساير الاجسام مما لا دليل عليه شرعا وان ثبت ان عرش الرحمن فوق السموات جسم نوراني
عظيم يغشي الليل النهار اي يجعل كلا منهما غشاء الاخر وهو ما يغطي ويستر به وقرا حمزة
والكسائي وابو بكر عن عاصم بالتشديد وهو ابلغ معنى يطلبه حثيثا يطلب كل منهما الاخر طلبا سريعا
على انه مصدر ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اي حاثا او من المفعول اي محثوثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره بقضائه وقرا ابن عامر برفع الاربع وهو المختار لكونه ابلغ في القدرة ولعدم
احتياجه الى تقدير العامل الا له الخلق والامر تنبيه لمن سمع هذا الكلام الدال على تاثير قدرة
تعالى وعظمة شانه بان يعترف بان لا خلق ولا تصرف لغيره تبارك الله رب العالمين البركة النماء

والزيادة والمعنى وصفه بزيادة التفضل في ترتيب الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم
ولما كان مساق الآية في سورة قد افلح لخلق الانسان واطواره ختم الآية بقوله تبارك الله احسن الخالقين
ادعوا ربكم تضرعا وخفية بعدما تبين ان شانه فوق كل شان امرهم بالاستكانة والضراعة اذ ذل
اي ذوي ذل وخفية فان الاخفاء في الدعاء اقرب الى الاخلاص وفيه نوع من الانكسار الملايم للضراعة
وفي الحديث يفضل دعاء السر على الجهر سبعين ضعفا وقرا ابو بكر بكسر الخاء انه لا يحب المعتدين المتجاوزين
الحد بان يسهب غاية الاسهاب او يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء وفي الحديث سيكون قوم يعتدون
في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما يقرب اليها من قول وعمل واعوذ بك
من النار وما يقرب اليها من قول وعمل ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها بهذا النظام الاحسن وشرع
الاحكام على لسان الانبياء وادعوه خوفا وطمعا خايفين عقابه نظرا الى قلة اعمالكم بالنظر الى
كبريائه طامعين رحمته نظرا الى بحر كرمه وعموم عطائه روي انه تعالى لما طرد ابليس بكى جبريل
وميكائيل فقال تعالى ما هذا البكاء قالا ربنا بكاء خوف فان هذا كان عبدا قد قطع اعمارا
في عبادتك قال هكذا كونا خايفين من سطوتي وقهر سلطاني ان رحمة الله قريب من المحسنين
اشارة الى ما يتوسل به الطامعون الى رحمته وانما ذكر الفعيل بمعنى الفاعل مع تانيث الموصوف
تشبيها له بالفعيل بمعنى المفعول وهو الذي ارسل الرياح من دلايل وحدانيته الدالة على قدرته على
الاعادة ارسال الرياح قرا ابن كثير وحمزة والكسايي الريح بالتوحيد على ارادة الجنس بشرا بين
يدي رحمته قرا الكوفيون الا عاصما وابن عامر باسكان الشين جمع ناشر ونشور واصله الضم والاسكان
لثقل الضمتين وقرا حمزة والكسايي نشرا بفتح النون على المصدر لان الارسال فيه معنى النشر او على
الحال وقرا عاصم بالباء على انه جمع بشير كقلب وقليب قيل ان الصبا يثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب
يدره والدبور يفرقه والحق ان الدبور معد للعذاب والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الجمع للرحمة والمفرد للعذاب
شرح للحديث النبوي حتى اذا اقلت رفعته من القل لان المقل للشيء يرفعه سحابا جمع سحابة على حد تمر
وتمرة ثقالا بالماء سقناه افرد الضمير وذكره باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله اي احيايه وسقيه
والبلد مرادف الارض قراه مخففا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر فانزلنا به الماء اي بالبلد
فالباء للالصاق او بالسحاب او السوق او الريح فالباء للآلة فاخرجنا به اي بالماء ويحتمل الوجوه
السابقة ايضا من كل الثمرات بعضا من كل نوع وانما لم يذكر الحبوب لان الثمرات ابدع وشانها
اغرب او لان الحبوب من ثمرة الارض ايضا كذلك نخرج الموتى مثل اخراج الثمرات الذي تشاهدونه
مدة اعماركم لعلكم تذكرون متعلق بمقدر اي انما تلونا عليكم الاخراج على النمط المذكور لعلكم تذكرون
ان لا فرق بينه وبين الاعادة فتقرون به والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن
ربه بعلمه وارادته والذي خبث الارض الردية كالسباخ والقيعان لا يخرج الا نكدا يقال فلان
نكد اي قليل الخير والمراد به النبات الذي لا نفع فيه نصب على الحال عن المستتر في خبث مثل
ضربه الله للمومن والكافر روى ابو موسى الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ما بعثني الله به من العلم والهدى مثل غيث اصاب ارضا منها طايفة طيبة قبلت الماء فانبتت
الكلاء والعشب الكثير ومنها طايفة اجادب امسكت الماء فنفع الله الناس به فشربوا وسقوا وزرعوا
ومنها طايفة انما هي قيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلاء فذلك مثل من فقه في دين الله فنفعه
ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به رواه

وراد فع الكن و اولانه على زنة المصدر اوموصوف محذوف اي شي قريب اولان بانيث الرحمة غير حقيقي وهذا الاخر فيه نظر لان الاستاد الى الضمير لا يوق منه يلس ركعتي وعن منة

البخاري ومسلم كذلك نصرف الايات مثل هذا التصريف الجلي سائر الايات لقوم يشكرون نعمة الله
فيعلمون ان تصريف الايات من اجل النعم لقد ارسلنا نوحا الى قومه اللام فيه للقسم وانما التزم
ذكر قد مع القسم لان المخاطب بالجملة المقسم عليها منكر او متردد فاذا سمع القسم توقع وقوعها اورد
قصته بعد قصة آدم وشرح احوال اهل الجنة والنار ودلايل التوحيد لانه اول مبعوث عذب
قومه وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين وعاش الف
سنة على الاصح فقال يا قوم اعبدوا الله وحده بدليل قوله ما لكم من اله غيره واضافهم
الى نفسه اظهارا للشفقة والنصح قرا الكسايي بكسر الراء حملا على اللفظ صفة او بدلا وهذا
من قراءة الجمهور بالرفع لان رعاية اللفظ عندهم اكثر من المحل اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
تعليل للامر بالتوحيد واليوم يوم القيامة وعظمه لعظم ما فيه الاسناد مجاز وقيل يوم
الطوفان قال الملا من قومه اشرافهم لم يذكر الفاء كما في ساير السور اشارة الى فرط جهلهم
كانه لم يتعقب كلامهم كلامه فردوا نصحه من غير تامل في نفعه انا لنريك في ضلال مبين واضح
قال يا قوم ليس بي ضلالة اي واحدة من جنس الضلال رد لكلامهم على ابلغ وجه كما اذا قيل
لك هل عندك تمر فتقول ليس عندي تمرة ولكني رسول من رب العالمين استدراك بحسب المعنى
لانه اذا كان رسولا من الله لا يمكن ان يكون ضالا لظهور التنافي بين الرسالة والضلالة ابلغكم
رسالات ربي استيناف لبيان كونه رسولا او صفة له والرسول وان كان لفظ غايبا ولكنه عبارة
عن ضمير المتكلم فصح كونه صفة له بذلك الاعتبار وقرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع رسالة
باعتبار الوقايع والاشخاص والعقايد والاحكام وقراءة التشديد ابلغ وانصح لكم واعلم من الله
ما لا تعلمون يقال نصحه ونصح له اللام يدل على ان النصح خالصا للمنصوح له مراعى به جانبه والمراد
علمه بصفات الله وشدة بطشه او كانوا اوحى اليه انهم ان لم يومنوا يبسنا صلهم الله بالعذاب
كانوا آمنين لان العذاب لم يكن حل بقوم قبلهم اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الهمزة للانكار
والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم والذكر هو الرسالة لاشتمالها
على المواعظ على رجل منكم على لسان رجل من قومكم يعرفونه بالامانة معروفا للسيرة وكانوا
يعتقدون ان الرسول لا يكون بشرا لينذركم ليحذركم باس الله ونقمته لمن كفر ولتتقوا المعاصي
ولعلكم ترحمون بعد التقوى وانما ذكره بلفظ الترجي على داب الملوك وان كان مقطوعا به كقوله
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا او للاشارة الى ان التقوى لا يوجب شيئا والترحم فضل منه تعالى
ولئلا يعتمد العاملون على عملهم فكذبوه صريحا في دعوى الرسالة لان قولهم انا لنريك في ضلال
مبين غير صريح فانجيناه والذين معه في الفلك انجيناهم في الفلك او يتعلق بمعه قيل كانوا ثمانين
نفسا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل كانوا تسعة بنوه الثلثة سام وحام ويافث وستة
من قومه كانوا مومنين به واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين المراد عمي القلب جار
مجرى التعليل والى عاد اخاهم هودا عطف على نوحا الى قومه وسماه اخا مجازا لانه واحد منهم
كقولهم يا اخا العرب والحكمة في بعث الانبياء من القوم لكونهم يعرفون ديانته وامانته ولئلا
يانفوا عن اتباعه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره لم يعطفه كما في قصة نوح عليه السلام
لانه جاء على طريقة الاستيناف كانه قيل ما قال لهم وكذلك جوابهم افلا تتقون عرض على التقوى
كقولك الا تنزل بنا والجواب محذوف اي تامنوا من عذاب الله قال الملا الذين كفروا من قومه دل
على ان من الملا من كان مومنا والقول بان هذا الوصف دل على كونهم اقرب من قوم نوح ليس بشيء

اول

رد على الواحدي والكسايي
رد على صاحب الكشف

علمهم

نجي هذا الوصف في قومه ايضا في سورة هود وقد افلح والقول بان الوصف في قومه في السورتين للذم
خلاف الظاهر ونحكم بل الوجه في حذفه من قصة نوح انها ما سيقت هنا مستوفاة وجيئت ذكرت على وجه
الاطناب ذكر الوصف انا لنريك في سفاهة اي سفاهة كاملة متمكنا فيها وصفوه بالسفاهة ومن
خفة العقل بخلاف قوم نوح وصفوه بعدم الاهتداء لانه نتيجة تلك الخفة وانا لنظنك من الكاذبين
منهم جاني زمرتهم والظن بمعنى العلم قال يا قوم ليس بي سفاهة كما زعمتم ولم يتعرض لرد الكذب لان
منشاه السفاهة حيث لا سفاهة لا كذب ولكني رسول رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح
امين وصفه بالامانة وتقديم الضمير المفيد للتقوى وايثار الاسمية يدل على فرط عنادهم اوعجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره قريبا واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
قوم نوح ذكرهم نعمة الله عليهم مع رمز الى انهم ان لم يشكروها يحل بهم من العذاب ما نزل
بقوم هم ساكنوا مساكنهم وزادكم في الخلق بسطة اي جسامة في الخلقة فانها نهاية فايقة قيل
كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا او بالمال فانهم كانوا في غاية من الثروة وقوله تعالى
في حق قارون اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا يشير الى قوم
عاد فان شداد بن عاد ملك المعمورة من رمل عالج الى بحر عمان فاذكروا آلاء الله بالشكر تعميم بعد التخصيص
لعلكم تفلحون عسى ان يؤديكم الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا لما كانوا
معتقدين فطرة الله التي يولد عليها كل مولود استبعدوا ان يكون فاطر الاشياء موجدا لكاينات معبودا وحده
والمراد من المجيء الاقدام على تبليغ الرسالة او كان معتزلا عنهم كما هو داب الصالحين كما كان رسول الله
يخلو بغار حراء قبل بعثته اوقالوه تهكما به والمراد المجيء من السماء فاتنا بما تعدنا من العذاب اما ان يكون صحح به
اوفهم من قوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين معدود امنهم قال قد وقع عليكم من ربكم رجس عذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب انتقام من الله عطف تفسيري او ارادة انتقام عذاب الابد بعد العذاب
في الدنيا وانما عبر عنه بالماضي لانه واقع لا محالة لصدوره عمن لا يخلف الميعاد اتجادلونني في اسماء
في استحقاق عبادتها سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان برهان دال على استحقاق عبادتها
فانتظروا العذاب اني معكم من المنتظرين للنجاة واستيصالكم فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا
دابر القوم الذين كذبوا باياتنا دابر القوم من ياتي في آخرهم فاذا لم يبق فغيره بالاولى والاجدر وما كانوا
مؤمنين فايدته بعد ذكر التكذيب التعريض بمن آمن منهم ولئلا يتوهم حدوث التكذيب من لفظ الماضي
بل لم يومنوا قط وقصتهم انهم كانوا قاطنين بين عمان وحضرموت كانوا عبدة الاصنام فارسل الله اليهم
هودا وكان فيهم ذا نسب وشرف فكذبوه فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين وكان الناس اذا نزل
بهم مرض وبلاء توسلوا الى الله في كشفه بالبيت الحرام وكان قطان مكة اذ ذاك العمالقة اولاد عملاق
بن سام بن نوح وكان سيدهم معاوية بن بكر فوجهت عاد الى مكة للتوسل بالبيت المعظم سبعين من اشرافهم
فيهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد وكان مرثد مؤمنا يكتم ايمانه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر سيد
العمالقة وكان بارزا خارج الحرم وكانوا اخواله واصهاره فاكرمهم فاقاموا عنده في رغد عيش يشربون
الخمر وكان لمعوية قينتان تغنيانهم فلما راي معاوية ان شرب الخمر شغلهم عما قدموا لاجله اهمه ذلك
وقال هلكت اخوالي وهؤلاء فيما هم فيه وكان يكره ان يصرح لهم بذلك لئلا يتوهموا انه استثقلهم وكان شاعرا
فعمل بيتين وهما الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يسقينا غماما • فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا
ما يبينون الكلاما فلما غنت الجاريتان وسمعوا مقالتهما قالوا القوم في ضنك قوموا فادخلوا الحرم و
استسقوا فقال لهم مرثد والله ما تسقون الا ان اطعتم هودا فقالوا لمعاوية احبس عنا هذا فانه تركت

دين آبائه لا نقدم معنا مكة فلما دخلوا الحرم قال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله تعالى
ثلث سحايب بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادي مناد من السماء يا قيل اختر لك ولقومك احدي السحايب
فقال اخترت السوداء فانها اكثر ماء فتوجهت السوداء ارض عاد فكان كما قال الله تعالى فلما راوه عارضا
مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم فاهلكهم ونجا هود ومن آمن
معه فقدموا مكة وعبدوا الله الى ان قضوا نحبهم والى ثمود اخاهم صالحا هم طايفة اخري من العرب سموا
باسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وقيل انما سموا ثمود لانهم كانوا ساكنين على ماء
قليل والماء القليل يسمى الثمد قال طرفة شعر واحكم بحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام سراع وارد الثمد
وكان من قصتهم انهم خلفوا عادا في ارضهم وكان المدر والحجر لا تفي باعمارهم فتنهدم فنزعوا كما اخبر الله
ينحتون من الجبال بيوتا وكانوا يعبدون الاوثان فارسل الله اليهم صالح بن عبيد بن جابر بن ثمود
فدعاهم الى الاسلام وكان من اشرافهم فسالوا آية دالة على صدقه فقال ما تريدون من الآيات فقالوا
اخرج معنا يوم العيد فنسالك اذ ذاك فلما حضر نظر واحد منهم يسمى جندعا الى صخرة عظيمة بسفح الجبل
يسمى كاثبة فقال اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة سوداء عشراء وبراء ذات عرف فصلى صالح ركعتين
ودعا فتمخضت الصخرة كما تتمخض الناقة النتوج فولدت سقبا يقربها في العظم قيل كان ما بين جنبي الناقة
مساحة مائة واثنين وعشرين ذراعا ثم قامت والسقب يتبعها فتوسطت القوم فقال لهم صالح لكم شرب
يوم ولها شرب يوم وكانت ترد الماء غبا فاذا وضعت راسها في البير شربت الماء باسره فشق ذلك
عليهم وكانت تصيف بظهر الوادي وتشتو ببطنه فيهرب منها مواشيهم فضجروا من ذلك ايضا وكانت
الى الالفين وسالنا قتل الناقة فقالا اصبحانا بالخمر فلما سكرا جاءا الى نادي القوم واتبعا طايفة
من سفهائهم ولكن العاقر الا قدار وثانيا مصدع فلما قتلوها هرب السقب الى الجبل فقال صالح ادركوه
فانكم ان ادركتموه نجوتم فاسرعوا خلفه فلما يلحقوه قيل انه دخل في تلك الصخرة التي كانت امه خرجت
منها بعد ان رغا ثلث رغوات فقال لهم صالح سياتيكم العذاب بعد ثلث وعلامة ذلك انكم غدا تصبحون
ووجوهكم مصفرة وبعد غد محمرة وفي اليوم الثالث مسودة ثم في الرابع يصبحكم العذاب فلما
اصبحوا في الغدو رواء العلامة هموا بقتله فانجاه الله منهم فركب الجمال هو ومن آمن معه واتى الى مكة
وسكن بها الى ان جاءه الموت فدفن صلوات الله عليه في المسجد الحرام من جهة الحجر وقيل مات بالشام
فلما اصبحوا في اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع وانتظروا البلاء فجاءتهم صيحة من السماء فتقطعت
قلوبهم فاصبحوا في دارهم جاثمين لم ينج منهم احد فان قلت قد اخبر الله عنهم بانهم ندموا على ما
فعلوا بقوله فاصبحوا نادمين والندم توبة فكيف لم تدركهم رحمة ارحم الراحمين قلت جرت عادته تعالى
بان من كفر بعد الآية المخترعة لا يمهل كاصحاب المايدة واليه اشار بقوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها
ايمانها الا قوم يونس قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره سبق تفسيره قد جاءتكم بينة من ربكم
معجزة واضحة على صدق دعواي وانما وصفها بالوضوح لانها التي طلبوها هذه ناقة الله استيناف
لبيان البينة لكم آية بيان لمن الآية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا
في آية والاضافة للتشريف فذروها تاكل في ارض الله اي ليس عليكم رعيها وانما منها ازاحة للعذر
عن التعرض لها ولا تمسوها بسوء فضلا عن الاصابة بالمكروه فياخذكم عذاب اليم نصب على الجواب
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد تذكير للنعمة وفيه ايماء الى انهم ان خالفوا يصيبهم مثل
ما اصابهم وبوأكم في الارض ارض الحجر اللام للعهد تتخذون من سهولها قصورا السهولة الارض مصدر

فهم اولاهما احدهما جدوف والاخرى غنيز وكان
كل منهما الف الف جدوف قدار والف غنيز
مصدع وكان لهما مواشي مجباه

ضدّ الحزونة او بعض سهولها جمع سهل ضدّ الجبل وتنحتون الجبال بيوتاً نصب على المفعولية اي من الجبال
بيوتا او حال مقدرة او معنى تنحتون تتخذون فالمنصوبان مفعولاه فاذكروا آلاء الله تعميم بعد التخصيص
ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لم يلتفتوا الى صالح
ويخاطبوه استهانة به بل خاطبوا ضعفاء القوم الذين كانوا مؤمنين به كما هو شأن الرسل في اول الامر لم
مثل بلال وعمار وصهيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمن آمن منهم بدل باعادة الجار بدل الكل ان كان
الضمير للقوم وان كان للمستضعفين بدل البعض فيندرج في المستضعفين بعض كفار قومه اتعلمون ان صالحاً
مرسل من ربه قالوه ذلك استهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون كان ظاهر الجواب نعم او بلى وانما عدلوا
عن ذلك لان الاقرار بارساله لا يستلزم الايمان لجواز الجحد ولان الايمان بما جاء به مستلزم للايمان
به فكان ابلغ من ظاهر الجواب لان العدول فيه تنبيه على ان ارساله مما لا يشك فيه عاقل وانما الكلام
فيمن آمن قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون لاشتماله على
اعترافهم برسالته فعقروا الناقة جرحوها اسنده الى الكل لوقوع الفعل بينهم وانما لم يذكر قتلها اشارة
الى ان مجرد العقر من العظايم لان تعليق العذاب العظيم كان على مجرد المس بالسوء وعتوا عن امر ربهم تجاوزوا
عنه وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة اي بعد ثلثة ايام لقوله في هود
تمتعوا في داركم ثلثة ايام والرجفة الزلزلة وفي مواضع بدل الرجفة الصيحة والتوفيق انها كانتا معا
فصح اخذ كل واحدة منهما فلا حاجة الى جعل الرجفة مجازا عن الصيحة فاصبحوا في دارهم جاثمين ساقطين
على الارض ميتين من جثم الطاير بالارض تلبد بها واصبح بمعنى صار لان هلاكهم كان ضحوة من النهار
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين خطابه هذا ان
بعد موتهم مثل خطابه صلى الله عليه وسلم يوم بدر لصرعى القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا او كان
هذا القول منه حين توليه عنهم بعدما هموا بقتله ولوطا اذ قال لقومه اي ارسلنا لوطا في وقت قوله
او مفعول اذكر واذ بدل منه اتاتون الفاحشة اللام فيها للعهد كانها علم بين الفواحش لا يذهب الذهن
الى غيرها والاستفهام للتوبيخ ما سبقكم بها من احد من العالمين كلام مستانف مقرر للانكار لان جرم
مبتدع المعصية اعظم وفي الحديث ما قتل احد ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل منه لانه اول من سن
القتل رواه البخاري انكم لتاتون الرجال شهوة من اتى المرأة اذا غشيها شهوة مفعول له وفيه نسبة
الى البهيمية اي لا داعي لكم سواه من جهة العقل لطلب النسل وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار استينافا
وعلى الاول بيان لقوله اتاتون الفاحشة وفايدة قوله من دون النساء قطع المعذرة ودفع توهم الضرورة
بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى بيان الحال التي اوجبت ارتكاب الفاحشة وسماهم قوم عادين لهم
الاسراف والتجاوز عن حدود الله ولذلك وصفهم تارة بانهم قوم عادون وتارة بانهم قوم يجهلون وما
كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي لم ياتوا بما قاله ولم يلتفتوا الى نصحه بل غاظهم
ذلك وامروا باخراجه من قريتهم مع من آمن به انهم اناس يتطهرون يبالغون في الطهارة قالوه تهكما
فانجيناه واهله المؤمنين لقوله الا امرأته كانت من الغابرين الذين بقوا في ديارهم وهم الهالكون لكونها
على دين قومها والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهي حجارة من سجيل
والفرق بين مطر وامطر ان في الثاني معنى الارسال ويعدي الى مفعولين الى المرسل بنفسه والى المرسل
اليه بعلى والاول يعدي الى واحد بنفسه وهو من اصابه المطر وقيل هما بمعنى واحد واستعمال الثاني
في الشر غالبا والاول في الخير فانظر كيف كان عاقبة المجرمين المراد به نظر القلب وهو التدبر والخطاب عام

قيل

قيل ان لوطا ابن عم ابرهيم صلوات الله عليه ممن هاجر مع ابرهيم الى الشام فنزل سدوم وتزوج من اهلها
فارسل اليهم نبيا فدعاهم فلم يطيعوه فاهلكهم الله بان امطر عليهم الحجارة وقيل امطر على المقيمين
وخسف بالمسافرين وقيل كان رجل منهم بالحرم فوقف حجره في الجوار بعين يوما الى ان خرج فوقع عليه
فقتله وقيل كان خمس مداين والى مدين اخاهم شعيبا وارسلنا الى مدين عطف على نوحا الى قومه
ومدين اسم بلدة سميت باسم بانيها وهو مدين بن مديان بن ابرهيم وشعيب بن ميكيل من اولاد ابنة
لوط ويسمى خطيب الانبياء لحسن فصاحته وغاية بلاغته في تبليغ الاحكام والدعاء الى الله قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة دالة على نبوتي وليست بمذكورة
في القرآن كما لم تذكر معجزة كثير من الانبياء واما محاربة عصى موسى للتنين وولادة الغنم الدرع
وكانت هي الموعودة لموسى ووقوع عصى آدم في يد موسى في المرآت السبع لا يستقيم حمل ما في الآية
عليه لتاخرها عن هذه المقالة مع احتمالها كرامة موسى وارهاص نبوته فاوفوا الكيل والميزان اي آلة
الكيل لتقارنه مع الميزان ولقوله والمكيال في سورة هود وحمل الميزان على المصدر بعيد غير مستعمل ولا
تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد التخصيص وتصريح بما علم ضمنا وذكر الكيل والميزان لفرط احتياج الناس
الى المكيل والموزون ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي بعدما اصلح الانبياء شانها اهلها بالشرع
لقومهم ويجوز ان يكون اضافة الى الفاعل مجازا كاضافة المكر الى الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة
الى ما امرهم به ونهاهم عنه اي العمل به والمراد بالخيرية الزيادة المطلقة او في الانسانية وحسن الاحدوثة اذ لا خير فيما كانوا عليه او الكسب والربح اذ لا بركة مع الخيانة ان كنتم مؤمنين مصدقين
لقولي لانهم لم يكونوا من الايمان في شيء ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يتفرقون على الطرقات
ويترصدون لمن يقصد شعيبا للايمان به يوعدونه بالقتل وساير انواع العذاب وقيل كانوا يقطعون
الطريق ويجوز ان يراد بكل صراط مناهج الحق وشعب الدين من المعارف والاحكام والحدود ان الايمان
بضع وسبعون شعبة والاول هو الاوجه لقوله وتصدون عن سبيل الله ولقوله قل هذه سبيلي وان
هذا صراطي مستقيما صراط الله الذي له ما في السموات واضافة السبيل اليه مثل ناقة الله من آمن
به مفعول تصدون ويفيد لتوعدون اذ لو كان الاعمال للاول لقيل تصدونه لانه المختار والمضار
في موقع الحال من فاعل تقعدون وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه
فيها بوضعكم للناس على خلاف ما هي عليه ويجوز ان يكون تهكما بهم لانهم يطلبون ما هو
محال في حقها واذكروا اذ كنتم قليلا وقت كونكم قليلي العدد فكثركم في العدد او كنتم مقلين فقراء
فجعلكم مكثرين موسرين والذكر ذكر القلب والتدبر ليتوفروا للشكر وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين من الامم وقيل هم قوم لوط لقوله وما قوم لوط منكم ببعيد وان كان طائفة آمنوا فاصبروا
امر للفريقين بالصبر والانتظار حتى يحكم الله بيننا بنصر المؤمنين على الكافرين لقوله وكان حقا
علينا نصر المؤمنين وهو خير الحاكمين اذ يستحيل في حقه الظلم ولا معقب لحكمه قال الملأ الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا
لم يلتفتوا الى نصحه وقابلوه على داب السفهاء بما يكره وهو احد الامرين واكدوه بالقسم لفرط
الاهتمام وشعيب وان لم يكن على ملتهم لكونه معصوما عن الكفر قبل النبوة ولكن غلب عليه من آمن
معه ولذلك اجري الجواب على التغليب قال اولو كنا كارهين عطف على مقدر اي انعود فيها ولو كنا
كارهين لها والقول بان لو بمعنى ان ليس بشيء لان المعنى على المضي قد افترينا على الله كذبا استينافا
فيه معنى التعجب وادخل عليه قد للتحقيق لا للتقريب من الحال وقيل قسم محذوف اللام ان عدنا في

منهم

بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا

ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدمه عليه واذ بمعنى ان مصدرية والمعنى ان
همهنا بالعود في المستقبل فنحن في الحال مفترون باعتقاد حقية ما انتم عليه وبطلان ما نحن فيه وما
يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا اي يستحيل ذلك العود منا الا اذا تعلقت مشيته تعالى
به فانه يقع لا محالة شيء وهذا صريح في ان الكفر بمشيته تعالى وسع ربنا كل شيء علما وما علمه لابد من
وقوعه ايمانا او كفرا على الله توكلنا وضع المظهر موضع لان الالوهية تلايم التوكل والتفويض
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق من الفتاحة وهي الحكم والقاضي يسمى الفاتح وقوله بالحق لاظهار
الوثوق من الداعي بانه على الحق وانت خير الفاتحين لعدم تصور الجور منك وقال الملاء الذين
كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا الخاسرون دينكم لانكم على الحق وهو على الباطل ودنياكم
لفوات ما كان يحصل لكم بالبخس والتطفيف وانما عبر بالاستكبار اولا لملايمة الاخراج والاكراه
على العود في ملتهم ثانيا بالكفر لانه انكار بحت بعد ظهور الحق فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين وذكر في سورة هود الصيحة لاجتماعهما كانه قيل اتاهم العذاب من فوقهم ومن تحتهم الذين
كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها في القرية التي كانوا يريدون اخراج شعيب منها من غني بالكسر
اذا اقام كناية عن استيصالهم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين الكاملين في الخسران لذهاب
الدين والدنيا رأسا لا من اتبع شعيبا كما زعموا استئناف مرتين وصدر الاسميتين بالموصول
مبالغة في تشويه حالهم وتفضيح مآلهم فتولى عنهم بعد اهلاكهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالات ربي اكد الكلام لتصويرهم احياء بصفة الانكار ونصحت لكم فكيف اسى على قوم كافرين كانه
قيل لم تأسف على قومك فاجاب بما اجاب او الكلام مع نفسه لما تأسف عليهم في بدء الامر عاتب
نفسه بانهم كافرون لا وجه للاسى عليهم او الكلام مع قومه لكن لما وصفهم بالكفر عدل عن الخطاب
تبعيدا لهم وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء مصدران بمعنى البؤس
والضر الاول في البدن والثاني في المال لعلهم يضرعون لكي يتذللوا ويتبعوا الانبياء ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة اي بعد ذلك اجرينا عليهم الصحة والنعم وطاب حالهم وصفا عيشهم حتى
عفوا كثروا من العفو بمعنى الزيادة يسألونك ماذا ينفقون قل العفو وفي الحديث قصوا الشارب
واعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء اي هذا من عادة الدهر مع اهله فاخذناهم بغتة
فجاة وهم لا يشعرون كما فعل بقوم هود وظنوا ان في الغيم مطرا فكان فيه ريح فيه عذاب اليم وقوم لوط
كانوا نائمين على فرشهم وقت السحر ولو ان اهل القرى المبعوث اليهم آمنوا بلسانهم واتقوا بقلوبهم
لقوله صلى الله عليه وسلم انما التقوى ههنا واشار الى صدره وقيل اتقوا المعاصي لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض وسعنا عليهم من جميع الجهات من قولهم باب فتح اي واسع وقارورة
فتح اي واسعة وقيل بركات السماء المطر والارض النبات ولكن كذبوا الانبياء فاخذناهم بالعذاب
بما كانوا يكسبون بسبب كسبهم الكفر والمعاصي وفايدة لفظ كان الدلالة على استمرارهم في ذلك
وتكامل في جناياتهم وحمل القرى على مكة وما حولها لا يستقيم لان السورة مكية ولم يقع العذاب
على اهل مكة ورسول الله بها لقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم افامن اهل القرى اي اهل
مكة وما حولها عطف على مقدر دخله الاستفهام اي ابعد ما علموا حال اولئك وما نزل بهم
آمنوا تعجيب من تماديهم في الغفلة ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون اي كما اتى قوم لوط
مصدر في موقع الحال او وقت بيات والمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من المستتر
في بياتا ان كان حالا والا فمن المنصوب في يأتيهم اوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم

لاهين

لاهين عن امر الاخرة فهم كاللاعبين والضحى وقت ارتفاع النهار قيد رمح وهو في الاصل ضوء الشمس سمي
به الوقت المذكور لتكامل شعاع الشمس حينئذ وقرء نافع وابن كثير وابن عامر او بسكون الواو على ان او عاطفة
اي آمنوا احدى العقوبتين افامنوا مكر الله عن استدراجه اياهم من حيث لا يشعرون وانما عطف الثاني بالواو
وهذا بالفاء لان المعنى اخذناهم بغتة لما صنعوا ما صنعوا ابعد ذلك امن اهل هذه القرى من مجيء بأسنا
بياتا وامنوا اتيانه ضحى فالمنكر امنهم اتيان الباس في هذين الوقتين من غير ترتيب واما الثالث فتكرير للاول
على طريقة الجمع بعد التقسيم مبالغة في التحذير فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الكاملون في الخسران اولم
يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها يخلفونهم ويملكون ديارهم واذا عدي هدي باللام كان معناه
التبيين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشأن لو نشاء عذبناهم كما فعلنا بمن قبلهم من المصرين فهو فاعل
اولم يهد ومن قرأ بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم قلوب هؤلاء المصرين كلام مستانف على طريقة
الاعتراض قاله الزجاج والفراء او عطف على ما دل عليه الكلام السابق اي يغفلون عن الهداية ولا يستقيم
عطفه على جواب لو لافضائه الى انتفاء الطبع الذي دل على وجوده قوله فهم لا يسمعون تلك القرى
هي المار ذكرها مبتدأ وخبر نقص عليك من انبائها نقص اخبار سكانها من اصرارهم وما لحقهم من العذاب
بعده ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات المعجزات الواضحة ازاحة للعذر والزاما للحجة فما كانوا ليؤمنوا بما
كذبوا من قبل لكونهم مختوما على قلوبهم وانما زاد لفظ كان ولام الجحد مبالغة في نفي الايمان عنهم كذلك
يطبع الله على قلوب الكافرين مثل طبعنا على قلوب اهل القرى المار ذكرهم نطبع على قلب كل كافر
سبق علمنا بعدم ايمانه وانما التفت الى الغيبة لان الطبع صفة قهر يناسب لفظ الجلالة الدالة على الالوهية
والقهر وما وجدنا لاكثرهم من عهد اي لاكثر الناس وفاء بعهد اعتراض بين قصة اصحاب القرى ولا كثر
الامم المار ذكرهم والعهد ما اقروا به في جواب الست بربكم او ما عاهدوا الله عليه عند الوقوع في الشدة
من قولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم لفاسقين وان الشان علمنا بان اكثرهم خارجون
عن الطاعة متمردون والوجدان معناه العلم لدخول اللام المستلزمة للمبتدأ والخبر ثم بعثنا من بعدهم موسى
اي بعد الرسل المذكورين او المرسل اليهم وانما لم يدرج قصة موسى في تلك القصص ولم يسقها على ذلك
النمط لاشتمالها على وقايع كثيرة وغرايب عظيمة باياتنا معجزاتنا فظلموا بها ضمن معناه لدلالته على ان الكفر
منهم بتلك الآيات ظلم لانهم جحدوا الاتباع عن الايمان بسببها واذوا من آمن بها او ظلموا انفسهم بكفرهم بها
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين تامل وتدبر الخطاب عام وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين
اليك والى قومك وانما وصفه برب العالمين ليدخل فرعون فيهم واختار لفظة الرب رمزا الى انه منعم تجب
الايمان به شكرا لنعمته حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب لتكذيبه اياه ومعناه واجب على اداء
الرسالة على الوجه المطابق لنفس الامر هذا على قراءة تشديد الياء كما هو قراءة نافع واما على قراءة غيره
بسكون الياء فمحمول على القلب مبالغة كان الوجوب الذي هو صفته سرى الى القول او ضمن معنى الحرص او جعل
قول الحق بمنزلة رجل يجب عليه شيء ثم جعل ما يليه بمنزلة الواجب على قول الحق على طريقة الاستعارة المكنية
وفرعون لقب من ملك مصر كتبع لمن ملك اليمن والنجاشي لمن ملك الحبشة واسم فرعون موسى قابوس وقيل
اسمه وليد بن المصعب بن ريان والشهرة بالعتو والطغيان يشتق من اسمه الفعل فيقال تفرعن لكل من عتا
وتجبر قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل الى موطن آبائهم وهي بلاد الشام فانه كان استعبدهم
بعد الانبياء قال ان كنت جئت باية فات بها اي اظهر ما تزعم انك جئت به ان كنت من الصادقين في دعوتك
الرسالة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين واضح لكل احد لا يشك فيه والثعبان ضرب من الحيات طوال
وعبر عنه في النمل بالجان وهي حية بيضاء لاجتماع الصفتين فيهما روي انه لما القاه صار ثعبانا اشعر

لعدوا

فانجا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون
فوثب فرعون من سريره واستطلق بطنه ولم يكن احدث قبل كان يستفرغ ما ياكله وحمل على الناس فانهزموا
ومات من شدة الازدحام خمسة وعشرون الفا انسان ونادي فرعون يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك
بني اسرائيل فاخذه فاذا هو عصا مثل ما كان ونزع يده من تحت مدرعته وكان عليه جبة صوف فاخرج يده منها
فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا يغلب شعاعه شعاع الشمس وكان موسى آدم شديد الادمة للناظرين يتعلق
ببيضاء والمعنى ان بياضها كان خارقا للعادة يجتمع له النظارة تعجبا واما قصة ولادة وتبني فرعون وفراره
بعد قتل القبطي ترك ذكره هنا لكونه مستوفي في القصص ولم يتعلق بذكره هنا غرض قال الملاء من قوم فرعون
ان هذا لساحر عليم تقاولوا بهذه المقالة عند التشاور ويحكى هنا مقالة الملا وفي الشعراء مقالته للملاء او هو
القايل ابتداء وهذا كلام الملاء مع اتباعهم او قالوه للناس تبليغا عنه كما هو شان الملوك فان الخاصة
تبلغ اوامرهم الى العامة يؤيد قولهم ارجه واخاه يريدان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون الامر على حقيقته
ان كان كلام الملاء مع فرعون ومعناه الاشارة ان كان كلام فرعون مع قومه قالوا ارجه واخاه وارسل
يريدان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون الامر على حقيقته ان كان كلام الملاء مع فرعون ومعناه الاشارة
ان كان كلام فرعون مع قومه قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم من الارجاء
وهو التاخير اي اخره واخاه واحشر من ساير بلادك كل ساحر ماهر لمعارضته قرا نافع في رواية قالون
ارجه بكسر الهاء بلاهمز وكذا ورش عنه الا انه وصل كسر الهاء بالياء وابن كثير بالهمز ساكنا مع ضم الهاء
الموصولة بالواو وكذا ابو عمرو الا انه لم يوصل الضم وهشام عن ابن عامر فكابي عمرو وابن ذكوان
بالهمز وكسر الهاء دون وصل وعاصم وحمزة بسكون الهاء دون الهمزة والكسائي بكسر الهاء مع الصلة
كورش وقرا حمزة والكسائي سحار هنا وفي يونس ويؤيدهما الاتفاق عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون
اي بعد ارساله في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استفهموا ليقوى باعثهم فيكون ادعى
للنصح وقرا نافع وابن كثير وعاصم في رواية حفص على الاخبار جزما بوجوب الاجر لعظم الامر قال نعم جواب
عن الاستفهام او تصديق لذلك الخبر وانكم لمن المقربين عطف على ما دل عليه نعم زادهم على ما تصوروه
تحريضا لهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروه كما هو داب المتماثلين في المناظرة وقولهم
اما ان نكون نحن باقحام ضمير الفصل وتعريف الخبر يدل على انهم كانوا راغبين في البداءة بهم اجابهم الى ذلك
قال القوا تحقيرا لشانهم وازدراء بهم وثقة بما عنده فلما القوا سحروا اعين الناس خيلوا اليهم ما لا حقيقة له
واسترهبوهم ارهبوهم ارهابا شديدا السين للتاكيد لا للطلب وكانهم استدعوا رهبتهم وجاؤا بسحر
عظيم روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا وجعلوا فيها الزيبق فتوهم انها تتحرك وانها حيات عظام
بعضها راكبة فوق بعض واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف من لقف بالكسر اذا تناوله سريعا
ما يافكون اي القاها ففاجات لقف زورهم وحرفوه عن وجهه من الافك وهو الصرف وانما وضع المضارع
موضع الماضي استحضارا لتلك الصورة الهايلة وقرا حفص مخففا فوقع الحق ظهر بعد ما كان خفيا وبطل
ما كانوا يعملون ظهر بطلانه بحيث لم يبق فيه شبهة لما تلقفت تلك الحبال والاخشاب فكانت عصا على
على هيئتها الاولى قالت السحرة لو كان هذا سحرا لازداد جرم العصا فغلبوا هنالك في ذلك المكان او الزمان
وانقلبوا صاغرين صاروا او رجعوا الى المدينة اذلاء ملزمين من الصغار وهو الذل والقي السحرة ساجدين
من شدة مبادرتهم الى السجود كان ملقيا القاهم او بهرهم الحق فلم يتمالكوا او القاهم الله على وجوههم
من غير اختيار منهم فآمنوا مختارين قالوا آمنا برب العالمين لم يعطفه ايماء الى ان سجودهم كانه لم يثنهم
عن هذا القول لشدة مسارعتهم الى الايمان رب موسى وهرون بدل من رب العالمين دفع توهم ان رب

العالمين اريد به فرعون لقوله ما علمت لكم من اله غيري قال فرعون آمنتم به بموسى الاستفهام للانكار وقرا
عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي بتحقيق الهمزتين واسقط حفص الاولى وابدلها قنبل واوا هنا وفي الملك
قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا الى المناظرة لتخرجوا منها اهلها اي القبط
وتخلوا لبني اسرائيل فسوف تعلمون ما اجازيكم به من العقاب اجمال فصله بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
تقطيعا ناشيا من المخالفة بان يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى او بالعكس قيل انه اول من سن هذا العذاب
جعله الله جزاء قطاع الطريق لعظم جنايتهم ولذلك سمى فعلهم محاربة الله ورسوله ثم لاصلبنكم اجمعين
دلت لفظة ثم على انه بعد القطع لم يصلبهم على الفور بل تركهم زمانا مطروحين على الارض اخفافا لشانهم
ولما افاد هذا المعنى هنا ذكره بالواو في ساير السور اختصارا قالوا انا الى ربنا منقلبون استطابوا ذلك الغداء
لكونه وصلة الى لقاء الله تعالى وعن قتادة انهم كانوا اول النهار كفارا سحرة وآخر النهار شهداء بررة او ان
مصيرنا ومصيرك الى الله فيجازيك على ما فعلت بنا ويجازينا على اتباع الحق والصبر على عذابك او انا ميتون
لا محالة سواء كان بقتلك او بطريق آخر من اسباب الموت وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا
وما تعيب منا الا ما هو افضل المناقب واساس المآثر ومنه ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتايب وفيه ايماء الى فرط حماقة فرعون حيث جعل الايمان الذي لا يدانيه كمال سببا للقتل ربنا
افرغ علينا صبرا افضه علينا من افرغت الماء عليه اذ غمرته به استعارة تبعية طلبوا عند اشد العذاب
اجزل العطاء وقد روي البخاري انه قال صلى الله عليه وسلم لم يعط احد عطاء خيرا واوسع
من الصبر وتوفنا مسلمين منقادين لقضايك وقال الملاء من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا
في الارض بدعوة الناس الى مخالفتك روي انهم لما غلبوا آمن بموسى ستمائة الف من بني اسرائيل
فالهم ذلك فتقاولوا بهذه المقالة ويذرك وآلهتك كان من فرط عتوه جعل اصناما لقومه على طريقة
عبدة الاصنام ليتقربوا بعبادتها اليه لدى الحاجة ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقيل كان يعبد
الكواكب وليس بشيء لقوله ما علمت لكم من اله غيري ويذرك منصوب بالعطف على ليفسدوا واللام
للعاقبة على طريقة قوله ليكون لهم عدوا وحزنا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك
جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والمعنى ان يكون منك ترك موسى ويكون منه تركه
اياك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل قبل ولادته لئلا يظن العامة
انه المولود الذي تحدث الكهنة والمنجمون بزوال ملكنا على يده قرا ابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة
والكسائي بضم النون وفتح القاف وتشديد التاء وهو ابلغ واوفق بالمقام وانا فوقهم قاهرون
مستمرون بصفة القهر لم نزل قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا جواب سؤال كانه قيل ماذا
قال موسى حين قال فرعون تلك المقالة وانما قال موسى لقومه ما قال تشجيعا لهم وتسلية بقوله
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده فلا اعتبار بمقالته والعاقبة للمتقين الجامعين بين
الطاعات واجتناب المعاصي وفرعون وقومه ليسوا في شيء من ذلك وانما لم يسنده الى نفسه مع كونه
جازما بذلك هضما لنفسه قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء والا ستعباد
ومن بعد ما جئتنا باعادة ذلك فنحن اذا اظهرنا الجزع فلنا فيه معذرة قال عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون اتشكرون ما من به عليكم من الامارة بعد الرق
والعبودية ام تكفرون روي ان عمرو بن عبيد دخل على المنصور قبل الخلافة فلم يكن على مايدته
الا رغيفان فطلب الزيادة لعمرو فلم يوجد رغيف آخر فقرا عمرو هذه الآية ثم دخل عليه
بعد الخلافة فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص

من الثمرات بالجذب والقحط وقلة الامطار والسنة غلبت على عام القحط لان الوقايع بها تورخ و
لكثرة دورانها على السنتهم لعلهم يذكرون ان ذلك بسبب كفرانهم النعم فيسارعوا الى التوبة
بشكر موليها فاذا جاءتهم الحسنة والرخاء لكونه في مقابلة الجدب فاللام للعهد الخارجي ولما كان
وقوع الخصب والرخاء اكثريا والسيئة التي تقابلهما نادرا اتى في الاول باذا مع الماضي وفي
الثاني بان مع المضارع ولا يرد قوله واذا مس الناس الضر لان المراد اي ضر كان بالنسبة الى
الانسان المعرض الكافر للنعمة الجديد بان يصيبه كل آفة قالوا لنا هذه مخصصة بنا لمزية فينا نوجب
الاختصاص وان تصبهم سيئة قحطه وفاقه يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون هذا بشومهم
وهذا عرف العرب فانهم كانوا يسمون الشوم طيرا وطايرا وطيرة لتشاءمهم بالبارح ونعيق الغراب والآية
دلت على فرط غباوتهم بعد الا ان دعوى الاختصاص مع انهما كهم في الطغيان ونسبة السيئة الى
من هو مستغرق في شكر نعم الله قايم باوامره ونواهيه نهاية الغي والجهالة الا انما طايرهم عند الله اي
ذلك الشوم انما هو بتقدير الله ومشيته المسبب عن كفرانهم ومعاصيهم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم
ان عذابي لشديد ولتماديهم في الغفلة صدر الجملة بحرف التنبيه وانما ولكن اكثرهم لا يعلمون الامور على
وجهها ليوديهم ذلك الى العلم بان الامر كله لله وقيد الاكثر يدل على ان قليلا منهم كانوا عالمين بذلك
ولكن تابعوا الاكثر في هواهم وقالوا مهما اصله ما الشرطيه زيد عليها ما للتاكيد ولاستثقال التكرار
قلب الالف هاء وقيل مركبة من مه الذي هو اسم الفعل بمعنى اكفف وما الجزائيه ومحلها الرفع على الابتداء
او النصب على شريطة التفسير تاتنا به اي تحضرنا به من آية بيان لما وتسمية ما جاء به آية تهكم
او على زعم موسى لتسحرنا بها ذكر الضمير اولا وانثه ثانيا نظرا الى اللفظ والمعنى فما نحن لك بمومنين
افتاط لموسى وردع له عن الاشتغال باظهار المعجزات فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع
الطوفان مصدر كالغفران من طاف بالشيء قيل مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا
ولا يقدر احد على الخروج من داره وامتلات بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء وبيوت بني اسرئيل مشتبكة
ولم يدخل فيها قطرة وامتنعوا بذلك عن اسباب المعاش وقيل هو الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم
فبقي في الارض وقيل هو الموت الذريع فاستغاثوا لموسى فدعا لهم فارتفع عنهم فاقاموا شهرا ثم نقضوا
فارسل عليهم الجراد فاكل كل شيء حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيت بني اسرئيل ولا اكل من اموالهم
شيئا ففزعوا الى موسى فدعا واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي فلما كشف عنهم
نقضوا العهد فسلط عليهم القمل جمع قملة دويبة اصغر من القردان وعن ابي عبيدة هي كبار القردان
وقيل هي اولاد الجراد قبل نبات جناحها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد قيل
لما عصوا بعد انكشاف الجراد كان الى جنبهم كثيب فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذ في اكل ابشارهم واشعارهم
واشفار عيونهم وحواجبهم فتابوا الى الله فانكشف عنهم فاقاموا يسيرا ونقضوا التوبة فارسل عليهم الضفادع
فامتلات بيوتهم وآنيتهم ضفادع وكان اذا اراد القبطي التكلم وثب الضفدع الى فيه وامتلات مضاجعهم
فلم يقدروا على الرقاد فلجاوا الى موسى فدعا الله فكشف ما بهم فاقاموا يسيرا ثم نقضوا العهد فارسل الله
عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال هذا من سحره فشرع يجمع القبطي والاسرئيلي
على اناء واحد فما يلي الاسرائيلي يكون ماء قراحا وما يلي القبطي دما عبيطا حتى ان المراة القبطية تقول
لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجي في فيَّ فتفعله فيصير ما في فيها دما وقيل جرت
عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف قيل مكث موسى فيهم عشرين سنة بعد قصة السحرة
يدعوهم الى الله ويريهم الآيات يتوبون تارة ينقضون اخرى آيات مفصلات لا يشك العاقل

انها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره او فصل بعضها عن بعض بزمان ليعلم حال توبتهم هل هم مخلصون ام لا الزاما
للحجة فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين مستمرين على الاجرام ولما وقع عليهم الرجز هو العذاب المفصل وقيل
هو الطاعون ارسل عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بنبوتك فان النبوة عهد من الله
لرسله كما يكتب الملوك للولاة العهود والمناشير او بالذي عهد اليك من الاسرار والاسماء التي اذا دعوت بها اجابك
وعلى الوجهين الباء صلة ادع وحال اي متوسلا بما عهد عندك او الباء للقسم جوابه لئن كشفت عنا الرجز لنومنن
لك ولنرسلن معك بني اسرئيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه في علم الله وهو الوقت المقدر لاهلاكهم
وقيل الى وقت عينوه لايمانهم وكانهم كانوا عينوا وقتا يجتمع فيه الحاضر والبادي والوجه هو الاول اذا هم
ينكثون فاجئوا النكث ونقض العهد جواب لما واذا الفجائيه سدت مسد الفاء فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام
لان ما يعقبه من الاغراق هو الانتقام ويحتمل كون الفاء تفسيرا فاغرقناهم في اليم في البحر وقيل بحر لا يدرك
قعره وقيل لجته بانهم كذبوا باياتنا اي ذلك الاغراق تسبب عن تكذيبهم بتلك الآيات وكانوا عنها غافلين مستمرين
على الغفلة اشارة الى ما حل بهم ليس ناشيا عن التكذيب وحده حتى لو تداركوا التكذيب لم يحل بهم ما حل
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بذبح الابناء وساير انواع الخدمة مشارق الارض ومغاربها ارض الشام
ملكها بنو اسرائيل بعد هلاك فرعون والعمالقة وتمكنوا فيها التي باركنا فيها بالاشجار والانهار وبانها موطن الانبياء
ومثابة الاولياء وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرئيل ما وعد بقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين والحسنى تانيث الاحسن واستعمال التمام بعلى مبالغة في انجاز الوعد كانه
استعلاهم وشملهم بما صبروا بصبرهم حين قال لهم موسى استعينوا بالله واصبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون
اهلكنا واعدمنا مكايده ومحونا آثار تخيلاته واباطيله من الدمار وهو الهلاك وما كانوا يعرشون
من القصور والبنيان العالية كصرح هامان وما رفعوه من الكروم والبساتين قرا ابو بكر عن عاصم
وابن عامر بضم الراء روي ان فرعون عاش اربعماية عام لم يصبه مرض وشيد القصور فاعدمه الله
وما فيه في طرفة عين تمت قصته هنا وجاوزنا ببني اسرئيل البحر شرع في قبايح بني اسرئيل وذكر ما قابلوا
به نعم الله العظام من انواع الجهالات فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم يقبلون على عبادتها ملازمين
من عكف على الشيء اقبل عليه مواظبا والقوم كانوا من العمالقة الجبارين الذين امر الله بقتالهم
وقيل من لخم وقرا حمزة والكسائي بكسر الكاف والباقون بالضم قالوا يا موسى اجعل لنا الها نتقرب
به ونجعله وسيلة الى المعبود الحقيقي كما لهم آلهة يتوسلون بها قال انكم قوم تجهلون دابكم الجهل يحدث
منكم وقتا بعد وقت قيل تلك التماثيل التي راوها كانت على صورة البقر ومن هنا لك ما لوا الى
عبادة عجل السامري وفي بلاد الهند الى الآن طايفة من السامرة يعبدون البقر وقد سمعت جما غفيرا
ان ملوكهم يلطخون اشرف مواضعهم بروث البقر تقربا به الى الله واما ذبح البقر فعندهم لا جريمة
فوقها ان هولاء متبر ما هم فيه مهلك لا ثبات له من التبار وهو الهلاك وباطل ما كانوا يعملون من
عبادة الاصنام لا يويده دليل فالاول بالنظر الى الاعتقاد والثاني بالنظر الى العمل ولذلك
نسب الى الاول الهلاك والى الثاني البطلان قال اغير الله ابغيكم الها ومعبودا من بغيته الشيء طلبته
له وهو فضلكم على العالمين بانواع الكرامات لم يشاركه في ذلك احد ولا سبق لكم لذلك استحقاق واي
فايدة في ذلك اذا كان هو المنفرد واذ انجيناكم من آل فرعون النداء كلام من الله تصديقا لموسى و
تقريعا لبني اسرئيل اي واذكروا تلك النعمة العظيمة وقرا ابن عامر انجاكم فيكون من مقول موسى
والاول هو المختار لموافقته وواعدنا ولكونه اقعد معنى ولتغيير الاسلوب يسومونكم سوء العذاب يريدونكم
عليه فهو من سمته الشيء اذا اجبرته عليه وسوء العذاب من اضافة الصفة الى الموصوف يقتلون

ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان لسوء العذاب وصيغته التفعيل للدلالة على كثرة القتل وقرأ نافع
يقتلون بفتح الياء مخففا وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم في الانجاء نعمة عظيمة او في العذاب نقمة جسيمة وواعدنا
موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر لما كانت بنو اسرائيل بمصر وعدهم موسى بان يأتيهم بكتاب بعد هلاك
فرعون يكون فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه ذلك الكتاب فامره بصوم
ثلثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما فرغ منه استاك فقال الله تعالى له اما علمت ان خلوف الصائم
اطيب عندي من ريح المسك فصام عشر ذي الحجة قرأ ابو عمرو وعدنا باسقاط الالف حيث وقع وهو
المختار لان الوعد منه تعالى وحده وعليه رسم المصاحف فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين نصب
على الحال وقيل خبر تم لانه فعل ناقص وانما ذكر الليل وان كان الصوم في النهار لان الليالي غرر الايام
وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفة عليهم لان هرون وان كان نبيا لكن كان موسى صاحب
الشريعة واقدم منه وان كان اصغر سنا منه واصلح ما يفسدونه من امر الدين لعلمه بجهالة بني اسرائيل
ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تسلك سبيل من يدعوك الى الافساد فلما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي
وقتناه لمجيئه فاللام للاختصاص اي اختص مجيئه بذلك الوقت ويقال له لام التبيين والتوقيت مثله
اقم الصلوة لدلوك الشمس وكلمه ربه من وراء حجاب بلا واسطة اي اسمعه كلامه القديم بلا صوت وحرف
او اوجد اصواتا وحروفا في سمعه فلما سمع الكلام هاج شوقه الى رؤية المتكلم قال رب ارني انظر اليك
ارني نفسك اي مكني من رؤيتك فانظر اليك فاراك وهذا لان الرؤية مسبوقة بالنظر يقال نظرت
الى الشيء فلم اره قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني علق رؤية موسى على رؤية
الجبل ولا ريب انه امر ممكن فيكون المعلق عليه ايضا ممكنا ولا يلزم من قوله لن تراني نفي امكان الرؤية
مطلقا ولذلك لم يقل ذلك محال او لن أرى ولا قيد المنفي بلن بما يفيد التأبيد وقد روى البخاري
ومسلم عنه صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون الشمس وقت الظهيرة ليس دونها سحاب وحمل الرؤية
على المعرفة لا وجه له لانه صرف الحقيقة من غير ضرورة والرؤية بخلق الله لا تستدعي الجهة ومن جوز سماع
كلامه من غير جهة ومنع الرؤية واستحاله كذلك فقد اتى بما لا يرضيه عاقل واما قوله لا تدركه الابصار
فلا يقوم دليلا لان الادراك هو الاحاطة وتحقيق هذه المسئلة مع الاطناب في علم الكلام فلما تجلى ربه
للجبل بعد ان خلق فيه الرؤية جعله دكا مدكوكا مندثرا مساويا للارض وقرأ حمزة والكسائي دكاء
ممدودا اي ارضا مستوية وكان في ذلك ارشادا لموسى الى انه مع تلك القدرة في هذه الدار لا يمكن له
ذلك وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك من جرأتي واقدامي
على تلك المسئلة من غير استئذان وانا اول المؤمنين بان الرؤية في هذه الدار لا تكون وله تفسير آخر تقدم
قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي باحكام التورية فان كل حكم رسالة من الله وقرأ نافع
وابن كثير بالتوحيد وهذا اوفق بما بعده وبكلامي بتكليمي اياك فخذ ما اتيتك من الرسالة والتقريب وكن
من الشاكرين على هذه النعمة التي هي اقصى مراتب البشر وان تفاوتت الافراد فيها ولو حظت الرؤية لموسى
لم يبق لسيد البشر ما يمتاز به عن سائر الرسل فكانت مدخرة له صلى الله عليه وسلم وكتبنا له في الالواح
من كل شيء يحتاجون اليه في امر دينهم مثله واتيت من كل شيء موعظة بدل من محل المجرور وتفصيلا لكل
شيء عطف على البدل اي وكتبنا له في الالواح المواعظ وتفصيل الاحكام فالاول بالنظر الى الاعتقاد
والثاني الى العمل والالواح كانت عشرة وقيل سبعة كانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر وقيل من صخرة
لينها موسى فقطعها بيده فخذها الالواح عطف على كتبنا بتقدير القول وجعله بدلا من فخذ والضمير
للرسالة بعيد بقوة بجد وعزيمة كما هو شان اولي العزم وأمر قومك يأخذوا باحسنها ارشدهم الى

وهو النبي اول من آمن
من امته

الاولى والاخلق فان التورية فيها الاحسن والحسن وهذا مثل قوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم سأريكم
دار الفاسقين مصر دار فرعون واتباعه وستر ونها خاوية على عروشها او ديار عاد وثمود في ممركم الى
الارض المقدسة او جهنم يوم القيمة وانما ذكره بعد الامر بالاخذ بما في التورية من الاحكام تحذيرا عن
المخالفة لشيء منها فيحل به ما حل باولئك ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض باهلاكهم
وعدهم بانهم منصورون ويفعل بعدوهم ما فعل بفرعون او اصرفهم عن ابطال الآيات وان اجتهدوا و
بذلوا وسعهم كما فعل فرعون بعد ما افرغ جهده في ابطال معجزات موسى بغير الحق صلة يتكبرون اي
يتكبرون بما يغاير الحق وهو دينهم الباطل او حال عن الفاعل اي يتكبرون غير محقين فان المتكبر حقا
هو الله وان يروا كل آية يمكن اتيان الرسل بها لا يؤمنوا بها لان الطبع قد سد طريق الادراك عليهم وان
يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لان على ابصارهم غشاوة قرأ حمزة والكسائي الرشد بفتح الراء
والشين وهما لغتان كالسقم والسقم وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا لانهم عماة يقودهم الشيطان
اليه ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي عدم الايمان بالآيات وترك سبيل الرشاد و
سلوك سبيل الضلال بسبب تكذيبهم بالآيات او ذلك الصرف للتكذيب بالآيات والغفلة عنها ذلك
رفع على الابتداء او نصب على المصدر والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة لقائهم الآخرة او ما وعدهم
الله في الدار الآخرة من اضافة المصدر الى المفعول او الظرف حبطت اعمالهم لعدم الايمان الذي هو الاساس
هل يجزون الا ما كانوا يعملون لا يجزون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه
الى الطور شروع في نوع آخر من قبايح بني اسرائيل من حليهم جمع حلي كثدي جمع ثدي قرأ حمزة والكسائي
بكسر الحاء اتباعا لكسر اللام عجلا جسدا كساير الاجساد له خوار هو صوت البقر قيل صار ذا لحم ودم وحصل
فيه الحيوة لانه رمى فيه قبضة من تراب موطئ فرس جبرئيل وقيل بل كان ذا جوف فيه انابيب وضعه
السامري على مهب الريح فاذا دخل جوفه وسرى في تلك الانابيب يظهر منه صوت يشبه صوت البقر
فان قلت الحلي كان للقبط وكان مستعارا في يد بني اسرائيل والغنايم لم تحل لاحد قبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وامته بل كانوا يجمعون الغنايم فيحرقونها بالنار قلت لعل موسى لم يطلع على تلك الحلي
في ايدي بني اسرائيل ولذلك احرق العجل بعد رجوعه ونسفه في اليم نسفا او قضية بني اسرائيل مستثناة
لقتل القبط ابناءهم واستعبادهم اياهم يدل عليه قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون ومقام كريم كذلك
واورثناها بني اسرائيل وانما نسب الاتخاذ الى قوم موسى والمتخذ هو السامري لرضاهم بذلك او لكونهم
اتخذوا الها يعبدونه الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا قدروا عدم اقتداره على ما يقدر عليه
احاد البشر من مجرد الكلام والهداية الى سبيل ما ومع ذلك اتخذوه الها تفريع على فرط غباوتهم اتخذوه
وكانوا ظالمين اعادة مقيدة بما يفيد زيادة التوبيخ اي ليس ذلك الاتخاذ اول منكر صدر منهم بل دأبهم
الاستمرار على وضع الاشياء في غير موضعها ولما سقط في ايديهم اي ندموا غاية الندم لان من اشتد ندمه
يعض بنانه قال شعر وكانني سبابة المتندم واصل التركيب سقط افواههم في ايديهم حتى
كانهم لم يتمالكوا بل كانوا عضوا الايدي من غير اختيار منهم فالكلام كناية ورأوا انهم قد ضلوا ظهر لهم
ظهور المحسوس قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا ما صدر منا لنكونن من الخاسرين الكاملين
في الخسران قرأ حمزة والكسائي الفعلين بالخطاب ونصب ربنا على النداء والخطاب اوفق بالمقام لدلالته
على الاستكانة لمن يقبل التوبة عن عباده والغيبة حكاية فيما بينهم ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا
اخبره تعالى بقوله انا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع الى قومه والاسف الحزين وفي
الحديث ان ابا بكر رجل اسيف اي حزين بكاء قال بئسما خلفتموني الخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين

حتى ان يوجد من زين الكلام
لا من مفرد من مفرداته

لقوله لهرون اخلفني في قومي وفاعل بئس مضمر يفسره ما والمخصوص محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها
خلافتكم من بعدي اي بعد ما رأيتم من التوحيد والذب عن عبادة غير الله تعالى وحمل البعدية على
بعدية الانطلاق يأباه لفظة الخلافة وجعله من قبيل ابصرته بعيني لا يناسب المقام اعجلتم امر ربكم
ما امركم به من الانتظار اربعين يوما يقال عجل زيد عن امره اي تركه غير تام فضمن معنى السبق او حذف
عنه الجار روي ان موسى وعدهم بالرجوع في اربعين يوما فعدوا عشرين يوما اربعين اعتدادا بالليالي
لفرط بلادتهم والقى الالواح التي كان فيها التورية لفرط غضبه وكان شهيرا بالحدة والشدة في الدين وهرون
عكس ذلك من سلامة الاخلاق ولين العريكة ولذلك كان احب الى بني اسرائيل واخذ برأس اخيه يجره اليه
ظنا منه انه قصر من اب وام ترقيقا له بانهما ولدا من بطن وارتضعا ثديا قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم
وحمزة والكسائي بكسر الميم لان اصله امي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة والباقون بفتح الميم تشبيها بخمسة
عشر دوما للتخفيف ان القوم استضعفوني عدوني ضعيفا وكادوا يقتلونني ازاح ذلك لومهم بانه بالغ
في النصح حتى قاربوا قتله وهذا القدر كان واجبا عليه من النهي عن المنكر فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلهم
فرحين بي من الشماتة وهي فرح العدو بما نزل بعدوه ولا تجعلني مع القوم الظالمين في عدادهم وخزيهم
قال رب اغفر لي ما فرط من القاء الالواح المسطور فيها كلامك وعدواني على اخي ولاخي ان ندر منه نوع
تقصير وادخلنا في رحمتك الواسعة كل شيء وانت ارحم الراحمين تجزي النوال على قليل من الشكر ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم ابتداء كلام منه تعالى بان من عبد العجل وان لم يصبه على الفور جزاء
جريمته فسينال له غضب الله وانتقامه وهؤلاء ان كانوا هم التائبين فالغضب هو قتلهم انفسهم وان كانوا
غير التائبين فعذاب الآخرة وذلة في الحيوة الدنيا بخروجهم عن ديارهم لان ذل الغربة شديد وقيل ما نال
ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير في زمن رسول الله من القتل والجلاء وكذلك نجزي المفترين على الله
ولا فرية اعظم من ادعاء الالوهية في ولد البقر والذين عملوا السيئات الكفر وساير المعاصي ثم تابوا من
بعدها الى الله منها وآمنوا اخلصوا الايمان او اتوا بما هو من مواجبه ومن الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها
لغفور ستار لتلك المعاصي رحيم يبدلها حسنات من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات ولما سكت عن موسى الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم شبه الغضب بالحامل والمغري له على
ما فعل وسكونه بالسكوت اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها فعلة بمعنى المفعول كالقبضة
والخطبة هدى الى الرشاد ورحمة للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل
لتقدم المفعول مثله ان كنتم للرؤيا تعبرون او المفعول محذوف واللام للتعليل اي يرهبون المعاصي
لله لا لامر آخر واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا اي من قومه بحذف الجار وايصال الفعل
وهذا كثير في فصيح الكلام اذا امن اللبس روي انه تعالى امره ان يأتيه الى الطور في سبعين من
قومه من كل سبط فرقة ليسمعوا كلامه موسى بالاوامر والنواهي فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة فا
ختار من كل سبط ستة نفر فزاد اثنان فتشاحوا في التخلف فقال موسى من يخلف له اجر من حضر فا
يوشع وكالب التخلف فخرج موسى متقدما قومه كما اخبر عنه وما اعجلك عن قومك يا موسى وقيل
قدومهم وحضورهم كان سؤال رؤيته وما جرى له من الصعقة واندكاك الجبل وانابته قبل له بعد
ذلك عن تقدمه على قومه مع انه كان مأمورا باستصحابهم فاجاب بان موجب التقدم هو المسارعة
الى مرضاته فقال انا قد فتنا قومك من بعد ذهابك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه مع اخيه
وقومه ما حكاه الله في كتابه وعاد الى الطور معه السبعون فلما دنوا من الجبل غشيته غمامة فدخل
موسى بهم الغمامة وخروا سجدا فسمعوا كلامه موسى بالاوامر والنواهي فلما انكشف الغمام قالوا لن نؤمن

لك حتى نرى الله جهرة فلما اخذتهم الرجفة رجف بهم الجبل فخروا امواتا لقوله تعالى ثم بعثناكم من بعد
موتكم فان قلت قوله تعالى في سورة النساء فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم
البينات يدل على ان اتخاذ العجل متأخر عن رجفة الجبل بهم قلت ثم هنالك محمول على التراخي الرتبي
للاتفاق على ان اتخاذ العجل كان قبل مجيء موسى بالتورية ولانه حكى في سورة البقرة قضية العجل قبل
اخذ الصاعقة والقرآن يفسر بعضه بعضا قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اي لو شئت هلاكهم
وهلاكي من قبل مجيئنا لكنت قادرا ولم تفعله فنحن نرجو رحمتك وقيل تمنى هلاكهم وهلاكه خوفا من قومه
لئلا يقولوا له انت اهلكتهم روي هذا عن مقاتل وهو بعيد لما رواه البخاري لا يتمنين احدكم الموت
لضر نزل به اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من طلب الرؤية عيانا فالاستفهام على حقيقته لانه يفعل ما يشاء
في ملكه او بمعنى النفي لا تفعل ذلك لانك لا تأخذ احدا بجريمة الآخر ولعل ذلك السؤال كان من بعضهم
وقيل المراد بفعل السفهاء عبادة العجل لان موسى اختار السبعين لميقات التوبة وليس بشيء لان آية التوبة
عن عبادة العجل لم يكن لها ميقات بل التوبة عنها كان بقتل انفسهم ولما تقدم من ان اختيار السبعين كان
قبل عبادة العجل ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت الذي ابتليتهم وسببت لهم
اسباب تلك الجريمة منك العفو ايضا يرتجى انت ولينا متولي امورنا والقائم بها فاغفر لنا ما فرط منا
وارحمنا وتفضل علينا بعد العفو بنعمك وانت خير الغافرين تكتب بعد التوبة مكان السيئة الحسنة وفي
الحديث من هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة وانما فصل الآية الاولى بارحم الراحمين لان غضبه
كان لله وظهرت براءة اخيه بخلاف سؤال الرؤية من قومه فانها جريمة عظيمة تناسب الغفران واكتب لنا
في هذه الدنيا حسنة عيشة طيبة من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة
وفي الآخرة بدخول الجنة والفوز بلقائك انا هدنا اليك اي تبنا من هاد يهود اذا تاب وهو كالعلة
للسؤال السابق قال عذابي اصيب به من اشاء لا علة لصنيعي نافذ الى قوله ان هي الا فتنتك ورحمتي وسعت
كل شيء لم تخل عنها ذرة لان اول الكمالات هو الوجود الشامل للكائنات فساكتبها قد كتبتها فالسين
للمبالغة والمضارع للتصوير بصورة الحاضر او فساظهرها للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون
الزكوة افرده بالذكر لانه اشق وهذا الامة موسى ثم اردفه بمن يؤمن من اهل الكتاب بمحمد صلى الله عليه
وسلم بقوله والذين هم باياتنا يؤمنون بكلها لا يفرقون بين احد من رسله الذين يتبعون الرسول
النبي خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره يأمرهم او بدل من الذين هم باياتنا يؤمنون بدل الكل لا البعض
وجعله بدلا عن الذين يتقون انما يستقيم اذا جعل الواو المتوسطة لتغاير الصفات وهو خلاف الظاهر
مع انه لم يبق لمتقي امة موسى ذكر مع تلك الرحمة المدخرة وانما قدم الرسول مع كونه اخص والقياس
تأخيره تقديما لاشرف الوصفين او لكونه رسولا من الله نبيا مخبرا لامته الامي هو من لا يكتب منسوب
الى امه اي هو على جبلته والعرب كانت تسمى امية لعزة الكتابة فيهم قال تعالى هو الذي بعث في
الاميين رسولا امية وهو وصف كمال ناف للريب عما اتى به قال تعالى ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب
المبطلون الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل الكتابين المختصين بهم باسمه وعلامته
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر يحتمل ان يكون هذا ايضا في التورية والانجيل او هو مدح له ابتداء
منه تعالى ويحل لهم الطيبات ما كان محرما عليهم في شريعة موسى ويحرم عليهم الخبائث من الدم
والميتة ولحم الخنزير والربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم اصله الحبس والضيق وفي الحديث من تأخر
عن الجمعة له كفلان من الاصر اي الاثم وعليه يحمل لان التكاليف الشاقة علمت من قوله والاغلال
التي كانت عليهم جمع غل وهو القيد شبهت بها التكاليف الشاقة في شريعة موسى من بت القضاء

بالقصاص وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة في الثوب والعضو وعن عطاء انهم كانوا يغلون
ايديهم الى اعناقهم في الصلوة وقرا ابن عامر اصارهم بصيغة الجمع وهو المختار لكونه نصا في الانواع
وموافقته للاغلال فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه مرة بعد اخرى واصله المنع ونصروه من عطف العام
على الخاص او اريد بالتعزير لازمه وهو التعظيم والتوقير واتبعوا النور الذي انزل معه النور الذي هو
القرآن لانه اماط ظلمة الجهل والمراد انزاله مع نبوته او الظرف متعلق باتبعوا اي اتبعوا القرآن مع
اتباع النبي في اقواله وافعاله فيكون وصفا لهم بالايمان بشريعته اولئك هم المفلحون الفائزون بكل بغية
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا يبين لهم ان شانه مباين لشان ساير الانبياء فانه مبعوث
الى الناس كافة لئلا يظنوا انه مبعوث الى العرب وقد رفع البخاري اليه صلى الله عليه وسلم انه
قال بعثت الى الاحمر والاسود كان كل نبي يبعث الى قومه الذي له ملك السموات والارض جر على الوصف
وتوسط الجار والمجرور مع متعلق به لا يقدح في ذلك او بدل او مدح مرفوع او منصوب او مبتدا خبره
لا اله الا هو وقيل على الوجوه الاول بدل اشتمال من الصلة او بيان يحيي ويميت يقرر معنى الالوهية
لان المنفرد بها له الاحياء والاماتة فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
وكتبه المنزلة وفي هذا الوصف ترغيب لهم في الايمان فانه مصدق بالكتب المنزلة على سابق الانبياء
وانما التفت الى الغيبة اشارة الى ان المامور باتباعه هو هذا الموصوف كائنا من كان اظهارا للنصفة
وتباعدا عن التزكية واتبعوه فيما يامركم به لعلكم تهتدون لكي ترشدوا وانما ختم الآية الاولى بالفلاح
وهذه بالاهتداء لان مضمون تلك ان المتصف بتلك الصفات ومضمون هذه الامر بالاتباع للاهتداء
الى الحق الموصل الى ذلك الفلاح وقدمه في الذكر لكونه مقصودا بالذات ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون اي من بني اسرائيل طايفة على الحق يدعون اليه وبالحق يعدلون في الاحكام
هم الذين آمنوا برسول الله كعبد الله بن سلام واضرابه او هم القائمون بالحق في زمانه واستمروا على
ذلك وقيل قوم وراء الصين مر عليهم رسول الله ليلة المعراج فعلمهم عشر سور من القرآن ولم يكن نزل
فرضه بمكة غير الصلوة والزكوة ففيه ان الصلوة انما فرضت ليلة المعراج اتفاقا ولم تكن الزكوة
فرضية يومئذ قط وابعد من ذلك ان رسول الله امرهم بالحج والحج فرض سنة ثمان من الهجرة وقطعناهم
صيرناهم فرقا يمتاز بعضها عن بعض اثنتي عشرة اسباطا مفعول ثان لان التقطيع ضمن معنى التصيير
وانما جاء اسباطا وتمييزا عدا العشرة مفرد لانه بمعنى القبيلة لان السبط ولد الولد فلو قيل اثنتي عشرة
سبطا لفهم منه اثنا عشر فردا وليس كذلك فالاسباط والقبيلة كالمترادفين امما اي وقطعناهم
امما اي قبايل فان كل قبيلة منهم كانت امة عظيمة واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان
اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست والحذف لامن الالباس وفيه اشارة الى ان الموحى
اليه لم يتوقف في الامتثال وان فعله لم يكن له تاثير في ذلك بل كان ذلك بمحض خلق الله اثنتا عشرة عينا
قد علم كل اناس مشربهم كل سبط وظللنا عليهم الغمام جعلناه ظله تقيهم الحر وانزلنا عليهم المن
والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا بطلب البقل والعدس ولكن كانوا
انفسهم يظلمون ينقصون حظها واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم
وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا سبق تفسيره في اول البقرة ولا تنافي بين الواو والفاء ولا بين
تقديم ادخلوا هنالك وتاخيره هنا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين قرا نافع وابن عامر تغفر بضم تاء
التانيث وفتح الفاء وابو عمرو وابن كثير والكوفيون بالنون وكسر الفاء وقرا ابن عامر خطيئتكم بالتوحيد
والرفع ونافع ايضا بالرفع بالجمع مصححا وابو عمرو بالجمع مكسرا خطاياكم والباقون مصححا منصوبا والمختار

الاجماع على ان اول واجب بعد التوحيد الصلوة ثم الزكوة ثم الصوم ثم الحج

الاول للكشاف والثاني للنسفي

قراءة ابي عمرو ولكثرة خطاياهم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء
بما كانوا يظلمون الرجز هو الطاعون واسئلهم يريد سؤال توبيخ ليذكروا ذلك فيخجل اصولهم ليظهر لك
ان لهم في الطغيان سلفا غير صالح عن القرية شان اهلها مجاز بالحذف التي كانت حاضرة البحر كاينة على شاطيه
ايلة او طبرية او مدين اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد ظرف كانت او حاضرة او بدل اشتمال
من المضاف المحذوف اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعض عن البدل او بدل بعد بدل والحوت واحدة
الحيتان بمعنى السمكة يوم سبتهم يوم تعظيمهم مصدر سبتت اليهود عظمت ذلك اليوم واصله الراحة
والسكون فانهم كانوا لا يشتغلون فيه بشيء شرعا شارعات من عمق الماء الى الحد ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن الطاعة روي انهم امروا بتعظيم يوم الجمعة
فلم يفعلوا واختاروا السبت فحرم الله عليهم فيه الصيد ابتلاء فكانت الحيتان تاتيهم بارزة على وجه
الماء واصلة على الساحل لا يرى وجه الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم لا يرون منها شيئا
فلبثوا على ذلك برهة من الدهر فاحتالوا وشرعوا مشارع تدخلها الحيتان يوم السبت ويصطادونها
يوم الاحد واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا لما احتالوا
تلك الحيلة قالت صلحاؤهم ارتدعوا عما تفعلون فان الله لا تمشي عليه الحيل وبالغوا في ذلك
فلما لم يرفعوا كذلك راسا قال بعض الصلحاء لبعضهم لم تتعبون انفسكم في الوعظ والنصح مع
قوم مصرين اراد الله استيصالهم في الدنيا وعذابا شديدا يوم القيمة وانما علموا احد الامرين من
سنة الله في المجرمين قالوا معذرة جواب احدى الطايفتين من الصلحاء للاخرى اي سنستمر على الوعظ
اظهار عذر الى الله لئلا ينسب الينا تفريط في النصح وقرا حفص عن عاصم معذرة بالنصب مفعولا مطلقا
او له والرفع اقعد واوفق لفظا لقلة الحذف الى ربكم ولعلهم يتقون اذ ما داموا احياء يرجى منهم
ذلك وقيل القائلون لم تعظون طايفة من الفرقة الهالكة قالوا ذلك للوعاظ تهكما وذلك التقدير
كان المناسب لعلكم والاعتذار بان الغيبة باعتبار لفظ الطايفة فلما نسوا ما ذكروا به تركوه ترك
التناسي غير مبال به انجينا الذين ينهون عن السوء عن المنكر واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس شديد
فعيل من بئس يباس اشتدت حاجته وقرا نافع مكسور الباء بياء ساكنة كعيس وابن عامر كذلك
بهمزة ساكنة كبير وابو بكر بفتح الباء وسكون الياء بعدها همزة مفتوحة كجعفر بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا او رفعوا انفسهم عن الامتثال واصل العتو التجاوز عن الحد قال
وقد بلغت من الكبر عتيا قلنا لهم كونوا قردة تعلقت ارادتنا بذلك عبر عنه بالقول على سنن الملوك
او جرت عادته بايجاد الاشياء بلفظة كن خاسئين صاغرين مطرودين من خسئ بالكسر اذا صغر روي
ان الوعاظ لما ايسوا من قبول نصحهم قسموا القرية بجدار وتركوا بابا للطروق فاصبحوا يوما ولم يروا
احدا من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فراوهم قردة ثم ماتوا بعد ثلث وفي الحديث
لم يبق من الامة الممسوخة نسل واذ تاذن ربك تفعل من الاذن وهو الاعلام ومنه الاذان
ولما في صيغته من المبالغة اجري مجرى فعل القسم ليبعثن عليهم الى يوم القيمة ليسلطن عليهم من يسومهم
يكلفهم من سامه كلفه سوء العذاب العذاب السوء من اضافة الصفة الى الموصوف وقد خرب بخت
نصر سليمان وديارهم وسبى ذراريهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية لا تفارقهم ان ربك لسريع
العقاب لذلك عاقبهم في الدنيا وجعلهم نكالا وقد وصف نفسه بسرعة العقاب في آخر الانعام وهنا
ولما كان هناك سوق الكلام مع المؤمنين لم يدخل اللام المؤكدة وهنا كلامه مع من عتا من اليهود
بعد انزال باسه بهم اكده باللام ثم هذا لا ينافي وصفه بالحليم لان سرعة عقابه بالنظر الى عذاب

الآخرة والا فقد امهلهم رويدا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض فرقناهم في
اقطار الارض هذا ايضا من سخط الله عليهم لئلا يجتمعوا على كلمة فيحصل منهم ضرر امما مفعول ثان
او حال منهم الصالحون وهم الذين لم يحرفوا وآمنوا برسول الله ومنهم دون ذلك وبعضهم منحطون عن
ذلك وهم الكفرة وبلوناهم بالحسنات والسيئات معاملة المختبر بالتنقل من الرخاء الى الشدة
وبالعكس لعلهم يرجعون عن ضلالتهم فان تقلب الاحوال يورث الانسان بصرة وسلامة اخلاق فخلف
من بعدهم خلف بسكون اللام بدل سوء كما ان بفتح اللام نعم البدل وكل منهما مفرد لفظا ومعناه
قرن من الناس ورثوا الكتاب تعلموه من اسلافهم وفهموا ما فيه يأخذون عرض هذا الادنى متاع
هذا الشئ الذي هو ادني من الدنو او الدناءة والمراد به الدنيا فانها ادنى شئ وذلك ما كانوا يأخذونه
من الرشا على الاحكام وتحريفا لكلم والجملة حال من فاعل ورثوا ويقولون سيغفر لنا قولا بلا دليل كما قالوا
لن تمسنا النار الا اياما معدودة والجار والمجرور قايم مقام الفاعل او الفعل مسند الى المصدر المدلول
عليه وان يأتهم عرض مثله يأخذوه اي هم مستمرون على الكباير من غير توبة استبعاد لما يدعونه مع
ما هم فيه والجملة حال عن المجرور الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ما في التورية ان لا يقولوا على الله الا
الحق بيان للميثاق او متعلق به الاستفهام للتقرير والتوبيخ بانه قد اخذ عليهم العهد بذلك فكيف يقطعون
بالمغفرة واهل السنة وان جوزوا المغفرة لم يقطعوا بها فمن قال اهل السنة في هذه المسئلة كاليهود
لم يعلم مقالة اهل السنة ودرسوا ما فيه قطع لمعذرتهم عطف على الم يؤخذ معنى اي قد اخذ عليهم
الميثاق ودرسوا ما في الكتاب او على ورثوا وما بينهما اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ
هولاء افلا يعقلون يستعملون عقولهم ويسعون فيما هو الخير قراء نافع وابن عامر وحفص عن عاصم
بالخطاب وفيه زيادة توبيخ والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون
او مبتداء خبره انا لا نضيع اجر المصلحين لان المصلحين هم المتمسكون بالكتاب وفيه اشارة الى
ان المانع من الاضاعة هو الاصلاح وقرا ابو بكر يمسكون مخففا وقراءة الجمهور ابلغ وانما افرد الصلوة
بالذكر مع دخولها في التمسك بالكتاب لانافتها واذ نتقنا الجبل فوقهم الطور لقوله ورفعنا فوقكم
الطور والنتق الرفع بعد القلع كانه ظلة هي كل ما اظلك وظنوا انه واقع بهم ابوا قبول احكام التورية
لشدتها عليهم فرفع الله الطور فوقهم على قدر عسكرهم وكان مقدار فرسخ في فرسخ وقيل
لهم ان قبلتموا ما فيها من الاحكام والا سقط عليكم فخروا ساجدين على حاجبهم الايسر ينظرون
بعينهم اليمنى خوفا من سقوطه فلذلك ترى اليهود يسجدون على الحاجب الايسر ويقولون هي السجدة
التي كانت سببا لرفع العذاب عنا خذوا ما آتيناكم بقوة بجد وعزم حال من الفاعل واذكروا ما فيه
بالمواظبة على العمل به لعلكم تتقون لكي تبلغوا درجة التقوى التي هي اسني المراتب واذ اخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ذكر
نقض اليهود العهد الخاص بهم والميثاق المكتوب عليهم في التورية اردفه بالميثاق العام السابق
في عالم الذر وقد اشار اليه صلى الله عليه وسلم حين سئل عن معنى الآية فقال ان الله خلق آدم
ثم مسح ظهره بيده فاستخرج من هو مولود الى يوم القيمة على صفة الذر وقال يا آدم
هولاء ذريتك اخذت عليهم العهد بان يعبدوني ولا يشركوا بي شيئا وعلى رزقهم ثم قال لهم الست
بربكم قالوا بلى فقولهم بلى اقرار بوحدانيته وذلك الاقرار هو الفطرة التي يولد عليه كل مولود
فان قلت في الحديث انه اخذ الذرية من ظهر آدم وفي الآية اخذ من ظهور بني آدم قلت لا تنافي
لان بنيه مخرجون من ظهره فالمخرج من ظهورهم مخرج من ظهره وقد يقال ما في الآية هو اخراجهم

على النمط المشاهد نسلا بعد نسل واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب
التمثيل وتشبيه الحال بالحال وذلك لما ركب فيهم البصاير وافاض عليهم العقول المميزة بين الحسن
والقبيح ونصب لهم دلايل التوحيد وبثها في الآفاق والانفس بحيث لم يبق لهم معذرة فكانه خاطبهم
شفاها واقروا له كفاحا فان قلت على هذا التقرير يقع الحديث جوابا عما في الآية قلت هو من
الاسلوب الحكيم فان هذا كان كالمشاهد وللعقل طريق وصول اليه بالتدبر لم يلتفت اليه صلى الله
عليه واشار الى ذلك الاخذ الذي لا يمكن الوقوف عليه الا بتوقيف منه قراء ابن كثير والكوفيون
ذريتهم بالافراد وهو المختار لظهور الاستغراق فيه ان تقولوا يوم القيمة اي كراهة ان تقولوا
انا كنا عن هذا غافلين ولا عتاب على الغافل او تقولوا عطف على الاول قراء ابو عمرو كليهما بالياء
على الغيبة والباقون بالخطاب التفاتا كما في الست بربكم والمختار الغيبة جريا على السنن
السابق انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم لم يسعنا الا الاقتداء بهم افتهلكنا بما
فعل المبطلون هم اباؤهم المؤسسون للشرك وكذلك نفصل الآيات ومثل ذلك التفصيل
البليغ نفصل ساير الآيات ولعلهم يرجعون ولكي يرجعوا الى الحق نفعل ما نفعل والضماير مما
لليهود خاصة وتخص بنو آدم بهم لان سوق الكلام لهم او لكافة الناس لاندراجهم فيهم واتل عليهم
اي اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا عالم من علماء بني اسرئيل يسمى بلعم بن باعور كان في زمن
موسى فقرا موسى قومه فاستشفعوا اليه وبذلوا له الاموال فدعا عليه فحار موسى في التيه
وقيل امية بن الصلت روي ذلك عن ابن عمر كان من كهان الجاهلية وكان يظن انه النبي الموعود
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مات حسدا وقيل عامر الراهب فانسلخ منها كما تنسلخ
الحية من جلدها كناية عن الكفر فاتبعه الشيطان فلحقه مبالغة في اللحوق كانه بعد اللحوق جعله
تابعا له فكان من الغاوين فصار من حزبهم ولو شئنا لرفعناه بها بتلك المعارف الى منازل
العلماء الذين اوتوا العلم درجات ولكنه اخلد الى الارض ركن اليها من اخلد الى فلان مال
اليه ولازمه شبه العرض الذي مال اليه بالتراب لسفالته واتبع هواه في ايثار الفاني على
الباقي ودلت الآية على ان الكفر بمشيئته تعالى وانه لو شاء ايمانه كان واقعا فمثله كمثل الكلب
حاله الخسيسة كحاله ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث الشرطية في موضع الحال اي هو
دايم اللهث طردا ولم يطرد واللهث اخراج اللسان وساير الحيوانات انما يفعل ذلك عند
الاعياء والكلب لم يزل وكذلك الضلال في المتشبه لازمه بمقتضى مشيئته تعالى وعظ ام لم
يوعظ وقيل التشبيه على ظاهره فانه لما دعا على موسى خرج لسانه حتى وقع على صدره ذلك
مثل القوم الذين كذبوا باياتنا من اليهود فانهم بدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحرفوا الكلم عن مواضعها وركنوا الى حطام الدنيا فاقصص القصص اي قصة من انسلخ
من آياتنا واخلد الى الارض لليهود فانها على وصفه لعلهم يتفكرون فيؤديهم الى الحذر من
سوء العاقبة ويزدادوا ايقانا بنبوتك فانه لا يمكن العلم بذلك الا بالوحي اذ لم تتل من قبله
من كتاب ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا لما شبه حال اليهود في التكذيب بايات الله
لحطام الدنيا بحال الكلب اردفه بما وضع لانشاء الذم مبالغة في التحذير وتقديره ساء مثلا
مثل القوم او ساء اصحاب المثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون عطف على كذبوا داخل في الصلة
اي جمعوا بين التكذيب وظلم انفسهم او منقطع والمعنى لم يظلموا بالتكذيب الا انفسهم لا يتخطاها
وباله من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون كالبيان لقوله ولو شئنا لرفعناه

بها وكالسف لقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن وممن خلقنا امة يهدون بالحق وانما افرد الضمير في الاول
وجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى وفيه اشارة الى ان المؤمنين كواحد لاتحاد طريقتهم وفي الحديث المؤمنون
كالشخص الواحد اذا اشتكى راسه اشتكى كله وفي الاقتصار على الاهتداء ايماء الى انه وصف شريف لا يحتاج
الى امر اخر ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس هم اهل الطبع والذين لهم قلوب لا يفقهون بها خالية
عن معرفة الحق والنظر في دلايله ولهم اعين لا يبصرون بها لا يجتلي الآيات في الآفاق والانفس ولهم آذان
لا يسمعون بها الآيات والنذر سماع تدبر وتفكر اولئك كالانعام في الخلو عن المعرفة والاعتبار بل هم
اضل منها لانها تدرك ما فيه الضرر فتعدل عنها وهؤلاء موقنون بدخول النار ولا يرتدعون عن ارتكاب
مسالكها اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة كالتاكيد للاولى ولذلك لم يدخل العاطف وانما
قدم البصر هنا والسمع في ساير الآيات لكون الآية مسوقة للتشبيه بالانعام وهي بفقد البصر اشد تضررا
من فقد السمع لان مدار تعيشها في طلب الماء والكلاء على حاسة البصر والآية تذييل لقصة اليهود و
فيها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم من الذين لا ينجع فيهم الآيات والنذر لكونهم
مخلوقين للنار ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها لانها تدل على احسن المعاني وقيل المراد الاوصاف
القايمة فانه يطلق عليها الاسم يقال طار اسمه في الآفاق والمراد وصفه الحسن وذروا الذين يلحدون
في اسمائه واتركوا الاسماء التي تسميه بها الزايغون عن طريق الحق كانت اليهود يطلق عليه لفظ البخيل
والفقير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير واجلاف العرب يقولون يا ابا المكارم ويا ابيض الوجه
واهل الجاهلية اشتقوا من اسمائه تعالى اسماء آلهتهم كاللات من الاله والعزى من العزيز والمعنى
اعرضوا عن هؤلاء سيجزون ما كانوا يعملون قرا حمزة يلحدون بفتح الياء وهما لغتان والضم اكثر واشهر
وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون التركيب دل على قلتهم وفي الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم لا يزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله ومع على ذلك
والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم استفعال من الدرجة اما استصعادا واما استنزالا
والمعنى سنستدنيهم من العذاب قليلا قليلا من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك بتواتر النعم
عليهم ليظنوا انهم يستحقونها لمعنى فيهم كما قال قارون انما اوتيته على علم عندي واملي لهم
وامهلهم ليزدادوا اثما وما يوجب مضاعفة العقاب ان كيدي اخذي سماه كيدا لانه في
الظاهر يرى لطفا واحسانا متين قوي شديد ماخوذ من المتن وهو الظهر اولم يتفكروا
ما بصاحبهم من جنة حالة من الجنون وعبر عنه بالصاحب لان المصاحبة كونا من الاخلاق فلو كان
به جنون لم يخف عليهم بعد طول الصحبة ان هو الا نذير مبين واضح الانذار شعر لقد ظهرت فلا تخفى
على احد الا على احد لا يعرف القمرا اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض فعلوت من
الملك كالرهبوت من الرهبة يطلق على الملك الاعظم وما خلق الله من شيء اي شيء كان وان كان
ذرة فان فيها دلايل التوحيد من جهات شتى والاستفهام في الموضعين للتعجب من حال المكذبين
وتماديهم في الغفلة وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من المثقلة
يقدر فيها ضمير الشان لا مصدرية لان عسى لا مصدر له يؤول به والمعنى ان الشان والحديث
عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فيسارعوا الى طلب ما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العذاب
فباي حديث بعده يؤمنون اذا لم يؤمنوا به مع كونه منجحا وزا طوق البشر ويتعلق بعسى ان يكون
قد اقترب اجلهم والمعنى اذا جاءهم الموت من قبل الايمان بهذا القرآن لا حديث بعد ذلك يؤمنون
فعليهم الايمان قبل فوت الفرصة من يضلل الله فلا هادي له اي ليس في صاحبهم جنة ولا في

ملكوت السموات والارض من خفاء في الدلالة ولا في القرآن نوع اشتباه بل اراد الله اضلالهم ومن
اراد اضلاله فلا احد يقدر على هدايته ويذرهم في طغيانهم قرا ابو عمرو والكوفيون بياء الغيبة جريا
على السنن السابق والباقون بالنون التفاتا وجزم الراء حمزة والكسائي عطفا على محل الجواب والرفع
على الاستيناف او خبر محذوف يعمهون في موضع النصب على الحال يسئلونك عن الساعة اي اليهود تعنتا
وان كانوا عالمين بان علم الساعة شيء استاثر الله به ولم يطلع احدا من خلقه عليه او مشركوا قريش
يسالون عن شيء لا يعنيهم ويتركون ما هو المهم والساعة من الاعلام الغالبة كالنجم والصعق وسميت
القيمة بالساعة لسرعة حسابها او وقوعها بغتة او لطولها كما يقولون للحبشي ابو الابيض وللزنجي
كافور ايان مرسيها متى وقوعها وثبوتها من ارسيت السفينة اذا اثبتها بالبحر وايان فعلان من اي
اصله اوي وهو الرجوع لان ابعاض الزمان متساندة الى الكل وقيل ماخوذ من ابن وانكره
ابن الجني لانه للمكان قل انما علمها عند ربي استاثر به لا يجليها لوقتها الا هو لا طريق اليه لمن سواه
ثقلت في السموات والارض على الملايكة والثقلين لان المستعد لمعرفة الشيء اذا اشتد عليه طريق الوصول
اليه تالم وكل على نفسه او توقع وقوعها وهول شدايدها او ثقل وقوعها على تلك الاجرام اذا السماء
انشقت ودكت الارض دكا وعلى الوجوه لفظة في مستعارة للدلالة على التمكن لا تاتيكم الا بغتة فجاة
وفي الحديث انها تقوم والرجل يلوط حوضه فيركه والرجل يسقي ماشيته فيدعها والحكمة في ذلك استدامة
الخوف والحذر كالحكمة في ابهام ليلة القدر تكثيرا للعبادة يسالونك كانك حفي عنها عالم
بها من حفي عن الشيء بحث عنه فان الباحث عن الشيء يرصن علمه به من اطلاق السبب وارادة المسبب
او من حفي بالشيء اذا فرح به اي يستبشرونك عن يفرح بالسؤال والحال انك تكره ذلك لعلمك بانه من طريق
الى العلم او من الحفاوة وهي المحبة والبر لان قريشا سالته بالقرابة ان يخبرهم بذلك والمعنى لو
حصل لك علم بها لم تكن تخصهم بها كما هو دابك في ساير الاحكام وعلى التقديرين عنها صلة يسئلونك
وعلى التقدير كانك في موضع الحال قل انما علمها عند الله وليس في الكلام تكرار لان السؤال اولا
غير مقيد وفي انما علمها عند الله زيادة ولكن اكثر الناس لا يعلمون قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا
اي اذا لم يكن لي علم بما يتعاقب على نفسي التي هي اقرب الاشياء الي فكيف العلم بالساعة الا ما شاء
الله من ذلك منقطع او متصل على التاويل ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير من الاشياء النافعة
في الدين والدنيا وما مسني السوء لاني ادفعه قبل حصوله باسباب دافعة وانما قدم استجلاب
الخير على دفع الضر مع ان دفع المفسدة مقدم لان النفوس القدسية مطمح نظرها الامور الدينية
ان انا الا نذير وبشير لا يخالف حالي حالهم الا في هذين الوصفين لقوم يؤمنون خصهم بذلك
لكونهم المنتفعين بهما او هو متعلق ببشيرا ومتعلق الاول محذوف للعلم به هو الذي خلقكم من نفس واحدة
خطاب لمشركي مكة بما فيه الامتنان والنفس الواحدة آدم وجعل منها زوجها هي حواء خلقت من ضلعه
الاعوج ليسكن اليها ليميل ويطمئن اليها فان الشيء الى جنسه يميل وانما ذكر الضمير العايد الى
النفس ذهابا الى المعنى لانها نفس آدم وليناسب فلما تغشيها لان الغشيان كناية عن الوقاع وهو
فعل الزوج حملت حملا خفيفا لم تتعب في حمله كما يرى الحبالى وقيل الحمل الخفيف هو النطفة فمرت به
استمرت به حاملة لم يصب حملها آفة من ازلاق او اخداج فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد
دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا اصلاح ودين ينتفع به وفي الحديث اذا مات ابن آدم
انقطع عمله الا عن ثلث ولد صالح يدعو له بعد موته وعلم علمه الناس وصدقة جارية وقيل صالحا

اي سويًّا لا نقص في خلقه وقيل ذكرًا لان الذكورة صفة صلاح وجودة لنكوننّ من الشاكرين لتلك النعمة
فلما اتاهما جعلا له شركاء فيما اتاهما بان سميا المولود عبد الحرث والحرث من اسماء ابليس روي الامام احمد
والترمذي عن سمرة بن جندب مرفوعا ان حوا كان لا يعيش لها ولد فوسوس لها الشيطان وقال انه من الله
بمنزلة وانه يدعو لها ببقاء الولد ويكون اسمه عبد الحارث فسمياه بذلك الاسم والاعلام وان لم يعتبر فيها ايماء
اليها وهذا القدر منهما منكر ولذلك استعظمه وسماه شركا والاولى في تفسير الآية تقدير مضاف اي جعل
اولادهما شركاء ولا ولادهما وانما اسند الجعل اليهما لعلاقة السببية والمعنى وفيا بموجب الشكر ولكن تسببا المعاني الاصلية الاولى فيهما
في احداث الشركاء وعلى هذا يظهر وجه قراءة شركاء ممدود جمع شريك وهي قراءة ابي عمرو وابن كثير وابن
عامر وحمزة والكسائي وحفص ويتضح تفريع فتعالى الله عما يشركون وعلى الاول يجب حمله على ان الفاء
فصيحة وان الضمير في يشركون لاهل مكة والحديث لم يرد بيانا للآية والقول بان الخطاب لقريش لان
قصيا كان له زوجة من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف والموت
وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار فليس بشيء لان المخاطبين بقوله خلقكم ليس كلهم من قريش وزوجته
لم تكن ايضا قرشية بل كانت خزاعية ولم يرد خبر يدل على انهما طلبا الولد على الوجه المذكور ايشركون
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون استبعاد لان يكون مثله معبودا وانما اتى بضمير العقلاء لزعمهم الالوهية
فيها ولا يستطيعون لهم نصرا اي الاصنام للمشركين ولا انفسهم ينصرون ترقي في العجز وان تدعوهم ومخالفة الحديث السابق
الى الهدى لا يتبعوكم خطاب للمشركين اي ان طلبتم منها الهداية الى الحق لا يجيبونكم او ان دعوتم
تلك الاصنام الى الاهتداء لا يتبعوكم لعدم الادراك فهي عن الهداية ومقام الالوهية ابعد وهذا
اوجه وقرأ نافع بالتخفيف من تبع والمعنى واحد سواء عليكم ادعوتموهم لدي الحاجات
والمخاوف ام انتم صامتون مستمرون على الصمت وانما عدل الى الاسمية لان الدعاء في اوقات
الحوائج بخلاف الصمت ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم مسخرون لعبادته وان من شيء
الا يسبح بحمده فادعوهم فليستجيبوا لكم فيما تدعونهم اليه ان كنتم صادقين انها آلهة وفيه
اشارة الى الفارق اي وان كانوا مثلكم في نفس العبودية ولكنها دونكم في الادراك وصدور
الافعال ثم صرح بذلك فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم
اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها والترتيب على هذا لما لان المدعو للنصرة اول
ما يحتاج اليه آلة المشي وهي الرجل ثم اليد بعد الحضور للفتك بالخصم ثم البصر للتوقي عن مكايده
ثم السمع بعد فقد الآلات ليسمع المقال لدي المؤامرة فيورد ما عنده من الرأي قل ادعوا شركاءكم
تهكم بهم ثم كيدون فلا تنظرون فلا تمهلوني ان وليي الله الذي نزل الكتاب المعجز فهو قادر على اعجاز
من يخاصمني وهو يتولى الصالحين دايما فكيف بالانبياء والرسل والذين تدعون من دون الله
لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاتهم وان تدعوهم
الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين صورة ولا ابصار تبدء
خذ العفو السهل من الامور ولا تعسر فانه ادعى لهم الى الاتباع علته واصله الفضل من المال وأمر
بالعرف بما عرف حسنه من الشرع مصدر بمعنى المفعول اكتفي به عن ذكر النهي واعرض عن
الجاهلين ان بدا منهم شيء يسوءك وهذا اذا لم يكن هتك حرمات الله وعن عايشة لم ينتقم رسول
الله لنفسه قط واذا انتهك شيء من حرمات الله لم يقم له احد والآية جامعة لمكارم الاخلاق
سئلت عايشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن

وقرأت الآية قيل قال رسول الله لما نزلت كيف والغضب يعتري الانسان فنزل قوله واما ينزغنك من
الشيطان نزغ نصيبك منه وسوسته وتسويل واصله الطعن وفي الحديث صياح المولود حين يولد نزغة
من الشيطان ويطلق على الافساد كقوله من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي فاستعذ بالله من نزغه
انه سميع لمقالتك عليم بانضجارك منه فيجيبك الى ما استعذت منه ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف
من الشيطان وسوسته وتزيينه من طاف يطوف وكانه عبر به لعدم تأثيره كالطايف حول الشيء
او من طاف يطيف طيفا واصل الطيف الجنون وفي حديث المبعث قال المشركون بهذا الغلام لمم او طيف
وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي طيفا ما على المصدر او مخفف طيف كلين ويحتمل الواو والياء
تذكروا ما امروا به واحترزوا عن اغوائه والآية تقريب وتعليل للامر والاستعاذة فانه عادة قديمة
لعباده المتقين فهو اولى به لانه سيدهم فاذا هم مبصرون بذلك التذكر مكايد الشيطان وعبر
عن العلم الحاصل بعد التذكر بالابصار مبالغة في تيقنهم به واخوانهم يمدونهم الضمير للشيطان
لان المراد جنسه في الغي في الضلالة بالتزيين والتسويل قرأ نافع يمدونهم بضم الياء من الامداد
والمعنى واحد يقال مد النهر الساقية وامدها زادها ثم لا يقصرون لا يمسكون عن الاغواء حتى
يوردوهم مورد الهلاك فعلى هذا الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يرجع الضمير في يمدونهم الى
الاخوان فيكون الخبر على اصله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اخترعتها واختلقتها زعما
منهم ان ما يتلوه من الوحي مختلق او لولا اقترحت على ربك ان كنت رسوله والاجتباء افتعال
من الجباية وهي اخراج الشيء من مظنته قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي ليس شأني الاختلاق
والاختراع هذا بصاير من ربكم ما يوحى الي وهو القرآن حجج قاطعة تورث البصاير او هو كالبصاير للقلوب
اطلاقا للسبب على المسبب او تشبيه بليغ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به واذا قرئ
القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون خطاب للمؤمنين لما ذكر انه رحمة لهم دلهم على طريق
الوصول اليه وهو الاستماع له والانصات هو السكوت للاستماع قيل نزلت في الصلوة فانهم كانوا
يتكلمون فيها والامر كذلك في الصلوة محمول على الوجوب وفي غيرها الاستحباب وحرمة الكلام
والامام يخطب بالحديث والاستدلال به على عدم جواز قراءة المأموم ليس بظاهر وان كان مرويا عن ابن
عباس رضي الله عنه واذكر ربك ذكرا بالقلب وهو ملاحظة جلال الله وعظمته تضرعا وخيفة متضرعا
متذللا له خايفا من سطوته ودون الجهر من القول باللسان وهو السر الذي تسمعه انت ولا يسمع
غيرك فانه اقرب الى القبول وابعد من الرياء وحيث لم يقيد شمل جميع انواع الذكر بالغدو والآصال
في اوقات الغدو والعشيات لانها اشرف الاوقات ومظان الاجابة وقيل في جميع الاوقات وعبر عنها تهيج
بذكر الطرفين والاصيل من العصر الى المغرب ولا تكن من الغافلين النهي في امثاله للامة او تهييجه
والهاب ان الذين عند ربك هم الملايكة لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه يقدسونه عن الاحتياج
الى عبادتهم بل انما يعبد وينزه تشرفا بعبادته وله يسجدون لا لغيره فعليكم الاقتداء وفي التقديم افادة بهم
الحصر تعريض لمن يشرك في عبادته

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال نزلت بعد وقعة بدر وهي اول سورة
نزلت بعد الهجرة وابتداء بوقعة بدر فانها البطشة الكبرى الانفال جمع نفل بفتحتين وهي الغنيمة
من النفل وهو الزيادة ولذلك سمي ما عدا الفرايض نوافل ثم تسميته الغنيمة نفلا لانها زيادة شرف
لهذه الامة فانها لم تحل في شريعة وسبب نزول السورة ان المهاجرين والانصار اختلفوا في الغنيمة يوم
بدر كيف تقسم وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يكون له زيادة غناء ان ينفله فتنازع

الشبان وقتلوا سبعين واسروا سبعين وطلبوا النفل المشروط وكان المال قليلا فقالت الشيوخ نحن
كنا ردءا لكم وفئة كيف تستبدون بها فنزل قل الانفال لله والرسول فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
سواء واستدل به الشافعي على ان الامام اذا نفل لا يلزمه الوفاء به وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير
يوم بدر وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله عليه السلام واستوهبته منه فقال ليس
هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله فما جاوزت الا قليلا فناداني رسول الله وقال
سألتني السيف ولم يكن لي والآن فقد صار لي فاذهب وخذه وذكر الله في امثاله للتعظيم فاتقوا الله واصلحوا ذات
بينكم من التخالف والتخاصم في امر الغنيمة وابدلوها بالتحابب والاتفاق والتالف والاضافة للملابسة كفقه
لتغني عني ذا انائك اجمعا واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي التقوى وطاعة الله ورسوله
واصلاح ذات البين او ان كنتم كاملي الايمان وانما اتى بان كونهم مؤمنين كملا مقطوع به لان ما بدا منهم في امر
الغنيمة لم يكن ملائما لكمال الايمان انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فرقا من جلاله واستعظاما
لسطوته ولا ينافيه قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب لان ذلك باعتبار صفة جماله وسعة الرحمة ولذلك كان
العبد واقعا بين الخشية والرجاء واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لان تظاهر الادلة يوجب زيادة الانكشاف
ولذلك بث الله آيات التوحيد في الآفاق والانفس والزيادة عند من يجعل الاعمال داخلة في الايمان ظاهرة ومن
لم يذهب الى ذلك يجعل الزيادة في الايمان الكامل والحق ان نفس التصديق ايضا قابل للزيادة وان مراتب اليقين
متفاوتة ولذلك ترى القوم يقولون علم اليقين وفوقه عين اليقين ثم حق اليقين الذي لا رتبة فوقه
واليه اشار باب العلم كرم الله وجهه بقوله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لبلوغه الغاية القصوى وعلى ربهم
يتوكلون يفوضون الامور لعلمهم بان لا مؤثر الا قدرته ولا موجب الا ارادته الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون خصهما بالذكر لكونهما كالدليل على سائرهما اولئك هم المؤمنون بتلك الصفات حقا صفة مصدر اي
ايمانا حقا او مؤكد للجملة كقولك زيد قائم حقا وبهذا استدل من منع الاستثناء في الايمان والحق ان لا نزاع
بين الفريقين من جوز الاستثناء انما جوزه نظرا الى الخاتمة لانه ليس موقنا في الحال ومن منعه انما منعه
بالنظر اليه اذ لا ريب انه لا طريق له الى العلم بالخاتمة اولئك لهم درجات عند ربهم منازل عالية في جوار
ربهم ومغفرة وتجاوز عما فرط منهم وانما قدم الدرجات على المغفرة لان الكلام في الكمل من المؤمنين
فالاهم معرفة الدرجات لان المغفرة لهم كالمقطوع به ورزق كريم شريف لا آفة فيه ولا انقطاع كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق ملتبسا به مصاحبا له خبر مبتدا محذوف اي كراهتهم لتسويتك في الغنائم بين الشبان
والشيوخ او التنفيل مثل كراهتهم خروجك للحرب او صفة مصدر محذوف اي الانفال استقرت لله مثل
استقرار اخراج ربك من بيتك والوجه الاول اولى لعدم التقدير وطول الفصل وان فريقا من المؤمنين
لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان ابا سفيان اقبل من الشام في عير فيه تجارة
عظيمة لقريش وفي العير اربعون راكبا منهم ابو سفيان بن حرب وعمرو بن العاص والقول بان عمرو بن هشام
كان معهم سهو لان عمرو بن هشام اسم ابي جهل وكان في النفير دون العير وقتل في بدر فاخبر جبرئيل رسول
الله عليه السلام باقبال العير فاخبر المسلمين ففرحوا بذلك لعلمهم بكثرة المال وقلة الرجال فلما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها لاخذ الركب وبلغ ذلك اهل مكة فصعد ابو جهل سطح الكعبة ونادى
يا اهل مكة عيركم واموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا ابدا واما ابو سفيان فانه خاف من خروج رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقصد العير فابعد عن الطريق واخذ ساحل البحر وارسل يخبرهم بنجاة العير ويامر اهل مكة
بالرجوع فقال ابو جهل كلا والله حتى نرد بدرا فنشرب بها الخمور وننحر الجزور وترد علينا المعازف والقينات
وتدور بيننا الكاسات وتسمع العرب بانا قد خرجنا وحضرنا بدرا ومحمد عاد ولم يظفر بما اراده فنزل جبرئيل

سح

واخبر رسول الله بامر العير وخروج قريش وان الله وعد احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاخبرهما
شيت فاستشار رسول الله المهاجرين والانصار فقال ان الله وعدني احدى الطائفتين فايهما احب اليكم
العير او النفير فقالوا العير احب الينا لانا لم نخرج للقاء العدو وليس معنا العدد والعدد فقال
رسول الله عليه وسلم ساحل البحر وابعد وهذا ابو جهل قد اقبل في كفار قريش فقالوا يا رسول الله
عليك بالعير ودع العدو فلما علم ابو بكر وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذ العير يريد لقاء العدو فقاما
وتكلما واحسنا في المقال ثم قام سعد بن عبادة سيد الخزرج من الانصار وقال يا رسول الله امض لامرك
فوالله لو ذهبت الى عدن لم يتخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن الاسود امض يا رسول الله
لما امرك الله فانا لا نقول كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
بل نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ثم قال رسول الله اشيروا علي ايها الناس وكان
يريد بذلك الانصار لانهم لما بايعوه ليلة العقبة قالوا انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فكان
رسول الله يتخوف ان لا يرى الانصار نصرته الا اذا كان مقيما بالمدينة ففطن لذلك سعد بن معاذ
سيد الاوس فقام وقال كانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وايقنا ان ما جئت به
هو الحق امض يا رسول الله لما اردت فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه ولم يتخلف منا رجل وما
نكره ان يلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله ان يريك منا ما تقر به عينك
فسر بنا يا رسول الله على بركة الله فاشتد وجه رسول الله ونشطه قول سعد وقال سيروا على بركة
الله وابشروا والله لكاني ارى مصارع القوم يجادلونك في الحق لقاء العدو بعد ما تبين لهم باعلامك
وكان الاولى بهم الانقياد والتسليم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي بلغ كراهتهم لقاء العدو
هذا المبلغ ولم يكن كراهتهم ذلك لجبن بهم بل لانهم لم يخرجوا على اهبة [illegible] وكان القتال من رسول
الله على سبيل المؤامرة ولذلك لما علموا منه العزم تكلموا فاحسنوا في المقال ولما لاقوا العدو فعلوا ما
يفعله الابطال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين العير او النفير نصب على اضمار اذكر انها لكم بدل
اشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي العير لقلة رجاله والشوكة شدة الباس وحدة السلاح
مأخوذ من الشول ويريد الله ان يحق الحق يثبته ويحكمه بكلماته بآياته المنزلة لمحاربة ذات الشوكة وامداد
المؤمنين بالملائكة وقتل الكفار واسرهم ويقطع دابر الكافرين يستأصلهم دابر القوم آخرهم اي تريدون انتم
المتاع الدنيوي العاجل والله يريد معالي الامور من هلاك العدو ونصرة الدين واعلاء الحق والفوز
في الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ما فعل اي لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض اراد لكم لقاء
العدو فلا تكرار اذ الاول لبيان مرادهم وهذا لبيان تفاوت الغرض ولو كره المجرمون ما فعل اذ تستغيثون
ربكم بدل من اذ يعدكم او يتعلق بقوله ليحق الحق وهذا اولى لان زمان الوعد غير زمان الاستغاثة
والمبدل والمبدل متحدان ذاتا او منصوب باذكر لما تحققوا ان لا بد من القتال مع قلة العدد وكثرة
العدو اخذوا في الاستغاثة وطلب النصر من الله تعالى ولما صف رسول الله المسلمين رجع الى العريش
ورفع يديه مستقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في
وبالغ في رفع اليدين حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك
ما وعدك فخرج يثب في درعه وهو يقرأ سيهزم الجمع ويولون الدبر فاستجاب لكم اني ممدكم اي بالامداد
وقرئ اني بالكسر لان الاستجابة نوع من القول بالف من الملائكة مردفين متبعا بعضهم بعضا من اردفته اذا جعلته
تابعا وهي لغة اكثر العرب او تابعا بعضهم بعضا من قولك اردفته اذا اتبعته قاله الزجاج والاخفش وعلى
الوجهين معناه تلاحق الملائكة الى ان بلغ خمسة آلاف فيوافق ما في آل عمران فيكون ذلك تفصيلا لهذا

الاجمال لان تلك السوره متاخرة نزولا وقرا نافع مردفين بفتح الدال على ان الله اردف الملايكة بعضها
بعضا او اردفها المؤمنين فان قلت من فسر المردفين بالملايكة المتبعين للمؤمنين او لمتبعين اياهم
كيف يوفق بين ما في السورتين والقصة واحدة قلت له ان يقول الالف كان مقدمة المؤمنين ولا يلزم
منه انحصار الملايكة المنزله للنصر فيهم وقد صحت الاحاديث بقتال الملايكة يوم بدر وما جعله
الله الامداد بالملايكة الا بشرى الا بشارة شبه البشار بالخبر فاطلق عليه البشارة استعارة ولتطمين
قلوبكم اذ رايتم مدد السماء وكثرة العدد وما النصر الا من عند الله لا اثر للكثرة كم من فية قليلة
كثيرة ان الله عزيز لا يغالب حكيم ينصر من يشاء لسبق حكمته اذ يغشيكم النعاس منصوب باذكروا وبما
جعله الله وقيل متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل وفيه ان النصر يتقيد بذلك الوقت
مع ان المراد عمومه في ساير الازمان والمواطن قرا نافع بضم اليا وتخفيف الشين وابن كثير وابو عمرو
بفتح اليا واسكان الغين من باب فعل يفعل والباقون بضم اليا وتشديد الشين والمختار قراءة
ابن كثير وابي عمرو لاسناد الفعل الى النعاس لكونه المباشر القريب ولاتفاق السبعة عليه يغشى طايفة
منكم امنة منه امنا من الله مفعول له فان قلت فعلى قراءة ابن كثير وابي عمرو كيف يكون مفعولا له
وشرط نصبه ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت لما كان معنى يغشيكم النعاس تنعسون نصب
على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون لامنكم ومنه صفة اي امنة حاصلة لكم من الله ويجوز
ان يكون الامنة فعل النعاس مجازا ولاصحابه حقيقة كما هو الشايع في نظايره وقد سلك هذا المسلك
من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته والرجز لغة القذر فانهم نزلوا على كثيب اعفر تسوخ فيه
الاقدام ونزل المشركون على الماء وباتوا تلك الليلة فاحتلم اكثرهم فوسوس اليهم الشيطان فقال
انتم اصحاب محمد وتزعمون انكم على الحق وانكم تصلون مع الجنابة وقد عطشتم وهولاء لا ينتظرون الا ان
يغلبكم العطش فيقتلون منكم من شاؤا ويسوقون بقيتكم اسراء فانزل الله المطر الغزير حتى سال الوادي
فاغتسلوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل حتى تثبت عليه الاقدام وليربط على قلوبكم بزوال الوسوسة والوثوق
بلطفه تعالى ويثبت به الاقدام بالمطر او بالربط وازالة الخوف حتى تثبتوا في المعركة اذ يوحي ربك الى
الملايكة متعلق بيثبت اني معكم بالاعانة والنصر وقرئ بالكسر لان الوحي فيه معنى القول فثبتوا الذين
آمنوا بكثرة العدد او بالبشارة بان النصر لهم او بالمحاربة سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسير لقوله
اني معكم فثبتوا ولا اعانة اقوى من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت اشد من ضرب الاعناق
واجتماعهما نهاية النصر ويحتمل ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقينا للملايكة وتعليما لهم ما يثبتون
به المؤمنين كانه قال لهم قولوا لهم قولي هذا ومن جعل سالقي في قلوب الذين كفروا تفسيرا لقوله اني معكم
فثبتوا بعد تفسير التثبيت بالبشارة وتكثير العدد ثم جعل التفسير دليلا على ان الملايكة قاتلوا فقد التزم ما يلزم
فاضربوا فوق الاعناق اي المفصل بين الراس والعنق لكونه امكن للحز وقيل المراد به الراس لانه المقتل بخلل
بادنى ضرب واضربوا منهم كل بنان البنان الاصابع جمع بنانة وقيل اطرافها وفايدة الضرب عليها ابطال
اليد فانها الجزء الاعظم في الحرب ذلك الضرب او الامر به والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او عام بانهم شاقوا الله ورسوله خالفوهما من الشق وهو الجانب وانما سميت المخالفة مشاقة لان كلا من
المتعادين ياخذ في شق خلاف شق الآخر وكذلك المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم وهو الجانب ومن
يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم الخطاب للكفار التفاتا ومحله الرفع على الابتداء او الخبر
اي ذلكم العقاب او العقاب ذلكم او نصب بما فسره فذوقوه وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم والمعنى

ذلكم العقاب لكم ولكم عذاب النار في الآخرة او مفعول معه اي عذاب الدنيا مقرونا بعذاب الآخرة وانما وضع
المظهر موضع المضمر للدلالة على العلية والعموم واستعمل الذوق مع عذاب الدنيا لانه كالمقدمة لعذاب
الآخرة يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا جيشا يزحفون اليكم والزحف هو المشي وقيل
من زحف الصبي اذا مشى على استه اريد به الجيش الكثيف كانه لكثرته يدب قليلا قليلا والمعنى على هذا
فلا تولوهم الادبار في هذه الحالة فضلا عن حالة مساواتكم او قلتهم ونصبه على الحال اما من المفعول
او منهما اي متزاحفين او الفاعل فيكون تقدمة نهي عن الفرار يوم حنين لكونهم كانوا اثني عشر الفا وقوله
ومن يولهم يومئذ دبره اشارة الى ذلك اليوم الا متحرفا لقتال يغر ليكر خداعا مع العدو وكثيرا ما يتعاطاه
الابطال وقد شاهدنا ذلك في وقعة من وقايع بني الاصفر ولله الحمد وقد انتصب على الحال والا لغوا دخله
في النصب ومستثنى من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا الى فية اي جماعة اخرى من المسلمين للاستعانة
بهم وقد روي ابن عمر وانه كان في سرية وقد فروا حتى بلغوا المدينة فقالوا يا رسول الله نحن الفرارون قال
لا بل انتم العكارون وانا فيتكم اي الكرارون العطافون الى الحرب بعد التولي فقد باء بغضب من الله رجع به
والتزمه من البواء وهو اللزوم ومأويه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزدادوا على الضعف كفرار واحد من الا
لقوله الآن خفف الله والقول بان الاية مخصوصة باهل بيته ومن معه في الحرب لا وجه مخالف للاجماع
الفرار من الزحف اذا لم يبلغ العدد الرخصة من اكبر الكباير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم روي انهم لما قتلوا
من قتلوا واسروا طفقوا يفتخرون بما فعلوا فرد الله ذلك والقتل صورة وان كان صادرا منهم ولكن
لما كان بنصر الله وامداد الملايكة وقتالهم نفي عنهم القتل وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن
مخففا والذي بعده مع رفع الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قيل نزل جبريل لما التقى الجمعان وقال له
خذ قبضة من الحصاء وارم بها في وجوه المشركين فقال لعلي ناولني من حصباء الوادي قبضة
فناوله فرمى بها وقال شاهت الوجوه فلم يبق واحد منهم الا دخل عينه منه شيء فشغلوا به وطفق المسلمون
يقتلون ويأسرون وسياق الاية ظاهر في ان ذلك كان يوم بدر واهل الحديث على ان ذلك كان يوم احد
والمعنى ان ذلك الرمي وان كان صدر منك مباشرة بصرف الآلة ولكن ايصال التراب الى عيون كلهم مع
كثرتهم وتفرقهم لم يكن الا بصنعه تعالى وقيل ما رميت خلقا اذ رميت كسبا وليس بشيء لان
افعال العباد كلها كذلك فاي وجه لتخصيص ذلك بالرمي وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وليعطي
المؤمنين عطاء جميلا اجزل فعل ما فعل والاعطاء اجزل من قهر العدو ان الله سميع عليم سميع استغاثتهم
وعلم نياتهم وقصدهم اعلاء كلمته ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين عطف على ذلكم لان الاسمية بعد ان
في تاويل المصدر اي القصد الخارق امران احدهما بالذات وهو ابلاء المسلمين والآخر بالعرض وهو توهين
كيد الكافرين قرا بتشديد الهاء نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون باسكانها والاولى ابلغ وقرا حفص كيد
مخفوضا بالاضافة ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة فانهم لما ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر على الجندين واكرم الحزبين واقرانا للضيف واوصلنا للرحم ففيه تهكم
بهم وقيل الخطاب للمؤمنين واستفتاحهم كان حين الاستغاثة والدعاء بالنصر ويؤيد الاول قوله وان
تنتهوا يا اهل مكة عن الكفر فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين واشتماله على سعادة المنزلين وان تعودوا
الى معاداته والاصرار على الكفر ولن تغني عنكم فيتكم جمعكم شيئا من الاغناء بعد وقعة بدر
ولو كثرت وان تجمعوا الجموع كما فعل ابو سفيان يوم احد ولو كثرت وان الله مع المؤمنين قرا نافع
وابن عامر وحفص بالفتح اي ولان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة لن تغني عنكم فيتكم والباقون بالكسر
وهذه ابلغ لان العلية تفهم منها مع الاستقلال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تجادلوه

رواه ابو داود والترمذي
تثنين
من اسرواء
مما دكل الفعل
نعد بالنصر والاعانة
الفعل
على
ودفع النعاس
فالكل والقاضي

كما جادلتم في قضية بدر ولا تولوا عنه ولا تعرضوا عنه في الحرب تقدمه نهي عما فعلوه يوم احد وانتم تسمعون
القرآن الامر بطاعته وتاييده وذكر الله في امثاله للتوطيه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا هم المنافقون
وهم لا يسمعون سماع تفهم وتدبر ان شر الدواب عند الله فذر الصم عن استماع الحق البكم عن النطق
به الذين لا يعقلون لم يذكر العمي لان الكلام في امتثال اوامره والبصر لا مدخل له في ذلك جعلهم شر
الدواب لانها تسمع وتعقل ما لها فيه النفع ولو علم الله فيهم خيرا بالارعواء عن الضلالة لاسمعهم فهم
وتدبر وقد علم استحالته ذلك منهم ولو اسمعهم ذلك الاسماع لتولوا وهم معرضون واعرضوا السبق
العلم بانهم اهل الطبع وكلمة لو هنا مثلها في لو لم يخف الله لم يعصه وهو ان يكون نقيض الشرط بترتب الجزاء
فالمعنى ان التولي منهم حاصل على تقدير الاسماع فعلى تقدير عدمه بطريق الاولى يا ايها الذين آمنوا
استجيبوا لله وللرسول الاجابة والاستجابة بمعنى الاطاعة اذا دعاكم وقت دعايه وتوحيد الضمير لان ذكر
الله للتوطية روي البخاري انه نادي ابا سعيد بن المعلى فابطا في الاجابة فلما جاء قال له ما اوجب
ابطائك قال كنت اصلي قال الم تسمع قوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم والقول بان المصلي اخذ
سهوا والقول بان اجابته لا تبطل الصلوة اذا كان دعاؤه لامر لا يحتمل التاخير ليس بشي لان الكلام في الصلوة
والانصراف عنها قصدا مبطل اجماعا وكون الامر مما لا يحتمل التاخير ليس مخصوصا به لان من راي اعمي
يقع في بير يجب عليه قطع صلوته اجماعا والآية مسوقة لبيان شرفه وان شانه يباين شان ساير الناس
لما يحييكم به من المعارف والحكم الالهية التي بها حيوة القلوب والجهاد الذي هو مظنة الشهادة التي
هي سبب الحيوة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فان قلوب بني آدم بين
اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء بيده الاسعاد والاشقاء فعليكم المسارعة الي اجابة رسوله لعله
يلطف بكم واليه تحشرون لا الي غيره فاسعوا فيما يثمر لكم الاجر والثواب واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة اي ذنبا لا يخص عقابه طايفة منكم كتقرير المنكر بينكم والمداهنة وسلوك
طريق البدعة وافتراق الكلمة وعلى هذا قوله لا تصيبن جواب للامر اي اتقوا فتنة لا تصيبكم فان اصابتكم
لا تصيبن الذين ظلموا خاصة بل تعمكم فاقيم جواب الشرط المقدر بعد جواب الامر مقامه لتشبيه
عنه وعلى هذا من للتبعيض ودخول النون المؤكدة لتضمن النفي معنى النهي مثله قوله لا يحطمنكم
سليمان وهذا وجه وجيه لما روت عايشة قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر
الخبث ويجوز ان يكون لا تصيبن صفة فتنة نهيا على التاويل اي مقولا فيها وان يكون كلاما مستقلا نهيا
واردا بعد الامر لا محل له من الاعراب والنهي وان كان للفتنة ظاهرا ولكن المراد نهيهم عن التعرض لها
على ابلغ وجه نحو قوله فلا يكن في صدرك حرج وعلى الوجهين من بيانية اذ المعنى لا تتعرضوا للفتنة
فيصيب عقابها ووبالها الظالمين خاصة الذين هم انتم بناء على ظلمكم دون ساير الناس واعلموا
ان الله شديد العقاب من نمط يا ايها النبي اتق الله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض اي
ذلك الوقت او الحادث فيه لتعرفوا قدر نعمة الله والمخاطبون هم المهاجرون والارض ارض مكة او جملة
الصحابة لان العرب لم يكن فيهم ملك يطاع وتجتمع اليه فاعزهم الله برسوله لما آثر رسول الله بعض
المؤلفة بالعطاء بعد حنين ولم يعط الانصار شيئا قالوا العجب ان قريشا تقطر سيوفنا من دمائهم
وترد غنائمنا اليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم في قبة وقال ما حديث بلغني
عنكم قالوا هو الذي بلغك قال الم تكونوا فقراء فاغناكم الله بي الم تكونوا ضلالا فهداكم الله
بي فكلما قال كلمة قالوا الله ورسوله امن ثم قال والله اني لاعطي رجالا اتالفهم على
الاسلام اما ترضون ان يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله فيكم المحيا وفيكم الممات تخافون

ان يتخطفكم الناس كفار قريش ومن عداهم من العرب فانهم كانوا اعداء مضادين لقريش او فارس
والروم والتخطف الاختلاس والاخذ بالسرعة فآويكم جعل لكم ماوي وهي المدينة وايدكم بنصره
على الكفار يوم بدر او بمظاهرة الانصار وامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات باحلال الغنايم لعلكم
تشكرون لكي تشكروا هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل فرايض الله و
ترك سنن رسوله واصل الخون النقص ومنه خاينة الاعين وهي مسارقة النظر وفي الحديث كان
عبد الله بن عمر يتخوننا بالموعظة مخافة السآمة علينا وقد الم به كعب بن زهير في قوله لم تخونه
الاصايل نزلت في ابي لبابة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر بني قريظة
احدي وعشرين ليلة فسالوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير وتجليهم كما اجلي اخوانهم الي
اذرعات الشام واريحاء فابي فقالوا اجعل بيننا وبينك سعد بن معاذ ونحن نرضي بحكمه وننزل
فرضي رسول الله بذلك وارسل اليهم ابا لبابة وكان مناصحا لهم فلما بلغ الرسالة اشار بيده الي
حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فلم تزل قدماي مكانهما حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله
فندم على ذلك وربط نفسه بسارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى
اموت او يتوب الله علي فمكث على ذلك سبعة ايام فخر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله حتى يحلها رسول الله فجاء وحله فقال ان من تمام توبتي ان
اهجر دار قومي التي اصبت بها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجزيك الثلث وتخونوا اماناتكم فيما بينكم مجزوم داخل تحت النهي او منصوب بتقدير ان
بعد الواو نحو قوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون قبح الخيانة او حال كونكم عالمين عامدين ليس ذلك
على سبيل السهو وانتم علماء لا يخفى عليكم حسن الاشياء وقبحها واعلموا انما اموالكم واولادكم
فتنة تختبرون بهما فلا يحملنكم حبهما على الخيانة وتقديم الاموال لعمومها في الناس او لكونها
شقيق الروح وكان ابو لبابة انما وقع فيما وقع لان عياله وامواله كانت في ايدي بني قريظة وان الله
عنده اجر عظيم لا يحاط بمقداره فلا تفوتوه بحب الاموال والاولاد الفانية يا ايها الذين آمنوا ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هو ما يفرق به بين الحق والباطل اي شي كان كالحلوان والعنوان
والمراد به في الآية اما النصر لانه يفرق به بين المحق والمبطل ولذلك سمي يوم بدر يوم الفرقان
او ما يلقي الله في قلوب المتقين لدي الاشتباه لقوله واتقوا الله ويعلمكم الله ويكفر عنكم
سيئاتكم لان الحسنات يذهبن السيئات ويغفر لكم ويتجاوز عن ذنوبكم فالاولي حمل احدهما على
الصغاير والآخر على الكباير لان المتقي تايب والتوبة تجب ما قبلها من الكباير وقيل ما تقدم وما
تاخر وتخص باهل بدر لان الله تعالى اطلع عليهم يوم بدر وقال افعلوا بعد اليوم ما شئتم
ولا حرج والله ذو الفضل العظيم لا يحاط بفضله ولا يقتصر على المغفرة بل يبدل سيئات التائب
حسنات وفيه ايماء الي ان جزيل نواله تفضل منه لان العبد لا يستحق اجرا في مقابلة عمله واذ
يمكر بك الذين كفروا لما ذكر ما من به عليه من قهر العدو بالقتل والاسر ورد امر الغنيمة اليه
وامر المؤمنين بطاعته واستجابة دعائه والمسارعة الي امتثال اوامره ذكر سوابق نعمه ليتوفر على
القيام بشكرها اي اذكر ذلك الوقت او حادثه ذلك الوقت لما مات ابو طالب وهاجر من اصحاب
رسول الله من هاجروا بايعه الانصار واسلموا فشق ذلك عليهم وخافوا من نفاق امره اجتمعوا في
دار الندوة للمؤامرة في شانه فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ فقال انا شيخ ذو راي من نجد وقد
سمعت بامركم فدخلت عليكم ولن تعدموا مني نصحا فرضوا به وشرعوا في التشاور فقال ابو البختري

الرأي عندي ان تحبسوه في بيت وتشددوا وثاقه وتلقوا اليه في كوة طعامه وشرابه وتتربصوا به
ريب المنون فقال ابليس هذا ليس برأي اذ لا تأمنوا ان يقاتلكم عليه قومه ويخلصوه وقال بعضهم
الرأي عندي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم وتستريحوا منه فقال ابليس ليس هذا برأي اذ لا
تأمنوا ان يفسد قوما ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل اني ارى ان تأخذوا من كل بطن عبدا وتعطوه سيفا فيضربوه
ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنوهاشم على قتال قريش كلهم فاذا طلبوا العقل
عقلناه فقال ابليس الرأي ما يراه هذا الفتى فهو اجودكم رأيا فتفرقوا على ذلك فاخبر جبرئيل رسول
الله بذلك وامره بالخروج وان لا يبيت تلك الليلة في مضجعه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن ابي طالب بالبيتوتة في مكانه وقال له اتشح ببردتي لا يخلص اليك شر وخرج مع الصديق مهاجرا
والقوم باتوا مترصدين له فلما اصبحوا لم يروا الا علي بن ابي طالب ورد الله مكرهم ولما اقتفوا اثره فاعمى
الله ابصارهم وفي الحديث انهم لما لبثا بعد الخروج ثلثه ايام في الغار وجاء الطلب في اثرهم وصعدوا
فوق الغار فقال ابو بكر لو نظروا يا رسول الله تحت ارجلهم لرأونا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما وقد روي انه عليه السلام لما رأى بالصديق
اضطرابا قال له انظر الى جانب الغار فنظر فرأى بحرا وعلى ساحله سفينة ليثبتوك بالحبس و
الوثاق او الاثخان بالجراح او يقتلوك بالسيوف او يخرجوك من بلدك هاربا على وجهك ويمكرون و
يخفون ذلك مكرا بك ويمكر الله يعاملهم معاملة الماكر من حيث لا يشعرون كما فعل بهم يوم بدر
بان قلل المسلمين في اعينهم حتى اجترؤا على القتال ثم امدهم بالملائكة والله خير الماكرين لا يؤبه
لمكرهم عند مكره واطلاق مثله عليه على سبيل المشاكلة والازدواج واذا تتلى عليهم آياتنا
قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول ابي جهل كذا استدرك البخاري وقيل نضر بن الحارث وكان
فلجاء بالاكاذيب من قصة رستم واسفنديار وكان القريش يجتمع عليه عند الركن ويقرأ عليهم تلك
الاكاذيب ويزعم انه احسن قصصا من رسول الله فاسر يوم بدر فامر رسول الله بان يضرب عنقه
وانما لم يصف الآيات بالبينات اشارة الى فرط عنادهم وانهم لم يقبلوا تلك المقالة من تدبر فيها
ان هذا الا اساطير الاولين نقلت اليه واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك كما يزعمه محمد
فامطر علينا حجارة من السماء معترف للعذاب كما انزلتها على قوم لوط واصحاب الفيل او ائتنا بعذاب
اليم نوع آخر مشابه له يريدون انما يدعيه محمد بانه منزل من عندك افتراء عليك ونحن قاطعون
بعدم حقيته فان كان الامر كما يزعمه فانزل علينا الحجارة لانا مستحقون لذلك لانكار الحق وهذا
اسلوب بليغ في الانكار يستعمل كثيرا وما له الى التعليق بالمحال ولما عرفوا الحق اشار الى المنكر
حقيته على الوجه الذي يدعيه محمد من نزوله اليه من عند الله لانهم لا يكونون صدقوا مطلقا
لقولهم بانه من اساطير الاولين روي ان معاوية قال لرجل من اهل اليمن ما احمق قومك وعليهم
امراة يريد بلقيس فقال اقول اعقلا منهم من قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم بيان ان موجب العذاب قد تكامل ولكن سنة
الله مع الانبياء ان لا يعذب قومهم ما داموا بين اظهرهم لشرفهم عند الله ومكانتهم الا يرى ان
الناس اذا احتوا العذاب من غرق وحرق يتوسلون الى الله تعالى بالاولياء الصالحين في
دفعه والمعنى انهم كانوا يستحقون العذاب لما تشاوروا في امرك وسبب التأخير الى يوم بدر وجودك
بين اظهرهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بعد خروجك والمستغفرون هم ضعفة المسلمين
الذين لم يقدروا على الخروج والهجرة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين قال

ابو جهل

الاثخان

فيهم لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات والقول بان استغفار المستضعفين كان للمشركين بالتوفيق
للايمان بعيد ولا يلايمه لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وهو امر فرضي اي لو استغفروا بعد خروجك
لم يعذبوا وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون
عن المسجد الحرام رسول الله والمؤمنين وفيه اشارة الى انه من اعظم جناياتهم لانهم كانوا يعترفون
بانه لا يحل منع احد من زيارة بيت الله ومع ذلك ارتكبوه وما كانوا اولياءه اي اولياء المسجد رد
لما كانوا يقولون به من انا ولاة البيت نمكن من زيارته من شئنا ونمنع من شئنا وما كانوا اولياء الله
لانهم كانوا يقولون نحن نسقي الحجيج ونفك العاني ونطعم الجائع نحن اولياء الله ان اولياؤه الا المتقون
من الشرك فان المشرك نجس لا يصلح لولاية بيت الله او المتقون هم اولياء الله لا غيرهم ولا اعتناء
بتلك المكارم بدون الايمان ولكن اكثرهم لا يعلمون فلذلك يتمسكون بما لا يصلح دليلا والتقييد بالاكثر
اما لان بعضهم يعلم ولكن يعاند او اطلق الاكثر على الكل كما يطلق القليل على المعدوم وما كان صلوتهم
عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء بفتح الميم وتشديد الكاف ممدودا اسم طاير والمكاء صوته والتصدية
التصفيق من الصدى وهو الصوت الراجع الى المصوت من الجبل بين عدم استحقاقهم لولاية
البيت لانه انما بني لعبادة الله وذكره وهم كانوا يطوفون مشبكين اصابعهم الرجال مع النساء
يصفرون ويصفقون وانما اطلق عليه الصلوة لوضعهم موضعها او الصلوة بمعنى الدعاء او كان
لهم صلوة يفعلون فيها ذلك فذوقوا العذاب ما اصابهم يوم بدر او عذاب الآخرة بما كنتم تكفرون
بسبب استمراركم على الكفر ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله طريقه الموصل
اليه وهو شريعة رسوله نزلت في المطعمين لما خرجوا لتلقي العير وكانوا اثني عشر رجلا يطعمون
كل عشر جزورا وقيل في ابي سفيان المستأجر الاحابيش في وقعة احد فانه استأجر الفين من العرب
باربعين اوقية كل اوقية وزنها اثنان واربعون مثقالا وقيل في قريش فانهم بعد بدر [illegible]
في اخذ الثار من رسول الله صلى الله عليه وسلم والتزم كل منهم مقدارا يجهزون في جمع الجيش
وتهيئة العدد فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة فالاول انفاقهم على الانفاق ودعوة بعضهم
بعضا الى ذلك وهذا اخبار بانهم سينفقون المال مع عدم ترتب الفايدة لما يترتب عليه
من الاسف على فواتها وزيادة العذاب يوم القيمة ثم يغلبون لان العاقبة للمتقين كتب الله
لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا الى جهنم يحشرون من مات منهم على الكفر ليميز الله الخبيث
من الطيب الكافر من المؤمن متعلق بيحشرون نحو قوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون او ما
انفقه المشركون في عداوة رسول الله مما انفقه المؤمنون في نصرته واعلاء كلمة الله فاللام متعلق
بحسرة وقرأ حمزة والكسائي ليميز من التمييز والتشديد وهو ابلغ لكثرة استعماله والزيادة في المعنى
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا منضما بعضه الى البعض من الركام وهو السحاب المتراكب
بعضه فوق بعض فيجعله في جهنم كله وفايدة التاكيد دفع توهم فوت محقر منه كما هو
المتعارف من الملوك في الدنيا فانهم يسامحون في ذلك اولئك هم الخاسرون كل الخسران لان ما جعلوه
وسيلة للنفع في الدنيا لم ينتج وصار زيادة في العذاب يوم القيمة قل للذين كفروا ابي سفيان
وحقهم ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف اي ذنب كان فان الاسلام يجب ما قبله حتى حقوق
في الحربي لانه لم يلتزم شيئا من الاحكام واما الذمي فيسقط عنه ما عدا حقوق العباد وان يعودوا
استمروا على الكفر او يعودوا الى القتال ومشاقة الرسول فقد مضت سنة الاولين سنة
الله في الكفار الذاهبين وهي انهم اهل النار او سنة الكفار المعاندين للرسل وهي الاستيصال

يوم بدر

والاولين منهم وهم قتلآء بدر وقاتلوهم ان لم ينتهوا حتى لا تكون فتنة شرك وضلال ويكون الدين
كله لله لا يكون لغيره فيه نصيب لكونه المستحق دون غيره فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير يجازيهم
على ما عملوا وان تولوا واعرضوا عن هذا النصح والبشارة بمغفرة ما قد سلف عنهم فاعلموا انتم ايها
المؤمنون والمراد الاستمرار ان الله موليكم ناصركم دايم النصر لكم نعم المولى المالك المنعم ونعم
النصير الناصر الذي لا يغلب واعلموا انما غنمتم من شيء نزلت في غنايم بدر بعد ما ردّ امرها الى رسوله
فصّل ذلك المجمل وقيّد فانونا يمشون عليه مدى الدهر والمعنى اعلموا علما مقرونا بالعمل ان كل شيء
غنمتموه من الكفار مما يقع عليه اسم الشيء جليلا كان او حقيرا فان لله خمسه فثابت لله خمسه خبر
للموصول في انما والجملة قامت مقام مفعولى العلم وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل اي تقسم الغنيمة خمسة اخماس ثم يؤخذ الخمس لواحد ويصرف على هذه المصارف الخمسة
فان ذكر الله في امثاله للتوطئة وكانه قيل حق الخمس ان يكون متقربا به اليه تعالى ثم خص الجهة
المصروف اليها بهؤلاء الاخصين به وقيل بل هنا له سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب
ولم يذهب اليه احد من ايمة المذاهب فان ابا حنيفة رحمه الله حصره في اليتامى والمساكين
وابن السبيل لان سهم رسول الله وذوي القربى ساقط عنده وانما يعطى ذووا قرابته
اذا اتصفوا باحدى الصفات الثلثه وقال الشافعي رحمه الله بل الاخماس باقية كما كانت في عهده
صلى الله عليه وسلم فسهمه يعرف الى ما كان يصرفه اليه من الكراع والسلاح وما كان عدة للجهاد
وساير مصالح المسلمين وسهم ذوي القربى يصرف اليهم يستوي فيه الغني والفقير للذكر مثل حظ
الانثيين وذووا قرابته بنوهاشم وبنو المطلب دون بني نوفل وبني عبد شمس وان كان هاشم
والمطلب ونوفل وعبد الشمس اولاد عبد مناف وذلك لما اسنده البخاري ان رسول الله لما اعطى بني
هاشم وبني المطلب قال له عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان عبشميا وجبير بن مطعم وكان
نوفليا يا رسول الله بنوهاشم لا ننكر فضلهم لمكانك منهم ولكن نحن وبنوا المطلب بمنزلة فكيف
اعطيتهم دوننا فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه وقال نحن وبنوا المطلب هكذا لم يفارقونا
في جاهلية ولا اسلام واشار بذلك الى قصة وهي ان ساير بطون قريش تعاضدوا على معاداة بني هاشم
وبني المطلب وحلفوا على ان لا يناكحوهم وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها على باب البيت فوافقهم على
ذلك بنو نوفل وبنو عبد الشمس ان كنتم آمنتم بالله حذف جزاؤه لدلالة ما تقدمه عليه فاعلموا
ان خمس ما غنمتم لكذا وما انزلنا على عبدنا من الآيات والامداد بالملائكة او ما انزلناه عليه
يوم الفرقان يوم بدر في امر الغنيمة وجعلنا امر الغنيمة مفوضا اليه وسمي به لانه فرق فيه بين الحق
والباطل يوم التقى الجمعان بدل منه للتوضيح والبيان والله على كل شيء قدير ولذلك نصر شرذمة
المؤمنين وامدهم بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا القربى من المدينة والعدوة بالضم شاطي الوادي
وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر العين والضم افصح لانه لغة الحجاز منصوب بما ذكر او بدل ثان ليوم
الفرقان وهم بالعدوة القصوى من المدينة والقياس القصيا كالعليا والدنيا تفرقة بين الاسم والصفة
وقد جاء على الاصل كالقود واستحوذ والركب اسفل منكم على الساحل وانما يطلق على اصحاب الابل
في السفر اذا كانوا فوق العشرة ولو تواعدتم انتم والمشركون الاجتماع على هذه الهيئة لاختلفتم في
الميعاد انتم لقلة عددكم وهم لرعب رسول الله في قلوبهم وانما ذكر الواقعة مع ذكر الزمان والمكان رقونا
مفصلا بانهم كانوا في العدوة الدنيا والعدو في العدوة القصوى والركب باسفل منهم وهم عالمون
بذلك تذكيرا لهم وتصويرا للواقعة المفضية الى اعلاء كلمة الله مع ان حالهم كانت منافية للانتصار

وقهر العدو لان العدوة الدنيا كانت ارضا ذات رمل تسوخ الاقدام فيها ولم يكن بها ماء والقصوى
كانت ارضا طيبة بها ماء وكون الركب اسفل منهم قريبا مما يثبت جاش المشركين ويشجعهم على القتال واذا
علم ان ذلك النصر لم يكن الا من الله لا باسباب منهم فيجب عليهم المبادرة الى امتثال اوامره التي من جملتها
امره بايصال الخمس الى مصارفها ليكون وصلة الى الانتصار في ساير الوقايع ويكون لطفا بالسامعين اذا
نابت عليهم الى آخر الدهر وليتعلق به قوله ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا كان جديرا بان يفعل من اعلاء
كلمة الله واعزاز دينه متعلق بمحذوف اي دبر ما دبر من خروج الطايفتين ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حيّ عن بينة بدل من الجار والمجرور او متعلق بمفعولا والمعنى ليكون كفر من كفر صادرا عن حجة
واضحة عليه دالة على مكابرته واسلام من اسلم عن يقين لا تشوبه شايبة وهم اذ لا علم فوق عين اليقين
فيكون الهلاك والحيوة مستعارين او ليموت من يموت بعد مشاهدة البينة ويعيش من يعيش بعد
معاينتها قراء نافع وابن كثير في رواية البزي وابو بكر عن عاصم بفك الادغام على الاصل والباقون بالادغام
وان الله لسميع اقوالكم عليم بنياتكم وانما اردف الكفر والايمان بهما لان كلا منهما يكون بالقول والاعتقاد
واذ يريكهم الله في منامك قليلا رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤياه
قبل الوقعة شرذمة فاخبر بذلك اصحابه ليكون ذلك مشجعا لهم ذاهبا برجز الشيطان وقيل بل رآهم
رؤية عين والمنام هو العين وليس فيه زيادة معنى مع العدول عن الحقيقة واذ مقدر باذكر وقليلا
نصب على الحال من المفعول ولو اريكهم كثيرا لفشلتم جبنتم وخفقت قلوبكم ولتنازعتم في الامر في
امر القتال بان يقدم عليه بعضكم ويحجم البعض وتفرقت كلمتكم ولكن الله سلم عن الفشل والتنازع بارائكم
اياهم قليلا انه عليم بذات الصدور بمضمراتها كانت او سكون واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
مطابقا لما اخبر به رسول الله ومصدقا لرؤياه الضمير ان مفعولا الارآءة لانها من رؤية البصر فلا يقتضي
ثالثا وقليلا نصب على الحال وعن ابن مسعود قللوا في اعيننا حتى قلت لمن كان على جانبي انراهم مائة مايا منهم
ويقللكم في اعينهم حتى قال ان محمدا واصحابه اكلة جزور ودابهم ان الجزور طعمة مائة وهذه الارآءة كانت
قبل التلاقي فلما تلاقوا اكثرهم الله في اعين المشركين حتى راوهم مثلى عدد المشركين لقوله يرونهم
مثليهم رأي العين وذلك من آيات الله وامداده كما امدهم بالملائكة ولما كانت الرؤية وساير الادراكات
بخلق الله من غير شرط فله ان يخلق رؤية القليل في صورة الكثير وبالعكس ليقضي الله امرا كان مفعولا
كرره لاختلاف الفعل المعلل والى الله ترجع الامور فيصدرها كيف يشاء يا ايها الذين آمنوا اذا
لقيتم فئة جماعة كفارا كانوا او بغاة لقوله فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى الله او قطاع الطريق
لقوله يحاربون الله ورسوله واللقاء اشتهر في القتال فاثبتوا واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا لعلكم
تفلحون تظفرون بالنصر روى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتم فاصبروا
واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف وكان يقول عند لقاء العدو اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب
وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم واطيعوا الله فيما امركم به من الثبات في مواطن الحرب ورسوله
ولا تنازعوا وفيكم رسول الله الذي يأتيه الخبر من السماء ساعة فساعة وقد قال لا ينبغي
عندي التنازع فتفشلوا من الفشل وهو الجبن مجزوم داخل تحت حكم الامر ومنصوب باضمار ان وتذهب
ريحكم دولتكم ونصركم مستعار لهما لانهما في التمشي والنفوذ كالريح في الهبوب او هو حقيقة لان
عادة الله جرت بان يكون الريح من صوب جاء العدو له النصر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نصرت من
بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا كرره ليفيده بقوله ان الله مع الصابرين بالحفظ والنصر ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم يريد مشركي مكة بطرا مصدر في موضع الحال بالتاويل او بتقدير الفعل

والبطر مقابلة النعمة بالكفران تكبرا ورياء الناس عطف على بطرا وهو اظهار الجميل خلاف ما في الباطن
وذلك ان ابا سفين ارسل الى كفار قريش يخبرهم بنجاة العير ويامرهم بالرجوع فقال ابو جهل
كلا والله حتى نرد بدرا فنشرب بها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان ولما وردوا بدرا شربوا ولكن
كوس المنايا وغنت لهم ولكن النوايح ففقدا مروا بمقابلة النعمة بالشكر والاخلاص في الاعمال لان النهي
عن الشيء امر بضده لاسيما عند القرينة ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط عطف على بطرا و
لقصد الحدوث بخلاف البطر فانه امر مستمر واذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي كانوا يتقربون بها من النحر
لآلهتهم واطعام الحاضر وسقي الحجيج وفايدة الامر تذكر التحذير عن الاغترار بوساوس الشيطان وان
اباطيله تضمحل عند بدو تباشير الحق وقال لا غالب لكم اليوم من الناس لان تلك الاعمال دافعة عنكم
ولانكم على الحق وملة ابراهيم واني جار لكم مجير لكم وانتم في امان فلما تراءت الفئتان الحزبان نكص على عقبيه
رجع القهقرى وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله عن ابن عباس ان ابليس تصور لهم
بصورة سراقة بن مالك الكناني وذلك لان قريشا وكنانة كان بينهم حرب فلما ارادوا المسير الى حماية
العير قالوا كيف وبينكم وبين كنانة ما تعرفون نخلفونكم في اهليكم فقال اني جار لكم من كنانة وذهب معهم له
راية في جند من الشياطين الى ان راى الملائكة نازلين وكانت يده في يد الحرث بن هشام اخي ابي
جهل فضربها في صدر الحرث ثم ولى هاربا فقال له الحرث ويلك يا سراقة اتخذلنا في هذه
الساعة فقال اني ارى ما لا ترون فالناس على هذا كنانة ويحتمل ان يكون ذلك التزيين بالوسوسة
وقوله اني جار لكم ايهامه اياهم ان اتباع خطواته وطاعته مما يغني عنهم شيئا ولم ينفعهم ذلك
الاتباع شبه بالرجوع القهقرى وهذا مروي عن الحسن وقوله اني اخاف الله على الاول معناه انه يخاف
من الملائكة النازلين ان يصيبوه بمكروه اولما راى الملائكة مردفين ظن انه يوم القيمة لما راى
من خرق العادة وعلى الثاني شبه تزلزل كيده وعدم ثباته وانهزام جنده من المشركين بمن ولى مدبرا
من الخوف والناس محمد صلى الله عليه وسلم وجزبه روي ما لك عن طلحة بن عبيد الله ان رسول الله
قال ما رئي ابليس اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رئي يوم بدر
والله شديد العقاب من كلامه تعالى اي يحق لابليس ان يفر من خوف عقابه ويجوز ان يكون من تتمة
كلام ابليس اظهارا للمعذرة اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض واذكر وقت قول المنافقين والذين
لم يرسخ الايمان في قلوبهم بعد او المشركين اوهم المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم
مقول قولهم اي غروا واثقين بدينهم ولذلك خرج ثلثمائة رجل الى قتال الف ذكره في معرض الامتنان
واجاب عن شبههم بقوله ومن يتوكل على الله يثق به ويفوض امره اليه ويقطع النظر عن الاسباب فان الله عزيز
حكيم غالب لا يغالب ما يفعله انما يفعله بحكمة ينصر اولياءه ويقهر اعداءه وان كان ذلك في مستبعد
بادي الراي ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة اي لو رايت ذلك لرايت امرا عظيما هم الذين قتلوا
يوم بدر وقيل هم الذين يموتون حتف انفسهم والمراد ان موتهم ليس اخف من موت من قتل قراءة
ابن عامر بالتاء لان الملائكة جمع وعلى قراءة الياء يجوز ان يكون الفاعل هو الله والملائكة مبتداء خبره
يضربون وجوههم والجملة حالية استغني بالضمير عن الواو وعلى الاول المضارعية حال له من الملائكة
او من المفعول او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم استاههم والمعنى يضربون اشرف اعضائهم
واخسها لعدم المبالاة بهم وقيل يعمونهم ضربا ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف
على يضربون بتقدير القول اي قايلين لهم هذا القول مبشرين لهم بعذاب الآخرة بعد هذا الضرب وقيل
بايديهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار منها ذلك بما قدمت ايديكم مبتداء وخبره يحتمل

ان يكون من كلام الملائكة وان يكون من كلام الله وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على الخبر اي ذلك
العذاب بسبب امرين بكفركم وبان الله لا يعذب احدا بغير ذنب وانما اتى بصيغة المبالغة للتكثير المستفاد
من الاستغراق فلو وقع الظلم على تلك الافراد لكان ظلما كثيرا او للاشارة الى شدة العذاب العظيم الذي
يحق بهم لو عذب به من لا يستحقه لكان ظلما عظيما لا ظلما في الحكمة كداب آل فرعون الداب مصدر داب
اذا داوم على الشيء وتمرن عليه وفي الحديث ان بعيرا شكا الى رسول الله من مالكه فقال له
شكى اليه انك تدابه اي تديم العمل عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بايات الله لتشبيه
ان شان هؤلاء واولئك سواء في الكفر فاخذهم الله بذنوبهم احل باولئك جزاء ذنوبهم كما احل
بقومك يوم بدر ان الله قوي شديد القوة لا يقاومه احد شديد العقاب وفي الحديث ان الله يمهل
الكافر حتى اذا اخذه لم يفلته والملك من ملوك الدنيا اذا عاقب نهاية عقابه القتل وعقاب الله
تعالى العذاب السرمد ذلك اشارة الى ما حل بالمشبه والمشبه به بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها
على قوم لم يزلها عنهم حتى يغيروا ما بانفسهم حتى يتركوا شكرها ويجعلوا مكانه الكفر الم تر الى
الذين بدلوا نعمة الله كفرا والنعمة التي غيرها قريش هو رسول الله فان الله انعم عليهم به فلم يشكروا
تلك النعمة لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا اولم نجعل لهم حرما آمنا وجعل لهم
رحلتي الشتاء والصيف فاطعمهم من جوع وآمنهم من خوف فلما اخرجوا رسول الله من الحرم احل الله
القتال في الحرم ولم يحل لاحد قبله حتى قال يوم الفتح للانصار احصدوا اوباش قريش فلم يلقوا احدا
الا اناموه فقال ابو سفيان يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى السلاح فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ان الله سميع
لاقوالهم عليم بعقايدهم تعليل لما احل بهم من العذاب كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات
ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون كرر التشبيه للتاكيد وبدل لفظ الجلالة بالرب
ايماء الى ان الكفر بآيات الله كفر بنعمة المنعم وبين ان الاخذ السابق كان باهلاك طايفة واغراق
اخرى وكل كانوا ظالمين وكل من هؤلاء واولئك كانوا ظالمين بالكفر والتكذيب ان شر الدواب
شر كل مما يدب على الارض عند الله الذين كفروا الصم البكم الذين لا يعقلون فنزهم
في تلك الآية فهم لا يؤمنون لعدم القابلية بانتفاء آلة الادراك والقوة الدراكة القابلية
ما قبلها الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل بعض من الذين كفروا هم بنو قريظة
من اليهود فانهم كانوا معاهدين رسول الله هم وبنو النضير فنقضوا العهد واعانوا المشركين
على رسول الله وارسلوا كعب بن الاشرف الى مكة ليعقد الحلف معهم فعلم رسول الله بذلك
فارسل اليه محمد بن مسلمة ومعه ثلثة نفر فقتلوه ثم جاء رسول الله الى اليهود وقال يا معشر
اليهود اسلموا تسلموا قالوا لقد بلغت يا ابا القاسم قال ذلك اردت اعلموا يا معشر اليهود ان الارض
لله ولرسوله واني اريد ان اجليكم من هذه الارض فاجلا بني النضير ومن على قريظة حتى كان يوم
الخندق غزوة الاحزاب نقضوا العهد وحاربوا رسول الله واعانوا المشركين عليه فلما رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل جاء جبرئيل وهو ينفض راسه من الغبار فقال وضعت
السلاح فوالله ما وضعناه اخرج اليهم واشار الى بني قريظة فحاصرهم رسول الله ونزلوا على حكم
سعد بن معاذ فحكم بان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وهم لا يتقون شناعة الغدر او هم لا يتقون
عذاب الله بنصر المؤمنين عليهم وقتلهم وسبي اولادهم وهتك حريمهم فاما تثقفنهم في الحرب
تصادفنهم واصله الحذق والسرعة يقال غلام ثقف اي عاقل حاذق فشرد بهم من خلفهم

نكل بهم نكالا يكون سببا لتفرق الآخرين الذين لم يحضروا معهم حتى لا يناصبك بعد ذلك احد والتشريد
هو التفريق من شرد الجمل اذا ذهب وعصى لعلهم يذكرون لعل من شردت يتعظ ويرعوي العاقل من اتعظ
بغيره واما تخافن من قوم خيانة ولم يبد منهم ما يوجب نقض العهد فانبذ اليهم عهدهم واخبرهم بان
لا عهد بينك وبينهم على سواء كاينين انت وهم على صفة الاستواء في العلم والعداوة حال من النابذ و
المنبوذ اليه ان الله لا يحب الخاينين تعليل للامر بالنبذ او النهي عن الغدر الذي دل عليه الامر
بالنبذ وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيمة ينصب عند استه وينادي
عليه هذه غدرة فلان ولا تحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كفروا سبقوا الجملة
سدت مسد المفعولين اي لا تحسبن الكافرين الذين فروا يوم بدر فاتين وقرا حمزه وابن عامر وحفص
بالياء على ان سبقوا ثاني المفعولين والاول محذوف اي انهم سبقوا او الضمير للنبي على طريقة الالتفات
او لكل حاسب ولا تحل في هذه القراة ودعوى تفرد حمزة باطلة لموافقة ابن عامر وحفص في السبعة
وابي جعفر في العشرة وابن محيصن والحسن وطلحة في الشاذة والمختار الخطاب لجريه على السنن السابق
ولعدم الحذف ولكونه ابلغ تسلية لانها نزلت في من افلت يوم بدر ومن جعل ضمير الغيبة لمن خلفهم ابعد
عن المقام انهم لا يعجزون استيناف يوكد عدم السبق المفهوم من لا تحسبن وقرا ابن عامر انهم بالفتح
اما لكونه مفعول الحسبان وسبقوا حال او صلة او بتقدير اللام تعليلا واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ذكر ان الفارين من بدر ليسوا بفائتين لانهم وكان مظنته ان يتكاسل المؤمنون في امر الجهاد متكلين
على ذلك حثهم على اعداد آلة الحرب لقهر اعداء الله واعداءهم والقوة خلاف الضعف والمراد به الرمي
بالسهم انه صلى الله عليه وسلم قرا الآية على المنبر وفسر القوة بالرمي وكرره ثلاثا ولعل ذلك
لانه يدفع العدو من بعيد ولا يمكنه الاحتراز منه لعدم الاحساس به ولان حرب العرب اكثر ما يكون بالحراب
والسيوف فحثهم على تعاطي الرمي وفي الحديث من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا ومن رباط الخيل انما
خصه بالذكر لشدة الامر في ذلك وصرف المال اليه وقيل القوة كل ما يتقوى به من آلة الحرب
وافراد الرباط لفضيلته نحو عطف جبرئيل على الملائكة ترهبون به عدو الله وعدوكم استيناف
تعليلا للامر وجملة حالية وهم كفار مكة وآخرين من دونهم فارس والروم وقيل المنافقون او اليهود
كانوا ايضا اعداء لكن لم تكن عداوتهم كعداوة مشركي مكة لا تعلمونهم باعيانهم صفة آخرين الله
يعلمهم تنبيه على ان علمه كاف في ذلك فلا يهمنا ونوافي عداوتهم واعداد آلة الجهاد وما تنفقوا
من شيء في سبيل الله يوف اليكم اجره وانتم لا تظلمون لا تنقصون من اجره شيئا وان جنحوا للسلم كافة
مالوا الى الصلح ومنه الطاير والجناح الاثم والسلم الاستسلام وقرا ابو بكر بكسر السين وهما لغتان
كالكنف والكتف فاجنح لها واقبل منهم ذلك اوربما يكون في ذلك زيادة شوكة للاسلام بان يختلط المشركون
ويسمعوا القرآن ويشاهدوا محاسن الاسلام فيكون سببا واعيا لهم الى الايمان وتوكل على الله فوض امرك
اليه دفع لما عسى يتوهم ان يكون الصلح منهم خديعة وطلبا لغرة المؤمنين انه هو السميع لاقوالهم العليم
بافعالهم وضمايرهم فان يكن قصدهم المكر فان مكر الله فوق مكرهم والآية محكمة لانها نزلت في الحديبية
لما صد المشركون رسول الله عن البيت وآية السيف لا تدل على الوجوب بل الاذن في القتال بعد
حرمته وليست مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم كما ظن لما تقدم من ان قوله لا تحسبن الذين سبقوا
نزل فيمن افلت يوم بدر وان يريدوا ان يخدعوك تصريح بما اشير اليه بقوله وتوكل على الله فان حسبك
الله كافيك لا يحتاج معه الى آخر يستوي فيه الجمع والمفرد هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين
قلوبهم باحداث التحابب والتواد بعد التباغض والتماقت اشارة الى ما كان بين الانصار قبل الاسلام

من الحروب المتكاثرة في الازمنة المتطاولة وهم الاوس والخزرج ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابدل الله ذلك بالالف والاخوة بحيث لم يبق لذلك اثر وفي الحديث انهم تذاكروا يوم بعاث وهو يوم
مشهور وكانت الغلبة فيه للاوس حتى تداعى القبيلتان للحرب فجاءهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اتدعون بدعاية الجاهلية وانا بين اظهركم فعلموا انها كانت نزغة من الشيطان فندموا
وتعانقوا لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم لتمكن العداوة فيهم دهرا طويلا وكثرة
الدماء والثارات ولكن الله الف بينهم انه عزيز لانه قادر على كل شيء وقلوب العباد بين اصبعين
من اصابعه يقلبها كيف يشاء غالب لا يغلبه على مراده شيء حكيم متقن في صنعه جعلهم بعد ذلك
التفرق يدا واحدة على نصرة دين الله واعلاء كلمته يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
حصرا لا كفاية في نفسه لانه المؤثر ابتداء واضاف اليه المؤمنين ثانيا جريا على الظاهر في اعتبار
الوسايط والموصول اما في محل الرفع عطفا على المرفوع او في محل النصب لانه مفعول معه فحسبك والضحاك
سيف مهند او مجرور المحل بدون اعادة الجار على مذهب الكوفيين يا ايها النبي حرض المؤمنين على
القتال بعد علمه انه كافيه امره ان يحثهم على القتال الذي هو سبب اعلاء كلمته والحرض شدة المرض
اراد به المبالغة في الحث ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
الفا من الذين كفروا شرط في الغلبة الصبر وعلل بانهم قوم لا يفقهون قلوبهم خاوية
عن المعرفة لا يرجون من الله ثوابا ليكون باعثا لهم على المصابرة بخلاف المؤمنين فانهم موقنون
بما اعد الله لمن يموت في سبيله من علو الدرجات روي ان خالد بن الوليد في بعض الحروب
مع الروم بارز يوما من الايام بنفسه وكان امير الجيش فقتل الف بطل من ابطال الروم ثم
تقدم اليه بطريق منهم وقال له يا امير هل اخبرك نبيكم انك لا تموت فقال
خالد لم ذلك قال لان ما تفعله من الاقدام انما يفعله من اخبره صادق القول بان سبيل للموت اليه
فقال خالد اخبرني صادق القول بان كل نفس ذائقة الموت واخبرني ايضا بما اعد الله لمن يقتل
في سبيله من النعيم وكان غدائي اليوم خبز الشعير مبتلا بالماء فانا استعجل الموت للفوز بذلك
النعيم فاسلم البطريق مكانه قرا ابو عمرو والكوفيون ان يكن منكم مائة في هذه الآية والكوفيون
في الثانية مائة صابرة بالتذكير والباقون بالتانيث والتذكير هو المختار لاعتبار المعنى
ومناسبة يغلبوا الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله كان الامر بمقاومة الواحد العشرة لقلة
المسلم ولما كثروا وكان ذلك شاقا عليهم خفف عنهم بمقاومة المائة للمائتين والالف للالفين
وانما كرر مقاومة القليل للكثير لمعان مختلفة واعداد متباينة اشارة الى ان الحكم واحد
لا يتغير باختلاف الاعداد ربما العشرون المائتين ويقاوم المائة الالف وكذلك ربما يقاوم
العشرة العشرين ويقاوم الالف الالفين قرا ضعفا بفتح الضاد حمزة وعاصم والباقون بالضم
وهما لغتان والله مع الصابرين بالنصر والاعانة حث على المصابرة المشروط بها النصر ما كان
لنبي ان يكون له اسرى ما صح وما كان ينبغي له وقرا ابو عمرو ان تكون بالتانيث نظرا الى
لفظ الاسرى حتى يثخن في الارض يكثر القتل من الثخانة وهي الغلظ والكثافة المناسبة للكثرة
وفائدة في الارض والقتل لا يكون الا فيها الاشارة الى انه لا ينبغي له ان يقصد الى ان ياتيه
العدو بل يمشي في مناكب الارض ويسعى لاعلاء كلمة الله كما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم غزا في عشر سنين سبعا وعشرين غزوة وله نيف وخمسون سرية وقال لولا ان اشق على

بردعلى الكشاف

الجناح

لا تقاوم

معا

وقالوا لولا ان اشق على امتي ما قعدت خلف سرية تريدون عرض الدنيا متاع الدنيا والله يريد الآخرة
يريد لكم ما يوصل الى ثواب الآخرة من الجهاد والقتل لاعزاز دينه والله عزيز لا يحتاج الى معاون وانما
يأمركم بالمحاربة مع اعدائه لطفا بكم لتنالوا ثوابه وجزيل نواله حكيم في كل ما يأمر به وقع لما يتوهم
من قوله فاما منا بعد واما فداء فانه جوز الفداء والمن وذلك لما كان بالمؤمنين من الشوكة والكثرة
وهذا كان عند قلة المؤمنين وكان اول قتال وقع فكان الاولى الاكثار في القتل ليقع الرعب في قلوب
المشركين لما اسر سبعين من المشركين شاور ابا بكر فقال يا رسول الله قومك وعشيرتك وعسى الله
ان يرزق بعضهم الاسلام ونخرج من ظهورهم من يشهد ان لا اله الا الله خذ الفداء منهم يتقوى به المهاجرون
والانصار ثم التفت الى عمر بن الخطاب وقال له ما ترى انت يا ابن الخطاب قال لا ارى ذلك الرأي يا رسول
الله هؤلاء رؤس الكفار وصناديدهم مر عليا ليضرب عنق عقيل ومرني ان اضرب عنق فلان نسيب له
وانه تعالى اغناك عن فداهم فاختار رسول الله ما اشار به الصديق واخذ الفداء وقال ان مثل ابي
بكر مثل ابرهيم حيث قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثل عمر مثل نوح اذ قال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فنزلت قال عمر فدخلت على رسول الله وابو بكر عنده وهما
يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال عرض علي عذاب اصحابك في اخذهم
الفداء ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وفي الآية دليل على انه كان يجتهد في الوقايع لا سيما في
امر الحرب ويخطي نادرة ولكن ينبه على خطائه لولا كتاب من الله سبق لولا سبق في علمه او لولا كتب في اللوح
ان المجتهد اذا اخطا لا يؤاخذ او اهل بدر لا يعذبون او ان الفدية التي اخذوها كانت مباحة لهم في علم الله
لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم لعظم ما جئتم به وهو الميل الى الدنيا وترك جانب الآخرة قال صلى الله عليه وسلم
لو نزل العذاب لما نجا منه الا عمر ويدل ذلك على ان غيره كان يرى رأي ابي بكر وقيل الا عمر وسعد بن معاذ
فكلوا مما غنمتم ومن جملته الفداء والفاء داخلة على المسبب اي ابحت لكم الفداء فكلوا حلالا حال من المجرور
او صفة مصدر طيبا لا عتاب معه كما لا عقاب مع الحلال واتقوا الله في مخالفته والاقدام على ما لم يأذن فيه
ان الله غفور غفر لكم ما فرط منكم في اخذ الفداء رحيم بكم ولذلك احل لكم الغنيمة قال اعطيت خمسا لم يعطهن
احد قبلي كان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الاحمر والاسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض
مسجدا واحلت الغنايم واوتيت الشفاعة يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى قرأ ابو عمرو الاسارى
وكل منهما جمع اسيرا والثاني جمع الجمع ان يعلم الله في قلوبكم خيرا مما اخذ منكم نزلت في عباس بن عبد المطلب
اسر يوم بدر وادعى الاسلام وانه خرج معهم مكرها فقال رسول الله لا نعلم ذلك منك قال
ماذا تأخذ مني وقد علمت ما انا فيه من كثرة العيال فقال واين المال الذي قلت لام الفضل اني ذاهب
في وجهي هذا ولا ادري ماذا يصيبني فان اصابني شيء فقد وضعت في موضع كذا مالا فانفقيه على الصبية
فقال خبر السماء والله لقد قلت لها ما قلت في سواد الليل ففادى نفسه وعقيل بن ابي
طالب وفي الحديث ان ابا عبيدة الجراح لما جاء بمال البحرين وكان اكثر مال جيء به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انصرف من صلوة الصبح تعرض له الانصار فلما رآهم تبسم وقال اظنكم سمعتم
بمجيء ابي عبيدة فقالوا اجل يا رسول الله فقال ابشروا والله لا الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى
ان تبسط عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوا فيها ثم جاء وجلس فلم يقم وهناك منه درهم وجاء
العباس فقال يا رسول الله اعطني فاني فاديت نفسي وعقيلا فقال خذ منه فحثا في ذيله وقام ليحمله
فلم يقدر فقال يا رسول الله مر احدا يحمله معي فقال فاحمله انت قال لا فنثر منه شيئا ثم قام
ليحمله فلم يقدر قال يا رسول الله مر احدا يحمله معي قال لا قال فاحمله انت قال لا فنثر منه ثم ذهب

يحمله فاتبعه رسول الله بصره تعجبا من حرصه روي انه قال ان الله قد اعطاني خيرا منه ان لي عشرين عبدا
وادناهم ليضرب في عشرين الفا ويغفر لكم ما سلف والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك ولبس اسلامهم الا
خداعا فقد خانوا الله من قبل بالكفر والخروج الى قتالك فامكن منهم فامكنك منهم حتى قتلت واسرت
والله عليم بالضماير حكيم يجازي كلا على قدر نيته ان الذين آمنوا وهاجروا عن اوطانهم وجاهدوا
باموالهم صرفوها في السلاح والكراع وانفسهم قدم الاموال على الانفس لان صرفها بعد الهجرة من الوطن
غاية السماحة في سبيل الله في الجهاد والذين آووا ونصروا جعلوا ديارهم مأوى المهاجرين ونصروا
رسول الله اولئك بعضهم اولياء بعض يتولى بعضهم بعضا في الميراث لما قدم المدينة آخى بين الصحابة
وكان الانصار اصحاب نخيل فكانوا يجعلون شطر اموالهم للمهاجرين حتى قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن
عوف خذ شطر مالي ولي زوجتان ايتهما احب اليك اطلقها فتزوجها فقال له بارك الله لك في مالك
واهلك وكانوا يتوارثون الى ان نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم
من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي لا توارث بينكم وقرأ حمزة ولايتهم بكسر الواو وعن الفراء انهما
لغتان كالوكالة وعن الزجاج بالفتح النصرة وبالكسر الامارة وانما جاز الكسر على التشبيه بالصناعة كالخياطة
والحياكة لان تولي بعضهم بعضا صناعة ما وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم نصرهم
وهؤلاء الذين لم يهاجروا كانوا مستضعفين غير قادرين على اللحوق برسول الله وعن ابن عباس
رضي الله عنه انا منهم وعن حذيفة بن اليمان خرجت انا وابي والمشركون متوجهون الى بدر فقالوا
تريدون محمدا قلنا ما نريد الا المدينة فاخذوا علينا ان لا نذهب اليه فلما جئنا رسول الله ذكرنا له
فقال لنا اذهبوا الى المدينة نفي بعهدهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا يجوز نصرهم عليهم
لانه غدر وخيانة والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه خافية والذين كفروا بعضهم اولياء بعض يتوارثون
ولا توارث بين مسلم وكافر لما حج رسول الله قيل له اين تنزل غدا بمكة قال وهل ترك لنا عقيل من دار
ان عقيلا كان كافرا لما مات ابو طالب ورثه ولم يرثه جعفر ولا علي الا تفعلوه ما امرتم تكن فتنة
في الارض بذهاب المؤمنين الى الكفار لاخذ ميراثهم وبالعكس ويقع بينهم التفاول والتقاتل لان
عداوة الدين لا يمكن زوالها وفساد كبير في الدين لان الولاية بينهم توجب مودة الكفار والحب
في الله والبغض في الله من اوثق عرى الايمان لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا قسم
المؤمنين ثلثة اقسام ميز القسمين منهم بما خصوا به من الزيادة بالسبق في الهجرة وتبوء الدار وصرف
الاموال والانفس في نصرة الدين واعلاء كلمة الله لهم مغفرة ورزق كريم شريف لا تبعة فيه ولا انقطاع
والذين آمنوا من بعد ايمانكم او بعد هجرتكم وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم معدودون منكم لشمولهم
اسم المهاجرين كان لكم مزية تسلية للمتخلف وترغيب للسابق في رعاية جانبه واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض في كتاب الله في التوارث استدل به ابو حنيفة على توريث ذوي الارحام وهو نص فيه
واستدلال قوي ان الله بكل شيء عليم كامل العلم فجعل التوارث عند قلة المسلمين للاحباب ليكون موجبا
للتناصر والتظاهر ولما قوي الاسلام وكثر اهله جعله للقرابة وقيل الا قوله لقد جاءكم
رسول الى آخر السورة وهي آخر ما نزلت آيها تسع وعشرون ومائة عند الكوفيين وثلثون ومائة عند غيرهم
ومن اسمائها الفاضحة لانها فضحت طوايف المنافقين وهو ظاهر وكذا الكافرين واهل الكتاب
بقوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال قاتلهم الله انى يؤفكون والمؤمنين

بقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وبقوله لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء
وانما لم يكتب البسملة فيها لانها نزلت بالسيف ونبذ العهد فلم يلايم ذكرها قال الله ولا تقولوا لمن القى اليكم
السلام لست مؤمنا لانه لا يلايم السلام الذي يدل على الامن فكيف يذكر اسم الجلالة مع الرحمة العامة
لكافة الخلق الشاملة للدارين في نبذ العهد والاعلام بالقتل وسفك الدماء واما تصدير كتبه صلى الله
عليه وسلم بها الى اهل الحرب فكان لدعايهم الى السلام وقيل كان رسول الله يبين موضع
الآيات والسور واتصل بجوار الله ولم يبين موضع هذه السورة وكانت متشابهة بالانفال فلم يعلم
هل هي منها كساير الآيات او هي سورة مستقلة فعمل بالامرين لم توصل كساير الآيات ولم تفصل بالبسملة
براءة من الله ورسوله خبر مبتداء اي هذه براءة ومن ابتدائية اي واصلة من الله او مبتداء خبره
الى الذين عاهدتم والجار والمجرور صفة ومعناه الانفصال والانقطاع ومنه بري المرض والمعنى انقطاع
الموالاة ونبذ العهد الى الذين عاهدتم من المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة
بالمسلمين لان المعاهدة كانت باذن الله فاذا برئ الله من المشركين ومعاهدتهم وجب على المسلمين
نبذ عهودهم وسبب نزولها ان رسول الله كان عاهد المشركين وكان في تلك الهدنة شرط ان لا يتعرضوا لخزاعة
فانهم كانوا حلفاء رسول الله وفي الجاهلية كانوا حلفاء عبد المطلب فعدت بنو بكر على خزاعة وعاونتهم
قريش ثم وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشده لاهم اني ناشد محمد
حلف ابينا وابيك الا تلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا فلما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا نصرت ان لم انصركم فنزلت
واعلم المسلمون بان الله ورسوله قد بريا مما عاهدتم به المشركين وكان نزولها سنة تسع من الهجرة والفتح
سنة ثمان وحج بالناس تلك السنة ابو بكر الصديق رضي الله عنه فاتبعه عليا بسورة براءة ليقرأها
في الموسم فقيل له لو بعثت احدا بها الى ابى بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني وكانت عادة العرب
في نقض العهود ان لا يباشره الا رجل عاهدا ويكون نسيبا له قريبا منه فلحق علي ابا بكر بمنى على العضباء
ناقة رسول الله فلما سمع رغاء الناقة قال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما التقيا قال له اميرا ومأمور
قال على مأمور قال ابو هريرة فجاء علي معنا ينادي ان لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان وقرأ عليهم السورة على جمرة العقبة قدر ثلثين او اربعين آية فسيحوا في الارض اربعة اشهر
عن الزهري انها شوال وذو القعدة وذو الحجة ومحرم وقيل عشرون من ذي الحجة ومحرم وصفر وربيع
الاول وعشر من ربيع الآخر وحرم قتلهم فيها وقتالهم وانما امهل الناكثون اربعة اشهر ليرجع كل منهم
الى ما منه ويقطع علايقه من الديون والمعاملات التي كانت بينهم وبين المسلمين واعلموا انكم غير معجزي
الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين مذلهم بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب السرمد
في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اعلام منهما فعال من الاذن كالامان من الامن خبر مبتداء
او مبتداء موصوف والى الناس خبره يوم الحج الاكبر سمي اكبر لانه في مقابلة العمرة التي تسمى الحج
الاصغر قيل هو يوم العيد لانه يتم فيه اكثر اعمال الحج ولما روينا ان الاعلام فيه وقع وقيل يوم عرفة لانه
الركن الاعظم ولذلك يقال الحج عرفة وقيل وصفه بالاكبر مخصوص بتلك السنة لانه كان فيه المسلمون
والمشركون ووافق عيد اهل الكتاب وامر بتطهيره عن المشركين من عهودهم ورسوله مبتداء محذوف
الخبر اي ورسوله كذلك او عطف على محل اسم ان لانها في حكم المكسورة بعد العلم المقتضي لوقوع
المبتداء والخبر بعدها ولهذا كسرت في علمت ان زيدا القايم وانما فتحت لما يقتضيه معنى المفعولية

ان الله بريء من المشركين

وقرئ بالجر والوجه فيه القسم من الله مثل قوله لعمرك ولا تكرير لان الاول انشاء براءة من الله والثاني
اعلام بذلك للناس كافة فان تبتم فهو خير لكم من التولي والاعراض والمراد الخيرية مطلقا او هو من قبيل
الصيف احر من الشتاء وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله لانه محيط بكل شيء علما وقدرة وانما كرره
زيادة في الايقاظ والنصح واردفه بقوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم على سبيل التهكم مبالغة في التحذير
خلاف الاول فانه اكتفى فيه بخزي الكافرين الا الذين عاهدتم من المشركين في الناكثين وغيرهم والمراد
من اجل عهده فوق اربعة اشهر لان الناكث له الامهال اربعة اشهر ويجوز ان يكون استثناء من قوله فسيحوا
ذا التقدير فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا فاتموا اليهم
عهدهم او منقطع اي لكن الذين عاهدتم منهم ولا يلزم الفصل بالاجنبي لان الاذان بمعنى الاعلام كانه
قيل لهم سيحوا واعلموا ثم لم ينقصوكم شيئا من مواجب العهد بالخيانة ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم
فاتموا اليهم عهدهم اوفوا لهم بالعهد الى مدتهم الى آخر الزمان الذي وقع عليه العهد والمدة برهة
من الزمان ان الله يحب المتقين عن نكث العهد والغدر وفيه ايماء الى ان اتمام عهدهم من باب التقوى
فاذا انسلخ الاشهر الحرم انقضت الانسلاخ الخروج والانتزاع ومنه سلخ الشاة والاشهر الحرم هي التي
ابيح لهم ان يسيحوا فيها وحملها على الاشهر الحرم التي ورد بها الحديث وهي ذو القعدة وذو الحجة
ومحرم ورجب مضر خطاء لان قتل المشركين ليس بمحرم فيها وكونها حرما لزيادة شرفها فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم في الحل وحرم وفي الاشهر الحرم وغيرها وخذوهم الاخيذ لغة الاسير واحصروهم
وقيدوهم وعن ابن عباس رضي الله عنه حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا
لهم كل مرصد كل موضع يرصدون فيه الرصد الراقب والترصد الترقب فان تابوا آمنوا واقاموا
الصلوة وآتوا الزكوة اقروا بوجوبهما لان تارك الصلوة وان كان عند الشافعي تقتل وعند
احمد يكفر ولكن تارك الزكوة ليس بكافر ولا يقتل اذا لم ينكر وجوبها فخلوا سبيلهم يتصرفون
كيف شاؤا لاستواء المسلمين في الاحكام ان الله غفور ستار بالتوبة ما تقدمها رحيم بجعله
اياهم بعد الايمان كساير المسلمين ووعدهم الثواب على التوبة وان احد من المشركين الذين لا عهد لهم
عندك استجارك استامنك مفسر للفعل الرافع لاحد لان ان الشرطية من لوازم الفعل لفظا
او تقديرا فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتأمله ليكون باعثا له على الاسلام وفيه دليل
على ان كلامه يطلق على اللفظ كما يطلق على المعنى ثم ابلغه مأمنه مكانا يأمن فيه ان لم يسلم
وفاء بالعهد ذلك اي الامر باجارهم بانهم قوم لا يعلمون جهلة لا يعلمون ما حقيقة الاسلام
فاذا تأملوا كلامه تعالى المشتمل على تلك المحاسن والمواعظ دعاهم الى الايمان كيف يكون
للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استبعاد لان يكون لهم عهد مع الغدر الذي صدر منهم
يريد ان حالهم بنا في ذلك العهد الذي يزعمونه عهد مرفوع على انه اسم يكون وخبره كيف وانما
قدم لمعنى الاستفهام وفيه وجوه اخر متعسفة الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم الذين تقدم
استثناؤهم وهم بنو كنانة وبنو ضمرة وفايدة تقييد العهد بكونه عند المسجد الحرام زيادة الحث
على الوفاء به لكونه واقعا في شرف البقاع ومحله النصب على الاستثناء او الرفع على ان الاستثناء
منقطع اي لكن الذين عاهدتم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم عليه ان الله يحب المتقين
كرره للتاكيد على حفظ العهد كيف كرره لزيادة الاستبعاد مع التنبيه على العلة بقوله
وان يظهروا عليكم يظفروا بكم ويكون لهم الغلبة عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يلاحظوا ولا

عام

ولا يراعوا قرابة بينكم قال حسان بن ثابت مخاطبا ابا سفيان لعمرك ان إلّك من قريش
كإلّ السقب من رأل النعام وقيل الإلّ الحلف وقيل الإلّ من اسمائه تعالى بالسريانية يرادف لفظ
الجلالة والمعنى لا يراقبون الله فيكم ولا يخافونه وقيل الإلّ الذمة والعهد وعطف الذمة عليه كعطف
النجوى على السر في قوله ان الله يعلم سرهم ونجويهم يرضونكم بافواههم استيناف يبين حالهم المنافية
لدعوى الثبات على العهد وهو النفاق الذي هو شر الخصال ولا يجوز ان يكون حالا من فاعل لا يرقبوا
لان ارضاءهم بافواههم قبل الظهور وتأبى قلوبهم عن موافقة ما يتفوهون به واكثرهم فاسقون
خارجون عن طريق ذوي المروات الخايفين من وصمة الغدر والتقييد بالاكثر لان قليلا منهم يتحاشى عن
شناعة الغدر او اريد بالاكثر الكل اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن وساير الاحكام ثمنا قليلا نزرا
لا اعتداد به فصدوا عن سبيله شريعته الموصلة اليه او بيته الذي جعله مثابة للناس ومهبط
رحمته انهم ساء ما كانوا يعملون ساء شيئا الذي كانوا يعملونه لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك
هم المعتدون المتجاوزون الحد تفسير لقوله ساء ما كانوا يعملون فلا تكرير وقيل الاول في المنافقين
وهذا في اليهود خاصة او في الاعراب او الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم على حذف المبتدا والمراد الاخوة في الدين والتساوي في الاحكام ونفصل
الآيات لقوم يعلمون الكلام حث على التامل فيما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة
عليها وكانه قيل من تامل تفصيلها فهو الخليق بان يسمى عالما وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
نقضوا عهودهم او ارتدوا بعد الاسلام لقراءة ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الهمزة والوجه هو الاول لان الآية
في ناقضي العهد لا المرتدين واما قراءة ابن عامر بكسر الهمزة فلا دليل فيه لانه مصدر آمنه اذا اعطاه
الامان وطعنوا في دينكم عابوه فانهم كانوا يقولون دين محمد ليس بشيء فقاتلوا ايمة الكفر رؤساءهم
وصناديدهم لان الارذال اتباع فاذا قتلت يرتدع الاوباش والاتباع وكذلك الدخول في الدين
ولذلك قال رسول الله صلى الله لهرقل عظيم الروم فان توليت فعليك اثم الاريسيين وان
اسلمت نؤتيك الله اجرك مرتين وقيل وضع المظهر موضع المضمر لانهم بالنقض ونكث العهود صاروا
متمكنين في الكفر راسخي القدم قراه الكوفيون بتحقيق الهمزتين على الاصل والباقون بالتسهيل على
اصولهم المعلومة انهم لا ايمان لهم جمع يمين اي لا ايمان لهم بارة بل حانثة واليه ذهب الشافعي رحمه الله
وقال بانعقاد يمين الكافر او لا ايمان لهم حقيقة وان وجدت صورة واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله
ولم يصحح يمين الكافر ومن تشبث به في عدم قبول توبة المرتد لا يجديه لان الآية في ناقضي العهد ولو سلم
كونها في المرتدين لا دلالة فيها على ذلك بل ربما يستدل بقوله لعلهم ينتهون على قبوله اذ المعنى التنبيه
على ان غرض المقاتل يجب ان يكون انتهاءهم عما هم عليه لا مجرد الايذاء والتعذيب وقرا ابن عامر ايمان
بكسر الهمزة الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع رسول الله والمؤمنين معا وتوابعي بكر على
خزاعة ونقضوا العهد وكان هو الجامع من القتال وهذا ابلغ من الامر بالقتال لانه انكار لعدم القتال
مع التحريض عليه وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا على ذلك في دار الندوة فان قلت قد تقدم ان
الذي استقر عليه امرهم في التشاور كان قتله فلم لم يذكره مع انه اعظم من همهم باخراجه قلت
اراد التنبيه بالادنى وان ذلك كاف في المسارعة على قتالهم ليعلم منه انهم اذا كانوا بذلك الهم
مستوجبين للقتال فكيف بما هو اعظم وهم بدؤكم اول مرة من غير ان يسبق منكم ما يوجب العداوة
وجزاء سيئة سيئة والبادي اظلم اتخشونهم تقرير للخشية مع الانكار عليها وانها لا ينبغي لمثلهم

هذا الوصل لم تذكره احد غير المؤلف عفا الله عنه منه

فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين لان عقابه لا يشابهه عقاب وكونهم مؤمنين وان كان مقطوعا به
اورده في صورة المحتمل لان تكاسلهم عن القتال بعد تحقق موجبه يوهم ذلك قاتلوهم اعاد الامر بعد
بيان الموجب زيادة في الترغيب وزاد ما يوجب التشجيع بقوله يعذبهم الله بايديكم قتلا ويخزهم اسرا
وينصركم عليهم بالغلبة والقهر فان قلت اليس القتل والاسر يغنيان عن ذكر النصر وما فايدة ذكره بعدهما قلت فايدته
الوعد بان العاقبة لهم مع ذلك القتل والاسر وان لا سبيل للعدو عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين
وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى ان وصف الايمان هو الموجب لذلك الشفاء هم خزاعة الذين نقض
العهد لاجلهم وقيل قوم من اليمن قدموا مكة مسلمين فلقوا من المشركين اذى كثيرا فشكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم الغيظ غضب
العاجز عن الانتقام فان قلت اليس شفاء الصدر مترتبا على زوال الغيظ فما الوجه في تقديمه قلت
النص على المقصود بتعجيل المسرة وقوع سماع المكروب من الم الغيظ بلفظ الشفاء المضاف الى الصدر
الذي هو محل الالام النفسانية ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واعلام بان بعض كفار مكة يتوب
عن الكفر وكان كذلك ووفى الله بما وعد فكان ذلك معجزة وقري بالنصب بتقدير ان على انه جواب الامر
معطوفا على الاجوبة السابقة المجزومة على توهم النصب عكس قوله فاصدق واكن والله عليم بمن
يتوب حكيم متقن فيما يفعله ام حسبتم ان تتركوا الخطاب للمؤمنين وام متصلة ومعنى الهمزة التوبيخ
على الحسبان والانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتميز الخلص منكم عن غيرهم نفي العلم
واراد لازمه والقول بانه نفي المعلوم بنفي العلم انما يستقيم على الوجه الذي ذكر والا فالذوات
التي تتعلق بها العلم لا يمكن نفيها ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة معطوف
على الصلة داخل تحت حكمها وليجة الشخص بطانته وخاصته من الولوج وهو الدخول كانها لفرط
اختصاصها داخلة في قلبه والله خبير بما تعملون ببواطن اعمالكم مزيح لما يتوهم من كون نفي العلم
محمولا على ظاهره ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر عن ابن عباس
انها نزلت في ابيه لما اسر يوم بدر اقبل عليه المسلمون يلومونه على خروجه الى قتال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقطعه الرحم واغلظ له القول علي بن ابي طالب فقال ما لكم تذكرون قبايحنا ولم
تذكروا محاسننا فقال علي واي محاسن لكم قال انا عمار المسجد الحرام وسقاة الحاج وحجبة بيت الله
والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين هذين الامرين المتنافيين وهما عمارة المساجد والاقرار بالكفر
لان عمارة المساجد انما تكون لعبادة الله وهم يعبدون فيها غيره ويدعون له الالوهية كان لهم حول
البيت ثلثمائة وستون صنما قرا ابن كثير وابو عمرو مسجد الله بالافراد وهو المختار الموافق للرسم ولقوله
عمارة المسجد الحرام ومن قرا بالجمع اراد به العموم ويندرج فيه المسجد الحرام لانهم اذا لم يصلحوا لعمارة
شيء من المساجد فافضل المساجد من باب الاولى اولئك الموصوفون بالاشراك وشهادة الكفر حبطت اعمالهم
بطل ثوابها وفي النار هم خالدون مقيمون ابدا فاين الثواب الذي يرجونه انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم
الآخر يوم الجزاء على الاعمال واقام الصلوة وآتى الزكوة نفي صلوح العمارة عن اولئك الموصوفين بما ينافي
عمارة المسجد واثبته على وجه الحصر لمن اتصف بالكمالات العلمية والعملية واقتصر منها على الصلوة والزكوة
لان معظم القصد من بناء المسجد هو الصلوة ومواساة الفقراء المترددين اليها المواظبين على العبادة
فيها وعمارة المسجد يشمل بناءه واقامة الصلوة فيه وتلاوة القرآن وتعليمه وتعليم ساير العلوم الشرعية
والاذكار وفرشه وتنويره بالمصابيح والسرج وفي الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب
وعنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول من يدل على الجمل الاحمر فقال لا رده الله عليك انما بنيت

جاء المؤمنين على خزاعة ضد ان خزاعة حين نقض العهد لم يكونوا مؤمنين منه

الحديث حديث مشهور ذكره في الكشاف

المساجد لما بينت وفي الحديث القدسي قال الله تعالى ان بيوتي في الارض المساجد وان زواري
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زايره ولم يخش الا الله لكمال
تقواه ولا يختار على مرضاة الله شيئا وقيل كان المشركون يخشون الاصنام فالمنفي هي تلك الخشية واما الخوف
الجبلي من ساير الآلام فلا يدخل تحت القدرة ولا يتعلق به غرض ديني فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
لفظ التوقع كعسى ولعل وان كان من الله كالواجب الا ان في ذكره تبعيدا للمشركين عن مقام الاهتداء والانتفاع
بتلك الاعمال التي كانوا يفتخرون بها فان هولاء الموصوفين بتلك الكمالات اذا لم يكونوا جازمين فما ظنك
بغيرهم اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله كايمان من
آمن او اجعلتم اهل السقاية كمن آمن والاول اوجه لان المقايسة وقعت في الافعال لا الاشخاص اشار الى البطلان
دعواهم بان هذه الصفات السنية وهو الايمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله تلك الاعمال لو لم تكن محيطة
لم تذكر في مقابلتها ولم تعادلها فكيف وهي مقرونة بالكفر الذي لا اعتبار لعمل معه لا يستوون عند الله ابي
اهل السقاية والمومنون وان استووا في زعم المشركين وهذا ربما رجح الوجه الثاني والله لا يهدي القوم
الظالمين الذين ظلموا المسلمين بالتسوية الى الحجة والاسند للاول لا الى الاسلام لان منهم من اسلم كعباس
بن عبد المطلب رضي الله عنه والحمل على الكفرة الذين يموتون على الشرك بعيد عن المقام الذين آمنوا و
هاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله ردا المساواة التي ادعوها
واستانف الكلام في شان المومنين المجاهدين ومما اعد لهم من عظيم الدرجات ابدا سرمدا تنبيها على خطاءهم
وازاحه لما كان يتوهم من لفظ عسى من معنى الاحتمال واولئك هم الفائزون الظافرون بالبغية لا غيرهم
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان استيناف لبيان الفوز والبشارة بشارة الملائكة عند الموت لقوله
الذين تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم او عند دخول الجنة لقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا وانما قدم الرضوان على الخلود في النعيم المقيم
لانه المطلب الاعلى لقوله ورضوان من الله اكبر وفي الحديث اذا استقر اهل الجنة في منازلهم يقول الله لهم
هل تطلبون مني شيئا يقولون واي شيء نطلب منك وقد بيضت وجوهنا وادخلتنا الجنة يقول الله
احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا فيفرحون بذلك فرحا لم يفرحوا بشيء قبله ويخرون له سجدا
ونكر المبشر به لوقوعه وراء وصف الواصف واردف الخلود بالابد لانه يستعمل في المكث الطويل ان الله عنده
اجر عظيم لا يحاط به ولم يخطر على قلب بشر يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان
استحبوا الكفر على الايمان عن ابن عباس نزلت في المهاجرين قبل فتح مكة وكان اتمام الايمان موقوفا
على الهجرة ومفارقة الاقارب وفيه ان سورة براءة نزلت بعد الفتح بلا ريب في ذلك فالاولى ان الله
لما انزل براءة من المشركين عامة وكان بين المومنين والمشركين شجنة القرابة التي هي مظنة الموالاة
والود نهاهم عن ذلك ونبه على الموجب لذلك وهو ايثار الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك
هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها وانما نص عليه لان النهي ظاهر في التحريم قل ان كان آباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم هي القبيلة من العشرة وهي المخالطة ومن ثمه سمي الزوج عشيرا في
ذم النساء يكفرن قيل ايكفرن بالله قال لا يكفرن العشير وقرا ابو بكر عشيراتكم بالجمع واموال اقترفتموها
الاقتراف الاكتساب وتجارة تخشون كسادها عدم رواجها لفوات الموسم ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره قيل هو فتح مكة وقيل عقوبة عاجلة
واجلة وعلى الوجهين فيه وعيد شديد والمراد بالحب هو الايثار اختيارا لا الميل الطبيعي لعدم دخوله
تحت القدرة وقد روي البيهقي عنه صلى الله عليه وسلم الحب في الله والبغض في الله من اوثق عرى الايمان

هذا الحديث رواه الطبري عن سلمان الفارسي منه

قرأ ابو جعفر ورواه ابن وردان سقاة الحاج وعمرة المسجد منه

سورة براءة نزلت بعد تبوك وغزوة تبوك بعد الفتح من غير خلاف منه

وعنه من احب لله وابغض لله فقد استكمل الايمان والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته
وهم الذين طبع الله على قلوبهم لقد نصركم الله في مواطن كثيرة في مقامات الحرب ومواقفها بعد النهي
عن الموالاة الاباء والابناء والاشباه اشار الى ان الغرض من وجودهم هو التناصر والتقوي بهم على الاعداء
قد علموا ان النصر من الله وحده شاهدوا ذلك في حروب كثيرة كيوم بدر والاحزاب وقريظة وخيبر و
غيرها من الغزوات والسرايا ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ونصركم يوم حنين والتقدير وموطن
يوم حنين ليكون من عطف المكان على المكان او الزمان على الزمان بان يراد بالموطن الزمان كمقتل
الحسين ومبعث الرسول فعلى الاول اذ منصوب باذكر وعلى الثاني بدل فلم تغن عنكم تلك الكثرة
شيئا من الغناء مصدرا ومن امر العدو مفعول به وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها في موضع الحال
ثم وليتم مدبرين الكفار ظهوركم ثم انزل الله سكينته الوقار وقوة القلب على رسوله وعلى المومنين
الذين ثبتوا معه او من تولى منهم فانهم كروا بعد الفرار وفي الحديث سيل براء بن العازب افررتم
يوم حنين قال لكن رسول الله لم يفر وقصة هذه الغزوة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما فتح مكة وكان معه عشرة آلاف وانضم اليهم من الطلقاء الفان فتوجه الى هوازن وثقيف فتلاقوا
بحنين وهو وادي بين مكة وطايف وكانوا اربعة آلاف مع ما انضم اليهم من ساير العرب فصاروا جمعا
عسكرا كثيفا فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة قيل هو الصديق وهو بعيد وقيل
رسول الله وهذا ابعد فانهزموا بشوم تلك الكلمة وتوقع النصر بالكثرة فبقي رسول الله ومعه
العباس عمه وهو اخذ بلجام بركابه فالتفت رسول الله الى يمينه فقال يا للانصار فقالوا
يا لبيك ثم التفت الى يساره وقال يا للانصار فقالوا يا لبيك ابشر يا رسول الله نحن معك لم يناد غيرهم
ولم يخلط بين الندائين شيئا فرجعوا اليه وعطفوا كما يعطف بقرة الوحش الى ولدها ثم قال يا عم
ناد اصحاب سورة البقرة واراد من صدر الله السورة بهم وهم الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلوة
ثم قال ناد اصحاب الشجرة واراد بها الشجرة التي بايعوا تحتها يوم الحديبية على ان لا يفروا
فناداهم العباس وكان صيتا فلما سمعوا نداء العباس عطفوا على رسول الله عن بغلته وقال
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقال هذا حين حمي الوطيس واخذ كفا من الحصباء ورمي به
وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فهزمهم فقتل وسبي خلقا كثيرا حتى بلغ عدد السبي ستة آلاف
ومن الابل والغنم ما لا يحصى وذلك قوله تعالى وعذب الذين كفروا اي بالقتل والاسر توقف
نيفا وعشرين يوما لم يقسم الغنايم وكان يومل دخول هوازن في الاسلام فلما ابطاوا قسم تلك الغنايم
ثم جاؤا تايبين مسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب الحديث الي اصدقه وقد كنت
استنظرتكم والآن اختاروا احدي الطايفتين اما السبي واما المال فقالوا لا نعدل بالسبي شيئا
فقام رسول الله على المنبر خطيبا وقال هولاء اخوانكم جاؤا تايبين واني قد خيرتهم بين السبي
والمال فاختاروا السبي فمن طابت نفسه فيكم فذاك ومن لم يطب فليكن على حظه حتى نعطيه من اول
ما يفيء الله علينا فقالوا قد رضينا يا رسول الله فقال انا لا نعرف من رضي منكم ممن لم يرض ارجعوا
الى رحالكم حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم فلما رفع عرفاؤهم انهم قد رضوا رد اليهم السبي وانزل
جنودا لم تروها اي الملائكة ولم تصح كميتهم قيل كانوا خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل
ستة عشر الفا والله اعلم بذلك قيل كانوا في ثياب بيض وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وذلك
جزاء الكافرين ما فعل بهم ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وهم الذين جاؤا تايبين والله
غفور للتايبين ما قد سلف رحيم برد ذراريهم يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم

ونزل رسول الله عن بغلته

كالشئ النجس منهم كما يجتنب منه والنجس بالفتح مصدر نجس فاطلق عليهم مبالغة وعن ابن عباس
ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا فعليه الوضوء مستدلا
بما رواه البخاري عن ابي هريرة قال لي رسول الله اين كنت يا ابا هر قلت كنت جنبا فكرهت ان
اماشيك قال سبحان الله ان المسلم لا ينجس فلو لم يكن المشرك نجسا لم يكن لقيد المسلم فايدة ولم يذهب
اليه اهل المذاهب لان الصحابة ومن بعدهم كانوا يواكلونهم ويشربون من اوانيهم وفي البخاري
ان عمر بن الخطاب توضا من جرة في بيت نصرانية فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فضلا عن دخول
استدل به الشافعي على منع الكافر من دخول المسجد الحرام وحمل ابو حنيفة على الحج والعمرة لما
تقدم ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه نادي في الموسم ان لا يحج بعد هذا العام مشرك وقاس مالك
ساير المساجد على المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهي سنة تسع من الهجرة وكان الامير الصديق والقول
بانه حجة الوداع مردود لا سند له وان خفتم عيلة فقرا وفاقة يقال عال افتقر قال الحيحة وما يدري
الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل كانوا ينتفعون بقدومهم بالتجارة وانواع المكاسب
فسوف يغنيكم الله من فضله الواسع بان يسبب لكم اسبابا اخر لم يخطر بخاطركم وكان كذلك فاسلم
اهل تبالة وجرش من اليمن وهما بلدتان شهيرتان بالخصب فامتاروا لهم من كل نوع ثم تواترت الفتوح
والغنايم وتوجه الي مكة الناس من كل فج عميق ان شاء قيد ليدل على ان ذلك ليس لسابقة وجوب واستحقاق
منهم بل متفضل في ذلك ان الله عليم كامل العلم حكيم في الاعطاء والمنع ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر لما بين حال المشركين وما يعاملون به من القتال
والاحكام اردف قضية اهل الكتاب وما يتعلق بهم من الاحكام والمعنى قاتلوا الذين لا يومنون بالمبدا
والمعاد فان النصارى يقولون ان الله ثالث ثلثة واليهود يقولون عزير ابن الله وايمانهم باليوم الاخر
ليس بايمان لانهم يعتقدون على خلاف ما هو عليه ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين
الحق اي دين الحق الله الذي شرعه لعباده او دين النبي الثابت الذي لا يرد بعده ناسخ او الدين
الذي هو الحق وهو الاسلام من اضافة الموصوف الى الصفة من الذين اوتوا الكتاب بيان حتى يعطوا
الجزية غاية للقتال الماموربه والجزية اسم للمال الماخوذ منهم في كل عام فعلة من جزي الدين قضاه
عن يد متعلق بيعطوا اي يعطونها منقادين من قولهم فلان اعطى بيده اذا انقاد واستسلم من
غير حرب او حتى يعطوا يدا بيد اي نقدا لا نسية او يعطوا بيدهم ولهذا لا يجوز التوكيل باداءها او يراد
يد الاخذ ويعطوها بسبب يد قاهرة مستولية عليهم او اليد مجاز عن الانعام اي يعطوها لما من عليهم
بابقاء مهجتهم بين اظهر المسلمين امنين وهم صاغرون اذلاء من الصغار او يودونها على حالة الذل
والحقار بان ياتي بها ماشيا وياخذ المسلم بلحيته ويهزها ويقول اد الجزية يا ذمي والاية وان وردت
في اهل الكتاب لكن ابو حنيفة رحمه الله الحق بهم ساير الكفار سوى مشركي العرب لما روي الزهري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح على الجزية عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك
يوخذ من كل كافر سوي المرتد وعند الشافعي من المجوس فقط لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة
اهل الكتاب غير ناكحي نساءهم ولا اكلي ذبايحهم واقلها دينار في كل سنة سواء فيها الغني والفقير
وعند ابي حنيفة رحمه الله ثمانية واربعون درهما على الغني ونصفها على المتوسط وربعها على الفقير
الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله شروع في بيان عدم ديانتهم والقايل طايفة منهم عن ابن عباس
رضي الله عنه منهم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن ابي اوفى وشاس بن قيس
ومالك بن الصيف فذكروا ذلك فنزلت وشبهتهم انه لما احياه الله وكان يحفظ التورية قالوا ما جمع الله

قائله القاضي

لم يخطر

النورية

التورية في صدره الا لكونه ابنه قرا عاصم والكسائي عزير بالتنوين على انه اسم عربي وابن الله خبره
والباقون غير منون لانه عجمي مثل سليمان وهارون او عربي وابن صفة والعلم الموصوف بابن مضافا
الى علم يحذف تنوينه والخبر محذوف اي عزير بن الله الهنا او نبينا وهذا الوجه ليس بوجيه لان الانكار
يرجع الى الخبر لا النبوة والجواب بان الوصف هنا للمدح فانكار الخبر يتضمن انكاره تمحل لا يليق ببلاغة القرآن
او ابن خبر حمل على الصفة او حذف للساكنين حملا للمنون على حرف المد بجامع مد الصوت كما في رواية
هارون عن ابي عمرو في احد الله وسواء جعل ابن وصفا او خبرا فالالف ثابت في الرسم وقالت النصارى
المسيح ابن الله قول طايفة منهم وشبهتهم انه ولد من غير اب ذلك قولهم بافواههم ليس له معنى في
الاعيان مثل اصوات البهايم تكذيب لهم على اقبح الوجوه يضاهون قول الذين كفروا من قبل المضاهاة
المشابهة والمعنى يشابهون قدماءهم في هذا الكفر او المشركين القايلين بان الملايكة بنات الله
او اليهود في قولهم عزير ابن الله لان اليهودية اقدم قرا عاصم بكسر الهاء وهمزة مضمومة بعدها من
ضاهاها وهي لغة والفصحاء قراة الجمهور قاتلهم الله دعاء عليهم بالهلاك والمراد التعجيب مما صدر منهم
حتى استحقوا ان يدعو عليهم ارحم الراحمين بالهلاك انى يوفكون كيف يصرفون عن الحق الابلج من افكه صرفه
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله استيناف لبيان افكهم عن الحق والاحبار جمع حبر
بالكسر والفتح ومعناه العالم مشتق من الحبور وهو الجمال والزينة ولا جمال فوق العلم والمراد علماء اليهود
والرهبان جمع راهب من الرهبة وهي الخوف او الترهب وهو التعبد عن عدي بن حاتم انه قال
اتيت الى رسول الله وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي اطرحه وقرا اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله فقلت يا رسول الله انهم لم يعبدوهم فقال اليسوا يحرمون ما احل
الله ويحلون ما حرمه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل بن عياض ما ابالي اطعت مخلوقا
في معصية او صليت لغير القبلة والمسيح بن مريم ادعوا فيه الالوهية كما هو مذهب بعضهم او حين اثبتوا
له النبوة فقد اهلوه للالوهية الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا
اي اليهود والنصارى او ما اتخذوه معبودا من الاحبار والرهبان والمسيح الا ليعبدوا الها واحدا هو
المستحق للعبادة وطاعة الرسل والعلماء لا تسمى عبادة لانهم وسايط في تبليغ الاحكام لا اله الا هو
صفة ثانية مفيدة للتوحيد لكون المحصور فيه لا يحتمل الشركة سبحانه عما يشركون انزهه عن ان يكون له
شريك يريدون ان يطفوا نور الله اياته الدالة على تفرده بالالوهية في الافاق والانفس او المعجزة
الباهرة التي هي في الجلاء والظهور كالنور وقد عبر عن القرآن بالنور في مواضع شتى والمراد بالاطفاء
تحريف نعته وانه ليس بالموعود بافواههم باكاذيبهم من غير ان يكون لها اصل ترجع اليه ويابى الله
الا ان يتم نوره ولا يرضى الا باعلاء توحيده واعزاز الاسلام الاستثناء مفرغ في محل النصب مفعول
يابى لانه منفي في المعنى ولو كره الكافرون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله سيق لاقناطهم عما هم بصدده من اطفاء نور الله لان الذي تفرد بالتاثير
في الكاينات يريد اظهار دينه على ساير الاديان او اظهار رسوله على ساير اهل الاديان واذا اراد شيئا كان لا محالة
ولو كره المشركون ذلك يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل
تصدير الاية بنداء المومنين في اثناء عد قبايح اهل الكتاب للتحذير عن سلوك طريقهم خص الاكل لانه الغرض
الاعظم من المال والاموال الماخوذة بالباطل هي تلك الرشى التي كانوا ياخذونها على الاحكام ويصدون
عن سبيل الله بالتحريف وقولهم ليس هو الموعود والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
عطف على كثيرا والمراد ان الاحبار والرهبان جامعون لها تين الرذيلتين اخذ الرشى وكنز الاموال والفضة

حديث عدي رواه الطبري والطبراني والبيهقي وغيرهم منه

بها عن الانفاق في سبيل الله او استيناف في محل الرفع والمراد المسلمون الكانزون قرن بينهم وبين من ارتشى من الاحبار تغليظا وتحذيرا عن ارتكابه وعن زيد بن وهب مررت على ابي ذر بالربذة فقلت ما انزلك بهذا الا فقال كنت بالشام فقرأت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم فقال معاوية ما هذه الا في اهل الكتاب قلت فينا وفيهم وعن عبد الله بن عمر ان هذا كان قبل ان ينزل الزكوة فلما انزل جعلها الله طهرة للاموال وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادي زكوته فليس بكنز وما ورد من الاحاديث الدالة على اثم كنز الاموال انما ورد قبل وجوب الزكوة فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم انما لم يقل تحمى من قولهم حمي الميسم واحميته لقصد المبالغة لان معناه ان النار تحمى وتوقد ذات حر شديد على تلك الاموال فاذا كان الاحماء للنار افاد مبالغة وانما قال عليها والمذكور شيئان نظرا الى الكثرة في المعنى على ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اربعة الاف نفقة وما فوقها كنز او الضمير للكنوز والاموال فان الحكم عام وتخصيص المجي بالذكر لان شان الشحيح انه اذا وقع بصره على الفقير يقطب وجهه ثم اذا علم انه متوجه اليه اعرض عنه واعطاه جانبه فاذا لم يرجع الفقير عنه ولاه ظهره فاختصت بالعذاب لانها الاعضاء الخاطئة كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا او لان امساكهم لتلك الاموال كان لحب الوجاهة بها والتنعم بالملابس التي تتحلى بها الجنوب والظهور او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه او لانها اشرف الاعضاء هذا ما كنزتم لانفسكم على ارادة القول لما احميت عليها في النار لم يعلموا انها هي تلك الاموال فاذا علموا زاد عذابهم لان وجدان الشر من حيث يحتسب الخير اشد فذوقوا ما كنتم تكنزون وبال كنزكم او ما كنتم تكنزونه والمراد مقاساة ذلك العذاب الاشد عبر عنه بالذوق تهكما ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض اشارة الى نوع آخر من قبايح المشركين والمعنى ان السنة التي عليها مدار ضبط الوقايع عدد شهور التي مدارها على القمر في قطع منازله اثنا عشر شهرا مفصلة على الفصول الاربعة ومعنى كونها عند الله انه الذي قدر ذلك في الازل وعلى ذلك الوجه ابرزها في اللوح المحفوظ وفي خلق السموات والارض هو الوقت الذي ابتداء منه سير القمر منها اربعة حرم جمع حرام رجب مضر ويقال له الاصب لانه يصب فيه البركات والاصم لانه تصم الآذان فيه عن سماع قعقعة السلاح نطق بهما الحديث وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ذلك الدين القيم الذي لا اعوجاج فيه اشارة الى ان ما كانوا فيه من النسيء الآتي ذكره لم يكن من الدين في شيء فلا تظلموا فيهن انفسكم فان حرمة المعاصي فيها اشد سوي رمضان فانه سيد الشهور والظلم فيه في نهاية القبح والائمة الاربعة على ان حرمة القتال مع المشركين منسوخة بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم اي في الحل والحرم واذا جاز قتالهم في الحرم ففي الاشهر من باب الاولى وقيل نسخه بقوله براءة من الله ورسوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة لا تميزوا بين طايفة وطايفة لان اسم الاشراك شامل لهم وان امتازوا في التهود والتنصر وعبادة الاوثان وكافة للشيء جميعه من كف البعير منعه لانه يكف الافراد عن الخروج واعلموا ان الله مع المتقين وعدهم بالنصر يفيد تسكين القلب والجراءة على الاقدام انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا النسيء فعيل بمعنى المفعول من نسأت الشيء اخرته وذلك ان العرب كانوا اصحاب حروب وغارات وكان رزقهم في رؤس اسنتهم والاشهر الثلثة المتواليات كان يطول عليهم انقضاؤها فكانوا يوخرون المحرم الى موضع صفر ويقدمون صفر مكانه ويقولون اذا برأ الدبر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر وكان جنادة بن عوف الكناني في الموسم وهو على جمل فينادي باعلى صوته يا قوم ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه وفي القابل يقف على الجمل وينادي باعلى صوته يا قوم ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النسيء كان في كندة وهي قبيلة باليمن واتفق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة حج

لكونها اشرف الاموال والكنوز ما يلزم وخص الاعضاء الثلثة بالذكر لان

ها

جنا

فيها حجة الوداع كان المحرم في موضعه لم يوخروه فوقف رسول الله على ناقته في المسجد الحرام وقال ان الزمان قد استدار كيوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ومعنى كونه زيادة في الكفر انه نوع منه ينضم الى كفرهم السابق قرأ حمزة والكسائي وحفص يضل بضم الياء وفتح الضاد والباقون بكسره والفتح هو المختار لكونه ابلغ ذما يحلونه عاما ويحرمونه عاما الضمير للنسيء وقد سبق تفسيره ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا العدد الذي قدره الله وهذا يرد ما قيل انهم كانوا يزيدون في الاشهر فيحلوا ما حرم الله اي لذلك المواطاة في العدد يحلون ما حرمه الله تقبيح لذلك الصنيع منهم زين لهم سوء اعمالهم اي اضلهم الله حتى رأوا القبيح والله لا يهدي القوم الكافرين وان دعاهم الى الاسلام ونصب لهم الادلة هم الذين ختم على قلوبهم يا ايها الذين آمنوا ما لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض لامهم على ما يبدو منهم من نوع تثاقل وتكاسل وعن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في غزوة تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد من غزوة حنين تجهز لغزو بني الاصفر وكان رسول الله يوري في غزواته ولا يظهر امره الا في تلك الغزوة فانه صرح بقصده وجلى للناس امره ليتاهبوا فانه توجه الى عدو كثير مع بعد الشقة وشدة الحر فتخلف عنه المنافقون وبعض المومنين على ما ياتي تفصيله وانما عدي اثاقلتم بالى لانه ضمن معنى الميل واصله تثاقلتم فادغمت التاء في الثاء واجتلبت الهمزة ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة انكار لان يرضوا بالدنيا بدل الآخرة ثم بين المانع من ذلك بقوله فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل نزر لا يعتد به فكيف يختاره العاقل روي مسلم عن المستورد ان رسول الله قال ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما ذا ترجع الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما اي ان لم تنفروا اذا استنفرتم واثرتم ذلك المتاع القليل فلا يسلم لكم ذلك ايضا فان الله معذبكم عذابا اليما يسلط عليكم العدو ونوعا آخر ويستبدل قوما غيركم يسارعون الى الاوامر وفي الحديث انهم ابناء فارس وقيل اهل اليمن ولا تضروه شيئا من الضرر او من الاشياء فان الله على كل شيء وقيل الضمير للرسول فان الله وعده النصر والله على كل شيء قدير فيقدر على نصره بغيركم وتغيير مدد الا تنصروه فقد نصره الله فسينصره من نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين لم يكن معه من البشر الا رجل واحد والا خذله بلطفه ونصره في ذلك الوقت فما ظنكم به في ساير الاوقات اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض والغار هو الكهف في اعلى جبل ثور فانه مكث فيه ثلثة ايام لينقطع عنه الطلب طلبوه في ذلك الجبل وصعدوا فوق الغار فقال الصديق لو نظروا تحت اقدامهم لرأونا فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بدل ثان فانزل الله سكينته عليه ما سكن به القلب من الامن وقوة الجاش والضمير لرسول الله كساير الضماير ولقوله وايده بجنود لم تروها وهم الملائكة يوم بدر والاحزاب ويوم حنين وجعل الضمير لصاحبه وعطف وايده الى هذه نصره الله تكلف وتشويش النظم هذا وقد صرح به في قوله فانزل الله سكينته على رسوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وهي دعوتهم الى الشرك وكلمة الله هي العليا وهي الدعوة الى التوحيد او كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله والله عزيز لا يغلبه شيء حكيم فيما دبر وشرع انفروا خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبابا وشيوخا او صحاحا ومراضا وما قيل ان ابن ام مكتوم قال للرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر فقال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج ليس بشيء لان هذه السورة نزلت بعد رجوعه من غزواته وتلك الآية نزلت في الحديبية وانما الذي نزل في ام مكتوم قوله تعالى غير اولي الضرر وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله اصرفوهما منفردين او مجتمعين وفي الحديث

اذا قيل لكم

تقديره غني عن كل شي

رد على الكرم والنافي

من جهة غاريا فكلما غزا بنفسه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون توبيخ لهم على التكاسل الا كونهم عالمين
بخيريته لا ريب فيه لو كان عرضا قريبا اي متاعا من الدنيا سهل المتناول وسفرا قاصدا متوسطا بين القرب
والبعد لاتبعوك فيه ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة البعيدة سمي بها السفر البعيد لكونه شاقا وسيحلفون
بالله المتخلفون المعتذرون في التخلف لو استطعنا لخرجنا معكم لكن لن نستطع لعدم العدة او لسقم البدن
وقوله لخرجنا ساد مسد جوابي لو والقسم يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب او بارتكاب ما يوجب الهلاك
وهو الكاذبة وهو بدل من سيحلفون او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في تلك الايمان لانهم كانوا
مستطيعين عفا الله عنك لم اذنت لهم كلام يقال في مقام التبجيل والتعظيم كما تقول لصاحبك عفا الله
عنك ما ذا صنعت في شاني وقيل عتاب له على ترك الاولى وانما قدم العفو وذكر الاذن الدال على علو رتبته
وايراد الانكار في صورة الاستفهام اجلالا له صلى الله عليه وسلم وكان مجتهدا في امر الحروب بنا وراصحابه
واذا صدر منه خلاف الاولى ينبه عليه كما في اخذ الفداء والقول بانه فعل شيئين لم يؤمر بهما الاذن واخذ
الفداء فعاتبه الله عليهما يرد عليه قوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم
الكاذبين اي يتميز الفريقان عندك بالصدق والكذب وانما استعمل التبين في الصدق والعلم في الكذب لان
الصدق واضح ابلج لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
اي ليس من داب المؤمنين الاستيذان في الجهاد بل يبادرون اليه فكيف بالاستيذان في التقاعد عنه
والله عليم بالمتقين اي بهم وضع المظهر مكان المضمر شهادة لهم بالتقوى انما يستاذنك الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بهما علم وذكر الله واليوم الآخر في الموضعين اشارة الى المبداء والمعاد ولان
الباعث على الجهاد وهو العلم بان الله يجازي عليه يوم القيمة وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون
يتحيرون مذبذبين بين ذلك ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة تكذيب لهم في دعوى عدم الاستطاعة اي
لهم مكنة الخروج واسباب الجهاد وليس المانع الا عدم ارادة الخروج ولكن كره الله انبعاثهم استدراك
من مفهوم الكلام تقديره لكن تثبطوا لان الله كره انبعاثهم فثبطهم ثقلهم وحبسهم باهله الشغل
من قولهم ثبطه عن الامر شغله وقيل اقعدوا مع القاعدين المعذورين من الصبيان والزمنى والنساء
تقبيح لحالهم والقايل الرسول لما استاذنوه او بعضهم لبعض او تمثيل لالقاء الله تعالى في قلوبهم من كراهة
الخروج او وسوسة الشيطان بقول القايل لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا
كره انبعاثهم حكمه وهي الفساد الذي يحصل منهم لو خرجوا والخبال هو الفساد وعن ابن مسعود
ان قوما بنوا مسجدا بظاهر الكوفة فاتاهم وقال ما جئت لاكسر مسجد الخبال اي الفساد والاستثناء
عنا والاعم اي لا يزيدوكم شيئا الا خبالا فلا يلزم وجود خبال منهم ولا وضعوا خلالكم اي اسرعوا
بينكم بالنمايم وانواع المكر شبهها بالركايب واوقع عليها الايضاع تخييلا يقال وضع البعير
اسرع واوضعته اسرعته يبغونكم الفتنة من يبغيه الشيء طلبه له يريدون بذلك الاسراع وقوعكم
في الفتنة والضلال وفيكم سماعون لهم من ضعفاء المسلمين موضع المظهر للدلالة على انهم بذلك التقبل
مترددون في سلك الظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل اي قبل غزوة تبوك كما فعلوا يوم
احد فان ابن ابي رجع معه ثلثمائة منافق وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم او ليلة العقبة
حين ارادوا الفتك برسول الله وهو الذي كفاه بذبهم عنكم تنبيه على قدم
عداوتهم ورسوخها وقلبوا لك الامور مكايد وحيلا حتى جاء الحق النصر والتاييد وظهر امر الله
علا دينه وهم كارهون لما في قلبهم من المرض ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني شرع في تفصيل قبايحهم والقايل جد بن
قيس قال قد علمت الانصار اني مشتهر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر وهن نساء الروم ولكن اعينك بمالي

ايذن لنا فانا نتخلف عنك من غير اذن ورضينا في الفتنة اي الهلاك وان لم تاذن في التخلف هلكت اموالنا
وعيالنا الا في الفتنة سقطوا فانهم وقعوا بسبب النفاق الى الدهر وعذاب الآخرة اشق واشد وتصدير
الجملة بحرف التنبيه اشارة الى كمال غباوتهم وجعلهم ساقطين في الفتنة كالجماد الساقط
بلا اختيار وان جهنم لمحيطة بالكافرين احاطة جهنم كناية عن احاطة اسبابها او اسم الفاعل بمعنى
الاستقبال مجازا ان تصبك حسنة تسؤهم لفرط عداوتهم وغاية حسدهم ليسوا مكتفين بالتخلف
عنك بل يسوؤهم ما يسرك ويسرهم ما يضرك وان تصبك مصيبة شدة كما في يوم احد يقولوا قد اخذنا
امرنا من قبل تحمدون رايهم في عدم الحضور معك ويتولوا عن نادى بهم الى منازلهم وهم فرحون بتخلفهم
او بما اصابهم قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ فلا راد لقضائه او اوجبه في علمه الازلي
هو مولانا متولي امورنا ومتصرفنا يفعل في عبيده ما يشاء او ناصرنا وان اصابنا مكروه فلنا العاقبة
كتب الله لاغلبن انا ورسلي وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره لعلمهم بان لا موثر سواه قل هل
تربصون بنا الا احدى الحسنيين اي لا تنتظرون الا احدى الخصلتين اللتين كل منهما احسن الخصال اما
نصرنا او الشهادة في سبيله فان قلت لو كانت كل منهما احسن الخصال لكانت احسن من الاخرى والتضاد
بين قلت جاز ذلك باعتبار الجهات ونحن نتربص بكم احدى المصيبتين اللتين كل منهما اعظم المصايب
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما فعل بعاد وثمود او بايدينا اي بنصرنا عليكم ونقتلكم على الكفر فتربصوا
انا معكم متربصون اي انتظروا عاقبة امرنا فانا منتظرون عاقبة امركم وهذا النوع من الكلام يقوله
الواثق بما له الجازم بامر في معرض التهديد قل انفقوا طوعا او كرها انشاء ومعناه خبر رد لما كانوا
يزعمون بان لهم اعمالا يدفع عنهم العذاب وان لهم قربات عند الله كالمؤمنين وقرا حمزة والكسائي
كرها بضم الكاف قيل هما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح الاكراه لن يتقبل منكم البتة وانما
نفي بلن لكونهم منكرين غاية الانكار ولذلك علل الحكم بقوله انكم كنتم قوما فاسقين خارجين عن طاعة
الله وما منعهم ان تقبل منكم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله بيان لذلك الفسق الذي علل به
وانما بينه لان مجرد الفسق لا يوجب ذلك الحرمان وقرا حمزة والكسائي يقبل بالتذكير ولا ياتون
الصلوة الا وهم كسالى جمع كسلان اي متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون والمعنى لا ياتون بالاعمال
البدنية والمالية على سبيل النشاط والانبجاح لعدم اعتقادهم بترتب الثواب عليها وفي الحديث
لا يقبل احدكم ولي فعل الغيث وانما كره لفظ الكل لورود في شانه الثناء فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
اي لا تستحسن منهم الاموال والاولاد فانما هي زينة الحيوة الدنيا وانت بمعزل منها والاعجاب التبجح
السرور به مع نوع افتخار وانما اسند الفعل الى الاموال والاولاد مبالغة في نهيه عنها كانهما كانت
كفا اعجابا عنه انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا اي لم يخولهم بها الا ليعذبهم في الدنيا بان
يبذلوا اولادهم في جمعها ويكابدوا المشاق في حفظها وتبعتها وكلفهم الانفاق منها وهم كارهون وتزهق
انفسهم وهم كافرون لاشتغالهم بحبها فاعرضوا عن العاقبة حتى ماتوا على الكفر فكان ذلك اشد البلايا ويحلفون بالله
انهم لمنكم بعض منكم وانهم لا يمانهم يميلكم والاراهم وما هم منكم في الواقع فهم كاذبون ولكنهم قوم يفرقون بيان
للباعث على ذلك اليمين الحانث والفرق هو الخوف ويتعدى بمن اي يخافون منكم لو يجدون ملجأ مكانا
يلجأون اليه من قلعة او راس جبل او مغارات او كهوفا جمع مغارة وهي الكهف او مدخلا نفقا في الارض يندسون فيه لولوا
اليه وهم يجمحون لاقبلوا اليه وهم يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح لا يرده اللجام لشدة عداوتهم
ونهاية بغضهم ومنهم من يلمزك في الصدقات اي بعض منهم يعيبك في قسم الصدقات ونسبتك الى الجور وهو
الذي كان راسا للخوارج وقصته على ما رواها البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم اتى بشيء من الذهب فقسمه بين اربعة نفر من المؤلفة يتالفهم على الاسلام فجاءه ذو الخويصرة فقال اعدل
يا رسول الله فقال ويلك من يعدل اذا لم اعدل لقد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب وفي رواية
خالد بن الوليد دعني يا رسول الله اضرب عنقه فانه منافق فقال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلوته
مع صلوتهم وصيامه مع صيامهم وقيل القايل ابو الجواظ ان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها
اذا هم يسخطون يريد ان ذلك القول منهم ليس للاهتمام بالدين ولا لشبهة في طريقه بل رضاهم وسخطهم
لحظوظ انفسهم وفي اذا الفجائية اشارة الى غاية شرههم وانهم بمجرد عدم الاعطاء يفاجئهم السخط من
غير تامل في ان عدم اعطائهم هل يتضمن مصلحة دينية ام لا ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله اي لو ثبت
رضاهم بما قسم الله لهم من الغنيمة واعطاهم رسوله وان كان قليلا وقالوا حسبنا الله كفانا رضاه سيؤتينا
الله من فضله رزقه الواسع من ساير الصدقات والغنايم ورسوله فيوفرنا ما فاتنا انا الى الله راغبون
الى رضاه والى ثوابه لا الى الغنايم والاموال وجواب لو محذوف اي لكان خيرا لهم انما الصدقات للفقراء والمساكين
بيان لمصارف الصدقات على وجه يزول شبهة المنافقين وان ما فعله رسول الله هو الصواب لان المؤلفة
قلوبهم من تلك المصارف والمعنى جنس الصدقات مقصور على هؤلاء المذكورين لا يتجاوزهم الى غيرهم فيحتمل
ان يصرف الى كلهم والى بعضهم كما اذا قلت انما الخلافة في بني عباس يراد عدم تجاوزها عنهم لا انصاف
كل واحد منهم بها واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله وهو المنقول عن عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير
وعطاء وذهب الشافعي رحمه الله الى وجوب استيفاء الاصناف الثمانية ان وجدوا والا فالموجودون منهم
يعطى من كل صنف ثلثه فما فوقها نظرا الى اعتبار الجمع واستدل على ذلك بان اللام للملك لانه كمال الاختصاص
وهو معنى اللام كقولك هذا الدرهم لهؤلاء فانهم يشتركون فيه فان قلت فعلى هذا يجب ان يكون صرفه الى جميع افراد
كل صنف ولم يقل به الشافعي قلت لم يذهب الى ذلك لتعذره ولما روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما بعث
معاذا الى اليمن فقال له مرهم بالصلوة فان هم قبلوا ذلك فاعلمهم بان الله قد فرض عليهم زكوة اموالهم
بان يوخذ من اغنيائهم فيرد الى فقرائهم فخص زكوتهم بفقرائهم ولذلك لم يجوز الشافعي نقل الزكوة من
ذلك البلد الى بلد آخر والفقير اسوء حالا من المسكين وهو من لا مال له ولا يقدر على كسبه فكانه اصيب فقار
ظهره فهو مقعد والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه لقوله اما السفينة فكانت لمساكين ويدل عليه ايضا تقديم
الفقير والى هذا ذهب الشافعي والى العكس ذهب ابو حنيفة لقوله او مسكينا ذا متربة ومنهم من لم يفرق والعاملين
عليها وهم السعاة الذين يجمعونها ويسعون في تحصيلها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ولم يرسخ الايمان في قلوبهم
يعطون من الصدقات ليالفوا الاسلام ولذلك يعطون من الغنايم نفلا كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غنايم حنين آثر فيها بعض مسلمة الفتح او اشراف يتوقع باعطائهم اسلام نظرائهم كما اعطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعباس بن مرداس وفي الرقاب في فكها من الرق هم
المكاتبون او يشترى بها الرقاب فتعتق واليه ذهب مالك واحمد ويفدى بها الاسرى واطلاق الرقاب شامل
للكل والغارمين من استدان لغير معصيته وليس لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله
بالانفاق على فقراء الغزاة والحجيج وقيل بناء القنطرة والمصانع وابتياع آلات الحرب والكراع وابن السبيل
المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر موكد لان معنى قوله انما الصدقات للمذكورين ان الله فرضها
والعدول عن اللام في الاربعة الاخيرة اشارة الى انها ارسخ قدما في الاستحقاق وذلك لما في فك الرقاب
من الانقاذ مما هو كالموت ولما في تخليص الغارم من الكرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه
يستعيذ من المغرم فقيل له ما اكثر ما تستعيذ من المغرم قال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف
ولما كان في الغازي الفقير وابن السبيل المنقطع فضل ترجيح لكون الغازي الفقير جامعا

بين الفقر والعبادة وابن السبيل بين الفقر والغربة اعاد حرف الجر ايماء اليه والله عليم حكيم يعلم موضع
الاستحقاق فلذلك حصر الصدقات في هؤلاء المذكورين ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن
نوع آخر من قبايحهم عن ابن عباس رضي الله عنه ان جماعة منهم ذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانه يبلغه قال جلاس بن سويد نقول ما شئنا فاذا بلغه جيئنا
فاعتذرنا اليه يقبله منا فان محمدا اذن جعلوه نفس الجارحة كما يقال للربيئة عين قل اذن خير لكم اي هو
كما تقولون اذن سريع الانقياد لكن ليس كما تعتقدونه بل ذلك مدح فيه والخير هو الصلاح والجودة مثله
فلان رجل صدق لا اسم تفضيل ثم بين وجه كونه خيرا لهم بانه يؤمن بالله هو يوحد بينه وما يليق به ويؤمن
للمؤمنين يذعن لقولهم ويسلم لهم ما يقولون لما علم من خلوص طويتهم ورحمة للذين آمنوا منكم عطف على اذن خير
والمعنى كونه اذنا رحمة في حق من اظهر الايمان منكم فانه يقبل ولا يشتغل بالكشف عن سره انما يفعل ذلك
تكرما وتخلقا لا لانه يخفى عليه شانكم عليه في النفاق ان الكريم اذا خادعته انخدعا وقرا حمزة رحمة بالجر
عطفا على خير والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم ردع للمنافقين عن مثل تلك المقالة يحلفون بالله
لكم ليرضوكم ان الاوقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حلفوا لهم معتذرين ليرضوا عنهم والله ورسوله
احق ان يرضوه تخطئة لهم فيما ياتونه وتكذيب لهم في ايمانهم والمعنى ان الله ورسوله اولى واجدر بالارضاء
بالطاعة والانقياد وانما وحد الضمير اشارة الى ان ارضاء رسوله ارضاء له لانه مبلغ اوامره وواسطته الى
عباده والمذكور خبر الاول ويقدر للثاني خبر او بالعكس وهذا مختار سيبويه لكونه اقرب وسلامته من الفصل
بين المبتدا والخبر والوجه هو الاول لفظا ومعنى ان كانوا مؤمنين حقا الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
ينازعهما ويعاديهما من الحد لان كلا من المتعاديين في حد دون حد الآخر انكار لعدم علمهم فيفيد الاثبات
والتنوير فان له نار جهنم خالدا فيها اي فحق ان له جهنم فحذف الخبر للعلم به من الصلة وقيل ان تاكيد وتكرير
للاول وله هو الخبر وانما اعيدان لبعد العهد كقوله ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك
واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ويجوز ان يكون عطفا على جواب من محذوفا تقديره الم يعلموا انه من يحادد
الله يهلك فانه له نار جهنم ذلك الخزي العظيم واي خزي فوق الخلود في نار جهنم يحذر المنافقون ان تنزل
عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم الضماير للمؤمنين والمنافقين وانما صح ذلك لعدم اللبس ويجوز ان
يكون الضماير كلها للمنافقين لان النازل فيهم وبيان حالهم كانه نازل عليهم وعن الزجاج ان الخبر في معنى
الامر اي ليحذر المنافقون وعلى التقادير الاسناد الى السورة مجاز قل استهزءوا تهديد لا طلب للفعل
مثله اعملوا ما شئتم ان الله مخرج ما تحذرون تحذرونه من نزول القرآن فيكم ولئن سالتهم ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب كان ذات يوم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يسيرون فشرعوا يستهزءون
به ويقولون انظروا الى هذا يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه فاطلع الله رسوله على ذلك فاتاهم فقال
لهم قلتم كذا وكذا فقالوا ما كنا في شيء من ذلك كنا نخوض في احاديث نقصر بها المسافة كما هو شان
الرفقة في المسائر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون تكذيب لهم فيما اعتذروا به واستهزاؤهم برسول
لما كان مستلزما الاستهزاء بالله لانه رسوله وآياته لانهم لم يعتدوا بها فكان ذلك استهزاء بهما ايضا
لا تعتذروا قد كفرتم اظهرتم الكفر بالاستهزاء والطعن في الرسول بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف
عن طايفة منكم لانهم تابوا واقلعوا عن النفاق واخلصوا دينهم لله او نعف عن طايفة لم يؤذوا رسول
الله وان كانوا منافقين نعذب طايفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على ايذائه
وقد جرت سنة الله في خلقه بان من طعن في رسول الله او في شريعته وسنته يعجل له العذاب في الدنيا
تصديقا لقوله والله يعصمك من الناس قرا عاصم ان نعف بنون مفتوحة وضم الفاء ونعذب بنون

اما لفظا فلعدم التقدير واما معنى فلما فيه من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم

[ت]ون مضمومة وكسر الذّال وطايفة بالنصّب والباقون يعف بياء التذكير وضمّها وفتح الفاء ونعذب بتاء التانيث وضمّها وفتح الذّال والمختار قراءة عاصم لانها ابلغ في الانذار المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض تكذيب لهم في قولهم انّهم لمنكم لانهم متواصلون متحدون في وصف النّفاق ذكورهم واناثهم وقوله وماهم منكم وان كان ردًّا لتلك الدّعوى الا انه لم يكن مشتملا على ما يضادّ دعواهم من قوله يامرون بالمنكر ما انكره الشّرع وينهون عن المعروف ما عرف حسنه من الشّرع كالتّوحيد وما يتفرع عليه ويقبضون ايديهم عن الانفاق في سبيل الخير نسوا الله استيناف يجري مجرى العلّة فنسيهم اي اغفلوا ذكره فتركهم وعاملهم معاملة من نسي الشيء ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في الفسق وعد الله المنافقين والمنافقات و الكفار نار جهنم خالدين فيها لما بيّن جرايمهم التي هي اسباب العذاب اشار الى اعدّ لهم في مقابلة ما اجترحوه ولئلا يظن انهم كالشيء المنسي لا ثواب ولا عذاب فازال ذلك هي حسبهم عقابا ولعنهم الله زيادة على ذلك وكما ان رضي الله للمومنين اجل النعم كذلك لعنه للمنافقين اشدّ النقم ولهم عذاب مقيم دايم لا ينقطع توكيد للخلود لئلا يظنّ به المكث الطّويل وردّ لما يزعمه الملاحدة بان الخلود في النّار لا يستلزم العذاب لانه يصير معتادا كالذين من قبلكم خطاب للمنافقين على سبيل الالتفات توبيخا لهم بعد علمهم بما حلّ بهم كانوا اشدّ منكم قوّة واكثر اموالا واولادا بيان لوجه الشّبه من تشبيه الحال بالحال اذ كانوا اكثر قوة واموالا واولادا ولم تجدهم شيئا فانتم من باب الاولى فاستمتعوا بخلاقهم ذمّ للاولين بقصر نظرهم على الفاني وذهولهم عن الباقي ويلزم منه ذمّ من يسلك مسلكهم والخلاق للانسان من حظه من الخلق بمعنى التقدير فاستمتعتم بخلاقكم وغفلتم عن امر الآخرة كما غفلوا وخضتم كالذي خاضوا الخوض المشي في الماء استعير للحديث الباطل المختلق لانه يهون على الكاذب اختراعه والمعنى كالخوض الذي خاضوا او كالفوج ولذلك افرد الموصول اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة اي المتقدمون اما في الدنيا فلانهم مرضوا وماتوا وافتقروا وذلّوا بعد العزّ واما في الآخرة فالخلود الدايم في النار فالمخاطبون السالكون مسالكهم اولى بذلك لكونهم اقبح حالا واقلّ اولادا واموالا واولئك هم الخاسرون الكاملون في الخسران اذ لا خسران فوق خسارة الدّارين الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم لما شبه حالهم بحال من تقدّمهم ذكر طوايف لم يشك احد فيما حلّ بهم اذ قد تواترت اخبارهم بحيث لم يبق للرّيب فيها مجال قوم نوح اهلكوا بالطّوفان وعاد اهلكوا بريح صرصر وثمود اهلكوا بالرّجفة وقوم ابرهيم اهلك نمرود بالبعوضة واهلك اتباعه واصحاب مدين قوم شعيب ارسل عليهم سحابة مثل الظلة احرقتهم والموتفكات مداين قوم لوط من الافك بفتح الهمزة وهو القلب سميت بها لانه تعالى جعل عاليها سافلها اتتهم رسلهم بالبيّنات المعجزات الواضحة فما كان الله ليظلمهم يفعل بهم ما يشبه الظلم او ما هو ظلم في زعمهم يقولون لولا ارسلت الينا رسولا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بتكذيب الانبياء بعد وضوح للآيات والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض عطف قصّة على قصّة ومقابلة بين الاضداد في الجزاء او بضدّها تبيين الاشياء جمعا بين الترغيب والترهيب على ما هو سنّته في كتابه ومقابلة بين الاضداد في الجزاء او بضدّها تبيين الاشياء يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصّلوة ويوتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في كل ما امروا به من ساير الاعمال اولئك الموصوفون سيرحمهم الله لا محالة لان السين في الاثبات مثل لن في النفي ان الله عزيز غالب يفعل ما يشاء حكيم لا يفعل شيئا الا وفيه حكمة ولذلك رتب الثواب على الحسنات والعقاب على السّيئات وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تفصيل لما اجمله في قوله سيرحمهم الله وقد روى البخاري مرفوعا ان للمومن في الجنة قبة من ياقوتة حمراء طولها ستون ميلا وله في كل زاوية منها اهلون في جنات عدن اي اقامة من قولهم عدن بالمكان اذا اقام به وقد صار علما بالغلبة لقوله جنات عدن التي وعدتهم والحديث الذي يروى ان عدنا دار الله التي لا يسكنها الا النبيون والصدّيقون والشهداء ليس له اصل ويردّه هذا النصّ لانه اثبته لكافة المومنين والمومنات

ماطلق.

الله.

ورضوان من الله اكبر اي شيء قليل منه اكبر من جنات عدن وما فيها لانه مبدأ كل سعادة وعن بعض العارفين ليت لي عند الله ركعتين متقبلتين لان القبول علامة الرضى قلّ العمل او كثر روى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري عن رسول ان الله يقول لاهل الجنّة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من ذلك فيقول احلّ عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك هو الفوز العظيم اي رضوان الله او ما ذكر سابقا يا ايّها النبي جاهد الكفار والمنافقين الكفار بالسيف و المنافقين بالحجّة والبرهان لانهم يظهرون الايمان فلا مجال للسّيف قال صلى الله عليه وسلّم امرت ان اقاتل النّاس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله واغلظ عليهم بالسّيف والقول المرّ ولا تحابِ احدا منهم وماويهم جهنّم وبئس المصير قتلوا على الكفر وماتوا حتف انفهم يحلفون بالله ما قالوا اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ينزل عليه القرآن في شان المنافقين فقال الجلاس ابن سويد والله لئن كان ما يقول محمّد حقا لاخواننا الذين تخلّفوا وهم ساداتنا لنحن شرّ من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري والله ان محمدا لصادق وانت شرّ من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر الجلاس فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده وقال اللهمّ انزل تصديق الصّادق وتكذيب الكاذب فنزل وانما ذكر بلفظ الجمع لان الفعل واقع بينهم كما يقال بنو فلان قتلوا زيدا او القائل سواء وصدّقه الآخرون ولقد قالوا كلمة الكفر هو قول الجلاس لئن كان ما يقول محمد حقا وقيل قول عبد الله بن ابيّ في غزوة تبوك حين تقاتل مهاجريّ مع انصاريّ فنادى المهاجري يا للمهاجرين ونادى الانصاري يا للانصار فقال ابن ابيّ فعلوها والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الاعزّ منها الاذلّ وكفروا بعد اسلامهم اظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام اذ لم يسلموا باطنا وهمّوا بما لم ينالوا وذلك ان خمسة عشر منهم توافقوا على الفتك برسول الله مقفله من تبوك اذا تسنّم العقبة بالليل واحد عمار بخطام ناقته يقودها وحذيفة وراءها يسوقها فسمع حذيفة وقع اخفاف الابل وقعقعة السّلاح فقال اليكم اليكم اعداء الله فهربوا وما نقموا ما عابوا وما كرهوا شيئا من امر محمد الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله الا هذا الامر الجميل الحسن مثل قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتايب وذلك ان اهل المدينة كانوا اهل زرع وعمل واكثرهم كانوا محاويج فلما قدم عليهم رسول الله دعا لهم بالبركة وقال اللهمّ بارك لهم في صاعهم ومدّهم اللهمّ اجعل البركة بها ضعفي ما بمكة وصحح هواءها وانقل حماها الى الجحفة وحصل لهم الفتوح والغنايم وقتل للجلاس عبد فامر رسول الله بقيمته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا يك خيرا لهم لما سمع الجلاس هذا قال يا رسول الله لقد عرض الله على التوبة والله لقد قلته ولقد صدق عامر فتاب وحسنت توبته ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدّقنّ و لنكوننّ من الصّالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب وكان من الفقراء كان اذا صلّى خرج مسرعا فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن ذلك فقال لي ولامرأتي ثوب واحد فاذا صليت فيه نزعته لها فلبس ... الله يا رسول الله ان يرزقني مالا وان يتوبوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والآخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي يتولى امرهم ولا نصير يدفع عنهم العذاب بالقهر وانما قيد بالارض لان لهم فيها اعوانا وانصارا وفي الآخرة لا انساب ولا اسباب فقال يا ثعلبة قليل يودّى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن اعطاني الله مالا لاعطينّ كل ذي حق حقّه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود فضاقت بها المدينة فنزل واديا وترك الجماعة والجمعة فافتقده رسول الله فقيل انه اتّخذ غنما ونزل واديا فقال ويح ثعلبة فلما نزل قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهّرهم بها فارسل مصدّقين لاخذ الصّدقات فاستقبلها الناس بصدقاتهم فلما اتيا ثعلبة واقراءه كتاب رسول الله في الصّدقات وفرايضها فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى اري رايي فنزلت الآية فسمع بها بعض اقارب ثعلبة فاتاه

فقال ويلك قد نزل فيك القرآن فاتى ثعلبة رسول الله بصدقته فقال ان الله منعني ان اقبل صدقتك
فشرع يحثوا التراب على رأسه فان قلت باب التوبة مفتوح الى ان تطلع الشمس من مغربها فلم لم تقبل توبته وقد جاء
تائبا قلت توبته لم تكن عن اخلاص دل عليه قوله فاعقبهم نفاقا الى يوم يلقونه فلما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء بصدقته الى ابي بكر فلم يقبلها فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه جاء بها عمر رضي الله عنه
في خلافته فابى ان يقبلها فلما ولي عثمان اتاه بها فابى ان يقبلها وهلك في خلافته فلما اتيهم من فضله بخلوا به
لم يؤدوا زكوته وفيه دليل على ان من ادى زكوته ماله انسلخ عنه اسم البخل وتولوا وهم معرضون اي دابهم
الاعراض عن امتثال اوامر الله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي جعل عاقبة ذلك البخل النفاق في قلوبهم وانما
ذكرها لانها مصدر السماح والبخل وساير الاخلاق وعن الحسن وقتادة ان الفعل مسند الى البخل ولا يلايمه
الضماير السابقة واللاحقة الى يوم يلقونه اي الله اوجزاء نفاقهم بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم
وعد الله وبما كانوا يكذبون في مقالهم وفي الحديث آية المنافق ثلث اذا وعد اخلف واذا حدث كذب واذا خاصم فجر
الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم اي قد علموا ذلك تعجيب من جهلهم وتوبيخ على فعلهم بعد علمهم والسر
هو الكتمان مطلقا والنجوى ما تساربه اثنان او اكثر وان الله علام الغيوب كلها الذين يلمزون المطوعين رفع او نصب
على الذم من المؤمنين في الصدقات اي يعيبونهم في شانها وقد اسند البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه انه
قال امرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء ابو عقيل بنصف صاع وجاء انسان آخر باكثر منه فقال المنافقون
ان الله لغني عن صاع هذا وما فعل هذا الآخر الا رياء فنزلت وروي ان عبد الرحمن بن عوف اتى باربعة الاف وقال
كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فاستجاب الله دعاءه حتى انه لما توفي صولحت احدى زوجاته الاربع عن ربع الثمن على ثمانين الف دينار
والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم بان كشف عن نفاقهم وفضحهم
ولهم عذاب اليم في الآخرة استغفر لهم او لا تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لانهم اصحاب الدرك الاسفل ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم اريد به الكثرة لا الحصر فانه يستعمل كثيرا في العرف بمعنى الكثرة وقد اسند البخاري عن
عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله ابن ابي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله انصلي على ابن ابي وقد قال يوم كذا كذا وكذا
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخر عني فلما اكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت
ولو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليه قال فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى
نزل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الى قوله وهم فاسقون فان قلت قد جاء في رواية انه قال قيل لي ان
تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد قلت قوله ذلك عن علمه ذلك بانه لا يغفر له ولو زاد وان ذلك العدد لم
يرد منه الحصر ولا مفهوم له وقوله هذا كان تطييبا لقلب ابنه فانه من خيار الصحابة رضي الله عنه ذلك
بانهم كفروا بالله ورسوله ذلك الغضب الشديد لعظم جنايتهم وهو الكفر بالمنعم الحقيقي والمجازي والله
لا يهدي القوم الفاسقين المراد عدم خلق الاهتداء فان الدعوة والارشاد عامان وفيه ايماء الى انهم
من اهل الطبع لانه غير مقبول الشفاعة كيف وقد قبلت شفاعته في ساير الامم فضلا عن مذنبي امته فرح
المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله اي بقعودهم بعد خروجه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم وعليه
قراءة من قرأ لا يلبثون خلافك الا قليلا او هو مصدر بمعنى المخالفة نصب على العلة او الحال لم يقل المتخلفون
اشارة الى انهم جعلوا كالمعاذير الذين خلفوا لعدم الانتفاع بهم وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله في اعلاء كلمته ايثارا للدعة على الطاعة وفيه تعريض بالمؤمنين بان داعي الايمان وباعث
الايقان انساهم كل لذة في مرضات الله حتى ان بذل الاموال والمهج عندهم الذ من كل شيء بهي وقالوا لا تنفروا

والذين نعلم الشدة قوله في سورة المنافقون سواء عليهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم منه

في الحر قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا لهم وهذا شان صاحب السوء قل نار جهنم اشد حرا تجهيل
لهم وتخطية لارائهم لان من ترك مشقة ساعة وكان موقنا بانه يقع بذلك في مشقة الابد لم يكن احد اجهل
منه قال مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريه شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة
وراء تقضيها مساءة احقاب لو كانوا يفقهون لما اختاروه فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا
يكسبون اي فسيضحكون قليلا وسيبكون كثيرا وانما اخرج في صورة الامر للدلالة على ان ذلك حتم واجب
لا محالة لان الامر للايجاب ولا يحتمل الصدق والكذب يروى ان اهل النار يبكون مدة بقاء الدنيا لا
يرقا لهم دمع وقيل الضحك والبكاء كنايتان عن السرور والغم وعلى الوجهين اريد بالقلة العدم
اذ لا ضحك لهم راسا فان رجعك الله الى طايفة منهم وانما قيد بطايفة لان المخلفين كانوا طايفتين
منهم المؤمنون الخلص مثل كعب بن مالك وصاحبيه على ما ياتي في قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا
وانما قال رجعك الله دون رجعت ايماء الى انه لم يفعل ما يفعله الا باذن الله وانه ملاحظ بعناية
الله في حركاته وسكناته فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا
اخبار في معنى النهي للمبالغة وسمهم بسمة النفاق بين الناس مخرجين عن ديوان الغزاة آيسين من الغنا
والصدقات انكم رضيتم بالقعود اول مرة اي في غزوة تبوك وكانت لبعد الشقة فيها وكثرة المشقة وشدة
الحر وطيبة الثمار محك الرجال ومسبار الاخلاص والنفاق والاولية اضافية واريد بمرة العموم كانه قيل
اول المراق مثل قوله هند اكبر النساء فاقعدوا مع الخالفين امراها نة اي مع الزمنى والنساء ولا تصل على
احد منهم مات ابدا اسند البخاري عن ابن عمر انه لما مات ابن ابي جاء ابنه عبد الله الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وساله ان يكفنه في قميصه ويصلي عليه فكفنه في قميصه وصلى عليه ونزل قبره و
وضعه على ركبته وتفل من ريقه في فيه كل ذلك رافة وتطييبا لقلب ابنه واستجلابا للخواطر للناس
ولعل ان يكون ذلك باعثا لبعض المنافقين على الاخلاص مع انه لم يكن نهي عن الصلوة عليهم وما
قيل انه لما اراد الصلوة عليه جذبه جبرئيل ليس له اصل وانما عبر عن الموت في المستقبل بالماضي
لكونه كاينا لا محالة والقول بان ابدا قيد للموت فان الكافر لما كان احياء للتعذيب فكانه لم يجيء تكلف
لظهور ان المراد نهي رسول الله في المستقبل عن مثل ما ارتكبه من الصلوة على ابن ابي ولا تقم
على قبره كناية عن ترك الدعاء له كان يقوم على القبور ويدعو للموتى انه قال ان هذه
القبور مملوة ظلمة وان الله ينورها بدعائي انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون علة
للنهي ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم
كافرون اعاده لوقوع التراخي بين النزولين ولكونه من الامور المهمة التي يجب ان تكون نصب العين
فان النفوس حريصة على جمع الاموال مجبولة على حب الاولاد المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
وانما ذكر اولا بالفاء وههنا بالواو لانه في الاولى رتبه على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وكونهم
كارهين للانفاق انما هو لاعجابهم بها وههنا لم يقصد سوى الاعادة فلا وجه للفاء واذا انزلت
سورة اي كاملة او بعضها مجازا وليس كاطلاق القرآن على الكل والبعض دل على انهم كانوا يتخلفون
في ساير الغزوات قد صرح به في قوله سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا ان آمنوا بالله
اي دوموا على ذلك وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم اولو المال والسعة والصلة
النفع والغناء ومنه حديث ابن مسعود في قتل ابي جهل ضربته بسيف غير طايل وقالوا ذرنا
نكن مع القاعدين الذين لهم علة وعذر في القعود رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة
والخالفة لغة من لا نفع فيه وفي الحديث ان اعرابيا جاء ابا بكر وقال انت خليفة فقال لا انا

رد على الكشاف والقاضي لان تلك الرواية مخالفة لرواية البخاري منه

الخالفة وقد اشتهر في النسآء لقلة نفعهن قال وليس بولاج الخوالف اعقلا فطبع على قلوبهم فهم لا
يفقهون ما فيه الخير لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم لكن قد فقه من هو اعلى
شانا واخلص طوية وازكى معتقدا كقوله فان يكفر بها هولآء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك
لهم الخيرات في الدارين او الحور لقوله فيهن خيرات حسان واولئك هم المفلحون الفايزون اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم تفسير للفلاح وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن
لهم ذكر رؤسا المنافقين وما كانوا عليه وما آل امرهم اليه من الموت على الكفر ثم اردفه بذكر رسول الله
وخلص المؤمنين وما يؤل اليه امرهم من النعيم المقيم ثم ذكر الاعراب وهم سكان البوادي الذين لا معرفة
لهم في امر الآخرة ولا رشد في امر الدنيا ولهذا سماهم معذرين والمعذر بتشديد الذال هو المقصر في العذر
بان يوهم ان له عذرا ولا عذر له وروي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما بتخفيف الذال من الاعذار
وهو المبالغة في اظهار العذر وكانهم من جهلهم بالعواقب حتى صارت تلك المبالغة مظنة للكذب وهم
اسد وغطفان وقيل رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهلينا ومواشينا وقيل
المعذر اصله المعتذر فادغم كما في المدكر وهو الصادق في عذره وقعد الذين كذبوا الله ورسوله طايفة
من الاعراب منافقون تخلفوا ولم يعتذروا فظهر بذلك كذبهم مع الله ورسوله وقيل هم الاولون وصرح بانهم
كاذبون في ذلك الاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم اي بعضهم لان من المذكورين من له عذر
صحيح اوتقاعد لكسل لا للكفر والعذاب الاليم الخزي في الدنيا والاشتهار بسمة النفاق وفي الآخرة
عذاب النار وقيل في الدنيا بالقتل وفيه ان رسول الله لم يقتل المنافقين واعتذر بانه يقال ان محمدا
يقتل اصحابه ليس على الضعفاء كالشيخ الهرم ومن خلق نحيفا ولا على المرضى الذين بهم مرض لا يستطيعون
معه الجهاد ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة حرج في التاخر اذا
نصحوا لله ورسوله بان اطاعوا الله ورسوله سرا وعلانية ما على المحسنين من سبيل طريق للعقاب والعتاب
وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على انهم بذلك النصح منخرطون في سلك المحسنين والله غفور للمسيئ
فضلا عن المحسنين رحيم لم يشق على المعذورين ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم اي ولا جناح على هولاء الاصحاب
الذين جاؤك سايلين حملا بهم لكونهم فقراء غير قادرين قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من المفعول بتقدير
قد او استيناف بتقديم العلة على الحكم اهتماما كانه قيل ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم لقولك لا اجد ما
احملكم عليه يقولون باكين تولوا جواب اذا وأعينهم تفيض تسيل بكثرة من الدمع من بيانية كانه
قيل اعينهم تسيل دمعها آثر هذا الاسلوب مبالغة في سيلانها كقولك تفيض دمعا فالجار والمجرور في محل
النصب على التمييز حزنا مفعول له او حال او مصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا ما ينفقون اي
لئلا يجدوا علة للعلة اسند البخاري عن ابي موسى الاشعري قال جئنا نفرا من الاشعريين نستحمل رسول
الله فجئته وهو غضبان فحلف انه لا يحملنا ولا عنده شيء يحملنا عليه فجئت واخبرت اصحابي فلما تولينا اذا
انا ببلال ينادي يا عبد الله بن قيس اجب رسول الله قال فجئته فاعطانا ست ذود الذري فلما
رجعت الى اصحابي قلت لهم ما كان من الامر وحلفت ان لا امكنهم من الذود حتى اتي بهم الى من سمع
قول رسول الله اولا ومنعه ثم اعطاه ثانيا لئلا يظنوا اني قلت على رسول الله ما لم يكن قالوا
والله انك عندنا لصدوق ولنفعلن ما تحب فلما جئنا رسول الله قلنا والله لا يبارك لنا قد اغفلنا رسول الله
يمينه فقلنا يا رسول الله قد حلفت ان لا تحملنا فقال انا حملتكم انما حملكم الله والله اني لا احلف على شيء
واري غيره خيرا الا اتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم
اغنياء واجدون اهبة السفر وعدة الحرب رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف يجري مجرى التعليل

نسخه هذا مأخذ الكشاف والصواب ان
المعذر بالتخفيف هو العاذر فيه العذر
كذا في الجوهري ونقله التداعي الى عباس
وهي قراءة يعقوب منه

كانه قيل انما ارتكبوا ذلك رضا بالدناءة والانتظام في سلك النسآء وطبع الله على قلوبهم
فهم لا يعلمون قبح ذلك يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم من غزوة تبوك قل لا تعتذروا بالاكاذيب
لن نؤمن لكم لن نصدقكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به
قد نبانا الله من اخباركم بعض اخباركم وهو ما يكتمونه من الشر والفساد وعلة لانتفاء
التصديق لان الله تعالى اذا اخبر بشيء لزم كذب ما ينافيه وسيرى الله عملكم ورسوله اي
دعواكم انكم تحبون الله ورسوله سيعلم الله ذلك منكم ورسوله ان كان ما تقولون حقا
حث على الاخلاص والتوبة النصوح ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة في وضع المظهر
موضع المضمر مع ذكر الغيب والشهادة وعيد شديد وردع لهم عن مخالفة الباطن الظاهر
فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم اخبار عنهم
بما سيفعلونه في المستقبل لتعرضوا عنهم ولا توبخوهم فاعرضوا عنهم اجابة لهم الى بغيتهم
انهم رجس علة للاعراض لان مقاولتهم كمخالطة النجس فيتلوث المخالط ولا سبيل
الى تطهيره وماويهم جهنم مخلفون لها فاي فايدة في معاتبتهم اذ لا يرجى منهم ارعواء جزاء
بما كانوا يكسبون علة لكونهم من اهل جهنم يحلفون لكم لترضوا عنهم وتدوموا معهم على الود
الذي كان بينكم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي عنهم والاتيان
بالاسم الظاهر لتعليل عدم الرضى والمعنى ان رضاكم لا يجديهم نفعا اذا كان الله ساخطا
عليهم لان الامر كله بيده عاجلا وآجلا وفيه ايماء الى ان المؤمن لا يليق به ان يرضى ممن
كان في سخط من الله لما امروا بالاعراض عنهم فاعرضوا ولم يعاقبوهم شرع المنافقون في
استجلاب الرضا بالايمان الكاذبة والقول بان رسول الله لما قدم المدينة جاء عبد الله بن ابي
فحلف انه لا يتخلف عنه ابدا سهو لان عبد الله كان معه في غزوة تبوك صح ذلك في البخاري
وغيره الاعراب اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لبعدهم عن استماع العلم والاحكام وفي
الحديث الجفاء في الفدادين اهل الوبر عند اصول اذناب الابل والسكينة في اهل الغنم و
اجدر واولى واخلق ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله احكام المنزل من الاصول
والفروع والله عليم كامل العلم بحال كل شخص حكيم فيما يصنع ولذلك اطلعكم على مراتب
المنافقين واسرارهم لتعاملوا على حسب حاله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما حكم على
الجنس اولا والحكم عليه لا يستلزم الحكم على جميع الافراد لذلك فصل افراده قسمين
فالاول هم المنافقون الذين يعدون ما ينفقونه في سبيل الله خسرانا والغرامة ما يصرف
الرجل فيما لا يلزمه كرها اما لتقية او لانفة وفتوة وهم كانوا يصرفونه رياء وتقية ويتربص
بكم الدواير وينتظر بكم ريب الزمان جمع دايرة وتحيط بالانسان من كل جهة ويدور
عليه واستعماله في الشر عليهم دايرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم وفيه من الدلالة
على شدة غضب الله عليهم ما لا يكتنه لان من امره بين الكاف والنون يطلب من نفسه
اصابتهم بالسوء قرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين على انه اسم للعذاب والبلآء والباقون
بالفتح على انه مصدر والاول ابلغ لدلالته على الاستمرار وصراحته والله
سميع لما يقولون بافواههم نفاقا عليم بضمايرهم وما يبطنونه من الكفر ومن الاعراب
من يتخذ ما ينفق قربات عند الله هم القسم الثاني وهم المؤمنون الخلص والمعنى يتخذون
ما ينفقون سبب قربات وحصولها عند الله وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه كان

يدعو للمتصدقين لقوله وصلّ عليهم ان صلوتك سكن لهم الا انها قربة لهم بشارة منه تعالى بان ذلك
بموقع عنده صدر الاستيناف بحرفا لتنبيه واثر بصيغه القربة مفردة اشارة الى ان تلك القربات
بمثابة القربة الواحدة التي لا تنفصل التجزي ردّوا وقبولا بل كلها مقبوله سيدخلهم الله في رحمته
دليل على القبول والرضا ان الله غفور لما فرط منهم رحيم حيث قبل منهم واجزل في الثواب متفضلا
وقرأ ورش قربة بضم الراء وهما لغتان والسكون اكثر قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه والاية
الاولى في اسد وغطفان والسابقون مبتدا خبره الاولون او من المهاجرين او رضي الله عنهم و هو
من عطف قصة على اخرى بين جزاء الخلص من مؤمني الاعراب الذين لا سابقة لهم في الاسلام ولا كمال
في العرفان اشار الى اكمل الفرق الذين حازوا قصب السبق في مضمار السعادة وبين منزلتهم عنده
وما اعدّ لهم والسابقون من الطايفتين من صلى الى القبلتين وشهد بدرا وقيل الذين اسلموا
قبل الهجرة وقيل من سبق الى الهجرة والنصرة مطلقا لاطلاق اللفظ من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان من غير الطايفتين لقوله في سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم وعن
عمر بن الخطاب رضي الله انه قرأ والانصار بالرفع عطفا على السابقين وكان يرى ان قوله والذين
اتبعوهم باحسان بغير واو ليكون صفة الانصار فيكون وصفا للتشنيق مختصا بالمهاجرين والانباع
بالانصار حتى قال له زيد بن ثابت انه بالواو فقال ابي بن كعب فصدق زيد بن ثابت
فقال عمر من اقراك هذه القراءة قال ابي اقرأنيه رسول الله وانت تبيع القرظ قال عمر صدقت وان
شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم رضي الله عنهم بقبول طاعتهم ورضوا عنه
بما نالوا من الكرامة في الدارين واعدّ لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرأ ابن كثير زيادة
من كما في ساير المواضع على انها ابتدائية ومن حذفها جعل تحتها ظرفا وهو المختار لان انهار الجنة
جريانها مظلل بالاشجار والرسم في الحذف والاثبات مختلف ذلك الفوز العظيم الذي لا يحاط به وممن حولكم
من الاعراب منافقون هم عصية وغطفان والقول بان منهم اسلم وغفار سهو ظاهر لما روى البخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها ودعا على عصية لانها
عصت الله ورسوله ومن اهل المدينة مردوا على النفاق تمرّنوا عليه وتمهّروا فيه لا تعلمهم مع كمال
فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم لاطلاعنا على السراير وذات الصدور سنعذبهم مرتين الاولى
بالملائكة حين الموت يضربون وجوههم وادبارهم او باطلاعك على نفاقهم واخراجك اياهم عن زمرة
المسلمين على ما روى ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على المنبر يوم
الجمعة خطيبا فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج اناسا وفضحهم والآخرة
عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم فان الاموال شقيقة الروح ثم يردون الى عذاب عظيم
عذاب النار نعوذ بالله منه وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عطف على منافقون
اي ومنهم طايفة عملوا صالحا وآخر سيئا او عطف على قصة اخرى وهذا اولى لما روى البخاري عن سمرة
بن جندب ان رسول الله قال اتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهينا الى مدينة مبنية
بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر منهم كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت راء قالا لهم
اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن
صورة فقالا لي هؤلاء قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم وقيل كانوا ثلثة ابو لبابة
مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة سبعة منهم اوثقوا انفسهم
على سواري المسجد فلما قدم رسول الله دخل المسجد فصلى ركعتين فسال عنهم فاخبر انهم حلفوا ان

القرظ بفتح القاف والراء والضاد
شيء يدبغ به كالعفص منه

من بابه ٢ بحفظ مكة لا غيره

لا يحلّوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلّهم فقال وانا اقسم ان لا احلّهم حتى اومر فنزلت
فاطلقهم عسى الله ان يتوب عليهم يقبل توبتهم ان الله غفور يتجاوز عن الذنب اذا تيب منه رحيم
يتفضّل بعد التوبة يجعل سيئآته حسنات خذ من اموالهم صدقة من اموال المعترفين روي انهم لما
اطلقوا اخرجوا عن اموالهم وقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي تخلفنا لاجلها فاجعلها
فيما اراك الله فقال لم اومر بذلك فنزلت تطهرهم عن الذنوب او عن حب المال الذي هو راس كل خطيئة
وتزكيهم التزكيه مبالغه في التطهير او بمعنى الانماء والبركة في المال بها باخذها تنازع فيه الفعلان و
صلّ عليهم وادع لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطيب بها قلوبهم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم بالتوحيد والباقون بالجمع وهو المختار لاشتماله على انواع الدعاء وان استحب ان
يقول آجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت واما قوله لآل ابي اوفى لما جاءه بصدقته
اللهم صلّ على آل ابي اوفى من خواصّه لان الصلوة حقه والله سميع عليم سميع اقوالهم عليم بنياتهم
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اي قد علموا ذلك والضمير للمتوب عليهم والمراد تقرير
قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم لان لفظ عسى وان كان معناها من الله التحقق والوجوب الا انها
في الاصل للرجاء او لغيرهم ترغيبا وحثا عليها ويأخذ الصدقات كما يأخذ احدكم من يد صاحبه وفي
الحديث ان الصدقة تقع في يد الرحمن قبل وقوعها في يد السايل وان الله هو التواب الرحيم من شانه
قبول توبة التايبين فايدته التخصيص على الاخلاص فيها لانه لا يخفى عليه خافية وقل اعملوا ايها
التايبون فسيرى الله عملكم لا يخفى عليه منه شيء ورسوله يعلم بذلك ايضا والمؤمنون باماراته او
باخبار الرسول انكم مخلصون او المصرّون على النفاق ستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت
او بالحشر اليه يوم القيمه فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه فان قلت لما ذكر المنافقين اردفه بقوله
وسيرى الله عملكم ورسوله وزاد هنا بعد ذكر المخلصين وقبول صدقتهم المؤمنين ما الحكمة في ذلك
قلت الحكمة ان الاطلاع على حال المنافقين وخبث باطنهم مخصوص بالله ويعلم بذلك رسوله بالوحي
والمؤمنون لا اطلاع لهم على شيء من ذلك واما اخوانهم فحالهم معلوم عندهم فلذلك ذكرهم مع الله
ورسوله وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم قرأ ابن كثير وابو عمرو وشعبه عن عاصم
مرجؤن بالهمزة وهي لغة تميم والباقون بحذفه وهي الشايعه وطايفة من المتخلفين موخرا امرهم لا يعلم
حالهم هل تقبل توبتهم ام لا وهم كعب بن مالك الانصاري من بني سلمة ومرارة بن الربيع الزبيدي
وهلال بن اميه الواقفي وهم الثلثة الذين خلفوا وسيأتي قصتهم فان قلت قد تواترت النصوص
على قبول الله التوبة عن التايب اذا كان مخلصا في توبته فما الحكمة في تاخير قبولها من هؤلاء
وارجاء امرهم منها قلت الحكمة في ذلك الاشارة على عظم جنايتهم وان التخلف عن رسول الله في مثل
ذلك السفر كسلا وركونا الى اللذة امر عظيم الا يرى الى بكاء آدم على تلك الصغيرة اربعين
عاما وكذلك داود عليه السلام وقصة حزنه وشدة بكائه مشهوره والله عليم باحوال الخلق
حكيم فيما يصنع من قبول التوبة تارة وتاخيرها اخرى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا اي من المنافقين
وهم بنو تميم بن عوف فانهم لما راوا اخوتهم وهم بنو عمرو بن عوف بنوا مسجد قباء وصلى فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزوره في كل سبت يأتيه راكبا وماشيا حسدوهم
وقالوا نبني مسجدا بقباء ويصلي فيه رسول الله وابو عامر الراهب وهو الذي حزّب الاحزاب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهرب يوم حنين الى الشام وارسل يخبر المنافقين بانه يقدم اليهم بجيش
بني الاصفر ونحارب محمدا ويخرجه فمات بقنسرين وحيدا طريدا لعنه الله قرأ نافع وابن عامر الذين

اتخذوا بحذف الواو وعلى انه استيناف قصة للمنافقين وعليه رسم المدني والشامي والقول بانه
بحذف الواو بدل من مرجون غلط لانهم مخلصون اخر توبتهم وكفرا لتقوية الكفر وتفريقا بين المؤمنين
فانهم كانوا يصلون في مسجد قباء مجتمعين وارصادا لمن حارب الله ورسوله هو ابو عامر من قبل متعلق
بحارب وقيل باتخذوا مسجدا من قبل ان بنا فقتوا بالتخلف وفيه ان نفاقهم كان موجودا قبل وليحلفن
ان اردنا الا الحسنى اي بعد اطلاع على حالهم يعتذرون بالايمان وانهم مخلصون والله يشهد انهم
لكاذبون وان ايمانهم غموسة بنوه قبل غزوة تبوك وقالوا بنينا مسجدا لذي علة وليلة مطيرة
ونحب يا رسول الله ان تأتي فتصلي لنا فيه فقال اني على جناح فاهدموه فذهبوا فهدموه واحرقوه
واتخذ مكانه كناسة لا تقم فيه ابدا اي لمحة طرف فضلا عن العبادة فيه اسس على التقوى مسجد لك
الذي بنيته واسسته لله وهو مسجد المدينة كذا رواه البخاري عنه حين سئل عن المسجد الذي اسس
على التقوى فاشار اليه وقال هو مسجدكم هذا وقيل هو مسجد قباء لان الكلام فيه ومسجد الضرار
ولا دلالة في اللفظ على الوحدة بل كل منهما اسس على التقوى والاشارة الى مسجد المدينة حين سئل
لا تشبيها مسجد قباء بذلك من اول يوم تأسيسه لم يشبه رياء احق ان تقوم فيه فان قلت
احقية هذا تدل على حقية ذلك في الجملة ومعلوم ان لا شائبة للحق في ذلك قلت اريد المبالغة
اي لو كان ذلك بني لله كان هذا احرى بالقيام فيه فكيف وقد بني لانواع من الكفر فيه رجال
يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله والمهاجرون معه حتى وقف على باب مسجد قباء
فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم فقال عمر مؤمنون يا رسول الله
وانا معهم ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم في الطهور فما طهوركم قالوا نتبع الماء
الاحجار في الاستنجاء والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويفعل معهم ما يفعل المحب مع محبوبه
افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي تقوى الله امن اسس بنيانه
على شفا جرف هار شفا كل شيء طرفه والجرف ما جرفه السيل وذهب باصله وهو مشرف على السقوط
ساعة فساعة والهار ما انصدع وانشق وهو ثابت بعد لكن بصدد السقوط اسم فاعل وزنه فعل قلبت
واوه الفا وقد يقال انه محمول على القلب مكانا فوزنه فاع ويظهر ذلك في حالة النصب فانهار به
في نار جهنم فادى به قلة استمساكه وتخوره الى السقوط تقوى الله وابتغاء مرضاته اساس قوي
لا يزعزعه شيء والباطل لا ثبات له لقوله تعالى واما الباطل فيذهب جفاء ولذلك مثله بشفا
جرف هار اذ لا اضعف منه ولا اقل بقاء ولما جعله مجازا عن الباطل رشحه بالانهيار الذي هو للجرف
لشعور ان المبطل بصدد السقوط في نار جهنم قرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول والباقون
على الفاعل وهو المختار لاسناده الى المباشر لقوله بنوا وقرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم وحمزة
جرف بسكون الراء وهما لغتان الضم لغة الحجاز والسكون لغة تميم والله لا يهدي القوم الظالمين
هم الذين خلقوا للنار لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم اي سببا لتزايد الشك والنفاق
وذلك ان رسول الله صلى الله لما امر بهدمه ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم لرسول الله
واشتد عداوتهم وبقوا مرتابين في امرهم هل يبقون بين المسلمين كما كانوا ام يقتلون الا ان تقطع
قلوبهم قطعا لا يبقى فيها ما يصلح للادراك والاستثناء من اعم الازمنة وقيل تقطيع القلوب
كناية عن التوبة ندما واسفا قرأ ابن عامر وحفص وحمزة بفتح التاء مضارع تقطع بحذف احدى
التاءين مبنيا للفاعل والباقون بضم التاء على بناء المفعول من التقطيع والاول اوفق لشيوع
تقطع قلبه في الموت والله عليم بنياتهم واغراضهم حكيم في افعاله ولذلك خيب مساعيهم واظهر

نفاقهم لئلا يقدم احد على مثل فعلهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة لما بين حال المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك اشار الى ان المؤمنين بالمبادرة الى الجهاد
بالاموال والانفس رابحون ايه ربح ومثل اثابة الله اياهم بالجنة على ذلك البذل بالشراء الذي
هو عقد لازم من الطرفين وقدم الانفس على الاموال اشارة الى انهم ببذل ارواحهم اسمح منهم ببذل
الاموال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون خبر في معنى الامر اي ليقاتلوا في سبيل الله تسليما
للثمن ليتعين فان المبيع قد تعين او لما كان هذا البيع في المعنى سلما يجب تسليم راس المال فيه
واستيناف لبيان ما له الشرى قرأ حمزة والكسائي مبنيا للمفعول في الاول والفاعل في الثاني
على عكس قراءة العامة وفيه مدح لهم بالشجاعة اذ قد قتلوا العدو بعد وقوع القتل على بعضهم
فيدل على قوة ايمانهم وانهم بموت بعضهم لم يحصل لهم فتور ولا وهن وقراءة العامة اولى لعدم
احتياجها الى التاويل لان الرتبة العليا ان الانسان يقتل اولا ثم يقتل ليجمع الفضيلتين على ان الواو
لا تدل على الترتيب وعدا عليه حقا مصدر مؤكد في التورية والانجيل والقرآن وهذا على متعارف
التجار فان المبلغ اذا كان له قدر تكتب له الوثيقة وقد بالغ في ذلك حتى انزله في الكتب الثلثة
التي عليها مدار سائر الشرائع ويحتمل ان يراد بالقرآن زبورا ودلما في الحديث ان داود كان يأمر
بان يسرج له الدابة فيختم القرآن قبل ان تسرج فيكون الوعد مسطورا في الكتب الاربعة ومن اوفى
بعهده من الله اي لا احد فان خلف الوعد كذب لانه تعالى مقدس عن ذلك غني عن ارتكابه اعاده
بلفظ العهد ايماء الى ان ذلك الوعد محفوظ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اي فرحوا
فرحا شديدا يظهر اثره في بشرتكم والسين للتاكيد وذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز فوقه ولا شيء
احسن منه فلا نامت اعين الجبناء التائبون رفع على المدح هم المذكورون ويدل عليه قراءة عبد الله
وابي التائبين ويجوز ان يكون ابتداء كلام خبره ما بعده اي التائبون الموصوفون بهذه الصفات
والقول بجواز كونه مبتدا خبره محذوف اي التائبون من اهل الجنة لا يناسب المقام ولا فخامة فيه
العابدون لله مخلصين في عبادته الحامدون له على نعمائه وعلى كل حال السائحون في الارض للاعتبار
برؤية مصنوعاته وعجائب خلقه وقيل هم الصائمون لما في الحديث من اطلاق السياحة عليه لانه
سير في المعارف وفي الملكوت لان الحواس اذا كفت عن الشهوات تجلى للنفس عالم الغيب الراكعون الساجدون
في صلوتهم لا كاهل الكتاب الآمرون بالمعروف ما عرف من الشرع حسنه والناهون عن المنكر عما انكره
الشرع وانما عطف احدهما على الآخر لكونهما في المعنى صفة واحدة لا استقلال لاحدهما بدون الآخر
والحافظون لحدود الله احكامه من عطف العام على الخاص وبشر المؤمنين اي هؤلاء الموصوفين
وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى ان الحامل على تلك الخصال هو الايمان وحذف المبشر به ايماء
الى انه من العظم بحيث لا يحيط به الوصف والعلم به لذكره في سائر الآيات ما كان للنبي والذين
آمنوا ان يستغفروا للمشركين روي البخاري مرفوعا ان ابا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال يا عم قل لا اله
الا الله كلمة احاج بها لك عند الله فقال ابو جهل وعبد الله يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب
فكان آخر كلمة قالها انه على ملة عبد المطلب ودين اشياخه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اما اني لاستغفرن لك ما لم انه عنه فنزل ما كان للنبي وما قيل ان ابا طالب مات
بمكة والسورة مدنية نزلت في غزوة تبوك فلا اشكال فيه لان رسول الله كان يستغفر له
الى وقت نزول براءة من الله ورسوله من المشركين ثم ما اعجب ممن يفسر كلام الله ويطلع على
هذا الحديث ثم يورد في الكتب ان ابا طالب مات مؤمنا ويجمع لذلك احاديث مختلقة موضوعة

وقيل نزلت في زيادة امه لما في الحديث انه زارها وبكى وقال استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي
واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم بموتهم على الكفر لانهم ما داموا احياء لم يعلم حالهم وهي مسئله موافاة الاشعري وما كان
استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه دفع لما يقال كان لوعد سبق منه بقوله لاستغفرن
لك وحقيقه الاستغفار للكافر طلب التوفيق له بالتوبة لما يقال ان لو كان الاستغفار للكافر غير جايز
فكيف صدر من ابرهيم وهو قدوة الموحدين فلما تبين له انه عدو لله بان مات كافرا او اخبر ابرهيم
بانه يموت كافرا تبرا منه وقطع الاستغفار فان قلت كيف جاز لرسول الله ان يستغفر لابي طالب
بعد موته قلت الاستغفار للكافر جايز عقلا ولم يكن ورد فيه نهي فكان لشدة رافته بعمه
يستغفر له ولذلك قيد بقوله لاستغفرن لك ما لم انه عنه ان ابرهيم لاواه كثير التاوه كناية
عن فرط رافته حليم يحمل الاذى بقول له ابوه لارجمنك وهو يقول في جوابه لاستغفرن لك وما
كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون تسلية لرسول الله وللذين كانوا يستغفرون
لاقاربهم المشركين والمعنى لم يخلق الله الضلال ولم يحكم به على قوم بعد هدايتهم الى الاسلام
حتى يبين لهم حرمة ما يجب اتقاوه وذلك مثل حرمة الخمر فان الصحابة كانوا يشربونها ولم
يكن ذلك من الضلال في شيء ان الله بكل شيء عليم يعلم حالي الحرمة والاباحة ان الله له ملك السموات
والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير المالك المتصرف وما امر به يجب المبادرة
اليه وما نهى عنه يلزم الكف عنه واشار الى ان فايدة القرابة هي الولاية والنصر ولا ولاية ولا
نصر الا منه فعلى العاقل ان يتوجه اليه بكليته ويقبل الى جناب قدسه بتراشحه ويعرض عما
سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار عن ابن عباس هو اذنه للمنافقين في التخلف لقوله
عفا الله عنك وقيل ذكر النبي لافتتاح الكلام والمراد التوبة على من معه من المهاجرين والانصار
لما فرط منهم في احد وحنين او بعث للمومنين على التوبة ما من مومن الا وهو يحتاج الى التوبة نبيا
كان او وليا لقوله تعالى توبوا الى الله جميعا والتوبة لها مراتب ادناها التوبة من الشرك واقصاها
ربط السر على التوحيد ومطالعة جلال الله فالذهول عن ذلك ولو لمحة طرف يوجب التوبة على الكمل
كما يوجب ارتكاب الكبيرة على عامة المومنين وعليه يحمل قوله انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين
مرة الذين اتبعوه في ساعة العسرة كانوا في ضيق من الظهر والنفقة وكان السفر طويلا والوقت حارا ولذلك
سمي جيش العسرة حتى ان جماعة كانوا يعتقبون على راحلة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على
على الايمان واتباع الرسول كناية عن الشدة وفي كاد ضمير الشان اي الامر والشان قرب زيغان قلوب
فريق وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقيل فيه ضمير القوم وقرا حفص عن عاصم وحمزة يزيغ بالتا
لاسناد الى مونث غير حقيقي والباقون بالياء وهو المختار لعدم الفاصل ثم تاب عليهم اي على الفريق
وعفا عنهم ذلك وثبت قلوبهم وقيل توكيد للاول وفيه تنبيه على انه انما تاب عليهم لما كابدوه من
العسرة انه بهم رءوف رحيم بهم وعلى الثلثة الذين خلفوا خلف امرهم اي اخر ولم يبين وهم
المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت برحبها اي مع سعتها كناية عن شدة حزنهم كانهم
لا يجدون مكانا يقرون فيه لغاية قلقهم وضاقت عليهم انفسهم من فرط الغم وتراكم الوحشة وظنوا
ان لا ملجا من الله الا اليه علموا ان لا ملاذ من سخطه الا بالاستكانة عبر عن ايقانهم بالظن مدحا لهم
بان الظن منهم يوجب قصر الهمة والتوجه اليه فكيف وهم موقنون ثم تاب عليهم وفقهم للتوبة وانزل
توبتهم ليتوبوا اذا صدر منهم ذنب لما علموا من هذه الواقعة ان الله هو التواب ولو عاد المذنب في اليوم
مائة مرة الرحيم بعد التوبة يجعل السيئات حسنات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في مخالفته وارتكاب

ما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين رسول الله واصحابه زجر لمن تخلف عنه وهو صادق في ايمانه
كالثلثة فانهم كانوا صادقين من خلص المومنين روي البخاري عن كعب بن مالك وهو احد الثلثة ما
اعلم احدا ابلاه الله في صدق الحديث احسن مما ابلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله
الى يومي هذا كذبا ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي اخرج في صورة
النفي مبالغة والمعنى ما استقام للطايفتين ان يتخلفوا عنه ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لان نفسه اعز نفس
عند الله بل يجب على من آمن به ان يجعل نفسه وقاية لنفسه ويوثر حياته كما فعل ابو طلحة يوم احد فانه كان
مجبا عليه بجحفته ويقول لا تنظر الى القوم يصيبك سهم نحري دون نحرك يا رسول الله وكان يده شلاء وقى
بها رسول الله يوم احد فضربت بسيف روي البخاري ان ابا خيثمة كان من المتخلفين وكانت له امراة
حسناء فدخل بستانه وهي معه ففرشت له وقربت اليه الماء البارد والرطب فلما نظر ذلك قال امراة
حسناء ورطب يانع وماء بارد ورسول الله في حر الشمس والريح ما هذا مقام خير فوثب ورحل ناقته
واخذ السيف وتوجه نحب كالريح الهبوب فلحق برسول الله وهو بتبوك فلما راه رسول الله من بعد بزهاء
السراب قال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله واستغفر له ولا يرغبوا بتحمل الحزم والنصب ذلك
اشارة الى وجوب المبالغة اي ذلك الوجوب بانهم لا يصيبهم ظما عطش ولا نصب ولا مخمصة مجاعة في سبيل
الله ولا يطئون موطئا لا يدوسون مكانا من اماكنهم باقدامهم وحوافر خيولهم واخفاف ابلهم ويجوز
ان يكون مصدرا بمعنى الوطي وهو الابادة والايقاع كما في قوله صلى الله عليه وسلم لغزوة حنين آخر وطاة و
طيها الله بوج والوج واد بالطايف يغيظ الكفار وطوءه ولا ينالون من عدو نيلا قتلا كان اسرا او جراحا
او نهبا الا كتب لهم به عمل صالح وذلك كله مما يوجب المتابعة واقتحام الشدايد ان الله لا يضيع اجر المحسنين
اي اجرهم وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى ان الجهاد مع الكفار احسان وان كان فيه اهلاك النفوس وتخريب
الدور لانه سبب اعلاء كلمة الله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة تمرة فما فوقها ولا يقطعون واديا الوادي
منفذ للسيل بين الجبال من ودي الماء اسال ومنه الودي شاع استعماله في مطلق الارض وهو المراد في الآية
الا كتب لهم ذلك ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون اي كتب واثبت ذلك في صحايف اعمالهم ليجزوا به
يوم القيمة جزاء احسن عمل كانوا عملوه بان يلحق عملهم الادنى بالاعلى في الجزاء مكافاة لسعيهم وتوفيرا لاجرهم
وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة عن ابن عباس رضي الله عنه ان الله تعالى
لما عاب المنافقين والمتخلفين من غزوة تبوك فكان بعد ذلك اذا بعث رسول الله سرية استبق
المومنون الى النفير ولم يبق منهم من يستمع الوحي ويتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة طايفة الى
الجهاد وتبقى طايفة منهم للتفقه في الدين الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد
بالسيف وقيل هذا حكم مبتدا ليس له تعلق بالجهاد وانما ذكره بعد الجهاد وانما ذكره لان طلب العلم والجهاد
عبادتان يتعلقان بالسفر لا سيما في زمن الوحي فان العلم كان محصورا فامروا ان ينفر الى طلب العلم من كل
فرقة طايفة لئلا يبطل امر المعاش ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة ويتعاطوا المشاق في تحصيلها
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا مرمى همتهم وجل غرضهم انذار قومهم وارشادهم والضماير
المرفوعة على الاول للطايفة المقيمة وعلى الثاني للنافرة وفيه دليل على ان طلب التفقه وتعليم الجاهل
وارشاده من فروض الكفايات وايماء الى ان طلب العلم للترفع على الاقران والتبسط في العمران والبلدان محرم
روي مسلم اول من يسحب الى النار ثلثه عالم لم يتعلم لوجه الله بل ليقال انه عالم وتاجر تصدق بماله ليقال
انه جواد وغاز اهريق دمه ليقال انه شجاع وفيه ايضا ان خبر الواحد حجة لان الطايفة يطلق على الواحد
فما فوقه كذا فسره ابن عباس لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا بعد التعلم كذلك انما يخشى الله من عباده

العلماء يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الاقرب فالاقرب فان ضرره اشد والحذر منه اكثر
لانه يصد دالاغراض متمكن من الاطلاع على عورات المسلمين روي انه لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد
الاصغر الي الجهاد الاكبر يريد به النفس لانها عدو قريب بين الجنبين تعسر الاحتراس عنها وليجدوا فيكم غلظة شدة
وعنفا في القتل والاسر فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان واعلموا ان الله مع المتقين الذين يتقون
مخالفته فلا يراه فون بعدوه واذا ما انزلت سورة من القرآن فمنهم اي المنافقين من يقول ايكم زادته هذه ايمانا
اي هذه السورة النازلة الاسناد مجاز يقولون ذلك انكارا واستهزاء بالمؤمنين لكونهم يعتقدون زيادة الايمان
بزيادة المؤمن به من الآيات والاحكام فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا لاطلاعهم على ما فيها من الاحكام ولا
وهم يستبشرون بنيل الكمال وزيادة العرفان لانهما اجل المطالب واما الذين في قلوبهم مرض نفاق فزادتهم رجسا
الي رجسهم كفرا الي كفرهم فكما ان الايمان يزداد بزيادة المؤمن به كذلك الكفر يزداد بزيادة ما كفر به ويستحكم
عبر عن الكفر بالرجس تنفيرا عنه وماتوا وهم كافرون لاستحكام الكفر فيهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة
او مرتين ثم لا يتوبون تعجيب من غباوتهم وقسوة قلبهم وذلك انهم لا يخلون عن محن متتابعة واصناف
بليات ولا يفطنون لسبب ذلك فيرجعون عن ارتكابه وقيل الفتنة الابتلاء بالجهاد مع رسول الله وما يعاينون
من نزول النصر والتاييد الالهي ولا هم يذكرون يعتبرون ان ذلك بسوء افعالهم ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم قرا حمزة اولا ترون خطابا للمؤمنين تعجيبا لهم عن غفلة المنافقين
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض يتغامزون بالحواجب انكارا وسخرية هل يريكم من احد حال بتقدير
القول اي قايلين هل يريكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نقدر على استماعه اما غيظا لما فيه من ذكر
معايب آلهتهم وآبائهم ولانه يغلب عليهم الضحك فلا يقدرون على منعه ثم انصرفوا بعد ذلك التغامز وما
تفا ولوا به صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان او اخبار اي لما اختاروا الانصراف جازاهم الله بصرف
قلوبهم عن الايمان فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لا يفهمون تنبيه على علة الصرف
وعدم القابلية لقد جاءكم رسول من انفسكم عربي مثلكم تعرفون نسبه ولسانه وشانه من الامانة و
الصدق عزيز عليه ما عنتم شاق عليه وقوعكم في المكروه شفيق بكم لا كبعض ابناء الجنس والاقارب لا يكترث
بما اصاب قريبه حريص عليكم على اصلاح شانكم روي البخاري عنه انما انا لكم كالوالد للولد فاذا جيتم
الغايط فلا تستقبلوا القبلة ولكن شرقوا او غربوا بالمؤمنين روف رحيم بكافة المؤمنين زيادة في مدحه
اذ لم ينحصر رافته في اقاربه كما هو شان الجمهور وتقديم الروف وهو ابلغ على طريقة التتميم وقيل رعاية
للفاصلة فان تولوا بعد هذا الابلاغ والانذار فقل حسبي الله كافي ومعيني اما مواجها لهم او في نفسك متسليا
لا اله الا هو دليل على كفايته والاستغناء عن غيره عليه توكلت فوضت امري لا ارجو سواه وهو رب
العرش العظيم الملك الذي لا يحاط به او الجسم العظيم فوق السموات وعلى الوجهين ذكره لتقوية داعية
التوكل والدلالة على ان من هذا شانه جدير بان لا يرجى سواه آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان
وقيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات او عشر

بسم الله الرحمن الرحيم الر اما الف را من الرجيث وقع اما له تامة ابو عمرو
وابن عامر وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي خرجوا وورش بين بين لان الف را تنقلب ياء في التثنية
كذا قاله القراء حروف على نمط التعديد اي هذا المعجز مركب من مسميات هذه الاسماء تقريعا لمن ينكر كونه
من عند الله واسم سورة كما تقدم تلك آيات الكتاب الحكيم اشار لفظ تلك وان كان السورة في حكم الحاضر
قصدا الى التعظيم او لكونها في حكم الغايب لعلو درجاتها والكتاب السورة او القرآن باسره لقوله كتاب احكمت
آياته ومعنى كونه حكيما على اشتماله الحكمة او وصف له بوصف مؤلفه كالاسلوب الحكيم اكان للناس عجبا

تعجيب للسامعين من تعجب الكفار ان اوحينا الحاؤنا اسم كان عجبا خبره واللام في للناس للبيان مثلها
في هيت لك والمعنى ان هذا العجب مختص بهم ومحصله انهم جعلوه اعجوبة لهم يتعجبون منه وصار علما عندهم
في ذلك الي رجل منهم ناشئ منهم ذو نسب شريف وحسب منيف وان فاته شيء من متاع الدنيا الذي هو شيء
كانوا يقولون يا للعجب لم يكن في الناس الا يتيم ابي طالب لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
ان انذر الناس كافة ان مفسرة لان الايحاء في معنى القول او مخففة حذف منها ضمير الشان تقديره انه انذر
الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وبشر الذين آمنوا خص التبشير بالمؤمنين بخلاف الانذار فانه
يعمهما دل على ان مجرد الايمان كاف للتبشير ان لهم قدم صدق عند ربهم بان لهم سابقة صدق وعن الاخفش
التقديم فانهم قدموا خيرا قبل لقاء الله ويحتمل ان يراد به ما سبق في علم الله من سعادتهم فيكون تسلية
لهم وتطمينا لقلوبهم من سوء الخاتمة او يكون تجريدا اي هم قدم صدق لما في الحديث حتى يضع الجبار قدمه
في النار اي طايفة قدمهم لها قال الكافرون ان هذا لسحر مبين اي القرآن وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر
فالمشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الرسم والمعنى به الصق لان مناط الانكار كونه
رسولا وهو رجل منهم اعترفوا برسالته وان انكروا لان السحر يحتاج الى تعلم مع شرارة في الجبلة ونفس خبيثة
وهو منزه عندهم عن ذلك ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
يدبر الامر اي امر الكائنات على وفق ما اقتضته حكمته ومن هذا شانه لا يخفى عليه من يكون اهلا للاصطفا
بالرسالة فتعجبهم محل للتعجب ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته عز جلاله وعلو شانه وكبريائه
وفيه دليل على جواز الشفاعة باذنه ذلكم الله ربكم اي الجامع لهذه الصفات المستلزمة للالوهية
معبودكم لا غير فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون ليؤديكم الى ما هو الحق فانه لا يحتاج الى تفكر
ترتيب مقدمات بل مجرد التذكر كاف فيه اليه مرجعكم جميعا حث على التذكر والتوحيد لان رجوع الكل اليه
فيجب الاستعداد للقايه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم في معنى الوعد حقا مصدر آخر
مؤكد لغيره هو ما تضمنه وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده دليل على ان رجوع الكل اليه لا الى غيره لانه
المنفرد بالابداء والاعادة ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط علة للاعادة واشارة الى ثمرتها
والقسط هو العدل من اقسط اذا عدل لا من قسط فانه بمعنى ظلم قال الله تعالى واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا وهذا من غريب اللغات والمعنى ليجزيهم بعدله ولا يضيع لهم شيئا من عملهم او بعدلهم
في امورهم وما تحت ايديهم لما روي البخاري كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته او بايمانهم لانه ومنشا كل
عدل وهذا اوجه لقوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم
وانما اسند الى نفسه جزاء المؤمنين دون الكافرين تشريفا لهم بخلاف الكفار فانه اشار الى ان ما اصابهم
من العذاب ناش عن سوء صنيعهم هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا دليل نير على استحقاقه الانفراد
بالعبودية ومع كونه دليلا نعمة جليلة بها ينيط امر المعاش والضياء مصدر ضاء بمعنى اضاء او جمع ضوء
مثل حياض وحوض وهو اقوى من النور ولذلك نسب الي الشمس والقول بان الضوء يكون للشيء بالذات
والنور بالعرض فيكون نور القمر مستفادا من الشمس ليس له اصل لغة وشرعا وقرا ابن كثير ضئاء
بهمزتين على قلب الياء او الواو مكان الهمزة بعد تقديمها ثم قلب الياء او الواو همزة لتطرفها كما في رداء
وكساء وقدره منازل اي سير القمر ذا منازل لقوله والقمر قدرناه منازل وافراد القمر بذلك لان
مناط الاحكام الشرعية السنة القمرية والاشهر الهلالية ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب
حساب الاوقات من الشهور والايام والليالي ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الآيات لقوم يعلمون
اي ذلك المذكور الا ملتبسا بالحق ليكون مناط المعاش ودليل توحيد الصانع ان في اختلاف الليل والنهار

وماخلق الله فى السموات والارض من اجزآئها واوضاعها ومافيهما من سايرالكاينات لآيات دلايل على
وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وتفرده بذلك لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لقوم يتقون خص
المتقوى بالذكر لانه الباعث على التفكر فى شانها والاعتراف بوحدانية مبدعها ان الذين لايرجون لقاءنا
لايتوقعونه ولايخطرونه ببالهم فالرجاء بمعنى التوقع اولايأملون حسن لقائنا تحقيقه اوسوء لقائنا
فهو مجاز عن الخوف ورضوا بالحيوة الدنيا بدلا عن الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا اليها سكون من ايقن
بالخلود وبنوا القصور ونسوا القبور والذين هم عن آياتنا غافلون كالبهايم منهمكون فى المعاصى واللذات
العاجلة وانما وسط العاطف باعتبار تغاير الوصفين وانهما نوعان متمايزان الثانى منهما علة للاول
اوهما فريقان الاول من انكر البعث ولذلك اطمأن والثانى من اقربه ولكن شغله حب الفانى عن النظر
والاعداد للباقى اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون باستمرارهم على كسب الكفر والمعاصى ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جمعوا بينهما يهديهم ربهم الى سلوك طريق الجنة بايمانهم بسبب ايمانهم الذى
هو اساس كل خير جمع بين الايمان والعمل الصالح اولا لانه فى مقام الترغيب وافرده ثانيا اشارة
الى انه المنجى والسبب وماعداه مكمل لاجزء ولاشرط فان قلت المضاف الى المعرفة يراد به المعهود ولذلك
يصير معرفة فيكون الايمان المضاف ذلك المعهود السابق وهو المقرون قلت ذلك من قبيل الخطابيات
وقد دل دليل قطعى على ان مجرد الايمان كاف وهو قوله اول السورة وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق
والاحاديث الدالة على ذلك متواترة المعنى وتسميه العاصى غيرمهدى ان صح فبالنظر الى عدم سلوك
طريق الاستقامة تجرى من تحتهم الانهار استيناف اوخبر ثان فى جنات النعيم خبر آخر اومتعلق بتجرى اوحال
من الانهار دعويهم فيها اى دعاؤهم لقولهم سبحانك اللهم وقيل من الادعاء اى يدعون له من التوحيد
والتنزيه ماكانوا يدعونه فى الدنيا ويجوز ان يكون الدعاء بمعنى العبادة واعتزلكم وماتدعون من دون الله وليس
العبادة منهم على وجه التكليف بل تلذذا فان اسامى لم تزده معرفة وانما لذة ذكرها وتحيتهم
فيها سلام اى مايحييهم به الملائكة او الله سبحانه مصدر مضاف الى المفعول او تحية بعضهم بعضا فالى الفاعل
وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين يقولون ذلك شكرا على ما اولاهم مالا عين رات
ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ولويعجل الله للناس الشر اذا استعجلوه عن مجاهد هو قول
الانسان لماله وولده اذا غضب اللهم العنه وقيل نزل فى كفار مكة حين قالوا اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء استعجالهم بالخير اى تعجيله الخير اذا
سألوه فوضع الاستعجال موضعه اشعارا بانه تجيبهم اسرع اجابة كان استعجالهم نفس تعجيله
لقضى اليهم اجلهم وقت الدعاء قرأ ابن عامر فقضى على بناء الفاعل ونصب اجلهم وهو المختار لمنا
سبته ما تقدم وما تاخر وعدم الاحتياج الى الحذف فنذر الذين لايرجون لقاءنا فى طغيانهم
يعمهون عطف على النفى الدال عليه كلمة لوكانه قيل لانعجل لهم الشر ولانقضى اليهم اجلهم فنذرهم
الا انه وضع المظهر موضع المضمر دلالة على ان ذلك المستعجل لم يؤمن بلقاء الله فلذلك
اجترئ على تلك المقالة وقيل الاية متصلة بقوله ان الذين لايرجون لقاءنا وذكر المؤمنين
للمقابلة وانما عبر عنهم اولا بالناس تقطيعا للامر ثم صرح باسمهم ثانيا واذا مس الانسان
الضر دعانا لجنبه اوقاعدا اوقائما فى حالاته كلها لان المضرور اما ان يهلكه المرض فهو
مضطجع اويخف عنه بعض خفة فيقعد اويزول عنه وفيه بقايا يقوم من غيرحراك وانما
استعمل اللام مع ان الظاهر على اشارة الى انه لشدة المرض مستلق على تلك الهيئة لايمكنه
غيرها لما فى اللام من معنى الاختصاص ففيه زيادة مبالغة فلما كشفنا عنه ضره الذي

الذي الم به مر كان لم يدعنا الى ضر مسه استمر على ماكان عليه من الاعراض عن شكر نعم
الله كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا كذلك زين للمسرفين ماكانوا
يعملون من الاشراك وصرف الاموال فى غير مرضات الله وتكذيب الانبياء ونسبة السحر الى المعجزات
والآيات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة قرونا كانوا يعاملون الله ورسله ما
تعاملون انتم لما ظلموا بالاشراك وعبادة غيرالله وجاءتهم رسلهم بالبينات لم يكن لهم معذرة
فيما فعلوا لكون معجزات الرسل واضحة الدلالة على صدق دعويهم وماكانوا ليؤمنوا جحدوا واستكبارا
كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى القوم المجرمين نجزيكم وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان اهلاكهم
مسبب عن اجرامهم وزاد لفظ القوم ليدل على انهم اعلام فى ذلك اوكل مجرم فينا وهم ثنا ولا ظاهرا
ثم جعلناكم خلايف فى الارض من بعدهم استخلفناكم فى الارض بعد القرون التى اهلكناهم لننظر كيف
تعملون جهة اعمالكم وكيفيتها من الحسن والقبح فان المعتبر جهة الفعل لانفسه وهو معمول تعملون
لان النظر معلق بالاستفهام واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا اشار الى
انهم خلف سوء وان عملهم لم يقع على جهة مرضية بل سلكوا مسلك المهلكين من القرون الاولى
ولم يكن لهم باعث على هذا الاعدام اعتقاد الحشر فانهم دهريون التفت الى الغيبة تبعيدا لهم
عن رتبة الخطاب ائت بقرآن غيرهذا لايكون فيه تسفيه احلام ابائنا ولاسب آلهتنا او
بدله بان تجعل مكان آية العذاب آية الرحمة وموضع سب الآلهة مدحها فالاول تغيير فى الذات
وهذا تغيير فى الوضع قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى اجاب عن الثانى لانه الممكن له
فان الاول ليس من مقدوره وان كان زعم الكفار انه من مخترعاته وهو قادر على الاتيان بمثله او
لانه مستلزم له وتلقاء الشئ حذاؤه وجهته ولما توجه تلقاء مدين ان اتبع الا ما يوحى الى
ماشانى الا اتباع الوحى من غير زيادة ولانقصان ليس لى التغيير والتبديل انى اخاف ان عصيت
ربى دليل على انهم لم يطلبوا منه التبديل من جهة الله بل من عند نفسه عذاب يوم عظيم
وفيه اشارة الى انهم مستوجبون ذلك العذاب لانهم يسعون فى تبديل كلام الله قل لوشاء
الله ماتلوته عليكم فيه زيادة تبرئة عما ينسبونه اليه من انه كلامه لان نفس تلاوته
بمشية الله فضلا عن ذلك المتلو ولا ادريكم به ولا انزله راسا وقرأ ابن كثير فى رواية قنبل
ولادريكم بلام التاكيد اى لوشاء لاعلمكم به على لسان غيرى فانه كلامه ليس على البشر الا تبليغه
فانا وغيرى سيان فقد لبثت فيكم عمرا من قبله اى عمرا معتدا به وهو اربعون سنة ايام
الشباب والكهولة التى هى مظنة حب الجاه والرياسة ومحل صدور الهفوات وارتكاب مالايليق
من الحركات ولقد احسن هرقل لما سأل عن سيرته صلى الله عليه وسلم اباسفيان هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ماقال قال لا وقد كان سأله عن عمره واخبروه انه ادعى النبوة بعد اربعين سنة
فقال هو نبى حقا لانه اذا لم يكذب على الناس فى شبابه فكيف يكذب على الله فى آخر عمره واليه
اشار بقوله افلا تعقلون اى تستعملون عقولكم فان مجرد استعمالها كاف فى ذلك بلا تكلف فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم منه قطع لاطماعهم والمعنى لو فعلت ذلك التغيير والتبديل
كنت مفتريا على الله تعالى مما تنسبوه اليه من زعمهم انه كلامه اوتظليم للمشركين فى اثبات الشركاء
له لقوله ويعبدون من دون الله اوكذب باياته الدالة على صدق مدعى النبوة انه لايفلح المجرمون
آثر على المضمر للدلالة على العلية ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم وهى الاصنام فانها
جماد ومن المعلوم انها لاتضر ولاتنفع وشان من يعبد ان يكون مثيبا معاقبا وهذا ناظر الى قبح

فعلهم كما ان الاول ناظر الى بطلان قولهم ويقولون هولاء شفعاؤنا عند الله اي يعتقدون ذلك
او يقولون اذا سيلوا وكان اهل الطايف يعبدون اللات واهل مكة العزى وهبل قال ابوسفيان يوم احد
بعد ما ظهر في المسلمين انكسار اعل هبل اعل هبل فقال رسول الله لاصحابه الا تجيبونه قالوا
ماذا نقول قال قولوا الله اعلى واجل ثم قال لنا عزي ولا عزى لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا تجيبونه قالوا نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم والقول بان اسافا ونايلة كانتا صنمين لاهل
مكة ليس كذلك بل كانا رجلا وامراة زنيا في جوف الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فجعل اساف على الصفا
ونايلة على المروة ليكونا عبرة لمن يراهما كذا رواه البخاري قال اتنبئون الله بما لا يعلم وهو التنزيل
او شفاعته لكم لان ما لا يعلمه الله لا وجود له لشمول علمه فلو وجد لعلمه طريق برهاني بانتفاء اللازم
على انتفاء الملزوم في السماوات ولا في الارض تاكيد للنفي بناء على العرف يقولون لدى الانكار لشيء ليس
هذا في السماء ولا في الارض او لزامي لاعتقاد المشركين ذلك او اريد بهما جهتا العلو والسفل سبحانه
وتعالى عما يشركون عن اشراكهم وما يشركونه به وما كان الناس الا امة واحدة في عهد ادم قبل قتلها بل
او زمن نوح بعد السفينة اذ لم يذر الله على الارض من الكافرين ديارا او زمن ابرهيم كانوا كلهم كفارا
فاختلفوا بعد ذلك الاتفاق على الحق او الباطل وصاروا فرقتين ولولا كلمة سبقت من ربك قضية قضاها
في الازل بان يكون الدار الآخرة دار القضاء ومحل الجزاء لقضي بينهم في هذه الدار فيما فيه يختلفون بان
يثاب المحق ويعاقب المبطل ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات المقترحة قالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا الى غير ذلك
عنادا وتماديا في الضلال والا ففي القرآن النازل بلسانهم آيات لا تعد ولا تحصى عبر بالمضارع وان كان
القول منهم ماضيا واقعا لانهم مستمرون على ذلك فقل انما الغيب لله مختص به لا سبيل لاحد اليه فلو قضت
حكمته انزال ما تسالونه لانزل فانتظروا العذاب والهلاك اني معكم من المنتظرين للعذاب النازل عليكم واذا
اذقنا الناس رحمة المشركين الناكبين عن الشكر من بعد ضراء مستهم مرض او قحط وفي اسناد الاذاقة في الرحمة
دون الضر شان لا يخفى اذا لهم مكر في آياتنا احتيال في دفعها والتكذيب بها دعا عليهم وقال اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الميتة والجيف وكان الرجل ينظر الى السماء فيرى دخانا من شدة
الجوع فجاء ابوسفيان وقال يا محمد انك تامر بصلة الرحم وان قومك فيما هم فيه فادع الله ان يسقيهم
قل الله اسرع مكرا دبر جزاء مكركم قبل وقوعه ولما دلت المفاجاة على السرعة ظهر وجه التفضيل والمكر منه
تعالى استدراجهم واطلاقه عليه للمشاكلة ان رسلنا يكتبون ما تمكرون مكركم او ما مكرتموه لا يخفى
عليهم شيء منه فضلا عن خفايه علينا وفيه مع الوعيد ايماء الى جهلهم بعلام الغيوب وشمول علمه
هو الذي يسيركم في البر والبحر يخلق دواعي السير فيهما وقرا ابن عامر ينشركم اي يبثكم فيهما
وقراءة العامة اعم حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم اي بكم وانما التفت الى الغيبة ليذكر سوء
فعلهم لمن يسمع ويعلم ضلالتهم وليس ما بعد حتى وحده وهو الكون في الفلك غاية للسير لينوهم
اتحاد الغاية بل الغاية الشرطية وما في حيزها من الجمل المتعاطفة نظيره ما سياتي في قوله انما مثل
الحيوة الدنيا كماء انزلناه بريح طيبة لا تزعج الراكب الباء للسببية والاولى للملابسة وفرحوا
بها بتلك الريح جاءتها ريح عاصف شديد هبوبها ولذلك لم يونث واصل العصف الكمال في كل
شيء يقال ناقة عصوف اذا كانت سريعة المشي وجاءهم الموج من كل مكان من ساير الجهات وظنوا
انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم
ظنهم ويحتمل الاستيناف كانه قيل ماذا صنعوا بعد تلك الحالة واما جعل جاءت حالا ودعوا جوابا

ماذا،

اساف بن ... ونايلة ... وكانا من جرهم منه

بلادا علمه قوله ... على الارض ... رواه البخاري منه

وفيه رمز الى ان ... حضورهم وعدم حضورهم سواء،

وذي الغاية،

للشرط فلا يستقيم لان فرحهم بالريح الطيبة لم يكن في حال مجي العاصفة اي اذا شاهدوا اسباب الهلاك
لم يذكروا آلهتهم ووحدوا الله ولم يخطر ببالهم غيره ورجعوا الى الفطرة التي فطر الناس عليها والاحاطة
كناية عن الموت ماخوذة من احاطة العدو ولئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على تقدير القول اي
قايلين هذا الكلام او هو مفعول دعوا لانه في معناه فلما انجاهم اجاب دعاءهم اذا هم يبغون في الارض
فاجاؤوا الافساد في جهات الارض واطرافها كان لم يشاهدوا ذلك الامر يوما بغير الحق قيد به لان الافساد
اخراج الشيء عن صلاحه وقد يكون بحق كما فعله رسول الله من احراق زروع بني النضير وتخريب بيوتهم
وكذلك الحكم في اموال الكفار اذا لم يرج حصولها للمسلم يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم وباله لا حق
بها او على امثالكم لان من بغيتم عليه من ابناء جنسكم كلكم اولاد ادم متاع الحيوة الدنيا رفع
على انه خبر بغيكم والجار والمجرور صلة والمعنى تعدي بعضكم على بعض انتفاع قليل فيضمحل ويبقى
عقابه وقرا حفص متاع بالنصب على انه مصدر فعل مقدر اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول به
للفعل المذكور او مفعول له والخبر محذوف والمعنى بغيكم على امثالكم لانتفاع قليل البقاء قبيح والرفع
هو المختار لسلامته عن الحذف ثم الينا مرجعكم بالموت او يوم القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه
انما مثل الحيوة الدنيا بين ان ما يتعدى لاجله الناس بعضهم على بعض هو المتاع القليل الذاهب
السريع الزوال وكشف القناع عن ذلك واوضحه بما لا مزيد عليه كماء انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض اي حالها العجيبة في سرعة تقضيها وزوال نعيمها بعد اقبالها مثل حال ماء نزل من السماء
فاشتبك بسببه نبات الارض واختلط بعضه مع بعض نماءا كل الناس والانعام من ساير انواعه
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت مثل الارض بالعروس لابسة انواع الملابس الفاخرة متزينة
باصناف الزينة من انواع الحلي واصل ازينت تزينت ادغمت التاء في الزاء فاجتلبت الهمزة للابتداء
بها وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من الانتفاع بها رعيا وحصدا اتاها امرنا ليلا او نهارا اي
ما امرنا باهلاكها من برد وصاعقة او خسف كما فعل بصاحب الجنتين احيط بثمره فاصبح يقلب كفيه
على ما انفق فيها فجعلناها حصيدا جعلنا زرعها كانه محصود في قطعه واستيصاله كان لم تغن بالامس
كان لم تثمر ولم يلبث زرعها من غني بالمقام اذا قام قال الاعشى طويل الثواء طويل الثغن والامس
مثل في الوقت القريب والمشبه به مضمون الجمل المذكورة ووجه الشبه منتزع منها كلها وهي عشر جمل
كذلك نفصل الآيات مثل هذا التفصيل الواضح نفصل ساير الآيات لقوم يتفكرون في معاني الآيات وقاتعها
فانهم المنتفعون بها والله يدعو الى دار السلام اي كل احد مومنا كان او كافرا ودار السلام هي الجنة
لعدم الامراض والآفات فيها او لانها دار الله والسلام من اسمائه تعالى وتخصيصه بالذكر هنا لا يخفى
موقعه من الحسن او لان الملايكة تحيي المومنين به حين القول او الله تعالى ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم بخلق الهداية والتوفيق لمن سبقت عنايته به والصراط المستقيم هو الاسلام والدعا للدلالة
الى ذلك الطريق لا غير وفيه دليل على ان الامر ليس عين الارادة وان الضال لم يرد الله هدايته للذين
احسنوا اخلصوا في ايمانهم الحسنى الجنة او المثوبة الحسنى وزيادة لقاء الله وقيل الحسنى جزاء العمل وزيادة
عشر امثاله الى سبعماية ضعف الى ما شاء الله وقيل الزيادة رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر
ولا يرهق وجوههم قتر لا يصيبها غبار ولا ذلة بل مصونون محفوظون مما يشين ظاهرهم وباطنهم اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون الموصوفون بتلك الصفات اصحاب الجنة حال كونهم خالدين لا موت
ولا خروج والذين كسبوا السيئات كلها وهم الكفار عطف على قوله للذين احسنوا جزاء سيئة بمثلها عطف
على الحسنى بالعاطف الاول عطفا على معمولي عاملين مختلفين مثل في الدار زيد والحجرة عمرو او التقدير

وجزاء الذين كسبوا السيئات على انه مبتداء وجزاء سيئة بمثلها خبره والمعنى ان المسيئ لا يزاد على جزاء فعله
روي البخاري ومسلم من هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن عملها كتبت له سيئة وترهقهم ذلة
ما لهم من الله من عاصم من يعصمهم من سخط الله وعذابه على ان من صلة عاصم من جهة الله او من عند على
ان الجار والمجرور حال قدمت ومن الثانيه زايدة على الوجهين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
مظلما اي جعل غشاء وجوههم قطعا من الليل لفرط قتامها وشدة ظلامها وقرا ابن كثير والكسائي قطعا
باسكان الطاء على انه مفرد بمعنى القطعة لان كل وجه له قطعة ومن الليل على الوجهين صفه قطعا وكذا
مظلما على الاسكان او حال من المستتر في الجار والمجرور والمختار فتح الطاء لعدم التاويل للتناسب اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون اذ لا حسنه لهم يحاورون عليها وبه خرج صاحب الكبيرة ويوم نحشرهم جميعا
اي الفريقين ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم اسم فعل انتم مؤكد للضمير المستتر في مكانكم
لانه ساد مسد الزموا وشركاؤكم عطف عليه والمعنى لا تبرحوا مكانكم حتى تنظروا ما ذا يفعل بكم وتشاهدوا
عجز من عبدتموه عن تدبير نفسه فضلا عن غيره فزيلنا بينهم فرقنا بين المشركين وشركائهم من الزيل
لغة في الازالة والمعنى قطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون القايل المسيح
والملائكة والاصنام بنطقها الله زيادة في النكايه مكان الشفاعة التي كانوا يرجونها اخبر منه كقوله تعالى
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم تفريع على قولهم المقدر اي فيقول
المشركون بل عبدناكم وينكرون مقالة المعبودين فيقولون كفى بالله شهيدا ان وقع ذلك فانه عالم
بكنه الاشياء وان كنا عن عبادتكم لغافلين ما كنا الا غافلين لم نامر بذلك ولم نرض به هنالك في ذلك
المقام او الزمان مستعار له كقوله هنالك يجزيني الذي كنت اصنع تبلو كل نفس ما اسلفت من البلاء
بمعنى الاختبار اي تعرف كل نفس حقيقة ما عملت من حسن وقبيح وقبول ورد وقرا حمزة والكسائي بتاءين
من فوق من التلو وهو التبعيه اي تتبع عمله اما الى الجنه او الى النار او ما كان يعبد لما روى البخاري
اذا كان يوم القيمه تتبع كل امة ما كانت تعبد وتبقى هذه الامة وفيها منافقوها فياتيهم الله
في صورة لم يعرفوها فيقولون كلا لا نبرح مكاننا حتى ياتينا ربنا فيكشف لهم عن الساق فيخرون له
سجدا الا من كان منافقا فانه لم يقدر على السجود ويصير ظهره طبقا او من التلاوة لقوله ونخرج له
يوم القيمه كتابا يلقاه منشورا اقرا كتابك وردوا الى الله مولاهم الحق الثابت ولايته وربوبيته
او الذي يتولى ثوابهم وعقابهم من غير ظلم بل يجازي كلا بعمله على قدره وضل عنهم ما كانوا
يفترون ضاع او بطل ما كانوا يدعونه من الشركاء او من شفاعتهم قل من يرزقكم من السماء والارض
بانزال المطر من السماء والانبات من الارض اردفه بانواع اخر من دلايل التوحيد على وجه لا يقدرون
على انكار شيء منها امن يملك السمع والابصار يقدر على خلقهما غيره تعالى لان عقول الخلق عاجزة
عن ادراك ما اودع فيهما او حفظهما لانهما جوهران لطيفان يتاثران بادنى شيء ومن يخرج الحي من
الميت الحيوان من النطفه او النبات من الحبة والنوى ويخرج الميت من الحي النطفه والحبة من الحيوان
والنبات ومن يدبر الامر امر العالم العلوي والسفلي تعميم بعد التخصيص فسيقولون الله لا يجدون
جوابا غيره فقل افلا تتقون بطشه وسطوته باشراككم فذلكم الله ربكم اي اذا اعترفتم انه المنفرد
بالايجاد والكلاءة فذلك الموصوف هو المنفرد بالالوهية والربوبيه في الواقع لا من تسمونه فماذا بعد
الحق الا الضلال لا شيء بعد الحق الا الضلال لعدم الواسطة فانى تصرفون عن الحق الابلج تعجيب لهم عن حالهم
كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبيه له تعالى او كما ان بعد الحق الضلال او كما انهم مصروفون
عن الحق حقت كلمة ربك الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في الكفر وبلغوا الحد الاقصى انهم لا يؤمنون

بدل من الكلمة اي حق عليهم عدم الايمان وانتفاؤه عنهم او عدة لهم بالعذاب لقوله حقت كلمة العذاب
على الكافرين وانهم لا يؤمنون تعليل له وفيه دلالة على ان حقية العذاب ولزومه للكفار انما كان لاجل
انتفاء الايمان فيدل على نجاة المومن وان كان فاسقا قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده
اي ليس فيهم من هذا شانه وهم وان لم يقولوا بان الاعادة من خواص الالوهية لعدم اعترافهم بالاعادة
راسا لكن لظهور امرها ووضوح برهانها جعل منكرها منكرا لامر مسلم لا يعبا بانكاره قل الله يبدؤا الخلق ثم
يعيده امره بالجواب لانهم بكم لا ينطقون بالحق فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن قصد السبيل قل هل من
شركائكم من يهدي الى الحق تنزل معهم كانه قيل هم عن ابداء الخلق واعادته بمعزل لكن اقل شؤون الاله
وصفاته ان يكون مرشدا الى الصواب وقد سبق ان هدي ياتي لازما ومتعديا الى مفعولين بنفسه يقال
هديته الطريق والى الثاني بالى او باللام ولا فرق في المعنى ويجيء بمعنى التنقل كما في الهدية وهدي الحاج
والقول بان ما يسند الى الله مستعمل بالى يرده قوله قل الله يهدي للحق وقوله اهدنا الصراط المستقيم و
يهدي من يشاء افمن يهدي الى الحق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى اي لا يهتدي بنفسه على انه
لازم او لا يهدي غيره الا ان يهدى ويعرف هذا على قراءة حمزة والكسائي على انه مضارع هدي
وقرا ابو بكر عن عاصم بكسر الياء والهاء وتشديد الدال على ان الهاء كسرت لالتقاء الساكنين والياء
للاتباع وحفص بفتح الياء والهاء وتشديد الدال لما ذكر الا انه لم يتبع الياء وقرا قالون عن نافع
وابو عمرو بفتح الياء واختلاس فتح الهاء والتشديد اشارة الى عدم اصالة الكسرة وورش وابن كثير
وابن عامر بفتح الياء والهاء وتشديد الدال على ان الهاء حركت بالفتح فرارا عن ثقل الكسرة مع الياء
كما فتحوا الميم في الم الله وفي هذه الوجوه مضارع اهتدي ادغمت التاء في الدال للتشارك في المخرج
والقول بان ابا عمرو قرا بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين سهو لان ابا عمرو مختلس ونقل
عن قالون السكون فما لكم كيف تحكمون تعجيب عن حالهم كيف خفي عليهم هذا الامر الجلي وهم يدعون انهم
عقلاء مراجيح وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي في اقرارهم بالله والوهيته لانهم مقلدون اباءهم في
ذلك من غير استدلال او في ما يعبدون انه اله قيد بالاكثر لان بعضهم شاك حاير وبعضهم مستيقن معاند
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم او المراد بالاكثر الجميع ان الظن لا يغني من الحق شيئا من الاغناء او شيئا
ما مفعول به والحق هو الثابت الذي لا يتبدل بتبدل الشرايع كالتوحيد وساير الاصول والعقايد
فان الظن لا يفيد فيها بل لا بد فيها من دليل قاطع ان الله عليم بما يفعلون من التقليد والظنون
التي وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله رجع الى ما كان بصدده من بيان حقية القرآن
فان السوره مصدره بذلك ساق دلايل توحيده وربوبيته على ارشق اسلوب واحسن انتظام ثم كر الى
نفي الريب عن كونه كلامه والمعنى ما صح وما استقام وكان محالا عند العقل ان يكون مثله في علو الشان
والاعجاز مفترى ومختلقا اذ ليس في وسع احد الانسان بمقدار ثلث آيات تدانيه قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولكن تصديق الذي بين
يديه من ساير الكتب السماوية شاهد على صدقها لانه معجز دونها فكيف يكون مفترى جعله نفس التصديق
مبالغة على طريقة رجل عدل وتفصيل الكتاب ومفصل الاحكام المكتوبة على المكلفين او اللوح المحفوظ
فصل فيه ما هو مكتوب هنالك لقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ لا ريب فيه خبر آخر لكان او حال
عن اسمه من رب العالمين حال من ضمير فيه او من الكتاب او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه
اعتراض على الوجوه الثلثه ام يقولون افتريه بل انقولون اختلقه محمد استبعاد لصدور هذا القول
منهم والحال انهم عاجزون عن الاتيان بمقدار اقصر سورة منه قل فاتوا بسورة مثله في تلك البلاغة

وحسن النظم آية سورة كانت لا تفاوت بالطول والقصر واقلها ثلث آيات وادعوا من استطعتم من دون
الله من شئتم وقدرتم عليه في الاتيان بمثله كائنا من كان من خلقه فانه عاجز عن ذلك ان كنتم صادقين
انه مفتري لانكم باشرتم القريض والخطب والآتي به لم يكن يباشر شيئا من ذلك بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه اضراب عن دعائهم الى التحدي وانهم لا يباهلون ذلك الى حالة اخزى لهم اشنع من العناد
وهي الجهل اذ لا شئ اقبح منه فان العناد ربما يستحسن ومن امثالهم عاند من تطيق له عنادا والمعنى انهم
قبل التدبر في نظمه والاحاطة بتراكيبه سارعوا الى تكذيبه فاذا عاندوا ونسبوه الى الافتراء بعد العجز عن
الاتيان بمثله لا يستبعد ذلك منهم ولما يأتهم تأويله ما يؤل اليه من صدق اخباره بالمغيبات وانما
آثر لما لان التاويل كان متوقعا منتظرا فكان المسارعة الى التكذيب نوعا من الجهل وقيل قوله ام يقولون
افتراه فيمن علم اعجازه وانكر عنادا وقوله بل كذبوا في حق من كان مشاقا والوجه هو الاول وعليه ينطبق النظم
كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين الخطاب لرسول الله او لمن يتأتى منه
النظر وفيه اشارة الى انه سيحل بهم ما حل باولئك ومنهم من يؤمن به بانه كلامه تعالى وان انكر بلسانه
اراد بالايمان مجرد التصديق دون الاذعان والا كان مؤمنا حقا او سيؤمن به حقيقة كمن اسلم منهم ومنهم
من لا يؤمن به في الحال او في الاستقبال وربك اعلم بالمفسدين المعاندين او المصرين والوجه هو الاول لان المصر
ليس له باطن يخالف ظاهره وان كذبوك اي ان كانوا كذبوك ولم يرعووا عنه بعد الزام الحجة فقل لي عملي
ولكم عملكم اي لي جزاء عملكم منسوخ باية السيف لدلالته على اباحة المتاركة انتم بريئون مما اعمل وانا
بريء مما تعملون لا يؤاخذ احد منا بجريمة الآخر كما لا ينتفع بصالح عمله ومنهم من يستمعون اليك من الكفار
من يستمع اليك اذا قرأت القرآن او علمت الشرائع استماعا لا تدبر معه ليوصلهم الى درك دقائق
معانيه بل يسمعون الفاظا مجردة تشبه عندهم الصدى والدوي ناظرا الى قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون انكار لوقوع الاسماع مع اجتماع هاتين الصفتين لان الاصم
اذا كان عاقلا ربما تفرس من دوي الصوت او درك المقصود من الاشارة واذا انضم الى فقد السمع سلب
العقل فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك افرده نظرا الى لفظ من وجمع الاول باعتبار المعنى تفننا اي
ومنهم من يشاهد دلائل نبوتك اذا نظر اليك ولم يصدق بشيء منها عنادا لما راى عبد الله بن سلام
رسول الله وهو جالس بقباء مقدمه من مكة فقال وجهه ليس وجه كاذب ثم ساله عن مسائل
فاجابه عنها فامن في ساعته افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون اي لست قادرا على ذلك لان
العمى اذا انضم اليه فقد البصيرة لا يمكن هداية صاحبه شاهدنا رجلا اعمى متوجها من بيت المقدس
الى فلسطين وحده وبين الموضعين مسيرة يوم ويجوز ان يكون الابصار رؤية البصر والمعنى لست قادرا
على هداية فاقد البصر ويكون تاكيدا للعمى لانه ربما يكون معه نوع رؤية ان الله لا يظلم الناس
شيئا لا ينقص منهم ما يحتاجون اليه في المعاش وما يستدلون به الى تحصيل المعاد من الحواس والعقل و
القوى ولكن الناس انفسهم يظلمون بتفويت منافع الحواس وصرفها الى غير ما خلقت له والاعراض عن سماع
الحق واجتلاء الآيات في الآفاق والانفس وفي الآية دليل على ان الانسان مختار في افعاله وكسب هو مناط
الثواب والعقاب وقرأ حمزة والكسائي ولكن مخففا ورفع الناس ويوم نحشرهم جميعا كان لم يلبثوا
الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لان ايام السرور قصار او في القبور لما يشاهدون
من اهوال القيمة والجملة في موضع الحال اي مشتبهين بمن لم يلبث الا ساعة قرأ غير حفص نحشر بالنون
التفاتا وهي ابلغ من الياء تهديدا بدليل وحشرناهم ونحشرهم يوم القيمة يتعارفون بينهم يعرف بعضهم
بعضا لقرب الزمان وهذا عند خروجهم من القبور واما اذا اشتد الهول فلا يسأل حميم حميما والجملة بيان

لا ارتباط الظاهر على الثاني بلزوم التفكيك منه

عملي ولكم جزاء

للتشبيهية لان التعارف لا يبقى مع طول العهد ومتعلق الظرف اي يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسر من كذب بلقاء الله او حال
بتقدير القول اي يتعارفون بينهم قايلين ذلك وما كانوا مهتدين عارفين بطريق التجارة او لم يدخلوا
في زمرة المهتدين وهذا تاكيد لكونهم صما عميا واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا
كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل اراءته فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب الاول محذوف
اي فذاك والمعنى انك ظافر بعدوك اما في الدنيا او في الآخرة لا محالة فلا تحزن من تكذيبهم ثم الله
شهيد على ما يفعلون بعد رجوعهم اليه بان ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يكسبون او ذكرت الشهادة واريد مقتضاها اي يعاقبهم على افعالهم ويحتمل ان يراد التراخي الرتبي
لان شهادة الله عليهم بالكفر اشق من الرجوع اليه والعذاب او هو على التقديم والتاخير اي ان
توفيناك فالله شهيد بعدك على افعالهم فالينا مرجعهم واختيار ثم على الفاء على هذا التقدير
للتفاوت بين الشهادتين وقد روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال يؤتى باناس مني وانا
واقف على الحوض فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول اصحابي اصحابي فيقال انك لم تعلم ما احدثوا بعدك
فاقول كما قال عيسى بن مريم وكنت شهيدا عليهم ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب
عليهم ولكل امة رسول يدعوهم الى الله ويهديهم فاذا جاء رسولهم فكذبوه قضي بينهم بانجاء الرسول
واهلاك قومه تسلية لرسول الله ووعيد لقومه او يوم القيمة يقضى بينهم لقوله وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم بالقسط بالعدل وهم لا يظلمون تاكيد وتصريح بما علم ضمنا ويقولون متى هذا
الوعد هذا الموعود انكار لصدقه بقوله ان كنتم صادقين خطاب للنبي والمؤمنين قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا دفع سوء ولا جلب نفع لنفسي التي هي اقرب الاشياء الي واهم فكيف املك لكم وانما
قدم الضر هنا واخره في الاعراف لان الكلام هنالك في الساعة وعدم الاطلاع على وقتها فكان الاهم
النفع واعداد العمل الصالح لها ولذلك اردفه بقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير والكلام
هذا في وقوع العذاب ولا شك ان المهم دفعه الا ما شاء الله استثناء منقطع اي لكن ما شاء الله من ذلك
كائن او متصل اي الا ما شاء الله ان املكه فانه يقدرني عليه لكل امة اجل بيان لتاخر العذاب وجواب
عن استبطائهم اذا جاء اجلهم المضروب لاهلاكهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فلا وجه للاستعجال
لعدم امكان التبديل وسيجيء ما وعد قل ارايتم ان اتاكم عذابه تسفيه لاحلامهم بان ما يستعجلونه لا وجه
لاستعجاله بياتا اي وقت بيات وهو النوم نصب على الظرف او نهارا اي وقتا تشتغلون فيه باسباب المعاش
لم يذكر الليل في مقابلة النهار لانه اراد الاشارة الى انه وقت نوم وغفلة ليدل على انه الوقت
الذي يفترص فيه غرة العدو بخلاف النهار فانه مناط المعاش ماذا يستعجل منه المجرمون اي فرد من
افراده يستعجلون مع انه لا فائدة في شيء منها لان العذاب كله مر المذاق يجب الفرار منه وعلى هذا من تبعيضية
ومعنى الاستفهام التعجب اي شيء هايل من العذاب تستعجلون فمن للبيان لان ذلك الشيء هو العذاب نفسه
وتحقيق المقام مبني على وجوه ثلثة الاول ان ماذا متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني ويقدر للشرط
جواب ولما كان في هذا الاستفهام توبيخ وتجهيل لهم فيقدر في الجواب ما يدل على الخطأ والندامة ويكون
الشرط والجزاء مقررا لمضمون الاستخبار ولذلك وسط بينه وبين متعلقه والثاني ان يكون ماذا
يستعجل جواب الشرط والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه فاي شيء تستعجلون منه ولا موضع للاستعجال ثم قيل
على الوجهين اثم اذا ما وقع آمنتم به على معنى ان العذاب اذا وقع آمنتم به وعاد تكذيبكم تصديقا
واذعانا وفيه زيادة تنديم وتجهيل لهم وان هذا الايمان والاذعان ادخل في الانكار من استعجال العذاب
ولذلك جيء بثم ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق

المجرم ان يخاف العذاب ويسعى فى استدفاعه فضلا عن استعجاله الثالث ان يكون ثم اذا ما وقع جواب الشرط
وماذا يستعجل اعتراض واصل الكلام لان اتاكم عذابه بياتا او نهارا وتحقق آمنتم ثم جيء بحرف التراخي بدل
الواو استبعادا لما فعلوه ثم زيد اذا الشرطية دلالة على استقلاله بالاستبعاد وان الاول تمهيد له واكد
بما تحقيقا لمعنى الوقوع وزيادة تجهيل لهم بانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لا ينفعهم البتة وانما ادخل الهمزة
على ثم لانه مصب الانكار وهذا الوجه ابلغ معنى الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع
العذاب الآن يؤمنون توبيخا لهم والآن هو الوقت الذي انت فيه ظرف غير متمكن وقع معرفة وليست اللام
فيه للتعريف وقرأ نافع بالقاء حركة الهمزة الى اللام وحذفها وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم
قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر قبل الآن ذوقوا عذاب الخلد الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
يقال لهم ذلك دفعا لتظلمهم ويستنبؤنك احق هو اي ما ندعيه من وقوع العذاب يقولونه انكارا وتكذيبا
ولا دليل فى قوله يستنبؤنك على ان الاستفهام على اصله لكونهم جازمين بكونه كذبا كيف وهم الذين
يقولون ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وهو مبتدأ والضمير مرتفع به ساد
مسد الخبر او خبر مقدم قل اي وربي انه لحق اكد بانواع من التاكيد لقوة انكار المخاطب واصراره واي
بكسر الهمزة كلمة تصديق بمعنى بلى تتقدم القسم لا تستعمل مفردة وقيل الضميران للقرآن او لادعاء
النبوة ولا يلايم المقام ويرده قوله وما انتم بمعجزين اي فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت اشركت ما
فى الارض من الاموال والدفاين لافتدت به جعلته فدية لها والفدية والفداء ما ينقذ به الشيء واسروا
الندامة لما راوا العذاب لانهم من شدة الامر وتفاقمه لم يقدروا على بكاء ولا عويل كما يفعله المصاب
بل يسرون الندامة والحسرة وكثيرا ما ترى من له ولد عزيز عليه اذا مات يبقى كالجماد لا يسيل له
دمع ولا يقدر على صراخ وقيل اسروها اي اظهروها لان الكلمة من الاضداد وقيل اسروها من سفلتهم
الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من التوبيخ وقيل اسروها اخلصوها من سر الشيء لخالصه لانه
يخفى ويضن به وقضي بينهم بالقسط بين المؤمنين والكافرين او بين الرؤسا والاتباع او بين المشركين
يحمل ذنوب المظلوم على من ظلمه وليس فيه تكرار لان الاول بين الانبياء ومن كذبهم وهم لا يظلمون
بل يجزون على قدر ذنوبهم فان الكفار سعوا ونون العذاب الا ان لله ما فى السموات والارض مختص به
هو المثيب والمعاقب الا ان وعد الله حق ثابت لا محالة دليل على ان القضاء بين الظالم والمظلوم كاين
وصدر الجملتين بحرف التنبيه ايقاظا عن سنة الغفلة ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهماكهم فى الشهوات وعدم
تفكرهم فى اثار صنعه هو يحيي ويميت متفرد بذلك لا كما يقولون ما يهلكنا الا الدهر واليه ترجعون
بعد الموت لا الى غيره يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى رجع الى
بيان فضايل القرآن الموعظة النصح مصدر بمعنى الوعظ والقرآن لاشتماله على الدلايل القطعية الدالة
على التوحيد وساير العقايد موعظة وباعتبار قبولها والتدبر فيها شفاء لداء الجهل فانه مرض للقلب
ان لم يداو بذلك قوي وتبعه الهلاك ورحمة للمؤمنين لمن آمن به منكم خصهما بهم لانهم المنتفعون به
هذا كمن وضع ترياقا بين طايفة تناولوا سما قاتلا وقال لهم فيه شفاء لدايكم واني انا الطبيب
الماهر فصدقه بعضهم فكان فيه شفاؤه ولم يلتفت اليه آخرون فكان فى ذلك حتفهم قل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا تقدير الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا
فالتقديم للاختصاص اي بهما فليفرحوا لا بغيرهما من متاع الدنيا والتكرير للتاكيد لان اسم الاشارة
بمنزلة الضمير وايثاره لاشتماله على زيادة كمال التمييز فيفيد زيادة تقدير وتثبيت وحذف احد
الفعلين لدلالة المذكور عليه الفاء جواب شرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح والفضل

رد على القاضي
كيف يكون على اصله وقد اكد كلامه بانواع من التاكيدات القسم وان واللام ولفظ الحق منه

هو الاسلام والرحمة القرآن او هما واحد وتوسيط العاطف باعتبار الصفات وهذا اوجه والصق بالمقام
هو خير مما يجمعون قرأ ابن عامر بالخطاب التفاتا الى الكفار وهو المختار لانه ابلغ فى الفصح قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق بيان ما هو مفعول انزل ان كانت استفهامية وان كانت موصولة يتعلق بارايتم
اي اخبروني وفايدة لكم الامتنان عليهم كما فى قوله خلق لكم ما فى الارض لا الدلالة على ان الرزق اريد به
ما حل منه لان الكلام مع المشركين الذين يجعلون بحيرة وسايبة وحاما ووصيلة فجعلتم منه حراما
وحلالا ولذلك وبخهم بقوله قل آلله اذن لكم فى ذلك التحريم والتحليل ام على الله تفترون والمعنى
اخبروني اي الامرين كاين الاذن من الله ام الافتراء منكم عليه اذ لا حاكم غيره وعلى هذا ام متصلة
لانها مع الهمزة متعاقبان ويجوز ان تكون منقطعة اضرابا عن ان يكون الاذن من الله وتقريرا للافتراء
وهذا ابلغ فى الوعيد والزجر ويدل عليه قوله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة
اي اي شيء ظن المفترين على الله فى ذلك اليوم ابهمه تعظيما لشان الوعيد ان الله لذو فضل
على الناس بالعقل المميز والرسل الهادين وانزال الرزق ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعم
وما تكون فى شان لما طال محاجته مع الكفار واقامته البراهين القاطعة على فساد ما يدعونه من
التشريك وقبح اعمالهم من التحريم والتحليل افتراء على الله شرع يسليه بان ما يقاسيه معهم
من المشاق ليس شيء منه الا وعلمه محيط به يجازيه عليه يوم الجزاء والشان لغة مصدر شانت شانه
اذا قصدت قصده وما تتلو منه من قرآن من ذلك الشان لان تلاوة القرآن اعظم شؤون رسول
الله او من التنزيل لان كل جزء منه قرآن لاطلاقه على الكل والجزء والاضمار قبل الذكر للتفخيم والضمير
لله ومن ابتدائية ولا تعملون من عمل اي عمل كان عمم الخطاب بعد ان خصص سيد القوم بما كان
فيه فخامة اجلالا لمنصبه ورفعا لجنابه الا كنا عليكم شهودا مطلعين على احوالكم رقباء اذ
تفيضون فيه وقت شروعكم فيه لا يفوتنا منه شيء من افاض فى الامر اندفع فيه وما يعزب عن ربك
من مثقال ذرة ما يبعد ويغيب عن علمه ما هو اقل قليل فكيف بما فوقه قرأ الكسائي بكسر الزاء و
الباقون بالضم وهما لغتان والكسر افصح لانه اخف فى الارض ولا فى السماء فى الجهات السفلية
والعلوية وتقديم الارض لان الكلام مع اهلها ولان العامة يظنون بعدها ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر قرأ حمزة برفع الاسمين عطفا على محل من مثقال لانه فاعل فى المعنى والباقون بالفتح على اللفظ
او على ذرة وذلك الفتح جر لانهما غير منصرفين الا فى كتاب مبين استثناء منقطع والمعنى لا يعزب
عنه شيء من الاشياء لكن كله فى كتاب مبين على ان الكتاب علمه او اللوح او متصل من قبيل قوله
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل كلام برأسه لا عطف هناك على المحل او اللفظ بل الفتح
على ان لا نافية للجنس والرفع على الابتداء وعلى التقديرين الا فى كتاب خبره والجملة مقررة لما قبلها
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كانه لما ذكر احاطة علمه بالاشياء كلها كان مظنة
ان يسرع الخوف الى قلوب المخلصين اذ ما من احد الا وله نوع تقصير بمقتضى البشرية ازال ذلك بان اولياء
لا خوف عليهم من وصول مكروه ولا حزن من فوات محبوب الذين آمنوا وكانوا يتقون تعريف لهم وتمييز
عما عداهم وقيل نصب او رفع على المدح او مبتداء والخبر قوله لهم البشرى والوجه هو الاول لهم البشرى
فى الحيوة الدنيا بما انزل الله فى كتابه من الثناء عليهم فى مواضع شتى وقيل من الرؤيا الصالحة فانها
جزء من النبوة كما نطق به الحديث او بشرى الملايكة لهم عند حلول الاجل وفى الآخرة تتلقاهم الملايكة
بالسلام والبشارة او سلام الله لقوله سلام قولا من رب رحيم لا تبديل لكلمات الله لاحكامه
مؤكد لقوله لا خوف عليهم او لقوله لهم البشرى كانه قيل لا اخلاف فى وعده ذلك هو الفوز العظيم اي المبشر به

وقرأ يعقوب فلتفرحوا [illegible]
[illegible] منه

خالف القاضي

وفيه مبالغة اذ وقت الشروع فى الكلام ربما يغفل عنه المخاطب منه

الفرق ان الاعتراض يؤكد مضمون الكلام والتذييل يفيد الايضاح منه

وهذه الجملة والتي قبلها معترضتان للتأكيد والاولى معترضة وهذه تذييل ولا يحزنك قولهم بانهم
يقتلونك او يسلطون عليك من يباشر قتلك وفي الحديث كان ابي بن خلف يقول له لي فرس اطعمه كل
ليلة فرقا من الشعير ساقتلك عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلني و
ولكن اقتلك وكان كذلك قتله يوم احد بيده صلى الله عليه وسلم ان العزة لله جميعا مستانف للتعليل
اي الغلبة والقهر لله جميعا لا مؤثر في الكائنات غيره وقد وعدك النصر والغلبة هو السميع لاقوالهم
العليم بضمايرهم او بمن له النصر والغلبة او بمن هو اهل لذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض
من الملائكة والثقلين اقتصر على ذوي العقول لكون غيرهم داخلا بالطريق الاولى او فيه تغليب اتى بحرف
التنبيه واكد الكلام بان اشارة الى شدة غفلة السامعين وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
لان من في السموات والارض مملوك له تعالى لا يصلح شريكا في الالوهية فمن سموه شريكا اسم بلا مسمى ويجوز
ان يكون ما استفهامية مفعول يتبعون وشركاء مفعول يدعون والمعنى يدعون اي شيء يتبعون هؤلاء
الذين يدعون شركاء من دون الله اذا كان من في السموات ومن في الارض مملوكا له تعالى تقريرا لجهلهم
ان يتبعون الا الظن الذي لا يجدي في الاصول والعقايد وان هم الا يخرصون يكذبون في دعواهم او يقدرون
ويحرزون في انفسهم ما لا وجود له هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا جعل الليل
مظلما بواسطته ينكفون عن الاعمال الشاقة اذ لولاه لحملهم الحرص على اداب انفسهم على الدوام وجعل
النهار مضيئا يبصرون فيه ويسعون في طلب المعاش ولما في الدليل المذكور من الجلاء ختم الآية
بقوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر فانه لا يحتاج الا الى القاء السمع دون اعمال روية
وتكثير مقدمات قالوا اتخذ الله ولدا نوع آخر من جهالاتهم وهو نسبة الولد اليه وذلك ان المشركين
كانوا يقولون الملائكة بنات الله وحمل الاتخاذ على التبني سهو لانهم كانوا يقولون بالولد حقيقة ولذلك
رد عليهم بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة سبحانه تنزيه له عن ذلك هو الغني دليل على بطلان
ما قالوا لان الولد انما يطلب ليكون ظهيرا في حيوة والده وقايما مقامه بعد وفاته ومن انتفى عنه
الاحتياج من كل وجه ما ذا يفعل بالولد له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه وان فيهما ملك
له وهو غني في الولد وفيه اشارة الى انهم جاهلون متناقضون ان عندكم من سلطان بهذا التفت اليهم
توبيخا وتكذيبا لهم على سبيل المخاطبة او المعنى ما عندكم من سلطان دليل قاطع على ما تدعونه والاعتقاد
لا بد له من برهان وبهذا متعلق بالظرف على ان من سلطان فاعل الظرف لاعتماده على النفي او متعلق
بسلطان لان فيه معنى الفعل او نعت له اتقولون على الله ما لا تعلمون تقرير وتوبيخ على نسبتهم الى الله ما لا علم
لهم به قل ان الذين يفترون على الله الكذب خاطبهم اولا ثم لما جهلهم اعرض عنهم وامر المرسل اليهم بان
يخاطبهم بان الذين ينسبون الولد اليه او الشريك او ما لا يليق به لا يفلحون في الآخرة بالنجاة من النار
والفوز بالجنة متاع في الدنيا لهم تمتع فيها او فوزهم تمتع قليل فانهم بذلك يقيمون رياستهم بين
قومهم ثم الينا مرجعهم بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون لاجل كفرهم وكلمة ثم للتراخي
الرتبي لان الكافر بالموت ساقط في العذاب الا ان عذاب جهنم اشق ولذلك قالوا من بعثنا من مرقدنا
واتل عليهم نبأ نوح لما استوفى دلايل حقيته القرآن وتبين بذلك صدق من ارسل به واردف ذلك
بدلايل وحدانيته امر رسوله بان يتلو عليهم بعض اقاصيص الامم المكذبة الذين اهلكهم الله واستاصلهم
ليكون ذلك زاجرا وبدأ بنوح لانه اول نبي عذب قومه ولانهم كانوا عبدة الاوثان مثل قريش اذ قال
لقومه متعلق بنبأ يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي شق عليكم قيامي بين اظهركم داعيا الى الله مكث
الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله ولذلك قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا او نفسي وكوني

يقال فعلت هذا لمكان فلان اي لاجله وتذكيري بايات الله بالدلايل الدالة على وحدانيته او الدالة
على صدق نبوتي فعلى الله توكلت لا على غيره من الاسباب فاجمعوا امركم اقصدوه واعزموا عليه من الجمع
بمعنى العزم وامرهم كيدهم الذي كانوا يخفونه كقوله فاجمعوا كيدكم وشركاءكم مفعول معه الواو
بمعنى مع وروي عن نافع اجمعوا بالوصل من الجمع فيجوز نصب شركاءكم بالعطف على المفعول ثم لا
يكن امركم عليكم غمة اي بعد اجماعكم على اهلاكي لا يكن ذلك مستورا بينكم كشان من يريد
اهلاك عدوه فانه يضمر في نفسه وينتهز الفرصة من غم الهلال اذا استتر او المعنى اذا اهلكتموني
لم يبق عليكم ضيق وغم واتسع عيشكم وفعلتم ما تريدون ولم تجدوا احدا ينكر عليكم شيئا مما تاتون
وتذرون ثم اقضوا الي ما هو حق عليكم في اعتقادكم من اهلاكي ولا تنظرون ولا تمهلوني قال له تهكما
وعدم مبالاة ثقة بمن توكل عليه فان توليتم اعرضتم فما سألتكم من اجر هذا الشرط مرتبط بالشرط
الاول والمعنى ان اعرضتم لقيامي بينكم رسولا ذلك امر ليس الي فاسعوا في ازالته بكل ممكن
وان توليتم لاني اطلب منكم شيئا فلا وجه لتوليكم لاني ناصح لوجه الله لا اطلب على ذلك اجرا
تظنوا
ان اجري الا على الله الذي ارسلني وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لامره او المخلصين لا
نبي خلاف ما اقوله وفيه ان من اخذ الاجرة على تعليم العلم وهداية الناس ليس من ورثة الانبياء
فكذبوه استمروا على تكذيبه بعد الزام الحجة فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلايف عن
الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين المهلكين
او من نجيناه ومن اهلكنا لاشتراكهم في الانذار والنظر هو التامل والاعتبار ثم بعثنا من بعده
رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه وفي الحديث كان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس
كافة فجاؤهم بالبينات المعجزات الواضحة الدالة على صدق دعواهم فما كانوا ليؤمنوا ما آمنوا بعد
تلك المعجزات وانما زاد لفظ كان بلام الجحود اشارة الى ان عدم ايمانهم لم يكن الا جحدا واستكبارا
بما كذبوا به من قبل اي قبل مجيء الرسل لفرط عنادهم استوى الحالتان عندهم وحمل الباء على
السببية اي انما لم يؤمنوا بسبب اعتيادهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه فيه ان من آمن من الكفار
كان قبل البعثة مكذبا مستمرا عليه كذلك نطبع على قلوب المعتدين مثل ذلك الطبع الذي
طبع على قلوب هؤلاء نطبع على قلب كل معتد كقوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ثم
بعثنا من بعدهم بعد هؤلاء الرسل وهم المبعوثون من بعد نوح موسى وهرون الى فرعون وملايه
باياتنا الآيات التسع وقد سبق تفصيلها في الاعراف فاستكبروا ترفعوا عن اتباعها وكانوا قوما
مجرمين دابهم الاجرام ولذلك انفوا وحملهم ذلك الاجرام على الاستكبار اعتراض على سبيل
التذييل كقوله وانتم ظالمون بعد قوله اتخذتم العجل فلما جاءهم الحق من عندنا معجزاته لانها
من عند الله قالوا ان هذا لسحر مبين واضح لا يشتبه على احد قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم
اسحر هذا اتعيبون وتطعنون في الحق لما جاءكم من قولهم فلان يخاف القالة زيد في عمرو اي عابه
نظير قولهم سمعنا فتى يذكرهم وعلى هذا قوله اسحر هذا ابتداء كلام من موسى توبيخا لهم والمفعول
محذوف لدلالة السابق عليه والاستفهام كما مراد هذا حكاية كلامهم فانهم لما بتوا القول
بانه سحر بنوا على ذلك عدم فلاح من اتى به فالهمزة للتقرير فحكى موسى كلامهم بحسب المعنى دون
اللفظ رادا عليهم مثبتا كل الفلاح لصاحبه بقوله ولا يفلح الساحرون فلو كان سحرا لاضمحل
ولم يبطل به سحر السحرة قالوا اجئتنا لتلفتنا اللفت والفتل من واد واحد ومنه الالتفات عما
وجدنا عليه آباءنا من عبادة فرعون وآلهته وتكون لكما الكبرياء في الارض العظمة والملك كما هو شان

الملوك وما نحن لكما بمؤمنين اي نقول ذلك وما نحن بمصدقين لما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر
عليم كامل العلم في سحره وقرأ حمزة والكسائي سحار وهي ابلغ لدلالته على انه لم يطلب الا الحذاق منهم يؤيد
الوصف بالعلم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون جواب لقولهم اما ان تلقي واما ان نكون
نحن الملقين كما تقدم في الاعراف ولا يلزم الرضا بالسحر لان الغرض ابطاله فلما القوا قال موسى ما جئتم به
السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا الحق الذي كنتم تزعمون انه سحر وقرأ ابو عمرو بهمزة القطع على ان
ما استفهامية مبتداء وجئتم به خبره والسحر خبر مبتداء محذوف اي اي شيء جئتم به اهو السحر او السحر
بدل من ما والمعنى على الانكار والتقريع وقراءة الجمهور ابلغ لئلا يتوهموا ان الاستفهام على اصله فيعتقد
انه لم يعلم انه سحر ان الله سيبطله سيظهر بطلانه باظهار المعجزة ان الله لا يصلح عمل المفسدين كل مفسد والسحر
من الافساد لاغوائه الناس بل من اكبر الكبائر ويحق الله الحق بكلماته يثبته ويعلي شانه بآياته الدالة
على حقيقته ولو كره المجرمون اذ لا تاثير في الكائنات الا لقدرته وقد طوي بقية قصة السحرة لانه
حكاها في طه وفي الشعراء وذكر هنا آخر شان فرعون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه اي لم يؤمن بنو اسرائيل
بعد غلبة موسى الا شبان من قومه وقيل الضمير في قومه عايد الى فرعون وقد آمن من قومه مؤمن آل
فرعون وامراته آسية وخازنه وامراته والماشطة وهذا القول ليس ببعيد لان السحرة من قوم فرعون
وقد آمنوا اجمعون من غير لبث وكانوا الوفاء على خوف من فرعون وملائهم اي آمنوا به حال كونهم
مستعلين على الخوف استعار على للدلالة على فرط خوفهم والملاء ملاء بني اسرائيل فانهم كانوا يمنعون
اعقابهم واتباعهم عن الايمان يدل عليه قوله ان يفتنهم اي فرعون وقيل الملاء من قوم فرعون
وانما جمع الضمير لاعتبار التعدد في نفس فرعون لتعاظمه كقول الملوك امرنا وفعلنا او باعتبار من يوم
من وزرائه او الضمير للقوم وان فرعون لعال في الارض بالقهر والغلبة وكثرة الجند والاسباب وانه
لمن المسرفين لم يرض باقصى مراتب البشر حتى ادعى الالوهية وفيه ايماء الى ان خوفهم منه لم يقدح في كمال
ايمانهم نظيره فاوجس في نفسه خيفة موسى وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
فان الايمان بالله يوجب التوكل لان من شرايطه الايمان بالقدر وان ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ان
كنتم مسلمين مخلصين في ايمانكم علق وجوب التوكل اولا بالايمان وحصوله ثانيا بالاسلام اي الاخلاص كقولك
ان سالك فقير فلا ترده ان وجدت مالا فقالوا على الله توكلنا فعلوا ما امرهم من غير توقف ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم بان يعذبونا ويصرفونا عن ديننا او يفتتنون بسببنا ويقولون
لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا فيزدادون بذلك طغيانا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم
وسوء مجالستهم فان الاخلاق السيئة تسري الى الطبع ولذلك مثل صلى الله عليه وسلم جليس السوء
بالحداد اما يحرق ثيابك بناره او تجد رايحة خبث الحديد واوحينا الى موسى واخيه ان تبوّءا لقومكما بمصر
بيوتا تفعل بمعنى فعل يقال تبوّات منزلا اي نزلته وبوّاته الرجل اي هيأته له والمباءة المنزل اي
لسكنى مصر الى وقت اراده الله واجعلوا بيوتكم قبلة مساجد متوجهة نحو القبلة قيل هي الكعبة وقيل
بيت المقدس واقيموا الصلوة في بيوتكم خوفا من الكفار كما كان يفعله المؤمنون في ابتداء الاسلام
وبشر المؤمنين بالنجاة في الدنيا والآخرة افرد الخطاب لموسى لانه صاحب الشريعة وهرون كان ردءا له
وانما ثنى اولا لان امر المنزل متعارف للرأي فيه مدخل وجمع ثانيا لان اقامة الصلوة واجبة على كل
مكلف وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة ما يتزين به من الملابس والمراكب والغلمان
والفرش واموالا في الحيوة الدنيا انواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك علة للايتاء اي انك
فعلت ذلك معهم استدراجا واللام للعاقبة فقوله ربنا تكرير للتاكيد وقيل دعاء بلفظ الامر

وذلك

وذلك لما علم ان ايمانهم كالمحال دعا بما لا يكون الا ذلك فهو تصريح بمقتضى ما جرى به قضاء الله
كقول نوح لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وكما يقول لعن الله ابليس وليس من الرضا بالكفر في شيء
ولم يرد به الدعاء وسؤال الانجاز بل هو كناية عن فرط عتوهم وابلاء عذره وقرأ ابن كثير وابو عمرو
ويضلوا بفتح الياء ربنا اطمس على اموالهم امحها وازلها واشدد على قلوبهم اجعلها قاسية مختوما
عليها حتى لا يكون للايمان اليها سبيل فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا حتى يروا
العذاب الاليم وما بينهما اعتراض او جواب للامر والمعنى اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية حتى لا يؤمنوا
فانهم لا يستحقون قال قد اجيبت دعوتكما كانه دعا كل منهما وقيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن
على دعائه فاستقيما على الدعوة الى الله ولا تعجلا فان نوحا صبر على اذى قومه الف سنة يدعوهم
الى الله قال بعض العارفين شرط الدعاء صدق الافتقار في الابتداء وحسن الانتظار وسقوط التقاضي
والاستعجال والثقة بالله مع جميل الظن قيل مكث موسى بعد ذلك اربعين سنة ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون الذين يستعجلون وفي الحديث يقبل دعاء العبد ما لم يقل دعوت فلم يجب لي وقرأ
ابن عامر في رواية ابن ذكوان بتخفيف النون على انه خبر والمعنى ولستما [illegible] او الواو للحال وهو على مذهب
يونس والفراء في ادخال المؤكدة الساكنة بعد الالف وانما حركت لالتقاء الساكنين وعنه وجه آخر با
لنون المشددة من الثلاثي والمختار قراءة الجمهور للاجماع على ولئن اتبعت ولا تتبع وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر الى البر اخرجت المكان وجاوزته اذا خلفته فاتبعهم فرعون وجنوده ادركهم يقال
تبعت القوم اذا مشيت خلفهم واتبعتهم اذا سبقوك فادركتهم بغيا وعدوا باغين عادين او
للبغي والعدو حتى اذا ادركه الغرق اي قاربه وبدت اسبابه وعلاماته وقيل الغرق بفتح الراء غمرة
الماء قبل الهلاك وبالسكون هو الهلاك فيه قال آمنت انه بانه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل
وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي انه بكسر النون على الاستيناف او البدل من آمنت او لتضمنه معنى
القول الآن وقد عصيت قبل اي اتؤمن الآن وقد عصيت قبل مدة عمرك وكنت من المفسدين بحيث
لم ترض بعصيانك بل كنت تصرف الخلق من عبادة الله لقوله وصد عن السبيل او بذبح ابناء بني اسرائيل
اجتهد في خلاص نفسه عبر عن التصديق بعبارات الثاني ابلغ من الاول والثالث ابلغ من الثاني ولكن لم
يصادف الوقت وهذا كمن آمن بعد طلوع الشمس من مغربها فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا
بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله اتاه جبرئيل يوما برقعة فيها ما قول
الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمته ثم لم يطلب من ذلك منه شيئا سوى انه يقر بانه عبده فابى
وادعى السيادة دونه فكتب على الرقعة يغرق في البحر كنيه ابو العباس الوليد بن مصعب فلما ادركه
الغرق ناوله جبرئيل فغرق وروى الامام احمد والترمذي عن ابن عباس انه لما قال آمنت اخذ
جبرئيل من حماة البحر فدسه في فيه وذلك لعلمه بانه لا ينفعه ذلك كمن راى شخصا يصلي بلا وضوء
فقطع عليه صلوته فاليوم ننجيك ببدنك نلقيك على نجوة من الارض خاليا من الروح ليراك بنو اسرائيل
على تلك الهيئة زيادة في سرورهم ولئلا يظن الجهلة انك نجوت من الغرق لكونك الها وقرئ بالحاء
اي نلقيك الى ناحية وقيل ببدنك عريانا من غير لباس او كاملا سويا او بدرعك فانه كان لابسا
درعا من الذهب لتكون لمن خلفك آية لمن ياتي بعدك الى يوم القيمة اذا سمع ما كنت فيه من الدعوى
وما آل اليه امرك ولمثل هذا حكى الله في كتابه احوال الامم الهالكة قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وان كثيرا من الناس

عن آياتنا لغافلون حيث يسمعون مثل هذه الوقايع ولا يتفكرون في عظمة الله وكبريائه ولا يقلعون
عن مخالفة اوامره ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا مرضيا وهو الشام لكونه موطن الانبياء او
لكونه المحشر يوم القيمة وقيل هو مصر فانهم سكنوا بعد فرعون ووجه كونه منزل صدق انهم هناك وعدوا
بالنجاة وبها غرق فرعون غرق بموضع يسمى سويس على ثلث مراحل منها ورزقناهم من الطيبات من اللذايذ
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم اي ما تشعبوا وتحزبوا في امر دينهم الا بعد علمهم بما في التورية وهذا غاية
ذمهم حيث جعلوا ما كان سببا للاتفاق وسيلة الاختلاف فان قلت قد ورد في الحديث انه قال
صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة وقد اختلفت الايمة في الآيات والاحاديث من الصحابة ومن بعدهم
اختلاف الامة في الفروع وما للاجتهاد فيه مدخل لا في الاصول والعقايد لقوله ستفترق امتي ثلثا
وسبعين فرقة كلهم في النار الا التي تكون على ما عليه واصحابي وقيل هو اختلافهم في امر محمد بعد
علمهم بنبوته ودلالة معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يميز المحق
والمبطل ويجازي كلا على وفق عقيدته وما يقتضيه عمله فان كنت في شك مما انزلنا اليك كلام
على سبيل الفرض مثل قوله لئن اشركت للالهاب وتهييجه على الثبت ودفع الوساوس التي ربما
تعرض له من تكذيب الكفرة وفيه اشارة الى ان اهل الكتاب لهم رسوخ في العلم بصحة ما انزل
اليه حتى انه يصح لمثله ان يسألهم اذا اعتراه شبهة على الفرض ثم اغناه عن السؤال بقوله لقد جاءك
الحق من ربك شهادة بحقيته تغني عن شهادة غيره دل على ان ذلك انما كان امرا على سبيل الفرض
وقد روي لما قرأ عليه جبرئيل قال لا اشك ولا اسأل فلا تكونن من الممترين الشاكين والخطاب
له والمراد امته او كل من سمع ويؤيده قوله ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين
اذ هو منزه عن التكذيب يحتمل ان يكون من قبيل الالهاب والتهييج والقطع الاطماع كقوله ولا تكونن
ظهيرا للكافرين ان الذين حقت كلمة ربك احكامه الازلية او علمه وارادته وقدرته تعلقت بكفرهم
والموت عليهم لا يؤمنون لاستحالة وقوع خلاف معلومه ومراده وتبديل حكمه الازلي قرأ نافع
وابن عامر بجمع الكلمات والرسم على التوحيد والجمع الظاهر لانه على الافراد صحيحا ولو جاءتهم كل آية
لوجود الختم وسبق المشية حتى يروا العذاب الاليم فلا ينفع للايمان حينئذ فلولا كانت قرية آمنت لوم على ترك
الايمان في وقته والاشتغال به في وقت لا غناء له كما فعله فرعون فنفعها ايمانها لانها لو وقع في وقته
الا قوم يونس لكن قوم يونس استثناء منقطع من القرى لان المراد اهلها لما آمنوا قبل مشاهدة العذاب
وحصول البأس كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولم يصبهم ما اصاب سائر الامم ومتعناهم الى
حين آجالهم ويجوز ان يكون الاستثناء متصلا لاشتمال لولا على معنى النفي والجملة له عن ابن عباس
رضي الله عنه ان لولا في موضعين من القرآن بمعنى النفي فلولا كانت قرية آمنت وفلولا كان من القرون
من قبلكم كانه قيل ما آمنت قرية من القرى العاصية الا قوم يونس يونس بن متى بعثه الى اهل نينوى
من ارض الموصل فدعاهم الى الله فكذبوه فوعدهم نزول العذاب بعد اربعين يوما وخرج من بينهم
فلما مضى خمس وثلثون ليلة غامت السماء غيما اسود هائلا ذهب على مدينتهم فغشيها فلما رأوا
ذلك لبسوا المسوح وبرزوا الى الصحراء بدوابهم ومواشيهم ونسائهم وصبيانهم وفرقوا بين كل والدة
وولدها فحن بعضها الى بعض فارتفعت الاصوات وعلا الضجيج والعجيج واخلصوا الايمان والتوبة
فكشف الله عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا اشار
الى ان قوم يونس آمنوا لان مشيته الازلية تعلقت بايمانهم ولو شاء ايمان الخلق باسرهم لآمنوا

كلهم ثم انكر على رسوله تهالكه على ايمان قوم لم يرد الله ذلك منهم بقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين وانما رتب الكلام بالفاء داخلا همزة الانكار مع تقديم الضمير دلالة على ان المنكر كونه مكرها
لان الله قادر على الجائهم وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وما صح ولا امكن الا بارادة الله
ومشيته وانما ذكره لان انتفاء مشيته ايمان كل من في الارض لا يدل على ان من آمن منهم لا يؤمن
الا بمشيته ويجعل الرجس العذاب او اسبابه من المعاصي والآثام قرأ ابو بكر نجعل بالنون على الذين
لا يعقلون ناظرا الى قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ومعنى لا يعقلون لا يستعملون
عقولهم بالنظر في الكاينات ليؤديهم الى العلم بوحدة موجدها ولذلك قال قل انظروا
ماذا في السموات والارض من عجايب الصنع وبدايع الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر عن قوم
لا يؤمنون اي الانذارات او الرسل المنذرون لسبق القضاء بعدم ايمانهم فهل ينتظرون الا مثل
ايام الذين خلوا من قبلهم تفريع على ما تقدم فلا بقاء لهم الا امر اراده الله ووقت ضربه
لنزول العذاب بهم مثل ما نزل باولئك الامم والايام الوقايع يقال ايام العرب لوقايعها
قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي فاني منتظر هلاككم ثم ننجي رسلنا
والذين آمنوا عطف على مقدر كانه قيل اهلكنا الامم ثم انجينا الرسل وانما اتى به على حكاية
الحال الماضية استحضارا لصورة الواقعة كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء وحقا
مصدر لفعله المقدر اعتراضا اي حق ذلك علينا حقا وقرأ حفص والكسائي ننجي باسكان النون
وتخفيف الجيم والتشديد ابلغ قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني خطاب لاهل مكة
فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي ان حصل لكم ريب في صحة
ديني فلا مجال للشك فيه لاني اعبد ربا موصوفا بهذه الصفات التي كلها صفات الالوهية
فاعرضوا هذا على عقولكم لتعلموا انه الدين وامرت ان اكون من المؤمنين اي امرني الله بان اكون
من جملة المؤمنين بما انزل الي من الوحي وما دل العقل على صحته ووافق قانون الشرع وحذف
الجار من ان كما هو المطرد في ان او هو من الحذف بعد فعل الامر خاصة كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان هنا انشاء والانشاء والخبر في ذلك
سيآن والمعنى امرت بالايمان والاستقامة والاخلاص فيه والاول اشارة الى الاصول والعقايد
وهذا الى الفروع كاداء الفرايض واستقبال القبلة والوجه اريد به الذات حنيفا حال من الدين
او الوجه اوجه لقوله ملة ابرهيم حنيفا ولقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
ولا تكونن من المشركين تذييل له ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اذ لا مؤثر سواه
فان فعلت فان دعوت ما لا ينفعك ولا يضرك كنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا حرف
مكافاة وجواب عن سؤال محقق او مقدر يقول الرجل ازورك الليلة تقول اذا اكرمك وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله رجح جانب الترغيب اذ المقصود
الاعتصام به وحده ولا شك ان النفوس الزكية بالتلطف آنس فاتى في الشر لفظ المس الدال
على القلة والوصول الى الظاهر فقط ولم يصرح بالارادة وان لم يكن الا معها حتى كانه
واقع بالعرض واشار بالاستثناء الى انه لا بقاء له ان تجاوز اليه المصاب وفي الخير الارادة
المطلقة الشاملة للظاهر والباطن وجعل المخاطب مرادا والخير تابعا وصرح بانه لا راد
لذلك المراد لا هو ولا غيره لان مراده واقع قطعا وسماه فضلا وما كان فضلا منه يشعر بالاتم
والعناية وهذه نكت تعتبر في الكلام البليغ باعتبار المقام ولا يجب اعتبارها في كل مقام ولذلك

ألمسّ في الموضعين في الانعام بقوله وان يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له الا هو وان يمسسك
بخير فهو على كل شئ قدير والآية ابلغ من قوله ان ارادني الله بضرّ هل هن كاشفات ضرّه لاختصاصه
بالاصنام وعموم الآية يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فليتوجه الراجون جناب قدسه
ويستعدّوا بذلك مزايا عميم لطفه قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم القرآن وساير الاحكام
وما آتاكم الرسول فخذوه فمن اهتدى منكم فانما يهتدي لنفسه لا يتجاوز نفعه الى غيره ومن ضلّ
فانما يضلّ عليها لا يتجاوزها وباله وما انا عليكم بوكيل بحفيظ يحفظ عليكم اعمالكم واتبع ما يوحى
اليك تبع اثره ولا تدع منه شيئا لا تبلّغه كانوا يقولون له اترك ذمّ آلهتنا ونؤمن بك واصبر على اذاهم
حتى يحكم الله لك بالنصر والغلبة اي يظهر حكمه وهو خير الحاكمين لعدم احتمال الخطأ عليه روى البخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار في آخر موعظه وعظها انكم ستلقون اثرة فاصبروا حتى
تلقوني على الحوض قال انس فلم نصبر نحن روي ان معاوية لما قدم المدينة حاجا تلقته
الانصار وتخلّف ابو طلحة فلما دخل عليه قال له معاوية لم لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال اين
النواضح يعرّض به انه من الاكرة قال ابو طلحة قطعناها في طلبك وطلب ابيك
بسم الله الرحمن الرحيم الر تقدّم الكلام في وجوه اعرابه كتاب خبر الر او خبر
مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما سريا رصينا كالبنيان المرصّص لا يتطرق اليه خلل ومنقول من حكم
بالضم اذا صار حكيما قال نمر بن تولب وابغض بغيضك بغضا رويدا اذا حاولت ان تحكما ومنعت من الفساد
ماخود من حكمة الدابة ومنه قول جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وقيل المراد
ايات السورة والاحكام عدم تطرّق النسخ اليها اذ ليس في السورة آية منسوخة او احكمت بالدلايل
والحجج القطعية ثم فصّلت كما تفصّل القلايد بالفرايد كانه شبه الالفاظ العذبة ومعانيه الشريفه
من التوحيد والصفات والنبوة والدلايل الدالّة عليها وما فيه من الحكم والعبر والقصص بالدراري ثم
ايراد كل في موضعه اللايق به تفصيلها فعلى هذا التراخي رتبي ويجوز ان يراد بالتفصيل جعله مفصلا
سورة سورة وآية آية او تفريقه في النزول منجما فثمّ على اصله لان الاحكام بالنظر الى ذات السورة والآية
في نفسها والتفصيل بالنظر الى ملاحظة الصولجب من لدن حكيم خبير صفة اخرى للكتاب وخبر آخر او صلة
لاحكمت او فصّلت تنزيلا تقدّمه نحو وهو اللطيف الخبير بعد لا تدركه الابصار ان لا تعبدوا الا الله
مفعول له او ان مفسّرة لان في التفصيل معنى القول او كلام مبتدأ منه صلى الله عليه وسلم على سبيل الاغراء
كانه قال اترك العبادة الا له اي الزموه كقوله فضرب الرقاب يؤيده قوله انني لكم منه اي من الله نذير
وبشير بالعقاب على الكفر والثواب على الايمان والتوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا
اليه اي استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استقيموا على التوبة واخلصوها فالتراخي رتبي لان
الاستقامة والاخلاص اعلى شانها يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم عيشة راضيه ويعطيكم نعمة واسعة متتابعة
الى اجل مسمّى الى آخر العمر ويؤت كل ذي فضل فضله اي كل ذي فضل في العمل جزاء فضله لان الدخان
على قدر الطاعات او فضله الذي هو الثواب وحاصله الوعد بالخير في الدارين كقوله فلنحيينه حيوة
طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة
وصف بالكبر لطوله كما وصف بالعظم لتفاقم امره الى الله مرجعكم وجوعكم وعيد ولذلك اردف بقوله
وهو على كل شئ قدير فهو قادر على ان يعذبكم اشدّ العذاب الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه
روى البخاري عن ابن عباس انه سئل عن معنى الآية فقال كان اناس يستحيون ان يتخلوا
فيفضوا الى السماء وان يجامعوا فيفضوا الى السماء فنزلت فيهم وقيل نزلت في اخنس بن شريق

وصف السموه صود الاو الا النف على
المعهود كان خزر الوقا ـ والذكر ندر
الوموا حنه

وكان

وكان حلو المنطق يظهر لرسول الله المحبة ويحبه مجالسته ومحادثته ويضمر بغضه وقيل نزلت في المنافقين
وهذا انما يستقيم على الاخبار بما هو كاين في علم الله محقق الوقوع لان السورة مكيه والنفاق انما نجم بالمدينة
والمعنى ينزورون عن الحق وينحرفون عن سماع الوحي والآيات يريدون بذلك الاستخفاء من الله الا حين
يستغشون ثيابهم كراهة الاستماع يريدون الاستخفاء من الله وما جعلوه وسيلته دال على خلاف
مرادهم لان الاعراض عن الحق والاستغشاء دليلان ظاهران على النفاق الثاني منهما ادل نعى عليهم
بالجهل المفرط لان ما يخفى على احد من الناس يريدون اخفاءه على من لا يخفى عليه خافيه ولذلك كرّر
حرف التنبيه يعلم ما يسرّون وما يعلنون من القول انه عليم بذات الصدور بضماير القلوب التي ليست
من جنس القول فكيف به وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اي ما من شئ يدب على الارض
الا على الله رزقه وما يكون سببا لبقائه وانما اتى بعلى الدال على اللزوم لكونه متكفلا به تفضلا وحملا
على التوكل وفي الحديث لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا ويعلم مستقرها ومستودعها اماكن استقرارها من الارض والاماكن التي كانت مستودعة فيها
قبل الاستقرار من اصلاب وارحام كل في كتاب مبين كل ذلك ثابت في اللوح المحفوظ وفيه مبالغة
من وجوه طريقه الحصر وكلمة على الدالّة على الدوام واثباته في اللوح ثم وصف اللوح بالابانة
والظهور كمن يقرّ بشئ لاحد ثم يكتب على نفسه لذلك صكا وقد دلت الآية على كونه تعالى عالما بالمعلومات
كلها فهو عالم باحوال المنافقين قادر على مجازاتهم وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام دليل
على كونه قادرا على كل شئ كما ان الاولى دلت على علمه بالاشياء كلها وكان عرشه على الماء اي لم يكن
حايل بينهما قبل خلق السموات والارض لانه كان فوقه ثم رفع بل العرش الآن كما كان وفيه دليل
على الخلاء وفي الاخبار ان الماء كان على متن الريح ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق والمعنى ليعاملكم
معاملة المختبر فانه جعل الارض فراشا والسماء بناء ورتب الاسباب ليتولد منها ما يحتاجون اليه
من امور المعاش وارسل الرسل وشرع الشرايع ليثيب الطايع ويعاقب العاصي ولما كان البلوى طريق
العلم علق عن الاستفهام كما تعلق فعل القلب وهذا كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم اطيب
صوتا لكونهما طريقي العلم وانما آثر اسم التفضيل والخطاب عام حثا على تحري الاحسن من الاعمال
فانه نهاية الكمال كانه قيل ليظهر افضليتكم لا افضلكم والعمل يشمل العلم لانه عمل القلب ولئن قلت انكم
مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين سيق لبيان جهل الكفار يجعلون
القول بالاعادة مشبها بالسحر في بطلانه اذ لا باطل اجلى منه وقيل الضمير للقرآن فانه اذا كان
باطلا فقد انطوى تحته بطلان القول بالبعث وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر اشارة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقراءة الجمهور ابلغ واوفق للمقام قال ابو عمرو ما اتبعه مبين فهو سحر وما اتبعه
عليم فهو ساحر ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة الى حين قريب ولذلك وصفه بالعدّ والتأنيث
باعتبار اللفظ والعذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر ليقولن ما يحبسه يستعجلون به تكذيبا
واستهزاء الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس واستدل به على جواز
تقديم معموله عليه فهو اولى بالجواز وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن احاط بهم آثر الماضي لكونه واقعا
لا محالة ولئن اذقنا الانسان منا رحمة نعمه وسعه عيش ثم نزعناها منه سلبناها منه انه ليؤس
كثير الياس قاطع رجاءه عن عود مثلها كفور كثير الكفران لم يتذكر النعمة الوافرة الواصلة اليه
في المدد المتطاولة ولا يسطر الا تلك الحالة التي هو فيها ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته صحة بعد

سقم ليقولن ذهب السيئات عني زال المصائب ولنسي ما كان فيه من البلاء وكانه انسد طريقه اليه
ونجاة الابد انه لفرح بطر فخور كثير الفخر بما فيه من الغنا والصحة وقد شغله ذلك عن القيام بالشكر وفي
اذاقنا النعمة ولفظ المس تنبيه على ان مايجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن انموذج نزر بالنسبة الى
مايجده في الآخرة وفيه انه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء دل عليه لفظ الاذاقة والمس وفي اسناد الاذاقة
اليه تعالى دون مس الضر اشارة الى ان رحمته سابقة غضبه الا الذين صبروا على ما اصابهم ولم يظهروا
الجزع استسلاما لقضاء الله وعملوا الصالحات وصرفوا الجنان والاركان واللسان الى ما امر الله به من الطاعات
شكرا لنعم الله السابقة استثناء منصل لكون اللام في الانسان للاستغراق كقوله ان الانسان لفي خسر
الا الذين آمنوا وقيل منقطع لان السابق في الذكرهم الكفار اولئك الموصوفون لهم مغفرة لما فرط منهم
واجر كبير بحسب تلك الاعمال الصالحة فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك كانوا يقترحون عليه اشياء تعنتا
تارة يقولون ان كنت نبيا اجعل لنا جبال مكة ذهبا واخرى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
وكان يحتمل من ذلك مشقة شديدة فنزل منزلة من يتوانى في اداء ما امر به ويتوقع منه ترك تهييجا له وتحريكا
من عطفه وهذا وامثاله وان كان في الظاهر تأديبا له ففيه اشارة الى انه حريص على ايمانهم حتى لو امكنه
ترك ما امر الله به في تحصيله لفعل ولذلك اردفه بقوله انما انت نذير وضائق به صدرك بتلاوته عليهم وتبليغه
ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك لسعين بالمال على الاستتباع بانفاقه وبالملك على صدق
ما يدعيه مخافة هذا القول وانما آثر ضائق على ضيق لانه افسح صدرا انما يعتريه ذلك احيانا انما انت نذير
ما عليك الا الانذار تسلية له وازالة لما كان يعتريه والله على كل شيء وكيل حافظ ورقيب مجاز كلا منك
ومنهم بحسب عمله ام يقولون افتراه ام منقطعة والضمير لما يوحى اليك قل فأتوا بعشر سور مثله في جزالة
النظم والبلاغة مفتريات على زعمكم انه مفترى مختلق من عندي لانكم مارستم العروض والاشعار والخطب
فانتم اولى بالاتيان بمثله تحداهم اولا بعشر سور ثم اقتصر على اقصر سورة وهذا دأب المناظر لما ثق
بحاله لان ذلك اقوى في الزامه كما يقول الشاعر لمن يقدح في شعره عليك بعشرة ابيات مثلها لا بل
رضيت منك ببيت واحد والآية سابقة نزولا على ما في البقرة ويونس وادعوا من استطعتم من دون الله الى
المعاونة والاستظهار ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم الخطاب لرسول الله فانه الداعي اليه
والجمع للتعظيم يؤيده قوله فان لم يستجيبوا لك في سورة القصص اوله وللمؤمنين لان الكفار بالايمان
يدخلون في زمرتهم وقيل الخطاب للكفار والمراد استجابة من دعوه الى الاعانة اي ان لم يقدروا
على ذلك فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بعلمه خاصة لاسبيل لاحد اليه فانه نظم معجز وان لا اله
الا هو واعلموا عند ذلك انه متفرد بالالوهية وعلى الاول المراد الثبات وازدياد اليقين بانه منزل
من عند الله والدوام على التوحيد فهل انتم مسلمون ثابتون مخلصون والاستفهام بمعنى الطلب يدل على
وجوب ايقاع المطلوب لقيام الموجب وزوال العذر او داخلون في الاسلام اي لم يبق لكم عذر فاسلموا
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اشارة الى ان الذين يصرون على التكذيب بعد ظهور عجزهم انما يحملهم
على ذلك حب الدنيا وزينتها ثم بين حال من يكون كذلك وعلى تلك الصفة بقوله نوف اليهم اعمالهم
جزاء اعمالهم فيها في الدنيا وافيا كاملا وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون حال من المجرور لدفع وهم التسامح
في التوفية اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لانهم استوفوا ما كانوا يستحقونه في الدنيا فلم يبق
لهم ما يكون وسيلة الى شيء من الثواب وحبط ما صنعوا من افعال البر فيها في الآخرة لانهم لم يريدوا
بها وجه الله او لم يكن اساس وهو الايمان وباطل ما كانوا يعملون علة لحبوطها اي انما حبطت ولم يترتب

ولا اكتفى فيها سورة التحدي .

له

عليها

عليها ثواب لانها كانت باطلة في نفسها وهكذا شان الباطل سواء صدر من مؤمن او غيره افمن كان
على بينة من ربه برهان من جهة ربه دال على حقية ما يأتيه ويذره الاستفهام للانكار والمراد
نفي التقارب بين من هذا شانه وبين من يريد الحيوة الدنيا وزينتها وقصر همته على تحصيلها
ولم يلتفت الى الدار الآخرة ولم يعمل عملا لوجه الله او التقدير امن كان يريد الحيوة فمن كان على
بينة من ربه والعائد محذوف لدلالة الفاء عليه ومن موصولة عطفت على مثلها والمعنى لا تفاوت
بينهم فضلا عن التماثل وهذا ابلغ من قوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لان المنكر فيه التماثل
وهذا حكم يعم كل مؤمن وقيل المراد رسول الله وقيل من آمن من اهل الكتاب ويتلوه يتبع ذلك
البرهان ذكره باعتبار المعنى شاهد منه اي من الله او من القرآن لتقدم ذكره وعلى هذا من بيانية
او تبعيضية وقيل السه القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرئيل او لسان رسول ومن قبله
هذا الشاهد الذي هو القرآن كتاب موسى فانه يتبع ذلك البرهان ايضا في التصديق جبرئيل او لسان
رسول الله اماما مؤتما به في الدين ورحمة وصلة الى الفوز بالسعادة مدح لكتاب
موسى وتزكية له لانه شاهد ولم يترك القرآن لانه معجز لا يحتاج الى ذلك اولئك اي الموصوفون
يؤمنون به اي بالقرآن يؤيد الوجه الاول ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن انضم اليهم
تحزبا على رسول الله فالنار موعده فلا تك في مرية منه من الموعد فانه كائن لا محالة والمرية
الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بان نسب اليه ما لم ينزله او سلب عنه ما انزله تقرير وتوكيد لان ما اتى به كلام الله بعد ان اثبته
اولا باعجازه وبشهادة التورية الذي لم يخالف فيه احد ممن يعتد به اولئك يعرضون على ربهم اي اعمالهم
في الموقف ويقول الاشهاد الملائكة او اعضاؤهم جمع شاهد او شهيد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم روي
البخاري عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يدنى المؤمن من ربه يوم القيمة فيضع
عليه كنفه ويقول هل تعرف ذنب كذا هل تعرف ذنب كذا فيقرره بذنوبه وهو لا ينكر منها شيئا فيقول
له سترتها عليك في الدنيا واغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار فينادون على رؤس الاشهاد
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين مقول قول الاشهاد اي يقال لهم في ذلك الموقف
هذا الكلام اشارة الى انهم لا يرحمون ولا يرق لهم احد لعظم جنايتهم الذين يصدون عن سبيل الله
دينه الموصل اليه ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج والانحراف واهلها واصل البغي الطلب وهم
بالآخرة هم كافرون الضمير الثاني للتاكيد والاختصاص بالكفر بمنزلة ضمير الفصل وتقديم بالآخرة
لافادة الاختصاص كان كفر غيرهم ليس بكفر في جنب كفرهم ادعاء اولئك لم يكونوا معجزين في الارض
اي ما كانوا فائتين الله في الدنيا لو شاء عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من
العقاب وينصرهم من تمام كلام الاشهاد اولئك الذي يشار به الى البعيد ابعادا لهم
بعد وصفهم بتلك الاوصاف القبيحة يضاعف لهم العذاب تقرير من الله لقول الاشهاد كانه
قيل الامر كما قلتم هم مستوجبون للعذاب المضاعف ومن ثمة كلام الاشهاد كانهم لما رأوهم
بتلك الاوصاف دعوا عليهم بمضاعفة العذاب وقرأ ابن كثير وابن عامر مشددا من التفعيل
وعن ابي عمرو ان المفاعلة ابلغ لان العرب تقول ضعفت الدرهم اذا جعلته درهمين وضاعفته
اذا جعلته اكثر ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن سماع الحق وما كانوا يبصرون بعين الاعتبار
لتعاميهم علة لمضاعفة العذاب وقيل بيان لما نفاه من ولاية آلهتهم لانها لا تسمع ولا تبصر فكيف
تقدر على النصرة اولئك الذين خسروا انفسهم اوردوها موارد الهلاك بالافتراء على الله وضل

الدنيا .

ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يزعمون من شفاعة الآلهة لا جرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون
حق وثبت ان لا اخسر منهم او كسب ما ارتكبوه كونهم الاخسرين اعمالا لا بد ولا محالة انهم فى الآخرة
هم الاخسرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اردف ذكر الكفار وما كانوا عليه
وما آل امرهم فى الآخرة من الخسران بذكر المتقين وما يؤول حالهم اليه من الخلود فى الجنان كما هو سنة
الله فى نظم القرآن والاخبات هو الخشوع من الخبت وهو المطمئن من الارض يقال اخبت اذا دخل
فى الخبت كما يقال انجد اذا دخل فى النجد وكانه ضمن معنى التوسل فعدى بالى اولئك
اصحاب الجنة اى الموصوفون هم فيها خالدون دايمون مؤبدا مثل الفريقين المؤمن والكافر كالاعمى
والاصم والسميع والبصير تشبيه مفرد بآخر كل فريق مشبه تشبيهين كقول امرئ القيس كان قلوب
الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى او تشبيه حال الكفار الذين وصفوا بالتصامم
والتعامى عن آيات الله بحال من خلق اعمى واصم لا ينفعه اشارة ولا عبارة وحال الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وصرفوا الابصار والاسماع الى ما خلقت لها بحال من يبصر ويسمع فيستضئ بالانوار
ويستلذ بلطايف الكلام وهذا هو الوجه لمتانته ويدل عليه لفظ المثل قالوا ومتوسطة بين الصفات
والقول بان الكفار بعضهم مشبه بالاول وبعضهم مشبه بالثانى وكذلك المؤمنون بعضهم مشبه بالبصير
وبعضهم بالسميع مما لا يلتفت اليه هل يستويان مثلا اى لا تساوى ولهذا انكر على من يجزم به
بقوله افلا تذكرون لانه معلوم بديهة لا يتوقف على فكر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه بدا بقصته لانه
لاول نبى عذب قومه ولان قومه معروفون بالجهل المفرط والتعامى والتصامم انى لكم نذير مبين بانى
لكم اى ملتبسا بالانذار وهو ثانى مفعولى ارسلنا على الالتفات وقرا نافع وابن عامر وحمزة وعاصم
بالكسر على ارادة القول وهو ابلغ واقل حذفا ان لا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم نذير انى اخاف عليكم
عذاب يوم اليم مؤلم كالسميع بمعنى المسمع وصف اليوم والعذاب به من الاسناد المجازى لان المؤلم
هو المعذب فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا كانوا يعتقدون
ان البشر لا يصلح للرسالة كما كان المشركون يقولون لولا انزل علينا الملائكة وما نريك اتبعك الا الذين
هم اراذلنا جمع ارذل افعل التفضيل معنا فاكابر مجرميها وقيل جمع رذل وهو الرجل الدون الخسيس
بادى الراى قراه ابو عمرو بالهمز من البدء اى اتبعوك فى ابتداء الراى دون تامل وفكر فى انك نصحهم ام لا
والباقون بالياء معتل اللام من البدو وهو الظهور والمعنى اتبعوك فى ظاهر رايهم دون باطنه وعن
القراء انه مخفف الهمز لكثرته وعلى الوجهين نصبه على الظرف اى فى وقت حدوث اول رايهم ولما كان
نظرهم مقصورا على حطام الدنيا وهم عن الآخرة غافلون كان الزهاد العارفون بالله فى نظرهم
اراذل لا عقول لهم وما نرى لكم علينا من فضل لاستوائنا فى البشرية بل نظنكم كاذبين اضراب عن الاول
اشارة الى كونهم اولى منه بالنبوة ضموا اليه الاتباع وغلبوه لاصالته قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربى رد تكذيبهم على احسن وجه بان المدعى اذا اقام برهانا على صدق دعواه خرج بذلك
على ربقة الكذب واضافهم الى نفسه بلفظ القوم اشارة الى انه ناصح لهم فى ذلك لانضاله بهم
رحما وآتانى رحمة من عنده هى النبوة فانه فضل من الله يؤتيه من يشاء واخرها عن البينة وان تقدمت
فى الوجود لان العلم بها يستلزم العلم بالنبوة وبه يفحم الخصم ولذلك وحد الضمير لها فى قوله فعميت
عليكم لان خفاءها يستلزم خفاء النبوة وقيل التقدير فعميت النبوة عليكم بعد البينة وقيل الضمير
لكل واحدة وقرا حمزة والكسائى وحفص بضم العين وتشديد الميم اى اخفيت وانما جعلت البينة عمياء
على الاستعارة التمثيلية كما جعلت مبصرة والمعنى ان البينة دليل النبوة فاذا عميت فلم يهتد

اشار تحقق ذلك وكسب وبقوله لا بد
الى وجه استعمال لا جرم لغة منه
اه

قابله صاحب الكشف وانما ذهب اليه لموافقته
ظاهر اللفظ اوفى العمى منه

يشير الى ان الاليم المعذب فيكون موصوف
العذاب بالاليم فيكون بوصفه اليوم
كانه حقيقة الاية وكلاهما مجاز منه

الكم

اليكم فكيف نهديكم اليها كما ان دليل الركب فى المفازة اذا اعرض له عمى بقى القوم خابطين حيارى انلزمكموها
انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا اكراه فى الدين قد تبين
الرشد من الغى ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا اجعلا لتتهمونى بانى اريد بجر نفع ان اجرى الا على الله الذى
ارسلنى اليكم وما انا بطارد الذين آمنوا سالوه طردهم استنكافا من مرافقتهم حيث قالوا انؤمن
لك واتبعك الارذلون كما قالت قريش لرسول الله ان شئت اتباعنا اياك فاطرد هؤلاء العبيد الضعفاء
ليك حولك وفيهم نزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى انهم ملاقوا ربهم فلا بد وان
تسالهم عما جرى عليهم من الطرد او انهم اهل الاكرام لانهم الكمل الذين يلاقون ربهم ويفوزون
بلقائه فكيف يطرد من هذا شانه ولكنى اريكم قوما تجهلون مستمرون على الجهل لا تعقلون ولذلك
سالتم طرد من هو جدير بالاكرام ويا قوم من ينصرنى من الله يمنعنى من انتقام الله ان طردتهم اجابة
لسؤالكم واسعافا لطلبتكم افلا تذكرون ان ما تطلبونه لا يسوغ عقلا فتذكرون ولا اقول لكم عندى
خزاين الله ارزاقه حتى تقولوا ما نرى لكم علينا من فضل او تتهموا من اتبعنى من الفقراء لذلك ولا اعلم
الغيب ولا انا ادعى علم الغيب حتى تكذبونى وتقولوا افترى على الله او اطلع على قلب من اتبعنى ولا اقول
انى ملك حتى تقولوا انما انت بشر مبطل فى دعوى الملكية ولا اقول للذين تزدرى اعينكم اى فى شانهم
لقوله لن يؤتيهم الله خيرا بالغيبة اى ولا اقول لمن استرذلتموهم من المؤمنين انهم كذلك عند الله ليس لهم
عنده مقدار ولا حظ ونصيب الله اعلم بما فى انفسهم من الايمان الذى هو مناط التشرف وموجب
الكرامة انى اذا لمن الظالمين لو فعلت شيئا من الامور المذكورة والازدراء افتعال من زرى عليه
اذا عابه واسناده الى العين لانه بسبب رثة الحال والبذاذة وهى تدرك بالعين او لانهم احتقروهم
فى بادى الراى من غير تامل واستعمال روية قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا اتيت بانواعه
طول عمرك فاتنا بما تعدنا به من العذاب ان كنت من الصادقين فى دعوى مجئ العذاب ان لم نؤمن
بك قال انما ياتيكم به الله ان شاء اذ لا مؤثر سواه وما انتم بمعجزين بفايتين من العذاب دفعا
ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم شرط تقدم عليه ما يدل على الجواب وهو بعينه فى حكم الجزاء
لقوله ان كان الله يريد ان يغويكم واعتراض الشرط اذا كان الشرط الثانى لا ينفك عن الشرط الاول
يفيد تاكيدا للزوم كما فى الآية وقول القايل ان دخلت الدار فانت طالق ان كنت زوجتى فالشرط الاول
ودليل جوابه المتقدم عليه دليل جواب الشرط الثانى وفيه دليل على ان الاضلال بارادته تعالى
وان خلاف مراده محال هو ربكم سيدكم المتصرف فيكم واليه ترجعون فيجازيكم اشار الى المبدأ
والمعاد باوجز كلام مع تضمنه الوعيد ام يقولون افتراه بل يقولون افتراه من عند نفسه وينسبه
اليه تعالى قل ان افتريته فعلى اجرامى اثمى لا سعدانى يقال جرم واجرم واجترم بمعنى وانا برئ مما
تجرمون من افترائكم بنسبتكم اياى الى الافتراء وانما آثر ما فى النظم اشارة الى كونهم مجرمين فى ذلك
القول وعن مقاتل ان هذا فى شان محمد صلى الله عليه وسلم تكرير لقوله ام يقولون افتراه وانما ورد
فى اثناء قصة نوح عليه السلام على وجه الاعتراض اشارة الى ان نسبته الى الافتراء بعد اتيانه بقصة
نوح على هذا الاسلوب المعجز مع طول الزمان وعدم مطالعة الكتب والدراسة غاية العناد والمكابرة
واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك بعد ما بلغ الرسالة وبالغ فى النصح واحتمل الاذى اقنطه من
اجابة قومه الا من قد آمن قد دلت على ان من كان يتوقع منه الايمان وجد منه وقد اصابت المحل
لانها على الرجاء المقابل للاقناط المفاد بلن ولفظا بل مدلولهما استقبالا ومضيا وهذا فى الايمان
وذاك فى عدمه فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فلا تحزن افتعال من بئس بالكسر بؤسا وبآسا

ووجه الحمار لفظ نوح اذ لولاه لكان النظام
الحجز على اسلوب ما تقدم منه

قال أجيبه ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال واصنع الفلك
باعيننا بحفظنا وكلائتنا وانما جمع التي هي آلة الحفظ مبالغة عن الملاحظة وان عنايته معه وافرة
تعوبه بحاشه والكلام على التمثيل لا التجريد كما توهم ووحينا اليك بذلك الصنع او بصفته وفي الخبر
انه لم يكن يعلم كيفيته فاوحى الله اليه ان اصنعه مثل جؤجؤ الطير ولا تخاطبني في الذين ظلموا في
شانهم بالشفاعة لاستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون لا محالة سبق بذلك القدر او لا تخاطبني في
شانهم شانا ما من سوء صنيعهم كما كنت تخاطبني رب اني دعوت قومي رب انهم عصوني رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا وهذا اوجه لان الوجه الاول فيه منافاة مع قوله لا تذر وقوله اني مغلوب فانتصر
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه يقولون صرت نجارا بعدما
كنت نبيا وكان يصنعها في برية لا ماء بها كلما دلت على ان ذلك كان منهم على التكرار والتوالي
قال ان تسخروا منا على الاستمرار فانا نسخر منكم كما تسخرون نسخر منكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا
والحرق في الآخرة وقيل الاسخر منهم مجاز عن الاستجهال لان السخرية في مثل هذا المقام تعرض لسخط الله
وعذابه ولا جهل فوقه فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه من منصوب بتعلمون اي سوف يظهر لكم من
الذي يأتيه عذاب يخزيه اتى به على وجه الابهام لئلا يوقعوا به مكروها كانوا يضربونه ويرمونه
بالاحجار حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون روي انه كملها في سنتين
وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وارتفاعها ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها
ثلثة بطون فحمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام
وهو ومن معه من الناس في اعلاها وحمل الزاد وما يحتاج اليه وحمل جسد آدم وجعله فاصلة
بين الرجال والنساء وعن الحسن ان طولها كان الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع روي ان الحواريين
قالوا لعيسى عليه السلام لو احييت لنا رجلا شهد سفينة نوح فانطلق بهم الى كثيب فاخذ من ذلك
التراب كفا وقال هل تدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن نوح فضرب الكثيب بعصاه
وقال قم باذن الله فقام ينفض التراب من رأسه فقال له عيسى كيف شبت ولم يكن شيب قبل ابرهيم
قال شبت من هول القيمة لما قلت قم ظننت ان القيمة قد قامت قال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان
طولها الفا ومائتي ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للانس وطبقة للدواب والوحوش وطبقة للطير ثم
قال عد كما كنت باذن الله فعاد ترابا ويحل عليه عذاب مقيم دائم حلول الدين على المدين
استعارة تبعية هو عذاب الآخرة لعدم انفكاكه حتى اذا جاء امرنا غاية ليصنع وما بينهما حال من فاعله
كانه قيل يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه وجواب كلما اما سخروا وقال استئناف
على تقدير سؤال او هو الجواب وسخروا اما بدل من مر او صفة لملأ وفار التنور فار القدر اذا جاشت
والتنور هو المعروف فكان خرقا للعادة وقيل التنور وجه الارض وقيل اشرف موضع فيها وكان
ذلك بكوفة موضع مسجدها وقيل بهند قلنا احمل فيها في السفينة من كل زوجين اثنين باضافة كل
على قراءة الجمهور فاثنين مفعول الامر والجار والمجرور اما يتعلق به او حال عن المفعول قدمت لكون
ذي الحال نكرة وقرأ حفص بالتنوين اي من كل جنس احمل زوجين ذكرا وانثى واثنين صفة مؤكدة
لان الزوج احد الفردين لا مصطلح الحساب والمختار قراءة القوم لعدم الاحتياج الى التقدير واهلك
عطف على زوجين او على اثنين باعتبار القراءتين الا من سبق عليه القول ابنه وامرأته لكونهما كافرين
ومن آمن عطف على ما عطف عليه اهلك وما آمن معه الا قليل كانوا ثمانية نوح واهله غير الهالكة
وبنوه الثلثة سام وحام ويافث ونساؤهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل

كاو

رد على السطحي لان الاضافة تنافي التجريد تامل منه

هذا الوجه مما تفرد به المؤلف وهو الحق ان شاء الله تعالى منه

فعلى قراءة الجماعة عطف على اثنين وعلى قراءة حفص عطف على زوجين منه

كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح الثلثة ونساؤهم ونوح واهله فالكل ثمانون
والقرية التي نزلوا من السفينة فيها بذيل الجودي تسمى ثمانين وقال نوح او الله اركبوا
فيها ادخلوا فيها شبه الدخول بالركوب مجازا بان السفينة بسم الله حال من الواو في اركبوا اي اركبوا
اي مسمين الله او قائلين بسم الله مجراها ومرساها اجراؤها وارساؤها رفع على الابتداء
او على فاعلية الظرف او نصب بتقدير الوقت كقولهم آتيك خفوق النجم ويجوز ان يكون كلاما
منقطعا عن الاول كانه لما امرهم بالركوب ذكر لهم ان اجراءها وارساءها انما هو بذكر اسم الله او بارادته
وقدرته فانه قد روي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله
فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما لقول لبيد ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وحفص بفتح الميم
مصدر جري لقوله وهي تجري بهم والمختار قراءة القوم لازدواج مرسيها ان ربي لغفور رحيم
متصل باركبوا كانه قيل اركبوا فيها فلولا مغفرته لفرطاتكم وشمول رحمته لما نجاكم وهي تجري بهم
اي فركبوا فيها قائلين بسم الله وهي تجري بهم في موج كالجبال الموج ما يعلو فوق الماء
عند اضطرابه كل موجة منه شبهت بجبل في الارتفاع والعظم وكون السفينة في الموج ان الامواج
تصدمها من كل جانب لا انها داخلة في جوف الماء وقوله فالتقى الماء لا يقتضي تطبيق ما بين السماء
والارض وبقاء السفينة كالسمكة اذ المشهور ان الماء علا اشمخ جبل اربعين ذراعا ونادى نوح ابنه
ظاهر في كونه من صلبه وقيل كان ربيبه وكان في معزل في مكان بعيد عزل نفسه عن ابيه او عن
دينه يا بني اركب معنا في السفينة قرأ عاصم بفتح الياء في بني هنا ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن
عامر وحمزة والكسائي بالكسر وجه الفتح ان اصل ابن بنو فزدت الواو في التصغير ثم قلبت ياء وادغم
فيها ياء التصغير والحقت بها ياء المتكلم في النداء ثم ابدلت الفا كما في غلاما ثم اكتفي بالفتحة الدالة
عليها ووجه الكسر حذف الياء لدلالة الكسر عليها والمختار هو الكسر لانها الفصحى واقل تغييرا
ادغم الباء في الميم قنبل وابو عمرو وعاصم والكسائي باتفاق البزي وقالون وخلاد في احد الوجهين
لاتحاد المخرج والتجانس في بعض الصفات ولا تكن مع الكافرين خارج السفينة او في الدين قال ساوي
الى جبل يعصمني من الماء من غرق قال لا عاصم اليوم من امر الله من عذابه الا من رحم الا الراحم وهو
الله تعالى وضع الظاهر موضع الضمير اشارة الى ان رحمته هي المعتصم بها لا ما ذكره في مقابلة الجبل
اي لا عاصم الا مكان رحمه الله وهو السفينة او الاستثناء منقطع اي لا عاصم اصلا ولكن من رحمه الله
فهو المعصوم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين من جملتهم وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين حكى عن سلطانه
ما تعلق به ارادته فوقع على وفقه من غير ريث من عود ما انفجر من الارض الى بطنها وانقطاع
طوفان السماء ونقصان الماء الطاغي وقضاء امر نوح وهو انجاز ما وعد من اهلاك الكفار و
تسوية السفينة على الجودي وابقاء الظلمة في اللعن والبوار نادى الارض والسماء كما ينادي
العقلاء المختارون المنقادون لاوامره العارفون وجوب طاعته الخائفون سطوات قهره تشبيها للمراد
بالمأمور واستعار للنشف الماء البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم والتشبه بينهما هو الذهاب
الى مقر خفي واضاف الماء الى الارض على سبيل المجاز الحكمي تشبيها للاتصال الصوري باتصال
الملك بالمالك واستعار الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل لاحتباس المطر والتشبه بينهما عدم
ما كان ولم يصرح بالفاعل في غيض وقضي وقيل كما لم يصرح بالمنادي في يا ارض ويا سماء لعدم
ذهاب الوهم الى ان غيره جلت عظمته يتصور منه تلك الاشياء ثم ختم الكلام بالتعريض لمن سلك

مسا لكهم في تكذيب الرسل وان ذلك العذاب الهايل انما كان منشاؤه الظلم لا غير والجودي جبل
بجزيرة الموصل والقول بانه بالشام او بآمل ليس له اصل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها
عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة ونادى نوح ربه اراد نداءه لقوله فقال رب او النداء
على اصله والفاء لتفصيل المجمل ان ابني من اهلي بعض اهلي كانه من صلبه او كان ربيبا له فهو ايضا
من اهله وان وعدك الحق اي كل وعد وعدته كاين لا محاله وقد وعدتني نجاة اهلي والظاهر انه لم يكن
نوح عالما بكفره وقوله لا تكن مع الكافرين لا يدل على كفره ولم يحمل مقاولة الابن على العناد لان غلبة
الحب يعطي على البصيرة فعوتب على ان مثله كيف يشتبه عليه حال المعاند وكيف يجعل مناط النجاة
كونه من اهله مع عدم علمه بايمانه واولوا العزم يعاتبون على النقير والقطمير وقيل كان النداء بعد الغرق
وفيه انه قوله الا من سبق عليه القول استثناء من الاهل فالسؤال عن موجب عدم النجاة مما لا وجه له
بل فيه شبه اعتراض وقيل كان عالما بكفره ولم يعلم ان طلب نجاة ولده الكافر محظور عليه وفيه انه كان
عالما بان في اهله من حق عليه العذاب وليس ذلك الا الكفرة وانت احكم الحاكمين لا حكم فوق حكمك او اعلمهم
فلا يتطرق ذلك الى حكمك او اعدلهم اذ لا يتصور علة لقضائك وقيل اكثر حكما مشتق من الحكمة قال يا نوح
انه ليس من اهلك اذ لا ولاية بين المؤمن والكافر انه عمل غير صالح تعليل لذلك وانما جعل نفس العمل
مبالغة في ذمه كقول الخنساء وانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير للسؤال وفيه انه يفوت كون الصلاح
هو مناط النجاة ويلزم منه ايضا تخطيه نوح بتلك العبادة الموحشة مع ان سنة الله مع انبيائه
في ترك الاولى العتاب بالطف وجه وقرأ الكسائي عمل فعلا ماضيا ونصب غير فلا تسألن ما ليس لك به
علم بني نوح الامر على ظاهر الحال الذي يكتفى به في العمليات فرد عليه بان ذلك ليس راجعا الى العمل
فلا بد فيه من الايقان وانما سمي نداءه سؤالا لسبق الوعد بانجاء اهله قرأ نافع وابن عامر بفتح اللام
وتشديد النون وكسرها وحذف الياء الا ورشا في الوصل وكذا ابن كثير الا انه فتح النون وابو عمرو
والكوفيون باسكان اللام وتخفيف النون مكسورة ثم وجه تشديد النون مفتوحة انها المؤكدة
المثقلة ووجه كسرها انها المخففة ادغمت في نون الوقاية او المثقلة حذفت نون الوقاية اكتفاء بها
فحركت بحركتها والمختار التشديد توفيرا لمعنى الطلب والكسر على انها الخفيفة ادغمت لئلا يلزم
الحذف وتغيير الحركة اني اعظك ان تكون من الجاهلين معدودا منهم قال رب اني اعوذ بك ان اسألك
بعد هذا السؤال ما ليس لي به علم فقد اتعظت وتأدبت والا تغفر لي ما فرط مني وترحمني بالتوبة
او بالتوفيق في المستقبل اكن من الخاسرين داخلا في زمرتهم قيل يا نوح اهبط بسلام منا مسلما
من جهتنا آمنا محفوظا او مسلما عليك اكراما لك وبركات عليك مصحوبا بالخيرات نامية ثابتة ماخوذ
من البركة وهي الصدر فال مستقدم البركة كالراكب ومنه بركة الماء ولما فيه من معنى الثبوت
اشتق منه البركة لثبوت الخير الالهي وجمع اشارة الى وفور الآية وعلى امم ممن معك الذين معك على
ان من بيانية وسمي كل واحد امة لتحزبهم او باعتبار المآل او امم ناشئة ممن معك وهم المؤمنون
الى آخر الدهر وهذا اوجه لان الابتدائية بعد المنكر اكثر ويحسن التقابل بين قوله وامم سنمتعهم
وبين قوله وامم ممن معك لان الناشئ منهم فرقتان فرقة مؤمنة واخرى كافرة على ان اطلاق الامة
على القليل لا يلايم فكيف بالامم والتفخيم كما في قوله ان ابرهيم كان امة مخل بتعظيم نوح وامم سنمتعهم
في الدنيا ثم يمسهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة هم الكفار من ذريته لقوله
وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم عن
محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفي المتاع والعذاب
كل كافر تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء من انباء الغيب بعض اخبار الغيب نوحيها

قابل الوحد

اليك خبر ثان ما كنت تعلمها انت خبر ثالث ولمجيء الاخبار هكذا شان في رفع الابهام ويجوز ان يكون
توجيها حالا من انباء وما كنت تعلمها من ضمير المؤنث او من كاف الخطاب في اليك ولا قومك ترقي في الكلام
لانهم مع كثرتهم وكثرة اسفارهم واختلاطهم اذا لم يعلموها فانت اولى من قبل هذا الايحاء او
علمك المكتسب به او من قبل هذا الوقت فاصبر على اذى التبليغ كما صبر نوح ان العاقبة للمتقين في الدنيا
بالنصر والغلبة وفي الآخرة بالفوز برضوان الله والى عاد اخاهم هودا عطف على ارسلنا نوحا وهودا
عطف بيان او بدل واخ القوم واحد منهم كقولهم يا اخا العرب قال يا قوم اعبدوا الله آمنوا به
ما لكم من اله غيره يستحق العبادة ان انتم الا مفترون في القول بان له شريكا ويا قوم لا اسألكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني ما من نبي الا وصرح لقومه بعدم الاجر على التبليغ لان
النصح اذا شابه وهم الطمع لا يجدي ولا ينجع افلا تعقلون تستعملون عقولكم ليظهر لكم الحق فانه
لا يتوقف الا على توجه العقل لجلائه ويا قوم استغفروا ربكم بالتوبة عن الاشراك ثم توبوا
اليه دوموا على تلك التوبة او آمنوا به لان الاستغفار من ردائف الايمان فهو كناية عنه والتبري
عن عبادة الغير لا يكون الا بعد الايمان به تعالى لكن ثم ترجح الاول يرسل السماء عليكم مدرارا
يفيض عليكم نعمه لان المطر سبب حصول جميع النعم لا سيما اذا كان وافيا وافرا والمدرار الكثير
الدرور المتتابع صيغة مبالغة ويزدكم قوة الى قوتكم لتقدروا على الانتفاع بتلك النعم على التمام
والكمال وقيل كانوا اصحاب زروع وبساتين مفتخرين بها فاستمالهم بانهم ان آمنوا وانتهوا عن
الشرك يزيدهم الله في هذين المطلوبين درجات كثيرة وقيل قوة الايمان الى قوة الابدان وقيل
حبس عنهم المطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم روي ان الحسن بن علي وفد على معاوية فلما اخرج
من عنده تبعه بعض حجابه وقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فقال عليك بالاستغفار فلما بلغ معاوية
فقال هلا سألته من اين يقول فلما وفد اخرى سأله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم
قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين بعد الامر بالاستغفار فاكثر الرجل من الاستغفار
فولد له عشرة بنين ولا تتولوا مجرمين مصرين على الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة تكذيبا بآيات
الدالة على نبوته وعنادا كما فعلت قريش مع رسول الله وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك لاجل قولك
وما نحن لك بمؤمنين في شيء من الاوقات افناط له بعد تكذيبه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء
اعتراك اصابك من عراه اصابه قال الشاعر واني ليعروني لذكراك هزة يريدون انه اصابه جنون
من جهة آلهتنا مكافاة له على سبه اياها ولذلك يهذي ويتكلم بكلام المجانين وكذلك حال اكثر الجهال
مع العلماء في كل عصر وهذه الاجوبة دلت على فظاظة متناهية وجهل مفرط حيث اعتقدوا ان
الجمادات تضر وتنفع قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء اشهد الله على براءته توكيد لقوله لانه جار
مجرى القسم ولم يستشهدهم بل امرهم بالشهادة لان الغرض عدم المبالاة بهم ثقة بالله فلتخالف
الغرضين خالف بين اللفظين مما تشركون من دونه من شركائكم او مما تشركونه من آلهة فكيدوني جميعا
انتم وآلهتكم ثم لا تنظرون بعد اجتماعكم على ذلك افعلوه اعجل ما تفعلون فاني واثق بمن له الخلق والامر
وهذا من اعظم الآيات الدالة على قوة يقينه وكمال ثقته حيث واجه اولئك الغلاظ الشداد
الذين يضرب بهم الامثال بمثل هذا الكلام الدال على الاهانة بهم والاحتقار بآلهتهم اني توكلت
على الله ربي وربكم الذي بيده الضر والنفع اشار الى الحامل له على الجرأة عليهم وعدم المبالاة
بهم وبآلهتهم لانهم مربوبون مثله ثم اشار الى الوصف المناسب لذلك بقوله ما من دابة الا هو
آخذ بناصيتها غالب عليها مسخرة تحت قدرته القاهرة وهذا على طريقة العرب فانهم كانوا اذا اسروا

ولولا اجل ... الى المعنى ... الى ... على ...

عدوا ومنوا عليه بالالطاف جزوا ناصيه ان ربي على صراط مستقيم جارية على نهج الحق المبين فان تولوا
تتولوا حذف منه التاء فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم الجواب محذوف اي لا اعاتنا وانتم محجوجون اولا
عذر لكم يوم القيمة لانى قد بلغتكم ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف للوعيد بان الله يهلكهم ان تولوا
باخرين يورثهم ارضهم وديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القرآن بالجزم ولا تضرونه
شيئا من الضرر ان ربي على كل شئ حفيظ ومن كان هذا شانه لا يمكن ان يلحقه ضرر ولا يخفى عليه
شئ من اعمالكم فيكون وعيدا ولما جاء امرنا بالعذاب الموعود نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة
منا قيل كانوا اربعة الاف ونجيناهم من عذاب غليظ وليس فيه تكرار لان الاول اخبار بان الايمان
صار سببا لنجاتهم والثاني بان النجاة كان من اي عذاب والاول النجاة من عذاب الدنيا والثاني
من عذاب الآخرة وتلك عاد جحدوا بايات ربهم انث الاشارة باعتبار القبيلة اشار الى قبورهم
وآثارهم وآثار البعيد لبعد العهد بهم اولشدة شكيمتهم في كفرهم وعصوا رسله لان من كفر برسول
فهو كافر بالكل لاتحاد الدعوى واتبعوا امر كل جبار عنيد رؤساءهم الذين يصدون عن رايهم
الجبار من يقتل على الغضب والعنيد الجائر المايل عن الحق من عند البعير عنودا اذا عدل عن الطريق
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين لاتباعهم الكفار
واعراضهم عن الرسل جزاء من جنس اعمالهم الا ان عادا كفروا ربهم بربهم او نعمة ربهم الا بعدا لعاد قوم
هود سمي قومه عادا باسم جدهم وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح كرر حرف التنبيه واعاد
الاسم ودعا عليهم بعد الهلاك اشارة الى انهم كانوا احقاء بما نزل بهم واوقع قوم هود بيانا
لما في الاجمال والتفصيل من الايضاح والتكرير فيوسموا بتلك الدعوة وسما محققا لا اشتبه فيه وما
يقال انما جئ به تميزا لهم عن عاد ارم فانها عاد ناسه ولذلك وصف قوم هود بعاد الاولى ففيه ان لا
احتمال لذلك لتقدم هود وقومه في صدر القصة والى ثمود اخاهم صالحا عطف على قوله الى قومه في قصة
نوح قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض بخلق ابيكم آدم لا غيره واستعمركم
فيها امركم بالعمارة فيها او جعلكم عمارها اي سكانها او استبقاكم فيها من العمر او من العمرى وهي
ان يقول الرجل اعمرتك هذه الدار اي لك الانتفاع بها مدة عمرك وعلى هذا فالمعنى انه اعمركم
فيها وجعلكم عمارها اي سكانها دياركم وهو يرثها منكم ويرجع اليه بعد موتكم او جعلكم معمرين لغيركم
لان من ورث غيره فكانه اعمره اياها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب رحمته مجيب لمن دعاه
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد وكنا نتوقع ان تكون مسترشدا
في الامور تصدر عن رايك فقد تبين لنا ان لا خير فيك وقيل كنا نرجوا ان تدخل في ديننا اتنهانا استفهام
انكار ان نعبد اباؤنا حكاية حال ماضيه واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب ارابه اوقعه في الريبة
وهي قلق النفس واضطرابها ومن اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قال يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي حجة واضحة داله على نبوتي وايراد حرف الشك لانكار المخاطبين
واتاني منه رحمة نبي الرسالة فانها فضل من الله فمن ينصرني من الله من عقابه ان عصيته خالفت امره
فما تزيدونني باستتباعكم غير تخسير غير ان تخسروني بابطال اعمالي وتعريضي لعقاب الله او فما تزيدونني
بقولكم هذا غير ان انسبكم الى الخسران او تخسرون انفسكم وتحملونها زيادة عذاب لكونكم بدعونه
مثلي الى الكفر ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية نصب على الحال المؤكدة نحو هذا خالد شجاعا ولكم
حال من آية لدلالة اضافة الناقة الى الله على كونها آية والجار والمجرور بيان واللام فيه مثل اللام
في هيت لك فذروها تاكل في ارض الله لا تريد منكم لا ماء ولا علفا حتى تضطروا الى ايقاع السوء بها

ماكان بعيد

ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل فعقروها فقال تمتعوا في داركم في ارضكم سميت دارا
لانها يدار فيها كما سمي البيت به ثلثة ايام قيل هو الاربعاء والخميس والجمعة وقد هلكوا يوم السبت
ذلك وعد غير مكذوب اي فيه حذف الجار اتساعا كما حذف من يوم مشهود وقوله ويوم شهدناه
او على المجاز كانه قيل للوعد لا بد وان يوفى بك فاذا لم يوف به فهو مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا
والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ من عذابه وهو الهلاك بالصيحة او عذاب يوم القيمة
وقرأ نافع والكسائي بفتح الميم من يوم لاضافته الى المبني اصله السكون وانما حرك لالتقاء الساكنين
وبالفتح لانه اخف ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شئ الغالب عليه واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين لاصقين بالارض كان لم يغنوا فيها لم يسكنوا فيها الا ان ثمودا
كفروا ربهم قرأ حفص وحمزه بلا تنوين لانه علم قبيلة والباقون بصرفه لانه اسم اب القبيلة او باعتبار
الحي الا بعدا لثمود قرأ الكسائي بالتنوين والكسر لما ذكر آنفا ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى ادخل
قد لان السامع للقصص السابقة يتوقع سماع غيرها والرسل جبرئيل وميكائيل واسرافيل كانوا
تسعه وقيل اثنى عشر على صورة الغلمان الحسان ابتلاء لقوم لوط والبشرى بشارة الولد لقوله
وبشروه بغلام عليم ويحتمل البعد وله ولاهلاك قوم لوط قالوا سلاما نصب على المصدر او القول
بمعنى الذكر فالنصب به قال سلام اي عليكم سلام فحياهم باحسن من تحيتهم لدلالته على الاستمرار
بقرينة المقام وقرأ حمزة والكسائي قال سلم بكسر السين وسكون اللام وهي لغة فيه كحرم وحرام
وحل وحلال وقيل الصلح لانه خافهم والمختار الفتح والمد لانه المشهور فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ
مجيئه به والحنيذ المشوي بالحجارة المحماة وقيل حنيذ سمين يقطر منه الدسم من حنذت الفرس اذا
القيت عليه الجلال ليعرق لقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لم يكن ينظر الى وجوههم عند
تقديم الماكل لئلا يحصل للضيف نوع خجل فيحصل له فتور في الاكل وهذا شان ارباب الفتوة
مع الضيفان قال الشاعر وناولته من رسل كوماء جلدة واغضيت عنه الطرف حتى تضلعا وقيل كان
قد تخيران لا ياكل الا مع الضيف وكان له مدة لم يرد عليه الضيف فلم يتنبه الا لعدم اختلاف ايديهم
الى الطعام نكرهم يقال نكره وانكره واستنكره شك في معرفته واوجس منهم خيفة لانهم حين امتنعوا
من اكل الطعام عرف انهم ملائكة وخاف ان يكونوا مرسلين لامر انكره الله ولم يخف على نفسه لان سلامهم
كان دالا على انه لا مكروه منهم قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط اي بالعذاب جواب من علم انهم مرسلون
لامر ولكن لم يعلم ذلك الامر بعينه وامرأته قائمة وراء الستر تسمع قولهم وقيل قائمه خادمة كانت تمشي
في الخدمة فضحكت حاضت يقال ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقيل بل ضحكت سرورا بزوال العذاب
او بنجاة لوط عن المفسدين او باصابة ظنها فانها كانت تقول لابرهيم ضم اليك لوطا فاني علم ان العذاب
نازل بقومه فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب قرأه ابن عامر وحفص وحمزه بالنصب
مفعول وهبنا الدال عليه البشارة كذا قال سيبويه ويجوز ان يكون معطوفا على محل اسحق او لفظه
وفيها ضعف للفصل بين العاطف والمعطوف ويجوز ان يكون منصوبا بيبشرناها على طريقة الايصال
كقوله ذلك الذي يبشر الله عباده والرفع على الابتداء او فاعلية الظرف وقيل الوراء ولد الولد وعن
الشعبي انه قيل له هذا ولدك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وجه البشارة اليها تارة والى
ابراهيم اخرى بقوله وبشروه بغلام عليم لان السرور بالولد مشترك لا لانها كانت عقيمة حريصة على
الولد وكما انهما بشرا بالولد بشرا ضمنا بطول العمر حتى يريا المولود المبشر به ولدا قالت يا ويلتا
لم تزد به معناه بل التعجب والاستبعاد دل عليه قولها االد وانا عجوز قيل كان سنها ثمانية وتسعين سنة

وهذا بعلي زوجي والزوجة ايضا بعل من المباعلة وهي ملاعبة الزوجين وفي الحديث ايام منى ايام اكل
وشرب وبعال شيخا نصب على الحال والعامل معنى الاشارة او التنبيه ان هذا لشيء عجيب لم يعهد
مثله من هرمين قالوا اتعجبين من امر الله ارادته اذا تعلقت بشيء انكروا عليها التعجب من حصول
الولد من شيخ وشيخة وان كان في ذلك خرق العادة لانها قد شاهدت امثال ذلك من المعجزات
والامور الخارقة وعللوا الانكار بقولهم رحمة الله وبركاته على وجه الاستيناف كانه قيل اياك والتعجب
فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة عليكم قيل الرحمة النبوة والبركة الاسباط لان الانبياء
منهم والكل من نسل ابرهيم اهل البيت نصب على الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وذلك مدح
لهم واي مدح انه حميد مجيد فاعل ما يحمد عليه ومجيد فعيلان بمعنى المفعول وقع تذييلا لما تقدم
اي ليس ما يفعله محلا للتعجب بل للتحميد والتمجيد فانه مولى متفضل فلما ذهب عن ابرهيم الروع
وجاءته البشرى ما اوجس من الخيفة بما اتحفوه به من البشرى يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا مجادلته
قوله ان فيها لوطا وانما جاء به مضارعا حكاية للحال الماضية او التقدير اخذ يجادلنا او قيل ونحوه
ان ابرهيم لحليم كثير الحلم اواه كثير التاوه على ما يقع منه من تفريط او على الناس ترحما وهذا ابلغ
وابلغ في مدحه منيب تايب الى الله آت بما يحبه ويرضاه اردف مجادلته بهذه الصفات وفعـ لما
يتبادر المجادلة من ايراد مقدمات غير حقة يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة المجادلون
اعرض عن هذا الجدال وان كان دابك الراقة انه قد جاء امر ربك قضاؤه المبرم الذي لا مرد له وانهم آتيهم
عذاب غير مردود لتعلق ارادة الله به ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اي سيء لوط بسبب مجيئهم
لانهم جاؤا على صورة غلمان حسان ولم يدر انهم ملائكة فقال لهم لم يبلغكم خبث اهل هذه القرية
وضاق بهم ذرعا كناية عن شدة حزنه وعدم اهتدائه الى ما يدفع به كيدهم عن اضيافه وقال هذا
يوم عصيب قاله مشافهة او في نفسه تحزنا والعصيب الشديد من عصبه اذا شده ومنه العصابة
والعصب وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون من قولهم دم هرع اي سايل بين السيلان كان بعضه
يدفع بعضا بالحمل على الجري ومن قبل ما كانوا يعملون السيئات يأتون الفواحش كلها لا يتحاشون فتمرنوا
على فعل المنكرات فلذلك اهرعوا من غير مبالاة قال يا قوم هؤلاء بناتي وكانوا يطلبون قبل ذلك
التزوج بهن ويابى لوط فلما اشتد الامر عليه سمح بذلك وقاية لاضيافه وعدم جواز تزويج
المسلمات للكافر شرع طار والاستدلال بتزويج رسول الله ابنته لابي العاص بن الربيع مبني على كونه
متعبدا بشرع من قبله هن اطهر بمعنى الطاهر اذ لا طهر فيما يرومونه والقول بان ذلك اقل فحشا مبني
على تجويز اذنه في السفاح ولا يقوله متدين فاتقوا الله بترك الفواحش ولا تخزون لا تفضحوني من الخزي
او لا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم اليس منكم رجل رشيد يرعوي عن الجهل الاستفهام
على اصله او اريد به التحزن والتاسف قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق لان نكاح الاناث
ليس بهم عندنا بل هو كالباطل وانك لتعلم ما نريد لا يخفى عليك قال لو ان لي بكم قوة لو ثبت لي قوة
لدفعكم او آوي الى ركن شديد قوي امتنع به عنكم لفعلت شبه القوي الايد بالركن من الجبل لشدته
ويحتمل ان يكون لو للتمني فلا يحتاج الى الجواب وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا كان ياوي
الى ركن شديد استغرب منه هذا القول لان عناية الله كانت اشد ركن له ولذلك قالت الملائكة جئن
وجدت عليه ان ركنك لشديد هذه المقاولة معهم كانت من وراء الباب فانه كان قد اغلق الباب خوفا
منهم فلما طال الجدال تسوروا الجدار ولما رات الملائكة ما اصاب لوطا من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك باضرارنا ففتح الباب فلما دخلوا نشر جبرئيل جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در

منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فاطمس اعينهم كما حكاه تعالى فطمسنا اعينهم فخرجوا
وهم يقولون النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة فاسر باهلك بقطع من الليل بطايفة قراء نافع وابن كثير
بالوصل والباقون بالقطع وهما لغتان والقطع اولى لاتفاقهم في اسرى بعبده ولا يلتفت منكم احد الى
وراءه لئلا يصيبه ما اصابهم ولذلك لما التفتت امراته حين سمعت هدة العذاب لحقها حجر فقتلها
الا امراتك استثناء من اهلك بناء على انه نهي عن الاسراء بها في جملة اهله او من احد على اللغة القليلة
في غير الموجب لان القراءة تكفي لصحتها وجه نحوي ولا يحتاج الى تاويل الالتفات بالتخلف على تقدير
الاستثناء من احد احترازا من مناقضته الاستثناء من اهلك لان الاستثناء من الاهل تقتضي ان لا يكون
لوط مامورا بالاسراء بها ولا امتناع في ان يكون سرت بنفسها كيف ولم ينه عن الاسراء بها بل امر بالاسراء
بغيرها وقرا ابو عمرو وابن كثير بالرفع على البدل المختار النصب على الاستثناء من الاهل لسلامته
عن التكليف وتايده بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك بالتقديم
انه مصيبها ما اصابهم اي ما يصيبهم علة لعدم الاسراء بها او لعدم نهيها عن الالتفات ان موعدهم الصبح
عليه للاسراء اليس الصبح بقريب كلام الملائكة جواب لاستعجال لوط كانه استبعد مجيء الصبح لغاية ضجره و
شدة شوقه الى الاشتفاء ومن هنا يظهر لك مقام سيد المرسلين لما جاءه ملك الجبال وقال ان الله قد سمع
جواب قومك فقد ارسلني اليك بان تامرني فيهم بما شئت فان شئت طبقت الاخشبين عليهم فقال لا
ولكني ارجوان يخرج من اصلابهم من يقول لا اله الا الله فلما جاء امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها
جواب لما وانما اسنده الى ذاته وان كان المباشر الملائكة لعظم الامر وان مثل ذلك الفعل انما هو
باقداره روي ان جبرئيل رفع مدائنهم بجناحه الى حيث سمع الملائكة في السماء نباح الكلاب وصياح
الديك ثم قلبها وامطرنا عليها حجارة من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل اي الحجر والطين وقيل
من اسجله اذا ارسله لانها مرسلة للعذاب لقوله لنرسل عليهم حجارة وقيل من سجل اذا كتب لان الله
كتب عليها ان يعذب بها منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل متتابعة بعضها اثر بعض
مسومة معلمة كل حجر عليه اسم من يرمي به وقيل كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل كان عليها سيما
يعلم بها انها ليست من حجار الارض عند ربك في خزاينه وما هي من الظالمين ببعيد الضمير للقرى
اي تلك القرى قريبة من ظالمي مكة يمرون عليها في مسايرهم او الحجارة فان كل ظالم كل لحظة بصدد
ان يقع عليه حجر وقد روي انه صلى الله عليه وسلم سال جبرئيل فقال هم ظالموا امتك والى مدين
اخاهم شعيبا مدين اسم قبيلة سميت باسم جدهم وهو مدين بن ابرهيم او اسم مدينة بناها مدين سميت
باسم بانيها قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره دعاهم اولا الى التوحيد لانه ملاك الامر
ولا تنقصوا المكيال والميزان كان فيهم التطفيف شايعا نهاهم عنه بعد الامر بالتوحيد لكونه خيانة
في حق العباد اني اريكم بخير في ثروة وسعة فانتم في غنية عن التطفيف او العمى الذي انتم فيه يقتضي
الايفاء شكرا لله فلا تقابلوه بالضد او فلا تزيلوه فان المعاصي تزيل النعم واني اخاف عليكم عذاب
يوم محيط مهلك من احاط به العدو واضافة العذاب الى اليوم للملابسة واريد باحاطة اليوم احاطة
العذاب على سبيل الكناية لكون اليوم مشتملا على الحوادث فاحاطته يستلزم احاطة تلك الحوادث
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط الانتهاء المطلوب لا يتحقق بدون الايفاء فنص اولا على النهي
عن القبيح ثم الامر بالضد وليس مبنيا على عدم استلزام النهي عن الشيء الامر بضده بل هو من باب
التاكيد كقولك لمن لا يصل الرحم صل رحمك ولا تقطعها تريد بذلك تاكد وجوبه وقيد الايفاء بالقسط
بدلالة على ان العدل هو المطلوب والزيادة فضل وقد يكون حراما كما في الربو ولا تبخسوا الناس اشياءهم

اي شئ كان باي نوع كان تطفيفا او غيره كانوا يمكسون الناس وقيل كانوا ينقصون من ثمن ما
يشترونه ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي الافساد وفايدة تقييده بالحال ما يقصد به الاصلاح
كاتلاف اموال اهل الحرب وهذا اعم لتناوله البخس وغيره كما ان ذاك اعم من الاول لتناوله المقدار
وغيره وقيل العثي السرقة وقطع الطريق والغارة بقيت الله خير لكم ما ابقاه لكم من الحلال خير لكم وابرك
في الدنيا لان الحرام ممحوق البركة وفي الاخرة لنجاتكم من تبعته وعذابه ان كنتم مؤمنين لان الكافر وان
وان لان الشئ البين نفعه لم يعد نافعا بدونه وتفسير البقية بالطاعة لا يناسب المقام وما انا
عليكم بحفيظ احفظ احوالكم وانما بعثت مبلغا او لست بحفيظ عليكم نعم الله ان لم تتركوا البخس والتطفيف
قالوا يا شعيب اصلوتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا الصلوة وان صح ان تكون آمرة بالخير مجازا
كما صح ان تكون ناهية عن المنكر لكن انما ساقوا الكلام مساق الطنز والسخرية وان صلوته والمداومة عليها
نوع من الاباطيل مر الاباطيل وفق من الجنون والاتيان بالمضارع للدلالة على الاستمرار كان كثير
الصلوة ولذلك اتوا بصيغة الجمع وقرا حمزة والكسائي وحفص بالافراد ومعنى تأمرك ان نترك تأمرك
بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء
عطف على ما اي او ان نترك فعل ما نشاء في اموالنا انك لانت الحليم حيث تأمرنا بترك ما كان
يعبد اباؤنا الرشيد الخبير حيث تأمر بترك البخس والتطفيف نسبًا لما تقدمه قالوه تهكما به قال
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي حجة واضحة ورزقني منه رزقا حسنا النبوة لان المعارف
الالهية اشرف الارزاق وانفسها وقيل المال الحلال من غير بخس وتطفيف والمعنى اخبروني ان كنت
نبيا حقا ايجوز لي ان لا آمركم بترك عبادة غير الله وما فايدة ارسال الله الرسل الا ذلك وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه عادلا الى النصح بعد ما ازاح ما قرعوه به على وجه اوجع فيه ان من لا يأمر
الا بما يفعله ولا ينهى عن شئ الا وهو منتهٍ عنه لم يكن مظنة الجنون والخبل والمخالفة المعاكسة
في الامر يقال خالف زيد عمرا الى الماء اذا كان احدهما واردا والآخر صادرا ان اريد الا الاصلاح
الا اصلاح ما افسدتم من امر دينكم ودنياكم ما استطعت ما دمت قادرا ما مصدرية في موقع الظرف
او موصولة بدل البعض اي المقدار الذي استطيع منه او الكل على تقدير المضاف اي اصلاح ما
استطعت والاول هو الوجه اذ فيهما تكلف الاضمار وفوات المبالغة وما توفيقي الا بالله التوفيق خلق
قدرة الطاعة مصدر بمعنى المفعول اي وما كوني موفقا في امضاء اوامره الا بتاييد منه عليه توكلت
فوضت امري لا الى غيره واليه انيب لا الى غيره تهديد بانه لا يبالي بهم لانه مفوض امره الى من بيده
الخلق والامر وقطع لاطماعهم فانهم ما تهكموا به الا استضعافا وهذا كقول نوح فاجمعوا امركم وشركاءكم
ثم كيدوني ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي لا يكسبنكم معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
مفعول ثان يقال جرم ذنبا كسبه وجرمته ذنبا كسبته اياه جرم واجرم لغتان ككسب واكسب والمزيد
اقل دورا على السنة العرب وروي عن ابن كثير بضم الياء او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط
منكم ببعيد زمانا او مكانا فان مدين قريبة من قرى لوط بينهما مسافة يومين والقرب في المكان
والزمان يفيد زيادة معرفة وكمال علم بالحال ذكر لفظ بعيد باعتبار لفظ القوم لانه يذكر ويؤنث
وكذا كل اسماء الجموع للاناسي مثل رهط ونفر وهو مسند الى ضمير الاهلاك او الزمان او المكان
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه آمنوا به ثم دوموا عليه ان ربي رحيم جزيل العطاء يتفضل عليكم
بدل ما كان يحصل لكم من البخس والتطفيف ودود كثير اللطف لمن تاب وعد على التوبة بعد الوعيد
على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه نفهم من فقه بالكسر فهم كثيرا مما تقول من التوحيد وسائر

بحث من القلب الغريب على البخس والتطفيف لكن لم انظعر ثالث القابع ظهورها مع الايمان لان الكفر يخالف ذلك وفيه اشارة الى عظم شأن الايمان

الاحكام

الاحكام قالوه استهانة لانهم لم يفهموا مقاله كقول المشركين لرسول الله قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة ولا عز لك فينا وقيل اعمى ويرده التقييد بالظرف ولولا رهطك
لرجمناك لقتلناك شر قتلة فان القتل به شنيع جدا ولذلك شرع حدا للزاني والرهط من الثلثة
الى العشرة وقيل الى السبعة وما انت علينا بعزيز بل رهطك هذا داب السفيه المحجوج اذا افحم
يشرع في الهذيان بان عسى يدفع به العار عن نفسه وفي ايلاء الضمير حرف النفي دليل على ان النزاع في
الفاعل لا في العزة ولذلك كان مفيدا للتقوى والتخصيص وقولهم ولولا رهطك لرجمناك دليل
على ذلك ومنطوق يؤكد ذلك المفهوم ومثله كلمة هو وقايلها في افادة التقوى والتخصص قال يا قوم
ارهطي اعز عليكم من الله يريد ان رعايتي لكوني رسولا من الله احرى بكم واجدر من القوم وانما كانوا
يراعون رهطه لكونهم على دينهم لم يقل ارهطي اعز عليكم مني لان تهاونهم به وهو نبي الله ومبلغ احكامه
تهاون بالله آثره كقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله يد الله فوق ايديهم واتخذتموه وراءكم ظهريا
غير معتد به كناية عن عدم الاعتبار نسبه الى الظهر والكسر من تغيير النسب ان ربي بما تعملون محيط
يجازيكم عليه ويا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة بمعنى المكان كالمقامة بمعنى المقام كناية او تمثيل
او مصدر مكن بالضم مكانة فهو مكين اذا تمكن والمعنى على جهاتكم او متمكنين وقرا ابو بكر بالجمع وهو
ابلغ اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة للعلم
كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه وان يكون موصولة منصوبة المحل به والتقدير سوف
تعلمون الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه ادخل الفاء في سوف في الانعام والزمر وتركها هنا لكونه
بتقدير سؤال لانه في مقام المحاجة معهم وفي تينك السورتين امر بان يقول لهم ذلك الكلام
الذي يعقبه ذلك الجزاء ومن هو كاذب يريد نفسه على زعمهم لانهم كانوا يدعونه كاذبا وارتقبوا
انتظروا ما يحل بكم اني معكم رقيب راقب كالصريم بمعنى الصارم او المراقب كالعشير بمعنى المعاشر
او المرتقب كالفقير بمعنى المفتقر ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ذكر في
قصة هود وشعيب بالواو لعدم سبق ما يدل على السببية بخلاف صالح ولوط فانه تقدم فيهما الوعد
بالاهلاك بقوله ان موعدهم الصبح في قصة لوط وقوله ذلك وعد غير مكذوب في قصة صالح فلذلك
جيء فيهما بالفاء الدالة على سببية ما قبلها واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبرئيل فاصبحوا
في ديارهم جاثمين لازمين لمكانهم موتى كان لم يغنوا فيها كان لم يسكنوها ولم يكن لهم فيها تصرف
وتردد الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وجه الشبه بثمود ان كلا منهما كان هلاكه بالصيحة الا ان
صيحة ثمود كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوق وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يهلك الله
امتين بعذاب واحد الا ثمود ومدين والبعد ضد القرب واستعمل هنا بمعنى البعد بفتحتين كالرشد
من بعد بالكسر اذا هلك ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين ما اتى به من المعجزة سمي آيات
باعتبار الدلالة على صدقه وسلطانا واضحا باعتبار تسلطه به على الخصم او الآيات الاحكام والسلطان
براهينها وقيل السلطان استيلاء حبه على قلب من يراه لقوله والقيت عليك محبة مني لم يره احد
الا احبه وقيل لم ياخذه فيقتله لا خوف من اول شانه ولذلك اخذ بلحية فرعون وهو طفل وقتل
القبطي بين اظهر قومه الى فرعون وملائه اشرافه فان العامة اتباع فاتبعوا امر فرعون بعد
ظهور تلك المعجزات ووضوح ذلك السلطان وما امر فرعون برشيد اي ليس في امره رشد بل
ضلال مكشوف ابن البشر من مقام الالوهية لا سيما بشر ظلوم به يضرب الامثال في الغشم
واسناد الرشد الى امره مجاز حكمي يقدم قومه يوم القيمة لانه كان اماما في الكفر فاوردهم

فيه تلميح الى قوله لعنه الله وما اهديكم
الا سبيل الرشاد منه

النار يوردهم عبّر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وبئس الورد المورود الورد الماء الذي يورده
المتعطشون لتبريد الاكباد استعارة تهكمية واتبعوا في هذه لعنة يلعنون الى يوم القيمة
لان فرعون وقومه لم يخف قبح صنيعهم على احد ويوم القيمة يلعنهم اهل المحشر او يطردون الى النار
فذلك هو لعن يوم القيمة بئس الرفد المرفود هو العطاء والاعانة والمعنى بئس العطاء المعطى لعن
الدنيا مضافا الى لعن الآخرة او بئس العون المعان والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم ذلك
المذكور من انباء القرى بعض اخبار القرى المهلكة مبتدا وخبر نقصه عليك قصصناه عليك خبر
بعد خبر منها قائم باق مشاهد وحصيد ومنها عاف الاثر كالزرع المحصود استعارة تبعية والجملة
لا محل لها وقيل حال عن ضمير نقصه ولا ضمير فيه ولا واو وما ظلمناهم بما فعلنا بهم ولكن ظلموا انفسهم
او ردوها مورد الهلاك فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء فما قدرت
ان تدفع عنهم من بأس الله ادنى شيء لما جاء امر ربك عذابه ظرف اغنت وما زادوهم غير تتبيب
اهلاك من تب اذا هلك وكذلك اخذ ربك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك اذا اخذ ربك اذا اخذ
القرى اي اهلها وهي ظالمة ايقاع الاخذ ونسبة الظلم الى القرى مبالغة في استحقاق اهلها
ذلك اشارة الى ان كل ظالم بصدد ذلك لوجود العلة ان اخذه اليم شديد شديد المه لا يمكن
الخلاص منه صفة بعد صفة زيادة تحذير ان في ذلك فيما اخبرنا عن حال القرى لآية عبرة
لمن خاف عذاب الآخرة يستدل بما نزل بهم في الدنيا على عذاب الآخرة او لمن يقول بالحشر فان من
انكر ذلك من الفلاسفة والدهرية لم ينجع فيه ذلك لاحالته تلك الوقائع على اسباب فلكية
ذلك اشارة الى اليوم المدلول عليه بالآخرة يوم مجموع له الناس للحساب فيه والثواب والعقاب
آثر الاسم على الفعل دلالة على ان ذلك الوصف لازم له لا محالة خص الناس بالذكر وان كان
الجن ايضا يحاسبون فيه لقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان لان الناس هم المقصودون اصالة وذلك
يوم مشهود مشهور معروف عظمته كقولهم تعالى لفلان مجلس مشهود اي يشهده كل احد جعل المشهود
كناية عن الشهرة فلا يحتاج الى تقدير فيه الا لبيان الاصل ولا يجوز ان يجعل اليوم مشهودا كما في قوله
فمن شهد منكم الشهر فليصمه لان ذلك المشهود قد علم من قوله مجموع له الناس وانما المراد التهويل
بانه يوم يشهد فيه الخلائق قاطبة لا يغيب عنه ذو حياة كما فصل في سورة كورت وما
نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء زمان معلوم اجزاؤه في علمنا الشامل يوم يأت اي الحساب
او ذلك اليوم اي شدائده واهواله فلا يلزم كون الشيء ظرفا لنفسه او الله ويؤيده قوله هل
ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام لا تكلم نفس الا باذنه هذا في موقف وقوله ولا يؤذن
لهم فيعتذرون في موقف ولهذا نظائر كقوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله فيومئذ لا يسأل
عن ذنبه انس ولا جان وما يقال للمأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعتذارات
الباطلة تكلف بما لا دليل عليه فمنهم شقي وسعيد الضمير للناس المجموعين او للنفس فانه عام
فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اول صوت الحمار والشهيق آخره لان الزفير
ادخال النفس والشهيق اخراجه شبه صوتهم في الحالين بصوت الحمار استقباحا لكونه انكر الاصوات
والزفير ايضا اغتراق النفس من الشدة فالمراد بيان شدة حالهم وتراكم كربهم وهذا مشاهد
فيمن اصابه شدة وهم تراه له زفرات متوالية تتبعها شهقات خالدين فيها ما دامت السموات
والارض تاكيد للخلود بما يتبعها دفن الناس وجرت عادتهم به في التابيد لا يفهمون منه غير
ذلك كقولهم ما لاح كوكب وما اقام ثبير قال امرؤ القيس واني مقيم ما اقام عسيب

والمراد

او المراد سماوات الآخرة وارضها اذ لا بد لهم من مظلة ومقلة وما يقال انه تشبيه بما لا يعرفه
اكثر الخلق ساقط لان هذا القدر ضروري عند من يقول بالحشر الا ما شاء ربك استثناء من الخلود
لان عصاة الموحدين الذين يدخلونها خارجون منها فعلى هذا ما بمعنى من او اريد به الصفة كقوله
والسماء وما بناها تقديره خالدين فيها الا الذين تداركتهم رحمة الرحمن وعن الزجاج لا استحقاق
منهم هو من قبيل لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو مدة
لبثهم في البرزخ والموقف فان حال الكافر يقتضي ان يكون في النار بمجرد فراق روحه ولا يمتنع ان يكون
الوصفان قائمين بشخص واحد باعتبارين هذا والاحسن ان يقال من كان آخره الى الجنة من الموحدين
وان دخل النار لا يطلق عليه اسم الشقي لقوله الشقي من شقي في بطن امه يريد بذلك شقاء
الابد لا انه يدخل النار ثم تخرج ولقوله خلقت هؤلاء للنار ولا ابالي وخلقت هؤلاء للجنة
ولا ابالي والاستثناء باعتبار ايام البرزخ والموقف فيه خفاء لان الاستثناء من الخلود وظاهر
في الاخراج بعد الدخول مدرك بالذوق السليم وقيل الاستثناء من زفير وشهيق وقيل الا بمعنى
سوى والمعنى سوى ما شاء الله من الزيادة على بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد
لا اعتراض عليه ولا مانع فعله واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع بل ممتدا الى غير النهاية تاكيد لمعنى الخلود ودفع لما يتوهم
من الانقطاع بزوال السموات والارض حملا للكلام على الظاهر وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا
على بناء المفعول من سعد متعديا بمعنى اسعد والفتح اولى لانه اكثر ولازدواجه بما تقدم من المقابل
فلا تك في مرية بعد ما قص عليك من احوال الانبياء واحوال اممهم وما نزل بهم بسبب تكذيب
الرسل وعبادة غير الله تعالى مما يعبد هؤلاء من عبادتهم وبطلانها ما يعبدون الا كما يعبد
اباؤهم من قبل استئناف لتعليل النهي عن المرية يريد ان حال هؤلاء في الشرك مثل حال ابائهم
يعبدونه حذف لفظ كان لدلالة قبل على معناه وانا لموفوهم نصيبهم لمعطوهم حظهم من العذاب
وافيا او رزقهم المقدر فيكون اشارة الى سبب تاخير العذاب مع قيام موجبه يقال اوفى
دينه ووفاه اذا لم يبق عليه منه شيء غير منقوص حال مؤكدة تقطع وهم التجوز ولقد آتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه آمن به طائفة وكفر به اخرى كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك
هي كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذا من جملة التسلي ايضا
وانهم لفي شك منه من القرآن مريب موقع في القلق والاضطراب وان كلا التنوين عوض المضاف
اليه اي وان كل المختلفين وقرأ نافع وابن كثير وابو بكر ان مخففا على الاعمال قال سيبويه سمعت من اثق
به من العرب ان عمرا لمنطلق وانشد نظيرا له كأن ثدييه حقان وقيس ذلك على لم يك شيئا الا ان
الفعل اصل في العمل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام موطئة للقسم وما مزيدة للفصل بين الموطئة
ولام القسم في ليوفينهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما مشددا اصله لمن ما فادغمت النون
في الميم ومن قرأ ان مخففا ولما مشددا جعل ان نافية ولما بمعنى الا ونصب كلا بفعل يفسره ليوفينهم
ويجوز ان يكون اللام هي الفارقة في قراءة التخفيف ولام الابتداء في قراءة التشديد وما زائدة
للفصل بين اللامين انه بما تعملون خبير لا يخفى عليه شيء منها اطنب في الوعد والوعيد واحوال
الامم وان الرسل بعد التبليغ لم يزغ احد منهم عن سنن الصواب ومن آمن معهم ثم قال فاستقم كما امرت
امره بالاستقامة كما استقاموا ولشدة الوفاء بحق الاستقامة قال شيبتني هود واخواتها يريد
الامر بالاستقامة وروى الترمذي عن ابن عباس ان ابا بكر سأل رسول الله عن سرعة شيبه

ففال شيبتني هود والواقعة وعم يتسآءلون واذا الشمس كورت فالظاهر انه اراد هول القيمة لاشتمال
هذه السور عليها ومن تاب معك عطف على المستكن بلا تاكيد لوجود الفاصل ولا تطغوا لا تتجاوزوا
عن حد الاستقامة تصريح بما علم ضمنا انه بما تعملون بصير اشارة الى كمال علمه بخطرات القلوب وهو
اجل الضماير فهي كالمحسوس المشاهد عنده جلاء وظهورا ولا تركنوا الى الذين ظلموا لا تميلوا ادنى ميل
الى من وجد منه ادنى ظلم غاية تحذير فان قرين السوء اشد اغواء من الشيطان واذا كان الركون
الذي هو ميل يسير الى من وجد منه ادنى ظلم مخلا بالاستقامة فكيف بالميل التام ثم الظلم الكامل
ثم الانهماك فيه فتمسكم النار يترتب على الركون اذ قل ما يخلو عن نوع مداهنة ومشايعة في هواهم
وفي الحديث مثل صاحب السوء كنافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه رايحة خبيثة وما لكم
من دون الله من اوليآء اي وليا يتولى امركم وينصركم بمنع العذاب الواو للحال ثم لا تنصرون اي لا ينصركم
الله لانه لا ناصر بعدا وليآئهم غيره ثم لاستبعاد النصر بعد الايقاظ والتحذير عن ارتكاب اسباب
العذاب واقم الصلوة عطف على فاستقم كما امرت طرفي النهار نصب على الظرف هما الغداة والعشي
والمراد صلوة الصبح والظهر والعصر لان بعد طلوع الفجر الى الزوال غداة ومنه الى الغروب عشية
وزلفا من الليل جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلفة القربة والمراد بها صلوة المغرب والعشاء
لقربها من آخر النهار روي مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله قال الصلوات الخمس كفارات لما
بينهن ما اجتنبت الكباير ولذلك اتبعه بقوله ان الحسنات يذهبن السيئات تكفرها روي البخاري
عن ابن مسعود ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى اصبت من امرأة
قبلة فسكت رسول الله فلما اقيمت الصلوة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلوة فلما انصرف
من الصلوة تعرض له فقال له رسول الله الم تصل معنا قال بلى قال ان هذه الصلوات
كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكباير ذلك اي المذكور من الاستقامة وما بعده وقيل القران ذكرى
تذكير وموعظة للذاكرين للمتذكرين فانهم المنتفعون به واصبر على مشاق ما امرت به من الاستقامة
والانتهاء عما يخل به فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع الظاهر موضع المضمر اشارة الى علة الحكم
والي ان الصلوة والصبر احسان وايمآء الى انه لا يعتد بشئ من الاعمال بدون الاخلاص على ما
فسر به الاحسان في الحديث فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية لولا بمعنى هلا حرف تحضيض
معناها اللوم على ترك الفعل في الماضي اشارا الى ان ما حل بتلك الامم كان لامرين الاخلال
بما هو من اعظم اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الشهوات والبقية من بقية
الشئ لانها تحفظ وتصان اي فهلا كان اولوا بقآء وصانة لانفسهم من سخط الله وعقابه او البقية
بمعنى الفضل والجوده فان المنفق يسمح باخراج الردي يقال زيد من بقايا الناس اي
من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا او من بقيته بمعنى رقبته وانتظرته
ومنه حديث ابن عباس في نومه في بيت ميمونة كرهت ان يرى اني كنت ابقيه والمعنى هلا كان منهم
اولوا خشيه ومراقبه من سخط الله ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واذا
جعل ينهون خبرا فلا يستقيم الاتصال الا على تاويل ان الاسم كالتمهيد للخبر وان الاستثناء من كل
منهما استثناء من الاخر فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا ولو اجري الكلام على ظاهره
في الاتصال وقيل لم يكن في القرون اولوا بقية ينهون الا قليلا يلزم ان يكون فيهم اولوا بقية غير ناهين
عن الفساد ولا يخفى فساده فان قلت فما فايدة الاطناب وهلا قيل فلولا كان من القرون اولوا بقية
الا قليلا قلت فايدة المبالغة بان اهل الفضل منهم اذا ندموا على ترك النهي فغيرهم اولى واتبع

الاستثناء منقطع وينهون خبر لكان ... ومن القرون حال وقلت اوينهون صفة والاستثناء متصل والمعنى لولا كان من القرون اولوا فضل صفتهم وشانهم النهي عن الفساد الا قليلا

الذين ظلموا ما اترفوا فيه المقابلون للقليل الناهين عن الفساد والاتراف الاطغاء من ترفته
النعمه اطغته والمعنى اتبعوا الشهوات واغفلوا الطاعات عطف على ما دل عليه الكلام اي
الا قليلا نهوا عن الفساد او الواو للحال والمعنى انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم
وهو عذاب الاستيصال وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الشهوات وكونهم مجرمين لان تابع
الشهوات غريق في الاثام او اعتراض يوكد ظلمهم ولفظ القوم اشارة الى انهماكهم وتمرنهم في
الاجرام وما قيل من ان المراد بالاجرام اغفالهم للشكر عايد الى الوجهين وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم بغير ذنب لا لانه لو اهلكهم لكان ظلما بل على زعمهم كقوله لئلا يكون للناس على الله
حجة وقوله وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقيل بظلم بشرك واهلها مصلحون
اي فيما بينهم من معاملة الناس وحقوق العباد فان حق الله مبناه على المسامحة ولم يهلك الله قوما
على الشرك فقط وفيه ان عذاب الاستيصال قد رتب على مجردا لتكذيب كما في قصة هود وصالح
وقوله وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وكانوا مجرمين ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
اي متفقة على الاسلام لقوله ولو شاء لهديكم اجمعين ولا يزالون مختلفين في امر الدين الا من رحم
ربك بان خلق فيه التوفيق والهداية ولذلك خلقهم للهداية والتوفيق فالضمير لمن او للاختلاف
وفي الاية دليل على ان الامر لا يستلزم الارادة وان الله لم يرد ايمان الكافر وتمت كلمة ربك
اي قضاؤه وارادته لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاة الطايفتين لاستوائهما
في التكليف يريد الامتلاء بعد الانزواء فلا ينافيه ما رواه البخاري لا تزال تقول هل من مزيد حتى
يضع الجبار فيها قدمه فتنزوي وتقول وعزتك قط قط وكلا نقص عليك من انباء الرسل
اي كل نباء ما نثبت به فوادك بدل من كلا او كلا قصاصا نقص عليك على انه مصدر وما
نثبت به مفعول به ويجوز ان يكون كلا نصبا على الحال من ما او من الهاء ان جوز تقديم الحال
على ذي الحال المجرور والمعنى ان تلك الوقايع ايرادها مكررة باساليب مختلفة تثبيت لك على اداء
الرسالة واحتمال الاذى تاسيا بمن قبلك من الرسل وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في
الانبآء المقتصة فيها ما هو الحق لا كما يقوله اهل الكتاب من خلطه بالباطل وايراد الاخبار لا على
وجهها وموعظة وذكرى للمؤمنين الى آخر الدهر اشارة الى الفايدة العامة وقل للذين لا يؤمنون
اعملوا على مكانتكم وقرا ابو بكر بالجمع على حالكم او تمكنكم انا عاملون كذلك وانتظروا بنا من الدواير
انا منتظرون ان ينزل بكم ما نزل بالمكذبين امثالكم ولله غيب السموات والارض هو يعلم وقت
ذلك والحكمة في تاخيره واليه يرجع الامر كله لا شريك له في ذلك فاعبده استمر على عبادته
او امر لكل واحد وتوكل عليه في مجامع الامور بعد علمك بتفرده بالامر وما ربك بغافل عما
تعملون انت وهم ففيه تغليب الخطاب وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي
بالغيب والضمير للذين لا يؤمنون والخطاب ابلغ

قابل الاتن ف

قرا نافع وحفص على بنا المفعول لانه
متعد مصدره الرجع وبنو الاكثر المختاره

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب المبين تقدم الكلام على الحروف
اوايل السور وان القول المنصور هو القول بكونها اسماء السور فقوله تلك اشارة الى مدلول الر
وهي السورة وايثار تلك لقصد التعظيم كما كذلك الكتاب والمعنى هذه السورة المشار اليها بعض
الكتاب المعجز الواضح اعجازه قالت اليهود للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى
مصر وعن قصة يوسف عليهما السلام فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا الاول حال موطية
والثاني هو الحال او كل منهما حال لان الاول مصدر بمعنى المفعول وجعله حالا من الضمير في المصدر

ذكره الفاضل لان المصدر وان كان
بمعنى المفعول لا يجمع منه

ضعيف لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموا معانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت
اياته او تستعملون عقولكم لتعلموا انه ليس من جنس كلام البشر لانه اتى باحسن القصص من لم يتعلم ولم
يدارس نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص مصدر كالطلب من قص الاثر اذا اتبعه
لان راوي الحديث يتبع ما سمعه ولا يتخطاه كما ان القاري يسمى تاليا لانه يتلو ويتبع آية بعد آية
فالمقصوص محذوف وهو الوحي لدلالة اوحينا عليه ويجوز ان يكون بمعنى المقصوص كالبناء بمعنى المبني به
وان يكون من تسمية المصدر بالمفعول كالخلق وكونه احسن القصص لكونه مقصوصا على ابدع طريقة
واغرب اسلوب ومن تتبع التوارخ والقصص عرف انه لم يقاربه احد في سلاسة الالفاظ وعذوبة المعاني
او لاشتماله على العبر والنكت وسير الملوك والعلماء والصبر على الاذى والعفو بعد الاقتدار بما اوحينا
اليك بايحائنا هذا القرآن اي السورة لانه يطلق على البعض كما يطلق على الكل وقيل يجوز ان
يكون مفعول نقص ان جعل احسن القصص مصدرا ويكون مفعول اوحينا محذوفا وليس بقوي لان

وكونه من التارع

اعمال الثاني في التنازع اولى كما في قوله آتوني افرغ عليه قطرا ولان ايقاع الايحاء على القرآن
فيه من الفخامة ما ليس في ايقاع الاقتصاص وان كنت من قبله لمن الغافلين عنه لم يقرع سمعك ولا
خطر ببالك يقال ارض غفل لا منار بها ذكره زيادة امتنان عليه واشارة الى فضيلة العلم
وان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف منصوب باذكر او بدل اشتمال
اذا كان القصص بمعنى المقصوص لا مصدرا لان الاقتصاص على رسول الله لا يشتمل
على زمان قول يوسف لابيه هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم خليل الله روي البخاري عن ابي هريرة
انه صلى الله عليه وسلم سيل عن اكرم الناس فقال يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن نبي الله الكريم
بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم وليس في الانبياء من له ثلثة اباء متوالية
كل منهم رسول من عند الله غيره وهو اسم عبراني ولذلك منع الصرف واشتقاقه من الاسف بعيد
لان القراءة بضم السين فلا يصح ان يكون مضارعا يا ابت بكسر التاء لانها عوض عن ياء الاضافة
التي الاصل فيها الكسر وفتحها ابن عامر لان الياء لما حذفت عوض عنها الالف ثم ابدل الالف
تاء مفتوحة لتدل الفتحة على الالف وعن المازني ان اصله ابتا على حد قوله يا ابتا علك او عساكا
فيكون الحرفان عوضا عن حرف ولا يمنع ذلك احد خص التاء بالعوض عن الياء لاشتراكهما في علامة
التانيث كما في هاذي وهاتي وهي وانفقت المصاحف على كتابتها بالتاء حيث وقعت واختلف السبعة
في الوقف عليها فابن كثير وابن عامر وقفا بالهاء مخالفا لصورة الرسم وهي لغة قريش والباقون بالتاء

فان قيل شرط القراءة موافقة الرسم
قلت الرسم حقيق وتقديري فلا ضرر
منه

رعاية للرسم وجريا في الوقف على طريقه الوصل اني رايت من الرؤيا لا من رؤية العين بدليل قوله
لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي من قبل احد عشر كوكبا والشمس والقمر الشمس كانت
مثال امه والقمر مثال ابيه العين بدليل قوله والكواكب اخوته فانهم كانوا احد عشر رجلا
ولذلك لما سجد له ابواه واخوته قال هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا رايتهم لي ساجدين
جواب سؤال مقدر كانه قيل كيف رايتهم والجمع بالواو والنون لاجرائها مجرى العقلاء لكون السجود
من افعالهم قال يا بني تصغير ابن تحببا او لانه كان صغير السن قيل كان عمره ثنتي عشرة سنة وقراءة
حفص بفتح الياء لان المصغر اضيف الى ياء المتكلم حالة النداء فقلبت الياء الفا كما في يا غلاما ثم حذفت
وبقيت الفتحة للدلالة عليها والباقون بكسر الياء ليدل على حذف ياء المتكلم لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا كان اثر النجابة لايحا على جماله الفايق ونور النبوة وبهجة الملك رابقا على وجهه
البارق وكان يعقوب عالما بما وقع لهابيل مع قابيل من شؤم الحسد خاف عليه من حسد اخوته والرؤيا

هذه الاشارة ذكرها الفاضل

كالرؤية الا انها تختص بالمنام وليس لذلك سبب سوي تعلق مشيئته تعالى بخلق ذلك في قلب النايم
كما يخلق الرؤية في حالة اليقظة والقول بانطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك
والصادقة منهما انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن
ادنى فراغ فيتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه
فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة قول بما لم يدل عليه دليل شرعي ولا عقلي فلا يليق ان
يفسر به كلامه تعالى وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدون لتضمنه معنى الاحتيال ليكون آكد وابلغ
في التخويف ولذلك اكده بالمصدر ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة دفع لتوهم استبعاد
كيدهم وهم اخوته واولاد الانبياء المصطفين وكذلك يجتبيك ربك اي كما اكرمك بهذه الرؤيا
في الصغر يكرمك بالرسالة في الكبر وعلم ذلك باعلام الله او اخذه من الرؤيا لما روى البخاري انها جزء من النبوة
وكان رسول الله يفسر الرؤيا وتقع على وفق تاويله والاجتباء افتعال من جبيت الشيء اذا
جعلته لنفسك ويعلمك من تاويل الاحاديث من تمام التشبيه كانه قال كما خصك بالرؤيا في الصغر
يعلمك تاويلها في الكبر او كلام مبتداء كانه قيل وهو يعلمك والتاويل من الاول وهو الرجوع والمراد
به رد الشيء الى غايته علما كقوله وما يعلم تاويله الا الله وفعلا كقوله وللنوي قبل يوم البين تاويل
ومنه الايالة وهي السياسة والنظر في عواقب الامور والاحاديث اسم جمع للحديث والمراد احاديث

الله

النفس في المنام وتاويلها تعبيرها وكان يوسف صلوات اعبر الناس للرؤيا واصدق لهجة واشد
فراسة ولذلك قال لصاحبي السجن لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما
وقيل اراد معاني كتب الله تعالى وسنن الانبياء وما اشتبه على الناس من امر الدين وسميت احاديث
لانه يحدث بها عن الله ورسله الا يرى الى قوله فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث
ويتم نعمته عليك بالنبوة او بايصال نعمة الدنيا بالاخرة وعلى ال يعقوب بنيه قيل استدل على
ذلك بضوء الكواكب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق باصطفائهما بالرسالة وقيل بانجاء
الخليل من النار واسحاق من الذبح ولم يذكر نفسه وان كان مرسلا مكرما هضما لنفسه ان ربك
عليم كامل العلم بالاشياء حكيم يختار من يشاء بحكمته لقد كان في يوسف واخوته اي في شانهم وقصتهم
ايات للسائلين دلايل على كمال قدرة الله تعالى او دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم لانه اتى
باحسن القصص من غير تعلم ولا مخالطة اهل كتاب وقرا ابن كثير آية على التوحيد على ارادة الجنس اذ قالوا
ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ارادوا باخيه بنيامين كان هو ويوسف من راحيل تزوجها بعد موت
ليا بنت خاله يعقوب وكانت ام سبعة من بنيه وثلثه منهم كانوا من سريتين تسمى احديهما زلفة
والاخرى بلهة وانما افرد احب وان اريد به المثنى لان افعل التفضيل اذا استعمل بمن لا يثنى ولا يجمع
بخلاف المحلى باللام والمضاف فان التفرقة واجبة في الاول جايزة في الثاني ونحن عصبة والحال انا جماعة
اقوياء وهما صغيران لا كفاية لهما في امر والعصبة من الرجال ما فوق العشرة الى الاربعين من العصب
وهو الشد والاحاطة ان ابانا لفي ضلال مبين واضح لايثاره ما لا نفع فيه ولا كفاية على من هو ذو
الكفاية والنفع اقتلوا يوسف قول بعضهم عند التشاور او اطرحوه ارضا من الاراضي البعيدة
عن العمران ولنكارتها نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم محبته لعدم بقاء من يشغل
قلبه وذكر الوجه لتصوير اقباله اليهم فان الشخص اذا اقبل على الشيء يقبل بوجهه وقيل الوجه
كناية عن الذات ادغم ابو عمرو في رواية واظهر في اخرى اما لضعف الكلمة والخفة بالحذف واما
لان المحذوف كالموجود وتكونوا من بعده من بعد يوسف او قتله لتقدم اقتلوا كقوله اعدلوا

هو اقرب للتقوى قومًا صالحين بالتوبة اولعدم بقآء من يصلح له سواكم او يصلح ما بينكم وبينه بعذر
يمهدونه له كقولهم اكله الذئب ويصلح وينتظم امر دنياكم بالظفر بعدوكم وتكونوا مجزوم عطفًا على
يخل لكم او نصب باضمار ان والواو بمعنى مع قال قايل منهم هو يهوذا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف
فان القتل عظيم بعسر النجاة من تبعته والقوه في غيابة الجب غيابة الشئ ما يستر مظروفه اراد به
قعر الجب وغوره والجب البير قبل ان يطوى من الجب وهو القطع وقرا نافع غيابات هنا والذي بعده بصيغة
الجمع لحمل الجب على الجنس كانه قال في بعض غيابات الجب او المبالغة كقول امرء القيس يزل الغلام الخف عن صهواته
يلتقطه بعض السيارة يأخذه بعض السايرين كما يلتقط الصبي المنبوذ ان كنتم فاعلين ما عزمتم عليه
من التفرقة بينه وبين ابيه او ان كنتم فاعلين ما اشرت به قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف قالوا
ذلك عند التصميم على الكيد به وكانه كان يحس منهم اذ علامات البغض لا تخفى قد بدت البغضاء من
افواههم قرا السبعة لا تأمنا باظهار النون الاولى واختلاس حركتها وبعض النقلة كابن مجاهد
نقل عن السبعة ادغام النون الاولى في الثانية والاشمام وجه الاختلاس ثقل الضمة فخففت به
ويوافق الرسم تقديرا والاختلاس هو الاتيان باكثر الحركة بخلاف الروم فانه الاتيان باقلها والحكمة في ذلك
ان حالة الوقف تستدعي زيادة الخفة ولهذا كان الاصل فيه السكون ووجه الادغام والاشمام تخفيف
ثقل المثلين والاشارة الى حركة المدغم وهو المختار لحصول كمال الخفة مع موافقة صريح الرسم وانا له لناصحون
والحال ان حالتنا تقتضي الاعتماد والوثوق اكدوا الكلام لظهور مخايل الانكار ارسله معنا غدا بعد ان
علمت منا النصح نرتع ونلعب نتمتع بالفواكه ونلهو بالسباق والانتضال وساير انواع اللعب واصل
الرتع اكل الحيوان ما شاء من غير مانع ومزاحم قرا نافع والكوفيون بالياء في الفعلين والكوفيون
بسكون العين في نرتع ووجه الياء اسناد الفعل الى ضمير يوسف والنون اسناده الى ضمير الاخوة
وانما جاز منهم اللعب لسبعة النبوة او كان لعبهم السباق والنضال وهما من ادوات الجهاد التي
يثاب على مزاولتها ووجه اسكان العين وقوعه الامر وكسرها كونها مضارع ارتعى والمختار الياء
لكونه ادعى الى الارسال والكسر ليتم سروره باللعب ونفع ماشيته لان ارتعى معناه رعى الماشية
وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به كان شديد الحب له ولم يكن معتادا
بفراقه واخاف ان يأكله الذئب كان ارض كنعان مذأبة وقيل كان قد رأى في المنام ان ذئبا قد عم
عليه وكان ذلك تعليما لهم ليعتذروا به وفي المثل البلاء موكل بالمنطق قرا السوسي وورش والكسائي
بابدال الهمزة تاء تخفيفا عن الفرآء ان كل حرف متحركه اثقل من ساكنه الا الهمزة فان الامر فيها
بالعكس وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالاستباق قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة استبعدوا ذلك
لوجود المنافي انا اذا لخاسرون جواب القسم واللام في لئن موطئة والمعنى اذا لم نقدر على حفظ واحد
منا فنحن خاسرون مواشينا لكثرتها وتفرقها ونحن احقاء بان يدعى علينا بالخسار فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب والبير على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وهي بير معروفة بجب يوسف لا
يخالف فيها احد وما قيل انها بير بمصر او بارض الاردن لا اصل له كيف وقد جاؤا عشاء يبكون وجواب
لما محذوف لايجاشه السامع ولطوله اي فعلوا به ما فعلوا روي انهم لما برزوا به الى المسرح شرعوا
في ضربه واهانته وقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يسجدوا لك وكلما استغاث بواحد منهم
لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا ان يقتلوه فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فلما
ارادوا القاءه في البير نزعوا عنه قميصه فقال يا اخوتي قميصي اواري به فلم يردوه وكان غرضهم
ان يلطخوه بالدم ليحتالوا به على ابيهم فلما دلوه الى نصف البير القوه ليموت وكان في البير مآء

جواب

فسقط في المآء فاوى الى صخرة فقام عليها وكان جده ابرهيم حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة
وعلقها في عنق يوسف فجاء جبريل فشقها واخرج القميص والبسه اياه واوحينا اليه اوحي اليه هذا
القول لتنبئنهم بامرهم هذا وهذا كما اوحي الى ام موسى مع الاجماع على ان النبوة من خواص الرجال
وقيل اوحي اليه بالنبوة في الصغر كيحيى وعيسى والحق ما في الحديث لا نبوة قبل اربعين سنة وآتيناه
الحكم صبيا مفسر بتهم التورية وعلم الشرايع وهم لا يشعرون انك ذلك الصبي الملقى في الجب لعلو
شانك وعلو سلطانك ولان طول العهد يغير الحلية ويبدل الشكل وكان في ذلك الايحاء البشارة بنجاته
ليتسلى بذلك ويدفع بذلك الامل وحشة الانفراد وقيل لما وردوا عليه ممتارين دعا بالصواع ووضعه
بين يديه وضربه حتى طن ثم قال اخبروني انه كان لكم اخ اسمه يوسف وكان احب الى ابيكم فالقيتموه
في الجب وقلتم اكله الذئب ثم بعتموه بثمن بخس ويحتمل ان يتعلق بقوله واوحينا على معنى انسناه بالوحي
الذي لا مفروح به اعظم منه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه في وحشة وشدة وجاؤا اباهم
عشاء يبكون متباكين قال لهم ما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق افتعل وتفاعل
بمعنى وقيل الاستباق التناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا
صادقين وان كنا من اهل الصدق والامانة لشدة حبك اياه وضعوا الامكان اي اشارة الى ان
تصديقهم كالمستحيل عنده وجاؤا على قميصه بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر كرجل عدل
وهذا هو الوجه لما روي انه اخذ قميصه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بالدم وقال
ما رايت كاليوم ذئبا اكل ابني ولم يمزق قميصه وعلى قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه وهو
في الاصل صفة دم قدم للاهتمام قال بل سولت لكم انفسكم امرا زينته لكم واصل التسول الاسترخاء
يقال سحاب اسول اي مسترخ وانما علم ذلك بالوحي او بامارة وهي سلامة القميص وبما كان يعرفه
من امارات الحسد منهم فصبر جميل اي امري صبر جميل وفي الحديث ان الصبر الجميل هو الذي لا شكوى
فيه الى الخلق ولذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله قيل سقط حاجباه على
عينيه وكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى
اليه يا يعقوب تشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان على ما تصفون اتى بالموصول
اشارة الى عظم الامر كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم وجاءت سيارة قافلة سميت سيارة لجدها في السير
قيل جاؤا بعد ثلثة ايام من قبل مدين يسيرون الى مصر فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا من الجب فارسلوا
واردهم رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم فادلى دلوه
القاه في الجب فتدلى يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى كانه قال تعالي هذا اوانك قرا الكوفيون
بدون الاضافة والباقون بها الى ياء المتكلم واماله الفه حمزة والكسائي وكذا ابو عمرو وفي اخرى فتح في قميصه
وفي آخر قلل واسروه الضمير لاخوة يوسف كانوا يترصدونه فلما اخرج قالوا كان غلاما لنا قد ابق فاشتروه
منا فسكت يوسف خوفا من القتل او الامر اراده الله او الوارد واصحابه اخفوه عن الرفقة وقالوا دفعه
الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر بضاعة حال من المفعول اي اخفوه حال كونه متاعا للتجارة من البضع
وهو القطع لانها المال المقطوع للتجارة والله عليم بما يعملون بما عملوا اشارة الى عظم ما ارتكبوه وشروه
باعوه من الاضداد يستعمل في البيع والشري بثمن بخس ناقص دراهم لا دنانير معدودة تعد عدا ولا توزن
قيل كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وكانوا فيه من الزاهدين غير راغبين الزهد خلاف الرغبة زهد
فيه وعنه بمعنى الضمير في كانوا ان كان لاخوة يوسف فظاهر وان كان للرفقة الواجدين انما كانوا زاهدين

فيه لا تهمرا لتقطوه والملتقط للشئ غير مبال به لانه لم يتعب في تحصيله ولانه بعرضة ان يظهر له مستحق
ينتزعه فان قلت كيف استقام من اخوة يوسف ارتكاب هذه العظايم وهم اولاد يعقوب نبي الله وذرية
ابرهيم خليل الله قلت لم يثبت نبوتهم ولو ثبت نبوتهم كان ذلك قبل النبوة وقد نطق آخر السورة بنبوتهم
وقال الذي اشتراه من مصر بعد ان باعه اخوته او الرفقه وذهب به المشتري الى مصر رغبته الى السوق
فوقع فيه الرغبات حتى اشتراه قطفير وهو العزيز الذي كان على خزاين مصر بوزنه مرات دراهم ودنانير ان كنت
عندك يا مولاي مطرحا فعند غيرك محمول على الحدق وكان فرعون مصر اذ ذاك ريان بن الوليد وكان ليوسف
يومئذ من العمر سبع عشرة سنة فدعا الملك الى الاسلام فآمن ومات في حيوة يوسف فملك بعده قابوس
بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واستوزره ريان بن الوليد وله من العمر ثلثون سنة وانتقل الى
جوار الله صلوات الله عليه وله من العمر مائة وعشرون سنة ونقل موسى تابوته الى حرم الخليل حين خرج
فارا من فرعون ومعه بنو اسرائيل وقصة اخراج تابوته من النيل مشهورة لامرأته المشهور انها زليخا وقيل
راعيل اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا بان يقوم على اموالنا والمثوى المقام او نتخذه ولدا نتبناه فانه كان
عقيما وتفرس فيه آثار الرشد والكفاية وكذلك مكنا ليوسف في الارض كما مكنا له الود والمحبة في قلوب
الناس مكنا له في الارض آتيناه الملك ولنعلمه من تأويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين والله غالب
على امره ولذلك بلغ شان يوسف ما بلغ وبطل عنه كيد اخوته ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولذلك
لا يفوضون امورهم اليه ولا يتأملون في دقايق صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده بو ثماني عشرة سنة وقيل
عشرون سنة وقيل اربعون وقيل اقصاه اثنتان وستون سنة لفظ مفرد كانت لا ثالث لهما وقيل جمع
لا مفرد له كابابيل وعن سيبويه ان مفرده شدة يقال بلغ الغلام شدته آتيناه حكما بين الناس وملكا لقوله
آتيتني من الملك او نبوة فانها سبب الحكم او علما مخصوصا به وهو علم تأويل الاحاديث وكذلك نجزي
المحسنين وكما جزينا يوسف نجزي ساير المحسنين تنبيه على ان ما ناله من الكرامة كان جزاء حسن عمله
واتقائه في عنفوان شبابه وراودته التي هو في بيتها عن نفسه المراودة مفاعلة من راد يرود جاء
وذهب مجاز عن ارادة مواقعته اياه وخداعها والاحتيال في اسباب ذلك اتى بالموصول سترا عليها لان
ذكرها صريحا مستهجن ولان الموصول ادل على كمال تقوى يوسف وطهارة ذيله لانه اذ كان في بيتها معدودا
من الحذم فهي متمكنة منه غاية التمكن فاذا لم تنل منه ما رامته كان ذلك لكونه ثابت القدم في باب
التقوى وغلقت الابواب كانت سبعة ولذلك اتى بصيغة التفعيل الدال على التكثير وقالت هيت لك
اسم فعل من هيت اذا صاح ومعناه تعال قرأ ابو عمرو والكوفيون بفتح الهاء والتاء وياء ساكنة وقرأ
نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان بكسر الهاء وفي رواية هشام بهمزة مكان الياء وله في التاء وجهان
الفتح والضم ووافقه ابن كثير في الضم الا انه فتح الهاء ولم يهمز قال معاذ الله منصوب على المصدر
اعوذ بالله معاذا انه الشان ربي سيدي احسن مثواي كيف اخونه في اهله واجازي احسانه بالاساءة
وقيل الضمير لله اي كيف اعصي مولاي المحسن المتفضل انه الشان لا يفلح الظالمون ومن يجازي الحسنة
بالسيئة ظالم ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته بعد ان غلقت الابواب وهيأت الاسباب وحصل
الميل المركوز في طبع الرجال فاستمرت على ذلك الهم وصممت العزم وكف هو النفس الزكية عن مقتضى
ذلك الميل على الفور كما هو شان ارباب التقوى من هم بسيئة ولم يفعلها كتبت له حسنة فهمه صلوات
الله عليه من هذا القبيل ومن قال الهم هو القصد والعزم ثم قال ـــ المراد ميل الطبع وذلك
لا يدخل تحت التكليف فقد ناقض قوله والتحقيق في هذا المقام ان حديث النفس منه ما ليس خطوره اختياريا
ولا يصدق عليه اسم العزم فذلك غير مؤاخذ به في ملة من الملل ومنه ما يكون معزوما عليه وليس معه

فعل ولا تصميم فذلك ان كان هما بالحسنة كتب حسنة وان كان هما بسيئة فلا تكتب سيئة ما لم
يصمم وهذا من خواص هذه الامة تجاوز الله عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تتكلم او تعمل فان قلت
الحديث دل على ان التصميم ايضا غير مؤاخذ به لانه جعل الغاية التكلم او الفعل قلت من قبيل المفهوم
وقوله في شان المقتول انه كان حريصا على قتل صاحبه منطوق فلا يعارضه لولا ان راي برهان ربه
الدليل القاطع على حرمة الزنا في جميع الملل وحرمة مجازاة الاحسان بالاساءة وكان عالما باحكام الشرع
لقوله واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق وقيل تمثل له يعقوب عاضا على اصبعه وقيل ناداه
جبرئيل وليس بشيء نقلا وعقلا ولهم سوى هذا هنات وخرافات لا يحل ذكرها وجواب لولا محذوف
اي لخالطها ولا يجوز ان يكون المذكور قبل جوابا لان لولا في حكم الشرط كذلك الكاف منصوبا لمحل
اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعة اي الامر كذلك لنصرف عنه السوء وهو الخيانة والفحشاء
الزنا انه من عبادنا المخلصين المصطفين للرسالة قرأ نافع والكوفيون بفتح اللام والمختار الفتح لتوقف
معنى الكسر عليه اذ لا يكون مخلصا الا بعد كونه مخلصا واستبقا الباب يوسف هاربا وهي طالبة له تحدف
الجار او الفعل ضمن معنى الابتدار وقدت قميصه من دبر شقته من ورائه من شدة الجذب والفيا سيدها
لدى الباب فصادفا زوجها على الباب جالسا على عادة الاكابر وسمي الزوج سيدا لانه مالك لبضعها
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ارادت التبرؤ واوهمت انها الفارة
منه وما اما نافية او استفهامية وانما لم تذكر اسمه قصدا الى المبالغة بان من كان بهذه الصفة
يستحق ذلك العقاب يوسفا واكبر منه قال هي راودتني عن نفسي وقع بذلك وصمة الخيانة
سيده لانه خاف من السجن والعذاب ولهذا لما اراد الملك اخراجه من السجن لم يخرج حتى امر
الملك باستكشاف حاله روى البخاري ان رسول الله قال لو كنت مكان يوسف لاجبت الداعي
اراد الثناء عليه بكمال صبره وانه تثبت في ضيق السجن حتى ظهرت براءة ساحته وشهد شاهد
من اهلها صبي كان هناك وفي الحديث تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وصاحب جريج
وشاهد يوسف وعيسى بن مريم وليس فيه ما يدل على الحصر فان ابن صاحبة الاخدود تكلم ايضا
وغيره وكان هذا الكلام من الطفل ارهاصا لنبوة يوسف ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو
من الكاذبين لانها تدل على انها دفعته عن نفسها حين اقباله عليها او انه جرى خلفها فتعثر في
قميصه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه هرب منها فجذبته من ورائه
وقدم ما يدل على صدقها لانها كانت مدعية تقدم حجتها فلما راي قميصه قد من دبر قال انه
من كيدكن الخطاب لها ولتوابعها او لساير النساء تغليبا ان كيدكن عظيم لدقة مسلكه وفي
الحديث اليه اشار رسول الله ـــ لقوله ما رايت اذهب للب الرجل الحازم
من احدى كن وعن مالك بن دينار اني اخاف من شيطان الانس اكثر مما اخاف من شيطان
الجن وذلك لان شيطان الانس يواجه لا سيما النساء فان جبلة الرجال على الميل اليهن
عن علي ابن ابي طالب لو كانت الدنيا ذهبا وعشت فيها وهرا لم اخف على نفسي منها ولا آمن على
نفسي ان ابيت في بيت ليلة مع عجوز يوسف اعرض عن هذا الحديث واجعله نسيا منسيا واستغفري
لذنبك لم ينادها كما نادى يوسف لشدة مواجدته عليها انك كنت من الخاطئين المتعمدين
للذنب من خطئ بالكسر خطأ وخطأ وفيه تغليب الذكور كانه اراد المبالغة لان صفة الرجال اكمل
وقال نسوة قيل كن خمسا امرأة الساقي والسجان والخباز وصاحب الدواب وامرأة الحاجب اسم جمع
ليس له مفرد من لفظه وتأنيث الجموع واسمائها غير حقيقي ولذلك لم يلحق الهاء في المدينة ظرف

والحق ان الذى يؤاخذ به هو العزم والذى نفاه وقيده بالفعل او التكلم هو ثم ذال الفعل المعزوم عليه منه

لقال اوصفة لنسوة يريد مصرفًا فالعهد خارجي امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تريد مواقعة
عبدها اياها قلن ذلك غيرة وتقبيحًا لشانها و لذلك اضافوها الى بعلها ليشتد الامر ويتضح
الانكار والعزيز في مصرهو الوزير والفتى لغة هو الشاب وفي العرف هو العبد وفي الحديث لا يقل
احدكم عبدي وامتي كلكم عباد الله واماء ه وليقل فتاي وفتاتي قد شغفها حبا شق شغافها
من جهة الحب والشغاف غلاف القلب اصل التركيب فدشغفها حبه فاوقع الفاعل تمييزا مبالغة
انا لنريها في ضلال مبين واضح لاسترة به لانها زوجة الملك فكيف رضيت ان تكون عاشقة الغلام
فلما سمعت بمكرهن سمعت مقالتهن سماها مكرا على التشبيه لان الاغتياب يكون خفيه كما يكون
المكر والخديعة كذلك وقيل كانت اسرت اليهن واستكتمتهن فافشينه عليها وقيل لم يكن
قولهن الا لكونهن مغتونات بحبه فاردن بذلك انقطاعها ليخلوهن وجه يوسف ويرده النسا
ارسلت اليهن تدعوهن الى الاجتماع عندها واعتدت لهن متكأ ما يتكأ عليه من النمارق
والطنافس وآتت كل واحدة منهن سكينا قصدت بذلك افتضاحهن لانها كانت تعلم ان جماله
يوسف اذا ظهر سلب عقولهن واوجبت فيه انه اذا رأى الخناجر يبهت ويظن انهن قاصدات له
فيدعن لها وقيل متكأ مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكأون اذا جلسوا للتناول ترفها وعن
مجاهد متكأ طعاما ما يحز حزا كان المعنى متعمدا بالسكين لان القاطع يتكأ على المقطوع وقيل
هو الزماورد وهو الرقاق الملفوف المحشو باللحم وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه استعظمنه
لفايق جماله قيل كان يرى تلألؤ وجهه على الحيطان وقيل اكبرن حضن من شدة الشبق من
قوله اكبرت المرأة اذا حاضت والهاء للمصدر او ليوسف على حذف اللام روى البخاري ان
رسول الله قال رأيته فاذا هو قد اعطي شطر الجمال خف الله واستر الجلال برقع
فانلحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن من فرط الدهشة وقلن حاش لله معاذ
معاذ الله كلمة البرأة والتنزيه قيل حرف جر مستعمل مصدرا واستدل عليه بما قرئ به
منونا واليه ذهب سيبويه واستدل ايضا على حرفيتها بعدم وقوعها صلة لموصول وعن المبرد انها فعل
واستدل عليه بقول النابغه وما احاشي من الاقوام من احد ولانه يقال حاشا لزيد وحرف الجر لا يدخل
على مثله واصل الكلمة حاشا بالالف وبه قرأ ابو عمرو في الوصل والباقون بحذفها وهي لغة الحجاز وعليه
رسم المصاحب ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود من البشر ونصب الخبر بما لغة الحجاز الحاقا لها بليس
لكونها لنفي الحال مثله ان هذا الا ملك كريم لانه لم يعهد مثله في الجمال لبشر وقد تقرر في النفوس جمال
الملائكة ولذلك يشبه بها الصور الحسان كما يشبه بالشيطان الصورة القبيحة ولا دلالة في هذا على فضلية
الملك عند الله قالت فذلكن الذي لمتنني فيه باحت بسرها لما رأت المساعد دع عنك تعنيفي وذق طعم
فاذا طعمت فعند ذلك عنفي واشارت بما وضع للبعيد لعلو شانه وبعد مقامه عن التصور ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم اقرت بما وقع لها مع علمها بان لا لوم ولا عذل منهن والاستعصام المبالغة في التحفظ
ولئن لم يفعل ما آمره الموصول بحذف الجار كما في قوله امرتك الخير لا ليوسف لان الكلام في المأمور به
لا المامور لتعينه وجعله ما مصدرية اي موجب امري مع تكلف عايد الى الاول ليسجنن وليكونا من الصاغرين
الاذلاء من صغر بالكسر يصغر صغارا والنون المؤكدة في ليكونن رسمت الفا اما اجراء للوصل مجرى
الوقف وحملا على التنوين بجامع ان كلا منهما نون ساكنة وقعت طرفا بعد فتحه قال رب السجن احب الي
مما تدعونني اليه اسند الدعوة اليهن كانهن قلن اطع مولاتك واياك والصغار والسجن فالتجأ
الى مولاه وآثر السجن لملاحظة رضاه فان المشاق تضمحل في جنبها ولذلك ترى اهل الصلاح يلتذون

بالعبادات وقيام الليل اكثر مما يلتذون بالماكل والمعازف والنوم على الحرير والا تصرف عني كيدهن
حيلهن وخداعهن اصب اليهن اميل اليهن من الصبوة وفي المثل لكل جواد كبوة ولكل حكيم صبوة ولكل صارم
نبوة واكن من الجاهلين بعضا منهم معدودا من الجهال الذين لا يعلمون عظمة الله ولذلك قيل من عرف الله
لم يعصه فاستجاب له ربه اجابه الى سؤاله وهو الدخول في السجن والنجاة من كيدهن قيل انما ابتلي بالسجن
حيث اختاره ولو سال الله العافية لنجا من كيدهن مع عدم دخوله السجن راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجلا يقول اللهم ارزقني الصبر فقال سالت البلاء فاسأل الله العافية فصرف
عنه كيدهن بان عصمه عن ارتكاب المعصية انه هو السميع لمن دعاه العليم بمن يصلح للاجابة وعنه
صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر يطيل السفر يرفع يديه يقول اللهم وماكله حرام ومطعمه حرام
وغذي بالحرام انى يستجاب له ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ظهر لهم للعزيز ومن في داره من الخدم
وامرأته ليسجننه حتى حين الى زمان ثم ينظر في امره وكان العزيز نسي شهادة الطفل واللواتي قطعن
ايديهن كلا لم ينس لكن كان مطواعا لها على عادة ملوك مصر وقد نقل الجمهور انه كان عنينا هذا وقصد
امرأة العزيز انه اذا لبث في السجن برهة من الزمان يختار رضاها ويترك اللجاج والتورع فانه صبي لا
يقدر على تحمل ضيق السجن وهي تظهر انه حبس لانه مجرم وهذا نوع من المكر بعيد الغور ودخل معه السجن
فتيان اتفق ان دخل ساعة دخوله من خدم الملك شخصان آخران الشرابي والخباز قال احدهما هو الشرابي
اني اراني حكاية الماضي بالمستقبل اعصر خمرا عنبا سماه خمرا باعتبار ما يؤول اليه وقيل الخمر هو العنب
بلغة حمير وقال الآخر الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك
من المحسنين تأويل الرؤيا كان اهل السجن يعرضون الرؤيا عليه فيحسن تأويلها والاولى عدم التقييد
بالرؤيا انا نراك من المحسنين فيما تأتي وتذر كان اذا مرض احد من اهل السجن قام عليه وسعى في امره جهده
واذا احتاج احد جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فشرع يقول لهم
ابشروا واصبروا فان لهذا آخرا وفيه الثواب والاجر فقالوا بارك الله فيك من تكون يا فتى ما احسن وجهك
وما الطف خلقك لقد بورك لنا في جوارك قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل
الله ابرهيم فقال عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك روي ان الفتيين قالا له انا نحبك
فقال اياكما وحبي فوالله ما احبني احد الا ودخل علي من حبه البلاء احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء
واحبني ابي فدخل علي من حبه بلاء واحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء وعن الشعبي انهما
امتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا به انا بثلثة عناقيد من العنب فقطعتها وعصرتها
في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني فوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير
تاكل منه والضمير في تاويله راجع الى ما قصا عليه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل
ان ياتيكما لما وصفاه بما يعرفان من الاحسان على اهل السجن وصف نفسه بما هو فوق ذلك وهو الاخبار بالغيب
بانه يعلم ما يحمل اليهما من الطعام كل وقت ويصف لهما ذلك ويقع الامر على وفق وصفه وانما ذكر هذا
القدر من الثناء على نفسه ليتوصل منه الى الدعوة الى التوحيد مع انه ليس كلاما اجنبيا من السؤال
لان الاخبار بالغيب يناسب تاويل الرؤيا وهذه طريقة الاخيار من الانبياء والعلماء يقدمون الارشاد
والهداية بين يدي جواب الفتيا يسهون بذلك السايل على ان الاولى والاخلق به ما ذكر له لا ما يسال
عنه وفي حكاية الله ذلك اشارة الى ان العالم اذا لم يعلم منزلته في العلم فاذا وصف نفسه بما هو عليه
في نفس الامر وغرضه ان لا يضيع علمه لم يكن ذلك من تزكية النفس المنهي عنها ذلكما مما علمني ربي وحيا
والهاما ليس من الكهانة والتنجيم في شيء اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون

دليل على ان اخباره بالمغيبات تعليم من الله بالوحي فان الكهانة والتنجيم فعل اهل الضلال والنفوس
الخبيثة واتبعت ملة اباءي ابرهيم واسحق ويعقوب وصف لنسبه الطاهر بعد ذكر حسبه تقوية لما هو بصدده
من الدعوة الى التوحيد فان السامع اذا عرف ان طريقه المرشد مسلك الافاضل الاخيار يزداد وثوقه
ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ما استقام لنا معشر الانبياء الاشراك بالله اي شيء كان ذلك التوحيد
من فضل الله علينا معشر الانبياء وعلى الناس المرسل اليهم باتباعنا ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعمة الله
يغفلون عنها يا صاحبي السجن يريد صاحبي الرؤيا والاضافة فيه كالاضافة في كوكب الخرقاء وسارق الليلة او
الصاحب بمعنى الساكن نحو اصحاب الجنة واصحاب النار ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار كل شيء تحت
حكمه وسلطانه مثل ضربه لهم في عبادة الله وعبادة الاصنام لانهم كانوا يعبدون الاصنام ما تعبدون من دونه
الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان كما ان الحجر اذا سمي بالذهب لا حاصل له الا ذلك
الاسم ازال ما اوهمه الكلام السابق من كون الارباب لها معنى الربوبية والضمير في تعبدون لهما ولمن على
التغليب ان الحكم في امر العبادة الا لله لا يشاركه فيه احد امر الا تعبدوا الا اياه بيان لما حكم به ذلك
الدين القيم المستقيم الذي لا عوج به او الذي لا يزول ولا يختلف باختلاف الشرايع ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك فيقعون في الضلال يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا يريد الشرابي لانه الذي راى عصر الخمر
في كاس الملك واما الاخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فلما قص الرؤيا على الوجه المذكور قال
الخباز ما رايت شيئا وانما قلته امتحانا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما قلته كاين لا محالة سواء
كنت كاذبا او صادقا وانما وحد الامر وان كانا الرؤيا امرين لانهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما
وقال للذي ظن انه ناج منهما وانما عبر عن معتقده بالظن لان التاويل كان بالاجتهاد وقيل الظان الشرابي
والاولى ان يكون الظن بمعنى اليقين من يوسف ليلايم جزمه بالاخبار بالغيب اذكرني عند ربك باني
محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه اسناد الى السبب لان النسيان حصل بوسوسته فلبث في
السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع قيل الحكمة في ذلك الابتلاء عتاب
يوسف كيف لم يتكل على لطف الله ويستغن به عن الاستعانة بالكافر فهلا سلك سبيل جده خليل الله لما
جاءه جبريل وهو في المنجنيق وقال له هل من حاجة يا خليل الله قال اما اليك فلا فقال سل ربك
قال علمه بحالي يغنيني عن سؤالي وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان لما دنى فرجه قدر مسبب الاسباب
ان راى ملك مصر رؤيا هايلة عجيبة راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف
فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات فادركت وبلغت اوان
الحصاد فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حال السنابل بما قص من حال
البقرات وانما جعل السمان صفة المميز دون العدد لان المميز هو المقصود والوصف مكمل ياكلهن سبع
عجاف حذف المميز للعلم به وجعل الوصف للعدد دلالة على ان العجاف سبع ليس الا وان السمان لا تنحصر
في السبع هذا طبق الواقع لقلة الشدة وكثرة الرخاء والقول بان التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف
وصف لا يقع البيان وحده ولذلك لم يصف فيه ان ذلك اذا لم تكن قرينة ذكر البقرات جمع العجفاء
على عجاف وان لم يجمع فعلاء على فعال حملا له على سمان لانه نقيضه وسبع سنبلات خضر قد اشتد حبها
واخر يابسات وسبعا اخر يابسات وانما علم كونها سبعا لانصباب الكلام الى هذا العدد وانما حذف لتكرره
كما حذف البقرات من العجاف ولا يجوز عطف اخر على سنبلات خضر ليكون مجرورا مميزا للسبع المذكور لان
لفظ اخر يقتضي المغايرة فيؤدي الى التدافع يا ايها الملا افتوني في رؤياي عبروها نادى الاشراف
لزيادة معرفتهم وللوثوق بتاويلهم وكانه اثر لفظ الافتاء للاشكال ان كنتم للرؤيا تعبرون اللام

للتقوية لان الفعل يضعف بتقدم المعمول عليه كقولك لزيد ضربت ويجوز ان يكون الجار والمجرور
خبر كان وتعبرون خبرا اخر او حالا او ضمن تعبرون فعلا يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا عبرت الى المقصود منها وجاوزتها كما تقول عبرت النهر اذا جاوزته
وعبرت لغتان قالوا اضغاث احلام جمع ضغث وهو قبضة حشيش مختلط رطبه باليابس استعير للرؤيا
التي لا يعرف وجهها ولا يوجد لها اصل تؤول اليه والاحلام جمع حلم وهو ما يراه النايم وما راه الملك
وان كان رؤيا واحدة الا انهم جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان او يكون قد قص عليهم في
تلك الايام مناما اخر وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اي الاحلام المذكورة لانها نكرة اعيدت
معرفة حمله على اعترافهم بانهم ليسوا في علم التعبير نحارير فيه ان قولهم اضغاث احلام ينافيه لاقتضائه
ان لهم علما رضينا بما ليس من هذا القبيل وقال الذي نجا منهما الشرابي الذي نسي ما قاله يوسف من
ذكره للملك وادكر بعد امة مدة من الزمان طويلة جملة معترضة انا انبئكم بتاويله فارسلون
يوسف فارسلوه فلما جاءه قال له يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق الراسخ فيه شاهد
ذلك منه في السجن لا سيما رؤياه ورؤيا رفيقه فانه كان برهانا جليا افتنا في سبع بقرات
سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات وهي رؤيا الملك لعلي ارجع الى الناس
بما تؤول به وانما لم يجزم بالرجوع لانه بصدد الاحترام لعلهم يعلمون قدرك ويكون سببا لنجاتك لم
يجزم بعلمهم فضله لانه كان مسجونا بعد ما راوا منه الايات الدالة على طهارة ذيله ونباهة شانه
فمن لم يؤمن بذلك فلا يبعد منه ان يجهل قدره بعد تاويل الرؤيا قال تزرعون سبع سنين دابا
خبر في معنى الامر وهو ابلغ من صريح ودابا بسكون الهمز وحركته مصدر داب في العمل اذا لازم
واعتاد وبالفتح قرا حفص فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يتسوس اعتراض منه قبل تمام تاويل
الرؤيا نصحا لهم كانه قد وقع ما اخبر به فهو يامرهم بما فيه صلاحهم الا قليلا مما تاكلون فانه
يداس ويصفى ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن في تلك السنين اسناد
الاكل الى السنين مجاز الا قليلا مما تحصنون تحفظونه للبذر ثم ياتي بعد ذلك عام فيه يغاث
من الغوث او الغيث يقال استغثته طلبت منه الغوث او الغيث فاغاثني من الغوث وغاثني
من الغيث قال ذو الرمة قاتل الله بني فلان ما افصحها قلت كيف كان المطر عندكم قالت غثنا
ما شئنا وفيه يعصرون العنب والزيتون وساير ما يعصر من الفواكه والحبوب لكثرتها وعموم الخصب
قرا حمزة والكسائي يعصرون بالخطاب تغليبا على نمط تزرعون وتاكلون بشارة لبرهم بها بعد
تاويل الرؤيا علم ذلك بالوحي لان انتهاء الجدب بالخصب وان كان معلوما لكن لا على الوجه
الذي اخبر به من عمومه وبلوغه الغاية حتى يدخروا من تلك الاصناف وفي تكرير فيه وتقديمه
ما يشد اعضادا وكونه مسندا الى الوحي وقال الملك ائتوني به بعد ما بلغه الرسول تاويل الرؤيا
واعجبه ذلك طلب مشاهدته ومشافهته فلما جاءه الرسول واخبره ان الملك طلبه قال ارجع الى
ربك لم يقل فقال ايماء الى انه قاله من غير تامل ولا توقف حتى كانه لم يتعاقب كلامه كلام
الرسول وفي ذلك زيادة ثناء عليه بان تلك المشقة العظيمة في تلك المدة المستطيلة لم تؤثر
فيه بل كان رايه وفكره على الاستقامة ولذلك اثنى عليه سيد الرسل وقال لو لبثت ما لبث
لاجبت الداعي يشير الى علو همته وانه من الصبر والاستقامة بمكان فاساله ما بال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن كان غرض الصديق في ذلك غرضا صحيحا خاف كيد الحاسدين مرة اخرى وفي الحديث

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فاراد ان يبرئ ساحته ليتسد طريق المكر والتهمة على الحاسدين وليطهر
ذلك للناس لم يذكر امراته وان كانت هي السبب لكلي تحاشيا عن ذكر سيدته بما فيه شين اطلق النسوة
وان كن توابع ان ربي بكيدهن عليم كامل العلم وان كان كيدهن عظيما بعيدا لغور قال ما خطبكن
لما رجع الرسول واخبر الملك بمقالة يوسف جمع النسوة وخاطبهن والخطب الامر والشان اشتهر في الامر
العظيم لانه الذي يسأل عن سببه ويقع التخاطب فيه اذ راودتن يوسف عن نفسه جعل مراودتهن
امرا لا انكار فيه قلن حاش لله اعترفن بالمراودة وبرأن ساحة يوسف عن الميل الى قولهن ما علمنا
عليه من سوء قط لا فيما دعونا اليه ولا في غيره زادوا على الجواب ثناء عليه قالت امراة العزيز
الآن حصحص الحق ظهر وبان لانه كان قبل مستورا انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين اعتراف
الخصم بان عزيمته على الحق وهو على الباطل لا يكون ابلغ منه في الثناء وامنع للشغب ولم يكتف بتصديقه
في القصة المذكورة بل ادرجته في زمرة المتصفين بالصدق على الدوام الملازمين له ذلك
ليعلم اني لم اخنه بالغيب كلام يوسف مع الرسول لما عاد اليه اي ذلك التثبت كان ليعلم الملك
اني لما جعلني امينا في اهله لم يقع مني خيانة وان نسبوني اليها الجار والمجرور حال من الفاعل او
المفعول على معنى انا غايب عنه خفي عن عينه او غايب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون القايل
امراة العزيز اي ليعلم يوسف اني لم اخنه بالغيب بل ذكرت ما هو الواقع والقايل يوسف والضمير
لله اي ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة في الدين لكن قوله بالغيب على هذا الوجه ليس له
ذلك الالتصاق وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا يمضي بكيدهم الى ما توسلوا به اليه والهداية
لو كانت كانت لهم وانما وقعت على الكيد ثم نفيت مبالغة وفيه تعريض بامراة العزيز ان كان هذا
قول يوسف بان كيدها لم ينتج شيئا وما ابرئ نفسي لما ظهرت براءته وكان قصده في ذلك دفع
وصمة الخيانة تواضع لله لئلا يكون مزكيا نفسه معجبا بذلك وجعله من قول امراة العزيز بعيد
كيف وقد وضح انها كانت منبع الفساد ان النفس لامارة بالسوء اما في هذه الحادثة فلما وقع
منه من الهم ولا شك انه فعل النفس واما في احوالها كلها فان جبلتها على ذلك اولم يرد نفسه
بل اراد الجنس وان هذا شانها سواء كانت نفس نبي او غيره ولهذا استثنى بقوله الا ما رحم ربي
الا وقت رحمة ربي او الا نفسا رحمها ربي فعصمها وقيل الاستثناء منقطع والمعنى ولكن رحمة ربي
هي التي تصرف السوء اشارة الى قوله كذلك لنصرف عنه السوء واعترافا به ان ربي غفور للذنوب
بعد وقوعها رحيم يرحم من يشاء بالعصمة وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي لا اشارك فيه
احد لعظم امانته وكمال ديانته فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة
امين حق امين اطلعه لتناول كل شيء تحت يده من الاموال وغيرها روي انه لما خرج من السجن دعا
لاهله وقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار وكتب على باب
السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل ولبس ثيابا
جديدة وتوجه فلما اراد الدخول على الملك فقال اللهم اني سألتك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك
من شره فلما دخل سلم عليه ودعا له بالعبرانية فساله عنها فقال لسان آبائي وقيل توفي العزيز
في تلك الليالي فتزوج يوسف امراته فوجدها عذراء وكان عاقبة التقوى ان اورثه الله ارضهم وديارهم
قال اجعلني على خزاين الارض يريد ارض مصر وكان غرضه في ذلك الاحسان على الناس ورعاية
المحاويج والفقراء في ايام الشدة والغلاء اني حفيظ عليم شديد الحفظ من الضياع كامل العلم بمصارف

الخير ووجوه المكاسب وهذا ايضا اظهار الشرف والفضل لنفع الخلق لا للترفع وتزكية النفس
وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وان كان كافرا فانما تولى منه يوسف لمصالح الكافة كما تتولى
القضاة العادلة من الامراء الظلمة والملوك الفسقة وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي وكما
سخرنا له قلب الملك حتى جعل اموره كلها بيده مكنا له في ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء اي مكان
اراد ان يتخذه منزلا اتخذه من غير مانع ولا مزاحم روي ان الملك توجه وختمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال يوسف اما السرير فاشد به
ملكك والخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك
واقرارا بفضلك فجلس في السرير وشاع امره وحسنت سيرته واحبه الخلق وباع الطعام اول سنة من
سني القحط بالدراهم والدنانير وفي السنة الثانية بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم فانه كان مشروعا في شرعه ثم قال للملك كيف رايت وماذا ترى قال الامر اليك
والراي ما رايت قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم
اموالهم نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين اما في الدنيا او في الآخرة او فيهما على حسب
ما اقتضته الحكمة وجرت به المشيئة ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون المعاصي والمعنى
ان المؤمن المتقي يؤجر على حسناته في الدنيا والآخرة ولكن بين الاجرين بون بعيد اشارة الى
ان ما ناله من ملك الدنيا نزر يسير بالنسبة الى ما اعد الله له من المنازل ولذلك لم يرض الا
بذلك وقال توفني مسلما والحقني بالصالحين وجاء اخوة يوسف اصاب ارض مصر من السنة فارسل
يعقوب بنيه للميرة واحتبس بنيامين شقيق يوسف يتسلى به فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
لم يعرفوه لانه فارقهم في سن الحداثة ولانهم راوه في ابهة الملك على سرير مرصع وعلى راسه
تاج مكلل وراوه من بعيد بين يديه الحجاب ولم ينظروا اليه نظرا يملأ العين وانما عرفهم لعدم
تغيرهم ولانه فارقهم وهم رجال وعن الحسن ما عرفهم الا بعد ان تعرفوا له فانه كان يتوسم في وجوه
الواردين وكانت همته مصروفة الى ان يقف على حالهم وعلى حال ابيه المحزون ولما جهزهم بجهازهم
هيأهم للسفر وجهاز السفر بالفتح والكسر ما يحتاج اليه من الزاد والراحلة قال ائتوني باخ لكم
من ابيكم لما دخلوا عليه كلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن
قوم من اهل الشام رعاة اصابنا جهد جئنا ممتارين قال كانكم عيون تنظرون عورة هذه البلاد
قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم
قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال فكم انتم قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا
هو عند ابيه يتسلى به عن اخيه الهالك قال من يشهد لكم قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد قال
فدعوا بعضكم رهنا وائتوني باخيكم من ابيكم يحمل رسالة من ابيكم فاقترعوا بينهم فوقعت القرعة
على شمعون فخلفوه عنده وكان قد احسن اليهم واكرم نزلهم قيل كان لم يزد كل شخص على حمل فسالوه
حملا زايدا لذلك الاخ الذي يأتون به فاعطاهم الا ترون اني اوفي الكيل ولا ابخس احدا وانا خير
المنزلين وكانوا عاينوا منه ذلك فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون لا تعودوا الى
هذه البلاد فانكم كذبة خونة ولا تقربوا اما نفي معطوف على محل الجزاء اي ان لم تأتوا به تجمعوا
بين حرمان الكيل وعدم القرب او نهي قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه وسنجتهد في تحصيله وانا
لفاعلون ذلك لا محالة لكمال قدرتنا على ذلك بحيث لا مجال للشبهة كلام محقق بالوفاء بالعهد

ان ام ما اصاب ارض

تعرم

وانجاز الوعد وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم امر غلمانه الكيالين ان يجعلوا بضاعة اخوته
في رحالهم بحيث لا يعلمون ذلك وقرا حمزة والكسائي وحفص فتيانه والباقون فتيته فالاول جمع
الكثرة لفتى والثاني جمع القلة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا الاحمال لعلهم يرجعون
لانهم لا يستحلون اخذ البدلين او لعلهم يعرفون حق التكرم برده مع البدل لعلهم يرجعون لذلك
الاحسان وشكره فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل ان لم ترسل معنا اخانا بنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل صريح في ان منع الكيل مشروط بعدم مجيئه الى الملك معهم قرا حمزة والكسائي
بالياء باسناد الفعل الى الاخ والباقون بالنون للمتكلم وانا له لحافظون البتة لا يناله مكروه قال هل
آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل حيث قلتم يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لحافظون
قد قلتم في يوسف ما تقولونه الآن في اخيه فالله خير حافظا منكم فاتوكل عليه قرا حمزة والكسائي وحفص
على وزن فاعل وهو تمييز كقولك طاب زيد فارسا وقيل حال ومنعه ابو علي وقرا الباقون حفظا
وهو ابلغ وعليه الرسم وهو ارحم الراحمين فارجو ان لا يجمع علي مصيبتين فيرده الي لا تتسلى به عن اخيه
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي ما نافية والبغي تجاوز الحد
والمعنى ما نتزيد في وصف الملك الاحسان علينا والاكرام لنا وكانوا قبل فتح المتاع اخبروه بانه اكرمهم
غاية الاكرام حتى لو كان رجلا من آل يعقوب لما فعل معهم ما فعل والبغي هو الطلب والمعنى ما نطلب وراء
ما فعل معنا من الاحسان شيئا او ما نطلب بضاعة اخرى منك هذه بضاعتنا ردت الينا فهي كافية
لنا وعلى الوجهين الاولين جملة مستانفة جارية مجرى الدليل ونمير اهلنا عطف على مقدر اي ردت
بضاعتنا الينا فنستظهر بها ونمير بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عما نخاف عليه في الذهاب والاياب
ونزداد كيل بعير ما يحمله بعير باستصحاب اخينا لان يوسف كان في زمن الغلا يقسط فلا يزيد كل
شخص على حمل ويجوز ان على الاول ـــ عطف الجمل على قوله ما نبغي على معنى لا نتزيد فيما نقول
ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدا كانه قيل وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول
سعيت في حاجة زيد وينبغي ان اسعى ويجب علي ان لا اقصر ذلك كيل يسير مكيل قليل ان لم يكن
اخوهم معهم حثا لابيهم على ارسال اخيه او ذلك اشارة الى كيل بعير وكانه قال ابوهم من اين
لكم العلم بان الملك يسمح لكم بحمل بعير فقالوا ذلك كيل يسير لا يضايقنا فيه لوفور جوده وشدة
عطفه على الغرباء الواردين من شقة بعيدة وقيل ذلك من كلام يعقوب يريد ان حمل بعير شيء نزر
لا غناء له فلا يقدر على فراق ابنه لذلك القدر ويرده قال لن ارسله معكم اذ لو كان ذلك من كلامه
لم يكن لقال وجه فانه ابتداء حكاية كلامه بعد تمام كلام بنيه حتى تؤتون موثقا من الله الموثق
والميثاق هو العهد المؤكد بالايمان اراد تحليفهم وتوكيد عهدهم لتأتنني به جواب القسم الا ان يحاط
الا ان تصابوا بالموت عن آخركم من قولهم احيط بفلان اذا اهلك ومنه قوله تعالى واحيط بثمره او الا
ان تغلبوا وتمنعوا من الحياطة وهي الحفظ والمنع ومنه الحائط والاستثناء من اعم الاحوال اي لتأتنني
على كل حالة الا حالة الاحاطة او من اعم العلل كانه قال ـــ لا تمتنعوا من الاتيان به لامر الا للاحاطة
فلما اتوه موثقهم عهدهم المؤكد باليمين قال الله على ما نقول على ما قلنا من الميثاق وكيل حفيظ
ورقيب هو المطالب بوفاء العهد والميثاق وقال ـــ يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة كانوا ذوي جمال وابهة خاف عليهم ان دخلوا كوكبة واحدة ان يعانوا ولم يتقيد
في المرة الاولى لانهم ما كانوا قد اشتهروا وقيل انما احتاط على بنيامين وتاثير العين نقوة اودعها

الله في بعض العيون وسيأتي انه سبب نزول قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم
وما اغنى عنكم من الله من شيء لكن فايدته دفع وسواس الشيطان بان لو فعلت كذا ربما لم يقع ان الحكم
الا لله منفرد به يفعل ما يشاء لو شاء اصابتكم بشيء لا ينفع الحيل ولا الحذر عليه توكلت لا على غيره
من الاستحفاظ بالاخوة والعهد والميثاق فان تلك الوسايل لا تنافي التوكل وذلك كلبس لامتين
يوم احد وعليه فليتوكل المتوكلون الكاملون في الاتكال حث على ما آثره لنفسه ليقتدى به قدم
الجار في الفعلين للاختصاص وجمع بين الواو العاطفة والفاء لقصد الجمع والسببية ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم من ابواب متفرقة ما كان يغني عنهم راي يعقوب وتفرقهم من الله من شيء قط اخذوا
بالسرقة وحصل لهم الشتات والتفرق ورجعوا الى ابيهم بخبر احزن من خبر يوسف الا حاجة في نفس يعقوب
استثناء منقطع اي لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها هي شفقته عليهم واظهارها لهم وانه لذو علم
ولذا قال لهم وما اغنى عنكم من الله من شيء اعترافا بان الحذر لا يرد شيئا من القدر لما علمناه
بتعليمنا اياه بالوحي اليه امتنان عليه كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما علمه
يعقوب ويحسبون ان الحذر يدفع القدر كمن نفر من الطاعون اذا وقع بارض او لا يؤوي كل من به جرب ونحوه
ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه روي انهم دخلوا به على يوسف وقالوا هذا اخونا قد جئناك به
فقال ـــ اصبتم ستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم فلما اصبح اضافهم واجلس كل اثنين منهم
على مايدة بقي اخوه منفردا ليس له اخ يواكله فشرع يبكي وقال لو كان اخي يوسف حيا اجلسه الملك
معي فقال ـــ يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه على مايدته ثم انزل كل اثنين بيتا وقال هذا
ليس له ثان فلينزل عندنا فبات يوسف يشم رايحته الى الصباح فلما اصبح ساله عن اخيه اله لك
وقال ـــ اتحب ان اكون لك اخا بدله فقال من يجد مثلك اخا ولكن لم يلدك يعقوب فبكى يوسف
وقال بل ولدني يعقوب وراحيل قال اني انا اخوك يوسف وقام اليه وعانقه فلا تبتئس بما كانوا
يعملون فلا تحزن افتعال من البؤس فلما جهزهم بجهازهم فان قلت لماذا ذكر تجهيزهم اولا بالواو
وثانيا بالفاء قلت لم يتقدم هناك منه وعد فعطف القصة على القصة وهنا كان قد تقدم
انهم جاؤا باخيهم يحسن اليهم ويكرمهم جعل السقاية في رحل اخيه هي المشربة التي كان يشرب فيها
مرصعة بالجواهر كانت صاعا يكال به ولعله انما جعلها صاعا في ايام القحط لئلا يقع التبديل بغيرها
ونجس الناس ثم اذن مؤذن نادى مناد من الاذان وهو الاعلام يقال ـــ آذن اي اعلم
واذن اكثر الاعلام ولذلك سمي المنادي الى الصلوة مؤذنا لكثرة وقوعه منه وتكرره ايتها
العير انكم لسارقون العير القافلة لانها تعير اي تجيء وتذهب وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل
لكل قافلة عير وكانه جمع عير واصله عير بضم العين كحمر فعل به ما فعل ببيض وعين انكم لسارقون
لعله مقول المؤذن او قاله يوسف واراد نفسه لما سرقوه من ابيه وباعوه والحق ان يوسف حر لم
يقع عليه اسم المال ولا يصدق على فعلهم اسم السرقة بل اطلاق السرقة على وجدان الصاع في حملهم
مجاز بحسب الصورة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون فقدتموه الفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث
لا يعرف مكانه قالوا نفقد صواع الملك هي السقاية المذكورة ولمن جاء به حمل بعير جعلا له وفيه
دليل على مشروعية الجعالة ان قيل شرع من قبلنا شرع لنا وانا به زعيم ضامن التزم القيام به
وفيه دليل على جواز ضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب لقد علمتم
ما جئنا لنفسد في الارض استشهدوا بعلمهم على براءتهم لما ثبت عندهم من دلايل ديانتهم في كرتي
مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة لئلا يتناول زرعا

رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى مسيرها ولانهم ردّوا البضاعة التى وسّها الفتيان وما كنا سارقين يوما من الدهر قالوا فما جزاؤه اي
لصاع المسروق او السارق منكم ان كنتم كاذبين فى نفى السّرقة قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه
فى شرع يعقوب استرقاق السارق سنة وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم باعادته لافادة حقيته و
الاحتفاظ به كقول المجيب بعد تحقيق المسئلة هذا مما لا مرية فيه الشرطية خبر المبتدء تقديره
جزاؤه من وجد فى رحله فهو الجزاء، وضع المظهر موضع المضمر مبالغة فى عدم اللبس او جزاؤه خبر مبتدء
محذوف كانه قيل المسئول عنه جزاؤه تحقيقا للمراد بقولهم فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ثم اجابوا
عن السؤال بقولهم من وجد فى رحله فهو جزاؤه وهذا كما اذا سئل عن جزاء صيد الحرم من قتله
متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم كذلك نجزى الظالمين اي السارقين او كل ظالم نجزيه على قدر
خيانته كما جزينا السارق فبدء باوعيتهم قبل وعاء اخيه لانهم لو فتّشوا وعاءه قبلها لكل
ربما اوهم انه احتيال ومكيدة ولذلك روي انهم فتّشوا الاحمال ولم يبق الاحمل بنيامين قال
يوسف لاحاجة الى تفتيش حمل هذا فقال اخوه يوسف لا بد منه لتطيب نفس يوسف ولا
يبقى له ريبة ثم استخرجها من وعاء اخيه وفى تم دلالة على انهم لبثوا زمانا بعد تفتيش الاحمال
ولم يبادروا الى حمله لابعاد الظنون عن ارتكاب الحيلة فى شانه كذلك كدنا ليوسف
كان صورة الكيد ولذلك بيّنه بقوله ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك اي ملك مصر فانه
كان فى دينه ضرب السارق واخذ ضعف ما احد دون الاسترقاق ومثله جائز للتوصل الى الحق
كقول ابرهيم عليه السلام لسارة انها اختى الا ان يشاء الله اي الا ان يشاء الله ان يجعل
ذلك الحكم دين الملك او الاستثناء منقطع اي لكن اقتضت مشيئته ذلك وان لم يكن فى دين
الملك نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجات يوسف عليه السلام قرأ الكوفيون بالتنوين
لاضافة ابلغ مدحا وفوق كل ذي علم عليم اي فوق كل فرد من العلماء عالم كامل العلم وهو
الله تعالى اشارة الى ان يوسف مع كونه راسخ القدم فى العلم وقد بلغ من علمه ان قال لصاحبي
السجن لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان يأتيكما لم يتوصل الى تحصيل اخيه
الا باعلام الله تعالى اياه بالوحى وسقط بهذا قول من استدل به على انه تعالى عالم بالذات
لا بالعلم والا لكان فوقه تعالى ذو علم وقيل الكلام فى الخلق فسقط الاستدلال من اصله والمعنى
على هذا ان يوسف قد فاق اخوته وان كانوا علماء والوجه هو الاول لقوله كذلك كدنا
ليوسف قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يريدون يوسف روي انهم لما اخرجوا
السقاية من رحله نكس اخوته رؤسهم حياء وقالوا ماذا فعلت بنا قد سوّدت وجوهنا يا بني راحيل
ما يزال لنا منكم بلاء فقال بنيامين بل بنو راحيل لم يزل لهم منكم بلاء وضع فى رحلى السقاية
من وضع فى رحلكم البضاعة واما سرقة يوسف عليه السلام قبل كان قد اخذ صنما من اصنام جدّه
اي امه فكسره والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت دجاجة او عناق فاعطاها السائل وقيل كانت
لابراهيم منطقه يتوارثها اكابر اولاده فورثها اسحق ثم بعد اسحاق وقعت الى بنته وهى كانت
اكبر من يعقوب وكانت حاضنه يوسف فاراد يعقوب انتزاعه منها وكانت شديدة الحب له فاحتالت
عليه بان شدّت المنطقه على وسط يوسف تحت ثيابه ثم شرعت تفتش عنها واظهرت انها سرقت
ثم فتشت يوسف فاستخرجت من تحت ثيابه فصارت احق به لان جزاء السرقة هو السارق فى شرع
يعقوب كما تقدم فاسرّها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم اي تلك المقالة او نسبة السرقة قال
انتم شرّ مكانا اي منزله لانكم سرقتم يوسف من ابيه قاله فى نفسه لان قوله تعالى قال انتم

شر مكانا بدل من قوله اسرّها يوسف والهاء مفسّرة بقوله انتم شرّ مكانا على تاويل الكلمة او الجملة
كما فى قوله ووصّى بها ابرهيم وليس من التفسير بالجملة والله اعلم بما تصفون اي ان الامر ليس كما تقولون
لا سرقت انا ولا اخى قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فى السّن او فى المقدار استعطفوه عليه
فخذ احدنا مكانه ان اخا له قد هلك وهو عليه ثكلان يستأنس به انا نريك من المحسنين الينا وتمام
الانعام الاتمام او عمّرا الوري احسانك فنحن احق بذلك وقد شرحنا لك حال ابينا قال معاذ الله
ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده من ان نأخذ غيره فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من
انا اذا لظالمون فى شرعكم فكيف يجوز لكم خلافه وكيف يسعكم مخالفه ما افتيتم به وقد ادمج فيه ان
الله امرنى باخذه فكيف يسعنى مخالفته لو فعلت ما تقولونه لكنت من الظالمين المتجاوزين ما امر
الله به فلما استيأسوا منه حصل لهم اليأس الكلى من جوابه القاطع قرأ ابن كثير فى رواية البزّي
بابدال الهمزة الفا بعد القلب مكانا كما فى ناء فاعطى كل من الهمزة والياء صنعه الآخر من الحركة
والسكون لحلول محله خلصوا نجيّا امتازوا عن الخلق متناجين مصدر بمعنى النجوى وهو الكلام الذي
يسارّ به ولذلك لم يجمع وعن الاخفش يقال للجماعة نجى كما يقال صديق لانه على وزن
المصدر والجمع انجيه قال اذا ما القوم كانوا انجيه قال كبيرهم فى السّن وهو روبيل او فى الرأي
وهو شمعون او يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا عهدا مؤكدا من الله من جهته
ومن قبل ما فرطتم فى يوسف ما زائدة اي من قبل هذا قصّرتم فى شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم
او مصدرية محل مدخولها الرفع على الابتداء وخبره الظرف والمعنى وقع من قبل تفريطكم فى يوسف
او النصب عطف على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم تفريطكم
من قبل فى يوسف او موصوله والمعنى ومن قبل ما فرطتموه فى يوسف اي قدّمتموه فى حقه
من الخيانة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض ارض مصر حتى يأذن لى ابى
اي فى الرجوع اليه يتجاوز عنّى او يحكم الله لى بالخروج منها اذ لا راد لحكمه ولا دافع لقضائه او يحكم
بخلاص اخى وقيل او بالمقاتلة مع اهل مصر وفيه بعد وهو خير الحاكمين اذ من سواه يحتمل السهو و
النسيان والغرض فى احكامه ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق سرقة لا ريب فيها
وقرئ سُرّق اي نسب الى السّرقة روي ان ابن سيرين رأى يوسف فى منامه فقال له
يوسف لم تقرأ يا ابن سيرين قوله تعالى ان ابنك سُرِّق على بناء المفعول قال لانه لم يكن سارقا
فقال له يوسف افتح فاك ففتحه فبزق من ريقه فى فم ابن سيرين فالهمه الله تاويل الرؤيا ببركة
ذلك الريق وما شهدنا الا بما علمنا تيقنّاه باخراج الصواع من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما
كنا للغيب حافظين ما غاب عنا هل سرق ام دسّ الصواع فى رحله او وما كنا عالمين بعواقب الامور
حين اعطيناك المواثيق انك تصاب به كما اصيبت بيوسف او انه سيسرق واسئل القرية التى كنا
فيها يريدون مصر فان القرية مجتمع الناس للتوطن كبيرة كانت او صغيرة والعير التى اقبلنا فيها
يشهد كل من اهل مصر والعير بذلك وانا لصادقون تذييل بما فيه معنى القسم قال بل سولت لكم انفسكم
امرا اي ليس الامر كما تقولون بل زينت لكم انفسكم امرا ودبّرتم ما دبّرتم والا من اين علموا ان
السارق يؤخذ جزاء لسرقته لولا تقولونه فان قلت لم يكن لهم فى ذلك تسويل ولا مكيدة فكيف نسبهم
الى ذلك وهم عنه براء قلت بنى على ظنه لما رأى من الامارة كقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن
الصلوة اقصرت ام نسيت كل ذلك لم يكن وكان قد نسى لكن لما كان ظنه انه لم يقع شيء من النسيان
والقصر كان خبره صادقا فصبر جميل اي امري صبر جميل او صبر جميل اجمل والاول اوجه عسى الله

ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه المتخلف انه هو العليم الحكيم الذي دقت حكمته في كل شيء وتولى عنهم
واعرض عنهم من شدة الهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفي هذا اوانك اقبل والاسف
شدة الحزن وبين الاسف ويوسف شبه الاشتقاق وان كان العلم عبريا وانما اسف على يوسف وان كان
الرزء الاحدث اشد لان رزء يوسف كان قاعدة المصائب وفاتحة الاتراح واشار الى انه مع تقادم
عهده غض طري ولانه كان واثقا بحيوتهما دون حيوته وفي الحديث لم يعط امة من الامم انا لله وانا
اليه راجعون الا هذه الامة الا ترى يعقوب لم يسترجع بل قال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن
لكثرة بكائه محقت العبرة سواد عينه قيل كان قد عمي وقيل ضعف بصره وفيه دليل على ان البكاء
لدى المصائب لا يؤاخذ به وقد صح بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وجعفر بن ابي طالب
وسئل عنه فقال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء فهو كظيم
مكظوم مملوء من الغيظ لا يظهره لاحد من كظم فاه اذا سده فعيل بمعنى المفعول والكظم بفتح الطاء
مخرج النفس او بمعنى الفاعل لقوله والكاظمين الغيظ من كظم الشيء اجترعه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف
لا تزال تذكره حذف حرف النفي لعدم اللبس اذ لو كان على ظاهره فسد المعنى ولوجب الاتيان باللام والنون
ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي حتى تكون حرضا مصدر حرض بالكسر
اشتد مرضه حتى اشفى على الهلاك واحرضه الحب افسده قال العرجي اني امرؤ لج بي حب فاحرضني
وفي الحديث يمرض المؤمن حتى يحرضه المرض او تكون من الهالكين مرة واحدة قال انما اشكو بثي مرضي الشديد
من البث هو النشر والتفريق لان المرض اذا قوي لا يقدر صاحبه على اخفائه وحزني الى الله لا الى
غيره فلا يخرج بذلك عن زمرة الصابرين واعلم من الله ما لا تعلمون من فرط رحمته واجابة المضطر اذا دعاه
قيل كان راى ملك الموت في منامه فسأله عن يوسف هل قبض روحه فقال لا هو حي فاطلبه
وقيل كان علم من رؤيا يوسف انه لا بد وان يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه
تعرفوا حالهما وتطلبوا من الحس يقال احس بالشيء اذا علمه باحدى الحواس ولا تيأسوا من روح من فرجه
في الاصل لنسيم الريح انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لان اليأس من رحمته منشاؤه اعتقاد
عدم قدرته على كل شيء او عدم علمه بالاشياء او عدم كرمه وجوده الفياض وقيل كبيرة وليس بكفر لان
اليأس ربما كان لاستبعاد الشيء لبعد اسبابه الظاهرة وان كان اليائس معتقدا في الله كل كمال
قرأ ابن كثير في رواية البزي بالف ثانية بعد هاء ياء مفتوحة في الكلمتين فلما دخلوا عليه اي لما
قال لهم ابوهم ما قال رجعوا رجعة اخرى الى مصر فلما دخلوا على العزيز قالوا يا ايها العزيز
مسنا واهلنا الضر سوء الحال من جهات كثيرة وجئنا ببضاعة مزجاة ردية من ازجيت الدابة اذا
سقتها قال تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا وقال الشاعر يزجي اغن كان ابرة روقه
قلم اصاب من الدواة مدادها كانها من الرداءة تدفع من مكان الى آخر من يد الى اخرى قيل كانت
دراهم زيوفا وقيل حب الصنوبر والحبة الخضراء وقيل سويقا لمقل والاقط فاوف لنا الكيل اتمه
وان كان الثمن رديا وتصدق علينا ارادوا بالصدقة المسامحة والمجاملة سموها صدقة ترقيقا لقلبه
فان الصدقة محرمة على الانبياء والظاهر انهم ارادوا بالصدقة اطلاق اخيهم الا انهم لم يجترؤا
على التصريح به مخافة ان يقول لم تأخذ الا بفتواكم ان الله يجزي المتصدقين المحسنين الصدقة
مأخوذة من الصدق فكل ما تقرب به الانسان صدقة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة
صدقة وتخصيصها بالعطية لثواب الآخرة عرف طار قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه لما توسلوا
الى مطلوبهم بامر الديانة وما فيه حث على طلب الآخرة اتاهم ايضا في طريق الديانة واستفهامه

لم يكن عن نفس ما فعلوه لان الفعل الارادي مسبوق بالعلم لا محالة بل انما كان عن قبحه بدليل قوله
اذ انتم جاهلون قبح ما فعلتموه حثا على التوبة عما فرط منهم فان التوبة اولى
مقاسات البلاء لك شان النفوس الزكية ترك التشفي والتعرض الى اهم الاشياء وادمج فيه ان هذا
الضر اولى بالكشف من الضر الذي شكوه وقيل اذ انتم صبيان لا معرفة لكم وبيده قالوا لئن اكله الذئب
ونحن عصبة مباهين بالقوة الكاملة والحول التام وفعلهم باخيه التفرقة بينه وبين اخيه يوسف
وكانوا يستضعفونه ويجفونه قيل كان قد كتب اليه يعقوب كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح
الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه
ورجلاه ورمي به الى النار فنجاه الله منها وجعلها عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على
قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية فاتوا
بقميصه ملطخا بدم وقالوا اكله الذئب وكان له اخ من امه كنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا
وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فاذا وصل اليك كتابي
رد علي ابني والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك
ان خاطبهم بذلك الخطاب قالوا ائنك لانت يوسف سؤال تحقيق وفيه تعجب وتخييل كانهم من شدة
التعجب لبعد حاله عما عاهدوه عليه لم يصدقوا بانه هو مع كونهم موقنين بذلك ومثله يقع كثيرا
ولذلك قال انا يوسف وهذا اخي صرح باسمه واضاف اليه اخاه ولم يكتف ببلى ليكون تعريفا بلا ريب
ولا شبهة وقرأة ابن كثير بحذف الاستفهام صريحة في معرفتهم ومؤيدة كون الاستفهام ليس على اصله
قد من الله علينا بالسلامة والاجتماع انه من يتق الله ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله
لا يضيع اجر المحسنين وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان من جمع بين التقوى والصبر داخل
في زمرة المحسنين لا ليدل على ان المحسن من جمع بين التقوى والاحسان اذ لا يلزم من انتفاء علة
معينة انتفاء الحكم قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك بحسن السيرة والصورة ومحاسن
الاخلاق وجعلك ملكا واحوجنا اليك وان كنا لخاطئين وان الشان انا كنا آثمين من خطئ بالكسر
اذا تعمد الذنب قال لا تثريب عليكم لا توبيخ من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش ومعناه
ازالة الثرب فاستعير للتقريع الذي يذهب ماء الوجه ثم نفي اليوم متعلق الجار والمعنى لا اثربكم
اليوم الذي هو مظنة التثريب فكيف بساير الايام او بقوله يغفر الله لكم والمعنى انكم بعد ما عرفتم
قبح ذنبكم واعترفتم بانكم كنتم خاطئين فقد غفر الله لكم لقوله واني لغفار لمن تاب ولا ينافيه
قولهم يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا لان العلم بوقوعه بخبر الصديق الصادق لا يمنع الطلب على انه
لو استلزم كان من قبيل استغفار الانبياء هضما للنفس فالفرق بين الدعاء والاخبار وهم وهو ارحم
الراحمين يغفر الذنوب جميعا ويتفضل بما لا عين رأت يوم فتح مكة اخذ رسول الله بعضادتي
الباب وقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم ومن كرم يوسف وتواضعه انه لما عرف نفسه اخوته وكان يدعوهم الى الطعا
بكرة وعشيا ارسلوا اليه وقالوا نحن لنستحيي منك لما فرط منا فقال ان اهل مصر كانوا يستكثرون
علي ما انا فيه ويقولون عبد ثمنه عشرون دينارا فلما عرفوا انني اخوكم وانني من نسل ابرهيم عظمت
في عينهم اذهبوا بقميصي هذا هو القميص الذي كان لابرهيم الذي اخرجه جبرئيل من تعويذه
حين القي في الجب عريانا وكان من حرير الجنة لم يبتل مبتلى رايحته الا عوفي ولهذا قيده بالوصف
فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يصير بصيرا مجاز عن الصيرورة او يأت الي بصيرا معافا سالما

رد على صاحب الكشاف

واتوني باهلكم اجمعين النساء والاولاد والموالي فان قلت اذا كان الاتيان مجازا عن الصيرورة فان
ذكر اتيان الاب وهو المقصود الاعظم قلت علم اتيانه وثوقا بمحبته مع ان امر الاخوة بالاتيان به يشعر
بنوع اجبار عليه فتحل عنه ولما فصلت العير خرجت من مصر من فصل فصولا لازم لا من الفصل بالتعدي
قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف قال لمن حضره من احفاده وساير اهله ارادة من لم يشم رايحته وهو في الجب
على مقدار فراسخ وشمها من مسيرة ثمانين فرسخا حين تعلقت ارادة من لا يسال عما يفعل لولا ان تفندون
تنسبون الى الفند وهو الخرف ونقصان الرأي لشدة الكبر والهرم ولا يقال عجوز مفندة لان نقصان
الرأي في النساء ذاتي واصل الفند الكذب وكانه سمي الخرف به لانه لا يخلو عنه وقد جاء في حديث ام
معبد في وصفه صلى الله عليه وسلم لا عابس ولا مفند على اصله قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم
متمكن فيه لم تخرج عنه ولم يفارقك وهذا هو التفنيد الذي خافه فلما ان جاء البشير يهوذا فانه الذي
اتاه بالقميص ملطخا فقال احزنته انا ابشره القاه على وجهه لان يوسف امره بذلك فقال
القوه على وجه ابي وقيل القاه يعقوب فارتد بصيرا رجع بصيرا يقال رده فارتد قال الم اقل لكم
اني اعلم من الله ما لا تعلمون يريد قوله واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل قوله الم اقل لكم آخر الكلام و
المفعول محذوف اي اني لاجد ريح يوسف وقوله واعلم من الله ابتداء كلام قالوا يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا انا كنا خاطئين وحق على الانبياء اذا جاءهم تايب ان يطلبوا له المغفرة قال تعالى ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما قال سوف استغفر لكم
ربي قيل اخر الاستغفار الى السحر فانه وقت الاجابة وقيل الى ليلة الجمعة رواه الترمذي ويؤيده
لفظ سوف فانه للتراخي في الاستقبال اذ لو كان الى السحر كان استعمال السين وحده وقيل بل اخره الى
ان يطلب من يوسف التجاوز عنهم فان حقوق العباد لا يسقط الا به وفيه بعد اليوم كيف وقد قال
لا تثريب انه هو الغفور الكثير الغفران الرحيم البالغ الرحمة فلما دخلوا على يوسف لاقوه يقال
دخلت على السلطان اذا لاقيته ولو لم يكن في بيت روي انه وجه اليه رواحل واموالا واستقبله
هو والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا مصر معه اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا حين
خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعا وسبعين رجلا سوى الذاري والهرمى آوى اليه ابويه
ضمهما اليه واعتنقهما وعن ابن اسحاق ان امه كانت تحيى وقيل خالته كانت رابة له فكانت ام التربية
ولان الخالة بمثابة الام كما ان العم صنو الاب قيل لما التقيا كان البادي بالسلام يعقوب فقال السلام
عليك يا مذهب الاحزان فقال له يوسف بكيت وجزعت علي حتى ذهب بصرك وقد علمت ان
يوم القيمة تجمعنا فقال بلى ولكن لم اكن اعلم على اي دين انت فكنت اخاف ان يحال بيني وبينك
وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من المكاره باسرها ولذلك الطلق والمشية قيد للدخول المكيف
بالامن الذي هو الغرض الاصلي كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا ولذلك قيل معناه اسلموا وآمنوا و
الشرط المتوسط حذف جزاؤه بل لا يكاد يوجد لذكر في مثله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا الخرور
مقدم على الرفع وانما قدمه اهتماما وجازاهم السجود لكونه بمثابة التحية عندنا وقيل سجدوا لله
شكرا فالضمير لله وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد تقدمت في صدر السورة قد جعلها
ربي حقا طبق الواقع ولم يجعلها من الاحلام الباطلة وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن لم يذكر الجب لانه
كان من الارقاء وان كان عند الله من صفوة الانبياء وقيل لم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا بقال الحين
اليه وجاء بكم من البدو اي البادية كانوا اصحاب المواشي ينتجعون المراعي ويردون المياه من بعد
ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بالقاء العداوة من نزغ الدابة اذا نخسها شبه به اضلال الشيطان

والظاهر انه قد الالقا على الوجه ليس بعيد او يكون جزاء من يلطخ وجهه بالقميص الذي كان معه الدم منه

ان ربي لطيف لما يشاء يوجده بالرفق بحيث يدق على الافكار انه هو العليم الكامل العلم باحوال
الاشياء ومصالح العباد الحكيم الذي يوجد الاشياء على وفق ما اقتضته الحكمة في كل عصر دليل على انه
كونه لطيفا روي انه طاف بابيه في الخزاين فلما دخل به خزانة الاوراق فقال يا بني ما اعقك عندك هذا
الورق ولم تكتب الى ابيك الشيخ قال كذا امرني جبرئيل قال يعقوب اوما تسأله لماذا قال انت ابسط
اليه مني فقال يا جبرئيل لماذا قال كذا امرني لقولك اني اخاف ان ياكله الذيب هلا خفتني
رب قد آتيتني من الملك بعضه وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث بعض تاويلها اذ لم يؤت
الا البعض من الكل او هو تاويل الرؤيا فاطر السموات والارض نصب على الصفة كقولك يا اخا زيد
حسن الوجه او هو نداء ثان والفطور لغة الشق وعن ابن عباس ما كنت اعلم معناه حتى تحاكم الي اعرابيان
يتنازعان في بير فقال احدهما انا فطرتها انت وليي في الدنيا والآخرة تتولاني فيهما لا شريك لك
في شيء وهذا عين التوحيد توفني مسلما والحقني بالصالحين في الرتبة والدرجة وليس فيه ما يدل
على انه تمنى الموت لان الامر لا يدل على الفور بل يسأل ان يكون موته على الاسلام ملحقا باباءه الصالحين
وساير الرسل الكرام كما ان واحدا منا اذا قال اللهم توفني مسلما يريد ذلك ولا يخطر التمني بباله
روي ان يعقوب اقام مع يوسف اربعا وعشرين سنة ثم توفاه الله واوصى ان يدفن في الارض المقدسة
عند ابويه ابرهيم واسحاق فذهب يوسف بجنازته الى هناك ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش ثلثا
وعشرين سنة ثم توفاه الله طيبا طاهرا فاختصم اهل مصر في مدفنه كل طائفة تريد ان يكون
بقربهم لينالوا بركته ثم اتفقوا على ان يجعلوه في تابوت من مرمر ويجعلوه في النيل ليمر عليه الماء
ويكونوا في ذلك سواء لا مزية لاحد على آخر وكان هناك الى ان خرج موسى ببني اسرئيل فاخرجه الى
الارض المقدسة ودفنه عند آبائه الرسل الكرام عليهم من الله افضل الصلوات والسلام ذلك
حديث كما قص عليك مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم
وهم يمكرون غاية التهكم بمنكريه لان طريق العلم فيما يتعلق بالنقل اما السماع او المشاهدة
والسماع لا يقولون به لانهم لا يؤمنون بكتاب فلم يبق الا العيان ولا يظن به عاقل وما اكثر الناس
ولو حرصت بمؤمنين ما سألوه على احسن وجه وابدع نظام ولخمهم ولم يؤمنوا به اشار تعالى الى ان
اظهار الآيات والحرص على الايمان منك لا ينفع اكثر الناس وما تسألهم عليه من اجر على التبليغ حتى
يكونوا بذلك محتجين ان هو الا ذكر للعالمين موعظة لكافة الخلق من غير تخصيص بطايفة فلا يتصور اخذ
الاجر عليه وكاين من آية اي كثير منها في السموات والارض يمرون عليها على تلك الآيات الدالة على وجود
الله وكمال صفاته وهم عنها معرضون لا يتدبرون في شيء منها فاذا لم يتفكروا فيما قصصت عليهم
من انباء الغيب لم يؤمنوا فلا تحزن وما يؤمن اكثرهم بالله وهم مشركون ابلغ في الذم من الاعراض لان المعرض
جهله بسيط وهؤلاء اداهم النظر الفاسد الى الاشراك بعد التامل في الآيات الدالة على التوحيد و
القول بان الآية في المنافقين يرده كون السورة مكية افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب
الله يؤمن اكثرهم بالله مع الاشراك فيامنون مع ذلك ان يحيط بهم نوع من العذاب او تاتيهم
الساعة بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بذلك الاتيان فما حالهم بعد ذلك وما اعتذارهم قل هذه
سبيلي اي الانباء عن الغيب بالوحي والتوحيد ادعو الى الله استيناف لبيان السبيل او حال من
الياء على بصيرة حال من فاعل ادعو اي مستيقنا او متعلق به اي برهان واضح انا تاكيد للمستتر
في الجار والمجرور ان جعل حالا والا فمن المستتر في ادعو ومن اتبعني عطف على المستتر على الوجهين
وسبحان الله عما لا يليق به وما انا من المشركين به تعريض بالخصم وما ارسلنا من قبلك الا رجالا

نوحي اليهم كما اوحينا اليك رد لقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقيل نفي لاستنباء النساء روي عن ابن
عباس رضي الله عنه والله اعلم بصحته قرا حفص بالنون هنا وفي النحل والانبياء اليا على الالتفات
والنون ابلغ نصا على الموحي تصديقا له من اهل القرى سكان المدن لانهم الين عريكة واحسن اخلاقا
وفي الحديث الغلظ والقسوة في الفدادين اهل الوبر افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم استفهام تقرير قد ساروا وشاهدوا ما حل بالامم المكذبة فكان ذلك عبرة لهم لو اعتبروا
ولدار الآخرة خير للذين اتقوا اي دار الحيوة الآخرة او النشأة الآخرة خير من الحطام الفاني افلا تعقلون
افلا تستعملون عقولهم لينتفعوا قرا نافع وابن عامر وعاصم بالتاء خطابا بتقدير القول حتى اذا استيأس
الرسل المنبيا محذوف دل عليه الكلام اي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا جاهدوا في سبيله وتراخى
عليهم النصر وقرا البزي بالف رابعة بعدها يا مفتوحة وظنوا انهم قد كذبوا بتخفيف الذال قراءة
الكوفيين والمعنى ظن الرسل ان انفسهم كذبتهم في تقدير النصر ولم يكن لهم وعد بالنصر في تلك
الواقعة من الله تعالى او ظنوا ان من اطاعهم علانية كذبوهم سرا او الظن مجاز عن الهواجس التي
يذهب بها نور الايمان وهذا تأويل قول ابن عباس على ما رواه عنه البخاري وانكار عائشة رضي الله
عنها عليه بناء على ان الظن على ظاهره وعن ابن جبير ان الظان هم المرسل اليهم لدلالة ذكر الرسل عليهم
والمعنى ان المرسل اليهم ظنوا ان الرسل قد اخلفوا الوعد من الله او هم قد أُخلِفوا الوعد من جهة الرسل
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء اي النبي والمؤمنين قرا ابن عامر وعاصم باسقاط النون الثانية وفتح الياء
ماضيا على بناء المفعول من نجاه والباقون باثبات النون وسكون اليا صيغة المتكلم مضارع انجى وهو
المختار للسياق والسباق ولكونه ابلغ ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين غير الاسلوب ليدل وصف
الاجرام على استحقاق حلول العذاب لقد كان في قصصهم اي الامم المكذبة او يوسف واخوته عبرة لاولي
الالباب العقول السالمة عن شوب الوهم والفاحش والركون الى العادات ما كان حديثا يفترى اي القرآن
ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب والشرايع وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون
الذي يرجع اليه ساير الادلة الشرعية فلا تستند الاحكام الا اليه اما ابتداء او بوسط وهدى اي من
الضلال ورحمة لكونه سببا للنجاة في الدارين واطلاقه في المصادر مبالغة لقوم يؤمنون به لانهم المنتفعون
باحكامه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ساير الرسل

بسم الله الرحمن الرحيم المر اسم للسورة او طايفة من الحروف للايقاظ تلك آيات
الكتاب اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب والمعنى اي هذه السورة ايات السورة الكاملة
العجيبة في بابها فتلك مبتدا وتجوزان يكون خبرا لمر وآيات الكتاب بدلا عنه او بيانا والذي انزل
اليك من ربك مبتدا الحق خبره اي القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا السورة وحدها اجمال
بعد التفصيل اشارة الى ان كمال الكل مما لا يحيط به الوصف لئلا يتوهم خصوص السورة او الموصول
في محل الجر عطفا على الكتاب عطف العام على الخاص وان اريد بالكتاب القرآن كله فمن عطف الصفة
كالحارث في الآية والسنة والقياس منزل بوسط فلا يرد الحصر المستفاد من تعريف الخبر ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون بكونه كلام الله المنزل لاخلالهم بالنظر او الجحود منهم استكبارا الله الذي رفع السموات
مبتدا وخبر بدليل قوله وهو الذي مد الارض لانه سيق السفليات العلويات فينوافقان اسلوبا
والجملة مقررة لقوله والذي انزل اليك من ربك الحق كانه قيل كيف لا يكون كلام من هذه افعاله
هو الحق وانما عدل عن لفظ الرب الى الاسم الجامع تقوية لذلك التقرير وتجوزان يكون صفة والخبر
يدبر الامر بغير عمد في محل النصب على الحال جمع عماد كاهاب واهب او جمع عمود ترونها صفة عمد

لان الى قراءة الستفى بس العود فالعال من باب الاولى منه

او استئناف استشهاد برؤيتها كذلك والمرئي وان كان سماء الدنيا الا انه يعلم منه سايرها بالطريق
الاولى ثم استوى على العرش كناية عن اجراء الاحكام في الملك والملكوت فان الملك يجلس على سريره ثم يظهر
اوامره وسخر الشمس والقمر لما اراد منهما من الحركة المستمرة وفي ذكرهما اشارة الى معنى الاستواء كل يجري
لاجل مسمى لوقت معين وهو ما يتم فيه دوره او الامد الذي ضرب لكل منهما اذا السماء انفطرت واذا
الكواكب انتثرت يدبر الامر يفصل الآيات حالان من الضمير في قوله ثم استوى على العرش على الوجه
الاول لان قوله وسخر الشمس والقمر من تتمته وخبران على الثاني والاول اوجه لان قوله رفع
السموات بنوا الحكم الذي جعل دليلا على ما قبله وعلى الثاني يصير ذريعة لتحقق الخبر وانما
لم يعطف احدهما على الآخر لاستقلال كل منهما بشأن الاول عبارة عن افعاله كالاماتة والاحياء
والايجاد والاعدام والثاني عن اقواله كالايجاب وانزال الكتب لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي توقنوا
بالاحياء بعد الممات لان هذه الاشياء ادلة قاطعة على ان موجدها له كمال القدرة على كل شيء
وهو الذي مد الارض دحاها وبسطها طولا وعرضا لتتكامل فيها المنافع قدم العلويات لان الكلام
في الدلالة على كمال القدرة وهي ادل وجعل فيها رواسي جبالا شوامخ من رسا القدم اذا ثبت وانهارا
مياها جارية ومن كل الثمرات متعلق بجعل وقوله جعل فيها زوجين اثنين مستأنف للبيان او متعلق
بالثاني اي جعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات اسود وابيض حلوا وحامضا او في بدء الفطرة
خلقت زوجين زوجين ثم تكاثرت وفايدة الوصف بالاثنين لئلا يتوهم من عارف الحساب يغشي الليل
النهار يجعل الليل مكان النهار بعد ذهابه وانما عبر عنه بالغشيان مبالغة في الاستتار وعدم ٢
بقاء اثاره كالشيء الملفوف في لباس ساتر وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي يغشي مشددا وهو ابلغ
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون اي في المذكور من قوله مد الارض الى آخر الآية او في كل واحد من
المذكورات آيات دالة على كمال القدرة والحكمة باعتبار الكم والكيفيات لمن تدبرها بعين الاعتبار
وفي الارض قطع متجاورات متلاصقة بعضها طيبة تخرج نباتها وبعضها خبيثة لا تخرج نباتا ولا تمسك
ماء مع الاشتراك في الماهية واتحاد النوع فذلك الاختلاف مستند الى ارادة الصانع الحكيم وجنات
من اعناب وزرع ونخيل اي وفي تلك القطع المجاورة بساتين وزرع ونخيل وقرا نافع وابن عامر
وشعبة وحمزة والكسائي بجرهما عطفا على اعناب وهو المختار لقرب المعطوف عليه ولدلالته على اشتمال
الجنات على هذه الانواع كما في قوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وقرا الجعفي
عن شعبة واللؤلؤي عن ابي عمرو وجنات بالجر عطفا على زوجين والمعنى جعل فيها زوجين اثنين
من كل الثمرات وجنات من اعناب وعلى هذا يجوز عطف زرع ونخيل عليها صنوان نخلات تخرج
من اصل واحد وفي الحديث عم المرء صنو ابيه المثنى والجمع مشتركان صيغة والفرق بالتنوين وعدمه
وغير صنوان متفرقات يسقى بماء واحد دفع لما يتوهم من ان اختلاف الاوصاف مستند الى الماء الذي
هو منشأ حيوة كل حي قراءة بالتذكير ابن عامر وعاصم اي المذكور والباقون بالتأنيث هو المختار
اذ لا نكتة في العدول عن الظاهر ولقوله ونفضل بعضها على بعض قراءة بالغيبة حمزة والكسائي
مسندا الى ضمير اسم الله وبالنون هو المختار لكونه ابلغ في الاكل بسكون الكاف وضمه قراءة الكوفيون
وابو عمرو وابن عامر هو المأكول وفي حديث عايشة رضي الله عنها تصف عمر بن الخطاب بعج الارض
فقاءت اكلها وتفسيره بالثمر لا يستقيم في الزرع الا تغليبا وانما خص الاكل بالذكر دون الشكل واللون
والرايحة لانه العمدة في المنافع ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون جعل الفاصلة يعقلون السابقة
يتفكرون لان بدء خلق الارض وارساء الجبال فيها واجراء الانهار منها وتكوير الليل على النهار

بعج بالتشديد اي شقها

مما يحتاج الى تأمل وافر بخلاف رؤية البساتين وادراك اختلاف انواعها شكلا وطعما وان تعجب
يا محمد من انكارهم الاعادة فعجب قولهم محل تعجب وحقيق ان يتعجب منه لان من قدر على انشاء
هذه الاصول والفروع ولم يعي بخلقهن فبالحري ان يقدر على الاعادة بل هو اهون وايسر
باوايل العقول او المعنى يا من ينظر في هذه الايات وتتعجب من قدرة موجدها فازدد
عجبا من منكر الاعادة مع اعترافه بايجادها من العدم أئذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد مفعول
قولهم او بدل منه والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد وقرا ابن
عامر الاول بالاخبار ونافع والكسائي الثاني والباقون بالاستفهام فيهما وهو الاصل النائم
عن المعارض اولئك الذين كفروا بربهم الكاملون في الكفر الموصول لتعريف الجنس او العهد
كما في اولئك هم المفلحون واولئك الاغلال في اعناقهم كناية عن اصرارهم فان من كان
مقمحا بالاغلال لا يبرح عن مكانه وقد الم به من قال لهم عن الرشد اغلال واقياد او من
جملة الوعيد وهذا اظهر لانه جار على الحقيقة ولكونه تاسيسا واولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون الحصر لاخراج اهل الكباير ويستعجلونك بالسيئة بالنقمة والعذاب في الدنيا
قبل الحسنة الايمان متعلق بيستعجلونك او حال عن السيئة هو قولهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة وقد خلت من قبلهم المثلات العقوبات النازلة بمكذبي الرسل
وكان الواجب عليهم الاسراع الى الايمان برسولهم مخافة ان يصيبهم مثل ما اصاب اولئك
والمثلة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه سمي القصاص مثلا يقال وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم دعاهم الى الايمان بعد ما بين تكاملهم ورسوخ قدمهم في الكفر وانه يغفر
ذنوبهم لو آمنوا مع ظلمهم وان ربك لشديد العقاب لمن اصر على الكفر ولمن شاء وفي الحديث لولا
عفو الله وتجاوزه لما هنا احدا لعيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه آية من ربه لم يعتدوا بما اتى به من الايات واقترحوا عليه ما حكاه الله تعالى وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا انما انت
منذر مبلغ فلا عليك بعد الانذار ولكل قوم هاد يقدر على هدايتهم ان شاء وهو الله تعالى لا غير او ولكل
قوم نبي داع الى الله مثلك ولا عليهم بعد الدعوة عتاب وانما انت نذير وهاد لكل قوم لا كسائر
الانبياء ردا لقولهم لولا انزل عليه آية على ابلغ وجه واثباتا لرسالته على الكافة لانه بعث الى الاحمر
والاسود وقف ابن كثير على هادي بالياء والباقون بحذفها وعليه الرسم الله يعلم ما تحمل كل انثى حملها
او ما تحمله واحدا كان او متعددا ذكرا او انثى وما تغيض ما تنقصه الارحام من المدة وما تزداد منها
اقصى مدة الحمل عند ابي حنيفة رحمه الله سنتان واربع عند الشافعي وخمس عند مالك وقد روي ان
الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع او من عدد الحمل قيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب
ابو حنيفة وعن الشافعي ان شيخا باليمن اخبره ان امرأته ولدت بطونا خمسة خمسة وقيل المراد نقصان
دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذلك ازداد اردف عدم اجابتهم الى ما اقترحوه
كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره للدلالة على ان ذلك لعلمه بانهم معاندون وانما يجاب
المسترشد الطالب للحق وكل شيء عنده بمقدار بقدر وحد لا يتجاوزه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر
عالم الغيب والشهادة الغايب عن الحس والحاضر تعميم بعد التخصيص الكبير البالغ كبرياؤه وشانه
المتعالي عن كل ما لا يليق بجلال جبروته سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به اسمعه غيره
ومن هو مستخف بالليل مختف غاية الاختفاء وسارب بالنهار غاية الظهور من السرب وهو الطريق

وفي حديث ابن عمر اذا مات المؤمن يخلي له سربه حيث يشاء فان قلت الاستواء يقتضي التعدد فكان
حق العبادة ومن هو سارب بالنهار كما في قوله ومن جهر به قلت هو معطوف على من هو مستخف كانه قيل
سواء منكم اثنان مستخف وآخر سارب وانما لم يات بمن الموصوفة كما في المعطوف عليه اشارة الى
كمال علمه بالخفايا والسراير وذلك هو النكتة في زيادة هو ولذلك ايضا قدم اسروا عمله في صريح
القول واتى في الجهر بالضمير مؤخرا او معطوف على مستخف لكن من الموصوفة وان كانت
مفردا متعدد معنى كانه قيل سواء منكم اثنان هما مستخف وسارب كقول الفرزدق نكن مثل من يا ذيب
له معقبات جمع معقب والتاء للمبالغة او معقبة بمعنى جماعة واصل عقب فلان جاء على اثره ومن
اسمائه صلى الله عليه وسلم العاقب لانه جاء بعد الانبياء فالتشديد للمبالغة وقيل من الاعتقاب
ادغمت التاء في القاف نظيره وجاء المعذرون والاعتقاب التناوب وفي حديث ابي هريرة كان هو
وامراته وخادمه يعتقبون الليل اثلاثا من بين يديه ومن خلفه اي من جهاته كلها وانما خص
الجهتين بالذكر لان العدو اكثر ما يقصد منهما يحفظونه من امر الله صلة معقبات او المعنى يحفظونه
من اجل امر الله او يراقبون احواله وقيل يحفظونه من باس الله ونقمته بالاستغفار لقوله
ويستغفرون لمن في الارض وما ابعد قول من فسر المعقبات بالجلاوزة والحرس حول
السلطان يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من شكرها
بالكفران واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا مكان لرده واذا انتفى مكان الرد ينتفي
قطعا وما لهم من دونه من وال من ناصر او من يلي امرهم وقد وقف ابن كثير على وال بالياء
وقد ذكر وجهه في هاد اشار الى ان الحافظ عنايته والمعقبات آثار سلطنته على داب ما يتعارف
الناس والا فعلمه اشمل وحفظه اقوى واكمل هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا ارادة خوف وطمع
مفعول له بتقدير المضاف والمعنى ان عند لمعان البرق يخاف من الصاعقة ويطمع في الرحمة وقيل
الخوف والطمع بمعنى الاخافة والاطماع او نصبا على الحال من البرق او المخاطبين بتقدير ذوا واطلاق
المصدر بمعنى المفعول او الفاعل وينشئ السحاب الثقال جمع ثقيلة وصف السحاب بالجمع لانه اسم الجمع
والواحد سحابة ويسبح الرعد بحمده سامعوه لان الرعد صوت اصطكاك اجرام السحاب او هو لما في الحديث
ان الرعد ملك موكل بالسحاب والبرق من لمعان مخاريق من نار بيده يسوق بها السحاب فيا عشار
صوته الهايل من الايات الباهرة الدالة على كمال قدرته وعظم مخلوقاته وعن الحسن هو خلق من خلق
الله ليس بملك والملائكة من خيفته لكمال علمهم بعظيم سلطانه وعلو شانه الى الرعد وليس بشيء ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء يهلكه او يوقع فيه نقصا يحرق شيء منه وهم يجادلون في الله في شانه
من كمال العلم والقدرة على الاعادة حتى اوردوا ذلك في معرض التعجب ممن يحيي العظام وهي
رميم والجدال شدة الخصومة من الجدل وهو الفتل والجملة معطوفة على قوله ويقول الذين كفروا
لولا انزل المعطوف على ويستعجلونك والعدول من الفعلية الى الاسمية للدلالة على انهم ما ازدادوا
بعد تلك الايات التي تبهر الالباب الا عنادا او يجوز ان يكون عطفا على قوله هو الذي يريكم البرق
على معنى هو الذي يريكم هذه الايات الدالة على كمال العلم والقدرة وانتم تجادلون الالتفات الى
الغيبة تبعيدا لهم عن شرف الخطاب وانهم من الانسانية بمعزل والوجه الاول املا فايدة وقيل
الواو للحال وذلك ان اربد اخا لبيد وفد مع عامر بن الطفيل على رسول الله قاصدين قتله فاخذ اربد
يجادله ويقول اخبرني عن ربنا امن نحاس ام من حديد ودار اربد خلفه وقبض على سيفه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيهما بما شئت فاصابته الصاعقة فاحرقته

اول
كشف الرشاد ودخلت
في تفسير

يحاط ذبا اول سبق
قعلت له لما تكشر ضاحكا وقايم سيفي بدمه
تعال فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذيب يصطحبان

مكانه وخرج عامر فنزل في بيت سلولية فاصابه طاعون فذهب خلف صاحبه الى جهنم وكان يقول غدة كغدة
البعير وموت في بيت سلولية لان سلول اذل قبايل العرب وهو شديد المحال قوي المكايدة والمكر
لا يدافع وفي الحديث ان ابرهيم قال كذبت ثلث كذبات قال رسول الله ما كذب كذبة الا وهو ما حل بها عن
الاسلام يمدحه بذلك واصل المحل قحط المطر ويجوز ان يكون من حال بين الشيئين اذا وقع احدهما عن الاخر
او من حال يحول اذا قدر وقوي على الخصم كما في الحديث اللهم بك اصول وبك احول او الحيلة على غير القياس
ويجوز ان يكون بمعنى الفقار مستعار اللقوة كقوله صلى الله عليه وسلم ساعد الله اشد وموساه احد
ردا على المشركين في قطع اذن البحيرة له دعوة الحق جملة مستانفة والحق ان كان ضد الباطل فالمعنى ان
الله هو الحقيق بان يدعى ويعبد لانه الذي يسمع ويجيب فدعاه غيره دعاء الباطل وان كان من اسمائه
تعالى فاصل الكلام له دعوته فيدل على اختصاص الدعاء به وانما وضع الحق موضع الضمير للدلالة على
انه الثابت وما عداه انما يستفيد ثبوتا بالعرض ثم ان كانت الاية في اربد وعامر فالجملتان دلتا على ان
هلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة
على مجادلة رسول الله بحلول محاله بهم والذين يدعون من دونه اي الاصنام الذين يدعوهم الكفار ويعبدونهم
المفعول محذوف لا يستجيبون لهم بشيء ما من دفع ضر وجلب نفع لانها جمادات الا كباسط كفيه الى الماء
ليبلغ فاه وما هو ببالغه شبه الداعي للاصنام بمن بسط كفيه ناشرا اصابعه يريد اغتراف الماء فانهما
لا يحصلان على طايل لان الماء يتوصل اليه بالقبض لا بالبسط فالاستثناء مفرغ من الاحوال ووجه الشبه
عقلي اعتباري او شبه حال الهتهم حين التجائهم اليها في دفع ما اهمهم في عدم الشعور فضلا عن الاستطاعة
للاستجابة بما يري من عطشان احوج ما هو اليه يناديه عبارة واشارة والمنادي لا دراك له ولا حراك
وعلى الوجهين فيه شايبة تهكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع لا يجلب نفعا سواء دعوا الاصنام
او الله والملايكة تعميم وتاييس لهم من جميع الجهات ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها بانقياد
لما اراده طايعا او كارها اصل السجود الانحناء والانخفاض قال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا اي طاطئ رأسه من
البعير وفي الحديث كان كسري للطايع قال الازهري معناه كان يخفض رأسه وتخصيصه بوضع
الجبهة عرف طارئ وقيل المراد وضع الجبهة والكافر يسجد حال الضرورة وظلالهم ايضا تسجد له وتصرف
على مشيته امتدادا وتقلصا وفيا وزوالا بالغدو جمع غداة كقنى وقناة والاصال جمع اصيل والمراد بهما
الدوام وانما خص الوقتين لظهور الامتداد والتقلص فيهما قل من رب
السموات والارض بعد اقامة الدلايل القاطعة على تفرده بامر الملك والملكوت امره بان يسالهم
عن ذلك ليلزمهم باعترافهم بذلك وانهم لا يجدون سبيلا الى العدول عنه فيترتب عليهم الحجة قل الله حكاية
لقولهم كانه قيل قل ما اجابوك به من قولهم الله اذ قلت لهم من رب السموات او تلقين لهم كانه قيل لقنهم
الجواب فانهم يذعنون له ثم الزمهم بعد ذلك قل افاتخذتم من دونه اولياء شروع في الالزام والهمزة
داخلة على الفاء العاطفة اي بعد ان علمتموه رب السموات والارض جعلتم مكانه اربابا تعبدونها وكان
مقتضى ذلك العلم التوحيد فكيف عميت بصايركم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فضلا عن احداث
ذلك في الغير قل يستوي الاعمى والبصير المشرك والموحد او الجاهل والعالم ام هل تستوي الظلمات والنور
الكفر والايمان وانما جمع الظلمات لاشتمال الكفر على الشبهات والشكوك والحق واضح ابلج الاستفهام
للانكار اي لا استواء وفايدته الحث على التامل وان لا يرضى السامع بدخوله في زمرة العمي المستغرقين
في الظلمات ام جعلوا لله شركاء اي بل اجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه صفة لشركاء فتشابه الخلق عليهم خلق
الله وخلق الشركاء فيكون لهم في ذلك شبهة يحتاج الى ازالتها ولما لم يكن لهم في ذلك شبهة فضلا عن

قال ... من بني سلول
الى الله اشكو نعت طاهر جاه
سلولي فباع على نغلي فعلت
اقطعوها بارك الله فيكم فاني كريم عند خليل
مركوبه فرسه ومات على ظهر
الفرس فوقع الى النار جهنم

يسجد
الطايع السهم الذي يمر فوق الهدف
كانه كان عندهم عنوان الاجابة منه

حل

قراحمزة والكسائي والبوبكر
يستوي بياء التحتية

حجة كان الحكاية عنهم ادخل في الذم وفيه تهكم فانهم جعلوا ما لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا كمن بيده
الامر كله فنبه على مكان التشابه فيا ناعيا عليهم قل الله خالق كل شيء موجد وهو الواحد في الالوهية
القهار كامل القهر والغلبة على الخلايق كلها فهو المستحق للعبادة لا غير انزل من السماء ماء من السحاب
لان ما علاك سماء او من حقيقته الفلك لان المبداء الاول فسالت اودية جمع واد وهو مسيل الماء
بقدرها من الصغر والكبر او بالمقدار الذي علمه الله انه نافع لكل ناحية وتنكير الاودية لان المطر
يقع بحسب العبادة بعض بقاع الارض دون بعض فاحتمل السيل زبدا غثاء رابيا عاليا على وجه
الماء ومما توقدون عليه في النار من المعادن ابتغاء حلية يبتغون صوغ الحلي او متاع من انواع
الاواني والات الحروب والحرث زبد مثله مثل الذي على وجه الماء وقرا حمزة والكسائي وحفص توقدون
بالياء وهو المختار لان الغرض ارشادهم لا المؤمنين كذلك يضرب الله الحق والباطل يمثلهما
ويبرزهما في صورة المحسوس ازاحة للشبهة مثل الحق واهله بالماء المنزل من السماء السايل
في اودية وانتفع الناس به انواعا من الانتفاع من صوغ الحلي واتخاذ الالات والاواني التي
تبقى مددا متطاولة والباطل في سرعة زواله وانسلاخه عن المنفعة بالزبد الذي يرمى به
الماء او الفلز فينعدم في الحال ويمحي اثره فاما الزبد فيذهب جفاء محقوقا مصدر جفاء اي
مرميا يرميه السيل او الفلز نصب على الحال اصله الجحه وفي حديث البراء يوم حنين انطلق
جفاء من الناس الى هذا الحي من هوازن يريد سراعهم واوايلهم واما ما ينفع الناس من الماء
في المنابع والابار والجبوب وما ينشا منها من الثمار واصناف الحبوب المدخرة والمعادن فيمكث
في الارض ازمنة متطاولة وقيل شبه القران المنزل بالماء والقلوب بالاودية ووساوس الشيطان
وهواجس النفس بالزبد الذي يعلو الماء والحق الذي استفيد من القران واستنبط منه بالجواهر
والذهب الخالص من الخبث والباطل الذي يتولد من تلك الوساوس بالجفاء وكما ان الاودية
تتفاوت في الصغر والكبر كذلك القلوب في اخذ المعارف وادراك لطايف التنزيل بحسب الفطرة
والاستعداد وقد الم بذلك المتنبي في قوله ولكن تاخذ الاذهان منها على قدر القرايح والفهوم
وكما ان الماء اذا كان كثيرا قوي الجري يقذف بالزبد الى الجوانب ويصفو كذلك القران اذا
استنار القلوب بحفظه وتامل دقايقه دفع الوساوس وهواجس النفس وكذلك نسبة القلوب
الى الجواهر والمعادن والفلزات بعضها كالذهب وبعضها كالنحاس وبعضها كالحديد كذلك
يضرب الله الامثال للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى
والذين لم يستجيبوا له عطف على المجرور اي الكفرة الذين لم يستجيبوا له والمعنى انما ضرب المثل لهؤلاء
الطايفتين وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا له مبتدا
خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به فيتم الكلام عند قوله كذلك وهذا الوجه
احسن لانه يقع اولئك لهم سوء الحساب في مقابلة الحسنى وفيه زيادة تحيير لهم او ثلاجمال
في جزاء المستجيبين ايماء الى انه لا يدخل تحت الوصف بل يقصر العبارة عن الاحاطة به وسوء
الحساب هو المناقشة فيه وفي الحديث من نوقش في الحساب هلك ومأويهم جهنم مرجعهم
ومرجع وبئس المهاد المقام والمستقر والمخصوص محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق
كمن هو اعمى اي بعد ما ضرب المثل المذكور فهل حال من علم ما انزل اليك هو الحق بمعزل
من حال الجاهل الذي لم يستبصر كما ان حال الزبد وخبث الذهب بمعزل عن مشابهة الماء
والابريز يمكن خلجان الشبهة انما يتذكر اولوا الالباب المراجيح الذين لهم عقول خالصة

ولا يحتاج الى الايضاح
كما قاله القاضي

ينظرون بها نظر الاستبصار الذين يوفون بعهد الله الذي عاهدتم عليه قال لهم الست بربكم قالوا بلى او في كتبه المنزلة من الاحكام والحدود ولا ينقضون الميثاق سواء كان مع الله او مع احد من خلقه والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الارحام وساير الحقوق ومنها الاحسان الى كافة المومنين للاخوة الثابتة بالايمان انما المومنون اخوة وفي الحديث لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وفيه ان من الصدقة ان تلقى اخاك المومن بوجه طلق ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب خصه بالذكر لانه لا مقام للعبد مع الله اشد منه وان تثبت تامل وقوفك بين يدي ذلك السلطان العظيم الشان وقد اخرج لك من عنقك كتابا تلقاه منشورا وقال لك اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وفيه من القبايح ما لو اطلع عليه ادنى الخلق عندك لاستغرقت في الخجل والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم حبسوا انفسهم على المكاره في المواطن كلها طلبا لمرضات الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل ولا لانه لا يعاب بالجزع او يشمت به الاعداء العطف فيه وفي الذي قبله من عطف الصفات واقاموا الصلوة ادوها على وجه الكمال وانفقوا مما رزقناهم بعضه سرا في التطوع وعلانية في الواجب ايثار الافضل وقيل سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ليقتدى به وليلا يتهم بالبخل ويدرؤن بالحسنة السيئة يدفعونها بها قال ان العداوة لتستحيل مودة • يتداركن الهفوات بالحسنات وفي الحديث اتبع الحسنة السيئة تمحها وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا ولا وجه للاطلاق اولئك لهم عقبى الدار خبر الذين يوفون او خبره اولى الالباب والاول اوجه والمعنى عاقبة الدار وما ينبغي ان يكون مآلا والدار هي الدنيا جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها وعدن مصدر عدن اذا اقام وسميت جنات عدن لانها دار الاقامة لا ارتحال عنها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على فاعل يدخلونها وساغ للفصل بالمفعول او نصب لان الواو بمعنى مع ولا لانساب اذا تجردت عن العمل الصالح لا تفيد واذا قارنها ادنى عمل صالح نفعت ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طالب لما حضرته الوفاة بايمان قل لي كلمة واحدة احاج لك بها عند الله وبه تحصيل التوفيق بين قوله من بطا به عمله لم يسرع به نسبه وبين قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم الحقنا بهم ذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب منازلهم للبشارة فوجا فوجا لزيادة الاكرام وتكميل السرور او من كل باب من ابواب التحف التي لا عين رأت ولا اذن سمعت سلام عليكم قايلين هذا القول تهنئة بالسلامة الدايمة بما صبرتم اي هذا بما صبرتم واحتملتم من المشاق او متعلق بعليكم لانه ظرف مستقر فيتعلق بسلام معنى وبسلام والفصل بالجار والمجرور مغتفر كما في قوله عار عليك اذا فعلت عظيم فنعم عقبى الدار من كلام الملائكة ويحتمل ان يكون ابتداء كلام منه تعالى للترغيب والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه هؤلاء مقابلوا اولئك المتصفون باضداد ما وصفوا به ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من صلة الارحام وساير الحقوق ويفسدون في الارض بالقاء الفتن والهرج اولئك لهم اللعنة الطرد والحرمان واستعماله باللام لتضمين معنى الصدق ولهم سوء الدار سوء عاقبة الدار لانه في مقابلة عقبى الدار او عذاب جهنم الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لا غير بيان لموجب شرهم كانوا في ضيق من العيش ييسر لهم رحلة الشتاء وآمنهم من خوف فكان اللايق بحالهم استدامة ذلك بالشكر وفرحوا بالحيوة الدنيا فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله ورحمته وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنبه وبالقياس الى نعيمها الا متاع شيء نزر يتمتع به سريع الزوال كرايحة الورد والرياحين

ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه بعد ما شاهدوا خوارق كانشقاق القمر والقرآن المعجز الباهر قل ان الله يضل من يشاء اي قل لهم لا قصور في الآيات التي جئت بها ولكن الاضلال من الله فاذا شاء اضلال احد لا سبيل الى هدايته وانتم من ذلك القبيل ويهدي اليه من اناب رجع عن العناد وعلم ان مدعي النبوة لا بد له من امر معجز للبشر عن الاتيان بمثله اي نوع كان لتشارك الآيات كلها في معنى الاعجاز الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدأ محذوف والكلام قد تم عند قوله من اناب ثم ابتداء بقوله الذين آمنوا في مقابلة ويقول الذين كفروا وتطمئن قلوبهم بذكر الله بالقرآن او بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وهذا الوجه يناسب الانابة كما ان الوجه الاول شديد الملايمة بقوله لولا انزل عليه آية من ربه ويحتمل ان يكون الذكر بمعنى الدليل اي تطمئن قلوبهم بدلايله الدالة على وحدانيته لان الكلام مع الكفار الذين لم ينظروا في ملكوت السموات والارض بعين الاستبصار الا بذكر الله تطمئن القلوب اتى بحرف التنبيه ايقاظا للكفرة المستغرقين في قلق الشبهات الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب بتقدير المضاف اما لان القلوب المذكورة قلوب المومنين او لادعاء ان قلوب هؤلاء الاجلاء كل القلوب لان الكفار افئدتهم هواء وعلى هذا قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب جملة اعتراضية كانه قيل كيف لا ولا اطمينان للقلوب الا بذكره او مبتدأ طوبى لهم خبره طوبى مصدر على وزن فعلى كزلفى وبشرى من طاب والواو ابدلت من الياء لضمة ما قبلها وروى امام احمد ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رآك قال بلى وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني قال رجل وما طوبى قال شجرة في الجنة وعن ابن عباس وابي هريرة في كل دار منها غصن وحسن مآب مرجع وطيب عيش كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك اي ليس رسالتك شانا خفيا بل من كذبك انما يكذبك عنادا وحسدا فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون في امة قد خلت من قبلها امم كثيرة لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب والحكمة فانت آخر الرسل وامتك آخر الامم لا بدع في الدين شبهه لانه لا نبي بعدك وهم يكفرون بالرحمن البالغ الرحمة الذي ارسلك رحمة للعالمين ولهذا المعنى التفت من التكلم الى الغيبة مع رعاية خصوص هذا الاسم وكما تفرد المرسل من بين الرسل كذلك كتابه لا يضاهيه كتاب قل هو ربي ذلك الموصوف بتلك الرحمة سيدي والمتصرف في لا اله الا هو لا يستحق احد الالوهية سواه عليه توكلت واليه متاب عليه اعتمدت في اموري واليه مرجع الخلق وهو المجازي ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى اي لو كان شيء من الكتب التي تقرأ سيرت به الجبال مقارها او قطعت به الارض قطعا ومزقت تمزيقا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان ذلك هذا القرآن العزيز المبين لكونه في الطبقة العليا في باب التذكير وهذا تصريح بما اشير اليه في قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من تعظيم القرآن وسيشد اركانه بقوله وكذلك انزلناه حكما عربيا وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به سير الجبال وتقطيع الارض وتكلم الموتى لما آمنوا لشدة عنتهم متعلقه بقوله وهم يكفرون بالرحمن بيانا لتصميمهم على الكفر بعد ظهور الآيات وقيل ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطايع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست اهون على الله منه او سخر لنا الريح لنركبها الى الشام ونتجر ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا

تقطع المفاوز كما سخرت لسليمان او ابعث لنا رجلين او ثلثة من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى
تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير وعن الفراء انه متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به فعلى هذا هي جملة حالية وجواب الشرط محذوف لدلالة السابق
عليه وما بينهما اعتراض بل لله الامر جميعا التأثير لا يشاركه احد وله القدرة على كل شيء وانما لم تقع
الآيات المقترحة لعلمه بانهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية افلم ييأس الذين آمنوا الم يعلم لغة نخع
قال سحيم بن اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ولان
الآيس عن الشيء عالم بانه لا يكون الاستفهام للتقرير نحو اليس الله بكاف عبده ان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا اي علموا ذلك ويجوز ان يتعلق بآمنوا والمعنى اولم يقنط المؤمنون بان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا عن ايمان هؤلاء المعاندين ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من سوء الاعمال
قارعة داهية وفي الحديث من لم يغز ولم يجهز غازيا اصابه الله بقارعة واصله الضرب لشدة
ومنه ما قاله عبد الملك بن مروان في وصف سيف الزبير بهن فلول من قراع الكتائب او تحل قريبا
من دارهم فيقلقون منها وذلك ان رسول الله كان يرسل السرايا فتصيب اموال اهل مكة او تخطف
من حولها وقيل او تحل انت يا محمد بجيشك قريبا من دارهم وذلك عام الحديبية حتى يأتي وعد الله
وهو فتح مكة او لا يزال هؤلاء المشركون تصيبهم بافراطهم داهية مهلكة كما اصابت اربد وصاحبه
عامر بن الطفيل وكما اصابت المستهزئين وعلى هذا او تحل قريبا من دارهم انت يا محمد نزوله بالمدينة
او القارعة منه بها حتى يأتي وعد الله ظهور امرك او موتهم او القيمة او فتح مكة وهذا اوجه لان السورة
مكية ان الله لا يخلف الميعاد تذييل لتحقيق الموعود ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت
للذين كفروا تسلية لرسول الله تنفيسا له عما كان يقاسيه عن عناد الكفرة والاملاء الامهال
والمعنى تركتهم ملاوة من الزمان في خفض العيش كاملاء البهيمة في المرعى ثم اخذتهم فكيف كان
عقاب عقابي اياهم اي كان شديدا فظيعا افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت افمن هذه افعاله
كشركائهم حتى يكفروا به وبآياته ويعرضوا عنه وعن الخضوع لكبريائه كانه قال لا عجب في انكارهم
آياتك بعد ظهورها انما العجب كل العجب جعلهم القادر على انزال تلك الآيات المجازي لهم على اعراضهم
عن التدبر فيها كمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن ان يرجى منه جلب نفع او دفع ضر فالخبر
محذوف وجعلوا لله شركاء استئناف ويجوز ان يقدر ما يقع خبر المبتدأ ويعطف عليه وجعلوا كانه
قيل افمن هو بهذه الصفات لم يوحدوه ولم يمجدوه وجعلوا له شركاء قل سموهم ام تنبئونه اذ لا
اسماء لها والقصد تحقيرها بانها من الدناءة بحيث لا يستحق ان يسمى ويذكر باسم ام تنبئونه
بما لا يعلم بل اتنبئونه بشركاء هم لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض ام بظاهر
من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون تحته طائل بل مجرد صوت
فارغ كقوله ذلك قولهم بافواههم وهذا استدلال بديع في اسلوب غريب فانه هدم قاعدة الاشراك
بقوله افمن هو قائم على كل نفس فانه احتجاج من طرف الحق ثم كر عليه بالابطال من طرف النقيض
بان من يجوز له شريك فقد اشركوا به شركاء لا اسماء لها فضلا عن المسمى ثم بالغ في نفيها بان نفى
العلم بوجودها ليلزم منه نفي المعلوم على طريقة الكناية وسلك في ذلك مسلك الانكار توبيخا لهم
بانهم يريدون ان ينبئوا عالم السر والخفيات بما لا يعلمه وذلك محال آخر ثم قال ليس ما يقولونه
كلاما يلتفت اليه ويتأمل بل مجرد صوت ثم اضرب عن ذلك كله واشار الى ما هو الملائم

النخع بفتح النون وسكون الخاء اسم قبيلة وكذا زهدم منه

٥٢

في ذلك الضلال بقوله بل زين للذين كفروا مكرهم كيدهم للاسلام شركهم وصدوا عن السبيل سبيل
الحق قرأ الكوفيون بضم الصاد والباقون بالفتح والضم اوجه لمناسبة زين ولان الكلام في ضلالهم
لا اضلالهم ومن يضلل الله فما له من هاد يوفقه لسلوك سبيل الرشاد وقف عليه ابن كثير
بالياء لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالاسر والقتل وسائر الدواهي ثمرة ذلك الضلال ولعذاب الآخرة
اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من واق حافظ من عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته
فمن ابتدائية وقد وقف ابن كثير عليه بالياء ايضا مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار
مبتدأ وخبر على طريقة قولك صفة زيد اسمر طويل وعن سيبويه فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وتجري
من تحتها الانهار حال من المحذوف من وعد المتقون وعن الزجاج مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار
كلها دائم لا ينقطع وظلها كذلك ليس كظل الدنيا ينسخها الشمس تلك عقبى الذين اتقوا اي الموصوفة
عاقبة حال المتقين ومآل امرهم وعقبى الكافرين النار لم يصف النار لانها ذكرت بالعرض بعد
ذكر الجنة قصدا والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك لانه مصدق لكتابهم فيوقنون
بانه الكتاب الموصوف في كتابهم ارادوا مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن آمن
من النصارى قيل هم ثمانون رجلا اربعون من نجران وثمانية من اليمن واثنان وثلثون من الحبشة
ومن الاحزاب وهم الذين تحزبوا على عداوة رسول الله احبار اليهود من ينكر بعضه ما يخالف
شرايعهم او ما حرفوه من نعت رسول الله والاسلام ويقرون بما فيه من القصص والوقائع قل انما
امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين له كانه قال انما امرت بعبادة الله وتوحيده
فانظروا ماذا تنكرون اليه ادعوا الى عبادته ادعو لا الى شيء سواه واليه مآب مرجعي لا الى
غيره وانتم قائلون بذلك فلا وجه لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه
اصل الكلام مثل هذا الانزال الذي يشاهدونه مشتملا على التوحيد وانما جيء بالمثل زيادة
في تفخيمه حكما عربيا سماه عربيا لكونه مستفادا منه تسمية الحال باسم المحل لان الالفاظ
قوالب المعاني واوعيتها والحكم بمعنى المحكم المتقن كالذكر الحكيم ولئن اتبعت اهواءهم
كانوا يقولون له نعبد ربك ان عبدت آلهتنا سماها اهواء لان الباعث على عبادتها ليس سوى
الاهواء وخطرات النفوس بعد ما جاءك من العلم بانها اباطيل ما لك من الله من ولي ناصر يمنعك
من عقابه ولا واق يحفظك من شر اعدائك وهذا ونظائره من باب الالهاب والتهييج له وحث
للسامعين على الثبات والتصلب في الدين والا فرسول الله قبل النبوة كان بمعزل عن ذلك
فكيف به بعد تلك البراهين والحجج القاطعة ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا
وذرية كانوا يستبعدون ان يكون الرسول بشرا له ازواج وذرية فرده الله بان الرسول
انما ارسل للتبليغ وليس من لوازم ذلك مخالفة بني نوعه بل كونه مثلهم في ذلك ادعى الى
المتابعة وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله بارادته ولا كائن بدون مشيئته لكل اجل كتاب
لكل امر حكم يكتب فيه على العباد على وفق ما اقتضته الحكمة يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يشاء
ويثبت حكمته اثباته وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس من الطاعات والمعاصي لانهم مأمورون
بكتابة كل حركة وسكون بما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقيل يمحو سيئات التائبين
ويثبت مكانها الحسنات لقوله اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقرأ بالتشديد نافع
وابن عامر وحمزة والكسائي وهو المختار لكونه ابلغ وللوفاق في قوله يثبت الله الذين
آمنوا وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ او علمه الشامل فان اللوح

قرأ الكوفيون وابن عامر بضم الكاف

قرأه ابن كثير بالياء وصلا ووقفا

ما النقف

من الكتب ايضا وإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا كالقتل والأسر أي بأن دلالة على
عدم لزوم ذلك وأكده بما اشارة الى انه كاين لا محالة أو نتوفينك قبل وقوعه فإنما عليك البلاغ
لا غير وعلينا الحساب للمجازاة فلا عليك من اعراضهم ولا يهمنك شانهم أولم يروا أنا نأتي الأرض
ننقصها من أطرافها أي قد رأوا ذلك وهو من آيات النصر وعلو الإسلام فما لهم لا يعتبرون وهذا دليل
على أن السورة مدنية إذ لم يكن قبل ذلك فتح بلاد والله يحكم لا معقب لحكمه لا مغير ولا مبطل في محل
النصب على الحال وأصل التعقيب أن تعمل عملا ثم تعود فيه وفي الحديث سئل انس عن التعقيب في رمضان
فنهى عنه وهو أن يصلي النافلة بعد التراويح وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم بعذاب
السرمد وقد مكر الذين من قبلهم كما يمكر هؤلاء فلله المكر جميعا اذ كل مكر مضمحل دون مكره لتفرده
بالتأثير ومكر غيره تخييل باطل يعلم ما تكسب كل نفس من الخير والشر وقد أعد لكل جزاءه وسيعلم الكافر
لمن عقبى الدار أي العاقبة المحمودة وهذا كالتفسير لمكره فإنه أخفى مر العاقبة عنهم فوقعوا
في الضلال المؤدي إلى النار وقرأ الكوفيون وابن عامر الكفار وهو أبلغ لكونه نصا في الأفراد
ولموافقة قراءة ابن مسعود الكافرون ويقول الذين كفروا لست مرسلا كأنهم وقيل رؤساء اليهود
فالموصول معهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فإنه ايدني بمعجزات دالة على رسالتي وهي شهادة
لا تحتمل الريب ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز ومن الكفار الذين
علموا اعجاز القرآن ولم يشهدوا تعريض بأن الخصم لو انصف كان شاهدا وقيل هم علماء أهل الكتاب
الذين آمنوا فإنهم يشهدون بأنه المنعوت في كتبهم وعن الحسن هو الله الذي عنده العلم بما في
اللوح المحفوظ والعطف للإشارة الى الاستقلال بالشهادة نظرا الى كل وصف فكأنه قال لنزله
الألوهية يشهد لي ومن له العلم بما في اللوح فقد شهد بأن ضمن الكتاب المنزل إلي من المعارف ما يبهر
العقول فيوافق الخاتمة فاتحة السورة

بسم الله الرحمن الرحيم الر هذه السورة اسم لها والمؤلف من الحروف مبتدأ خبره
كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك الى ما فيه من المعارف والأحكام من الظلمات الى
النور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتوفيقه وتيسيره من الإذن الذي هو التسهيل
الحجاب الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور استعار النور للهدى أولا لظهوره ثم جعله
جادة لا زيغ فيها موصلة ويحتمل الاستيناف كأنه قيل الى أي نور فقيل الى صراط الله الذي لا يخفى
ظهوره منه الله الذي له ما في السموات وما في الأرض قرأه بالرفع نافع وابن عامر على أنه مبتدأ خبره
الموصول أو خبر مبتدأ محذوف والموصول صفته فالوقف على الحميد تام والباقون بالجر على أنه بدل
وعطف بيان وويل للكافرين من عذاب شديد الويل نقيض الوأل وهو النجاة ينصب نصب المصادر
الا انه لا يشتق منه فعل والمعنى حزن وهلاك لهم من عذاب يقعون فيه أو لهم هذه الكلمة عند ذلك
فإن الواقع في الهلاك ينادي بها الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فإن
المؤثر للشيء يطلب من نفسه أن يحبه ويصدون عن سبيل الله الناس عن سلوكها ويبغونها
عوجا يطلبون لها زيغا واعوجاجا ليتوسلوا به الى الصد والموصول يحتمل الجر صفة للكافرين
والنصب والرفع على المدح أو على انه مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد وصف الضلال بالبعد
على الإسناد المجازي لان البعد حال الضال كقولك جد جده ويحتمل أن يكون صفة الضلال
أي ذي بعد كأنه قيل له بعد لا نهاية لغوره وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه الذين
هو منهم ونشأ بينهم ليبين لهم الأحكام ويفقهوا عنه ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت

آياته أعجمي وعربي ولا يرد بعثه رسول الله على الناس كافة لأن الإنزال بلسان قومه أولى
لأنهم أقرب الناس إليه ولو أنزل إليه بألسنة مختلفة كان في ذلك اعجاز ظاهر ولكن كان يؤدي
إلى اضاعة فضل الاجتهاد وقيل نزلت الكتب كلها بالعربية وأداها كل نبي الى قومه بلغتهم وقد
روي ذلك عن الضحاك وليس بشيء لأنه يلزم أن يكون التورية نازلة على موسى ليفسرها بالعربية
لقوم محمد ودفع ذلك برجوع الضمير الى كل قوم قوم بدليل السياق لا يعتد به فيضل الله من يشاء
بعد بيان الرسل والإرشاد الى الطريق الموصل ويهدي من يشاء هدايته وهو العزيز الذي
لا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يفعل الا لحكمة ولقد أرسلنا موسى بآياتنا لما بين أنه قد أرسل
قبل رسول الله رسلا بالكتب السماوية ذكر قصة موسى مع قومه لكثرة عنادهم وتعنتهم تسلية
لرسوله وآياته العصا وفلق البحر واليد البيضاء وساير معجزاته أن أخرج قومك من الظلمات من
شبه الضلال الى النور الى الهدى أن مفسرة لأن في الإرسال معنى القول أو مصدرية لأن الأفعال
سواء في الدلالة على المصدر فالتقدير بأن أخرج قومك وذكرهم بأيام الله ووقايعه مع مكذبي
الأنبياء كقوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لوقايعها وحروبها وعن ابن عباس
أيام الله نعماؤه وبلاؤه ولعل التخصيص فهم من الإضافة فإنه لا يضاف اليه تعالى الا ما له
شأن إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور كثير الصبر على بلائه دائم الشكر على نعمائه وقيل لكل
مؤمن كناية عن الإيمان نظيره حي مستوي القامة في الكناية عن الإنسان وإذ قال موسى لقومه اذكروا
نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون ظرف للنعمة لأنها بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك
الوقت ويجوز أن ينتصب بعليكم إن لم يكن صلة للنعمة وذلك إذا أريد بها العطية دون
الإنعام ويجوز أن يكون بدل اشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم
طرح الواو في سورة البقرة لأنه جعل التذبيح بيان سومهم سوء العذاب وأثبتها هاهنا كأنه
زاد على ذلك العذاب وصار جنسا آخر مستقلا لغاية فظاعته وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
نعمة عظيمة فذلك إشارة إلى الإنجاء أو نقمة فظيعة إشارة الى التذبيح وإذ تأذن ربكم من مقالة
موسى على نعمة الله كأنه قيل وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله واذكروا حين تأذن ربكم
ومعنى تأذن آذن أي أعلم مع ما في صيغة التفعل من المبالغة فكأنه قال آذن إيذانا بليغا
لا يبقى معه شائبة ريب لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما أنعمت من الإنجاء وغيره من النعم بالإيمان
الخالص والعمل الصالح لأزيدنكم لأضاعفن لكم ما أنعمت ولئن كفرتم إن عذابي لشديد
لم يسند العذاب إلى ذاته كما أسند زيادة النعمة إشارة إلى غلبة رحمته المعطوف والمعطوف
عليه مفعول قول مقدرا ومفعول تأذن لأن فيه معنى القول وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في
الأرض جميعا من الثقلين فإن الله عن شكركم لغني حميد يستحق الحمد حمد أو لم يحمدوه يحمده الملائكة
وفي الحديث حمد الله نفسه قبل حمد الحامدين ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
من كلام موسى أو ابتداء كلام من الله مع هذه الأمة والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله اعتراض
يفيد النفي كأنه قيل ألم يأتكم نبأ هؤلاء ومن لا يحصي عددهم إلا الله فدع التفصيل فإنه لا مطمع
فيه أو الذين من بعدهم عطف على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله اعتراض كأنه قيل ألم يأتكم
الجم الغفير وعن ابن عباس بين عدنان وإسمعيل ثلثون أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود إذا
قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون وقد نفى الله علمها عن العباد جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا أيديهم في أفواههم عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم

الا انامل من الغيظ او اشاروا بايديهم الى ما نطقت به السنتهم من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به
كانهم قالوا هذا جوابنا لكم ليس لكم عندنا غيره او ردوا ايديهم فى افواه الرسل كانهم قالوا اسكتوا
نحن مصرون فلا تنفع فى الاكثار كقوله انا لا اصغى وانت تطيل او الضحك والاستهزاء مجازا
وحمل الايدى على نعم الانبياء من الحكم والشرايع التى هى اجل النعم لا يخفى بعده وقالوا انا كفرنا
بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب موقع فى القلق وذى ريبة من ارابه
او من راب الرجل قالت رسلهم افى الله شك لم ينكروا الشك لوقوعه بل نفوا ان يكون محل الشك
لسطوع البراهين ولذلك وصفوه باظهر الادلة فاطر السموات والارض صفة او بدل يدعوكم لم
يسندوا الدعوة الى انفسهم كما اسنده اليهم الكفرة اشارة الى ان الداعى فى الحقيقه هو الله
والله يدعو الى دار السلام ليغفر لكم اى يدعوكم الى الايمان للمغفرة او يدعوكم الى المغفرة لا لان
اللام بمعنى الى بل ليدل على ان الغاية غرض مقصودة فتفيد معنى الانتهاء مع الاختصاص من ذنوبكم
بعض ذنوبكم وهى التى فى ايام الكفر لا التى بينهم وبين الله لقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف او من بدله لقوله اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات او تبعيضية وابقاء
البعض على الاحتمال لئلا يتكلوا على الايمان لا انه يدل على عدم مغفرة الجميع اذ لا تنافى بين
مغفرة البعض ومغفرة الجميع ويؤخركم الى اجل مسمى الى امد عينه وهو آخر اعماركم قالوا ان انتم
الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فكيف تكونون رسلا دوننا تريدون ان تصدونا بدعواكم البا طله
عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين برهان قاطع يدل على صدق دعواكم وهذا ديدن المعاند
لا يرضى بالمعجزة ويشرع فى الاقتراح تعنتا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم نحن وانتم سواء فى
البشرية ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة تفضلا فكوننا بشرا مثلكم لا ينافى
رسالتنا وما كان لنا ما صح لنا وما استقام ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله بارادته وعلى
الله فليتوكل المؤمنون امروا المؤمنين بالتوكل فدخلوا فيهم دخولا اوليا وهذا ابلغ من قوله
على الله توكلنا وما لنا ان لا نتوكل على الله اى عذر لنا وما يحصل لنا فى عدم التوكل وقد
هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا طريقه الذى يوصل اليه فان قلت الطريق اليه تعالى واحد
وهى سبيل الانبياء قل هذه سبيلى فكيف اتى بصيغة الجمع قلت اصل الدين واحد والفروع مختلفة لكل
جعلنا منكم شرعة او جمعه للتعظيم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون فى توكلهم
او ليزدادوا فى التوكل لان من استوى يوماه فهو مغبون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
ارضنا او لتعودن فى ملتنا منعوا الخلو من احد الامرين اما الاخراج او العود الى ملتهم والرسل
لم يكونوا على ملتهم يوما فالعود اريد به الصيرورة من اطلاق المقيد على المطلق او غليب الامة
على الرسل كما فى قصة شعيب واثروا الظرف على الى لدلالته على الاستقرار فاوحى اليهم ربهم
الى الرسل لنهلكن الظالمين مقول القول لان الايحاء نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم
بعد اهلاكهم وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ذلك اشارة
الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين لمن خاف مقامى المخصوص بى وهو موقف الحساب وقيل المقام
مقحم وخاف وعيد وعيدى واستفتحوا اى الرسل من الفتاحة وهى الحكم كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وقيل الكفرة وقيل الضمير للفريقين كل فريق سال النصر على عدوه وخاب كل جبار عنيد اى
فتح للرسل وخاب كل متكبر عات يؤيد ان المستفتح هم الكفار او الفريقان من ورائه جهنم من بين
يديه قال عسى الهم امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب والوراء وان كان مشتركا الا ان الكافر

اورده هاهنا فوهم كان واحدنا ادا كذب ان مانتصع لدى الك منه كان معول للحافظ اياك وهذا الكلام هاه محال

مولا انه يدل على عدم مغفرة الجميع فهو رد على الى الكاتب وقوله اذ لا تنافى كلام الرضى فانه حاد هذا المفهوم ملغى لانه مفهوم اللقب لم يعد به من قال بالمفاهيم منه

على حرف جهنم لانه مخلوق لها او ذا ارتحاله يوم القيمة اذا بعث ويسقى من ماء صديد عطف
على مقدر تقديره يلقى فيها ويسقى من ماء صديد اشد العذاب عليه ولذلك ابهمه اولا ثم بينه
بقوله صديد والصديد ما يسيل من جلود اهل النار نعوذ بالله من ذلك يتجرعه يتكلف جرعه
لشدة عطشه والجرع الشرب على العجلة ولا يكاد يسيغه لا يقرب ساغته لغاية بشاعته فكيف بالا
ساغة يقال شراب سايغ اذا كان سلس الجريان سهل النزول فى الحلق وياتيه الموت من كل مكان كناية
عن شدة عذابه وكثرة آلامه قيل ياتيه من تحت كل شعرة المستقبل وما هو بميت ليستريح من وجده
ومن ورائه عذاب غليظ فيما يستقبله لم يزل يترقى فى ذلك وهذا دليل على كذب بعض المتصوفة
الجهلة الذين يقولون اذا اعتادوا بالعذاب لا يحس بالالم وعن فضيل بن عياض هو قطع الانفاس
وحبسها فى الاجساد وقيل هذه الآية منقطعة عن قصة الرسل وانما هى فى اهل مكة حين دعا عليهم
رسول الله بالقحط فابتلوا بذلك حتى اكلوا الجيف فاستفتحوا اى طلبوا المطر والفتح من اسمايه
فخيب الله رجاءهم وذكر انه يسقيهم من صديد جهنم هذا وقد صح انهم لما اخذوا بالقحط جاء
ابو سفيان وهو مشرك الى رسول الله وقال يا محمد انك تامر بصلة الارحام وقد ترى ما اصاب
قومك فادع الله ان يسقيهم فدعا رسول الله فسقوا وفيه قال ابو طالب وابيض
يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل مثل الذين كفروا بربهم صفتهم العزيبة
العجيبة مبتدا محذوف الخبر عند سيبويه اى فيما يتلى عليكم وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة
لبيان تحالهم العزيبة او هذه الجملة هى الخبر اى صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد او اعمالهم بدل
كل عن مثلهم وهذا ابلغ معنى والرماد معروف اصله من الرمد وهو الهلاك اشتدت به الريح
قرا نافع الرياح على ارادة الجنس من الجهات فى يوم عاصف العصف شدة هبوب الريح وصف به
اليوم مبالغة كما فى نهاره صايم وليله قايم بالغ فى وصف الريح بالشدة حيث اسند فعل الا
شتداد اليه ثم وصفه بالعصف الذى هو شدة الهبوب ثم وصف به زمانه لا يقدرون
مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد اشاره الى ما هم فيه من الحسبان الباطل كانوا
يطعمون الجايع ويكسون العارى ويغيثون الملهوف ولا يدعون مفخرة الا سابقوا اليها ولكن حيث
لم تكن مسبوقة بما هو الاساس وهو الايمان والتوحيد كانت كالصلوة بلا وضوء وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الم تر ان الله خلق السموات والارض خطاب لسيد القوم
والمراد امته او لمن يتاتى منه الرؤية بالحق بالحكمة التى اقتضته مشيته ليكون اظهر لدلالة
على قدرته على الاعادة وعلى كل ممكن وقرا حمزة والكسائى خالق اسم فاعل والمختار الماضى لان
المعنى عليه ووفاقا لساير الايات ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد يعدمكم ويخلق مكانكم قوما
آخرين لان من قدر على خلق السموات والارض كان اعدامكم منه والاتيان بامثالكم اهون
شئ عنده وما ذلك على الله بعزيز بعسير اصل العزة القوة والشدة وبرزوا لله جميعا يبرزون
يوم القيمة للحساب والجزاء عبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه او يبرزون لله فى اعتقادهم
فانهم فى الدنيا كانوا يخفون ما ارتكبوه من الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله خيالا
فاسدا فقال الضعفوا للذين استكبروا اى الاتباع للرؤساء فان قلت لم رسمت
الهمزة واوا فى الضعفوا والشفعوا ونظايرهما قلت لان قياس تخفيفهما فى الوصل بالتسهيل
والوقف بالروم كالواو فرسمت عليه قال ابو عمرو الدانى فى المقنع رسمت على مراد الايصال

المقنع اسم كتاب لابى عمرو صاحب التيسير فى علم الرسم منه

والتسهيل والقول بانها رسمت على لفظ من يفخم بالالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو وليس
بشيء اذ لم يقرأ به احد من القراء فان قلت فما وجه الالف بعدها قلت وجه الالف بعدها ما قال
ابو عمرو ولما تطرفت الواو اشبهت واو الجمع في قالوا فالحقت بها انا كنا لكم تبعا مقلدين
لكم معرضين عن الرسل ونصايحهم جمع تابع كغايب وغيب ومصدر نعت به فهل انتم مغنون عنا
صارفون من اغنى عنه شره كفه من عذاب الله من شيء من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه
قيل هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله وانما قدم البيان على المبين للاهتمام
ويجوز ان يكونا للتبعيض والاولى حال كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض شيء حال كونه بعض
عذاب الله ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب
بعض الغناء قالوا اي الرؤساء لو هدانا الله للايمان لهديناكم لكن ضللنا فاضللناكم ما اخترناه لكم
الا ما اخترنا لانفسنا فلا عتب سواء علينا اجزعنا ام صبرنا لا تتفاوت الحال لفوات وقت الاعتذار
ما لنا من محيص منجى من حاص اذا تاخر وفي معناه جاص بالجيم ويجوز ان يكون كلام الفريقين
الضعفاء والمستكبرين جميعا والمحيص ما مكان او مصدر وقال الشيطان لما قضي الامر فرغ منه
فريق في الجنة وفريق في السعير يقوم بعد استقرار الفريقين خطيبا للاشقياء من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق الذي لا خلف فيه من اضافة الموصوف الى الصفة ووعدتكم فاخلفتكم
جعل بطلان وعده وكذبه فيما وعد به كالاخلاف منه لكونه سببا وما كان لي عليكم من سلطان
تسلط واجبار الا ان دعوتكم لكن دعوتكم الاستثناء منقطع لان تسويله ليس من جنس السلطان
وهو على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع فاستجبتم لي اسرعتم في اجابتي فلا تلوموني ولوموا
انفسكم كيف اغتررتم بقول العدو بين تيقن العداوة وليس في الاية الا ان الانسان له
اختيار في فعله ليس بمجبر كل الاجبار كما دل عليه قوله وما كان لي عليكم واما انها تدل على ان
الانسان يستقل بخلق افعاله فكلا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب اصله من الصراخ وهو
الصوت وفي الحديث كان يقوم بالليل اذا سمع الصارخ يريد صوت الديك وما انتم بمصرخي
وقرأ حمزة بكسر الياء على ان الاضافة الى ياء ساكنة كياء غلامي فلما سقط النون بالاضافة
اجتمع الساكنان حركت الثانية لعدم امكانه في الاولى بسبب الاعراب وليمكن الادغام وعند التقاء
الساكنين اذا حرك الساكن يحرك بالكسر قاعدة مطردة وقد نقله من اهل العربية قطرب والفراء
وابو عمرو بن العلاء فمن قال انها ضعيفة فلضعف بصيرته ولو لم يوافق العربية حيث تواتر
عن صاحب الوحي افصح خلق الله كان واجب القبول والشعر الذي قال انه مجهول هو للاغلب
العجلي مسطور في ديوانه اني كفرت بما اشركتموني من قبل باشراككم اياي من قبل هذا اليوم
في الدنيا ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه في ذلك اليوم فعلى هذا ما مصدرية
ومن متعلق بكفرت او موصولة بمعنى من وهو الله تعالى اني كفرت بالذي اشركتمونيه معه في طاعتكم
اياي حين دعوتكم على عبادة الاوثان ونزلت التوحيد من قبل اشراككم اذ ابيت السجود لادم
يقال شركت زيدا واشركته غيري فيتعدى الى المفعول الثاني بالهمزة
ان الظالمين لهم عذاب اليم من كلامه سيقوله في ذلك اليوم تحسرا حكاه الله ليكون
ايقاظا للناظرين في امر الاخرة او هو ابتداء كلام منه تعالى لذلك وادخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم بتوفيقه وارادته
والمدخل الملك الذي بيده مفتاح الجنة تحيتهم فيها سلام تحية الملائكة عند ملاقا

المنع ... لان ... وصاحب التيسير منه

بعد

رد على الكل

ونقله الجعبري عن ديوانه

قال لها هل لك يا تاي ... ماذا ... ثم ... منه

المومنين سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الم تر كيف ضرب الله مثلا لما بين احوال
الاشقياء واحوال السعداء اردفها بضرب المثل كشفا عن حقيقتها وابرازا للمعقول في صورة
المحسوس كلمة طيبة اي جعل كلمة طيبة تفسير لقوله ضرب الله مثلا كما تقول شرف الامير زيدا
كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب على تضمين معنى التصيير اي
صير كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انه خبر مبتدأ محذوف اصلها ثابت في الارض ضارب
بعروقها فيها وفرعها في السماء واعلاها نحو السماء ويجوز ان يكون يريد فروعها وهي الاغصان
واكتفى بالجنس فيتناول كل فرع على البدل لا الاستغراق لان مثل غلام زيد لا يستغرق تؤتي اكلها
ثمرها كل حين كل وقت جرت عادة الله بتكون الثمرة باذن ربها بارادة خالقها ومكونها
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون فان في ضربها تصويرا للمعقول في صورة
المحسوس تقريبا للمعاني على الافهام ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض استؤصلت
واخذت برمتها واصل الجث القطع ما لها من قرار ثبات لكون عروقها على وجه الارض تجعف
بادنى ريح والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة تورث ثوابا كالتسبيحة و
التحميدة والاستغفار والتوبة وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله وهذا هو الوجه
لانها اصل الاعمال فينطبق عليه قوله وفرعها في السماء فالتنكير للتعظيم والشجرة الطيبة
كل شجرة لها ثمر طيب كالنخل والتين وعن قول ابن عباس يشبه ان يكون النخلة لانها افضل
الاشجار على ما قال رسول الله انها مثل المومن والكلمة الخبيثة ما يكون
معصية او تؤدي اليها والشجرة الخبيثة الحنظلة وقيل الشريان وانما اردف المثل الاول بقوله
ويضرب الله الامثال ولم يؤخره عنهما اشارة الى شرفه وانه المقصود بالذات والثاني مذكور
بالعرض يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وهو كلمة الشهادة فان
المومن يفتن في الدنيا نعوذ بالله كما فتن اصحاب الاخدود والانبياء بني اسرئيل نشر بعضهم بمناشير
الحديد ولم يصرفهم ذلك عن دينهم وكذلك في الاخرة اذا جاءهم فتانا القبر وسالاهم عن دينهم
ثبتوا على ما كانوا عليه في الدنيا كما اخبر بذلك صلى الله عليه وسلم تموتون كما تعيشون روى
البخاري عن البراء ان رسول الله قال ان المومن اذا سيل عن ربه وعن دينه
وعن نبيه واجاب نادى مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين الذين لم يستدلوا بآيات الله
الآفاق والانفس على وحدانيته ويشبه ان يكون ذلك قول الكافر في القبر اذا سيل عن ربه
وعن دينه فيقول لا ادري فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة فيصيح صيحة يسمعها كل
ذي حيوة سوى الثقلين ولو سمعوها لصعقوا من هيبتها ويفعل الله ما يشاء من الاسعاد
والاشقاء وفيه ايماء الى ان المومن لا يتكل على ما هو فيه ولا ييأس من مكر الله الم تر الى الذين
بدلوا نعمت الله كفرا اي شكر نعمة الله الذي كان واجبا عليهم اتوا بنقيضه فكانهم بدلوه
او بدلوا نفس النعمة كفرا فان الاية نزلت في مشركي مكة حين من الله عليهم بمحمد عليه السلام
فلم يقبلوا نعمته وآثروا الكفر عليها واحلوا قومهم دار البوار الذين شايعوهم على الكفر
والبوار الهلاك وفي الحديث نعوذ بالله من بوار الايم وهي المراة التي لا زوج لها ولا يرغب فيها
احد جهنم يصلونها عطف بيان او بدل والمضارعية حال منها او من الفاعل اي داخلين
فيها مقاسين حرها وبئس القرار بئس المقر جهنم جعلها نفس القرار مبالغة وعن عمر وعلي هم

قرا الكوفيون وابن عامر

ضعيفة ... تلعبه ... منه

هذا ما رواه ابن الاثير عن انس ... والشريان ... الحنظل منه

الانجران من قريش بنوا المغيرة وبنوا امية اما بنوا المغيرة كفيتموهم يوم بدر واما بنوا امية فمتعوا
الي حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله
التوحيد الموصل اليه جمع ند بالكسر وهو مثل الشيء المضاد وقرا نافع وابن عامر والكوفيون بضم
اليا من الاضلال والفتح هو المختار لان مجرد الضلال كاف في الاستحقاق والضلال والاضلال جعلا
غرضا مجازا كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا بالشهوات امر تهديد وفي الاتيان
له ايذان بانهم منهمكون في تلك الشهوات كانهم مامورون من آمر لازم اطاعته فان مصيركم
الي النار فاستوفوا العاجل قبل فواته قل لعبادي الذين آمنوا اضافهم الي نفسه تشريفا
لهم يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم كما ان الكفرة يتلذذون بالشهوات هولاء يستلذون بعبادة
ومفعول القول محذوف لان جوابه يدل عليه تقديره قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا وينفقوا
ويجوز ان يكون اللام محذوفة لدلالة قل عليه وما حكي عن المبرد من ان التقدير قل لهم اقيموا
يقيموا فلا يستقيم لان الشرط والجزاء متحدان في الفعل والفاعل ولان الامر المقدر للمواجهة
ويقيموا على لفظ الغيبة سرا وعلانية مسرين معلنين او في وقتي سر وعلانية او انفاق سر وعلانية
السر في الاصل جوف الشيء ثم اطلق على كل خفي قولا كان او غيره والمراد الحث على الانفاق لانه
لا يخلو عنهما والاولي في التطوع الاخفاء لانه ابعد عن الرياء وفي الفرض الاعلان ليقتدي به
من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال اي من قبل ان لا يقدروا على تدارك ما فاتكم لانه اما
ان يكون بصرف الاموال او بمساعدة الاخلاء وكلاهما منتف في ذلك اليوم ومعناه الحث
على الانفاق بتصوير يوم ينفع فيه هذا الانفاق ولا ينفع فيه هذان الامران المستمران بين الناس
او عدم الانتفاع بهما كناية عن الانتفاع بمقابلهما وهو ما انفق لوجه الله قراه ابن كثير وابو
عمرو فيهما بالفتح وهو ابلغ لكونه نصا في الاستغراق الله الذي خلق السموات والارض مبتدا
وخبر بين بذا من احوال السعداء والاشقياء ورغب ورهب ثم عاد الي دلايل التوحيد وبدا
باظهرها وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم مفعول اخرج ليشمل كل ما انتفع به الانسان
والجار والمجرور بيان له قدم عليه او حال منه او من للتبعيضية مفعول ورزقا حال او مصدر
اخرج لانه في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بارادته حيث قصدتم وسخر لكم الانهار
تتصرفون فيها وقيل تسخيرها تعليم كيفية الانتفاع بها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين مستمرين
على السير من داب في العمل اذا جد وفي ذلك منافع عظيمة لا تحصى من الانارة واصلاح الابدان
والثمار بل لولا ذلك لم يتصور تعيش الحيوان وسخر لكم الليل والنهار للكسب والاستراحة
وآتاكم من كل ما سالتموه بعض الذي سالتموه اذ لا يحصل للانسان جميع ما يطلبه ويجوز ان يكون
السوال بلسان الحال اي اتيكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم يمكن تعيشكم الا به فما موصوله
او موصوفة او مصدرية بمعنى المفعول ويجوز ان تكون نافية اي آتيكم من كل شيء غير سائليه وهو
وجه حسن وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها الاحصاء العدو الحفظ وفي الحديث كل القرآن احصيت
اي حفظت واذا كان الاحصاء غير مقدور فلا سبيل الي شكرها ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم في مقام الحمد لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال شعر ٥
اذا كان شكري نعمة الله نعمه علي بها كيف السبيل الي الشكر ان الانسان لظلوم كفار ظلوم
يضع الكفران موضع الشكر كفار شديد الكفر يقابل تلك النعم باغفال الشكر وقيل
ظلوم يشكو في الشدة ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والمراد الجنس لقوله وقليل من عبادي

فتمتعوا

مجرده

الشكور

الشكور واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ذا امن اراد الله امنا وشرفا اشار الي ما في الذهن
قبل الوجود بالفعل ونكر في البقرة مشيرا الي الكاين اي اجعل هذه البلده بلدا آمنا او بالعكس
الا ان الاول اظهر لان ما في هذه السورة سابق نزولا فلا اشارة باللام الا الي ما في الذهن
فان قلت يلزم ان يكون دعوته الاولى غير مستجابة قلت سئل اولا ان يجعله صالحا للسكنى ذا
امن على وجه الاستمرار كما هو شان اكثر البلاد وثانيا ازالة خوف يعرض ساير الامنة احيانا
وقيل سئل اولا امن الدنيا وثانيا امن الآخرة او ورد قصة ابرهيم بعد ذكره الانسان بانه
ظلوم تذكيرا لهولاء الشاردين ودعوة الي التوحيد الذي دعا ابراهيم آباءهم اليه وزجرا لهم
عما هم فيه فانهم يدعون انهم على ملته واجنبني وبني بعدني واياهم يقال جنب واجنب
وجنب بالتشديد فالاول لغة نجد والثالثة لغة الحجاز ان نعبد الاصنام عن عبادتها اراد
بنيه من غير واسطة اذ عبادة قريش للاصنام لم يخالف فيه احد ولقوله لا ينال عهدي الظالمين
وقوله ومن كفر فامتعه قليلا وما حكي عن سفيان بن عيينة ان احدا من اولاد اسمعيل لم يعبد
الاصنام محمول على اولاد صلبه رب انهن اضللن كثيرا من الناس اسند الاضلال اليهن باعتبار
السببية فمن تبعني على التوحيد فانه مني متصل بي وهو حنيف مثلي كما في الحديث من غشنا
فليس منا لان فعله ليس من جنس فعالهم ومن عصاني فانك غفور رحيم بالتوبة والتوفيق لها انابه
وفيه دليل على ان الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء ربنا اني اسكنت من ذريتي بعض ذريتي
هو اسمعيل حين نزله مع امه بالحرم وقيل اسمعيل وذريته فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير
ذي زرع عند بيتك المحرم اراد وادي مكة اذ لم يكن هناك زرع ولا ماء واراد بالبيت مكانه
اذ لم يكن هناك بناء بعد ما نشا اسمعيل وانما وصفه بالمحرم لانه حرم التعرض له والتهاون به وجعل
ما حوله حرما لمكانه لا يختلى خلاه ولا يعضد شجره او لانه حرم على الطوفان فلم يستول عليه او لانه
لم يزل ممتنعا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب منه وسبب اسكانه ذريته ان
هاجر كانت جارية لسارة وكانت سارة عقيما لا تلد فوهبت هاجر لابرهيم عسى ان يرزق الله منها
ولدا فلما ولدت اسمعيل غلبت عليها الغيرة فلم تقدر على رويتها فناشدت ابرهيم ان يخرجهما من
عندها فامره الله ان يسكنهما بذلك الحرم الشريف فركب ابرهيم البراق وحملها حتى وضعهما في
موضع زمزم ثم تولي فقالت له هاجر تذهب وتدعنا في هذا الوادي الذي لا ماء به ولا زاد
قال بلى قالت الله امرك بهذا قال بلى قالت فاذهب اذن لا يضيعنا ربنا ليقيموا الصلوة الجار
متعلق بمحذوف موخر اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ايثارا لشرف
الجوار واشار الي ذلك بقوله عند بيتك المحرم ثم صرح بان الغرض الاصلي هو تعميره ذلك المكان
بانواع العبادة من اقامة الصلوة والطواف والعكوف ثم بعد تقديم الوسيلة دعا بقوله فاجعل
افيدة من الناس من تبعيضية ويجوز ان يكون ابتدائية كما في قوله رب اني وهن العظم مني كانه
قيل افيدة اناس وقرا ابن عامر في رواية هشام افيدة بياء مكسورة بعد الهمزة فصلا بين الشديدتين
تهوي اليهم تسرع نحوهم من هوى يهوى هويا وفي حديث البراق انطلق يهوى اي يسرع واذا
ضم الهاء في مصدره مع تشديد الياء معناه الهبوط واذا فتح مع تشديد الياء الصعود وقيل
بالعكس فيهما وارزقهم من الثمرات بان تجلب اليهم من ساير البلاد لكونه واديا غير ذي زرع فاجاب
الله دعاءه فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء الي آخر الدهر بل يجتمع فيه من انواع الثمار الصيفية
والخريفية ما لا يوجد في ريف من الارياف لعلهم يشكرون تلك النعمة لان النعمة اذا جاءت

لان الهمزة والدال من الحروف الشديدة

من حيث لا يحتسب كانت ادعى الى الشكر ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن علما لا تفاوت فيه ولا
احتجاب اشار الى ان باطنه موافق لظاهره وسره مطابق لعلنه وان فايدة السؤال اظهار العبودية
والتلذذ بالتذلل والافتقار والا فشهادة الحال بالافتقار اليه كافية ولذلك سلك في مقام التوكل
خلاف ما سلك هنا روي انه لما وضعه نمرود في المنجنيق والقاه في النار فكان في الهواء متوجها
الى النار لحقه جبرئيل فقال هل من حاجة خليل الله فقال اما اليك فلا فقال سل ربك قال
علمه بحالي يغنيني عن سؤالي وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لان علمه بالاشياء
عياني فالنسبه في الكل على السواء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحاق مع الكبر في
موضع الحال اي وانا كبير السن على خلاف المتعارف قيل ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين
سنه وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقيل ولد اسمعيل وهو ابن اربع وستين
سنة واسحق لتسعين سنه وانما ذكر حال الكبر اعترافا بكمال النعمة لان المنة بهبته الولد في
سن اليأس اعظم فان قلت قوله اني اسكنت ذريتي بواد غير ذي زرع هو اسكانه اسمعيل قبل
بناء البيت بلا خلاف وقوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق دل على ان هذا الكلام
بعد ولادة اسحق قلت ان الله تعالى حكى عنه جملا من كلامه في احايين كثيرة متفرقة لاشتراكها
فيما سيق له الكلام من كونه على الايمان والعمل الصالح مريدا ذلك لذريته ومن تبعه من امته فعا
اسم الفاعل الى المفعول وقد ذكر سيبويه فعيلا من ابنية المبالغة العاملة عمل فعلها
مثل ضراب اخاه ورحيم اباه ومعنى سماع الدعاء الاجابة ومن كفر فانه قليلا ان من
ذريته من هو كافر ربنا وتقبل دعائي اي عبادتي لقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله
ثم قال ولما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله او هو كلمة التوحيد لقوله صلى الله
عليه وسلم دعائي ودعاء الانبياء قبلي بعرفات لا اله الا الله او هو بعثة محمد لما في الحديث
انه قال ساخبركم انا دعوة ابي ابرهيم وبشارة اخي عيسى ربنا اغفر لي فرط منا ولوالدي كان
ذلك قبل النهي وقدم مغفرة نفسه ليكون دعاؤه لهما بعد المغفرة اقرب الى الاجابة وللمؤمنين
كافة يوم يقوم الحساب يثبت شبه ثبوته بقيام الشخص على رجله كما في قولهم قامت الحرب على
الساق وترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على الرجل واهله واسند الفعل
اليه مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون اراد تثبيته على ما هو عليه كما في نظائره
ولا تدع مع الله الها اخر ولا تكونن من المشركين كناية عن الايذان بانه عالم بما يفعله الظالمون
لا يخفى عليه خافية او الخطاب لمن لم يعرف صفات الله وشمول علمه وعن سفيان بن عيينة
فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قاله قال انما قال من علمه يريد نفسه انما يؤخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار تشخص ابصارهم ارتفاع الاجفان الى فوق وتحديد النظر وانزعاجه ومنه
الشخص لكل جسم مرتفع مهطعين مسرعين الى الداعي او من هطع اذا اقبل على الشيء ببصره لا يقلعه
عنه او من اهطع البعير اذا مد عنقه وصوب رأسه مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم رافعي رؤسهم
وفي صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم كان اذا ركع لا يقنع رأسه اي لا يرفعه وحديث تعليمه الدعاء
لا يقنع بديك واصل الكلمة من القنوع وهو السؤال لان السائل يرفع رأسه او يده لدى السؤال
وعدم ارتداد الطرف كناية عن غاية الخوف فان من به شدة الخوف يحمد عينه وافئدتهم هواء
خالية عن الفهم والادراك لتوجه القوى المدركة الى دفع الخطر والخطب وقيل خالية عن الخير
وليس بوجه والهواء بالمد كل شيء خال قال حسان يهجو ابا سفيان فانت مجوف نخب هواء

قال ... في قوله ... رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وبعض ذريتي لا ... [illegible]

الا ابلغ ابا سفيان عني

وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمه فيقول الذين ظلموا
بالشرك ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا زمانا قليلا نجب دعوتك
ونتبع الرسل في اوامرهم ونواهيهم جزم على الجواب وقيل هذا قولهم عند الموت اذا احضرتهم الملائكة
بدون البشرى وهذا كقول المؤمن المفصر لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
اولم تكونوا اقسمتم من قبل على ارادة القول والمعنى انكم اقسمتم جهد ايمانكم لا يبعث الله من
يموت ما لكم من زوال ابتداء كلام منه تعالى اي ما لكم زوال وانتقال من الحال التي انتم فيها
كقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون بعد قولهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقيل هو من كلامهم
ايضا ولعلهم اقسموا على ذلك غرورا وبطرا او شبه حالهم بحال من ايقن بالخلود مؤكدا بالقسم
حيث شيد والبنيان وطال بهم الزمان وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم كعاد وثمود
الاصل في السكنى تعديته بفي كقولك قر في الدار واقام فيها لما نقل الى سكون خاص تصرف
فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوءها واوطنها وتبين لكم كيف فعلنا بهم كيف انزلنا بهم العذاب
واستأصلناهم مشاهدة ثم اثار ذلك او بلغكم تواترا بحيث لم يبق لكم اشتباه فاعل تبين مضمون
كيف فعلنا لتجرده عن الاستفهام وضربنا لكم الامثال فيما قصصنا من احوالهم الغريبة وقبايحهم
الشنيعة وما انزلنا عليهم من العذاب الفظيع في مواضع شتى وقد مكروا مكرهم اي مكرهم الذي
استفرغوا فيه جهدهم كما تقول لخصمك قد فعلت فعلك فقد حان لي ان افعل فعلي وعند الله
مكرهم جزاؤه وما يستحقون عليه من العذاب وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وما كان
مكرهم وان عظم تزول منه الجبال يريد ان ثبات امر محمد ممثل بالجبال الراسية فلا يزعزعه مكر
هؤلاء واللام لام الجحود مثل وما كان الله ليعذبهم وقرأ الكسائي بفتح اللام فان هي المخففه
واللام الفارقة والمعنى ان مكرهم من عظمه يوهم ان يزيل ما هو كالجبال وهي شريعته ومعجزاته
وقيل ان نمرود لما ركب النسور وصعد الى السماء فلما توسط الجو خاف على نفسه الخبيثة فاستنزلها
فظنت الجبال انه قهر الهي فزالت عن موضعها خوفا ورعبا فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله خير
في اماكن شتى انه لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف من مواعده مع ساير خلقه فكيف يخلفه مع اشرف
عباده المرسلين قدم المفعول الثاني اهتماما ان الله عزيز لا يغالب ذو انتقام من اعدائه يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات انتصاب يوم على انه بدل من يوم او ظرف للانتقام التبدل
يكون في الذات وفي الصفات وما في الاية كذلك يحتمل الامرين عن ابن عباس رضي الله عنه ان الارض
هي تلك الارض وانما تبدل اوصافها فتسير جبالها وتفجر بحارها فتسوى لا ترى فيها عوجا ولا امتا
وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما
يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطأ عليها خطاء وروي البخاري عن سهيل بن سعد عن رسول الله
يحشر الناس على ارض بيضاء كقرصة النقي لا معلم فيها لاحد وروي مسلم عن عايشة انها سالت
رسول الله اين يكون الناس يومئذ قال على الصراط وعن علي رضي الله عنه تبدل الارض
ارضا من فضة والسماء سماء من ذهب والظاهر ان التبدل في الصفات كما قاله ابن عباس
لما روي ابو هريرة ان رسول الله قرأ هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها
قالوا الله ورسوله اعلم قال اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها ويؤيده
ما نقله ثعلب والمبرد من ان التبديل تغيير الصفة مع بقاء الجوهر والابدال تنحية الجوهر واحداث
اخر وبرزوا لله من الاجداث الواحد القهار ذكر هذين الوصفين من اصابة المحز بمكان كما في قوله

منصب نمرود ... والظاهر انها موضوعة منه

لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كانه قيل الامر كله له وهو غلاب لا يغالب وترى المجرمين يومئذ
مقرنين في الاصفاد مجمعين من القران وهو الجمع ومنه قرن بالحج اي جمع بينه وبين العمرة والقرن بفتح
الراء الحبل الذي يجمع به بين الشيئين والاصفاد جمع الصفد وهو القيد وفي الحديث نهي على صلوة
الصافد وهو ان يقرن بين رجليه كانهما في قيد وذلك لاشتراكهم في العقايد بل الاصفاد هي تلك
الاعمال والمعاصي كما ان المومنين يحشرون غرا محجلين من اثار الوضوء سرابيلهم من قطران قمصانهم
جمع سربال والقطران صمغ الابهل يطبخ ويلطخ به جلد الابل الجرب فيحرق الجرب وهو اسود اللون
منتن الرايحة والغرض منه تغليظ العذاب لاشتماله على قبح اللون ونتن الرايحة وسرعة اشتعال
النار فيه وقرا يعقوب قطرآن على انهما كلمتان القطر النحاس والآني هو المتناهي في الحرارة
وتغشي وجوههم النار اشرف الاعضاء كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله تطلع على
الافئدة فان القلب اشرف الاعضاء الباطنة قيل ان قوله مقرنين في الاصفاد وسرابيلهم من قطران
وتغشي وجوههم احوال من مفعول ترى روعي فيها الترقي بان جعلت الثانية جملة اسمية و
الثالثة مضارعية للاستحضار المقصود والظاهر ان سرابيلهم استيناف وتغشي وجوههم عطف
عليه افادة للاستمرار بان لا يجعل المضارع المثبت حالا مع الواو لايرضاه البلغاء ليجزي
الله كل نفس ما كسبت اي كل نفس مومنة وكافرة لانه اذا جازي على الاجرام والعصيان
فعلى الطاعة والايمان اولى ان الله سريع الحساب لا يشغله شان عن شان هذا بلاغ للناس اشارة
الى قوله ولا تحسبن الله غافلا او الى القران او الى جميع ما في السورة من التذكير والعظة ليكون كالفذلكة
ويكون خاتمة للسورة على منوال الفاتحة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا به ولينذروا
بهذا البلاغ وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا انذروا وخافوا ما انذروا به دعاهم ذلك الى النظر
الموصل الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله وليذكر اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة العالمون
بالله وبصفاته العاملون بالله وبصفاته اذ ربما يعرض لهم نوع ذهول فيتذكرون بهذا البلاغ ذكر
للبلاغ ثلث فوايد هي الحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل المرسل اليهم واستكمال القوة النظرية
التي غايتها التوحيد واصلاح القوة العملية بالتدرع بلباس التقوى حشرنا الله في زمرة المتقين
بحق محمد واله الطيبين سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة هذا المولف من الحروف آيات
الكتاب والكتاب والقرآن السورة او القرآن كله والعطف لتغاير الصفات او الكتاب اللوح المحفوظ
والقران السورة او المجموع او الكتاب السورة والقرآن المجموع وهو الوجه لقوله في اول الرعد والذي
انزل اليك من ربك الحق بعد ذكر الكتاب ولما كان في التعريف نوع من الفخامة وفي التنكير آخر
جمع ونكر القرآن هنا وعرف في النمل وقدمه لان كونه قرانا ادل على خصوص المنزل على محمد الحديث
هناك عن المنزل المخصوص لقوله هدى وبشرى للمومنين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين رب
للتقليل والمعنى انهم لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم الاسراع اليه قيل فوته فكيف
وهم يودونه كل لحظة وقيل تدهشهم الاهوال فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك وقدروي
الترمذي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير الآية اذا اخرج
الموحدون من النار ود الذين كفروا لو كانوا من المسلمين وانما دخلت على المضارع واصل دخولها
على الماضي لان المترقب في كلامه تعالى كالمتحقق وانما حكى ودادتهم بلفظ الغيبة لانه بصدد
الاخبار عنهم كما تقول حلف زيد ليفعلن كذا ولو قيل لافعلن لكان عربيا فصيحا والاول اولى

فاذا اريد بالكتاب السورة وبالقرآن القرآن كله يلعقه بعد التخصيص منه

وجه التوفيق بين الاية والحديث ... منه

واكثر

واكثر لامن اللبس قراء نافع وعاصم ربما بالتخفيف وهي افصح لانها لغة الحجاز وقيس ذرهم ياكلوا
ويتمتعوا بعد ما بلغت وانذرت ويلههم الامل يشغلهم طول الامل واستقامة الاحوال عن الاستعداد
لما بعد الموت فسوف يعلمون سوء صنيعهم جعل اكلهم وتمتعهم غاية الامر لتصير مطلوبة فيكون الامر
وسيلة اليها هذا ابلغ من الامر بها وفيه الزام الحجة لان الامر بالضد لا يكون الا عند تكرار الانذار و
ثبوت الجحود وظهور مخايل الياس وفيه ايماء الى وجه النظم وان الكفار انما حرموا عن الانتفاع
بابلغ نافع هو القرآن لطول الامل والانهماك في الهوى تسلية له صلى الله عليه وسلم وتنبيه على
ان ايثار التلذذ كما هو ديدن اكثر الناس ليس من اخلاق المومنين وما اهلكنا من قرية الا
ولها كتاب معلوم اجل مكتوب في اللوح متصل بقوله فسوف يعلمون اي ان العذاب نازل بهم لا محالة
ولكن له وقت معلوم كذلك تجري للامم المكذبة والواو في ولها كتاب هي الداخلة على الجمل الواقعة
صفة كما في وثامنهم كلبهم لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف لدلالتها على الجمع والمعية لان اصل
الواو وهو العطف ومعنى اللصوق يناسبه فاستعير له كما في الحال والقول بان الصفة لما شابهت الحال
صورة ادخلت الواو عليها قول بجريان القياس في اللغة فان قلت فما الفرق بين هذا وبين قوله
في الشعراء وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون حيث جيء بالواو هنا وترك هناك والاسلوب واحد
قلت الفرق هو ان هذا الوصف الصق بالموصوف لانه لازم عقلي وذلك عادي جرت به سنة
الله ما تسبق من امة اجلها المسطور وما يستاخرون عنه حذف للعلم به وذكر الضمير لاعتبار
المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القرآن قالوه تهكما لقولهم انك لمجنون وهذا مثل
قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون كانهم قالوا ما نظنه ملكا جنيا لوما تاتينا بالملائكة
ان كنت من الصادقين فيشهدون لك بانك نبي او للعقاب كما جاءت الامم المكذبة اصل لو للشرط
فاذا ركبت مع ما او لا تاتي لامتناع الشيء لوجود غيره اذا دخلت الاسماء وللتحضيض اذا دخلت الفعل
ما ننزل الملائكة جواب لهم منه تعالى اعظاما لرسوله الذي نسبوه الى الجنون ما ننزل الملائكة بفتح
التاء والزاء ورفع الملائكة قراء ابو بكر بضم التاء على بناء المفعول وحمزة والكسائي وحفص بالنون
مسندا الى الله وهو المختار لفخامة المعنى ومناسبة السياق والسباق الا بالحق تنزيلا ملتبسا بالحق
او ملتبسين به والمعنى تنزيل الملائكة لا يكون الا على وفق حكمة اقتضتها المشية ولا حكمة في ارسال
الملائكة لان الملك اذا جاء يكون على صورة الانسان لتمكن الاستفادة منه واذا تصور بصورة
الانسان فالتشبه بحاله ومناط ازالتها هو المعجزة واليه اشار بقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولا حكمة في معاجلتكم العذاب لان منكم من سبقت المشية بايمانه او
ايمان من يولد منه وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذن لهم جواب وجزاء شرط مقدر
تقديره ولو نزلنا الملائكة ولم تؤمنوا لوقع عليهم الاستيصال وقطع دابرهم بذلك جرت سنة الله
فيمن كذب بالآية المقترحة انا نحن نزلنا الذكر رد لاستهزائهم بالذكر وادعاء جنون من نزل
عليه ولذلك اكد الكلام بوجوه من التاكيد وانا له لحافظون بان كسوناه لباس الاعجاز فلا يقبل
الزيادة والنقصان بخلاف ساير الكتب السماوية الاحبار حرفوها وبدلوها فالقرآن محفوظ من حين
نزل الى ان يرث الله الارض ومن عليها وقيل الضمير لرسول الله والاول هو الوجه ولقد ارسلنا من قبلك
في شيع الاولين فرق الاولين السابقين على هولاء جمع شيعة تقع على الواحد والجمع مذكرا كان او مونثا
من المشايعة وهي المتابعة او من شاع الامر ظهر واشتهر وفي حديث خالد بن الوليد انه كان مشيعا
اي من غاية اقدامه في الحرب كان له اتباعا وحماة وما ياتيهم من رسول هي ما اتاهم والمضارع

فانا لم نلمس صفقها بالاستحفاظ ...

الحال ولذلك دخل عليه ما النافية للحال الا كانوا به يستهزئون كما يفعل هؤلاء معك فلا تبال
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب تلك الامم نسلك الذكر
في قلوب المجرمين يقال سلكت الخيط في الابرة اذا ادخلته فيه لا يؤمنون به بيان وتفسير للسلك
بعد ابهامه ويجوز ان يكون حالا من الضمير المنصوب او المجرمين وجعل الضمير للاستهزاء اي نسلك
الاستهزاء في قلوب هؤلاء كما سلكناه في قلوب اولئك وان صح معنى لكن يوجب تنافر النظم لان ضمير
يؤمنون به للذكر بلا احتمال وقد بين في الشعراء ذلك بقوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين
بعد ذكر القرآن بدون سبق الاستهزاء وقد خلت سنة الاولين اي طريقتهم التي سنها الله تعالى في
اهلاكهم حيث لم يؤمنوا بعد ظهور الايات وهؤلاء مشبهون بهم ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا
فيه يعرجون يصعدون الى السماء نهارا لا لبس فيه لقالوا انما سكرت ابصارنا سدت وحجبت من
سكرت النهر سددته والتشديد للمبالغة وقرا ابن كثير مخففا على الاصل ويحتمل ان يكون من السكر
اريد به لازمه وهو الاختلال والتحير بل نحن قوم مسحورون سحرنا محمد وما نراه لا حقيقة له والمعنى
انهم من شدة غلوهم في الكفر والانهماك في العناد لو عرجوا بانفسهم الى السماء ودخلوا فيها على نحو
دخولهم في بيوتهم من باب مهيا للدخول وقضوا نهارهم في مشاهدة عجايبه لم يؤمنوا ونسبوا ذلك
الى التخيل والاخذة بالسحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اشار الى دلايل وحدانيته وآياته المبثوثة
في الآفاق والانفس توكيدا لذلك الرد واشارة الى ان في هذه الايات غنية عن طلب غيرها اذ مع كونها
آيات باهرة مشتملة على نعم جسيمة والبروج هي منازل الشمس والقمر ومن البرج وهو الظهور وقيل هي
الكواكب وزيناها للناظرين اي زينا السماء بزينة الكواكب نزهة لمن يتاتى منه النظر وقيل
النظر بمعنى التامل والاعتبار وحفظناها من كل شيطان رجيم مرجوم مطرود صفة ذم لا مفهوم له
الا من استرق السمع بدل من كل شيطان او نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن من استرق والاستراق
الاختلاس من السرقة وذلك ان الشياطين لم يكونوا محجوبين عن السماء فلما بعث رسول الله
حجبوا وذلك قوله انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانما يسترقون
للاغواء اذا سمعوا كلمة من الملائكة من احكام الله يلقونها الكهنة واهل النجوم وذلك قوله وان
الشياطين ليوحون الى اوليايهم فاتبعه شهاب كوكب يشبه الشهاب وهو شعلة من النار مبين
ظاهر يراه كل ذي بصر والارض مددناها دحوناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل شيء موزون
وزن بميزان الحكمة وقدر لا تقبل الزيادة والنقصان او من كل له وزن وقدر في باب النعمة من قولهم
فلان له وزن اي قدر واعتبار وقيل الموزون المعادن من الذهب والفضة ولفظ الانبات لا يلايمه
وجعلنا لكم فيها معايش اسباب العيش من ساير الانواع جمع معيشة والياء في الاصل متحركة فلا تنقلب في
الجمع همزة بخلاف الخبايث والشمايل ومن لستم له برازقين من الخدم والحشم عطف على معايش او على محل
المجرور في لكم والمعنى من تزعمون انكم ترزقونه وانتم مخطئون في ذلك فان الله هو الرزاق وان من شيء
الا عندنا خزاينه اي الا ونحن قادرون عليه شبه اقتداره على الايجاد والتكوين بحال من يكون تحت يده
خزاين لا مانع له عن اخراج ما فيها او المقدورات بالمخزونات وما ننزله الا بقدر معلوم اقتضته الحكمة و
تعلقت به الارادة بحسب الاوقات والاشخاص وارسلنا الرياح لواقح نفسها لانها ذات حمل بالخير لانها
تنشي سحابا ماطرا كما سميت الاخرى عقيما وهذا الصق بقوله فانزلنا من السماء ماء والاول على الاسناد
المجازي او على طريقة النسب كطامث وطالق وعلى طريقة فاسقيناكموه جعلناه لكم سقيا بالضم اسم
من السقي وما انتم له بخازنين من قبيل وما انت علينا بعزيز اثبت لنفسه الاقتدار على كل ممكن بطريق التمثيل

بالخزاين المملوءة مما يحتاج اليه الناس ونفى عنهم الاقتدار على ممكن خاص هو الماء على وجه تضمن اثباته
لغيره لبس لغيره الا ذلك القادر تعالى شانه ويجوز ان يكون ما موصولة اي وما انتم تخزنونه في
الغدران والابار والاواني فان الماء يقتضي بطبعه الغور فوقوفه لا بد له من مدبر حكيم وانا لنحن نحيي
كرر الضمير واكده بان واللام لكون الكلام مع من يقول ما هي الا حياتنا الدنيا وما يهلكنا الا الدهر
واطلاقه يشمل حيوة الحيوان وكل نام ونميت نزيل الحيوة عنها ونحن الوارثون الباقون بعد
فناء الخلق ومنه الوارث لبقايه بعد موت مورثه ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين
استقدم واستاخر بمعنى تقدم وتاخر والمعنى علمنا المتقدمين ولادة وموتا والمتاخرين من الاولين
والاخرين او من خرج من اصلاب الاباء ومن لم يخرج والوجهان كاللازم لقوله انا نحن نحيي ونميت
وقيل من تقدم في الاسلام والجهاد ومن تاخر وقيل رغب رسول الله في الصف الاول
فازدحموا فنزلت وفيه بيان لكمال علمه كما ان في الاول بيانا لكمال قدرته وان ربك هو يحشرهم
للجزاء لا محالة انه حكيم متقن في افعاله فلولا يحشر لاستوى المحسن والمسيء وضاع اجر العاملين
عليم كامل لا يضيع عنده مثقال ذرة ويجوز ان يكون الوصفان لنشر لقوله انا لنحن نحيي وقوله
ولقد علمنا المستقدمين ولقد خلقنا الانسان من صلصال لما ذكر جملا من الآيات المبثوثة في الافاق
اشار الى آيات الانفس حثا على شكر النعمة والتدبر في عظيم قدرته كيف انشا اشرف المخلوقات
في احسن تقويم من اكثف المواد وابعدها عما عليه الانسان من النضرة والرواء الصلصال الطين
اليابس الممزوج بالرمل قبل الطبخ فاذا طبخ كان فخارا من التصليل او الصلصلة وهو الصوت
وفي الحديث سمعنا يوم حنين صلصلة بين السماء والارض من حما طين اسود متغير صفة صلصال
او بدل باعادة الجار مسنون مصبوب من سنه اذا صبه او من السنه وهي الصورة وفي الحديث
لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة قام رجل قبيح السنه وسنة الخد صفحته والمعنى
من حما مصور صورة مفرغة كما تفرغ صور الجواهر المذابة في قالب بقدرها او من سن الماء اذا تغير
وانتن والجان خلقناه من قبل اي قبل الانسان الجان ابو الجن كادم للبشر وقيل هو ابليس وقيل
اريد به الجنس كما اريد بالانسان ذلك من نار السموم الشديد الحر اصل السموم حر النهار كما ان
الحرور حر الليل واضافة النار اليه مبالغة كما في رجل سوء وكانها سميت سموما لانها تدخل في
المسام والكلام في الموضعين على ظاهره فان الله قادر على ايجاد الحيوة في البسايط كما في المركبات
او باعتبار الجزء الغالب وفيه اشارة الى الاعادة فان غاية الاجساد ان تعود ترابا كما كانت
حالة البدء واذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فان قلت خلق
الانسان كان بعد هذه المقالة فلم لم يكن النظم على وفق الوجود وما الحكمة في تقديمه قلت
كان الكلام مسوقا للآيات والدلايل الدالة على الوحدانية وكمال القدرة والعلم وخلق الانسان
على النمط المذكور من ابهر الآيات ولما استوفى في ذلك ذكر الانسان اجل نعمه عليه وهو اسجاد
ملايكته المقربين له ليكون داعيا له الى الشكر وادمج في ذلك بيان عداوة الشيطان قديما
لياخذ حذره فاذا سويته صورته واكملت خلقه ونفخت فيه من روحي لما كان الروح لطيفا نورانيا
جعل ايجاده في الجسم الكثيف كالنفخ فيه والاضافة للتشريف كما في قوله فارسلنا اليها روحنا والقول
بان الروح يتعلق اولا بالبخار المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية رجم بالغيب وشي
يصان عنه تفسير كلام علام الغيوب ومن فيه بيانية فقعوا له ساجدين امر ايجاب واكده بلفظ

الوقوع وهو سقوط الشيء من غير اختيار حثا على المبادرة الى المأمور به بعد وجود الشرط فسجد الملائكة
كلهم اجمعون عطف على مقدر اي ثم بعد تلك المقاله خلقه ونفخ فيه الروح فسجد الملائكة واكد بتاكيدين
للايتوهم خروج بعض المقربين كجبرئيل واضرابه وقيل التاكيد باجمعون للدلالة على ان سجود الكل
في زمان واحد وفيه ان اجمع من اعلام التاكيد للشمول والاحاطة والزمان ليس بلازم لمفهومه الا ابليس
ابى ان يكون مع الساجدين اي لكن ابليس ابى وان جعل الاستثناء متصلا لانه كان جنيا مغمورا
بينهم فابى استيناف كانه قيل لم لم يسجد وما الباعث له على ذلك فقيل ابى فان قلت القصة واحدة
وقد اختلفت العبارات في التعبير عن متاعه فقد ذكر في البقرة ابى واستكبر وفي الاعراف لم يكن من
الساجدين واقتصر هنا على الاباء وفي سورة ص على الاستكبار قلت هذا الاختلاف لا ينافي اتحاد
القصة فان تلك الافعال كلها صادرة عنه ودالة على كفره وتمرده قال يا ابليس ما لك اي ما نع
عرض لك ان لا تكون مع الساجدين في ان لا يكون مع المطيعين لامري قال لم اكن لاسجد زاد لفظ
الكون مبالغة وابعادا واللام المسمى لام الجحود اذا وقع بعد نفي الكون لبشر خلقته من صلصال من حما
مسنون صفات ذم لا يليق بي ان اكون مكرما له وغفل عن قوله من روحي وقد بسطنا الكلام في
سورة الاعراف قال فاخرج منها من الجنة او من زمرة الملائكة فانك رجيم مطرود واصل الرجم القتل
بالحجارة ويلزمه البعد فاستعمل فيه وهذا الوعيد دل على ان شبهته واهية لا يستحق الجواب وان عليك
اللعنة الى يوم الدين يوم الجزاء على الاعمال فانه يرى في ذلك اليوم من العذاب ما ينسى اللعن عنده
او لان يوم الدين ابعد غاية يضرب به الناس في كلامهم كقولهم ما دامت السموات والارض قال
رب فانظرني الى يوم يبعثون الفاء جواب شرط دل عليه الكلام اي اذا كنت مطرودا فامهلني مدة فسيحة
اقدر فيها على الاغواء ويوم البعث نهاية دار التكليف وانقطاع تاثير الاغواء قال فانك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو يوم البعث بعينه الذي ساله فانه وقت ممتد من حين
انقراض الخلق الى دخول كل فريق مستقره وقيل انما سال يوم البعث لانه علم ان لا موت بعد البعث فقد
سال ان لا يموت والتمكن من الاغواء فاجيب الى الثاني دون الاول وفيه انه يعلم ان لا سبيل الى عدم
الموت فكيف يسال المستحيل ويؤيد الوجه الاول اطلاق الجواب في الاعراف بقوله انك من المنظرين
قال رب بما اغويتني الباء للقسم واسم الحلف يقع على كل محلوف به ولذلك ورد النهي عن اليمين
بالاباء وفي عرف الفقهاء الحلف بالذات والصفات دون الافعال والباء للسببية والمقابلة كما تقول
خصمت بعد الانتقام هذا بذاك لازينن لهم في الارض في الدنيا وعبر بالارض عنها لانها محل متاعها
ومظهر آثارها او اراد بالارض جهة السفل كانه قال اغويت آدم وهو في السماء فانا على اغواء ذريته
اقدر وهذا يدل على ان هذه المقاولة جرت بعد هبوط آدم اوازين لهم الدنيا حتى يستحبوها على الآخرة
ويطمئنوا اليها وانما عدي الفعل بفي دلالة على انها مستقر التزيين يمكن فيها تمكن المظروف من الظرف
ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين علم ان الله عبادا لا يؤثر فيهم وسوسته قرأ الكوفيون ونافع بفتح اللام من
اخلصه اخترته وهو ابلغ لان معنى الكسر مبني عليه ولقوله انا اخلصناهم بخالصة قال هذا صراط مستقيم
اشارة الى مضمون الاستثناء وهو اخلاص طايفة استعار لفظ الاستعلاء وآثره على لفظ الانتهاء لكونه
ادل على التمكن ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي المخلصين او الجنس الا من اتبعك من الغاوين
استثناء منقطع على الاول متصل على الثاني والحق انقطاعه على الوجهين اذ لا سلطان له على الغاوي لقوله
وما كان لي عليكم من سلطان وان جهنم لموعدهم الضمير للغاوين اجمعين تاكيد للضمير لا حال لانه علم الثاني

على

والموعد مكان او مصدر بتقدير مضاف اي مكان وعدهم لها سبعة ابواب لكثرة الداخلين والابواب
دركاتها لقوله ان المنافقين في الدرك الاسفل وعن علي بن ابي طالب ان الله وضع الجنان على العرض
ووضع دركات النار بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمه وفوقها سقر وفوقها الجحيم
وفوقها الهاوية وعن ابن عباس جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمه لعبدة الاصنام
وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين لكل باب منهم من الغاوين حال من المستكن
في الظرف جزء مقسوم افرزله وعين قرأ ابو بكر باسكان الزاء ان المتقين وهم الكاملون المخلصون
من عباده والحمل على الاتقاء من الشرك غير سديد لشمول الغاوين بعض اهل التوحيد في جنات وعيون
لكل واحد جنات وعيون متعددة او لكل واحد جنة واحدة وعين والاول هو الوجه لقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان وقوله تجري من تحتها الانهار قرأ ابن كثير وحمزه والكسائي وابو بكر وابن ذكوان بكسر العين
لاستثقال توالي الضمتين ادخلوها على ارادة القول بسلام مسلمين من الآفات او مسلما عليكم قولا
من رب رحيم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل ما كان بينهم في الدنيا من الحقد
والشحناء اصل الغل الخيانة في كل شيء وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم او من التحاسد في درجات الجنات فان كلا يرضى بما فيه اخوانا نصب على الحال من الضمير
المجرور في صدورهم والعامل معنى الاضافة كما في ملة ابراهيم وكذا على سرر متقابلين ويجوز ان يكون
صفة اخوانا وجعل اخوانا وما بعده حالا من ضمير آمنين او جنات او فاعل ادخلوها وان صح معنى ففيه
بعد لفظا لا يمسهم فيها نصب استيناف وحال اخرى او حال من ضمير متقابلين وما هم منها بمخرجين الخلود
الذي لا يتم النعمة الا به نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق
من الوعد والوعيد ترغيبا للغاوين وترهيبا للمتقين اسند الغفران والرحمة الى ذاته صريحا دون
العذاب ايماء الى وفور رحمته وفيه تسكين روع الخائفين ونبئهم عن ضيف ابراهيم اخبرهم بحديث
الضيف فان فيه تذكرة للفريقين عطف القصة المشتملة على ذكر اهل الرحمة والعذاب وما فعل
بالفريقين ليكون كالبرهان على الوصفين وبدأ بذكر الضيف لانهم المنشأ وادرج في القصة ذكر
القنوط على طريق السؤال والجواب تحذيرا منه فان نسمة من رحمته تزيل جبالا من الذنوب ولذلك
كان القنوط كفرا لانه تكذيب لقوله وسلب للقدرة منه اذ دخلوا عليه اي وقت دخولهم فقالوا
سلاما اي نسلم عليك سلاما قال انا منكم وجلون دخلوا وهم جماعة غير معروفين وقيل انما خافهم
لانه لما قدم لهم الاكل لم ياتوا ولم ياكلوا منه وهذه المقالة انما جرت بينهم بعد ذلك لقوله فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ قالوا لا توجل سكنوا خوفه واتبعوه بالبشارة بالولد انا نبشرك بغلام عليم استيناف جار
مجرى التعليل والغلام هو اسحاق عليه السلام وحيث ذكر في القرآن مع البشارة وصفه بالعليم
وحيث ذكر اسمعيل وصفه بالحليم ولعل ذلك لتفاوت الاخلاق وكان الغالب على كل منهما تلك الصفة قال
ابشرتموني على ان مسني الكبر منكر بمقتضى العادة ان يولد لمثلي فبم تبشرون استفهام تعجب اي
فباي اعجوبة تبشرون بهذه او بغيرها من الاعاجيب وفي الحقيقة نفي للبشارة لعدم القابلية عادة وقرأ
ابن كثير ونافع بكسر النون وشدده ابن كثير بادغام نون الجمع في نون الوقاية وحذف الياء والباقون
بالفتح على حذف المفعول والاستغناء عن نون الوقاية وهو الوجه لقلة التغيير ووجود التخفيف قالوا
بشرناك بالحق الثابت في نفس الامر بلا ريبة فلا تكن من القانطين الشبيهين بهم فان هذا الكلام يشبه
مقالهم او لا تدخل في زمرة القانطين والنهي عن الشيء لا يستلزم صدوره كقوله ولا تكن من المشركين
قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق الصواب والاستبعاد انما كان مجرى العادة

كما قال زكريا انى يكون لى غلام وقالت مريم انى يكون لى ولد وقرا ابو عمرو والكسائى بكسر النون حيث
وقع فى القرآن يقنط فردا وجمعا وهى لغة الحجاز قال فما خطبكم ايها المرسلون اي ما شانكم والامر الذي
ارسلتم لاجله الخطب كل امر يعتد به وتقع المخاطبة فى شانه وانما علم كونهم مرسلين لامر غير البشارة
لانهم جمع الملائكة والبشارة يقوم بها واحد كما فى بشارة زكريا ومريم وانما قدموا البشارة اما لانهم
كانوا مامورين بذلك من عند الله او لانهم لما رواه وجلا سكنوا جاشه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
اي قوم لوط الا آل لوط استثناء منقطع لان المخرج من الحكم على الموصوف يجب ان يكون الوصف ثابتا له كما
اذا قلت جاءنى الرجال العلماء الا زيدا يجب ان يكون زيد موصوفا بالعلم وصفة الاجرام منتفية عن الآل
او متصل من الضمير فى مجرمين كانه قيل ارسلنا الى قوم مجرمين كلهم الا آل لوط لاهلاك اوليك وانجاء
هولاء فان قلت الاستثناء من القوم لا يجوز ان يكون متصلا لكونه نكرة غير محصورة مستغرقة
فلا حاجة الى التعليل المذكور قلت النكرة اذا وصفت كانت محصورة فلا مانع الا ذكر انا لمنجوهم اجمعين جار
مجرى خبر لكن على الانقطاع اي لكن آل لوط منجون واستيناف على الاتصال كانه لما قيل انا ارسلنا الى
قوم مجرمين الا آل لوط فقال ما بال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم الا امراته استثناء من الضمير المجرور
لا من الاستثناء الاول لان شرط الاستثناء من الاستثناء اتحاد الحكم كما فى قولك لفلان على عشرة الا ثمانية
الا خمسة وما فى الآية ليس كذلك لان آل لوط متعلق بارسلنا والمجرمين والا امراته متعلق بانا لمنجوهم فان قلت
هل يصح ان يجعل الاستثناء راجعا الى المجموع عند من يجعل الاستثناء بعد الجمل راجعا الى الكل لا الى الاخير
وحدها قلت لا لان ذلك فى الجمل المتعاطفة لا المنقطع بعضها عن بعض قرا حمزة والكسائي منجوهم بالتخفيف
من الانجاء والتشديد ابلغ قدرنا انها لمن الغابرين الباقين من غبر اذا بقى وهو من الاضداد وانما
علق التقدير لتضمنه معنى العلم او فيه معنى القول فتقع المكسورة بعده والتقدير فعله تعالى واسناد
الملائكة الى انفسهم لقربهم منه تعالى كما يفعل خواص الملك من اسناد فعله الى انفسهم ليشيرون
بذلك الى فرط اختصاصهم وقرا ابو بكر قدرنا مخففا وهما لغتان والتشديد ابلغ واكثر فلما جاء آل لوط
المرسلون قال انكم قوم منكرون غير معروفين تنفر منكم قلوبنا قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون
يشكون من نزول العذاب الذي كنت توعدهم به وانما كنوا عن العذاب بالموصول لما فيه من الاستيناس
لوجهين تحقق العذاب وتحقق صدقه ولما فى لفظ الامتراء من التذكير بما كان يكابد منهم من التكذيب
والجحود واتيناك بالحق بالامر الذي هو كاين لا محالة وانا لصادقون فيما اخبرناك به وهذا كله تاكيد
ظاهر والقصد منه التسلي وتنفيس الكرب عنه والا فلوط لم يتشكك فى قولهم بعد علمه بانهم مرسلون فاسر
باهلك بقطع من الليل بطايفة من الليل والقطع بسكون الطاء ظلمة آخر الليل شعر
افتحي الباب فانظري فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقرا نافع وابن كثير بهمزة الوصل من السرى
والباقون بالقطع من الاسراء وهو المختار لاتفاقهم فى اسرى بعبده واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد ارشاد
الى ما هو ادخل فى الحزم وهو ان يقدم اهله امامه ليكون مطلعا على احوالهم ذاهبا على آثارهم فارغ القلب
وانما نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما اصاب قومهم فيرقوا لهم ولئلا يروا ديارهم واوطانهم فيقلقوا فيكونوا
كالمتحسر وجعل عدم الالتفات كناية عن السرعة عن مكان حل به غضب الله لان الملتفت لا بد له من
ادنى وقفة وفيه اشارة الى ان من اراد السفر الحقيقي فهو اولى بقطع العلايق وهدم العوايق والاقبال
بالكلية على الله وامضوا حيث تؤمرون هو الشام او مصر وانما عدي امضوا الى حيث تعديته الى الظرف
المبهم لابهامه فى الامكنة وكذلك الضمير فى تؤمرون وقضينا اليه اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي
بالى وفايدته الدلالة على انه لا محالة كاين ذلك الامر تفسيره ان دابر هولاء مقطوع ابهمه ثم فسره

تعظيما للامر وتفخيما له والمعنى انهم مستاصلون لان دابرهم اذا هلكت لم يبق منهم احد مصبحين داخلين
فى الصباح ونصبه على الحال اما من هولاء او من الضمير حملا على المعنى وجاء اهل المدينة يستبشرون
باضياف لوط لما راوهم اجمل الخلق قال ان هولاء ضيفي فلا تفضحون فان الاساءة الى الضيف اساءة
الى المضيف واتقوا الله باجتناب الفاحشة ولا تخزون لا تذلوني من الخزي وهو الذل او من الخزاية
وهي الحياء اى لا تخجلوني قالوا اولم ننهك عن العالمين فانه كان ينهاهم عن التعرض للغرباء والواردين و
قيل كانوا نهوه عن انزال الضيف وقبوله قال هولاء بناتي ان كنتم فاعلين ارادوا لبنات نساء امته
ومعنى ان كنتم فاعلين الشك فى قبول نصحه كانه قال ان كنتم فاعلين ما اقول ولا اظنكم تفعلونه وقيل
كانت له بنات حسان يطلبون نكاحهن فلما اضطر رضي بذلك فان قلت النظم يدل على ان مقاولة لوط
مع قومه كانت بعد علمه بانهم ملائكة ارسلوا لاهلاكهم فلا وجه للاعتذار بعد علمه قلت الواو لا يدل على
الترتيب الا يرى ان قوله تعالى فى سورة هود انا رسل ربك لن يصلوا اليك انما ذكر بعد تلك المقاولة
وياسه عن قبول نصحه واظهار الاسف بقوله لو ان لى بكم قوة او اوي الى ركن شديد فان قلت لم غير الاسلوب
ولم يرد النظم على وفق الوجود فلا بد لذلك من داع قلت لما كانت هذه السورة مصدرة بما فيه تسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل معظم السورة انما سيق لذلك كان مقتضى الحال تقديم ما هو
دال على تفريج الهم عن الصابرين وتنفيس الكرب عنهم لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون جملة معترضة و
المخاطب رسول الله والضمير فى سكرتهم لاهل مكة او الخطاب له والضمير لقوم لوط والعمر
بفتح العين لغة فى العمر بضمها ولا يستعمل الا باللام فى القسم وقيل القايل هو الملائكة للوط يريدون
كفه عن نصحهم لعدم القابلية والوجه هو الاول واراد بسكرتهم شدة غوايتهم لانهم من فرط جهلهم
سكارى لا يفرقون بين الخطاء والصواب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح بهم هلكوا فى مكانهم و
التعبير عن الاهلاك بالاخذ اشارة الى كمال التمكن ولذلك سمي الاسير اخيذا مشرقين داخلين وقت
شروق الصبح او شروق الشمس وقوله مصبحين باعتبار الابتداء فجعلنا عاليها سافلها اي قرى قوم لوط وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين
الناظرين بالتامل فى سمة الاشياء يقال وسمت فى فلان خيرا اذا عرفت وسمه فيه اصله العلامة
وانها اى سدوم وهي مدينته التي كان يسكنها وهي وساير القرى حولها لبسبيل مقيم طريق واضح ثابت
ترونها ايتها المارة من اهل مكة فكان عليكم ان تعتبروا اذ لا دليل اقوى من العيان ان فى ذلك لآية
للمومنين الذين يصدقون بالآيات ويفرقون بين الاشياء وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم
شعيب فانه كان مبعوثا اليهم والى اهل مدين والايكة الشجر المتكاثف ولم يبين ظلمهم وهو البخس
والتطفيف لعدم ايراد قصته مستوفاة ولذلك غير الاسلوب فانتقمنا منهم بعذاب يوم الظلة وانهما
اي مدين والايكة دل عليه ذكر الايكة وقيل سدوم والايكة لبامام مبين ملصقان بطريق واضح
الامام مصدر معناه ما يوتم به يطلق على الطريق لان المارة تاتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
هم ثمود والحجر واد بين الشام ومدينة رسول الله وتكذيبهم الرسل انما هو تكذيب صالح لان
من كذب نبيا فقد كذب ساير الرسل لان المعجزة عامة هي دليل النبوة وفى هذا تعظيم له ولذلك
كثرت هذه العبارة فى قصص ساير الانبياء وعن جابر قال مر رسول الله على الحجر فقال لنا
لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا الا ان تكونوا باكين لئلا يصيبكم مثل ما اصاب هولاء ثم زجر حلته
حتى خلفها واتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين هي معجزات نبيهم منها ما اقترحوه وهي الناقة
الموصوفة وقيل ادلة التوحيد وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين طالت اعمارهم ينحتوا بيوتا

المصنف.

كون البنات اراد بهات امته كو بعض
المفسرين ولا احتى بها محنة ادلم بكو لداه مانحا
الاوسو واهله

من الجبال لئلا تخرب او لانهم ظنوا من جهلهم انها تنجي من عذاب الله فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون من نحت الجبال وسائر ما ادخروه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
الا ملتبسا به كالدليل على استحقاق المهلكين لان خلقها ملتبسا بالحق يقتضي زوال الباطل وثبات
الحق وان الساعة لآتية قطعا دفع لما يتوهم من ان لا ما يلحقهم من العذاب في الدنيا كاف لجرايمهم
فاصفح الصفح الجميل لا تعجل خطاب له صلى الله عليه وسلم لانه الذي تلى عليه القصص ان ربك هو
الخلاق كامل القدرة على الخلق فهو قادر على استيصالهم ولكن الحكمة اقتضت الامهال العليم بالاشياء
وحقايقها لو لم يعلم ان في الصفح حكمة لما امرك به لنسخت باية السيف وقيل محمول على المخالقة فلا نسخ ولقد
اتيناك سبعا من المثاني هي الفاتحة او السبع الطوال والخلف في السابعة فقيل الانفال والبراءة لانهما
في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل هي آل حميم وقيل سبع صحايف وهي الاسباع والمثاني
من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة تكرر في الصلوة وغيرها او من الثناء لما فيها من الثناء على الله
واحدها مثناة او مثنية صفة للآية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص ولما فيها من الثناء
فكانها تثني على الله تعالى بما هو اهله ومن اما للبيان او التبعيض ان اريد بالسبع الفاتحة او الطوال
او للبيان ان اريد الاسباع هذا والحق انها الفاتحة لما في الحديث انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته
ولان القرآن كله او الطوال وآل حميم لم يكن نازلا والتاويل خلاف الاصل مع مخالفة الحديث والقرآن
العظيم من عطف احد الوصفين على الآخر ان اريد الاسباع والا فمن عطف العام على الخاص لا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار كلام جار مجرى التعليل كانه يقول له اذا اوتيت القرآن
العظيم الذي تستحقر دونه كل نعمة فعليك ان تستغني عن غيره عن ابي بكر الصديق من اوتي القرآن فراى
ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا قيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل
ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال
لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم رسول الله لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من
هذه القوافل السبع واما حديث من لم يتغن بالقرآن فليس منا الظاهر ان المراد به تحسين الصوت
في قرائته ولا تحزن عليهم على فقراء امتك فيؤدي ذلك الى النظر وتمني الدنيا لهم او لا تحزن على عدم
ايمان الكفار واهلاكهم بالعذاب واخفض جناحك للمؤمنين مجاز عن التواضع لان الطير اذا رق على
افراخه يخفض جناحه وقل اني انا النذير المبين الموضح للانذار ببرهان قاطع كما انزلنا على المقتسمين
متعلق بقوله ولقد اتيناك اي انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب وقوله ولا تمدن عينيك الى آخره
اعتراض لان قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني كلام مسوق للتسلية عما كانوا ينسبونه اليه
من الجنون ومن كونه شاعرا او ساحرا فالنهي عن الالتفات الى دنياهم والامر بالاقبال اليه تعالى بعد
تلك التسلية او بقوله اني انا النذير المبين اي انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن
عضين من العضو فانهم لما قالوا بعضه حق وبعضه باطل فكانهم عضوه اعضاء وهم اليهود والنصارى
حيث قالوا لما يوافق كتابهم انه حق ولما يخالفه باطل والقرآن ما يقرؤونه من كتبهم فانهم حرفوها
وبدلوها وفيه تسلية لرسول الله من صنيع قومه بالقرآن من قولهم سحر وشعر واساطير الاولين
كانوا يقتسمون مداخل مكة ايام الموسم فيقعدون على الطرقات ينفرون الواردين عن الايمان
وقيل هم الذين قصدوا اهلاك صالح واقتسموا على ذلك على ما حكى عنهم قالوا تقاسموا
بالله لنبيتنه واهله وقيل عضين من العضه وهو البهتة يقال عضهه اذا بهته وفي الحديث
لا يعضه بعضنا بعضا وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش وانما جمع جمع السلامة جبرا

لما حذف منه فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون عن اعمالهم سؤال تقريع ومناقشة وعن ابي
العالية يسالهم عما كانوا يعبدونه وما اجابوا به المرسلين والاولى التعميم فاصدع بما تؤمر
اجهر به وابنه ابانة لا تنمحي اثرها الى آخر الدهر كصدع الزجاجة لا يقبل الالتيام والصدع
في الاجسام التفريق ومنه الصديع للفجر كانه يشق جيب الليل والصداع للرأس كانه يشقه
والمعنى بما تؤمر به من الشرايع فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان
يكون ما مصدرية على بناء المفعول اي مأمورك واعرض عن المشركين نسخ باية السيف انا
كفيناك المستهزئين عن عروة بن الزبير هم نفر ذوو النساب وشرف في قريش الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة
عن ابن عباس رضي الله عنه ماتوا كلهم قبل بدر جاء جبرئيل عليه السلام الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد
فمر بنبال فتعلق سهم بثوبه فلم ينعطف لاخذه تعظما فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات منه
واشار الى اخمص قدم العاص بن وائل فدخلت شوكة فيها فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله
حتى صارت كالرحا ومى الى عين الاسود بن عبد المطلب فعمي واشار الى انف حارث بن قيس
فامتخط فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وكان قاعدا في اصل شجرة فجعل ينطح راسه
بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك الى ان مات الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ما اعد
من العذاب ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الطعن فيك وفيما انزل اليك اشار
الى قولهم انك لمجنون فانتظمت الخاتمة مع الفاتحة وفيه عن جنبيه وازاحه لما ناله من الكرب من
تلك المقالة فسبح بحمد ربك نزه ربك عن كل نقيصة ملتبسا بحمده ولا تشتغل بما قالوا عدائك
فان لك ربا يكافح عنك وكن من الساجدين دعاه الى مقام القرب ومناجاته ومظهر الفناء
عن نفسه واعبد ربك ودم على عبادته فان السير في الله ليس له امد اذا تغيبت بدا غيبتي
حتى ياتيك اليقين اي نزول العذاب بهؤلاء او الموت وفي الحديث لما مات عثمان بن مظعون
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد جاءه اليقين وفي الآية دليل على ان
التسبيح والعبادة من اسباب النجاة عن ضيق الصدر والكرب وفي الحديث كان اذا حزبه امر فزع
الى الصلوة اللهم انا نسبحك ونحمدك بمحامدك ونسألك ان تكشف عنا كل كرب وهم وغم
بحق من انزلت عليه هذه الآيات

سورة النحل مكية الا ثلث ايات في آخرها وهي مائة وثمانية وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه قال ابو جهل او نضر بن الحارث اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فقيل لهم اتى امر الله عبر عنه بالماضي لكونه
واجب الوقوع لا محالة وفيه ايقاظ ليكون ما بعده متمكنا في نفس حاضرة وتمهيد لما يرد من دلايل
التوحيد سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الذي جعلوه شريكا له كانوا يقولون
وصح ما يقول محمد تشفع لنا الاصنام فكانه قيل جل سرادق كبريائه عن ان يحوم حوله الشريك
فضلا عن آلهتهم الجمادات وقرأ حمزة والكسائي بتاء الخطاب على وفق تستعجلوه والمختار الغيبة
اهانة لهم وابعادا عن ساحة الحضور ينزل الملائكة بالروح من امره اي القرآن او الوحي الذي
به حيوة القلوب الميتة بالجهل افمن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا او بما هو في الدين كالروح
في الجسد استعارة مكنية وليس وزان من امره وزان من الفجر بعد ذكر الخيطين في البقرة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ينزل مخففا من الانزال وهو اكثر دورا والتشديد اكثر معنى على من يشاء

لان النحر بيان لنوعين الخيطين وليس الا وجها كذلك منه

من عباده من اختاره للرسالة ان انذروا بدل من الروح على انها مصدرية او مفسرة لان تنزيل
الملائكة بالروح فيه معنى القول او مخففة بتقدير ضمير الشان اي بان الشان انذروا فان قلت
اذا كان الضمير مقدرا فلا يستقيم الكلام الا بتقدير القول بعده قلت في وقوع الانشاء خبرا
من غير تقدير القول خلاف على ان ذلك لا يجري في ضمير الشان لانه عين الواقع خبرا كما اذا قلت
كلامي اضرب زيدا والانذار الاعلام مع التخويف وفي الحديث كان اذا خطب علا صوته واحمرت عيناه
كانه منذر جيش انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان انحصار الالوهية في فخافوني التفت الى التكلم
لان ضمير المتكلم اعرف وابعد عن اللبس ومقام التوحيد يلايمه خلق السموات والارض بالحق
دليل على توحده بما يقطع الشبهة اذ لا يقدر احد على انكاره ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله تعالى عما يشركون عن اشراكهم او ما يشركونه قرا حمزة والكسائي بالخطاب كالاول
والتوجيه كما تقدم وفي الآية دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من
نطفة من ماء يخرج من بين الصلب والترايب فاذا هو خصيم منطيق مبين موضح للحجة بعدما كان
جمادا لا حس به ولا حراك فوجوده دليل على قدرته تعالى اشار الى معنى قوله سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي انفسهم بعد ما كان جمادا ثم صار في احسن تقويم خصيم لربه ينكر قدرته قايلا من يحيي
العظام وهي رميم وهو ابي بن خلف جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم بال وقال يا محمد
تقول ان الله يحيي هذا ما قد رم والانعام هي الابل والبقر والغنم منصوب بفعل يفسره خلقها لكم
او معطوف على الانسان ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لمصالحكم ايها الناس ثم فصل
تلك المنافع بقوله فيها دفء ما يدفا به لدفع البرد ومنافع اخرى نسلها ودرها وظهورها وانما
ومنها تاكلون على الاستمرار فلا يقدح الاكل من الطيور وانواع الصيد في تقديم الظرف المفيد للحصر
وقيل انما قدم محافظة على رؤس الآي ولحم الخيل عند من اباح اكله خرج بقيد الاستمرار ولكم فيها
جمال حين تريحون تردونها من المرعى الى مراحها وحين تسرحون تخرجونها من المراح الى المرعى وانما
قدمت الاراحة على السرح لان الجمال حين الاراحة اظهر لانها تعود ملاى البطون حافلة الضروع
واقعة بمراى من اصحابها في الحظاير وتحمل اثقالكم جمع ثقل بفتحتين الثقاف متاع البيت الى بلد لم تكونوا
بالغيه مجردين عن الاثقال فضلا عن حملها على ظهوركم الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة
على انه مصدر او بالنصف كانه فهب نصف قوته بالتعب وفي الحديث اتقوا النار ولو بشق تمرة
ان ربكم لرؤف رحيم كثير الرافة والرحمة ولذلك خولكم هذه النعم الجسام والخيل والبغال
والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة عطف على محل لتركبوها او مصدر بتقدير فعله
اي ولتتزينوا بها زينة وانما غير الاسلوب لان الركوب مقصود والزينة تحصل بالعرض
وقيل لان الاول فعل الخالق والثاني فعل المخلوق ولا دليل في الآية على حرمة لحم الخيل لان
رابط الخيل غرضه منها الركوب والزينة لا اكل اللحم بخلاف الانعام والذي يقطع مادة
الشبهة ان الصحابة اوقدوا النار على لحم الحمر الاهلية يوم خيبر والآية مكية فلو دلت على
الحرمة لم يلتبس عليهم ويخلق ما لا تعلمون من الاشياء النافعة او من المخلوقات وما يعلم جنود
ربك الا هو والغرض بيان كمال اقتداره او ما في الجنة مما لم يخطر على قلب بشر ولا يلايمه لفظ
المضارع وعلى الله قصد السبيل هداية الطريق الموصل اليه والتعبير بعلى لكونه واقعا لا محالة بموجب
الوعد والقصد في الاصل الاعتدال بين الافراط والتفريط اريد به الجنس لقوله ومنها جاير اي
ومن جنس السبيل سبيل جاير لم يوصل الى المطلوب غير الاسلوب وان كان الضلال بمشيئته لانه

بعد

لما في الحديث القدسي خلقت
عباد الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر

ذكره بالعرض ليمتاز عن سبيل الحق ولو شاء لهداكم اجمعين لو تعلقت مشيئته بهدايتكم لخلق فيكم الا
هتداء وانتفاؤها لانتفاء سببها هو الذي انزل من السماء ماء استدل اولا على وحدانيته بخلق
السموات والارض لانها الاصول ثم بخلق الانسان وساير الحيوانات ثم باحوال النبات وعجايبه ازاحة
للشبهة عن طريق اشرف المطالب لكم منه شراب الشراب ما يشرب من تبعيضيه اي بعض ذلك شراب
لكم او اللام تتعلق بانزل ولا حصر في التركيب حتى يتعدد بان ساير المياه منه لقوله فسلكه ينابيع في
الارض ومنه شجر يتكون من ذلك الماء فيه تسيمون ترعون مواشيكم من اسمت الماشية اذا رعيتها
من السومة وهي العلامة لانها تؤثر في الارض بالرعي ينبت لكم به الزرع قرا ابو بكر بالنون على التعظيم
الالتفات من الغيبة والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات بعض جميع الثمرات لان ما في
الامكان لم يقع كله بالفعل لا في الدنيا ولا في الجنة وتقديم ما تسيمون فيه لكونه اهم لا سيما عند
العرب لان جل ماكلهم البان الانعام وملبسهم اصوافها واوبارها واشعارها وفي ترتيب الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب روعي ذلك ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ينظرون نظر تامل و
اعتبار اذ نسبة العلويات والسفليات الى الكل سواء فالتخصيص بالاشكال والصور والطعوم المختلفة
انما هو بارادة المختار وسخر لكم الليل والنهار الليل للسكون والراحة والنهار للكسب والسعي في
اسباب المعاش والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بارادته قرا ابن عامر برفع الاربعة على الابتداء
والخبر ووافقه حفص في الاخيرين والباقون بنصب الكل على العطف في الثلثة وعلى الحال في الرابع ان
في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم وما ذرا لكم في الارض خلقه لكم من ساير الاجناس
مختلفا الوانه بعضه ابيض وبعضه احمر الى غير ذلك ان في ذلك لآية لقوم يذكرون وافرد الآية
في الفاصلة الاولى وذكر التفكر لان الانبات نوع واحد يحتاج الى تامل وتدبر لان اخراج النبات
الخضر النضر من الحبة اليابسة امر بديع وجمع في الفاصلة الثانية لان الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم تشتمل على انواع من الدلالات ولما كانت امورا محسوسة لا يتوقف الا على توجه
العقل جعله الفاصلة ولما كان اللون وان اختلف اصنافه مسلكا واحدا وهو في غاية الظهور ختم
الآية بالتذكر الذي هو التفات النفس الى الحاصل عنده من دون تجشم كسب وهو الذي سخر
البحر جعله بحيث يتمكن من سلوكه كالبر ليشير الى عجايب البحر بعد ما بين بدايع صنعه في العالم
العلوي والسفلي لتاكلوا منه لحما طريا لحم السمك وصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم يسرع اليه
الفساد وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا ياكل اللحم يحنث باكل السمك والجمهور على خلافه
لان مبنى الايمان على العرف ومن قال لعبده اشتر اللحم ثم جاء بالسمك لم يعد ممتثلا بل ينسب الى
البلاهة وهذا كما ان الله تعالى سمى الكافر دابة ومن حلف لا يركب دابة ثم ركب كافرا لا يحنث اجماعا
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان جعل اللبس لهم وان كان اللابس نساءهم لان
غرض التزين عايد اليهم وفي المثل كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس وترى الفلك مواخر فيه
جمع ماخرة من مخر الماء اذا شقه لانها تشق الماء بصدرها وعن الفراء المخر صوت الفلك عند جريها وانما
غير الاسلوب وزاد لفظ الرؤية اشارة الى ان الفلك المواخر مع كونها نعمة آيات باهرة على قدرته
ولتبتغوا من فضله بالسفر فيها للتجارة عطف على قوله لتاكلوا او هو مع قوله ولعلكم تشكرون متعلق
بمقدر كانه قيل لتستدلوا بها على الصانع الحكيم ولتبتغوا من فضله ولكي تشكروا نعمته حيث جعل
مظنة الهلاك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش على اهون الوجوه فانها تقطع المسافة العظيمة في لمحة
الطرف والقى في الارض رواسي جبالا ثابتة ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فانها خلقت على وجه

رد على الكشاف حيث ورد النبعيض
بان الكل انما يكون في الجنة منه

وحديث نحن الشمس تحت العرش صريح فما حملنا منه

الماء فلم يستقر فارسى الجبال فيها فاستقرت فذلك قوله والجبال اوتادا والمايد الداير ومنه مايدة
الطعام لاستدارة شكلها والقول بانها خلقت كرة حقيقية بسيطة وكان من حقها ان يتحرك على الاستدارة
كالافلاك فارسيت بالجبال شئ لا اصل له بل هي اصول فلسفية يصان عنه كلامه تعالى بل مخالف لقوله
كل فى فلك يسبحون اذ لو كانت الحركة للافلاك دون الكواكب فاي معنى للسباحة وانهارا عطف على رواسى
بحسب المعنى اي جعل فيها انهارا لان الالقاء يلزمه الجعل وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم وا لسعى
فى اغراضكم او تهتدون بالتامل فيها الى معرفته تعالى وعلامات الامارات التى تستدل بها السابلة
من جبل وشجر واحجار وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون بجنس النجم وعن السدي انه الثريا والفرقدان
وبنات نعش والجدي وانما اخرج الكلام عن سنن الخطاب لان المراد بهم قريش الذين كانت لهم رحلة
الشتاء والصيف وغيرهما من الاسفار فكان الشكر عليهم اوجب ولذلك آثر طريق الحصر كانه قيل
بالنجم خصوصا هولاء خصوصا يهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة البرهان على تفرده بايجاد
المبدعات من السموات والارض وما فيهما كيف تسوى بينه وبين ما لا يقدر على خلق ذرة وكان
الظاهر فمن لا يخلق كمن يخلق الا انه عدل عنه تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه مشابها للمخلوق
العاجز واتى بمن لان تلك الاصنام لما عبدت اجريت مجرى اولى العلم او للمشاكلة والمعنى ان من يخلق
ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم له ولا ادراك وهذا هو الوجه وفى معناه الهم ارجل
يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها يريد انها منحطة عن درجة هولاء فاذا
لم يصلح للالوهية فتلك عنها بمراحل افلا تذكرون فتحكموا بفساد ذلك وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
عدد النعم العظام من انواع شتى ثم اشار اجمالا الى سايرها وانها فى الكثرة بحيث لا يقدر احد على
عدها فكيف على القيام بشكرها ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم رحيم لا يقطع النعم بترك الشكر
عليها ولا يعاجلكم بالعقوبة ولما ختم الآية فى سورة ابراهيم بقوله ان الانسان لظلوم كفار ختم
هنا بقوله ان الله لغفور رحيم ليكون كل من وصفي العبد من الظلم والكفران مقابلا بوصف من الغفران
والرحمة ايماء الى ان رحمته سبقت غضبه والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من الاعمال والعقايد
فيه وعيد وحث على الاخلاص والذين يدعون من دون الله المخاطبون بعض من خوطب اولا لعمومه
المؤمن والكافر وقرا عاصم باليآء لا يخلقون شيئا من الاشياء وهم يخلقون مخلوقون عجزة تحت قدرة
خالقهم ترقى فى البرهان اموات غير احياء لم تعرضها الحيوة قط وليس لها حيوة بالذات بل مستفادا
ان كان لها حيوة فيشتمل الاصنام وكل ما عبد من دون الله ويؤيد هذا الوجه قوله وما يشعرون ايان
يبعثون لان من لم تمسه الحيوة لا يحتاج الى سلب الشعور عنه وفيه تهكم بالمشركين بان معبوداتهم لا شعور لها
بوقت البعث فكيف تقدر على الشفاعة وايصال الثواب والعقاب اشارة الى ان البعث من لوازم التكليف
لئلا يضيع اجر المحسنين الهكم اله واحد اعاد المدعى بعد اقامة البرهان تقريرا فالذين لا يؤمنون بالآخرة
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون اي بعد ثبوت الوحدانية ووضوحها لم يكن من المشركين الا عكس مقتضى
العقل وهو الانكار بالقلب والاستكبار وطلب الترفع عن صرف الجوارح الى ما خلق لها لا جرم ان الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فاعد لهم جزاءهما انه لا يحب المستكبرين جنس
المستكبرين فضلا عن الذين يستكبرون عن التوحيد واذا قيل لهم ما ذا انزل ربكم ما ذا منصوب بانزل بمعنى
اي شئ انزل او مرفوع بالابتداء اى اي شئ انزله قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله اساطير
الاولين اباطيلهم واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين نظيره يسالونك ماذا ينفقون قل العفو
بالرفع والنصب والسايل اما بعض المشركين او الوافدون او المسلمون والمجيب الذين اقتسموا مداخل مكة

ينفرون

ربما كان يبكي لان اساطيرها وليست من المنزل منه

مليب
هذا القول ... لما اشتهر من ان جلادة
كان يدعو لعوضه اكثر واشهر رجالا
في عذاب شديد منه

ينفرون الوفود الى رسول الله اذا سالوهم عما انزل سموه منزلا تهكما ليحملوا اوزارهم كاملة
يوم القيمة اي انما قالوا ذلك القول اضلالا للناس عن طريق الرشاد فاللام للعاقبة ومن اوزار
الذين يضلونهم بعض اوزارهم لانهم تسببوا لضلالهم بغير علم حال من المفعول اي اضلوهم غير عالمين
بان القابلين يريدون اضلالهم وفيه دلالة على ان الجهل ليس بعذر بل كان عليهم البحث حتى يظهر لهم
الحق من الباطل وفيه ان كيدهم لا يروج على ذوى الالباب بل انما يقلدهم الاغنام وفيه ذم لهم اذ لم
يقدروا الا على اغواء الضعفة المسترشدين الا ساء ما يزرون اي بئس شيئا يزرونه فعلهم قد
مكر الذين من قبلهم من قبل قريش برسلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد جمع قاعدة وهي الاساطين
التي تقيم البناء او الاساس فخر عليهم السقف من فوقهم اذ لا بقاء للسقف بعد ذهاب القواعد واتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون لا يحسون ولا يتوقعون مثل حالهم فى توكيد حيلهم ليمكروا بها رسل الله
ببنيان على قواعد محكمة ليكون سببا لنجاتهم وكانوا آمنين اذ هدم الله عليهم فجاءة فكان ما اعدوه
للنجاة سببا للبوار وفى المثل من حفر لاخيه قليبا وقع فيه وقيل هو نمرود بن كنعان بنى الصرح
طوله خمسة آلاف ذراع فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم بعذاب
النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاءى اضافهم الى ذاته تخجيلا وتوبيخا
لهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين فى شانهم وقرا نافع بكسر النون على انها نون
الوقاية حذف منها الياء اكتفاء بالكسرة تنويها بشان المؤمنين بجعل مشاقتهم مشاقته قال
الذين اوتوا العلم هم الانبياء او الملائكة او اولوا العلم جميعا ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين
يقولون ذلك شماتة وتشفيا حكاه الله تعالى لطفا بالسامعين الذين تتوفيهم الملائكة قرا
حمزة باليآء لان التانيث غير حقيقي والموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها
للعذاب المخلد فالقوا السلم اذ عطف على قوله قال الذين اوتوا العلم اي عنوا واستسلموا
وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه والسلم بفتح اللام والسين مصدر بمعنى الاستسلام والانقياد
ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان جحدوا وانكروا ان يكون صدر منهم ما كان صادرا ولذلك
قال انظر كيف كذبوا بلى جواب اولى العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون وهذا وان جزاؤه والقول
بان هذا كلام الملائكة حين توفى الكفار يرده قوله فادخلوا ابواب جهنم مع انكارهم وقولهم ما كنا
نعمل من سوء لا معنى لجريانه مع الملائكة المتوفين لارواحهم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين مثواهم
وقيل للذين اتقوا اي المؤمنين ما ذا انزل ربكم هم الوافدون لاستكشاف خبر رسول الله من القبائل
ايام الموسم قالوا خيرا المجيب اصحاب رسول الله فان الوافد كان يقول اذا كفه المقتسمون عن الاتيان
الى رسول الله لا نا شروا قد ان رجعت ولم القه ولم استطلع امر محمد النصب هنا والرفع فيما تقدم للفصل
بين جواب المقر وجواب الجاحد فان هولاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا
مفعولا للانزال واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال وقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شئ
ويجوز ان يكون خيرا مفعول قالوا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدلا من خيرا كانهم اجملوا فى الجواب
ثم فصلوا ايضاحا للمسترشدين ويجوز ان يكون للذين احسنوا كلاما مبتدا ثناء على القائلين فى
جوابهم وانه من حسناتهم معدودا من جملتها وهذا الوجه احسن طباقا لان هذا الوعد فى مقابلة
الوعيد بقوله ليحملوا اوزارهم فى هذه الدنيا حسنة مكافاة على فعلهم ولدار الآخرة خير ولهم فى الآخرة
خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة حذف
المخصوص لتقدم ذكره جنات عدن خبر مبتدا محذوف اي لهم ويجوز ان يكون المخصوص وان يكون

مبتدا يدخلونها خبر تجري من تحتها الانهار خبر اخر وعلى الوجهين الاولين حالان اما من فاعل الظرف
اومن فاعل نعم لهم فيها ما يشاؤن من الملاذ وتقديم الظرف للدلالة على ان الانسان لا يجد جميع الاماني
الا في الجنه كذلك يجزي الله المتقين الكاف في محل النصب على المصدر اي مثل ذلك الجزاء وهذا بصاير يويد
الوجه الاخير الذين تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من الكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم
اوفرحين ببشارة الملائكة فان المومن يبشر اذا احتضر من طابت نفسه او بالتوجه الى حضرت القدس
وقرا حمزة بالياء والتوجيه ما تقدم يقولون سلام عليكم من كل ما يخاف منه ادخلوا الجنه بما كنتم تعملون
اذا بعثتم او الآن فان قبر المومن روضة من رياض الجنة على ما نطق به من لا ينطق عن الهوى وقيل هذا
وفاة الحشر وليس بشيء اذ لا موت بعد البعث هل ينظرون الا ان ياتيهم الملائكة اي الكفار لقبض ارواحهم
ذكر المتقين كان بالعرض لزيادة تبكيت المشركين وتحسيرهم وفيه اشارة الى ان الرسول قد ادى ما عليه
من التبليغ او ياتي امر ربك عذابه المستاصل او يوم الجزاء كذلك فعل الذين من قبلهم من الشرك والمنافرة
وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم المودي اليه فاصابهم سيئات ما عملوا جزاءها
وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن جزاء الاستهزاء افرده بالذكر لغاية
قبحه لبعد مقام الرسل عن الاستهزاء بهم وفيه تسلية رسول الله بان من يتربص الدايرة عليه دايرة السوء
وقال الذين اشركوا اتى بالموصول موضع الضمير اشارة الى ان قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ناش وصادر عن الكفر يستلزم رفع التكليف لكونه
جبرا صرفا يلزم منه سلب القدرة والارادة من العبد وجعله كالجماد لا يدل على ان المعاصي ليست
بمشيئته تعالى كيف وقد قال ولو شاء الله ما فعلوه كذلك فعل الذين من قبلهم من الكفار فهل على
الرسل الا البلاغ المبين الواضح وقد بينوا ان الخير والشر بارادته ومشيئته وان ذلك لا يوجب الجبر بل
التوسط بين طرفي الافراط والتفريط واليه اشار لما قالت الصحابة ففيم العمل يا رسول الله اعملوا فكل
ميسر لما خلق له ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت برهان قاطع على فساد
ما ادعاه المشركون من الجبر وذلك ان كل رسول بعث في امة كان مامورا بان يدعوهم الى التوحيد واجتناب
عن اتباع الشيطان فلو كانت مشيئة تعالى رافعة للوم على الشرك والمعاصي لما كان لارسال الرسل
فايدة فمنهم من هدى الله الى طريق الجنة فاتبعوا الرسل ومنهم من حقت عليهم الضلالة فكذبوهم
وفي ايثار حقت عليهم اشارة الى ان الفيض وان كان عاما الا ان سبق العلم والارادة مانعان فسيروا
في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للرسل فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا
وقيل الخطاب للمومنين تسلية لهم بان ما اصاب اولئك سيصيب هولاء مثله ان تحرص على هديهم
يا محمد فان الله لا يهدي من يضل يريد اضلاله قرا الكوفيون بضم الياء وفتح الدال على بناء
المفعول والمعنى من يضلله الله لا هادي له والباقون بفتح الياء وكسر الدال والاول هو [illegible]
لان الضلال فرع اضلاله تعالى وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب واقسموا بالله جهد ايمانهم
ما يبلغه طاقتهم اي بالغوا في الايمان لا يبعث الله من يموت جواب القسم والقسم مع جوابه عطف على
قوله قال الذين اشركوا ايذانا بانهم كافرون بالتوحيد والمعاد جامعون بين الفريقين بلى رد عليهم
وعدا مصدر موكد لما دل عليه بلى لان البعث وعد من الله لقوله كما بدانا اول خلق نعيده
حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لاخلالهم بالنظر ولعدم تصديق الرسل [illegible]
المعجزة الى السحر ليبين لهم الذي يختلفون فيه من الدين والعقايد وليعلم الذين كفروا انهم كانوا
كاذبين في قولهم لا بعث وذلك ايضا من الدواعي الى البعث وقيل الجار في الموضعين متعلق

بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثنا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه وليعلم المشركون انهم
كانوا كاذبين على الله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون تمثيل لسرعة تكون مراده بعد
تعلق الارادة كوجود المامور به من المامور المطيع لاوامر الامر المطاع ولا قول هناك وقيل بل جرت سنة
الله في ايجاد الاشياء باحداث كلمة كن اولا وقرا ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب عطفا على ان نقول
او على انه جواب الامر صورة وان لم يكن هناك حقيقة الامر لاقتضائها مخاطبا ولا موجودا اذ ذاك
فضلا عن المخاطب والباقون بالرفع على الاستيناف اي فهو يكون وهذا برهان على جواز البعث
لدخوله في العموم والذين هاجروا في الله في شانه فرارا بدينه وهم رسول الله واصحابه هاجروا من مكة
الى الحبشة والى المدينه ثم عام فتح خيبر هاجر من كان بالحبشه الى رسول الله وهو قد فتح خيبر فاسهم
لهم منهم جعفر الطيار وابو موسى الاشعري وقيل هم المستضعفون الذين تخلفوا عن رسول الله منهم
صهيب هاجر بعد رسول الله فاخذه المشركون وآذوه فقال انا رجل غريب وشيخ كبير
لا اضر ولا انفع فافتدى نفسه بما له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ربح صهيب افتدى
نفسه بما له فلما جاء ورسول الله بقبا استقبله عمر بن الخطاب وكان قد اخا رسول الله بينه وبين
عمر فناداه عمر وقال ربح البيع والله يا صهيب فقال صهيب والله هذا خبر السماء يا عمر من بعد
ما ظلموا بعد الايذاء والاخراج لنبوئنهم في الدنيا حسنة لننزلنهم منزله حسنة وهي المدينة
او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر من المعجل في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا
اعطى رجلا من المهاجرين عطاء يقول خذ هذا بارك الله لك فيه وما ادخر الله لك في الاخرة
خير من هذا وافضل لو كانوا يعلمون اي لو يعلم الكفار ما ادخر الله لهولاء المهاجرين لرغبوا في
دينهم او لو يعلم المستضعفون ذلك لازدادوا اجتهادا في الدين وصبرا على الاذى ويويده
الذين صبروا اي على الشدايد رفعا ونصبا على المدح وعلى ربهم يتوكلون في امورهم
كصهيب فانه صبر على الاذى وخرج من ماله متوكلا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى
اليهم جواب عن شبهتهم بان الله لو بعث رسولا كان ملكا ولو كان رجلا كان معه ملك يصدقه
وقرا حفص نوحي بالنون وكسر الحاء فاسألوا اهل الذكر اهل الكتاب ليخبروكم ان الله لم يبعث
في ساير الامم الا رجالا يوحى اليهم ان كنتم لا تعلمون والحكمة في ذلك سهولة الاخذ منهم ولذلك قال
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقيل الا ملائكة ممثلين بصورة الرجال وليس بشيء لقوله
في سورة يوسف الا رجالا من اهل القرى لا لان رسول الله راى جبريل في صورته
لان تلك الروية لم تكن في حال الارسال بالوحي بل اراه الله اياه على تلك الصورة كما اراه
ساير عجايب الملكوت بالبينات والزبر متعلق بارسلنا او بيوحي اي يوحي اليهم بالبينات
وقوله فاسألوا اهل الذكر اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للالزام والتبكيت كقول الاجير ان
كنت عملت لك فاعطني اجري مع انه لا يشك في عمله وقيل متعلق بارسلنا داخل حكم الاستثناء و
التقدير ما ارسلنا جماعة من الجماعات بشيء من الاشياء الا رجالا بالبينات والحق عدم جوازه لاستثنا
على جواز تعدد المفرغ والحق عدم جوازه للزوم الالتباس او وجوب ان كل ما وقع بعد الا محصور
فيه وان لا يكون فرق بين ما ضرب الا زيد عمرا وما ضرب الا عمرا زيد والفرق واضح ابلج وانزلنا
اليك الذكر اي القرآن لتسميته بالذكر لاشتماله على المواعيظ ولكونه شرفا له لقوله لقد انزلنا
اليكم كتابا فيه ذكركم لتبين للناس ما نزل اليهم من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد
ولعلهم يتفكرون ولكي يتفكروا فيه ويدركوا اعجازه فيومنوا به وبنبوة من انزل اليه افامن

الذين مكروا السيئات اي المكرات وهم اهل مكة واذ يمكر بك الذين كفروا او الذين يحتالون لهلاك
الانبياء والاستفهام للتقرير اذ لو لم يأمنوا لما مكروا ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون
او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون كما فعل بعاد وقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم في اسفارهم
ومساربهم كما فعل بالحبشة حين قصدوا هدم الكعبة فما هم بمعجزين سابقين القدر او ياخذهم على
تخوف واستشعار بالعذاب كما فعل بقوم صالح مقابل قوله من حيث لا يشعرون والغرض منه التعميم
وقيل التخوف التنقص شيئا فشيئا والمعنى يتنقص منهم شيئا بعد شيء في اموالهم وانفسهم وقد روي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال له
هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا
ابو كبير يصف ناقته لقد تخوف منها ما مكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر
عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم
فان ربكم لرؤف رحيم حيث لم يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء ما موصولة
ومن بيانية والاستفهام للتقرير بما دخله النفي وهو الاثبات وقد يقال انه للانكار والمعنى
واحد وقرأ حمزة والكسائي اولم تروا بالخطاب وهو المختار لقوله ان ربكم لرؤف رحيم يتفيؤ
ظلاله عن اليمين والشمايل الفيء هو الظل الراجع بعد الزوال من استعمال المقيد في المطلق و
افرد اليمين وجمع الشمال نظرا الى اللفظ والمعنى ولم يعكس لان قوة اليمين جابرة نقصان الجمع
لفظا وقرأ ابو عمرو وتتفيؤ مؤنثا والتذكير احسن لعدم الفاصل سجدا لله حال من الظلال
وهم داخرون حال من المجرور لانه في معنى الجمع وفيه ترتيب حسن فانه لما اوقع السجود حالا
عن الظلال جعل الدخور الذي انقياد قهري وصفا لاصحابها وفي جعلها حالا بن من الظلال فوات
ذلك الحسن والعامل في الحال الثانية يتفيؤ ايضا كما مر في بل ملة ابراهيم حنيفا ولله يسجد
ما في السموات وما في الارض من دابة بيان لما في السموات والارض جميعا على ان في السموات لله
خلقا يدبون كما يدب الاناسي وساير الحيوانات في الارض او هو بيان لما في الارض وحده والملائكة
عطف على المبين عطف الخاص على العام او هي ملائكة الارض وما في السموات خلق آخر وهو
الروح الذي اخبر الله عنه بقوله يوم يقوم الروح والملائكة وما قيل من انه من عطف المجردات
على الجسمانيات واستدل به على ان الملائكة ارواح مجردة ومعنى السجود الانقياد الشامل للعقلاء
وغيرهم ولفظ ما يشملهم وهم لا يستكبرون حال من الملائكة يخافون ربهم من فوقهم حال
من ضمير يستكبرون واستيناف بيان لنفي الاستكبار وهذا اولى لئلا يتقيد الاستكبار وليدل على
ثبوت هذه الصفة على الاطلاق ومن فوقهم متعلق بيخافون والمعنى يخافون نزول العذاب من تلك
الجهة كقوله عذابا من فوقكم او بربهم حال منه اي يخافونه حال كونه غالبا عليهم كقوله وهو القاهر فوق
عباده وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون وانهم خايفون من عذابه ويفعلون ما يؤمرون فيه
دليل على عصمتهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين
وصف الالهين بالاثنين مع ان المثنى نص في مدلوله كقولك رجلان وثوبان اشارة الى ان مصب
النهي هو الاثنينية فانها تنافي الالوهية ولما احتمل الكلام ان يكون لخصوصية الاثنين مدخل
في ذلك النهي ازاله بقوله انما هو اله واحد لا شريك له في الالوهية راسا ولا خصوصية لعدد
بل الوحدانية من لوازم الالهية فاياي فارهبون التفت الى التكلم لانه ابلغ في الترهيب وفيه
ايماء الى انه ذلك الواحد وله ما في السموات والارض من الكاينات الخارجة والداخلة فيها وله الدين

لا لغيره واصبا لازما لتفرده بالالوهية او من الوصب وهو المشقة اي ذا كلفة ومشقة ولذلك
سمي تكليفا او الدين الجزاء اي له الجزاء القايم وهو الثواب والعقاب افغير الله تتقون بعد
ما تبين لكم انه المتوحد في الالوهية والحقيق بالتقوى وما بكم من نعمة فمن الله وما اتصل بكم
من نعمة فهو من الله ولما كان اتصال النعمة بهم سببا للعلم لكونها من الله ادخل الفاء
في خبر الموصول وما قيل هؤلاء قوم اعطوا نعما فشكوا في موليها فكان ذلك سببا للاعلام بانها
من الله ففيه ان قوله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون صرح في انهم عالمون بذلك الموالي
كيف والخطاب شامل للمؤمن والكافر والجؤار رفع الصوت بالدعاء وفي الحديث كاني بموسى ينحدر
في الوادي وله جؤار بالتلبية ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ومن الكفار
فان قوله وما بكم من نعمة خطاب عام لشمول النعم المؤمن والكافر وان خص الخطاب بالمشركين
فلان منهم من اعتبر لقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ويجوز ان يكون من بيانا كانه
قيل فاذا فريق كافر وهم انتم ليكفروا بما آتيناهم تلك الفرقة وكان الواجب عليهم شكر تلك
النعم فبدلوه كفرانا ولذلك جعله كالفرض فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون وخامة ما انتم
فيه ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ويجعلون لما لا يعلمون ما لا يعلمون آلهتهم لاعتقادهم انها تضر
وتنفع فهم جاهلون بها والعايد محذوف او الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء لا علم لها
بل هي جمادات وضمير العقلاء لادعائهم ذلك فيها نصيبا مما رزقناهم من الزروع والزروع
تقربا اليها تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها تستحق الالوهية والتقرب ويجعلون لله البنات
كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه او تعجيب ولهم ما يشتهون من الذكور وفيه
غاية الوعيد حيث لم يرضوا لانفسهم البنات وارتضوها لخالق السموات ويجوز فيما يشتهون
الرفع على الابتداء والنصب عطفا على البنات فان قلت قد نقل عن الزجاج ان العرب لا تقول جعل
زيد له ما يشتهي وذلك يدل على عدم جواز النصب قلت قول الزجاج محمول على جعل الظرف
لغوا فيلزم الجمع بين ضميري الفاعل والمفعول في غير فعل القلب واما اذا جعل مستقرا فلا محذور
ولا حاجة الى الاعتذار بانه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه واذا بشر احدهم بالانثى
اخبر عبر عنه بالبشارة اشارة الى انها بشارة وان كره لان الولد نعمة من الله ذكرا كان او انثى الا
يرى الى قوله يهب لمن يشاء اناثا او هو من استعمال احد الضدين في الآخر ظل وجهه مسودا صار
اسود غاية السواد لاعتراء الغم وتراكم الهم كما يستنير وجه المستبشر عند عروض السرور او ظل من
الظلول فانه وقت اجتماع الناس وحينئذ يقع الخجل وهو كظيم مملوء غضبا او كاظم غيظه ساتر اياه
يؤيده قوله يتوارى من القوم يتستر منهم حياء من سوء ما بشر به لاجل قبح المبشر به وكونه عارا عليه ايمسكه
على هون ام يدسه في التراب في موقع الحال من فاعل يتوارى والمعنى يتستر من الناس مترددا بين ان يحفظ
المبشر به ويرضى بالذل والهوان وبين ان يدفنه في التراب وهو الوأد الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد
الذي محله عندهم هذا لمن ملك السموات والارض للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء الصفة التي
تورث النقص وهي الاحتياج الى الولد والى كل قليل وكثير وضع الموصول موضع الضمير اشارة الى ان صدور
ذلك القول منهم منشاؤه عدم الايمان بالآخرة ولله المثل الاعلى الشان الاعلى من كل ما ينسب اليه وله الغنى
المطلق وهو العزيز الغالب على كل شيء فلا احتياج له الى ولد يستظهر به الحكيم في صنعه ولو يؤاخذ الله الناس
بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها اي على الارض دل عليها ذكر الناس وهذا اعم من قوله ما ترك
على ظهرها من دابة قط بشؤم معاصيهم وفي الحديث ان الكافر اذا مات استراح منه الناس والدواب

وعن ابن عباس رضي الله عنه من دآبة من مشرك وعلى هذا ذكرا لدآبة للتحقير ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
لحكمة اقتضت ذلك اما اليبوث بعضهم او يولد له من يؤمن اوليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين فاذا جاء اجلهم
المحتوم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون عطف على الشرطية واضافة الظلم الى الناس باعتبار وقوعه بينهم
فلا يلزم العموم ويجعلون لله ما يكرهون من البنات والشركة والرياسة ويذلهم ارذل الاموال في الصدقات
وابواب البر وتصف السنتهم الكذب تظهر ان لهم الحسنى بدل من الكذب وبان لهم الحسنى عند الله في مقابلة
ذلك القبيح كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى لا جرم ان لهم النار كسب ذلك لهم النار وانهم
مفرطون متجاوزون الحد اسم فاعل من افرط في الشيء بالغ فيه قرأ نافع مفرطون بكسر الراء من افراط في المعصية
تابع فيها وغيره بفتح الراء اسم مفعول من فرطه قدمه لطلب الماء والمنزل اي مقدمون الى النار او من
افرطه تركه ورآء ظهره اي منسيون من رحمته وهذا ابلغ والبق بالمقام لان كونهم متجاوزين قد علم من قوله
ويجعلون لله البنات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على ذلك الى ان
ماتوا على الكفر فهو وليهم اليوم حكاية حال ماضية لانه من ثمة حال الامم المرسل اليها او اليوم عبارة
عن زمان الدنيا فيتناول الماضي والمعنى ان الامم السالفة انما كانوا متخذ ولين في الدنيا لكون الشيطان
وليا لهم وناصرا وفيه تسلية لرسول الله ووعيد للمشركين او اليوم حكاية حال آتية اي يوم يعذبون
بالنار لا ناصر لهم الا الشيطان وفيه تهكم بهم ونفي للناصر على ابلغ وجه او اليوم هو الزمان الحاضر
والمعنى زين للامم قبلك وفرغ من امرهم فهو الآن ولي هؤلاء الذين يكذبونك وفيه مزيد التسلي و
التشفي ولهم عذاب اليم يوم القيمة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه من احوال
المبداء والمعاد اصولا وفروعا وهدى لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين ولم يظهر اللام لانهما فعلا
المنزل بخلاف الاول فان قلنا ذا اختص كونه هدى بالمؤمنين فما معنى التبيين للناس قلت البيان هو الكشف
عن موضع اللبس بحيث لا يخفى على احد سواء قبله واذعن له اولا وكونه هدى للمؤمنين بمعنى انهم قبلوه
والتزموا العمل بموجبه والله انزل من السماء فاحيا به الارض بعد موتها بعد اقامة البراهين على وجود
الصانع ووحدانيته حكى عنهم انواعا من الكفر والضلالات ثم عاد الى ابداء الدلايل القاطعة ازاحة
للعذر وايضاحا للسبيل لان مقام اثبات الصانع والتوحيد اجل المقامات واسنى المقاصد فهو خليق بذلك
ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر لان من لم يتدبر بعد السماع فكانه اصم وان لكم في الانعام
لعبرة دليلا يعبر به الى العلم بوجود صانع حكيم نسقيكم مما في بطونه بيان لكونه دليلا وعبرة وتذكير الضمير
الراجع الى الانعام لكونه مفردا كما نص عليه سيبويه واما تانيث الضمير في سورة المؤمنين فباعتبار المعنى
لانه اسم جمع وقيل الضمير لبعض الانعام لان اللبن مختص به وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر بفتح النون
وهو اكثر دورا من بين فرث ودم لبنا متوسطا بينهما اسفل البطن محل الفرث واعلاه مكان الدم لان
القلب والكبد ذات اليمين وذات الشمال مستغلمان ينبوعا الدم والضروع ايضا محلها اعلى البطن فعلى
هذا من في من بين فرث ودم متعلق بنسقيكم على انها ابتدائية لان الفرث والدم محل الاسقاء به ومنه التكون
والظهور كقولك سقيت من الحوض والاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في البطون خالصا صافيا لا يشوبه
شيء من الفرث والدم يدل على كمال القدرة كقوله بينهما برزخ لا يبغيان سايغا سهل المرور في الحلق
من السوغ وهو الدخول للشاربين ذكره امتنانا ومن ثمرات النخيل والاعناب ثم عطف على قوله
وان لكم في الانعام او من عصيرها عطف على مجموع السابق لا على مما في بطونه لفساد المعنى ويتعلق بنسقيكم
مقدارا وقوله تتخذون منه سكرا بيان لكيفية الاسقاء ويجوز ان يكون متعلقا بتتخذون ومنه تكرارا للتاكيد
وتذكير الضمير لعوده الى العصير المحذوف والسكر بفتح الكاف مصدر سكر مثل رشد رشدا الخمر تسمية

بالمصدر وفي الحديث حرم السكر من كل شراب والآية منسوخة وقيل السكر الطعام قال الازهري انكره
اهل اللغة والعرب لا تعرفه ورزقا حسنا التمر والزبيب وغيرهما ماعدا الخمر وفيه اشارة الى
ان الخمر مع كونه مباح الشرب ليس من الرزق الحسن ولذلك لم يشربها الانبياء قط وان فسر
السكر بالطعام جاز ان يكون رزقا حسنا هو السكر والعطف للتغاير ومن للتبعيض لان بعضها يؤكل
طريا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في التامل والتدبر في المصنوعات
واوحى ربك الى النحل شروع في نوع آخر من الدلايل على وجود الصانع الحكيم والوحي لغة السرعة
وفي الحديث الوحا الوحا ويطلق على الكتابة والرسالة والاشارة والكلام الخفي والالهام وهو المراد
هنا ان اتخذي والتانيث لان النحل اسم الجمع كالناس من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بعض
الجبال والشجر وما يعرشون من الكروم والسقوف لانها لا تبنى في الكل ولا في كل مكان منها والبيت
ما يبيت فيه الحيوان ويأوي اليه انسانا كان او غيره ومنه بيت العنكبوت فلا احتياج الى التشبيه
ببيت الانسان ثم كلي من كل الثمرات ارشادها الى العمل بعد اتخاذ المنزل والمراد بعض كل الثمرات وفيه
طباق بين من ولفظ كل فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت
في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ما كلت
او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي اليها سبل ربك راجعة لا تزل فيها ولا
تضل واسلكي سبل ربك في طلب النجعة واكل الثمرات ذللا جمع ذلول من الذل بالكسر وهي اللين
ضد الصعوبة حال من السبل اي مذللة لك او من الفاعل اي وانت مذللة منقادة لما اريد والوجه
هو الاول يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه عدل من الخطاب الى الغيبة لفراغ التعليم المفضي له
والشروع المقصود الذي كان ذلك الالهام والتعليم لاجله وهو الامتنان على الانسان بايصال ذلك
النفع البالغ اليه والشفاء القالع للمرض الذي هو غاية الاماني مع كون الدواء من الذ الاشياء
واشهى المشتهيات من ذلك الحيوان الضعيف الذي لا يستهدي العقل الى تصور المناسبة بينهما
فيه شفاء للناس نوع منه فالتنوين للتعظيم وقيل فيه شفاء من كل داء وقد روي فيه حديث فعلى
هذا يكون فيه شفاء لكل داء اما بسيطا او مركبا ولا يقتضي وجود الشفاء في كل وقت بل يعتبر في
ذلك مصادفة الدواء الوقت اللايق ونضج المادة وساير ما يعتبر طبا وبذلك يؤول الحديث
الذي رواه قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان اخي يشتكي بطنه
فقال اسقه عسلا فقال سقيت وما نفع فقال اسقه عسلا صدق الله وكذب بطن اخيك كذب
البطن عبارة عن عدم قابلية المحل عبر عنه بالكذب لوقوعه في مقابلة الصدق طباقا ونوعا
من المشاكلة وقيل الضمير للقرآن وهو بعيد جدا ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون في بدايع صنع الله
اين النحل من تلك الصنعة البديعة في تلك البيوت على ذلك الوضع والشكل المسدس الذي هو افضل
الاشكال وزوجا الذي لا يطلع عليه الا الحاذق في علم الهندسة ولغموض المعنى والاحتياج الى مزيد التامل
ختم الفاصلة بالتفكر الذي يقتضي اعمال الروية وترتيب المبادي والله خلقكم ثم يتوفيكم عند حلول
الآجال ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه وهو الزمان الذي ينقص فيه القوى والعقل في دعائه
صلى الله عليه وسلم واعوذ بك ان تردني الى ارذل العمر روي عن علي رضي الله عنه انه خمس وسبعون
سنة وعن قتادة خمس وتسعون والحق انه يختلف باختلاف الاشخاص وتفاوت القوى والعقول لكيلا
يعلم بعد علم شيئا كناية عن غاية النسيان وتنكس الاحوال ونقصان القوة الحافظة كالطفل فانه
اذا علم شيئا لم يرث ان ينساه ولا يقدر على كسب علم زايد لوقوف الفهم ونقصان الادراك ان الله

عليم بالاشياء قدير على ما يشاء والله فضل بعضكم على بعض في الرزق منكم الغني ومنكم الفقير ومنكم
المكثر ومنكم المقل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم لم ليساووهم فيه ليكون ذلك
شكرا لتلك النعمة روي البخاري عن معرور انه رأى اباذر وعليه حلة وعلى غلامه فسأله عن ذلك
فقال قال رسول الله اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم اطعموهم مما تطعمون
والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل الا ما يطيقون فهم فيه سواء الموالي والمماليك في ذلك
الرزق سواء لان الله هو الرزاق حقيقة افبنعمة الله يجحدون حيث لا ينفقون على امثالهم مع انهم عباد
مربوبون مثلهم والمعنى انكم لا ترضون بالمساوات مع عبيدكم واماءكم مع كونكم تشاركونهم في النوع
فكيف يجعلون لله اندادا من مخلوقاته او ان الموالي والعبيد كلهم عبادي وانا رازقهم فلا يحسبن
الموالي انهم رادون على مماليكهم من الرزق شيئا وفيه اشارة الى ان المن والاعجاب مفسدتا
الكفران وقرأ ابو بكر يجحدون بالخطاب والله جعل لكم من انفسكم ازواجا نوع آخر من دلائل الانفس مع
كونها نعما جزيلة اذ بالازواج يحصل الانس والتناسل وقيل اراد خلق حوا من ضلع آدم وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة اولاد الاولاد وقيل بنات لانهن يسرعن في الخدمة واصل الحفد السرعة ومنه دعاء القنوت
واليك نسعى ونحفد وقيل الخدم مطلقا وعلى هذا من ازواجكم حال من بنين مقدما ورزقكم من الطيبات
بعضها لان كل الطيبات انما تكون في الجنة وما في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدونه
من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وبنعمة الله هم يكفرون حيث يحرمون ما احل الله وتقديم الصلة
للحصر لان من جعل الموهوم متيقنا وانكر المتيقن وجحد مع قيام البرهان لا اكفر منه وقيل للمحافظة
على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا نعى عليهم بعد اقامة
البراهين على وحدانيته بانهم اشركوا به جمادات لا حس ولا حراك بها والرزق اسم المصدر يعمل عمله فشيئا
منصوب به او هو بمعنى المرزوق فيكون بدلا منه ومن السموات والارض صلة الرزق ان كان مصدرا بمعنى
لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق ولا يستطيعون نفي للامكان
بعد نفي الفعل ترقيا وجمع الضمير وافراده باعتبار لفظ ما ومعناه وقيل ضمير الجمع راجع الى الكفار اي
هؤلاء مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يقدرون على ذلك فكيف بالجمادات ولا حاجة الى تقدير الرجع
الى الرزق لان المعنى على نفي الاستطاعة راسا فلا تضربوا لله الامثال فلا تشركوا به عدل الى المنزل
لان من اشرك به شيئا فقد شبهه به ففي النهي عن ضرب المثل له تعالى نهي عن التشبيه به ذاتا ووصفا
وفي لفظ الامثال لمن لا مثل له نعي عظيم على القائل وتسجيل على غباوته وليس فيه ان اسماءه تعالى
توقيفية ان الله يعلم قبح ما يقولونه ويعتقدونه وانتم لا تعلمون تعليل للنهي عن ضرب الامثال او نهي
عن ضرب المثل حقيقة فانه يستدعي العلم بحال المشبه والمشبه به وكيفية وجه الشبه وانتم عراة عن
العلم منهمكون في التقليد لا تعرفون حقائق الاشياء بل انما تعبدون الاسماء من غير نظر الى المسمى
ثم علمهم ضرب المثل فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا
فهو ينفق منه سرا وعلانية جهرا هل يستوون مثل حاله تعالى في كمال قدرته في ما شاء وكيف شاء وحال
الاصنام التي جعلوها له شركاء مع انها لا تقدر على شيء راسا بالمملوك الذي ليس له قابلية الملك
والتصرف اصلا والحر الذي اعطي مالا وافرا وهو مطلق العنان لا حجر عليه ولا حاجز دونه ودون
مرامه وقيد المملوك لاخراج الحر فان العبد يطلق عليهما ولا يقدر على شيء لاخراج المكاتب والمأذون والآية
دلت على ان المملوك ليس محل التمليك كما ذهب اليه مالك ومن في رزقناه الاولى ان يكون موصوفة
لوقوعها في مقابلة عبدا وقيد الرزق بالحسن لاخراج الحرام اذ لا مدح في انفاقه ويحتمل ان يراد به

زائد وقيل خلاصة الآية اي انتم لا ترضون ان يشاركوا فيما لكم مملوكيكم فكيف تجعلون لله شركا عبيدا حتى عبادة او جاد وقيل معناه ان الذي يرزقونه الى ما يملكهم لا يرضونه فهل منكم عاقل انا الرزاق

الكثر

الكثرة ليتسع مجال الانفاق منه وجمع الضمير في لا يستوون لارادة الجمع كأنه قيل لا يستوي الاحرار والعبيد
لئلا يتوهم ان ذلك التفاوت ناش من الخصوص الحمد لله كل الحمد لانه المنفرد بالايجاد والقدرة المؤثرة
فلا استحقاق لغيره بل اكثرهم لا يعلمون قيد الاكثر لاخراج الاقل فانهم يقولون محمودا وضرب الله
مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه ابلغ واوضح فيما سيق له الكلام من بيان
عجز ما يعبدونه من المثل الاول والابكم من ولد اخرس وقيده بكونه لا يقدر على شيء ومع ذلك ثقل وعيال
على من يتولى امره وحاصله انه عديم النفع مع الضرر الظاهر اينما يوجهه لا يأت بخير لان مناط الخير
القول والفعل عاجز عنهما هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم قابل تلك الصفات
بنقايضها لان الامر بالعدل من لوازمه النطق والعلم والقدرة والاستقامة في الاعتقاد والعمل وانما
قدم الامر بالعدل وانما تأخر عن الاستقامة لتقدمه شرفا ولله غيب السموات والارض علم ما غاب
فيهما او علم ما غاب عنهما اي عن اهلها بيان لكمال علمه بعد ابطال الشبهة وما امر الساعة الا كلمح
البصر وهو اقرب اذا استهونوا فعل شيء واستقربوه يضربون له بذلك مثلا بيان لكمال قدرته وتساوي
الممكنات بالنسبة اليها واو بمعنى بل مثل الى مائة الف او يزيدون ان الله على كل شيء قدير برهان على
ذلك لاندراجه في الكلية والله اخرجكم من بطون امهاتكم دليل على كمال قدرته بما لا ينكرونه وهو
المختار للخفة لا تعلمون شيئا من الاشياء وجعل لكم السمع والابصار والافئدة آلات الادراك قيل من
فقد حسا فقد علما وتقديم السمع لانه يتلقى به اوامر الشارع لعلكم تشكرون مولى تلك المعارف
التي هي اجل النعم بعد ذلك الجهل الذي لا داء ادوأ منه المرير والى الطير من دلائل الآفاق بعد
ذكر دليل الانفس مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاسباب المواتية له في جو السماء وجو الشيء
داخله وجو السماء ما بينه وبين الارض من الهواء وفي حديث علي فتق الاجواء وشق الارجاء وفي رواية
سكايك الهواء جمع سكاكة قيل هي ابعد من الجو ما يمسكهن الا الله اذ لا دعامة هناك ولا علاقة والجسد
بثقله يقتضي السقوط ان في ذلك لآيات دالة على علم الصانع وقدرته من وجوه شتى خلق الطير على
الحالة التي يمكن له الطيران وخلق الجو على الوجه الذي يمكن للطير قطعه باجنحته كالماء للسابح
وامساك الطير على خلاف مقتضى الطبع لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بها استدلالا على وحدة الصانع
وقدرته والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضع السكنى فعل بمعنى مفعول البيوت المتعارفة وجعل لكم من
جلود الانعام بيوتا المتخذة من الادم وكانت العرب تتخذ القباب منها وفي الحديث نزل عليه الوحي
وهو في قبة من ادم تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم تجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض
وقت النزول في السفر والترحال او في اوقات السفر والحضر فاليوم لمطلق الزمان قرأ ابن عامر والكوفيون
بسكون العين وهو اشهر واخف ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضأن والوبر للابل و
الشعر للمعز اثاثا ومتاعا عطف على سكنا والاثاث متاع البيت لا واحد له والعطف باعتبار الصفة
وعن ابي زيد الاثاث المال والغنم والعبيد والمتاع الواحدة اثاثة وعلى هذا من عطف الخاص على العام
الى حين مدة مديدة لصلابتها او الى حين انقضاء اعماركم او الى ان تبلى وتفنى والله جعل لكم مما
خلق من الشجر وسائر المستظلات ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مثل الكهوف
والغيران جمع كن وهو ما يستتر به من كننت الشيء سترته والعرب تسمي العروس كنة لانها تستر عن
الاعين وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو القميص تقيكم الحر خصه بالذكر لانه اكثر عندهم او اكتفاء
باحد الضدين لانه دافع احدهما دافع للآخر وسرابيل تقيكم بأسكم في الحروب كالدروع والجواشن
قال كعب بن زهير شم من نسج داود في الهيجا سرابيل كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون يؤمنون به
وتنقادون لامره اذا نظرتم فيها كيف والكلب ينقاد ويخضع لمن اطعمه كسرة يابسة فان تولوا اعرضوا

وهو

فعاقبة والك ان كنت البحر اذا وصل بما قبله الاتباع وراد محل كسر الميم اتباعا للاتباع

لان المتاع ما يتمتع به

اوله شم العرانين ابطال لبوسهم

ولم يقبلوا ما ارسلت به فانما عليك البلاغ المبين فقد تمهد عذرك بابلاغ ما وجب عليك ابلاغه
فذكر السبب ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي عددت ثم ينكرونها باضافتها الى الاصنام وقولهم
انما رزقنا ببركتها وشفاعتها ولما لم يفعلوا شكر المنعم فكان ذلك بمنزلة الانكار وقيل النعمة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون
الجاحدون وانما قيد بالاكثر اما لان من له مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون او لان كفر الاقل ليس
عنادا بل تفريطا في النظر وقيل اولانه لم يبلغ حد التكليف وفيه ان ذلك ليس داخلا في الخطاب ولا يحتاج
الى قيد محرج ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد عليهم ولهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا
في الاعتذار اولا حجة لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا لقولهم اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ومعنى ثم
انهم بعد شهادة الانبياء يقعون فيما هو اطم منها وهو عدم الاذن في الكلام لان الواقع في البلية قد
يتنفس بعض التنفس اذا اذن له في ابداء المعذرة وادلاء الحجة وان كان موقنا بانه لا يجد به نفعا ولا هم
يستعتبون ولا يطلب منهم العتبى وهو الرضى يقال استعتبت فلانا اي طلبت منه ان يرضيني فاعتبني اي
ارضاني وفي الحديث لا مستعتب بعد الموت يريد انه لا تكليف حتى يتدارك المعاصي بالطاعات وانتصاب
يوم بمحذوف نحو اذكر واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب النار بغتهم جواب الشرط فلا يخفف عنهم ولا هم
ينظرون الفاء في مثله فصيحة واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا
من دونك انما يقولون هذا الكلام ليدفعوا عن انفسهم العذاب ويوجهوه الى الشركاء لانهم ضلوا بسببها
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اجابهم الشركاء بهذا القول فان كان من الملائكة وعيسى وعزير
فالمعنى انهم عبدوا الشياطين دوننا كقول الملائكة بل كانوا يعبدون الجن او التكذيب راجع الى
تسميتهم شركاء دون العبادة وان كان قول الاصنام والشياطين فلا امتناع في كذبها مع احتمال رجوع
التكذيب الى التسمية والقوا الى الله يومئذ السلم استسلموا القضاء الله بعد تلك المقالة وضل عنهم
ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تنصرهم وتشفع لهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ضموا الى كفرهم
اضلال الغير وصده عن الاسلام زدناهم عذابا نوعا منه اوحصة فوق العذاب فوق ما كانوا يستحقونه
بما كانوا يفسدون من الصد عن سبيل الله الموصل اليه واضلوا المسترشدين ويوم نبعث في كل امة
شهيدا عليهم من انفسهم نبيهم فان الانبياء كانت تبعث في نسب قومهم اعادة تحذيرا وزيادة ايقاظ
ولذلك اتى به مطنبا وجئنا بك شهيدا على هؤلاء المشار اليه من بعث اليهم مؤمنا كان او كافرا
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء مبينا لكل ما يحتاج اليه في الدين من المصادر الشاذة فان
المصادر من باب التفعيل كالتكرار والتذكار انما يكون بفتح التاء فان قلت كيف يكون الكتاب تبيانا
لكل شيء وبعض الاحكام انما يؤخذ من القياس والاجماع والسنة قلت مرجع الكل اليه فبذلك الاعتبار
استقام اما الحديث فلقوله وما ينطق عن الهوى الاجماع فلقوله ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى واما
القياس فلقوله فاعتبروا يا اولي الابصار ومن قال بحجية قول الصحابي وفعله فلقوله اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وهدى للضالين الى الصواب ورحمة لهم توصلهم الى النعيم الدائم وبشرى
للمسلمين المنقادين لاحكامه العاملين بما فيه ان الله يامر بالعدل استيناف في غاية الجزالة فانه لما ذكر
ان الكتاب تبيان لكل شيء كانه سئل عن كيفيته فبين ذلك على الاجمال والعدل لغة التوسط وعدم
الميل والمراد به هنا التوسط بين الافراط والتفريط اما في العقائد والاصول كالتوحيد المتوسط بين
التعطيل والتشبيه واما في السجايا والاخلاق كالشجاعة المتوسطة بين الجبن والتهور والاحسان اي الاخلاص
في تلك الامور اصولا وفروعا على ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله الاحسان ان تعبد الله كانك

تراه او الشفقة على خلق الله كما هو المتعارف لقوله ما على المحسنين من سبيل وايتاء ذي القربى
وعطاء ذي القرابة حقهم من الصلة وينهى عن الفحشاء الكبيرة التي تفاحش قبحها من الفحش
وهو التجاوز عن الحد وفي الحديث سئل عن دم البراغيث فقال لا باس به لاشتماله على ذنوب
شيء وكثيرا ما يراد به الزنا والمنكر وكل ما ينكره الشرع صغيرا كان او كبيرا والبغي والظلم على
الناس او على كافة الخلق افرده بالذكر وان كان داخلا في المنكر لعظم جرمه وشدة امره
فان ما بين العبد وبين الله اهون واسهل يعظكم لعلكم تذكرون فان قبح الافراط والتفريط
يدرك باوايل العقول قيل لو لم ينزل من الكتب السماوية الا هذه الآية لكفت ماخذا للاصول
والفروع لاحتوائها على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
مع رسوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وكل من دخل الاسلام فقد بايع رسول الله
والحمل على بيعة الرضوان غير مستقيم لان الآية مكية وقيل هو النذر وقيل الايمان ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها بعد احكامها وعقد القلب عليها اخرج لغو اليمين وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
مراقبا ومهيمنا فان من حلف باسمه تعالى او بصفة من صفاته الزم البر على نفسه فكما ان
الكفيل يطالب باداء الدين فكذلك الحالف مطالب بالبر لئلا يكون استخفافا باسمه ان الله
يعلم ما تفعلون وعيد على نقض العهد ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا هي امراة
حمقاء من قريش ريطة بنت سعد بن كعب بن زيد مناة كانت لها جوار يامرهن بالغزل من الغدوة
الى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرتهن بنقض ما غزلن فكان هذا دابها والانكاث
جمع نكث بالكسر كالاوزار جمع وزر نصب على الحال من الغزل او المصدر او مفعول النقض لانه ضمن
معنى الجعل اتى به مجموعا مبالغة وفي تشبيه حال الناقض بحالها تحذير واشارة الى ان ذلك
ليس من فعل العقلاء وان فاعله داخل في عداد النساء الحمق تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من
ضمير تكونوا او من المستكن في الجار اي لا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها ودخلا ثاني مفعولي
تتخذون والدخل الفساد اصله الشيء الذي لم يكن من جنس ما يدخل فيه وانما كانت الايمان المنقوضة
دخلا لوقوع الفتنة بينهم بنقضها ان تكون هي اربى من امة علة لاتخاذهم دخلا اي لاجل ان يكون
طايفة اكثر مالا واوفر عددا وذلك ان قريشا كانوا يعقدون الحلف مع طايفة فاذا راوا اعداء
تلك الطايفة اكثر وشوكتهم اوفر نقضوا العهد وحالفوا اولئك فنهى المؤمنون عن فعل ذلك
وكان اما تامة وهي اربى في محل الرفع صفة او ناقصة والجملة خبرها ولا يجوز ان يكون الضمير
فصلا لان الاسم الاول نكرة انما يبلوكم الله به اي انما يختبركم الله بكونهم اربى فينظر هل يستمسكون
بحبل الوفاء ام تغترون بالكثرة فتخفرون عهد الله فالمجرور عايد الى ان تكون وقيل الى الامر بالوفاء
وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون عطف على مقدر اي انما يبلوكم به لينظر وليبين
ويميز يوم القيمة المحق من المبطل وفيه وعد لمن حفظ العهد ووعيد لمن غدر ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء اضلاله ويهدي من يشاء هدايته ولتسألن
عما كنتم تعملون باختياركم وان كان واقعا بمشيته تعالى وفيه اشارة الى ما هو الحق من التوسط
بين الجبر والقدر ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم كرر النهي صريحا وضمنا اظهارا لعظم فساده ومبالغة
في التحذير عن ارتكابه فتزل قدم بعد ثبوتها مجاز عن تبدل الرشد بالغي والصيرورة من الصواب الى
الخطاء افرد القدم ونكره اشارة الى ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء
في الدنيا من القتل والاسر اشارة الى ان المؤمنين وان قلوا فلهم الغلبة والعاقبة بما صددتم

عن سبيل الله اعرضتم من الصدود او منعتم غيركم من الصد ولكم عذاب عظيم فى الآخرة لا نقادر
قدره آثار الذوق فى عذاب الدنيا لانه انموذج عذاب الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ولا
تستبدلوا بعهد الله عرضا يسيرا وهو ما كان بعد قريش من ارتد من المال والنساء ان ما عند الله
من الثواب والنعيم الدايم هو خير لكم من المتاع الفانى ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم
والتمييز ما عندكم ينفد يفنى ويزول وما عند الله من الثواب وخزاين رحمته باق دايم لا يزول
برهان على ان ما عند الله خيرا ذلا نسبة للفانى مع الباقى ولنجزين الذين صبروا اجرهم
على حفظ العهد ومشاق الفاقة قرا ابن كثير وعاصم وابن عامر فى رواية ابن ذكوان بالنون
التفاتا وهو ابلغ لنون العظمة باحسن ما كانوا يعملون بارجح اعمالهم كالواجبات والمندوبات
او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى من متناولة لا ولى العلم مطلقا الا ان لا انا
لما لم يدخلن فى بعض الاحكام نص على النوعين ترغيبا للفريقين وهو مومن اذ لا اعتداد بعمل دون
الايمان فلنحيينه حيوة طيبة اما الغنى فظاهر واما الفقير فلانه يرجو ثواب الآخرة وقد استحلى
مشاق الطاعة فلا يحس بالم الفاقة وقد جربنا ذلك فى طريق الحجاز زمن العطش والحر المفرط
فان تصور زيارة بيت الله وحرم رسوله يخفف ذلك ويسهل الامر ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا
يعملون من الطاعات فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم اردت قراءته من اطلاق
المسبب على السبب لما روي جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول قبل القراءة
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وايضا الشروع فى العمل هو الذي يقتضى الاستعاذة من العدو كالمحارب
قبل اللقاء يعد آلة الحرب لا بعد فراغه بل لو فعل ذلك عد عبثا فان قلت قد نقل عن بعض الايمة
حمل الآية على ظاهرها فما وجه ذلك قلت وجهه ان القاري اذا فرغ من قراءته ربما عرض له اعجاب
فى نفسه لا سيما اذا كان عالما بان كل حرف يثاب عليه عشر حسنات فكانت الاستعاذة لدفع ذلك
الوسواس فان قلت كيف يتلفظ القاري بها قلت بقوله اعوذ بالله ولو زاد صفات التنزيه كالسميع
العليم لا باس به وحديث ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الزيادة
لم يصح وتعقيبه ذكر العمل الصالح ايذان بان القراءة منه ويجوز ان يكون متصلا بقوله ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا وما بينهما اعتراض يبين ذلك انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون اي ليس له تسلط على المصدقين بالله المفوضين امورهم اليه بل غايته الوسوسة
التي تندفع بالاستعاذة وفيه اشارة الى ان الاستعاذة انما تنفع اذا قارنت الايمان والتوكل
انما سلطانه على الذين يتولونه يتخذونه وليا ويطيعون اوامره فان قلت قد نفى عنه السلطان
فى قوله وما كان لي عليكم من سلطان واثبته هنا بطريقة الحصر فما وجه ذلك قلت اراد بسلطانه
عمل وسوسته ونفاد دعوته عبر عنه بالسلطان للمشاكلة والازدواج والذين هم به بالله او بالشيطان
وباغوايه مشركون والظاهر ان العطف باعتبار تغاير الصفة او من يتولاه اعم من المشرك واذا
بدلنا آية مكان آية بالنسخ ذكره عقيب الامر بالاستعاذة عند قراءة القرآن لانه باب عظيم من ابواب
وسوسته يوهم الناقصين انه من البداء والتناقض والله منزه عنهما والله اعلم بما ينزل من مصالح
العباد فلعل ما يكون مصلحة بالامس يكون مفسدة اليوم وقرا ابو عمرو وابن كثير بتخفيف الزاء
والتشديد ابلغ والجملة اعتراض بين الشرط وجزائه وهو قالوا انما انت مفتر للتوبيخ وبيان خبط
الكفار التفت من التكلم الى الظاهر لاشعار لفظ الجلالة الدالة على الالوهية بكمال العلم بل اكثرهم
لا يعلمون ليسوا من اهل العلم فهم بمعزل عن معرفة حكمة الله فى شرع الاحكام قل نزله روح القدس

جواب

جواب لقولهم انما انت مفتر وروح القدس جبرئيل كقولهم حاتم الجود وزيد الخير والمراد كما تلك الصفة
فيه وايثاره للدلالة على التقديس المنافى للافتراء من ربك بالحق بالامر الثابت ملتبسا بالحكمة وفيه
دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين آمنوا ليمين المومنين الثابتين على الايمان فانهم اذا تدبروا
الناسخ وعلموا ما فيه من الحكمة ازدادوا طمانينة وترسخت عقايدهم وهدى وبشرى للمسلمين معطوفان
على محل ليثبت على ان الافعال الثلثة لجبرئيل ويجوز العطف على ما بعد اللام على ان الثلثة فعله
تعالى وفى جعل التثبيت له تعالى وهدى وبشرى فعل جبرئيل نصبا على العلية وان جاز لفظا
يفوت حسن النظم وفى اثبات هذه الصفات لهم وان تم الجواب بقوله قل نزله روح القدس تعريض بحصول
اضدادها لغيرهم ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ارادوا غلاما لحويطب بن عبد العزى اسمه
عابس وكان قد اسلم وحسن اسلامه وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي
وقيل عبدان جبر ويسار كانا قينين بمكة يقرآن التورية والانجيل فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسمع قراءتهما وقيل سلمان الفارسي وهو خطا لان الآية مكية وسلمان لقي رسول
الله بالمدينة لسان الذي يلحدون اليه لغة الذين يميلون اليه من لحد بالكسر مال ومنه اللحد
للقبر الذي يمال الى جانب القبلة وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء وهما لغتان والضم اشهر اعجمي
وهذا لسان عربي مبين كيف يستقيم ان يكون متعلما منه فدل على ان قولهم ناشئ عن كمال الجهل وغاية
العناد ان الذين لا يومنون بايات الله لا يصدقون بها بعد ظهورها عنادا لا يهديهم الله لا يهديهم
الى الحق والطريق الموصل اليه ولهم عذاب اليم تهديد لهم بعد اماطة الشبهة وقلع دابرها باقوى
البراهين انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله رد لقولهم انما انت مفتر وقلب عليهم
بعد الجواب عنه بقوله قل نزله روح القدس ابلغ من ان يقال انما انتم مفترون لدلالته على ان منشا
الافتراء عدم الايمان ومن لم ينسب الافتراء اليه ساحته بريئة عن لوثه وفيه تحاش من نسبة المخاطب
الى ما يكره واولئك هم الكاذبون الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله من اعظم الاكاذيب
او اولئك الذين عادتهم الكذب لا يحجبهم عنه مروة ولا دين الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر والاشارة
الى قريش على معنى ان قريشا هم المقصورون على الكذب نفى الافتراء عنه بطريق البرهان من كفر
بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يومنون والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله وبينهما اعتراض
او بدل من اولئك على معنى ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر والمعنى واولئك هم
من كفر بالله بعد ايمانه وعلى الوجوه المراد بالايمان التمكن منه كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى وقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان استثناء منقطع او مبتدا خبره محذوف دل عليه
قوله فعليهم اي من كفر بالله بعد ايمانه فعليهم غضب الا من اكره والوجه ان يكون نصبا على الذم
متصلا بقوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا فيتسق النظم ويكون تنفيرا عن الاستبدال المنهي
عنه بابلغ وجه بعد اقامة البرهان وازاحة الشبهة ولكن من شرح بالكفر صدرا طابت به نفسه
وانبسطت له واصل الشرح الكشف وازالة الابهام فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم لعظم جرمهم
نزلت فى المستضعفين كانت كفار قريش يعذبونهم ويامرونهم بالكفر والارتداد منهم عمار بن ياسر
ابواه فصبرا وقتلا على الاسلام واما عمار فانه تكلم بكلمة الكفر فخلوا عنه فاتى رسول الله وهو
يبكي وقال هلكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا لا هلاك ومسح عن عينيه
وقال ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه وان الايمان قد اختلط بلحمه ودمه والآية دلت على
جواز التكلم فى الجملة رخصة والصبر لاعزاز الدين والموت على ذلك هو الرتبة والعزيمة لما
صح

ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين من المسلمين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول في قال انت ايضا فخلى عنه وقال للآخر ما تقول في محمد فقال رسول الله فقال ما تقول في قال
انا اصم فاعاد عليه فاعاد مقالته فقتله فبلغ ذلك رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة واما
الآخر فقد صدع بالحق هنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى شرح الصدر بالكفر او الوعيد
عليه بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين الذين
ذراهم للنار لقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم ليس لهم قلوب يعقلون
بها ولا آذان يسمعون بها ولا اعين يبصرون بها واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة حيث آثروا الفاني
على الباقي لو كانت الدنيا من الذهب والاخرة من الخزف لما آثرها العاقل فكيف والامر بالعكس لا جرم
انهم في الاخرة هم الخاسرون الكاملون في الخسران لان من اغتر بالفاني لا اخسر منه هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا بالتعذيب والاكراه
على الكفر وقراء ابن عامر فتنوا على بناء الفاعل اي فتنوا انفسهم بالتلفظ بالكفر وفتنوا غيرهم
كما فعل سهيل بن عمرو بابنه ابي جندل ثم اسلم والضم اولى لان المفتون في الاسلام احرى بالرحمة
والغفران ممن عذب المسلم ثم اسلم ثم جاهدوا وصبروا على مشاق الجهاد وبذل المال والنفس ان ربك
ان مع اسمها تاكيد للاولى وقيل الجار والمجرور خبر ان الاولى كانه قيل ان ربك لهم لا عليهم
والثانية مع خبرها بيان لكونه لهم وقيل لا خبر للاولى لان خبر الثانية اغنى عنه فلا يحتاج الى التقدير
من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما صدر منهم رحيم بقبول توبتهم وتبديل سيئاتهم
حسنات يوم ياتي كل نفس كل شخص بقرينة الاسناد تجادل عن نفسها عن ذاتها والنفس جارية مجرى
التاكيد ومجادلتها السعي في خلاصها والاعتذار بمعاذير كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ربنا هؤلاء
اضلونا حتى يقول العبد عند المحاجة لا اقبل شهادة الملائكة ولا اقبل الا شاهدا مني فتشهد عليه
جوارحه بما كسبت فيقول سحقا لكن عنكن كنت اناضل وتوفى كل نفس ما عملت جزاء وهم لا يظلمون
لا ينقصون من الاجر شيئا وضرب الله مثلا قرية اشار الى عذاب الدنيا اللاحق بسبب الكفر فان النفوس
تنزجر به اكثر مما تنزجر بعذاب الآخرة ولذلك شرعت الحدود والقرية اما مفروضة او قرية من القرى
جرى عليها ما جرى في الازمنة القديمة وهذا هو الحق لقوله ولقد جاءهم رسول من ربهم لان ضرب
المثل انما يكون بامر بديع في الشياعة زجرا للسامع عن ارتكاب موجبه كانت آمنة مطمئنة لي
اهلها الاسناد ياتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان من كل جانب من جوانبها فكفرت بانعم الله ابطرتهم
تلك النعم فلم يشكروا موليها جمع القلة استعمل في الكثرة بمعونة المقام فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
وهما آفتان باطنتان لا شيء اشد على النفس منهما فكيف اذا اجتمعا شبه اولا ما يدركه الانسان
من الم الجوع والضر بما يدركه من طعم المر البشيع ثم شبه ذلك الالم والضر باللباس من حيث الاشتمال
وحذفا المشبه وذكر المشبه به وهو اللباس فالاولى استعارة مكنية والثانية تصريحية واوقع الاذاقة
على اللباس دون الكسوة لانه يفيد زيادة التاثير والتاثر ومن هذا علم ان قولهم ان الترشيح ابلغ
من التجريد لم يكن على اطلاقه فان قلت المشبه في الاستعارة الاولى والثانية هو ما يدرك من الم الجوع
وما يغشى الانسان ويحيط به منه وذلك امر معقول والمدرك بالذوق لا بد وان يكون محسوسا فكيف
يكون الاذاقة تجريدا بل يكون ترشيحا لانه من توابع الطعم المر البشيع قلت الاذاقة لكثرة استعمالها في البلايا
والشدائد بمعنى الاصابة قد جرت مجرى الحقيقة فبذلك الاعتبار كانت تجريدا وجعل المشبه المستعار له
لفظ اللباس انتقاع اللون ورثاثة الهيئة اللازمين للجوع والخوف يذهب حلاوة الاذاقة

اسم المقتول حبيب بن زيد الانصاري ... على وزن فعيل ... معفو منه

بما كانوا يصنعون من الكفر والاخلال بالشكر ولقد جاءهم رسول منهم اي من اهل تلك القرية فكذبوه
نسبوه الى الكذب ولم يؤمنوا به فاخذهم العذاب عذاب الاستيصال فقلع شأفتهم وهم ظالمون في كفران النعم
وتكذيب رسولهم وقيل الضمير المنصوب في جاءهم لاهل مكة ان هذا المثل انما ضرب لهم قبل اخذ العذاب
لياخذوا حذرهم ولذلك امرهم بقوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله اي فدا سنيا ان
لكم ما حل بمن كفر بانعم الله فاجمعوا اكل نعمته مع الشكر لئلا يحل بكم ما حل بهم ان كنتم اياه تعبدون
ان صح انكم لا تريدون بعبادة الآلهة الا عبادته وانما تعبدونها لتقربكم اليه زلفى ثم عدد المحرمات
بقوله انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله
غفور رحيم ليعلم ان ما عداها حل لهم فان قلت تصدير الجملة بانما يدل على حصر المحرمات وقد حرمت السباع
والحمر الاهلية قلت الحصر انما هو بالنسبة الى ما كانوا يحرمونه من السائبة والوصيلة والحام والمعنى
انما حرم عليكم هذه المذكورات لا ما تحرمونه انتم باهوائكم وقد دل عليه قوله ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام اي لا تقولوا للشيء الذي تصفه السنتكم بالحل والحرمة من غير سند
هذا حلال وهذا حرام فالكذب مفعول تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او الكذب مفعول القول
الاول ويقدر بعد الوصف قول آخر اي فتقولوا هذا حلال وهذا حرام واللام في الوجهين صلة القول
وما مصدرية واللام للتعليل اي لا تقولوا لاجل وصف السنتكم الكذب وكونها ينبوع الاكاذيب
هذا حلال وهذا حرام وهذا مثل قولهم في الاطراء في المدحة ريق فلان يصف السلافة وعينه تصف
السحر وحاصله انه محل تلك الصفة من باب الاستعارة بالكناية لتفتروا على الله الكذب تعليل خال
عن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وان حصل لهم ما حصل فان عاقبته وخيمة
متاع قليل ما يتوسلون اليه بالافتراء ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا على اليهود خاصة
حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ما سبق في سورة الانعام وهو قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما وما ظلمناهم بالتحريم والتضييق عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالكفر الموجب لزوال النعمة كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا ثم ان ربك للذين عملوا السوء
بجهالة عارفين بالله وبصفاته او كانوا عارفين ولكن اتبعوا الشهوات فكانت المعرفة جهالة لعدم
الجري على موجبها ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ما افسدوه بالتوبة ان ربك من بعدها لغفور رحيم
اي بعد التوبة يغفر ما سبق منهم ويثيب على التوبة ان ابرهيم كان امة فعلة بمعنى المفعول كالرحلة
لمن يرحل اليه لان الناس كانوا ياتونه اي يقصدونه لتعلم الدين ومحاسن الاخلاق او كان منفردا
في زمانه بالدين لم يشاركه احد والرجل المنفرد بمعنى يسمى امة وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في زيد بن نفيل موحد الجاهلية يبعث يوم القيمة امة وحدة او لاستجماعه صفات لا توجد
الا في جمع كثير والى هذا يشير ابو نواس في مدح الفضل بن يحيى البرمكي ليس من الله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد قانتا لله مطيعا له خاشعا حنيفا مائلا من الباطل ولم يك من المشركين صرح به
وان لزم من قوله حنيفا تكذيبا لقريش فانهم كانوا يزعمون انهم على ملته شاكرا لانعمه اتى
بجمع القلة ايماء الى انه لم يخل بالشكر لو قلت فكيف وهي من الكثرة بحيث لا يحصى اجتباه اختاره
على الخلق بالنبوة وهداه الى صراط مستقيم دين الاسلام اجابة لقوله واجعلنا مسلمين لك وآتيناه
في الدنيا حسنة ذكرا حسنا اجابة لقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين لا ترى اهل ملة الا يتولون
عليه ويزعمون انهم على دينه او امرأته سارة فانها كانت اجمل النساء واتقاها كما روي عن علي
رضي الله عنه في قوله تعالى آتنا في الدنيا حسنة انها المرأة الصالحة وانه في الآخرة لمن الصالحين

لقربه فى حضرة قدسه فى مقعد صدق اجابة لدعايه والحقنى بالصالحين وكونه من رؤسا المرسلين
لا ينافيه لانهم فى اعلى درجات الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم فى لفظ ثم اشارة
الى ان اجل ما اوتيه خليل الله هو اتباع حبيب الله ملته ولا يخفى ما فى ذلك من التنويه بشان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فى لفظ اوحينا واقحام الملة اشارة الى استقلاله بالاخذ
عمن اخذ عنه ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت على الذين
اختلفوا فيه وبال السبت وهو المسخ وايراده مثل ايراد ضرب المثل بالقرية آنفا لاشتراكهما فى
الدلالة على ان نعمة الله انقلبت عليهم نقمة بالكفر والعصيان ذكره لطفا بالسامعين او فرض
السبت اى تعظيمه على اليهود خاصة فان موسى امرهم بتعظيم يوم الجمعة فلم يفعلوه وآثروا السبت عليه
وقالوا نختار اليوم الذى فرغ الله من خلق الاشياء فيه الا شرذمة منهم رضوا بالجمعة فاوجب الله
عليهم تعظيم السبت ورفق بتعظيمه الشرذمة واخل به الاخرون فاصطادوا فيه فعاقبهم الله بالمسخ
وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يجازى كل فريق بما يستحقه ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن متصل باتباع ملة ابرهيم كانه قال كيف اتبع
فاشار الى كيفية ذلك بان بين له مراتب الدعوة بحسب المدعوين لان المخاطب ما كامل القابلية بحسب
الفطرة فيخاطب بالمقالة المحكمة اما عيانا او برهانا واما متوسط فيخاطب بالاقناعيات واما عامى
صرف او معاند فالجدال له معه بالرفق واللين كما فعل ابراهيم حين راى كوكبا ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا عليك بعد البلاغ على الوجه الذى وقفت عليه وتقديم الضال
لان الكلام فيه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به نزلت الآيات الثلث الى آخر السورة
بعد احد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء الحرب شرع فى دفن الشهداء
والفحص عن القتلاء فوقف على عمه حمزة اسد الله فوجده قد بقر بطنه ومثل به انواع المثلات فشق
ذلك عليه فحلف ان اظفره الله بالمشركين ليمثلن بسبعين منهم فقيل له ان احكام الدنيا على المقاصة
والمماثلة فاذا جازيتهم فمثل فعلهم فقد اخذت بثارك ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال بل اصبر
وكفر عن يمينه ونهى عن المثلة فهى محرمة اجماعا فى ساير الحيوانات باسرها فى الاقطار كلها والضمير فى
لهو عايد الى صبر المخاطبين والقرينة صبرتم والتعبير عنهم بالصابر للدلالة على انهم اذا علموا ان الصبر
خير لهم فهم كالصابرين بالفعل لعدم اخلالهم بالافضل او الى جنس الصبر والمراد بالصابرين جنسهم
ايضا واصبر فى المواطن كلها وليس تصريحا بما علم وما صبرك الا بالله الا بارشاده وتوفيقه وربط القلب
على لقاء المكروه ورجاء ثوابه ولا تحزن عليهم على الكافرين فان الله وعدك النصر والعاقبة وقيل على المؤمنين
وما حل بهم يوم احد وفيه فوات احسن النظم مع قوله ولا تك فى ضيق مما يمكرون من مكرهم وقرا ابن كثير
فى ضيق بكسر الضاد وهما لغتان ان الله مع الذين اتقوا المعاصى بالعون والنصر علة للنهى عن الحزن
وضيق الصدر والذين هم محسنون مخلصون فى تقواهم او محسنون بالترحم والشفقة على خلق الله وفيه
اشارة الى انه بالصبر والتجاوز عن المعاقبة محسن متفضل وفيه ربط آخر السورة باولها لان قوله
اتى امر الله فلا تستعجلوه فى المعنى امر بالصبر لمجيء الفرج

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذى اسرى بعبده ليلا سبحان علم للتسبيح بمعنى
التنزيه والتقديس للتبليغ من السبح وهو الابعاد فى الارض والاتيان به علما دال على الحقيقة الحاضرة
فى الذهن للدلالة على ان ما يرد بعده من الامور البديعة فالله منزه عن العجز عن ايجادها وقيل علم

فى غير حال الاضافة ولا حاجة اليه لان الاضافة لا تنافى العلمية ونصبه بفعل واجب الترك للدلالة على الطرفية
وتنكيره للدلالة على وقوع الاسراء فى جزء منه لان الليل وان كان اسما للمجموع الا ان منكره يقع على البعض
فاريد بقرينة السرى الذى لا يكون غالبا الا فى بعض الليل وما فى الباء من معنى الاتصال واضافة العبد
الى ضمير الله الدال على انه العبد الحقيقى اشارة الى استحقاقه تلك الرتبة السنية التى لم ينلها احد من
المرسلين وان العناية به تقتضى الدرجات ولذلك قال فى آخر السورة وكان فضل الله عليكم
كبيرا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قد اشتهر وكاد ان يتواتر انه عرج به واختلف فى كيفيته ذلك
فذهب جمع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى ان ذلك كان مناما ورؤيا نوم والذى عليه
المحققون انه اسرى بجسده ولذلك وقع الارتياب والانكار واختلف فى وقت الاسراء قيل كان قبل
نبوته والاصح قول الزهرى انه اسرى به فى ليلة السابع والعشرين من ربيع الاول بعد بعثته
بخمس سنين وسياق الحديث انه اتاه جبرئيل وهو فى الحجر وقيل فى الحطيم وقيل فى بيت ام هانئ والكل
محتمل لاختلاف الاوقات فشق بطنه وقلبه وغسل بماء زمزم واتى باناء ملئ حكمة وايمانا فحشى به
صدره ثم اتى بالبراق وهى دابة دون الفرس وفوق الحمار يقع خطوه حيث يقع بصره فركبه واتى المسجد
الاقصى وهو بيت المقدس سمى بالاقصى لغاية بعده من المسجد الحرام اذ لم يكن مسجدا بعد منه فى ذلك
الزمان قال فربطت البراق فى الحلقة التى يربط الانبياء بها ثم مثل لى الانبياء فصليت بهم اماما
ثم عرج بى الى السموات حتى بلغت السدرة المنتهى وهى النبق ورايت ثمرها كقلال هجر واوراقها
كاذان الفيل ولم يقدر احد على نعتها لما غشيها من الانوار ثم تخلف جبرئيل فارتقيت الى مستوى
اسمع فيه صريف الاقلام ففرض الله على وعلى امتى خمسين صلوة فرجعت حتى مررت على موسى بن عمران
فسالنى فاخبرته فقال ارجع الى ربك واساله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فانى قد جربت
بنى اسرئيل قال فرجعت فوضع عنى الشطر فرجعت الى موسى فسالنى فاخبرته فقال ارجع فاساله التخفيف
فلم ازل اتردد بين موسى وربى حتى بلغت خمس صلوات فقال ارجع فقلت قد استحييت من ربى
لكن افوض واتوكل فنوديت يا محمد لا يبدل القول لدى هى خمس وهن خمسون الحسنة عندى بعشر امثالها
وذكر انه دخل الجنة واتاه مالك خازن النار فسلم عليه وراى فى السماء السابعة البيت المعمور وابراهيم
مسند ظهره اليه يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا ياتيهم النوبة الى آخر الدهر قال فاصبحت بمكة
واخبرت قريشا فكذبونى وسالونى اشياء ببيت المقدس ما كنت اثبتها فكربت كربا شديدا فجلى الله لى بيت المقدس
فطفقت اذكرهم ما يسالونى وسالوه عن عيرهم كان بالشام فقال يقدم عيركم يوم كذا مع شروق
الشمس يقدمه جمل اورق فخرجوا فى ذلك اليوم الى الثنية فقال واحد منهم هذه الشمس والله قد اشرقت
فقال الآخر وهذا العير والله يقدمه الجمل الاورق فان قلت قد ذكر انه راى الانبياء ووصف عليهم
خلقهم وشمايلهم حتى قال فى يوسف رايته قد اعطى شطر الحسن وقال فى ابراهيم صاحبكم اشبه الناس
به يريد نفسه وهم اموات بلا ريب فكيف ذلك قلت قد صح عنه ان لحوم الانبياء محرمة على الارض وقد
اخبر الله عن الشهداء انهم احياء يرزقون والانبياء فوق الشهداء اتفاقا فان قلت رايت موسى فى قبره
عند الكثيب الاحمر يصلى وفى رواية رايته ينحدر فى الوادى ملبيا وقد ذكر انه رآه فى السماء السادسة
وتردد بينه وبين ربه فى تخفيف الصلوات وقد رآه فى جملة الانبياء فى المسجد الاقصى قلت رآه فى تلك
المواضع كلها فى اوقات مختلفة فان قلت هل راى ربه رؤية عين قلت قد اختلف فيه انكرته عايشة غاية
الانكار وقرات لا تدركه الابصار وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب واثبتها ابن عباس
وعليه المحققون من الصحابة ومن بعدهم لان هذا القول لم يمكن الا بالسماع والمثبت يقدم على النافى

وعايشة لم يقتل ذلك نقلا وما استدللت به من القرآن فالجواب عنه ظاهر الذي باركنا حوله بركات الدنيا والدين لانه موطن الانبياء ومتعبدهم وفيه الانهار والاشجار وغالب انواع الثمار لنريه من آياتنا ما رآه تلك الليلة التفت الى التكلم لتعظيم ذلك انه هو السميع لاقوال عبده البصير باحواله وما يستحقه من سوابغ نواله وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا استطراد تمهيدا لذكر القرآن ولان موسى معراجه الى الطور ومعراجه الى السدرة المنتهى ووصف كتاب موسى بانه هدى لبني اسرائيل والقرآن بانه يهدي للتي هي اقوم فوازن بين سبحان الذي اسرى بعبده وبين وآتينا موسى الكتاب وبين الكتابين يظهر لك تفاوت الرتب وقرأ ابو عمرو الا يتخذوا بالياء لاحتياج الخطاب الى التقدير ذرية من حملنا مع نوح نصب على البدل او الاختصاص او النداء في قراءة الخطاب ومفعول اول للا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا وفي ذكرهم تذكير بما انعم على آبائهم من الانجاء في سفينة نوح انه كان عبدا شكورا تعليل للنهي كانه قيل انتم اولاد لذا العبد الشكور فاقتدوا به واولاد المحمولين معه اولاده لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل ثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين معه فهم متصلون به وليس بذلك لان المساق يأباه وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض عبر عن الوحي بالقضاء للدلالة على ان الامر لازم والكتاب هو التورية واللام في لتفسدن جواب القسم لان القضاء المبرم جار مجراه فاغنى عن تقديره مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام وتغيير احكام التورية فاستولى عليهم بخت نصر وفتك فيهم وقيل قتل ذريعا وكان قد وعظهم ارميا فلم يرفعوا له رأسا ولما كثر عليهم حبسوه والثانية قتل يحيى بن زكريا واستيلاء هردوس ومهله لبني اسرائيل وكان من ملوك الطوايف وعزمهم على قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا تكبرا مفرطا وذلك سبب للدمار قيل الملك يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما عبر عنه بالوعد دلالة على لزوم وقوعه بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر وقيل سحاريب وقيل جالوت اولي بأس شديد ذوي قوة وشوكة فجاسوا خلال الديار ترددوا بين الدور كناية عن التمكن التام الدال على انواع العذاب قيل قتلوا علماءهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد الاقصى وسبوا منهم سبعين الفا اصل الجوس التردد وخلال الشيء باطنه ومنه الخلة وكان وعدا مفعولا لابد وان يفعل ثم رددنا لكم الكرة عليهم الغلبة يقال الحرب كر وفر وذلك لما تابوا واخلصوا القى الله الرأفة في قلب بهمن بن اسفنديار فرد اسراءهم الى الشام وملك عليهم دانيال فاستولوا على اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم مفرد وهو من ينفر مع الرجل من قومه لقضاء حاجته او جمع نفر كالعبيد واناف كالجحيح ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها لا يتجاوزها وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسأت وتلاها وهذا انذار لهم لئلا يعودوا ان كان في التورية والانذار لهذه الامة عن الاتيان بمثله وانما ذكر اللام مع الاساءة ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة العقوبة الآخرة وآثر الآخرة على الاخرى في مقابلة اولاهما اشارة الى ان لا عقوبة بعدها ان استقاموا فان قلت لم عطف بالفاء وكان الظاهر الواو لانه تفصيل المجمل قلت للدلالة على ان مجيء وعد عقاب الآخرة لم يتراخ عن كثرتهم وانهم بطروا سريعا ونسوا ما كان الله احل بهم ففاجأهم عذاب الله ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة الاول عليه وذكر الوجوه لانه يظهر فيها ولانها اشرف الاعضاء او عبر بها عن الذوات قرأ الكسائي بالنون على سنن بعثنا وامددنا وابن عامر وحمزة وابو بكر بالياء وفتح الهمزة مسندا الى الله او البعث او الوعد والباقون بضم الهمزة بعدها واو مسندا الى ضمير العباد وهو المختار لقوله وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة متعلق ببعثنا

الادراك اخص من الرؤية ورفع الايجاب الكلي لا يستلزم الايجاب الجزئي والآية السالبة لا دلالة لها ... منه

اما تقدير قلنا او الحكاية منه

كونه

وليتبروا ليهلكوا من التبار ما علوا ما استولوا عليه تتبيرا قيل دخل امير الجيش مذبح قرابينهم فوجد دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا فقال ان لم تصدقوني لم اترك منكم احدا فقالوا دم يحيى فقال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله فسكن الدم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية وان عدتم عدنا هذا ايضا من المقضي في التورية وقد عادوا فسلط الله عليهم الاكاسرة وعن قتادة ثم عادوا فسلط عليهم محمدا وامته فهم في ذل الى يوم القيمة يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا حاصرا عن الخروج فعيل بمعنى الفاعل ولذلك لم يؤنث ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للطريقة التي هي اقوم الطرق واسهلها اذ ليس فيها الآصار والاغلال ولذلك قال لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وتخفيف الشين ثلاثيا والباقون بالضم والتشديد وهذا افصح وابلغ وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر بتقدير اي ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير نزلت حين قال النضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فضرب عنقه يوم بدر وقيل نزلت حين دفع رسول اسيرا الى سودة فسمعت بالليل انينه فسألته فشكا اليها من الم الاسار فحلت ساره فهرب فلما اصبح رسول الله طلب الاسير فاخبرته فقال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها جازمة بقطع يديها اجابة لدعائه فاخبر بذلك رسول الله فقال اني بشر اغضب كما يغضب البشر واني سألت الله ان يجعل دعائي ولعني على من لا يستحقه رحمة وقيل هو دعاء كل احد على ماله واهله عند الغضب فيتصل على الوجهين بقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم اشارة الى انه ليس من ذلك الاقوم في شيء وحمله على آدم لا يلايم المقام واللفظ يأباه وكان الانسان عجولا في اموره ولذلك يدعو بالشر دعاءه بالخير وجعلنا الليل والنهار آيتين بيان لما يهدي اليه القرآن من دلايل التوحيد والمراد نيرا الليل والنهار فمحونا آية الليل القمر والليل والنهار آيتان والاضافة للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة تجعل الخلق بصراء بالاضاءة وعن عمر بن الخطاب ان رجلا قال له يا امير المؤمنين رأيت في المنام ان الشمس والقمر يتجاربان فقال عمر كنت مع القمر فقال اي لك آية ممحو فوجد في حرب علي مع معاوية لتبتغوا فضلا من ربكم رزقا في بياض النهار ولتعلموا عدد السنين والحساب بدور القمر في المنازل التي عليه مدار السنة الشرعية والشهور العربية وكل شيء فصلناه تفصيلا كل شيء يحتاجون اليه من امر الدنيا والدين بيناه بيانا شافيا وكل انسان الزمناه طايره في عنقه جعلنا عمله لازما له لزوم القلادة والغل فكانه طار اليه من وكر القدر وجاء على عرفهم في السانح والبارح مع التيمن والتشام وخص العنق لانه محل الزين بالقلايد والاطواق ومناط الشين بالاغلال والاوهاق ولانه سيد الاعضاء والبارز للناظرين ونخرج له يوم القيمة كتابا صحيفة اعماله نصب على الحال بتقدير المبتداء من المحذوف العايد الى الطاير وحمله على النفس المنتقشة بالملكات يقتضي اتحاد المخرج والمخرج له مع كونه مخالفا للاحاديث يلقاه منشورا بعد ما كان مطويا خفيا وقرأ ابن عامر يلقاه بالتشديد وعلى الوجهين المستتر اما للانسان او للكتاب اقرأ كتابك

على ارادة القول يقراء فى ذلك اليوم من لم يكن قاريا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فعيل بمعنى
الحاسب كالصريب ولذلك لم يؤنث نصبه على التميز لله دره فارسا او بمعنى الكافى استعمل بمعنى الشاهد
تجوزا لان الشاهد يكفى المدعى ما يهمه وعن الحسن لقد انصفك من جعل نفسك عليك حسيبا من
اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها على منوال ان احسنتم احسنتم لانفسكم وفيه
دلالة على ان الاطفال لا يعذبون ولا تزر وازرة وزر اخرى لا تحمل نفس اثم اخرى واصل الوزر
الثقل ومنه حتى تضع الحرب اوزارها فان قلت قد قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت
ذلك الضلال والاضلال فلا تنافى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا مبينا للاحكام فيه دليل
على ان لا حكم قبل البعثة لانتفاء لازمة وحمل الرسول على العقل لم يوجد فى كلام الشارع قط
واذا اردنا ان نهلك قرية واذا دنى وقت اهلاك قوم لا حين تعلق الارادة الفعل وجب الوقوع امرنا
مترفيها ففسقوا فيها مكناهم من الفسق بان اوسعنا عليهم اسباب الملاذ والوصول الى الشهوات او لما
افاض عليهم النعم لتكون وسايل الطاعات فجعلوها ذرايع المعاصى فكانهم مامورون بفعل المعصية
وفيه اشارة الى انهم عكسوا القضية الواجبة وقيل امرناهم بالطاعة فاثروا الفسق وفيه انه حذف
بلا دليل لان قولك امرته فقرا لا يفهم منه الا الامر بالقراءة فان قلت قوله ان الله لا يامر بالفحشاء
قرينة وذكر الفسق بعد الامر ايضا التقييد بالاتراف وزمان ارادة الاهلاك يابا ه فحق عليها القول كلمة
العذاب فدمرناها فاهلكناها تدميرا اهلاكا اى اهلاك استيصال وكم اهلكنا من القرون كم منصوب
المحل مفعول اهلكنا والجار والمجرور تميز من بعد نوح اذ لم يهلك قبله امة استيصالا وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا قد احاط ببواطنهم وظواهرهم بالعلم الاتم فلو لم يكونوا مستحقين لذلك
العذاب لما وقع ذكر البصير بعد الخبير تتميما كما فى الرحمن الرحيم من كان يريد العاجلة اى يريد بعمله
الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء لا ما اراده ما كل ما يتمنى المرء يدركه لمن نريد بدل من له بدل البعض
لانه كثيرا لا يعطى شيئا منها خسر الدنيا والاخرة ثم جعلنا له جهنم ماوى ومقرا يصليها يدخلها ويحترق
بها من صليت الشاة شويتها مذموما يلعنه الملائكة والناس مدحورا مهانا من دحرته اذا دفعته
بالاهانة وفى الحديث لم ير ابليس ادحر من يوم عرفة لما يرى من كثرة عفو الله الا يوم بدر ومن اراد
الاخرة اى بعمله وسعى لها سعيها حق السعى من امتثال الاوامر واجتناب المناهى وهو مؤمن والحال ان ذلك
السعى مقرون بالايمان الذى لا يعتد بعمل دونه وعن بعض الحكماء من لم يكن معه ثلاث نية صادقة وايمان
راسخ وعلم مصيب لا ينفعه عمل فاولئك كان سعيهم مشكورا اى مقبولا عند الله يثاب عليه كلا كل
واحد من العاصى والطايع والتنوين عوض المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل له
الانف مددا للسابق هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك اسم للمعطى وما كان عطاء ربك
محظورا ممنوعا من احد فى الدنيا من الحظر وهو الحجاب وفى الحديث قالت امراة دفنت ثلثة من الاولاد
فقال لها لقد احتظرت بحظار من النار انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض النظر بالبصيرة
والمخاطب كل من يتاتى منه وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اجتمع اشراف قريش يوما بباب
عمر فخرج الاذن لبلال وصهيب ولم يوذن لهم فشق ذلك عليهم فقال سهيل بن عمرو يا قوم
انما اتينا من قبل انفسنا دعى هؤلاء الى الاسلام ودعينا فاسرعوا وابطانا واذا كان هذا حالنا
فى باب عمر فكيف حالنا فى الاخرة فان حسد تموهم على باب عمر فانتم لما اعد الله لهم من المراتب
بالحسد اولى لا تجعل مع الله الها اخر لا تعتقد له شريكا فى الالوهية وخواصها الخطاب له والمراد
امته او هو من باب الالهاب لما قدم ان من سعى انما يفيد سعيه اذا كان مؤمنا شرع ببيان حقيقة

الايمان ثم فصل فروع ذلك وطرايق السعى فتقعد مذموما يذمك ربك على اتخاذك له شريكا
مخذولا ضالا من الشركاء لعجزه عن نفع نفسه عن غيره المنصوب ان خبر تقعد لكونه بمعنى صار وفى لفظ
القعود اشارة الى سقوط الرتبة وان لا يليق له الرياسة بل الخمول والتستر تجملا وقضى ربك حكما
مبتوتا لا يقبل المحو والتبديل ان لا تعبدوا الا اياه ان مفسرة والكلام انشاء او مصدرية بتقدير
الباء والكلام نفي وبالوالدين احسانا واحسنوا او بان تحسنوا بناء على الوجهين فى ان لا تعبدوا
ولا ولى جعله متعلقا باحسانا وعدم جواز عمل المصدر فى الصلة المتقدمة ممنوع اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما اصله ان زيدت ما المؤكدة ولذلك صح دخول النون المؤكدة قراء حمزة
والكسائى يبلغان فى مسند الى ضمير الوالدين واحدهما بدل البعض وكلاهما بدل الكل لا توكيد لان
احدهما صارف عنه اذ لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلا تقل لهما اف لا تضجر ولا
تستقذر منهما ما تستقذر من غيرهما صوتا واسم فعل ماخوذ من الاف على وزن الفرس وهو
الشئ القليل قراء نافع وحفص بالكسر والتنوين وابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر بالكسر
بلا تنوين وابن كثير وابن عامر بالفتح بلا تنوين والمختار الكسر بلا تنوين لانها جارية على الاصل
فى تحريك الساكن ولا تنهرهما ولا تزجرهما اذا تعاطيا ما لا يعجبك وقل لهما قولا كريما مراعاة
للادب قيل ان يقول لهما يا ابتا ويا امتا كما قال ابرهيم ولا تناديهما باسمائهما مواجهة واما اذا
كانا غايبين فلا باس به قالت عايشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل اسيف لا يقدر ان يقوم مقامك
واخفض لهما جناح الذل وتواضع لهما غاية التواضع شبه هيئة الانسان عند تذلله لديه
بهيئة الطاير اذا خفض جناحه على افراخه مشفقا عليها وجناح الذل استعارة بالكناية كما فى قول لبيد
اذ اصبحت بيد الشمال زمامها وذكر الخفض ترشيح من الرحمة لاجل رحمتك اياهما وقل رب ارحمهما
ادع لهما ربك بان يرحمهما رحمته الباقية ولا تقتصر على الرحمة الفانية كما ربيانى صغيرا كما رحمانى
بالتربية حين كنت احوج خلق الله اليهما وفى الحديث ان رجلا قال لرسول الله ان ابوى
بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليانى فى الصغر فهل قضيت حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان معك
وهما يريدان بقاءك وانت تفعل وتريد موتهما ربكم اعلم بما فى نفوسكم حث على الاخلاص وان
ما تفعله معهما كون خالصا لوجهه تعالى لا خوفا من لايمة الناس والايات والاخبار فى
بر الوالدين مستفيضة وقد اسند البخارى ان رجلا راهبا فى بنى اسرائيل يسمى جريجا كان يصلى فنادته
امه يا جريج فقال يا رب امى وصلوتى فنادته يا جريج فقال يا رب امى وصلوتى فنادته
يا جريج فقال يا رب امى وصلاتى فقالت رب حتى ينظر فى وجوه المومسات وكانت بغية من بغايا
بنى اسرائيل زنت مع راع ياوى الى صومعة جريج فاتت بغلام فقالوا لها ممن هذا الغلام قالت
من جريج فجاؤا وهدموا صومعته وارادوا قتله فقام وتوضا وصلى ركعتين ثم قال يا غلام
من ابوك قال ابى الراعى فخضعوا له وقالوا نبنى صومعتك بالذهب قال لا اعيدوها كما كانت
فاعادوها ربكم اعلم بما فى نفوسكم منكم لان علم البشر يعتريه السهو والنسيان وعد لمن اضمر
البر ووعيد لمن خالف ان تكونوا صالحين كانه قيل كيف نقدر على الوفاء بحقهما والبشرية لا تنفك
عن نوع تقصير فقيل ان قصدتم الصلاح ثم وقعت اساءة فانه كان للاوابين غفورا ستارا لزلاتهم لطفه
حاجز دون عقابه والاواب كثير التوبة من الاوب وهو الجانب فكانه ياتى التوبة من كل الجهات ووضعه موضع
الضمير ليشمل كل جان تايب وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذا القرابة مطلقا تعميم بعد
التخصيص والحق يشمل المالى وغيره فان قلت كيف يشمل المالى والزكوة فرضت بالمدينة قلت اراد ما كان

فرضا فى المال من المواسات كقوله وآتوا حقه يوم حصاده وما فرض بالمدينة مقادير الزكوة الا برى
الى قوله فويل للذين لا يؤتون الزكوة والآية مكية بلا خلاف وقيل اراد بذي القربى اقارب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمسكين والمحتاج فيشمل الفقير وابن السبيل ولا يبذر تبذيرا التبذير التفريق
ومنه بذر الزرع والمنهي عنه صرف المال فى غير حاجة ولا طاعة الله وفى المثل لا اسرف فى الخير كما لا خير فى السرف
وصيه ابى بكر الصديق مشهورة ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين كاخوانهم فى الشرارة وقرناءهم
او اصدقائهم تشبيها لقران الصحبة بقران القرابة كانوا فى الجاهلية يصرفون الاموال فى غير
طاعة الله رياء وفخرا فامرهم بالانفاق فى طاعته وبين لهم المصارف ثم نهاهم عما كانوا يفعلونه
وكان الشيطان لربه كفورا فلا يدعوا الى الخير علة للنهي عن التبذير اشارة الى انه بوسوسته واغرائه واما
تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها وان اعرضت عن هؤلاء لفقد ما ترحمهم به من رزق ربك
حال كونك راجيا ان يفتح الله عليك فتسد به خلتهم فوضع الابتغاء موضع الفقد اقامة للسبب مقام
المسبب وفيه لطف وهوان ذلك الاعراض لهم مآلا وحقيقة وان كان عنهم حالا وصورة او الاعراض
كناية عن عدم النفع والابتغاء مجاز عن عدم الاستطاعة والمعنى ان لم يقدر على نفعهم لعدم الاستطاعة
فقل لهم قولا ميسورا ذا يسر ولين مثل يفتح الله ورزقك الله وفى الحديث الكلمة الطيبة صدقة وقيل ابتغاء
رحمة من ربك متعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي قل لهم قولا ميسورا رحمة عليهم مبتغيا بذلك رحمة
الله عليك وانما يستقيم على مذهب الكوفية لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها فى غير اما عند غيرهم
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط نهي عن الافراط والتفريط وهما الشح والاسراف
ليلزم منه الاقتصار المحمود وهو الجود فالغل والبسط كنايتان عنهما روي انه كان عليه قميص لم
يكن له غير ذلك فاستكسته امرأة فكساها اياه وقعد عريانا ثم اذن بلال فلم يقدر على الخروج
وانتظره الناس فنزلت فان قلت قد ذكرتم انه لا اسرف فى الخير وقد صح عنه انه قال لو كان عندي
مثل احد ذهبا ما ادخرت منه شيئا الا ما ارصده لديني قلت ذاك حيث لا يترتب عليه مفسدة
ولا شك ان قعوده فى البيت لعدم القدرة على الخروج فيه فوت مصالح لا تحصى فتقعد ملوما يلومك
الناس لاخلالك بمصالحهم فينسبونك الى سوء التدبير وتلوم نفسك نادما على ما فعلت محسورا
منقطعا عن الناس من حسره السير اذا كل وانقطع او ملولا من حسرت الناقة اذا كلت واعيت
عن السير او من الحسرة وهي شدة التلهف على الفائت ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر تسلية
له بعد العتاب بان ما فيه من ضيق ذات اليد ليس لهوان منه عليه تعالى وفيه ايماء الى ان الله تعالى
مع سعة رزقه يبسط ويقدر فاستنوا به انتم ايضا انه كان بعباده خبيرا بصيرا عالما بسرايرهم
وعلانيتهم يبسط لمن اقتضت الحكمة له البسط ويقبض كذلك ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق من خوف
الفاقة نحن نرزقهم واياكم ايضا فلا وجه للقتل اذا ان قتلهم كان خطأ كبيرا لان قتل النفس
من اكبر الكبائر وفيه قطع التناسل وعدم الاعتماد على ضمان الله الرزاق ونسبة العجز اليه والخطاء
كالاثم لفظا ومعنى مصدر خطئ كاثم وقرأ ابن ذكوان بفتح الخاء والطاء مصدر خطئ ايضا كورم
وربما ذكره الزجاج وقيل اسم مصدر اخطأ الصواب وقرأ ابن كثير بكسر الخاء ممدودا مصدر خاطأ
بمعنى خطئ كسافر او مصدر الثلاثي كقياما مصدر قام والمختار الكسر مع القصر لوضوح المعنى
وعدم التأويل ولا تقربوا الزنا فضلا عن المباشرة والوقوع فيه انه كان فاحشة زائدة القبح
لاشتماله على انواع من المعاصي وساء سبيلا بئس طريقا طريقه لان غصب البضع ليس مشروعا فى ملة
ولا فى حاله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق الذي شرع وقد بينه بقوله عليه السلام

لا يحل

لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدي ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم وهذا
حال الاختيار فلا يشكل بقتل المسلم فى تترس الكفار ولا بقتل الصايل دفعا ومن قتل مظلوما لم يستوجب
القتل فقد جعلنا لوليه من يلي امره سلطانا فلا يسرف فى القتل القاتل ابتداء بان يقتل عمدا فينفض
منه او الولي بالمثلة او بقتل جماعة بواحد وغير القاتل كما كان دابهم فى الجاهلية او بعد اخذ الدية
او العفو ولا يراعى المماثلة المعتبرة فى القصاص وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب على تقدير يا قاتل
ابتداء او يا ولي القتل والكناية هو المختار لقرب الولي ولان نهي القاتل ابتداء قد علم من قوله ولا تقتلوا
انه كان منصورا علة للنهي والضمير لولي المقتول اي لكونه منصورا فى الدنيا بتشفيه بالقصاص او
للمقتول ظلما نصره بالقصاص بان لم يهدر دمه وفى الآخرة بالثواب والقاتل ابتداء خطأ لا يقتل فلو قتل
كان اسرافا فيقتل قاتله ولا تقربوا مال اليتيم فضلا عن اكله الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي
احسن الطرق من حسن النظر فيه حتى يبلغ اشده كمال القوة والعقل فيستقل بالولاية واوفوا بالعهد
بينكم وبين الله وبين ساير الخلق ان العهد كان مسؤلا مطلوبا من المعاهد الوفاء به كساير الحقوق من
سألته الشيء طلبته او العهد مسؤل عن حاله كيف روعي تخييلا على طريقة واذا المودة سئلت او للنكث
يسأل عن حال العهد ويعاقب عليه واوفوا الكيل اذا كلتم للناس وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان
السوي رومي اعرب فلا يقدح فى كون القرآن عربيا لاجراء احكام العربي عليه قرأ حمزة والكسائي
وحفص بكسر القاف كالقرطاس وهما لغتان ذلك خير واحسن تأويلا مآلا وعاقبة تفعيل من آل الامر
الى كذا ولا تقف ما ليس لك به علم لا تتبع شيئا لا تعلمه قولا كان او فعلا من قفوت الشيء وقفيته
اتبعته وفى الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج استند له
من نفى الاجتهاد ورد بان الشرع قد اقام غالب الظن مقام العلم فى الفروع وقيل هذا فى العقايد والاصول
وحيث لا مساغ للاجتهاد ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء واولاء يشار به
الى العقلاء وغيرهم سواء قال جرير والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا ضمير كان عايد
الى كل وكذا المجرور فى عنه والجار والمجرور قايم مقام فاعل مسؤلا ومنع تقديم الفاعل وما يقوم
مقامه لخوف اللبس بالمبتدأ ولا لبس هنا او فى مسؤلا ضمير المصدر المدلول عليه بلا تقف والمعنى
ان هذه الاعضاء تسأل فيما استعملها صاحبها ولا تمش فى الارض مرحا ذا مرح وهو الفرح الشديد
وفى الحديث كان رجل فيمن كان قبلكم يمشي فنظر فى عطفه فاعجبه نفسه فخسف الله الارض به
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا بما تفعله فى تلك المشية
تهكم به ونسبة الى السفه ناول رسول الله يوم احد ابا دجانة سيفا كان بيده فاخرج
عصابة حمراء وشدها فى رأسه وكان يسميها عصابة الموت ومشى مرحا مختالا نحو العدو فقال
رسول الله هذه مشية لا يحبها الله الا فى هذا الموطن كل ذلك كان سيئة اشارة
الى ما ذكر من المأمور والمنهي ولفظ كل للشمول والسيئ المنهي فعله وفى المأمور تركه او هو المنهي
والامتياز بالاضافة وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو على لفظ التانيث منصوبا خبر كان وكل للمنهي
وحده وقوله عند ربك مكروها خبر آخر او بدل او حال من المستكن فى كان والتذكير هو المختار لظهور
المعنى مع الشمول وكون الفعل مكروها لا ينافي الارادة كتناول المريض الدواء اشارة الى ما تقدم
من الاحكام مما اوحى اليك ربك بعض ما اوحى اليك من الحكمة بدل مما اوحى او حال من العايد المحذوف
سميت حكمة لعدم تطرق النسخ اليها فكانت فى غاية الاحكام او لان الاحكام الشرعية كلها حكم وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآيات مكتوبة فى تورية موسى عشر آيات ولا تجعل مع الله

ذلك

هي عصارة اهل النار واصل الردغة الماء والطين والوحل الشديد منه

اوله
ذم المنازل بعد منزلة اللوى منه

الها آخر كرر للتنبيه على عظم شان التوحيد ورتب عليه اولا ما يترتب على ذكره من الذم والخذلان
وثانيا ما يثمره في الآخرة بقوله فتلقى في جهنم كما الملقى الحطب والحجر ملوما يلومك كل احد او تلوم نفسك
نادما مدحورا مدفوعا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين آثركم بهم من الصفوة الهمزة
للانكار نهي عن الشرك اردفه بما هو رديفه وقريبه وهو نسبة الولد اليه تعالى واتخذ من الملائكة
اناثا مفعول اول والثاني محذوف اي اولادا او يجوز ان يكون متعديا الى مفعول واحد نحو قالوا اتخذ
الله ولدا انكم لتقولون قولا عظيما حيث تنسبون الى الذي ليس كمثله شيء الولد لا سيما وقد جعلتم له
ما تكرهونه لانفسكم ولقد صرفنا في هذا القرآن كررنا القول بعبارات مختلفة الاشارة الى
البعض وهو الآيات المشتملة على ابطال الولد لانه مما كررا والكل اي ولقد صرفنا القول في مواضع
في هذا القرآن ليذكروا ليتذكروا ويتعظوا فان للتكرار تاثيرا بليغا وما يزيدهم التكرار والتصريف
الا نفورا تجافيا عن الحق وعدم طمانينة به وعن الثوري انه كان اذا قرا هذه الآية يقول لئن زاد
اولئك نفورا ما زادني لك الا خضوعا وقرا حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر بضم الذال وهو
ذكر القلب ضد النسيان والذهول والمعنيان متقاربان الا ان في التذكر زيادة تعمل قل لو كان
معه آلهة كما تقولون وقرا ابن كثير وحفص بناء الغيبة اي قل للمشركين مستدلا عليهم في بطلان
الشرك لو كان آلهة كما تزعمون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا اليه طريقا طلبا للملك
وسعيا في المغالبة كما هو ديدن الملوك ولذلك آثر لفظ ذي العرش او لو كان معه آلهة لتقربوا اليه
متوسلين الى جوده مستكملين من فضله وفيضه فادعاء الالوهية في المستكمل اعتراف بالنقص سبحانه
وتعالى تنزيه له عما يقولون عن مثله هذا القول فكيف عن ثبوته وتحقق مدلوله علوا كبيرا زايدا
العلو وصف العلو بالكبر الذي هو من اوصاف الاجسام ليدل على فرطه تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن يدل على وجوده بحدوثها وامكانها وعلى وحدانيته باوصافها
ونظامها شبه الدلالة بالنطق وعبر عنه بالتسبيح استعارة بالكناية والاسناد الى ما يصح منه
النطق قرينة وتخييل ومن جوز استعمال المشترك في المعنيين حمل التسبيح في المعطوف على الحقيقة
لان من اريد به الملائكة والثقلان وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الخطاب
للمشركين لانه تقدم ذكر قبايحهم ثم نزه ذاته وبالغ في تلك النزاهة ثم اقام البرهان عليها
بان الاكوان شاهدة بها ولكن انتم ايها المشركون ليس لكم فهم تدركون به تلك الشهادة لتوقفها
على التدبر والنظر الصحيح وقيل الخطاب للمؤمنين وعدم الفقه عدم العمل بمقتضى تلك المعرفة
لاستيلاء الغفلة على الاكثر والوجه هو الاول انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة بعد ظهور اسبابها
غفورا يغفر لمن تاب بعدها واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا
اذا ستر مثل سيل مفعم وهو حجاب لا يرى فهو مستور عن الابصار او حجاب دونه حجاب وجعلنا على
قلوبهم اكنة حكاية ما كانوا يقولون في اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب او ابتداء كلام تعليل
للاعراض والاول الصق بالمقام لان الكلام في عد قبايحهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا صمما يمنعهم عن استماع القرآن المعجز بلفظه ومعناه وانما قدم المانع عن ادراك المعنى وان كان ثانيا
مقدما في الوجود لكونه اهم واذا ذكرت ربك في القرآن وحده منفردا عن آلهتهم يقال وحد يحد وحدا
وحدة كوعد يعد عدة نصب على المصدر قايم مقام الحال يقال جلس وحده اي منفردا
وفي حديث عايشة تصف عمر بن الخطاب لله در ام درت عليه كان نسيج وحده ولوا على ادبارهم
هربوا كانين على صفة القهقرى من شدة الانكار نفورا جمع نافر كقعود في قاعد او مصدر بمعنى التولية

نحن اعلم بما يستمعون به بالشيء الذي يستمعون لاجله هازئين بك وبالقرآن الجار والمجرور في
محل الحال او بما يستهزءون به مستمعين اليك على التضمين قيل كان اذا قرا وقف عن يمينه رجلان
من عبد الدار وآخران منهم عن شماله يصفقون ويخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون اليك
ظرف لاعلم مبالغة في الوعيد بانه احاط بما فعلوه وبوقته لم يفته شيء واذ هم نجوى اي ونحن اعلم
بتناجيهم ايضا حين هم ذو نجوى او جمع نجي اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم نجوى ان تتبعون الا رجلا
مسحورا بيان لما وقع به التناجي وضع الظالمون موضع المضمر دلالة على ان تناجيهم من باب
الظلم ولا يجوز ان يكون بدلا من ذل الاول لان هذا القول ليس من الاستهزاء بل مما يسر به بعضهم
الى بعض ولما يلزم ان يكون حديث النجوى فاصلا اجنبيا والمسحور من سحر به فاختل عقله وقيل ذا
سحر وهي الرية اي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالساحر تارة وبالمسحور اخرى
وتارة يقولون انما يعلمه بشر الاوجه ان يقال ضرب الامثال له هو قولهم ائذا كنا عظاما
الى آخر المقالات الثلث على انه بيان وتفسير لذلك المجمل فضلوا عن طريق الصواب فلا يستطيعون
سبيلا طريقا اليه لانحصاره في الطريق الذي انت عليه وهم عنه ناكبون وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا
عطف على قوله فضلوا باب آخر من ابواب الضلال او على مقدر دل عليه الكلام اي قالوا لك مسحور
وقالوا ائذا كنا لما ذكر استهزاءهم ولما جاء به اتبعه بالاستهزاء بالذي دل عليه ما جاء به وهو البعث
بعد تفتت الاجزاء والرفات كل ما دق وكسر ائنا لمبعوثون خلقا جديدا انكار منهم ودعوى استحالته
والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لتصدر الاستفهام وخلقا اما حال بمعنى مخلوق او مصدر
قل كونوا حجارة او حديدا كانت شبهتهم في دعوى الاستحالة عدم التناسب بين العظام الرفات وبين
الحيوة لانها تقتضي كون المحل غضا طريا وقد استولى اليبس على تلك العظام ورمت ازاح الشبهة
بانه قادر على ايجاد الحيوة فيما هو ابعد مناسبة من العظام الرفات وهو الحجارة والحديد لان نسبة
قدرته الى كل الممكنات سواء ومعنى الامر الاهانة وقلة المبالاة او خلقا مما يكبر في صدوركم
هو ابعد من الحديد في قبول الحيوة قيل هو الموت فان الله قادر على احياء الموت وقد صح انه يؤتى به
في صورة كبش فيذبحه يحيى بن زكريا بين الجنة والنار فسيقولون من يعيدنا ابدوا شبهة اخرى تتعلق
بالفاعل بعد ازاحة الشبهة عن القابل قل الذي فطركم اول مرة من العدم وانتم معترفون بذلك فسينغضون
اليك رؤسهم يحركونها نحوك تعجبا واستهزاء يقال نغض راسه اذا حركه وفي حديث ابن الزبير ان
الكعبة لما احترقت نغضت اي تحركت واشرفت على الانهدام ويقولون متى هو قل عسى ان يكون
قريبا فما اعذركم بعدا لوقوع وكل آت قريب ولم يبين لهم الوقت لانه منفرد بعلمه من الخمس التي لا يعلمها
غيره يوم يدعوكم فتستجيبون هو نداء اسرافيل للبعث وهو المنادي من مكان قريب اسنده الى نفسه
اجلالا له وقيل الدعاء والاستجابة استعارتان للبعث والانبعاث تنبيها على سرعة وقوعهما
وسهولة امرهما مع الدلالة على انهم مطلوبون للحساب والجزاء بحمده قائلين سبحانك اللهم وبحمدك
او منقادين معترفين بوحدانيته حيث لا ينفع وقيل ابتداء كلام مع المؤمنين وتظنون ان لبثتم
الا قليلا اي في الدنيا او في القبور وذلك لما يرون من الهول وقل لعبادي اضافهم الى
نفسه تشريفا لهم يقولوا التي هي احسن الكلمة او الحجة التي هي احسن لخلوها عن الجدال والخشونة
ان الشيطان ينزغ بينهم بالحمل على المخاشنة فعلى الجازم ان لا يغتر بوساوسه ان الشيطان كان
للانسان عدوا مبينا قديم العداوة واضحها ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم وان يشا يعذبكم
تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا هذا الكلام لهم ونظايره ولا تقولوا انتم اهل النار

امثاله لثوران الفتنة مع عدم العلم بالعاقبة وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم
ان عليك الا البلاغ والجدال بالتي هي احسن دون المحاقة والمشاقة وربك اعلم بمن في السموات
والارض رد لاستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب رسولا بان من اختاره للنبوة علمه محيط بمن في
السموات والارض فلو لم يكن اهلا لها لما اختاره ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اي فضلناك
على سائر الانبياء لعلمنا ان ليس فيهم من يوازيك وآتينا داود زبورا ولقد كتبنا في الزبور من
بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون دل على كونه خاتم الرسل وامته آخر الامم وتجوز
ان يراد ما بين الرسل من تفاوت الرتب بحسب ما سبق في علمه اذكر داود منفردا مقرونا بذكر
الزبور للدلالة على ان فضله وشرفه انما هو بالكتاب والمعارف لا بالملك والامارة ونكره لانه اراد
بعضه وهو المشتمل على تفضيل الرسول وامته او لانه من الاعلام المشتقة كالحسن فياتي باللام وبدونه
وقرا حمزة زبورا بضم الزاء قل ادعوا الذين زعمتم من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون
كشف الضر عنكم رفعه وازالته ولا تحويلا عنكم الى اعدائكم فهم عن ايصال النفع اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة خبر اولئك والذين يدعون صفته ايهم اقرب
بدل من واو يبتغون واي موصولة صدر صلتها والمعنى اولئك المعبودون يطلب اقربهم منه الوسيلة
بالطاعة والخضوع اليه وقيل يبتغون فيه تضمين معنى الحرص اي اولئك المعبودون يطلبون الى ربهم
الوسيلة بالطاعة يحرصون على الاقربية ويغالبون فيها فالابتغاء على الوسيلة والحرص على الاقربية
ويرجون رحمته ويخافون عذابه كما هو شان العبيد مع المولى فكيف يصح دعوى الالوهية فيها ان عذاب
ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كاينا من كان لشدة هوله اعاذنا الله منه وان من قرية الا نحن
مهلكوها قبل يوم القيمة مهلكوا اهلها بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل والسبي
وعن مقاتل الصالحة بالموت والطالحة بالعذاب وقيل المراد قرى الكفار كان ذلك في الكتاب مسطورا
في اللوح المحفوظ لا بد من وقوعه وما منعنا ان نرسل بالآيات مجاز عن ترك الارسال وان منع مدخولها
فاعل المنع جواب لقولهم لولا يأتينا بآية كما ارسل الاولون الا ان كذب بها الاولون بالآيات المقترحة
وفجوت سنتنا باستيصال من كذب بها وقد سبقت المشية بايمان بعضهم او ان لا نستاصل
هذه الامة وآتينا ثمود الناقة مبصرة مضيئة واضحة في كونها آية من ابصر اذا اضاء كقوله
والنهار مبصرا او جاعلة اياهم بصراء من ابصرته جعلته ذا بصيرة وانما افردها لكونها قريبة
من ديارهم يشاهدها صادرهم وواردهم فظلموا بها كفروا وظلموا انفسهم بعقرها الموجب
لاهلاكهم وما نرسل بالآيات الآيات المقترحة فانها طلايع الاستيصال ان كذب بها او الآيات
النازلة من القرآن بعضها اثر بعض الا تخويفا من الاستيصال او من عذاب الآخرة الباء مزيدة او في
موقع الحال واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس بقوله سيهزم الجمع وقوله قل للذين كفروا ستغلبون
فهو بشارة بنصره وشفاء صدره والتعبير بالماضي كما في نظايره لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك راي في منامه نصره وهلاك عدوه روى مسلم وابو داود عن انس انه لما ورد ماء بدر قال
هذا مصرع فلان ويضع يده على الارض ههنا ههنا قال فما ماط احد موضع يده
فلما تسامعت قريش ضحكوا منه سخرية فذلك قوله الا فتنة للناس وقيل هو رؤيته عالم الملكوت
ليلة الاسراء وبه يتعلق من قال انها كانت في المنام وليس له فيه دليل لعدم اختصاص الرؤيا
بالمنام كيف وابن عباس رضي الله عنه من اعرف الناس باللسان وقد حملها على رؤية العين
وقيل انما عبر عنها بالرؤيا لوقوعها بالليل وقيل هي رؤياه انه دخل مكة اي التي اخبر الله عنها بقوله

البعد

ضوء

النبي

لقد صدق الله

لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام وكون السورة مكية لا يمنع وقوعها بها وحكايتها
لهم بالمدينة وكونها فتنة انه لما صالح قريشا ولم يدخل مكة ورجع اضطرب الناس لذلك حتى قال له عمر
السنا اخبرتنا انا ندخلها ونطوف بالبيت فقال هل قلت لك هذا العام فقال انك ستدخلها
وتطوف به وقيل رأى ان اغلمة من بني امية ينزون منبره نزو القردة ما حدث في ايامهم اعظمها لعنهم
علي بن ابي طالب على المنابر والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا هي شجرة الزقوم لما سمعوا انها
شجرة تخرج في اصل الجحيم فقالوا واعجبا من محمد يقول نار جهنم تحرق الحجارة ثم يقول ان فيها شجرة وهذا
الاستبعاد انما كان لجهلهم بالله وبصفاته اذ ليس نبات الشجرة في النار بابعد من وجود النار بين اجزاء
الشجر الاخضر الغض وهم يعترفون بذلك يتعاطونه فيما بينهم افرايتم النار التي تورون ولعنها في القرآن
الاخبار بانها طعام الاثيم او اسند اللعن اليها وهو لاصحابها او لانها في اصل الجحيم وهو ابعد مكان من رحمة
الله وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقيل الحكم بن العاص ونخوفهم بانزال آيات الوعيد شيئا بعد
شيء فما تزيدهم الا طغيانا كبيرا الا تجاوزا عن الحد مفرطا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم استطراد قصة
ابليس مع آدم اشارة الى ان هؤلاء من اتباعه الذين لم يجد فيهم الآيات والنذر فسجدوا الا ابليس
قال أأسجد لمن خلقت طينا انكر ان يكون ساجدا لمن هذه صفته تحقيرا وطينا نصب الحال اما من الموصول
والعامل فيه اسجد وهو ان لم يكن حاله السجدة طينا الا انه جعله نفس ما كان مبالغة في الاحتقار
زاعما ان تلك الذلة لم تزل او من الراجع المحذوف اليه والعامل خلقته اي خلقته وهو طين او منصوب
بنزع الخافض قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف للخطاب لا محل له من الاعراب والمعنى اخبرني
عن شان هذا الذي فضلته علي لم فعلت ذلك والحال يقتضي عكس ذلك اذا تأخير منه حذف لدلالة
السابق عليه ثم ابتداء الكلام منتقما منه بقوله لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا
منهم لم ينفذ فيهم مكري الاحتناك قلع الشيء من اصله والمراد حملهم على الكفر الموجب لخلود العذاب
الذي هو بمنزلة الاستيصال وقيل من حنك الدابة اذا جعلت حبلا في حنكها الاسفل تسخيرا لها وعلمه
بذلك اما من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد او لما عمل وسوسته في آدم او تفرس في خلقته وما ركب
فيه من القوى الشهوية والغضبية قال اذهب اجابة الى ما طلب من الاغواء والتخلية لما هو بصدده
فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا بين له ما جره اليه سوء اختياره وغلب المخاطب على الغايب لانه
الاصل في ذلك وقيل الالتفات الى من تبعه ونصب جزاء على الحال الموطئة او الموكدة او المصدر
لما دل عليه ان جهنم جزاؤكم والموفور الكامل دفع توهم خفة العذاب لاشتراك الجم الغفير فيه واستفزز
من استطعت منهم بصوتك استخف من الفز وهو الخفة والمراد خفة العقل ونقصان الرأي واجلب عليهم
بخيلك ورجلك من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة اسم جمع وكذا الرجل كركب وصحب وقرأ حفص
بكسر الجيم على انه وصف كراجل يقال رجل راجل ورجل رجلان اي ماش لا صوت ولا خيل
ولا رجل وانما الكلام على التمثيل من تمكينه من الاغواء وازاحة موانعه وتوفير اسباب ما هو بصدده
ويحتمل ان يكون له خيل ورجل من الشياطين وجنده وفي الحديث ان ابليس ينصب عرشه على الماء
ثم يفرق سراياه للفساد فاقربهم عنده من فرق بين المرء وزوجه وشاركهم في الاموال كالبحيرة
والسائبة والوصيلة والخيانة وكل تصرف لا مساغ له شرعا والاولاد بتسميتهم الاولاد بعبد العزى
وعبد يغوث وعبد الحارث وتحصيل الولد بالسفاح وعدهم بان الاصنام تشفع لهم وبتسويف التوبة
والاتكال على كرامة الآباء وما يعدهم الشيطان الا غرورا شيئا لا حقيقة له من الغرة وهي الغفلة
اعتراض لئلا يغتر بمواعيده ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وهم المخلص الذين قال ابليس الا

نعما لا

علي

عبادك منهم المخلصين دل على التخصيص اضافة التشريف وكفى بربك وكيلا يتكلون عليه من وساوسه ودفع
اغوائه ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر عاد الى دلايل التوحيد واضافة النعم على غير الشاكرين والازجاء
السوق والمراد تسييرها بارسال الريح لتبتغوا من فضله بالتجارة والربح وتحصيل ما يحتاجون اليه انه كان بكم
رحيما حيث هيأ لكم اسباب المعاش في البحر الذي هو مظنة الهلاك واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق عند
تلاطم الامواج ضل من تدعون لم يهتدوا الى انقاذكم من الضلال ضد الرشاد او ذهب عن خاطركم من تعبدونه
من ضل عني اذا ضاع او من ضلني فلان اذا ذهب وفارقك قال الشعر والسائل المبتغي كرائمها يعلم انى يضلني علي
الا اياه فانه لا يزول في ذلك الوقت عن خاطركم لعلمكم بانه القادر على الانجاء وقيل الاستثناء منقطع وذلك
لانهم ما كانوا يدعون الله الا في الشدايد واما في حالة السراء فكان دعاؤهم مختصا بآلهتهم وحدها
مكانه خارج عن المدعوين لذلك الاختصاص فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن التوحيد واختصاصه بالدعاء
او اعرضتم في الكفران واتسعتم فيه من اعرض في كذا اتسع فيه وفي حديث الاعرابي لئن قصرت الخطبة
فقد اعرضت في المسئلة وقال ذو الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا
وكان الانسان كفورا كثير الكفران افامنتم تقريع وفيه معنى الانكار والفاء عاطفة على مقدر
اي انجوتم من الغرق فامنتم ان يخسف بكم جانب البر فيجعلكم تحت الارض مقلوبة عليكم وهو عذاب من جنس
الغرق فلا وجه لامنكم مع استواء القدرة على النوعين من العذاب وانما ذكر الجانب للدلالة على ان الجوانب
والجهات كلها مستوية بالنسبة الى قدرته ولو ذكر البر في مقابلة البحر كما في قوله فلما نجاكم الى البر
فاتت تلك الدلالة قرأ ابن كثير وابو عمرو ونخسف بالنون وكذلك الافعال المذكورة بعده التفاتا
من الغيبة ابلغ في التهديد او يرسل عليكم حاصبا ريحا من جانب الفوق بالحصباء وهي الحصا الصغار فان
القتل بها اشد عذابا كما ارسل بها ابابيل على اصحاب الفيل ثم لا تجدوا لكم وكيلا يقوم بنصركم ومنه
الوكيل في اسمائه تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى بان يخلق فيكم دواعي الركوب وتشجعكم
على ذلك بعد نجاتكم في المرة الاولى فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا يمر بشيء الا قصفه وكسره فيغرقكم بما كفرتم
وعد بغرق البحر بعد ايعاده بنوعين من عذاب البر لكونهما قليلا الوقوع فليس للانذار بهما ما للغرق
من الهول لاسيما وقد نقضوا العهد الذي عهدوه ان كشف عنهم حين الاشراف عليه ثم لا تجدوا لكم علينا
به تبيعا مطالبا يطالبنا بما فعلت ولقد كرمنا بني آدم حث للانسان على الشكر بعد ما قدم حفظه
وكلاءته له وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن ورزقناهم من الطيبات من المستلذات وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا بان سخرنا لهم ما في السموات والارض اسبابا لمعاشهم وخصصناهم ببديع الشكل
والصورة والحواس والقوى الدراكة بحيث صار نسخة العالم عن الاصمعي دخلت يوما على الرشيد وبين يديه
جام وخبيص وبيده ملعقه فقال هلم يا اصمعي فقاعد قلت يا امير المؤمنين حدثنا سفيان بن عيينه عن
عمرو بن دينار عن طاوس عن عبد الله بن عباس جدك في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم بالاكل بالايدي
فرمى بالملعقه والضمير لبني آدم الشامل للصالح والطالح وليس في الآية دليل على الافضلية بمعنى
الاقربية عند الله على ما هو المتنازع فيه لا للبشر ولا للملك والذي عليه الجمهور تفضيل رسل البشر
على رسل الملائكة وتفضيل رسل الملائكة على عامة المؤمنين على عامة الملائكة وقيل بل تفضيل عامة
الملائكة على عامة المؤمنين ومنهم من فضل مطلقا نبيا كان او وليا ومنهم من فضل الكروبيين مطلقا
والحق ما عليه الجمهور يوم ندعو كل اناس بامامهم منصوب باذكر او بدل من يوم يدعوكم او ظرف لما دل
عليه قوله متى لما بين كرامة النوع على الاطلاق في الدنيا اشار الى التفاوت في الدرجات في الآخرة
والامام هو الرسول المبعوث الى الامة ينادون بالاضافة اليه يا امة موسى يا امة محمد وقيل الامام

الخبيص نوع من الحلواء منه

وعامة المؤمنين

الكتاب ينادي يا اهل القرآن يا اهل التورية وقيل هو المقتدي به نبيا كان او غير نبي وقيل الامام
الام ينادي يا ابن فلانة اجلالا لعيسى بن مريم والحسن والحسين وسترا على اولاد الزنا فمن اوتي كتابه
بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم فرحا وسرورا بما فيه من الايمان والاعمال الصالحة ولا يظلمون فتيلا
هو ما يكون في شق نواة التمر يضرب به المثل في القلة ومن كان في هذه اعمى عن طريق الرشاد والا
ستدلال بالاكوان على المكون فهو في الآخرة اعمى لا يهتدي الى حجة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال
الاستعداد وفوات المحل وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك قيل نزلت في ثقيف قالوا يا محمد
نحن اصهارك وجيرانك اعطنا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في الصلوة وكل ربوا
لنا فهو لنا وكل ربوا علينا يكون موضوعا عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وج الطايف
كما حرمت مكة وقيل سألته قريش الكف عن سب آلهتهم وقيل سألوه ان يمسح وجوهها ليمكنوه من استلام
الحجر وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا ايقاعك في الفتنة والاشراك بتجاوزك
عن احكام ما انزل اليك لتفتري علينا غيره غير الذي اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا صديقا داخلا
حبك في خلال قلوبهم ولولا ان ثبتناك بالعصمة لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل
الى طلبتهم ادنى ميل لشدة كيدهم وغاية اهتمامك بايمانهم اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف
الممات اي العذاب المضاعف في الحيوة الدنيا وفي الآخرة حذفا الموصوف لتبادر الفهم اليه والاضافة
بمعنى في وقيل ضعف الحيوة حيوة الآخرة وضعف الممات عذاب القبر والاول هو الوجه لتبادر الفهم الى
هذه الحيوة عند الاطلاق ولان الممات يشمل القبر وما بعده وفي الكلام دلالة على جلالة قدره صلى الله
عليه وسلم فان الركون هو الميل اليسير وقد قيد بادنى ركنه مقرونا بلفظ كاد الدال على القرب دون
الوقوع فهو منزه عن الهم بما دعوه اليه ثم قال انه طلب الكاتب وامره ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله فقالوا
للكاتب اكتب فنظر الكاتب الى رسول الله فقام عمر فسل سيفه فقال اسعرتم قلب نبينا
يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم فقد اخطأ في اللغة واسند الى افضل الرسل ما لا يجوز اسناده الى مسلم
وهو التصميم على الشروع في تغيير احكام الله بل الرضاء بالشرك هدانا الله سواء السبيل واعاذنا من
مزخرف الاقاويل ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدافع عنك وان كادوا ليستفزونك هم اهل مكة ارادوا
اخراجه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك يؤيد ان الضمير في يستفزونك لهم دون ثقيف
من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا الا زمانا يسيرا وقد كان كذلك فان صناديدهم
بعد سنتين من خروجه قتلوا ببدر وقيل الوعيد كان بالاخراج ولم يخرجوه بل خرج بامر ربه وما قيل
من ان الارض ارض المدينة فان اليهود زينوا له سكنى الشام فانها موطن الانبياء ومهاجر ابيه ابرهيم
عليه السلام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امبال فنزلت الآية فرجع الى المدينة
فليس له اصل ولا نقله احد وكيف يفتر بقول اليهود وهو بين اظهر المهاجرين والانصار وقرأ حمزة والكسائي
وابن عامر خلافك وهما لغتان قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر وهي ان كل قوم اخرجوا رسولهم ان يهلكهم بعذاب
عاجل ولا تجد لسنتنا تحويلا تغييرا دل على ان اضافة السنة الى الرسل مجاز لوقوعها لهم اقم الصلوة لدلوك
الشمس قرر التوحيد والالهيات ثم اتبعها بذكر الفروع وبدأ بالصلوة التي هي اعظم الاركان بعد
التصديق والدلوك الميل والمراد به زوال الشمس عن كبد السماء وهو وقت الظهر واللام فيه للتوقيت
كما في قولك قدمت لثلث خلون من شهر كذا وهي اول صلوة صلاها رسول الله خلف جبريل حين اقام

يرد على الكشاف والحديث الذي ذكره
موضوع لم يوجد في كتب الحديث
ومعناه باطل منه

الشواطب جمع شاطبة وهي التي تشق الجريد للحصير منه

اقام له اوقات الخمس لـــ غسق الليل الى وقت ظلامه يقال غسق واغسق اظلم وقران الفجر
صلوة الفجر سميت قراءنا لكون القرآن ركنا فيها كما سميت بالسجود والتسبيح والاختصاص لكون القراءة
فيها اطول ان قرآن الفجر كان مشهودًا تشهدها الملائكة وتجتمع عندها ملايكة الليل والنهار وتشهدها
كثير من الناس لعدم الاشتغال وكلما كثر الجمع ازدادت الفضيلة والآية جامعة للصلوات الخمس وحمل الدلوك
على الغروب بعيد يوجب الفاء ذكر الظهر والعصر ومن الليل فتهجد به وعليك بعض الليل اغراء
اوهو من قبيل فاياي فارهبون والتهجد ترك الهجود وهو النوم ويقال تهجد اذا نام فهو من الاضداد وضميره
عايد الى القرآن نافلة لك فريضة زايدة على الصلوات الخمس لك خاصة دون امتك وقيل كان واجبا عليه
وعلى امته ثم نسخ بآخر المزمل عسى ان يبعثك ربك مقامًا محمودًا هو مقام الشفاعة العظمى لاراحة الموقف
وتمييز الفريقين يرغب اليه الاولون والآخرون ويحمد ونر على ذلك نطقت به الاحاديث وعن جابر بن عبد الله
انه قال صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع الاذان اللهم رب هذه الدعوة التامة و
الصلوة القايمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودًا حلت له شفاعتي وانتصاب مقاما
على الظرفية المقدر اي فيقيمك في مقام او على تضمين البعث الاقامة لاستدعائه فعلا يكون فيه معنى الا
ستقرار فلا يصح ان يكون الفعل المذكور عاملا فيه وقل رب ادخلني مدخل صدق اي في القبر ادخالا
مرضيا من قبيل رجل صدق واخرجني مخرج صدق منه ملقى بالاكرام وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليه
واخراجه منها آمنا وقيل ادخاله الغار آمنا واخراجه منها سالما والحق التعميم في كل ما يلابسه من امر
الدنيا والآخرة والصدق يستعمل في الافعال كما يستعمل في الاقوال ويراد به الاخلاص يقال فعل ذلك
الامر بنية صادقة ومنه قوله ان لهم قدم صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة مؤيدة لغايتك
تنصرني بها على من عاداني وقيل ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر فاجابه الله بقوله انا لننصر رسلنا
كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقل جاء الحق وزهق الباطل جاء دين الاسلام وزال ما سواه من الاباطيل
وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل رسول الله مكة يوم الفتح دخول البيت ثلثمائة وستون نصبا فجعل
يطعنها بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا كلام مستقل دال على حكم كلي
جار مجرى المثل فان كل باطل وان كان له جولة وصولة يضمحل سريعا وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين من للبيان قدمت على المبين للاهتمام او للتبعيض لا بمعنى ان بعضه شفاء دون بعض
بل المعنى ننزل ابعاضه الشافية على حسب تجدد الداء شيئا فشيئا وانما كان شفاء لانه يزيل عمى
الجهل عن القلب وبنجيه عن حيرة الشك ويستشفى ببركاته الامراض ولا يزيد الظالمين الا خسارا لازدياد
الكفر بزيادة المكفور به كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالامن و
العافية وسعة الرزق وتوفير الاسباب اعرض عن ذكر الله والقيام بالشكر ونأى بجانبه وترفع بنفسه
لفظ الجانب مقحم للدلالة على بعده عن الشكر وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان ناء بتقديم الالف
على القلب او معناه نهض كما في بيت امرئ القيس وارادف اعجازا وناء بكلكل والمختار قراءة الجمهور
لكونها نصا في المراد وهو البعد واذا مسه الشر كان يؤوسا شديد الياس قل كل يعمل على شاكلته
على طريقته التي جبل عليها من شكلت الدابة اذا قيدتها واليه اشار بقوله كل ميسر لما خلق له
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا لانه الذي خلقكم على تلك الشاكلة وجبلكم عليها واهدى من
هدى لازما بمعنى اهتدى وتجوز ان يكون من المتعدي ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي سألوه
عن الروح الذي به حياة الحيوان فان العقل لا يهتدي الى حقيقته روى البخاري عن ابن مسعود رضي
الله عنهما انه قال بينا انا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي في حرث المدينة وهو متكئ

لان معناه صلى بعض الليل متهجدا منه

على عسيب فمر على اليهود فقال بعضهم سلوه عن الروح وقال بعضهم دعوه لا يستقبلكم
بشيء تكرهونه فقالوا اسألوه فسألوه فامسك رسول الله فلم يرد عليهم قلت يوحى اليه فقمت
مقامي فلما نزل الوحي قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي والمعنى انه تعالى
مستأثر بعلمه لا طريق لاحد الى معرفته ولذلك اردفه بقوله وما اوتيتم من العلم الا
قليلا والروح من الكثير الذي ما اوتيتم علمه وقيل معناه انه محدث بامر الله وتكوينه
وفيه ان هذا معلوم لكل من السائل والمسؤول عنه وقيل اشار الى ان الروح لا يمكن ادراكه
الا بعوارض تميزه ولذلك اقتصر عليه كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين على ذكر
صفاته وهو قياس للممكن على المستحيل وما الدليل على عدم امكان معرفة حقيقته
وقيل الروح هو جبرئيل او القرآن او ملك آخر فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما تقدم
قلت ان اريد بالروح القرآن او جبرئيل فظاهر لقوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
وان اريد به ما به الحيوة وهو المختار فهو كلام معترض لبيان خسارهم فان القرآن انما كان
شفاء لاشتماله على الاحكام الدينية اصولا وفروعا وهم لا يتدبرون فيه لاقتناصها
والسؤال عن ازالة ما فيها من الاشتباه ويشتغلون بما لا ضرورة تدعوهم اليه لما نزل
قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا اعترضت اليهود وقالوا ما اعجب
شأن محمد تارة يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وتارة يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وهذا من قلة علمهم لان ما اوتي البشر من الحكمة قليل بالنسبة الى
علم الله وان كان في نفسه كثيرا على ان الموصوف بالقلة والكثرة في الآيتين ليس
شيئا واحدا لان القليل هو العلم والكثير هو الخير المترتب على ذلك العلم القليل نظيره
ليلة القدر خير من الف شهر وما قيل لما قالت اليهود تلك المقالة نزلت ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام فليس بسديد لان سورة لقمان مكية وسورة البقرة مدنية
متأخرة القرآن نزولا ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ساقه امتنانا وحثا له على
استدامة الشكر بعد ما بين انه شفاء ورحمة ومعنى ذهابه محوه عن الصدور والمصاحف
وعن ابن مسعود رضي الله عنه يسرى على القرآن فيصبح الناس منه فقراء يرفع المصاحف
وتنزع ما في الصدور واللام موطئة القسم المحذوف لنذهبن جوابه نايب مناب جواب
الشرط ثم لا تجد لك علينا وكيلا كفيلا بضمن رده عليك ويتوكل علينا بالمطالبة
الا رحمة من ربك استثناء متصل اي الا رحمته فانها تقدر على الرد بعد الاذهاب
والتوكل بالمطالبة او منقطع والمعنى لكن رحمنا ادركتك فتركه غير مذهوب به ان
فضله كان عليك كبيرا حيث انزل عليك القرآن الذي فيه تبيان كل شيء بعد ما لم تكن
تدري ما الكتاب ولا الايمان وقد وصف فضله عليه تارة بالكبر واخرى بالعظم ملاحظة
للكم والكيف دلالة على كمال عنايته به من كل وجه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم استيناف لبيان ذلك الفضل
الكبير لا يأتون بمثله لكونه خارجا عن طوقهم جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة
لجاز ان يكون جواب الشرط لكونه ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب
مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا معوانا لم يذكر الملائكة لكونه مبعوثا الى الانس

على الاول للامام والثاني للقاضي

رد على المتكلم والمكتفي

به

والجن فهم المخاطبون بالتحدى لا لان اتيان الملايكة بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة لان المعجزة فعل
من افعال الله تعالى دالة على صدق مدعى الرسالة فلو احتمل اتيان غيره بمثله لم تبق تلك الدلالة
قطعية ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل كررنا باساليب كل نوع من انواع الحكم
التي هي في الحسن والغرابة كالامثال من مباحث المبدا والمعاد ووقايع الانبياء مع الامم
فابى اكثر الناس الا كفورا بهذه الحكم التي هي اجل النعم الاستثناء وان لم يصح ضربت الا زيدا
لان ابى في معنى النفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لعدم الاعتداد بما في القرآن
من الاعجاز الظاهر والمعنى الباهر وقصر النظر على المخدج الفاني من الماء والاراضي والثمار
كساير البهايم قايله نضر بن الحارث او ابو جهل والينبوع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب
الماء اذا زخر والبناء للمبالغة اي عينا كثيرة الماء وقرا الكوفيون تفجر مخففا واصل الفجر
الشق والتخفيف هو المختار لافراد ينبوعا ولهذا اتفقوا على تشديد الثاني لوقوعه على الانهار
ولان المعجزة تقتضي وجود الفعل لا كثرته او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا اي بستانا يشتمل على هذه الاشياء او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
قطعا من كسفت الثوب قطعته يريدون قوله ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم
كسفا من السماء وقرا نافع وابن عامر وعاصم بتحريك السين والباقون بالاسكان فعلى الاول
جمع وعلى الثاني اسم جمع او تاتي بالله والملايكة قبيلا كفيلا ضامنا لصحة ما ندعيه
او مقابلا حال من الله تعالى وحال الملايكة حذف للعلم به كما حذف الخبر في قوله فاني
وقيار بها لغريب او حال من الملايكة والقبيل بمعنى الجماعة من الثلاثة وما فوقها او يكون
لك بيت من زخرف من ذهب هذا اصله ويطلق على الزينة والتمويه او ترقى في السماء
ولن نؤمن لرقيك وحده لاحتمال ان يكون سحرا حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فيه تصديقك
قل سبحان ربي تعجبا عن عنادهم وتعنتهم او تنزيها لله تعالى عن ان يشاركه احد في
القدرة هل كنت الا بشرا رسولا كساير الرسل وشان الرسل الاتيان بالمعجزة الدالة على صدق
دعواهم مناسبة لحال المرسل اليهم وليس انسب بحالكم من القرآن معجزة وقد اجاب مفصلا
في ساير السور ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا
الا سحر مبين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا
وما منع الناس ان يؤمنوا يريد الكفار اذ جاءهم الهدى اي الوحي او الرسول الا ان قالوا
فاعل منع ابعث الله بشرا رسولا انكار منهم ان يكون الرسول من الله بشرا قل جوابا عن شبهتهم
لو كان في الارض ملايكة يمشون كما يمشي الناس لا انهم يطيرون الى السماء ويأخذون
العلم هنالك مطمئنين مستوطنين احترازا من الملايكة المرسلين لامر الله والسياحين
لسماع الذكر لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا من جنسهم ليسهل الاخذ منه ولذلك كان
جبريل يتمثل رجلا في اكثر الاحيان وبشرا وملكا يجوز ان يكونا موصوفين برسولا والاحسن
جعلهما حالين لان نصب الغرض انكار كون الرسول بشرا واعتقاد كونه ملكا والتقديم اوفى
واعون قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به بذلت الجهد انه كان
بعباده خبيرا بصيرا عالما بسرايرهم وظواهرهم ومن يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن
تجد لهم اولياء من دونه يقدرون على هدايتهم ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم لانها

الاح ان قايله عبد الله بن ابي امية وقد اسلم يوم الفتح منه

شرف

اشرف الاعضاء اهانة لهم ولانهم لم يعفروها بالسجود لربهم تواضعا قيل يا رسول الله كيف يمشي الانسان
على وجهه فقال اليس الذي امشاه على رجليه قادرا على ان يمشيه على وجهه عميا وبكما وصما
الكلام على التشبيه اي لا يرون شيئا تقر به اعينهم ولا يسمعون ما يستلذ اسماعهم ولا ينطقون بما يقبل
منهم او على الحقيقة بان يحشروا كذلك بعد الحساب الى النار لانهم يتكلمون ويرون ويسمعون قال
تعالى يتخافتون بينهم اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فسوف يعلمون حين يرون
العذاب ماويهم جهنم كلما خبت سكنت زدناهم سعيرا توقدا يقال سعرها النار اذا هيجتها وزدت لهبها
الظاهر زدناها سعيرا وانما اوقع الفعل عليهم مبالغة ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا
ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا يشير الى الحكمة في قيامهم بالنار واعادتهم على
الدوام لانكارهم الاعادة بعد الفناء فجزاهم الله بالذي كانوا يكذبون به اولم يروا ان الله
الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم الاستفهام للانكار داخل على النفي فيفيد الاثبات
اي قد علموا يقينا ان من قدر على خلق السموات والارض قادر على اعادتهم في لفظ المثل اشارة
الى ان الاعادة مثل البدء كما بداكم تعودون وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف على اولم يروا لان
العطف على الصلة يمنعه الفصل بالخبر وعلى ما بعد ان المصدرية لا يحسن معنى والاجل يوم القيمة
بدليل قولهم ائذا كنا عظاما وقيل هو الموت والمعنى انهم قابلون بالموت لا محالة ولم يخلقوا عبثا
فلا بد من الجزاء وذا لا يمكن الا بالاعادة فقيم الانكار فابى الظالمون الا كفورا جحودا التي بالمظهر دلالة
على انهم ظالمون في الانكار بعد وضوح الحق قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية
الانفاق انتم فاعل فعل محذوف يفسره تملكون لان لو الشرطية لا تدخل الا على الفعل والمعنى ان هؤلاء
الذين طلبوا منك ان تفجر لهم من الارض ينبوعا ارادوا به توسعة الرزق عليهم فهم من الشح بحيث
لو ملكوا خزاين رزق الله التي لا تمسها يد الفناء لبخلوا بها من خوف الفقر لعلمهم بعدم نفادها شعر
ولو ان دارا بنيت لك ارضها ابرا يضيق بها فناء المنزل واتاك يوسف يستعيرك ابرة ليخيط
قد قميصه لم تفعل قيل لما برز الكلام في صورة المبتدا والخبر افاد الاختصاص وان الناس هم
المختصون بالشح المتبالغ قلت وهذا اذا اقتضاه المقام اذ لا معنى للاختصاص في قوله وان احد من
المشركين استجارك وكان الانسان قتورا شديد البخل من قتر على عياله اذا ضيق عليهم اصله الوقاية
قال الحاتم واضياء سرج قائم ولجامه ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات متصل بقولهم
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا اشارة الى ان موسى قد اتى باعظم مما سالتم ولم يؤمن به فرعون وقومه
كما قال وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون والايات التسع هي العصا واليد
البيضاء والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الجبل
فان قلت نتق الجبل وانفجار الماء من الحجر ليسا من الايات المذهوب بها الى فرعون قلنا اراد بيان
ما اوتي موسى من المعجزات لا ما تحدى به فرعون الا يرى ان فلق البحر لم يكن في معرض التحدي بل
بعد ما حق عليه القول ويدل على ذلك قوله بعد هذا ما انزل هؤلاء لكون الاشارة الى بعضها بالضرورة
لان الكل لم تكن موجودة الا على التدريج والتعاقب وما روى صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال
رسول الله عن الايات التسع التي اوتي موسى فقال هي الاشراك بالله وقتل النفس التي
حرم الله الا بالحق والزنا والسحر والسرقة واكل الربوا والمشي بريء الى ذي سلطان ليقتله وقذف
المحصنات والفرار من الزحف وعلى اليهود خاصة السبت فلا يناسب تفسير الاية بها لنبو المقام عنها
فسال بني اسرائيل اذ جاءهم اي قلنا لموسى اسال بني اسرائيل من فرعون وقت مجيئه لقوله انا رسولا

اذ لا ضرورة الى ابقاء الفعل على الاصل منه

ربك فارسل معنا بني اسرئيل وقيل الخطاب لرسول الله وقوله فقال له فرعون اعتراض من باب
زيد فاعلم فقيه والمعنى اسال يا محمد عما جرى بينه وبين فرعون اهل الكتاب اما لان تظاهر الادلة
يقوي اليقين واما للدلالة على انه امر محقق عندهم وليس القصد منه السؤال حقيقة بل كونهم
من اهل علمه بحيث يؤمن مثلك بالسؤال منهم او متعلق باذكر على الاستيناف او بيخبروك على جواب
الامر ولا يجوز تعلقه بآتينا لانه لم يؤت التسع وقت مجيئه وضميرهم لآبائهم فقال له فرعون اني لاظنك
يا موسى مسحورا تخبط عقلك تتكلم بما لا يعقل والظن اما بمعنى العلم بقرينة انه بصدد تكذيبه
او على طريقة كلام الملوك فان ظنهم لا يكذب كما ان لعل وعسى منهم عندهم لازم الوقوع قال
لقد علمت ما انزل هؤلاء اي الآيات التي اراها اياه وقرا الكسائي وابو بكر بضم التاء على الاخبار
عن نفسه تكذيبا لظن فرعون والاحسن الخطاب لان علم الخصم بصحة الدعوى ابلغ في الالزام مثله وقد
تعلمون اني رسول الله اليكم الا رب السموات والارض بصائر يبصرك الحق وصدق نصب على الحال
واني لاظنك يا فرعون مثبورا ذا ثبور اي هالكا او مصروفا عن الحق من ثبره حبسه وفي حديث الى موسى
اتدري ما ثبر الناس عن طاعة الله وشتان بين الظنين فان ظن موسى مستند الى امارة كادت
تلحق باليقين وظن فرعون كذب محض وتسمية للزنجي بكافور فاراد ان يستفزهم من الارض اراد ان عاج
موسى وبني اسرئيل من ارض مصر فاغرقناه ومن معه جميعا اراد شيئا واردنا غيره فكان ما اردنا فاغرقنا
في الماء الذي كان يفتخر به ولما كان عاليا يقصد الصعود الى السماء جعلناه سافلا تحت الماء
وقلنا من بعده بعد غرقه لبني اسرئيل اسكنوا الارض التي كان فرعون يريد اخراجكم منها فاذا جاء وعد
الآخرة وعد الدار الآخرة والحيوة الآخرة جئنا بكم لفيفا من ههنا وههنا واللفيف الجماعات من قبائل
شتى واصل اللف الخلط ومنه حديث ام زرع واذا اكل لف اي خلط من انواع المآكل وبالحق انزلناه
وبالحق نزل اي ما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وبالحق نزل وملتبسا بالحق والحكمة نزل
وانزاله بالحق وان كان مستلزما لنزوله منه الا انه ذكره دفعا لتوهم تطرق التبديل اليه بعد
الانزال وقيل الوصول اليه وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا الا منصفا بهاتين الصفتين فلا
عليك بعدهما وقرانا انيناك دل عليه ولقد آتينا موسى تسع آيات فرقناه بيناه وشرحناه
في محل النصب على الوصف ويجوز ان يكون مفعول الناصب قرانا اي فرقنا قرانا فرقناه لتقراه على الناس
على مكث متمهلا ذا تؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا بحسب الحوادث شيئا فشيئا قل آمنوا به او لا
تؤمنوا ليس معناه الامر والنهي معا بل الاعراض عنهم والازدراء بهم وعدم المبالاة ان الذين
اوتوا العلم من قبله من قبل القرآن وهم علماء اهل الكتاب تعليل لآمنوا ولا تؤمنوا كانه قال لهم
ان لم تؤمنوا فان من هو خير منكم آمن به وهم علماء اهل الكتاب فان قلت السورة مكية ولم يكن
بمكة من آمن بالقرآن من اهل الكتاب وانما آمن به عبد الله بن سلام واضرابه بالمدينة بعد
الهجرة قلت هو اخبار بما سيقع يدل عليه قوله اذا يتلى عليهم او اراد من تنصر من مشركي العرب
كورقة بن نوفل يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم ساجدين شكرا لله على بعثه
الموعود المنعوت في كتبهم ويقولون قايلين الواو من الحكاية لا المحكي سبحان ربنا عن
خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا ان الشان كل وعد منه واقع لا محالة ويخرون للاذقان
يبكون باكين اعاده لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر وقت الانجاز والثاني
لما اثر فيهم مواعظ القرآن حال البكاء فان قلت السجدة انما يكون بالجبهة والانف
فما وجه ذكر الذقن دونهما قلنا اراد وصفهم بتمكين الجبهة والتحامل عليها خشوعا حتى

انه يلصق الذقن بالارض ايضا او اراد انهم يسقطون على الذقن مغشيا عليهم سرورا وخشية
او تعفيرا الذقن كناية عن غاية الخشوع وما قيل لان اول ما يلقى الارض من الساجد ذقنه
خلاف الواقع وايثار اللام واظهار حرف الاستعلاء للدلالة على شدة الاتصال والالصاق
ويزيدهم سماع القرآن خشوعا لله تعالى لزيادة ايمانهم المقتضي لذلك قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن نزلت لما قرا على المشركين اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لا نعرف الا رحمن
اليمامة وقيل لما سمع ابو جهل رسول الله يقول يا الله ويا رحمن وقال ان محمدا
ينهانا ان نعبد آلهين وهو يدعو الها آخر لان الدعاء بمعنى التسمية اذ لو كان بمعنى النداء
يلزم الاشراك ان تغاير مدلولا الاسمين وعطف الشيء على نفسه ان اتحدا والمفعول الاول
محذوف اي سموه بهذا او بذلك وقيل لما قالت اليهود لرسول الله ان الله قد اكثر
في التورية ذكر الرحمن وما نريك تكثر منه او الغرض التسوية بين الاسمين في الحسن والافضاء
الى المقصود ايا ما تدعو فله الاسماء الحسنى اي اي الاسمين ذكرته فهو من احسن الاسماء
عدل عنه الى المنزل سلوكا لطريق البرهان لان اسماءه تعالى اذا حسنت كلها اندرج
فيها هذان الاسمان ضرورة واو للتخيير والتنوين عوض عن المضاف اليه وما يؤكد
ابهام وضمير له للمسمى وحسن اسمائه تعالى لدلالتها على الجلال والاكرام ولا تجهر
بصلوتك بقراءتك في الصلوة لان الجهر لا يوصف به سائر اركانها عن ابن عباس كان رسول
الله وهو مختف بمكة اذا قرا في الصلوة رفع صوته فسمع المشركون سبوا القرآن ومن انزله
ومن جاء به فقال الله له لا تجهر بقراءتك بحيث يسمع المشركون ولا تخافت بها بحيث
لا يسمع من خلفك واصل الخفت الضعف وفي الحديث نوم المؤمن سبات وصوته خفات
وابتغ بين ذلك سبيلا قراءة بين القراءتين دون الجهر وفوق المخافتة روى البخاري عن
عايشة انها نزلت في الدعاء روى ابن جرير عن ابن سيرين مر رسول الله على ابي بكر
وهو يقرا خفيا ومر على عمر وهو يقرا جهارا وكان جهوري الصوت فقال لابي
بكر لم يقرا هكذا فقال لقد اسمعت من اناجي وقال لعمر لم تقرا جهارا
قال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا
وقيل وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا وجهارا بالليل وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ناصر يمنعه
من الذل او لم يوال احدا ليدفع به الذلة عن نفسه وانما محبته لمن احب محض لطف وعناية
فانه الغني المطلق وانما بنى الحمد على نفي الاوصاف الثلثة لكونه كناية عن الوصف بكمال
الجود لان الولد مبخلة والشريك مانع من التصرف والاحتياج الى من يعتزبه ويذب عنه
مع كونه منافيا للالوهية باعث على الامساك والادخار كما هو شان الملوك مع الجنود
والاعوان ولان المانع من العطا اما من دونه وهو الولد ومثله وهو الشريك او فوقه
وهو الولي فنفى الكل على طريقة الترقي فانحصر الجود فيه تعالى كبرياؤه وعظمت
نعماؤه فلذلك قال وكبره تكبيرا عن كل نقيصة فوافق الخاتمة الفاتحة تقديسا
وتنزيها وصلى الله على مبلغ كلامه ومبين احكامه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على
عبده الكتاب لما كان القرآن مشتملا على الارشاد الى اقامة الدين التوجه الكلي الى

جناب قدسه والاذعان القلبي والاعتراف باللسان وكلا القسمين من اجل نعمائه رتب
انحصار الحمد على انزاله ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج واصله الميل قال ابن السكيت ما كان
ينتصب كالحايط والعود قيل عوج بالفتح وما كان في الارض وفي دين او معاش يقال فيه عوج
بكسر العين والمراد نفي الاختلال عنه من جهة اللفظ والمعنى قيما مستقيما لا زيغ فيه من الحق
الوجه لقوله تبيانا لكل شيء ولان الاستقا علمت سا
الى الباطل او قايما بامور الدين كافلا به من قام بالامر ومنه قيم اليتيم وهو منصوب بفعل
مضمر اي جعله قيما او حال على ان ولم يجعل ايضا حال اخرى كانه قال منتفيا عنه العوج مستقيما
ويجوز ان يكون ولم يجعل له عوجا عطفا تفسيريا من تمام الصلة كقوله وصد عن سبيل الله
وكفر به والمسجد الحرام على الاوجه هنالك لان المراد منه الكتاب الكامل فيكون حالا من الكتاب
لعدم الفاصل بالاجنبي وعن حمله على التقديم والتاخير فقد عدل عن الظاهر من غير نكتة
لينذر باسا شديدا اي الذين كفروا عذابا شديدا حذف المفعول الاول لان الغرض هو انذار
الباس ليرتدع المومن والكافر بدليل اعادة الانذار بعد التبشير مذكورا معه المنذر
من لدنه من عنده في محل النصب حال او صفة تهويل للعذاب وقرا ابو بكر بسكون الدال
مع الاشمام وكسر النون لان لدن كعضد يجوز في مثله اسكان الوسط تخفيفا واشير بالاشمام
الى ان اصله الضم وكسر النون لالتقاء الساكنين والمختار هو الضم لانه الاصل والشايع
ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هي الجنة عبر عنها بالاجر اعدادا
بالاعمال كرما منه ماكثين فيه ابدا من غير انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم
بالذكر واعاد الانذار اشارة الى عظم كفرهم وانما لم يذكر المنذر به اكتفاء بما تقدم
ما لهم به من علم بالولد او باتخاذه ولا لابائهم الذين قلدوهم فيه لان المراد نفي العلم
بنفي المعلوم لكونه مستحيلا لا يصح تعلق العلم به لا انه ممكن والجهل في الطريق كبرت كلمة
عظمت تلك المقالة نصب على التمييز تخرج من افواههم صفة لها معنى التعجب كانه
قيل ما اكبرها كلمة لان ما يكون فيه شين يتعاظم الانسان ان يتفوه به اذا وسوس اليه
الشيطان فكيف بتشبيه من ليس كمثله شيء بالحيوانات في التوالد المحتاج الى الازدواج
وفي تخرج من افواههم اشارة الى انها مجرد صوت وحروف ان يقولون الا كذبا تصريح
بما علم ضمنا واشارة الى ان عدم العلم لا يخرج الكلام والمتكلم عن الكذب اذا كان غير
مطابق للواقع فلعلك باخع نفسك قاتلها من البخاع وهو عرق في صلب الحيوان متصل بعنقه
فاذا وصل الذبح اليه كان غاية على آثارهم شبه توليهم عن الايمان بارتحال احبة الانسان
عن منازلهم فهو يتلهف عليهم ويقتل نفسه وجدا ان لم يومنوا بهذا الحديث اي القرآن
اسفا مصدر في موضع الحال من فاعل باخع او مفعول له وهو اشد الحزن انا جعلنا ما على
الارض زينة لها من زخارفها ازالة لما كان يتعاظمه من بسط الدنيا عليهم مع ذلك الكفر
المبالغ كما تعاظم موسى في قوله ربنا انك اتيت فرعون وملاءه زينة واموالا لنبلوهم
ايهم احسن عملا نعاملهم معاملة المختبر ليتميز الزاهد فيها من المغتر بها لا ايثارا لهم
ثم زهد فيها بقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا نجعله كالارض البيضاء سمجا قبيحا
باماتة الحيوان وتجفيف النبات فيتبدل الزين شينا او نجعله حطاما مساويا للارض
والجرز الارض التي لا نبات فيها وقيل ما كان فيها نبات ثم قطع فلا يقال للسباخ جرز ام حسبت
ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ذكر ما يشتمل على امهات العجائب في صدر السورة

يريد ان نفي العلم اما لان متعلقه محال لا يمكن تعلقه به او للجهل في الطريق والاول هو المراد بنفي المقام

من تزيين الارض بما خلق فوقها من الانواع والاجناس الغايته الحصر ثم اعدامها كان
لم تغن بالامس تمهيدا لذكر قصة اصحاب الكهف التي كانت من اعاجيب الدهر عندهم
وام للاضراب الدال على ان ذلك اعظم من ابقاء اشخاص احياء مدة متطاولة فان قلت
الاضراب انما يحسن اذا كان الثاني اغرب واعجب وما ذكرته على عكس ذلك قلت تعجبهم
من هذا دون ذلك هو المنكر الاغرب فالاضراب ماش على ذلك السنن والخطاب له والمقصود
السايل المتعجب اذ هو صلى الله عليه وسلم يعلم من قدرته ما لا يتعاظمه والرقيم قيل
لوح على باب الكهف مكتوب عليهم اسماؤهم وقيل الوادي الذي فيه الكهف وقيل اسم
قريتهم وقيل اسم مكانهم وهو مكان بقرب فلسطين وقيل اسم كلبهم قال امية
بن الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف هجد وقيل
اصحاب الرقيم غير اصحاب الكهف وعجبا وصف بالمصدر اي كانوا آية عجبا من آياتنا
او ذات عجب وسبب النزول ان قريشا ارسلوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
الى يهود المدينة يتعرفون منهم نعت رسول الله هل هو ذلك المنعوت في التورية
ام لا فقالت اليهود سلوه عن ثلثة اشياء عن رجل ملك مشارق الارض ومغاربها وسلوه
عن الروح وسلوه عن طايفة فارقوا قومهم وفروا بدينهم ووصفوا لهم اصحاب الكهف
وقالوا ان اخبركم عن الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي اذ اوى الفتية الى الكهف
شبان من اشراف الروم وكان ملكهم دقيانوس ارادهم على الكفر فهربوا منه فقالوا
ربنا آتنا من لدنك رحمة من خزاين رحمتك بلا واسطة وهي شاملة للامن والرزق
والمغفرة وهيئ لنا من امرنا شاننا الذي نحن بصدده رشدا اصابة الطريق المودي اليه
او واجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت اسدا واصل التهيئة احداث هياة الشيء فضربنا
على آذانهم انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم الاصوات كما ترى من القي عليه نومة ثقيلة
يصاح به فلا يسمع ضرب الحجاب كناية عن سد طريق الصوت واستحكامه فالمفعول الاول
محذوف كما في بنى على امراته اي القبة في الكهف سنين عددا معدودة اي كثيرة فان
القليل يعرف بدون العد وقليله فان الكثير عند الله قليل ان يوما عند ربك كالف
سنة او بالنظر الى مدة اقامتهم احياء الى آخر الدهر ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم
اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي ليتعلق علمنا تعلقا حاليا كما كان متعلقا به تعلقا
استقباليا او مجاز عن لازمه وهو التمييز واي لتضمنه معنى الاستفهام علق عنه العلم
فهو مبتداء واحصى فعل ماض خبره وما في لما لبثوا مصدرية وامدا مفعول احصى والمعنى
ايهم ضبط امد اوقات لبثهم فانهم لما استيقظوا اختلفوا في ذلك اختلاف الحزبين
من غيرهم وقيل احصى افعل التفضيل وفيه ان افعل التفضيل وان كان قياسا
من المزيد عند سيبويه الا انه لا يعمل النصب وتقدير فعله ناصبا تطويل بلا طايل ونصب
امدا بلبثوا لا يساعد عليه المعنى لان الاحصاء والضبط انما هو لمدة اللبث لا للبث
في الامد ولان تساءلهم في وقت الانتباه انما كان عن العارف لا عن الاعرف لقولهم
ربكم اعلم بما لبثتم نحن نقص عليك نباهم بالحق حديثهم ملتبسا بما هو ثابت في الواقع
ايماء الى ان ما ينقله اهل الكتاب من قصتهم لم يسلم عن اختلال بزيادة او نقصان
انهم فتية آمنوا بربهم قيل كانوا شبانا متقاربي الاسنان من قبيلة واحدة وزدناهم

فاعله العاصي

هدي على الفطرة التي يولد عليها كل مولود وربطنا على قلوبهم اذ قاموا بين يدي ملكهم
والربط تمثيل لافراغ الصبر في قلوبهم وتثبيت جاشهم فقالوا ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا بعيدا عن الحق غاية في الظلم من شط الدار اذا
بعد وفي الحديث اعوذ بك من الفتنة في السفر والشطة هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه
آلهة قالوه منكرين لولا يأتون عليهم بسلطان بين ببرهان واضح دال على استحقاقهم
الالوهية فان العقايد لا يجوز التقليد فيها وما لا دليل عليه مردود فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا لا اظلم ممن قال ان له شريكا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله ما
موصولة اي ومعبوديهم او مصدرية اي وعبادتهم او نافية اخبار من الله تعالى كلام
معترض ثناء على الفتية بانهم صادقون في الاعتزال فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم
من رحمته جزموا بذلك الهاما من الله تعالى او علموا ذلك من مشاهدة توالي الرزق
على ساير الحيوانات او كان فيهم نبي او اخبرهم نبي موجود في زمانهم ويهيئ لكم
من امركم مرفقا ما ترفقون به اي تنتفعون من الرفق وهو لين الجانب ضد العنف اسم
آلة كالمفتح والمبرد وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء وهما لغتان وفتح الميم افصح
لانها لغة الحجاز وترى الشمس ان حضرت مكانهم الخطاب له او لكل احد اذا طلعت
تزاور عن كهفهم تميل من الزور وهو الميل ومنه الزور للكذب لانه ميل عن الصدق واصله
تتزاور فادغمت التاء في الزاء وقرأ الكوفيون بتخفيف الزاء مضارع تزاور على وزن
تباعد حذفت احدى التاءين وابن عامر تزور كتحمر والاول ابلغ ذات اليمين الجهة المسماة
باليمين ولفظ الذات مقحم واذا غربت تقرضهم تتركهم ذات الشمال قيل كان باب الغار مستقبل
بنات النعش فتميل عنهم الشمس عند طلوعها وتتركهم عند غروبها فلا يصل اليهم حرها
وهم في فجوة منه في مكان يصل اليهم روح الهواء او هم في فجوة من الغار اي مكان
متسع معرض للشمس لولا ان الله يحجبها عنهم يؤيده قوله ذلك من آيات الله اي كونهم
معرضا للشمس ولا تصيبهم وتصيب كل ما كان في ذلك السمت آية من آيات الله على اختصاصهم
بتلك الكرامة وعلى الاول شانهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله بالتوفيق
والارشاد فهو المهتد الذي سلك طريق الصواب واصاب الفلاح ثناء عليهم بانهم
جاهدوا في الله وصدعوا بالحق او ثناء على الله تعالى بانه الهادي والولي المرشد لقوله
وزدناهم هدى والاول اوجه لان الكلام لبيان حالهم وانهم اهل للولاية ومن
يضلل فلن تجد له وليا مرشدا يدله على طريق الصواب وتحسبهم ايقاظا خطاب
لكل احد جمع يقظ وهم رقود والحال انهم نيام ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال
لئلا تأكل الارض اجسادهم قيل في كل سنة تقلبتان وقيل تقلبة واحدة ليلة العاشوراء
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بفناء الغار وقيل العتبة وقيل الباب وانما نصب باسط
ذراعيه لانه حكاية حال ماضية قيل مروا بكلب فتبعهم فطردوه فقال لم تطردوني
انا احب احباء الله ناموا انتم وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم يؤيده
قراءة جعفر الصادق وكالبهم لو اطلعت عليهم لو نظرت اليهم لوليت منهم فرارا ادبرت من خوفهم
فرارا مصدر في موقع الحال او مصدرا اذ التولية فيها معنى الفرار او مفعول له ولملئت منهم
رعبا وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول شعرهم واظفارهم وعظم اجسادهم

والرعب

الهيدب السحاب الرقيق الذي يشبه ا
والايم بالخفيف الحية شبه بها الارض ا
ودقه المحدث اي على ارض محدثة مثل ا

والرعب خوف يملأ الصدر من رعبت الحوض ملأته قال شعر بذي هيدب ايما الربى تحت ودقه
وايما ماء كل واد فرعب وقرأ نافع وابن كثير ملّئت بتشديد اللام وهو ابلغ معنى والتخفيف
اشهر روي ان معاوية غزا الروم فمر على الكهف فقال لو علمنا خبر هؤلاء فقال ابن
عباس قد منع الله عن ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا
فقال لا انتهي حتى اعلم حالهم فبعث جماعة فلما دخلوا الغار هبت عليهم ريح فاحرقتهم و
كذلك بعثناهم اي كما انمناهم تلك النومة التي تشبه الموت كذلك بعثناهم تلك البعثة
التي تشبه احياء الموتى او كما انمناهم احياء كذلك بعثناهم من غير نقص في تلك المدة
المتطاولة ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم حتى اذا وقفوا عليها ازدادوا
يقينا وشكرا على تلك الكرامة التي خصوا بها قال قائل منهم كم لبثتم مذ نمتم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم كما هو المتعارف لان اقصى ما ينام الانسان يوما كاملا وعن الحسن
دخلوا الكهف غدوة واستيقظوا وقت الظهيرة فظنوا انه ذلك اليوم او اليوم الذي
بعده ومعنى الكلام على الظن فلا كذب فلما نظروا طول اظفارهم وشعرهم قالوا ربكم اعلم
بما لبثتم ولما رأوا الامر ملتبسا اخذوا فيما يهمهم قائلين فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة
الورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة قرأ ابو عمرو وابو بكر وحمزة باسكان الراء
وهما لغتان كفخذ وفخذ الكسر اصل والاسكان اخف والمدينة قيل طرسوس وفي حملهم
الورق دلالة على ان حمل الزاد لا ينافي التوكل قيل ان بعض اهل العلم كان شديد الحنين
الى زيارة بيت الله وكان معدما لا استطاعة له فتوعلم منه ذلك وكان كلما قصد فوج من
اغنياء بلده الحج اتوه وبذلوا له مؤنة الحج من الزاد والراحلة فيتعذر بمعاذير فاذا تولوا
عنه قال لمن حضره ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن
فلينظر ايها اي اهلها كقوله واسأل القرية ازكى طعاما احل وارخص فليأتكم برزق منه
وليتلطف وليتكلف اللطف فيما يباشره من الشراء لئلا يغبن فان طلب الربح كما عرض رسول
الله قدحا على البيع فقال رجل عندي فيه درهم فابى فقال الآخر عندي فيه درهمان
فقال بعتك او ليتكلف اللطف في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا لا يفعل ما يكون
مؤديا الى الاشعار فسماه اشعارا لكونه سببا له انهم ان يظهروا عليكم يطلعوا
عليكم من ظهرت على فلان غلبته يرجموكم يقتلوكم شر قتلة قيل كان ذا بهم
ذلك او يعيدوكم في ملتهم يصيروكم اليها والاعادة بمعنى التصيير شايعة وقيل كانوا
على دينهم اولا ولن تفلحوا اذا ابدا لان الارتداد شر انواع الكفر وكذلك اعثرنا عليهم
اي وكما انمناهم وبعثناهم اطلعنا عليهم غيرهم من العثور وهو الاطلاع ليعلموا ان وعد الله
حق اي المعثرون وان الساعة لا ريب فيها في وقوعها من عطف الخاص على العام توكيدا
لوقوعها لان حال الفتية في نومهم وبعثهم دليل ظاهر على جواز الموت والبعث لما دخل المبعوث
للطعام المدينة واخرج الدراهم فوجد البياع عليها اسم دقيانوس اتهمه بانه قد وجد
كنزا فرفعه الى الملك وكان مؤمنا بعيسى عليه السلام فقال له الملك فقال من اين لك
هذه الدراهم قال خرجت بها امس من هذه المدينة فقال الملك اظن بك جنونا فقال
بعض الشيوخ الحاضرين انا قد سمعنا ان فتية في زمن دقيانوس هربوا بدينهم منه لعلهم
هؤلاء فركب الملك اليهم فوجدهم في الكهف فسألهم عن حالهم فقصوا عليه القصة

ثم قالوا للملك نعيذك من شرّ الجنّ والانس فعادوا الى مضاجعهم فاماتهم الله تعالى فاتخذ
الملك لكلّ واحد تابوتا من ذهب ثم رأسهم في المنام انهم يكرهون التابوت من الذهب
فابدلهم تابوتا من خشب وقيل لما قربوا المكان الذي هم فيه قال المبعوث للملك مكانك
حتى اخبرهم بمجيئك فلما دخل عليهم القى الله النوم عليهم وعمي الكهف على الملك واصحابه
وهذا هو الصواب لقوله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ولقوله ونقلبهم ذات اليمين وذات
الشمال اذ يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم متعلق باعثرنا او بيعلموا وكان بعضهم يقول
انما تبعث الارواح وبعضهم يقول يبعثان معا او امر الفتية فقال بعضهم ناموا نومهم
اوّل مرّة وقال آخرون بل ماتوا وقال طايفة بني عليهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس كما بني
على قبر رسول الله الحجرة الشريفة فقالوا ابنوا عليهم بنيانا وقوله ربهم اعلم بهم
من كلام المتنازعين فانهم لما تذاكروا حديثهم ولم يهتدوا الى حقيقة الحال احالوا
العلم الى الله تعالى او هو كلام الله تعالى ردّ لكلام المتنازعين وقال الذين
غلبوا على امرهم كانوا اولى بهم وهم الملك وحاشيته لنتخذن عليهم مسجدا يصلي الناس
فيه تبركا بمكانهم سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم اخبار بما سيقع بين اهل الكتاب
والمؤمنين في عدتهم روي ان السيد والعاقب كانا عند رسول الله وهما من نصارى نجران
فتذاكروا اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال
العاقب وكان نسطوريا كانوا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب استعارة
جعل الكلام الغايب عن القايل علمه بمنزلة الرجام المرمي به بجامع قلة الاصابة فان
الرجام قلما يصيب المرمى على السداد واما ايثار الرمي في قوله والذين يرمون المحصنات
لاعتبار التأثير في العرض تأثير السهم في الرمية او الرجم بمعنى الظن لشيوع استعماله فيه
قال زهير وما هو عنها بالحديث المرجم ولم يذكر السين اكتفاء بذكره في الاول
فان المعطوف في حكمه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم سبعة خبر مبتدا محذوف اي هم سبعة
وثامنهم كلبهم صفته الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في قولهم جاءني رجل ومعه
آخر ومررت بزيد وفي يده سيف وذلك لان الصفة والحال متقاربان لان الاولى ان صفة
النكرة اذا تقدمت صارت حالا وجدوى هذه المبالغة والتأكيد ان هذه العدة هي
الصواب ولذلك اتبعه بقوله قل ربي اعلم بعدتهم وما يعلمهم الا قليل قال ابن عباس
رضي الله عنه هذه الواو لما جاءت لم يبق بعدها عدة عاد وانا من ذلك القليل وقال
علي هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان
عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة والسابع الراعي الذي
تبعهم فلا تمار فيهم في الفتية اهل الكتاب الا مراء ظاهرا الا مجادلة بالتي هي احسن بان نقص عليهم
ما اوحي اليك ولا تستفت فيهم منهم احدا لان السؤال اما للاسترشاد وقد كفيت عنه واما
للتعنت وليس ذلك من دابك فانك بعثت لمحاسن الاخلاق مبشرا وميسرا ولا تقولن لشيء اني
فاعل ذلك غدا لم يرد الغد المتعارف بل الزمان المستقبل كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر
الا ان يشاء الله متعلق بالنهي اي لا تقل اذا عزمت على فعل في الزمان المستقبل اني فاعله
الا مقرونا بقولك ان شاء الله او لا تقل لشيء فعله غدا الا ان يأذن الله لك فاذا لم يأذن
لك لا تقل وعلى هذا المراد بالشيء ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بافعال الجبلة وكذا ما قيل

ان قوله ان شاء الله كلمة تأبيد كانه قيل لا تقولنه ابدا ولا يجوز تعلقه بانى فاعل لان استثناء
اقتران المشية بالفعل فاسد واستثناء اعتراض المشية دون الفعل وان صح الا انه لا يتوجه اليه
النهي وهذا تأديب له من الله تعالى فانه لما ساله المشركون عن الروح وعن اصحاب الكهف و
عن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فعاتبه الله على ذلك بان اخر عنه
الوحي اياما وكذبته قريش واذكر ربك اذا نسيت تدارك ما فرط منك بان تقول ان شاء الله
اذا تذكرت انك نسيت ولا دلالة فيه على ما نقل عن ابن عباس من جواز الاستثناء بعد سنة
لان الكلام في التدارك فيما يرجع الى التفويض لا اخراج الحكم عن الجزم روي ان المنصور
لما بلغه ان اباحنيفة خالف ابن عباس في ذلك دعاه وساله عن ذلك فقال يا امير المؤمنين
ضرر ذلك عايد اليك فانك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك ويقولوا استثنينا
فاستحسن منه ذلك او واذكر ربك بالاستغفار كانه جريمة توجب الاستغفار لها او اذكر ربك
اذا نسيت شيئا فان ذكره يتسبب لتذكره وقد حمل على اداء الصلوة المنسية لقوله اقم الصلوة
لذكري وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي قل عند نسيان شيء لعل ربي ان
يهديني الى ما هو خير من هذا المنسي لقوله ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها وهذا اشارة
الى خبر اصحاب الكهف اي عسى ان يهديني ربي الى ما هو اعظم دلالة على صدقي في دعوى الرسالة
وقد وقع ذلك حيث اتاه الله من القصص والاخبار بالمغيبات الى آخر الدهر ما يضمحل نبأ
اصحاب الكهف عنده ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا بيان لما اجمل في قوله فضربنا
على آذانهم وفيه اشارة الى ان اهل الكتاب كما اختلفوا في عدة الاشخاص اختلفوا في مدة لبثهم الاسباه
ايضا وانما اخر البيان ليكون معجزة استقلالا وقرا حمزة والكسائي باضافة مائة اشارة
الى الاصل والاصل في تمييز مائة الجمع كثلثة واربعة او ثر المفرد للتخفيف ومن لم يضف جعل سنين
بدلا قل الله اعلم بما لبثوا وقد اخبرك به هذا للتذييل كالتذييل بقوله قل ربي اعلم بعدتهم له
غيب السموات والارض علم ما غاب عنكم فيهما وامر اصحاب الكهف نزر من ذلك ابصر به واسمع
فعلا تعجب اريد تعجيب المخاطبين اي ما ابصره واسمعه فانه لا يخفى عليه شيء مما يدرك بهما والهاء
يعود الى الله تعالى ومحله الرفع على الفاعلية عند سيبويه والباء مزيدة اصله ابصر نقل الى
صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم قابلية الصيغة له والنصب على المفعولية عند
الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كان الهمزة للتعدية ومعدية
ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى امورهم
ايجادا وكلاءة ولا يشرك في حكمه احدا من خلقه قرا ابن عامر ولا تشرك بالخطاب التفاتا
على صيغة النهي والنفي ابلغ واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك فان تلاوته اقرب الوسايل
اليه واشرف العبادات لديه وفيه بيان كل مشكل وهو اشرف معجزاتك فالواجب عليك القيام بحقه
لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديله لكونه معجزا بخلاف ساير الكتب ولذلك وقع فيها التحريف
ولن تجد من دونه من دون الله ملتحدا ملجأ تميل اليه ان هممت بالتبديل فانهم كانوا يدعونك
اليه وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي وهذا ايضا مما كانوا يدعونك الى خلافه قالوا ان اردت مجالستنا فاخرج
هؤلاء العبيد والصعاليك من عندك يريدون بلالا وعمارا وصهيبا واضرابهم والغداة والعشي
كناية عن جميع الاوقات وقيل صلوة الفجر والعصر او اريد الدعاء في هذين الوقتين فانهما اشرف

الاول ذكره الكشاف وهو مخالف لظاهر الآية فان قوله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم منه

نسطور كان حكيما في زمن مأمون الخليفة فالمعنى ان هذا كان راي عاقب متبعه نسطور منه

الى وقت

اولى

وقد كان حاجب وانى عمه
بوضده والزبد زبد المعارك

الأوقات وقرأ ابن عامر بالغدوة والوجه انه علم لما قبل الضحى فدخل فيه اللام كما فى قوله والزيد
زيد المعارك وعليه الرسم والمختار قراءة الجمهور لعدم التأويل لكونه اسم جنس دخل عليه السلام
والرسم لبيان الاصل كالزكوة والصلوة يريدون وجهه مخلصين له العبادة ولا تعد عيناك عنهم
متعد بنفسه عدي بعن لتضمينه معنى النبو والمعنى لا تقتحمهم عيناك مجاوزان الى غيرهم وفى اقحام العين
واسناد الفعل اليه مضمنا معنى فعل آخر ليكون مؤديا بمجموع الفعلين مبالغة لا تخفى تريد زينة الحيوة
الدنيا حال من الكاف كما فى قوله واتبع ملة ابرهيم حنيفا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا جعلنا
قلبه غافلا عنه من اذا صيرته غافلا وجعله من اغفلت الرجل وجدته غافلا لا اصل له ومن اغفلت الدابة
اذا تركتها من غير سمة نزده كلمة عن واتبع هواه ما سولته نفسه وكان امره فرطا متجاوز الحد اسم من افراط
اذا تجاوز الحد فى حديث على الجاهل اما مفرط او مفرط وقل الحق خبر مبتدأ محذوف اى ما تلونه عليكم
من ربكم حال مؤكدة او خبر بعد خبر والحق مبتدأ ومن ربكم خبره والاول اوجه لقوله فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر لانه لما امر بتلاوة كتابه والصبر مع الذين يتلونه حق تلاوته مريدين وجهه ونهاه عن
الالتفات الى زخارف الدنيا فكانه قال هذا الذي اوحي الي هو الحق من ربكم فمن شاء فليدخل فى
زمرة الفايزين بهذه السعادة ومن شاء فليكن فى ربقة الهالكين منهمكا فى الضلالة وانما ابرز الكلام فى
صورة التخيير ازاحة للعلل انا اعتدنا للظالمين الكاملين فى الظلم نارا احاط بهم سرادقها ما يحيط بالخيم
والبيوت معرب سرايرده قيل هو دخان يحيط بهم قبل دخول النار وقيل حايط من النار وقيل لطيف
بهم لا يمكنهم من الخروج وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل هو النحاس المذاب وعن ابي
عمرو هو دردي الزيت وعنه ايضا القيح والصديد يشوي الوجوه اذا قدم للشرب من فرط حرارته
اعاذنا الله منه بئس الشراب المشاء ذم بعد الاخبار عن الاوصاف مبالغة فى الانذار والوعيد وساءت
مرتفقا النار والمرتفق ما يتكأ عليه شبه الوسادة يسمى مرفقه ولا ارتفاق لاهل النار فهو على
المشاكلة لقوله حسنت مرتفقا وقيل الارتفاق الاتكاء على المرفق وهى هيأة المتحزن المتحسر ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ان الثانيه بما فى حيزها خبر ان الاولى واستغنت
الجملة عن العايد لان من احسن عملا نعم الذين آمنوا وعملوا الصالحات او الجزاء اولئك لهم جنات عدن
تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول اما استيناف لبيان الاجر وخبر آخر يحلون فيها
من اساور من ذهب من الاولى للابتداء ومزيدة لقوله وحلوا اساور والثانية بيان والاساور جمع اسورة
جمع سوار وتنكيرها لعظم حسنها ويلبسون ثيابا خضرا الخضرة احسن الالوان ولذلك استعاره ما
للدنيا فى قوله ان هذه الدنيا حلوة خضرة من سندس واستبرق الاشرف والادنى فان الاستبرق
ما غلظ من الحرير معرب استبرك او السندس للظهارة والاستبرق البطانة لقوله بطاينها من استبرق
وهذا اليق متكئين فيها على الارائك جمع اريكة وهى السرير الذي عليه الحجلة وقيل كل ما يتكأ
عليه من وسادة او منصة وفى الحديث عسى رجل متكئ على اريكته يأتيه الحديث منى فيقول بيني
وبينكم كتاب الله الا انى اوتيت مثل القرآن او اكثر نعم الثواب المذكور وحسنت الارائك مرتفقا
واضرب لهم مثلا مثل للمفتخرين بزخارف الدنيا القائلين لك لا نجالسك حتى تطرد الصعاليك والعبيد
حالهم وحال هؤلاء الفقراء بحال رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب قيل كانا اخوين من بني
اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا قيل هما المذكوران فى قوله قال قائل
منهم اني كان لى قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فكان كلما انفق الكافر فى الدور
والبساتين والنساء وساير ما يتمتع به انفق المؤمن فى سبيل الله وابواب البر نظيره راجيا من الله

او عقلته

ذكر صاحب الكشاف الوجهين ويجا لمرجعه وجه الود
ان اغفلته واهلكته نسبه المعنى وجدته غافلا او
هالكا وان جار انخلته وجدته بخيلا لانه يحلو
مطرد وزد الثانى طاهر
منه

ذكره الجوهري فلا حاجة الى المشاكلة
منه

ثوابا

ثوابه وحففناهما بنخل جعلنا النخل محفوفتين بالنخل من حففته الشئ بالشئ اذا جعلته به يتعدى
الى مفعول والى الثانى بالباء فيجئ لازما وترى الملائكة حافين من حول العرش وجعلنا بينهما زرعا
جامعين بين الاقوات والفواكه مع حسن المنظر والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ما يؤكل منها وهو
الثمر ولم تظلم منه شيئا ولم تنقص افرد الضمير حملا على لفظ كلتا لكونه مفردا وفجرنا خلالهما نهرا
فانه ملاك الامر ومادة الحسن فى الكروم والبساتين وكان له ثمر سائر انواع الاموال من الذهب
والفضة قاله مجاهد وساير الاثاث قرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء وسكون
الميم تخفيف ثمر والباقون بضمتين والمختار قراءة عاصم المخففة وتناول الجنس الانواع فقال لصاحبه
وهو يحاوره يراجعه فى الكلام كما يفعله الاصحاب والرفقة قيل اخذ بيده يريه شيئا فشيئا مفتخرا
انا اكثر منك مالا واعز نفرا هم رهط الانسان وعشيرته يطلق على الرجال خاصة من الثلثة
الى العشرة وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون مع الاب دون الاناث فان قلت قد ذكرت انهما
كانا اخوين فلم آثر لفظ الصاحب على الاخ قلت لان المؤمن ليس اخا للكافر وان اتحد به
نسبا ودخل جنته افردها اشارة الى انه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المتقون لان الاضافة
تفيد الاختصاص وقيل اراد دخوله كل واحدة او لاتصالهما كانهما جنة واحدة والاول هو الوجه
وهو ظالم لنفسه لانه عرضها بالفانى وعرضها للعذاب الدايم قال ما اظن ان تبيد هذه تفنى ابدا لكمال
غفلته وعدم تأمله فى القرون الخالية والقصور الخاوية وما اظن الساعة قايمة ولئن رددت
الى ربي على سبيل الفرض والتقدير لاجدن خيرا منها منقلبا مرجعا قرأ نافع وابن كثير
وابن عامر بضمير المثنى عايدا الى جنتين قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك
من تراب يريد مادته واصله السابق ثم من نطفة ثم سواك رجلا معتدلا كامل القوى انما كفره
لكونه شك فى قيام الساعة والشاك فى قيام الساعة كافر من وجوه لكنا هو الله ربي ولا اشرك
بربي احدا اصله انا فنقلت حركة الهمزة الى النون ثم حذفت وادغم النون فى مثلها واثبت ابن
عامر الالف فى الوصل وحذفها الباقون قال الزجاج اثبات الالف جيد جبرا للكلمة
واشارة الى الاصل قلت المختار حذفه جريا على الاصل فى الضمير المنفصل نحو انا يوسف والوقف يبين
الرسم وهو ضمير الشان والجملة بعده خبره وهو مع خبره خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال
انت كافر لكنى مؤمن ولولا اذ دخلت جنتك وقت دخولك قلت ما شاء الله لامه على ترك هذه
الكلمة اي ما شاء الله كاين على ان ما موصولة او اي شئ شاء الله كان على انها شرطية لا قوة
الا بالله اعترافا بالعجز وان ما تيسر لك بارادة الله ومعونته من غير حول ولا قوة منك وفى الحديث
من رأي شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره شئ ان ترن انا اقل منك
مالا وولدا انا ضمير الفصل ويجوز ان يكون تأكيدا للمفعول فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك
فى الدنيا او فى الآخرة جواب الشرط ويرسل عليها حسبانا من السماء آفة سماوية مثل الصاعقة
والبرد والريح وعن يحيى بن يعمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا تجعلها
حسبانا او مصدر بمعنى الحساب والمراد التقدير بخرابها او جمع حسبانة وهى السهام او الوساد الصغار
والمراد ارسال اشياء يشبهها فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء لا نبات بها او يصبح ماؤها غورا غايرا
فى الارض مصدر ان وصف بهما مبالغة ويصبح اما فعل ناقص والمنصوب بعده خبر واما بمعنى
الدخول فى الصباح فان طروق العذاب بالليل اشد فلن تستطيع له طلبا للماء الغاير بجعل طلبه
غير مقدور لان طلب المحال كالمحال لا يصدر عن عاقل واحيط بثمره كناية عن الهلاك راسا من

قرأ الكوفيون وابن عامر بضم الكاف
والباقون بالاسكان

احاط به العدو واختلاف القرآء قد ذكر آنفا فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها كناية عن
غاية الاسف والندم فان النادم يفعل ذلك ولتضمنه معنى الندم عداه بعلى وهي خاوية
على عروشها ساقطة كرومها على ما كانت مفروشة عليه من الاخشاب لزيادة الحزن والكمد
اذا رآها كذلك واختصاص الكروم لانها اصل الجنة والنخيل الحافة بها كالتوشيح لها
ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ما في نفسه او جهارا ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله
احد ينصره حالة العذاب وانما آثر لفظ الفئة لان اكثر الانتصار بالشبان الاقوياء
في الشدائد وما كان منتصرا دفع لما يتوهم انه بذلك الندم صار تائبا فيدركه رأفة ربه
القادر على نصره فان قلت قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ظاهر في التوبة والايمان
وقد قال وكان حقا علينا نصر المؤمنين قلت ندمه انما كان اسفا على الدنيا
وانه لو لم اشرك لم يصب جنته ما اصابها ولئن كان مخلصا في توبته فانما لم تقبل لانها
كانت بعد ظهور الآية فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس وقرأ حمزة
والكسائي تذكيرا لفعل وهو المختار لوجود الفاصل هنالك الولاية لله الحق اي في
تلك الحالة التي حل فيها غضب الله لا نصرة ولا قدرة لاحد غيره وقرأ حمزة والكسائي
بكسر الواو عن الفرآء انها لغتان والمشهور ان الكسر معناه السلطنة والفتح هو المختار
لقوله وما كان منتصرا وقرأ ابو عمرو والكسائي بجر الحق صفة الله كقوله مولاهم الحق
وهو المختار لسلامته عن الفصل بين الصفة والموصوف وقيل هنالك اشارة الى الآخرة
ولا يخفى بعده هو خير ثوابا وخير عقبا قرأ عاصم وحمزة بسكون القاف وهما لغتان
بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اتبع المثل الاول لمن اغتر بالدنيا وزخارفها
بما هو اظهر فان ذلك كان على طريقة الحكاية دون المشاهدة وهذه امور مشاهدة
لهم على التوالي كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض خالط بعضه بعضا بسببه وتكاثف
وقيل نفع في النبات حتى روي ورف لدخول الماء في اجزائه وكان الظاهر على هذا فا
ختلط بنبات الارض وانما عكس مبالغة وصفا للشيء بوصف ما يجاوره فاصبح هشيما مهشوما
مكسورا محطما والهشم الكسر ومنه قيل لجد رسول الله هاشم واسمه عمرو قال
شاعرهم عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف تذروه الرياح
تفرقه شبه حال الدنيا في نضرتها وما يعقبها من الهلاك والفناء سريعا بحال النبات
يكون اخضر وارفا ثم يصير عن قريب حطاما يطيره الرياح وكان الله على كل شيء
مقتدرا كامل القدرة وذلك من آثار تلك القدرة المال والبنون زينة الحيوة الدنيا خصهما
بالذكر لانهما مناط الغرور وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا الاعمال الصالحة وصف للشيء بوصف اثره وما يترتب عليه لان الباقي
ثوابها قيل هي الصلوة الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله
وهو الوجه وخير املا لعدم خيبة الامل بخلاف امل الدنيا فانه تارات ويوم نسير الجبال
تهويل ليوم القيامة بعد التنفير عن الاغترار بالدنيا وزخارفها وقرأ ابن كثير ابو عمرو و
ابن عامر بالتاء على بناء المفعول ورفع الجبال والباقون بالنون وهو المختار لكونه اشد
تهويلا وتسيير الجبال اما قلعها وطيرانها في الجو لقوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر
مر السحاب واما اذهابها وجعلها ترابا لقوله وكانت الجبال كثيبا مهيلا وكلا المعنيين

بحسب الاوقات وترى الارض بارزة ليس عليها جبل ولا نبات وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف
آثر الماضي اشارة الى تحقق وقوعه كما في قوله ونادى اصحاب الجنة وقيل للدلالة على ان
الحشر قبل تسيير الجبال وليس بسديد لقوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي بعد قوله لا ترى
فيها عوجا ولا امتا ولما روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يحشر الناس على ارض بيضاء عفراء ليس فيها علم فلم نغادر منهم احدا لم نترك
ومنه سمي نقض العهد غدرا لكونه تركا للوفاء وعرضوا على ربك صفا كما تعرض الجنود على
الملوك صفا صفا لقد جئتمونا فزادي على اضمار القول وهو العامل في يوم ونجوز اذكر كما
خلقناكم اول مرة حفاة عراة لا مال ولا ولد بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اضراب الى
ما هو اعظم من التعزز بالاموال وهو انكار البعث ووضع الكتاب اي كتاب كل احد
وهو صحيفة عمله وترى المجرمين مشفقين مما فيه من الذنوب الاشفاق الخوف من الشفق
وهو الشيء الردي ويقولون يا ويلتنا يا هلكتنا المختصة بنا تعالى هذا اوانك ما لهذا
الكتاب استئناف للتعجب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ضبطها لا يشذ
منها شيء فان قلت كان الظاهر تقديم الكبيرة كما يقال فلان لا يملك دينارا ولا درهما
قلت ليس وزانهما واحدا لان محل المسامحة هو الصغيرة فكان مظنة عدم احصائها ووجدوا
ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعله واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس بين حال الدنيا وزخارفها وكان الشيطان اقسم
في بداء العداوة لازينن لهم في الارض اشار الى ان الاغترار بها من تزيين ذلك العدو كان
من الجن استئناف يجري مجرى العلة كانه قيل لم لم يسجد قيل كان جنيا مطبوعا على الفساد
ففسق عن امر ربه الفاء دالة على سببية ما قبله اي كان فسقه لكونه من الجن افتتخذونه
ابعد ما وجد ذلك منه تتخذونه انكار وتعجب وذريته اولاده ان صح ان له اولادا او
اتباعه مجازا اولياء من دوني بدلا مني وهم لكم عدو حال تؤكد التوبيخ فان موالاته
بدلا من موالاته تعالى منكر يتعجب منه كيف وقد انضم اليه كونه عدوا لكم قديم العداوة
بئس للظالمين بدلا ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم لم
يحضروا خلق شيء من المخلوقات فضلا عن الاعانة في التأثير فكيف يستحقون العبادة واشهاد
خلق انفسهم اشهاد بعضهم خلق بعض كقوله ولا تلمزوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين
عضدا ابليس وذريته وضع المضلين موضع الضمير ذما لهم والعضد مظهرا لقوة استعمل
في المعوان والنصير كاستعمال الظهر فان قلت الوصف بالاضلال مشعر بعلية الانتفاء
فيوهم جواز الاعتضاد بغير المضلين قلت الاعتضاد في الايجاد والخلق محال دلت القواطع
عليه واما في اظهار الدين والشرايع فلا مانع منه يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله
وينصرون الله ورسوله ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم ابليس وذريته او من عبد
دون الله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم بل تبرأوا منهم وقالوا ما كانوا ايانا يعبدون وجعلنا
بينهم موبقا مكان هلاك يشتركون فيه يقال وبق بالمال بين زيد وعمرو واسم مكان
من وبق هلك والموبقات كباير الذنوب وعن الحسن عداوة في الشدة كالهلاك وعن الفرآء
البين الوصل اي جعلنا تواصلهم هلاكا وان اريد بالشركاء الملائكة وعيسى وعزير
فالموبق البرزخ البعيد الذي يهلك فيه الاشواط لفرط بعده وفي المثل بلد يهلك فيه

قرأ حمزة نقول بالنون لمناسبة جعلنا والباقون بالياء

اشواط الرياح ورأى المجرمون النار رأوها من مكان بعيد لها تغيظا وزفيرا فظنوا انهم
مواقعوها ايقنوا ولا يقين اجلى منه او ظنوا مع بعدها انها بأخذهم في الحال لشدة خوفهم ولم
يجدوا عنها مصرفا مكانا يعدلون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل كررنا كل
معنى في الحسن مثل يضرب به وتقديم القرآن على الناس في هذه السورة خاصة دون سايرها
للاهتمام لان السورة مصدرة به وكان الانسان اكثر شيء جدلا مراء بالباطل وعن علي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما في الفراش فقال الا تصليان قلت ان
نفوسنا بيد الله متى شاء ردها الينا فضرب يده على فخذه ثم قرأ وهو مول وكان الانسان اكثر
شيء جدلا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى هو القرآن او من اتى به ويستغفروا ربهم لذنوبهم
السالفة الا ان تأتيهم سنة الاولين وهو هلاك الاستيصال اذ لم يبق لهم عذرا ويأتيهم العذاب
قبلا معاينة اي عذاب الاخرة وقرأ الكوفيون بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع والمختار
الكسر لخفته وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا
بالباطل عنادا باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ليدحضوا به الحق ليزيلوه من ادحض القدم ازلقها
والدحض المكان الزلق وفي الحديث دون جسر جهنم طريق ذا دحض واتخذوا آياتي معجزاتي التي
صدقت بها رسلي وما انذروا والذي انذروا به هزوا مهزوا به وقرأ حمزة باسكان الزاء والباقون
بالضم وهما لغتان وابدل حفص الهمزة واوا ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها لا اظلم منه
لانه كفر بعد ظهور الحق مع كونه له لا عليه ونسي ما قدمت يداه من المعاصي وكان عليه ان
يبادر الى قبولها لانه يذهب بالذنوب قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف انا
جعلنا على قلوبهم اكنة علة للاعراض اذ لا قصور في تلك الآيات ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماع الحق وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا لسد
طرق الادراك عليهم او جواب للرسول على تقدير سؤال كانه قال ما لي لا ادعوهم وجزاء لكونهم
مطبوعا على قلوبهم فدعوتهم لا تنجع وربك الغفور ذو الرحمة الواسعة لو يؤاخذهم بما كسبوا من
الكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب اي عذاب الاستيصال تعليل لامهالهم بعد ما تحقق انهم من
اهل النار بل لهم موعد لا بد من مجيئه فالتأخير لذلك الوعد لا للاهمال لن يجدوا من دونه
موئلا ملجأ يوم بدر او يوم القيمة وتلك القرى قرى عاد وثمود واصحاب الايكة اشار اليها لانهم
شاهدوها اهلكناهم خبر تلك لما ظلموا كذبوا الرسل كقريش وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم
مصدر اضيف الى المفعول او لوقت اهلاكهم اسم زمان وقرأ عاصم في رواية ابي بكر بفتح اللام والميم
مصدر هلك واسم زمان وفي رواية حفص بكسر اللام مصدرا او اسم زمان على غير القياس كالمرجع
والمختار قراءة الجمهور لقوله اهلكناهم واذ قال موسى لفتاه اذكر وقت قول موسى لفتاه يوشع بن نون
اورد قصة موسى مع الخضر وان لم يسأل عنها استظهارا لصدق دعواه النبوة ودلالة على جهل اليهود
الذين امتحنوه فان موسى نبيهم وقصته هذه من اعظم وقايعه وهم لا يعرفونها وقصته على ما رواه
البخاري عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس في بيته اذ قال سلوني قلت ايا عباس جعلني الله
فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم ان موسى ليس موسى بني اسرائيل انما هو موسى آخر فقال
ابن عباس كذب عدو الله حدثني ابي بن كعب انه سمع رسول الله يقول ذكر موسى يوما وفي رواية
قام خطيبا في بني اسرائيل حتى فاضت العيون ورقت القلوب فقال رجل اي رسول الله هل في الارض
رجل اعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فقال بلى لي عبد بمجمع البحرين هو اعلم منك

فقال

فسال السبيل الى لقيه فقال اجعل حوتا في مكتل فحيث فقدت الحوت فهو ثمه فقال موسى لفتاه لا اكلفك
الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت كثيرا فانطلقا حتى اتيا الى الصخرة فوضع موسى راسه
فنام وكان في اصل الصخرة عين الحيوة فاصاب الحوت منها شيء فاضطرب وانسل من المكتل فسقط
في البحر فامسك الله الجرية عن الحوت فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي فتاه ان يخبره
بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا
من سفرنا هذا نصيبا فقال له فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما
انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغي ولم يجد موسى
نصبا في سفره حتى جاوز الصخرة فارتدا على آثارهما قصصا يقصان اثرهما حتى انتهيا الى الصخرة
فاذا رجل مسجى ببرده وفي رواية كان على طنفسة خضراء على كبد البحر فسلم عليه موسى فقال له
الخضر واني بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما
علمت رشدا قال يا موسى انك على علم علمك الله لا اعلمه وانا على علم علمني الله
لا تعلمه انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال
فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت
بهما سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم ووقع عصفور على البحر فاخذ من الماء بمنقاره
فقال الخضر لموسى ما علمي وعلمك وعلم الخلايق الا بمقدار ما غمس هذا العصفور منقاره فلم يفجأ
موسى الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال موسى قوم حملونا بغير نول عمدت
الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا وكانت هذه من موسى نسيانا ثم خرجا من السفينة
يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذه فاقتلع راسه فقال له موسى
اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه
اشد من الاولى ثم قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا
حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه
الخضر وقال هذه هكذا فقام وكان مايلا فقال موسى قوم ابوا ان يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه
اجرا قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله وددنا لو صبر موسى حتى يقص الله علينا من امرهما
لا ابرح لا ازال حذف الخبر لدلالة حاله السفر عليه ولقوله حتى ابلغ مجمع البحرين لان الغاية تستدعي
ما هي غاية له لا ابرح له اسير ولا يبرح سيري فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب
الفعل من الغيبة الى التكلم فالخبر حتى ابلغ وليس الاسناد مجازيا كما توهم ويجوز ان يكون فعلا تاما
اي لا ازول عما انا عليه من السير فلا يستدعي خبرا او امضي حقبا ثمانين سنة فان ما بعدها ازول
العمر او دهرا طويلا فلما بلغا موسى وفتاه مجمع بينهما المكان الذي وعد الله وهو ملتقى بحر الروم
وفارس مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية من بلاد الغرب وتفسير البحرين بموسى والخضر باطل
نسيا حوتهما اي فقداه الناسي فتاه واسناده الى موسى لادنى ملابسة فاتخذ سبيله في البحر سربا
طاقا مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اشارة الى سفرهم بعد فقد الحوت لان قبله لم ينصب ولعل الحكمة ان
ذلك كان في طلب العلم وهذا كان خاليا عن الفايدة قال فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني
نسيت الحوت اي فقدته وما انسانيه الا الشيطان بوسواسه وقرأ حفص بضم الهاء مراعاة للاصل

المرفوض ان اذكره بدل من الضمير واتخذ سبيله في البحر من كلام فتاه عجبا مفعول مطلق اي فعجب موسى
وفتاه عجبا لما روي البخاري ان رسول الله عليه وسلم قال كان البحر للحوت سربا ولموسى
وفتاه عجبا وقيل مفعول ثان لاتخذ اي اتخذ سبيله في البحر عجبا اي اتخاذا عجبا وقيل هو قول موسى
اي قال عجبا كيف نسيت بعد تلك المشاهدة وامساك الماء قال ذلك ما كنا نبغ يريد حيوة الحوت
فانه دليل المطلوب فارتدا رجعا في الطريق الذي جاءا منه على آثارهما قصصا يتبعان آثارهما من قصصت
الاثر اتبعته فوجدا عبدا من عبادنا هو الخضر كما صرح به في الحديث آتيناه رحمة من عندنا نبوة ان كان
نبيا وكرامة ان لم يكن وعلمناه من لدنا علما مختصا بنا لا يمكن الوصول اليه بالاكتساب قال له موسى هل
اتبعك على ان تعلمني على هذا الشرط وانما لم يجزم القول مراعاة للادب مع المعلم لئلا يكون متحكما عليه
مما علمت رشدا علما ذا رشد وقرا ابو عمرو بفتح الراء والشين وهي كالبخل والبخل قال انك لن تستطيع
معي صبرا لاني ارتكب ما لا يوافق شرعك وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا الخبر علم الباطن شعر فلما
لتقيناصدق الخبر الخبر نصب على التمييز او على المصدر وكيف نصبر على ما لم لان الاحاطة بمعنى الخبرة
قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا لانه في تاويل المفرد اي غير عاص
او على ستجدني مقولا للقول وانما علق بالمشية لان افعال العباد بمشيته تعالى او تمنى اشارة الى
ان الصبر على ما يخالف الحق بظاهره وان كان في نفسه حسنا جميلا في غاية الصعوبة قال فان اتبعتني
فلا تسألني عن شيء تنكره ويخفى عليك سببه حتى احدث لك منه ذكرا حتى اكون انا البادي فان المعلم
ادري بحال المتعلم من نفسه كالطبيب مع المريض ولذلك قال رسول الله دعوني ما تركتكم فاذا امرتكم
بشيء فأتوا منه ما استطعتم فانطلقا على هذا الشرط حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها
استفهام انكار وقرا حمزة والكسائي بياء الغيبة وفتح الراء ورفع اهلها والخطاب بضم الهاء ابلغ
انكارا لقد جئت شيئا امرا عظيما من امر بكسر الميم عظم وكبر وفي حديث هرقل قال ابو سفيان لقد امر
امر ابي كبشة يريد رسول الله قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا ذكره بما اعتذر اليه قال لا تؤاخذني
بما نسيت بالذي نسيته فان النسيان لا يعاتب عليه نسيت والنسيان مغتفر فان اول ناس اول الناس
ولا ترهقني من امري عسرا بالمضايقة وتكليف ما لا يطاق مفعول ثان يقال رهقه بالكسر اذا غشيه
وارهقه اذا اغشاه فانطلقا بعد الخروج من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله بان اقتلع راسه كما سبق وقيل
ذبحه وقيل ضرب راسه في الحايط قيل كان اسمه جيسون قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو زاكية وهما لغتان والتشديد ابلغ وعن اليزيدي الزاكية التي لم تذنب اليك
والزكية التي لم تذنب قط فمختلفان والرسم مختلف لقد جئت شيئا نكرا ذا نكر مبالغة في الانكار وهذا
اشد من الاول ولذلك قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا بزيادة لك مكافحا اياه بالعتاب على
قلة الثبات بعد تقدم الوصية ووقوع المخالفة عن قريب وقرا نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان وعاصم
في رواية ابي بكر بضم كاف نكرا والباقون بالاسكان وهما لغتان قال ان سألتك عن شيء بعدها بعد
هذه الواقعة فلا تصاحبني وان سألت صحبتك قد بلغت من لدني عذرا تعتذر به لمفارقتك وقرا
نافع وابو بكر بنون مخففة لان اصله لدن فحركت نونه الساكنة بالكسر واشم ابو بكر الدال الساكنة
ضمة اشارة الى الاصل فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل الابلة قيل هي ابعد ارض
من السماء وقيل برقة وقيل ارض بربر وقيل جروان وقيل باخروان استطعما اهلها طلبا طعاما فابوا ان
يضيفوهما يقال ضاف نزل به ضيفا من ضاف السهم اذا مال وضيفه انزله ضيفا فوجدا فيها جدارا يريد
ان ينقض مشرفا على السقوط من النقض وهو الكسر استعارة تبعية كقوله ان دهرا يلف شملي بسعدي

لزمان يهم بالاحسان فاقامه بان اشار اليه بيده من غير مباشرة وعلاج قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا لاحتياجنا وعدم استحقاقهم الاكرام بالتبرع وقرا ابن كثير وابو عمرو لتخذت
عليه من تخذ مرادف اخذ وهي لغة هذيل قال شاعرهم وقد تخذت رجلي لدى جنب غرزها
وقراءة الجمهور افصح وابلغ قال هذا فراق بيني وبينك اشارة الى الفراق الموعود او الى
وقته او الاعتراض والبين الوصل اي هذا وقت فراق المواصلة او ظرف بمعنى الوسط اضيف
اليه المصدر اتساعا سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا تلك الرابع الثالث اما
السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانوا عشرة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر
استدل به على ان المسكين يطلق على يملك شيئا وقيل سماهم مساكين لزمانتهم وعدم القدرة
على دفع الملك فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك امامهم او خلفهم وكان طريقهم في
الرجوع عليه ياخذ كل سفينة غصبا كل سفينة سالمة لدلالة الكلام عليه وكان الظاهر
تقديمه على ارادة العيب لانه مسبب عنه وعن كون الملاك مساكين لكن لما كان مسكنة
الملاك هو اقوى الجزئين رتب عليه المسبب المعتني بشانه تنبيها على ان في التامل ما يدل
على الآخر ثم اردفه به على سبيل التتميم اذ عسى ان لا يهتدي اليه الخاطر واما الغلام
فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا يغشيهما لانه كان كافرا فيوجب
حب الابوين والرقة على الدخول فيما هو فيه كذا عن سعيد بن جبير وابن جريج وعن مقاتل
والكلبي كان غلاما طاغيا يقتل ويسرق وكان ابواه في عز وشرف فاذا طولب بجنايته يحلف ابواه
انه لم يفعل وقيل فخشينا حكاية قوله تعالى والخشية بمعنى الكراهة وكان سؤال موسى و
مخاطبته مع الله والخضر واسطة ولا يخفى بعده وكذا ما قيل فخشينا ان يجتمع مؤمنان وكافر
في بيت واحد فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة طهارة ونقاء من الذنوب وقرا نافع
وابو عمرو ويبدلهما بالتشديد وهو ابلغ واكثر في القرآن واقرب رحما الرحم الرحمة
والعطف وقرا غير ابن عامر بسكون الحاء وهما لغتان روي انه ولدت لهما جارية فتزوجها
نبي فولدت نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم وقيل سبعين نبيا وقيل ولد لهما
ابن مؤمن واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم وكان
تحته كنز لهما هو مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن
يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت
كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن
لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا اشارة الى الحفظ وعن جعفر الصادق رضي الله
عنه كان بين الغلامين وبين الاب الصالح سبعة آباء قيل جرى بين حسين بن علي عليه وبين بعض
الخوارج كلام فقال الحسين بم حفظ الكنز للغلامين قال بصلاح ابيهما فقال ابي وجدي خير منه فاراد
ربك ان يبلغا اشدهما غاية القوة وهو ما بين ثمانية عشر الى ثلثين مفرد وعن سيبويه جمع شدة
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مفعول له او مصدر منصوب باراد لانه في معنى رحمهما وقد راعى
في المقامات الثلث ما يليق فان خرق السفينة لما كان عيبا واقعا بمباشرته اسنده الى نفسه و
ابدال الى الغلام بما هو خير منه كان بقتله وايجاد الله اسند الارادة الى نفسه والى الله وبلوغ
الغلامين وحفظ الكنز لهما لم يكن له في ذلك مدخل اسنده اليه تعالى وقيل هو باعتبار
حال العارف في النظر الى الوسايط وارتفاعها وما فعلته ما شاهدته عن امري صادرا عن شاني

بل بأمر الله ذلك المذكور من الحكم الخفية تأويل ما لم تسطع عليه صبرا اصله تستطع حذف
منه التاء تخفيفا واختص به دون الاول لانه آخر القصة فيدل الاختصار على الاقتصار وهذا
من غامض اسرار كلامه تعالى وسيأتي في آخر الشعراء نظيره وقد اشتملت القصة على جملة
من الآداب وهي ان العالم وان كان فريدا في زمانه لا يعجب بعلمه اذ ربما يكون اعلم منه وفي
المثل في الزوايا خبايا وان لا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه اذ ربما كان فيه سر لم يطلع عليه
ويراعي الادب مع المعلم ولا يبادئه بالسؤال واذ رأى خلاف الشرع ينكره وان كان من صدر
عنه اجل منه ويعفو عن صاحب الجريمة اذا رجع واعتذر فان قلت موسى كان اعظم رتبة
ام الخضر قلت بل موسى فانه من اولي العزم مختلف في نبوته ولا يقدح في ذلك اتباعه اياه في جزئيات
لم يتوقف عليها شريعته وكم من مسئلة استفادها ابوبكر وعمر من اصاغر الصحابة فان قلت
ما تقول في الخضر هل هو حي ام لا قلت العلم عند الله في ذلك اذ لم يرد نص يدل على حيوته
ولا موته وارباب القلوب واصحاب الكشوف متفقون على حيوته اكثرهم يخبر عن الاجتماع به
رزقنا الله الوصول اليه ذلك ويسئلونك عن ذي القرنين ثالث القصص التي امتحنته اليهود
بها وذو القرنين هذا كان نبيا او وليا وليس قاتل دارا فانه كافر فلسفي تلميذ لارسطا ليس
قيل كان في زمن ابراهيم وانما سمي بذي القرنين لانه ملك المشرق والمغرب وقيل لانه
رأى في نومه كانه آخذ بقرني الشمس وقيل كان في رأسه شبه القرنين وقيل كان له ضفيرتان
وقيل كان لتاجه قرنان وسأل ابن الكوا علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال كان عبدا
صالحا احب الله فاحبه ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله ثم ضرب على
قرنه الايسر فسمي ذا القرنين وفيكم مثله يريد نفسه فانه ضرب على قرن رأسه يوم الخندق
وضرب على قرنه الآخر ابن ملجم لعنه الله واراد انه يحب الله ويحبه وهو الظاهر لقوله
صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله فيجتهد قل سأتلو
عليكم منه من شانه وحاله ذكرا قرآنا او ما يذكر على وجه الزمان الى آخر الدهر
لعدم اختلاله انا مكنا له في الارض جعلناه متمكنا يتصرف فيها بلا مانع قيل ملك
الارض مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران نمرود والضحاك وآتيناه من كل شيء سببا
ما يتوصل به الى مقصوده من علم وقدرة وساير الآلات فاتبع سببا اراد سفر المغرب فاتبع
طريقا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر اتبع من افعال متعدي الى مفعول كقوله فاتبعه
شهاب والمفعولين محذوف اي امره او سببا سببا والافتعال ابلغ مع عدم الحذف حتى اذا بلغ مغرب
الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة وهي الطين الاسود قال الزبيدي قرأ معاوية
عين حامية فقال له ابن عباس رضي الله عنه حمئة فقال لابن عمر كيف تقرأ فقال كما
تقرأ فارسل الى كعب الاحبار كيف تجدها في التورية قال تغرب في ثأط وهو الحمأة وقد الم به
تبع في شعره يصف ذا القرنين فرأى مغار الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأط حرمد
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابوبكر حامية من حمي كرضي اي في عين حارة وعن ابي
ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس فقال هل تدري اين تغرب
الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال انها تغرب في عين حامية وعن ابن عمر ان رسول الله
نظر الى الشمس حين غابت فقال في نار الله الحامية لولا ما يزعها من امر الله لاحرقت ما على
الارض ولا تنافي لامكان الوصفين ووجد عندها قوما كفارا لباسهم جلود الوحش وطعامهم

ما لفظه البحر قلنا يا ذا القرنين نداؤه ان كان بلا واسطة وهو الظاهر فهو نبي والا فبالهام او
على لسان نبي اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا خيره بين القتل والدعوة الى الاسلام
قال اما من ظلم بالاستمرار على الكفر فسوف نعذبه بالقتل ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا عذاب
عذاب النار الذي لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى حسنات اعماله او الكلمة
الحسنى وهي كلمة الايمان وقرأ حمزة والكسائي وحفص جزاء منصوبا منونا او الحال من الفاعل او
المفعول او تمييزا وسنقول له من امرنا يسرا ذا يسر وسهولة لا مشقة فيه ويجوز ان يكون التخيير
بين القتل والاسر واتخاذ الحسن ابقاء ارواحهم وعلى هذا جوابه من الاسلوب الحكيم لانه تعرض للايمان
الذي خلا عنه التخيير وعلى الوجهين راعى تقديم ما من الله على ما منه ثم اتبع سببا طريقا موصلا
الى المشرق وفي لفظه ثم اشارة الى انه انما توجه بعد تمهيد جانب الغرب وضبط احواله حتى اذا بلغ
مطلع الشمس الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وجدها تطلع على قوم لم نجعل
لهم من دونها سترا قيل ارضهم لا تمسك البناء لهم اسراب يدخلونها عند طلوع الشمس فانهم لا يقدرون
على حرها فاذا ارتفعت خرجوا وترددوا في امر المعاش روي ان رجلين وصلا اليهم وهم وراء
الصين فاذا احدهم يفرش احدى الاذنين ويتغطى بالاخرى وقيل الستر اللباس وقد شاهدنا نحن ببلاد
مصر ما يجلب من السودان لا لبس لهم اصلا بل في طريق الحجاز خلق كثير كذلك امر ذي القرنين كما ذكر في
القوة ورفعة الشان او بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها او مثل ذلك القوم الذين تغرب عليهم
الشمس في الكفر والضلال وقد احطنا بما لديه خبرا زيادة تعظيم لامره على الاول وانه فوق ما وصفناه
اسباب لا يحيط بها الا علم اللطيف الخبير وعلى الثاني تعظيم للاسباب الموصلة له الى ذلك المكان
الشاسع الذي لم يصل اليه احد قبله وعلى الثالث تتميم يؤكد انه سن بهم ما سن باولئك الذين
عند مغرب الشمس ثم اتبع سببا طريقا الى صوب الشمال حتى اذا بلغ بين السدين وهما الجبلان اللذان
بنى السد بينهما قيل هما جبلا ارمينيه واذربيجان وقيل بمنقطع ارض الترك من ورائهما ياجوج وماجوج
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص بضم السين وهما لغتان وعن ابي عبيدة الضم لفعل الخالق والفتح لفعل
المخلوق وينقار ضان وبه استقام وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لفرط جهلهم وقرأ
حمزة والكسائي بضم الياء وكسر القاف اي لا يكادون افهام الغير لغرابة لغتهم قالوا يا ذا القرنين ان
ياجوج وماجوج مفسدون في الارض اي في ارضنا هما طايفتان عظيمتان وراء السد روي انه لا يموت
احدهم حتى يولد له الف نفس هما من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم
وقيل ياجوج الذكران وماجوج الاناث وهما اسمان عجميان كهاروت وماروت وعن الاخفش انهما
عربيان من همز وهو عاصم جعل الالف اصلا فياجوج يفعول وماجوج مفعول ماخوذ من اجيج النار
ومن لم يهمز جعل الالف زائدة فياجوج من يجج وماجوج مجج وعدم الانصراف للعلمية والتانيث
فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز بيننا وقرأ حمزة والكسائي نجعل لك خراجا والخرج
والخراج واحد كالنول والنوال والحصد والحصاد وقيل الخرج الجعل والخراج ما يضرب على الارض
وقيل الخرج مصدر والخراج اسم وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخراج اعم بنا
على ان زيادة البناء لزيادة المعنى هذا وكل منهما يستعمل في موضع الآخر قال ما مكني فيه ربي خير ما
جعلتني فيه مكينا من المال واليسار خير مما تبذلون لي وقرأ ابن كثير مكنني بالاظهار اعتبارا للاصل

لان نون الوقاية كلمة مستقلة وعليه رسم المصحف المكي وعلى الادغام سائر الرسوم فاعينوني بقوة من
الصناع والآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا موثقا من قولهم ثوب مردم اي رقاع فوق رقاع
وارد مت الحمى دامت آتوني زبر الحديد قطع الحديد واحدها زبرة وهي القطعة الكبيرة من الزبر وهو
القوي للتشديد وهذا لا ينافي رد الخراج لان الايتاء بمعنى المناولة او بمعنى الاتيان كقوله آتنا غداءنا
دل عليه قراءة ابي بكر ائتوني بهمزة الوصل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين راسي الجبلين صدف
الشيء اعلاه ولا يقال الا اذا قابله مثله كالزوج وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم الصاد والدال
وابو بكر بضم الصاد واسكان الدال والفتح لغة الحجاز الافصح قال انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله
نارا كالنار قال آتوني افرغ عليه قطرا نحاسا مذابا سمي به لانه يقطر وقد حذف مفعوله الاول لدلالة
الثاني عليه ولم يعكس والا لاضمر في الثاني على ما هو المختار وقرأ حمزة بهمزة الوصل ولابي بكر وجهان
قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما
الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس
المذاب على الحديد فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا لا يقدرون عليه قيل بعد ما بين السدين
مائة فرسخ فما اسطاعوا ان يظهروه لغاية علوه وما استطاعوا له نقبا لغاية صلابته وثخانته وقرأ حمزة
فما اسطاعوا بالادغام اصله استطاعوا مع التقاء الساكنين جراءة للوصل مجرى الوقف ردما للخفة
قال هذا الردم رحمة من ربي عليكم ليس لي عليكم منة فاذا جاء وعد ربي وقت خروج يأجوج ومأجوج
جعله دكا مدكوكا من دككت الشيء كسرته ساويته بالارض وقرأ الكوفيون دكاء فعلاء اي ارضا مستوية
وعن الفراء هما مصدران كاللباس واللباسة وكان وعد ربي حقا ثابتا لا محاله وتركنا بعضهم
يومئذ يموج في بعض اي وقت مجيء الوعد جعلنا يأجوج ومأجوج يموجون مختلطين من ماج البحر اضطرب
وعن ابن عباس ماج الانس والجن يومئذ ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين عرضا يشاهدونها وبرزت الجحيم لمن يرى الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري اي عن النظر
في الآيات المبثوثة في الآفاق والانفس ليؤديهم الى ذكرى بكل جميل او الذكر هو القرآن والاعين البصائر
والغطاء التغافل والاعراض عن التأمل فيه وكانوا لا يستطيعون سمعا كناية عن غاية الاعراض ابلغ
من قوله صم اذ الاصم به يسمع وهؤلاء سلب عنهم الاقتدار افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني
اولياء عطف على كانت والمعنى بعد ذلك التعامي والتصام يعتقدون ان ولاية الملائكة وعيسى نافعة
لهم وضع المظهر موضع المضمر دلالة على ان منشأ ذلك الحسبان هو الكفر وقد نسب الى ابي بكر وهي قراءة
علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا بسكون السين والمعنى افكافيهم ذلك عدة لهم من دون سائر
العقائد وعلى هذا ان مع ما في حيزه فاعل للنعت انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا طعاما مهيئا للضيف اذا
نزل تهكم واشارة الى ان بعده عذاب يستحقر هذا دونه وعن الزجاج هو المنزل والماوي قل هل ننبئكم
بالاخسرين اعمالا تمييز جمع للدلالة على الانواع وان كل نوع كاف لزيادة خسرانهم وقد روى البخاري عن
مصعب بن الزبير قال سألت ابي عنهم اهم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل خبر مبتداء محذوف لانه جواب سؤال او نعت للاخسرين والجواب
اولئك وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا باتعاب نفسهم في انواع العبادات مع فوات شرايطها اولئك
الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن وما فيه من دلائل التوحيد والنبوة مستأنف جار مجرى التعليل
ولقائه لعدم اعتقادهم بالبعث فحبطت اعمالهم سقطت ولم يعتد بها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا

الحرورية الخوارج نسبة الى حروري قرية من اعمال كوفة كان اول اجتماعهم بها

لعلمهم اذ ليس لسيئاتهم مقابل بخلاف الموحد وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يؤتى برجل من امتي فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد بصره ثم يقول الله هل
ظلمت الحفظة فيقول لا يا رب فيقول هل لك عذر فيقول لا يا رب فيقول ان لك عندنا امانة فيخرج له
بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات
فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات فلا يثقل مع اسم الله شيء او هو كناية عن الازدراء
بهم يقال ليس لفلان عند الملك وزن اي مقدار وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه ليأتي
الرجل العظيم يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة فاقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا ذلك اي الامر ذلك جزاؤهم جهنم مبتداء وخبر او ذلك مبتداء وجزاؤهم خبره وجهنم عطف
بيان او ذلك مبتداء والجملة خبر والعايد محذوف اي به اوله بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا مهزوا
بهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا هو وسط الجنة روى مسلم والبخاري
ان رسول الله قال اذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة ومنه يتفجر انهار
الجنة وهو حكمة رومية خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا لانقطاع الاماني فلا مطلب بعد
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي المداد اسم لكل ما يمد به والمراد هنا ما يمد به الدواة لنفد البحر
جنس البحر بحيث لم يبق منه شيء قبل ان تنفد كلمات ربي لا تنفد ابدا الا ان هناك نفادا محققا او مقدرا
على ما يتوهم من معنى القبلية وانما عدل اليه في المنزل للمزاوجة وان ما لا ينفد عند العقول العامية
ينفدون نفادها وقرأ حمزة والكسائي ينفد بالتذكير والتأنيث هو المختار لعدم الفصل ولو جئنا
بمثله مددا عونا اذ لا نسبة للمتناهي الى غيره قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لا افوقكم
الا بذلك دفع لطعنهم لما ابطاء في جواب السؤال الذي هو سبب نزول السورة فمن كان يرجو لقاء ربه
رؤيته او ثواب الطاعة عند العرض فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا يرائي بعمله روى
البخاري وابن ماجة واحمد بن حنبل ان رسول الله قال اذا جمع الله الناس يوم القيمة نادى مناد
من كان اشرك في عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله اغنى الشركاء وانا اذا احمد الناس من غير رياء
فلا عليه لما روى مسلم عن ابي ذر انه قيل يا رسول الله ارأيت الرجل يعمل الخير ويحمده الناس
عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن تمت والحمد لله كفاء افضاله والصلوة على محمد وصحبه وآله ما لمع
القاع سرابه وآله

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص اسم السورة او حروف التهجي ايقاظا وتقريعا وامال ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي
يا من هذه الحروف والسوسي في وجه وامال ابو عمرو وابو بكر والكسائي ها وامال نافع الف ها ويا
اما له نقلله لان هذه الحروف اسماء واصل الفها الياء بدليل الانقلاب في التثنية ذكر رحمة ربك
خبر مبتداء محذوف اي فيما يتلى عليك او خبر ما قبله ان جعل اسم السورة عبده مفعول الرحمة او الذكر
على ان الرحمة فاعل على الاتساع مثل ذكرني جود زيد زكريا بدل او عطف بيان قرأ حمزة والكسائي
وحفص بحذف الهمزة مقصورا وهي لغة اذ نادى ربه نداء خفيا لان الخفاء والجهر عند الله سيان
ولانه يشعر بالضعف المناسب للاجابة ولانه ادخل في الاخلاص او لئلا يلام على طلب الولد في ابان
الكبر او لانه خاف من مواليه الذين خافهم من ورائه فاسره فان قلت النداء رفع الصوت
فكيف يستقيم فيه الاخفاء قلت النداء ممدودا مطلق الصوت والذي هو مقيد برفعه مقصور قيل نادى
وسنه خمس وستون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني خصه بالذكر
لانه عمود البدن واشد ما يركب منه الجسد فاذا وهن كان سائر اجزائه اوهن واوفره لان الغرض

البطاقة ورقة صغيرة يعلق فيها ثمن الثياب رقمه صغير بحيث لانها تشد بطاقة من الخيط واهل مصر تسميها كثيرا منه

ونظم آخر السورة باولها لان البدء كان بالسؤال الكتاب

هذا الجنس مع صلابته وشدته نطرق اليه الوهن ولو جمعه لكان المعنى ان الوهن قد اصاب كل فرد منه
لا بعضها وليس هو بصدد بيان ذلك لا انه قصد الاستغراق وهو في المفرد اشمل فانه مع كونه ليس بعرض غير مسلم
في المعرب واشتعل الرأس شيبا شبه انتشار الشيب في الرأس باشتعال النار في الحطب والجامع الفشو والظهور
ثم اخرجه في صورة الاستعارة مبالغة والقرينة اسناد الاشتعال الى الرأس وشبه الشيب بالنار والوجه
الانبساط فالاستعارة مكنية والاشتعال تخييل وانما اطنب لان مقام اظهار العجز يقتضيه ولولا ذلك
لكفى ان يقول رب شخت ولم اكن بدعائك رب شقيا قط فيما سلف وطلب الولد من مثلي وان لم يكن معتادا
متعارفا ولكن جودك واجابتك دعوتي متعارف مستمر وقف سائل على كريم فقال له انا الذي
قال انا الذي احسنت اليه وقت كذا قال مرحبا بمن توسل الينا بنا واني خفت الموالي من ورائي مواليه
بنو عمه كانوا شرار بني اسرائيل فخاف ان يبدلوا بعده والجار يتعلق بمعنى الولاية في الموالي لا بخفت
لفساد المعنى وكانت امرأتي عاقرا فيما مضى لا تلد فهب لي من لدنك من كمال قدرتك التي تخترع بها
الاشياء وان لم يكن حصول الولد من العاقر والشيخ متعارفا وليا ولدا من صلبي لقوله من لدنك
ذرية طيبة يرثني ويرث من آل يعقوب وقرأ ابو عمرو والكسائي بالجزم على انه جواب الامر الرفع
على الوصف لموت زكريا قبل يحيى على الاكثر او على التقييد بظنه كما في قوله صلى الله عليه وسلم
كل ذلك لم يكن في جواب ذي اليدين اقصرت ام نسيت مع انه كان ناسيا والحمل على الاستئناف
علة السؤال غير داخل في المسؤول بعيد والوراثة النبوة والعلم لا المال لقوله صلى الله عليه وسلم
نحن معاشر الانبياء لا نورث ويعقوب هو اسرائيل بن اسحاق اراد بالارث من آله الملك او العلم
والنبوة من للتبعيض لان آله ليسوا كلهم انبياء ولا علماء وقيل يعقوب بن ماثان اخو زكريا
وقيل يعقوب وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان واجعله رب رضيا مرضيا عندك او راضيا
بفعالك وقدرتك يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى سماه الله باسم غريب من عنده تشريفا
والبشارة على لسان الملائكة لقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك لم
نجعل له من قبل سميا لم يسم قبله احد بهذا الاسم وكذلك رسول الله لم يسم احد قبله بمحمد
قيل لم نجعل له من قبل شبيها كقوله هل تعلم له سميا قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي
عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا استبعد عادة وان كان موقنا بان الله قادر على ذلك او الاستبعاد
ليس راجعا اليه بل الى غيره فاذا اجيب بما اجيب ازداد المؤمنون ايقانا والمبطلون ارتداعا وعن
الحسن ليس هذا استبعادا بل انما سأل كيفية الحصول اهو على تلك الحالة او بعد عود الشباب يؤيده
قوله واصلحنا له زوجه والعتي نهاية السن من عتا الشيخ اذا كبر وولى واصله عتو كقعود فاستثقلوا
توالي الضمتين فكسروا التاء فقلبت الواو الاولى ياء لكسرة ما قبلها فاجتمعت الواو والياء و
سبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بكسر العين على الاتباع وهو اخف والمختار لانقا فهم في عصيهم قال كذلك اي الامر على
ما ذكرت قال ربك هو علي هين وان كان مستبعدا عادة فيجوز ان يكون الكاف في محل النصب
مفعول قال الثاني وهو مع قوله مفعول الاول وقوله هو علي هين مفسر لما اشير اليه بذلك
والخطاب لزكريا لقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قط او شيئا يعتد به كقول ابي
الطيب شعر اذا رأيت غير شيء ظنه رجلا وهذا مجاز شايع فلا بد ان على كون المعدوم ليس بشيء
وقرأ حمزة والكسائي خلقناك قال رب اجعل لي آية علامة تدل على وقوع المبشر به
ليشتمر على القيام بشكره قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال مع ايامها لقوله في آل

عمران ثلثة ايام سويا ليس بك آفة من خرس لسال الآية ليقوم بالشكر فقلب قدرة الكلام مع الناس
لئلا يشوب بذكر الله غيره فخرج على قومه من المحراب من مصلاه حين اعتقل لسانه فاوحى اليهم
لقوله الا رمزا وعن ابن عباس كتب الله على الارض ان سبحوا بكرة وعشيا صلوا او نزهوا في الوقتين
كانهم امروا ان يوافقوه في العبادة ولادته ان مفسرة لا الوحي فيه معنى القول يا يحيى خذ الكتاب
بقوة اي قلنا له بعد ولادته وبلوغه حدا لفهم والكتاب هو التورية وآتيناه الحكم صبيا
العلم والعقل وفي الحديث انه حتم حكم قيل دعاه اترابه الى اللعب فقال ما للعب خلقنا
او النبوة احكم الله عقله وارسله الى الناس وحنانا من لدنا رحمة وبركة على الناس
يتبركون به لما رأى ورقة بن نوفل بلالا يعذب قال والله ابن قتلتموه لاتخذته
حنانا اراد اتخاذ قبره مزارا وزكوة صدقة على ابويه او يزكو به الناس ويطهرون من الذنوب
او جعلناه زكيا طاهرا من قبيل رجل عدل روي ابن جرير واحمد بن حنبل عن ابن عباس
ما من احد الا وعمل سيئة او هم بها الا يحيى بن زكريا وكان تقيا شديد التقى وبرا بوالديه
شديد البر بهما ولم يكن جبارا عصيا عاليا يجبر الناس على مراده نفى صريحا ما علم ضمنا
مبالغة في وصفه وايثار عصيا على عاصيا مع كونه اوفق لمراعاة رؤوس الآي وسلام
عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا تشريفا عليه واخبارا بان خاتمته على وفق فطرته
التي يولد عليها كل مولود وعن ابن عيينة خصها بالذكر لانها اوحش المواطن واذكر في
الكتاب مريم ابنة عمران اذ انتبذت اعتزلت غيرها لبيته بنفسها من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت
المقدس او شرقي دارها وعن ابن عباس لذلك اتخذت النصارى المشرق قبلة فاتخذت
من دونهم حجابا حايطا ونحوه كان موضعها المسجد فاذا حاضت انتقلت الى بيت خالتها
فاذا طهرت عادت الى المسجد فارسلنا اليها روحنا جبرئيل لانه آية بالوحي الذي هو
سبب الحيوة الابدية فتمثل لها بشرا سويا تام الخلق قيل ظهر في صورة امرد وضي الوجه
جعد الشعر لتأنس به ولعلها في صورة لم تقدر على سماع كلامه وقيل لتخرج شهوتها فتنحدر الى
الرحم قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ذكرت اسم الرحمن وله موقع لا يخفى ان كنت تقيا فان التقوى
تنهى الملك وتمثل ذلك المقام وايثاره لعدم التعرض والدخول عليها في خلوة بعيدة
عن الناس من غير اذن قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما اجيت
لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وقرأ ابو عمرو وورش ليهب لك بالياء
مسندا الى المضاف وعليه رسم المصاحف فان قلت قد ذكر في آل عمران ان الملائكة
بشروها بغلام اسمه المسيح وهنا ذكر ان المباشر لذلك هو جبرئيل وحده قلت كلام الملائكة والبشارة
به مع ذكره باسمه ولقبه انما كان بعد قصة جبرئيل ولذلك اقتصرت على الاستبعاد ولم تستوعب الكلام
بذكر البغي وما جرى بينهما وبين القوم من المحاورة زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير والصلاح
قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر يريد النكاح فان السفاح لا يكنى عنه ولذلك اردفه بقولها
ولم اك بغيا فعول اذ لو كان فعيلا لقيل بغية وحمله على المبالغة تشبيها بفعول وعلى النسب كطالق
وحايض تكلف قال كذلك قال ربك هو علي هين فذ سبق تقريره ولنجعله آية للناس معللة محذوف
اي فعلنا ذلك وهو مع العلة معطوف على قوله هو علي هين وفي ايثار الاولى اسمية والثانية فعلية
لزوم الهون ازلا لا للاستبعاد وقيل عطف على مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وفيه تطويل

بلا طايل ورحمة منا على العباد يا رسا له وكان امرا مقضيا لا محالة لسبق العلم به او حقيقا بان يكون
لكونه آية من آيات الله فهو من تتمة العلة فحملته بان نفخ في الدرع لقوله فنفخنا فيه من روحنا فانتبذت
به كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا مكانا قصيا بعيدا من اهلها قيل كان لها ابن عم يسمى يوسف وقد
سمت له فلما ظهر الحمل عليها هرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بقتلها فاتاه جبرئيل فقال
انه من روح القدس اياك ان تفعل فانثني عزمه فاجاءها المخاض الى جذع النخلة الجاها وضع الولادة
قال الفراء اصله المجيء وقد جعلته العرب الجاء قال زهير شعر وجار سار معتمدا اليكم
اجاءته المخافة والرجاء والجذع ما بين العرق والغصن واللام للجنس او للعهد اذ لم يكن هناك غيرها قيل
كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة فاخضرت واثمرت رطبا وهو خرسة النفساء وشان النخل ان لا يثمر
بدون التلقيح وكانت الوقت شتاء حتى اذا راوا ذلك ارتدعوا عن اتهامها وايقنوا بان شانها في الولادة
من غير زوج شان النخلة من غير تلقيح في غير اوان الثمر قالت يا ليتني مت قبل هذا حياء من الناس لا كراهة
لحكم الله قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وقرا ابو بكر مت بضم الميم من مات يموت وهو المختار وكنت نسيا
شيئا حقيرا شانه ان ينسى وقيل مصدر سمي به وقرا حمزة وحفص بفتح النون قال الفراء هما لغتان
ومعظم العرب على الكسر منسيا لحقارته لا يخطر بالبال فناديها من تحتها من تحت ثياب مريم عيسى او جبرئيل
فانه كان بمثابة القابلة لها او من مكان اسفل منها وعن قتادة الضمير للنخلة وقرا نافع وحمزة والكسائي
وحفص بكسر الميم وخفض تحتها وفي ناديها ضمير عيسى او جبرئيل والفتح هو المختار لخفته واغنائه عن الاضمار
ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا نفيسا شريفا هو عيسى من سرو الرجل سار في حديث ام زرع تزوجت
سريا اي سخيا او جدول ماء يؤيده قوله وهزي اليك بجذع النخلة اميليه اليك والباء صلة للتوكيد
او على معنى افعلي الهز كقوله يجرح في عراقيبها نصلي تساقط عليك تتساقط ادغمت التاء في السين وقرا
حمزة بحذف التاء رطبا تمييز على الوجهين وقرا حفص تساقط مضارع ساقط ونصب رطبا مفعولا
والتشديد ابلغ جنيا طريا مجنيا من الشجر قيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل
وقيل اذا عسر الولاد لم يكن لذات الطلق خير من الرطب فكلي من الرطب واشربي من السري او من شراب
الرطب وقري عينا طيبي بما تيسر لك من الاكل والشرب اشتقاقه من القر وهو البرد فان العين مع برد
عند غاية السرور عين فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا او نذرت صوما
فلن اكلم اليوم انسيا وكان الكلام حراما على الصايم اخبرتهم بالاشارة لقوله فاشارت اليه
وقيدا البشر لاخراج الملائكة فاتت به قومها بعدما طهرت من النفاس تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا
فريا بديعا منكرا اصل الفري القطع كانها اخترعته من عندها يا اخت هارون ارادوا اخا موسى
لانها كانت من اعقاب من كان في طبقته وكان بينهما الف سنة وعن السدي انها كانت من اعقاب
هارون وقولهم يا اخا العرب اي واحدا منهم وقيل كان في زمانها رجل صالح يسمى هارون شبهوها به
اما حقيقة او تهكما وقيل كان رجلا فاجرا ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا من اين لك
اليك هذا الفعل اشارة الى ان ارتكاب المعاصي من اولاد الصالحين اقبح فاشارت اليه اي طلبوا
الجواب منه فقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا كان صلة
من اي كيف نكلم الذي كان بالامس صبيا ولم يزل عنه الصبا او صفة اي ما كلمنا موصوفا بالصبا
حتى تكلم هذا والعدول الى المضارع لتصوير الاستمرار او زايدة او بمعنى صار وعلى الوجوه كيف للتعجب
قال اني عبد الله آتاني الكتاب انطقه الله تعالى اولا وقيل كان يرضع فلما سمع مقالتهم ترك الرضاع واتكى على يساره
ورفع اصبعه وكان اول ما تكلم به الاقرار بالعبودية تكذيبا لمن يدعي فيه الالوهية والكتاب هو

اي نفع جرح النصل عراقيبها وهذا او ح لكونه باسا مع غرابته اوله فان تعتذر بالمحل عن ذي ضروعها على الضيف منه

هو الانجيل قيل استنبأه الله في الصبا مثل يحيى وقيل هو باعتبار المآل وجعلني نبيا وجعلني مباركا
واي بركة اعظم من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى اعاد الفعل للدلالة على كمال الصفتين
حيث استقلت كل واحدة بجعل اينما كنت صرت او كون وايثار الماضي دلالة على تحقق الوقوع واوصاني
بالصلوة والزكوة زكوة المال او طهارة النفس عن الرذايل وايثار الايصاء على الامر للدلالة على
اللزوم حتما ما دمت حيا ودوام حياتي وبرا بوالدتي عطف على مباركا وتوسيط الامر بالصلوة والزكوة
للاهتمام ولم يجعلني جبارا متكبرا شقيا عند ربي والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا
اللام فيه للجنس تعريضا باللعن على اعدائه فانه كقوله والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان
العذاب على من كذب وتولى وجعله للعهد لتقدم سلام يحيى غير سديد لان ذلك السلام لا يكون
لعيسى روي سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن ان عيسى ويحيى التقيا فقال عيسى ليحيى استغفر لي
فقال انت خير مني استغفر لي انت قال كيف اكون خيرا منك وسلم الله عليك وسلمت على نفسي
وجعله من قبيل هذا الذي رزقنا من قبل يرده انقطاع هذا الكلام عن ذلك واستقلال القصة
ذلك عيسى بن مريم مبتداء وخبر اي المقر بالعبودية الموصوف بصفات المخلوقين من الحمل والولادة لا ما
يصفه النصارى بصفات الالوهية ولا ما يصفه اليهود ولد من غير رشدة قول الحق كلمة الله
خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتداء محذوف وقرا ابن عامر وعاصم بالنصب على انه مصدر مؤكد اي
قلت لكم في شانه قول الصدق او على المدح والحق هو الله والرفع ابلغ مع سلامته من الحذف الذي
فيه يمترون يشكون او يتجادلون اي اليهود والنصارى ما كان لله ان يتخذ من ولد استينافا
لتكذيب النصارى سبحانه نصب بفعل لازم الحذف اذا قضى امرا تعلقت ارادته به فانما يقول له كن فيكون
ومن هذا شانه غني عن الولد واشارة الى تكون عيسى وكلمة كن اما حقيقة لان سنة الله جرت بان
ايجاد الاشياء يكون مسبوقا بها ولما كان تكون الاشياء لازما لتعلق ارادته بها شبه ذلك بامر الآمر
المطاع اذا ورد على المامور الممتثل وان الله ربي وربكم قرا الكوفيون وابن عامر بكسر ان على الاستيناف
او عطفا على اني عبد الله والباقون بالفتح عطفا على الصلوة اولان الله ربي وربكم فاعبدوه والكسر
ابلغ هذا صراط مستقيم لا زيغ فيه فاختلف الاحزاب من بينهم الذين عاصروه التحزب على الانبياء وهم
اليهود الذين لم يصدقوه وارادوا قتله او الذين تحزبوا بعد رفع عيسى وهم الفرق الثلث من النصارى
نسطورية قالوا هو ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله وملكانية قالوا هو عبد الله ورسوله وهؤلاء
انما كفروا بانكار نبوة محمد فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من الشهود مصدرا او زمانا او مكانا
والمعنى من شهود الحساب وهوله فالاضافة بمعنى في على الاتساع او مكان الشهود فيه وهو الموقف
فالاضافة للملابسة او وقت الشهود فالاضافة بمعنى اللام من الشهادة مصدرا وزمانا او مكانا والمعنى
من شهادة الانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم عليهم بالمعاصي او من وقت الشهادة او من مكانها
والاضافة على التفضيل اسمع بهم وابصر ما اسمعهم في ذلك اليوم وابصرهم بعدما كانوا في الدنيا
صما عميا او المعنى شانهم حقيق بان يتعجب منه المتعجبون تعجبوا اولا وقيل لا تعجب بل خطاب له
بان يسمعهم مواعيد ذلك اليوم ويبصرهم والجار والمجرور محذوف من الثاني لدلالة الاول عليه
وعن ابن مالك انه مستتر فيه انما يستقيم عند من يجعل المجرور فاعلا وهو مذهب سيبويه واما الزجاج
مفعولا وجعل الخطاب امرا فلا وجه له يوم ياتوننا يوم القيمة لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين
المبين باغفال النظر وانذرهم يوم الحسرة لعلهم يتفكرون فيه عن ابي سعيد الخدري قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت في صورة كبش املح فينادي مناد يا اهل الجنة فيشرابون

هذا في قوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل ان نر الى النوع لم لا يجوز ان يكون السلام ان نر الى النوع لا الى سلام يحيى فاجاب عما ذكره من الفرق منه

فينظرون فيقول لهم هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا هو الموت وكلّهم قد عرفه ثم ينادي يا اهل النار
فيشرأبون فينظرون فيقول لهم هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا هو الموت وكلّهم قد رأوه فيذبح بين الجنّة
والنّار ثم يقول يا اهل الجنّة خلود فلا موت ويا اهل النّار خلود فلا موت ثم قرأ رسول الله وانذرهم
اذ قضي الامر بدل من يوم او ظرف الحسرة وهم في غفلة عطف على الظّالمون في ضلال من او حال الضّمير
في الظّرف وانذرهم اعتراض يؤكّد ما هم فيه من الضّلال او متعلّق بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين
حالان فيهما معنى التّعليل ولا يرد انما انت منذر من يخشاها لان ذلك بالنّظر الى النّفع كقوله انّما
تنذر من اتبع الذّكر وهذا بالنّظر الى التّنبيه لقوله لينذر قومًا ما انذر آباؤهم لا يؤمنون انا نحن نرث
الارض ومن عليها في ذلك اليوم لا يملك ولا يملّك لاحد لمن الملك اليوم والينا يرجعون للجزاء واذكر في
الكتاب ابرهيم قدوة الموحّدين تبكيتا لمن يدّعي الانتساب اليه من اليهود والنّصارى والمشركين والذّاكر
وان كان هو الله الا انّه اسند اليه لانّه المبلغ عنه والنّاطق باوامره ونواهيه او الذّكر بمعنى التّلاوة
صدّيقًا بليغ الصّدق لانه صدّق بكتب الله ورسله ومن كان كثير التّصديق كان كثير الصّدق في تصديقه
فيعتقد المبالغة كمّا وكيفا نبيا مخبرا عن الله من باب الترقي لانّ النّبوّة اعلى فذكر الصّدّيق تمهيد لها
اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض او متعلّق بكان اي كان جامعًا بين الوصفين وقت دعوة ابيه او
بصدّيقًا وهو وجه حسن لدلالته على كمال صدقه في نصحه لابيه يا ابت هذه تاء التانيث لحقت المنادى
عوضًا عن المضاف اليه ووقف عليها ابن كثير وابن عامر بالهاء على ما هو الاصل في تاء التانيث والباقون
بالتاء مراعاة للرّسم لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا لم يصرّح بخطائه مع كونه موفقا به سلوكا
لطريقة الادب وامتثالا لقوله وصاحبهما في الدّنيا معروفا بل سأله سؤال منبّه على تمادیه في الغيّ وافراطه
فيه وتناهيه مشيرا الى ان المعبود لو كان سميعًا بصيرًا نافعا ضارّا الا انّه يكون مخلوقًا كساير المخلوقات
لا يستحقّ العبادة لانّها غاية الخضوع فلا يستأهلها الا من له غاية الكبرياء ونهاية العلوّ والسّناء فكيف
بجماد لا شعور له بعبادة من يعبده فضلا عن الثّواب ودفع العقاب ثم دعاه الى الحقّ مترفقا به متلطّفا
يا ابت انّي قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتّبعني اهدك صراطًا سويًّا لم يسمّه جاهلا ولا وصف نفسه
بالعلم الفايق بل ان عنده شيئًا من العلم وذلك علم الدّلالة على الطّريق السّوي وكانه قال هب انّي واياك
في مسير الى مقصد ولي علم بطريقه فلا تستنكف عن اتباع الدّليل فانه امر متعارف لم يزل ذلك دارب
الملوك في قطع الفيافي والمفاوز يقتدون بالادانى ولا يرون ان ذلك يعود عليهم بنقص يا ابت
لا تعبد الشّيطان ان الشّيطان كان للرّحمن عصيًّا ومن كان عصيًّا له حقيق بالمعادات فلا تتخذ من كان عدوّه
صديقا واقتصر على كونه عدو الله دون آدم لاستلزامه اياه وقيل لترقيه في الربانيه يا ابت انّي اخاف
ان يمسّك عذاب من الرّحمن فتكون للشّيطان وليًّا لم يجزم بلحوق العذاب بل ذكر خوفه والمسّ الدّال على
القلّة مع تنكير العذاب المؤذن بيسير منه مع استحقاقه اشدّ العذاب لو استمرّ على الكفر جريا على مسلك
الادب السّنن السّابق واثر ذكر الرّحمن لتقدّمه ولان ذلك ايضا مشعر بقلته لدلالته على فرط الرّحمة
وسبقها الغضب وما قيل ان تنكير العذاب للتعظيم وايثار لفظ الرّحمن للمبالغة في ذلك على ما يقولون
نعوذ بالله من غضب الحليم فمما يأباه المقام وانما ذكر ولاية الشّيطان بعد العذاب لانها اشدّ كما
ان رضوان الله من الجنّة اكبر قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم ناداه باسمه ولم يقابل قوله يا ابت بيا بني
والاستفهام للتعجب قيل قدّم الخبر لكونه اهمّ عنده والاولى جعله مبتدأ وانت فاعلا سادّا مسدّ الخبر لئلا يقع
الفصل بين اراغب ومعموله بالاجنبي لئن لم تنته لارجمنّك بالشّتم واللّعن ومنه الرّجيم للشّيطان
او لا قتلنّك شرّ قتلة بالحجارة واهجرني عطف على مقدّر دلّ عليه لارجمنّك مليًّا دهرًا طويلًا من الملاوة

اوسالمًا من تمليت عمري اي استمتعت به قال سلام عليك متاركة الجاهل بالحسنى واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلامًا ساستغفر لك ربّي بالتّوفيق للتّوبة ولم يكن له علم بان الله لا يغفر لمن اشرك به
ومنه قول عيسى عليه السّلام وان تغفر لهم فانّك انت العزيز الحكيم وهو الوجه لانّه نهي عن الاقتداء
به وبيّن انّ ذلك كان لموعدة وعدها اياه والا فالاستغفار بالتوفيق للايمان لا انكار فيه انه كان بي حفيًّا
بالغ البرّ من الحفاوة وهي المبالغة والاستقصاء في الشّيء ومنه في الحديث امر ان يحفي الشّارب واعتزلكم
وما يدعون من دون الله بالمهاجرة الى الارض المقدّسة كان بارض بابل وادعو ربّي خاصّة ولا اشرك به
عسى ان لا اكون بدعاء ربّي شقيًّا اي بعبادته فان الدّعاء مخّ العبادة وفي ايثار عسى اشارة الى انّ العبادة
امارة النّجاة لا جزم معها وفيه هضم النّفس فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب
عاش حتى رآه ولم يكن مظنّة الولد لكونه شيخا وزوجه عجوز ولذلك لم يذكر اسماعيل وقيل اراد ذكر
اسمعيل منفردًا اشارة الى فضله وكلّا جعلنا نبيًّا كلا من الولد والحافد لما هاجر في الله ابدله من الكفّار
الاعداء اولادا انبياء ووهبنا لهم من رحمتنا بعضها وهي النّبوة وقيل الاولاد والاموال وجعلنا لهم
لسان صدق ثناء حسنا فانّ اللّسان مظهره كاطلاق اليد على النّعمة لذلك عليًّا دايما الى اخر الدّهر
في الصّلوات على ما ورد في التّشهّد وعاما في جميع الملل فانه ليس من محقّ ومبطل الا وهو يدّعي انه من حزبه
واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصًا موحّدا في عبادته وقرأ الكوفيّون بفتح اللّام اي مختارا وهو المختار لكون
الاوّل موقوفًا عليه وكان رسولًا نبيًّا بشيرًا ارسل بالنّبوّة وناديناه من جانب الطّور الايمن من اليمن
والبركة او كان عن يمينه وقرّبناه نجيًّا رتبة وشرفًا كما يقال فلان مقرّب الملك وقيل رفع فوق السّموات
ولا يثبت لان السّبعين سمعوا كلام الله معه في الطّور ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيًّا شددنا به ازره
وجعلناه مؤيّدًا بالمعجزة ردءًا بصدقه واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد عن ابن عبّاس
رضي الله عنه واعد صاحبا له في مكان فاخلف صاحبه الوعد فانتظره موسى سنة ولانه صبر على الذّبح بعد
الوعد به وصف بما غلب عليه والا فالانبياء كلّهم مشتركون في صدق الوعد وكان رسولًا نبيًّا وفيه دلالة
على انّ الرّسول لا يلزم ان يكون صاحب كتاب وشريعة مستقلة وانما قدم الرّسول لانّ الانبياء عن الله موقوف
على الرّسالة منه اوليوافق رؤس الاي وكان يأمر اهله بالصّلوة والزّكوة امّته لانهم اهل دينه وقيل اهل
بيته خاصّة كقوله وانذر عشيرتك الاقربين فانهم اولى بالبرّ والاحسان ولانهم اذا صلحوا اقتدي بهم غيرهم
وكان عند ربه مرضيًّا لاتيانه من الافعال بما يرضيه واذكر في الكتاب ادريس اسمه اخنوخ قيل لقّب له لكثرة
درسه ويردّه انه اعجمي ولذلك منع من الصّرف الا ان يكون من توافق اللّغتين انه كان صدّيقًا نبيًّا
ورفعناه مكانا عليًّا رآه رسول الله في السّماء الرّابعة او في السّماء السّادسة ورفعناه بالنّبوّة وما
يلقّفه الدّعاظ من انه آخا ملك الموت ومات ودخل الجنّة كذب مختلق لان اوّل من يدخل الجنّة رسول
الله وامّته قيل انه اوّل من خطّ بالقلم وخاط الثّياب وكان قبله يلبس الجلود وانزل الله عليه ثلثين
صحيفة اولئك الموصوفون الذين انعم الله عليهم بانواع النّعم الدّينيّة والدّنيويّة من النّبيّين
بيان الموصول من ذريّة آدم بدل باعادة الجارّ ومن تبعيضيّة لان ذريته اعمّ من الانبياء والكلّ داخلون
في المنعم عليهم وممّن حملنا مع نوح ومن ذريّة من حملنا مع نوح ومن ذرّيّة ابرهيم واسرائيل يعقوب
وقد دخل عيسى في الذّرّيّة لانّ مريم من ذرّيّة اسرائيل ولزم منه ان يكون اولاد فاطمة ذرّيّة رسول الله
وانما ذكر انسابهم دلالة على انّهم حازوا فضيلة الحسب والنّسب وقدم الحسب لانّ من بطأ به عمله لم يسرع
به نسبه وممّن هدينا واجتبينا زيادة مدح لهم كما تقول زيد من اولاد الامراء وهو من الصّالحين اذا تتلى
عليهم آيات الرّحمن خبر اولئك ان جعل الذين وصفا وان جعل خبرا فاستيناف لبيان اخباتهم وخضوعهم

يريد بين الطور فان الواهب من مدين
الى مصر يكون على يمين الطور شهدناه

يريد اله

يريد العبد بوصف ال...
فلا نبوة ولا بدمن هذا
هرون اكبر سنا من موسى

لله تعالى مع علو طبقتهم بحيازتهم شرف الحسب الفاخر والنسب الزاهر خروا سجدا حال مقدرة لأن
الخرور وقيل للسجود وبكيا في الحديث اتلوا القرآن فابكوا فإن لم تجدوا البكاء فتباكوا فخلف من بعدهم
خلف خلفه أي عقبه والخلف والخلف صفة منه إلا أنه بالتحريك يستعمل في الخير وبالتسكين في الشر
والمراد بنو إسرائيل من اليهود والنصارى أو أعم فيشمل المشركين من بني إسمعيل أضاعوا الصلوة أما بالترك
أو بالتأخير عن الوقت وبنقص شيء من أبعاضها واتبعوا الشهوات عن ابن عباس هم اليهود والنصارى تركوا
الصلوة المفروضة وشربوا الخمور واستحلوا نكاح الأخت من الأب وعن علي رضي الله عنه بنوا المشيد وركبوا
المنظور ولبسوا المشهور فسوف يلقون غيا كل شر عند العرب غي قال المرقش من يفعل الخير
يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق أثاما وقيل هو واد في
جهنم يستعيذ منه أوديتها وعن قتادة هو في هذه الأمة إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون
الجنة قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بضم الياء وفتح الخاء من الإدخال وهو أدخل في الإكرام وأوفق
لقوله وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يظلمون شيئا أدنى شيء لأن الإيمان والتوبة يجبان ما
قبلهما جنات عدن بدل بعض من الجنة لأنها جنان ثمانية على ما روي ابن عباس وعدن علم لمعنى الإقامة
كأمس وسحر للوقتين ولولا ذلك لم يقع جنات بدلا لأن النكرة لا تبدل عن المعرفة ولم يوصف بالموصول
التي وعد الرحمن عباده بالغيب غائبة عنهم أو وهم غائبون عنها الباء للملابسة والحال عن الضمير
المحذوف من الصلة أو عن عباده أو بإيمانهم بالغيب فالباء للسببية والغيب بمعنى الغائب إنه أي الله
أو الشأن كان وعده مأتيا فإن كل شيء أتيته فقد أتاك أو الوعد بمعنى الموعود وهو الجنة فالمأتي
على ظاهره لا يسمعون فيها لغوا فضولا من الكلام وما حقه أن يلغى ويطرح إلا سلاما استثناء منقطع
أي إن كان السلام يعد لغوا كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول أو لكن يسمعون قولا يسلمون فيه
من العيب والنقيصة فمنقطع وعن المبرد السلام دعاء بالسلامة أريد به الإكرام لفشوه فيه لأن الدعاء
في دار السلام بالسلامة لا معنى له ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا طرفي النهار على ما هو دأب الأفاضل توسطا
بين الزهادة والرغابة أو أريد دوامه ودروره يقول أنا عند فلان صباحا ومساء تريد اتصال الصحبة تلك
الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا منقيا من الشرك لقوله ويغفر ما دون ذلك ومن قال لا إله
إلا الله دخل الجنة عبر عن الإدخال بالإيراث لأن الإرث ملك لازم لا يمكن رده وقيل لأن الجنة جزاء
الأعمال الفانية فكأنها إرث وقيل لأنهم يرثون من الكفار منازلهم المعدة لهم لو آمنوا وما نتنزل
إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا تاركا لك كما زعمت الكفرة
روى البخاري عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل لولا تزورنا أكثر
مما تزورنا وقيل نزلت لما ترك ذكر المشيئة حين سألوه عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وأبطأ عليه
الجواب وقال المشركون ودعه ربه وقلاه رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته
تسلية له عما نسب إليه وأن مجيء جبريل ليس بإرادته بل عبد مأمور منقاد لأمر ربك فعليك بعبادته
واصطبر على أذى تشنيعه وفي إيثار الرب على سائر الأسماء الحسنى إشارة إلى أن ذلك الإبطاء تربية له
وتكميل وتحته فوائد هل تعلم له سميا شبيها يعدل إلى عبادته أو تتوجه إليه وقيل لا شريك له في الاسم
فإن لفظة الجلالة لم يطلق إلا على ذاته المقدسة وكأنه انعكس إليه أشعة التوحيد فكلت أعين المشركين
عن الحوم حوله ويقول الإنسان اللام للعهد وهو العاص بن وائل أو الجنس لوقوع الفعل بينهم كقولهم
بنو فلان قتلوا زيدا قال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
أئذا ما مت لسوف أخرج حيا من الأرض أو من الفناء أو هو من قولهم خرج فلان في العلم وخرجه فلان

زيادة [illegible] عن ابن عباس

إذا صار فيه ماهرا وهذا منهم على وجه التهكم والاستهزاء وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار لأن
إنكار الوقت مستلزم لإنكار الحيوة فيه على وجه البرهان وتعلق الظرف بفعل يدل عليه المذكور
لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبله وهي مجردة عن معنى الحال للتوكيد ولذلك صح دخولها على حرف
الاستقبال كما جردت في يا الله عن معنى التعريف وقرأ ابن ذكوان في أحد الوجهين إذا بالإخبار أولا يذكر
الإنسان عطف على يقول وسطت الهمزة بين العاطف والمعطوف والأصل فيها التقدم عليهما لأن الواو
للجمع والمقصود إنكاره وأن ذلك القول لا يجامع التذكر لأن الإعادة أهون من البدء عرفا وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم يذكر من الذكر ضد النسيان والتشديد أبلغ أنا خلقناه مفعول على الأول
ويقدر الباء على الثاني من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا فوربك لنحشرنهم أقسم بنفسه على
تحقيق البعث بعد إقامة البرهان توكيدا لوقوعه وإضافته إلى نبيه تشريفا له والشياطين عطف على
الضمير المنصوب وجعله مفعولا معه أبلغ لما في الحديث أنهم يحشرون وآثر لفظ الرب إشارة إلى أن في
الحشر إيصاله إلى كمال المتوقع وهو المقام المحمود مقرنين في الأصفاد مع الشياطين مثناة على وجوههم
والضميران كان للكفرة خاصة فالمعنى ظاهر وإن كان للأناسي عموما فالمعنى أنهم يحشرون والكفرة بينهم
مقرنين مع الشياطين ليشفي المؤمنون برؤيتهم ثم لنحضرنهم حول جهنم الكفار والناس جميعا ليرى السعداء
ما نجاهم الله منه وليشمتوا بأعدائهم فيزدادوا مسرة وحسرة جثيا حال مقدرة من المفعول والمعنى
أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم المؤمن والكافر لما يدهمهم من هول المطلع وإن كان الضمير
للكفرة خاصة فلما يحشرون جثاة على ركبهم كما كانوا في الموقف لقوله وترى كل أمة جاثية وقرأ حمزة
والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم على الإتباع أصله جثوي جمع جاث كقعود جمع قاعد ثم لننزعن من كل
شيعة فرقة من المشايعة فإن كل واحد منهم يشايع الآخر ويتابعه أيهم أشد على الرحمن عتيا أي أعصاهم
فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم إلى أن يحاط بهم من كل شيعة شيعة لأن المعنى على استمرار النزع أو رؤساء
الكفرة وأئمتهم فلا إحاطة ولا استمرار وارتفاع أيهم على الحكاية عند الخليل أي الذين يقال فيهم
أيهم أشد وعن سيبويه مبني لاحتياجه إلى الصدر صلته المحذوف وعن يونس معلق لكون النزع سببا
للتمييز والتمييز سبب عن العلم فأجرى مجراه والظاهر ما ذهب إليه سيبويه وتجوز جعل من التبعيضية
مفعولا كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي بعض كل شيعة وكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم
أشد عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا أي بعد نزعهم واجتماعهم نحن أعلم بمراتبهم ودركاتهم
فيقدم الأولى ونخلصهم من العذاب بقدر أعمالهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر الصاد على الإتباع
وهو مصدر صلي النار لازمها وإن منكم التفات من الغيبة إلى الخطاب فإن المكافحة بالوعيد أشد زجرا
أو هو ابتداء كلام من غير التفات إلى المذكور سابقا إلا واردها حاضرها الورود لغة الحضور قال تعالى
ولما ورد ماء مدين إذ لا يشك عاقل في أن موسى لم يدخل الماء وقال تعالى في حق فرعون يقدم قومه
يوم القيمة فأوردهم النار أي لحضرهم من غير دخول ولذلك قال للملائكة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب
وما روي عن ابن عباس الورود هو الدخول إن صح عنه فالمراد المرور على الصراط فوق جهنم هذا الذي
يجب اعتقاده ولا يلزم دخول الأنبياء في النار ولا يجزي عليه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فإن قلت
إذا كان معنى الورود الحضور فأي فائدة في ذكره وقد قال ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قلت إن كان الضمير في
لنحضرنهم للكفار خاصة فظاهر وإن كان عاما فالمبالغة في الإنذار ولذلك غير الأسلوب من الغيبة إلى
الخطاب وبالغ في التوكيد بقوله كان على ربك حتما واجبا أوجبه على نفسه مقضيا حكم في الأزل لا يمكن
تبديله ثم ننجي الذين اتقوا الشرك ونذر الظالمين الكافرين فيها جثيا كما كانوا حولها فإنها تنهار بهم في النار

عليه

وآثر لفظ الرب إشارة إلى أن في الحشر
إيصاله إلى كماله المتوقع وهو المقام المحمود

فالأولى

والذي يقطع مادة الشبهة ما في حديث البخاري
منهم من يمر على الصراط كالبرق [illegible] الدخول

ويفارقهم المؤمنون الى الجنة واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات المعاني ظاهرات والواجب فيه
وفي نظايره الحمل على الحال المؤكدة لان آيات الله لا تكون الا بينات قال الذين كفروا للذين
آمنوا اي في حقهم او معهم مواجهة اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا اي اذا افحموا ولم يقدروا
بعد التحدي على المعارضة اخذوا في الخرافات التي لا مساس لها بالمقام يفتخرون بما لهم من الزينة
والحظوظ الناقصة والندي والنادي موضع الاجتماع ويطلق على الجماعة المجتمعين ايضا وفي
الحديث ما كانوا ليقبلوا عامرا وبني سليم وهم الندي وعن ابي سعيد الخدري كنا انداء فخرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانداء جمع النادي وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم
مفعول اهلكنا ومن بيان لابهامها وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم من قرن
الشيء وهو اعلاه هم احسن اثاثا ورءيا الاثاث متاع البيت لا واحد له وقال ابو زيد الاثاث
المال والغنم والعبيد والمتاع الواحد اثاثة وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها
وانشد تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا والرءي حسن المنظر
فعل من الرؤية بمعنى المفعول كالطحن والذبح وقرء قالون وابن ذكوان بالتشديد بابدال الهمزة
ياء ساكنة على قياسه فاجتمع المثلان فادغم الاول في الثاني وهو من رويت من الماء اي
حسن المنظر والتنعم والاول هو المختار لكونه نصا في المطلوب قل من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن مدا لما قص وانظرهم على القاني واغتروا به مد الله لهم في العمر لئلا يبقى لهم عذر يوم
القيمة حين يقال لهم او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير واخرج الخبر في صورة
الامر الدال على الوجوب مبالغة وقلعا للمعذرة ويحتمل ان يكون دعاء كقوله ربنا ليضلوا والمعنيان
متقاربان حتى اذا رأوا ما يوعدون من نصر المؤمنين او العذاب غاية لمد العمر وقيل غاية لقول
الذين كفروا اي يستمر بهم ذلك القول والافتخار الى ان يروا ما يوعدون والآيتان اعتراض
في البين للايقاظ وتوكيدا للوعيد وحتى هي التي تحكى الجمل بعدها ولذلك وقعت الشرطية بعدها
اما العذاب في الدنيا بالقتل واما الساعة بدل من ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف
جندا اذا عاينوا غلبة المسلمين وقتلوهم شر قتلة او انكشف الغطاء عند قيام الساعة ايقنوا ا
ان الامر على عكس ما كانوا يقدرونه وانهم شر مقاما واضعف ناصرا لا خير مقاما واحسن نديا
وذكر الجند دل على ان المراد بالندي الجماعة ويحتمل ان يراد به المحل وقابل به الجند لان حسن النادي
باجتماع وجوه القوم فيه واعيانهم وفي المثل الستر في السكان والاول اظهر ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى عطف على قوله فليمدد لانه خبر في المعنى كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله
ضلالة ويزيد مقابله هدى والاولى عطفه على الشرطية بعد القول ليكون ذكرا للمقابل محكيا
ايضا اصالة والباقيات الصالحات الايمان وساير الاعمال الصالحة خير عند ربك ثوابا مما متع به
الكفرة من الحظوظ المخدجة او سمى عقابهم ثوابا تهكما على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع وخير
مردا نفعا مصدر رد نفع يقال هذا الامر ارد له اي انفع او من الرد بمعنى الصرف اي عاقبة
واسم التفضيل اما ان يراد به مطلق الزيادة او هو من قبيل قولهم الصيف احر من الشتاء والمعنى ثواب
هؤلاء اكثر من عقاب اولئك لا يخل بالتهديد لان الكلام ليس مسوقا له بل لبيان حال اهل الجنة في
مقابلة اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا
كانه قال له بعد ما قصصت حال الكفار في عقايدهم اخبر بقصة هذا الكافر فانها اعجب وانما
كانت اعجب لكونها على وجه الاستهزاء ولما كانت مشاهدة الاشياء من اقوى طرق الاحاطة بها

علما والاخبار عن الشيء مسبوق بالعلم به استعملوا الرؤية في الاخبار نزلت في العاص بن وائل
قال خباب بن الارت كنت قينا في الجاهلية وكان لي على العاص دين فاتيته اتقاضاه
فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر به حتى يميتك الله ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث
قلت نعم قال دعني حتى اموت ثم احيى فسأوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت وقرا حمزة والكسائي ولدا
بضم الواو وسكون اللام وهي لغة كالبخل والبخل والفتح اخف واشهر اطلع الغيب ام اتخذ
عند الرحمن عهدا لا يمكن الوصول الى ما ادعاه الا باحد هذين الامرين الاطلاع هو الاشراف
على الشيء فكانه زاعم انه مشرف مستعل على علم الغيب المخصوص بعلام الغيوب لفرط وقاحته على
وقيل العهد كلمة الشهادة فانها عهد بين الله وبين عباده كلا ردع له وتنبيه على انه مخطئ
فيما يعتقده سنكتب ما يقول السين لمجرد التاكيد اي قد كتبنا او سنظهر له مقالته يوم
كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ونمد له من العذاب مدا نطوله مالا نهاية له او نزيد
عذابا فوق العذاب من المدد ونرثه ما يقول مسمى قوله بان نزوي عنه ما هو فيه من
الاموال والاولاد فضلا عن الزيادة ويأتينا فردا منفردا ونحول بينه وبين هذا القول
فيأتينا رافضا له او نضبط قوله هذا في ديوان الكتبة لنضرب به وجهه في الموقف زيادة
في خزيه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم وصلة بينهم وبين الله
فان قلت كانوا كافرين بالبعث فما معنى اتخاذ الآلهة وصلة وشفعاء قلت كانوا يقولون ان صح
ذلك على سبيل الفرض لتشفع لنا وهذا مقول لطايفة وتلك مقالة اخرى وهم الدهرية
القائلون ما يهلكنا الا الدهر كلا ردع وتكذيب لمقالتهم سيكفرون بعبادتهم بقولهم
ما كانوا ايانا يعبدون او المشركون ينكرون عبادتهم كقوله والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون
عليهم ضدا اي ذلا تعكيسا لرجائهم وعونا في العذاب توقد بهم النار عليهم والعون
يسمى ضدا لانه نظير المعاني والتوحيد لوحدة المعنى الذي به مضادتهم كقوله صلى الله
عليه وسلم في المؤمنين وهم يد على من سواهم وان رجع الضمير في سيكفرون الى المشركين
فمعنى كونهم ضدا كفرهم بعبادتها والتبرؤ عنها الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
سلطناهم عليهم تؤزهم ازا تزعجهم وتهيجهم على المعاصي قال الحرزني الأز ان تحمل
الانسان على امر بحيلة ورفق ومن الاز صوت الرجل عند غليانه والمراد تعجيب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الكفرة واغترارهم بتسويلات الشياطين بعد وضوح الآيات وتماديهم
في الغي وعدم ارعوائهم فلا تعجل عليهم بان يهلكوا فتستريح انما نعد لهم عدا اي بين
ما تطلب وبينك ايام معدودة وساعات وانفاس محصورة فعن قريب تنقضي وعن
ابن عباس انه كان اذا قرأ الآية بكى ويقول آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق
اهلك آخر العدد دخول قبرك يوم نحشر المتقين الى الرحمن الى من غمرهم بالبر والاحسان
نصب باذكروا ويقدر اي نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف ويجوز تعلقه بلا يملكون
وفدا جمع وافد وهو الوارد على الملوك بالرسالة المنتظر لعطاياهم ونسوق المجرمين الى جهنم كما
تساق البهايم وردا عطاشا لان الوارد على الماء لا يرده الا للعطش لا يملكون الشفاعة
الطايفتان الا من اتخذ عند الرحمن عهدا امانا بالايمان والعمل الصالح او اذنا من عهد
اليه بكذا اذن له فيه وامره وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قول المشركين الملائكة بنات الله
لقد جئتم شيئا ادا منكرا عظيما وعن علي رايت رسول الله في المنام فقلت ما ذا لقيت

بعدك من الأَدّ والاوَد اي الشدة والاعوجاج والتفت الى الخطاب ليكافح بها لتهم
الشنيعة تكاد السموات قرا نافع والكسائي بالياء والباقون بتاء التانيث وهو المختار لعدم
الفاصلة يتفطرن منه وقرا ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر بالنون من الانفطار والتفطر
ابلغ معنى كالتهدم وتنشق الارض وتخر الجبال هدا مكسورة مضعضعة من هد كسره ان دعوا
للرحمن ولدا مجرور بدل من الهاء في منه ومنصوب بحذف الجار وافضاء الفعل علة لتكاد او
لتخر ولهدا او مرفوع بهدا اي هد دعاء الولد للرحمن والدعاء بمعنى التسمية او النسبة من الدعوة
وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ما يليق به ولا يدخل تحت الصحة لاقتضائه الازدواج والمجانسة
وهو مستحيل في حقه هذا ان اريد توالد وان اريد التبني فكذلك لعدم احتياجه وفي ابتار
لفظ الرحمن اشارة الى ان بقاءهم مع تلك المقالة مقتضى تلك الرحمة ثم قرر ذلك وبين بقوله
ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا آتي اسم فاعل من المواتاة وهي المطاوعة او
من اتى اليه رجع والمعنى كل شخص من الملائكة والثقلين منقاد مطيع لاوامره يقر بعبوديته
لان يكون له ولد لقد احصاهم ضبطهم وحفظهم وعدهم عدا عد اشخاصهم وافعالهم و
انفاسهم لم يخرج عن علمه وملكوته شيء وكلهم آتيه يوم القيمة فردا وحدا لا اتباع
ولا اموال معه يقال جاء القوم فرادى اي واحدا واحدا ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا محبة في قلوب العباد من غير اكتساب ولا مباشرة اسباب روى
البخاري عن ابي هريرة ان الله اذا احب عبدا يناديه جبرئيل اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل
ثم ينادي جبرئيل اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له
القبول في الارض والسين لان السورة مكية والمؤمنون كانوا بها ممقوتين بين الكفرة وقيل
ذلك يوم القيمة عند عرض حسناتهم ويرده الحديث وعن ابن عباس يحبهم ويحببهم فالسين
للتاكيد فانما يسرناه بلسانك بلغتك وهي العربي المبين كلام مستانف اشار به الى عظم
موقع هذه السورة لما فيها من براهين التوحيد والرد على فرق الضالين المبطلين ودلايل
النبوة وان القرآن كلامه تعالى وانما يتلوه بتيسير منه فانتظم آخر السورة باولها المشير
الى اعجاز القرآن على طريق الايقاظ والباء اما بمعنى على او ضمن التيسير معنى الانزال
لتبشر به المتقين الى الرحمن وفدا ولا حاجة الى تاويل المتقين بالصائرين الى التقوى وتنذر به
قوما لدا وتسوق المجرمين الى جهنم وردا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة وفي الحديث
ابغض الناس الى الله الالد الخصم وكم اهلكنا قبلهم من قرن ترهيب الكفرة وتشجيع له على التبليغ
هل تحس منهم من احد هل ترى منهم احدا او تسمع لهم ركزا صوتا خفيا فضلا عن القوي على الرؤية
باحد منهم والسماع بهم مبالغة لان انتفاء الرؤية عن احد يستلزم انتفاءها عن الكل والسماع
بالعكس والركز الخفاء ومنه الركاز للمال المدفون تمت ولله الحمد والمنة والصلوة على شمس
فلك السنة واصحابه نجوم الدجنة
بسم الله الرحمن الرحيم طه اما الحمزة وابو بكر والكسائي الف طا من
طه واما ل ورش وابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر هاءها لان بدليل الانقلاب في التثنية
والحرف فان اسم السورة او من حروف التهجي للايقاظ والتنبيه على الاعجاز وعن ابن جبير معناه
يا رجل بالنبطية وقيل هي لغة عك بن عدنان وقيل كلمة سريانية وقيل اصله طاها امر من
وطئ والهاء كناية عن الارض فانه صلى الله عليه وسلم كان يقف على رجل في تهجده حتى

ورمت قدماه فابدلت الهمزة الفا وعلى هذا كتبتها على صورة الحروف لموافقة اوايل السور مع ان
خط المصحف لا يقاس وقيل الحرفان على حساب الجمل اربعة عشر فكانه قال يا بدر ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى جواب القسم ان جعل طه مقسما به واستئناف ان كانا من حروف التهجي وجملة فعلية
ومنادى له ان كانا نداء وخبر مبتدا ان جعلا اسم السورة غير مقسم بهما سواء اريد بالقرآن او الجنس
لقيامه مقام العايد للاتحاد او الاندراج والشقاء التعب ومن امثالهم اشقى من رايض مهر ولا يعدم
شقي مهر املا انه يتعب نفسه بالقيام فقيل له ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وتتعب هذا التعب المفرط
الخارج عن حد الاعتدال او لما قال له ابو جهل والنضر بن الحارث انك شقي بترك دين آبايك ورد ذلك
بان القرآن سلم الى كل فوز وسعادة فالمراد به الخسران في الدين الا تذكرة استثناء منقطع علة للفعل
المذكور بدونا للام لاجتماع شرايط الحذف او مصدر في موقع الحال من الكاف او القرآن ولا يجوز ان يكون
احد الابدال او المعنى ما اشقيناك بمتاعب التبليغ ومقاساة المردة بانزال القرآن عليك الا للتذكرة
او الا حال كونك مذكرا فلا يكون الشقاء منفيا كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا لمن يخشى
لمن في قلبه خشية فانه المنتفع به وقيل لمن علم الله منه الخشية ويؤل امره اليه على منوال هدى للمتقين
تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا جعل مفعولا له لفساد المعنى او نصب باضمار فعله او على
المدح او بيخشى ممن خلق الارض والسموات العلى الى قوله له الاسماء الحسنى صفات سبقت لتفخيم
شان المنزل لانه كلام من هذه صفاته والعلى جمع العليا تانيث الاعلى وصف للسموات دال
على عظم قدرة موجدها ولما قدم الارض لكونها اقرب الى الحس وصف السموات جبرا لما فاتها
من شرف السبق التفت من التكلم الى الغيبة لان هذه الصفات انما تتاتى مع لفظ الغيبة ولانه
فخم شان المنزل باسناده الى المتكلم الواحد على وجه التعظيم ثم ثنى بالاسناد الى الموصوف بتلك
الصفات فافاد التفخيم من وجهين الرحمن على العرش استوى رفع على المدح والجملة بعده خبر بعد
خبر او خبر مبتدا محذوف والاستواء على العرش كناية عن نفاذ التصرف واجراء تدبير الكاينات على
وفق ما اقتضته الحكمة كما ان بسط اليد كناية عن الجود له ما في السموات وما في الارض وما بينهما من الاجزاء
الداخلة فيها والموجودات الخارجة عنها وما تحت الثرى وما تحت الارض من الموجودات التي لا يحيط بها
الا علمه الشامل والثرى التراب الندي لان ما فوق الارض يعتريه اليبس احيانا ولما كان ايجاد
الكاينات وتدبير امرها لا يتم الا بالعلم اشار الى ثبوته باكمل طريق وان تجهر بالقول فانه يعلم السر
واخفى منه ما خطر بالبال من هواجس النفس والمعنى فان تجهر بالقول فان الله غني عن جهرك لاستواء
الحالات عنده وفيه اشارة الى ان ذكر اللسان جهرا انما هو لاستعمال العضو فيما خلق له واسماع الغير
ليقتدي به وليشهد له يوم القيمة وايماء الى ان الاخفاء افضل الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى فباي اسم ذكرته فهو ذكر جميل ذيل به الكلام دلالة على استواء ما به الذكر من اسمايه
الحسنى كما استوى عنده كيفيات الذكر وهل اتيك حديث موسى الاستفهام بمعنى النفي ان كان
اول ما تلي عليه من قصته وان قد سبق ذكرها للتقرير والمراد تذكيره ليوطن نفسه على تحمل اعباء
النبوة وتبليغ الرسالة ومقاساة الشدايد لما قضى موسى الاجل استاذن شعيبا في زيارة امه
وكانت بمصر ولم يكن اوحي اليه بعد فاذن له فتوجه باهله وكان له منها ابنان فلما وصل الى
الوادي الايمن وكانت ليلة شاتية ذات مطر وثلج مظلمة اخذت زوجته في الولادة فضل الطريق
وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده فطفق يقدح الزند فصلد زنده اذ راى نارا ظرف للحديث لانه حدث
يصلح ان يكون متعلقا او منصوب باذكر او بمضمر اي حين راى نارا كان من الامر كيت وكيت فقال

لاهله امكثوا اي اقيموا مكانكم وقرا حمزه بضم الهاء اشاره الى الاصل والكسر لموافقة ما قبله
وهو الافصح اني آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه يستعمل في مظان الوحشة لعلي آتيكم منها بقبس
بشعلة ولما كان ابصاره مستيقنا بني الاخبار على البت والتحقيق والاتيان بالقبس كان متوقعا اذ
ربما يحول دونه مانع لم يجزم به او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او مرشدا يدلني
الى جناب القدس فان افكار الابرار مصروفة اليه مغمورة به في جميع الاحوال ومعنى الاستعلاء الاشراف
عليها من مكان قريب قال الاعشى وبات على النار الندى والمحلق فلما أتاها قيل كانت نارا
بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا ربك روي انه لما دنى منها بعدت منه فلما رأى
ذلك خاف ورجع فلما رجع دنت منه فازداد رعبا فالقيت عليه السكينة ثم كلم وتكرير الضمير
لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة وقرا ابن كثير اني بفتح الهمزة اي باني والباقون بالكسر لان النداء
ضرب من القول استدل على انه كلامه تعالى بانه سمعه من الجهات وبجميع اعضائه وعن الاشعري انه
سمع الكلام القديم ولعل فيه تجوزا والا كيف يعقل سماع ما قام بذاته تعالى فاخلع نعليك
انك بالوادي المقدس احتراما للبقعة كما يحترم الحرم والمساجد وساير الاماكن الشريفة وقيل كانتا
من جلد الحمار غير مدبوغين والتعليل ناب عنه وقيل نعليك المال والولد وقيل الدارين وذلك
نهاية مقامات العارفين طوى بدل من الوادي علم لذلك المكان نونه ابن عامر والكوفيون ومن لم
ينون لم يصرفه باعتبار البقعة وقيل معدول عن طاو وانا اخترتك للنبوة والرسالة وقرا حمزة انا مشددا
بادخال ان على الضمير واخترناك بالنون والمختار التخفيف لمناسبة ما تقدم وما تأخر فاستمع لما يوحى
اليك من الاحكام هذا كان اول بعثته صلى الله عليه وسلم انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل
مما يوحى الكلام وجمع فيه بين العقايد والفروع اهتماما تكميلا للقوة النظرية والعملية واقم الصلوة
فردها بالذكر لانها افضل الاعمال بعد التوحيد لذكري تعليل لذلك التشرف بكونها مشتملة على ذكري
الذي هو المقصود من شرع العبادة والذكر هو اللساني المقرون بذكر القلب روى البخاري من صلى ركعتين
لم يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل اي لا ذكرك بالثناء عليك كقوله يقيمون الصلوة
اقاموا الصلوة في معرض المدح او لانبي ذكرتها في الكتب المنزلة او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة وهذا
انما يستقيم اذا كان في شرعه صلوات موقتة او لذكر صلوتي اذا فاتتك نوما او نسيانا بتقدير المضاف لما روى
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ثم قرأ الآية فضاء وقال لا تفريط في النسيان
ان الساعة آتية جار مجرى التعليل للامر فانه وقت المجازاة اكاد اخفيها
عنكم والمعنى ابالغ في اخفائها فلا اخبر بالاتيان اجمالا كما لم اخبر بذلك مفصلا وقيل اكاد اخفيها عن نفسي
مبالغة في اخفائها حتى بني على امر مستحيل وايد بان الاخفاء عن الغير حاصل فتعين ذلك والحق انه
بعيد والاخفاء الواقع انما هو عن المفصل لتجزى كل نفس يتعلق باتية على الاول وبه او باخفيها على الثاني
بما تسعى بما تعمل وفي اثباته اشارة الى الجد والمسارعة في العمل فلا يصدنك عنها عن الايمان بالساعة او
اقامة الصلوة من لا يؤمن بها بالساعة او بالصلوة المقصود نهي موسى عن الانصداد اطلاقا للسبب
على المسبب والعكس لان عدم تصلبه يورث صد الكافر واتبع هواه لان عدم ايمانه لم يستند الى
برهان بل مجرد هوى فتردى من ردى بالكسر هلك من الردى مقصورا وما تلك مبتدا وخبر بيمينك
حال والعامل فيه معنى الاشارة وقيل تلك موصول والجار والمجرور صلته يا موسى نداء للاستئناس
قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي احبط بها الشجر فيتناثر منه الورق فيكون علفا
واصل الهش الخفة واللين وعن عمر بن الخطاب هششت يوما فقبلت امرأتي وانا صايم ولي فيها مآرب

المذكور في عبارات القدما ان الملفوظ والمسموع قديم والسماع واللفظ والتلاوة حادثة فلا انشكال منه وابو عمرو د

لذكري م

الصح

أخرى قيل كان ظاهر الجواب لما سيل ان يقول عصى وهي عصا وانما اطنب لان الكلام يطال مع الا...
فكيف به والمخاطب رب العزة والحق انه لم يقع منه الاطناب فانه لم يسأل عن ماهية العصا وحقيقتها
بل عما فيها من الاوصاف فاذا ذكرها مستوفاة ثم اوجد الله فيها من الصفات ما يضمحل تلك الصفات
بالنظر اليها ازداد طمأنينة بانضمام عين اليقين الى علم اليقين فهو لم يستوف الصفات تفصيلا
بل اجمل بقوله ولي فيها مآرب اخرى سالكا طريقة الادب في تلك الحضرة التي يحق الخضوع لها والمآرب
التي اجملها قيل كانت ذات محجن وشعبتين فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين
واذا سار القاها على عاتقه فعلق عليها ادواته وان كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها
والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر الرشا وصله بها وكان يقاتل بها السباع وقد ذكروا اشياء
أخر والله اعلم قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى السعي المشي بسرعة وخفة قيل لما
القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وغلظت ولذلك سماها تارة ثعبانا وهي العظيمة
وتارة جانا وهي الرقيق من الحيات وتارة باسم الجنس الشامل لهما وهي الحية قال خذها ولا تخف لما
رآها حية خاف منها بمقتضى البشرية قيل لما انقلبت حية تسعى ما كانت تمر بشجر ولا حجر الا ابتلعته
سنعيدها سيرتها الاولى السيرة فعلة من السير ثم اتسع فيها فنقلت الى المذهب والصفة يقال
من طابت سريرته حمدت سيرته وانتصابه على الظرفية او بدل الاشتمال او على المصدر اي سننشئها
عصا كما كانت تسير سيرتها الاولى اي تنتفع بها ما كنت تنتفع سابقا واضمم يدك الى جناحك مستعار
من جناح الطاير شبه يدي الانسان بجناحي الطاير لانه بهما قوام تعيشه والمعنى اضمم احدى يديك
وهي اليمنى تحت الاخرى وهي اليسرى وقيل جناحا الانسان جنباه والمعنى اضمم يدك الى جنبك
تحت العضد تخرج بيضاء قيل كان عليه مدرعة وكان رجلا آدم شديد السمرة كانه من رجال شنوءة
فاخرج يده من تحت المدرعة لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر من غير سوء صفة بيضاء او حال
من ضميرها ومتعلق بتخرج كني به عن البرص فانه ابغض شيء عند العرب آية اخرى بدل من الاولى او حال
من الضمير في بيضاء او في الجار والمجرور ويجوز ان يكون منصوبا بنحو خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى
متعلق بهذا المقدر او بما دل عليه الآية او القصة والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال
منها اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين انه طغى تجاوز عن حده قال رب اشرح لي صدري اجعله واسعا بسيطا يحتمل
الاذى ولا يعتريه الملل والضيق مما ينالني من متاعب التبليغ اصله الكشف والبسط ومنه شرح الكتاب
ويسر لي امري شاني كله بتسهيل الاسباب الموصلة الى ذلك المطلوب ابهم في الموضعين ثم فصل لارا... ة
المعنى الواحد في صورتي الاجمال والتفصيل المشتمل على التكرير المفيد للتوكيد واحلل عقدة من لساني
كان بلسانه رتة وذلك انه حمله فرعون يوما في صباه فاخذ بلحيته ونتفها فامر بقتله فقالت امرأته طفل صغير لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضر الجمر والياقوت بين
يدي موسى فمد يده الى الياقوت فضرب جبريل على يده فوقعت على الجمر فلزقت بها جمرة فوضعها
على فمه كما تري من يحترق يده يضع يده على فمه فاحترق لسانه وبقي به رتة قيل كان الحسين بن
علي رتة فقال رسول الله ورثها من عمه موسى واختلف في زوال العقدة بعد هذا
السؤال فقيل زالت بالكلية استدلالا بقوله قد اوتيت سؤلك وليس بناهض لانه لم يسأل
الفصاحة الكاملة بل قدر ما يحتاج اليه في التبليغ يشير اليه قوله يفقهوا قولي لقول فرعون ولا يكاد
يبين من لساني صفة عقدة والتقدير من عقد لساني لان العقدة للسان لا منها والظاهر
ان اللسان بمعنى القوة النطقية والجار والمجرور متعلق باحلل واجعل لي وزيرا من اهلي الوزير

الشنوءة بفتح اسم حي باليمن في بعض الروايات كانه من الزط بضم الزاي وهم صنف من السودان منه

من الوزر وهو الثقل فانه يقوم باعباء الملك او من الوزر وهو الملجأ لان الملك يلتجي اليه في الآراء
والتدابير او ماخوذ من الازر وهو القوة قلبت واوه همزة لكونه بمعنى الموازر فقيس عليه هرون مفعول اول
قدم عليه الثاني عناية بشان الوزارة فانها المطلوب اولى وزيرا مفعولان وهرون عطف بيان او بدل
من وزيرا واخي على الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر من وزيرا اشدد به ازري واشركه في امري في النبوة
قرأ ابن عامر بفتح الهمزة في الاول والاولى قراءة الجمهور بالامر فيهما في الثاني على انهما صيغتا المتكلم
والجزم لكونهما جواب الامر على انهما من جملة دعائه لكونه احرى بحاله وادعى للاجابة كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا فان التعاون في العبادة تهيج الرغبة وتجلب النشاط ولذلك شرعت الجمع والجماعات
انك كنت بنا بصيرا باحوالنا وضمائرنا وان هرون نعم المعين فانه اكبر سنا مني وافصح لسانا واحلم جنانا
قال قد اوتيت سؤلك يا موسى فعل بمعنى المفعول كالاكل بمعنى الماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى
اذ اوحينا الى امك ما يوحى ما لا يمكن علمه الا بالوحي او ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه والوحي
هو الالهام كقوله واوحى ربك الى النحل او ارسل اليها ملكا لا على وجه النبوة كما ارسل جبريل الى مريم
واما اخبار نبي في زمانها ففي غاية البعد اذ لم يكن بمصر زمن فرعون من يدعي النبوة ان اقذفيه في التابوت
فاقذفيه في اليم القذف الرمي ويستعمل بمعنى الوضع كقوله وقذف في قلوبهم الرعب والمراد الوضع
في الاول والرمي في الثاني لقوله فالقيه في اليم فليلقه اليم بالساحل الضماير كلها لموسى لما كانت
مشيته تعالى متعلقة بحصوله بالساحل وما تعلقت به ارادته واجب الوقوع جعل اليم كانه ذو ارادة
وتميز مامور بذلك واذا اراد الله شيئا هيأ اسبابه بعد ما اصلحت التابوت ووضعته فيه وقيرته
والقته في نيل مصر وكان يدخل منه نهر الى بستان فرعون وكان فرعون جالسا على شاطي ذلك النهر
اذ دخل التابوت فاخرجه فاذا فيه صبي من املح الناس فالقى الله محبته في قلبه فابقاه وكان
قد امر بقتل الولدان لما اخبره المنجمون انه يولد مولود يكون زوال ملكه على يديه فاخذ لعنه الله
بجهله يربيه لزوال ملكه وكان اجهل الناس لان المنجمين اما صادقون فلا يجدي قتل الاطفال
او كاذبون فاولى واولى والساحل شاطي البحر من السحل وهو القشر والكشط وفي الحديث سحلت ام
حكيم له كتفا فاكله ثم صلى ولم يتوضأ ياخذه عدو لي وعدو له جواب الامر والتكرار للاختلاف
النسبة والقيت عليك محبة مني كائنة مني نعت لمحبة اي خلقت حبك في قلوب الناس ومتعلق بالقيت
اي بان محبة احببتك ومن احببته احبه الخلق فان قلت كيف استقام محبة فرعون له مع اخبار الله
بانه عدوه قلت لم يكن حين احبه عدوا وايضا الحب ميل الطبع واستحسانه ورب محبوب طبعا منكر
شرعا كما قال في وصف الخليل فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ولتصنع على عيني ولتربى بمرأى مني استعارة
تمثيلية فان الامر باتخاذ شيء له به اوفر عناية يامر الصانع بان يتخذ بحضرته ومرآه وفي ايثار على اشارة
الى كمال العناية كانه فوق عينيه لا يمكن تجاوز النظر ولا زيغ البصر عنه اذ تمشي اختك كان اسمها مريم
ارسلتها امه تكشف اخباره فصادفتهم وهم يفتشون على مرضعة له فانه ما كان يلتقم ثدي المراضع
واذ ظرف لتصنع او بدل من اذ اوحينا وهو اوفق لما فيه من تعداد النعم في مقام الامتنان ولا يقدح في
ذلك اختلاف الزمان لاتساع الوقت ولا يستقيم تعلقه بالقيت لكونه محبوبا قبله ومحفوظا فتقول
هل ادلكم على من يكفله قالت فدلتهم على امه فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي
تقر عينها بلقائك ولا تحزن بفراقك وقتلت نفسا هو القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك
من الغم الذي اعتراك بقتله خوفا من الله وفرعون بان غفرنا لك والهمناك الهجرة الى مدين وفتناك
فتونا مصدر كثبور او جمع فتن او فتنة لترك الاعتداد بالتاء كبدرة وبدور وسال ابن جبير ابن عباس

عن معناه فقال خلصناك من بعد فتنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان وهذه
فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل القبطي وآجر نفسه عشر سنين وضل
الطريق وتفرقت ماشيته وكان يقول عند كل واحدة يا ابن جبير فلبثت سنين في اهل مدين لما آجر نفسه
او في اقصى الاجلين ثم جئت على قدر يا موسى على زمان يستنبأ فيه الانبياء وهو اربعون سنة واصطنعتك
لنفسي اخترتك مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك اهلا للتقريب فيقربه ويكل اليه اموره اذهب
انت واخوك باياتي مع معجزاتي التي ايدتكما بها او باحكامي التي ارسلتما بها ولا تنيا في ذكري
اي لا تفترا عن ذكري من الونى وهو الفتور فان تمشي الامور ليس الا بذكر الله يا ايها الذين آمنوا
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اذهبا الى فرعون خصه بالذكر
بعد ما قدم ارسالهما مطلقا فانه القدوة والرعايا تبع له ولذلك كتب رسول الله الى هرقل فان توليت
فعليك اثم الاريسيين فقولا له قولا لينا فانه ادعى له الى الانقياد مثل ان تقولا له هل لك
الى ان تزكى فانه نصح في صورة المشورة كان ابو منصور الدوانقي يطوف بالبيت فلقيه رجل في
المطاف وقال يا امير المؤمنين اني مخاطبك بكلام فيه شدة لا تواخذني به فقال لو قلت
شيئا من ذلك ضربت عنقك قد ارسل من هو اعلى منك الى من هو اشقى مني وقيل قولا له قولا لينا
وقيل انما امروا بذلك لانه كان له حق التربية والابوة لموسى وقيل كنياه ولا تصرحا باسمه
فانه اكثر احتراما وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة كنية ابليس والوجه
هو الاول ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك لعله يتذكر بانه مخلوق عاجز عن احداث
ذرة انى له دعوى الالوهية او يخشى ان يفضي به الانكار الى الهلاك والاول مقام الراسخين ولذلك
قدمه والجملة في محل النصب على الحال اما من الفاعل اي راجين منه احد الامرين او المفعول اي مرجوا
منه ذلك قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا يعجل علينا ويحول بيننا وبين الدعوة واداء الرسالة
من فرط القوم سبقهم وانما عداه بعلى لتضمنه الحمل والتعدي لم يكن خوفهما من القتل او لحوق
ضرر آخر بل ان ينسبا الى التقصير وان لا يجدي سعيهما بطائل او ان يطغى يزداد طغيانا ويقول
فيك ما لا يليق بجلالك لكبريائك فان الخبيث يزداد بالتحريك قبحا قال لا تخافا انني معكما بالحفظ
والكلاءة اسمع ما يجري بينكم من القول واري ما يبدو منه من الفعل والاولى ان لا يقدر للفعلين مفعول
والمعنى انني حافظ لكم سامع بصير واذا كان الحافظ سامعا وبصيرا اشتغل بالحفظ على اكمل وجه
تتميم للكلام الاول وليس من قبيل ان يري مبصرا ويسمع واع فاتياه فقولا انا رسولا ربك فوحده
في الشعراء لاتحاد المرسل فارسل معنا بني اسرائيل الى الشام موطن آبائهم ومستقر اسلافهم كانوا
تحت يد القبط رعايا يكلفونهم الاعمال الشاقة فان قلت ارسالهما كان لدعوة فرعون لقوله اذهب
الى فرعون انه طغى وقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون والاية دلت على انهما ارسلا
لطلب بني اسرائيل قلت كان ارسالهما اصالة الى فرعون وابتداؤهما بقضية بني اسرائيل من قبيل
القول اللين والتدرج من الاهون الى الاشد ولا تعذبهم بالتكاليف الشاقة وقتل الولدان قد جئناك
باية من ربك جار مجرى التعليل للارسال او التفسير لانا رسولا ربك فان دعوى الرسالة انما تثبت
بالحجة وانما وحد الاية وكان معه العصا واليد البيضاء لان القصد اظهار الحجة لا بيان كمية البراهين
والسلام على من اتبع الهدى سلامة الدارين لمن اتبع الهدى وسلام خزان الجنة حين يتلقون المؤمنين
انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى سلكا معه مسلكا لطيفا بديعا في الدعوة حيث عمما

الامر في الطرفين الهداية والضلالة لئلا يقع مواجهه منهما له بما يكره وكذلك كان شان رسول الله
في المواعظ لم يواجه احدا بمكروه بل يقول ما بال قوم يقولون كذا او يفعلون كذا وانما ذكرا العذاب
مسندا الى الوحي دون السلام لانه المقصود اصالة اكدا امره بانه لا دخل لهما في ذلك وانهما انما علماه
بالوحي وان لهما ربا اوحاه اليهما ولذلك قال فمن ربكما يا موسى خاطبه وحده لانه الاصل وهرون
ردء يصدقه او ليتفرع عنه ارادهانته لعلمه انه ارت يدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا
يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء كل موجود خلقه صورته وشكله اللائق به من الخلق بمعنى التقدير
او خليقته كل شيء يحتاجون اليه قدم المفعول الثاني لانه ادل على الاقتدار او اعطى كل شيء زوجه و
قرينه من نوعه فهو الفرد الذي لا نظير له ثم هدى بين طريق الرشاد قال فما بال القرون الاولى كذبوا
وتولوا ولم يعذبوا وكان دهريا لم يقل بالرجوع الى الله ليس عنده العذاب الا الدنيا قال علمها عند
ربي سيجازيهم بذلك او ما حالهم في السعادة والشقاوة بعد الموت بناء على زعمك في كتاب هو اللوح
المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا احال علمه بحال ما كتب واثبت في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الضلال
ان يخطئ طريق الشيء فلم يهتد اليه والنسيان ذهابه بحيث لا يخطر بخاطره وفي الحديث قال رجل لبنيه
اذا مت ذروني في الريح لعلي اضل الله اي افوته فلم يدر مكاني وقيل يجوز ان يكون قول فرعون استبعادا
لاحاطة علم الله باحوال الامم الدارجة وتفاصيل الجزئيات المتعلقة بها قياسا على نفسه الجنيئة ويكون
معنى الجواب ان علمه محيط بها لا يفوته شيء الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي وخبر مبتدا
محذوف والاحسن نصبه على المدح قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر مهادا بالالف كالبساط والفراش
لفظا ومعنى او جمع كنعل ونعال والكوفيون بالقصر اسما لما يمهد كمهد الصبي وعليه صرح الرسم والمختار المد
لاتفاقهم في الذي جعل الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا جعل لكم فيها طرقا نافذة من ارض الى ارض تكثير
للمنافع من سلكت الشيء في الشيء ادخلته فيه وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به التفت الى التكلم لان
موسى حاك كلام ربه تعالى بدليل قوله جعل لكم دون لنا وفيه ورآء الافتنان الاشارة بنون العظمة
الى انه السلطان المطاع الذي لا يتانى على ارادته شيء ولا يخرج عن قدرته ولذلك اخرج بماء واحد ازواجا
من نبات شتى اصنافا متفرقة جمع شتيت كمرضى ومريض مختلفة الالوان والطعوم والاشكال والروائح بعضها
لكم وبعضها لدوابكم ومن نعم الله ان ارزاق العباد يحصل بعمل الدواب ومالا يصلح لهم يصلح لها علفا كلوا
وارعوا انعامكم على ارادة القول حال من فاعل اخرجنا ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية
عن اتباع الباطل والركون الى ما لا دليل عليه جمع نهية وفي حديث ابي وائل لقد علمت ان التقي ذو نهية
منها خلقناكم ابتداء كلام منه تعالى والمراد خلق آدم او خلق كل احد لما في الخبر من انه تعالى اذا اراد خلق
انسان من نطفة امر الملك بان ياخذها في كفه ويعجنها بتربة قبره وفيها نعيدكم بعد الموت ومنها نخرجكم
تارة اخرى يوم القيمة عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها
وسلك لهم فيها سبلا يترددون فيها لنظم مصالحهم واخرج لهم منها اصناف النبات اقواتا لهم وعلوفا
دوابهم وهي اصلهم التي منها تولدوا وهي كفاتهم احياء وامواتا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تمسحوا بالارض فانها بكم برة مشيرا الى معنى الاية وكان يدخل على المريض فياخذ من ريقه ويخلطه
بالتراب ويمسح به المريض ويقول تربة ارضنا بريقة بعضنا تشفي بها سقيمنا ولقد اريناه آياتنا كلها
المعجزات التي اوتيها موسى اليد والعصا وفلق البحر والدم والضفادع والحجر والجراد والقمل ونتق
الجبل سهو وقدراه موسى الجميع في ابتداء الدعوة الى اوان الغرق وقيل المراد بالآيات الدلائل التي

اقامها موسى عليه من قوله اعطى كل شيء خلقه الى آخر ما ذكره وقيل اراد ما اراه وما عدد عليه من معجزات
سائر الانبياء لانه صادق لا فرق بين خبره وفعله انه مع بعده يا باه لفظ الاراءة فكذب بالآيات
كلها وابى ان يقبل شيئا منها او كذب موسى وابى قبول الحق قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك
يا موسى كلام يتلألأ من جبينه ان فرائصه ارتعدت خوفا منه لايقانه انه الرسول المؤيد الذي لو اشار
الى الجبال سارت عن مقرها والا فما قدر ساحر واحد حتى يخرج ملكا مثله من ارضه بعد ذلك التمكن والعدد
والعدد وكذا شان كل مبطل لا تراه عند الافحام يتشبث الا بما يكون هادما لدليله مظلما لدعواه
فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا مكان وعد للاجتماع فيه لا نخلفه نحن ولا انت الضمير
للوعد المدلول عليه كما في اعدلوا هو اقرب والجملة صفة موعدا مكانا ثاني مفعولي اجعل سوى صفته
مكانا عن ابن عباس معروفا وعن مجاهد منصفا يستوي بعده الينا واليك وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة
سوى بضم السين والكسر اخف واشهر قال موعدكم يوم الزينة من الاسلوب الحكيم لان يوم الزينة لهم فيه مكان
معروف يجتمعون فيه كما هو شان الناس اليوم في اعيادهم ومواسمهم وقد دل عليه تفسير ابن عباس رضي الله
عنه وقيل الموعد مصدر ومكانا نصب على البدل من المكان المحذوف مضافا الى المصدر الذي اقيم مقامه
او نصب بالمصدر الموصوف والطباق في الجواب بتقدير مضاف في الظرف الواقع جوابا اي وعدكم وعد يوم
الزينة وفيه تطويل عنه غنية بما آثرناه وكذا جعل الموعد مكانا واسناد الاخلاف اليه توسعا وطباق
الجواب معنى ويوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم كسر النيل وانما عينه ليظهر الحق على
رؤس الاشهاد ويشيع به الركبان في الآفاق وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم الزينة على تقدير مضاف
اي وقت جمع الناس فيه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكيد به موسى جمع السحرة من اطراف بلاده ثم اتى
الموعد بعد ذلك الجمع ومعه السحرة قال لهم موسى للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بنسبة آيات الله
الى السحر فيسحتكم بعذاب فيستاصلكم به وقرا حمزة والكسائي وحفص بضم التاء وبكسر الحاء والباقون
بفتحتين وهي لغة الحجاز والاولى لغة نجد والسحت الاهلاك والاستيصال ومنه سمي الحرام سحتا لانه يسحت
البركة وقد خاب من افترى وهو فرعون فتنازعوا امرهم بينهم تشاوروا واخذ بعضهم القول من بعض كقوله
يتنازعون فيها كاسا من التنزع لا من التنازع واسروا النجوى فيما بينهم ولم يظهروا لموسى وفرعون
اسم كلام بين المتسارين عن ابن عباس كان نجواهم ان كان غالبا نتبعه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه
وان كان من السماء فله شان وعن وهب لما قال ويلكم قالوا ما هذا بقول ساحر وقيل تشاوروا فيما
يعارضون به موسى فاجالوا الراي كما ترى اليوم اذا اهم الملوك امر قالوا ان هذان لساحران اظهروا
بعد النجوى هذا الكلام تشجيعا لانفسهم كما يقول القرن لمن يقاتله قد عرفت كنه امرك قرا ابو عمرو وهذين
بالياء كما هو المعروف من نصب المثنى وقرا ابن كثير وحفص بتخفيف ان وهذان بالالف على ان المخففه
غير عامله نحو ان كل نفس لما عليها حافظ وشدد نونه ابن كثير كما تقدم في سورة النساء والباقون
شددوا ان مع الف هذان وهي لغة بلحارث بن كعب وكنانة وخثعم والعنبر وزبيد يجعلون المثنى
في الاحوال الثلث بالالف فالاعراب عندهم مقدر على الالف قال الاسدي شعر
فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما وعن سيبويه ان بمعنى نعم وعن علي
كرم الله وجهه سمعت رسول الله يقول ان الحمد لله وانما اخرت اللام لصورة ان او على لغة من يجوز دخولها
الخبر كقوله ام الحليس لعجوز شهربه يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى
بمذهبكم الامثل لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم طريقة الرجل دينه ومذهبه او اشراف قومكم ارادوا
بني اسرائيل فانهم كانوا تمهروا في السحر وطريقه القوم اماثلهم حكاها ابن السكيت عن الفراء

واما الا القرء والوعد نحن والكسائي وابو بكر
الاول لكف نون واثن الاكلتين

زبيد قبيلة من اليمن من عرب رهط عمرو بن معدي كرب

اي المؤنث

ومنه قوله تعالى كنا طرايق قددًا فالوصف بالمثلى من قبيل امس الدابر فاجمعوا كيدكم احكموه
بالاتفاق عليه وقرا ابو عمرو بالوصل على نسق فجمع كيده والقطع ابلغ ثم ائتوا صفًا صفًا واحدًا
فانه اهيب وقيل صفًا مصلى علم لمكان معروف عندهم وقد افلح اليوم من استعلى علا وغلب والسين للتاكيد
قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى خيروه كما هو شان الاقران عند المبارزة
والاعلام المهرة لدى المناظرة اما لعدم المبالاة واظهار الحسن الادب وان مع بعده نصب مفعول
اضمر او رفع خبر محذوف اي الامر القاؤنا او القاؤك قال بل القوا قابلهم بمثل ما بداوه به فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي القوا بعدما اذن لهم اذا الفجائية ظرف زمان والمعنى فاجا
موسى تخيله وقت تخيل سعيها وان مع ما في حيزها قايم مقام فاعل يخيل وقرا ابن ذكوان بالتانيث
مسندا الى ضمير الحبال والعصي وانها تسعى بدل اشتمال والتذكير اشهر واسلم من التقدير فاوجس في نفسه
خيفة موسى اضمر على طريقة الجبلة وعدم الاختيار فيه كانوا سبعين الفا وبيد كل واحد حبل وعصا
لطخوها بالزيبق والقوها في واد فلما اشرقت الشمس عليها اضطربت وقيل انما خاف على الناس ان يدخلهم
شبهة قبل ظهور قلنا لا تخف انك انت الاعلى تعليل للنهي مؤكد بالاستيناف وحرف التحقيق وتعريف
الخبر وتكرير الضمير ولفظ العلو وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه اما تحقيرا اي الق هذا
الجرم الصغير الذي في قبضتك وتعظيما اي لا تبال بتلك الكثرة والق هذا العظيم الشان الذي بيدك
تلقف ما صنعوا من الحبال والعصي اصله تتلقف حذف منه التاء وقرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان بالرفع
على الاستيناف او على الحال المقدرة وحفص بالتخفيف مضارع لقف واصل اللقف الخفة واخذ الشيء بالسرعة
يقال غلام ثقف لقف اي حاذق خفيف والتشديد مع الجزم ابلغ واسلم من التقدير انما صنعوا
زوروه كيد ساحر قرا حمزة والكسائي كيد سحر اي ذي سحر وجعلوا لتوغلهم في السحر عينه او اضافة
الكيد للبيان كعلم فقه والتنكير لتنكير المضاف لانه في نفسه معروف كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت
وانما وحد لانه اريد الجنس وكذلك ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي مكان سلك فالقي السحرة
اي بعد تلقف العصا ما صنعوا سجدا شكرا لله على ان هداهم وعن عكرمة لما سجدوا راوا في سجودهم منازلهم
في الجنة والفاء دلت على انهم لم يترددوا في الايمان بعد تلقف العصا قالوا امنا برب هرون وموسى
قدموا هرون لانه ردء يصدق موسى فالايمان به يستلزم الايمان بموسى من غير عكس وقيل لانه
كان اكبر سنا او لان موسى ربى فرعون فلو قدم اوهم انه ربه قال امنتم له لموسى انكار منه واللام
لتضمين الفعل معنى الاذعان قبل ان اذن لكم في الايمان انه لكبيركم الذي علمكم السحر استاذكم واهل مكة
يسمون المعلم بالكبير قيل كان شبهته ان السحرة كانوا اثنين وسبعين الفا الاثنان من القبط وسايرهم
من بني اسرائيل قوم موسى فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليمنى مع اليسرى من ابتدائية لان القطع الواقع
على موضع الخلاف مبدا له فكانه ابتداء منه ولاصلبنكم في جذوع النخل على جذوعه شبه استعلاء
المصلوب باستقرار المظروف في الظرف بجامع التمكن واللزوم فاستعار له في قيل هو اول من صلب واختار
النخل لكونه اطول الاشجار فالمصلوب عليه اظهر وامره اشهر ولتعلمن اينا اشد عذابا مني ومن موسى
لقوله امنتم له واللام في كلام الله مع الايمان لم يقع استعماله لله وابقى ادوم قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا
من البينات المعجزات الواضحات والجمع اما باعتبار احوال العصا من انهم راوها بحرسة وهو نايم
وبتلقفت تلك الاجرام ولم يزد حجمها واما لانهم لما سجدوا وانكشف لهم عالم الملكوت راوا امورا
خارقة والذي فطرنا عطف على ما جاءنا قدم عليه اهتماما واعتناء بشان المعجزات او قسم على عدم ايثارهم
اياه وهو معنى حسن فاقض ما انت قاض الذي انت قاضيه او مدة قضائك وايام حكمك انما تقضي هذه

الحيوة الدنيا في هذه الحيوة الدنيه تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
من الكفر والمعاصي لم يقولوا امنا برب هرون وموسى كما قالوه اولا بل وصفوه بانه ربهم الذي
اوصلهم الى ذلك الكمال واكرمهم باجزل النوال وما اكرهتنا عليه من السحر فانهم لما راوا العصا
تحرسه وهو نايم قالوا له ان هذا ليس بساحر فان الساحر اذا نام بطل سحره والله خير وابقى اي خير
ثوابا وادوم عذابا من عذابك الذي توعدتنا به انه الشان من يات ربه مجرما بان يموت
كافرا فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى لا يموت فيستريح ولا حيوة نافعة ومن ياته مؤمنا قد عمل
الصالحات في الدنيا فاوليك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات
الدالة على الاقامة التي هي المدلات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حالان والعامل فيهما
معنى الاشارة وذلك جزاء من تزكى تطهر من الشرك عن ابن عباس من قال لا اله الا الله قوله
انه من يات الى هنا ابتداء كلام منه تعالى بعد تمام مقالة السحرة ترهيبا وترغيبا او من كلام
السحرة وعلمهم بذلك اما من موسى لما دعا فرعون الى الله واما انه تلقوه من سلافهم من كلام الانبياء
ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي لما عالج فرعون واراه الايات ولم يزد الا طغيانا امر
ان يسري بني اسرائيل وقرا نافع وابن كثير بالوصل وهما لغتان سرى واسرى ذهب بالليل والقطع
اولى وفاقا للمجمع عليه فاضرب لهم طريقا في البحر اجعل لهم من قولهم ضرب له بسهم في ماله وضرب
اللبن اتخذها من الطين يبسا يابسا مصدر وصف به مبالغة لا تخاف دركا لحوقا من فرعون وجنوده
ولا تخشى الغرق حالان من الفاعل وقرا حمزة لا تخف بالجزم خطابا على انه نهي او جواب الامر
وعطف لا تخشى اما على لغة من لم يحذف حرف العلة بالجازم كقوله الم ياتيك والانباء تنمى
او الالف للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا وحسنه توافق رؤس الاي او الجملة في محل الحال
اي خاشيا الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده ادركهم ملتبسا بجنوده الباء للمصاحبة لقوله اتبعهم
فرعون وجنوده يقال اتبع القوم اذا ادركهم بعد سبقهم فغشيهم من اليم ما غشيهم مالا يمكن
الاحاطة بكنهه تقول اذا فخمت شيئا وكان من الامر ما كان الضمير للجنود لان فرعون القى الى الساحل
واضل فرعون قومه عن طريق الرشاد وما هدى نهكم به لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او ما
هداهم في البحر فانه لما راه منفلقا قال ادخلوه فانه قد انفلق خشية مني يا بني اسرائيل قد انجيناكم
من عدوكم خطاب لهم بعد غرق فرعون وقيل لاعقابهم في زمن رسول الله ﷺ والاول هو
الوجه لانه في اثناء قصة موسى وتعداد النعم عليهم بعد الانجاء وواعدناكم جانب الطور الايمن
لانزال التورية وصف بالايمن لكونه موضع المناجات مع الحق ومنزل التورية ونزلنا عليكم المن
والسلوى في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وقرا حمزة والكسائي انجيتكم
وواعدتكم ورزقتكم بتاء التكلم والنون افخم معنى واقرب مناسبة لقوله ونزلنا ولا تطغوا فيه
فيما رزقناكم بالاخلال بالشكر والتجاوز الى السرف والاشر فيحل عليكم غضبي يجب ويلزم ومن يحلل
عليه غضبي فقد هوى هلك من الهوى وهو السقوط من مكان عال وقيل هوى وقع في الهاوية
وقرا الكسائي بضم الحاء في الاول واللام في الثاني من حل بالمكان نزل والكسر اخف ولذلك
اتفقوا في ام اردتم ان يحل عليكم ويحل عليه عذاب مقيم واني لغفار لمن تاب من الشرك وامن
بما يجب الايمان به ارشدهم الى التوبة بعدما بين لهم حلول عقابه بمن عصى وطغى وعمل صالحا
ثم اهتدى استقام على التوبة وما اعجلك عن قومك يا موسى واعد الله تعالى بعد غرق فرعون

اوله يوم تزيا النفوس ما اعدت من الزاد الامور عنت

حواه العجاج بالعين

في قوله سبحان الذي اسرى

ولكنه ثم اخرج …

ان يكلمه على الطور ويؤتيه كتابا فيه تبيان كل شئ وامره باختيار سبعين من نقباء بني اسرائيل
ليسمعوا كلام الله تعالى فاختار النقباء وخلف هرون على بقية بني اسرائيل وكانوا ستمائة الف
فلما فارق موسى بني اسرائيل تعجل شوقا الى الموعود فسبق القوم سأله تعالى عن سبب العجلة والتقدم
على النقباء قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى لما كان السؤال للانكار على العجلة
التي هي نقيصه يتضمن الانكار على السبب الباعث اجاب اولا بان ليس هناك ما يسمى عجلة وانما
تقدمت بخطى يسيرة كما هو شان الوفود يكون رئيسهم امامهم واما السبب فرضاك فان المسارعة
اليها من اهم الامور ونفسير القوم بمن تخلف مع هرون يرده لفظ الاثر وان الموعد كان مشروطا
بحضور من اختاره قال فانا قد فتنا قومك من بعدك مرتب اي عقب تقصيرك ابتلينا قومك المخلفين
كان واعدهم اربعين يوما فلما مضى عشرون عدوها لغباوتهم اربعين بلياليها وكان هذا الاخبار
لموسى عند مقدمه قبل مضي ذلك العدد بناء على ان ذلك من المترقب المنزل منزلة المتحقق
او اثر ما غاب موسى اخذ السامري في اسباب ذلك فكان بداء الفتنه موجودا واضلهم السامري
منسوب الى سامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض الامور قيل كان من اهل باجرما وهي قرية
بقرب الموصل وقيل كان علجا من كرمان منافقا اظهر الاسلام واسمه موسى بن ظفر من قوم يعبدون
البقر فرجع موسى بعدما مضى الاربعون واوتي التورية الى قومه الذين كانوا مع هرون غضبان اسفا
ممتليا غضبا او حزينا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا خلف فيه وان يؤتيكم التورية فيها
تبيان كل شئ افطال عليكم العهد يريد زمان مفارقته منكرا ذلك او طال عليكم زمان العافية
وتوالي النعم بعد ان كنتم في اسر فرعون ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي
وعدكم اياي بالثبات على الايمان واسناد الوعد الى موسى بمعنى وجدتم الخلف في وعدي برده قولهم
قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا قرا حمزة والكسائي بالضم ونافع بالفتح مصدر ملكت فهو ما لك
والضم مجاز لعدم تحقق معناه ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم قوم فرعون كانوا استعاروا
الحلي منهم لعيد لهم وخافوا ان ردوها يعلموا بخروجهم ولذلك سموها اوزارا لان مال المستأمن
حرام ولان الغنايم لم تحل الا لهذه الامة قرا نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الحاء وكسر الميم
مشددة فقذفناها تلك الاوزار في النار فكذلك القى السامري كما القينا وهواته كان اخذ من موطئ
قدم فرس جبرئيل قبضة من التراب فامرهم بان حفر واحفرة وقذفوا فيها الحلي فالقي هو تلك التربة
واوهمهم انه انما القى الحلي فاخرج لهم عجلا على صورة العجل جسدا له خوار الخوار البقر فقالوا
السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي موسى ان يطلبه هنا وذهب
لطلبه في الطور ونسي السامري ما كان عليه من الاسلام وتركه والفاء فصيحة على الوجهين افلا
يرون ان لا يرجع اليهم قولا فضلا عن انشائه ابتداء ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا بوجه ابتداء كلام
منه تعالى لبيان غباوة بني اسرائيل ومخالفتهم العقل وقول هرون وكفرهم بالله الذي خلقهم
واعتقادهم الحلول في جسم حيوان يضرب بجهله المثل ولقد قال لهم هرون من قبل ان يقول السامري
هذا الهكم علم من غباوتهم اول ما وقع عليه بصره انهم يقعون فيما وقعوا فبادر الى تحذيرهم وقبل
رجوع موسى يؤيده قوله يا قوم انما فتنتم به وقولهم لن نبرح عليه عاكفين وان ربكم الرحمن الذي
افاض عليكم جلايل النعم فاتبعوني واطيعوا امري بالثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه عاكفين
حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا عن طريق الرشاد الا تتبعن في نصرة الدين

رد على الاماه
والنبي

والمحاماة له ولا مزيد افعصيت امري اذ قلت لك اصلح ولا تتبع سبيل المفسدين قال يا ابن ام نسبه
اليها استعطافا بانهما كانا في بطن واحد وارتضعا ثدي ام وقيل بل كان اخاه من امه وقرا بكسر
ميم ام ابن عامر وحمزه والكسائي وابو بكر لا تاخذ بلحيتي ولا براسي كان موسى كما اشتهر عنه شديد
الغضب في الله متصلبا لما راي بني اسرائيل قد عبدوا العجل بعدما راوا الايات لم يتمالك ان القى الالواح
وشافه شقيقه بما يكره واخذ بلحيته التي اشرف محاسنه كما ياخذ العدو من عدوه روي ان هرون
يدخل الجنة بلحيته تضرب الى سرته اكراما لها لما لقي في الله ما لقيت اني خشيت ان تقول فرقت
بين بني اسرائيل ان لو قاتلتهم بمن معي كان معه ممن لم يعبد العجل اثنى عشر الفا ولم ترقب قولي
في الاصلاح فصبرت حتى ترجع اليهم ورايت ذلك اضم للنشر واحفظ للدهماء مع انني بالغت في
النصح حتى بلغ السيل الزبى كما اخبر الله عنه ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قال فما خطبك
يا سامري بعد ان ظهر له عذر اخيه توجه اليه لانه جرثومة الفساد اي ما كان غرضك فيما فعلت
والخطب الامر الخطير الذي يقع لاجله التخاطب قال بصرت بما لم يبصروا به بصرت بالشئ علمته وقرا
حمزة والكسائي على الخطاب يريد موسى ومن كان معه والوجه الغيبة لان الغرض عدم رؤيته
الحاضرين بعد ذهاب موسى فقبضت قبضة من اثر الرسول يريد جبرئيل وقرئ بالصاد فالاول للاخذ
بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع وانما لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرئيل او اراد تنبيهه
على الوقت وهو وقت ارساله ليذهب به الى الطور او حين ارسل لاغراق فرعون فانه كان راكبا
فرس الحيوة وهي الرمكة التي تسمى حيزوم وكان ركبها يوم بدر مع رسول الله قال
قاتل ابي جهل حين ضربته سمعت راكبا يقول تقدم حيزوم فضربه بمقرعة على راسه قال رسول
الله ذاك جبرئيل فنبذتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي زينته قال فاذهب فان لك في الحيوة
ان تقول لا مساس ابتلاه الله ببلية عظيمة وهي انه كان اذا مس رجلا او امراة حصل الحمى
للماس والممسوس وكان لم يزل يقول لا مساس خوفا من حصول الحمى فبقي وحيدا طريدا كالوحش
وان لك موعدا لن تخلفه وهو عذاب يوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو لن تخلفه بكسر اللام
اي لن تجد الله مخلف وعده من اخلفت زيدا وجدته مخلفا الوعد كاحمدته وجدته حامدا والفتح
احسن واشهر ومال الكسر اليه معنى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ملازما على عبادته من الظلول
خصه بالذكر لانه مشاهد ولانه اذا عكف عليه بالنهار فالليل اولى لانه محل العبادة لنحرقنه بالنار
ثم لننسفنه في اليم نسفا نذرينه ذري الرماد وهذه كانت عقوبة اخرى له ليشاهد معبوده رمادا
اذل من التراب انما الهكم المستحق للعبادة الله وحده الذي لا اله الا هو المنفرد بالالوهية وسع كل شئ
علما احاط علمه بكل شئ كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق اي كقصة موسى نقص عليك على ابلغ
النظام ساير القصص من احوال الامم الماضية تكثيرا لمعجزاتك وتاكيدا للحجة على من عاندك وزيادة
استبصار لمن آمن بك وثابعك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا فيه ذكر الوقايع الماضية والامم
الدارجه او كتابا فيه ذكرك وشرفك كقوله كتابا فيه ذكركم وفيه اشارة الى ان التفكر فيه يورث
السعادة وتفسيره بالصيت والذكر الجميل لا يلايم قوله من اعرض عنه اي عن القرآن والاعتبار
والاتعاظ بما فيه فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيله سميت وزرا لانها جزاؤه خالدين فيه
في ذلك الوزر وساء لهم يوم القيمة حملا في ساء ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف لدلالة
السابق عليه اي ساء حملا وزرهم وجعل ساء بمعنى حزن واللام في لهم للبيان كما في هيت لك
لان خلودهم في النار حزن واي حزن يفوت المبالغة مع ان اللام ناب عنه يوم ينفخ في الصور بدل

ذكره الغزالي في الاحياء.

من يوم القيمة لانه اشد هولا وقراء ابو عمرو بالنون على بناء الفاعل وهو ابلغ تحذيرا لاسناده الى ذاته
ما يباشره الملائكة بامره ونحشر المجرمين يومئذ زرقا زرق العيون لان الزرقة اوحش الالوان عند العرب
ولذلك يقولون فى ذم العدو ازرق العين اصهب السبال اسود الكبد او عميا لان حدقة من ذهب نور عينه
تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملاء صدورهم من الرعب ان لبثتم الا عشرا يستقصرون
مدة لبثهم فى الدنيا لما يعاينون من الاهوال فيتذكرون ما كانوا فيه من الدعة والنعم فيتاسفون عليها
وايام السرور قصارا ولانهم يوقنون بالخلود وما نسبة الفانى وان طال الى ما لا نهاية له وقيل ارادوا
اللبث فى القبور لقوله لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث نحن اعلم بما يقولون من مدة مكثهم اذ
يقول امثلهم طريقة رايا ان لبثتم الا يوما فضله عليهم لكونه اعلم بفظاعة الامر وشدة العذاب
ويسالونك عن الجبال قيل السائل رجل من ثقيف فقل ينسفها ربى نسفا عن ابى زيد يقلعها
قلعا وكذا عن الخليل وابى عبيدة وقيل يجعلها كالرمل تذروه الرياح فيذرها قاعا يترك مقارها مكانا
واسعا يعلوه الماء صفصفا مستويا لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا الوصفان الاولان
باعتبار الحس وهذا باعتبار القياس اي لو قاس ماهر فى الهندسة لم يجد عوجا فى اجزائها ولا ادنى ارتفاع
ولذلك اثر العوج بكسر العين الذي يكون فى المعانى كانه قيل لا يعقل فضلا عن الاحساس وقيل لا ترى
استيناف لبيان الحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت او بدل من يوم نحشر بدلا ثانيا ويسالونك
استطراد وله موقع حسن عند ذكر الحشر يتبعون الداعى الى المحشر هو اسرافيل يقف على صخرة بيت
المقدس وينادي ايها الناس هلموا الى المحشر يقبلون الى صوته من كل اوب لا عوج له اي لا يعوج عنه
مدعو واستعماله باللام لان الفعل كما يختص بالفاعل تقول لا اضرب لزيد كذلك بالمفعول وخشعت
الاصوات للرحمن ذو الاصوات او مستعار للخفض فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت
اخفاف الابل او صوت اقدامهم كانهم بكم من شدة الخوف يومئذ بدل ثالث من يوم القيمة وفيه ترقى حسن
لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن رفع بتقدير المضاف على البدل اي الا شفاعة من اذن له الرحمن
ونصب على المفعول اي لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن الرحمن ان يشفع له ورضى له قولا قول الشافع له
او فى حقه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما يستقبلونه ولا يحيطون به علما
بمعلوماته او بذاته او بمجموع ما ذكر فانهم وان علموا منه شيئا لا يحيطون بتفصيله ولا بخفايا بواطن
ما علموه مفصلا وعنت الوجوه للحى القيوم ذلت وخضعت ومنه العانى للاسير وفى الحديث اتقوا
الله فى النساء فانها عوان فى ايديكم والاسناد الى الوجوه لانها اشرف الاعضاء واريد بها الذوات
كقوله ويبقى وجه ربك والظاهر العموم وقيل الوجوه عظماء الكفرة وقد خاب من حمل ظلما كفرا الجملة
حالية لكونها فى مقابلة قوله وهو مؤمن والاولى جعلها معترضة والتقابل المعنوى كاف ومن يعمل
من الصالحات بعضها وهو مؤمن اذ يدون الايمان لا يعتد بعمل فلا يخاف ظلما نقصا من ثوابه الموعود
وقراء ابن كثير فلا يخف بالجزم نهيا وقراءة الجمهور اوكد لكونها اخبارا من اصدق القائلين به ولا هضما
هضم النفس وضعها عن مرتبتها والمعنى لا تخاف نقصان الثواب ولا حط الدرجة والمنزلة اصله الكسر
وقيل الظلم منع الثواب والهضم نقصانه وكذلك انزلناه قرانا عربيا عطف على كذلك نقص عليك
اي ومثل هذه الآيات فى الوعد والوعيد انزلنا القرآن كله عودا الى ما بداء به السورة من وصف القرآن
بالصفات الكمالية فان حديث موسى كان متصلا بقوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فانتظم الكلام
احسن انتظام وصرفنا فيه من الوعيد والحال انا قد كررنا فيه آيات الوعيد من بيانية لعلهم يتقون
يبلغون به التقوى التى هى نهاية مقامات العارفين او يحدث لهم ذكرى عظة وانزجارا فى الجملة

والتنويع والامر داير على التخلية والتحلية فتعالى الله فى ذاته وصفاته استعظم ان لا يكون
انزال القران وما صرف فيه من الوعد والوعيد بالغا حد الكمال وفيه استدعاء لمن كان له قلب ان
يقبل الى تعظيم كلامه ويتوجه اليه بشراشره الملك الحقيقى النافذ امره ونهيه وفيه دلالة
على ان ما فى القرآن من قوارع الوعيد سياسات الهية من تحاماها فاز وسلم ومن تخطاها باد وندم
الحق الدايم اللازم الدهومية فى ذاته وصفاته وفيه اشارة الى ان ما فى القرآن من الوعد والوعيد
حق لا يحوم حول حماه الباطل وان المحق من كان ممتثلا لاوامره والمبطل من لم يتعظ بزواجره وتمهيد
للنهى عن العجلة بقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه فان ذلك يخل بتعظيمه روى
البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من الوحى شدة
وكان يحرك شفتيه عند تلاوة جبرائيل عليه يبادر الى الاخذ حذرا من فوت شئ منه فنهى عن ذلك
وآمنه الله من ذلك الخوف بقوله فاذا قراناه فاتبع قرانه فاتبع قرآنه ثم علينا بيانه لا انه نهى عن تبليغ
المجمل قبل البيان او كم مجمل بلغ قبل البيان ناهيك بيان الخيط الابيض بالفجر بعد برهة من الزمان
والبقرة من اواخر القرآن نزولا وقل رب زدنى علما بدل العجلة فان ما اوحى اليك محفوظا لا يفوتك منه
شئ لم يامره بطلب الزيادة قط الا فى هذه الآية اظهارا لشرف العلم ولقد عهدنا الى آدم اى امرناه مع ما فى
لفظ العهد من المبالغة لدلالته على الحفظ عطف على قوله وصرفنا فيه من الوعيد دلالة على ان عصيان هؤلاء
ليس لنقص منك فى التبليغ او لنقصان فيما بلغتهم من القرآن بل ذلك لما يقتضيه شانهم فان اباهم آدم خاطبناه
كفاحا وبينا له عداوة ابليس صراحا من قبل من قبل هؤلاء فنسى العهد عن قريب ولم يتثبت واغتر بقول
العدو حتى تورط فيما تورط ولم نجد له عزما على ما امر به وتصميما وتصلبا على ما عهد اليه بحيث
يوئس الشيطان عن اقترابه والوسوسة اليه او لم نجد له عزما فيما اتى به بل كان ذلك خطا منه والوجه
هو الاول ولم نجد ان كان من وجد الشئ علمه فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود نقيض العدم فله حال
من عزما كانه قال عدمنا عزمه واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم والمعنى اذكر ذلك الوقت ليظهر لك
نسيانه وعدم كونه ذا عزم مفصلا وفيه اشارة الى ان ما اكرمه به من اسجاد الملائكة كان من
البواعث التامة على التحفظ بالعهد فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه ابى استكبارا
استيناف كانه قيل لم لم يسجد فقلنا بعد الاباء يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة
فلا يكون سببا لخروجكما النهى لها فى المعنى عن اتباعه توكيدا للامر بالثبات والعهد السابق فتشقى او زد
بالذكر لان شقاءه مستلزم لشقائها او لان المراد بالشقاء التعب فى طلب المعيشة وذلك الى الرجال
فانهم قوامون على النساء قيل لما اهبط جاءه جبرئيل بثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق
عن جبينه ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى لوجود الماكل والملابس من غير سعى ومباشرة اسباب وانك
لا تظمؤا فيها ولا تضحى لوجود الانهار والقصور يقال ضحيت الشمس اذا برزت من الضحى
والضواحى النواحى البارزة عطف على ان لا تجوع مع عدم جواز دخول ان على ان لان الواو نايب عنه
والمستكره دخوله صورة ذكر نقايض مطالبه منفية ولم يات بتلك المطالب صريحا لتذكر باسباب
الشقاء الذى حذره منه فان قلت لم لم يذكر الظما مع الجوع الذي هو قرينه قلت الشبع والكسوة
اصلان والاخيران متممان مع ان الشبع اكتناء بمعنى الرى الى قوله شعر فاكنت عظام مرى
ما كان ليشبع طاير وقراء نافع وابو بكر وانك بالكسر عطفا على ان لك ويقال وسوس له فوسوس اليه
الشيطان انهى اليه الوسوسة ويقال وسوس له باللام فعل الوسوسة لاجله قال يا آدم هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى بيان لوسوسته ولذلك لم يعطف عليه وشجرة الخلد من اكل من ثمرها لم يمت على زعمه

كذا نسخة الكل ... وليس فى ...
السلام

وروى ابو داود عن ابي هريره ان في الجنة شجرة تسمى شجرة الخلد والبلى الضعف والزوال من بلي
الثوب بكسر اللام قال العجاج والمرء مبليه بلا السربال كرّ الليالي واختلاف الاحوال
فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة طفق يفعل كذا شرع من افعال
المقاربة والخصف الزاق الشيء فوق آخر من خصف النعل خرز عليه الخصاف والورق ورق التين
قيل كان مدورا فصار من تحت اصابعهما على هذا الشكل وعصى آدم ربه بارتكاب مانهاه عنه فغوى
فاخطا طريق الرشاد حيث اغتر بقول العدو وترك نصح السيد الرؤف ثم اجتباه قربه من الجبايه وهي
الجمع فتاب عليه قبل توبته بعد ما تاب اليه او وفقه للتوبة وهدى ارشده الى الاستقامة وعدم
الوقوع في زلة بعدها وما صدر من آدم وان كان على سبيل النسيان عبر عنه بالعصيان والغوايه
مالان حسنات الابرار سيئات المقربين واما ليكون لطفا بالسامعين وايقاظا لهم فان صفيه الذي
اسجد الملائكة له اذا بدا منه صغيرة على وجه النسيان جرى عليه هذا فانظروا انتم ايها المصرون على
الذنوب واعتبروا قال اهبطا منها جميعا الخطاب لادم وحوا بعضكم لبعض عدو يريد اولادهما لانهما
اصل البشر فخوطبا مخاطبتهم فاما يأتينكم مني هدى كتاب اورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في
الدنيا ولا يشقى في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه ضمن الله لمن اتبع القران ان لايضل في الدنيا
ولا يشقى في الآخرة ثم تلا الآية ومن اعرض عن ذكري الهدى الذي هو سبب ذكره فان له معيشة ضنكا
وذلك ان المؤمن وان قل ما له متوكل على الله شاغل وقته فهو بما اوتي شاكر فرح وصدره منشرح
والمعرض عن ذكر الله وان اوتي مالا لم يزل مكدودا ساعيا في الجمع والازدياد لايهنا بعيش محروم لاينال
مايريده خسر الدنيا والآخرة ونحشره يوم القيمة اعمى لايبصر شيئا او لاحجة له قال رب لم حشرتني اعمى
وقد كنت بصيرا امال حمزة والكسائي الف اعمى اولا وثانيا وامال ابو عمرو الاول دون الثاني
ليوافق الاول رؤس الآي قال كذلك اي كما تقول فعلت ثم بين ذلك وعلله بقوله اتتك اياتنا
فنسيتها تركتها وتعاميت عنها وكذلك اليوم تنسى تترك على عماك جزاؤك من جنس عملك وكذلك
نجزي من اسرف اى مثل جزاء هذا القايل نجزي كل مسرف منهمك في اتباع الشهوات معرض عن تدبر
الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بعد مجيئها ولعذاب الآخرة اشد فظاعة والما وابقى وادوم من
حشره اعمى بعد ضيق العيش في الدنيا او الحشر اعمى لايزول اشد من ضنك العيش المنقضي او تركنا
اياه في العذاب اشد من تركه الآياتنا وابقى وليس بوجه ولا القول بانه اذا دخل النار زال عماه
ليرى موضعه افلم يهد لهم الله او الرسول كم اهلكنا قبلهم من القرون مفعول الهداية معنى كانه
قيل اولم يبين الله لهم مضمون هذا الكلام وقد علق لكونه في معنى الاعلام او الجملة فاعل لم يهد
ومفسر لفاعله دال عليه وهي الكثرة يمشون في مساكنهم يريد قريشا يمرون على آثارها لكبن من عاد
وثمود في اسفارهم ان في ذلك لآيات لاولى النهى العقول الناهية عن التغافل والتعامى ولولا كلمة
سبقت من ربك بتاخير العذاب لكان العذاب لزاما ملازما لهم لم يعيا رقهم طرفة عين لتكامل اسبابه
قال ابو ذويب فلم تر غير عادية لزاما اي ملازما واجل مسمى لاعمارهم عطف على كلمة
او على ضمير كان المستكن لوجود الفاصل والمعنى لولا كلمة سبقت بتاخير العذاب لكان العذاب واجل
مسمى لازمين معا ولم ينفرد الاجل عن العذاب العاجل فاصبر على مايقولون في الله وفيما جئت به من القرآن
وسبح بحمد ربك نزهه عما لايليق بجلاله شاكرا نعمه هدايته او صل وانت حامد ربك الذي وصلك
الى هذا الكمال قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فان الذكر فيهما اشرف لكونهما اشرف الاوقات
اوصلوة الفجر وصلوة العصر لقوله ان قرآن الفجر كان مشهودا اوقوله صلى الله عليه وسلم من فاته

فايدة النفي ولا
[illegible] له

العادة بهم يعدون على
[illegible] منه

صلوة العصر فكانما وتر ماله واهله ومن آناء الليل ساعاته جمع انى بالقصر والكسر واناء
بالمد والفتح فسبح نزهه الله وقدسه او صل فيها فان الوقت رايق والقلب فيه اجمع لعدم الشواغل
والنفس مايلة الى الاستراحة فالعبادة فيها احمز ان ناشية الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا
واطراف النهار وقبل الطلوع وبعد الغروب فيتكرر ذكر صلوة الصبح والمغرب وانما جمع الطرف
وللنهار طرفان لامن الالباس مع ما في ذلك من زيادة البيان اولارادة جنس النهار او التطوع
في اجزاء الطرفين من نصفي النهار لعلك ترضى بما يعطيك ربك وقرا الكسائي وابو بكر ترضى على
بناء المفعول اي لعل الله يعطيك ما يرضيك او تكون مرضيا عنده والمختار بناء الفاعل ولعل
للتحقيق من الصادق المنفصل لاسيما والخطاب مع المقرب المفضل وتمام رضاه بقبول شفاعته
في امته ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به نظر عينيك لم ينه عن النظر بل عن مده وتطويله فان من بادة
النظر الى الشيء ليحيط به علما ثم كف النظر غير ملام وانما المنهى استغراق النظر فيه اعجابا به وتمنيا
ان يكون له مثله كما قالت نظارة قارون يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وقال الذين اوتوا
العلم ويلكم ثواب الله خير وقد شدد العلماء واهل التقوى في النظر الى ابنية الظلمة ومراكبهم وشاراتهم
فانه اغراء لهم على طلب الزيادة والتعمق فيها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة مفعول متعنا ويجوز ان يكون
حالا من الضمير المجرور في به اي لاتمدن عينيك الى الممتع به وهو اصناف بعضهم او ناسا منهم على ان من تبعيضية
زهرة الحيوة الدنيا مفعول ثان لمتعنا لتضمينه معنى الاعطاء والباء للسببية اي لاتمدن عينيك
الى المال الذي اعطينا بسببه اصنافا من الكفرة زهرة الحيوة الدنيا اي بهجتها وزينتها او بدل من ازواجا
بتقدير مضاف ومن المجرور في به الابدال من العايد الى الموصول مختلف فيه والاحسن نصبه على الذم
لاضافتها الى الحيوة الدنيا المذمومة فمن اكتحل بنور الهدى يرى تحقيرها والازدراء بها من اقرب القرب
لنفتنهم فيه لنبلوهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك خير وما رزقك من الهدى والنبوة خير
من ذلك الحطام فان الالتذاذ به روحاني مع قطع النظر عن فايدته في الآخرة وقيل ما ادخر لك من الثواب وابقى
وادوم فان ما بايديهم يصيبه الآفات ويفنى بالانفاق ومالك يزداد وأمر اهلك بالصلوة اهل بيتك او
امتك فانك راع وكل راع مسؤل عن رعيته وفي امرهم بها اعانة له ايضا فان الجماعة تشد بعضهم
بعضا ويزداد الانسان نشاطا بخلاف الانفراد فانه يورث الفتور وليشاركهم في الثواب فان الدال
على الخير كفاعله واصطبر عليها تحمل المشاق في المداومة عليها لا نسئلك رزقا ان ترزق نفسك واهلك فان ذلك
علينا ففرغ بالك لامر الآخرة نحن نرزقك ومن وجب عليك القيام بامره عن عروة بن الزبير انه كان
اذا رأى ما عند الملوك قرا ولا تمدن عينيك ثم ينادي الصلوة رحمكم الله والعاقبة للتقوى لذوي التقوى
اشارة الى ان ماهم فيه سريع الزوال وقالوا لولا يأتينا باية من ربه على عادتهم في التعنت والعناد
وعدم الاعتداد بما جاء به اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى يريد القرآن فانه مع كونه معجزة له دالة
على صدق دعواه برهان على صدق ساير الكتب المنزله وهم يقرون بصدق تلك الكتب فاقرارهم بهذا
كان اولى واوجب والمراد ببينة الصحف الاولى نعته ونعت امته فيها كقوله اولم تكن لهم آية ان يعلمه
علماء بني اسرائيل وقرا غير نافع وابي عمرو وحفص يأتهم بالتذكير وهو احسن لوجود الفاصل ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله من قبل مجيء البينة او محمد لقالوا ربنا يوم القيمة لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل
ان نذل في الدنيا ونخزى في الآخرة يريدان هؤلاء لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية لانهم معاندون والآيات
انما ينتفع بها المسترشد والارسال اليهم انما هو لئلا يكون لهم عذر يعتذرون به يوم القيمة قل كل متربص
منا ومنكم فتربصوا انتم فستعلمون عن قريب من اصحاب الصراط السوي القويم ومن اهتدى سلك

ذلك الصراط من في الموضعين استفهامية علق عنها العلم ختم السورة بما بداء كانه يقول له ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى مع هولاء المعاندين فبعد التبليغ لا تهلك نفسك ودعهم في اودية الضلال
يهيمون فسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تمت السورة ولله الحمد على نعمه الموفورة والصلوة
على من نعته في الصحف مزبورة

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم اللام صلة اقترب اي اقترب منهم
فان الاختصاص وابتداء الغاية متقاربان او تاكيد للاضافة والاصل اقترب حساب الناس اي لهم
ثم قيل اقترب للناس الحساب للاجمال والتفصيل ثم قيل اقترب للناس حسابهم باقامة الضمير مقام
اللام والاقتراب نسبي والباقي من الدنيا قليل لقوله بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة
والوسطى ولقوله بعثت في نسم الساعة او هو باعتبار المتكلم وان يوما عند ربك كالف سنة او لان كل آت
قريب وكل ماض بعيد والوجه هو الاول لوجود الاشراط وهم في غفلة مستغرقون فيها معرضون عن التدبر
والتفكر في العواقب خبر بعد خبر وجعل الظرف حالا من المستكن في معرضون ضعيف ما ياتيهم من ذكر قرآن
يوقظهم عن سنة الغفلة من ربهم المربي لهم بانزال ذلك الذكر صفة ذكر محدث انزاله آية وسورة
اثر سورة الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان او متداخلان والمعنى ما ياتيهم الذكر
المحدث المشتمل على فنون المواعظ وانواع البصاير في حال من الاحوال الا في حال استماعهم له لاعبين مستهزئين
به يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا قلوبهم شاغلة عن التدبر فيه والتفكر في غرايب اساليبه وبديع لطايفه
واسروا النجوى اسم من التناجي ولا يكون الا خفيا فايقاع الاسرار عليه مبالغة في اخفائه او اريد به
نفس الفعل وهو التناجي بحيث لا يفطن له ولا يعلم احد انهم يتناجون وهذا ابلغ الذين ظلموا بدل من واو
اسروا للدلالة على كونهم موسومين بالظلم في تناجيهم وقيل هو على لغة اكلوني البراغيث وهي لغة ازد شنوءة
اول من تكلم بها ابو عمرو الهذلي ووجهه انه اريد بالاكل الاستيلاء والظلم وهو من فعل العقلاء فشبه
بالحاق علامته به وقيل منصوب على الذم وقيل مبتداء قدم عليه خبره هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون
السحر وانتم تبصرون عطف بيان للنجوى وبدل منه وكان حق الكلام ان يقال هل هذا الا ساحر
او سحر ترتب عليه الانكار لكن لما كان كون مدعي الرسالة من البشر ساحرا وكون معجزته سحرا امرا
مقررا عندهم وضع المنزل موضعه ليكون ابلغ قل ربي يعلم القول في السماء والارض القول العام
الشامل للجهر والسر والاخفى فيتناول نجواهم الذي اسروه تناولا اوليا وآكدا وفي الفرقان قل انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض لانه ورد لما نسبوه اليه من الافتراء على الله فاشار الى ان ما تسمعونه افتراء
انزله من يعلم بالطف مراميه ومعانيه الحقائق وقرا حمزة والكسائي وحفص قال اي ذلك النبي في جوابهم
وهو المختار لكونه مدحا له في الاهتداء الى هذا الجواب الذي طوق المفصل وهو السميع العليم برهان على علمه
بذلك القول بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اما حكاية مقالاتهم من غير تدرج وترق في
اباطيلهم والمراد انهم خابطون متحيرون فتارة يقولون كذا وتارة كذا واما ابتداء اخبار منه تعالى
عنهم ملاحظا فيه التدرج فان قولهم القرآن سحر اوقب من كونه تخاليط الاحلام لانه النظم الانيق
المحكم كلام منطبق وهو اوقب من كونه مفترى مختلقا لدلالة القواطع على صدقه وهو اوقب من كونه شعرا لكونه
كلاما متخيلا لا حقيقة له ابن هو من كلام حاز الحقايق النظرية والدقايق العملية التي ينتظم بها
امر المبداء والمعاد ويتعلق بها صلاح العالم عن الفساد فان قلت التدرج من الكذب ههنا الى الشعر عكس
التدرج من الشعر الى الكذب في سورة الطور فما وجهه قلت الكلام هنا في الذكر المتجدد النزول
فكانه قيل قايله كذاب بل شاعر شانه الاتيان بالاكاذيب وما لا حقيقة له بخلاف هناك فان الكلام

في رسالته وكونه شاعرا اقرب من كونه مفتريا لاشتهاره عندهم بالامانة والصدق فلياتنا باية
كما ارسل الاولون كابراء الاكمه والابرص واليد والعصا وصحة التشبيه لان الارسال يستلزم الاتيان
بالمعجزة ما آمنت قبلهم من قرية اهل قرية اهلكناها صفة قرية افهم يؤمنون استفهام انكار واستبعاد
دلالة على انهم اعتى من السابقين وان عدم الاجابة الى ما اقترحوه انما هو للابقاء عليهم وما ارسلنا
قبلك الا رجالا يوحى اليهم وقرا حفص بالنون وهو المختار لكونه ادل على التصديق والنسب بارسلنا فاسئلوا
اهل الذكر اهل الكتاب ان كنتم لا تعلمون اذ لو كان كونه بشرا منافيا للرسالة كان اهل الكتاب اول مكذب له
لذلك وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام رد لقولهم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون وافرد
جسدا لكونه مصدرا في الاصل او بتقدير المضاف وارادة الجنس وتاويل الضمير بكل واحد وهو اخص من الجسم
لاختصاصه بما له لون وما كانوا خالدين كانهم كانوا يعتقدون ان الملائكة لا يموتون واوجب لقولهم
يعيش كما نعيش ويموت كما نموت فلا يصلح للرسالة ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد كقوله واختار موسى
قومه فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين بهم او من سبق في العلم ايمانه او ايمان من سيولد منه واهلكنا
المسرفين المفرطين لقد انزلنا اليكم كتابا خطاب لقريش فيه ذكركم صيتكم وشرفكم لانه بلسانكم
منزل على نبي منكم فانه نزل جملته واليكم المرجع فيجعل معادكم او تذكرة وموعظة لكم او فيه
ما يحصل به الذكر الحسن والثناء الجميل من مكارم الاخلاق التي كنتم تبغون اليها افلا تعقلون
ترجعون الى عقولكم فيؤمنون به وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وصف بوصف اهلها مبالغة والقصم
الكسر مع الابانة كناية عن الاستيصال لعدم بقاء الالتئام بعده وكم للتكثير وما روي عن ابن عباس
انها قرية باليمن بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فبعث عليهم بختنصر فقتلهم من تركهم
معناه انها من جملة تلك القرى وانشانا بعدها اي بعد اهلها المهلكين قوما آخرين وتنبيه في ايثار القصم
اظهارا لعظمته وكمال اقتداره كقوله ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز
فلما احسوا باسنا شاهدوه اذا هم منها يركضون الركض ضرب المركوب بالرجل وكانهم حين راوا مقدمة
العذاب هربوا على دوابهم او عدوهم على ارجلهم شبه بالركض بجامع السرعة لا تركضوا على ارادة
القول والقايل اما الملائكة او المؤمنون منهم او لا قول بل هم احقاء بان يقال فيهم ذلك وارجعوا الى ما اترفتم
فيه من العيش والرفه الاتراف ابطار النعمة والمترف المكثر من الملاذ الموسع فيها ومساكنكم لعلكم
تسألون عما جرى فتخبرون عن علم مشاهدة او ارجعوا الى مساكنكم وتزينوا في المجالس مباهين بها حتى يسالكم
خدمكم وحشمكم ماذا تامرون به من المهمات او يسالكم من تشفعين بكم في الامور المهمة ويستضيء بارائكم
والحوائج المستمطرون سحائب اكفكم الممترون اخلاف معروفكم كل ذلك على سبيل التهكم قالوا يا ويلنا
انا كنا ظالمين بتكذيب الانبياء فما زالت تلك دعويهم اي قولهم يا ويلنا سماه دعاء لان المولول ينادي
الويل وتلك مرفوع على اسمية زال ودعويهم نصب على الخبر لانه مثل ضرب موسى عيسى ومن جوز
العكس لم يلتفت الى قاعدة النحاة ميلا منه الى المعنى حتى جعلناهم حصيدا مثل النبت المحصود خامدين
ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا مفعول ثان لجعل لانهما في حكم الواحد اي جامعين لمماثلة الحصيد
والخمود والمتعدد في مثله كالواحد سواء كان واحدا حقيقة كقولك جعلته حلوا حامضا اي مزا
او لا كما نحن فيه وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين كما يفعله الجبابرة من رفع السقوف
وبناء القصور وفرش الحرير وساير الزخارف وانما رفعنا هذا السقف المرفوع وفرشنا هذا المهاد الموضوع
وبثثنا بينهما من الخلايق مشحونة بضروب البدايع ليكون تبصرة للمستبصرين وتذكرة للناظرين ابن ما
يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به لاتخذناه

من لدنا ما يليق بنا من الحكم الالهية التي اتخذتموها انتم لهوا والمعنى ان صدور اللهو منا مستحيل
سوق الكلام لدفع المطاعن السابقة فيه صلى الله عليه وسلم بعد ما هدد بقوله وكم قصمنا من قرية
فان منكر الرسالة جاعل خلق السموات والارض من باب العبث لان خلق السماء والارض وما بينهما
انما هو لمعرفته تعالى وجزاء من قام بها ومن لم يقم ولن يتم ذلك الا بارسال الرسل وانزال الكتب
وحمل اللهو على الولد والمراة ليس بذاك لان نفي الولد سيجيء صريحا وقوله ان كنا فاعلين تكرير مبالغة
في الاستحالة اي ان كنا نفعل ما يوصف باللهو فهكذا يكون فعلنا والحمل على النفي ليكون كالنتيجة للسابق
ايضا معنى حسن بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته تعالى عنه فيدمغه
فيزيله وتقليع اثره استعار القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو الوصول
الى الدماغ الموجب للهلاك تصويرا لابطاله ومحقه كانه جرم صلب قذف به على جرم رخو اجوف فاذا
هو زاهق هالك ذكره ترشيحا للمجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه من اللهو
واللعب وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده من الملائكة الكروبيين افردهم بالذكر اظهارا
لشرفهم ولفظ عند تصوير لقربهم وتمثيل بمن يكون عند الملوك ذا منزلة قريبة لا يستكبرون عن
عبادته ولا يستحسرون لا يملون من الحسور وهو الاعياء اثر الاستحسار على الحسور اظهارا لكمال قيامهم باعباء
العبادة التي حقيق ان يستحسر منها يسبحون الليل والنهار لا يفترون مستمرون على التقديس
لا يعتريهم فتور تقرير وتوكيد لما سبق من نفي اللهو لان من هذا شانه منزه عن مثل ذلك وتمهيد
لما بعده ام اتخذوا آلهة منقطعة للاضراب والترقي فان اتخاذ الشريك ادخل في الانكار من انكار
النبوة والقدح فيها وانما قدم عليه كونه مالك السموات والارض ومن فيهما يستحق العبادة منهم
وان المقربين عنده فايمون بها حق القيام ليشيد وجه الانكار من الارض صفة آلهة ابتداء منه
لان الاصنام متخذة من جنس الارض كما تنحت من الحجر او تعمل من بعض الجواهر هم ينشرون الموتى من قبورهم
والمشركون وان لم يقولوا باقتدار آلهتهم على ذلك ولكن لازم لادعاء الالهية لها لاقتضائها
الاقتدار على كل الممكنات وفيه تهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم اختصاص الانتشار بهم
لو كان فيهما آلهة الا الله الا وصف لآلهة حمل على غير كما حمل عليه غير في الاستثناء ولا يستقيم
فيه الاستثناء ولا البدل لفظا ومعنى اما لفظا فلان الاستثناء لا يكون بعد جمع منكر لعدم الشمول
واما البدل فلتفرعه على المفرغ المنفي واما معنى فلان ما سيق له الكلام انتفاء التعدد المفضي الى الفساد
والاستثناء والبدل مفضيان الى ان دخول الاله الحق في عداد الآلهة يدفع الفساد لفسدتا لم تتكونا او خرجتا
عن النظام للتمانع والتغالب وتحقيق الحق في هذا المطلب الاجل ان موجد الكائنات خارج عنها واجب ونها
فلو فرض اثنان اما ان يتحدا ماهية او يختلفا وكل باطل قطعا اما الاول فللاحتياج الى المقوم
ولا اقل الى المميز وبطلانه ظاهر للزوم غناه عند الفرق واما الثاني فلان الاثر الواحد بالشخص اما بهما
او بكل منهما والكل باطل وبطلان اللازم يوجب بطلان الملزوم ووجه اللزوم والبطلان ظاهر هذا
ان اريد بالفساد عدم التكون وان اريد الخروج عن النظام فكذلك لان حفظهما اما بهما او بكل منهما
او باحدهما والكل باطل كما تقدم واما بالتوزيع واختصاص كل بالبعض فلان المخصص من الخارج لاستواء
القدرة والامكان وذلك عين النقص والاحتياج فالآية برهان نير ولا اختصاص له بالفاعل المختار
كما ظن فسبحان الله رب العرش عما يصفون اي اذا دلت السموات والارض على عدم جواز وجود الشريك
فانزه مالك العرش عما يصفون به من الشريك لا يسال عما يفعل لانه عالم بالخفيات ووجوه الحكم
والملوك الذين يتطرق على آرائهم الخطا والزلل لا يسالون عن تدبير الملك فكيف بمن علم ما كان

او بواحد منهما

وانما قيد بالايام لظهور معنى السعوى منه

البطلان اللازم ولو سلم لا ضرار المخالف العلشي عليه من الله الطرد

وما يكون وهم يسألون لانهم عبيد مأمورون خطاؤون ام اتخذوا من دونه آلهة انكروا الآلهة
الارضية لظهور فسادها ثم الآلهة مطلقا وبنى عليه نفي الحجة بقوله قل هاتوا برهانكم فان ما لا دليل
عليه لا ثبوت له هذا ذكر من معي وهو القرآن ومن معه امته واضافة الذكر اليهم لانهم متعبدون
باحكامه وذكر من قبلي وهو التورية والانجيل وفيها دليل على عكس مدعاهم واكتفى بالسمعي
لتقدم العقلي وقدمه لكونه الاصل في العقايد بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اضرب عن اقامة
البرهان لكونهم فاقدي التمييز بين الحق والباطل فاي فايدة في ذلك وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون كشف عما كان في ذكر من قبله ازاحة لما عسى
ان تخالج المشركين شبهته على الوجه الاعم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وقد سبق انه ابلغ
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قدم نفي الشريك على نفي اتخاذ الولد ليكون تمهيدا له لانه اشد استحالة
لاقتضائه الازدواج وانفصال الجزء منه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا والآية نزلت
في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له بل عباد بل هم كساير العبيد مكرمون مقربون
تنبيه على محل الخطاء لا يسبقونه بالقول لا يسبق قولهم قوله وانما نفي السبق عنهم اولا وجعل القول
اداة ليكون اول ما يقرع السمع عدم السبق منهم مطلقا فيكون اشد واقوى في مدحهم نظيره
شعر قد طلبنا فلم نجد لك مثلا وهم بامره يعملون لا غير فلا قول ولا فعل الا بامره كما هو
شان المقربين مع الملوك يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه منهم شيء الجملة تقرير
وتوكيد لما قبلها ولا يشفعون مع قرب مكانتهم الا لمن ارتضى ان يشفع له واذن لهم في ذلك
وهم من خشيته مشفقون من خوفه خايفون غاية الخوف من الشفق وهو السرّ الرقيق روي انه تعالى
لما طرد ابليس بكى جبرئيل وميكائيل فقال تعالى لم هذا البكاء قالا يا ربنا انت اعلم خشية منك
واشفاقا من مكرك فقال هكذا كونا والقول بان الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص به العلماء
يرده في حق فرعون لعله يتذكر او يخشى ولا دليل في قوله انما يخشى الله من عباده العلماء لارادة
الكمال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ومن يقل منهم اني اله من دونه فرضا
كقوله لئن اشركت فذلك نجزيه جهنم فكيف يكون ولدا وهل احد يلقي ولده في نار جهنم كذلك نجزي
الظالمين المشركين اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا مرتوقتين ملصوقا احديهما
بالاخرى فكشط السموات عن وجه الارض واوقع بينهما الفضاء او السموات كانت متلاصقة وكذا
الارضون لا فرج بينهما ففتقناهما فجعلنا بينهما فرجا والرؤية فعل القلب فان قلت انما ذلك
العلم على اوكد وجه ومتى كان لاني جهل واقرانه علم بان السموات والارض كانتا رتقا قلت
علمهم باعجاز القرآن المخبر عنه مستلزم له وانما آثر هذا الاسلوب وان كان الاستدلال بالانحاد
كاف بيانا لكيفيته الاتحاد الدال على كمال الاقتدار وقيل الرتق العدم لعدم تمايز الاشياء فيه وقيل
فتقنا السماء بالمطر والارض بالنبات والقول بان السموات فتقت بالتحريكات الفلكية مع سماجة معناه
مبني على ثبوت حركة الفلك وانما قال كانتا لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وجعلنا من الماء
كل شيء حي اي خلقنا كل حي من نطفة ابيه كقوله والله خلق كل دابة من ماء اولفرط احتياجه الى
الماء كانه مخلوق منه او بمعنى صيرنا اي صيرنا كل شيء حي من الماء متصلا به لا يحيى دونه كقوله
صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد مني اي لا اتصال بيننا افلا يؤمنون بعد ظهور هذه الآيات

لم يوقع الطلب على الكل لانه يشعر بامكان المثل لان طلب المحال محال منه

قاتل الشاعر

قاتل الشاعر

جعل

الدد اللهو واللعب

وجعلنا في الارض رواسي جبالا ثوابت تنزل معهم باتباع الاظهر الاخفى فان هذا محسوس
وذاك معقول ان تميد بهم كراهة ان تضطرب بهم من ماد به مال وجعلنا فيها في الجبال
فجاجا طرقا واسعة سبلا يسلكها السابلة بدل من فجاجا يدل ضمنا على انه خلقها كذلك
للسابلة او حال قدمت وان كانت في الاصل وصفا لقوله سبلا فجاجا للدلالة على انه حين
خلقها خلقها على تلك الصفة فيكون بيانا لما ابهم هناك لعلهم يهتدون الى مصالحهم
وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع والاضطراب والخروج عن الاوضاع والاشكال
مع عظم الجرم وطول الزمان وقيل بالشهب عن استراق الشياطين الى استماع سكانه وهم
عن آياتها المودعة فيها من عظم الجرم بلا عمد وتزيينه بالكواكب وطلوعها وغروبها على
الحساب القويم والترتيب العجيب معرضون لا يتفكرون في شيء منها ليؤديهم الى الايمان بوحدة
الصانع وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر تفصيل لبعض تلك الآيات كل كل
واحد من الشمس والقمر في فلك يسبحون يسرعون على سطح الفلك سراع السابح على الماء وهو
خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بالحال دون المعطوف عليه لامن اللبس
والجمع باعتبار كثرة المطالع وبالواو لان السباحة فعل العقلاء وهو صريح في ان الحركة للكوكب
دون الفلك كما يزعمه اهل الهيئة وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون
كانوا يتربصون به ريب المنون كما هو داب الخصم المحجوج اذا لم يبق ما يتشبث به يتمنى هلاك
خصمه فقيل ان مت افانت كما يتمنونه فانت وهم في ذلك سواء فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا كل نفس ذائقة الموت مرارته برهان على ذلك ونبلوكم بالشر
نعاملكم معاملة المختبر بهما لنري صبركم على البلاء وشكركم على النعم فتنة مصدر
من غير لفظ الفعل والينا ترجعون فنجازيكم على حسب الصبر والشكر واذا راك الذين
كفروا ان يتخذونك الا هزوا مهزوا به اطلق المصدر مبالغة اهذا الذي يذكر آلهتكم
قائلين هذا الكلام والذكر يكون بالخير وبخلافه ارادوا عيب آلهتهم لان العدو لا يذكر
العدو بخير واسم الاشارة للتحقير كما في قول عايشة عجبا لابن عمرو حين افتى بان على النساء
نقض الضفاير للغسل وهم بذكر الرحمن هم كافرون اي بما يجب ان يذكر به من الوحدانية او
بذكر الرحمن من اسمايه حيث قالوا وما الرحمن او بالقرآن الذي انزله الرحمن اليك والمعنى
وهم بهذه الصفة فهم احقاء بان يتخذوا هزوا وانت فيمعزل من ذلك واعادة الضمير
لافادة التخصيص خلق الانسان من عجل عن ابن عباس اراد بالانسان آدم حتى بلغ الروح
صدره اراد ان يقوم وقيل لما بلغ الروح عينيه راى ثمار الجنة فلما دخل جوفه اشتهى الطعام
والتحقيق ان المعنى ان العجلة من لوازم الانسان جبلة لقوله وكان الانسان عجولا فانه
عام دل عليه حديث طروق رسول الله فاطمة وعليا والآية نزلت في النضر بن
الحارث وليس فيه ما يدل على جواز تكليف المحال ساريكم آياتي التي تستعجلون بها فلا
تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد استبطاء ان كنتم صادقين في وقوع العذاب اما في الدنيا
او يوم القيمة لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون جواب لو محذوف اي لو عرفوا القيامة حق المعرفة وما يحيط بهم فيها لما جسروا

والخير

قوله
اذا ما الدهر جر على اناس كلاكله اناخ باخرينا
الشعر لذي الاصبع العدواني م

قدم الشر لانه الصق بالاضرار ولا كر
قدم المحنة قوله من يعمل مثقال ذرة
جرا

هذا

على ما جسروا وفي التعبير عنها بحين منكرا وهي العلم المعروف وتصويرها بالوصف الكاشف
تهويل لا يخفى ويجوز ان لا يكون للعلم مفعول اي لو كانوا من اهل العلم لما استعجلوا وعلى
هذا حين منصوب بفعل مضمر على تقدير السؤال كان قيل متى يعلمون فاجيب يعلمون حين
لا يكفون بل تاتيهم بغتة فجاة مصدر او حال فتبهتهم تجعلهم حيارى مغلوبين فلا
يستطيعون ردها النار او العدة او القيمة لان الحين بمعنى الساعة ولا هم ينظرون يمهلون
وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا وتفسيح الوقت عليهم وانه لا انظار بعد ذلك الامهال
الطويل ولقد استهزي برسل من قبلك لما ذكر الاجوبة الدامغة لمطاعنهم في النبوة وادمج
في ذلك من المعاني التي هي لباب المقاصد سلاه بان له فيما ناله من الاذى اسوة بالجلة
الرسل فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وعد له بالنصر في العاقبة قل
من يكلؤكم يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار من الرحمن من باسه وفي ايثار الرحمن اشارة
الى ان لا كالي لهم الا رحمته الغالبة وايماء الى انه وان عظمت نعماؤه ما اعظم عماه
على ما يقال نعوذ بالله من غضب الحليم والسؤال سؤال تقريع ولذلك اضرب عنه بل هم
ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا عن ان يخافوا من باسه تسجيلا عليهم بانهم
ليسوا اهلا للسماع ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا اضراب عن اعراضهم الى ما هو اشد وادخل
في الانكار كانه يقول دع اعراضهم وانظر الى من اعرضوا من ذكر الرحمن والتجاوا اليه فان
هذا اظلم لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف لبيان سخافة عقولهم
بان من راوها ذكر الرحمن له جماد لا يقدر على نصر نفسه ولا هو مصحوب من الله بنصر كيف
ينصر غيره بل متعنا هولاء واباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب الى بيان الداعي الى كلامهم
وهو التمتع استدراجا بما قدر لهم من الاعمار فحسبوا ان لا يزالوا كذلك افلا يرون انا ناتي
الارض ننقصها من اطرافها بيان وتقرير لما هم فيه من الاستدراج وانهم سيخرجون عما هم
فيه والرؤية بمعنى العلم لتعلقها بمضمون الجملة واللام للعهد يريد ارض الكفرة وهذا اخبار
بما سيقع من تسليط المسلمين على الكفرة لان السورة مكية وقد وقع ذلك كما اخبر فالاية
معجزة مستقلة افهم الغالبون لا يكون ذلك قل انما انذركم بالوحي بعد ما استوفي الكلام
في الاحتجاج على النبوة والتوحيد ارعد وابرق في الوعيد ثم امر ان يقول ان هذا الذي
تلوته عليكم وحي من الله ليكون فذلكة كما يقول احد خواص الملك لمن ينصحه بعد ان لم
يبق له عذرا ما قلته لك كلام الملك ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون الظاهر لا يسمعون
ما ينذرون عدل الى المنزل للدلالة على ان عدم السماع انما هو للتصام لا للقصور في الانذار
لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حيوة لمن تنادي وقرأ ابن عامر بالخطاب من الاسماع
والغيبة من السماع ابلغ لدلالته على عدم القابلية اذا نصب بتسمع او بالدعاء والتقييد
بالانذار لان الكلام فيه ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ادنى شيء منه من نفح الطيب
اذا فاح وفي الحديث ان لربكم في الدهر نفحات فتعرضوا لها وفيه مبالغات ذكر المس الذي
هو اتصال ما والنفح وبناء المرة والتنكير الدال على القلة ليقولن يا ويلنا انا كنا
ظالمين ندموا حيث لا ينفع ونضع الموازين القسط يوزن بها صحايف الاعمال او هو تمثيل للحساب
السوي والقسط هو العدل من اقسط عدل لا من قسط وافراده لانه مصدر وذوات
القسط روي مسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له بيده القسط يرفع ويخفض ليوم القيمة

عن

واعتراض صاحب الايضاح على السكاكي
في الرابع ساقط لان الفعل مقول بالتشكيك
منه

اللام للتوقيت كقوله لد لوك الشمس ولاجل اهله فلا تظلم نفس شيئا من اعمالها وان كان مثقال حبة
من خردل اي وان كان العمل في الحقارة ما يزن تلك الحبة تصوير لكمال عدله وان القليل عنده كثير
اتينا بها احضرناها قرا نافع مثقال بالرفع على كان تامة وقراءة القوم اظهر لان المراد عمل يوازن الحبة
وكفى بنا حاسبين لكمال علمنا وشموله وانما وضع الميزان اظهارا للمعدلة ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرا للمتقين شرع بفصل الرسل الذين اشتهرت بهم اكمالا للتسلية بعد الاحاطة باحوالهم
وبداء بذكر موسى عليه السلام لكونه اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم في كثرة الايات ونكائف
الامة ولم يستوف قصته لتقدمها في السورة السابقة مستوفاة ثم ذكر قصة ابرهيم لكونه على ملته
وكون قصته اغرب القصص لبلوغه اقصى مراتب المتوكلين والعطف باعتبار الصفات فان التورية لكونه
فارقا بين الحق والباطل فرقان ولاشتماله على الاحكام الدينية ضياء ولكونه موعظة ذكر وقيل الفرقان
النصر لقوله تعالى يوم الفرقان ليوم بدر وقيل فلق البحر بين موسى وعدوه الذين يخشون ربهم صفة
المتقين والاوجه الرفع او النصب على المدح بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون
خايفون غاية الخوف وفي تقديم الضمير تعريض بغيرهم وهذا ذكر القرآن مبارك اودع فيه النماء وزيادة
الخير كلمة جامعة تشمل اوصاف التورية وغيرها انزلناه افانتم له منكرون توبيخ وتفريع بعد بيان
الصارف عن الانكار ولقد اتينا ابرهيم رشده الاهتداء الى وجوه الصلاح او النبوة والحجة على قومه واضافة
الرشد للدلالة على انه رشد له شان لقوله انزله بعلمه من قبل اي قبل البلوغ حين خرج من السرب
ورأى الكوكب او من قبل موسى وهرون او من قبل نبوة محمد عليه السلام وكنا به عالمين بما جبل
عليه من الزكاء وبديع الاسرار وقوة اليقين وكمال التسليم اذ قال لابيه وقومه يتعلق باتينا
او برشده والاحسن تعلقه باذكر مقدرا اي اذكر من اوقاته هذا الوقت فانه يسليك عما تلقاه من قومك
ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون عبر عنها بالتماثيل التي هي الصور اشارة الى انها خالية
عن المعنى واللام للاختصاص لان صلة العكوف على والاحسن تضمين العكوف معنى العبادة لقوله
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ولان المنكر عبادتها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين واضح
غني عن البيان لان من به مسكة لا يلتفت قصدا الى الجماد فضلا عن تعفير الوجه له قالوا اجئتنا
بالحق ام انت من اللاعبين استبعدوا ان يكون ما هم فيه ضلالا اي ما تقوله اجد وحق ام لعب
وانما اثر الاسمية في معادلة الهمزة ميلا الى ترجيحه وانه الذي يليق بحاله وعندي ان ام منقطعة
اضرابا عن كون ما جاء به فيه شائبة حق ولذلك قابلهم بمثل ما بداوه حيث قال بل ربكم
رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن ان يكون فيما جاء به شائبة هزل والضمير في فطرهن
للتماثيل او للسموات والارض والاول ادخل في تضليلهم وان كان الثاني اقرب وانا على ذلكم
المذكور من التوحيد من الشاهدين الموقنين فان علم الشهود اجلى اليقينيات وتالله لاكيدن اصنامكم
في ابدال التاء التي هي للتعجب بين حروف القسم ولفظ الكيد الدال على الاحتيال اشعار منه بان
التعرض لها امر خطير وكان كذلك وكفى اذ الله سنى عقد شي تيسرا بعد ان تولوا مدبرين الى مكان
عيدكم روي ان آزر وقومه خرجوا الى عيد لهم فدخلوا بيت الاصنام وسجدوا لها ووضعوا طعاما
بين ايدي الاصنام وقالوا الى ان نرجع يحصل للطعام البركة فدخل ابرهيم كما وعد بيت الاصنام وكانوا
سبعين صنما فاخذ الفاس وكسرا لكل الاكبر لهم وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان فعلق الفاس
في عنقه فجعلهم جذاذا قطعا فعال بمعنى مفعول وقرا الكسائي بالكسر وهما لغتان وقيل بالكسر
جمع جذيد كخفاف وخفيف والضم اكثر كحطام ورفات الا كبيرا لهم للاصنام لعلهم اليه يرجعون

الى ابرهيم فانه المتفرد بعداوتها فيبكتهم بها او الى الكبير فانه كبير المعبودين ورأيسهم فيبكتهم ايضا
وجعل الضمير لله بعيد اذ لا فايدة في ابقاء الكبير حينئذ قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن
الظالمين بجرأته وهتك ما كان يجب توقيره او بتوريطه نفسه قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم الفعل
الاول مع فاعله مفعول ثان لسمعنا والثاني صفة فتى ورفع ابرهيم على انه نايب عن فاعل يقال لان
المراد به الاسم لا المسمى وقيل خبر مبتدا محذوف وقيل منادى قالوا فاتوا به على اعين الناس بمراى
منهم وايثار على للمبالغة في تحقق الروية شبه ثبوته وتمكنه في اعينهم بتمكن الراكب من المركوب لعلهم
يشهدون عليه ان انكر او يشهدون عقوبته ان ثبت انه الفاعل قالوا اانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم
الاستفهام للتقرير وهو على اصله والاضراب الى قوله قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون
معناه ان السؤال لا وجه له اذ لا يصلح لهذا الفعل غيري وهذا النوع من الكلام من لطف المعاريض
اثبت لنفسه الفعل على الوجه الابلغ متضمنا فيه الاستهزاء والتضليل وهو من الاسناد الى السبب
فانه لما كان غيظ كبيرها اشد عليه واكبر تسبب ذلك لحطم البواقي وهو حكاية لما يلزم مذهبهم
كانه قال من يكون الها يجب ان يقدر على هذا واعظم روي انه لما سئل قال فعله كبيرهم غيظا من الصغار
لعدم رضاه بالاشراك معه اشارة الى ان الصنم الكبير اذا لم يرض بالاشراك فكيف يرضى خالق
الكاينات فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون باتخاذ هذه الجمادات معبودا الا من ظلمتموه
ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون النكس جعل اسفل الشي اعلاه والمعنى انحرفوا عن تلك
الفكرة الصالحة الى ما كانوا عليه من الضلال بانا علمنا انها لا قدرة لها ومع ذلك اتخذناها اربابا
او رجعوا عن الجدال بالباطل الى الجدال بالحق لان قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اقرار بعدم
الالهية وانما عبر عنه بالنكس وان كان حقا لانه خلاف معتقدهم او النكس عبارة عن غاية اطراقهم
روسهم خجلا وقولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون كلمة حيرة اتوا بها وان كانت حجة عليهم عن الرجوع
عن الجدال عنه في قوله انكم انتم الظالمون الى الجدال معه بالباطل في قولهم لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون وجوابه وهو قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم معللا بما نبا في
الالوهية يؤيد الوجه الاول اف لكم ولما تعبدون من دون الله اف صوت اذا صوت به علم ان المصوت
متضجر واللام للسببية اي تضجرت لكفركم قرا ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء بناء ونافع وحفص بالكسر منونا
للتنكير المفيد للتعظيم والباقون بالكسر غير منون لان اصل بنائه السكون والكسر اصل في تحريك الساكن
افلا تعقلون قبح فعلكم قالوا حرقوه بالنار اذ لا يتصور عذاب فوقه قال صلى الله عليه وسلم
لا يعذب بالنار غير الله لعظمه اختص بمن لا اعظم منه وانصروا آلهتكم عطف تفسيري ان كنتم فاعلين
ان تنصروا آلهتكم كنى عنه بالفعل مبالغة وهذا داب المحجوج اذا انخزلت حجته وافتضح يأخذ
في المناصبة ناكبا عن المعارضة والمشير بالاحراق نمرود وقيل حلف من اعراب فارس قيل حبسوه شهرا
حتى جمعوا حطبا كثيرا واججوا له نارا يكاد يحترق الطير في الجو من وهجها قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
على ابرهيم اما كلمها على ما هو الظاهر ومجاز عن تعلق ارادته وعن ابن عباس رضي الله عنه لو لم يقل
سلاما لاهلكته بالبرد وكانه اخذه من نون العظمة وحمل المصدر واخراج النار عن طبعها خلاف المعتاد
فاما ان يكون على الاطلاق او يختص بمن خصت به وهو ابرهيم وتبقى في غيره على اصلها وعلى الوجهين
معجزة له او ارهاص لنبوته اذ قيل انه كان عمره ست عشرة سنة وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين
لانقلاب الحجة في المعارضة عليهم وظلال سعيهم في ايقاد النار واستحقاقهم عذاب الآخرة ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها هي الارض المقدسة للعالمين كافة لانها موطن الانبياء منها

واستعو بالله اذ
واعلم علما ليس بالظن انه

انتشرت شرايعهم التي هي مبادي الكمالات الدينية التي بها نيط بقاء الخيرات الدنيوية وهي محبة
يوم المعاد وقيل ماء من ماء عذب لا واصلة من تحت الصخرة ووهبنا له اسحاق لما دعا وطلب الولد
بقوله هب لي من الصالحين ويعقوب نافلة ولدا لولد فانه عاش حتى رآه او زيادة على سواله من النفل
وهو الزيادة ومنه نوافل الطاعات لزيادتها على الفرايض وكلا جعلنا صالحين للنبوة او صالحين في
الدين كاملين وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا صيرناهم مكملين بعد الكمال واوحينا اليهم فعل الخيرات
بان يحثوا الناس عليها تكميلا للقوة النظرية والعملية واقام الصلوة وايتاء الزكوة من عطف الخاص
على العام وحذف التاء من الاقامة لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين لا غير ذكره تنبيها على
شرف العبادة لوصفهم بالصلاح ولوطا نصب على شريطة التفسير اتيناه حكما وعلما حكمة ونبوة او
فصلا بين الخصوم ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث من الكفر واتيان الذكور وعدم التناهي
عن المنكر والتضارط في التادي وحذف المارة بالحصى وصفها بوصف اهلها لقوله انهم كانوا قوم سوء
فاسقين وفي اضافة القوم الى السوء مبالغة كما في رجل صدق وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا
او في الجنة لانها محل الرحمة روى ابو هريرة ان رسول الله قال لحاجت النار الجنة فقال
الله للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء انه من الصالحين الذين صلحوا للكرامة ونوحا اذ نادى من قبل من
قبل المذكورين لاهلاك قومه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاستجبنا له واهله من الكرب العظيم
من الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه ونصرناه جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم
كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لم ينج الا هو وذريته لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين وداود وسليمان اذ
يحكمان في الحرث في الزرع اذ نفشت فيه غنم القوم رعت فيه ليلا بلا راع واصل النفش التفرق ومنه نفش
القطن وكنا لحكمهم لحكم المتحاكمين والحاكمين وانما صح نسبة الفعل الى الفاعل بالقيام والى المفعول
بالوقوع ارادة لمطلق الاختصاص شاهدين حاضرين علما ففهمناها سليمان الضمير للحكومة حكم داود بالغنم
لصاحب الحرث فقال سليمان غير هذا ارفق بهما وكان عمره اذ ذاك احدى عشرة سنة فقال داود كيف
يا بني قال اري يا نبي الله ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واصوافها والحرث الى ارباب
الغنم يقومون عليه حتى يعود ثم يترادان فامضى داود حكمه لان حكم داود كان ايضا بالاجتهاد والحمل
على انهما حكما بالوحي بعيد لكون سليمان صغيرا دون البلوغ وفي لفظ فهمناها اشارة الى ان ذلك
كان اجتهادا فان قلت كيف نقض اجتهاد سليمان اجتهاد داود وقد ذكر الفقهاء ان نقض الاجتهاد بالاجتهاد
غير جايز قلت لم يكن هناك نقض بل ذلك من توافق الاجتهادين ورجوع داود كما رجع ابو حنيفة عن كثير
من اقواله الى قول صاحبيه بعد ظهور الدليل والقول بان كلا الحكمين كان صوابا وحكم سليمان اصوب
غير سديد ونظير قول داود ما قال ابو حنيفة في العبد الجاني يدفعه المولى بذلك او يفديه ونظير قول سليمان
ما قال الشافعي في العبد المغصوب اذا ابق من يد الغاصب يغرم القيمة للحيلولة فاذا ظهر العبد يترادان
واما عين المسئلة في شرعنا فابو حنيفة لا يوجب الضمان الا اذا كان صاحب الدابة معها لقوله صلى
الله عليه وسلم جناية العجماء جبار والشافعي يفرق بين الليل والنهار ويوجب الضمان بالليل لان
المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضمان لما دخلت ناقة البراء
حايطا وافسدته وقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وكلا اتينا حكما
وعلما مدح لهما بعد ان قدم ان الحق ما قاله سليمان دلالة على ان المجتهد وان اخطا ممدوح لبذله الوسع
اجتهد واصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد وسخرنا مع داود الجبال يسبحن اذ سبح كما سبحت الحصا في
يد رسول الله وكما حن اليه الجذع وقيل سبح بمعنى سار من السياحة اي يسرن معه حيث سار وفيه

تبعد وعلى الوجهين اما حال او استيناف والطير عطف على الجبال او مفعول معه وكنا فاعلين مثل
ذلك وان كان بديعا عندكم او كنا نفعل مثل هذه الكرامات مع الانبياء وعلمناه صنعة لبوس لكم صنعة
الدرع عن قتادة قبله صفايح الحديد فاول من سردها وضم الحلق بعضها على بعض داود فجمعت الخفة والتحصين
ليحصنكم من باسكم بدل اشتمال من لكم قرا ابو بكر بالنون مسندا اليه تعالى وابن عامر وحفص بالتاء
مسندا الى ضمير الصنعة او اللبوس بتاويل الدرع والباقون بالياء مسندا الى ضمير اللبوس وهو الظاهر
لكونه حقيقة من غير تاويل فهل انتم شاكرون هل انتم تشكرون لان اصل دخول هل على الفعل فالعدول
عنه لابراز ما يتجدد في صورة الثابت فكان ادل على طلب التشكر ولسليمان الريح اي وسخرنا ها له
وزيادة اللام هنا دون الاول لان نفعه عايد الى سليمان بخلاف تسبيح الجبال والطير عاصفة شديدة
الهبوب ولا ينافي وصفها بالرخاء وهي اللينة لانها كانت عاصفة في العمل غدوها شهر ورواحها
شهر وفي نفسها رخاء لا تزعزع بل تسير على وفق مراده وكان ذلك آية الى آية ومعجزة مع معجزة
تجري بامره كيف يشاء حال ثانية الى الارض التي باركنا فيها هي الشام فانه كان يقيم بها وكنا بكل
شيء عالمين فعلمنا انه اهل لذلك الاكرام ولذلك وصفه بكونه عبدا شكورا ومن الشياطين من يغوصون له
في البحار ويستخرجون له الجواهر النفيسة من موصوفة عطف على الريح او مبتدا خبره ما قبله ويعملون عملا
دون ذلك ويتجاوزون الى اعمال اخر كبناء القصور واختراع الصنايع البديعة وكنا لهم حافظين ان يوجد
منهم فساد او زيغ عن امره وخروج عن طاعته وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر قيل كان روميا من ولد
عيص بن اسحق استنباه الله تعالى وكثر ماله وولده ثم هدم البيت على اولاده وذهبت امواله
وابتلى بمرض في بدنه حتى اكلت الدود لحمه وبلغت عظامه واستمر به المرض ثماني عشرة سنة
او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امراته قالت له لو دعوت الله
فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحي ان اساله وما بلغت مدة
بلايي مدة الرخاء فان قلت فكيف ساله قلت روي ان الدود اكلت لحمه حتى دخلت الى قلبه فخاف
ان تبلغه فلا يقدر على ذكره تعالى والضر بالضم ما يلحق الجسم من سوء الحال والضر بالفتح يشمل
كل ضرر وانت ارحم الراحمين الطف في السؤال حيث ذكر مس الضر نفسه وربه بغاية الرحمة ولم يصرح
بالمطلوب روي ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المومنين مشت جرذان
بيتي على العصي فقال الطفت لاجعلنها تثب وثب الفهود وملا بيتها حبا فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر
واتيناه اهله ومثلهم معهم احيى الله اولاده ورزقه ضعفهم كذا عن ابن عباس وابن مسعود
رضي الله عنهما وقيل ولد له ضعفهم رحمة من عندنا على ايوب وذكرى للعابدين وموعظة
للعابدين بعده ليصبروا كما صبر فينالوا ثوابه الاجر وحسن العاقبة واسمعيل وادريس وذا الكفل هو الياس
او يوشع بن نون سمي بذلك لكونه ذا حظ من الله تعالى وقيل لكون عمله كان ضعف عمل الانبياء في زمانه
وقيل هو زكريا لانه كفل مريم او الكفل يحيى لانه رزق في غيره او انه قيل خمسة من الانبياء لهم اسمان
اسرائيل ويعقوب والياس وذو الكفل وعيسى والمسيح ويونس وذا النون ومحمد واحمد كل من الصابرين
على التكاليف ومشاق النوايب وادخلناهم في رحمتنا في النبوة انهم من الصالحين لها او كاملين في الصلاح
لعصمتهم او الثناء عليهم لقيامهم بما اورثهم ذلك وذا النون هو يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا قومه
لما سيم من طول دعوتهم وشدة شكيمتهم هاجر قبل ان يومر وقيل وعدهم بالعذاب ان لم يومنوا فابوا
فخرج من بينهم فتابوا الى الله وامنوا فكشف الله عنهم العذاب فجاء بعد ثلث فنظر فراهم
على حالهم ولم يعلم بتوبتهم فاستمر ذاهبا حياء فظن ان لن نقدر عليه من القدر وهو الضيق

ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله اومثل حاله بحال من يظن ان لا يقدر عليه بجامع استقلاله وعدم انتظاره لامرنا والقول بجوازان يكون ذلك خطرة شيطانية سبقت الى وهمه خطأ لا يجوز اعتقاده وقياسه على قوله وتظنون بالله الظنونا باطل واطلاق الظن على الخطرة وان صح الاان المحل اب عنه ولوسلم كيف يعاقب على الخطرة التي لا اختيار فيها فنادي في الظلمات في الظلمة الشديدة كقوله شعر وليل يقول الناس في ظلماته سواء صحيحات العيون وعورها او ظلمة بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع ذلك الحوت حوت آخر ان لا اله الا انت سبحانك ان يعجزك شيء بخيني اني كنت من الظالمين داخلا في عدادهم بالمهاجرة من غير امرك فاستجبنا له عقيب الاعتراف ونجيناه من الغم الذي كان فيه وكذلك ننجي المؤمنين من الشدائد والغموم اذا اعترفوا واخلصوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما دعا بها مكروب الا اتاه الفرج قيل لبث في بطنه اربع ساعات وقيل ثلثة ايام وقرأ ابن عامر وابو بكر نجي بنون مضمومة وجيم مشددة على ان اصله ننجي مضارع ادغمت النون في الجيم لتجانسهما في الانفتاح والاستفال والجهر كما في اجاص واجانة وعن ابي عبيد هو مضارع حذفت النون الثانية لاجتماع المثلين مع عدم تأتي الادغام وعليه الرسم وقد صح النقل تواترا واتضح الوجه فالقادح مباهت وذكريا اذ نادي ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فلا ابالي ان لم ترزق ولدا فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه بعد ان كانت عاقرا او اصلحنا خلقها لانها كانت سيئة الخلق وتقديم يحيى وان كان متاخرا عن اصلاحها لانه المقصود انهم الانبياء المذكورين كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون اليها ويدعوننا رغبا ورهبا راغبين راهبين قدم الرغبة ترجيحا لجانب الرجاء وكانوا لنا خاشعين دائمي الوجل الخشوع فعل القلب والخضوع فعل الجوارح وعن الاعمش سألت عنه ابرهيم فقال هو بين المرء وبين الله اذا ارخي ستره واغلق بابه والمعنى ان ما نالوه من رفعة المحل والكرامة انما نالوه بهذه الخصال ويجوز ان يكون هذه الاوصاف لزكريا ويحيى ووالدته لتقدم سائر الانبياء مع اوصافها والتي احصنت فرجها ذكرها بين هؤلاء الكمل وايثار لفظ الاحصان الدال على كمال التحفظ ينادي على عظم شانها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما سال فاطمة رضي الله عنها عن طعام اصبح عندها من اين لك هذا قالت هو من عند الله الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء العالمين فنفخنا فيها من روحنا فنفخنا في عيسى في بطنها من الروح الذي من امرنا او من جهة روح القدس وهو جبرئيل اضافة اليه تعالى تشريفا له وجعلناها وابنها آية للعالمين جنس الآية لان فيهما آيات كثيرة او آية قايمة بهما والبواقي تختص بهذا او بتلك ان هذه امتكم فعلة بمعنى المفعول لانها تطلب قال وهل يستوي ذوامة وكفور اشارة الى ملة الاسلام وان لم يتقدم ذكرها لكونها مصورة في الاذهان ولكمال تميزها لم يوصف اسم الاشارة امة واحدة غير مختلفة بين الانبياء يريد العقايد دون الفروع التي تتطرق اليها النسخ والتبديل وانا ربكم فاعبدون كان الظاهر انا الهكم لانه رتب عليه العبادة الا انه آثر لفظ الرب اشارة الى ان دعاءهم الى العبادة تربية لهم ودعاء بلسان اللطف والبسط وتقطعوا امرهم بينهم وتقسموا امر دينهم كما يتقسم الشركاء كل يأخذ نصيبا غير نصيب الآخر صرفا للكلام من الخطاب الى الغيبة ابعادا لهم كانه نعى عليهم صنيعهم الى مخاطب آخر وقال انظر الى هؤلاء في دين فسدوه اي ضلال ارتكبوه بعد ذلك الارشاد وهذا ابلغ من قوله فتقطعوا بالفاء في سورة المومنين لمجيء الواو للمقارنة ولذلك امرهنا بالعبادة وهناك بالتقوى اشارة الى بعد

فانه اللائق والعاجي وانما كان العاصي لان ذلك كان في المؤيس وهذا في الانبياء صح

انجي

والخير لدعاء افرج فرجها في سورة التحريم عنه لان الفرج يذكر ويؤنث .

هؤلاء عن تلك الرتبة كل الينا راجعون فنجازيهم على حسب اعمالهم فمن يعمل من الصالحات بعضها بعد ذلك التفرق وهو مؤمن اذ بدونه لا يعتد بعمل فلا كفران لسعيه مثل في حرمان الثواب فان قلت لم ذكر فمن يعمل هنا بالفاء وقد ذكره في السورة السابقة بالواو قلت لانه ذكر ان بعد ذلك التفرق من عمل صالحا لا يضيع اجره وهناك ابتداء الكلام ترغيبا بعد اهوال القيمة وانا له كاتبون يكتبه حفظتنا وحرام على قرية اهلكناها عزمنا على اهلاكها وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر حرم بكسر الحاء وسكون الراء وهما لغتان انهم لا يرجعون الى التوبة لان مراده واقع لا محالة او اهلكناها بالفعل والمراد رجوعهم الى الدنيا كذا عن ابن عباس وقيل للجزاء ولا صلة على الوجوه والوجه هو الاول لقوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج فانهم في ذلك اليوم يرجعون الى التوبة وحتى هي التي تحكي بعدها الجملة وهي لا تكون ابتدائية وقرأ ابن عامر فتحت مشددا وعاصم الاسمين بالهمز اما لانها الاصل ان كانا عربيين او جارية مجراها ان كانا عجميين وهم من كل حدب مرتفع من الارض ينسلون يسرعون من النسلان يقال نسل وعسل اذا اسرع وقيد الحدب لان الاسراع فيه اظهر وقيل هم لشعة اعشار بني آدم واقترب الوعد الحق قيام الساعة فان خروجهم بعد عيسى عليه السلام فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا شخوص البصر ارتفاع اجفانه من شدة الخوف والضمير للقصة يفسره الجملة او مبهم يفسره الابصار والجملة جزاء الشرطية واذا الفجائية وان قامت مقام الفاء الا انهما اذا تظاهرتا على ربط الجزاء يكون الاتصال آكد وتوهم اجتماع البدل والمبدل ساقط لان اذا يراد بها معناها فلم يتمحض بدلا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا مقدر بالقول بل كنا ظالمين اضراب الى ما هو اقبح وهو الاخلال بالنظر انكم وما تعبدون من دون الله هي الاصنام وابليس واعوانه لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاه على كفار قريش قال له ابن الزبعري خصمتك ورب الكعبة عبد عزير والمسيح وعبد بنو مليح الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وقيل لما قال له ابن الزبعري ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجهلك بلغة قومك ما انما هي لغير ذوي العقول حصب جهنم عن ابي عبيدة كل ما يلقى في النار حصب من حصبت الشيء اذا رميته بالحصباء انتم لها واردون لا لغيرها بخلاف المومن فانه وان وردها فهو بالعرض لو كان هؤلاء آلهة كما زعموا ما وردوها اذ لا يعقل ورود الاله على النار وكل من العابد والمعبود فيها خالدون كانوا يرجون منها الشفاعة فاذا وجدوا الامر بالعكس لم يكن عليهم عذاب اشد من مفارقتهم لهم فيها زفير اغراق نفس من شدة الكرب كالمخنوق او هو صوتهم وعويلهم شبه بصوت الحمير فان الزفير اوله وهم فيها لا يسمعون لانهم يجعلون في توابيت لئلا يري بعضهم بعضا ولا يسمع صوته وهذا بعد الياس لقوله ونادوا يا مالك وقولهم ربنا اخرجنا منها ان الذين سبقت لهم منا الحسنى السعادة او البشرى تانيث الاحسن لم يعطف القصة لئلا يشعر بالتبعية اولئك عنها مبعدون عن النار لا يسمعون حسيسها حال او استيناف لبيان البعد والحسيس الصوت الخفي وفيه دلالة على غاية البعد فان صوتها يسمع من مسيرة سبعين عاما وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون مستغرقون في النعم مع الخلود الذي هو راس النعم لا يحزنهم الفزع الاكبر هو عند النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وعن الحسن عند الانصراف الى النار وعن الضحاك

ان المعنى حرام عليها ذلك اي العمل الصالح ... لماذا حل لانهم لا يرجعون فلا على احد ... الكسر على الاستيناف

عذابا فى النار وقيل عند ذبح الموت وتتلقيهم الملائكة بالتبشير والاكرام هذا يومكم الذي
كنتم توعدون على لسان الرسل يوم نطوى السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقيهم
او حال مقدرة من العايد المحذوف من توعدون والطى ضد النشر كطى السجل للكتب هو الكتاب
الكبير وفى الحديث توضع السجلات فى كفة ولا اله الا الله فى كفة والمراد به الطومار والمناسب
للكتابة النشر الا ان الطى يجعل كتابة عن تشويشه لمحتاذا احتيج اليه لا يحتاج الى تشويشه و
قيل السجل اسم ملك يطوى سجل الاعمال والقول بان السجل اسم كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
باطل وقرا حمزة والكسائي وحفص بضم الكاف والياء والافراد اخف ويحصل به الغرض كما بدانا
اول خلق نعيده جملة منقطعة عن الاول ان نعيد اول كل مخلوق ونوجده بعد العدم كما اوجدناه
سابقا كذلك والمعنى ان تحقق الاعادة مثل تحقق الابداء فالعلم ها هو الاول وما كافة او مصدرية
والكاف فى محل النصب بيد انا تشبيها للاعادة بالبدء وان جعلت موصولة اى نعيد مثل الذي
بداناه فالمعاد هو المثل والمطلوب هو العين وعدا علينا نصب بنعيد لانه عدة بالاعادة انا كنا
فاعلين لا محالة او قادرين ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر اى فى الكتاب الذي انزل
على داود بعد ان كتبنا فى التوراة او فى اللوح المحفوظ او فى القران فان تاخر نزوله لا يقتضى تاخر
الكتبة شير الى ان الزبور مع كونه مشتمل على الاحكام بالهو تحميد وتمجيد وبحلى هذا الحكيم
وقرا حمزة الزبور بضم الزاء وهما لغتان اجمع زبران الارض يرثها عبادى الصالحون امة
محمد لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض او جامة المؤمنين ان فى هذا
لبلاغا لموعظة وذكرى اسم بمعنى التبليغ او بمعنى الكفاية قال الشاعر ترح من دنياك بلاغ
لقوم عابدين هم هم العبادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين سبب الاسعادهم ومن لم ينفعه لقت
لا يلوم الا نفسه كمن منع نفسه عن شرب الماء حوضات لا يقدح ذلك فى كون الماء مثه الجموع
وقيل كونه رحمة للكفار لانهم بجوابه عن عذاب الاستيصال روى انه صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل قد سمانى الله رحمة للعالمين فهل اصابك منها شئ قال والله انى اوتيت منا لم ازل كنت
وجلا حتى اثنى على فى سورة التكوير وقد ختم سورة الانبياء بما تهم لكون الختام مسكا قل انا يوحى الى
انما الهكم اله واحد اى ما يوحى الى الا ان لا اله الا الله الموصوف بالوحدانية يعنى ان المقصود
الاصلى والمقصد الاقصى هو ذلك ففى انما قصر الصفة على الموصوف وفى انما بالعكس والثانى
ليس كليا بل من المقام لقوله وظن داود انما فتناه فهل انتم مسلمون بعد هذا الوحى المصدق بالحجة و
فيه ان التوحيد يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم على سواء اعلمتكم من اذن
بمعنى علم وقد شاع استعماله فى معنى الانذار والمعنى تولكم فقد اعلمتكم علامات اوفيا واوفيا
انتم مستوون فيه ان الغلبة والعاقبة للمسلمين لا محالة وان ادرى قريب ام بعيد ما توعدون
وما ادرى متى يكون ذلك لان الله لم يطلعنى عليه وقيل علمكم انى على سواء اى عدل واوجبه
انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون فهو مجاريكم على ذلك وان ادرى لعله فتنة لكم لعل التاخير
ابتلاء لكم وامتحان لننظر كيف تعملون ومتاع الى حين الى وقت فضه مشيئته قل رب احكم بالحق
اسئله انجاز ما وعدته من الوعد الثابت الذي لا خلف فيه وقد فعله يوم بدر دافعا بديه فاستبالغ
انشدك وعدك حتى سقطت رداءه وقرا حفص قال اخبارا عن فعله وربنا الرحمن المستعان على ما
تصفون من ان الغلبة لكم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن تمتنون بذلك انفسكم الا مانى مغرضين

عن الذكر لاهية قلوبهم انصلت الخاتمة بالفاتحة والحمد لله حق حمده ما هدر السحاب برعده

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة
شئ عظيم الزلزلة مضاعف من الزليل وهو انتقال الشئ من مكان الى آخر والمراد بها شدة تحريك
الارض وانتقال الاشياء عن مقارها ومراكزها واضافتها الى الساعة على طريقة المجاز الحكمى او
للاتساع فى المفعول فيه واجرائه مجرى المفعول به بل مكر الليل والنهار واختلف فى وقتها فعن
الحسن انها يوم القيمة وعن علقمة والشعبى ان ذلك عند طلوع الشمس من مغربها والاضافة الى الساعة
لانه من اشراطها علل الامر بالتقوى بها لما فيها من الهول حثا على التدرج بلباس التقوى الذي
هو الملجاء والمنجاء فى الشدايد ومن يتق الله يجعل له مخرجا يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما ارضعت يوم نصب بتذهل والذهول الذهاب عن الشئ بدهشة وانما آثر مرضعة على مرضع
لارادة الحدوث لانها اذا ذهلت حال الارضاع ملقمة ثديها للرضيع كان الامر فى غاية الشدة
وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها فى غير اوان الولاد وترى الناس سكارى ظاهرا
حقيقة ولكن عذاب الله شديد فلذلك ذهب عقلهم وطار لبهم وقرا حمزة والكسائى سكرى على
وزن فعلى وهو مطرد فى عاهات البدن كمرضى وحمقى وعن الفراء جمع سكران وزمنى المختار
قراءة القوم لان فعالى قياس جمع فعلان ككسالى ولاجماعهم فى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم نزلت فى النضر بن الحارث وكان جدلا يسافر الى العجم ويتعلم
من اقاصيصهم ويتبع فى مجادلته كل شيطان مريد متجرد عن الخير اصل المرودة الملاسة يقال غصن
امرد لا ورق عليه كتب عليه انه من تولاه فانه يضله مثل وتصوير كان من يتولاه مكتوب عليه
اضلاله ويهديه الى عذاب السعير يوصله اليه استعارة تهكمية يا ايها الناس ان كنتم فى ريب
من البعث فى امكانه فانا خلقناكم من تراب هو خلق آدم لقوله خلقه من تراب ثم من نطفة من منى
من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة دم جامد ثم من مضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ فعلة بمعنى
المفعول مخلقة وغير مخلقة خالية عن العيب والنقص يقال خلق السواك اذا سواه وجعله املس و
على ذلك الاصل التفاوت بين افراد الناس طولا وقصرا اتماما ونقصانا والمعنى ان ريبتم فى شان
البعث فانظروا فى هذه المقدمات لتورثكم العلم الجلى بحيث لا يبقى لكم شائبة ريبة عن انس
بن مالك ان الله وكل بالرحم ملكا يقول يارب نطفة يارب علقة يارب مضغة فاذا اراد ان
تقضى خلقه قال اذكر ام انثى شقى ام سعيد فما الرزق والاجل فيكتب فى بطن امه
لنبين لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا ان فى كل انقلاب آيات شاهدة بذلك وايراد الفعل غير
معدى الى المفعول اشارة الى ان فعله هذا يتبين به من كمال علمه وقدرته ما لا يمكن الاحاطة به ونقر
فى الارحام ما نشاء ان نقر عطف على انا خلقناكم والعدول الى المضارع لتصوير الحال والدلالة
على زيادة الاختصاص الى اجل مسمى الى وقت ولادة فله ستة اشهر والاغلب تسعة اشهر
ونهايته سنتان عند ابى حنيفة واربع عند الشافعى ثم نخرجكم طفلا حال من المفعول مستو فيه الذكر
والانثى والفرد والجمع قال او الطفل الذين لم يظهروا ثم للترقى رتبة كانه قيل ثم نخرجكم بعد
تلك الاطوار الخسيسة انشاء بديعا انسانا فى احسن تقويم ثم لتبلغوا اشدكم معلله محذوف اى
ذلك الاقرار والاخراج لتبلغوا الاشد فانه اوان الاستكمال علما وعملا فهو حقيق بان يكون المقصود
من الاقرار والانشاء اللذين هما له كالمقدمة للنتيجة ولذلك اسندهما الى ذاته المقدسة دونه

ولا اشد تقدم معناه في يوسف ومنكم من يتوفى من لا يصل الى بلوغ الاشد ومنكم من يرد الى ارذل
العمر الى ان يكبر ويخرف استوى في الافنام بعد الاخراج كما استوى في الافنام قبله وقدمها اما نظر الى الوجود
او لانها ادل على البعث فان قلت لم طوي ذكرا لتشيخوخة هنا وقد ذكرها في سورة المومن حين عد اطوار
الانسان بعد الاخراج قلت لان الرد الى ارذل العمر لا يمكن بدون التجاوز عنها ولم يكن مقصودا كليا فلما ذكرها
هنالك لم يعد ذكرها كما ان الاخراج طفلا لما لم يمكن الا بعد المضغة وقد ذكرها هنا طوى ذكرها هنالك
كما هو شان الكلام المعجز في اشاراته ورموزه لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود الى ما كان عليه حال
الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل يشير الى انه قادر على الاشياء واضدادها على السوية فتارة يرقى
الانسان في مدارج الارتقاء الى اوج الكمال وتارة ينزله الى حضيض النقصان ودرك الوهاء ولما استوفى
ادلة الانفس التي هي اقرب اخذ في ادلة الآفاق وترى الارض هامدة لا نبات بها من همدت النار اذا خمدت
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وانبتت من كل زوج من كل صنف
الاسناد الى الارض اسناد الى المحل بهيج ذي حسن وسرور من بهج بالضم ذلك المذكور من خلق بني آدم
وما بعده على النمط المذكور بان الله هو الحق الثابت الوجود وانه يحيي الموتى وانه قادر على احياء الموتى
وانه على كل شيء قدير لاشتراك الامكان واستواء نسبة القدرة وان الساعة آتية لا ريب فيها لان الصادق
قد اخبر بوقوعها وقيل لان التغير دليل الانصرام وفيه ان الجنة والنار حادثتان متغيرتان ولا انصرام
لهما وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده وزبدة الكلام انما كان ذلك لانه تعالى حق قادر حكيم
لا يخل بمقتضى الحكمة بل يميز بين الطايع والعاصي والمحق والمبطل فاتيان الساعة وبعث من في القبور
من روادف الحكمة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم هو النضر بن الحارث والتكرير للتوكيد كاعادة
الاقاصيص مع ما زيد من قوله ولا هدى ولا كتاب منير وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ابو جهل وقيل الاولى
في المقلدين وهذا في المقلدين يؤيده ذكر الاتباع هناك والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى النظر
والاستدلال الموصل الى العلم وبالكتاب المنير الوحي ثاني عطفه كناية عن التكبر والاعراض عن الحق ليضل
عن سبيل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالفتح وانما جعل جداله خروجا من الهدى وان لم يكن قط في شيء منه
لتمكنه منه والمختار الضم لقوله وصدوا عن سبيل الله ولان المختار انها في المقلدين وهم الرؤساء
المضلون له في الدنيا خزي قتل واسر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق الاحراق او النار العظيمة ذلك
بما قدمت يداك من الكفر والمعاصي يقال له ذلك او التفت اليه ليكون التوبيخ كفاحا وان الله ليس بظلام
للعبيد بان يعذب من لا جرم له بناء على ما جرت به سنته ومن الناس من يعبد الله على حرف شبه حال
من لم يطمئن قلبه بالايمان بحال من يكون على طرف العسكر في المحاربة فان رأى نصرة وظفرا قر والا فر
بينه بقوله فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه عن ابن عباس رضي الله عنهما كان
الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد امرأته ولم تنتج
خيله قال هذا دين سوء خسر الدنيا والآخرة لانه ارتد لفقد الدنيا ذلك هو الخسران المبين
الجلي اذ لا خسران اظهر من خسران فاقة الدارين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه اعاد الموصول
مبالغة لدلالته على كل من الانتفائين استقلالا والعطف من قبيل الصفات ذلك هو الضلال البعيد
البعد وصف الضال وصف به فعله مبالغة يدعو لمن ضره اقرب من نفعه نفي الضر والنفع عن الاصنام
اولا لانها جمادات لا احراك بها واثبت كونها سببا للضرر المحقق في الدنيا والآخرة وهي بمعزل عن النفع
الذي كان يترقب منها ويدعو بمعنى الزعم والاعتقاد واللام معلقة له او بمعنى القول والجملة بعده
محكية والمعنى يقول الكافر اذا رأى حرمانه من نفعها وقرن معها والفني في النار لمن ضره اقرب من نفعه

قاله القاضي

يشير الى ... العسير

ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد

او يدعو تكرير كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه ثم استأنف مخبرا
لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير فان قلت لا نفع في الاصنام فما معنى الاقربية قلت هذا
ونظايره من باب المجارات بناء على زعم الخصم ما يريد لا مانع لقضائه ولا يسئل عما يفعل من كان يظن
ان لن ينصره الله لما ذكر المجادل بالباطل بانه لا يدلي بحجة نظرية ولا وحي سماوي وبين ما له في الآخرة
اتبعه بذكر من يجادل عن دين الله بادلة قاطعة وبراهين ساطعة وهو الرسول المؤيد اختصارا للكلام
واشار اليه بالضمير دلالة على انه العلم المرفوع الذي لا يشتبه وان الكلام معه وله وفيه وان غيره
وان ذكر فبالتبع والعرض في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء الى سقف بيته ثم ليقطع ليختنق من
قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع مجاري نفسه وفي الحديث اصاب ابن عمر قطاع اي ضيق نفس او فليمدد
بحبل الى السماء المظلة فليقطع الوحي النازل عليه وزبدته ان من يغيظه نصره واعلاء شانه فليستقص
وسعه وليستفرغ جهده فلينظر فليتأمل هل يذهبن كيده احتياله ما يغيظ وقيل الآية نزلت في طايفة
من المسلمين استبطؤا نصر رسول الله واظهروا القلق فالآية حث لهم على الصبر على آكد
وجه وقيل النصر الرزق من نصر الغيث الارض قال اذا دخل الشهر الحرام فجاوري بلاد تميم وانصري
ارض عامر وعلى هذا الغرض حث المؤمنين على الرضا بما قسم الله لا كمن يعبد الله على حرف وكذلك
انزلناه اي مثل ذلك الانزال في اثبات البعث قاطعا دابر الشبهه انزلنا ساير القرآن لاثبات الاحكام
والمقاصد آيات بينات واضحات وان الله يهدي من يريد ولارادة هداية من يريد هدايته او زيادة
هدايته انزل القرآن كله كذلك ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا فزاد الصابئين بالذكر دلالة على انهم مخالفون للنصارى في عقايدهم ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة بان لا يجمعهم في مكان واحد ولا يجازيهم جزاء واحدا بل يتفاوتهم بحسب تفاوت
اعمالهم او يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ان الله على كل شيء شهيد حاضر بعلمه لا يفوته الم تر ان الله
يسجد له من في السموات ومن في الارض شبه تأتي من فيها وقابليته لاحداث ما اراده وقضته حكمته
فيه بادخل افعال المكلف في الطاعة وادلها على الانقياد اذ لا خضوع فوق السجود وتعفير اشرف
الاعضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد وفي السجود تقبل
شفاعته في حق العصاة والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب خصها بالذكر لانها
اشرف الاجرام العلوية والسفلية بعد اولي العلم فاذا انقادت فما سواها اولى وكثير من الناس
من جوز استعمال المشترك في المعنيين نظمه في سلك المذكورات المتناسقة واراد بالسجود هنا
وضع الجبهة ومن لم يذهب الى ذلك اما ان يجعله مبتدا خبره محذوف وهو مثاب او ما في معناه لدلالة
مقابله عليه او مرفوعا بمضمر دل عليه الحال ويسجد المذكور دلالة مغايرة او مبتدا ومن الناس
خبره اي وكثير من الناس الذين هم ناس حقيقة وهم المتقون اي كاين منهم او كرر كثير مبالغة
في تكثير من حق عليه العذاب كانه قيل وكثير وكثير من حق عليه العذاب والمساق بابهما لان الكلام
لبيان كبريائه وانقياد الكاينات له احوالا وافعالا وكثير حق عليه العذاب باباية عن وضع الجبهة
له تعالى طاعة والقول بانه يجوز عطفه على الساجدين بالمعنى العام على معنى ان كثيرا من المسخرين
لارادته حق عليه العذاب مع ركاكته يوجب تفكيك النظم ومن يهن الله بالشقاء فما له من مكرم
اشارة الى علة الطاعة والاباء من الفريقين ان الله يفعل ما يشاء لا لمية لصنعه وان اشتمل على حكم
هذان خصمان الخصم مصدر وصف به الفوج او الفريق ولذلك قال اختصموا نظرا الى المعنى عن ابن

يخاطب خيله ويعد عامرا اى اطلب الرزق بارض عامر منه

لفظ ادخل افعل تفضيل كادل

قاله الكل و الشافي

ابن عباس رجع الى الاديان الستة وقد روي البخاري عن ابي ذر رضي الله عنه انه كان يقسم انها
نزلت في الذين بارزوا يوم بدر حمزه وعلي وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعه وعتبة بن ربيعه
والوليد بن عتبة وروي ايضا عن علي ابن ابي طالب انا اول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيمة
وقيل ان اهل الكتاب قالوا للصحابة نحن احق بالله منكم نبينا قبل نبيكم وقال المومنون بل نحن لانا
امنا بمحمد ونبيكم فنزلت في ربهم في شانه من صفاته واحواله او في قربهم منه فالذين كفروا مطلقا وان كان
التسبب خاصا قطعت لهم ثياب من نار اشارة الى وجه فصل الخصومة الذي اجمله في قوله ان الله يفصل بينهم
وتقطيع الثياب من النار بان يجعل الله النار محيطة بهم طبقات كما كانوا يلبسون في الدنيا ثياب الخيلاء
وتنكير النار للتهويل يصب من فوق رؤسهم الحميم الماء الحار لانه الصق واشد نفوذا في الاعماق يصهر به
بذلك الحميم اي يذاب ما في بطونهم من الاحشاء والجلود وفي تقديم ما في بطونهم على الجلود ايماء الى ان شدة
من فرط حرارتها تؤثر في الباطن قبل تاثيرها بالظاهر لان ذلك اشرف واشد تاثرا وهذا ابلغ من قوله
وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم لان الصب على الروس افحش من السقي والاذابة ابلغ من التقطيع وما في
البطون اعم من الامعاء ولهم مقامع من حديد سياط مختصة بهم من القمع وهو الكف كلما ارادوا ان يخرجوا
منها من النار من غم لغم عظيم يعتريهم اعيدوا فيها في النار في اماكنهم ودركاتهم بعد قصدهم لان الاعادة
رتبت على الارادة الخروج او معنى الخروج هو الظهور لانهم يرتفعون مع اللهب الى ضحضاح النار فيضربون
بالمقامع فيهوون فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اسماعا لهم ما يكرهونه زيادة في العذاب من كل جهة
اعاذنا الله منه بفضل رحمته ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
قسيم لقوله فاما الذين كفروا وغير الاسلوب وصدر الجملة باسمه المقدس تنويها بشان المومنين واشادة
لحالهم بان المباشر لذلك هو بذاته تعالى من غير واسطة ملك يحلون فيها حال مقدرة من اساور جمع
اسورة جمع سوار من ذهب بيان ولؤلؤ عطف على ذهب اي اساور مركبة منهما وهو للترصيع وقرأ نافع
وعاصم بالنصب عطفا على محل اساور اي يحلون اساور يحلون لؤلؤا وابدل ابو بكر الهمز واوا والمختار
الجر لفظا لرجحان اللفظ على المحل ومعنى لان المرصع اجمل ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب لانه المتعارف
وهدوا الى الطيب من القول هو كلمة الشهادة وعن السدي هو القرآن وهدوا الى صراط الحميد الى
دين الله والحميد من اسمائه تعالى او المحمود في نفسه او المحمود عاقبته وقيل هدوا الى الطيب من القول
في الجنة مثل قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقولهم الحمد لله الذي هدانا لهذا والوجه الاول
اوجه لفظا ومعنى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله دين الاسلام آثر في المعطوف المضارع للدلالة على
الاستمرار والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اي معذبون وجعله حالا خلاف المشهور في المضارع
المثبت بالواو والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ذهب اسحق بن راهويه
وابو حنيفه في احدي الروايتين استدلالا بالآية على عدم جواز بيع دور مكة وذهب الشافعي
الى الجواز لان المذكور الموصوف بالسواء المسجد ولما روي البخاري عن اسامة قلت يا رسول الله اتنزل
غدا بدارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار ولما ثبت ان عمر اشترى دارا من صفوان
بن امية باربعة آلاف وجعلها سجنا ولا دلالة للآية على عدم الجواز لان المذكور هو المسجد مع كونه
معارضا بقوله ان الذين اخرجوا من ديارهم وسواء مصدر بمعنى مستو مفعول ثان لجعلنا ورفعه حفص
على انه خبر العاكف والجملة في محل النصب مفعولا ثانيا او العاكف مرتفع به وان جعل للناس مفعولا ثانيا
فالنصب على الحال والعاكف المقيم والبادي الآفاقي ومن يرد فيه حذف مفعوله لارادة العموم اي

الاديان الستة المذكورة في قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا الى آخر الآية منه

ابو عمرو

اما الطيب من القول بالمعنى الثاني واما معنى مذكور مدح الله وكلمة الشهادة بانه القول الطيب وكذا الاسلام بانه صراط الله او الطريقة

مراد كان بالحاد ملتبسا به وهو العدول من الحق من اللحد وهو الميل وفي الحديث هو احتكار الطعام فيه
والظاهر انه سبب النزول لعموم المراد ولما روي ان ابن عمر كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر
في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله خرج الى الحل فقيل له في ذلك فقال كنا نتحدث ان قول الرجل بلي والله
ولا والله في الحرم من الالحاد قيل لم يعلق الوعيد في نص على ارادة ما نهي عنه الا فيه بظلم حالان
او بدل عن الاول باعادة الجار وصلة له اي بسبب ظلم كالشرك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم
جواب من واذ بوانا لابرهيم مكان البيت اي واذكر لقومك ذلك الوقت وما امرنا به ابرهيم الذي
يزعمون انهم على ملته ليظهر لهم انهم ليسوا على شيء من دينه يقال بواه اتخذ له
مباءة والمباءة المنزل من باء رجع لانه يرجع اليه وقيل اللام زايدة اي نزلناه وجعلنا مكان
البيت مباءة له عن علي ابن ابي طالب كان في موضع البيت البيت المعمور وهو ياقوتة حمراء فرفع في
الطوفان فلما امر الله ابرهيم ببناء البيت ضاق به ذرعا ولم يدر موضع البناء فارسل الله اليه السكينة
وهي ريح خجوج فتطوقت موضع البيت كالحجفة فظهر له الاس فبناه عليه ان لا تشرك بي شيئا تفسير
للتبوية لان الغرض منها العبادة اي قلنا لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطايفين والقائمين والركع
السجود لهؤلاء العابدين واذن في الناس بالحج نادهم عن ابن عباس رضي الله عنه لما فرغ من بناء
البيت امره الله ان ينادي الناس بالحج فصعد ابا قبيس وقال يا ايها الناس حجوا بيت الله فاسمع الله
نداءه الارواح في الاصلاب والارحام فكل من سمع ذلك النداء واجاب يحج لا محالة وعن الحسن ومقاتل بن حيان
ان هذا امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بان يدعو الناس الى الحج والحق ان الآية مكية
والسياق انما هو لقصة ابرهيم ياتوك رجالا جمع راجل وعلى كل ضامر اي ركبانا على كل بعير مهزول لبعد
السفر ياتين من كل فج طريق عميق بعيد ليشهدوا منافع لهم نكر المنافع لانه اراد منافع دينية ودنياوية
مخصوصة بالحج لا توجد في غيره وعن ابي حنيفه رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات فلما حج فضله
على سايرها لما راي تلك الخصايص ويذكروا اسم الله في ايام معلومات في عشر ذي الحجة فانها ايام
العبادة والطواف والاعتكاف وقيل ايام النحر لقوله على ما رزقهم من بهيمة الانعام المراد
ذكر اسم الله عند النحر والذبح وانما عدل عنه الى المنزل دلالة على ان المقصود من شرع النحر وساير الاعمال
هو ذكره تعالى واشار بالرزق الى انه محض فضل منه تعالى وفيه حث على الانفاق وتشويق بالتقرب
بها الى الرازق مع اشتماله على الاجمال والتفصيل فكلوا منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا يتحرجون
من كلها او ندب مواساة للفقراء واطعموا البايس هو الذي اشتدت حاجته الفقير وصف كاشف له كان
الاعسار كسر فقاره الامر فيه للوجوب ثم ليقضوا تفثهم يزيلوا ما عليهم من الدرن وما يتبعه من قص الشارب
وقلم الاظفار فان الحاج اشعث اغبر وليوفوا نذورهم ما نذروا من التقرب الى الله فانه كثير الوقوع
في طريق الحجاز وتلك الاماكن الشريفه وليطوفوا هو طواف الزيارة لان ركن الحج بدونه او الوداع
لانه واجب او مطلقه لانه افضل الاعمال بالبيت العتيق القديم لكونه اول بيت وضع للناس
او العتيق من تسلط الجبابرة عليه ما قصده جبار الا قصمه الله والحجاج لم يقصد اهانته ولذلك
بناه بعد الانهدام وهو اليوم على ما بناه او الشريف والعرب تسمي كل حسن عتيقا كانه عتيق عن الشين
والعيوب ذلك الامر ذلك كانه قيل احتفظ به ومثله للفصل بين المقاصد انتقالا من نوع آخر
واكثر ما يقع للحساب وارباب السياقة ومن يعظم حرمات الله كل ما لا يحل انتهاكه جمع حرمة كظلمات وظلمة
وقيل ما يتعلق بالمناسك فهو خير له عند ربه اريد به زيادة مطلقة من غير مفضل عليه واحلت لكم الانعام

الريح الخجوج ما كان البجه المر سريعة الجاحم.

قراءة ابو بكر مثقلا

او جزء بدو الحيوانات كما في قوله تعالى نفاذ دون جزاء من.

كلها رفع لقاعدة اهل الاوثان من تحريم البحاير والسوايب الا ما يتلى عليكم لكن ما يتلى عليكم
من الميتة والدم والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع حرام فاجتنبوا الرجس من الاوثان
اي اذا اجتنبتم الانجاس التي فاجتنبوا الاوثان فانها نجس ايضا من بيانية بالغ في التنفير عن عبادتها
واجتنبوا قول الزور الكذب فيه لعبادة الاوثان لفرط قبحه روي الامام احمد ان رسول الله
قال شهادة الزور عدلت بالاشراك ثم تلا الآية حنفاء لله مايلين عن الباطل مخلصين له غير
مشركين به تصريح بما علم ومن يشرك بالله شيئا فكانما خر من السماء فتخطفه الطير شبه حال
المشرك وصوره بحال من يسقط من السماء الى الارض فاختطفته الطير من كل جانب فتفرق مزعا
في حواصلها او شبه الايمان في علو شانه باوج السماء وتاركه بالساقط من ذلك الاوج الى الكفر
الذي لا حضيض بعده وقرأ نافع فتخطفه بفتح التاء والخاء وتشديد الطاء مضارع تخطف وهو
ابلغ او تهوي به الريح في مكان سحيق من باب او كصيب او بحال من عصفت به الريح فهوت به في
بعض المطارح البعيدة او شبه الشيطان الذي يطرحه في مهمه البوار بالريح التي تهوي بما
عصفت به الى جهنام بعيدة القرار ذلك الامر والشان ومن يعظم شعاير الله علايم دينه من الفرايض
والسنن والآداب جمع شعيرة واكثر استعماله في مناسك الحج لانها امور محسوسة والمراد الهدايا
فانها من اعظم شعاير الله الحج واوفق بما بعده وتعظيمها بان يختارها غالية الاثمان عظايم الاجرام
وفي الحديث سمنوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقد اهدي صلى الله عليه وسلم
في حجته مائة بدنة فيها لابي جهل في انفه برة من ذهب واهدي عمر جملا اعطي فيه ثلثمائة دينار
فانها من تقوى القلوب اسناد الى القلوب اسناد الى المحل لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها
الى البيت العتيق اي لكم في تلك الشعاير منافع دينية الى وقت معلوم هو آخر ايام التشريق
ثم محلها اي انتهاؤها بالطواف للوداع من حل الاجل انتهى وحمل الاجل المسمى على الموت
والبيت المعمور والجنة بعده لايح وان خصت الشعاير بالهدايا فالمعنى لكم الانتفاع بها درا
ونسلا وركوبا الى وقت وجوب نحرها من حل الدين وجب والبيت العتيق هو الحرم كله لعدم
الالتباس ولقوله صلى الله عليه وسلم الحرم كله منحر ولكل امة جعلنا منسكا مكان نسك
او نسكا على انه مصدر واصله الغسل قال الشاعر ولو نسكت بالماء ستة اشهر ثم اطلق على العبادة
لبنائها على النظافة ثم غلبت على اعمال الحج وقرأ حمزة والكسائي بكسر السين وهي لغة اسد والفتح
لفصحى لغة الحجاز ليذكروا اسم الله علة للجعل دال على ان المقصود من شرع المناسك ذكره
تعالى باوصاف الكمال على ما رزقهم من بهيمة الانعام فيه دلالة على اختصاص الهدي بالنعم
فالهكم اله واحد اي بعد علمكم بوحدانيته فله اسلموا اخلصوا في العبادة وذبح النسايك
لا كما كان يفعله اهل الاوثان من الذبح باسماء آلهتهم وبشر المخبتين المنقادين لاوامره من
الخبت وهو المكان المطمئن ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلني مخبتا الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة الجلال عليها والصابرين على ما اصابهم من النوايب
والمقيمي الصلوة في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون وجوه البر العطف باعتبار الصفات والبدن
جعلناها لكم البدن جمع بدنة وهي من الابل ما يتقرب به ذكرا كان او انثى سميت بذلك لبدانتها
فانهم كانوا يسمنون الضحايا والنصب على شريطة التفسير والبقرة انما قامت مقامها
الحاقا من حيث المعنى لا لفظا ولا يحسب الاسم من شعاير الله من معالم دينه لكم فيها خير منافع دينا ودنيا

فاذكروا

فاذكروا اسم الله عليها عند الذبح اي اسم كان من اسمائه الحسنى والمندوب ان يقول الله اكبر لا اله
الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قايمات على ارجلهن هو الافضل في ذبح البدنة بخلاف
البقر والغنم فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض بعد النحر فكلوا منها واطعموا القانع السايل
من قنع اذا سأل والمعتر المتعرض للعطاء من غير سؤال من العرة وهي القذارة كذلك سخرناها لكم
اي مثل ما وصفنا من نحرها صواف سخرناها لكم مع عظم اجرامها وكثرة قوتها ونزى الجمل اذا ند وهاج
لا يقدر عليه الجم الغفير لعلكم تشكرون نعمته لن ينال الله لحومها ولا دماؤها لن يقع منه موقع الرضا
والقبول ولكن يناله التقوى منكم بان تقصدوا بذلك التقرب اليه من حيث الامتثال لاوامره كذلك
سخرها لكم اعاده تذكيرا بالنعمة وعلله بقوله لتكبروا الله اي لتذكروه بالتكبير والتهليل خاصة
فان ذكرا للسان اشيع وادل ولذلك جعل الحمد رأس الشكر على ما هداكم الى من المناسك او على
هدايته اياكم الى مصالح الدين والدنيا وبشر المحسنين المخلصين في الاعمال ختم به الكلام اشارة
الى انه ملاك الامر ان الله يدافع عن الذين آمنوا متصل بقوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
وما وقع في البين من بناء البيت وذكر المناسك وتعظيم الشعاير مستطرد لمزيد تهجين فعلهم لازدياد
قبح الصد بازدياد عظم ما صد عنه وبه ظهر ان التسوية بين العاكف والباد انما هي في المسجد الحرام
لان الكلام في المناسك وقرأ ابن كثير وابو عمرو يدفع مضارع دفع وعليه الرسم وقراءة الغير
ابلغ لان المفاعلة مبالغة في المغالبة ان الله لا يحب كل خوان كفور كثير الخيانة كفور شديد الكفران
ستار المنعم علة للدفع عن المؤمنين وايثار بناء المبالغة في الوصفين لان حق الامانة والشكر عزيز
اذن للذين يقاتلون اي في القتال وحذف لدلالة يقاتلون عليه وقرأ نافع وابو عمرو وعاصم
اذن بضم الهمزة مسندا الى الجار والمجرور وقرأ نافع وابن عامر وحفص يقاتلون على بناء المفعول وهو
ابلغ لشموله الاذن لمن لا يقدر على القتال بانهم ظلموا اي بسبب ظلمهم كان المشركون يؤذون اصحاب
رسول الله وكانوا بين مضروب ومشجوج فيامرهم بالصبر ونفر اكثرهم الى الحبشة
والى المدينة وان الله على نصرهم لقدير وعدلهم بالنصر على سنن كلام الملوك لما ذكر الاذن في القتال
وعلله بان المأذون له مظلوم ثم ذكر النصر على وجه الاكد لم يبق للمظلوم ريبة في انه منصور
لا محالة الذين اخرجوا من ديارهم من مكة بغير حق بموجب الاخراج الا ان يقولوا ربنا الله الا هذا
القول الذي هو اجل المناقب على طريقة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بان يسلط المؤمنين على الكافرين فالتنوين في بعض للتعظيم
وقرأ نافع دفاع بالالف وكلاهما مصدر دفع لهدمت صوامع وقرأ نافع بالتخفيف والتشديد
ابلغ وبيع معابد النصارى وصلوات كنايس اليهود اصله صلوتا اسم للمصلى بالعبرانية ومساجد
المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة المساجد تفضيلا لها ويجوز ان يكون عاما في الاربع وكذا
يجوز ان يكون المراد تسليط اهل الملل على الكفار في ازمنتهم وان يكون للمسلمين على المشركين
وابقاء متعبدات اهل الكتاب الذين لهم ذمة ولينصرن الله من ينصره ينصر دينه اي وقت كان وكاينا
من كان ان الله لقوي قادر عزيز غالب لا يعجزه شيء الذين ان مكناهم في الارض بدل من الذين اخرجوا
اشعار بان تمكينهم في الارض بعد الاخراج انما هو ليتمكنوا من القيام بما اخرجوا لاجله ولذلك جعل جزاء
الشرط اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وكذا ان جعل بدلا عن قوله من ينصره
فانه يتناول المخرجين ثانيا واوليا وايثار الشرطية لكونه جاريا على سنن كلام الملوك مع الاشارة الى
لزوم الوقوع بايقاعها صلة الموصول التي يستدعي التحقق وفي الآية دليل على حقية الخلافة للراشدين

في المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم والممكنون في الارض هم الخلفاء منهم ولله عاقبة الامور اليه مرجعها
فيه تاكيد لما وعده من نصر اوليائه وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم
وقوم لوط واصحاب مدين لما ضمن النصر لمن اخرج من امته ظلما عقبه بذكر الامم المكذبة للرسل تسلية له
واشارة الى انه اولى بالصبر منهم لانه امثلهم وافضلهم وكذب موسى غير الاسلوب لكون آياته او فر
واشهر وقيل لان قومه لم يكذبه بل غيرهم وهم القبط قوم فرعون وفيه انه قد كذبه من قومه قارون
ومن تابعه الا ان يقال تكذيب اليسير كلا تكذيب كما ان تصديق اليسير من هولاء الاقوام كلا تصديق
فامليت للكافرين امهلتهم ثم اخذتهم استاصلتهم فكيف كان نكير نكرى من التنكر بالضم وهو الدهاء
او انكاري من نكره اذا غيره فكاين من قرية اهلكناها اي اهلها وقرا ابن كثير كاء على وزن فاع وابو
عمرو اهلكت بالتاء والنون ابلغ في مقام السخط والمعنى بعد وكاين الاقوام اهلكنا كثيرا من القرى او بدل
من كيف كان نكير لانه للتهويل فاستونف فيه على وجه ابسط على نحو امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين
وهي ظالمة نصب على الحال فهي خاوية على عروشها ساقطة عليها بان وقعت السقوف اولا ثم الجدران
فوقها من خوى النجم سقط او خالية من خوى البطن خلا قال شعر لقد كنت اختار الخوى طاوي الحشا
فالجار متعلق بخاوية اي خالية مع بقاء العروش او خبر بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي كائنة
على ما كانت عليه دلالة على خراب العهد بالهلاك يؤيده ما بعده من وصف البئر بالتعطيل دون
الخراب والجملة عطف على اهلكناها ولا يجوز ان تكون حالا لان الخلو والسقوط لم يمكن وقت الاهلاك
ولا محل لها ان نصبت كاين على شريطة التفسير وان رفعته بالابتداء فكذلك ان عطفت على الاسمية
وان عطفت على الفعلية الواقعة خبرا ففي محل الرفع وبئر معطلة اي وكم من بئر عامرة في البوادي
عطلت باهلاك اهلها وقصر مشيد عال باق على علوه من شاد البناء رفعه او مجصص من الشيد بالكسر
وقيل المراد ببئر بئر بسفح جبل بحضر موت وبقصر مشيد قصر هناك كانا لقوم حنظلة بن صفوان
وكان نبيا ارسل الى قوم صالح بعد ان كفروا وعبدوا الاصنام فقتلوه فاهلكهم الله افلم يسيروا في
الارض حثهم على السفر للاعتبار برؤية مصارع المهلكين فتكون لهم قلوب يعقلون بها اي قلوب
بهذه الصفة تستبصر او تعتبر ابعد المشاهدة لان عين اليقين لا يبقى معه ريبة او آذان يسمعون
بها الاخبار المتواترة الموجبة لزوال الريب والمعنى انهم اذا شاهدوا ذلك بعين الاعتبار يعقلون ما يجب
تعقله من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
اي الشان والقصة لا اعتداد بعمى البصر بل العمى الذي لا عمى غيره هو عمى القلب والمعنى عيونهم سالمة
وانما آفت قلوبهم فعليهم السير في الارض والنظر بعين الاعتبار فانه دواء لذلك المرض وذكر الصدر لان
عمى القلب غير متعارف فاكد وقرر ويستعجلونك بالعذاب الموعود ولن يخلف الله وعده لامتناعه منه وتنزهه
عنه وان يوما عند ربك كالف سنة فلذلك يستقصرونه وهم يستطيلونه او يوم من ايام عذابه كالف سنة
مما تعدون او يوم واحد من ايام عذابه كالف سنة من سني العذاب لشدته وفظاعته فلماذا استعجلون
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي يعدون بالغيبة وكاين من قرية وكم اهل قرية وكم اهل قرية عطفه بالواو
دون ما تقدم لان هناك اما تعقيب او بدل من فكيف كان نكير وهنا مع ما عطف عليه كالاعتراض تعليلا
لانكار الاستعجال امليت لها وهي ظالمة مثل هولاء ثم اخذتها بعذاب الاستيصال والى المصير فاجازيهم بعذاب
يستحقر ذلك الاخذ دونه قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اقتصر على الانذار لان قوله فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم وما بعده تفصيل لمن نجع فيه الانذار فآمن ومن بقي على الكفر
غير ناجع فيه وقيل لان قوله يا ايها الناس نداء للمشركين خاصة وانما ذكر المؤمنين وثوابهم ليغيظهم

اخره
يحاذره من ان يقال لئيم

اوقد ساروا وشهدوا لما لهم لا يعقلون
وهذا الوجه الموافق لسبب الآيات و
الطاهر من استفهام الانكار.

الكفار والذين سعوا في آياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين اما من المفاعلة بمعنى فعل او
بمعنى المغالبة وقرا ابن كثير وابو عمرو بلا الف مشددا على انه حال مقدرة وعليه الرسم اولئك
اصحاب الجحيم الذين لم يفارقوها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي عطف النبي على الرسول
ظاهر في المغايرة قيل الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه وفيه انه ذكر في الكتاب بلفظ
الرسول من لا كتاب له كاسمعيل ويونس والامثل ما قيل ان الرسول من جاءه الملك بالوحي
والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى قرا من الامنية وهي القراءة ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني القى الشيطان في امنيته في قراءته شيئا يلبس به على السامعين فينسخ
الله ما يلقي الشيطان يزيله ويبطله ثم يحكم الله آياته الدالة على صدق مدعي الرسالة والله
عليم كامل العلم تميز الحق من الباطل حكيم فيما يفعله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض فيقدحون بذلك في رسالته او يزعمون انه كلامه والقاسية قلوبهم التي لا تؤثر فيها الآيات
ولا تلين لذكر الله وان الظالمين لفي شقاق بعيد عن الحق حيث ينسبون اليه كلام الشيطان و
يعتقدون صدور ذلك منه وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك اي النسخ او القرآن فكيف
يكون فيه مدح الاصنام بل ليس ذلك الا من الشيطان وقد روى ابن اسحق في سبب نزوله ان رسول
الله كان يقرا سورة النجم حتى بلغ ذكر اللات والعزى خلطا الشيطان بقراءته تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى فظن المشركون انه هو القارى وفرحوا بانه مدح آلهتهم فبين الله ان
ذلك من القاء الشيطان وان ذلك ليس مخصوصا به بل ما تلى نبي ولا رسول قبله الا وقد
القى الشيطان في قراءته لحكمة اقتضت ذلك هذا هو الحق الذي يجب اعتقاده وما عداه مما ذكره
المفسرون من انه تلاه بنفسه سهوا ثم جاءه جبرئيل واخبره به الى غير ذلك من الخرافات فكذب بحت
لا يحل المسلم ان يتلفظ به على انه لو صحت الرواية انه صلى الله عليه وسلم هو التالي لكانت الاشارة
والمدح للملائكة على ما يقتضيه السياق لقوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة
تسمية الانثى فيؤمنوا به بالنسخ او بالقرآن فتخبت له قلوبهم بالانقياد وان الله لهادي الذين
آمنوا الى صراط مستقيم بتاويل ما تشابه به وتخليص الحق عما القاه الشيطان ولا يزال الذين كفروا
في مرية منه من الحق او من القرآن او من القاء الشيطان حتى تاتيهم الساعة بغتة فجاءة او ياتيهم
عذاب يوم عقيم يوم بدر لقتل اولادا النساء فيه فصرن عقما او يوم لا خير فيه يقال ريح عقيم
اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا على انه استعارة تبعية شبه ما في اليوم من مانع الخير بالعقم او هو
او هو يوم القيمة اذ لا يوم بعده وكانه قال حتى تاتيهم الساعة او عذابها وهذا اوجه لقوله الملك
يومئذ لله اي يوم قيام الساعة او يوم يزول عنهم الشك يحكم بينهم بين الفريقين لتقدم ذكرهما
ولقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك
لهم عذاب مهين ايثار الفاء في الخبر هنا دون الاول اشارة الى ان دخول الجنة بفضل منه تعالى
بخلاف دخول النار فانه مسبب عن اعمالهم واما الاتيان بهم اولا وباللام ثانيا فتنبيه على غلبة
رحمته لدلالته على الاستقرار والتمكن والذين هاجروا في سبيل الله في طلب دين الاسلام ثم قتلوا
او ماتوا حتف انفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا في الجنة وان الله لهو خير الرازقين لانه رازق حقيقة وغيره
سبب ظاهر او لانه وام رزقه ليدخلنهم مدخلا يرضونه وهو الجنة بدل من ليرزقنهم الله وقرا
نافع مدخلا بفتح الميم والباقون بالضم وهو ابلغ روي ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله اصحابنا الذين قتلوا في سبيل الله وقد علمنا ما اكرمهم الله به ونحن

قال الكشاف

هذا من جملة افتراء صاحب الكشاف والعجب
انه اذا لم يوافق الحديث ضلالته يطعن فيه
وان كان متواترا الحديث رويه المؤمنين
رب العالمين تعالى
ثم يقدم على مثل هذا

فالاسناد مجازي

ان مثنا معك فما يكون حالنا فانزل الله هاتين الآيتين وان الله لعليم كامل العلم بالأحوال حليم
لا يعاجل بالعقوبة ذلك الامر ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد على حقه وتسمية الفعل ابتداء
بالعقاب للازدواج والمشاكلة اولانه سببه ثم بغي عليه ثانيا لينصرنه الله ثانيا لامحالة ان الله
لعفو غفور كثير العفو والغفران للمنتصر فانه مندوب الى العفو بقوله ولمن صبر وغفر فان ذلك لمن عزم
الامور وبقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وبقوله فمن عفى واصلح فاجره على الله والمعنى مع انه لم يمتثل
ما دعي اليه من الاولى والاجدر لم يؤاخذ بذلك بل منصور ان بغي عليه ثانيا ولذلك قدم لينصرنه
الله على قوله ان الله لعفو غفور مع ان الظاهر تاخيره اذ كان مظنة ان يخذل لعدم مسارعته الى
المندوب اليه وفي الكلام اشارة الى ان العفو عن الجاني بمكان عند الله فانه من اخلاقه وان خلافه مظنة
العقاب ودلالة على ان المحق منصور من الله في كلتا الحالتين عفى او عاقب وان المبطل مخذول دايما
مسلوك في قرن من كان في مرية حتى تاتيه الساعة او عذاب يوم عقيم ذلك اي ذلك النصر بان الله
يولج الليل والنهار ويولج النهار في الليل اي بانه قادر ومن آيات قدرته على الاشياء ايجاده الليل
موضع النهار وايجاده النهار موضع الليل او زيادته في كل واحد ونقصه من الآخر فلا يزال احدهما
غالبا والآخر مغلوبا وان الله سميع بصير وليسبب انه يسمع اقوال العباد ويبصر افعالهم فهو عالم
بمن يستحق النصر ومن يستحق الخذلان من ثمة الدليل لان القادر لا بد له من الوصفين ذلك
الوصف بكمال القدرة واحاطة العلم بان الله هو الحق بسبب انه الاله الحق الثابت الالهية وان ما
تدعونه هو الباطل فان قلت كونه الاله الحق مستلزم لذلك الكمال قدرة وعلما استلزاما ظاهرا من دونه
فمن اين يلزم ان يكون ما يدعون من دونه هو الباطل قلت لان غيره لبس بتلك الصفة اتفاقا فلا يصلح
للالوهية قرأ الكوفيون الا ابا بكر وابو عمرو يدعون بالياء الغيبة وهو المختار لشموله الغايب
والحاضر وان الله هو العلي عن صفات النقص الكبير من ان يكون له شريك ولما دل على كمال قدرته
بايلاج الليل في النهار وعكسه وبين احاطة علمه اتبعه بانواع من الدلايل الدالة على ذلك مع
كونها نعما جساما فقال مقررا الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة اثر القاء
وان كان الظاهر ثم لتراخي الاخضرار عن نزول المطر لانه يبتدي عقيب نزول المطر وان كان تمامه
في مدة ولذلك آثر المضارع على الماضي ورفعه عطفا على انزل لكونه مسببا عنه ان الله لطيف
عليم بدقايق الصنع او بارتعاده خبير ببواطن الامور علة لانزال الماء مع ما يترتب عليه ونجوز
ان يكون للطيف راجعا الى الانزال والخبير الى اصباح الارض مخضرة له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وان الله لهو الغني مطلقا الحميد في ذاته موصوف بكل كمال احمد ولم يحمد الم تر ان الله
سخر لكم ما في الارض من الدواب مذلله للركوب والحمل وساير الاشياء من المعادن والنباتات والفلك
عطف على ما او اسم ان تجري في البحر بامره حال او استيناف لبيان وجه التسخير ويمسك السماء بلا عمد
بحوله وقدرته ان تقع على الارض كراهة ان تقع الا باذنه بارادته عند قيام الساعة ان الله بالناس
لرؤف رحيم حيث بث دلة وجوده وتوحيده في الافاق ولم يخل شيء منها عن ضروب من النعم
وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة ثم يميتكم عند حلول الاجل ثم يحييكم
يوم القيمة للجزاء ان الانسان لكفور كثير الكفران ولما كانت آيات الانفس اقرب واظهر في كونها نعما
واشمل واوفر ختم الآية بالكفران لكل امة جعلنا منسكا شرعا ودينا هم ناسكوه متخذوه لشكا مستمرون
عليه فلا ينازعنك في الامر الذي انت عليه والشرع الذي شرع لك لان شانه اظهر من ان يمكن فيه
عنه النزاع وتجوز ان يكون نهيا له صلى الله عليه وسلم عن تمكينهم من النزاع على وجه الكناية كقولك

لا ارينك هنا وعن الزجاج نهي له عن منازعتهم لان من نازعك فقد نازعته والاول ابلغ
نزلت في كفار خزاعة قالوا للمؤمنين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يريدون الميتة وانما لم
تعطف كما عطفت نظيرتها وهي قوله ولكل امة جعلنا منسكا لان تلك في بيان الشعاير وان النسايك
لم تزل تتقرب بها الى الله كسائر العبادات واما هذه فسوق الكلام فيها لتعداد الآيات الدالة على التوحيد
وادع الى ربك الى توحيده انك لعلى هدى مستقيم طريق موصل الى الحق لا زيغ فيه وان جادلوك بعد
ظهور الحق عنادا فقل الله اعلم بما تعملون وعيد فيه رفق من قوله واعرض عن الجاهلين الله يحكم بينكم
اعاد كلمة الجلالة لدلالتها على الالوهية المناسبة للحكم والقضاء يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من
امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض من ثمة حديث الحكم استشهد بعلمه على ذلك كانه
قيل انت تعلم ان الامر كذلك وان جهلوه ان ذلك في كتاب هو اللوح كتب فيه مقادير الاشياء قبل
حدوثها ان ذلك على الله ان حفظ ذلك عليه يسير لان علمه المتعلق بجميع المعلومات مقتضى ذاته فلا
يعزب عنه مثقال ذرة ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا برهانا يدل على جواز عبادتها
وما ليس لهم به علم ضرورة او استدلالا بل تقليدا واتباع هوى وما للظالمين من نصير اذا نزل بهم
العذاب ويؤيد مذهبهم والغرض اظهار جهالتهم حيث لم يلتفتوا الى آيات الآفاق وتمسكوا في عبادة
ما لا دليل عليه واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقايد الحقة تعرف
في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لظهور آثاره على صفحاتهم آثر الظاهر على المضمر دلالة على ان
ذلك الانكار ناش عن كفرهم يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا من شدة الغيظ السطو
الوثوب والبطش والجملة حال او استيناف قل افانبئكم بشر من ذلكم الغيظ والسطو النار رجوب سؤال
كانه قيل ما هو ويجوز ان يكون مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير النار يا ايها الناس
ضرب مثل سميت القصة الرايعة المتلقاة بالقبول عند ذوي العقول مثلا تشبيها لها ببعض الامثال
السايرة في الغرابة والحسن فاستمعوا له للمثل استماع تامل وتدبر ان الذين يدعون من دون الله اي
الاصنام لن يخلقوا ذبابا لن يقدروا على خلقه ولو اجتمعوا له ولو تعاونوا وتعاضدوا على خلق احقر حيوان
واذله وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه اي ولو اختطف هذا الحيوان الاذل شيئا واجتمعوا
على استخلاصه منه لم يقدروا وهذا ادل على العجز وانتفاء القدرة ضعف الطالب والمطلوب وان كان
الطالب اضعف لكونه جمادا والمطلوب حيوانا ذا حس وارادة ولما اجراها مجرى العقلاء اثبت لها الطلب
مع الخيبة تهكما عن ابن عباس رضي الله عنه كان المشركون يلطخون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل
ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ما قدروا الله حق قدره ما عظموه حق تعظيمه
حيث جعلوا اذل الاشياء شريكا له في العبادة من قدرا الشيء يقدره اذا نظر فيه وتدبر ومنه حديث
عايشة رضي الله عنها فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن ان الله لقوي عزيز ذو قوة وغلبة لا يغالبه
شيء وما يدعونه من دونه اذل من اذل الحيوانات الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس شرع في اثبات
الرسالة بعد هدم قواعد الشرك واحكام دعايم التوحيد دلالة على ان له عبادا مصطفين يمكن التوسل
بهم الى معرفته تعالى ان الله سميع عالم باقوال المكلفين بصير باحوالهم يعلم ما بين ايديهم ما مضى
منها وما خلفهم وما يترقبونه لا يخفى عليه خافية والى الله ترجع الامور كلها والذي هذا شانه لا يسأل
عما يفعل لاحاطة علمه بكنه الاشياء فقولهم ا انزل عليه الذكر من بيننا وقولهم لولا انزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم ناش عن جهلهم ودليل على انهم ما قدروا الله حق قدره وقرأ حمزة والكسائي
وابن عامر ترجع على بناء الفاعل يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا حث على الشرايع بعد اثبات الرسالة

فانها كالنتايج لها وبداء بالصلوة لانها عماد الدين وعبّر عنها بالركوع والسجود لانهما اعظم اركانها لاحتوائهما
على غاية الخضوع والخشوع اللذين عليهما مدار العبادة وقيل اول ما اسلموا كانوا يركعون بلا سجود ويسجدون
بلا ركوع فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود واعبدوا ربكم اخلصوا له الطاعة واقصدوا بها وجهه وقيل
صوموا واغزوا وفيه ان الاية مكية وتلك العبادات مدنية وافعلوا الخير كله من اغاثة الملهوف وصلة
الارحام والامر بالمعروف لعلكم تفلحون حال كونكم راجين الفلاح فان الاعمال امارات والآية اية السجدة عند
الشافعي رحمه الله لما روي عقبة بن عامر قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم
تسجدهما فلا تقرأها وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة
سجدة منها سجدتان في سورة الحج وروي مالك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان سورة الحج فضلت بسجدتين
وعند ابي حنيفة رحمه الله قرانها بالركوع دليل على انها سجدة الصلوة لا سجدة التلاوة والحق انه لا تنافي بين
كون السجدة صلوتية وشرع السجود عند تلاوتها كما دلت عليه الروايات وجاهدوا في الله في احياء دينه حق
جهاده اصله جهادا حقا اضيفت الصفة الى الموصوف مبالغة كقولك زيد عالم حق عالم واضيف الجهاد الى
ضميره تعالى لان الجهاد لوجهه فتلك الملابسة كافية ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما
وعامرا هو اجتباكم اختاركم وجعلكم خير امة وما جعل عليكم في الدين من حرج حيث شرع لكم الرخص والكفارات
واحل لكم الغنايم ووضع عنكم الآصار والاغلال التي كانت على الامم فكما لطف بكم غاية اللطف جاهدوا فيه
حق الجهاد ملة ابيكم ابرهيم نصب على الاغراء او الاختصاص ولما كان رسول الله وهو اب لامته لكونه
سببا لحيوتهم الابدية جعله اباهم ويجوز ان يكون تغليبا لان قريشا كانوا من ذريته هو سماكم المسلمين
اي الله سماكم بهذا الاسم الشريف من قبل في ساير الكتب المنزلة قبل القرآن وفي هذا اي في القرآن وقيل
الضمير لابرهيم ومعنى من قبل قبل نزول القرآن وارسال محمد حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك ويؤيد
الاول قوله ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فانه صلى الله عليه وسلم يدل على ان الاجتباء
والتسمية كانا لهذا الغرض لانهما بمثابة التزكية فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة شكرا لتلك النعمة التي لم
يشاركم فيها امة واعتصموا بالله استمسكوا به في كل ما تأتون وتذرون وهذا قصارى الكمال ونهاية
التقوى فانتظمت الخاتمة مع الفاتحة هو موليكم متولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير لان من تولاه
لا يضيع ومن نصره لا يخذل ولان من نصره لا ينصر الا اذا اراد فلا ناصر سواه تمت السورة ولمولانا الحمد والثناء
والصلوة على سيد الانبياء وعلى آله وصحبه البررة الاتقياء

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وكان
المؤمنون يتوقعون نوع بشارة منه تعالى فصدّر السورة بما دل على ثبوت متوقعهم على ابلغ وجه بان
ادخل قد على المضارع البارز في صورة الماضي الدال على التحقق فكانه قيل قد تحقق ان المؤمنين من اهل الفلاح
والفوز بالاماني ويجوز ان يكون جواب قسم محذوف فيزداد تاكيدا على تاكيد الذين في صلوتهم خاشعون
الخشوع فعل القلب ويرى اثره في الجوارح ولذلك لما راي رسول الله صلى الله عليه وسلم مصليا يعبث
بلحيته فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ومن الخشوع في الصلوة ان لا يحدث نفسه بامر لا يتعلق بالصلوة
وينبغي كف الثوب والالتفات وقلب الحصا والسدل والاختصار وتشبيك الاصابع ويلبد النظر بموضع السجود
والذين هم عن اللغو معرضون كل ما لا يعنيك من قول وفعل لغو من لغا الرجل اتى بالباطل ومنه لغو اليمين
والغى ابن عباس طلاق المكره اي ابطله ولما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو
جمعا لهم بين فعل ما ينبغي وترك ما لا يعني اللذين عليهما مدار الكمال فهو من تتمة الصلوة فلذلك فصل به
بينهما وبين الزكوة والذين هم للزكوة فاعلون اي التزكية فانه اسم مشترك بين العين والمعنى القائم بالفاعل

قابله الكشاف

حديث عقبة رواه احمد بن حنبل وحديث عمرو بن العاص رواه ابو داود وابن ماجه وحديث رواه مالك عنه

يريد ان لما ينفي ما كان وهو متوقع منه

وعبّر عن المزكي بالفاعل تحاشيا عن التكرار مع ان كل فعل يعبر عن مصدره بلفظ الفعل ضرورة صدق العام
على الخاص ومن فسره بالذين يفعلون ليزكيهم الله او ليزكوا انفسهم فالصلوة ينادي على بطلان تخريجه وكذا
نظيره في سورة المعارج والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم وما ملكت ايمانهم اي حافظون فروجهم
في الحالات كلها الا في حال تزوجهم او تسريهم والاحسن تعلق الجار بحافظون من حفظت المال على اليتيم اي
حافظون فروجهم على الازواج لا يتعداهن ثم قيل غير حافظين الا على الازواج تاكيدا على تاكيد فانهم غير
ملومين فيه اشارة الى انه مباح لا ثواب فيه ولا حرج وهذا اذا لم يقصد به عدم الوقوع في الزنى لما روى البخاري
انهم قالوا يا رسول الله يأتي احدنا شهوته ويكون له اجر قال نعم ارايتم لو وضعه في الحرام اكان
له وزر ونكاح المتعة باطل اجماعا فلا وجه لعد المنكوحة متعة من الازواج فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى
فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخونون فيما يؤتمنون
فيه من حقوق الله وحقوق العباد ويرعون العهود والمواثيق لا يغدرون لم يجمعه لانه اسم للحاصل بالمصدر
بخلاف الامانة فان المراد منه الشيء المؤتمن فيه وقرا ابن كثير بالافراد والجمع اولى لتناوله الافراد صريحا
والذين هم على صلواتهم اي المفروضة والمشروعة يحافظون يؤدونها في اوقاتها مرعيا فيه الاركان و
الابعاض والهيئات مواظبون على ذلك على الاستمرار وقرا حمزة والكسائي بالافراد على ارادة الجنس و
عليه الرسم والجمع اظهر لظهور تناول الافراد مفروضة كانت او لا ولا تكرار لان الاول في بيان خشوعهم والثاني
في مسارعتهم اليها وقدم بيان الخشوع لانه الاصل في العبادات اولئك هم الوارثون الموصوفون بالصفات
المذكورة احقاء باسم الوراثة وبان لا يسمى غيرهم ورّاثا الجنة ما ورثوه وانما سمي جزاء اعمالهم ميراثا
دلالة على كمال الاعتداد بها وان الثواب في مقابلتها امر لازم كالميراث فانه ملك قهري لا يقبل الرد و
قيل لانهم ورثوا منازل الكفار في الجنة لو كانوا مسلمين لما في الحديث ما من احد الا وكتب له مقعد في الجنة
ومقعد في النار الذين يرثون الفردوس ابهم اولا ثم فسر اظهارا للفخامة والفردوس البستان الواسع الجامع
لاصناف الثمار روي ان الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها
المسك الاذفر وغرس فيها من جيد الفاكهة والرياحين روي مسلم والبخاري ان رسول الله قال اذا سألتم الله
الجنة فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة منه تتفجر الانهار هم فيها خالدون لا موت ولا انتقال اللهم
اجعلنا اهل الفردوس ولما بين ان الفايزين لديه هم المتصفون بتلك الاوصاف المرضية المتحلون بهاتيك
الاخلاق الزكية اشار الى ادلة وحدانيته واستحقاقه ذلك من عباده بقوله ولقد خلقنا الانسان آدم
من سلالة خلاصة فعالة بمعنى المفعول وبناء فعالة ينبئ عن القلة كالقلامة والقمامة من طين من بيانية
والاولى ابتدائية ويجوز ان يكون ابتدائية ايضا على ما روي عن الحسن انه خلق من ماء بين ظهراني الطين
او تبعيضية لان المسلول خلاصة الطين وانما نكر الطين لكونه طينا مجهول الاجزاء من وجه جميع الارض وهي
القبضة التي قبضها ملك الموت ثم جعلناه نطفة اي نسله نطفة فحذف المضاف في قرار مكين القرار المستقر
من الارض استعير لمحل النطفة ووصف بالمكانة مبالغة في وصف الرحم بالحصانة ثم خلقنا النطفة علقة
قلبنا النطفة البيضاء دما جامدا علق بعض اجزائه بعضا فخلقنا العلقة مضغة قطعة لحم مقدار ما يمضغ
فخلقنا المضغة عظاما صلبة فكسونا العظام لحما ساترا لها كالكسوة وقرا ابن عامر وابو بكر العظم مفردا
في الموضعين على ارادة الجنس لعدم اللبس والجمع اظهر ثم انشاناه خلقا آخر مباينا للخلق الاول بان كان جمادا
فصار حيوانا وناطقا بعد ان كان ابكم وسميعا بعد ان كان اصم وبصيرا بعد كان اكمه واودع فيه من القوى
الظاهرة والباطنة وانواع الادراكات التي لا يقدر على درك شيء منها الا علمه الشامل واحتج ابو
حنيفة رحمه الله بالآية على ان من غصب بيضة فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر

قابله الراغب اذ لو كان المعنى ولكن لشمل كل فعل منه طاعة منه

والنفي عدا الاول من لوازم المجموع بعلم من السابق

فان قلت لم ذكر العطف بثم اولا وآخرا دون المتوسطات مع تساوي المدة كما نطق به الحديث فيكون اربعين
يوما نطفة ثم اربعين علقه ثم اربعين مضغة ثم ينفخ فيه الروح قلت ثم في الموضعين للتراخي رتبة فان انقلاب
النطفة دما جامدا ابعد حالا من انقلاب العلقة مضغة وانقلابها عظما واما نفخ الروح فظاهر ويجوز
ان يكون تفننا في الكلام فان ابتداء كل انقلاب يتعقب ما تقدمه وان كان انتهاؤه متراخيا فاستعمال
الحرفين بالنظر الى الحالتين فتبارك الله احسن الخالقين تعالى شانه وكثر خيره على المخلوقين حيث اوجد
من طين مندرجا في الاطوار انسانا في احسن تقويم وعن ابن عباس ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب الوحي
فلما املى عليه رسول الله هذه الآيات وكان بليغا وسمع ما بهر عقله فلم يتمالك ان قال فتبارك الله احسن
الخالقين فقال ـــــ رسول صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزل فارتاب من ذلك وقال انزل
الي مثل ما انزل اليه فارتد مدة ثم عاد الى الاسلام احسن عود ثم انكم بعد ذلك لميتون لا محاله الفرق
بين الميت والمايت ان الاول يدل على الثبوت والثاني على الحدوث تقول زيد مايت الآن او غدا ولا تقول ميت
ثم انكم يوم القيمة تبعثون للجزاء ولا دلالة للكلام على حيوة اخرى في القبر وانما لم يتعرض لها لخفاء
شانها فلا يحسن ذكرها في معرض الاستدلال على كمال الاقتدار ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سبع سموات
سميت طرائق لانه طورق بعضها فوق بعض وكل شيئين جعلت احدهما فوق الآخر فقد طارقت بينهما واصله
من الطرق وهي الطبقة اولانها طرق الملائكة او الكواكب في سيرها وما كنا عن الخلق غافلين عن خلق السموات
بل كما اوجدنا نحفظها عن تطرق الخلل كقوله ولا يؤده حفظهما او عن المخلوقات تحتها فانه جعلها معدن
الارزاق بانزال الرحمة يؤيده وانزلنا من السماء ماء بقدر بمقدار معلوم اقتضته الحكمة فاسكناه في الارض
في عما فيها منه تجري العيون كقوله سلكه ينابيع في الارض وتخصيصه بالانهار الخمسة لا وجه له وانا على ذهاب
لقادرون لانه اهون في العرف من الانزال وانما نكر الاذهاب للدلالة على كثرة طرقه وتعدد اسبابه ومبالغة
في الايعاد به وهذا ابلغ في الوعيد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا قيل ابلغ منه من ثمانية عشر و
جها نعرف بالتامل فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون
بها ومنها تاكلون تغذيا كالتمر والزبيب فانهما من الاقوات وتحصلون منها ارزاقكم واسباب معايشكم يقال
فلان ياكل من حرفته اي منها وجه معاشه ويجوز ان يعود الضمير الى النخيل والاعناب لاشتمالها ثمرهما
على هذه المعاني كلها فان قلت قد جاء في الزخرف لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون وهنا جمع الفاكهة
واتى بالواو العاطفة ما الحكمة في ذلك قلت تلك في وصف الجنة والنوع الواحد من ثمره يوجد فيه طعم
ساير الانواع كما بين في قوله هذا الذي رزقنا من قبل فاشار بالافراد الى ان نوعا منه فيه غنية عن ساير الانواع
واما عدم العاطف فلان ما يوكل هناك بعض الثمر لدوامه وعدم انقطاعه ويوكل تفكها فلا يوجد معنى آخر يعطف
عليه وشجرة عطف على جنات هي شجرة الزيتون افردها بالذكر لشرفها قيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان
وهي الشجرة المباركة تخرج من طور سيناء جبل نودي منه موسى بفلسطين او بين مصر وايلة والطور لغة الجبل
الشاهق اضيف الى سيناء اسم بقعة او هو مركب كبعلبك وحضرموت وهو طور سينين وسيناء لفظ عجمي والمنع
من الصرف للعلمية والعجمة او عربي ومنع المفتوحة على قراءة الكوفيين وابن عامر لالف التانيث والمكسورة
للعلمية والتانيث المعنوي وليست الفه للتانيث لعدم النظير واما علباء فالفه للالحاق تنبت بالدهن
اي الشجرة ملتبسة بالدهن الجار والمجرور في محل الحال وجعل الباء صلة يفسد المعنى وقرا ابن كثير وابو عمرو
بضم التاء من الانبات اما لان انبت لازم كالمجرد وعليه قول زهير رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم
قطينا بها حتى اذا انبت البقل او تعدي بالهمزة والمفعول محذوف اي تنبت زيتونها وعن ثعلب ان الباء زائدة
كقوله ولا تلقوا بايديكم وعليه قوله شربن بماء البحر ثم ترفعت وقراءة الفتح اقل تكلفا وصبغ للاكلين

ويحتمل ان يكون الاول للتراخي زمانا لان
النطفة اذا وقعت في الرحم تبقى فتنتشر
الدال تحت يكون تحت كل شعرة ثم تنزل الى
الرحم والدليل في الحديث قوله يجمع خلق احدكم
في بطن امه اربعين نطفة ه

الانهار الخمسة سيحان وجيحان والدجلة
والنيل والفرات تعلمه الكل منه

نقلها صاحب الكشف عن صاحب التقريب
ومن اراد الوقوف عليها فعليه بالحد
الكتاب منه

وانما الجنة هناك ... وهاهنا
... على الغائب وكذا زيادة الواو وها
... حال ه

عطف على الدهن عطف على احد وصفي الشي على الآخر كانه قيل تنبت بالشي الجامع بين كونه دهنا
وادا ما واصل الصبغ الغمس ومنه في الحديث يوتى بالكافر المترف فيصبغ في النار صبغة فيقال له هل
رايت من نعيم قط فيقول لا وان لكم في الانعام لعبرة ما تعتبرون به وتستدلون على كمال علم الصانع
وقدرته نسقيكم مما في بطونها استيناف لبيان العبرة من ابتدائية اي كاينا من العلف الذي في
بطونها او تبعيضية لان اللبن جزء من العلف متكون منه وقرا نافع وابن عامر وابو بكر بفتح النون
وهما لغتان والفتح اخف واشهر وقد جمعهما لبيد في بيت سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبايل من
هلال ولكم فيها منافع كثيرة من الركوب والحمل والاصواف والاوبار ومنها تاكلون من اعيانها او
تجعلونها سببا لمعاشكم بالبيع والاجارة وعليها وعلى الفلك تحملون فان الابل والبقر يحمل عليهما و
قيل المراد بالانعام الابل لانها كانت غالب مال العرب وهي سفاين البر ولذلك قرنها بالفلك
قال ـــــ ذو الرمة يمدح ناقته المسماة بصيدحة سفينة بر تحت خدي زمامها
وقال آخر يمدح ناقته دعايم الزور نعمت زورق البلد ولقد ارسلنا نوحا الى قومه بعد ما شيد
اركان التوحيد بآيات الآفاق والانفس شرح احوال الامم المكذبة وابتداء بنوح فانه اول رسول
عذب قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره استيناف لبيان علة الاختصاص
افلا تتقون باسه وسطوته الاستفهام للحث والطلب مثل فهل انتم شاكرون فقال الملاء الذين
كفروا من قومه اي اشرافهم لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم فلذلك يدعي
الرسالة ولو شاء الله ارسال الرسول لانزل ملائكة لاعتقادهم ان البشرية تنافي الرسالة ما سمعنا
بهذا في آبائنا الاولين قالوه اما عنادا واما لتطاول الفترة وبعد العهد ان هو الا رجل به جنة جنون
ما يدري ما يقول فتربصوا به حتى حين الى ان يموت او يرجع عن دعواه قال رب انصرني بما كذبون اهلكهم
بسبب تكذيبهم اياي فان في اهلاكهم نصرتي والباء بدل له والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة
او ما موصولة والباء للآلة اي بالذي كذبون فيه وهو العذاب الموعود بقوله اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم اي انجز ذلك الوعد فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا وكلاءتنا ووحينا وامرنا
بذلك وقدم الحفظ على الوحي وان تاخر وجودا لكونه الاصل الذي لا يتم شيء بدونه فاذا جاء امرنا باهلاك
القوم وفار التنور بالماء قيل لنوح اذا فار التنور اركب السفينة واختلف في موضعه قيل بمسجد الكوفة
عن يمين الداخل من باب كنده وقيل بعين وردة بالشام وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه
الارض وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر ولعل ذلك لان هلاكهم كان بعد طلوع الفجر فاسلك
فيها ادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال ـــــ عبد مناف الهذلي حتى اذا سلكوهم في
قتايدة من كل زوجين من كل صنفي الذكر والانثى اثنين ذكرا وانثى مفعول اسلك وقرا حفص من كل بالتنوين
اي من كل جنس ومن كل ذكر وانثى وزوجين مفعول واثنين صفة للتاكيد كامس الدابر واهلك واهل
بيتك اذ لم ينج غيرهم لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين الا من سبق عليه القول منهم وهو ابنه الذي
كان من المغرقين ولا تخاطبني في الذين ظلموا في استدفاع العذاب عنهم اذا ادركتك رقة الجنسية او لا
تدعني لاهلاكهم من اخزي بقولك انصرني ولا تذر من الكافرين ديارا انهم مغرقون لا محاله سبق بذلك
القول فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين فان النجاة
من العدو كل نعمة دونه وفيه اشارة الى علة النهي عن الخطاب في حقهم لان من هلاكهم نعمة يحمد
عليها كيف يليق السعي في خلاصه وقل رب انزلني منزلا مباركا فيه مزيد خير الدارين وقرا ابو بكر منزلا
بفتح الميم من النزول مصدر او اسم مكان وقراءة القوم اوفق بقوله انزلني وانت خير المنزلين ثناء اخذ من

والحق ان غير ذريته معه لقوله تعالى وامم
ممن معك ولا ينافي كون ذريته هم الباقين

هذه سنة الله في الامور بحكم واجماع مقام
الترغيب والترهيب نارن نعيم كقوله توبوا
الى الله جميعا وقوله ما لها الا كي اعبدوا
ربكم منه

لفظ الدعاء وامره ان يشفع به الدعاء توسلا به الى الاجابة واوذ به لانه سيد القوم لما امر به فهم
مامورون به ولان كبرياء الالوهية اجل من مخاطبة اي من كان بل لا يصلح لذلك الا نبي مرسل او ملك
مقربان في ذلك في شان نوح وقومه لآيات كثيرة لمن تامل وتدبر وان كنا لمبتلين قوم نوح ببلاء
عظيم وعقاب شديد او مختبرين عبادنا لننظر من يتذكر لقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم
انشانا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد قوم هود لقوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح
فارسلنا فيهم رسولا منهم اليهم وانما جعل القوم موضع الارسال لا الى لالزام الحجة لانه منهم ليس تاكيد
اجنبيا حتى يانفوا عن اتباعه ونشا فيهم وبين اظهرهم يعرفون ديانته وامانته ان اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره ان مفسرة لارسلنا افلا تتقون سخط الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا
بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب وانما عطف مقالتهم على مقالة الرسول

قراءة الكسائي بكسر الراء

هنا ولم يعطف في الاعراف وهو ولان الكلام هنالك في حكاية المقالة بين المرسل والمرسل اليه
الابي الى قولهم انا لنريك في سفاهة وقولهم ما نريك الا بشرا مثلنا واستدعاء ذلك
الاستيناف بين كانه قيل ما قالوا في جوابه فقيل كيت وكيت واما هنا لم يخاطبوه بل قال بعضهم
لبعض كلاما فاشير الى الجمع بين قوله الحق وقولهم الباطل فلا مساغ للاستيناف واترفناهم في الحيوة
الدنيا بكثرة المال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم لا مزية له ياكل مما تاكلون منه ويشرب
مما تشربون بيان لوجه المماثلة والعايد الى الموصول الثاني منصوب محذوف وتقدير المجرور وحذفه
مع الجار ضعيف ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون حيث تضعون انفسكم لمن لا يستحق واذا
جزاء للشرط وجواب لمن قال من قومه نتبعه ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون
من الاجداث او من العدم حسن تكرار انكم لطول الفصل ومخرجون خبر عن الاول والظرف لغو
يتعلق به او انكم مخرجون مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر عن انكم على معنى ايعدكم انكم اخراجكم كاين
اذا متم او انكم مخرجون مرفوع بفعل هو الجزاء للشرط والشرطية خبر انكم كانه قيل ايعدكم انكم اذا
متم وقع اخراجكم هيهات هيهات من الاصوات المبنية لكونها بمعنى الماضي لما توعدون اللام زايده
وما توعدون فاعله اي بعد ذلك الموعود اي بعد ولذلك اكده او هيهات معناه البعد كما نقل
عن الزجاج والجار والمجرور خبره وفي وجه بنائه على تكلف واللام لبيان المستبعد كانه لما صوت
به قيل لاي شيء هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون فاعل هيهات على هذا ضمير البعد كانه قيل وقع هذا
البعد لما توعدون نظيره لقد تقطع بينكم بنصبه بين اي وقع التقطع وعن ابن جني ان الفاعل مبهم وفيه
ذهول عن اللام لانه يمنع ان يكون ما توعدون مفسرا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير لمعهود ذهني
عدل عنه حذرا عن التكرار اي ما الحيوة الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى يموت بعضنا ويولد بعض ويحيى
ويموت لا حال له يعقل سواهما قدم الموت لانه مظنة الريب وما نحن بمبعوثين كما يزعم محمد ان هو الا رجل
افترى على الله كذبا اخترعه قصدا ارادة ان يفوتكم وما نحن له بمؤمنين يوما قال رب انصرني بما
كذبون بسبب تكذيبهم او بدله قال عما قليل ما يؤكد معنى القلة او موصوفة ليصبحن نادمين حيث
لا ينفع الندم فاخذتهم الصيحة بالحق صاح بهم جبريل فهلكوا مكانهم ولا دلالة للصيحة على ان
القوم قوم صالح لجواز ان يكون مع الريح صيحة جبريل تغليظا للعذاب كامطار الحجارة على قوم
لوط بعد ان جعل عاليها سافلها يؤيد قوله ونجيناهم من عذاب غليظ اي هود ومن آمن فجعلناهم
غثاء شبه الغثاء وهو حميل السيل شبههم في البلى وتفرق الاوصال والخروج عن عدم الانتفاع
فبعدا للقوم الظالمين اي بعد ذلك العذاب النازل بهم هلاكا لهم دعاء عليهم للاهانة

والكعاف

والاستحقاق كانه ما نزل بهم تنظروا الى ما اعد لهم من عذاب الآخرة وهو من المصادر التي يجب حذف
ناصبها يقال بعد بعدا وبعدا كرشد رشدا ورشدا ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين اي قرونا وامما
في ازمنة شتى ما تسبق من امة اجلها على كثرة القرون وما يستاخرون عن الوقت المقدر ثم ارسلنا
رسلنا تترى واحدا بعد واحد من المواترة وهي المتابعة بين الاشياء مع فترة وبدونها مداركه
والتاء بدل عن الواو كتجاه وتراث ونونه ابن كثير وابو عمرو على ان الالف للالحاق كلما جاء
امة رسولها كذبوه اضاف الرسول اليهم لوجود الملابسة فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث
فبعدا لقوم لا يؤمنون هلاكا لهم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين
بحجة واضحة قيل هي العصا افردها لكونها اشرف المعجزات باعتبار اشتمالها على معجزات شتى
او هو الآيات والعطف باعتبار الصفات الى فرعون وملائه اشراف قومه خصهم بالذكر لان
الرعايا والسوقة اتباع ولذلك قال رسول الله لهرقل فان توليت فعليك اثم
الاريسيين فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما عالين ذوي شرف وعز من علي بالكسر يعلى
علاء فهو علي اي شريف ومن علوت الرجل غلبته وعلى الوجهين جار مجرى علة الاستكبار او
من علا في الارض تكبر وكانوا قوما دابهم التكبر فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا يطلق على الواحد
والتثنية والجمع وكذلك المثل وانما افرده كراهة توالي التثنيتين وقومهما لنا عابدون
زعم ان خدمتهم له عبادة لادعايه الالوهية او اراد بها الانقياد والخضوع فكذبوهما فكانوا
من المهلكين بالغرق ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون اي بني اسرائيل لان التورية نزلت
بعد غرق فرعون وقومه وجعلنا ابن مريم وامه آية دالة على كمال القدرة والعلم افرد الآية
لانه اريد ما تعلق بهما من امر الولاد او حذفت الثانيه لدلالة الاولى عليها واويناهما الى ربوة
الى ارض مرتفعة وهي بيت المقدس لانها ارفع اجزاء الارض واقربها الى السماء بثمانية عشر
ميلا وقيل رملة فلسطين وقيل دمشق وقيل مصر والوجه هو الاول ذات قرار مستقر من الارض
يسكنها الناس لكثرة الثمار ومعين وماء جار من معن الماء اذا سال بعيد الغور ومنه امعنت
في السير اسم مفعول من عانه ادركه بعينه وجعله فعيلا من الماعون لا يناسب المقام يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات المعنى ان كل رسول خوطب في زمانه وايراده على هذا الوجه ليعتقد السامع
ان امرا نودي به جميع الرسل حقيق بان يؤخذ به ويجوز ان يكون هذا حكاية ما قيل لعيسى وامه عند
الايواء اي علمناهما ان الرسل كلهم مخاطبون بذلك وفيه ابطال للرهبانية التي ابتدعها النصارى
وبعض جهلة المتصوفة في زماننا والطيبات ما تستلذه النفس من الماكل والفواكه وقيل ما
حل من الرزق وهو ثلثة اقسام حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه و
الصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل وعنه صلى الله عليه
وسلم كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان السرف والمخيلة واعملوا صالحا فانه
المقصود منه ذلك اني بما تعملون عليم فاجازيكم على حسبه وان هذه ولان هذه متعلق بفاتقون
وقرا الكوفيون ان بالكسر على الاستيناف وعطفا على اني وابن عامر بالفتح مخففة والكسر
هو المختار لعدم الحذف والتقدير امتكم دينكم وملتكم امة واحدة في الاصول والعقايد نصب
على الحال على الوجوه الثلثة وانا ربكم فاتقون في مخالفة امري وقد بينت لكم ان الدين واحد
فتقطعوا امرهم بينهم بعد تلك الوصية خالفوا وتوزعوا الدين وتقسموه زبرا قطعا جمع زبرة
او جمع زبور وهو الكتاب اي كل اخذ بكتاب وكفر بالآخر فهو حال من امرهم او من الواو ومفعول

انا فسر هكذا وان كان الاشعري قائلا
بجواز خطاب المعدوم لقوله التكليف ازلي
لانه يريد تعلقا عقليا وهذا ارتضاه النجعي
منه

ثم ان لتقطعوا لتضمينه معنى الجعل كل حزب بما لديهم فرحون معجبون بدينهم معتقدون انهم على الحق
فذرهم فى غمرتهم حتى حين الى ان يموتوا او يقتلوا مثل حالهم فى استغراقهم فى الجهالة بمن غمره الماء
وعلاه كانه قال دعهم فى هذا الجهل الذي لا جهل فوقه دلالة على الياس وعدم نجع القول
فيهم وادمج فيه التسلية ببيان الغاية وهو قتلهم او موتهم ايحسبون ان ما نمدهم به اي نجعله
مددا شيئا بعد شئ تقرير مع الانكار من مال وبنين بيان ما نسارع لهم فى الخيرات اكراما لهم وايثارا
فيما لهم فيه خير ويجوز ان يراد جزاء الخيرات كما للمؤمنين فى الاخرة والعايد محذوف اى نسارع
به لهم بل لا يشعرون لا شعور لهم لينظروا هل هم مستوجبون للاكرام ام ذلك استدراج ان الذين
هم من خشية ربهم مشفقون خايفون غاية الخوف هم اضداد السابقين والذين هم بآيات ربهم
المنزلة والمنصوبة فى الآفاق والانفس يؤمنون يصدقون والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا
ولا خفيا فان كلا منهما يحبط العمل والذين يؤتون ما اتوا يعطون من الصدقات والبر ما اعطوا
وقدروا عليه قليلا كان او كثيرا وقلوبهم وجلة خايفة هل يقبل منهم ام لا استقلالا لها و
اعظاما لجناب القدس تعالى انهم الى ربهم راجعون وهو قد احاط بما فى ضمايرهم اولئك يسارعون
فى الخيرات الباقية سرمدا فيه تعريض لمن تقدم ذكرهم بان همتهم فى المسارعة فى الفاني او
يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية مثل ثواب الآخرة بتلك الاعمال لقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا
هذا وان كان احسن طباقا للآية المتقدمة فانه اثبت لهؤلاء ما نفى عن اولئك الا انه قاصر
لان ثواب الدنيا بالعرض لقوله من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة
وهم لها سابقون اي لتلك الخيرات سابقون الناس او فاعلون السبق او سابقونها اي ينالونها
قبل الآخرة واللام لتقوية الاسم لتقدم معموله ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض للترغيب
لانه امر سهل لا حرج فيه من تقاعد هو المقصر والمعنى ان التكليف على قدر الوسع فمن بذل جهده
ولم يبلغ تلك الرتبة فلا عليه ولدينا كتاب ينطق بالحق هو اللوح او كتاب الحفظة لا يضيع فيه
مثقال ذرة فمن لم يسم همته الى الاول لا ينبغي ان تقعد به عن الثاني وهم لا يظلمون بنقص ثواب
او زيادة عقاب الضمير للفريقين بل قلوبهم فى غمرة فى غطاء وستره اضراب عن الاضراب الاول
ترقيا فى وصفهم بالغفلة فان عدم الشعور قد يكون لعدم التوجيه واما المستور بالغطاء
فلا يمكن الوصول اليه ولو توجه من هذا اي مما يوصف به المؤمنون ولهم اعمال
من دون ذلك الذي وصف به المؤمنون او متخطية عما وصفوا به من الشرك هم لها عاملون
معتادون بها منهمكون فيها لا يرعوون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب حتى هذه هي التي يبتدأ
الكلام بعدها والعذاب قتل المترفين يوم بدر وقيل القحط لما دعا عليهم رسول الله فقال
اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الجيف
ويرده قوله اذا هم يجأرون يصرخون بالاستغاثة لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون لا تمنعون
القحط قد ارتفع عنهم بدعائه صلى الله عليه وسلم لما جاءه ابو سفيان وقال يا محمد انك تأمر
بصلة الارحام وقد ترى ما اصاب قومك فدعا فقال الله تعالى انا كاشفوا العذاب
قليلا انكم عائدون قد كانت آياتي تتلى عليكم هي القرآن الدال باعجازه على انه كلامه تعالى
فكنتم على اعقابكم تنكصون ترجعون القهقرى كالخائف من الشئ اشارة الى غاية اعراضهم
مستكبرين به بالبيت الحرام زعما منهم انهم ولاة البيت لا يؤاخذون بشئ شهرته اغنت عن
سبق الذكر او بالتكذيب او بالآيات وتذكير الضمير لانها فى معنى الكتاب او القرآن والجار متعلق بقوله

سامرا والضمير للقرآن والسمر حديث الليل اصله ضوء القمر فانهم كانوا يجتمعون حول البيت
ويأخذون فى مثالب القرآن وسب الرسول تارة يقولون شاعر وتارة ساحر وتارة يقولون القرآن
اساطير الاولين انما يعلمه بشر والسامر اسم الجمع يقال هم سمار وسامر تهجرون من الهجر بضم الهاء
وهو الفحش من القول او من الهجر بالفتح وهو الهذيان والتخليط فى الكلام وقرأ نافع بضم التاء من
الهجر اذا اتى بالهجر اي الفحش او الهذيان فلا تأييد فى قراءة نافع لاحد المعنيين افلم يدبروا القول
اي القرآن ليعلموا انه كلام الله المعجز بل تدبروه مدة متطاولة ام جاءهم ما لم يأت آباءهم
الاولين بل اجاءهم الكتاب والرسول ولم يأت آباءهم الاولين وليس ذلك موضع الانكار اذ قد تواتر
عندهم مجئ الرسل وانزال الكتب الى سائر الامم او جاءهم من الامن من عذاب الله ما لم يأت
آباءهم الاولين كاسمعيل واعقابه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا مضر ولا
ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا ولا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم
كانوا مسلمين وما شككتم فى شئ فلا تشكوا فى اسلام تبع فانه كان مسلما على شريعة سليمان بن داود
ام لم يعرفوا رسولهم دينه وامانته وصدق لهجته وشرف نسبه حيث تغذى غارب المجد وحل
فى سطة هاشم فهم له منكرون لفقد شئ من تلك الكمالات ام يقولون به جنة فلا يبالي بكلامه
كلا قد كانوا يعلمون انه ارجح الناس عقلا واثبتهم رأيا ومن وقف على خطبة ابي طالب عند
نكاح خديجة علم ما كان فيه من صفات الكمال من اول نشأته بل جاءهم بالحق بالتوحيد الذي لم
يألفوه وقد اندرج على الشرك اباؤهم واكثرهم للحق كارهون قيد بالاكثر لان قليلا منهم ما كان
يكره الايمان ولكن يمنعه الاستكبار وخوف لائمة الناس كابي طالب كان يمدحه ويمدح دينه
ومات على الكفر خوفا من لوم الناس ان يقولوا فى كبر سنه تبع يتيمه وانما اعاد المظهر لئلا
يتوهم عود الضمير اليه ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن لفسد النظام لان
الاهواء مختلفة والدواعي متباينة او لو اتبع الحق اهواءهم انقلب باطلا ولا بقاء للعالم
مع الباطل بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي فيه شرفهم او تذكيرهم ووعظهم او الذكر الذي
كانوا يتمنونه يقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فهم عن ذكرهم معرضون
جهلا منهم وعنادا ام تسألهم خرجا قسيم لقوله ام يقولون به جنة وما بينهما اعتراض برهانا
على انه منزه من الجنون بل ما جاء به هو الحق الابلج فخراج ربك خير فالاجر الذي وعدك ربك خير
من الفاني الذي سالهم وقد رضيت بذلك فلا وجه لتنفرهم وقرأ ابن عامر بقصرهما وحمزة والكسائي
بمدهما والباقون بقصر الاول ومد الثاني وهما لغتان وقيل الخرج الجعل والخراج الضريبة
وقيل الاول مصدر والثاني اسم والاوجه الفصل لانه اخف والمعنى عليه اظهر وزيادة المباني
لزيادة المعاني انما هو عند اتحاد المعنى وعدم المعارض وهو خير الرازقين لدوام رزقه وسعته و
عدم شوبه بمنة تقرير لكون خراجه خيرا وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم لا عوج فيه وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون عادلون عنه لان اتباع الحق وسلوك طريقه انما هو من خوف
العقاب ومن لا يؤمن بالآخرة آمن من ذلك ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر هو الجوع والقحط
للجوا فى طغيانهم لتمادوا فيه يعمهون يتحيرون عن الهدى ولقد اخذناهم بالعذاب بالقحط والجوع
فما استكانوا لربهم ما انتقلوا من كونهم الاول الى آخر استفعال من الكون او افتعال من السكون
وما يتضرعون بل استمروا على عتوهم الذي كانوا عليه حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد وهو القتل يوم بدر او عذاب جهنم اذا هم مبلسون آيسون من ابلس اذا ايس هذا تفسير

ان لفظ مشترك بين المعقود والجمع
قال ابن عروس من كان فيه اللهو
ولما كان السحر لا يكون الا
اثنتين وما فوقه افرد اللفظ
كما في القرآن الا في
الاضمار ... يجمعون
تهجرون ... منه

السمر

العذاب الشديد بالجوع وقول ابى سفيان قلت بعضهم بالسيف يوم بدر وبعضهم بالجوع لما منع
ثمامة الميرة عن اهل مكة كله سهو لان القحط وقع ورسول الله بمكة ووقعته بعده بالمدينة
وكذا اسلام ثمامه رواه البخاري وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة خص السمع والابصار
والافئدة بالذكر لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنياوية ما لا يتعلق بغيرها وقدم السمع
والابصار لانها آلات الادراك وبهما يدرك المعجزات قليلا ما تشكرون بصرفها الى ما خلقت
له وهو الذي ذراكم في الارض بثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون بعد ذلك التفرق
للجزاء وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار مختص به لا يقدر عليه احد سواه افلا
تعقلون تستعملون عقولكم في النظر والتدبر فيما خلقتم له قبل فوات الوقت بل قالوا مثل ما قال
الاولون اعرض عن خطابهم ناعيا عليهم جهلهم وجهل اسلافهم الذين اقتدوا بهم قالوا
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اانا لمبعوثون اي انه منكر محال لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل
قبل وجودنا ومجيء محمد يريدون ان ما يقوله قول قيل قبله بدهر وقد ظهر لمن تقدمنا بطلانه ان
هذا الا اساطير الاولين اكاذيبهم المختلفة جمع اسطورة كالاعجوبة والاضحوكة وهذا البناء لما
يتلهى به وقيل جمع اسطار جمع سطر كافراس وفرس والسطر صف من الكتابة والاول احسن واوفق
قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات ومن للتغليب للعقلاء ان كنتم تعلمون ذلك اهانة لهم حيث
لا يعلمون هذا الواضح الجلي فهم عن علم التوحيد ودقايقه بمعزل او ان كنتم من اهل العلم حيث ز
عمتم ان ما يقوله من اساطير الاولين سيقولون لله بلا ريب له لانه لا يتوقف على فكر قل افلا تذكرون
بعد هذا الاقرار فان توجه النظر الذي هو ايسر الاشياء كاف في حل عقدتكم قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم سيقولون لله قراه ابو عمرو والذي بعده باللام وجرالها وهو طبق السؤال
معنى اذ معنى من رب الدار لمن الدار وعليه رسم اللام والبصري قل افلا تتقون عقاب من هذا
صنعه قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير يغيث ويحرس من يشاء ولا يجار عليه ولا يغاث منه
احد وتعديته بعلى لتضمين معنى النصره ان كنتم تعلمون اعاده زيادة في التوبيخ سيقولون لله قل
فاني تسحرون تخدعون عن الرشد مع ظهوره ساق الايات الثلث على اسلوب بديع ذكر الارض اولا لانها
اقرب اليهم ومنها نشاتهم ثم ترقى الى السموات والعرش العظيم التي الارض بالنسبة اليها كلا شيء
ثم الى من بيده ملكوت كل شيء فاتى باعم العام وكلمة الاحاطة ولفظ الملكوت الدال على سعة الملك
وغاية الاختصاص وذكرا ليدل تصويرا لعظمته وان الكاينات تحت قدرته كلعبة في يد قادر يقلبها
كيف يشاء وراعى في الفواصل ايضا ذلك حيث ذكر بعد ذكر الارض التذكر الذي هو ايسر النظر ثم الاتقاء
الدال على الوعيد ثم التعجب من خدع عقولهم وتخييل الباطل حقا والحق باطلا بعد الاقرار والاعتراف
بتلك المقدمات القواطع وكما انها تقرير للسابق من ابطال شبهة منكري البعث كذلك تمهيد للاحق
من ازاحة اوهام اهل الشرك ورافضي التوحيد بل اتيناهم بالحق بالبرهان الدال على البعث والتوحيد
وانهم لكاذبون في انكارهما ما اتخذ الله من ولد قط لتقدسه عن المماثلة والمجانسة وما كان معه
من آله يشاركه في الالوهية اذا لذهب كل آله بما خلق جواب لمن حاجه من المشركين وجزاء لشرط محذوف
دل عليه قوله وما كان معه من آله اي لو كان معه آلهة لذهب كل آله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض
كما ترون من ملوك الدنيا قد تقدم الكلام عليه وافيا في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا سبحان
الله عما يصفون من اتخاذ الولد والشريك عالم الغيب والشهادة برهان آخر دال على بطلان الشرك
لان من يدعون له الالوهية جماد ليس من شانه الادراك فتعالى عما يشركون وقرا ابن كثير وابو عمرو

وقع
قاله [illegible] ولا يصح لان السورة مكية اجماعا
الا استثنى منها وصح له من الاخبار [illegible]
سعيد بايه السابق وانها قصة ثمامة
[illegible] وما ذكره ابي سفيان بل كيف [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الله
[illegible] لا يمنع الطعام عن اهل مكة [illegible]

الامام مصحف عثمان الذي [illegible]
[illegible] مصحف [illegible]
محذوف منه

اي [illegible] الالوهية الملزومة لكمال الادراك

وابن عامر وحفص عالم بالجر على الوصف وهو المختار لسلامته عن الحذف قل رب اما تريني ما يوعدون
مع ما يتبعه بقولك واما نرينك بعض الذي نعدهم رب فلا تجعلني في القوم الظالمين داخلا في زمرة المعذبين
كسابرا وعيته هضما لنفسه واظهارا للتواضع والعبودية مع علمه بانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وكرر لفظ الرب اشارة الى ان التضرع والجوار عنده بمكان وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون كانوا
يقولون متى هذا الوعد فقيل ان الله قادر على ان ينجز ذلك الوعد ولكن لكل امر وقت مقدر اقتضته
الحكمة وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولان في اصلابهم من سبق في العلم انه سيؤمن ادفع بالتي
هي احسن السيئة اي ادفع السيئة بالحسنة التي هي احسن من غيرها من الحسنات فانها متفاوتة والا بو
بك ايثار اكمل الاخلاق وهي الصفح والاحسان بعده وبذل الوسع فيه ومن عود نفسه بهذا هان
عليه الصفح عن السيئات واتباعها الحسنات نحن اعلم بما يصفون اي يصفونك به على خلاف ما
انت عليه فيه وعيد شديد لهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسها واغرائها على
المعاصي والهمز النخس ومنه مهماز الرايض تشبيه للمعقول بالمحسوس بجامع الحث والجمع اما لتنوع
الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون اي يحوموا حولي فضلا عن الوسوسة
حتى اذا جاء احدهم الموت غاية لقوله ادفع داله على كون الاية غير منسوخة وان المداراة مرغب فيها
ما لم يؤد الى ثلم دين او ازراء بمروة او ليصفون على معنى ان طعنهم فيك وسوء القالة مستمر الى حين الموت
وعلى الوجهين ما بينهما اعتراض يؤكد شان الاغضاء والصفح مستعينا بالله عن الشيطان ان يستزله
عن الحلم او لقوله وانهم لكاذبون وقوله ما اتخذ الله من ولد الى هنا كالاعتراض يؤكد كذبهم و
يحقق اس[illegible] اقهم البراءة منهم قال رب ارجعون اي اذا عاين الموت ادركته الحسرة على ما فرط فيه
من الايمان [illegible] صلى الله عليه وسلم اذا عاين المومن الملائكة يقولون نرجعك الى الدنيا يقول الى
دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون وخطاب الله بلفظ
الجمع على قصد التعظيم كقوله الا فارحموني يا آله محمد ويجوز ان يكون الخطاب للملائكة ورب جر على
اضمار حرف القسم لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي في الايمان الذي تركته او في المال الذي خلفته كلا ردع
له عن تلك المقاله واستبعاد انها كلمة هو قايلها لا محاله لاستيلاء الندم عليه كما تشاهد الواقع
[illegible]لة بكلم بما هو موقن بعدم قبوله والكلمة طايفة من الكلام ومن ورايهم برزخ امامهم حاجز عن
الرجوع البرزخ ما بين كل شيئين الى يوم يبعثون اقناط كلي اذ بعد البعث لا رجعه فاذا نفخ في الصور نفخة
البعث فلا انساب بينهم يومئذ لا نفع لها وانما النافع هي الاعمال الصالحة روى احمد بن حنبل عن
المسور ان رسول الله قال ان الانساب منقطع يوم القيمة الا نسبي وسببي وصهري ولفرط الحيرة لا يتذكر
احد لنسبه ولا يتساءلون اي لا يسال بعضهم احوال بعض لشدة الامر كيف ويفر المرء من اخيه وامه
وابيه وهذا في اول الامر لقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وفي الحديث ليشفع المومن في
سبعين من اقاربه وخلانه فمن ثقلت موازينه موزونات اعماله الصالحة فاولئك هم المفلحون الفا
يزون بكل بغية ومن خفت موازينه ومن لم يكن له عمل يوزن لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
عبر عنه بالخفة لوقوعه في مقابلة الثقل الذي هو ضده فيحسن الطباق فاولئك الذين خسروا
انفسهم حيث اوردها مورد هلاك الابد وفوتوا حظوظها في جهنم خالدون بدل من الصلة لا محل له
من الاعراب او خبر آخر لاولئك تلفح وجوههم النار نصبها على الدوام اللفح والنفح حر النار ووهجها
والاول اشد وهم فيها كالحون عابسون تتقلص شفاههم وتبدوا اسنانهم روى الترمذي تتقلص

شقوة الكافرا لعليا حتى تبلغ وسط رأسه والسفلى حتى تبلغ سرته الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها
تكذبون تذكير لهم بما لاجله استحقوا هذا العذاب وجمع بين عذاب النار وعذاب الندامة قالوا ربنا
غلبت علينا شقوتنا حتى بلغت بنا هذا الحال قرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بفتح الشين والمد وهما لغتان
كالسعادة والكتابة والقصر اخف واشهر وهي لغة الحجاز وكنا قوما ضالين عن طريق الرشاد ربنا اخرجنا
منها من النار فان عدنا الى ما كنا فيه فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها انزجروا كما ينزجر الكلاب
يقال خسأت الكلب زجرته فخسأ انزجر لازم ومتعد ولا تكلمون في رفع العذاب مطلقا وعن ابن عباس
رضي الله عنه لهم ست دعوات اذا دخلوا النار ينادون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم
فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون
اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها فلا كلام لهم بعد الا الزفير و
الشهيق وعواء الكلاب وعن ابن عمر ينادون ربنا غلبت علينا شقوتنا ربنا اخرجنا فيها بقدر مدة
الدنيا مرتين ثم يجيبهم بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي هم المؤمنون كافة
او الصحابة او اصحاب الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا
هزوا وقرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين وهما مصدر سخر ويآء النسبة للمبالغة وعن
يونس والفراء ان الضم من العبودية والكسر من الاستهزاء وهو المختار لكونه نصا في المراد ولحق حتى انسوكم
ذكري وكنتم منهم تضحكون اي لتشاغلكم بالاستهزاء بهم الى ان جركم الى ترك ذكري في اوليائي فلم
تخافوني وفيه دلالة على كمال اختصاص المسخور منهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم وفي هذا
الاكرام زيادة تخسئة اولئك الاضداد انهم هم الفائزون ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي
بالكسر على الاستيناف والمفعول محذوف اي الجزاء والجنة قال كم لبثتم في الارض عدد سنين اي قال الله
تعالى او الملك الموكل بعذابهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي قل على صيغة الامر قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم لان ايام السرور قصار ولان الممتحن يستطيل ايام المحنة و
يستقصر ايام الدعة او لان المنقضي في حكم ما لم يكن فاسأل العادين الملائكة الذين كانوا يعدون
اعمار العباد او فاسأل من يقدر على العد فانا في شغل شاغل من ذلك الا انا على التخمين نظنه يوما
او بعض يوم قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم على تقال المدة وتوبيخ على غفلتهم
التي كانوا فيها وقرأ حمزة والكسائي قل على صيغة الامر والمأمور من في النار والافراد لارادة الجنس
ووافقهما ابن كثير في الاول وعليه رسم الكوفي والمدا وفق لقوله قال ان لبثتم افحسبتم انما خلقناكم عبثا
تقرير فيه توبيخ على ظنهم الفاسد وعبثا حال اي عابثين او مفعول له اي للعبث وانكم الينا لا ترجعون
عطف على انما خلقناكم ويجوز عطفه على عبثا ان جعل مفعولا له اي للعبث ولظنكم غير مرجوعين وقرأ
حمزة والكسائي بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله الملك الحق الثابت الملك الذي لا يزول ملكه من العبث
وكيف يليق به لا اله الا هو رب العرش الكريم وصفه بالكرم لانه مظهر الاحكام ومعدن البركات ولانه عرش
اكرم الاكرمين وصف بوصفه مجازا حكميا كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما ومن يدع مع الله الها
آخر شريكا له في الالوهية لا برهان له به صفة ثانية للتوكيد لان في الالهة ما يجوز قيام البرهان عليه
او اعتراض بين الشرط والجزاء فانما حسابه عند ربه فيجازيه على قدر استحقاقه انه لا يفلح الكافرون

ان الشان لا يفلح الكافرون

ومفهومه ان المؤمنين

ومفهومه ان المؤمنين مفلحون كما نطق به صدر السورة فانتظمت الفاتحة مع الخاتمة وقل رب اغفر وارحم
وانت خير الراحمين الامر له والمراد امته ليتوسلوا بهذا الدعاء الى ذلك الفلاح وعن عمر بن الخطاب قال
سمعنا دويا كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ورفع يديه وقال

الحديث في مسند احمد والترمذي

اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم
قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون تمت السورة ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة انزلناها صفته او مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي
فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وفرضناها الزمناكم ما فيها من الاحكام اصل الفرض القطع والتقدير
وشدد ابن كثير وابو عمرو اما للمبالغة والتوكيد او لان فيها فرايض شتى ففيه براعة الاستهلال
كما في اوفوا بالعقود او بمعنى فصلنا وقيل لكثرة المفروض عليهم وفيه انه جار في ساير الفرايض وانزلنا فيها
آيات بينات واضحات لا تتوقف على فكر وتأمل لعلكم تذكرون فتتقون المحارم الزانية والزاني
مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه اي فيما يتلى عليكم اي جلدهما ويجوز ان يكون

خبر

فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ودخول الفاء لتضمن الموصول معنى الشرط قدم الزانية على الزاني
عكس آية السرقة لان بواعث الزنى تبدو اولا منها ولانها المحل فلولا تمكنت لم يمكن وقوعه والجلد هو الضرب
على الجلد وفيه اشارة الى التخفيف هذا حكم العزب الحر والعبد يجلد نصفه واما المحصن فالرجم
لقوله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما وكان قرآنا نسخ لفظه وزاد الشافعي على الجلد تغريب
عام على الحر [illegible] مسلم والبخاري مرفوعا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ولم يقل به ابو حنيفة
الاسلام في الاحصان لقوله صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن وللشافعي ما في
البخاري ومسلم ان رسول الله رجم يهوديين قيل ان المحصن في ذلك الحديث من يقتص

لان خبر الواحد لا يزاد به على الكتاب وشرط ابو حنيفة رح

له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة هي شدة الرحمة وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وهما لغتان في
دين الله في نصره ورفع شانه ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان بهما يقتضي ذلك
والايثار وايمانهم مقطوع به لان الجنسية وميل الطبع على المسامحة والمساهلة وليشهد عذا
بهما طايفة من المؤمنين فان الحكمة في شرع الحد الزجر عن المعاودة والنفوس الابية تنزجر با
لتشهير اكثر من الضرب والعذاب لا سيما بين قومه واهل حرفته ولذلك قيد بالمؤمنين و
الطايفة الجماعة التي يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطواف وعن ابن عباس من الاربعة الى
الاربعين ولا ينافي هذا ما روي عنه من واحد فصاعدا لان الغرض هو التشهير ولا يحصل الا
بالجمع وذلك بحسب اللغة وهو الطوف والدوران الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا
ينكحها الا زان او مشرك عن عايشة رضي الله عنها ان حكمها باق وان من تزوج بالزانية فهو زان
على الدوام وبه قال الامام احمد وعن سعيد بن المسيب ان الامر كان على ذلك فنسخ بقوله
وانكحوا الايامى منكم وقيل نزلت الآية في اصحاب الصفة كانوا فقراء وكان في المدينة بغايا
موسرات فارادوا نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والاصح
انه تنفير عن نكاح البغايا وتزهيد واشارة الى ان اهل الايمان والصلاح لا يليق بهم الرغبة
الا في العفايف فان الاخلاق تسري والمصاحبة تؤثر عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه وتقديم
الزاني عكس ما في صدر السورة لان النكاح صفة الرجال وهم الاصل في ذلك وحرم ذلك على المؤمنين
كراهة تحريم او تنزيه على القولين والذين يرمون المحصنات يقذفون العفايف من النساء بالزنا

بكر العادة

دل عليه الاحصان وتقييد الشهود بالاربعة وقراءة الكسائي ثم لم ياتوا باربعة شهداء بشهدون بزنى
المقذوفة بانهم راوا ذكرا لزاني في فرجها كالميل في المكحلة فاجلدوهم ثمانين جلدة اذا كان المقذوف
محصنا والاحصان بالبلوغ والحرية والعقل والاسلام والعفة من الزنا ولا فرق بين الذكر والانثى
وتخصيص المحصنات لنزول الايات فيهن اولان قذف النساء اغلب ولا يشترط اجتماع الشهود وكذا
لا تقبل شهادة الزوج عند الشافعي خلافا لابي حنيفة فيهما واشد الضرب التعزير ثم حد الزنى ثم شرب
الخمر ثم القذف لتفاوت اسبابها فان قلت قوله الحدود تدرا بالشبهات يقتضي ان لا يحد القاذف
لكون خبره يحتمل الصدق قلت تلك الشبهة مضمحلة حفظا لاعراض المسلمين التي هي كدمائهم ولذلك
الكذب بقوله ولا تقبلوا لهم شهادة اي اي شهادة كانت زيادة في عقوبته حيث لم يستر على المؤمن
عورته المامور بسترها قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستر الله عليه يوم
القيمة ولا يتوقف رد الشهادة على استيفاء الحد عند الشافعي لان العطف بالواو لا يقتضي الترتيب
ولانه قبل الحد اسوء حالا لكون الحدود كفارات ابدا مدة حياتهم عند ابي حنيفة اوما داموا
قاذفين عند الشافعي رحمه الله واولئك الموصوفون هم الفاسقون الكاملون فيه الا الذين تابوا
من بعد ذلك رجع الى الاخيرة عند ابي حنيفة لانها منقطعة عن الاوليين فيتعلق الاستثناء بها
لا محالة والابد مدة حيوة القاذف وعند الشافعي الاستثناء من الضمير المجرور واولئك هم الفاسقون
اعتراض تجري مجرى التعليل غير منقطع عن الاول ولذلك توسط بين المستثنى والمستثنى منه ويجوز
ان يكون الاستثناء عنده ايضا راجعا الى الاخيرة لان الحكم يزول بزوال علته وان رجع الى الجمل
الثلث كما هو الاصل عنده من ان الاستثناء بعد الجمل المتعاطفة عايد الى الكل كقوله وقفت على
اولادي واولاد اولادي الا الاغنياء منهم فان قلت كيف يستقيم رجوع الاستثناء الى الجمل الثلث
مع ان الجلد لا يسقط بالتوبة اتفاقا قلت الجلد اوما يقوم مقامه من الاستحلال من تمام التوبة اولان
ذلك الاصل ظاهر ترك بالاجماع على وجوب الجلد وخص منه لانه حق العباد ويؤيد ما ذهب اليه
مارواه البخاري ان عمر حد ابا بكرة وشبل بن معبد ونافعا حين شهدوا على مغيرة بن شعبة بالزنى ولم
يوجد الرابع ثم قال ومن تاب منكم قبلت توبته واليه ذهب عمر بن عبد العزيز وطاوس
والزهري والشعبي وشريح وسعيد بن جبير واصلحوا اعمالهم فان الله غفور لما فرط منهم رحيم بقبول
التوبة والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم روى البخاري عن ابن عباس رضي الله ان
هلال بن امية قذف امراته بشريك بن سحماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البينة او حد
في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله في ما يبرئ ظهري عن الحد
فنزلت فارسل رسول الله الى هلال وامراته فاتيا فتلاعنا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب فلما بلغت المراة الى الخامسة
فقالوا لها انها الموجبة فتلكات حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي ساير اليوم فمضت في الخامسة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين
خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به على النعت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شان وروى مسلم والبخاري عن سهل بن سعد
ان عويمرا جاء الى رسول الله وذكر انه راى رجلا مع امراته فوجد قد نزلت عليه فدعا لهما فتلاعنا
فقال عويمر كذبت عليها ان امسكتها ففارقها فكانت سنة المتلاعنين فقال رسول الله صلى الله
عليه ابصروها فان جاءت به اسحم ادعج العينين عظم الاليتين فلا اراه الا قد صدق وان جاءت

بسبع ركبات ... علبط ان ... منه

وحوسلت فجاث دونه صعين
تلنتوونا الارض منه

احيمر كانه وحرة فلا اراه الا كاذبا فجاءت به على النعت المكروه فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
فيما رماها به من الزنى قرا حمزة والكسائي وحفص اربع بالرفع على انه خبر شهادة والنصب على المصدر و
الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به هذا لعان الرجل وحكمه سقوط الحد عنه
وحصول الفرقة بينهما على سبيل الابد لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وعند ابي حنيفة
رحمه الله لا بد من تفريق القاضي على انه طلاق ويدرا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
فيما رماها به من الزنا والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين قرا نافع ان مخففة في الموضعين و
كسر الضاد وفتح الباء ورفع الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم حذف الجواب اي لعاجلكم بالعقوبة
ولفضحكم ان الذين جاءوا بالافك هذه ثماني عشرة آية نزلت في عايشة رضي الله عنها حين قال فيها اهل
الافك ما قالوا روى البخاري عن عروة بن الزبير ان عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
سافر غازيا اقرع بين نسائه من خرجت قرعته سافرت معه فغزا غزوة فخرج سهمها فسافرت معه فلما قفل ودنى
من المدينة آذن ليلة بالرحيل فخرجت وجاوزت الجيش لحاجة الانسان فلما قضت شانها وعادت انقطع عقد لها
فاحتبست لالتماسه فاحتمل الرهط الذي كان يرحلون هودجها فحملوه على البعير يحسبون انها فيه واستمر
الجيش فلما عادت الى مكان الجيش وليس به داع ولا مجيب اقامت بمنزلها الذي كانت به ظانة انهم سيفقدونها
وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش متخلفا فراى سواد انسان فلما دنى منه عرفها وكان قد راها
قبل الحجاب عظم عليه ذلك وقال انا لله وانا اليه راجعون حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل من راحلته واناخها ثم ولى ظهره حتى ركبته ام المؤمنين فجاء بها وهم قد نزلوا في منزل فراوها معه وكان
في الجيش ... فقبين عبد الله بن ابي بن سلول فخاض في حديث الافك واذاعه وبلغ ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابا بكر فصعد رسول الله المنبر وقال ايها الناس ما بال اناس تخوضون في عرض اهلي
والله ما علمت على اهلي الا خيرا ويذكرون رجلا ما علمت منه الا خيرا فوقع اللغط وهمت الانصار بالقتال
واستمر الامر على ذلك حتى نزلت الايات عصبة منكم هو ابن سلول وحسان ومسطح وآخرون والعصبة الرجال
من العشرة الى الاربعين لا تحسبوه شرا لكم اي الافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم ولكونه سببا لنزول
الايات مشتملة على الحكم ومحاسن الاخلاق لطفا بالسامعين والتالين الى يوم القيمة الخطاب لمن ساءه ذلك
من المؤمنين وخاصة رسول الله وابي بكر وعايشة وصفوان لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم جزاء له
بقدر ما خاض فيه وافاض والذي تولى كبره معظمه منهم من اولئك الخايضين له عذاب عظيم مكافاة على خيانته
العظيمة لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا باخوانهم واخواتهم جعل المؤمنين كنفس واحدة
كقوله ولا تلمزوا انفسكم روي ان ابا ايوب الانصاري قال لزوجته يا ام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت
انت بدل صفوان اكنت تظن بحرم رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عايشة ما خنت
رسول الله فعايشة خير مني وصفوان خير منك وانما التفت الى الغيبة ليوبخ بالاعراض وليصرح بالايمان
الذي يوجب الاشتراك فيه الاتحاد والمحاماة وقالوا هذا افك مبين صريح جازمين بذلك حملا على الصلاح
كما يقول المستيقن لولا جاءوا عليه باربعة كما هو الحكم في مثله فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله اي في شرعه
هم الكاذبون ولذلك وجب عليهم الحد ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع
الشيء لوجود غيره ولو لا ان للتخصيص والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم وفي
الآخرة بالعفو والمغفرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم لعاجلكم على ما خضتم فيه من الافك بعذاب تستحقرون معه
الحد واللوم اذ تلقونه بالسنتكم اذ ظرف لمسكم او افضتم والتلقي التلقف اخذ من الغير ومنه قوله
تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وتقولون بافواهكم من غير ان يستند الى ما في القلب ما ليس لكم به علم بل محض

بافواهكم يجرى على السنتكم ليس الا وتحسبونه هيّنًا سهلا وهو عند الله عظيم لوميكم جبيبة جبيبه بما هي
عنه بريئة وقصدكم بذلك القدح في عرضه وخفض رفيع جنابه رتب مسّ العذاب على آثام ثلثة تلقى
الافك بالالسنة والتحدّث به من غير تحقق واستحقار ذلك وعده هيّنا لا تقولنّ لذنب انه حقير فلعلّه
نخله عند الله نفير ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي لولا قلتم وقت سماعكم المعنى
كان الواجب عليكم اول ما سمعتموه ان تعرضوا عنه وتقولوا ما ينبغي لنا ان نتكلّم به ولا يصحّ كقوله ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق سبحانك هذا بهتان عظيم تعجّبا من شناعته او تنزيها لله من ان يكون حرم حبيبه
موسومًا بشين فضلا عمّا ذكروه فانه هادم لعرضه منفر عن اتباعه بخلاف الكفر فانّه ليس ممّا ينفر ولا
يعود شناعته عليه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدًا ما دمتم ان كنتم مومنين فان الايمان يستدعي
الاتصاف بما يلايمه من الصّفات الجميلة والآداب الحسنة وفيه توبيخ وتقريع على ما وقع منهم ويبيّن الله
لكم الآيات الدالة على الحكم والآداب ومحاسن الاخلاق والله عليم كامل العلم بالاشياء حكيم في كل تعلقت
به ارادته ان الذين يحبّون ان تشيع الفاحشة اي تشيعوها عن قصد ومحبّة في الذين آمنوا لهم عذاب
اليم في الدّنيا بالحدّ والآخرة بعذاب النار ان لم يتوبوا والله يعلم وانتم لا تعلمون فان المحبّة فعل القلب
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم كرّره مع حذف الجواب لكونه معلومًا وفي ايثار الرؤف
الرحيم ما يدل على ان هذا الذنب لا يتوسّل الى رفعه الا بمحض رأفته وانه اعظم من ان يرتفع بالتوبة اذ
شتان بين ما يتلقونه بافواههم وما يحبّونه بقلوبهم يا ايّها الذين آمنوا لا تتّبعوا خطوات الشيطان آثاره
وما يدعو اليه من المعاصي قرا بضم الطاء ابن عامر والكسائي وحفص ونبيل وهي لغة الحجاز والباقون
بسكون الطاء وهي لغة تميم والضمّ افصح واشهر ومن يتّبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر علة
للنّهي عن اتباعه والفحشاء ما فرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع من عطف العام على الخاص ولولا فضل الله
عليكم ورحمته بتوفيق التوبة وشرع الحدّ ما زكى منكم من احد ابدا آخر الدهر اي ما طهر من دنس الفاحشة
التي ارتكبتموها لعظمها ويجوز ان يكون الخطاب عامّا لهم ولغيرهم اشارة الى ان من خاض فيها وطهر من
دنسها انما كان بتوفيق الله ولكن الله يزكّي من يشاء بتوفيق التوبة او بالعصمة والله سميع لاقوالهم عليم
بالضماير ولا يأتل ولا يأتل اولوا الفضل منكم في الدين كان من اهل الافك مسطح بن اثاثة وكان ابن خالة ابي بكر فلما نزلت
الآيات في براءة عايشة حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان ينفق عليه فنزلت ولا يأتل افتعال من الالية
وهي الحلف ومن الالو وهو التقصير والمعنى لا تحلفوا على عدم الاحسان ولا تقصروا في ان تحسنوا والسّعة
في المال ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد وهو مسطح فانه
كان جامعًا لها ويجوز ان يكون يراد هو ومن يتّصف بها كائنا من كان وليعفوا وليتجاوزوا عمّا فرط منهم و
ليصفحوا وليعرضوا عنه ولا يذكروه فانه يورث الوحشة بين المؤمنين الا تحبّون ان يغفر الله لكم كما غفر تم
سيّئة اخيكم المؤمن ولما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصّديق فقال بلى احبّ ان يغفر الله لي
واعاد النفقه على مسطح والله غفور ذنوب عباده رحيم بجزل الثواب فتخلّقوا باخلاقه انّ الّذين يرمون
المحصنات العفايف الغافلات عن الفاحشة او سليمات الصدر النقيّات كقوله اكثر اهل الجنة البله المؤمنات
بما يجب الايمان به قدّم عليه الغافلات لاقتضاء المقام ذلك لعنوا في الدنيا بين المؤمنين والآخرة عند الله
ولهم عذاب عظيم لا يقادر قدره يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يوم ظرف
لعظيم والمعنى الاستقرار في لهم وقرا حمزة والكسائي بياء الغيبة وهو ولي الفصل يومئذ يوفيهم الله
دينهم الحق جزاؤهم اللائق بهم الثابت ويعلمون ان الله هو الحق الثابت ذاته المبين الظاهر الواضح دلالة
عليه ذرّات الوجود ومن هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم ولقد بالغ في ابعاد قذفة عايشة رضي

بما لم يوعد به اهل الشرك وعبدة الاوثان حيث اجمل وفصّل وجمع بين انواع العذاب لعن الدارين
والعذاب الذي لا يحاط به في الآخرة والتفضيح الذي كل عذاب دونه في مشهد يوم عظيم وعن ابن عباس انّه
كان يفسّر القرآن بالبصرة فسئل عن هذه الآيات فقال كل من اذنب ذنبًا ثم تاب منه قبلت توبته الا
قذفة عايشة ولعلّه اراد التغليظ كقوله في قاتل المسلم عمدًا انّه يخلد في النار الخبيثات للخبيثين
والخبيثون للخبيثات والطّيّبات للطّيّبين والطّيّبون للطّيّبات اي الكلمات الخبيثات مثل القذف وساير
اقوال الفحش مختصّة بالرّجال الخبيثين وكذلك الرّجال الخبيثون مختصون بها وكذلك الطّيّبات والطّيّبون وهذا كلام
جار مجرى المثل كقوله انّ الباطل كان زهوقا فيتناول عايشة والقائلة فيها تناولا اوّليا او الخبيثات
من النّساء للخبيثين من الرّجال وكذلك الطّيّبات منهنّ للطّيّبين منهم وعايشة زوجة سيد الطّيّبين فاولى ان
تكون طيّبة اولئك اي اهل البيت وعايشة ورسول الله وصفوان مبرّؤن ممّا يقولون اي اهل الافك من
قاله السّوء لهم مغفرة من الله لذنوبهم ورزق كريم في الجنّة قيل برّأ الله اربعة باربعة برّأ يوسف
بشاهد من اهلها وموسى من قول بني اسرائيل انه آدر بان فرّ الحجر بثوبه حتى رآه عريانا ما به بأس ومريم
بانطاق ولدها وعايشة بانزال هذه الآيات قلت هناك خامس وهو جريج الراهب حيث جاءت بغية من
بغايا بني اسرائيل بولد فقالوا لها ممّن هذا قالت من جريج فاتوه وهدموا صومعته وارادوا قتله فسئلهم عن
سببه فاخبروه فتوضأ وصلّى لله ركعتين ثم قال للطفل يا بابوس من ابوك قال ابي الرّاعي فقالوا له نبني صومعتك
بالذهب قال لا اعيدوها كما كانت يا ايّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا كان منشا حديث الافك
وجود الخلوة في موضع التهمة اردف الحديث بما يلايمه والاستيناس اما من الانس ضد الوحشة فان طارق الباب
الّذي ما يكون مستانسا فالمعنى حتى يؤذن لكم وضع الاستيناس موضعه لانه يردف الاذن او استفعال من آنس اذا
ابصر والمعنى لا تدخلوا حتى تستيقنوا هل يراد دخولكم ام لا ومنه بيت النابغة على مستانس وحد ويجوز ان يكون من
الانس كانه تعرف هل ثمه انسان ام لا وتسلّموا على اهلها في ذلك الاستيذان بان تقول ثلث مرّات السّلام عليكم
فان اذن له والّا رجع لما روى ابو داود ان رجلًا استأذن على رسول الله فقال لخادمه اخرج الى هذا وعلمه الاستيذان
فقل له قل السّلام عليكم أأدخل وروى البخاري ان ابا موسى الاشعريّ استاذن على عمر في خلافته ثلثا فلم يؤذن له
فانصرف فقال عمر الم اسمع صوت عبد الله بن قيس فقالوا انصرف يا امير المؤمنين فاستدعاه فلما حضر ساله عن
الانصراف فقال كذا امر رسول الله فقال عمر اتم على ذلك بيّنه والا اوجعنك ضربًا فجاء ابو موسى الى جمع من
الانصار واستشهدهم فقالوا لا يشهد لك الا اصغرنا فقام معه ابو سعيد الخدري فصدّق مقالة ابي موسى وهذا
عام في المحارم والاجانب لما روى ان رجلًا قال يا رسول الله ان امي ليس لها خادم أأستاذن كلما دخلت قال اتحب
ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن ذلكم خير لكم الاستيذان والتسليم خير لكم من الدخول بغتة وتحية الجاهلية
فانهم كانوا يدخلون بلا اذن ويقولون حيّيتم صباحًا وحيّيتم مساءً كما يفعله الجهلة اليوم فربما اصاب الرّجل مع امرأته
في اللحاف لعلّكم تذكّرون اي قيل لكم ذلك وانزل عليكم لكي تتعظوا وتعملوا به فان لم تجدوا فيها احدًا يأذن لكم فلا
تدخلوها حتى يؤذن لكم لان المنع عن الدخول ليس منحصرًا ضرره في وقوع البصر على ما لا يحل بل اماله او لان لا
يطّلع على امور لا يريد صاحب البيت اطلاع احد عليها ولانه يشبه الغصب والتغلب وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
ولا تلحّوا فانه يؤذي صاحب البيت ويجلب الوحشة والخجل هو ازكى لكم اطهر من الدخول بغير اذن والوقوف على
الباب لانّه مخل بالمروة والله بما تعملون عليم وعد ووعيد ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتًا غير مسكونة من الخانات
والربط الموقوفة والحرب التي يدخلها الانسان لحاجته فيها متاع لكم تمتع ومنفعه والله يعلم ما تبدون وما
تكتمون تحذير لمن اذن له في الدخول ان يدخل لغرض غير صالح قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم
عن ان يقع عليها بصر من لم يجز نظره وانما زاد من في الاول واطلق الثاني لان وجوه الحل في الاول اكثر والامر

وهذا التاويل لازم لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا بلا استثناء منه

اوله
كان رجلي يوى الجليل وقد زال النهار بنا
بذي الجليل على مستانس وحد يكسر على الواحد
١٢ موضح

وعند كره

الحرف رواه ابن الاثير في النهاية

بالحفظ عن الابداء امر بالحفظ عن الافضاء الا على الازواج او من فى حكمها من الاماء لانه لا يوجد بدون
الابداء اولان الابداء انما حرم لكونه وسيلة الى ذلك الافضاء وعليه ينطبق ما روى عن ابى زيد وابى العالية
ان كل ما فى القرآن من حفظ الفروج اريد به الزنى الا هذا فانه اريد به التستر وفى جعل الغض عن بعض المبصر
كناية لطيفة ذلك ازكى لهم لبعده عن الريبة ووساوس الشيطان ان الله خبير بما يصنعون فعليهم الاتقاء
فى كل حركة وسكون ولما كان فى خاينة الاعين من الخفا فصل الاية بالخبر الدال على العلم ببواطن الاشياء
والصنع الذى فيه مزيد اعمال وفيه اشارة الى ان النظرة الاولى من غير تعمد لا يؤاخذ بها كما روى ابو داود عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى رضى الله عنه الاولى لك والثانية عليك وقل للمؤمنات يغضضن من
ابصارهن ويحفظن فروجهن خصهن بالذكر وان كان الحكم معلوما لان ما يحرم من الرجال يحرم منهن بالطريق
الاولى ليرتب عليه ما بعده من الاحكام المختصة بهن ولا يبدين زينتهن كالحلى والثياب فضلا عن مواضعها الا
ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف وما ظهر منها الوجه
والكفان عند عامة العلماء ومنع ذلك الشافعى الا عند الضرورة والاصح ان هذا فى الصلوة لا فى النظر كما سيذكره
مفصلا وما ظهر منها فى الصلوة هو الوجه والكفان وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا للاعناق عن عروة بن
الزبير عن عايشة رضى الله عنها قالت رحم الله نساء المهاجرات الاول لما نزل وليضربن بخمرهن على جيوبهن
شققن مروطهن فاختمرن بها ولا يبدين زينتهن مواضعها الا لبعولتهن ازواجهن فانهم المقصودون بكل زينة او آبائهن
او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن لعدم خوف الفتنة لان الطباع تنفر
عن مقاربة الاقارب ولذلك يستحب ان لا تزوج بقرابة قريبة وما يحل نظر هؤلاء عليه ما يبدو فى العـ[illegible] عند
الخدمة كالساعدين والساقين وما فوق السرة وتحت الركبة وانما لم نذكر الاعمام والاخوال اكتفاء [illegible] الاخوان
لانهم فى معناهم اولان الافضل التستر منهم لئلا يصفوهن لابنائهم فيورث الفتنة او نسائهن اى المؤمنات دلت
عليه الاضافة الاطلاق لان المنع للفتنة ولا فتنة فى نظر المرأة الى المرأة واللفظ لا يساعده اذ لا فائدة فى الاضافة
حينئذ او ما ملكت ايمانهن يشمل الاماء والعبيد وبه قال مالك والشافعى لما روى ابو داود ان رسول الله عليه السلام وهب
لفاطمة عبدا وكان عليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجلها واذا غطت رجلها لم يبلغ راسها فقال
ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وعند ابى حنيفة هو كالاجنبى او التابعين غير اولى الاربة من الرجال
كالشيوخ الهم ومن لا حاجة له فى النكاح كالمعتوه والبله الذين لا يعرفون شيئا من امور النساء والاربة
الحاجة او العقل والدهاء من ارب الرجل بالضم اذا صار ذا خبرة او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
لم يطلعوا عليها ولم يعرفوا ما العورة لعدم التمييز من ظهر على كذا اطلع او من ظهر على كذا قوى عليه بمعنى انهم لم
يقدروا على الوطء لعدم توقف الحرمة على ذلك بل اذا صار مميزا حرم اتفاقا والطفل يقع على الذكر والانثى
مفردا كان او جمعا ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت النساء ذوات خلاخل فلما نهين عن اظهار
الحلى نهين عن اظهار صوته ايضا لان الغرض دفع الفتنة وصون الحلى شير الميل اليهن وتوبوا الى الله جميعا ايها
المؤمنون اذ لا يخلو احد من نوع تقصير لان الاستقامة متعسرة او متعذرة او عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فان
الاسلام وان جبه فالاستمرار على الندم لازم الى ان يلقى العبد ربه لعلكم تفلحون تفوزون فى الدارين وانكحوا الايامى
منكم خطاب للاولياء والامر للوجوب عند الطلب وظهور الحاجة والا فالنكاح مستحب بقاء للنوع وفى الحديث
تناكحوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم يوم القيمة ولو بسقط ولانه سنته صلى الله عليه وسلم وقد رغب فيه قال
النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى والايامى جمع ايم على القلب اصله ايايم لان فيعلا لا يجمع على فعالى
والايم من لا زوج له ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا من آم الرجل اذا فرطت شهوته وفى الحديث نعوذ بالله من الايمة
والعيمة والصالحين من عبادكم وامائكم ذكر الصلاح للترغيب فى تحصين من همته التحصن وليس بشرط كقوله فكاتبوهم

غض بعض البصر ٧

وعند ابى حنيفة ٥

العيمة شهوة اللبن ١٢

ان علم

ان علمتم فيهم خيرا وفى الاية دليل على ان المرأة لا تلى النكاح والعبد بغير اذن مولاه ان يكونوا فقراء يغنيهم
الله من فضله اى لا يكن فقر الخاطب والمخطوبة مانعا من الانكاح فان فى فضله تعالى ما يغنى والمال غاد ورائح
وليس الوعد به على اللزوم لا محالة وان كل من تزوج يحصل له الغنى بل مشروط بمشيئته تعالى لقوله يغنيهم الله من
فضله ان شاء وعن عمر رضى الله عنه ابتغوا الغنى فى النكاح والله واسع فضله بيده الخير كله عليم بمن يصلح له الغنى
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا اى ليجتهد فى العفة وقمع الشهوة من
لا يجد اسباب النكاح روى مسلم والبخارى عن عبد الله بن عمر ان رسول الله قال يا معشر الشباب من
استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء حتى يغنيهم
الله من فضله تقدمه وعد لهم بالفضل والسعة ان صبروا واستعفوا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب امرا اولا بغض البصر ابعادا عن موقع الفتنة ثم بالنكاح الذى هو سبب التناسل وتحصين الدين ان
امكن ثم بالصبر وانتظار فضل الله الواسع والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء فكاتبوهم
ان علمتم فيهم خيرا ترغيب فيه فى كتابة من يرى فيه آثار الخير والصلاح وليس بشرط وقيل المراد بالخير القدرة
على اداء بدل الكتابة ويسمى هذا العقد كتابة لانه يكون منجما مؤجلا وجوبا كما قاله الشافعى او غالبا كما قاله ابو
حنيفة والمؤجل يكتب غالبا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم مال الصدقة وبيت المال لقوله تعالى وفى الرقاب
وهم المكاتبون وعند الشافعى يجب حط شئ من بدل الكتابة ولا يمنعه قرآن امر الندب لان القرآن فى الذكر
ليس قرآنا فى الحكم واليه ذهب عمر بن الخطاب وانما حمل امر الكتابة على الندب لان عقود المعاوضة على الاختيار ولفظ
وآتوهم يساعد ابا حنيفة لان وضع الدين لا يسمى ايتاء **فان قلت** من اين للشافعى وجوب التنجيم وعدم جواز الحلول
قلت من ان المكاتب فى الحال لا يملك شيئا ولا يقدر على البدل الا بالسعى والتكسب فلو كان حالا او غير منجم
لعسر عليه وللشارع اعتناء بفك الرقاب ولذلك من اعتق شقصا سرى الى المجموع وعليه حصة شريكه ان كان قادرا
والا سعى العبد فى خلاصه بخلاف ما لو باع جزءا منه او وهب والاية نزلت فى خويطب بن عبد العزى كان له مملوك
سأله الكتابة ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء كانوا فى الجاهلية يشترون الاماء يساعين على مواليهن وكان لعبد
الله بن سلول ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على الزنى والفتيات جمع فتاة
وهى الامة روى البخارى ان رسول الله قال لا يقل احدكم عبدى وامتى كلكم عباد الله واماؤه وفتاى وفتاتى
ان اردن تحصنا ليس للكلام مفهوم اما لان الاكراه انما يتصور عند ارادة التحصن او لانه معارض بالاجماع وايثار
ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالنادر وفيه نعى على من اكرههن بان امته خير منه وليته اذا لم يرد التحصن
الكنفى ولم يرض ضده لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا علة للمنهى لا للنهى ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم
للمكرهات او له ان تاب **فان قلت** المكره لا يؤاخذ بالاثم فما معنى المغفرة للمكرهات **قلت** معنى المغفرة فى
حقهن اسقاط العقوبة والاثم بعذر الاكراه وفيه اشارة الى ان المكرهة اذا كانت مع قيام العذر بصدد العقاب
فما ظنك بالمكره والقول بان المراد بالاكراه ما لم يبلغ حد الاكراه الشرعى لا يدل عليه الكلام وكذا القول بان الاكراه
لا ينافى المؤاخذة بالذات استدلالا بوجوب القصاص على المكره لانه حق العباد ولذلك سقط عنه حد الزنى والذى
يعول عليه لان حق الله يسقط بالاكراه والخطأ والنسيان لقوله صلى الله عليه رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما
استكرهوا عليه دون حقوق العباد ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات موضحات فى الدلالة على الاحكام وقرأ حمزة
والكسائى وابن عامر وحفص بكسر الياء اى بين الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وهى قصة
ام المؤمنين فانها فى الغرابة تشبه غرائب قصص الاولين كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين يريد ما وعظ به
فى تلك الايات من قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله وقوله لولا اذ سمعتموه وقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
وقيل الايات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض اى منورهما هو الهادى لاهل السموات

بل هنا نفى وسوان القرآن فى الذكر
الحاد الحكم لا بد من دليل على الافتراق والظاهر
انه اخذ من مال الله حيث لم اتوهم من مالكم او بدل
الكتابة منه

ليقل؟

والارض بنوره يهتدى ذو العماية ويرشد ذو الغواية كقولك زيد كرم وعمرو عدل اى ذو كرم
وعدل دل عليه قوله مثل نوره بالاضافة اليه كمشكوة فيها مصباح المشكوة الكوة فى الجدار غير النافذة
والمصباح سراج ضخم ثاقب فى زجاجة قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب درى تشبه كوكبا
ازهر اللون منسوب الى الدر لصفائه وتلالؤه كزهرة وسهيل والمريخ توقد من شجرة مباركة اى
ابتدا ثقوبه من الشجرة المباركة يريد زيت ذبالته بزيتها ومعنى كونها مباركة انها تنبت فى الارض
المباركة وهى الارض المقدسة التى بارك الله فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعين نبيا
زيتونة لا شرقية ولا غربية فان الشام بين المشرق والمغرب وقيل لا فى مشرق الشمس على الدوام ولا
فى مغيبها بل يتعاقبان عليها وقيل ليست مما تطلع عليها الشمس فى وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها
بالغداة والعشى فهى شرقية وغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار لفرط صفائه نور على نور اى نور متضاعف
من وجوه قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والزيت والمصباح ولم تبق مما يزيد النور ويمده بالاضاءة
بقية وذلك ان المصباح اذا كان فى مكان ضيق غير نافذ كالمشكوة كان اجمع لنوره والقنديل اعون شئ
على الاضاءة وكذلك الزيت الموصوف التوحيد وشرايع الاسلام مما دل عليه السمع والعقل بالنور
فى الاضاءة ثم بالغ فى المشبه به بما لا مزيد عليه دلالة على المبالغة فى المشبه فكما ان هذا غاية فى المحسوس
ما وراءه شئ فكذلك ذاك ايضا غاية فى المعقول ليس اجلى منه معقول واليه اشار على كرم الله وجهه الله
نور السموات والارض نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره قلوب اهلها وقيل الشجرة المباركة رسول الله
ومعنى كونها لا شرقية ولا غربية عدم اختصاص دينه بقوم دون قوم او مكان غير آخر والمشكوة صدره و
الزجاجة قلبه والمصباح معرفته وكما ان نور الزيت لا دخان له فكذلك عرفانه والحق الذى فى قلبه لا يشوبه
باطل وقيل الشجرة المباركة ابراهيم لا شرقية ولا غربية ما كان يهوديا ولا نصرانيا والمصباح المتوقد
من تلك الشجرة رسول الله وقيل فيه تاويلات اخر وهى تخيلات فاعرض عنها يهدى الله لنوره من يشاء
اى يوفق من يشاء لاصابة الحق بالنظر والتدبر ويضرب الله الامثال للناس بابراز المعقولات فى صور
المحسوسات توضيحا وتبيينا والله بكل شئ عليم سيان عنده المحسوس والمعقول وانما يصور المعقولات فى صور
المحسوسات ليسهل فهمها على الناس قرأ ابو عمرو والكسائى درئ بكسر الدال والهمز على فعيل من درأ الكوكب
دروا اذا طلع بغتة مع توقد وانتشار ضوء قرأ حمزه وابو بكر بضم الدال والهمز على وزن فعول كسبوح و
الباقون بضم الدال والياء المشددة منسوبا الى الدر لصفائه وبياضه ووزنه فعلى والكسر مع الهمز افصح
وقرأ نافع وابن عامر وحفص يوقد بياء التذكير وحمزه والكسائى وابو بكر بتاء الخطاب للتانيث وابن
كثير وابو عمرو توقد ماضى تفعل فى بيوت متعلق بما قبله اى كمشكوة فى بعض بيوت الله وهى المساجد
كانه قيل مثل نوره كما ترى فى المساجد نور المشكوة التى من نعتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اى يسبح له
رجال فى بيوت والتكرير للمبالغة والتوكيد كقولك زيد فى الدار جالس فيها او بمحذوف نحو سبحوا او بتوقد
تقييد للمثل به بما يزيده مبالغة لان قناديل المساجد اعظم ومصابيحها اضوأ لاسيما اذا اريد المساجد الثلثة
وحمل التنكير على التعظيم كما قيل اذن الله ان ترفع اى يبنى كقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت او
تعظم وترفع قدرا واكراما كذا عن الحسن ويذكر فيها اسمه ليشمل كل ذكر حتى المناظرة فى العلم اذا اريد بها اظهار
الصواب يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال صفة مدح ثانيه لبيوت اى ينزهونه ويقدسونه فى هذه
الاوقات الشريفه او الصلوات الخمس فى الغدوات والعشايا لجمع الغدو لكونه مصدرا فى الاصل والاصال
جمع اصيل كاشراف وشريف وقرأ ابن عامر وابو بكر يسبح بفتح الباء على بناء المفعول مسندا الى احد الظروف
الثلثه واسناده الى الاول اولى ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح كقوله ليبك يزيد ضارع لخصومة لا تلهيهم

تجارة ولا بيع عن ذكر الله التجارة تشمل البيع والشرى للربح وانما افرد البيع لانه ادخل فى الالهاء اذ الربح
فيه ناجز مستيقن وفى الشراء مظنون مترقب او اطلق التجارة على الشرى اطلاق الجنس على النوع بقرينة ذكر
البيع وقيل التجارة الجلب يقال تجر اذا جلب المتاع نزلت فى المهاجرين فانهم كانوا تجارا قال عمر
شغلنى الصفق بالاسواق وفى الحديث التاجر فاجر الا من اتقى الله واقام الصلوة حذفت التاء التى كانت
عوضا عن العين لقيام المضاف اليه مقامها وايتاء الزكوة المفروضة يخافون حال كونهم خائفين يوما تتقلب
فيه القلوب والابصار تضطرب من الهول كقوله ليوم تشخص فيه القلوب والابصار او تتقلب من حال الى حال
فتفقه القلوب التى كانت فى اكنة وتبصر الابصار التى كانت عليها غشاوة ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او
يخافون احسن ما عملوا جزاء احسن اعمالهم بان يجزى على الادنى كما يجزى على الاعلى ويزيدهم من فضله فوق جزاء
الاعمال ما لم يخطر بالهم تفضلا والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير لسعة فضله واشارة الى كمال قدرته ونفاذ
مشيته والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة لما بين حال المؤمن ونتيجة سعيه فى الدنيا وفى الاخرة من النعيم المقيم
اردفه بذكر الكافر الذى يكد فى العمل من غير ان يكون على الشرط من الايمان والاخلاص فشبه تلك الاعمال بالسراب
وهو ما يلمع وقت الظهيرة فى المفاوز عند شدة الحر من سرب اذا جرى كانه ماء يجرى والقيعة جمع قاع وهو المستوى
المنبسط من الارض يحسبه الظمآن ماء فيسارع اليه ويحتمل الجهد والمشقة حتى اذا جاءه لم يجده شيئا من الاشياء
لاضمحلاله وتلاشيه او لم يجد ما كان يظنه من الماء ووجد الله عنده اى عقابه عند ذلك الموضع الذى كان يظنه ماء

فان قلت الضمير فى قوله جاءه ولم يجده ووجد الله للظمآن فكيف رتب عليه قوله فوفيه حسابه وذلك
انما هو للكافر يوم القيمة **قلت** المراد بالظمآن هو الكافر الذى غلبه العطش بالساهرة وقد غشيها السراب
من شدة الحر فيحسبه ماء فاذا جاءه لم يجد ما رجاه بل يرى الزبانية فيأخذونه الى جهنم ويسقونه ماء حميما والله سريع
الحساب اذ لا يشغله شان عن شان وفى الحديث يسئل الخلايق فى مقدار حلبة شاة وقيل كناية عن قرب
الساعة كقوله اقترب للناس حسابهم او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير كما فى قوله او كصيب شبه اولا تلك
الاعمال بالسراب المرئى من مكان بعيد فى عدم النفع مع الجهد البالغ والكد فى الطلب وليته كان كفافا بل وجد خلاف
ما كان يرجوه من الحميم والغساق وثانيا بالظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض لخلوها عن نور الايمان وضياء الحق
عكس اعمال المؤمنين المؤسسة على الايمان والاخلاص التى هى نور على نور فى بحر لجى عميق شديد العمق منسوب
الى اللج وهو معظم البحر يغشاه اى البحر موج ما يرتفع عند اضطراب البحر من فوقه موج اعظم منه واعلى من فوقه سحاب غمام
قد ركب الموج وحجب انوار النجوم ظلمات بعضها فوق بعض قرأ ابن كثير باضافة سحاب وجر ظلمات فى رواية البزى بالتنوين
وجر ظلمات على انه بدل من الاولى فى رواية قنبل اذا اخرج يده لم يكد يراها لم تقرب رؤيتها فضلا عنها كقول ذى الرمة
اذا غير الهجر المحبين لم يكد • رسيس الهوى من حب مية يبرح • الضمائر للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة الكلام عليه
ومن لم يجعل الله له نورا لم يوفقه ولم يهده فما له من نور شئ منه وكما وصف نور الحق بصفات دالة على كماله وصف
ظلام الباطل بصفات دالة على شدة ظلمته وغاية سخنته الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض استطراد
بعد ذكر تسبيح الرجال تسبيح اهل السموات والارض تعميما واظهارا للعظمة والكبرياء الاستفهام للتقرير وعلمه بذلك
من قوله وان من شئ الا يسبح بحمده ومن ذكر من تغليب لذوى العقول وقيل المراد الملئكة والانس والجن ويرده
قوله والطير صافات اى حال كونها فى الهواء باسطة اجنحتها فاذا كانت تسبح فى تلك الحالة وهى مظنة الاشتغال
تماسكها بغيرها وفيه الدلالة على كمال قدرة الصانع لان وقوف الاجرام السفلية فى الجو دليل ظاهر على ذلك
كل قد علم صلوته وتسبيحه كل من المذكورات قد علم الله دعاءه وتقديسه ولكن لا تفقهون تسبيحهم او كل واحد قد
علم صلوة نفسه لله تعالى وتقديسه والله عليم بما يفعلون لا يعزب عنه شئ تذييل على الاول يؤكد علمه بحالهم
وتكميل على الثانى لانه دل على العلم البالغ بعد ما قدم ما يدل على القدرة الكاملة ولله ملك السموات والارض مختص

شبه

به لاشريك له فيه والى الله المصير للجزاء الم تر ان الله يزجى سحابا يسوقه ومنه البضاعة المزجاة لانها غير مرضية
يزجيها كل احد الى آخر ديل آخر على كمال صنعه تعالى ثم يؤلف بينه بين اجزائه المتفرقة ثم يجعله ركاما مركوما بعضه
فوق بعض فترى الودق يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال جمع جبل والودق المطر من ودق اذا قطر قال الشعر
فلا مزنة ودقت ودقها ويُنزل من السماء من جبال فيها في السماء من برد من الاولى لابتداء الغاية والثانية
للتبعيض والثالثه للبيان او الاوليان للابتداء والثالثه للتبعيض والمفعول محذوف اى ينزل منها بردا فيصيب به
بالبرد من يشاء عقوبة له ويصرفه عمن يشاء سلامته وقيل الضمير للودق اى يسقى به من يشاء سقيه ويصرفه عمن
يشاء حرمانه والاول هو الوجه يكاد سنا برقه ضوء برق السحاب يذهب بالابصار لقوته يقلب الله الليل والنهار
يذهب باحدهما ويأتي بالاخر ويخالف بينهما بالطول والقصر او النور والظلمة او بتغير احوال من فيهما ان في ذلك
لعبرة لاولى الابصار لدلالة تعبرها الى العلم بوجود الصانع القادر لذوى الابصار والله خلق كل دابة من ماء
مثل قوله وسقى بماء واحد استدل اولا باحوال السماء والارض على وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وثانيا باحوال
الاثار العلوية وثالثا باحوال الحيوانات المختلفة الانواع والاشكال والاحوال مع اتحاد الاصل والمنشأ **فان قلت**
كثير من الحيوانات خلق من غير ماء آدم من تراب وعيسى من نفخ جبرئيل والجن من النار **قلت** اصل الكل من
الماء على ما روى ان الله تعالى اول ما خلق جوهرة فنظر اليها بالهيبة فذابت ماء فمن ذلك الماء تكون النار والنور
والهواء والتراب وقيل من ماء صفة دابة وليس صلة خلق والمعنى كل دابة متولدة من ماء فهى مخلوقة لله تعالى
وهذا وجه حسن واوفق بتنكير الماء المراد به نطفة ابيه او الماء المختص بتلك الدابة **فان قلت** فعلى هذا
المعنى كل دابة متولدة من ماء مخلوقة لله تعالى ومفهومه ان ما ليس كذلك ليس مخلوقا له **قلت** ذلك المفهوم
ملغى في مقابلة القاطع ولان الماء الذى به الحيوة اذا كان المتولد منه يحتاج الى الصانع فالغير من باب الاولى
فمنهم من يمشى على بطنه كالحيات ومنهم من يمشى على رجلين كالانسان ومنهم من يمشى على اربع كساير الحيوانات
قدم الابدع فالابدع واطلاق المشى على الزحف للمشاكلة او استعمال المقيد في المطلق استعارة او مجازا مرسلا
يخلق الله ما يشاء ما تعلقت به ارادته كيف يشاء ان الله على كل شيء قدير كامل القدرة سواء كان الشئ حقيرا او
خطيرا لقد انزلنا آيات مبينات هى المذكورات من قوله الله نور السموات الى هنا قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص
بكسر الياء والله يهدى من يشاء هدايته الى صراط مستقيم موصل اليه وان كانت الايات الداله عامة للكل فان ملاك
الامر توفيقه ويقولون آمنا بالله وبالرسول اشار فى اثناء قصة المنافقين الى جملة من دلائل التوحيد الداله على النعم
الجسام والوعيد الشديد توكيدا للتوبيخ ثم عاد الى طايفة اخرى من مثالبهم والاية نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا
فدعاه اليهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا المنافق الى كعب بن الاشرف وقيل نزلت فى المغيرة بن وايل
كان بينه وبين على بن ابى طالب كرم الله وجهه خصومة فى ماء وارض فقال المغيرة لا اتحاكم الى محمد فانه يبغضنى فاخاف
ان يحيف على وكان نظرا انه مؤمن به واطعنا اى الله والرسول ثم يتولى فريق من بعد ذلك ثم للاستبعاد بعد ذلك
القول وما اولئك بالمؤمنين اى القائلون كلهم لا المتولى وحده وان كان المتولى اوغل واغرق فى الكفر او من تولى
وفائدة الاخبار عنهم بانهم ليسوا مؤمنين مع العلم بانهم بعد التولى لا ايمان لهم النعى عليهم بانهم يقولون شيئا
ثم ياتون بما يضاده واذا دعوا الى الله ورسوله ذكر الله للتعظيم والحاكم رسوله لقوله ليحكم بينهم كقولك اعجبنى زيد و
كرمه اذا فريق منهم معرضون اذا كان الحق عليهم اذا فجائية دالة على فرط كفرهم حيث لم يتوقفوا بعد ظهور الحق
عليهم لمحة طرف وان يكن لهم الحق ياتوا اليه الى رسول الله او هو متعلق بقوله مذعنين اى ان بان ان الحق
لهم لم يرضوا الا بحكمك اليك يسرعون لا الى غيرك وهذا اوجه لدلالته على شدة نفاقهم افى قلوبهم مرض ام
ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله قسم الامر فى صدودهم ثلثة اقسام لان الخلل فيهم او فى الحاكم والثانى
اما موجود او مترقب ومنصب النبوة ينافى الاخرين فتعين الاول فالاضراب عن الاخرين بل اولئك هم الظالمون

اشارة الى القسم الاول واثبات لمرض القلب وهو النفاق على ابلغ وجه وآكده واضراب عن الاخير وحده
بدليل انهم يسارعون اليه اذا كان الحق لهم وذلك ينافى توهم الحيف منه بل اعراضهم لكونهم منافقين
مرتابين او اضراب عن نفس التقسيم والمعنى دع التقسيم واحكم بانهم الجامعون لتلك الاوصاف الكاملون فى الظلم
انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا سواء كان عليهم او لهم
واولئك هم المفلحون لا غير ومن يطع الله ورسوله فيما يامران به كائنا من كان اى وقت كان دفع لتوهم
اختصاص الفلاح بمن كان فى عصره ويخشى الله اى عقابه ويتقه بامتثال الاوامر والاجتناب عن
معاصيه وعن ابن عباس رضى الله عنه من يطع الله فى فرايضه ورسوله فى سننه ويخشى الله على ما
مضى من ذنوبه ويتقه فيما بقى من عمره قرأ ابو عمرو وابوبكر وخلاد عن حمزة فى وجه بسكون الهاء
اما لان العرب تسكن هاء الضمير اذا تحرك ما قبلها نحو ضربته على ما نقل القراء او حملا على هاء الضمير
على ما قاله الفارسى او اجراء للوصل مجرى الوقف والباقون بالكسر مع الاشباع الا حفصا وهشاما وقالون
روما للتخفيف والاشباع هو القياس وانفرد حفص باسكان القاف قياسا على كتف فاولئك هم الفائزون
بكل بغية واقسموا بالله جهد ايمانهم الضمير للمنافقين فان ذكر المؤمنين كان استطرادا للتقابل وتباين الاحوال
والمعنى استفرغوا جهدهم فى الايمان الكاذبة بعد ذلك التولى والاعراض كما هو دأبهم فى النفاق وجهد
منصوب بفعل مضمر كضرب الرقاب لئن امرتهم ليخرجن جواب القسم والمعنى انهم كاملون فى الايمان بحيث لو
امرتهم بالخروج عن الديار والاموال لفعلوا قل لا تقسموا كاذبين فان ذلك تحمل اثم فوق اخر طاعة معروفة
المطلوب منكم طاعة معروفة كطاعة الخلص او طاعتكم معروفة بانها بالقول دون الفعل فلا حاجة الى الايمان
او طاعة معروفة امثل بكم من هذه الايمان الكاذبة ان الله خبير بما تعملون مطلع على ضمائركم فيجازيكم
عليها قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واتركوا النفاق لم يقل واطيعونى اشارة الى ان كونه رسولا
هو المقتضى للاطاعة فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ابتداء كلام منه تعالى لقوله فانما
عليه دون عليك والمعنى ان توليتم لا ضرر عليه لانه ادى ما عليه وعليكم غضب الله وسخطه باعراضكم
وان تطيعوه تهتدوا الى الحق وتحرزوا نفوسكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الموضح لما كلفتم به وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب لرسول الله ومن يبايعه وقيل تتميم لقوله وان تطيعوه تهتدوا
بيانا لما لهم فى العاجل والاجل ترغيبا ومن للتبعيض وفيه ان آمنوا باناه وحمله على المترقب لا يلايم مع ان
الخلفاء لم يكونوا من اولئك المقسمين **فان قلت** لم وسط الجار والمجرور بين الايمان والعمل الصالح هنا
واخره فى سورة الفتح **قلت** اشارة الى ان الاصل فى الاستخلاف هو الايمان ولذلك لا ينعزل الامام
بالفسق ويصح ولاية ذى الشوكة الفاسق بخلاف المغفرة والاجر الموصوف بالعظيم فان الايمان والعمل الصالح
اصلان فيهما ليستخلفنهم فى الارض يجعلهم خلفاء فيها جواب قسم مقدر كما استخلف الذين من قبلهم بنى اسرائيل
اورثهم ملك فرعون بمصر والعمالقة بالشام وناهيك ملك داود وسليمان وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم
دين الاسلام لقوله ورضيت لكم الاسلام دينا وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا فان رسول الله واصحابه
لما كانوا بمكة حالهم فى الخوف ومقاساة الاعداء معروفة ولما كانوا بالمدينة كانوا خائفين من ملك غسان واهل
النفاق يرجفون الاخبار حتى انزل الله فيهم لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى
المدينة فانجز الله وعده ونصر عبده فاورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل
شئ قديرا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا حال من الذين لتقييد الوعد بثباتهم على التوحيد او استيناف لبيان
مقتضى الاستخلاف والامن ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون الكاملون فى الفسق حيث كفروا تلك
النعم العظام واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون عطف على اطيعوا الله والفاصل

ليس باجنبي بل هو وعد على المامور به مع ان الاصل في العطف مغايرة المعطوف المعطوف عليه
والفاصل يؤكدها اذ في المجاورة مظنة الاتصال وكررت طاعة الرسول مبالغة في ايجابها و
ليرتب عليه الرحمة ثانيا كما رتب عليها الهدى اولا لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض
خطاب لرسول الله توكيد لذلك الوعد وقرأ ابن عامر وحمزة بياء الغيبة اما باسناد الفعل
الى الذين كفروا على ان معجزين في الارض مفعولاه كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله
في الارض او على حذف المفعول الاول اى لا تحسبن الذين كفروا اياهم معجزين او في الفعل ضمير
الرسول لتقدم ذكره والخطاب اوجه لعدم الحذف ولكونه ابلغ تسلية ومن جوز ان يكون الفاعل
في قراءة الناء الذين كفروا لم يصب لان قراءة الخطاب لا احتمال فيها لغير رسول الله ولا يمكن تانيث
الفعل المسند الى الذين وماويهم النار عطف على مقدر كانه قيل مقهورون في الدنيا بالاستيصال
مجزيون في الاخرة بعذاب النار او في محل النصب على الحال كانه قيل اني لك ان اولئكم فهذا الحسبان
والحال ان النار موعد لهم ولبئس المصير الماوى يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
متصل بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول والافراد بالذكر لانه من الاداب فربما يتساهل فيه وقيل
رجوع الى الاحكام السالفة التى صدرت السورة بها بعد الفراغ من الالهيات والوعد والوعيد
والخطاب للرجال وتدخل النساء بالطريق الاولى لان التستر بهن اولى نزلت في عمر بن الخطاب
كان قائلا وقت الظهيرة متجردا عن الثياب فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو
غلاما من الانصار فدخل على عمر من غير اذن فقال عمر وددت ان الله نهى اولادنا وخدمنا
من الدخول في هذه الساعات الا بالاذن فلما جاء رسول الله وجد قد نزلت عليه وقيل نزلت
في اسما بنت مرشد دخل عليها غلام كبير لها فكرهت دخوله في ذلك الوقت فشكت ذلك الى رسول
الله فنزلت والذين لم يبلغوا الحلم منكم اى الصبيان من الاحرار الذين لم يبلغوا حد الرجولية فعبر عنه
بالحلم لانه احد دلائله ثلث مرات في ثلث اوقات من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع
والغالب فيه التجرد عن ثياب اليقظة وحين تضعون ثيابكم للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد
صلوة العشاء لانه وقت التجرد من الثياب والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم اى هذه ثلث
عورات او ثلث عورات مبتدأ خبره لكم وقرأ حمزه والكسائى وابوبكر ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث
مرات وتسميتها بالعورات لكونها مظنة لها وكل عيب وخلل عورة ومنه في الحديث لا يؤخذ في
الزكوة هرمة ولا ذات عوار اى عيب وخلل واعور الفارس اذا وجد فيه خلل في لبسه وسلاحه
ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد الاوقات الثلث صفة ثلث عورات ان قرأ بالرفع
تعليم اى هن عورات مخصوصة بالاستيذان ليس وراءهن جناح واستيناف يؤكد الامر بالاستيذان
في تلك الاوقات ان قرئ بالنصب فان قلت هلا جعل وصفا في قراءة النصب كما في قراءة
الرفع قلت اذا امر بالاستيذان في الاوقات الثلثة فقد حصل الغرض سواء وصفت بان لا
حرج وراءها او لم توصف فتضيع الوصف بخلاف الرفع فان الوصف للخبر المقصود والاستيذان
على اطلاقه كما في النصب والاية في الصبيان والمماليك وآية الاستيذان السابقة في الاحرار
البالغين فلا تنافي فلا نسخ طوافون عليكم لبيان تعليل لرفع الحرج اذ كثرة المداخلة مع الاستيذان
في الاوقات كلها يوجب الحرج بعضكم على بعض مبتدأ وخبر اى بعضكم على بعض كذلك يبين الله
لكم الايات سائر الايات في الوضوح والجلاء والله عليم كامل العلم حكيم فيما شرع لكم من الاحكام
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم اى الذين بلغوا من قبلهم والسن

رد على القاضى

بنت مرشد بالشين المعجمة كذا في الاستيعاب
وروى غيره بالثاء المثلثة

انسب انعلم

يطوفون

والسن الذى يبلغ فيه الغلام عند ابى حنيفة ثمانى عشرة سنة والجارية سبع عشرة والشافعى وعامة
العلماء خمس عشرة سنة في الغلام والجارية وروى عن على رضى الله عنه انه كان تقدر القامة خمسة
اشبار واليه اشار الفرزدق في قوله فسما وادرك خمسة الاشبار واستدل به من اوجب الاستيذان
على العبد البالغ اذا دخل على سيدته ولا دليل له فيه لان المراد بهم ما عدا المماليك من الاحرار لتقدم المماليك
في الذين ملكت ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم كرره مبالغة في شان الاستيذان و
اضاف الايات اليه تعالى زيادة توكيد لان الاستيذان مما يتساهل فيه وعن ابن عباس رضى الله عنه
ثلث ايات جحدهن الناس الاذن كله وان اكرمكم عند الله اتقيكم واذا حضر القسمة اولوا القربى وعن ابن
مسعود رضى الله عنه عليكم ان تستاذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم والقواعد من النساء جمع قاعد اى
ذات قعود كطالق وحايض وهى المسنة من النساء تقعد في البيت لعدم استطاعة الدخول والخروج اللاتى
لا يرجون نكاحا لعدم رغبتهن فيه او لعدم رغبة الرجال فيهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن
الثياب الظاهرة كالجلباب والملحفه ودخول الفاء في الخبر لان اللام في القواعد موصولة غير متبرجات بزينة
الزينة الخفية لسبق العلم باختصاص الحكم بها والتنكير لافادة الشيوع وان زينة ما وان قلت داخلة في
الحكم والتبرج التكلف في اظهار الزينة من البرج بفتح الباء وهو سعة العين اذ اظهر احداق بياضها بسوادها
وفي الحديث في وصف عمر بن الخطاب كان طوالا ابرج وان يستعففن خير لهن من وضع الثياب رغبة في
الافضل والتقوى بعد بيان الاباحة على نمط الفتوى والله سميع لاقوالهن عليم باحوالهن تحذير لهن عن التجاوز
في الاقوال والافعال وقدم ما يتعلق بالقول اهتماما كما في الحديث ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله هل
نؤاخذ بما نقول بالسنتنا قال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصايد
السنتهم لاسيما النساء فان الغالب عليهن كثرة اللغو في الكلام والخوض فيما لا يعنى ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج كان المؤمنون لا يتحاشون في ادخال ذوى العاهات على اقربائهم واصدقائهم
واطعامهم مما يطعمون ثم كره الطاعم والمطعم ذلك فانه اكل مال الغير بالباطل فتحرجوا فقيل لهم ليس ذلك من الاكل
بالباطل وقيل كان ذو العاهات يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء استقذارا لانفسهم لان الاعمى لا يخلو تناوله الطعام
عن نوع شين وكذلك الاعرج في جلوسه والمريض عن كراهة رايحة ونحوها او لان الاعمى لا يرى الطعام والمريض
لا يستوفى الاكل والاعرج لا يتمكن في الجلوس فربما تحرجوا الثلاثة يظلموهم وقيل كانوا اذا غزوا خلفوا على اموالهم
وتخلفاتهم القاعدين عن الغزو وكانوا ياذنون لهم في الاكل منها فيتحرجون حكى ان الحرث بن عمرو خرج غازيا
وخلف على امواله مالك بن زيد فلما رجع رآه مجهودا فسئله عن ذلك فقال لم يكن عندى شئ ولم آكل من مالك
شيئا وقيل الاية في القاعدين عن الغزو للاعذار وعلى هذا وجه العطف في قوله ولا على انفسكم ان تاكلوا
من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او
بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم الجامع بين المعطوف والمعطوف عليه كون كل منهما منفيا عنه الحرج كما اذا استفتاك
مسافر عن جواز الافطار وحاج عن تقديم الرمى على الحلق قلت ليس على المسافر حرج في الافطار ولا عليك
ايها الحاج في تقديمك فان القضيتين وان تباينتا كل التباين اذا تقاربتا في الاحتياج الى البيان قرب الجامع
والذى دعا الى ذكر بيوتكم امران ان تعطف عليه غيره والاكتفاء بذكره عن بيوت الابناء للحديث المشهور انت ومالك
لابيك او ما ملكتم مفاتحه كناية عما تحت يد الوكيل والقيم والامين او صديقكم يطلق على الواحد والجمع
كالخليط والقطين وهذا اذا دل الحال على الرضا كما كان دأب السلف حكى ان الحسن دخل داره يوما فراى جمعا
من اصحابه قد اخرجوا من تحت سريره سلة فيها اطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فاستنار وجهه
وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة من البدريين وقد روى ان الشافعى كان يذهب الى بيت الزعفرانى

ويحتمل ان يكون ذكره دلالة على عدم
التفرق في الحكم بينه وبين المذكورات
بعده منه

ونقيم عنده فى بيت لكنه اياما وكان داب الزعفرانى ان يكتب صبيحه كل يوم ما يطبخ فى بيته على ورقه
ويناولها جارية ليسلمها الى الطباخ فوجد يوما فى السماط طعاما لم يكن كتبه فسئل عن ذلك فاخبرت
الجارية ان الضيف اخذ منها الورقه وزاد فيها ذلك الطعام فقال ان كنت صادقة فانت حرة لوجه
الله على بالورقه فاتوا بها فوجد الامر كما اخبرت عليها ملحق بخط الشافعى وعن ابن عباس رضى الله عنه الصديق
اكبر من الوالدين الا يرى ان اهل النار لم يذكروا الاباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا نزلت فى بنى عمرو بن ليث من كنانه كانوا يتحرجون
ان ياكل الرجل وحده وقيل فى الانصار كانوا لا ياكلون الا مع الضيف وقيل كانوا يتحرجون من
الاجتماع على الاكل لتفاوت لقمه الناس فاذا دخلتم بيوتا من هولاء البيوت وغيرها ولذلك نكره
فسلموا على انفسكم على من فيها فان المؤمنين كنفس واحدة تحية من عند الله مشروعة باذنه او متعلق بتحية
لان السلام دعاء بالسلامة والحياة للمسلم عليه من الله وانتصابه على المصدر كقعدت جلوسا مباركة
يرجى بركتها طيبة يوجب الانس ويطيب بها قلب السامع ويسكن روى البخارى انه صلى الله عليه وسلم
سئل عن افضل خصال الاسلام فقال اطعام الطعام وافشاء السلام وهذا السلام مشروع سواء كان فى
البيت احد او لا قيل اذا لم يكن فيه احد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن ابن عباس اذا
دخلت المسجد وليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كذلك يبين الله لكم الايات كرره
تفخيما للاحكام المذكورة وجعل الفاصلة فى الاولين العلم والحكمة المقتضيان لتبيين الاحكام وهنا ما هو
المقصود من ذلك البيان وهو قوله لعلكم تعقلون اى تتفقهون فى الدين فى البخارى من يرد الله به خيرا يفقهه
فى الدين انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله يريد الكاملين فى الايمان واذا كانوا معه على امر جامع وصف
الامر بالجامع مجاز والمراد ما يكون الاجتماع لاجله كالجمعة والعيد والتشاور مهم لم يذهبوا حتى يستاذنوه لقوة
ايمانهم لا ياتون ولا يذرون الا باذنه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله صدر الكلام
اولا بانما المفيد للحصر واوقع الموصول خبرا عنه محيطا بالايمانين ثم اعاد الكلام على وجه دل على ان مصداق الايمان
هو الاستيذان وفيه تعريض بان المنافق المتسلل فاذا استاذنوك لبعض شانهم لبعض امرهم فاذن لمن شئت
منهم واستصوبت له الاذن فوض الامر اليه فى الاذن والمنع اجلالا له واستغفر لهم الله مكافاة لهم على بذل
الطاعة لك وفى الحديث من اسدى اليكم معروفا فجازوه بمثله فان لم تقدروا فكافئوه بالدعاء وقيل الاستغفار
لهم على الاذن فانه ترك الافضل لانه اشتغال بامر الدنيا ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بهم حيث بنى
امرهم على اليسر او ارسل اليهم من يستغفر لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فتنصرفون بغير
اذنه توكيد لامر الاستيذان او لا تجعلوا دعاءكم اياه كما هو المتعارف يا فلان ويا فلان تدعونه باسمه يا محمد
بل قولوا يا رسول الله ويا نبى الله بالفاظ تدل على التعظيم كما خاطبه الله بها يا ايها الرسول يا ايها النبى يا ايها
المزمل يا ايها المدثر لم يخاطب الله نبيا من الانبياء الا باسمه العلم يا نوح يا ابرهيم يا موسى الا هذا المختار فانه
لم يخاطبه الا بتلك الالقاب الشريفة او لا تجعلوا دعاء الرسول واستغفاره لكم مثل دعاء بعضكم لبعض والاستغفا
له فانه مستجاب حتما قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قليلا مثل تدرج وتدخل مصدر لاوذ الرجل اذا استتر
بغيره ادخل قد على العلم تحقيقا وتوكيدا لثبوته ليكون ذريعة الى تحقق الوعيد فليحذر الذين يخالفون عن
امره يعرضون عن طاعته فيشمل الامر الجامع وغيره وعن الاخفش ان عن صلة وقيل بمعنى بعد كقوله
طبقا عن طبق وقيل يخالفون عن امره اى يصدون عنه المؤمنين فحذف المفعول لعدم تعلق المقصود به ان
تصيبهم فتنة فى الدنيا بالقتل والاسر او يصيبهم عذاب اليم فى الاخرة ظاهر الاية ان الامر للوجوب عند عدم
الصارف الا ان لله ما فى السموات والارض خلقا وملكا قد يعلم ما انتم عليه الخطاب للمنافقين او عام لهم

ليس من الايمان فى شىء

ولغيرهم

ولغيرهم ويوم يرجعون اليه اى المنافقون للجزاء التفات على الاول فينبئهم بما عملوا والله بكل
شىء عليم افتتح السورة بقوله انزلنا فيها ايات بينات وختمها بقوله انما المؤمنون اشارة الى ان المنتفع
بتلك الايات المؤمن الذى سلم كله الى صاحب الشريعة لا يتقدم دون اشارته ولا يحجم وقد اورد بعض
كبار المشايخ هذه الايات فى بحث آداب المريد مع الشيخ تمت السورة والحمد لله على ما انعم **سورة الفرقان**
مكية وهى سبعون وسبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى نزل الفرقان
على عبده تعالى وتزايد خيره من هذا فعله اصله من برك البعير اذا القى بركه وهو الصدر ففيه معنى
اللزوم ومنه البروكاء لمكان الحرب والبركة لمحبس الماء ولما كان القرآن الكريم خيره ومنافعه لا تحصى
وهو اصل الشريعة الدائمة الى انقراض الزمان وصف به من نزله ولا يوصف به غيره تعالى ولا تصرف
فيه والفرقان علم للقرآن لانه يفرق بين الحق والباطل ولانه مفصول بعضه عن بعض بحسب الاحكام
او فى النزول منجما ليكون للعالمين نذيرا اى العبد او القرآن والثانى اوجه لقولهم بعد اساطير الاولين
الذى له ملك السموات والارض بدل من الموصول الاول لان قوله ليكون تعليل للصلة من تتمتها او مدح
مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك كما توهمه اهل الضلال وخلق كل شىء
اوجد مراعى فيه التسوية فقدره تقديرا هياه لما نيط به من الافعال والملكات وان شئت فتامل فى
الانسان لما كان مكلفا بمعرفة الصانع والقيام بعبادته كيف فاض عليه القوى الدراكة والنطق للافهام
وقيل قدره للبقاء الى اجل مسمى واتخذوا من دونه الهة اليهود والنصارى والمشركون والمجوس لما بين
انه تفرد بالالوهية اخذ فى مثالب من ضل عن السبيل واتخذ له شريكا لا يخلقون شيئا قط وهم يخلقون
مخلوقون وايثار المضارع لاستحضار تلك الحالة ولا يملكون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع قدم
دفع الضر لانه اهم عند العاقل وعكس فى قوله ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم لان غرض
العبد من عبادته هو النفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا واذا لم يقدروا على دفع الضر عن انفسهم وجلب
النفع لها فهم عن هذه الامور بمعزل ولا يصلح للالوهية الا من هذا شانه وافعاله وقد روعى الاقرب فى
فالاقرب فى الترتيب وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه اثر المظهر اشارة الى
ان الباعث على هذا القول هو الكفر افتراه اخترعه قصدا واعانه عليه قوم آخرون ارادوا العداس مولى
الحويطب بن عبد العزى ويسارا مولى العلاء بن الحضرمى وابا فكيهه الرومى او قوما آخرين من الذين قراوا قصص
الامم الدارجة فقد جاؤا ظلما عظيما حيث جعلوا الكلام المعجز مفترى وزورا حيث نسبوا الاتى به الى الزور
وقالوا اساطير الاولين اى ما اتى به جمع اسطورة كاحاديث جمع احدوثة كانوا حيارى فى امره تارة يقولون
شعر وتارة سحر واخرى مفترى واساطير الاولين وهكذا شان المبطل لا يستقر على حال اكتتبها فهى تملى عليه
بكرة واصيلا اراد كتبها لنفسه فهى تلقى عليه طرفى النهار وهو يكتبها او قد كتبها فهى فى كتاب عنده تلقى
اليه طرفى النهار للحفظ قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض مشتملا على المغيبات التى لا يعلمها غيره
مما خلا عنه كتب الانبياء فكيف يكون اساطير الاولين او مختلقا انه كان غفورا رحيما ولذلك انزله اليك
وارسلك به نذيرا او لكونه غفورا رحيما لم يعاجلهم بالعذاب مع استحقاقهم له وقالوا مال هذا الرسول اتفقت
المصاحف على فصل اللام والوجه فيه ان اللام الجارة كلمة مستقلة فنبهوا على ذلك فى مواضع ياكل الطعام
ويمشى فى الاسواق كسائر الناس وهذه شبهة واهية ذكروها فى مواضع بعبارات مختلفة ردها الله تعالى
بانواع الاجوبة القاطعة منها ما سياتى عن قريب قوله وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون
الطعام ويمشون فى الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا تبعا وعونا على الانذار ويكون مصدقا له
او يلقى اليه كنز فيستغنى به عن السعى فى الاسواق والتردد فى طلب المعاش او تكون له جنة ياكل منها

بالتعبيح والمكاشفات

اوردها السهروردى فى العوارف قدس الله روحه

وضع الظالمون

اقل الاحوال ان يكون له قوت يكون قواما لبدنه فضلا عن الكنز وقال الظالمون موضع الضمير تسجيلا
عليهم بانهم ظالمون في مقالتهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا اصيب بالسحر ولا يدري ما يقول انظر
كيف ضربوا لك الامثال الاقوال الغريبة التي يضرب بها المثل لفرط بعدها عن حالك ورفعة محلك
عن الاتصاف بها فضلوا في تلك المقالات فلا يستطيعون سبيلا الى شئ يستقرون عليه او فضلوا
عن طريق الحق فهم يخبطون خبط عشواء تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الذي ذكروه
من الكنز والجنة في الدنيا جنات تجري من تحتها الانهار كما وعدك في الاخرة ويجعل لك قصورا
واشار ان للدلالة على عدم وقوع ذلك في الدنيا وانها ليست محلا له لسرعة الانتقال منها قرأ ابن
كثير وابن عامر وابو بكر ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع
كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم او استينافا على معنى وهو يجعل لك في
الاخرة قصورا والاول اوجه بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم من قولهم مال هذا الرسول يأكل
الطعام اضراب الى ما هو اطم فان ذلك تكذيب الرسول وهذا تكذيبه تعالى او متصل بقوله تبارك الذي
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك انكارا منهم لذلك على ابلغ وجه فان من كذب بها كيف تصدق هذا الخبر
واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا النار الشديد الاستعار وعن الحسن انه من اسماء جهنم فصرفه اما لاعتبار
المكان او ليوافق الفواصل كما في سلاسلا واغلالا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
روي ان النار ترآي لهم من مسيرة مائة عام ولها تغيظ وزفير قيل شبه صوت غليانها بصوت المتغيظ
وزفيره والحق انه على الحقيقة وقد روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ان النار اشتكت
الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الصيف ونفس في الشتاء فهو اشد
ما يجدونه من الحر واشد ما يجدونه من البرد ولما كان الحق ان البنية ليست بشرط في الحيوة فلله ان يخلق
في اي شئ كان واذا القوا منها مكانا ضيقا كما يلقى الحجر عن ابن عباس رضي الله عنه يضيق عليهم كما يضيق
الزج في الرمح ليشتد عليهم الكرب مقرنين حال كونهم مقرنين في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم وقيل
يقرن كل انسان مع شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك ثبورا هلاكا يقولون واثبوراه
تعالى هذا اوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا يقال لهم او هم احقاء بذلك القول وادعوا ثبورا كثيرا
لعدم انقطاع العذاب ولتكثر انواعه قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الذين اتقوا الشرك
لانهم قوبلوا بالمشركين المكذبين والاستفهام للتقريع والتفضيل على وجه التهكم كما تقول من يضرب عبده
لمخالفته امره هذا اطيب ام ذلك كانت لهم جزاء ومصيرا اي يكون والتعبير بالماضي لجعل المترقب
كالواقع وانما ذكر المصير مع الجزاء كما في قوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا وقوله بئس الشراب وساءت
مرتفقا لان لذة النعيم لا يكمل الا اذا انضم اليه طيب المنزل لهم فيها ما يشاؤن كل ما يتمنونه فان
قلت الجزاء على قدر الاعمال فكيف يكون ادنى المؤمنين مثل اعلاهم وقد روى ابن عباس رضي
الله عنه ان في الجنة مائة درجة بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام قلت ادنى المؤمنين اذا كان له
مثل ملك الدنيا عشر مرات رضي بذلك ولا يشتهي زيادة على ما هو فيه خالدين حال من فاعل ما يشاؤن
كان على ربك وعدا مسؤلا موعودا حقيقا ان يسأل ويطلب او يسأله الناس في دعائهم ربنا آتنا
ما وعدتنا على رسلك او الملئكة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ويوم نحشرهم اي الكفرة لان ذكر
المتقين استطراد لاظهار مقام الفريقين على وجه التقابل وقرأ ابن كثير وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير
ربك والباقون بالنون التفاتا وما يعبدون من دون الله كل معبود سواه واستعمال ما في العقلاء اما لكون
وصفه على العموم او لارادة الوصف كقوله والسماء وما بناها او تغليبا او تنزيلا للعقلاء في مقام الالوهية

وانما كان اوجه لان الكلام معهم في شان الدنيا منه

منزله

اجاب

عليه

منزله غيرهم فيقول انتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل سؤال تقريع وتوبيخ للعبدة حتى اذا
المعبودون بما اجابوا ازداد بذلك حسرتهم ويفتضحون على رؤس الاشهاد وتقديم المسند اليه لكون الفعل
واقعا بلا ريب وانما الكلام في الفاعل قرأ ابن عامر فيقول بالياء قالوا سبحانك ابعادا له عن الانداد او تعجب
من نسبة الاضلال اليهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لا حيوة لها ما كان ينبغي لنا
ان نتخذ من دونك من اولياء ما يليق بنا ان نتولى احدا دونك فكيف نأمر احدا بان يتولانا دونك
ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم حتى نسوا الذكر حتى تسبب ذلك التفضل الذي كان حقه الشكر
لنسيان ذكرك بالتوحيد والتدبر في الائك وآياتك وكان حق الكلام بل انت اضللتهم بافاضة النعم عليهم
ولكن عبروا عن اللازم بالملزوم تأدبا وكانوا قوما بورا هالكين في قضائك السابق جمع بائر كهود وهايد او
مصدر وصف به فقد كذبوكم ايها العبدة التفت اليهم كفاحا بالتوبيخ والتقريع بما تقولون اي في
قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا ويجوز ان يكون الجار والمجرور بدل اشتمال لان كذبته وكذبت به واحد
معنى فما يستطيعون صرفا دفعا للعذاب عنكم بعد ما كذبوكم او حيلة من صرف اذا احتال وقرأ حفص
بالتاء خطابا للعبدة والغيبة ابلغ تبكيتا لاستلزامه تعجيز من ادعوا الاستطاعة فيه ولا نصرا ولا اعانة لما انتم
فيه ومن يظلم منكم ايها المشركون نذقه عذابا كبيرا اصل الكلام ونذيقهم او نذيقكم وضع ومن يظلم موضع
الضمير وقيل الخطاب لفرق المكلفين وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في
الاسواق جواب عن شبهتهم مال هذا الرسول يأكل الطعام والجملة بعد الا صفة محذوف اي احد كقوله وما
منا الا له مقام معلوم اي احد وجعلنا بعضكم لبعض فتنة محنة وابتلاء اتصبرون حث على الصبر بعد
بيان موجبه كقوله فهل انتم منتهون بعد تحريم الخمر وقيل علة للجعل اي لنعلم ايكم يصبر كقوله ليبلوكم
احسن عملا وكان ربك بصيرا بمن يصبر وبمن لا يصبر او بمن يصلح للرسالة والاصطفاء وقال الذين لا يرجون
لقاءنا جزاءنا على الاعمال الصالحة او رؤيتنا او عقابنا بلغة تهامة على ان الرجاء بمعنى الخوف لولا انزل
علينا الملئكة بالرسالة لعدم اعتقادهم جواز ارسال البشر او يصدقون محمدا لقولهم والاول هو الوجه
لقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او نرى ربنا فيأمرنا وينهانا بلا واسطة ولا حجاب لقد استكبروا
في انفسهم اضمروا الكفر في قلوبهم وعقايدهم وعتوا وتجاوزوا الحد عتوا كبيرا تجاوزا مفرطا اللام جواب
قسم محذوف كانه قيل ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم يوم يرون الملئكة منصوب باذكر او يعذبون دل عليه ما
بعده او نزل دل عليه قولهم لولا انزل علينا الملئكة لا بشرى يومئذ للمجرمين لكل مجرم او لهم فوضع موضع
الضمير ليدل على علية عدم البشرى ويقولون حجرا محجورا من المصادر التي هجر ذكر ناصبها والوصف للمبالغة كليل
اليل هذه كلمة كانوا يقولونها عند النوايب وشدايد النوازل في مقام الاستعاذة والمعنى انهم يطلبون
نزول الملئكة واذا نزلت استعاذوا من نزولها فانهم يلاقونهم بما يكرهون وقيل هو من كلام الملئكة اي
كلام الملئكة اي حراما عليكم محرما الغفران والجنة او البشرى واصل الحجر المنع ومنه قيل للعقل الحجر لانه يمنع
ارتكاب الرذائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كانوا يسابقون الى المكارم من قرى
الضيف وفك العاني وساير انواع البر ويحسبون انها ذخرهم عند الله ولما لم يكن لها نفع اساس الاعمال
بدون الايمان كبناء بلا اساس رد الله عليهم في ذلك الحسبان ابلغ رد بان مثل حالهم بحال قوم خالفوا امر
سلطانهم واغضبوه غاية الاغضاب فقدم الى ناديهم واباح ما تحت ايديهم وجعلها كان لم تغن
بالامس والهباء ما يرى من الذرات عند دخول الشمس في الكوة شبيه الغبار والمنثور المفرق صفة هباء
او مفعول ثالث لجعلنا على انه في الاصل خبران اي جعلناه جامعا للحقارة والتفرق بحيث لا يحصل منه
على طائل اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقرون فيه للمحاورة والمفاكهة مع الاصحاب كقوله على سرر

متقابلين واحسن مقيلا مكانا للاسترواح والتمتع بالحور والازواج وتسميته مقيلا على التشبيه اذ لا
قيلولة في الجنة كقوله رزقهم فيها بكرة وعشيا مع ان في الجنة لا ليل ولا نهار او المقيل عبارة عن الزمان
اشارة الى ان مكانهم وزمانهم احسن ما يتصور والتفضيل اما ان يراد به الزيادة المطلقة او بالاضافة
الى ما للمترفين في الدنيا وفي ايثار الاحسن مع المقيل اشارة الى زيادة المحاسن هنا من الزخارف والوجوه
الحسان كما يكون للملوك في الدنيا في اماكن انسهم ويوم تشقق السماء بالغمام اي تنشق بسبب طلوع الغمام منه
قيل هو غمام فوق السموات سمكه مثل سمك السموات وثقله مثل ثقلها فاذا كان يوم القيمة القاه الله على
السموات فتنشق منه قرأ الكوفيون وابو عمرو بتخفيف الشين بحذف احدى التائين ونزل الملئكة تنزيلا
في ذلك الغمام بايديهم صحايف الاعمال وقرأ ابن كثير ننزل بزيادة النون مضارع انزل ونصب الملئكة
وعليه رسم المكي وعلى حذفه سائر الرسوم الملك يومئذ الحق للرحمن اي الثابت له دون غيره من الملوك
لمن الملك اليوم الملك مبتدأ ويومئذ ظرفه والحق نعت وللرحمن خبر وكان يوما على الكافرين عسيرا
اي يكون شاقا عليهم لسقوط حجتهم ويوم يعض الظالم على يديه كل ظالم كناية عن شدة الندامة فان
النادم المتحسر يعض على الانامل وجمع اليدين اشارة الى فرطه عن ابن عباس نزلت في عقبة بن ابي معيط
كان اذا قدم من سفر اتخذ طعاما ودعا اليه الناس فدعا من جملتهم رسول الله فلما قدم الطعام ابى ان
يتناوله الا ان يشهد له بالرسالة فشهد له بذلك وهو مضمر الكفر وكان صديقا لابي بن خلف فعاتبه ابي
وقال له صبات فقال ما صبات ولكن كرهت ان يرجع ولم يطعم من طعامي دعوته اليه فقال وجهي من
وجهك حرام ان وجدت محمدا فلم تبزق في وجهه ففعل ذلك فعلى هذا اللام في الظالم للعهد والحق انه
للجنس وان كان هو سبب النزول اذ لا ظالم الا وهو عاض يديه في ذلك اليوم يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الجنة فالتنكير لافراد شخصا او طريقا من الطرق اشارة
الى ان ما كان يسلكه لم يستحق ان يسمى طريقا والقصد الى صفة السبيل او ماهيته يا ويلتى اصله الياء قلبت
الفا كما في يا غلاما وامال الفه حيث وقع الدوري عن ابي عمرو وكذا حمزة والكسائي على ما عرف — اماله مطلقة
في اصولهم ليتني لم اتخذ فلانا خليلا فلان كناية عن علم المذكر يريد ابيا ان اريد العهد وان اريد الجنس
فكل من اتخذ خليلا لابد وان يكون له علم فجعله كناية عنه لقد اضلني عن الذكر ذكر الله او القرآن
او انا نحن نزلنا الذكر او كلمة الشهادة والذكر بمعنى العهد لانها عهد بين الله وبين عبده بعد اذ جاءني
ولم يبق لي عذر وكان الشيطان للانسان خذولا اي لعقبة سماه شيطانا لكونه مضلا مثله او ابليس
لانه الذي ذلك او من اضل عن طريق الحق من الجن والانس شيطان حكاية كلام للظالم او هو ابتداء — حكم على
كلام من الله تحذيرا للسامع عن الاغترار والخذلان ضد النصرة وقال الرسول يريد محمدا صلى الله عليه
وسلم يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا متروكا غير ملتفت اليه او مهجورا فيه من الهجر بمعنى
جعلوه هذيانا وسموه سحرا واساطير الاولين او خلطوا هجرهم به اذا قرئ لئلا يفهمه السامعون وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلناك لك قبل
عليه بعد سماع شكواه مسليا له بان هذا شأن الرسل مع الكفار لينالوا بذلك المثوبة العظمى وكفى
بربك هاديا الى طريق الانتقام منهم ونصيرا معوانا لك عليهم فلا تبال واصبر وقال الذين كفروا لولا
نزل عليه القرآن نزل بمعنى انزل لقوله جملة واحدة والا لكان متدافعا كذلك جواب لهم اي كذلك
انزل مفرقا لان قولهم لولا نزل عليه القرآن جملة يتضمن انكار انزاله مفرقا لنثبت به فؤادك من نجومه
نقوي قلبك وازداد ثبات جاشك ولو انزل جملة واحدة مرة واحدة لم يكن له ذلك الوقع ولا لك — مفرقا منجما تحدبت بكل نجم
الظهور التام والاطمئنان الغلب وايضا اذا تردد اليه جبرئيل في الوقايع ازداد بذلك قوة وتوالت عليه الافراح

كما نعله

كما تفعله الملوك مع الخواص المقربين يواصلونهم بالرسائل والكتب وما قيل انه كان اميا بخلاف حاله — يرد على الكل و
حال موسى وعيسى وداود عليهم السلام فانهم كانوا قرأوا وكتبوا فلو القي اليه جملة واحدة لعجز
عن حفظه ففيه ان من انزله قادر على ان يجعل له القوة على حفظه في لمحة طرف بل كان ذلك معجزة
اخرى له ورتلناه ترتيلا فصلناه بعضه عن بعض في الانزال تفصيلا متناسبا بين البعد والقرب
من رتل الاسنان وهو تباعد ما بين الثنايا والرباعيين وقيل رتلناه امرنا بترتيله في القراءة لقوله
ورتل القرآن ترتيلا ولا يأتونك بمثل بكلام هو مثل في البطلان يجادلونك به الا جئناك في مقابلته
بالحق جوابا عنه واحسن تفسيرا كشفا عن المقصود من الفسر وهو الكشف وصيغة التفعيل للمبالغة و
ذلك انهم قاسوه بموسى وعيسى في انزال الكتاب جملة واحدة وقد جهلوا ما في تنزيله مفرقا من الحكم
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم رفع او نصب على الذم روى البخاري عن انس ان رجلا قال
يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة فقال اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا
قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيمة اولئك شر مكانا منزلة واضل سبيلا ممن قدحوا في
رسالته اي لو علموا حالهم لعلموا انهم شر مكانا وقيل متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا ووصف السبيل بالضلال على طريقة المجاز الحكمي مبالغة في ضلال سالكه ولقد آتينا موسى
الكتاب لما سلاه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا فصل بعض احوال مشاهيرهم وقدم موسى لان
امته اكثر وعناه مع الجهال اوفر واشهر وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا موازرا له معاونا اياه في تبليغ
الرسالة ولا تنافي بين النبوة والوزارة فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فذهبا فكذبوهما
فدمرناهم تدميرا استأصلناهم وقلعنا شأفتهم ولما كان الغرض التسلية وانه سينزل بالمشركين ما
ما انزل باولئك اختصر الكلام بذكر طرفي القصة وكذلك سلك في القصص بعدها وقوم نوح لما كذبوا الرسل
كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده ومن كذب رسولا فقد كذب سائر الرسل لاتحاد دعوتهم
واشتراك دليلهم في الاعجاز اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس اية عبرة الى يوم القيمة واعتدنا
للظالمين عذابا اليما لكل ظالم او لهم واثار المظهر للدلالة على علية الحكم وعادا وثمودا عطف على هم او
الظالمين بحسب المعنى اي وعدنا الظالمين وهؤلاء الاعلام في الظلم وقرأ حمزة وحفص ثمود غير منون على — وقيل قرية
تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم شعيب والرس اسم بئرهم كذبوا شعيبا فبينا هم حول البئر جلوسا خسف
الله بهم الارض وقيل قرية عظيمة بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقيل هم اصحاب
حنظلة بن صفوان وكانوا مبتلين بالعنقاء وهي طير عظيم سمي بذلك لطول عنقه وكانت تخطف اولادهم
فدعا عليها حنظلة النبي فاصابها صاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكهم الله وقيل هم اصحاب الاخدود
والرس الاخدود وقيل الرس ارض بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل اسم بئر وانما سمي رسا لانهم
قتلوا نبيهم ورسوه فيه اي دسوه وقرونا بين ذلك المذكور كثيرا لا يعلمها الا الله روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما تلا الاية قال كذب النسابون يقول الله وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا
ضربنا له الامثال اي كل قرن بينا له القصص العجيبة مما جرى على الامم المكذبة للرسل انذارا وتحذيرا
وكلا تبرنا تتبيرا حيث لم يعتبروا ولم ينجع فيهم ذلك الانذار التبار الكسر من التبر وهو فتات الذهب
قبل الضرب وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا اي انذرنا والثاني بتبرنا لفراغ الفعل له ولقد اتوا
على القرية التي امطرت مطر السوء يريد قريشا في مسايرهم في التجارات الى بلاد الشام والقرية اسمها
اسمها سدوم اعظم قرى قوم لوط سميت باسم قاضيها وكان آية في الظلم والجور حتى صار مثلا هذا قضاء
سدوم ومطر السوء الحجارة افلم يكونوا يرونها الاستفهام للانكار الداخل على النفي فيفيد الاثبات اي قد

الفلج بفتح الفاء واللام قرية عظيمة من ناحية اليمامة وبسكون اللام واد بطريق البصرة

راوها بل كانوا لا يرجون نشورًا فلذلك لم ريثنا ملوا ولم يتعظوا فان الانسان انما يتكلف النظر
والتدبر اذا كان راجيًا ثواب الاخرة خايفا عقابها او لا يخافون على اللغة التهاميه واذا راوك
اي المشركون ان يتخذونك الا هزوًا اي لم يرضوا بترك الايمان حتى جعلوك مكان هزوا وسهزوا به
اهذا الذي بعث الله رسولا اسم الاشارة للتحقير كما في حديث عايشه باعجبا لابن عمر وهذا حين
افتى بنقض الظفاير انما اخرجوا بعثه في معرض التسليم لجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكما به
ان كاد ليضلنا عن آلهتنا بكثرة الدعاء الى التوحيد وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم
قد بلغ الغاية القصوى في الدعوة الى الله حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دين آبائهم مع فرط
عنادهم وشدة لجاجهم ان مخففة من المثقله وضمير الشان محذوف واللام هي الفارقه لولا ان صبرنا
عليها وثبتنا لولا هذه للدلالة على انتفاء شئ لوجود غيره كما في لولا على لهلك عمر فسوف يعلمون
حين يرون العذاب من اضل سبيلا انا وهم جواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لان من يضل غيره لا بد
وان يكون ضالا في نفسه ارايت من اتخذ الهه هواه تعجب ممن هذا شانه في الجهل قدم المفعول الثاني
للعناية به والقرينة معنويه كما في قوله بنونا بنوا بنائنا افانت تكون عليه وكيلا مسلطا بجبره على
الاسلام انكار اى لست كذلك بل انت مبلغ ولا اكراه في الدين ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
حتى يسمعوا كلامك او يفهموا خطابك وهذا اشد مذمة ولذلك اضرب عن الاول وقيد بالاكثر لان منهم
من كان يابى عنادًا واستكبارًا ان هم الا كالانعام في عدم الادراك وفهم الايات بل هم اضل
سبيلا من الانعام لانها تفرق بين المحسن اليها والمسيئ وتعلم بالتعلم لا ترى اجهل من الحمار وقد رايناه
قد تعلم انواعًا من الحيل وهؤلاء قد اتبعوا الشيطان وهو اعدى عدوهم الذى يجلب لهم شقاء الابد
الم تر الى ربك كيف مد الظل اشارة على صنعه البديع الدال على كمال العلم والقدرة بل على الكمال
المطلق من كل وجه على اكمل وجه بالمحسوسات لان الخصم بعيد عن ادراك المعقولات والتدبر في علم
الملكوت ولم يخاطبهم بل وجه الكلام اليه توكيدًا لما قدمه من انهم اضل من الانعام فليس من
شانهم الخطاب والاستفهام للانكار دخل النفي فاد التقرير اى قد رايت صنع ربك كيف بسط الظل
لمنافع العباد ولو شاء لجعله ساكنًا لاصقا باصل ذى الظل كالشجر والبناء والجبال وقيل الظل
الذي مده ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فانه اطيب الاوقات اذ الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر
وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر اصل الكلام الم تر الى الظل كيف مده ربك وانما عدل الى المنزل
اشارة الى ان المعقول من هذا الكلام كالمرئى لوضوح برهانه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا متبوعًا
يتبعه الظل يزيد به وينقص ويمتد ويقلص ثم قبضناه الينا رفعناه بايقاع شعاع الشمس موقعه قبضًا
يسيرًا على التدريج لما في ذلك للعباد من المصالح ثم في الموضعين للترقي من الادنى الى الاعلى او على
اصله وذلك ان الله خلق السماء كالقبة المضروبة ثم خلق بعد ذلك الشمس وسلطها على ذلك الظل
وجعله تابعًا اياها ويجوز ان يراد قبضه يوم القيمة يوم نطوي السماء ولفظ اليسار تمايده وكذلك يسيرًا كما
في قوله حشر علينا يسير وهو الذي جعل لكم الليل لباسًا ساترا كاللباس والنوم سباتًا راحة من السبت
وهو القطع واستعماله في نوم المريض عند العرب والشيخ المسن قال عمرو بن مسعود رضي الله عنه لمعاوية
لا تسال عن شيخ نومه سبات وليله هبات او موتا لقوله وجعل النهار نشورًا اي بعثا شبه بعثهم من
النوم بالبعث بعد الموت قال لقمان لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وعلى الاول
النشور بمعنى الانتشار لاسباب المعاش وهو الذي ارسل الرياح بشرًا بسكون الشين في قراءة الكوفيين
وابن عامر جمع ناشر او جمع نشور كصبور خفف باسكان العين وابن كثير ونافع وابو عمرو بضمتين على الاصل وحمزة

نيالهن اسقط
وربد انه لابيام باللله

والكسائي بفتح النون على المصدر لما في الارسال من معنى النشر او على الحال وقرا عاصم بالباء جمع بشور بمعنى
مبشر كصبر وصبورا وبشير كقليب وقلب وقرا ابن كثير الريح بالافراد على ارادة الجنس والجمع هو المختار لكون
المبشرات ثلثا صباء وشمالا وجنوبًا وعليه حمل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها
ريحًا ومخربا الدبور قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور بين يدي رحمته امامه جعل الريح مبشرًا
بقدومه تعظيما له فانه سبب بقاء العالم وانزلنا من السماء ماء طهورًا مطهرًا للاحداث والاخباث
منقول من طهر اسم الة كالوقود والسحور لان الماخوذ من اللازم لا يكون متعديًا وقول الفقهاء بمعنى المطهر
تسامح وسالب الطهورية عند ابي حنيفه ان كان الماء راكدا وقوع النجاسة قليلا كان او كثيرا وعند مالك
اذا غير طعمه او ريحه او لونه وعند الشافعي كابي حنيفه فيما دون القلتين وكمالك اذا بلغ قلتين والجاري
عنده كالراكد وعند ابي حنيفه الجاري لا ينجس اذا لم يرى للنجاسة فيه اثر وفي الاية اشارة الى ان الله
تعالى لما اكرمهم بانزال الماء الطهور المزيل للخبث والحدث عن ظواهرهم فعليهم ان يطهروا بواطنهم
التي هي محل الاسرار عن قاذورات الغل وساير الرذايل لنحيي به بلدة ميتًا بالانبات وتذكير ميتا لكون
البلدة في معنى البلد لقوله فسقناه الى بلد ميت او لانه غير جار على الفعل فالحق بالجامد ونسقيه مما
خلقنا انعامًا واناسي كثيرًا وصف الانعام والاناسي بالكثرة لان اكثر الناس يسكنون بقرب الانهار
والاودية فهم في اكثر الاوقات في غنية من المطر وكثير منهم سكان البوادي لا يعيشهم وانعامهم
الا المطر وماء الغدران وقدم الاهم فالاهم وصف الماء اولا بالطهور لان المقصود الاصلي من انزاله
تطهيرهم ليكونوا في حال المناجاة مع ربهم على اكمل الاحوال ثم احياء الارض بالنبات لانه ابدع ولانه
سبب معاشهم ومعاش انعامهم ثم قدم الانعام على الاناسي لذلك او لان الماء اذا وجد للاراضي و
الانعام فلهم من باب الاولى فذكر الاناسي للاستيعاب والاناسي جمع انسي او جمع انسان اصله اناسين قلبت
النون ياء ولقد صرفناه بينهم اى هذا القول بين الناس في القران وساير الكتب والصحف المنزلة اشارة
الى انه من الادلة القاطعة على وحدة الصانع ومن الظهور بحيث لا يختص بهذه الامة التي فاقت ساير
الامم في الفهم والذكاء او الضمير للمطر والمعنى قسمناه بينهم على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان المطر
لا يختلف كل عام قلة وكثرة ولكن يقع تارة هنا وتارة هناك على وفق ما اقتضته الحكمة ومنه نشا
جواب آخر عن تنكير البلدة والانعام والاناسي اى لنحيي به بعض البلاد وبعض الانعام وبعض الاناسي
ليذكروا بصرف المطر اليهم وعنهم ليعلموا كمال القدرة وغاية الرافة بهم ليصبروا اذا فقدوا ويشكروا
اذا وجدوا ولما كان من المحسوس الذى لا يحتاج الى تامل جعل الفاصلة التذكر الذى هو ملاحظة الحاصل
المغفول عنه وقرا حمزه والكسائي ليذكروا بالتخفيف من الذكر فابى اكثر الناس الا كفورا بتلك النعم
الجسيمة يراها من الغير ولا يرضى راسًا براس قائلا مطرنا بنوء كذا واما من يرى الكل منه تعالى ويجعل النوء
من جملة الاسباب والعلامات فذلك لا يقدح في الايمان ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ليخف عنك
بعض اعباء التبليغ سلاه تعالى غاية التسلية بان جعلهم اضل من الانعام وانه ليس عليهم بوكيل
وعجبه من حال من اتخذ الهه هواه فاشار الى ان عموم رسالته وتكليفه التبليغ الى كافة الناس
اجلال له لئلا يشاركه في منصبه احد فامره بالمصابرة على المجاهدة وجعل تهالكه على ايمانهم كالطاعة
لهم فقال فلا تطع الكافرين وجاهدهم به بالقران جهادًا كبيرًا فان الجهاد بالحجة اعظم
من الجهاد بالسيف لاستماع السفهاء الذين شانهم المراء والمكابرة قيل راي الشافعي يوما مسرورًا فسئله
بعض اصحابه فقال الزمت عاميًا قيل له انت اجل من ذلك فقال لا شي اشد واشكل من افحام الجاهل
وقيل كبيرًا موقعه عند الله وهو الذي مرج البحرين نوع آخر من دلايل التوحيد والمرج الارسال اى ارسلهما

وخلاهما متجاورين مثلا فبين هذا عذب فرات قامع للعطش كاسره وهذا ملح اجاج شديد الملوحة
وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته غير محسوس وحجرا محجورا حدا محدودا وهي الكلمة التي
يقولها المتعوذ كان كلا من البحرين يستعيذ من الاخر بهذه الكلمة كقوله بينهما برزخ لا يبغيان لا
يظلم احدهما الاخر بالممازجة قيل ان دجله يصيب في بحر فارس ويذهب فراسخ لا يتغير طعمه
وهو الذي خلق من الماء بشرا شرع في آيات الانفس بعد آيات الافاق والبشر آدم خلقه من
تراب خلق من الماء فهو اصله ومادته الاولى ومن طين خمره بالماء او الاولاد والماء النطفة فجعله
نسبا ذا نسب ينسب اليه فلان بن فلان اى ذكرا وصهرا ذات صهر اى انثى قال قطرب
ما كان من قبل زوج البنت صهار وما كان من قبل المراة احماء وكان ربك قديرا كامل القدرة
يخلق من ماء تارة ذكرا وتارة انثى وتارة يجمع بين النوعين بان يخلق من نطفة واحدة توأمين
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم بعد ظهور دلايل وحدة الصانع وكان الكافر
على ربه ظهيرا معاونا للشيطان فعيل بمعنى الفاعل كالكليم بمعنى المكالم وهو ابو جهل فانها
نزلت فيه او جنس الكافر لان الظهير كالصديق يطلق على الجمع كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير
او هينا لا عبرة به كانه ملقى وراء الظهر قال الاخطل وجدنا بني الرجاء من ولد الظهر وما
ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قدم المبشر رعاية للفاصلة قل ما اسئلكم عليه على التبليغ من اجر
الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا الا فعل من اراد ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى لديه جعل
الايمان المنجي للمؤمن اجرا له على اداء الرسالة قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث جعل
تعرضهم للثواب وتخلصهم عن العقاب نفعا عايدا اليه وفيه اشعار بان في ايمانهم ثوابا
جزيلا لانه الدال المرشد قال لعلي بن ابي طالب يوم خيبر حين اعطاه الراية ادعهم الى
الايمان اولا لان يهدي الله رجلا على يديك خير لك من الدنيا وما فيها وقيل الاستثناء منقطع
اى لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت فهو كافيك عن اجورهم
او يتصل بقوله وجاهدهم به جهادا كبيرا اى فهو ناصرك وحافظك من شرورهم وسبح بحمده
ونزهه عما لا يليق بحضرة قدسه مما يصفه به هؤلاء الجهلة من الشريك والولد مثنيا عليه باوصاف
الكمال شكرا لسوابق نعمه وطلبا للمزيد وكفى به بذنوب عباده خبيرا ببواطنها وظواهرها فلا
عليك بعد التبليغ آمنوا ام كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش نصب على الاختصاص او خبر مبتدأ محذوف اى هو الذي ومبتدأ خبره الرحمن وذكر هذه
الاوصاف بعد الامر بالتوكل دلالة على ان من هذا شانه حقيق بالتوكل عليه والمراد بالايام
مقدارها لعدم الليل والنهار حينئذ او ايام الاخرة والتقدير بالستة دون غيرها مما استاثر
تعالى بعلمه كعدد الركعات ونصب الزكوات وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام
وكان قادرا على خلقها في لمحة طرف تعليما للعباد ان يرفقوا في امورهم ويتخلقوا باخلاقه
فاسال به خبيرا الباء صلة السؤال والمعنى سل عنه رجلا عارفا به يخبرك عن سعة رحمته
قال الاخفش يقال خرجنا نسئل عن فلان وبفلان او صلة خبيرا اى اسال خبيرا [illegible]
اى اسال بسؤاله خبيرا على معنى انك ان سالته وجدته خبيرا اى خبيرا والضمير لما تقدم من خلق
السموات والارض وما بينهما امر بالسؤال عنها خبيرا كامل العلم بما فيها من الاجزاء والصفات والاسرار
المودعة فيها حتى يظهر له كمال قدرته ودقة حكمته ونهاية رافته بعباده حيث خلق لهم
الكاينات باسرها مشتملة على حكم لا تحصى ونعم لا تستقصى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن

سوال عن مسماه فانهم ما كانوا يطلقونه عليه او عن معناه لانه كان مذكورا في الكتب السالفة وعلى هذا
معنى فسال به خبيرا اسال خبيرا بهذا الاسم من اهل الكتاب فانهم عارفون به وفي الاية اشارة
الى ان الرحمن الذي شملتهم رحمته اذا ذكر لا يعرفونه انسجد لما تامرنا من غير ان نعلم ما هو وكيف شانه
وقرأ حمزة والكسائي يامرنا بياء الغيبة كانه لما قال لهم اسجدوا للرحمن قال بعضهم لبعض
تهكما واستهزاء انسجد لما يامرنا به محمد اى لا يكون ذلك والخطاب احسن حجاجا والغيبة اقعد لما هم بصدده
من الانكار وزادهم نفورا قرارا فاعل زاد ضمير اسجدوا تبارك الذي جعل في السماء بروجا استانف
لاثبات رحمانيته جملة يدل صدرها على كثرة نعمائه ووفور آلائه ودوامها وعلو شانه لما تقدم من معنى
اشتقاقه والبروج منازل الكواكب السيارة الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبله والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت تسميته بروجا لظهورها واشتهارها بكونها منازل الكواكب
من برج اذا ظهر **فان قلت** اى فائدة للناس في البروج حتى ذكرها في مقام الامتنان وتقرير صفة الرحمانية
قلت كل الفوايد عليها مدار الفصول التي نيط بها اسباب المعاش وجعل فيها سراجا الشمس لكمال
ضوءها استعار لها اسم السراج وقرأ حمزة والكسائي سرجا على ارادة السيارة والافراد وفي بقوله وقمرا
منيرا ذا نور وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لم يعطف جعل على الصلة بل استانف دلالة على عظم
صنعه في ارداف كل من الليل والنهار بالاخر كانه قال وهو المنفرد بهذا الصنع البديع والخلفة اسم بمعنى
الاختلاف اى ذوي اختلاف يخلف احدهما الاخر لمن اراد ان يذكر يتذكر قدرة الصانع او اراد شكورا
لبعض آلائه فان مدار امر الدين على اختلافهما فلا نعمة اشمل واكمل منه وقرأ حمزة يذكر مضارع ذكر ثلاثيا
والباقون بادغام التاء في الدال مضارع تذكر وهو ابلغ واظهر وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ذكرهم
في مقابلة الذين اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن والمعنى عباده المختصون به الذين عرفوه بصفة
الرحمانية وتخلقوا بها فاورثت لهم هذه الصفات المتعاقبة والهون الرفق والتؤدة وفي صفته صلى الله
عليه وسلم انه يمشي هونا وفي كلام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه احبب حبيبك هونا واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما اى قولا سديدا يدل على المتاركة من غير اثم ولا لغو سواء كان لفظ السلام او غيره ولا يخالفه
قوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين لانه من القول السديد ولا نسخ باية القتال لان متاركة السفهاء والاغضاء
عنهم من الاداب المستحسنة والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما يقضون ليلهم في عبادته ساجدين قائمين يقال
بات يفعل كذا اذا فعله ليلا وتاخير القيام للفاصلة جمع قايم او مصدر وصف به والتقييد بالليل لانه اخلى
عن شوب الرياء واحلى للقلب واشق على النفس والمراد اكثر الليل لقوله قليلا ما يهجعون والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما شرا لازما ملايما يلزم الانسان وصفهم بالجد البالغ في
العبادة ثم وصفهم بالوجل والابتهال اليه مع تلك العبادة اشارة الى انهم غير متكلين عليها بل لا يرونها
شيئا نظرا الى كبريائه تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما انشاء ذم فاعله ضمير مبهم يفسره مستقرا
وانما ذكره مع ان المفسر مؤنث لانه في معنى الدار والمنزل والمخصوص محذوف اى هي وهذا الضمير هو الذي
ربط جزاى باسمها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت ومستقرا ومقاما منصوبان على الحال او التمييز ثم هذا
وقوله ان عذابها كان غراما تعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا ابتداء كلام منه تعالى
وحكاية قولهم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا القتر والاقتار والتقتير التضييق والتقليل في
الرزق والانفاق في المعصية وان قل وقيل التجاوز عن الاعتدال وان حل وهذا اذا لم يكن في القربات
وابواب البر يدل عليه قصة الصديق وعثمان رضي الله عنهما ولذلك قيل لا اسراف في الخير كما لا خير في
الاسراف قرأ نافع وابن عامر يقتروا بضم الياء وكسر التاء من الاقتار والكوفيون بفتح الاول وضم التاء والباقون

كثير وابو عمرو بكسرها وهما لغتان كما فى نعكف وكان بين ذلك قواما بين الاسراف والاقتار والقوام
الاعتدال كالسواء لفظا ومعنى وذلك الذى امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وهكذا كان حال الصحابة لا ياكلون الا سدجوعتهم ولا يلبسون الا ستر
لعورتهم قيل ان على بن ابى طالب دخل السوق واشترى قميصا بخمسة دراهم فرأى فى كمه طولا فقال
للبايع اقطع من كمه فقال اشتريت قميصا بخمسة دراهم ثم تقطع كمه ايضا انك لمجنون فقال على بارك
الله فيك سمعت رسول الله يقول لا يكمل ايمان المرء حتى يقال فيه انه مجنون والمنصوبان اعنى بين ذلك
قواما خبران معا ويجوز ان يكون بين لغوا وقواما هو الخبر وان يكون الطرف خبرا وقواما حالا مؤكدة
وما اجازه الفراء من ان يكون بين اسم كان وانما بنى لاضافته الى غير المتمكن مع عدم اطراده ففيه انه من
قبيل كان الذاهب جاريته صاحبها فليس فى الخبر الذى هو محط الفائدة فائدة والذين لا يدعون مع الله الها
آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق صفة المصدر المحذوف ومتعلق يقتلون ولا يزنون
نفى عن الموصوفين بتلك الخلال العظام عظايم الذنوب الموبقات تعريضا باعدائهم المشركين روى البخارى
عن ابن مسعود انه قال سالت وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الذنب عند الله اكبر
فقال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اى
قال ان تزانى حليلة جارك فانزلت هذه الاية تصديقا له ومن يفعل ذلك يلق اثاما الاثام بالفتح جزاء
الاثم وقيل بمعنى الاثم فالمضاف محذوف يضاعف لها العذاب يوم القيمة للشرك وللذنوب التى ارتكبها
معه لان الكفار متفاوتون فى الدركات كما ان المؤمنين متفاضلون فى الدرجات قرأ نافع وابو عمرو و
حفص وحمزة والكسائى بجزم الفعلين وتخفيف يضاعف وابن كثير بتشديده وجزمهما وابن عامر وابو بكر
برفع الفعلين الا ان ابن عامر شدد الاول دون ابى بكر ووجه الرفع الحال والاستيناف والجزم الابدال من
يلق كقول ابن الحر متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ويخلد فيه مهانا لاستكباره
عن اتباع الحق الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يمحو الله معاصيهم
ويثبت مكانها لواحق الطاعات او يجعل اعدادها فى صحيفة الحسنات بعد محوها من ديوان السيئات
وهذا اصح روى مرفوعا عن ابى هريرة وسلمان **فان قلت** لم يؤكد الفعل بالمصدر اعنى من عمل صالحا
الا فى هذه الاية مع كثرة وقوعه **قلت** لم يقع فى القران ارجى من هذه الاية فكما بالغ فى رأفته
اشار الى ان العمل الذى يترتب عليه الجزاء ينبغى ان يكون عملا معتدا به فى باب الصلاح على ما قيل كما تدين
تدان وكان الله غفورا رحيما ولذلك بدل السيئات بالحسنات ومن تاب عن المعاصى وعمل صالحا
واتى بالطاعات فانه يتوب الى الله متابا اى يرجع اليه والى ثوابه اما على تقدير المضاف او على جعل
الرجوع اليه كناية عن نيل ثوابه او فانه يرجع الى الله المتصف بالاسماء الحسنى وصدق الوعد ان الله يحب
التوابين وهو الذى يقبل التوبة عن عباده او متابا مرضيا على ان التنكير للتعظيم **فان قلت** ما فائدة
هذا التكرير وهل يكون الترغيب باكثر من جعل السيئات حسنات **قلت** لا تكرير فان المراد من الاولى
جعل اعمال التائب حسنات ومن الثانية بيان جزاء تلك الاعمال والثواب عليها وقيل الاولى فى
حق المشرك التائب وهذه فى المؤمن العاصى اذا تاب والذين لا يشهدون الزور اى لا يحضرون مجالس الكذب
تنزها عن مخالطة اهل الاثم وصيانة عن الانسلاك فى سلكهم لان فى ذلك تكثير سوادهم وفيه اغراؤهم
على ما هم فيه وقيل لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واذا مروا باللغو اى
ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما جمع كريم وهو الجامع لانواع الفضائل وشتات المحاسن واسباب الشرف
معرضين عنه غير ملتفتين اليه كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقيل اذا سمعوا الشتم من السفهاء صفحوا وتجاوزوا

كقوله

كقوله ولقد امر على اللئيم يسبنى والذين اذا ذكروا بايات ربهم بمواعظه وحكمه لم يخروا عليها
صما وعميانا بل اكبوا عليها والقوا اسرهم على حفظها والاتعاظ بها باذان واعية و
ابصار راعية وقلوب جامعة لا كالذين لهم اذان لا يسمعون بها واعين لا يبصرون بها والذين
يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بان نريهم مقبلين على طاعتك
سارعين فى اسباب مرضاتك اصل القرة البرودة والمراد بها نهاية السرور والفرح وذلك ان العين
تدمع من غاية السرور دمعا باردا وعن محمد بن كعب ليس شئ اقر لعين المؤمن من ان يرى اهله
واولاده مطيعين لله لان الله سائله عنهم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته قرأ ابو عمرو وحمزة
والكسائى وابو بكر وذريتنا على التوحيد وهو المختار لدلالته على الكثرة بمادته مع خفته ومن
اما بيانية او ابتدائية اى اجعل لنا قرة اعين من جهتهم وانما نكر قرة مبالغة كانه قيل هب لنا
منهم سرورا وفرحا تاما وآثر جمع القلة لقلة المؤمنين الموصوفين بتلك الصفات واجعلنا للمتقين
اماما تقتدون بنا لنال بذلك زيادة الاجر فان الدال على الخير له مثل اجر فاعله والافراد لعدم اللبس
كقوله ثم نخرجكم طفلا او لانه مصدر فى الاصل والتقدير كل واحد منا او لان المؤمنين كنفس واحدة
كما نطق به من لا ينطق عن الهوى اولئك يجزون الغرفة العلية جمعها غرفات وغرف وحد لارادة
الجنس وعدم اللبس ولقوله وهم فى الغرفات آمنون وهى على قدر الاعمال والتوحيد انما رتب على
هذه الاوصاف الكاملة وهى مضبوطة فالمتصفون بها متحدون فى الجزاء لاتحاد ما عملوا به بما صبروا
بصبرهم ويلقون فيها تحية وسلاما بتحية الملائكة ويسلمون عليهم او بعضهم بعضا وقرأ حمزة
والكسائى وابو بكر يلقون من اللقاء اى يصادفون والتشديد ابلغ فى الاكرام خالدين فيها حسنت
مستقرا ومقاما فى مقابلة ساءت مستقرا ومقاما ومثله اعرابا قل ما يعبؤ بكم ربى عبات بالشئ
باليت به واعتددت وما استفهامية فى موضع المصدر والمعنى اى اعتداد يعتد بكم واى وزن ومقدار
لكم عنده لولا دعاؤكم ايمانكم او عبادتكم الى الكمال فى التحلى بالملكات النظرية والتخلى عن الشواغل
وقطع العلاقات بالتوجه الى جناب قدسه فقد كذبتم خطاب لمشركى قريش خاصة بعد ان خاطب
الجنس المثنا ولى لهم ولغيرهم فانتظم الخاتمة مع الفاتحة لان السورة كانت مصدرة بتكذيبهم فسوف
يكون لزاما عذابا ملازما يوم القيمة وعن مجاهد هو القتل يوم بدر لوزم بين القتلى لزاما وعن عبد
الله بن مسعود رضى الله عنه خمس قد مضين الدخان والقمر واللزام والبطشة والروم تمت السورة
والحمد لله حق حمده والصلوة على نبيه وعبده سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون
الى اخرها وهى مائتان وست او سبع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
طسم حروف مبسوطة للايقاظ او اسم للسورة قرأ حمزة والكسائى وابو بكر بامالة الطاء وورش
بين بين واظهر السين حمزة اشارة الى ان اصل حروف التهجى عدم التركيب والوقوف عليها تلك آيات
الكتاب المبين الواضح اعجازه والمراد السورة او القران باسره والمشار اليه ما دل عليه الحروف
لعلك باخع نفسك قاتل نفسك البخاع بالباء عرق فى الصلب متصل بالعنق وهو نهاية الذبح وبالنون
دونه وهو الخيط الابيض ومعنى لعل الاشفاق اى اشفق على نفسك ان تقتلها اسفا على ما فاتك

ذكره المطرزى مم

من ايمان قومك وفيه نهاية مدح له بما قام به من الاجتهاد فى التبليغ الا يكونوا مؤمنين خيفة
ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية ملجئة لهم على الايمان فظلت اعناقهم لها خاضعين
منقادين اقحم الاعناق لبيان موضع الخضوع ولما وصفت باوصاف العقلاء اجريت مجريها فى الجمع بالواو
والنون او الاعناق جمع عنق بمعنى جماعة اى جماعاتهم وفى الحديث لا يزال الناس تختلفه اعناقهم فى

طلب الدنيا وفيه ايضاً يخرج من النار عنق اي طائفة اورؤساؤهم والعرب تسمي سادات الناس
اعناقاً وما يأتيهم من ذكر وحي يذكرهم من الرحمن محدث انزاله ليجددوا لتذكيراً الا كانوا عنه معرضين
الا استمروا على الاعراض فقد كذبوا حين اعرضوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن ما اصابهم
يوم بدر ويصيبهم يوم القيمة وافخام الانباء للدلالة على عظم ما نزل بهم فان الواقعة اذا عظمت شاعت
في الاقطار والبلدان وسارت باخبارها الركبان **فان قلت** قد ذكر مثله في الانعام مصدراً
بسوف وهنا بالسين فما وجه ذلك **قلت** الوجه والله اعلم ان كلتا السورتين مكيتان فالظاهر
ان آية الانعام سابقة نزولاً لان التراخي في سوف اكثر من السين اولم يروا الى الارض ولم ينظروا
الى بدايع ما فيها كم ابتنا فيها من كل زوج من كل صنف والجمع بين كم وكل لافادة الكثرة اجمالاً
والاستيعاب تفصيلاً فكانه قيل ابتنا فيها افراداً كثيرة من كل صنف صنف كريم شريف مرضي
الصفات اما بسيطاً او مركباً ان في ذلك لاية افراد الاية مع كثرة الازواج الدال عليها كم وكل
لانه اريد الانبات المتعلق بها او باعتبار واحد واحد وما كان اكثرهم مؤمنين مع وضوح الآية
لكونهم مخلوقين للنار وان ربك لهو العزيز الغالب على كل شيء فينتقم منهم الرحيم حيث ارسل
اليهم رسولاً بالايات ولم يعاجلهم بالانتقام بعد التكذيب والانكار واذ نادى ربك موسى
بعد ما بين اعراض قومه وتكذيبهم واستهزائهم به وبما جاء به شرع اتبعه بقصص الانبياء مع اقوامهم
وبما جرى لهم معهم من التكذيب والاستهزاء وكيف صبروا على اذاهم ثم كان لهم العاقبة وشفاء
الصدور وقدم قصة موسى لانه اقرب احوالاً من رسول الله وامته او وقر الامم بعد هذه الامة
ان ائت القوم الظالمين فرعون وقومه كانوا مع شركهم قد استعبدوا بني اسرائيل يقتلون ابناءهم
قوم فرعون بدل من القوم او عطف بيان وفيه دلالة على كون فرعون علماً في الظلم والطغيان
لان البدل مقصود بالنسبة ودلالته على المعنى المراد من الكلام اوفى الا يتقون استينافاً
عجب به عن تمادي القوم في الظلم غير ناظرين في عواقب الامور وجعله حالاً من ضمير الظالمين
ليكون انكار عدم التقوى توبيخاً لهم فيفيد انكار الظلم من باب الاولى وان عدم التقوى هو الذي
حرصهم على الظلم حسن الا ان دخول الهمزة على الحال لا يجوز الا توسعاً قال رب اني اخاف
ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون يكذبون بعد اداء الرسالة
ويضيق صدري لما يعتريني من همّ عدم الغرض ولا ينطلق بعد ذلك لساني على المحاجة والمناظرة
معهم مع انهما من ضرورات مدعي الرسالة وكان هذا من كمال عقله اظهر عجزه واحتياجه الى
الموازر والمعين ليكون ذهابه الى الخصم على يقظة وتوفر عدة واسباب فاني تصور منه التعلل
بل كان هذا منه عين الطاعة ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون به قصاصاً وليس تعللاً
على دفعه قدرة وانما اخر خوف القتل ووسط بينه وبين ثالث العلل فارسل الى هرون لئلا
يتوهم من ظاهر كلامه التعلل فان موسى لم يكن في بسطة المقال وسلاطة اللسان مثل
هرون فاستعان به مع انه اخوه الشفيق الشفيق عسى ان يحصل له شرف النبوة اذ معنى فارسل
اليه اي بالنبوة والرسالة قال كلا فاذهبا باياتنا اجابه الى ما سأل من ضم اخيه وازال
خوفه بقوله كلا اي ارتدع عن ذلك الوهم وعليه عطف فاذهبا بعد تغليب المخاطب على الغائب
انا معكم مستمعون مقاولة الطرفين والمعية معية الحفظ والكلاءة والنصر وعبر عن السماع
بالاستماع الذي هو الاصغاء والاعتناء بشان المسموع اشارة الى كمال العناية بهم وهو خبر
ثان او هو الخبر ومعكم غير مستقر فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين خصه بالذكر

بعد قوله ان ائت القوم الظالمين دلالة على انه قدوتهم والقوم تبع وانما افرد الرسول مع كونه المخبر
عنه اثنين لاتحاد المرسل به او لكونهما اخوين متحدين في الاخوة او على تقدير كل منا او لانه مصدر وصف
به كقوله شعر الا ابلغ ابا عمرو رسولا باني عن فتاحتكم غني ان ارسل معنا بني اسرائيل الى بلاد الشام
ان مفسرة لتضمن الارسال معنى القول **فان قلت** كان مرسلاً الى القوم الظالمين ليدعوهم الى الله وهذا
ظاهر في انه انما ارسل لطلب بني اسرائيل **قلت** الغرض الاصلي هو دعوتهم وانما بدأ بالاسهل والقول
اللين لئلا يشمئز ويطغى ولذلك ذكر رب العالمين ليدخل فيهم فرعون فتحمله الاستكبار عن السؤال
عنه تجاهلاً فتقع المناظرة على وجه الرفق كما سياتي قال الم نربك فينا وليداً طفلاً سمي به لقرب
ولادته ولبثت فينا في منزلنا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج بعد قتل القبطي ولبث
في مدين عند شعيب عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين سنة ثم لبث رسولاً بعد غرق فرعون
خمسين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يريد قتل القبطي عظم قتله لانه كان من خواصه قيل كان خبازاً
فرعون واسمه فاتون وانت من الكافرين بنعمتي لان من كان في نعمة شخص يجب عليه توقيره ورعاية حقوقه
او من الكافرين برب العالمين وذلك افتراء منه اذ الانبياء قبل البعثة معصومون من الكبائر وكان غرضه
من هذه المقدمات تبعيده عما هو بصدده بان من يكون متلبساً بهذه الرذائل كيف يترشح للمراتب العلية
فضلاً عن منصب الرسالة قال فعلتها اذاً وانا من الضالين عن طريق الصواب لا لكونه من خواص
بل بالاقدام قبل الاذن او المخطئين فانه لم يتعمد قتله بل تاديبه فالت الوكزة الى القتل او فاعلين فعل
اولى الجهل اعتراف منه ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً فان الانبياء حكام على الناس او حكمة وهي
علم الشريعة وجعلني من المرسلين فبطل ما تشبثت به وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل تلك مبتدأ
ونعمة خبر وتمنها وصف وان عبدت عطف بيان والمعنى تلك الخصلة القبيحة وهي تعبيد بني اسرائيل تعدها
نعمة علي باني قد ربيتك وتجعلني مسيئاً في مقابلة احسانك وابن الاحسان بل انت المسيء اذ لو لم تفعل ما تفعل
من قتل الابناء كنت مربى في اهلي وانما افرد الخطاب في تمنها وجمع في الاولين لان المنة كانت منه وحده
والفرار والخوف منه ومن قومه وعن الفراء ان هذا الكلام اقرار واعتراف من موسى حيث عبد بني اسرائيل
ولم يعبده واراد مكافاة احسانه بارشاده الى طريق الصواب يقال عبد وتعبد اي اتخذ الناس عبيداً قال
فرعون وما رب العالمين لما لم يجد تلك المقدمات اخذ في السؤال عن حقيقة من ارسله تعنتاً لا استرشاداً
قال رب السموات والارض وما بينهما اشارة الى انه مباين للممكنات لان موجدها يجب ان يكون واجباً خارجاً
عنها فلا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع تعريفه بنفسه واستحالة الاجزاء لاستلزام التركيب الامكان
ان كنتم موقنين ذوي ايقان محققين الاشياء مطلعين على احوالها بالادلة قال لمن حوله الا تستمعون تعجب
الملأ حوله من قوله لانه سأله بما عن حقيقته واجاب باللوازم قال ربكم ورب آبائكم الاولين اذ ربما توهم قدم
السموات والارضين كما هو مذهب الدهرية وكان فرعون دهرياً لقوله تعالى وظنوا انهم الينا لا يرجعون واما خلقهم
وخلق آبائهم فلا مجال للوهم فيه قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اضافه اليهم لان تسميته رسولاً
على وجه التهكم قال رب المشرق والمغرب وما بينهما من الكائنات موجدها وحافظها ان كنتم تعقلون
ان كان لكم عقل فقد اجبتكم جواباً شافياً لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي قال
لئن اتخذت الهاً غيري لاجعلنك من المسجونين الداخلين في زمرتهم وقد عرفت حالهم فقيل كان اذا
سجن انساناً القاه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق لا يرى شيئاً ولا يسمع صوتاً وهذا دليل على
انه علم انه محق وخاف ان لو امر بسجنه يصيبه آفة والا فما وجه التوقف اذ لم يكن على فرعون مصيبة
اشد من ان يدعى الى عبادة الغير وهو يقول انا ربكم الاعلى قال اولو جئتك بشيء مبين واضح الدلالة

اومن الكافرين الذين تدعوهم
الى الايمان الآن ح

علي الواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل اى نفعل ذلك ولو جئت على هذه الحالة قال
فات به ان كنت من الصادقين في دعواك فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين واضح لا تشتبه على احد
انه ثعبان وهى الحية العظيمة ونزع يده اخرجها من كمه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما القى عصاه
وصارت ثعبانا قدر ميل فاقبلت الى فرعون فاستغاث بموسى فاخذها فعادت عصا فقال
هل من آية غيرها فاخرج له يده فرآها على هيئتها ثم ادخلها فى جيبه فاخرجها بيضاء لها شعاع
يسد الافاق ويكاد يعشي الابصار وفي ذكر الناظرين دلالة على ان بياضها كان شيئا يجمع النظارة
على النظر اليه قال للملأ حوله مستقرين حوله نصب على الحال محلا ولفظه نصب بنزع الخافض ان
هذا لساحر عليم ماهر في سحره يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون طار عقله من الرعب
فتنزل عن دعوى الالوهية الى الاسترشاد والاستضاءة بآراء ملائه لعلهم يرشدون الى الخلاص
مما دهاه قالوا ارجه واخاه اخره ولا تناظره وما فيه من القرآآت والوجوه تقدم فى الاعراف وابعث في
المداين فى مداين ملكك حاشرين لك السحرة يأتوك بكل سحار عليم كامل العلم فى فنه فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة لقوله موعدكم يوم الزينة
وان يحشر الناس ضحى **فان قلت** المأمور به كل سحار عليم والسحرة جمع ساحر فقد حشروا ما لم يؤمروا به
قلت الامر كذلك لئلا يقول لهم لم يأتوني وقيل للناس هل انتم مجتمعون القائل فرعون او من هو
من قبله وهل للاستبطاء والمراد حثهم على الاجتماع لعلنا نتبع السحرة بكل سحار ان كانوا هم الغالبين كناية
عن عدم اتباع موسى لانه من لوازم اتباعهم لان من يقول انا ربكم الاعلى كيف يتبع الساحر فلما جاء السحرة
الموعد للمناظرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين موسى في سحره قال نعم جزاء للشرط لان
قولهم ائن لنا لاجرا دال عليه وانكم اذا لمن المقربين عطف على جزاء الشرط فاذا جواب وجزاء على اصله
زادهم على طلبهم ترغيبا قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون امرهم بتحقيرا ما هم يلقون وليس الغرض
امرهم بالسحر بل التوسل الى الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته
على انهم غالبون لفرط اعتقادهم لانهم افرغوا جهدهم فى الاتيان باقصى ما يمكن من السحر واليمين بغير الله
وصفاته وافعاله ورد النهى عنه لانه من شعار الجاهلية فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبلع قرأ
حفص بالتخفيف ما يأفكون ما يزورونه ويخيلون به الناس واصل الافك صرف الشئ عن وجهه وصفته
التي هو عليها ويجوز ان يكون ما مصدرية تسمية للمافوك به افكا مبالغة فالقى السحرة ساجدين تيقنوا انه
من عند الله لانها ابتلعت تلك العصى والحبال ولم تزدد حجمها وانما وثر القوا على خروا الذكره بعد
الالقاء مشاكلة مع دلالة الالقاء على انهم من فرط تيقنهم لم يتمالكوا فكانهم طرحوا اكرها وفاعل
الالقاء هو الله او هم اى القوا انفسهم قالوا آمنا برب العالمين حال بتقدير قد رب موسى وهرون بدل من
رب العالمين دفعا لوهم فرعون انه المراد برب العالمين قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم
الذى علمكم السحر وهذا نهاية جهله او من شدة خجله اراد التلبيس على الحاضرين والا فالسحرة المتفرقون
فى النواحي متى تمكنوا من رؤية موسى والمجالسة فضلا عن التعلم والهمزة الثالثة مقلوبة الفا لكل
القراء والثانية محققة لحمزة والكسائى وابى بكر مسهلة للباقين على اصولهم فلسوف تعلمون وخامة ذلك
وعيد لهم لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف على التعاكس اليمين مع الشمال والعكس من اليد والرجل
ولاصلبنكم اجمعين لتكونوا زمانا عبرة للناظرين قالوا لا ضير لا ضرر علينا فى القطع والقتل والصلب انا الى
ربنا منقلبون بالموت لا محالة فالقتل اهون اسبابه والشهادة اشرف احواله فما توعدتنا به مرغوب لا مرهوب
ولا مهروب فكنوا عن الموت بالانقلاب الي ربهم الكريم ولا ترى احسن منها كناية انا نطمع ان يغفر لنا

بكل سحار ه

ربنا

ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين من زمرة فرعون او من اهل المشهد فان المسارعة الى الايمان
بالرسول بعد دلالة المعجزة من اقوى وسائل العبد الى الله تعالى والتقدير لان كنا وقرئ ان بالكسر
اما هضما لانفسهم او بالنظر الى العاقبة وعدم الثقة او على طريقة المدل بحاله والمتمكن الذى لا يظن به
خلافه كقوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى وذلك انه طالت
مدة دعوته واراهم الايات ولم يؤثر فيهم امره الله تعالى بالخروج ببني اسرائيل وقرأ نافع وابن كثير
اسر بهمزة الوصل من السرى وهما لغتان انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده علة للامر بالاسراء فارسل
فرعون فى المداين حاشرين للعساكر حين اخبر بخروجهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون قائلا هذا الكلام وانما
بالغ في تقليلهم بلفظ الشرذمه وهى الطائفة القليلة ثم وصف الشرذمة بالقلة واثر جمع القلة الدال
على القلة ايضا وكانوا ستمائة وسبعين الفا نظرا الى ماله من الجنود والكثرة على ما روى ابن عباس انه
خرج بالف الف حصان سوى الاناث من الخيل وانهم لنا لغايظون يفعلون افعالا توجب غيظا من
خروجهم بغير الاذن وتركهم طاعته واخذهم حلى القبط فانهم استعاروها لعيد لهم ثم ذهبوا ولم
يردوها وانا لجميع حاذرون متاهبون مستعدون وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر فى رواية هشام
حذرون على الصفة المشبهة اى خائفون متحذرون والمعنيان يلايمان المقام فاخرجناهم من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم منازلهم العالية حتى صار مثلا دور القرار عنه كذلك نصب على المصدر اى اخرجناهم
مثل ذلك الاخراج او جر على انه وصف مقام او رفع خبر مبتدأ محذوف واورثناها بنى اسرائيل ملكناهم
ملكا لازما لا يرد فاتبعوهم مشرقين ادركوهم داخلين فى وقت شروق الشمس كذلك يقال اتبعت فلانا
اذا ادركته بعد ما سبق فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون اى لما رأى كل منهما الاخر قالوا هذا
الكلام لموسى خوفا قال كلا اى ارتدعوا عن هذا الكلام ان معى ربى سيهدين طريق النجاة واذا قابلت قوله هذا
بقوله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ظهر لك الفرق بين مقاميهما **فان قلت** قد قررت اتبعوهم
بادركوهم فما معنى ردع موسى عن القول بالادراك بعد وقوعه **قلت** المراد بالادراك رؤية بعضهم
بعضا وما نفاه موسى ان يلحقوهم بحيث يصل شرهم اليهم قيل ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي موسى
عليه السلام فقال له البحر امامك وقد غشيك فرعون بجنوده بماذا امرت قال بالبحر امرت ولعلي اومر بماذا
اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر بحر القلزم وذلك المكان يسمى سويسا معروف عند اهل
مصر لا يختلفون فيه وتفسيره بنيل مصر فاسد وكيف يتأتى في نهر نيل ما اخبر الله تعالى عنه بقوله فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم اى الجبل العالى من طاد الشئ اذا ذهب الى جانب السماء صعودا وفى حديث عايشة
رضى الله عنها تصف ابا بكر ذات طود منيف والفاء فى فانفلق فصيحة والانفلاق الانشقاق والفرق الجزء
من الشئ كالفلق لفظا ومعنى وازلفنا قربنا ثم الاخرين فرعون وجنوده حتى سلكوا مسالك بنى اسرائيل
فى البحر او قربنا بعض آل فرعون بعضا حتى لا ينجو منهم احد روى ان جبرئيل صلوات الله عليه كان بين بني
اسرائيل وبين آل فرعون يقول لبنى اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط يقول رويدكم حتى يلحق آخركم
واذا اراد الله امرا هيأ اسبابه وانجينا موسى ومن معه اجمعين لا يشذ منهم واحد ثم اغرقنا الآخرين فرعون
وجنوده ان فى ذلك لاية واية آية وما كان اكثرهم مؤمنين فان القبط الذى كانوا بمصر بعد ما سمعوا شأن
فرعون لم يزعجهم ذلك ولم يؤمنوا بموسى واما بنو اسرائيل فكما اخبر الله عنهم وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على
قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقولهم ارنا الله جهرة واتخاذهم
العجل الها اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سالهم ليعلمهم ان ما يعبدونه لا يصلح للعبادة كما تقول للتاجر
ما مالك فيقول الرقيق فتقول الرقيق جمال لا مال قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كان حق الجواب اصناما

يرد على
البصاوى

وان ربك لهو العزيز الغالب على كل شئ المنتقم من
اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم
نبا ابرهيم قصته وحديثه مع قومه

وانما انتسبوا افتخارا وانتهاجا لم يرضوا بتعيير الجباه للجماد حتى افتخروا به وانما آثر يضل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار
اشهار العبادة نصبهم كما يفعله الجهال المراؤن او من اطلاق المقيد على المطلق قال هل يسمعونكم اى دعاؤكم حذف
لدلالة اذ تدعون عليه او ينفعونكم جزاء لعبادتكم او يضرون من اعرض عن عبادتها قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك
يفعلون اعرضوا عن ظاهر الجواب تحاشيا عن الاعتراف بعدم شئ من صفات الالوهية فيها قال افرايتم ما
كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون اخبروني عن شان ما استمر على عبادته من تقدم من آبائكم فانهم
تقادم العهد لا يجعل الباطل حقا فانهم عدو لي اى عدوكم اضاف عداوتها الى نفسه تصويرا للمسئلة في نفسه
مبالغة في اظهار النصح وانه لا يرضى لهم الا ما يرضى لنفسه ولانه من باب التعريض والتعريض اكثر جدوى من التصريح
وادعى الى القبول حكى ان رجلا واجه الشافعي رحمه الله بمكروه فقال لو كنت مكانك لاحتجت الى التاديب
ورأى على بن سند وكان من المجاورين بمكة ناسا يتحدثون في الحجر فقال هذا ليس بيتى ولا بيتكم ومعنى
العداوة ما اشار اليه بقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا افرده لاطلاقه على الجمع كالصديق
والظهير الا رب العالمين استثناء متصل لانهم كانوا يشركون ويزعمون انها شفعاء اذ لا يقول احد بان الجماد
صانع العالم الذى خلقنى فهو يهدين الذى عقب خلقى هداياته المتصلة ابتداؤها هدايته اذ كان جنينا
الى امتصاص دم الحيض وانتهاؤها سلوك طريق الجنة والفوز برضوان الله ولذلك آثر الاسمية مع كون الخبر
مضارعا والذى هو يطعمنى ويسقين اى يمكننى من الطعام والشراب بان خلق في الشهوة والقوى والارادة والعمل
الهادى الى ايثار النافع واذا مرضت فهو يشفين من مرضى وفي ايثار اذا على كلما اشارة الى ان مرض الموت
محتوم لا اشفاء منه وعز الاسلوب حيث لم يقل واذا امرضنى لانه بصدد عد النعم فلا يلايم اسناد الامراض اليه
وقيل لان كثيرا من الامراض انما تحدث من تخليط الانسان في المطاعم والمشارب قال شعر
فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب فهو من رواد فهما والوجه هو الاول والذى يميتنى عده في
النعم لانه وسيلة لقاء الله تعالى ثم يحيينى يوم القيمة والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين قاله تواضعا
وهضما لنفسه كقوله ان لى ثلث كذبات ولم يكذب قط بل كانت معاريض او هى ترك الاولى والا فضل فان
حسنات الابرار سيئات المقربين **فان قلت** لم اتى بضمير الفصل في الافعال الثلثة الاول ولم يات به في الاخرين
حيث لم يقل يميتنى ثم هو يحيينى واطمع ان يغفر لى هو خطيئتى **قلت** لان الاسباب الظاهرية لها دخل في
تلك الافعال فدفع بضمير الفصل كون تلك الاسباب اسبابا مؤثرة بخلاف الاحياء بعد الموت ومغفرة الخطيئة
يوم الدين اذ لا يتصور هناك سوى قدرته واراداته تعالى رب هب لى حكما علما احكم به بين الناس ومواعظ
وامثالا ا نفع بها الناس وفي الحديث ان من الشعر لحكمة وقليل فاعله ومنه الخلافة في قريش والحكم في الانصار
بريد العلم والفقه فان اكثر فقهاء الصحابة منهم والحقنى بالصالحين اى وفقنى لعمل انتظم به معهم او احشر في
في زمرتهم ولقد اجابه الله تعالى فقال وانه في الاخرة لمن الصالحين واجعل لى لسان صدق في الاخرين
اى ذكرا حسنا وثناء جميلا وقد اجيب الى ذلك لا ترى احدا من اهل الملل الا وهو ينتسب اليه **فان قلت**
ما نفعه في هذا ولم طلبه وهل هذا الا طلب الشهرة والانبياء منزهون عن ذلك فضلا عن جلة الابناء **قلت**
انما سال ذلك ليقتدى بسيرته السامعون الى آخر الدهر فانه اذا اثنى عليه بمحاسن اخلاقه وكرم صفاته كان ذلك
باعثا للسامعين على طلب اكتساب امثالها وقيل اراد من يدعو الى دينه صادقا في اقواله وهو رسول الله محمد
صلى الله عليه وسلم واجعلنى من ورثة جنة النعيم داخلا في زمرتهم واغفر لابى انه كان من الضالين طريق
الحق دعاء له لانه كان وعده ان يستغفر له بقوله لاستغفرن لك قال تعالى وما كان استغفار ابرهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والقول بان هذا الدعاء ان كان بعد موته فلعل ابرهيم كان يظن ان اباه مؤمن
وانما يخفى ايمانه تقيه من نمرود بعيد عن الصواب دل عليه مناظرته كما تقدم في سورة مريم ولو كان كذلك لحكى كما حكى

ره على من جعل الكشاف منقطعا

اوله انشد صاحب المطالع
عدوك من صديقك مستفاد
فلا تكثرن من الصحاب

نا لم النافع

سابر احواله ولا تخزني يوم يبعثون من الخزى وهو الهوان والذل او من الخزاية وهو الخجل والحياء وقد روى
البخارى ان ابرهيم يرى اباه في النار فيقول يا رب انك وعدتنى الا تخزنى واى خزى اعظم من ان يكون ابى في
النار فيقول الله يا ابرهيم انى حرمت الجنة على الكافرين ثم ينظر اليه فيراه في صورة ضبع قد مسخ فيعرض عنه يوم
لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم خالص عن الشرك وسائر الرذائل والمعنى لا ينفعان الا من قلبه بهذه
الصفة او لا ينفعان الا من هذا شانه حيث انفق ماله في مرضات الله وارشد بنيه الى طريق الحق وقيل
الاستثناء من الكلام بحسب المعنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من قلبه بهذه الصفة كما ورد في
الحديث انما الغنى غنى القلب او الاستثناء منقطع اى لكن من اتى الله بقلب سليم تنفعه سلامة قلبه ولا
حاجة الى تقدير المضاف قبل من لان وصف القلب بالسلامة يغنى عنه وعن الجنيد شيخ الطائفة ان السليم
هو اللديغ بالحب فلا قرار له وعن القشيرى هو السالم عن ذكر غير الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين في ذلك
اليوم وهم بعد في عرصة القيمة تعجيلا للسرور اليهم وبرزت الجحيم للغاوين جعلت مكشوفة لهم يرونها
والتخصيص بالغاوين لان المؤمنين لا يرونها لان نفس رؤيتها مما يكدر ويسوء ولم يصفها بالقرب كما وصف الجنة
لان قربها يؤذى اهل المحشر من المؤمنين لما في الحديث من ان ريحها ونتنها ليرى مائة عام وقيل اشارة الى
غلبة رحمته وسبقته غضبه وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله فان هذا وقت نفع العبادة
سؤال توبيخ هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم استفهام انكار تقريع لهم فكبكبوا
فيها هم والغاوون اى الالهة ومن عبدها والكب القاء الشئ على وجهه معكوسا والكبكبة تكرير كب جعل
التكرير في اللفظ دليلا على تكرير المعنى وتكثيره فانه اذا القى فيها انكب مرة بعد اخرى هكذا الى ان يصل
الى قعرها فان طبقتها السفلى للمشركين وجنود ابليس اجمعون من اتبعه من الانس والجن لقوله لاملأن جهنم
منك وممن تبعك منهم قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين واضح بعبادة غير الله والضمير
في يختصمون للعبدة اى يخاصم الاتباع الرؤسا لقوله واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا
كنا لكم تبعا او لهم ولمن عبدوه من الاصنام لقوله اذ نسويكم برب العالمين فان الخطاب لها وما اضلنا
الا المجرمون الكاملون في الاجرام وهم الرؤساء الذين دعوهم فما لنا من شافعين كما للمؤمنين يشفع لهم الانبياء
والملائكة والعلماء والاتقياء والاصدقاء ولا صديق حميم رؤف شفوق من الاحتمام وهو كالاهتمام لفظا ومعنى الا
انه ابلغ منه او من الحامة وهى خاصة الانسان وفي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم اللهم هؤلاء اهل
بيتى وحامتى اذهب عنهم الرجس وانما جمع الشفيع دون الصديق لكثرة الشفعاء وقلة الصديق قال شعر
صاد الصديق وكاف الكيمياء معا لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا او لانه يطلق على الجمع كالواحد مثل
العدو والظهير فلو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا لو في مثله للتمنى لان في كل واحد منهما تقدير الواقع واقعا
فيصح التجوز فنكون من المؤمنين جواب التمنى ان في ذلك لاية اى فيما ذكر من مقالة ابرهيم فان العاقل يتعظ بها
ويستبصر وما كان اكثرهم مؤمنين لعدم التدبر وان ربك لهو العزيز الغالب الرحيم بارسال الرسل كذبت قوم
نوح المرسلين القوم من اسماء الجموع يطلق على الرجال خاصة ففيه تغليب وتانيث الفعل باعتبار معنى الجمعية ويقال
في تصغيره قويم بالتذكير والمراد بالرسل نوح كقولهم فلان يركب الخيل او هو وسائر من معه من المؤمنين او لان
من كذب رسولا فقد كذب الجميع لاتحاد دعوتهم واشتراك برهانهم اذ قال لهم اخوهم نوح سماه اخا لاتصال نسبه بهم
كقول العرب يا اخا بنى فلان لواحد منهم الا تتقون الشرك وعبادة الاوثان انى لكم رسول امين كان مشهورا بينهم
بالامانة فاتقوا الله واطيعون في التوحيد وما اسألكم عليه على اداء الرسالة من اجر حتى تتهمونى ان اجرى الا على
رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتوكيد والتقرير في نفوسهم كما هو شان الناصح الشفوق وفي الحديث
كان رسول الله اذا تكلم بكلام اعاده ثلثا ولانه علل الاول بكونه امينا والثانى بحسم طمعه قالوا انؤمن لك واتبعك

قدر المضاف صاحب الكشاف

لم يتبع هذا التكرير في سائر قصص الرسل
وذكر اشارة الى كثرة المناظرة
القوم لطول عمره منه

الارذلون اى الفقراء الذين لا مال لهم ولا جاه وهذا كما قال المشركون لرسول الله يا محمد ما نرى معك الا الاعبد
والرعاة قال وما علمى بما كانوا يعملون واى علم لى بما كانوا يعملون لاجله فهم من كلامهم انهم يطعنون فى
ايمانهم بانهم آمنوا لغرض دنيوى فاجاب بانه انما يطلب الايمان بناء على الظاهر ان حسابهم الا على ربى
فهو المطلع على الضماير ويجوز ان يكون حمل الرذالة فى قولهم على الرذالة فى الدين وان لم يقصدوها اشارة
الى ان الرذالة المعتد بها رذالة الدين لو تشعرون لعلمتم ذلك وما انا بطارد المؤمنين دفع لما اوهم كلامهم
واشار المظهر موضع المضمر ايماء الى ان وصف الايمان ينافى الطرد ان انا الا نذير مبين ما على آمنتم اولم
تؤمنوا وما على ان كان ايمانهم لغرض قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين بالحجارة والشتم و
هذا داب الجاهل المحجوج قال رب ان قومى كذبون فيما ارسلتنى به لم يدع الله لما اصابه من اذاهم بل لتكذيبهم
فافتح بينى وبينهم فتحا احكم بيننا باظهار الحق واذهاب الباطل من الفتاحة وهى الحكومة لان الحاكم يفتح المشكل
فى الدين وما استغلق على الناس ونجنى ومن معى من المؤمنين من اذاهم او من العذاب الذى يرسله عليهم
فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون المملوء من الناس وساير الحيوانات التى حملها نوح معه ثم اغرقنا بعد بعد
انجائه الباقين وهم الكفار ان فى ذلك لاية اية آية شاعت وتواترت ولا قصة اشهر من طوفان نوح
وما كان اكثرهم مؤمنين بل اقلهم وهم ثمانون نفسا وان ربك لهو العزيز الغالب الذى لا يغالب الرحيم
بعباده حيث لا يعاجل بالعقوبة كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم رجل اذ قال
لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى
الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع آية علامة والريع المكان المرتفع وعن عمان هو الجبل اسم جنس واحد
ريعة والجمع رياع وهو الطريق ايضا ومنه قول المسيب بن علس ريع يلوح كانه سحل تعبثون عابثين بالمادة
لا غرض لكم سواه وقيل تبنون ابراج الحمام وقيل كانوا عارفين بعلم النجوم يهتدون بها فى اسفارهم وكانوا
يبنون تلك الاعلام الطوال عبثا وتتخذون مصانع المبانى والقصور العالية وقيل مواضع الماء الحاصل من المطر
جمع مصنعة لعلكم تخلدون ترجون الخلود فى الدنيا او حالكم تشبه حال من تخلد واذا بطشتم اخذتم بالعنف
بطشتم جبارين قاتلين على الغضب والجبار من يقتل اذا غضب فاتقوا الله واطيعون فيما ادعوكم اليه من
الايمان وترك القبايح واتقوا الذى امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون بالغ فى التبليغ
انكر عليهم عدم تقواهم بحسب الفطرة ومقتضى العقل ثم ذكر انه رسول الله صادق امين فامرهم بالتقوى
صريحا وبين ان فعله ليس لغرض يتعلق بالدنيا ثم ذكر لهم ما هم فيه من القبايح وامرهم ثانيا بتقوى الله
وطاعته ثم امرهم بالتقوى ثالثا وعلقه بالموصول الدال صلته على ان من يطلب منهم تقواه يمد لهم نعما
متوالية علمهم محيط بها لا يجهلون شيئا منها ثم فصل ذلك المجمل مبالغة فى الوعظ والنصح ثم اشار بقوله انى
اخاف عليكم عذاب يوم عظيم الى انهم ان لم يمتثلوا ما امرهم به يلحقهم عذاب لا يوصف ولما كانوا ممن طبع على
قلوبهم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فان وعظك وعدمه عندنا سيان غير الاسلوب
فى النفى لانه ابلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين اى ما هذا الذى جئتنا به من الاكاذيب
الا عادة امثالك من الماضين او ما هذا الذى نحن عليه من الدين والموت الا عادة السالفين وآبائنا
الاولين وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى بفتح الخاء وسكون اللام اى ما هذا الذى جئتنا به الا كذب اختلقه
الاولون من اضرابك او ما خلقنا الا كخلق الاولين نحيى ونموت ولا بعث وما نحن بمعذبين فى الدنيا وفى الاخرة
فكذبوه فاهلكناهم بسبب تكذيبهم ان فى ذلك لاية واية آية بين كيفية هلاكهم فى موضع آخر وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه على اداء الرسالة من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون

اول
فى الاول برمتها وبخطها

نصف الطعن فى الهوادج
سالس من بنى الشهاب

فيما ههنا آمنين انكار لبقاء لهم على تلك الحال او تذكير للنعمة قبل فوتها او ان الشكر عليها فى جنات
وعيون وزروع تفصيل بعد الاجمال كما فى قصة هود ونخل طلعها هضيم افرد النخل لمزيد فضله او اراد وصف
طلعه وهو ما يطلع منه على مثال نصل السيف ثم ينشق فيخرج منه ثمره وهو الجمار الذى جاء فى الحديث ان رسول
الله اتى بجمار والهضيم من الهضم وهو الكسر كانه متكسر من تراقيه وهو من احسن الفواكه عند العرب وعن ابن
عباس هضيم يانع كانه قيل ونخل قد ارطب ثمره وطاب وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين حاذقين من الفراهة
وهى الحذق او اشرين بطرين وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو فرهين على الصفة المشبهة والمبالغ لدلالته
على تجدد الاشر والبطر ساعة فساعة فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد ولا تطيعوا امر المسرفين اوقع الاطاعة
على الامر وهى للآمر لما بينهما من التلبس او استعيرت الاطاعة للامتثال لما بينهما من الشبه الذين يفسدون فى
الارض مستمرون على الافساد ولا يصلحون ولا يوجد منهم اصلاح قط كساير المفسدين يخلطون بالافساد اصلاحا
قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم ما انت الا بشر مثلنا اى تنزلنا عن كونك مسحورا
الست بشرا مثلنا انى لك رتبة الرسالة فات بآية ان كنت من الصادقين فى دعواك قال هذه ناقة اختصر
القصص لان الغرض تسلية رسول الله وهو قد احاط بها علما فى مواضع اخر فاكتفى بطرفها لها شرب حظ
من الماء كالقيت من العوت والسقى من السقى ولكم شرب يوم معلوم فلا تجاوزوه ولا تمسوها بسوء فضلا
عن القتل والضرب فياخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم العذاب الواقع فيه على طريق المجاز الحكمى
حتى كان شدة العذاب سرت الى الوقت فعقروها اسند العقر اليهم والعاقر واحد وهو قدار لرضى
الكل به روى انه لم يعقرها حتى داروا على المخدرات فرضين كلهن بذلك فاصبحوا نادمين على فعلهم خوفا
من العذاب لا تصديقا لقول صالح والا لنجوا كما نجا قوم يونس وندموا بعد فوات الوقت وهو اوان
البأس فاخذهم العذاب صيحة جبرئيل ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم قيل انما لم يصب قريشا ما اصاب تلك الامم ببركة من آمن منهم اسند لا لا بقوله وما كان اكثرهم
مؤمنين وفيه ان رسول حين خرج من بينهم لم يكن آمن قريش الا قليل بل انما لم يصبهم ما اصاب اولئك
لعدم اتيانه بآياتهم المقترحة كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتاتون الذكران
من العالمين الجار والمجرور حال من الذكران والمراد بالعالمين الناس لان الماتى الذكر منهم خاصة فالجمع
بالواو والنون على اصله وخروج الملك والجن بقرينة العقل ومتعلق بتاتون فالماتى كل من تاتى منه
الاتيان من ساير الحيوانات والجمع بالواو والنون للتغليب وخروج غير الانسان بتلك القرينة وتذرون
ما خلق لكم ربكم من ازواجكم من اما بيان ما واريد به جنس الاناث او تبعيض ويراد بما خلق المحل المباح
منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا ياتون من نسائهم فى غير موضع الحرث بل انتم قوم عادون متجاوزون
الحد فى انواع المعاصى وهذه الجريمة من ذلك او انتم احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه العظيمة
وهذا اوجه لدلالته على ان هذه الجريمة كل العظايم ولذلك لم يلاحظ متعلق العدوان قالوا لئن لم تنته
يا لوط عن مقالتك لتكونن من المخرجين من بيننا هددوه بالاخراج لان مفارقة الوطن من اشد العذاب
قال انى لعملكم من القالين من المبغضين اشد البغض فلا ابالى بالخروج من بينكم وهذا ابلغ من ان يقول
انى لعملكم قال لدلالته على انه داخل فى زمرتهم معدود من جملتهم رب نجنى واهلى مما يعملون من شوم
عملهم فنجيناه واهله اجمعين كلما نجاتهم واردنا نجاتهم الا عجوزا فى الغابرين الباقين فى العذاب
وهى امراته مستثناه من الاهل لشموله اياها ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا هى
الحجارة لقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فان قلت اهلاكهم كان بقلب القرية عليهم كما تقدم

من قوله فجعلنا عاليها سافلها فما فايدة الامطار عليهم **قلت** اظهار القهر وشدة الغضب
كما اهلكت عادا بالريح مع الصيحة وعن قتادة امطر الله الحجارة على شذاذ القوم ولا منافي الامطار
على الحاضرين لقوله وامطرنا عليها حجارة فان الضمير للقرية فساء مطر المنذرين مطرهم فالمخصوص محذوف
واللام في المنذرين للجنس ليصح وقوع ما اضيف اليه فاعل ساء ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
بل اقلهم وهم الذين مع لوط وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة
التي فيها ناعم الشجر الملتف وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليكة على وزن ليلة وهما لغتان كمكة وبكة
كذا عن ابن عباس والخليل فمن قال ان ليكة اسم لا يعرف انما شهد على النفي قال ابو عبيدة وسمت هنا
وفي صورة ص ليكة في الامام وفي الحجر وق الايكة وهم طايفة من اهل مدين ضاقت بهم البلد فخرج
منها ارباب الاموال والمكنة الى ايكة هناك وبنوا بين تلك الاشجار وما قيل ان شعيبا ارسل الى اهل مدين
وهم قومه والى اهل الايكة ولم يكونوا قومه ولذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم
فقد وهم كيف وفي الحديث انما كان بعث النبي الى قومه وبعثت الى الاحمر والاسود **فان قلت** فلم لم يذكره
باسم الاخ كما في ساير قصص الانبياء **قلت** كثر في هذه السورة ذكر الاخ وكانت قصة شعيب آخر
القصص فحذف لذلك وليكون فيه اشارة الى ان القصص قد تمت وقد رمز الى ذلك بحذف الثناء في
كذب ايضا وهذا من غوامض اسرار القرآن واختصاره اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من
المخسرين حقوقهم بالتطفيف تصريح بما علم ضمنا ولم يذكر الزيادة لانها غير واجبة ولا محرمة بل من الجميل فان
فعل فيها والا فلا عيب وزنوا بالقسطاس المستقيم الميزان السوي وعن الحسن هو القبان والقسطاس ان كان
روميا كما قيل فالوزن فعلال والا فمن القسط وهو العدل فالسين زايدة والوزن فعلاس وليس من التضعيف
والا لكان وزنه فعلاع وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوها
من بخست الشيء نقصته وهو عام في كل حق يهضم غصبا وسرقة وغيرها ولا تعثوا في الارض مفسدين
بالقتل والغارة وقطع الطريق مفسدين حال مؤكدة واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين الخليقة الاولين
مصدر بمعنى المفعول من جبله الله خلقه ذكره تؤكيدا لاستحقاقه للتقوى لانه خلق الاولين الذين هم اصولهم
واباؤهم وسميت هولاء كما امات اولئك قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخل الواو
بين الوصفين للدلالة على منافاة كل منهما الرسالة استقلالا بخلاف قصة ثمود مع صالح فكذب قوم شعيب
ابلغ واقوى من اولئك وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من
الصادقين هذا غاية انكارهم كما قالت كفار قريش ان كان هذا الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء قرأ حفص كسفا بالتحريك والباقون بالاسكان وكلاهما جمع كسفة وهي القطعة قال ربي اعلم
بما تعملون فيجازيكم على وفق ذلك باسقاط الكسف وغيره فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة قيل اخذهم
بالحر الشديد ومنع عنهم الهواء البارد حتى قلقوا وخرجوا الى الفضاء فاظلتهم سحابة فوجدوا البرد والروح
منها فامطرت عليهم نارا وكان ذلك اشد لمجيء العذاب من مظنة الرحمة كما فعل في قوم هود فلما راوه
عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم انه كان عذاب
يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم الواقع فيه على طريقة المجاز ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كرر في اوايل القصص واواخرها ما كرر لانها تليت على الصم البكم الذين
لا يعقلون فلا جدوا التكثير والتكرير بالوعظ والتذكير ازاحة للاعذار واشاعة للابلاغ والانذار وانه
لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك حض القلب لانه وعاء العلوم ومدرك المعقولات والروح

قاله صاحب الكشاف

ودعلى الشامي

الامين جبرئيل لانه واسطة بين الله وبين الرسل في تبليغ الاحكام وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص نزل
مخففا والباقون نزل مشددا مسندا الى ضمير الله والروح الامين منصوبا لتكون من المنذرين داخلا في زمرتهم
بلسان عربي مبين واضح لئلا يقولوا لولا فصلت آياته اعجمي وعربي متعلق بنزل وقيل يجوز تعلقه بالمنذرين بناء على
ما قيل ان هودا وصالحا وشعيبا واسماعيل من العرب وهذا لو فرض صحته معنى ركيك وانه اي القرآن لفي زبر
الاولين اي ذكره او معناه وقد يستدل به لابي حنيفة ان القرآن هو المعنى دون النظم ولذلك جوز القراءة
بالفارسية والتحقيق ان المنزل هو النظم المنزل للاعجاز ولذلك صح رجوع الامام الى قول الجمهور اولم يكن لهم آية
ان يعلمه اي القرآن علماء بني اسرائيل بنعته في كتبهم وكانت كفار قريش يسألون اهل الكتاب عن احوال
رسول الله والمراد عبد الله بن سلام واضرابه ممن آمن لا من حرف الكلم من بعد مواضعه وقرأ ابن عامر تكن
مؤنثا ورفع آية على ان كان تامة وآية فاعلها وان يعلمه بدل من الفاعل او خبر مقدرا والتقدير بان
يعلمه بدل من الفاعل وكان او ناقصة واسمها ضمير القصة وآية ان يعلمه اسمية مقدمه الخبر خبرها او الخبر
لهم آية وان يعلمه على الوجوه الثلثة اوهو من قبيل مزاجها عسل وماء وفيه ضعف والاولى التذكير والنصب
لعدم الاضمار والتقدير ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي القرآن كما هو او بلغة العجم والعجمة لغة اللكنة ولما
كان من يتكلم بغير لسان العرب لا يفقهون كلامه سموه اعجم والاعجمين جمع اعجمي بتخفيف الياء لا اعجم لان افعل
فعلاء لا يجمع بالواو والنون كذا نقل عن الزجاج والحق ان اللفظ منقول فلا مانع فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين
لعدم فهمهم او لفرط عنادهم واستنكافهم كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ادخلناه اي الكفر والتكذيب دل عليه
ما كانوا به مؤمنين او القرآن عرفوه باعجازه وانكروه يؤيده قوله لا يؤمنون به اي بالقرآن حتى يروا العذاب
الاليم حين لا ينفع الايمان **فان قلت** لم آثر في سورة الحجر نسلكه بلفظ المضارع **قلت** لانه فرعه على
قوله ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن الدال على استمرار الامم المكذبة على الاستهزاء والكلام هنا
في كفار قريش المختوم على قلوبهم فياتيهم بغتة في الدنيا وفي الاخرة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن
منظرون باسفا على فوات طرفة عين لما هم فيه اليوم والفاء للترتيب الرتبي فان مفاجاة العذاب اشد من رؤيته
افبعذابنا يستعجلون رد لقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم الهمزة للانكار والفاء لترتيبه
على الكلام السابق والمعنى يستعجل بمثل هذا العذاب عاقل او يقال لهم يوم القيمة توبيخا لهم حكى لنا
لطفا والمضارع على هذا بمعنى الماضي واوثر لاستحضار تلك الصورة او يقدر كانوا ثم قال افرايت ان متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون مرتبا على الاستهزاء والاستعجال تعجيبا
من حالهم وهذا كما تقول لمن اغتر بكثرة العشاير والاموال هب انك بلغت فوق ما تامل اليس بعده الموت
والخطاب عام اشارة الى ان هذه القصة من حقها ان يخبر بها كل احد ليتعجب منها كل سامع وعلى الاول
متعلق بقوله هل نحن منظرون وقوله افبعذابنا يستعجلون معترض للتبكيت وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون من الانبياء والرسل ذكرى نصب على المصدر بمعنى تذكرة لان ذكر وانذر متقاربان او مفعول له
اي لاجل الموعظة او حال من ضمير منذرون اي ذوي تذكرة او رفع خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة
اعتراضية او صفة لمنذرون اما بتقدير مضاف اي ذو ذكرى او جعلوا نفس الذكرى لمبالغتهم في التذكير واعانهم
فيه او متعلق بمقدر والمعنى ما اهلكنا من قرية الا بعد الزام الحجة ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لمن يفعل مثل
فعلهم وهذا اليق بالمقام لدلالته على وعيد المستهزئين وانهم احقاء بان يجعلوا عبرة لمن بعدهم وما كنا
ظالمين بان نهلك قبل الانذار وهذا على المتعارف اذ لا يتصور الظلم من المالك الموجد تعالى وما تنزلت به
الشياطين كما يزعم الكفار انه من القاء الشياطين الى الكهان وما ينبغي لهم لسفالة محلهم وما يستطيعون وما
يقدرون على ذلك انهم عن السمع لمعزولون كانوا يسترقون السمع الى الملئكة وياخذون منهم الاخبار ويلقونها

اذ المعنى حينئذ لتكون من جملة الذين بلغوا بلسان عربي مبين منه

اي يدل او تقديره بان اولانا منه

٢٦٦

الى الكهنة فلما بعث رسول الله حجبوا ورجموا وهذا ما قالوا انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن
يجد له شهابا رصدا فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين الخطاب له والمراد غيره فان شان
الملوك خطاب الخواص بما لا يتصور وقوعه منهم مبالغة فى زجر العامة او هو من باب الالهاب لازدياد الاخلاص
وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب فالاقرب ليكون تبليغه بعد ذلك فى الابعد انجح ولان عشيرته ربما اعتمدوا
على قرابته فقطع دابر شبهتهم روى البخارى عن ابن عباس انها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عبد مناف لبطون من قريش وكان الرجل اذا لم يستطع ان يخرج
ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابولهب وقريش فقال رسول الله ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد ان
تغير عليكم اكنتم مصدقى قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد
فقال ابولهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابى لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما
كسب واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين خفض الجناح مثل فى التواضع ولين الجانب فان الطائر عند
الانحطاط يكسر جناحه من بيانية لان من اتبعه اعم من المؤمنين ومن اتبع لغرض آخر او تبعيضية والمراد
بالمؤمنين المشارفون والمصدقون باللسان دون القلب فان عصوك عشيرتك والمؤمنون فقل انى برئ مما
تعملون من عملكم لم يقل منكم اشارة الى ان المجانبة عارضة بخلاف قول ابليس انى برئ منكم لان المباينة
ذاتية والعداوة صلبية وتوكل على العزيز الرحيم فوض امرك الى من هو غالب لا يغالب يقهر اعداءك وينصرك
واولياءك وقرأ نافع وابن بالفاء عطفا على جزاء الشرط او على قوله فلا تدع او بدل من جواب الشرط والواو
اظهر وعليه الرسم العراقى والمكى وعلى الفاء المدنى والشامى الذى يراك حين تقوم للتهجد وتقلبك فى
الساجدين لما نسخ قيام الليل طاف تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر ماذا يصنعون حرصا على طاعتهم
فوجدها كبيوت الزنابير ما بين تال ومصل وذاكر وقيل اراد قيامه وقعوده وسجوده اذا امهم فى الصلوة
روى ان قتاده سأل ابا حنيفة رحمه الله هل تجد فى القرآن ذكر الصلوة جماعة فقال لم يحضرنى فقرأ عليه
قتاده هذه الآية وقيل اراد انتقال نوره فى اصلاب الانبياء وبطون الامهات الطاهرة وعلى الوجوه علة
لاستحقاقه قهر اعدائه ونصر اوليائه انه هو السميع لا قوالك العليم بنيتك واخلاصك هل انبئكم على من
تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم كثير الكذب والعصيان كالكهنة والمتنبئة مثل شق وسطيح وطليحة
ومسيلمة ومحمد نبى معصوم لا مناسبة بينه وبين الشياطين يلقون السمع واكثرهم كاذبون اى تسمع الشياطين
الى الملئكة كما ورد يخطف كلمة فيقرها فى اذن وليه كما يقر الدجاجة فيخلط وليه منها اكثر من مائة كذبة
او يلقون المسموع الى اوليائهم او الضماير لكل افاك اى يسمعون الى الشياطين فيتلقون وحيهم او يلقون ما
سمعوه منهم الى الناس والضمير فى اكثرهم ان كان للشياطين فقيد الاكثرية لاخراج من يصدق فى الكلمة
المخطوفة وان كان للافاك فلانه لا يلزم ان يكون كاذبا فى كل ما يتكلم به فالاكثرية باعتبار اقوالهم وقيل
اريد بالاكثر الكل ومحل يلقون اما نصب على الحال او جر صفة افاك او استيناف كانه قيل لم تنزل الشياطين
على كل افاك فقيل يفعلون كيت وكيت والشعراء يتبعهم الغاوون ما يتبعهم الا الضالون واتباع محمد
علماء صديقون فكيف يكون شاعرا كما تزعمون الم تر انهم فى كل واد يهيمون فى كل نوع من الكلام مدحا او
ذما او نسيبا او غزلا يلفقون بخيلات باطلة واكاذيب صريحة فذكر الوادى والهيام تمثيل وانهم يقولون
ما لا يفعلون سمع سليمان بن عبد الملك قول الفرزدق شعر وبتن بجانبى مصرعات وبت افض اغلاق الختام
فقال يا فرزدق وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عنى بقوله انهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا استثناء لشعراء المؤمنين كحسان وعبد الله بن رواحه وكعب بن
مالك الانصارى وكعب بن زهير المهاجرى وفى وصفهم بذكر الله كثيرا اشارة الى انهم وان وقع منهم فى اشعارهم

عاو

شيء من الغلو

شيء من الغلو على ما هو داب الشعر فغير مواخذ به لكونه معمورا بذكر الله وانتصروا من بعد ظلموا كما فعل
شعراء الصحابة حين هجا كفار قريش رسول الله نقضا بلوهم بالهجاء ومدح رسول الله بما هو اهله روى البخارى
ومسلم والترمذى عن عايشه رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يؤيد
حسان بروح القدس ما نافح عن رسوله وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون وعيد شديد لمن القى السمع
وهو شهيد واطلق الظلم ليتناول كل ظلم ويدخل فيه من كذب بالقرآن واعرض عنه وهو الذى صدر به
السورة فانتظم الفاتحة مع الخاتمة وفى ابهام اى منقلب من التهويل ما لا يخفى ولما ايس الصديق من
الحيوة استكتب عثمان بن عفان كتاب العهد هذا ما عهد ابن ابى قحافة الى المؤمنين فى الحال التى
يؤمن فيها الكافر انى استخلف عليكم عمر بن الخطاب فان عدل فذاك ظنى به وان لم يعدل فسيعلم
الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون تمت السورة والحمد لله على آلائه سورة النمل مكية وهى ثلث واربع وتسعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم طس اسم السورة او حروف مقطعة عددت ايقاظا وامال الف طا
حمزه والكسائى وابوبكر تلك آيات القرآن وكتاب مبين تلك اشارة الى آى السورة والكتاب المبين اما اللوح
وابانته كونه مبينا للناظرين ما خط فيه واما السورة او القرآن وابانتهما اظهار ما اودع فيهما من الحكم والاحكام
او كون اعجازهما بينا مكشوفا وفيه احتمالات اخر ذكرت فى اول الحجر والعطف ان اريد به القرآن باعتبار
الصفات والتنكير للتفخيم وتقديم القرآن هنا وتاخيره فى سورة الحجر قد اشير الى وجهه هناك هدى وبشرى
للمؤمنين حالان من الآيات اى هادية ومبشرة والعامل معنى الاشارة او رفعا على خبرية محذوف
او البدلية او الخبرية بعد الخبر الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة اى الذين يعملون الصالحات كلها اكتفاء
بما م الاعمال البدنية والمالية وهم بالآخرة هم يوقنون اعتراض لتوكيد ما وصفوا به الايقان بالآخرة
يستلزم الخوف المستلزم لتحمل مشاق التكليف ولذلك كرر فيها الضمير كانه قيل بالآخرة لا يوقنون لا بغيرها
وهم المؤمنون لا غيرهم او هو من تتمة الصلة وتغيير النظم للدلالة على كمال تيقنهم والواو عاطفة لا حالية
ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم اى ما للمؤمنين من البشرى بما للكفار من سوء العذاب وتزيينها
جعلها مشتهاة لهم وقوله زين لهم الشيطان اعمالهم مجاز باعتبار الوسوسة فهم يعمهون حائرون بعد ذلك
لا يدركون ما فيها من الضر والنفع اولئك الذين لهم سوء العذاب فى الدنيا بالقتل والاسر وضرب الجزية وهم
فى الآخرة هم الاخسرون لانهم خسروا جوار الله فى دار النعيم وقد لزموا مع الشياطين فى النار وانك لتلقى
من لدن حكيم عليم لتعطاه من تلقيت الشيء اخذته وذكر العليم بعد الحكيم تعميم بعد التخصيص اشارة الى اشتمال القرآن
على البراهين والخطابات والتنكير للتعظيم كانه قيل اى حكيم واى عليم اذ قال موسى لاهله امكثوا نصب باذكر او
متعلق بعليم كانه قال ما اعلمه اذ فعل بموسى ما فعل وما يتوهم من تقييد العلم بالوقت مندفع لانه مفهوم اللقب
وانما جمع الضمير فى امكثوا باعتبار لفظ الاهل اذ لم يكن مع موسى سوى امرأته انى آنست نارا ابصرتها سآتيكم منها
بخبر من حال الطريق وايثار السين لان النار بالليل وان ترى قريبة ربما كانت بعيدة او آتيكم بشهاب بشعلة
من النار قبس مقبوسة يقال اقتبست العلم وقبست النار قرأ الكوفيون بالتنوين او صفة لعلكم تصطلون تستدفئون
بها فانها كانت ليلة شاتية من صلت اللحم شويته ولا تدافع بين قوله سآتيكم هنا ولعلى آتيكم فى طه لان الراجى
اذا قوى رجاؤه يقول سافعل وذلك باعتبار الوقوع واختاروا على الواو بناء على انه ان لم يظفر بكلتا البغيتين
فلن يعدم احديهما ولم يخطر بقلبه انه فايز بما دونه كل الاماني من رتبة الرسالة فلما جاءها اى المكان
القريب منها نودى ان بورك من فى النار اى فى البقعة التى فيها النار وهم موسى والملئكة الحاضرون
ومن حولها ومن سكن حولها فى الارض المقدسة يتناول كل من يسكن بالشام وفى الحديث الشام كنز الله
فى ارضه وبها كنزه من عباده وقيل من فى النار الملئكة فانها كانت فى نفس النار ومن حولها موسى والاول

جوز القاضى كالحال ولم يرضه المولف لانه خلل وقيد بلا فائدة منه

رد على القاضى حيث جوز كونها حالية لان الحال المعنى الاعراب دون العطف منه

بولا

هو الوجه لان تصدير الكلام به عند مجئ موسى بشارة بانه قد قضى امر عظيم بنتشر بركته وسبحان الله رب
العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم من تمام النداء تنزيها له تعالى عن التشبيه المتوهم من ايجاد الصوت
والحروف وتعجيبا لموسى من ذلك وايذانا بان المقضى له من جلايل الامور وعظايمها لانه اثر تكوين رب العالمين
وجعله من كلام موسى تعجبا منه بعيد لان قوله والق عصاك من كلام الله تعالى معطوفا على بورك وايضا
لو كان من كلامه لكان الظاهر ترك الواو وقد اظهر حرف التفسير في القصص في قوله وان الق عصاك وحذفه
هنا وكل منهما شايع تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت قلت ان حج واعتمر يا موسى انه الشان انا الله
العزيز الغالب الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة تمهيد لما نريه من قلب العصا واليد البيضا فلما رآها
تهتز اى القاها فصارت حية فلما رآها تتحرك تقال هزه حركه فاهتز كانها جان حية سريعة ولى
مدبرا اعرض هاربا ولم يعقب ولم يرجع بعد الهرب كناية عن غاية الخوف يقال عقب المقاتل اذا كر بعد
الفرار وانما خاف لظنه ان قلب العصا حية لامر اريد به اذ كان ذلك اول الامر ولم يدر انه نبى ولذلك
قال يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدي المرسلون لانهم مكرمون مقربون وانت منهم الا من ظلم نفسه منهم
بترك الافضل او بارتكاب خلاف الاولى او بترك المامور سهوا فانه خائف ثم بدل حسنا بعد سوء تدارك
ما فرط منه بلا انابة كما قال يونس سبحانك انى كنت من الظالمين وكما قال موسى رب ظلمت نفسى فاغفر لي
وفيه تعريض لطيف بموسى حيث قتل القبطى من غير اذن من الله تعالى وان كان كافرا حربيا فانى
غفور اتجاوز عما فرط منه رحيم اتفضل عليه بعد التوبة وادخل يدك فى جيبك فقد كان عليه مدرعة
صوف لا كم لها او اريد بالجيب القميص لانه من لوازمه تخرج بيضاء من غير سوء آفة برص فى تسع آيات كلام
مستانف اى اذهبا الى فرعون وقومه فى تسع آيات كقوله شعر فقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد
الانس الطعاما وهى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب واليد والعصا او متعلق
بالمذكور اى والق عصاك وادخل يدك فى تسع آيات اى فى عدادها وجملتها واما نتق الجبل وفلق البحر فليسا
من الآيات التى بعث بها الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم
آياتنا مبصرة اى بجعلهم بصراء او وصفت بوصفهم لانهم بسبب منها بنظرهم وتاملهم على طريقة المجاز
الكلي او جعلت كانها تبصر فتهتدى لان الاعمى لا اهتداء له فضلا عن الهداية على طريقة الاستعارة الكنية
قالوا هذا سحر مبين ظاهر لا اشتباه فيه وجحدوا بها الجحد هو الانكار مع العلم ضمن معنى التكذيب فعدي
بالباء واستيقنتها انفسهم الواو للحال وقد مضمرة اى جحدوا باللسان موقنين بالقلب والاستفهام ابلغ
من الايقان ظلما وعلوا حالان من فاعل جحدوا او منصوبان على العلية والعلو بالترفع وقرئ غلوا بالمعجمة
وهو التجاوز فانظر كيف كان عاقبة المفسدين تامل يا محمد عاقبتهم وهى الاغراق فى الدنيا ويوم القيمة يردون
الى اشد العذاب الاتيان بالظاهر لبيان العلية ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهى علم الشرائع
والاحكام او علما عزيزا وانما اورد قصة داود وسليمان عقيب قصة موسى لان موسى ابتلى فضرهما اعطيا
فشكرا اشارة الى حسن الاقتداء بهما فى السراء والضراء وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده
المؤمنين لم يعطف بالفاء كما تقول اعطيته فشكر لانه عطف على مقدر كانه قيل فعملا بذلك العلم قلبا وجوارحا
وقالا الحمد لله اشارة الى ان شكر اللسان انما يحسن اذا كان مسبوقا بعمل القلب وساير الجوارح ففيه استيعاب
لانواع الشكر على احسن وجه وهذا احسن مما قيل فوض الترتيب الى العقل لان المقام يستدعى مزيد الشكر
وانما قيدا بالكثير لان قليلا فضل عليهم وهم خواص الانبياء من اولي العزم وفى الآية دلالة على فضل العلم
واهله وان ملك الدنيا باسره على اكمل وجه كما كان لداود وسليمان دونه وان من اوتى علما ينبغى ان
يتواضع ويعلم انه وان فضل على بعض فقد فضل عليه البعض وورث سليمان داود وورث العلم والنبوة

ذكر صاحب المفتاح

والملك

والملك ومعنى الوراثة فيهما قيامه مقام داود فى تلك الصفات وعن الحسن ورث المال لان النبوة عطية
مبتداة ان صح عنه ذلك فلعله لم يبلغه الحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وقال
يا ايها الناس علمنا منطق الطير نادى الناس اظهارا لنعمة الله ودعاء لهم على التصديق بالمعجزة التى هى
فهم كلام الطير والمنطق هو الكلام المركب من الاصوات مفردا كان او مركبا قال شعر فلما التقينا ما نطقت
ولا حرفا وفهمه كلام الطيور مثل فهمنا كلام الناس الا انا نفهم ذلك بالفاظ موضوعة والانبياء يفهمون
من غير سبق وضع وتعلم بل باعلام الله تعالى كما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كلام الضب
والظبى والبعير وتسليم الحجر روى ان سليمان مر ببلبل ووراشان فصيح فقال هل تدرون ما تقول قالوا الا قال
تقول كما تدين تدان وسمع صياح هدهد فقال تقول استغفروا الله يا مذنبون واوتينا من كل شئ كناية
عن الكثرة وايثارا واوتينا باعتبار ملكه وملك داود او على طريقة الملوك ان هذا لهو الفضل المبين
الواضح اذ كل من العلم والنبوة والملك فضل ظاهر فكيف بالجمع وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير
الحشر الجمع من كل اوب وتقديم الجن لانهم اعتى وابعد من التسخير فهم يوزعون يحبسون اى يحبس سابق
الجيش حتى يلحق التوالى وفيه دلالة على انهم مع كثرتهم كانوا مسوسين مضبوطا احوالهم لئلا يتادى
احد منهم او بعضهم روى ان معسكره كان مائة فرسخ فى مائة موزعا على الانواع خمسة وعشرون للجن
وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير
على الخشب فيها ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية وكان له بساط من الذهب والحرير نسجته الجن فرسخا فى
فرسخ وكان له منبر من الذهب يوضع فى وسط البساط تقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسى من الذهب و
الفضة يقعد على كراسى الذهب الانبياء وعلى كراسى الفضة العلماء وكان يامر بحمل سريره الريح العاصف
ولسيره الرخا وكان لا يتكلم احد بشئ الا القى الريح ذلك الى مسامعه حتى اذا اتوا على واد النمل اى ساروا
الى ان وصلوا ذلك الوادى وهو واد بالشام كثير النمل وتعديته الاتيان بعلى اما لان دخولهم كان
من جانبه الاعلى واما لانهم قطعوا الوادى من قولهم اتى على الشئ اذا بلغ نهايته قالت نملة يا ايها
النمل ادخلوا مساكنكم قيل كانت نملة عرجاء اسمها طاخية فسمع سليمان كلامها من ثلثة اميال وما
نقل عن قتادة انه دخل الكوفة فقال سلونى عما شئتم وكان ابو حنيفة اذ ذاك شابا حدثا فقال
سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة رحمه الله كانت انثى فقيل له
من اين لك قال من التاء فى قالت ولو كانت ذكرا لم يلحق التاء ففيه ان التاء لا تدل على تانيث المسمى
بل هى تاء الوحدة يقع على القبيلين يقال حمامة ذكر وحمامة انثى ولو استدل بالضمير فى قولها كان اسلم لا يحطمنكم
سليمان وجنوده لا يكسرنكم واصل الحطم الازدحام ومنه حطيم الكعبة وهو ما بين الباب والركن لازدحام
الناس فيه ولا يحطمنكم اما جواب الامر فدخول النون لكونه نهيا فى المعنى واما بدل من الامر لانه فى المعنى
نهى لان قوله ادخلوا مساكنكم فى معنى لا تكونوا حيث انتم وهم لا يشعرون علمت ان نبيا نبى الله واتباعه لا
يفعلون ظلما قيل فهم سليمان قولها وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من اهتدائها
الى الحذر والتحذير مع صغر جسمها او سرورا بما آتاه الله من الملك الجسيم والعدل العظيم من حيث ان الحيوان
العجم يعلم ذلك وضاحكا نصب على الحال اى شارعا فى الضحك وهذا ضحك الانبياء وما روى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه كناية عن التبسم الكامل لدلالة ساير الاحاديث عليه وقال
رب اوزعنى الهمنى من الوزع وهو المقدم ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدي ادرج ذكر والديه اما
لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين لا سيما الدينية فانه اذا كان برا تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته
ودعاء المؤمنين لهما اذا راوا منه خيرا بل الاجداد والاسلاف يقولون رحم الله اجدادك واسلافك واما

قوله لو استدل كلام المولى فان صاحب الكشاف و
اكتفى بقوله اى صنعورده اى ز كاجب عما ذكره
المولى من الاشتراك منه

متعسر محيطه عما ذكره
لكن ح تعدد انى عاش ..

لان النعمة على الوالدين نعمة على الولد كما تقدم في قصة بني اسرائيل في اوايل البقرة وان اعمل صالحا
ترضاه بقية عمري وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ادخلني الجنة في عدادهم ذكر رحمته اشارة الى
ان دخول الجنة بفضل رحمة الله كما ورد في الحديث وتفقد الطير التفقد طلب الشيء بعد غيبته فقال
مالي لا ارى الهدهد نظر الى مكانه فلم يره فتعجب ام كان من الغائبين ام منقطعة اضرب عن تعجبه واخذ
يقول اهو غايب كانه يريد تحقيق ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا بعد ما تبين له انه غايب والعذاب الشديد
للجمع مع غير جنسه في قفص وقيل نتفه والقاؤه في الشمس وقيل نتفه والقاؤه بين النمل لتاكله وقيل
التفريق بينه وبين الفه وقيل امره بخدمة اقرانه اولاذبحنه سياسة ليلا يجترى على فعل مثله آخر من
جنسه اوليأتيني بسلطان مبين بحجة واضحة دالة على عذره والمحلوف عليه هو احد الاولين والثالث
في معنى الاستثناء وقرأ ابن كثير ياتينني بنونين نون التاكيد والوقاية والاول احسن استغناء بالمؤكدة
وعليه رسم المصاحف سوى المكي فمكث غير بعيد زمانا قليلا دل على سرعة عوده قرأ عاصم مكث بفتح
الكاف والضم اشهر وقصة الهدهد ان سليمان عليه السلام لما زار البيت الحرام سار على طريقة الملوك
غدوة الى جنوب اليمن وكانت الريح بحمل سريره وكانت كما اخبر الله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر فرأى
سليمان ارضا حسناء مخضرة الجنبات فنزل وطلب الماء وكان الهدهد يعرف منابط الماء بخاصية خصه الله
بها يرى الماء تحت الارض كما يراه احدنا في الزجاجة فتفقد الهدهد فلم يوجد وكان حين نزل سليمان راى
الهدهد واحدا من ابناء جنسه ذكرله ملك بلقيس وما اوتيت من الاسباب قيل كان تحت يدها اثنى عشر
الف قايد تحت كل قايد مائة الف فذهب معه لينظر صدق مقالته ولما تفقد سليمان الطير ولم ير الهدهد
فسال عريف الطير عنه وهو النسر فلم يعلم خبره فقال لملك الطيور وهو العقاب علي به حيث كان فارتفع العقاب
الى الجو فرآه مقبلا فانقض عليه فقال الهدهد ناشدتك الله الذى اقدرك علي واعطاك هذه القوة
الا ترحمني فقال ويلك يا هدهد ان نبي الله عليك غضبان وقد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قال بلى فلما
قرب من سليمان ارخى جناحه تواضعا فلما دنى منه اخذ برأسه ومده فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله
فارتعد سليمان فقال احطت بما لم تحط به الاحاطة ادراك التى من الجهات كلها بحيث لا يبقى خافية الهم
الله الهدهد هذا الكلام فكافح به سليمان ايقاظا له لئلا يظن انه ليس احد اعلم منه وجئتك من سبأ قرأ
ابو عمرو وابن كثير في رواية البزي بفتح الهمزة غير منون على انه اسم القبيله وفي روايه قنبل باسكان الهمزة
حملا للوصل على الوقف كما في يتسنه وعوجا وقرأ الباقون بكسر الهمزة منونا على انه اسم الحى وهو لقب لعبد
شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قيل سمي بذلك لانه اول من سبا وفي الحديث سال رجل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن سبأ اهو رجل ام جبل ام واد فقال بل رجل ولد عشرة الاسد وحمير وكنده وانمار والاشعرون
وتيامنوا لخم وجدام وغسان وعاملة وما في الاية اريد به الناحية التى كانت مساكنهم او القبيلة بنبأ
يقين اى بخبر مشتمل على العلم الذى لا شك فيه كرجل صدق بالاضافة ونبأ مع سبأ من الجناس الملحق انى وجدت
امراة تملكهم اى سبأ او اهلها وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان الملك في آبائها اربعين جدا
ولم يكن لابيها ولد ذكر فولوها الملك وفي الحديث لن يفلح قوم تولى عليهم امراة واوتيت من كل شيء من اسباب
الملك ولها عرش عظيم العرش سرير الملك قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمك ثمانين وكان من الذهب والفضة
مكللا بالجواهر وكانت قوايمه من ياقوت احمر واخضر وزمرد وعليه سبعة ابيات وعلى كل بيت باب مغلق وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله كانوا عبدة الشمس وزين لهم الشيطان اعمالهم من السجود لغير الله
وغيره من القبايح فصدهم عن السبيل عن طريق الحق فهم لا يهتدون الى الصواب بعد ذلك الصدا لا يسجدوا
لله بدل من اعمالهم اى زين لهم عدم السجود او عن السبيل ولا صله اى فصدهم عن ان يسجدوا او مفعول يهتدون

الحديث لا يدخل احدكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته

تيامنوا

قاله لما سمع ان المجوس ولوا عليهم بنت كسرى

ولاصلة

ولاصلة او مفعول له اى فصدهم لئلا يسجدوا او رفع خبر مبتدأ مقدر اى الاعمال ان لا يسجدوا او السبيل
ان يسجدوا وقرأ الكسائي الا يسجدوا بالتخفيف حرف التنبيه والمنادى محذوف اى الا يا قوم وعلى هذا
تم الوقف على يهتدون قيل على هذا هو ابتداء كلام من الله تعالى او من سليمان وقيل هو من تمام
كلام الهدهد والتشديد اوجه لسلامته عن الحذف وعليه صريح الرسم ويفهم وجوب السجود على الوجهين
اما من الامر او الذم على الترك الذى يخرج الخبأ في السموات والارض الخبء مصدر بمعنى المفعول وهو النبات
من الارض والمطر من السماء وغيرهما من الاشياء المستورة في غامض علمه ويعلم ما تخفون وما تعلنون
قرأ حفص والكسائي بالخطاب فيهما اما الكسائي فقد جرى على النسق الاول لان المنادي مخاطب واما حفص
فعلى الالتفات تهديدا الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذى يستحقر دونه عرش بلقيس كلام مستأنف
للدلالة على استحقاقه العبادة دون غيره لتفرده بالالوهية قال سننظر سنعلم لان النظر من اسباب العلم او
سنتامل ونفتش اصدقت ام كنت من الكاذبين ام كذبت والعدول الى المنزل للمبالغة لانه اذا كان
منخرطا في سلك الكاذبين يكون كاذبا لا محاله اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم اى اليها ومن تحت
حكمها قرأ عاصم وابو عمرو وحمزة باسكان الهاء ثم تول عنهم الى مكان قريب ليكونوا بمسمع منك فانظر ماذا
يرجعون يرجع بعضهم الى بعض القول اى يدفعه عند التشاور وهو من الرجعان اى ما يستقر عليه آراؤهم
قالت يا ايها الملؤا اى بعد ما ذهب والقى اليهم الكتاب انى القى الى كتاب كريم وصفته بالكرم لانه كان من
ملك دانت له الانس والجن والوحش ولشرف معناه وحسنه اولانه مصدر باسم الله اولانه مع وجازته
كان وافيا بالمقصود اولكونه مختوما وفي الحديث كرم الكتاب ختمه وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا
ولم يختمه فقد استخف به انه من سليمان مستأنف جوابا كانه قيل ممن هذا الكتاب الكريم ثم بين مضمونه
بقولها وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي واتوني مسلمين واذا كان قولها انه من سليمان
بيان عنوان الكتاب سقط سؤال تقديم اسمه على اسم الله قيل القى الكتاب اليها من الكوة وهى نايمة مغلقة
عليها الابواب وقيل القى اليها وهى على العرش جالسة وحولها الملوك والقادة والجنود فان قلت
الدعاء الى الله من الانبياء انما يكون بعد اظهار المعجزة فكيف استفام هذا من سليمان قلت الدعاء الى الاسلام
لا يتوقف على اظهار المعجزة وانما يجب الاظهار اذا طولب به مع ان مجيء الطير بالكتاب على الوجه المذكور من ابهر
المعجزات قالت يا ايها الملؤا افتوني في امري في شاني وما ينبغى من جواب الكتاب الفتوى والفتيا جواب
الواقعة من الفتاء وهو حداثة السن ومن الفتوة وهو الارتفاع لان الناس يترافعون له الى الفقيه ما كنت
قاطعة امرا حتى تشهدون كما هو دأب الملوك لا يعزمون على شيء الا بعد المشاورة مع ذوى الاراء قيل كان
اهل مشورتها ثلثمائة ملك كل ملك تحت يده عشرة آلاف قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والالات والعدد
واولوا باس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك بعد هذا فانظرى تأملي ماذا تامرين فانا منقادون له قالت
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها بالقتل والاسر وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وقتل اولادهم
وتخريب ديارهم وكذلك يفعلون اى ذاك دابهم المستمر كانت تعلم ذلك من المشاهدة والسماع لانها كانت
ملكة بنت الملوك او ابتداء كلام من الله تعالى بين كلاميها تصديقا لها وانى مرسلة اليهم بهدية سنية تليق
بالملوك فناظرة بم يرجع المرسلون من اخباره واحواله فابنى على ذلك من الحرب والصلح ما كان اوفق فلما جاء
سليمان قيل ارسلت برسم الهدية خمسمائة غلام في زي الجوارى وخمسمائة جارية في زي الغلمان وحقه فيها
دره عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا راى وقالت ان كان نبيا
يفرق بين الجوارى والغلمان ويثقب الدرة ثقبا مستويا ويسلك الخيط في الجزعة فاخبره جبرئيل بذلك
فامر الجن فضربوا اللبن من الذهب والفضة وفرش بها ميدانا طوله سبعة فراسخ وامر السياس فربطوا الدواب حول

الميدان على فرش الذهب والفضة وامر با ولاد الجن فاقيم فى اليمين واليسار منهم خلق كثير واصطفت الانس
والشياطين فراسخ وجلس على الكرسى ثم استعرض الرسل فوقفوا بين يديه بالهدية فامر باحضار الماء وامر
الغلمان والجوارى بان يغسلوا وجوههم فكانت الجارية تاخذ الماء فى احدى يديها وتصبه فى الاخرى ثم تضرب
بها وجهها والغلام كما ياخذ الماء يضرب به وجهه ثم طلب الحق وقال ان فيه كذا وكذا ثم استخرج الدرة وامر الارضة
فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها فى الشجر وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط بفيها ونفذت فى الجزعة ثم نظر
فى وجه الرسل بوجه طليق فال اتمدوننى بمال منكرا عليهم ذلك قرأ حمزة بنون واحدة مدغما وهو اخف و
الرسم على الاصل فما آتانى الله من الدين الذى هو الحظ الاوفر والنبوة والملك الذى لا مزيد عليه خير مما
آتيكم من بعض الحطام بل انتم بهديتكم تفرحون اى بما يهدى اليكم من اضافة المصدر الى المفعول او الى الفاعل
والمعنى انتم تفرحون بهذه الهدية مفتخرين بها على الملوك او تفرحون بها اذا اردت اليكم لانكم لا
تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا ارجع اليهم خطاب للمنذر بن عمرو رئيس الرسل وقيل للهدهد محملا كتابا
آخر فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم فعل بمعنى المقابلة وفى الحديث ان الله تعالى خلق آدم وكلمه
قبلا اى مقابلة ولنخرجنهم منها اذلة كما قالت وجعلوا اعزة اهلها اذلة وهم صاغرون والحال
انهم مستمرون على الذل فى الاسر يتمنون ان يكونوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا قال يا ايها الملأ ايكم
يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين اراد ان يريهم ما خصه الله تعالى به من المعجزات الظاهرة والعجايب
الباهرة وما قيل انه اراد ان ياخذ العرش قبل اسلامها فانها اذا اسلمت لا يحل اخذه ففيه ان الغنايم
مخصوصة برسول الله وامته قال عفريت من الجن خبيث مارد من العفر وهو التراب لانه يعفر اقرانه
والتاء فيه للالحاق بقنديل انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك اى مجلسك للحكومة وكان يجلس الى
نصف النهار وانى عليه لقوى على حمله امين لا اخون فى شيء منه فانه كان مكللا بالجواهر قال الذى
عنده علم من الكتاب هو سليمان نفسه واثر ما فى النظم على سليمان اشارة الى ان بلوغه تلك الرتبة
انما هو بشرف العلم انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك تحريك الجفن وهو مقدمة النظر كما انه
مقدمة الرؤية والخطاب للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك وقيل القائل جبرئيل او آصف بن
برخيا وزير سليمان او كاتبه او رجل كان عنده الاسم الاعظم او هو الخضر فلما رآه مستقرا عنده
قائما على هيئته بين يديه قال هذا من فضل ربى تلقيا للنعمة بالشكر ليبلونى ليعاملنى معاملة المختبر
ءاشكر ام اكفر بدل من الياء وقد انسلخ عنه الاستفهام ومن شكر فانما يشكر لنفسه اذ بالشكر يرتبط
العتيد ويستجلب المزيد ولذلك قيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للمفقودة ومن كفر فان ربى
غنى عن شكره كريم لا يعاجله بالعقوبة ولا يقطع عنه بره وافضاله قال نكروا لها عرشها غيروه عن
هيئته بان تجعلوه اسفله اعلاه ومقدمه مؤخره ننظر جواب الامر اتهتدى ام تكون من الذين
لا يهتدون الى معرفته او الى الجواب الصواب وانما غير الاسلوب بعدام المعادلة لان معرفة الشئ
بعد تغير هيئته عزيز عسير على ذوى الفطانة وكانت قد ذكرت لسليمان بسخافة العقل او الى الايمان
اذ ارادت العرش قد تقدمها وكانت قد غلقت عليه الابواب ووكلت به الحرس فلما جاءت قيل
اهكذا عرشك القائل سليمان او احد الحاضرين ولم يقل اهذا عرشك بل اتى بكاف التشبيه اختبارا
لعقلها قالت كانه هو لم تجزم به لاحتمال ان يوجد الله مثله فدل ذلك على كمال عقلها واوتينا العلم
من قبلها وكنا مسلمين عطف على مقدر كانه لما اصابت فى الجواب اثنوا عليها وقالوا معترفين بما
افاض الله تعالى عليهم من العلم والايمان قبل ايمانها وبما فضلوا به على مثلها او من كلامها كانها
قالت قبل هذه الواقعة قد صح عندنا نبوة سليمان وقدرة الله تعالى على كل شئ وصدها ما كانت

نقله الكشاف عن قتادة ولا يصح منه

تعبد من دون الله على التقدم الى الاسلام ابتداء كلام منه تعالى او صدها الله او سليمان عما كانت تعبد
من دون الله على نزع الخافض انها كانت من قوم كافرين استيناف جار مجرى التعليل على الوجهين قيل
لها ادخلى الصرح الصرح القصر المرتفع من الصراحة وهو الظهور واما عرصة الدار فالصرحة بالتاء فلما
رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روى ان سليمان امر الجن قبل قدومها ببناء قصر من الزجاج واجرى
تحته الماء والقى فيها دواب البحر ما لما قيل له انها شعراء الساقين وفى عقلها شئ فاختبر عقلها بتنكير
العرش وساقيها باتخاذ الصرح على الوجه المذكور واراد ان يريها عظم ملكه وامرا غريبا لم تره فى ملكها ويحققها
بان لبس عليها كما لبست هى عليه فى الجوارى والغلمان فاهتدى هو ولم تهتد هى فظهر له الفضل من كل وجه
وقرأ ابن كثير فى رواية قنبل الساق بالهمز على انها لغة كالواو وحملا للمفرد على الجمع وهو سؤق او على نظيره
وهو الكأس قال انه صرح ممرد من قوارير كان جالسا على السرير فى صدر القصر فلما نظر الى ساقيها ولم يكن بهما
باس اخبرها بالواقع الممرد الاملس قالت رب انى ظلمت نفسى بعبادة غيرك او بظنى بسليمان فانها لما ظنت الزجاج
لجة تخيلت انه اراد قتلها بالغرق وقيل انها كانت من جنية فكره الجن ان يتزوجها لئلا يطلع سليمان على اسرار
الجن واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اثرت لفظ الجلالة الدالة على الالوهية الموجبة لعبادته ولقد
ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه فاذا هم فريقان يختصمون ففاجئوا الاختصام
والفرقة منهم من آمن به ومنهم من كفر كما هو شان الرسل فى اول البعثة او المؤمن صالح والكافر قومه
والوجه هو الاول لقولهم اطيرنا بك وبمن معك والخصام التنازع قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة
اى بالعذاب قبل الايمان حيث قالوا يا صالح ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وقيل كانوا يقولون
ان وقع ما يعدنا به صالح آمنا فخاطبهم على وفق اعتقادهم ثم قال لولا تستغفرون الله قبل نزول العذاب
لعلكم ترحمون اذ حين وقوع العذاب لا ينفع الايمان والتوبة قالوا اطيرنا بك وبمن معك تشاءمنا بكم لوقوع
الشدايد منذ اخترعتم هذا الدين مأخوذ من زجر الطير وهو البارح الذى يمر من اليمين الى الشمال قال
طائركم عند الله اى مقدر من عنده ليس لاحد فيه تأثير بل انتم قوم تفتنون بالعقاب للسراء والضراء او بوسوسة
الشيطان اليكم التطير وكان فى المدينة تسعة رهط الرهط من الثلثة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة
وافراده وان كان تميز تسعة جمعا لاشتماله على معناه يفسدون فى الارض ولا يصلحون اى كانوا مقصورين
على الافساد البحت لا يخلطون به شيئا من الاصلاح قالوا تقاسموا بالله اى ليقسم بعضكم لبعض على انه امر
ويحتمل الحال بتقدير قد على انه ماض لنبيتنه اى لنهلكنه واهله بالليل مباغتة انتهازا للفرصة وعن
الاسكندر انه قيل فى بيات العدو فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر ثم لنقولن لوليه قرأ حمزة و
الكسائى بتاء الخطاب فى الفعلين على ارادة قول بعضهم لبعض والنون اوفق بقوله ما شهدنا مهلك اهله
اى نقسم على عدم حضورنا ذلك فضلا عن المباشرة قرأ السبعة الا عاصما بضم الميم على انه مصدر اهلك او اسم
مكان منه وفتح الميم مع اللام عاصم فى رواية شعبة على انه مصدر هلك او اسم مكان منه وكسر اللام فى
رواية حفص على المصدر او اسم مكان على غير القياس كالمرجع وانا لصادقون والحال انا لصادقون فى الحلف
لانا لم نشاهد هلاك اهله وحدهم وتاهت بقبح الكذب ان الكفار مع كفرهم احتالوا فى الاجتناب
عنه ويجوز ان يكون داخلا فى المقسم عليه فلا يحتاج الى التكلف ومكروا مكرا هو ما دبروه ومكرنا مكرا
من باب المشاكلة وهم لا يشعرون ان ما دبروه وباله عايد اليهم وذلك انهم دخلوا دار صالح بالليل وكانت
داره مملوءة بالملئكة فقتلوهم عن آخرهم وقيل خرجوا بالنهار يظهرون السفر وعادوا بالليل فتسوروا
جدران داره فرشقهم الملائكة بالحجارة فقتلتهم وقيل كان لصالح مسجد فى الشعب يصلى فيه بالليل فلما
دخلوا الشعب قاصدين قتله ليعودوا بعد قتله الى اهله فارسل الله عليهم صخرة فطبقت عليهم فلم يدر

ذكره الكشاف وسدا القول منقول عن قتادة وذهبى وليس له اصل منه

احدا ين ذهبوا ولم يدروا ما يفعل بقومهم فعذب الله تعالى كلا في مكانه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
يا محمد او يا من يتاتى منه النظر انا دمرناهم وقومهم اجمعين استيناف لبيان عاقبتهم وكان اما تامة او
ناقصة كيف خبرها وقرأ الكوفيون انا بفتح الهمزة على ان كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حال او ناقصة وكيف
خبرها او حال والخبر انا او بدل من الفاعل اى كان تدميرنا او خبر مبتدأ مقدر فتلك بيوتهم خاوية نصب على الحال
والعامل فيه معنى الاشارة اى خالية من خوى البطن او ساقطة من خوى النجم خيا اذا سقطت ولم يمطر
في نوءها بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لاية لقوم يعلمون حقائق الاشياء فانهم المتعظون وانجينا الذين
آمنوا وكانوا يتقون احدثوا الايمان واستمروا على ذلك ولوطا اذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا
عليه اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على الثاني اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون اى يبصر بعضكم بعضا
كقوله وتاتون في ناديكم المنكر ولا شك ان الجهر بالمعصية اشد فحشا روى ان بعض اكابر الاشراف كان له ابن
يجاهر بالخمر فقال يا بني الم تسمع قول الحكيم اذا ابتليتم فاستتروا فقال في جوابه يا ابتاه اهنى عبادة حتى يكون في الخلوات
وقد الم به ابو نواس حيث قال فبح باسم من تهوى وذرني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر او وانتم
عالمون من بصر القلب فان قبح الذنب من العالم اشد ائنكم لتاتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم بالفاحشة
وتعليله بالشهوة اشارة الى انه من فعل البهايم لان الحكمة في المواقعة طلب النسل وقضاء الوطر داع اليه ومقصود
بالعرض من دون النساء بل انتم قوم تجهلون مستمرون على فعل القبيح كمن يجهل قبحه او تجهلون العاقبة وايثار
الخطاب والموصوف هو القوم لبكافحهم بالجهل فانه اشد توبيخا فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط
من قريتكم انهم اناس يتطهرون عن افعالنا ويستقذرونها وعن ابن عباس انما قالوا ذلك هزوا كما قال
قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين الباقين في العذاب وامطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مطرهم قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى لما قص عليه ما انعم على
اخوته من الرسل من الاصطفاء بالرسالة واهلاك اعدائهم امره بان يحمده على تلك النعمة شكرا له تعالى
اشارة الى ان ما وصل اليهم وصل اليه فان المؤمنين كنفس واحدة فكيف بالانبياء وبان يسلم عليهم لحسن
اصطبارهم على شدايد ذى الجهال وقيامهم باعباء التبليغ وجعل ذلك تمهيدا للتخلص الى قصته مع المشركين ايما
الى ان العاقبة له تقوية لجاشه في اقامة البراهين على وحدانيته تعالى بقوله الله خير اما يشركون ساق الكلام
هذا المساق تبكيتا لهم والزاما وتنبيها على الخطأ المفرط والجهل المورط والا كيف يلتبس مكون الكاينات بالجمادات
امن خلق السموات والارض تفصيل لذلك الخير ام منقطعة وذكر السموات والارض تمهيد لقوله وانزل لكم من
السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة الحدائق جمع حديقة وهي البستان الذي له حايط من الاحداق وهو
الاحاطة وافراد ذات على ارادة الجماعة كقولك النساء ذهبت والبهجة الحسن من بهج بالضم ويجوز ان يكون
من بهج بالكسر بمعنى السرور لان صاحبها يسر بالنظر اليها وانما التفت الى التكلم في الانبات اشارة الى انه فعله الخاص
الذى لا يمكن اسناده الى غيره ولذلك اكده بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عما فيها من المنافع واصناف
الفواكه المختلفة لونا وطعما وشكلا ورايحة ولما اثبت الاختصاص به على الوجه الابلغ قال االه مع الله
بل هم قوم يعدلون منكرا ان يكون له شريك وجعل القائل بالشرك عادلا عن نهج الصواب او عادلا به من لا
يستحق امن جعل الارض قرارا مكانا يستقر فيه الحيوان بدل من امن خلق السموات ترقى الى ما هو اعظم من انبات
الحدائق بل لولاه لا يتم الانبات وجعل خلالها انهارا جارية وجعل لها رواسى جبالا ثابتة كالاوتاد تسكنها
من الاضطراب مع ما فيها من ساير المنافع وجعل بين البحرين حاجزا بين العذب والملح االه مع الله بل اكثرهم لا
يعلمون فلذلك يشركون به امن يجيب المضطر اذا دعاه حقق به اجابتهم عند الاضطرار ويكشف السوء والمضار
ترقى عما تقدم لكونه لصيقا بهم دون واسطة ويجعلكم خلفاء الارض تنتفعون بها على اى وجه شئتم مباشرة

واما

وامرا ونهيا وهذا اتم واجل موقعا ولذلك قال االه مع الله قليلا ما تذكرون فجعل الفاصلة
التذكر الذى لا يحتاج الا الى الالتفات للنفس امن يهديكم في ظلمات البر والبحر اذا سافرتم
فيها بالنجوم في السماء وعلامات في الارض ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وهذا من
متممات الخلافة لاشتماله على اجابة المضطر وكشف السوء وجلب المنافع الكثيرة وقرأ حمزة والكسائى
وابن كثير الريح بالتوحيد والكوفيون وابن عامر نشرا بسكون الشين وفتح نونه حمزة والكسائى وعاصم بالباء
مكان النون ونافع وابن كثير بضم النون والشين االه مع الله تقدر على شئ من ذلك ولما في ذلك من تاثير
القدرة القاهرة مع الجلاء قال تعالى الله عما يشركون امن يبدؤا الخلق ثم يعيده اضرب عن ذلك الاسلوب
الى ذكر نعمتى الايجاد والاعادة اللتين كل نعمة دونهما وهما مبدأ كل نعمة في الدارين والكفرة وان كان
بعضهم منكرا للاعادة الا انه لظهور الادلة بحيث لا يعتد بانكاره فهو محجوج ومن يرزقكم من السماء والارض
اجمال لما تقدمه كتفذلكة لقصته االه مع الله تفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على شئ يخالف ما ذكرنا ان كنتم
صادقين في اشراككم تسجيل عليهم بالكذب وان ما تقولون مختلق وهو النفس قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله اشار الى انه كما تفرد بالقدرة التامة كذلك متفرد بالعلم الشامل والاستثناء منقطع
ورفعه على اللغة التميمية لظهور انه تعالى منزه عن المكان والحيز وايثار الرفع للدلالة على انه تعالى
ان كان ممن في السموات والارض ففيهم من يعلم الغيب مبالغة في نفى علم الغيب عنهم ويجوز الاتصال بضرب
من التاويل اى من تعلق علمه بها واطلع عليها فانه عام فيه تعالى وما يشعرون ايان يبعثون اى وقت بعثهم
الذى هو اهم الامور عندهم تاكيد لنفى علم الغيب عنهم وايان بمعنى متى فعال من آن بئين والضمير لمن بل
اداراك علمهم في الاخرة افتعال من الدرك وهو الوصول واللحوق وهى قراءة نافع وابن عامر والكوفيين
والمعنى ان ما تتابع علمهم به واستحكم بمعنى استحكام اسبابه وظهور دلايله ان القيمة كائنة لا محالة وهم
عن ذلك معرضون لا علم لهم فاين هم من علم الغيب وقرأ ابن كثير وابو عمرو ادرك على وزن اكرم اى انتهى
وتكامل والمعنيان متقاربان ويجوز ان يكون الكلام على سبيل التهكم لانهم اذا لم يعلموا ما دلت عليه الحجج
فهم عن علم الغيب بمراحل وما روي عن الحسن ان معنى ادرك علمهم اضمحل يناسب التهكم لان ماله النفى
عليهم بل هم في شك منها متحيرون لا يجزمون بشئ بل هم منها عمون لا يدركون شيئا من دلايلها و
الاضرابات الثلث لبيان احوالهم وصفهم اولا بعدم الشعور بوقت البعث ثم ترقى الى انهم لا يقرون بالاخرة
راسا ثم الى انهم خابطون في شانها خبط عشواء ثم الى ما هو اسوء حالا وهو عمى البصيرة وقيل باعتبار
العرف وهذا مختص بالمشركين واسناده الى من في السموات والارض لوقوعه بينهم كما يقال بنو فلان
فعلوا كذا وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون اثر الظاهر موضع المضمر اشارة الى ان
منشأ ذلك العمى كفرهم ولذلك كانت هذه الاية كالبيان للاولى والعامل في اذا معنى الاخراج الذى
دل عليه مخرجون لا هو لان الاستفهام وان واللام كل منها مانع من العمل فكيف بها مجتمعة لقد وعدنا
هذا نحن وآباؤنا من قبل اى قبل محمد والمشار اليه البعث قدم هذا على نحن وآخره في سورة المؤمنين
لان ما قبله هناك ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ففيه دلالة على بقاء بعض الاجزاء على صورتها واما هنا
فلا دلالة على ذلك وقد ضموا الى انفسهم آباءهم ولا شك ان هذا ابعد عندهم فاستلزم زيادة الاعتناء
فصار اهم بالتقديم ان هذا الا اساطير الاولين اكاذيبهم الذى لا حقيقة لها كالاسمار قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اى المكذبين والتعبير بالاجرام ليكون لطفا بالسامعين في ترك الجرايم
ولا تحزن عليهم لعدم اتباعهم اياك ولا تكن في ضيق في حرج صدر قرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما
لغتان مما يمكرون لاجل مكرهم فان الله عاصمك ويقولون متى هذا الوعد اى العذاب الموعود استعجالا

منهم ان كنتم في قولكم ان لم تؤمن نعذب قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي تبعكم
كل شيء تبع اخر فهو ردفه ومن ثم سمي الليل والنهار ردفين واردف لغة منه قال اذا الجوزاء اردفت
الثريا وعسى ولعل وسوف في كلام الملوك يدل على الوقوع قطعا والمراد ما وقع عليهم يوم بدر من القتل
والاسر وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون نعمة الامهال ويستعجلون العذاب
وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون من المكايد وانواع المكر تسلية لرسوله وتقوية لجاشه بعد ان قدم
قوله ولا تكن في ضيق مما يمكرون وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين برهان على احاطته بما
تكن صدورهم لانه من جزئيات ذلك الغائب والتاء للمبالغة كما في الراوية وللنقل من الوصفية الى الاسمية
كما في الذبيحة والنطيحة والوجه الاول والكتاب المبين اللوح او علمه الشامل ان هذا القران يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون لما كان القرآن اعظم معجزاته وكان الاعجاز فيه من وجوه اشار الى الوجه الذي
هو اعرق في الاعجاز وهو الاخبار عن احوال الكتب السماوية فان المنزل عليه امي لم يزاول دراسة الكتب
وما اختلفوا فيه احوال الجنة والنار وامر عيسى وعزير وقيد بالاكثر لان بعضه باطل في بادي الراي فلا
حاجة الى ابطاله وانه لهدى ورحمة للمؤمنين لانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين من آمن ومن كفر
بحكمه اي بعدله او بحكمته وهو العزيز الغالب فلا يرد قضاؤه العليم بالامور كما هي فتوكل على الله بعد ما تبين
انك رسول بالكتاب الذي هو ابهر معجزاتك انك على الحق المبين علة للتوكل فان صاحب الحق مؤيد انك
لا تسمع الموتى كلام مستانف تسلية لرسول وانه قد بلغ الرسالة فلا عليه بعد ذلك فانهم مختوم على قلوبهم
شبه حالهم بحال الميت حيث لا يسمعون سماع تدبر وقيل تعليل ثان للامر بالتوكل كانه قيل اتباعهم اياك
امر قد ايس منه فلم يبق الا الاستظهار عليهم واستكفاء شرورهم **فان قلت** روى البخاري ان رسول
الله وقف على قليب بدر ونادى القتلى باسمائهم وقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني
ربي حقا فقال عمر تنادي اجسادا لا ارواح لها فقال ما انتم باسمع منهم ولكن لا يقدرون على الجواب فكيف التوفيق
بينه وبين الاية **قلت** بناء الكلام هنا على المتعارف تسلية لرسول الله الا يرى انه قد شرع السلام على المقابر
واذا كان له احساس بالعذاب فما المانع من السماع ولا تسمع الصم الدعاء قرأ ابن كثير يسمع بياء الغيبة مضارع
سمع ورفع الصم والباقون بالخطاب من اسمع مسندا الى النبي وهو اوفق بالمقام واقوى معنى اذا ولوا مدبرين
فان اسماعهم في تلك الحالة ابعد وفيه اشارة الى غاية بعدهم عن الايمان وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم لان اهتداء الاعمى مستحيل قرأ حمزة تهدي العمي بالفعل المضارع ونصب العمي ان تسمع الا من
يؤمن باياتنا فانه يسمع سماع تدبر ونظر نظر اعتبار فهم مسلمون مخلصون ظاهرا وباطنا واذا وقع القول
عليهم استوفى دلائل التوحيد والمبدأ والمعاد ونبوة المخبر الصادق فاض في بيان احوال القيمة وايات
الساعة والقول هو الوعد بقيام الساعة ومعنى وقوعه ثبوت معناه ووجوبه اخرجنا لهم دابة من
الارض اي دابة عظيمة المنظر والشان وقد ذكر في وصفها اشياء والذي صح في الحديث انها دابة طولها ستون
ذراعا ذات قوائم اربع فيها الوان الحيوانات ينصدع جبل الصفا فتخرج منه والناس سايرون الى منى وفي
رواية تخرج من ارض الطائف معها عصا موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب بالعصا
في وجه المؤمن تكتب فيه مؤمن وتطبع وجه الكافر بخاتم سليمان تكتب فيه كافر تكلمهم يا فلان ويا فلان
بلسان عربي وقيل ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون كلامها عند خروجها يحكي كلام الله الدال على وقوع آيات
الساعة التي هي منها او هو كلامها حكاه الله تعالى بتقدير حذف المضاف اي بايات ربنا او لكونها من خواص
خلقه اضافت الايات الى نفسها كما يفعله خواص الملوك من اضافة ما للملوك الى انفسهم وقرأ الكوفيون ان بالكسر
استينافا جاريا مجرى العلة ويوم نحشر من كل امة فوجا جماعة ممن يكذب باياتنا بيان للفوج ومن الاولى

حادقين ،

او
طعنته بالة قاطعة الطوبا ،

الله

غير

للتبعيض فهم يوزعون يحبسون ليلحق بهم اواخرهم والمعنى ان الله يحشر من كل امة رؤساءها بين يديهم
الى شفير جهنم حتى اذا اجتمعوا كبكبوا كلهم فيها وعن ابن عباس رضي الله عنه ابو جهل والوليد بن المغيرة
وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي مشركي مكة حتى اذا جاؤا الى المحشر قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا
بها علما الواو للحال اي كذبتم باياتي مفاجاة من غير تدبر فيها ينطق لكم انها جديرة بالتكذيب ام التصديق
او عاطفة اي جمعتم بين التكذيب وعدم النظر والتامل فيها فان من ورد عليه كتاب من صاحبه
وان لم يصدق بانه كتابه لا يقصر عن الاحاطة بما فيه فالمنكر في الوجه الاول التكذيب بادي الراي وفي
الثاني التكذيب وعدم القاء الذهن ام ماذا كنتم تعملون الظاهر ام صدقتم عدل الى المنزل دلالة على
انتفاء الشق الثاني وانه انما جيء به للتبكيت كانه قيل اهو ما عهد من التكذيب ام حدث امر آخر ولذلك
ادخل ام على ما الاستفهامية الدالة على الشك والتردد وضعا ووقع القول عليهم بما ظلموا اي العذاب
بسبب ظلمهم فهم لا ينطقون لشغلهم بالعذاب وهذا حين وقوع العذاب فلا ينافي محاجتهم قبله لقوله
انظر كيف كذبوا على انفسهم بعد قولهم والله ربنا ما كنا مشركين الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه
بالنوم والاستراحة والنهار مبصرا مجاز حكمي لان الابصار لمن في النهار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
سمهم الايمان والاستدلال باثار الصانع الدالة على وجوده ووجوبه وتوحده وذلك ان من قدر على ترتيب
الليل والنهار وابدال النور من الظلمة وبالعكس على هذا النظام والنمط قادر على ابدال الموت بالحيوة مع
ان النوم نوع من الموت والشمس روح العالم فاي دلالة اوضح من هذه الدلالات ويوم ينفخ في الصور هو القرن
الذي بيد اسرافيل وتمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في الارض
عبر بالماضي لتحقق وقوعه لكونه كلام من لا خلف في قوله الا من شاء الله بان ثبت قلبه قيل هم جبرئيل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء فانهم احياء عند ربهم
وقيل موسى ولا يستقيم الا اذا كانت نفخة الفزع نفخة الصعق على ان النفخات ثلث اذ ذاك بعد النفخة دل
عليه حديث لطم اليهودي وهي نفخة الفزع فانهم يموتون من شدة الخوف ونفخة البعث هذا ما ذكروه والظاهر
من لفظ يصعقون ويوم القيمة تفيق انه ليس بموت وكل اتوه اي الموقف بعد النفخة الثانية او الله بالانقياد
والرجوع اليه وقرأ حمزة وحفص اتوه على صيغة الفعل واسم الفاعل هو المختار لكون الاصل في الخبر الافراد
مع قوة المعنى داخرين صاغرين اذلاء وفي الحديث لم ير الشيطان احقر من يوم عرفة لما يرى من كثرة عفو الله
عن عباده الا ما كان من يوم بدر وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب اي
تسير سيرا حثيثا فان الاجرام الثقال اذا تحركت في سمت لا يكاد تظهر حركتها واليه اشار النابغة في وصف جيش
كنف بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله مصدر مؤكد لقوله تمر مر السحاب
وقيل مصدر مؤكد لناصب يوم ينفخ تقديره ويوم ينفخ في الصور اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع
الله اي الاثابة والعقاب وهذا انما يستقيم باعتبار امتداد ذلك اليوم الذي اتقن كل شيء احكمه انه خبير بما
تفعلون مستانف كانه قيل ماذا يكون بعد تلك الاهوال فقيل انه خبير بواطن افعالكم فيجازيكم على قدرها
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام عن ابن عامر يفعلون بياء الغيبة جريا على سنن اتوه والخطاب احسن لقرب
وترى الجبال ثم فصل ذلك المجمل بقوله من جاء بالحسنة فله خير منها اذ اقل ما يقابلها عشر امثالها الى سبعمائة الى
ما شاء الله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون اي من الخلود في النار على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
ان الحسنة هي كلمة الشهادة او الهول العظيم لقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر قرأ الكوفيون فزع منونا للتهويل بالابهام
وقرأ نافع والكسائي بفتح الميم في يومئذ لكونه مبنيا لاضافته الى المبني وهو احسن ومن جاء بالسيئة اي بالشرك
فكبت وجوههم في النار القوا فيها منكوسين ليكون اول ما يصل الى النار اشرف اعضائهم التي استكبروا

روى البخاري ان رسول الله قال لا تفضلوني
على موسى فاني اول من تنشق فاذا موسى
اخذ بساق العرش فلا ادري اخرج
صعقة الطور ام افاق قبلي منه
ولفظه ،

دالعض بالارض

لجاج يحاني اسم جمع مفرده لجاجة والهملجة سرعة
السير منه

ان يعفروها بالسجود لله وفي الكشب معنى اللزوم والازدحام ولذلك سميت الجماعة كبة هل يجزون الا
ما كنتم تعملون على الالتفات او تقدير القول وفائدته الاعلام بان الله ليس بظلام انما امرت ان اعبد
رب هذه البلدة الذي حرمها امره بهذا الكلام اشارة الى انه قد ادى ما عليه فلم يبق له شان الا الاستغراق
في العبودية التي هي اشرف صفات العبد وفي وصف البلد بالتحريم اشعار بانهم اولى بتعظيم قدره فانهم
سكانه وبه يفتخرون على ساير الناس واسم اشارة القريب للتعظيم وانما وصف ذاته تعالى دون البلدة
لان اجراء الوصف عليه تعالى يدل على عظم الوصف وعظم ما تعلق به الوصف ولا كذلك لو وصفت
البلدة وله كل شيء خلقا وملكا لا البلدة وحدها وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لاوامره المخلصين له
الدين وان اتلو القرآن وان اداوم على تلاوته لتظهر لي اسرار كنوزه او هو من التلو اي اتبعه لقوله واتبع
ما يوحى اليك فمن اهتدى بعد البيان الشافي فانما يهتدي لنفسه فان نفعه لا يتجاوزه ومن ضل فقل
انما انا من المنذرين لا غير فلا علي من وبال ضلالته شيء وقل الحمد لله على ما خصلت به من رتبة الرسالة
ووفقت لادائها سيريكم آياته القاهرة من القتل والاسر تهديد لهم فتعرفونها انها آياته لكونها من الخوارق
التي لا تقدر عليها غيره وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وعلى هذا لا تهديد وما
ربك بغافل عما تعملون وعد لمن آمن وشكر ووعيد لمن تولى وكفر قرأ نافع وابن عامر وحفص بالخطاب
جريا على الخطاب في سيريكم

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم
طسم اسم السورة او حروف مقطعة للايقاظ تلك آيات الكتاب المبين اي آيات السورة آيات الكتاب
الواضح اعجازه نتلو عليك بلسان جبرئيل من نبأ موسى وفرعون بعض نبأهما بالحق ملتبسا به او محقين لقوم
يؤمنون ليقوى بذلك جاشهم ويعلموا ان العاقبة لهم ان فرعون علا في الارض استيناف كانه
قيل كيف نبأوهما والارض ارض مصر لم يتجاوز حكمه منها وجعل اهلها شيعا فرقا تشيعونه فيما يريد ويطيعونه
او جعلهم اصنافا في خدمته عين لكل طائفة نوعا او جعلهم احزابا بان اغرى بعضهم على بعض والقى
بينهم العداوة لئلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم بني اسرائيل حال من فاعل جعل او صفة شيعا او كلام
مستانف يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل من يستضعف انه كان من المفسدين ولذلك كان يقتل
بلا فائدة لان الكاهن الذي اخبر انه يولد منهم مولود يكون ذهاب ملكه على يديه ان كان صادقا
فاي فائدة في قتل الاطفال وان كان كاذبا فبالاولى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ارض مصر عطف على قوله ان فرعون علا في الارض داخل تحت المنبأ به ولا يجوز عطفه على نتلو لاستلزام
خروجه عنه وهو منه بل اعظمه واهمه وكذا عطفه على يستضعف سواء جعل حالا عن ضمير جعل او
صفة لشيعا او كلاما مستانفا وقيل حال من ضمير يستضعف بناء على ان ارادة الله يجوز تعلقها بتكوين
شيء مترقب الوجود وفيه ان المضارع المثبت لا يقع حالا مع الواو وتقدير المبتدأ تكلف ونجعلهم ائمة تقتدي
بهم في الدين وعن قتادة ولاة لقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين ملك فرعون وقومه ونمكن لهم
في الارض ارض مصر والشام مكنت للشيء جعلت له مكانا ثم استعير في التسليط والاطلاق في التصرف ونري
فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون من زوال ملكهم على يد مولود من بني اسرائيل وقرأ
حمزة والكسائي يرى بفتح الياء والف ممالة مضارع رأى ورفع الاسماء الثلثة على الفاعلية والنون اشد
تهويلا واوفق بالافعال السابقة واللاحقة واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا وعن الامام الماتريدي
يجوز ان يكون بارسال ملك كما ارسل جبرئيل الى مريم وكلمها شفاها ان ارضعيه ما امكنك فاذا خفت عليه
فالقيه في اليم في نيل مصر ولا تخافي عليه ضيعة والخوف المثبت خوف القتل ولا تحزني لفراقه
الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لكائن او فائت انا رادوه اليك تسلية لها وجاعلوه

من المرسلين

من المرسلين ببشارة بما يملأها غبطة وسرورا روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى
بني اسرائيل وكانت مصافية لها فلما وضعته رات القابلة نورا ساطعا بين عينيه واحبته حبا شديدا
وقد تقدم في قوله تعالى والقيت عليك محبة مني انه لم يره احد الا احبه فقالت لام موسى كنت ما
جئت الا لاخبر فرعون بولادته ولكن دخل في قلبي حبه فاحتفظي به لئلا يراه عيون فرعون وسعاته
فاخفت شانه وارضعته ثلثة اشهر فلما الح فرعون في طلب المواليد اوحى الله تعالى اليها فجعلته في تابوت
والقته في اليم فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه الا ليكون لهم قرة عين لكن لما
لم يترتب على الالتقاط الا ذلك شبه بما يكون مقصودا وغرضا من الفعل فاستعير له اللام كما يستعار الاسد
لمن يشبه الحيوان المعروف في الجراءة وقرأ حمزة والكسائي حزنا بضم الحاء واسكان الزاي وهما لغتان والفتح
لغة الحجاز الشايعة ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين مستمرين على خلاف الصواب ويذرون
فليس ببدع منهم ان يربوا من يكون زوال ملكهم على يديه بعد ان قتلوا الوفا من خوفه او كانوا مجرمين
من الخطء وهو الاثم ولذلك عاقبهم الله بان ربى على يديهم من يكون سببا لهلاكهم فالكلام مستانف
للتعليل واللام على هذا جارية على اصلها كانه قال دبرتما دبر ليكون لهم موسى عدوا وحزنا لانهم
كانوا مجرمين احقاء بذلك وقالت امرأة فرعون قرت عين لي ولك اراد قتله قالت له ذلك وحرمته به
لانهارات منه مخايل النجابة وقيل كانت لفرعون بنت برصاء فعجزت الاطباء عن علاجها وقالوا استشفوا ما
من ريق حيوان في البحر يشبه الانسان فلما اخرجوه من البحر لطخوه بريقه فبرأت على الفور لا تقتلوه
الخطاب لفرعون والجمع للتعظيم او للموكلين بقتل الولدان عسى ان ينفعنا لما راوا فيه من دلايل اليمن اثر
النجابة ساطع البرهان او نتخذه ولدا نتبناه فانه يصلح لان يكون من اولاد الملوك وهم لا يشعرون
حال من آل فرعون اي التقطوه وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في ذلك وقوله ان فرعون اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه يؤكد خطاهم واصبح فؤاد ام موسى فارغا خاليا من العقل لما سمعت بوقوعه
في يد فرعون وفيه دليل على ان القلوب مراكز العقول ان كادت لتبدي به اي بام موسى من فرط
الوله والضجر لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر والقلب وسط الفؤاد وانما ذكر الفؤاد اولا لان فراغه يستلزم
فراغ القلب ولم يكتف به في الربط مبالغة في سلب القلق والاضطراب عنها واصبح فؤاد امه فارغا من الحزن
حين سمعت بان فرعون عطف عليه وابقاه وكادت تظهر شانه فرحا وسرورا لولا ان الله سكن جاشها واذهب
قلقها لتكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله حين قال لها انا رادوه اليك او لتكون واثقة بحفظ الله و
كلاءته لا يتبنى فرعون وقالت لاخته مريم قصيه تتبعي اثره لتعلمي ما تفعل به فبصرت به عن جنب فقصت اثره
فرأته من بعيد وهم لا يشعرون انها جاءت تقص اثره او انها اخته وحرمنا عليه المراضع من قبل قبل مجيئها
مجاز عن المنع فان من حرم عليه شيء فقد منع عنه والمراضع جمع مرضع وهي التي ترضع او مرضع اسم مكان او
مصدر فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون لا يقصرون في تربيته روي ان هامان قال
هذه تعرفه فقالت انما اردت انهم للملك ناصحون وما يقال ان مرجع الضمير مختص بلغة العرب ساقط لعدم الاختصاص
او لان فرعون كان من العمالقة وهم كانوا يتكلمون بالعربية فرددناه الى امه روي انها لما جاءت وجدت
موسى على يد فرعون يعلله فناولته منه والتقمه الثدي فقال فرعون من انت منه فانه ابى كل ثدي الا ثديك
فقالت اني امرأة طيبة الرائحة طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها والكلام في انها
كيف اخذت الاجر مبني على اختلاف الشرايع بل المذاهب في ذلك مختلفة او انه كان مال حربي كي تقر عينها
ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علما لا يزول معه الشبهة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعد الله حق فيرتابون
استدراك مما وقع بعد العلم وفيه تعريض بام موسى حيث اصبح فؤادها فارغا بعد سبق وعد الله تعالى او من العلم

لانه لا يصلح ان يكون حالا من فاعل جعل ولا صفة لشيعا وهذا ظاهر واما استئنافا فلانه لا يعقل ان يكون جوابا عما [illegible] منه

فيما يأتون،

ومقصد،

لان الروابط في سائر اللغات موجود الضمائر منه

اى ولتعلم ان الرد انما كان لهذا الغرض وهو علمها بصدق وعد الله وما عداه من قرة العين وذهاب
الحزن تبع ولما بلغ اشده المبلغ الذي لا يزيد عليه نماؤه وذلك اربعون سنه مفرد على وزن الجمع وعن
سيبويه جمع شدة واستوى اعتدل جسمه وعقله اتيناه حكما نبوة وعلما علم الشرايع واحوال الامم هذا اجمال
في القصة فلا ينافي كون نبوته بعد مراجعته من عند شعيب وكذلك نجزى المحسنين وكما جازينا
موسى وامه على احسانهم نجزى ساير المحسنين ودخل المدينة مدينة فرعون وهي مصر **فان قلت**
اين كان حتى قال دخل المدينه **قلت** كان هاجرهم يعبد الله خاليا كما كان يفعله رسول الله بغار
حراء ولا يدخل الا لضرورة مستخفيا ولذلك قال على حين غفلة من اهلها اى بين العشائين او وقت القيلوله
وقيل بل كان ايتا من قصر فرعون وقيل من الاسكندرية فوجد فيها رجلين يقتتلان يختصمان في الدين
هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما قبطي والاخر سبطي واسم الاشارة لتصوير الكاين في صورة الحاضر
فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى عليه السلام بعد ما دعاه الى الحق فلم يرعو
والوكز الضرب بجمع الكف وفي حديث المعراج فجاء جبرئيل فوكز بين كتفي فقضى عليه فقتله اصل القضاء
اتمام الشي قولا وفعلا قال هذا من عمل الشيطان اى قتل القبطي سماه عمل الشيطان لانه لم يكن مامورا بقتله
او لكونه مامونا بينهم وذلك لا يقدح في عصمته لانه كان خطأ لم يقصد بوكزه القتل واستغفاره وعده
ظلما وعمل الشيطان وتسمية نفسه ضالا على داب المقربين في عد المحقرات عظايم انه عدو للانسان مضل
مبين لا اشتباه فيه قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له بعد الاستغفار انه هو الغفور كثير الغفران
الرحيم وافر الرحمة قال رب بما انعمت على من المغفرة وغيرها لا توبن فهو قسم محذوف الجواب واستعطاف
اى بحق ما انعمت على اعصمني فلن اكون ظهيرا للمجرمين لمن اعانته تؤدى الى الاجرام كمظاهرة الاسرائيلي وقيل
اراد مظاهرة فرعون فانه كان يركب معه ويكثر سواده فاصبح في المدينة خايفا يترقب المكروه من الاستقفاد
وغيرها مما يقال فيه فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيث به على قبطي اخر يشاجره قال
له موسى انك لغوي مبين شديد الغواية ظاهرها لانك بالامس تسببت في هلاك رجل والآن تسعى
في هلاك اخر فلما اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى وللاسرائيلي قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا بالامس اى قال الاسرائيلي لما سماه غويا وهم بالبطش بعد وهما ظن انه يقصده فتم عليه او القبطي لما
سمع قول موسى للاسرائيلي انك لغوي مبين وكان قتل القبطي قد اشتهر ولم يعلم قاتله ففهم انه القاتل ان
تريد الا ان تكون جبارا في الارض تقتل الناس على الغضب وتتكبر لا تتواضع لامر الله وما تريد ان تكون من
المصلحين بين المتخاصمين فان شان المصلح الدفع بالاحسن لا قتل احد الخصمين وجاء رجل من اقصى المدينه يسعى يعدو
صفة رجلا وحال من رجل لانه نكرة موصوفة **فان قلت** في سورة يس وجاء من اقصى المدينه رجل يسعى
بتقديم الجار والمجرور على عكس ما وقع هنا فما وجه اختصاص كل بموضعه **قلت** الكلام هنا جار على اصله
وانما غير هناك لان مساق الحديث لبيان سوء معاملة اهل القرية الرسل فكان مظنة ان يتردد السامع هل
هناك من فيه خير ام الكل على الباطل فلذلك قدم ذكر الرجل الداعي الى اتباع الرسل قال يا موسى ان الملأ
اى اشراف قوم فرعون يأتمرون بك اى يتشاورون لاجلك الايتمار التشاور لان كلا من المتشاورين يأمر
صاحبه بما يظهر له من الرأى ليقتلوك قصاصا عن القبطي الذي قتلته فاخرج انى لك من الناصحين اللام
للبيان كما في هيت لك وليست صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم على الموصول فخرج منها من مصر خايفا
يترقب اللحوق به قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني من شرهم ولما توجه تلقاء مدين صوبه وما يحاذيه
مأخوذ من اللقاء ومدين قرية شعيب سميت باسم بانيها مدين بن ابرهيم وبينها وبين مصر ثمان او سبع مراحل
قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اى الطريق السواء والسواء العدل الذي لا انحراف فيه كان قاصدا مدين

وسعفا الثانى وان كان صورته
قسما الا انه ليس بقسم حقيقة
وجوابهم اقسمت عليك
لتفعلن كذا توشيـ منه

ولم يعرف

ولم يعرف الطريق وقيل لم يكن قاصدا لمكان معين بل اخذ طريقا يوصله الى اي بلد كان فسنح له ثلث طرق
فاخذ في اوسطها فجاء الطلب في اثره فاخذوا في الاخيرين ولما ورد ماء مدين بئرا لهم معروفا يقال
وردت الماء اذا جئت للشرب والورد بكسر الواو ذلك الماء وجد عليه اى على مكان قريب منه امة
من الناس جماعة من ناس مختلفين يسقون اى مواشيهم ووجد من دونهم اى في ادنى مكان منهم
امراتين تذودان تمنعان اغنامهما عن الورود حذف المفعول لمجرد الاختصار وقيل لان الفعل هو المقصود
وذلك لان الترحم انما كان لكونهما على الذود واما ان مذودهما غنم او غيره فلا دخل له في ذلك وهذا
اذا لم يلاحظ اضافة المفعول واما اذا لوحظ فلا شك ان ترحمه انما كان لكونهما على ذود غنمهما والقوم
على سقي مواشيهم حتى لو كان القوم على سقي غنمهما وهم على ذود مواشيهم لم يكن للترحم وجه قال
ما خطبكما اى ما الموجب لمنعكما الخطب الامر المهم الذي يقع الخطاب في شانه قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء
الصدر بفتح الدال الرجوع بعد الورود وقرأ نافع وابن كثير والكوفيون بضم الياء وكسر الدال من الاصدار وهو
رد المواشي بعد الايراد والفتح اولى لان الغاية رجوع القوم لا رد المواشي وبسلامته عن الحذف وابونا شيخ
كبير لا يستطيع الخروج للسقي فيه استعطاف ودفع لما توهم من العار في استرعاء العواتق فانه مخل بالمروءة
فسقى لهما ثم تولى الى الظل ظل سمرة فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير اى لاى شئ انزلته من قليل
وكثير محتاج وانما عدى الفقر باللام لتضمينه معنى السؤال قيل ما قال هذا الكلام الا وكان يرى خضرة البقل
في بطنه من الهزال او المعنى انى لاجل ما انزلت الى من المعرفة بك وبصفاتك صرت فقيرا من خير الدنيا
فعلى هذا يكون تبجحا منه وسرورا بحاله كما هو دأب النفوس المقدسة فجاءته احديهما تمشى على استحياء على
وجه الحياء والخفر مصونة رأسها كما هو دأب العواتق لا سيما بنات الانبياء قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما
سقيت لنا لم يكن اجرا حقيقة بل ارادت المكافاة على الاحسان ولو كان اجرا لم يقدح في كمال موسى لانه كان
محتاجا وقيل بل لم يتناول طعامه لما قدمه اليه وقال انا اهل بيت لا ناخذ على المعروف عنا فقال شعيب
كذلك عادتنا مع كل وارد علينا فلما جاءه وقص عليه القصص مصدر كالعلل بمعنى المقصوص اى ما جرى من امره
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين فرعون وقومه فان حكم فرعون لم يتجاوز بلدة قبطا قالت احديهما وهى
التى دعته الى ابيها وهى الكبرى واسمها صفرا واسم الصغرى صفيرا يا ابت استاجره لرعى الغنم ان خير من استاجرت
القوى الامين قال ابوها من اين علمت قوته وامانته قالت اما قوته حيث رفع الحجر من راس البئر وحده وكان
لا ينقله الا جماعه واما الامانه فانى كنت امشى امامه فقال امشى خلفى وانعتى لى الطريق وانما جعل خيرا اسم ان
مع كون القوى الامين اعرف عناية بخيرية الاجير وآثر الماضى دلالة على انه امر مجرب معروف وعن ابن
مسعود رضى الله عنه افرس الناس ثلثه صاحب يوسف حيث قال عسى ان ينفعنا وبنت شعيب وابو بكر
حين استخلف عمر قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرنى ثماني حجج اى نفسك ثماني سنين
جمع حجة سميت السنة بها لاشتمالها عليها وهذا كان مؤامرة بينهما لا نكاحا واما اجارة الحر في المهر قال به الشافعي
ومنعه ابو حنيفه رحمهما الله ولعل الشرايع في ذلك مختلفة او كان المهر شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعى غنمه
لامانته وقوته فان اتممت عشرا فمن عندك تفضلا وهذا يدل على ان المهر كان اجارة نفسه وما اريد ان اشق
عليك بان الكلفك ما يوقعك في التعب وبحرجك وهذا شان الانبياء في امورهم ومعاملاتهم وعن السايب
بن يزيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يدارى ولا يمارى ولا يشارى ستجدني ان
شاء الله من الصالحين الوافين بالعهد مع حسن المعاشرة ولين الجانب قال ذلك بيني وبينك اى الذى شارطتني
عليه قايم بيننا لا اخرج عنه انا ولا تخرج انت ايما الاجلين قضيت فلا عدوان على بطلب الزيادة اى كما انى ان
قضيت اطول الاجلين لا اطالب بالزيادة فكذا ان قضيت اقصرهما لا تطالبني بالزيادة والله على ما نقول وكيل

الاول لصاحب المنتهى والثانى
طريق الشيخ عبد القاهر والثالث منه

المشاته الملاحه
حم
شارى اى لاح وقيل احلاث سارر
قلبت الراء ياء منه

شاهد حنيط فلما قضى موسى الاجل طول الاجلين رواه البخارى روى ان شعيبًا كان عنده عصى
الانبياء فامر موسى ان يدخل البيت وياخذ احديها فدخل فخرج بواحدة وكان شعيب قد كف
بصره فمسها فوجدها العصا الذى هبط بها آدم من آس الجنة فقال ردها وخذ غيرها فردها سبع
مرات فلم يقع فى يده غيرها وعن الكلبى انها كانت من الشجرة التى نودى منها شجرة العوسج وعن الحسن
ماكانت الا عصًا من الشجر اعترضها اعتراضًا ولما اصبح قال له شعيب اذا وصلت الى مفرق الطريق
فلا تاخذ ذات اليمين لان هناك تنينا اخاف عليك منه فلما وصل اخذ الغنم ذات اليمين فلم تقدر
على كفها فتبعها فاذا بريف وارف لم ير مثله فنام موسى فاقبل التنين فحاربته العصا فقتلته فاستيقظ
موسى فابصر العصا دامية فرجع الى شعيب واخبره الخبر ففرح بذلك وعلم ان لموسى وللعصا شانا ثم
قال انى وهبت لك نتاج غنمى هذا العام كل ادرع ودرعاء فجاء النتاج كله على الصفة المذكورة فوفى
له بالشرط وسار باهله قاصدًا مصر وكان بها هرون واخته مريم وامه وسايرا قربائه آنس من جانب الطور
نارًا اى من الجهة التى فى صوب الطور الايناس الابصار فى الموضع الذى لا يعهد قال لاهله امكثوا انى
آنست نارًا لعلى اتيكم منها بخبر بخبر الطريق اوجذوة من النار هى العود الغليظ سواء كان فيه نار اولا و
الشعلة من النار ايضًا وقرأ حمزه بضم الجيم وعاصم بالفتح والباقون بالكسر وهى لغات لعلكم تصطلون
تستدفئون بها فلما اتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن شاطئ الوادى جانبه ولا يجمع والايمن الذى
يقع فى صوب اليمين والوادى المقدس يقع فى جانب يمين الذاهب الى مصر فى البقعة المباركة حال من
الشاطئ اوصلة نودى من الشجرة من ابتدائية والجار والمجرور بدل من قوله من شاطئ بدل الاشتمال
ان يا موسى انى انا الله رب العالمين **فان قلت** قد قال فى طه انى انا ربك وفى النمل انه انا الله
وهنا انى انا الله بالفاظ مختلفة والقصة واحدة **قلت** قد خاطبه فى ذلك الموطن بهذه الالفاظ
كلها وذلك انه كان ابتداء رسالته فبسط الكلام معه وعرفه بعض صفاته العليا او نقل بالمعنى فى بعض
المواضع وان الق عصاك فلما رآها تهتز تضطرب كانها جان حية صغيرة فى السرعة وان كانت ثعبانا
عظيم الهيئة ولى مدبرًا ولم يعقب هرب ولم يرجع من شدة الخوف يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين
نودى بهذا الكلام ليسكن روعه اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء من غير آفة برص
واضمم اليك جناحك مستعار من ضم الطاير جناحه لعدم الخوف فان الطاير اذا خاف نشر جناحه وما قيل
ان يديه كانتا مبسوطتين يتقى بهما الحية فنفيه انه لما رآها تهتز ولى مدبرًا ولم تقابل الحية من الرهب اى
لاجل الرهب وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزه والكسائى بضم الراء والكوفيون وابن عامر باسكان الهاء فذانك
برهانان العصا واليد قرأ ابن كثير وابو عمرو فذانك بنون مشددة زادا على نون التثنية نونا آخر بدلا
عن لام ذلك والتخفيف هو الشايع المختار من ربك والباقون بفتح الراء والهاء هو الشايع المختار من ربك
كاينين اومرسلًا بهما منه الى فرعون وملائه انهم كانوا قومًا فاسقين خارجين عن طاعة ربهم فهم احقاء بالانذار
قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخى هارون هو افصح منى لسانا فارسله معى
ردأ يصدقنى الردء العون والناصر قرأ نافع ردًا بنقل حركة الهمزة وقرأ عاصم وحمزه يصدقنى بالرفع والباقون
بالجزم لكونه جواب الامر وهو المختار لبقاء الردء على الاطلاق فى التصديق انى اخاف ان يكذبون فى دعوى
الرسالة **فان قلت** اذا كذبوا موسى مع العصا واليد البيضا فما فايدة تصديق هرون **قلت** ليس المراد
من تصديقه ان تقول صدقت بل المراد فان سحبان وائل وباقلا فيه سواء بل التصديق مجاز عن تلخيص الحجة
وازاحة الشبهة لكونه افصح من موسى او المراد تصديق المرسل اليهم اى يصدقنى واسناده الى هرون اسناد الى
السبب ويؤيده انى اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به من باب الكناية لان اليد

الادرع ما دار الدال المهملة ما اسود راسه والبقية بياض منه

فائدة الكوفى

تشتد بالعضد لانه قوامها والشخص يشتد باشتدادها او استعارة تمثيلية بان شبه حال موسى فى تقويه
باخيه بحال اليد فى اشتدادها بالعضد ونجعل لكما سلطانا عليه اوحجة واضحة فلا يصلون اليكما بمكروه بآياتنا
تعلق بنجعل اى نسلطكما بآياتنا او بلا يصلون على معنى تمتنعون منهم بآياتنا او هو قسم محذوف الجواب لدلالة
لا يصلون عليه او القسم الذى توسط الكلام فلا يحتاج الى الجواب او صلة لما بينه انتما ومن اتبعكما الغالبون
لا له لعدم جواز تقدم الصلة على الموصول فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى تختلقه
من تقدمت صفه مخصصة اوظاهرا فتراه لا تشتبه بالمعجزة من باب نعجة انثى او مفترى كسائر انواع
السحر ثم وصفه بالافتراء تغليب لانه من صفة الاقوال والسحر اعم وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين اى كائنا
فى زمانهم حال من هذا والمشار اليه اما النبوة على معنى انكار ان يكون الرسول بشرًا او السحر والمراد تقطيعه وكونه
سحرا لم ير مثله ولم يسمع وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فهو عالم انى محق وانتم مبطلون وقرأ
ابن كثير قال بحذف الواو على الاستيناف وعليه رسم المكى والباقون بالواو على العطف حكاية للقولين
لتميز السامع بين الصحيح والفاسد منهما وعليه ساير الرسوم وهذا افيد معنى ومن تكون له عاقبة الدار
هذه الدار لانه المنزل الاول وعاقبتها الجنة لقوله اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن انه لا يفلح الظالمون
فى الدارين لهم خزى فى الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وضرب الجزية وفى الاخرة عذاب النار وقال
فرعون ما علمت لكم من اله غيرى جعل عدم علمه مستلزمًا لعدمه لانه يدعى الالوهية فلو كان هناك آلهة
لعلمه وقيل اراد بنفى العلم نفى المعلوم وهذا انما يصح فى العلوم العقلية لكونها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من
انتفائها انتفاؤها فاوقد لى يا هامان على الطين نادى هامان وهو وزيره باسمه وامره بالايقاد على طريقة
الجبابرة ولم يقل اتخذ لى آجرا لكونه اول من وضع صنعة الآجر روى ان عمر بن الخطاب لما دخل الشام ورأى
القصور المشيدة قال ما كنت اظن ان احدا بنى بالآجر غير فرعون فاجعل لى صرحًا قصرا لعلى اطلع الى اله موسى
ما اجهله ظن ان الاله جسم فى مكان ثم لو فرض انه كما ظن من اين يلزم ان يكون فى محاذاة قصر فرعون ولو سلم
من اين علم ان القصر يبلغ السماء ولو سلم من اين له انه اذا بلغ السماء يجد فى ذلك طريقا اليه وانى لاظنه من
الكاذبين فى ان له الها غيرى وهذا ايضا جهالة اخرى حيث ظن ان هناك الها آخر بعد علمه بان لا اله
غيره واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق تجاوزوا عن طورهم لان الكبرياء رداء الله وظنوا انهم الينا لا
يرجعون كانوا دهرية لا يقولون بالمعاد ولذلك اقدموا على ذلك الاستكبار والطغيان قرأ ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وعاصم يرجعون بضم الياء وفتح الجيم فاخذناه وجنوده اخذ عزيز مقتدر فنبذناهم فى
اليم كما ينبذ الشئ الحقير فما طنك بمن الارض جميعًا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر تامل كيف كان
عاقبة الظالمين الكاملين فى الظلم وسوف ترى عاقبة مكذبيك وجعلناهم ايمة يدعون الى النار لى
موجباتها من الكفر والمعاصى ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب كما يدفع الاتباع عن القادة فى الدنيا و
اتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة لعن الناس لا ترى احدا من الناس الا ويلعن فرعون وقومه اوطردا من
رحمته حيث اهلكهم عن آخرهم ويوم القيمة هم من المقبوحين المطرودين يقال قبحه الله اى نحاه وطرده او
ممن قبح وجوههم ومن قرأ هذه الآية ثم قال بايمان فرعون فهو اكفر من فرعون ولقد آتينا موسى
الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى من قوم نوح الى فرعون بصاير للناس ذلك الكتاب
لاشتماله على المعارف التى هى انوار القلوب وهدى الى طريق الجنة ورحمة لان من عمل به يصل الى رحمة
الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وما كنت بجانب الغربى بالوادى الذى فى الجانب
الغربى من الطور اذ قضينا الى موسى الامر ارسلنا اليه الوحى وما كنت من الشاهدين للوحى وعليه وهم
السبعون المختارون للميقات وهذا اوجه لان الحضور قد علم من قوله وما كنت بجانب الغربى وسياق الآية

فتسعون بلفظ الجمع باعتبار من اتبعهما منه

وقرأ حمزه والكسائى يكون بالياء من كوامه

قبيحة

للدلالة على ان اخباره بتلك الوقايع ليس الا باعلام الله ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر لكنا اوحينا
اليك لانا انشانا قرونا كثيرة من بعد موسى وتطاول الزمان وتحرفت الاخبار وخفيت اعلام الشرايع فارسلناك
مجددا لحذف المتدرك واقيم سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين قوم شعيب تتلوا عليهم آياتنا
تتعلم منهم فقال تلوت على فلان القران اذا تعلمت منه اولم تكن انت مرسلا اليهم تتلوا عليهم آياتنا بل كان
شعيبا فاخبارك باعلام الله وقيل الضمير لاهل مكة ولكنا كنا مرسلين ايات وما كنت بجانب الطور اذ
نادينا موسى قربناه نجيا اواستنبأناه وهذا اولى لتقدم ذلك ولكن رحمة من ربك اعطاكها والتفت الى
الغيبة لدلالة لفظ الرب على الربية الملايمة للرحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوع الفترة
بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة وقد روى البخارى عن سلمان انها ستمائة سنة اللام متعلق
بالفعل المقدر لعلهم يتذكرون اذا تلوت عليهم تلك الوقايع فيعلمون انك رسول من عند الله ولولا ان
تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية
بمعنى هلا تحضيضية والمعنى لولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدمت ايديهم من الشرك والمعاصي هلا ارسلت
الينا رسولا لما ارسلنا اليهم رسولا وكان الظاهر دخول حرف الامتناع على القول وانما دخل على العقوبة
لانها السبب لذلك القول والقول هو السبب لارسال الرسل وانما لم يكتف بهذا القول بل ذكر سببه مبنيا على ان
قولهم هذا ليس تأسفا على فوات الايمان بل لما نالهم من العقوبة وفيه دلالة على استحكام كفرهم ولما كان
في التحضيض معنى الامر لكونه باعثا على الفعل مثله دخل الفاء في قوله فنتبع آياتك جوابا له كما يجاب الامر
بالفاء ونكون من المؤمنين بتلك الايات فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي موسى مثل ما اوتي موسى
يريدون الكتاب جملة او العصا واليد البيضاء تعنتا اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يريد ابناء جنسهم ومن
مذهبهم مذهبهم من العناد والتعنت وعن الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى وذلك ان فرعون وقومه
كانوا من اولاد العماليقة وهم عرب فعلى هذا تعلق الجار والمجرور باولم يكفروا وهذا وجه حسن لدلالته
على ان مشركي مكة لهم قدم راسخ في الكفر وعرق اصيل في العناد واحسن منه ان كفار مكة كانوا كافرين
بموسى فلما طلبوا من رسول الله معجزات موسى رد الله عليهم بانهم قبل محمد كانوا كافرين بموسى قالوا ساحران
اي موسى وهرون او موسى ومحمد تظاهرا تعاونا على السحر وقرأ الكوفيون سحران على حذف المضاف وعلى
المبالغة او ارادة الكتابين التورية والقران لقوله لولا اوتي مثل ما اوتي وعليه الرسم وهو ابلغ معنى
وان كان المد اشهر وقالوا انا بكل كافرون اي بكل واحد من الرسولين او الكتابين وقيل بكل الانبياء ولا
يستقيم لان كفار مكة لم يكفروا بابراهيم واسمعيل قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما من الكتابين
وهذا يؤيد ان السحرين هما القران والتورية والساحران موسى ومحمد اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران
والاتيان منهم مستحيل وحرف الشك ارخاء للعنان تبكيتا فان لم يستجيبوا لك فان لم يستجيبوا دعاءك
الى الكتاب الاهدى فحذف المفعول لان الغالب ان فعل الاستجابة اذا عدي الى الداعي باللام يحذف
الدعاء فاعلم ازدد علما اودم على علمك انما يتبعون اهواءهم اذ لم يبق لهم شبهة فضلا عن الحجة ومن اضل
ممن اتبع هواه اي لا اضل منه بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد لا للتقييد بناء على ان هوى النفس
قد يوافق الحق لعدم الاعتداد بتلك الموافقة ان الله لا يهدي القوم الظالمين المجبولين على الظلم المنهمكين فيه
ولقد وصلنا لهم القول اي اتبعنا بعض القران بعضا في الانزال متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا ونصائح
وهذا جواب عن قولهم لولا اوتي مثل ما اوتي موسى لعلهم يتذكرون بعد التفكر في ذلك المنزل المتواصل
الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل القران او محمد عليه السلام هم به يؤمنون تقديم هم للاختصاص
وبه للاهتمام نزلت في مؤمني اهل الكتاب كسلمان وعبد الله بن سلام وعن رفاعة بن قرظ في عشرة وانا

منهم اثنان وثلثون من الحبشة قدموا في مع جعفر وثمانية قدموا من الشام فهذا اخبار بما سيقع
لان السورة مكية وعن محمد بن اسحاق هؤلاء عشرون رجلا بعثهم النجاشي ورسول الله بمكة فقرأ عليهم
القران فامنوا وعن سعيد بن جبير هم سبعون واذا تتلى عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله تعالى
انه الحق من ربنا تعليل للايمان به لان كونه من عند الله حقيق بان يؤمن به انا كنا من قبله مسلمين استيناف
لبيان ان ايمانهم به ليس محدثا بل كانوا سمعوا من آبائهم وقرؤا في كتابهم انه سينزل كتاب نعته كذا والمسلم
اسم لكل موحد يؤمن بالله وكتبه ورسله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ضعف اجر من آمن بمحمد من المشركين
روى البخاري ومسلم عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله قال ثلثة لهم اجران رجل آمن بنبيه وآمن بمحمد وعبد
مملوك ادى حق الله وحق مواليه ورجل له امة فادبها فاحسن تأديبها ثم اعتقها فتزوجها بما صبروا على
اذى الكفار او على تكاليف الشرايع ويدرؤن بالحسنة السيئة يمحوها ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير ثقة بوعد
الله الثواب واذا سمعوا اللغو الباطل وما لا طائل تحته اعرضوا عنه تكرما وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم امان منا لكم عن المقابلة بالمثل لا نبتغي الجاهلين لا نرضى بالتخلق باخلاقهم عن محمد بن اسحاق هذا كلام
بعث النجاشي فانهم لما آمنوا اعترضهم ابو جهل ونفر من قريش وقالوا خيبكم الله ارسلكم صاحبكم لتعلموا اخبر
الرجل فما استقر بكم المجلس حتى فارقتم دينكم انك لا تهدي من احببت لا تقدر على ادخال الايمان في قلبه
ولكن الله يهدي من يشاء يخلق الايمان روى البخارى عن سعيد بن المسيب عن ابيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل على ابي طالب حين حضرته الوفاة وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم قل لا اله
الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله يعرضها
عليه ويعيدان تلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وابى ان يقول
لا اله الا الله فنزل فيه انك لا تهدي من احببت وعن ابن عباس رضي الله عنه قيل له انت شفيع الجناية لا شرك
الهداية وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين له وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها سريعا قاله
قريش وقيل القائل الحرث بن عثمان بن نوفل واسناده اليهم لوقوعه بينهم تعللوا بعلة باطلة فرد الله عليهم
بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اي جعلنا مكانهم حرما ذا امن يجبى اليه ثمرات كل شيء يجلب اليه ثمرات اكثر
الاشياء كقوله واوتيت من كل شيء واذا كان هذا حالهم وهم على الشرك فكيف لو ضموا الى حرمة البيت شرف
الايمان وقرأ نافع تجبى بالتاء والتاء احسن لوجود الفاصل رزقا مصدر لان يجبى في معنى يرزق او مفعول له وان
جعلته بمعنى المرزوق فهو حال من الثمرات لتخصصه بالاضافة من لدنا تفضلا من غير استحقاق منهم ولكن اكثرهم
لا يعلمون ذلك مع ظهوره لكون قلوبهم مختوما على قلوبهم وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اهلكنا كثيرا من اهل
القرى كان حالهم كحال هؤلاء في الامن ولين العيش والبطر شدة الفرح بالدنيا والغفلة عن شكر المنعم وفيه
تخويف بليغ لاهل مكة وانتصاب معيشتها اما بحذف الجار كقوله واختار موسى قومه او بحذف الزمان المضاف
اي ايام معيشتها او بتضمين بطرت معنى كفرت فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا من السكنى قال ابن عباس
لم يسكنها الا المارة ساعة للاستراحة وقيل لم يسكنها الا الطيور والوحوش ولم يكن من سكن الا قليلا بشوم
معاصيهم لسرايته الى كل ساكن وكنا نحن الوارثين بان تركناها بلا نفع وارثة وبذلك تدخل في عداد خالص
ملك الله لانقطاع تعلق الغير وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم اياتنا الزاما للحجة
وقطعا للمعذرة اي ما كان الله ليهلك القرى الخ على وجه الارض الا بعد ان يرسل في امها رسولا وهي مكة او كل
قرية عظيمة في كل وقت ساير القرى توابعها وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي ما كنا في الزمان السابق
مهلكي قرية الا والحال ان اهلها ظالمون بتكذيب الرسول المبعوث اليهم وفيه تخويف لاهل مكة بانهم بتلك
الصفة فهم بصدد ذلك وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي شيء كان وان كان ملء الارض

ذهبا ليس الامتاعا قليلا لانه فى مقابله الباقى الذى اشار اليه بقوله وما عند الله خير وابقى لانه ابدى وفى
الحديث لوكانت الدنيا من الذهب والاخرة من الخزف لاختارها العاقل فكيف والامر بالعكس ولذلك عقبه
بقوله افلا تعقلون لان ايثار الفانى على الباقى ليس من افعال العقلاء وقرأ ابو عمرو بياء الغيبة على الالتفات
وهو اشد ذما والخطاب ابلغ موعظة افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه تقرير وايضاح لما تقدم والمعنى ابعد
ذلك التفاوت الظاهر بين الفانى والباقى يستوى بين ابناء الدنيا والاخرة والوعد الحسن الوعد بالجنة والفاء
الثانية للدلالة على سببية الاول لكن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة من المحضرين الى النار وثم لبيان
تراخى حال الاحضار عن حال التمتيع لا للتراخى فى المدة لكونه معلوما لا طائل فى ذكره وقرأ نافع فى رواية قالون
والكسائى ثم هو بسكون الهاء لان الواو والفاء تنزلا من هو منزلة الجزء لعدم استقلالهما فصار وهو كعضد تخمل
ثم عليها لجامع العطف ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون اضافه الشركاء الى
نفسه على زعمهم تهكما بهم ومفعولا زعم محذوفان اى زعمتموهم شركائى والدال على الحذف تقدم الذكر قال
الذين حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وهو الخلود فى النار ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى اغويناهم فحذف
الراجع اغويناهم كما غوينا خبر هؤلاء والكاف فى موضع المصدر ومعنى التشبيه انهم غووا باختيارهم والمعنى
اغويناهم فغووا غيا باختيارهم مثل ما غوينا وان كان ذلك بتسويلنا ويجوز ان يكون اغويناهم استئنافا
والذين اغوينا خبرا تبرأنا اليك من كفرهم باختيارهم ما كانوا ايانا يعبدون بل كانوا يتبعون اهواءهم والجملتان
مقررتان للكلام السابق ولذلك خلتا عن العاطف وجعل ما مصدرية حذف عنها الجار لتعلق بتبرأنا تكلف وقيل
ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاستجابة والنصرة وراوا العذاب وتيقنوا
انهم صائرون الى النار لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب لدفعوا او لو كانوا يهتدون
فى الدنيا لما راوه او وتمنوا الاهتداء لما راوا العذاب وتحيروا ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
وبخهم اولا على اتخاذ الشركاء بما تقوله الشياطين والمتهم حتى تبرءوا منهم ثم بما يشبه الشماتة والتهكم بهم
لما امرهم بدعائهم والاستغاثة بهم بعد التبرؤ منهم ثم بالسؤال عما اجابوا به الرسل ازاحة للعلل وتبكيتا
فعميت عليهم الانباء يومئذ صلة فعموا عن الانباء وانما عكس مبالغة كان عماهم سرى الى الانباء فلم تجد اليهم
سبيلا والمراد عمى القلب وتعدى الفعل بعلى لتضمينه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون اى لا يسأل بعضهم بعضا لتساويهم
فى عمى الانباء عليهم فاما من تاب من الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا بعد الايمان فعسى ان يكون
من المفلحين ترغيب فى الافلاح فكانه قال ما ذكر حال المصر واما التائب فمن الفائزين وعسى الكرام انجاز وثماطنك
باكرم الاكرمين ويجوز اتصاله بقوله افمن وعدناه وحديث الشركاء مستطرد لذكر الاحضار وربك يخلق ما يشاء
ويختار من هدايته احد الفريقين واضلال الاخرى **فان قلت** ما الفرق بين المشية والاختيار حتى جمع
بينهما **قلت** الاختيار هو القصد الى ايجاد ما تعلقت به الارادة وترجيح احد الطرفين بعد ملاحظة الاخرى
ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار ما كان لهم الخيرة ولذلك لم يدخل العاطف والخيرة من التخير كالطيرة
من التطير رد لقول الوليد بن المغيرة حين قال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما
موصوله والمعنى ويختار للعباد الذى لهم فيه الخيرة كخلق الانبياء ودلائل الآفاق والانفس وعلى الوجهين لا يلزم
سلب الاختيار عنهم فى افعالهم الجزئية سبحان الله تنزيها له عن منازع او مزاحم فيما شاء وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او ما يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون من عداوة رسول الله والطعن فيه
وهو الله لا غيره ولا اله الا هو المستحق للالوهية غيره تؤكيد وتقرير للاولى له الحمد فى الاولى والآخرة لانه
مولى النعم فى الدارين يحمده المؤمنون فى الآخرة تلذذا وابتهاجا كما يحمدونه فى الدنيا تعبدا الحمد لله الذى اذهب
عنا الحزن الحمد لله الذى هدانا لهذا الحمد لله الذى صدقنا وعده روى مسلم وابو داود عن جابر ان رسول الله قال

بجور ان عصد ... وكذا ... ثم حمل على ... الوطف مسم

اعترض ابو على بان الاخبار ... اغوينا عن هؤلاء ... لانه قد علم ... معدول ... مسم

اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون يلهمون التسبيح والتهليل كما يلهمون التنفس وله الحكم لا حاكم
غيره واليه ترجعون للمجازاة لا الى غيره قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة لماذكر
تفرده بالالوهية واستحقاقه الحمد فى الدارين اردفه بتمثيل لا يمكن الانتفاع بساير النعم بدونهما ولا يشك
احد انهما منه اذ لا مجال لتوهم مشاركة الغير والسرمد الدائم من السرد وهو المداومة على الشئ من اله غير الله يأتيكم
بضياء قدم ذكر الليل لان انكشافه عن النهار بالنير الاعظم ابلغ فى المنافع واجلب للمصالح ولذلك آثر ذكر الضياء
على النهار مع كونه ظاهرا فى التقابل للدلالة على انه المقصود من النهار والانتفاع بالنهار من روادفه ولذلك
جعل الفاصلة افلا تسمعون لان مدركات العقل بواسطة السمع اكثر من مدركات البصر اذ ما لا يمكن ادراكه بحاسة يمكن
ان يعبر عنه بعبارة مفهمة قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل
تسكنون فيه لم يقابل الضياء بالظلام لكونه غير مقصود فى نفسه مع اشمئزاز النفس من سماعه فى معرض الامتنان
وذكر السكون فى الليل ولم يقابل بالتصرف فى النهار لانحصار نفع الليل فيه دون النهار فى التصرف فالتوبيخ فى افلا
تبصرون ابلغ منه فى افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله لف
ونشر مرتب وهو من محسنات الكلام ولعلكم تشكرون ولكى تعرفوا نعمة الله فتشكروه جعل ذلك ويوم يناديهم
فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا اخرجناه وهو نبيهم لان الانبياء شهداء على الامم
فقلنا بعد احضار النبى هاتوا برهانكم على الشرك وتكذيب الرسل فعلموا ان الحق لله فى الالوهية وضل عنهم غاب
عنهم غيبة الضايع ما كانوا يفترون من الباطل وبخهم اولا على اتخاذ الشركاء بقوله ويوم يناديهم فيقول اين
شركائى ليبكتهم بعدم صلوحها ولذلك عقبه بقوله ادعوا شركاءكم تهكما بهم وثانيا بقوله اين شركائى الذين كنتم تزعمون
وعقبه بقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون ليدل على ان ذلك الاتخاذ لم يكن له حقيقة وقيل الاول لبيان فساد
رايهم والثانى لبيان ان ذلك لم يكن له سند ان قارون كان من قوم موسى لما كان افتخار المشركين بما كان لهم من الاموال
والبنين وما كان فيه رسول الله والمؤمنون من ضيقه ذات اليد هددهم الله اولا بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت
معيشتها واردفه بمن ضرب به المثل فى الثروة والغناء وما آل اليه امره وجر عليه غروره وكيف صار هلاكه عبرة لاولى
الابصار واشار فى اثناء القصة الى انه قد اهلك قبله من كان اشد منه قوة واكثر مالا قال الكلبى كان ابن عم
وعن محمد بن اسحق كان عم موسى وعن ابن عباس كان ابن خالته فبغى عليهم بان طغى وخرج عن اتباع موسى
وذلك ان موسى جعل الحبورة والقربان لهرون فقال قارون الامر لكما ولست على شئ قال موسى هذا صنع الله وقيل
بغى اى ظلم وذلك ان فرعون كان جعله واليا على بنى اسرائيل فظلمهم وقيل تكبر بكثرة الاموال والاولاد وآتيناه
من الكنوز من انواع الاموال المدخرة من الكنز وهو الجمع ما ان مفاتحه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به او مفتح بالفتح
وهو خزانة المال لتنوء بالعصبة اولى القوة يقال ناء به اذا اثقله والعصبة الجماعة الكثيرة وقيل من عشرة الى اربعين
من العصوبة وهى الاحاطة ومنه عصبة الميت وقد بولغ فى اظهار الكثرة حيث ذكر الكنوز والنوء والعصبة ذى القوة
قيل كان يحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا وكان كل مفتاح لا يزيد على اصبع اذ قال له قومه ظرف تنوء لا تفرح بالدنيا
التى جمعها هو كل رأس كل خطيئة ان الله لا يحب الفرحين بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتيك الله الدار الآخرة فانها دار
الاقامة والمال نعم الوسيلة اليها وفى الحديث نعم الصالح للرجل الصالح ولا تنس نصيبك من الدنيا بان تخرج
من مالك كله بل خذ منه قدر كفافك كقوله ولا تبسطها كل البسط او ما تصلح به آخرتك فانه نصيب المؤمن من الدنيا
كقوله صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما اكلته فافنيت او لبسته فابليت او
تصدقت به فابقيت ويؤيده قوله واحسن كما احسن الله اليك اى انعم به على المحاويج كما انعم الله عليك ولا تبغ
الفساد فى الارض لا تطلبه فضلا عن الوقوع فيه ان الله لا يحب المفسدين والعاقل لا يدخل نفسه فى زمرتهم
قال انما اوتيته على علم عندى اى علم كائن عندى استوجبت به التفوق على الناس وذلك انه كان اعلم بنى اسرائيل

وى و

المال

بالتورية وقيل اراد علم الكيمياء فانه كان تعلمه من موسى وقيل علم التجارة والمكاسب وقيل علمه بكنوز يوسف
والوجه ان عندي جملة مستانفة تقرر ما ذكره اي هكذا الامر عندي وفي اعتقادي اولم يعلم ان الله قد
اهلك من قبله من القرون هو اشد منه قوة واكثر جمعا اي قد علم ذلك قراءة في التورية وسمع من المورخين
اخبار نمرود والضحاك وما كانوا فيه فكيف لم ينتبه واغتر بما فيه ولم يقس حاله على اوليك ولا يسئل عن ذنوبهم
المجرمون لان سؤال الاستعلام محال في حقه تعالى وسؤال المعاتبة يكون بين الاحبة هذه مقدمة تدل
على هلاك قارون بغتة فخرج على قومه في زينته مفتخرا عليهم في زيه المخصوص به قيل كان راكبا بغلة
شهباء وعليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف من الغلمان على زيه وقيل بثمانية غلام عن
يمينه وبثمانية جارية عن يساره وعليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا وعليهم المعصفر قال
الذين يريدون الحيوة الدنيا وهم عوام المؤمنين يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لئلا يكون حسدا وعن
قتادة تمنوه لتقربوا به الى الله تعالى ويصرفوه في وجوه الخير وقيل بل كانوا كفارا انه لذو حظ عظيم الحظ
النصيب والبخت وفي المثل الدنيا احاظ وجدود وقال الذين اوتوا العلم بسرعة زوال نعيم الدنيا ودوام الآخرة ويلكم
اصله الدعاء بالهلاك لم يردوا معناه بل التعجب من ذهولهم وتمنيهم الفاني ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا
مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الا الصابرون على الطاعات عن الشهوات والضمير لما قاله
العلماء لانها كلمة عرفا او للثواب لانه بمعنى المثوبة او للجنة او للايمان والعمل الصالح لانه في معنى السيرة
والطريقة فخسفنا به وبداره الارض كان مع بغيه يداريه موسى للرحم الذي بينهما حتى طالبه بزكوة ماله وشارطه
على دينار من كل الف فاستكثره فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد اخذ اموالكم فقالوا انت سيدنا مرنا بما
رايت فقال قد دبرت له فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل بل حكمها في ماله فقام موسى يوم
عيد خطيبا فقال يا معشر بني اسرائيل من سرق منكم قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه وان كان محصنا رجمناه
فقال قارون وان كنت ذلك الرجل قال بلى قال ان بني اسرائيل يزعمون انك زنيت بفلانة فاحضرها موسى
وناشدها الله بالذي فلق البحر وانزل التورية فقالت كلا ولكن جعل لي قارون جعلا لا قرمي عليك
فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت لك رسولا فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال
موسى خذيهم يا ارض وكان يتبعه رجلان وبقية بني اسرائيل قد اعتزلوا عنه مع موسى فاخذتهم الارض الى
الركب ثم ناداها خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم ناداها خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وكان في اثناء ذلك
يناشده بالرحم ويستغيث به وموسى لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم ناداها فانطبقت عليهم فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين قيل ناداه ربه بعد هلاك قارون ما اقسى قلبك يا موسى استرحمك مرارا فلم ترحمه
وعزتي لو دعاني مرة لاجبته ثم اصبحت بنو اسرائيل يتناجون ان موسى لم يدع على قارون الا طمعا في ماله
فانه لم يكن له وارث غيره فدعا الله ان يخسف بماله فخسف به بعد ثلث فما كان له من فئة من اعوان من فاء
رجع لان بعضهم يرجع الى بعض عند الاستنصار والمحاماة ينصرونه من دون الله من دونه عذابه وما كان من
المنتصرين وما كان من الممتنعين بغيرها من الاسباب واصبح الذين تمنوا مكانه الذين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون بالامس يقولون قبل هلاكه بقليل ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر بمقتضى مشيئته
لا لكرامة المرزوق ولا لهوان الذي قدر عليه وي بقوله المتندم والمتعجب قال الخليل هذا قول قوم تنبهوا ونبهوا و
الكاف جردت عن التشبيه كقوله صلى الله عليه وسلم كانت بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل وعليه قول امرئ
القيس كاني لم اركب جوادا لغارة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال وعند الكوفيين اصله ويلك حذفت اللام تخفيفا
لكثرة استعمال هذه الكلمة وعليه قول عنترة ويك عنتر اقدم وفتحت ان لتقدير العلم وعن قطرب لتقدير اللام وسمت
مركبة لتوقف المعنى عليه وقد وقف الكسائي على الياء وابو عمرو على الكاف والباقون على النون لولا ان من الله

مر.

يعني ويك عنتر
اقدم شنى نعلى وايا ستمها قبل الغوارسي ويك
عنتره اقدم

علينا لخسف بنا كما خسف بقارون حيث تمنينا ان نؤتى مثل ما اوتي وقرا حفص خسف على بناء الفاعل
ويكانه لا يفلح الكافرون لا بحالة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم اي التي بلغك خبرها وتنعت بشانها العجيب
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا كما اراد فرعون ولا فسادا كما اراد قارون وعلق
بالارادة مبالغة في الردع عنهما والعاقبة للمتقين اي الجنة او العاقبة المحمودة وهذا التذييل يدل على ان ملاك
الامر هو التقوى ولا يكفي في النجاة عدم تلك الارادة من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووضعا
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع المظهر موضع الضمير للدلالة على ان لا فرق بين من
ارتكب سيئة او سيئات ولما يفيد تكرار الاسناد من تقبيح حال المسيء المقتضي لتنفير السامعين الا ما كانوا يعملون
الا مثله وانما حذف المضاف مبالغة في المماثلة كما بولغ في جانب الحسنة بلفظ الخير الدال على الكثرة ان الذي
فرض عليك القرآن اي تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد واي معاد وهو المقام المحمود الذي حصل
به وقيل ارادمكة وتنكيره لان فتح مكة كان له شان روي انها نزلت في مهاجره حين بلغ الجحفة واشتاق الى مولده
ومولد آبائه وحرم ابرهيم قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين امره ان يقول للمشركين ان الله
اعلم بمن هو على الهدى وله الثواب في المعاد ومن هو بضد ذلك وان اريد بالمعاد فتح مكة فالمعنى ان ذلك ادنى
ما اوتيته وانما النعمة العظمى ما نؤتاه في العقبى واشار اليه بالهدى المترلة والضلال المتمرضة لاعدائه فان قلت
قد امر موسى بهذا القول ايضا وزاد الياء ومن عنده قلت كلام موسى كان جوابا لهم حيث قالوا ما هذا
الا سحر مفترى فكان خليقا بالتاكيد وهنا الكلام مذكورا ابتداء لبيان رفعة شانه وما يؤول اليه امره فاقتصر
على ما يؤدي ذلك الغرض وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب كنت اميا ناشيا بين الكفار الذين لا يقرؤن كتابا ولا
ولا يدينون دينا ان كنت من القرآن المعجز وهذا دفع لما يتخيل في الوهم من استبعاد رده الى معاد الا رحمة من ربك
ادركتك ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك لان
نفي الرجاء نفي للالقاء على ابلغ وجه فلا تكونن ظهيرا للكافرين عونا لهم في امرهم فانه اغراء لهم ولا يصدنك
عن آيات الله عن تلاوتها وتبليغها بعد اذ انزلت اليك اذ لم تنزل الا للتلاوة والعمل وادع الى ربك الى توحيده
ولا تكونن من المشركين بترك الدعوة الى التوحيد ولا تدع مع الله الها آخر من باب الالهاب وقطع اطماع المشركين
لا اله الا هو استيناف كالبرهان على عدم صلوحية الغير كل شيء هالك الا وجهه ذاته كقوله كل من عليها
فان وقيل كل ممكن قابل للعدم وقيل كل عمل باطل الا ما اريد به وجهه له الحكم القضاء النافذ واليه ترجعون
للجزاء تمت والحمد لله على نعم عمت **سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية** بسم الله الرحمن الرحيم
الم اسم السورة او حروف مقطعة ايقاظا احسب الناس انكارا للحسبان المتعلق بما بعده وهو ان يتركوا لكونه سادا
مسد مفعوليه ان يقولوا آمنا متعلق بيتركوا بتقدير اللام والترك بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع وثاني مفعوليه
محذوف لدلالة الحال عليه كما هم وهم لا يفتنون اي غير مفتونين وقيل ان يتركوا مفعول اول وان يقولوا ثان
المفعولين بتقدير اللام وهم لا يفتنون ثاني مفعولي يتركوا وفيه قلق لدخول الواو على الخبر والفصل بين مفعولي تركوا
بثاني مفعولي حسب وهو ان يقولوا والمعنى انكار حسبان الناس بعد اجراء كلمة الايمان على السنتهم ان يسلموا بذلك
عن كل آفة في هذه الدار مع انهادار المشاق نحو قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ولقد
فتنا الذين من قبلهم اي سنة الله في المؤمنين ان يمتحنهم روى البخاري عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله
ما نلقى من المشركين فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض ثم يجعل
فيها ويؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن
دينه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين علما حاليا به يتعلق التمييز بين الصادق في ايمانه والكاذب او
اريد لازمه وهو التمييز والمجازاة ام حسب الذين يعملون السيئات جميعها من الكفر والمعاصي ان يسبقونا ان يفوتونا

انما مال محمولا على المعنى لان الرجا لا يصلح ان يكون
مفرعا عنه معنى الالقاء لانه متعلق فاوله

اخرجه نشئة مابس خلاه اسه والمعجم البلد
يعني من تقعدته التي هي من القصايد السبع
المعلقة منه
انا ،

اذ المصدر به موصول
وسبقوا صلته منه

لم يحد ثوابه نفسهم ولكن لتماديهم في الغفلة كانهم طامعون ذلك وصله ان لا اشتمالها على المسند والمسند اليه
سدت مسد مفعولي الحسبان كما اشرنا اليه في الاول ويجوز ان يكون حسب بمعنى قدر وام للاضراب للدلالة
على ان هذا الحسبان ابطل من الاول لان شرف الايمان ربما يخيل ان من اتصف به يسلم عن الافات والشرور
بخلاف ظن عدم المجازاة على سيئ العمل فانه ظاهر البطلان ولذلك اردفه بقوله ساء ما يحكمون ● من كان يرجوا لقاء
الله حقيقه في الجنة لما روى البخاري انكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب او الوصول
الى الحساب والجزاء مثلت تلك الحالة بحال عبد قدم بعد عهد طويل الى مولاه فان اجل الله لآت اي الموت كاين
لا محاله وهو الطريق الى تلك الحالة كما تقول من يرجو لقاء الامير فان الغد قريب اذا علم انه تقدم فيه والمعنى
فليبادر الى ما يصدق رجاءه ويحقق امله وهو السميع لاقوال العباد العليم ● بافعالهم فهو حقيق بالتقوى و
الخشيه ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه نفع مجاهدته مقصور عليها وانما الترغيب والحث عليها لكمال رافته بالعباد
ان الله لغني عن العالمين ● تصريح بما علم ضمنا وتوكيد لذلك المفهوم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم
سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون لما بين ان العمل الصالح لا تتعدى نفعه العامل بين كيفية
جزاء المجاهده ترغيبا وهي تكفير ما مضى من السيئات والمجازاه باحسن الجزاء بان يجازيه في مقابلة ادنى
عمله ما يجازيه على فضله تفضلا منه ووصينا الانسان بوالديه حسنا لما بين ثمرة الايمان والعمل الصالح
اشار الى بعض ما يعين الانسان فيه الوصية بالشيء الامر به مؤكدا من وصيت الشيء بكذا اذا وصلته به و
يقال وصيت الارض اذا اتصل نباتها والمعنى امرنا بايتاء والديه ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه
ويجوز نصبه بفعل مضمر للوصية اي قلنا افعل بهما حسنا ويحسن الوقف على بوالديه وعلى الاول تقدر القول
في قوله وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم وان امراك بالاشراك وبالغا فيه فلا تطعهما اذ لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق وانما نفي العلم والمراد نفي المعلوم اشارة الى ان ما لا يعلم لا يجوز اتباعه فضلا عما
علم بطلانه **فان قلت** قد ذكر في سورة لقمان وان جاهداك على ان تشرك بي وهنا باللام فما وجه
اختصاص كل بموضعه **قلت** الكلام في سورة لقمان معترض في اثناء وصية لقمان فيدل على شدة
الاهتمام بعدم الاشراك وعلى يدل على القسر والالجاء اي وان قسراك عليه فلا تطعهما وما في الاية انما اشير به
الى الصارف عن الايمان الذي سبق له الكلام الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون المؤمن منكم والمشرك وعد
ووعيد والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه حمنه بنت ابي سفيان بن اميه بن عبد شمس وكانت مشركة
فلما اسلم سعد قالت صبات يا سعد فحلفت لا تاكل ولا تشرب ولا تطابها ظل حتى يرجع سعد عن
الاسلام فبقيت على ذلك حتى غشي عليها فنزلت والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في
الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء الصلاح صفة جامعة لساير الكمالات ولذلك طلبها
الانبياء قال سليمان وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ويوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين
وابرهيم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله
هذا اخبار عما يكون في المستقبل لان الاية مكية ولم يكن بها نفاق ولا قتال ولا غنيمه وانما اعاد
لفظ الجلالة اشارة الى ان الايذاء في الله حقيق بان يحتمل جعل فتنة الناس كعذاب الله كما ان
عذاب الله صارف المؤمن عن الكفر كذلك عذاب الناس صارف المنافق عن الايمان ولئن جاء
نصر من ربك فتح وغنيمه ليقولن انا كنا معكم في الدين يتوسلون بذلك الى سهم الغنيمه اوليس الله
باعلم بما في صدور العالمين تكذيب لهم على ابلغ وجه اي لو كان في صدورهم ايمان لعلمه وليعلمن الله الذين
آمنوا وليعلمن المنافقين اي ليميزن بين الفريقين بحيث لا تشتبه بعضهم ببعض وكذلك وقع كما قال
قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل

خطاياكم

خطاياكم مقاله صناديد قريش قالوا لمن آمن منهم ان كان بعث على ما يزعم محمد فانا نحمل عنكم الآثام ان
البعث ثم علقوا الحمل بالاتباع وآثروا طريقه الامر مبالغة في التشجيع ولذلك بالغ في الرد عليهم بقوله وما هم
بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى بيانية والثانيه تبعيضية اي ادنى جزء منه و
قيل مزيدة والتكذيب راجع الى الوعد بالضمان لان الانشاء لا يتصف بالكذب او انهم كاذبون عند انفسهم
بمعنى انهم يعلمون ان ذلك الوعد غير مطابق للواقع وليحملن اثقالهم اوزارهم التي اقترفوها واثقالا مع اثقالهم
بسبب الاضلال فان الدال على الشر كفاعله من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون ● سوال توبيخ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين
عاما ذكر بعد مقالة المشركين بعض قصص الانبياء تسلية لرسول الله وابتداء بنوح اذ لم يكابد من الانبياء ما كابده احد
ولبثه في قومه هذه المدة كان بعد بعثه فانه بعث على راس اربعين سنه وعاش بعد الطوفان ستين سنة
وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنه وعن عون بن شداد الفا وثلثمائة وخمسين سنة وانما آثر ما في التنزيل
على ثلثمائة وخمسين لئلا يتوهم تجوز مع انه احضر واعذب ولكون الالف اشد انباء عن طول المدة فهو اوفق فاخذهم
الطوفان الماء والمطر الغالب بحيث يغشى كل شيء من طاف حول الشيء قال الخليل وقد شبه العجاج ظلام الليل
بذلك شعرا وعم طوفان الظلام الاثابا وهم ظالمون ● بالكفر فانجيناه واصحاب السفينة قيل كانوا ثمانيه وسبعون
نصفهم ذكور ونصفهم اناث وعن ابن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روى عنه صلى
الله عليه وسلم انهم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثه سام وحام ويافث مع اهليهم وجعلناها آية للعالمين
اي السفينة او الواقعة تضرب بها المثل وابرهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر اذ قال لقومه اعبدوا الله
واتقوه ظرف لارسلنا على الاول وبدل اشتمال على الثاني ذلكم خير لكم من عبادة الاصنام ان كنتم تعلمون ●
الخير والشر وتميزون بينهما واشار ان للدلالة على ترجيح عدم العلم انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون
افكا اي تسمونها الهة تصرفون به الناس عن سبيل الحق ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا شيئا مما يطلق
عليه اسم الرزق دليل ثان على بطلان ما هم عليه ابلغ من الاول لان اقل درجات المعبود ان يكون له نفع في الحال
فابتغوا عند الله الرزق كله فانه القادر واعبدوه توسلا بالعبادة الى مطالبكم واشكروا له على ما اولاكم اليه
ترجعون ● وعد ووعيد وان تكذبوني اي تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم اي كذبوا الرسل ولم يضرهم تكذيبهم
بل ضروا انفسهم وما على الرسول الا البلاغ المبين ● الواضح او الموضح المزيح للشبهة هذه الآية وما بعدها الى قوله فما كان
جواب قومه اما قول ابرهيم لا منه والامم المكذبه قوم شيث وادريس ونوح او ابتداء كلام من الله لقريش وساير العرب
اعترض به في اثناء قصة ابرهيم وذلك ان ذكر هذه القصص انما هو لتسلية رسول الله فكانه قال ان تكذبوا يا معشر
العرب محمدا فقد كذب ابرهيم قومه ومني بنحو ما مني به محمد وكذا ساير الرسل قبله وبعده اولم يروا كيف يبدئ
الله الخلق علما واضحا كالرؤية بالباصرة والهمزة وكيف سلب عنهما معنى الاستفهام وقرا حمزة والكسائي وابو
بكر بالخطاب امام ابرهيم اومنه تعالى بناء على ما تقدم ولا حاجة الى تقدير القول ثم يعيده عطف على اولم يروا
لا على يبدئ لان الرؤية ليست بواقعة على الاعادة لان الابداء ايضا كذلك والرؤية بمعنى العلم يصح تعلقه
بها بل لان العلم بالابداء دليل على العلم بالاعادة ومستلزم له فلا يحسن نظمهما في سلك واحد ان ذلك على الله يسير ●
ولا يحتاج الا الى تعلق الارادة قل سيروا في الارض اي قل يا ابرهيم او قل يا محمد فانظروا كيف بدا الخلق تاملوا في
عجائب صنعه في انواع مخلوقاته يدلكم ذلك على سهولة امر الاعادة عليه ولما كان دليل الانفس اقرب من الافاق
آثر في الاول الرؤية وفي الثاني النظر ولذلك قيل الاول حدسي والثاني فكري ثم الله ينشئ النشاة الآخرة اي يخرجهم
ثانيا كما ابدعهم اولا اصل النشاة الارتفاع يقال نشات في بني فلان فكان الله بالايجاد اخرجهم من حضيض
العدم الى اوج الوجود وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالف بعدها همزة مفتوحة على انهما لغتان [illegible]

حطاكم

اسم المصدر والقصر اخف وانما ابرز اسمه لكونه الاسم الجامع الدال على الاوصاف المعتبرة فى الابداء من العلم و
القدرة والحكمة فكانه قال ذلك الموصوف هو الذى ينشئ النشاة الاخرة ان الله على كل شئ قدير لاستواء نسبة
القدرة الى الكل دليل على المدعى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون ● تردون فيجازى كلا على
وفق ارادته وما انتم بمعجزين الله فى الارض بالتوارى والهبوط فى مهاويها ولا فى السماء التى هى افسح وابسط لو قدر
صعودكم اليها او التقدير ولا فى السماء فحذف كما قال فى قول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ● لا فى الارض ولا فى السماء اى لا تقدرون انتم على دفع قضائه ولا لكم
من تلجأون اليه فى ذلك والذين كفروا بآيات الله الدالة على وحدانيته ولقائه والبعث وما يعقبه من الجزاء
اولئك يئسوا من رحمتى ييأسون يوم القيمة لان المنكر للبعث لا يوصف باليأس لانه شان من يوصف بالرجا
او المراد بيان مباينة حالهم حال المؤمنين فذكر اليأس للمشاكلة او استعارة تبعية شبهوا بمن مات على الكفر او
بمن آيس فرضا اشارة الى توغلهم فى الكفر وانما التفت الى التكلم اشارة الى قوله ورحمتى وسعت كل شئ ولذلك
لم يضف العذاب فى قوله واولئك لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه اى قوم ابرهيم الا ان قالوا اقتلوه
او حرقوه قابلوا نصحه بابلغ مكروه وهو القتل والحرق واثر صيغة التفعيل الدالة على التكثير والمبالغة فانجاه الله
من النار بان قال لها كونى بردا وسلاما فصارت روضة وانما اختصر كيفية الانجاء لان الغرض بيان ما قاساه
من امته ليكون تسلية لرسول الله ان فى ذلك لآيات هى اخمادها دفعة وانشاء روضة مكانها وسلب الحرارة
عنها واحداث البرودة مكانها لقوم يؤمنون ● لانهم بالتامل فيها يزدادون ايمانا ويوقنون بان العاقبة لهم
وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا قرا نافع وابن عامر بتنوين مودة ونصب الكلمتين
على ان مودة مفعول له وبينكم ظرفا اى اتخذتموها لتوادوا وتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها كما ترى اليوم اهل كل
مذهب كذلك او مفعولا ثانيا كما فى قوله اتخذوا ايمانهم جنة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى مودة مرفوعا
مضافا الى بينكم على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار على ان ما موصولة والعائد محذوف ومودة خبرها
او مصدرية اى ان سبب اتخاذكم اوثانا ارادة مودة او كافة ومودة خبر مبتدا اى انها فكم عليها مودة او مبتدا
وفى الدنيا خبره اى تواصلكم فى الدنيا وعلى هذين الوجهين الجملة صفة اوثانا وقرا حمزة وحفص مودة بينكم
منصوبا مضافا والمختار نصبه منونا لظهور المعنى والاستغناء عن التقدير والجرى على الاصل ثم يوم القيمة يكفر
بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى بعض العبدة يلعن بعضا كقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين او العبدة والاصنام لقوله ويوم القيمة يكونون عليهم ضدا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين ● **فان**
قلت لم لم يذكر هذا قبل جواب قومه ليكون كلامه منتظما فى سلك واحد **قلت** ما تقدم كان نصحا و
ارشادا وهذا وعيد وتهديد وما يؤل اليه امرهم فلم يحسن نظمه معه فآمن له لوط هو اول من آمن به حين راى
النار لم تؤثر فيه وهو ابن اخيه وقال انى مهاجر الى ربى الى حيث امرنى انه هو العزيز الذى يمنعنى من اعدائى
الحكيم ● الذى لا يامرنى الا بما فيه حكمه كان يكوثى مسافرا الى حران بديار بكر ثم الى الشام وفلسطين ثم صعد
الى مصر وملك مصر هو الذى اعطاه هاجر ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حين سال
الولد ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب جنس الكتاب فيدخل تحته الكتب الاربعة وآتيناه ●
اجره فى الدنيا اجر الهجرة من الثناء الحسن لا ترى امة الا وهم ينتمون اليه وانه فى الآخرة لمن الصالحين
لمن الجامعين لمحاسن الافعال والاخلاق ولوطا عطف على ابرهيم ان نصب باذكر وعلى ما عطف عليه ان كان معطوفا
على نوحا اذ قال لقومه ائنكم لتاتون الفاحشة الفعلة البالغة فى القبح قرا انكم بالاخبار نافع وابن كثير وابن
عامر وحفص اكتفاء بالثانى ما سبقكم بها من احد من العالمين ● استيناف مقرر لزيادة القبح فيها حيث اشمازت
الطباع باسرها عن ارتكابها فى سالف الدهر ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل تتعرضون للسابلة اتفق

اى ومن عنده منه

واو بكر

الجرى على الاصل احترازعن المتعاد تحذف العور منه

كونه قال ان الاشر هى قرية سواد العراق منه

السبعة على الاستفهام هنا للانكار والتعجب وتاتون فى ناديكم المنكر من اللواط فى المجلس والتضرط والحذف ورمى
البندق وفرقعة الاصابع وحل الازرار فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ● فى
دعوى النبوة او فى نزول العذاب قال رب انصرنى على القوم المفسدين بانزال العذاب وصفهم بالافساد توسلا
بذلك على استعجال نزول العذاب فلما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة او باهلاك قوم لوط قالوا انا
مهلكوا اهل هذه القرية اشارة الى قرية سدوم وفى المثل اجور من قاضى سدوم ان اهلها كانوا ظالمين ● مصرين على
الظلم فى الزمن الماضى قال ان فيها لوطا بيان للمانع وسوال عن كيفية الهلاك مع وجوده بين اظهرهم وهو برئ عما كانوا
يفعلون قالوا نحن اعلم بمن فيها تسلية له على ابلغ وجه بانهم اعلم بعدم استحقاقه العذاب لننجينه واهله الا امراته كانت
من الغابرين ● الباقين فى العذاب لكونها كافرة مثلهم وقرا حمزة والكسائى لننجينه مخففا من الانجاء والتشديد ابلغ
ولما ان جاءت رسلنا لوطا سئ بهم ان صلة تفيد اتصال الفعلين كانه قيل لما جاءت الرسل فاصابه المساءة من غير ريث
خوفا عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا كناية عن فقد القدرة على تدبيرهم وذلك ان طويل الذرع ينال ما لا يناله قصير
الذرع فضرب ذلك مثلا فى العجز والقدرة وقيل فى عكسه رحب الذراع وقالوا لا تخف ولا تحزن لما رأوا فيه اثر
الضجرة انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين ● كانت فى علم الله تعالى فى عدادهم وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائى وابو بكر منجوك مخففا والتشديد ابلغ ونصب اهلك بالعطف على محل كاف منجوك انا منزلون على اهل هذه
القرية رجزا من السماء الرجز والرجس القلق والاضطراب اطلقا على العذاب لاضطراب المعذب وقرا ابن عامر منزلون
مشددا بما كانوا يفسقون ● على الاستمرار ابلغ من قولهم ان اهلها كانوا ظالمين ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون
فان آثارهم باقية ما اسود نطق القران بسوء حالهم وتواترت بها الاخبار والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله
وارجوا اليوم الاخر ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب او هو على اصله والرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا فى الارض
مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة او صيحة جبرئيل لان القلوب ترجف منها فاصبحوا فى دارهم فى ارضهم
او فى ديارهم اكتفى بالواحد جاثمين ● باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم
الرجفة يدل عليه وقرا حمزة وحفص وثمود غير منصرف بتاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم منازلهم وخرابها فان اهل
مكة كانوا يمرون عليها فى اسفارهم وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصى فصدهم عن السبيل عن طريق الحق وكانوا
مستبصرين ذوى بصائر عاقلين بحقية الدين ولكن لجوا حتى هلكوا او كانوا متمكنين من الاستبصار ولكن تغافلوا وقارون وفرعون
وهامان عطف على عاد وتقديم قارون لشرف نسبه وتاخيره فى سورة غافر نظرا الى الوجود ولقد جاءهم موسى بالبينات
فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين ● فائتين امر الله فيهم بل ادركهم لا محالة فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبا ريحا فيها الحصباء او ملكا يرميهم بها الضمير لقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة لمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض
كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وجيشه وما كان الله ليظلمهم ليفاجئهم بالعذاب ويعاملهم معاملة الظالمين
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ● بان عرضوها للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا شبه ما اتخذوه معتمدا ومتكلا فى دينهم بما هو مثل عند الناس فى الوهن والغرض من التشبيه تقرير وهن
دينهم وانه بلغ الغاية التى لا غاية بعدها وهذا كتشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بالراقم على الماء من تشبيه
المركب بالمركب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت تذييل تقرير الغرض لو كانوا يعلمون جهلهم اولا فى الاتخاذ ثم زادهم
تجهيلا بانهم لا يعلمون هذا الجهل البين ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ ما نافية ومن زائدة او استفهامية ومن
بيان والعلم معلق تاكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا ويجوز ان يكون مصدرية او موصولة
والعائد محذوف وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى بناء الخطاب على اضمار القول والغيبة احسن
لجريه على سنن السابق وعدم التقدير وهو العزيز الغالب على كل شئ الحكيم الذى لا يعمل شيئا الا وفيه حكم وفى الوصفين
رمز الى عبادتهم حيث تركوا عبادة الموصوف بهما وعبدوا من لا يطلق عليه اسم الشئ وتلك الامثال نضربها للناس اى

ومنهم

هذا المثل ونظايره كشفًا للحجب عن وجوه محاسن الفرايد وتقريبا للمعاني الدقيقة الى الافهام وما يعقلها الا العالمون
تعريض بالمشركين الطاعنين في القرآن لاشماله على ضرب المثل بالذباب والعنكبوت عن رسول الله انه تلاها وقال العالم
من عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق خلقا ملتبسا به والمعنى خلقها
لتكون مساكن عباده ودلائل قدرته وعلمه وعظم شانه ولذلك قال ان في ذلك لآية للمؤمنين المتأملين فيها
اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بتلاوته فانه من افضل الاعمال وعنه صلى الله عليه وسلم
يرويه عن ربه من شغله لسانه تلاوة القرآن عن دعائي ومسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين واقم
الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذا شغاله بها والمحافظة على شرايطها ومراقبة اوقاتها يمنعه عن
الاشتغال بغيرها اولان الصلوة معراج العبد فاذا واظب عليها وذاق حلاوة المناجاة ينسى ساير اللذات فلا
يكون له هم سواها ولكن شرط ذلك ان يقبل عليها بقلبه ويطرح ما سوى الله وراء ظهره روي ان فتى من الانصار
كان مسرفا على نفسه لا يدع شيئا من المنكر الا ارتكبه فوصف لرسول الله فقال كيف صلوته فقالوا هو يصلي الصلوات
مع رسول الله فقال ان صلوته ستنهاه ثم تاب عن قريب ولذكر الله اكبر اى الصلوة اكبر الطاعات وعبر عنها بالذكر
اشارة الى ما هو العمدة فيها بل في ساير العبادة وهو ملاحظة كبرياء المذكور او ولذكر الله اكبر من الصلوة لقوله
افضل ما قلت انا والنبيون قبلي لا اله الا الله او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه والله يعلم ما
تصنعون لا يخفى عليه شيء وفي ايثار الصنع على العمل حث على الطاعة بالقلب والجوارح لانبائه عن زيادة
تعمل وتكلف ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن لما بلغ الغاية القصوى في بيان طريق ارشاد المشركين
شرع في بيان مجادلة اهل الكتاب والمناظرة معهم والجدال بالاحسن هو مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم
والسورة بالاناة وقيل منسوخ باية السيف وليس كذلك لانه مشروط بعدم نفع الجدال بالاحسن وقيل المراد ذو
العهد منهم وقيل الداخلين في الذمة ولا يصح الا بالتاويل لان السورة مكية الا الذين ظلموا منهم افرطوا بنسبة
الولد اليه تعالى ووصفه بالبخل كقولهم يد الله مغلولة وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم من حسن المجادلة
بالتي هي احسن روى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله قال لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا
آمنا بالله وكتبه ورسله والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون منقادون لا لغيره تعريض باهل الكتاب وكذلك
انزلنا اليك الكتاب اى ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتب فالذين آتيناهم
الكتاب يؤمنون به وهم عبد الله بن سلام واضرابه ومن هؤلاء العرب من يؤمن به وهم الصحابة وقيل الذين
آتيناهم الكتاب هم المتقدمون على البعثة ومن هؤلاء هم اهل الكتاب الذين في عهد رسول الله وما يجحد
باياتنا الا الكافرون المتوغلون في الكفر لانها من الظهور في اقصى الدرجات وما كنت تتلوا من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك وهذا امر مسلم عندهم اذا لارتاب المبطلون وقالوا انه تعلمه من غيره وكان اذ ذاك للارتياب
في الجملة وجه ان اريد بالمبطلين مشركوا مكة وان اريد بهم اهل الكتاب كان لهم ان يقولوا لست بالموعود اذ
شرطه ان يكون اميًا **فان قلت** على ذلك التقدير ليسوا مبطلين لان نعته في الكتابين انه امي فكيف سماهم مبطلين
قلت لان مدار النبوة على المعجزة وكونه اميًا لا يخط ليس مما توقف عليه امره فكانه قال هؤلاء المبطلون
في كفرهم لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب لارتيابهم مع كونه اميًا بل هو اى القرآن آيات بينات في صدور الذين
اوتوا العلم يحفظونه عن التحريف والتبديل بخلاف ساير الكتب وما يجحد باياتنا الا الظالمون لان التكذيب بعد
ازاحة الشبهة في غير موضعه وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه كمايدة عيسى عنادًا منهم بعد ما الزموا قل انما الآيات
عند الله لو شاء انزلها قرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص آيات من ربه لموافقة الثاني وانما انا نذير مبين مقصور
على الانذار ليس لي قدرة على انزال ما تقترحونه اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب تتلى عليهم شيئا فشيئا يتأملون
معانيه وسلاسة الفاظه وجعل الضمير لليهود بعيد لكون السورة مكية والاستفهام للتقرير ان في ذلك الكتاب

الموصوف لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وموعظة لقوم يؤمنون لقوم قصدهم الايمان لا التعنت قل كفى بالله بيني وبينكم
شهيدًا يصدقني بالمعجزة الدالة على نبوتي اوكفى شهيدًا باني قد بلغت ما ارسلت به وادبت الامانة يعلم ما في السموات
والارض برهان على كونه كافيًا والذين آمنوا بالباطل هي الاوثان وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون في صفقتهم استعارة
تبعية ويستعجلونك يقولون متى هذا الوعد ولولا اجل مسمًى مدة موقتة لعذابهم لجاءهم العذاب اذ لا مانع سواه
وليأتينهم بغتة فجأة كوقعة بدر وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين اعاد
ذكر استعجالهم وساقه مساق التعجيب واثر الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة والمراد احاطتها بهم يوم
القيمة اوالان لتكامل اسبابها من الكفر والمعاصي يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة على الاول ومنصوب بمضمر
على الثاني اى كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم اى من جميع الجوانب ويقول الله او بعض ملائكته الموكل
بعذابهم وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بنون العظمة اسنادًا مجازيًا اذ لا يكلمهم الله يوم القيمة ذوقوا ما كنتم
تعملون اى جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كان المؤمنون بمكة لا يقدرون على
اظهار دينهم والقيام به على الوجه الاكمل ناداهم الله واضافهم الى ذاته تشريفا لهم وبين لهم ان الاقامة بين اعداء
الله المانعين من عبادته لا وجه له مع اتساع بلاد الله الفاء في فاياي فاء التسبيب عن قوله ان ارضي واسعة كما
تقول زيد اخوك فاكرمه وفي فاعبدون فاء الجزاء كل نفس ذائقة الموت تتجرع مرارتها فعلى العاقل المبادرة الى العمل
قبل فوات الفرصة ثم الينا ترجعون للجزاء ثم للتراخي رتبة فان اول الجزاء يعقب الموت وقرأ ابو بكر يرجعون
بياء الغيبة والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم
من الثواء وهو الاقامة وعلى هذا نصب غرفا على تضمين معنى الانزال او بتقدير في او بحمل المكان المعين على
المبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين المخصوص محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على
مفارقة الاوطان واذى المشركين وعلى ربهم يتوكلون في جميع الامور وكاين من دابة لا تحمل رزقها لضعف بنيها
اولا يدخره توكلًا على الله الله يرزقها واياكم بان اقدركم على الكسب تشجيع لهم على هجرة الاحباب ومفارقة الاوطان
وان لا يهمهم امر المعيشة وهو السميع لقولكم حين قلتم كيف نقدم بلدا ليس لنا فيها اسباب المعيشة العليم بضمايركم ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر الضمير لاهل مكة وايراده لتوكيد ما تقدم كانه قال ان الذي
اوجد ابتداء احرى بان يكون قادرا على الابقاء فكما اوجد بلا مادة هذه الاجرام يقدر على تيسير الرزق على هؤلاء الضعاف
من غير اسباب ليقولن الله لما تقرر في العقول بحيث لا يقدر احد على انكاره فانى يؤفكون كيف يصرفون عن التوحيد
بعد هذا الاقرار تعجيب من حالهم الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له فكم من ساع لا يقدر على قوت يومه
وكم من فارغ البال ياتيه الارزاق من كل اوب ويجوز ان يكون الموسع عليه والمضيق واحد والبسط والقبض على التعاقب
ان الله بكل شيء عليم يعلم من يصلح له البسط او القبض او وقت كل منهما ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به
الارض من بعد موتها ليقولن الله اعترافا منهم بانه الموجد للكاينات قل الحمد لله اى اذا كان الكل منه فالحمد مختص به
لا يشاركه فيه احد وفيه رد على المشركين وتسفيه لهم لانهم يقرون بالمقدمات وينكصون عند النتيجة وامتنان
عليه صلى الله عليه وسلم حيث عصم عن مثل تلك الضلالة ووفق لاظهار الحجة بل اكثرهم لا يعقلون فلذلك يناقضون
اضراب عن جهلهم الخاص الى ما هو ابلغ وهو انهم مسلوبوا العقول وقوله قل الحمد لله اعتراض تقريرًا لاستحقاقه العبادة
والزامًا لهم او لا يعقلون لماذا يحمد عند مقالتهم الحمقاء فهو من تتمة قل الحمد لله ومعنى الاضراب انهم اذا لم
يفطنوا لتلك المناقضة الظاهرة فبالاولى ان لا يفطنوا لمكان حمدك وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب الا ازدراء
بهذه الدنيا الدنية التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة فهي كالشيء الذي يتلهى به الصبي ويلعب ثم يتركه بعد
لحظة وان الدار الآخرة لهي الحيوان اى الحيوة الدايمة وكما بالغ في تحقير الدنيا بالغ في تعظيم الآخرة بتاكيد
الجملة انواع تاكيدات تصديرها بان وادخال اللام وايثار المصدر الدال على انها نفس الحيوة ثم ايثار الحيوان على الحيوة

بالعذاب.

لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازمين للحيوة لو كانوا يعلمون لو كانوا من اولى العلم لما استبدلوا
بالشريف الخسيس وبالباقي الفاني فاذا ركبوا في الفلك نوع آخر من جهلهم انه متصل بما قبله مما دل عليهم حالهم
دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم بان لا قدرة لغيره فلما نجاهم الى البر نجاهم من الغرق واصلين الى البر اذا هم
يشركون فاجاؤا الشرك من غير لبث ليكفروا بما آتيناهم من النعمة وهي النجاة من الغرق وكان الواجب عليهم
شكرها واللام فيه لام كي ويحتمل ان يكون لام الامر لقوله وليتمتعوا بسكون اللام وهي قراءة ابن كثير وحمزة و
الكسائي وقالون لان لام كي لا يجوز اسكانها لحذف ان بعدها وضعف عوامل الافعال ويؤيد هذه القراءة
قوله في سورة الروم ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون وخامة العاقبة اولم يروا انا جعلنا حرما امنا
اي قد رؤا توبيخ لاهل مكة خاصة بين المشركين لاختصاصهم بهذه النعمة وهي الامن في اشرف البقاع ويتخطف
الناس من حولهم التخطف سلب الشيء خفية وكان هذا شان العرب لم يزالوا في المحارب والمناهب افبالباطل
يؤمنون بعد وضوح هذه النعمة تعجب من حالهم وبنعمة الله يكفرون بالاشراك به وتقديم الصلتين للاهتمام
او الاختصاص مبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا اظلم منه وفي الحديث ليس الكذب علي كالكذب
على احد واذا كان الكذب على رسول الله لا يشبه كذبا فعلى الله من باب الاولى او كذب بالحق لما جاءه اي بالرسول
او الكتاب والتعبير عنه بالحق للدلالة على المدح ولما نظيره اذا الفجائية في الدلالة على انهم كذبوه من غير توقف
كما يفعله العقلاء المراجح عند سماع الخبر اليس في جهنم مثوى للكافرين استفهام تقرير كقول جرير الستم خير من ركب
المطايا والمعنى الا يستوجبون الثواء وقد افتروا على الله او قد صح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين ومع ذلك قد
اجترؤا على الافتراء فمدار الاول على تبين حالهم للغير واستحقاقهم والثاني على توبيخهم تذكيرا لما صح عندهم
ان في جهنم مثوى للكافرين ومع ذلك قد اجترؤا على الافتراء فمدار الاول على تبين حالهم للغير واستحقاقهم
والثاني على توبيخهم تذكيرا لما صح عندهم والذين جاهدوا فينا خاصة من غير اشراك جعل ذاته مستقر المجاهدة و
اطلق المجاهدة لنعم الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا الطرق الموصلة الينا وسبيل الحق وان كان واحدا الا انه
جمع باعتبار انواع المجاهدة وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين المخلصين في
عبادتهم تقوية لجاش المجاهد في العبادة بان الله معه بالنصر والاعانة تمت السورة والحمد لله على الاحسان والصلوة
على خير البرية وعين الاحسان سورة الروم مكية وقيل الا قوله فسبحان الله وهي ستون وقيل سبع
وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض اي ارض العرب
لانها المعهودة عندهم وهي اذرعات وبصرى من بلاد دمشق وبها كانت غلبة فارس على الروم او ادنى ارضهم
اي ارض الروم الى العدو وهي الجزيرة والروم من اولاد عيص بن اسحاق وهذه الطائفة من ذريته وكانوا على
ملة عيسى بن مريم والفرس كانوا مجوسا والمشركون عبدة الاوثان ولما بلغهم الخبر فرحوا بغلبة الفرس لانهم ليس
لهم كتاب كالمشركين فنزلت الاية وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ففرح بذلك المؤمنون وكثر التشاجر
بينهم وبين المشركين حتى راهن ابو بكر رضي الله عنه ابي بن خلف على عشر قلايص ان لم تغلب الروم الفرس في سبع سنين
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع من الثلث الى التسع فزايده في الخطر والمدة فرجع ابو بكر رضي
الله عنه الى ابي بن خلف وتوافقا على تسع سنين ومائة قلوص فلما دخلت السنة السابعة غلبت الروم وجاء
الخبر بذلك ورسول الله بالمدينة وكان ابي قتل يوم احد فاخذ ابو بكر رضي الله عنه القلايص من ورثته وكان
ذلك قبل تحريم القمار لان آية الميسر في المائدة وهي آخر القرآن نزولا وكان هذا من دلايل النبوة وباهر آياته
لله الامر من قبل ومن بعد اي له الحكم والارادة من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم
مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الروم لانهم اهل كتاب وشريعة مثلهم وفي
ذلك تفأل لهم وعن ابن عباس رضي الله عنه والثوري ان غلبة الروم على فارس كانت يوم بدر وعن قتادة

وعكرمة

قال بعض المشايخ رحمهم على الدار الاخرة بالحيوان يدل على ان كل موجود فيها له حيوة ملزوم الظاهر من الاحاديث منه

اي اعلم اخر السورة مع الاول لانه كان الانعام على الاول ليعلم المعاد من النهاية وكذا ردد ركوب الفلك مع الانجاء ليعلم ان كل من الكافر لما ذكره في آخر الروم من قوله فمنهم مقتصد اي ان كل

القلايص جمع قلوص وهي الناقة الشابة منه

وعكرمة والزهري انها كانت يوم الحديبية سنة ست من الهجرة وهذا اقرب لما روي ان هرقل كان قد نذر لئن نصره الله على
الفرس ليزورن بيت المقدس فلما انتصر وذهب الى بيت المقدس لقيه دحية بن خليفة الكلبي بكتاب رسول الله يدعوه
الى الاسلام ينصر من يشاء وهو العزيز الغالب يذل من اراد بالخذلان الرحيم يعز من يشاء بالنصر وعد الله مصدر مؤكد
كقولك له علي الف درهم اعترافا لا يخلف الله وعده لكونه كذبا وهو عليه محال وللدلالة على العجز وعدم العلم
بعواقب الامور تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لعدم النظر الصحيح يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدنيا بدل من لا يعلمون بدل الكل او في باداء المقصود للدلالة على ان العلم بظاهر الحيوة كلا علم لان الغرض
من الدنيا باطنها وهو انها مزرعة الآخرة وانما نكر ظاهرا اشارة الى كمال بلادتهم وانهم لم يعلموا من ظاهرها الا
قليلا فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وكيفية الصدور منها والتصرف فيها وهم عن كلها بمعزل
وهم عن الآخرة هم غافلون هم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وعلى الوجهين
تحقيق لما تقدم اولم يتفكروا في انفسهم توبيخ على عدم التفكر فيما يعود نفعه اليهم بدل اشتغالهم بالبحث عن نظر
المجوس وفرحهم بذلك والمعنى هلا احدثوا التفكر في انفسهم الفارغة عنه والفكر لا يكون الا في النفس فذكرها
لتصوير الحال كقولك ابصر بعيني ويجوز ان تكون في صلة يتفكروا كقولك تفكر في المسئلة واجال الرأي فيها
والمعنى في النفس ان انفسهم اقرب الاشياء اليهم وقد اشتملت على نظاير ما تفرق في الكائنات من العالم العلوي والسفلي
فلم لا تفكرون فيها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بمقدر اي فيعلموا بعد التفكر
ان خلق هذا العالم ليس عبثا بل لحكمة بالغة وهي الابتلاء ليجازي المحسن والمسيء والباء في بالحق مثل الباء في
اشتريت الفرس بلجامه دالة على المقارنة واللزوم واجل مسمى معين لا يتجاوزه وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم
لكافرون جاحدون لكونهم دهرية لا يقولون بالمعاد اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كعاد وثمود وقوم لوط استفهام تقرير اي قد وقع ذلك السير والنظر مع عدم التفاتهم اليه وتأملهم واعتبارهم
كانوا اشد منهم قوة في الحديث خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلم يزل تتناقصون الى يومنا واثاروا الارض
وعمروها اكثر مما عمروها قلبوا الارض لرفع البنيان وطلب المعادن وغرس الاشجار اكثر مما فعل اهل مكة لطول
اعمارهم وقوة اجسادهم وكثرة اموالهم واولادهم فلم يقدروا على دفع العذاب النازل بهم فكيف سكان واد غير ذي
زرع لا تبسط لهم في المال ولا تسلط على البلاد وجاءتهم رسلهم بالبينات المعجزات الواضحات فلم يبق لهم عذر يعتذرون
به فما كان الله ليظلمهم بعد ذلك الارسال وقطع الاعذار ولكن كانوا انفسهم يظلمون بتعريضها لسخط الله ثم كان
عاقبة الذين اساؤا السوأى اي كان عاقبتهم العقوبة السوأى وهي جهنم وانما وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على ان تلك العقوبة السوأى جزاء لاساءتهم ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن اي لان كذبوا ويجوز ان يكون
مفسرا للاساءة لانها تكون قولية وفعلية او السوأى مفعول اساؤا اي اكتسبوا الخطيئة القبحاء وان كذبوا عطف بيان
والخبر محذوف اي جهنم وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على خبرية كان فالسوأى اسمه بمعنى العذاب او
دخول جهنم او هي مفعول اساؤا وان كذبوا هو الاسم الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون للجزاء ثوابا وعقابا
فيه وعد ووعيد ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ييأسون من الابلاس وهو الياس ومنه ابليس للشيطان او
يدهشون ويتحيرون ومنه الم تر الجن وابلاسها ولم يكن لهم من شركائهم اي ممن اشركوه بالله في الالوهية شفعاء كما كانوا
يزعمون وكانوا بشركائهم كافرين اي يكفرون بهم في ذلك اليوم وايثار الماضي لتحقق وقوعه او كان للسببية اي كانوا
كافرين في الدنيا بسببهم ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون
وقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار واشجار وثمار يحبرون يسرون و
ينعمون من الحبرة وهي البهاء والحسن في كل شيء ومنه حديث ابي موسى الاشعري لما استمع رسول الله لقراءته واستحسنه
لو كنت اعلم انك مستمع لحبرته تحبيرا واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون

قاله الجني حين رجموا بالشهب عند بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم منه

لا نفرد عنهم وماهم عنها بمخرجين وانما لم يكتف بالكفر بل اضاف اليه التكذيب بآيات الله ولقاء الآخرة لكونه في
مقابلة الذين آمنوا وعملوا الصالحات فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا
وحين تظهرون كانه قال اذا اتضح عندكم حال المعرضين عن عبادته والمقبلين على طاعته فسبحوه في هذه الاوقات
هربا من وبيل عقابه وطلبا لنيل ثوابه وانما صدر الكلام بالتنزيه واوقع الحمد اعتراضا لان الكلام مع المشركين فالتقديس
هو الغرض المسوق له الكلام وخص الاوقات المذكورة به لظهور دلالتها على باهر قدرته وسئل ابن عباس رضي الله عنه
هل تجد في القرآن ذكر الصلوات الخمس فقال نعم وقرأ الاية وذلك ان تمسون يدل على المغرب والعشاء وتصبحون
على الصبح وعشيا على العصر وتظهرون على الظهر وما روى عن الحسن ان الآية مدنيه والصلوات الخمس فرضت
بالمدينه منكر لانها فرضت ليلة المعراج بلا خلاف وعن ابن عباس رضي الله عنه من قرأ حين اصبح هذه الآية
ادرك ما فاته في يومه ومن قرأها حين امسى ادرك ما فاته في ليله ثم استانف بما يدل على استحقاقه والتقديس و
التحميد بقوله يخرج الحي من الميت الانسان من النطفه او المؤمن من الكافر او العالم من الجاهل ويخرج الميت
من الحي في عكس ذلك ويحيي الارض بعد موتها باخراج انواع النبات منها مع عدم التجانس وكذلك تخرجون منها
اذ لا فرق بين اخراج النبات الاخضر واخراج البشر بل الثاني اظهر لكون تلك الاجزاء كانت محل الحيوة مدة وقرأ
حمزه والكسائي بفتح التاء وضم الراء ولابن ذكوان وجهان ومن آياته بعض آياته الدالة على العلم والقدرة ان
خلقكم من تراب اي اصلكم وهو آدم او كل واحد لما في الحديث من ان النطفة التي يخلق منها الانسان تعجن بالتراب
الذي يدفن فيه اذا مات ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي خلق كثير متفرقون في اقطار الارض واكنافها لابلاد لاسباب
المعايش وساير الاغراض فان قلت كيف استقام الجمع بين ثم واذا الفجائية مع تنافي مقتضاهما قلت لا تنافي لان ثم
للدلالة على بعد هذه الكثرة من ذلك الاصل الواحد الكائن من تراب ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
اي من جنسكم اناثا او من نطفكم او لان حوا خلقت من ضلع آدم وساير النساء خرجن من اصلاب الرجال لتسكنوا
اليها لتميلوا اليها وتطمئنوا لان في الوحدة وحشة وفي اختلاف الجنس تنافر وجعل بينكم مودة بواسطة شهوة
ركبها في كل من الزوجين ورحمة لرقة الجنسيه والفة الازدواج وعن الحسن الرحمة الولد لقوله تعالى ورحمة
منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في ذلك ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم كالعربي
وساير اللغات بان علمها آدم بالهام او خلق علم ضروري كما قال الاشعري او بلا قدار على وضعها كما قال غيره والاول
هو الظاهر والوانكم في اصولها كالبياض والسواد والحمرة وما تركب منها لا ترى بين افراد البشر اتحادا في لون
قط ان في ذلك لآيات للعالمين من الملك والانس والجن وقرأ حفص بكسر اللام والفتح ابلغ لان الايات وان لم
يعقلها الا العالمون الا انه اعم مفهوما ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله اي في النهار
وكان ظاهر اللف ان تقول ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه عدل عنه اهتماما
بالظرف لان الاية انما تحصل به وقدم المنام لكونه انه مستقل مع قطع النظر عن الليل بخلاف الابتغاء ان في ذلك
لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر ومن آياته يريكم البرق الفعل مقدر بان وبعد حذفه نزل الفعل منزلة المصدر وازيل اثره
كما في تسمع بالمعيدي وقوله شعر وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير او التقدير ومن آياته ما تلي عليكم
ثم بين بقوله يريكم البرق وقيل حال من البرق مقدم اي ويريكم البرق خوفا وطمعا حال كونه من آياته صفه حذف
موصوفه اي ومن آياته يريكم بها البرق خوفا من الصاعقة او من الاخلاف او للمسافر وطمعا في المطر او للحاضر
ونصبهما على العليه بتقدير مضاف اي ارادة خوفكم او الخوف بمعنى الاخافه ويجوز كونهما حالين اي خائفين طامعين
كقوله كلمته شفاها وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بالنبات مجاز حكمي بعد موتها بيبسها وذهاب نضارتها
مجاز لغوي ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم ولما كان خلق الازواج للالفه والاطمئنان اليها
وايقاع المودة والرحمة بين الزوجين الذي لا يتم امر التعيش الا به فيه غموض يحتاج الى تأمل وتدبر جعل الفاصلة

التراخي الرتبي لا الزماني ... منه

الشعر لعمرو بن الورد اوله
سقوني الخمر ثم تكنفوني
عداة الله من كذب وزور

التفكر وخلق السموات والارض واختلاف الالسن لما كان محسوسا لا يحتاج الا ان يكون الناظر بهما من
اولي العلم او العقل فصل الاية به ولما كان وجه الحكمة في تعاقب الليل والنهار للاستراحه وكسب المعاش في
غاية الظهور اكتفي فيها بالسماع وفي اراءة البرق وانزال الماء لاحياء الارض بالنبات بعد ذهاب نضارتها
وكيفية تكونها ليظهر كمال قدرة الصانع نوع خفاء يحتاج الى توجيه العقل نحوه اوقع الفاصلة يعقلون واما قيام
السماء والارض بامره فامر بين فلم يحتج الى ذكر شيء من ادوات الادراك ولذلك قال ومن آياته ان تقوم السماء
والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون اذا الاولى شرطية والثانيه فجائية داخله على
الجزاء قائمة مقام الفاء والجمله الجزائية في تاويل المفرد معطوفه على ان تقوم وانما غير الاسلوب اشعارا بان هذه
الآية خارجة عن جنس تلك الآيات مستقله مقصودة في ذاتها وهي مقدماتها ومن الارض متعلق بدعا كقولك
دعوته من المسجد اذا كان المدعو فيه ولا يجوز تعلقه بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها والداعي هو اسرافيل
لقوله يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ولما روى ان اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس وينادي ايتها
العظام الباليه واللحوم المتمزقه والشعور المتفرقه ان الله يامركن بالحضور للقضاء وقيل هو الله تعالى وذكر
دعوة اشارة الى سرعة خروجهم وانه لا يتوقف الا على مجرد ما ينطلق اسمه الدعاء والعطف بثم للدلالة على عظم
ذلك الامر وكمال اقتدار الله ويجوز ان يكون للتراخي زمانا وله من في السموات والارض خلقا وملكا كل له قانتون
نافذ فيهم امره طوعا او كرها اصل القنوت الطاعة وقد جاء بمعنى الدعاء والخشوع والصلوة والقيام وطول
القيام والسكوت كما في حديث زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلوة حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين فسكتنا وعن
ابي سعيد مرفوعا كل قنوت في القرآن بمعنى الطاعة وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه من
البدء في مجاري عرفكم وان كان الكل تحت قدرته على السواء وفيه تسفيه لهم حيث جهلوا هذا القياس الجلي
وعن ابن عباس الاهون بمعنى الهين وقيل الضمير في عليه للخلق ويرده ما رواه البخاري من الجزء القدسي كذبني
ابن آدم ولم يكن له ذلك بقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته وله المثل الاعلى
الوصف العجيب الشان عن ابن عباس هذا مثل قوله ليس كمثله شيء يريد ان ذاته لا تشبه الذوات ولا صفاته تماثل
الصفات وعن قتاده هو قول لا اله الا الله يريد التوحيد في السموات والارض يتعلق بالاعلى او بالخبر
الذي يتعلق به الجار اي يشهد له من فيهما من الاشخاص وما فيهما من الاجزاء اما نطقا او دلالة وهو العزيز الغالب
الذي لا يغالب الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا لحكمة ولذلك ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا منها فان للامثال شانا
في ابراز المعاني وتقررها في النفوس لاداءها المعقول في صورة المحسوس لا سيما اذا كان المثل حالا من احوال
الممثل له هل لكم مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء من شركاء فيما رزقناكم من الاموال فانتم فيه سواء تتصرفون
فيه على السواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض من الاولى ابتدائيه والثانيه للتبعيض
والثالثه مزيدة لتاكيد النفي واذا كنتم تأنفون عن مشاركة ما ملكتم وانتم وهم سواء في البشريه فكيف يجوزون
ذلك لرب الارباب خالق السادات والمماليك كذلك نفصل الايات مثل هذا التفصيل الجلي نفصل ساير الايات لقوم
يعقلون يتدبرون بعقولهم في الامثال عن ابن عباس كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك
فنزلت بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم اي لا خفاء في هذا المثل ولكن المشركين اتبعوا اهواءهم جاهلين لا علم لهم
يكفهم عن ذلك فمن يهدي من اضل الله اي لا احد يقدر على هداية من اراد الله ضلاله وما لهم من ناصرين
لامتناع وقوع خلاف مراده او كما لا هادي لهم في الدنيا لا ناصر لهم في الآخرة من العذاب فاقم وجهك للدين حنيفا
اي بعد ما بلغت اصرف كليتك الى طاعته مائلا عن غيره غير ملتفت الى سواه والتعبير بالوجه لان من اهتم لشيء
سدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه ويحتمل ان يكون حنيفا حالا من الدين فطرة الله اي عليكم او الزموا
فطرة الله هي ما جبلوا عليه من القابلية والتمكن من الايمان التي فطر الناس عليها لما روى ابو هريرة عن رسول

هذه الدقائق لا تجدها الا في كلام المولى ... والله ذو الفضل العظيم يؤتيه من يشاء منه

عليه

الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وظاهره ما رواه عياض ان الله
تعالى يقول خلقت عبادي كلهم حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وقيل الفطرة العهد في عالم الارواح لا تبديل
لخلق الله خبر في معنى الانشاء اى لا تغيروا تلك الفطرة او اعتراض كانه قيل لا تبدلوا تلك الفطرة اذ لا قدرة لكم على هدايته
من خلق شيئا ذلك الدين القيم اى الدين المامور به هو الدين الذى لا اعوجاج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
لاخلالهم بالنظر الصحيح منيبين اليه حال من ناصب فطرة لا من فاعل اقم ومعنى كون خطابه خطابا لامته باعتبار الحكم
وشموله والانابة الرجوع الى الله بالتوبة مرة بعد اخرى من النوبه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين
معطوفات على ذلك المضمر الناصب من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين اى امنوا ببعضه وكفروا ببعضه وكل ذهب
الى راى وقرأ حمزه والكسائي فارقوا بالف بعد الفاء اى تركوه وهذا ابلغ وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع امامها الذى
اضلها كل حزب بما لديهم فرحون مبتدأ وخبر اى مسرورون بدينهم حقا كان او باطلا وكل حزب مبتدأ ومن الذين
فرقوا خبره فتخصيص الدين بالباطل وفرحون خبر بعد خبر وقيل صفة كل وفيه انه بيان الكل بصفة لا داخل
عليه فلا تقول كل عالم فاضل في الدار برفع فاضل واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه بالتوبة
ثم اذا اذاقهم منه رحمة شفاء من المرض ونجاه من الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجاء فريق منهم بالاشراك
وفي ايثار لفظ الرب زيادة توبيخ لهم ليكفروا بما آتيناهم اللام للعاقبة وقيل لما دل عليه الكلام اى فعلوا ذلك ليكفروا
اولام الامر للتهديد كقوله اعملوا ما شئتم بدليل قوله فتمتعوا وانما التفت مبالغة فسوف تعلمون ام انزلنا
عليهم سلطانا اضرب الى ما هو ابعد فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اى يشركون بالله ويجوز ان يكون ما موصولة
والتكلم مجاز عن الدلالة او تقدير مضافا اى ذا سلطان اى ملكا واذا اذقنا الناس رحمة نعمة صحة وعافية فرحوا بها
لقوله في سورة هود الا الذين صبروا فرحوا بها بطرا وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بسبب معاصيهم اذا هم
يقنطون فاجاؤا القنوط لا كالمؤمنين الشاكرين في السراء والضراء اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر تتميم للانكار على من بطر بالنعمه وبيس عند زوالها وقد علموا ان القابض والباسط هو الله فهلا رجعوا اليه
بالتوبة لسعيدها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بان الكل منه تعالى فآت ذا القربى
حقه يا محمد او من بسط له اذا علمت ان البسط وضده من الله فاتق الاحسان على هو كالكراهة لكن تخليه الاحسان
الله اليك واستدل به ابو حنيفه على وجوب نفقة المحارم اذا كانوا فقراء وبينهما ذي القربى بعموم المحارم وحقه
سائر انواع البر والمسكين وابن السبيل حقهما من الزكوة ذلك خير للذين يريدون وجه الله اى يقصدون بمعروفهم اياه
خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى وقيل النظر الى وجهه واولئك هم المفلحون الفائزون وما اوتيتم من ربا
ليربو في اموال الناس ما اعطيتم اكلة الربوا زيادة على حقهم فلا يربوا عند الله فلا يزكوا ذلك عنده ولا يبارك فيه وكونه
حراما وعن ابن عباس هذا في الربى المباح وهو ان يهدى الرجل اليك ليثيبه اكثر من هديته واستدل بقوله
تعالى ولا تمنن تستكثر وبالحديث المستغفر يثاب من هديته وقرأ ابن كثير اتيتم بالقصر وقرأ نافع لتربوا
بضم التاء واسكان الواو وخطابا من الارباء اى لتزيدوا في اموالهم وما آتيتم من زكوة تريدون
وجه الله ليشمل الواجب والنفل فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الثواب الالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به
تعريف ملئكة وخواص عباده مكانة المصدقين عنده وللمبالغة في اسم الاشارة من الاشعار بعلية الوصف ويجوز
الكلام نحو قوله اولئك وكم بين الوجهين الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل
والرابط اسم الاشارة هذه خواص الالوهية اثبتها له ثم نفاها بكلام خال عن التوكيد
للتبعيض تفيدان ما منهم فاعل قط والثانيه ايضا كذلك تفيدان بعضا من تلك الافعال لا ياتي من احد من شركائهم
فضلا عن الكل والثالثه مزيدة لتاكيد شمول النفي اى ما ينطلق عليه اسم النفي
سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او ما اشركوه به ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدى الناس عن ابن عباس

رد على القاضي لتجويزه ان تكون حالا من فاعل اقم استندلالا بان خطابه خطابا لامته وجه الرد ان ذلك باعتبار المعنى دون اللفظ منه

اسم فاعل من استغفر بالزاى المعجمة اذا طلب الكثر مما اعطى منه

يريد ترجيح الوجه الاول من وجوه الاولان او كيل اثر ... تعريفهم للملائكة ... الالتفات ورابعها ان المدح للفاعل وجه الوجه الاخر مدح للفعل منه

عنه البر

عنه البر هو الفلوات والبحر المدن والقرى لما روى البخارى ان رسول الله صالح ملك ايله وكتب له ببحره اى ببلدة
وقيل هما البر والبحر المعروفان ومعنى ظهور الفساد فيهما محق البركات وقلة المنافع في كل صنف من اصناف
الاموال وانواع الحرف بشوم الظلم والمعاصى وفي الحديث اذا مات الفاجر استراح منه العباد والبلاد والشجر
والدواب وعن الامام احمد بن حنبل وجد في زمن ابن زياد صرة فيها الحب كل حبه مثل نوى التمر مكتوب على
الصرة هذا نبت في زمان العدل ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون انما فعل بهم ذلك ليذيقهم في
الدنيا بعض جزاء تلك المعاصى عسى ان يعتبروا ويقلعوا عنها قرأ ابن كثير في رواية قنبل لنذيقهم بالنون وهو اشد
تهويلا قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اى اذا قصر ادراككم عن المعقولات سيروا
في الارض لتشاهدوا بالابصار آثار الامم المكذبة وما حل بهم تلك بيوتهم خاوية بما ظلموا كان اكثرهم مشركين
مثلكم فاقم وجهك للدين القيم الشديد البالغ الاستقامة من قبل ان ياتى يوم لا مرد له من الله لا يقدر على رده احد
الجار متعلق بياتى ويجوز تعلقه بمرد لانه مصدر بمعنى الرد اى لا رد له من جهته لابرام القضاء بعد تعلق الارادة
يومئذ يصدعون يتفرقون تفرقا لا اجتماع بعده فريق في الجنه وفريق في السعير من كفر فعليه كفره لا يتجاوزه
الى الآخر ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون المنزل ويفرشونه في الجنه كمن اراد الرقاد في مكان لا يبقى
فيه شيئا مما يؤذى الراقد او يشفقون على انفسهم كناية عن كمال الشفقة وفي المثل ام فرشت فانامت قال
قرادين عومه وكنت له عما لطيفا ووالدا رؤفا واما فرشت فانامت ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات
تعليل ليمهدون دل بمنطوقه على اختصاصهم بالجزاء وبمفهومه على انهم اهل الزلفى والمحبة من فضله اى ذلك بفضل
منه لا اداء للواجب انه لا يحب الكافرين دل صريحا على ان عدم المحبة اقتضى حرمانهم وبمفهومه على ان مقتضى
الجزاء موفرا لاضدادهم فيلزم منه محبة المؤمنين ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات ايام المطر وهى الصبا والشمال
والجنوب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا يريد به الدبور فانه للعذاب قال
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وليذيقكم من رحمته عطف على مبشرات كانه قال ليبشركم وليذيقكم او على علة
محذوفة دل عليها مبشرات او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجرى الفلك بامره بارادته لا بمجرد الرياح اذ
ليس كل ريح مواتية وقيل اراد انه من اموره الخاصة التى لا تقدر عليها غيره ولتبتغوا من فضله هو تجارة
البحر ولعلكم تشكرون ولكى تشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات
فانتقمنا من الذين اجرموا اى فكذبوهم فانتقمنا من المجرمين للذين آمنوا وكان حقا علينا نصر المؤمنين على
المجرمين دفع من شان المؤمنين واهلهم للكرامة حيث جعلهم مستوجبين للنصر منه وقد لوقف على حقا اى كان
اى ذلك الانتقام حقا ثم يبتدئ علينا نصر المؤمنين اى في كل اوان وعن ابى الدرداء ان رسول الله قال ما من امرئ
مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا هذه الاية الله الذى يرسل
الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء اشار الى كيفية انشاء السحاب ترى السماء صاحية فيرسل ريحا
فتثير سحابا اما انشاء من العدم او من البحر كما قيل فيكثره شيئا فشيئا ويمده كيف يشاء متصلا ومتفرقا كثيفا ورقيقا
وقرأ ابن كثير وحمزه والكسائى الريح مفردا لارادة الجنس ويجعله كسفا قطعا جمع كسفه كقطع في قطعه وقرأ ابن
عامر في روايه ابن ذكوان واحدى روايتى هشام بالسكون اما لانه مخفف بالاسكان او مصدر فترى الودق اى
المطر يخرج من خلاله في تلك الحالات فاذا اصاب به من يشاء من عباده اى بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين كرر لفظ قبل للتاكيد دلالة على ان ابلاسهم وقنوطهم كان في
غاية الاستحكام فيكون الاستبشار الواقع بعده في اقصى الدرجات فانظر الى آثار رحمة الله من النبات والاشجار
والثمار اشارة الى تحقيق طرف المعاد بعد البرهان على طرف المبدأ من ارسال الرياح وانشاء السحاب وقرأ نافع وابن
كثير وابو عمرو وابو بكر اثر بالافراد والجمع احسن لتنوع الاثر كيف يحيى الارض بعد موتها بعد يبسها ان ذلك

عوده بضم العين المعجمة وتشديد اليا على وزن المفعل منه

العرب تزعم ان السحاب لا يلقح الا من رياح مختلفة منه

لمحيي الموتى اي الذي احيا الارض هو الذي يحيي الموتى لان احياءهم اعادة للحياة في تلك المواد كما ان احيا
الارض اعادة للنضارة واحداث القوى النامية بعد تلاشيها وهو على كل شيء قدير برهان على ذلك لاندراجه
في هذه الكلية ولئن ارسلنا ريحا فرأوه اي الاثر الرحمة وهو الزرع او الريح لانه اذا كان مصفرا لا ينبت مصفرا
لظلوا من بعده يكفرون اللام الاولى موطئة والثانية داخلة على جواب القسم الساد مسد الجوابين والريح
المصفر هو الذي يضرب الزرع بالصفار وهو آفة يصفر منه الزرع ذم المشركين بانهم لا يستدلون بالآيات
على وحدانيته ولا يشكرون لنعمه ولا يصبرون على بلائه فهم احقاء بالانتقام وفي ذلك تسلية له ووعد
بالنصر فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لما اكثر في
البراهين القاطعة والادلة النيرة الساطعة ولم يزدادوا الا طغيانا جعلهم موتى لا حس لهم وصما لا سامعة
لهم وقيد الادبار اشارة الى شدة الامتناع فان الاصم اذا كان مقبلا ربما فهم بالاشارة وعميا لا يبصرون وفي
هذا الترتيب تنزل من الاقوى الى الاضعف مع اشتراك الكل في الاستحالة وقرأ ابن كثير ولا يسمع بالياء ورفع
الصم والخطاب ابلغ مع موافقته للاول ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا لصرفهم القوى والحواس الى التدبر في آيات
الله ويجوز ان يراد المشارفون فهم مسلمون منقادون لاوامر الله ولما لم ينجع فيهم آيات الآفاق تلا عليهم آيات
الانفس في اطوارها من اول النشأة الى الانتهاء فانها ادل دليل واعدل شاهد على الصانع القدير الله الذي
خلقكم من ضعف بنى عليه اساسكم لقوله خلق الانسان ضعيفا او من نطفة لقوله من ماء مهين وقرأ عاصم في رواية
ابي بكر واحد وجهي حفص وحمزة بفتح الضاد وهما لغتان الفتح لغة تميم والضم لغة الحجاز ثم جعل من بعد ضعف
قوة وقت البلوغ واوان التشبيب ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة بالشيخوخة والنكس في المعاد للتغاير
يخلق ما يشاء وهو العليم القدير كامل العلم والقدرة ولذلك يحدث في مادة اطوارا متباينة ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة في الدنيا او في القبور لاستقصارهم عذاب يوم القيمة او فيما بين فناء الدنيا والبعث
لما روي انه لا يعذب احد اذ ذاك والساعة الاولى علم ليوم القيمة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة والثانية ما يتعارفه
الناس من الزمان كذلك كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا عن الحق ويبنون امرهم على الباطل بيان لطال المجرمين
في الجهل المفرط واشارة الى ان ما اغتروا به من زخارف الدنيا ليس الا ساعة باغترارهم وقال الذين اوتوا الكتاب
العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في اللوح او علمه او قضائه والتعبير بالكتاب للدلالة على
عدم التبدل كالشيء المكتوب او القرآن لقوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم
كنتم لا تعلمون انه كائن لعدم تصديقكم الرسل والكتب فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اعتذارهم لفوات وقته
وقرأ الكوفيون لا ينفع بالتذكير وهو احسن لوجود الفاصلة ولا هم يستعتبون يدعون الى الاستعتاب كما كانوا
يدعون اليه في الدنيا يقال استعتبني فلان اي طلب مني ازالة العتاب فاعتبته اي ازلت عتابه ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل نوع من انواع الدلائل الدالة على التوحيد وكمال الصفات وصدق الرسل
هي كالامثال في الحسن والغرابة ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن دالة على شيء من تلك الامثال ليقولن الذين
كفروا من قسوة قلوبهم واستهجانهم حديث الآخرة ان انتم الا مبطلون مقصورون على الذنوب لا تتخطونه كذلك مثل ذلك
الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يسعون في تحصيل العلم بمزاولة اسبابه فاصبر ان وعد الله حق بنصرتك واظهار
دينك ولا يستخفنك الذين لا يوقنون لا يحملنك على الخفة والقلق تكذيبهم وعده بالنصر في اول السورة واوسطها وخاتمتها
وامره بالصبر اشارة الى ان بين يدي ذلك شدائد يليق بمثله ان يتحملها ليوطن نفسه على تلقيها بصدر رحيب اذا وقعت
صلى الله عليه صلوة توازي غناه وتجاري عناه والحمد لله على الشدة والرخاء في كل صباح ومساء سورة لقمن عم
مكية وهي ثلث وثلثون اية وقيل اربع بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم
اي آيات السورة آيات الكتاب وصف الكتاب بالحكيم لاشتماله على الحكم او لكونه كلام الحكيم او لكونه محكما آياته هدى ورحمة

رواه الامام احمد وابو داود والترمذي منه

لطال المجرمين

للمحسنين

للمحسنين المخلصين في الدين لانهم المنتفعون به او الذين يعملون الحسنات وجميع ما يحسن من الاعمال الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون وصف كاشف على الاول والاستيناف موقعه اولئك على هدى من
ربهم وعلى الثاني الموصول مبتدأ وخبره اولئك على هدى وهو استيناف بذكر الصفة الموجبة للاستيهال كما مر والصفة
المادحة محل حسن واولئك هم المفلحون الفائزون بالبغية لاجل تلك الاوصاف ومن الناس من يشتري لهو الحديث
ما يلهي والاضافة بيانية وهو الحديث المنكر كل ما يصد عن ذكر الله وفي الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات
وروى الترمذي عن ابي امامة ان الاية نزلت في ناس كانوا يشترون المغنيات والاضافة بيانية كخاتم الحديد وقيل
الاضافة بمعنى من التبعيضية على ان المراد بالحديث مطلقه فلا يجب تعيين الحديث بالمنكر كما في الوجه الاول لان الغرض
تبيين اللهو الفوقي والغرض تعجيب السامعين ممن يختار اباطيل الحديث على الآيات والحكم ليضل عن سبيل الله كما
كان يفعله النضر بن الحرث يقول ان كان محمد يحدثكم باحاديث عاد وثمود فانا احدثكم ايضا مثله ويحكي لهم حروب
الفرس من وقايع رستم واسفنديار وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وهو ابلغ لاستحقاقه العذاب بمجرد
الضلال ولسلامته من الحذف والمراد زيادة الضلال والاستمرار او اريد به الاضلال لان الضلال المضاعف لا ينفك
عنه بغير علم اي بجهله وانما اثره في التنزيل لدلالته على فقده اشرف الاشياء ويتخذها اي سبيل الله هزوا
سخرية وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويتخذ بالنصب وهو اولى لقرب المعطوف عليه والباقون بالرفع اما استينافا
او عطفا على يشتري اولئك لهم عذاب مهين جزاء من جنس عملهم لاستهزائهم بالدين واذا تتلى عليه اياتنا
ولى مستكبرا كان لم يسمعها متكبرا شامخا انفه كان في اذنيه وقرا ثقلا لا يقدر على السماع فالاول حال
من المستكن في مستكبرا الاية ولى والثاني من المستكن في لم يسمعها الا بدلا من الحال الاولى لفوات المبالغة
المقصودة وذلك انه شبه المستكبر بمن لم يسمع ولما احتمل عدم السماع لعدم الالتفات سلب عنه القابلية بطريان
الآفة في الآلة وقرأ نافع باسكان الذال فبشره بعذاب اليم اثر التبشير على الاعلام والاخبار تهكما ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم كما ان لاضدادهم العذاب الاليم خالدين فيها حال من ضمير لهم او من جنات
ان جعل فاعل الظرف وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه لان الاخبار السابق وعد بلا احتمال والثاني
كونه حقا اعم مفهوما فهو مؤكد غيره وهو العزيز الغالب لا يمنعه شيء عن انجاز الوعد الحكيم الذي لا يفعل الا ما
اقتضته حكمته من مجازاة الفريقين على وفق عملهم خلق السموات بغير عمد احتجاج على من يشرك به
ترونها استيناف يؤكد اذ لا علم اجلى من المحسوس ويجوز ان يكون في محل الجر صفة عمد والاول هو الوجه لايهام
الثاني نفي المركب من حيث هو والقى في الارض رواسي ان تميد بكم جبالا ثوابت كراهة ان تميل لان جرم
الارض بالنسبة الى الماء في غاية الصغر فلا يخلو عن اضطراب وبث فيها من كل دابة من كل نوع من انواع ما
يدب على الارض وانزلنا من السماء ماء التفت الى التكلم لان انزال الماء من جهة العلو ابدع واغرب فانبتنا
فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع هذا خلق الله مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما تشركون
به بكتهم بما لا مجال لهم عن رده بل الظالمون في ضلال مبين جلي لا يخفى على ناظر آثر المظهر للدلالة على ان الاشراك
بعد هذه الحجة النيرة كمال الظلم ولقد آتينا لقمان الحكمة كان المشركون يرجعون الى اهل الكتاب في امر رسول الله وقصة
لقمن ونهى ولده عن الاشراك مشهورة عندهم فكانت حجة على المشركين ولقمن هذا عبد حبشي وقيل نوبي كان اولا
راعيا فآتاه الله الحكمة فكان قاضيا في بني اسرائيل الى ان بعث داود فترك القضاء فقيل له في ذلك فقال كيف لا اتركها
وقد كفيت بغيري وقيل لم يكن عبدا بل كان من اولاد آزر عاش الى زمن داود عمر الف سنة واتفق المفسرون
من الصحابة والتابعين على انه لم يكن نبيا الا ما تفرد به عكرمة ومجاهد وعن قتادة انه خير بين النبوة والحكمة
فاختارها فقيل له في ذلك فقال خفت ان اضعف عن القيام بحق النبوة روي ان مولاه امره بذبح شاة وقال له
ائتني باطيب المضغتين منها فاتى بالقلب واللسان ثم امره بذبح شاة اخرى بعد ايام وقال ائتني باخبث المضغتين منها

مر في سورة البقرة نظيره منه

ونسو

الحديث رواه الترمذي وفي سنده ضعف منه

كلام مع القاضي

فاتى بهما ايضا فقال له كيف وجه ما فعلت فقال هما اطيب شئ اذا طابا واخبث اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب
انه وقف عليه اسود فقال له لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلثه من السودان لقمان وبلال ومهجع مولى
عمر بن الخطاب والحكمة العلم المشفوع بالعمل وهذا معنى استكمال النفس بحسب القوة النظرية والعملية ولذلك
فسر انشاءها بقوله ان اشكر لله لتناول اعتقاد الجنان وعمل الاركان والقول باللسان ومن يشكر فانما يشكر
لنفسه لان نفعه لا يتخطاه بجواز ان يكون مما قيل للقمان وان يكون اعتراضا حثا على الشكر ومن كفر فان الله
غني لا ينقص بذلك عن ملك شئ حميد في حد ذاته حمد ذاته قبل حمد الحامدين او حميد بلسان الحال حيث
افاض الوجود على الماهيات وانار بضيائه الكاينات واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اسمه اشكم وقيل انعم
وقيل ماثان كان هو وامه كافرين فلم يزل يعظهما حتى اسلما يا بنى تصغير اشفاقا قرا حفص بفتح الياء في الكل ووافقه
البزى في الثالثه لدلالته على حذف الالف المقلوبة من الياء واسكن الاول وكسر الثانيه وقنبل باسكان الطرفين
تخفيفا وكسر الوسط ونافع وابو عمرو وابن عامر وحمزه والكسائى وابو بكر بالكسر بحذف ياء المتكلم اكتفاء به لدلالته
عليه لا تشرك بالله في الوهيته ان الشرك لظلم عظيم لا يحاط بكنهه قبحا اذ ليس من يخلق كمن لا يخلق والوقف على
لا تشرك وجعل بالله قسما ضعيف ووصينا الانسان بوالديه عطف على ولقد آتينا لقمان الحكمة دفع لما يتوهم من
عدم جواز القيام بحقهما لانه يشبه العبادة وقيل هو كلام معترض في قصه لقمان للدلالة على ان شكر الوالدين مقرون
بشكر الله ومع ذلك لا يجوز ارتكاب الشرك لرضاهما فكيف بالغير وقيل عطف على مضمر اى وقلنا له ووصينا الانسان
حملته امه وهنا على وهن اى لم يزل تضاعف ضعفها منذ حملته الى حين الوضع اعتراض يؤكد حق الام روى البخارى
ومسلم عن ابى هريرة ان رجلا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك وفصاله
في عامين لانه اقصى مدة الرضاع لقوله يرضعن اولادهن حولين كاملين ان اشكر لى ولوالديك تفسير للوصية
او بدل اشتمال من والديه او علة لوصينا الى المصير وعد ووعيد وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك
به اى ما ليس بشئ حقيقه ولا يصح ان يتعلق به العلم حق شان الشرك في جعله دون المعدوم فلا تطعهما في ذلك
اذ لا طاعة في معصية الخالق وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا يرتضيه الدين والمروة واتبع سبيل من اناب الى علم
في التوحيد والاخلاص ثم الى مرجعكم للجزاء فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيكم على وفق اعمالكم نزلت في
سعد بن مالك حين اسلم حلفت امه لا تاكل ولا تشرب ولا تقعد في ظل حتى يرتد ولذلك قيل من اناب الى ابو بكر
لان اسلام سعد كان على يده يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل اى الفعله من الحسنة والسيئة مثقال
الشئ ما يوازنه والخردل نبت حبته يضرب به المثل في الصغر وقرا نافع مثقال بالرفع والتانيث لان الفاعل مضاف
الى المؤنث اولان المراد به الحسنة والسيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اخفى مكان يتصور
يات بها الله يوم القيمه ان الله لطيف يصل علمه الى الشئ وان دق مسلكه خبير ببواطن الاشياء يا بنى اقم
الصلوة فانها عماد الدين دل هذا على انها عبادة قديمة في ساير الملل وامر بالمعروف وانه عن المنكر
فانه كمال وتكميل روى الزهري عن ابى هريرة ان رسول الله قال لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ليبعثن
الله عليكم عذابا من عنده واصبر على ما اصابك من المكاره في الاوقات كلها لا سيما عند الامر والنهي او
اذ قل ان يسلم من اذى الاشرار ان ذلك من عزم الامور اى المذكور من اقامة الصلوة الى آخره من الامور
المفروضه المقطوعه ومنه الحديث سجدة ص ليست من عزايم السجود وقوله اذا سئلت فاعزم المسئلة مصدر
بمعنى المفعول او بمعنى الفاعل من عزم الامر اذا جد ولا تصعر خدك للناس لا تولهم صفحة وجهك كما
يفعله المتكبرون وفي الحديث ياتي على الناس زمان ليس فيهم الا اصعر او ابتر والصعر داء يصيب البعير يلوى
منه عنقه وقرا نافع وابو عمرو وحمزه والكسائى تصاعر بالمد وهي لغة الحجاز الفصحاء على نمط يساقه ولا تمش
في الارض مرحا بطرا وهو شدة الفرح عزوما حال او مصدر اى تمرح مرحا او للمرح وفي الحديث كان رجل

لان المختال في مقابل الماشي مرحا
والفخور في مقابله المصعر كذا
في الكشف منه

يمشي وعليه برد فنظر في عطفيه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ان الله لا يحب كل مختال
في مشيته فخور على الغير تشر لما تقدم وتغيير الترتيب لتوافق رؤس الاى واقصد في مشيك اى توسط
بين الاختيال والتماوت فيكون مشيا بين مشيين وفي الحديث نظرت عايشه رجلا كاد يموت تخافتا فقالت ما
لهذا قالوا رجل من القراء فقالت كان عمر سيد القراء وكان اذا مشى اسرع واذا قال اسمع واذا ضرب
اوجع وفي وصف مشيه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى كانه ينزل من صبب واغضض من صوتك وانقص
منه ولا ترفع صوتك الا مقدار ما تسمع جلساءك اصل الغض الخفض والكسر ومنه في الحديث كان اذا فرح غض
طرفه لئلا تكون اشرا ان انكر الاصوات اقبحها لصوت الحمير بالغ في التحذير عن الافراط في رفع الصوت باخراج
الكلام مخرج الاستعارة واثر لفظ الجمع لان الصوت المنكر اذا توافقت عليه الحمير كان انكر هذا مع ان الحمار مثل في
الذم حتى ان اهل الادب يكنون عنه بطويل الاذنين تحاشيا عن لفظه **فان قلت** من الاصوات ما هو
اشد نكرا من صوت الحمار **قلت** اذا كان المراد بالانكرية القباحة ليس اقبح منه صوت هذا مع ان ساير
الحيوانات انما تصوت عند اصابة مكروه والحمار لا يصوت الا بطرا الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات من الشمس
والقمر والنجوم والسحاب اسبابا لمنافعكم وما في الارض من الاشجار والانهار والزروع والثمار واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة تعجيب من حال المشركين ما تعلق بظاهر الانسان مثل الاستقامة وما في الخلقه من المحاسن و
الباطنه هي القوى المدركة ونتايجها من المعارف وما في اعماق الاجسام من الاشياء التي لا شعور للانسان بها وقرا
نافع وابو عمرو وحفص بكسر النون وفتح العين على صيغه الجمع مضافا الى الضمير وهذا ابلغ واشمل ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم مستفاد من طريق العقل ولا هدى ولا هداية من رسول ولا كتاب منير انزله الله ارشادا
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا انهما كافي التقليد اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب
السعير عطف على مدخول الاستفهام توبيخا اى اتتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب النار والمنصوب
في يدعوهم اما لهم ولآبائهم ويؤيد الثاني قوله اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومن يسلم وجهه
الى الله اى ذاته بالكلية والفرق بين اللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله وبين الى كما في الاية ان اللام تفيد الاختصاص
اى جعل نفسه خالصة لله لا شركة فيها لاحد والى تفيد التفويض كما يسلم الرجل متاعه الى الغير وهو محسن في عمله
كانه يرى ربه فقد استمسك بالعروة الوثقى مثل حال المتوكل بحال من اراد الارتقاء الى شاهق فاستمسك باوثق
حبل مامون الانقطاع والى الله عاقبة الامور فيجازيه بما يليق بكرمه ومن كفر فلا يحزنك كفره اذ عليك البلاغ
وقد وفيت به وقرا نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاء من احزن والباقون بفتح الياء وكسر الزاء قال الخليل حزنه
جعل فيه حزنا واحزنه جعله حزينا كادخله جعله داخلا فالاول ابلغ وعن الفراء انهما بمعنى فالقول بان احزن
ليس بمستفيض وهم الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا نجازيهم عليه ان الله عليم بذات الصدور بخفيات الضماير اثر
في الالتفات لفظ الجلالة لان الالوهية مستلزمة للاحاطة بالسر واخفى نمتعهم قليلا ليزدادوا اثما عبر عنه
بالتقليل لان الفانى وان طال قليل بالنسبة الى الدايم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ استعار الغلظ من الاجرام اشارة
الى شدته كانه تجسد من عظمه ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لا يقدرون على غيره لغاية
الظهور قل الحمد لله على هذه النعمه اذ في اقرارهم الزام لهم وقلع دابر شبهتهم بل اكثرهم لا يعلمون اضراب الى جهل هو
اقوى من الاول اذ المعنى ان جهلهم انتهى الى انهم لا يعرفون ان قولك الحمد لله انما هو لالجامهم لله ما في السموات والارض
من الجزئيات الخارجة والاجزاء الداخلة ان الله هو الغني المطلق الحميد بلسان الحال وان لم يحمد مقالا لان الكل خلقه
وملكه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله قرا السبعة الا
ابا عمرو والبحر مرفوعا عطفا على محل ان ومعمولها اى لو ثبت كون الاشجار اقلاما وكون البحر ممدودا بسبعة ابحر
او رفعا على الابتداء والواو للحال وقرا ابو عمرو بالنصب اما عطفا على اسم ان او بفعل يفسره يمده وهو المختار لرجحان

حامله الكل ح والقاضي
انما كان وهما اذ لا استفاضة مع
التواتر واما نسبه احدى القرآتين ملاعلع
في دكر منه

عطف اللفظ على المحل وعدم الاحتياج الى التقدير والمعنى لو ان اشجار الارض اقلام والبحر المحيط ممدود
سبعة ابحر وكتبت تلك الاقلام بذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت تلك الاقلام والمداد
وانما اثر جمع القلة اشارة الى ان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير كذا قيل وانما يستقيم اذا لم يجعل الجمع
المضاف مستغرقا اذ عند ذلك لا تفاوت بين الجموع ان الله عزيز غالب لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه شيء
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لاستغنائه عن الاسباب والالات بل علة وجود الاشياء انضمام الارادة
الى القدرة الشاملة ان الله سميع جميع المسموعات في ان واحد بصير يبصر المبصرات كذلك فكما لا يشغل سمعه وبصره
شيء عن شيء فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر
كل من النيرين يجري الى اجل مسمى دل تعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجري كل من النيرين في
فلكيهما كل ذلك على حساب وتقدير على عظيم قدرته وكمال علمه وايقاع الى صلة الجري معناه الانتهاء واللام
الاختصاص ولما كان الثاني ابلغ كثر في القران ولم يقع الا في هذا الموضع والمراد بالاجل آخر السنة في الشمس وآخر
الشهر في القمر وعن الحسن هو يوم القيمة لانقطاع جريهما حينئذ وان الله بما تعملون خبير يعلم بواطن اعمالكم
ذلك بان الله هو الحق ذلك الوصف العجيب من كمال القدرة وباهر الحكمة لاجل انه الثابت الالوهية التي من لوازمها
الكمال المطلق في كل وصف يليق بكبريائه وان ما يدعون من دونه الباطل لعجزه عن الاتصاف بوجوده الا من
ذلك الحق قرأ ابو عمرو والكوفيون الا ابا بكر يدعون بالياء وهو المختار لاخراجهم عن شرف خطابه اذ عبدوا
غير الباطل **فان قلت** قد زاد في مثل هذا الاستدلال ضمير الفصل في قوله وان ما تدعون من دونه هو
الباطل في سورة الحج فما الوجه في تركه **قلت** الكلام هناك كان في نصر المظلوم والمشركون كانوا يزعمون
ان آلهتهم تنصرهم ولذلك لما انهزم المسلمون يوم احد نادى ابو سفيان باعلى صوته اعل هبل اعل هبل فكان
المقام خليقا بالتاكيد وان الله هو العلي الكبير العلي شانه الكبير سلطانه وما عداه حقير صغير تحت قهره الم تر
ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله بالريح المرسلة التي هي من نعم الله لقوله ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد ليريكم
من آياته من عجائب البحر كما اريكم بدايع البر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن لان الصبر على
البلاء والشكر على النعماء من صفاته كناية يراد بها الموصوف وفي ايثارها اشارة الى ان الوصفين هما عمدتا الايمان
واذا غشيهم موج كالظلل جمع ظلة وهي كل ما اظلت اراد الامواج المتراكبة عند هيجان البحر دعوا الله مخلصين
له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من شدة الخوف فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد متوسط في كفره قد حفض من
غلوائه او مؤمن موحد باق على ذلك الاخلاص وفي الكلام شائبة انكار اذ بعد النجاة من تلك المهالك
كان اللائق به ان يكون من الكمل السابقين وما يجحد بآياتنا الا كل ختار غدار الختر شدة الغدر قال شعر وانك لو رايت
ابا عمير ملأت يديك من غدر وختر كفور بنعماء الله يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن
ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا لما شيد اركان البراهين على قيام الساعة بما لم يبق للريب فيه مجال حذر كافة
الناس بان لا يتكل احد على احد فان اقرب الناس واجدرهم بالنفع الوالد والولد واذا لم يقدر احدهما على نفع الآخر
فالغير بالاولى وغير النظم في جانب الولد عن السنن الاول مؤكدا بضمير الفصل لان المولود لا يقال الا لمن ولد
منك بخلاف الولد فانه يطلق على الحافد واذا لم ينفع من ولد منه فالاحفاد من باب الاولى ان وعد الله حق لا بد
من وقوعه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بالاشتغال بزخارفها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بالاغراء على المعاصي
قائلا ان الله غفور رحيم وبالتسويف عن التوبة ان الله عنده علم الساعة لا عند غيره كقولك عند زيد الخير وينزل
الغيث يعلم وقت نزوله دون غيره لانه معطوف على المختص به ولقرينة المقام لان المسوق له الكلام شمول العلم والاختصاص
بالقدرة على الانزال ويعلم ما في الارحام من الكمية والكيفية وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي
ارض تموت عطف على جملة ان الله عنده علم الساعة ولما كان الكلام مسوقا للاختصاص لا لافادة اصل العلم لزم من

من النفي على سبيل الاستغراق اختصاصه به تعالى على الوجه الابلغ كناية وفي ايثار الدراية من جانب العبد اشارة
الى انه لا يعلم وان بذل مجهوده في الحيل ان الله عليم كامل العلم بالاشياء كلها خبير عالم ببواطنها كما يعلم ظواهرها
تمت سورة لقمان والحمد لله على الانعام والاحسان والصلوة على المبعوث من عدنان

سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب
ان جعل اسم السورة او القرآن وان جعل تعديدا للحروف ايقاظا تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره لا ريب
فيه او من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض وهو الوجه لان قوله ام يقولون افتريه انكار على الزاعم انه من
عند غير الله تعجب من ذلك القول مع وجود ما في الريب فيحسن موقع الاعتراض وبعدا انه لا التفات الى شغب المكابر
ثم اضرب عن ذلك الى اثبات كونه هو الحق بعد اماطة الشبهة بقوله بل هو الحق من ربك وفي اضافة الرب اليه بعد اضافته
الى العالمين تخلص الى اثبات نبوته وفيه اشارة الى انه العبد الذي جمع ما تفرق في العالمين وفي اسلوب الترقي اشارة
الى ان الكمال فيه اتم مما في كل العالم لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اي بعد الضلال لقوله وان من
امة الا خلا فيها نذير ولانهم كانوا يزعمون انهم على ملة ابرهيم واما دعوة موسى وعيسى فلم تكن عامة
لعلهم يهتدون راجيا انت هدايتهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على
العرش دليل على استحقاقه العبودية دون غيره تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما لكم مجاوزين رضاء
الله ولي يتولى امركم ولا شفيع على ان من دون حال من ضمير المخاطبين او الشفيع مجاز عن الناصر ومن دون
الله حال مقدم كانه قيل ما لكم ولي ولا ناصر غير الله افلا تتذكرون هذه المواعظ الجلية يدبر الامر من السماء الى
الارض اي المأمور به من الطاعات ضمن معنى الانزال ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون
العروج هو الصعود والمعنى لا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا الا في مدة متطاولة لقلة العباد الخلص فذكر
الالف للاستطالة لا لنهاية العقود وثم للاستبعاد ويدل على هذا الوجه قليلا ما تشكرون او امر الدنيا كلها من
السماء الى الارض فالامر بمعنى الشان والعروج مجاز عن الثبوت في صحف الملئكة والمعنى انه لكل يوم من ايام الله
وهو الف سنة تدبير لشان الدنيا ثم على التدريج يقع ذلك في الوجود ثم اذا تمت تلك المدة دبر لالف آخر وهلم
جرا الى قيام الساعة فكانه قيل يجدد هذا التدبير مستمرا او هو الوحي ومقدار ما بين السماء الى الارض خمسمائة
سنة فيقع النزول والعروج في الف سنة ولا ينافي هذا قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة لان ذلك
عروج الى العرش والمراد امر الدنيا الى قيام الساعة فالامر بمعنى الشان والظرف متعلق بالعروج كانه قيل يدبر
الامر الى يوم القيمة ثم في ذلك اليوم الذي مقداره الف سنة يصير اليه ذلك الامر كله فيحكم بموجبه والتوفيق
بينه وبين قوله خمسين الف سنة على هذا التفاوت في الاستطالة بحسب الشدة وقيل فيه خمسون موطنا وكل
موطن الف سنة ذلك عالم الغيب والشهادة اي ذلك المدبر يعلم الغايب والشاهد بلا تفاوت وهذا يدل على كمال
اتقانه في ذلك التدبير العزيز الغالب على امره الرحيم بعباده يراعي مصالحهم تفضلا الذي احسن كل شيء خلقه
ما يليق به واقتضته حكمته بدل اشتمال من كل شيء وقرأ نافع والكوفيون خلقه بفتح اللام على انه ماض ومحل الجملة
النصب على انه صفة كل او جر صفة شيء وهذا ابلغ وبدأ خلق الانسان من طين هو آدم ثم جعل نسله ذريته سميت
نسلا لانها تنسل اي تنفصل من سلالة فعالة بمعنى المفعول اي مسلول من ماء مهين هي النطفة لانها مستقذرة او
نجسة ثم سواه قومه بتصوير الاعضاء في احسن تقويم ونفخ فيه من روحه اضافة تشريف كقوله في جبرئيل فارسلنا
اليها روحنا وحديث من عرف نفسه على تقدير صحته لا يدل الا على ان النظر يوجب العلم بالصانع كالنظر في
الآفاق كقوله وفي انفسكم افلا تبصرون وجعل لكم السمع والابصار والافئدة آلات الادراك ليستنبطوا
الكليات من المحسوسات والتفت الى الخطاب مكافحة بقوله قليلا ما تشكرون شكرا قليلا تشكرون وقالوا ائذا
ضللنا في الارض صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نميز من اجزائنا واجزائها قرأ ابن عامر اذا بدون الاستفهام

أئنا لفي خلق جديد الاستفهام في الموضعين للتعجب مقاله كلهم وقيل القائل ابي بن خلف وقرأنافع و
الكسائي بالاخبار وما دل عليه هو العامل في الظرف المتقدم بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب الى ما هو
اعم من انكار البعث وهو جميع ما يكون بعد الموت من الحشر والحساب والمجازاة قل يتوفيكم ملك الموت الذي
وكل بكم لا كما تزعمون نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر ولا تنافي هذا قوله تتوفيهم الملئكة لانهم اعوانه قيل
ينزعون الروح الى الحلقوم فاذا بلغه قبضه ملك الموت والتوفي اخذ الشئ بتمامه وكذا الاستيفاء لان التفعل
والاستفعال يلتقيان كثيرا ثم الى ربكم ترجعون للمجازات ولو ترى يا محمدا ويا من تأتى منه الرؤية اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الخجل والخزي لرايت امرا فظيعا والمراد وجود الرؤية فلا تقدير له مفعول ويجوز
ان يكون تمنيا لرسول الله ليشمت بهم حين تجرع الغصص ولو واذ وان اختصا بالماضي الا ان المترقب في كلامه
تعالى كالثابت قطعا ربنا ابصرنا وسمعنا ابصرنا ما وعدته وسمعنا تصديق رسلك منك او كنا عميا وصما
فابصرنا وسمعنا فلا تقدير مفعول فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون اذ لا علم اجلى من المشاهدة ولو شئنا
لآتينا كل نفس هديها ما تهتدي به الى الايمان بخلق قدرة الطاعة فيها ولكن حق القول مني ثبت وتحقق الحكم
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين هذا لازم لذلك الحكم
او القول هو هذا فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم اي بترككم النظر والتدبر فيه ترك الناسي هذا اي ما انتم
فيه من الخزي مفعول ذوقوا وقيل صفه يومكم والآية صريحة في ان الله لم يرد ايمانهم بناء على التوسط
الذي هو مناط التكليف وكون الامر بين الامرين لا جبر ولا قدر انا نسيناكم تركناكم في العذاب ترك المنسي
وفي الاستيناف وبناء الفعل على ان واسمها اشارة الى شدة الانتقام وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون
من الكفر وساير المعاصي والخطاب للمشركين فلا يدخل فيه اصحاب الكباير انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها
وعظوا وفي ايثار التذكير اشارة الى انها من الوضوح بحيث لا يحتاج الى التأمل خروا سجدا لله وفي لفظ الخرور
اشارة الى انهم لم يتمالكوا حين ذكروا وسبحوا قدسوا الله عما لا يليق به بحمد ربهم ملتبسين بحمده على التوفيق
وهم لا يستكبرون تصريح بما علم وتعريض بالمشركين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ترتفع وتتبعد مستمرين على ذلك يدعون
ربهم خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه عن اسماء بنت زيد قالت قال رسول الله اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم
القيمه نادى مناد بصوت يسمع الخلايق سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى
جنوبهم فيقومون وهم قليل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير جمعا بين انواع ما يتقرب به فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين مما تقر به اعينهم والفاعل هو الله تعالى وانما ابهم لعدم ذهاب الوهم الى الغير
وقرأ حمزه اخفي بسكون الياء مضارع اخفي وما موصوله او استفهامية وتعلم بمعنى المعرفه جزاء بما كانوا
يعملون اي جزوا جزاء او اخفي جزاء وعن الحسن اخفوا عن الناس اعمالهم اخفى الله جزاءهم لم يطلع عليه لا نبيا
مرسلا ولا ملكا مقربا وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا
تعلم نفس افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الدين رد لما كانوا يزعمون ان لو كان بعث فنحن احسن
حالا من هؤلاء الصعاليك قياسا للدار الآخرة على الدنيا وعن عطاء بن يسار والسدي انها نزلت في علي بن
ابي طالب وعقبه بن ابي معيط وقيل في علي ووليد بن عقبه وليس بصواب لان المراد بالفاسق هنا الكافر
ولان السورة مكية فنزول الآية بعد بدر غير مستقيم لا يستوون في الرتبه وجمع الضمير بالنظر الى المعنى
اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى لانها دار الاقامة فهي المأوى حقيقه والدنيا منزل
المسافر وقيل جنة المأوى جنة مخصوصة عن يمين العرش تأوي اليه ارواح الشهداء نزلا طعام يعد للنازل
ثم صار عاما في كل عطاء بما كانوا يعملون بسبب عملهم واما الذين فسقوا فمأويهم النار كلما ارادوا ان

مردود على الكشاف والقاضي

[...] اسلم يوم الفتح وفي الغلط
[...] الذين امنوا ان حاكم فاسق
[...] الولد برلد منه

وانما حملنا من باب ما الغلط ال فرعون لان الترجي عليه محال و قوله يطلبون الرجوع سطر قود اخرضا بهما منه

ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فهم خالدون فيها المافي كلما من التكرار وقيل لهم ذوقوا عذاب النار
الذي كنتم به تكذبون يقال لهم هذا زيادة في العذاب بتوبيخ حاسة السمع كقول ابي نواس الا فاسقني
خمرا وقل لي هي الخمر ولنذيقنهم من العذاب الادنى في الدنيا من القحط والاسر دون العذاب الاكبر اي
عذاب الآخرة لعلهم يرجعون بالتوبة وعن مجاهد العذاب الادنى عذاب القبر ومعنى لعلهم يرجعون يطلبون
الرجوع من باب فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا والترجي راجع اليهم ومن اظلم ممن ذكر بآيات
ربه ثم اعرض عنها اي لا اظلم منه وثم لاستبعاد الاعراض مع الجلاء كقول الحماسي يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من
المجرمين منتقمون طرا فكيف باظلمهم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلست ببدع من الرسل فلا تكن في
مرية من لقائه من لقاء الكتاب وان ما اوتيته نظير ما اوتي موسى وقيل من لقاء موسى الكتاب وقيل من
لقائك موسى يوم القيمة او ليلة الاسراء والاول هو الوجه لقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وجعلناه هدى لبني اسرائيل اي كتاب موسى او موسى وجعلنا منهم ائمة يهدون
الناس بامرنا بتوفيقنا او بامرنا اياهم بذلك وفي الحديث اخذ الله العهد على العلماء كما اخذ على الانبياء ليبيننه
للناس ولا يكتمون لما صبروا على الطاعات وقرأ حمزه والكسائي لما بكسر اللام وتخفيف الميم اي لصبرهم ومآل الوجهين
واحد وكانوا بآياتنا يوقنون لتدبرهم فيها فكانوا حقاء بالامامة لكمال قوتيهم العلمية والنظرية وتقديم الاول
لكونه المقصود من العلم ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمه فيما كانوا فيه يختلفون اي يميز بين المحق والمبطل
من ساير الامم او من بني اسرائيل اولم يهد لهم اي لاهل مكة عطف على منوي مثل الم يكشف والفاعل ما دل
عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة المهلكين او هذا الكلام بمضمونه كقولك لا اله الا الله يعصم
الدماء والاموال وقيل فيه ضمير الله يمشون في مساكنهم في اسفارهم وهي مساكن عاد وثمود وقوم لوط ان
في ذلك لآيات افلا يسمعون سماع تدبر **فان قلت** كان الظاهر بعد ذكر المشي في مساكنهم ورؤية غضب
الله تعالى افلا يبصرون **قلت** تلك الرؤيه كانت وقت سرورهم وقد ذهلوا عنها فلما ذكرهم اياها حذرهم
الذهول عنها بان حثهم على سماع الاتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي انقطع نباتها لعدم المطر
من جرز الشئ قطعه لا الارض التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا المراد كل ارض هذه صفتها وعن ابن عباس
ارض اليمن وذلك لانها مربع انعام اهل مكة تأكل منه انعامهم من التبن والاوراق وانفسهم من الحب
والثمر افلا يبصرون ابصار اعتبار فيستدلون به على ان من قدر على ذلك قدر على الاحياء ويقولون متى هذا الفتح
ان كنتم صادقين يوم الفتح يوم القيمه لقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا من الفتاحة وهي الحكم وقيل يوم
بدر او يوم فتح مكة وعلى هذا معنى قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون هم المقتولون
في ذلك اليوم وانطباق هذا الجواب على سؤالهم من حيث التهكم والاستهزاء بهم كما كانوا يستهزؤن في سؤالهم
واستعجالهم فكانه قال كاني بكم وقد جاء ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه ايمانكم ولا تنظرون اذا استنظرتم فاعرض
عنهم بعد ما بلغت الغاية القصوى من التبليغ والانذار وانتظر النصر الموعود انهم منتظرون ما عينهم انفسهم
من العاقبة والغلبة تمت السورة والحمد لله على آلائه الموفورة والصلوة على محمد ذي الآيات المشهورة **سورة**

الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي
اتق الله لم يناده الا ملقبا بما يدل على رفعة محله من الرسول والنبي والمزمل بخلاف ساير الانبياء من قوله يا موسى
ويا آدم اجلالا له وانما ذكر اسمه في قوله محمد رسول الله وقوله وما محمد الا رسول فللحكم عليه بالرسالة الا يرى الى
قوله لقد جاءكم رسول وقوله آمنوا بالله ورسوله اتق الله دم على التقوى او ازدد اذ المسافة غير متناهية ولا تطع
الكافرين والمنافقين روى ان ابا الاعور السلمي وابا سفيان بن حرب وعكرمه بن ابي جهل قدموا المدينة فنزلوا
على ابن ابي رأس المنافقين وجد بن قيس فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ادع ذكر اللات والعزى وقل ان

لها شفاعة فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال قد اعطيتهم الامان فنزلت وقيل نزلت في
بنى قريظه والنضير ويهود بنى قينقاع كان ناس منهم آمنوا على النفاق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلين لهم
الجانب ويتجاوز عنهم اذا اتاه قبيح منهم وقيل ان اهل مكه دعوا رسول الله الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر
اموالهم وان يزوج شيبة بن ربيعه ابنته ان الله كان عليما بما هم فيه من المنكر حكيما في علم معاجلتهم
بالعذاب واتبع ما يوحى اليك من ربك لا تعدل عنه تاكيد للنهى ان الله كان بما تعملون خبيرا فنوحى اليك ما
تصلحون به اعمالكم انت وامتك وقرأ ابو عمرو بالياء على انه وعيد للكافرين والمنافقين وتوكل على الله
في مجامع امورك وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه عن
ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يوما يصلى والمنافقون يصلون معه فسهى في صلوته
فقال المنافقون ان له قلبين قلب معكم وقلب مع اصحابه وعن الزجاج ان عبد الله بن حنظل كان يقول ان لى قلبين
وقيل هو ابو معمر وكان من احفظ العرب وقيل هو جميل بن اسد الفهرى فلما انهزم المشركون يوم بدر ولى
هاربا فمر بابى سفيان فقال ما فعل القوم قال هم بين مقتول وهارب وكان قد علق احدى نعليه فى يده
والاخرى في رجله فقال له ما بال احدى نعليك فى يدك فقال ما ظننت الا انهما فى رجلى فاكذب الله
قوله وقولهم وجعل ذلك اصلا بنى عليه شيأن لا حقيقه لهما وهما التبنى والظهار وذكر الجوف لزياده التصوير
وتقرير الانكار وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم كان الظهار في الجاهلية طلاقا وحقيقته ان
يقول الرجل لزوجته انت على كظهر امى وكالام ساير المحارم فاخبر الله تعالى بان ذلك القول لا اصل له ولم
يثبت له حكم فى علم الله تعالى كما لم يتعلق ارادته بخلق القلبين في جوف وقيل لان هذا يؤدى الى التناقض وان
يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل ولان الام مخدومه والزوجة خادمة وفيه نظر لان الراهين اقوى
واكمل ويكون الحسن شرعيا ولتضمن الظهار معنى التجنب عدى بمن قرأ الكوفيون وابن عامر واللائى بهمزة مكسورة
بعدها ياء ساكنة على الاصل والباقى فرعه بغير يا وورش بهمزه مكسورة مسهله فى الوصل ويقف بياء
ساكنة ولابى عمرو والبزى وجهان الياء الساكنة ومختلسة الكسر وقرأ قالون وقنبل بهمزه مكسورة لا ياء
بعده وقرأ ابو عمرو والحرميان بفتح التاء فى تظاهرون والهاء وتشديدها والظاء بلا الف وابن عامر بالفتحتين
وتشديد الظاء وتخفيف الهاء والف بينهما وعاصم بضم التاء وكسر الهاء وتخفيفها والف بينهما وحمزه والكسائى
بالفتحتين والالف وتخفيف الهاء فيهما والوجه فى الكل واضح لكن التخفيف اشهر وما جعل ادعياءكم ابناءكم
جمع دعى وهو الذى يدعى ابنا من غير ولاد وهذا هو المقصود من سوق الكلام وذلك ان رسول الله كان
دعا زيد بن الحارثه ابنا قبل النبوة لانه كان قد سبى ووقع فى يد حكيم بن الحزام فوهبه لخديجه زوج رسول
الله فوهبته له فجاء بعد ايام ابوه وعمه فى طلبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم احبه فلما طلباه منه
قال رسول الله خيره فان اختاركم فهو لكم وان اختارنى دعوه قالوا رضينا ظنا منهم بانه لا يختار على ابيه
احدا فلما خيره اختار رسول الله وقال انى رايت منه شيأ لم ير احد من ابويه فاخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيد زيد واخرجه الى المسجد الحرام ونادى يا معشر قريش ان زيد بن الحارثه ابن لى فلما تزوج زينب قدح
المنافقون وقالوا كيف يتزوج زوجة ابنه وهو ينهى عن ذلك فرد الله ذلك بان الادعياء ليست ابناء
ذلكم قولكم بافواهكم من غير ان تترتب عليه امر فى الاحكام الشرعيه والله يقول الحق وما سواه باطل وهو
يهدى السبيل تاكيدا على تاكيد وتمهيدا لما بعده من قوله طريق الجنه وقد اوقع النظم فى رد مقالتهم احسن موقع
وذلك بان بناه على قضيتين هما كالشاهدين مسلمتين عندهم ثم اتى بالفذلكة للدلاله على ان الثالث معهما ملزوز
فى قرن بلا انفصام ثم ذيل الكل بقوله والله يقول الحق وهو يهدى السبيل تاكيدا على تاكيد وتمهيدا لما بعده من قوله
ادعوهم لاباءهم الى آخر السورة فانه تفصيل لقول الحق وهداية السبيل هو اقسط عند الله اى النسبه الى الاباء هو القول

روى الحديث عن ابن عباس الامام احمد والترمذى منه

ع وانما فيه دفع النخور لان القلب يطلق والتعلق بذ تعالى لمن كان له قلب منه

الصواب اسم التفضيل اريد به الزيادة المطلقه فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين لقوله تعالى انما المؤمنون
اخوة ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا يا اخى يا مولاى وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به قبل ورود النهى او بعده
على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم مجرور عطف على ما اخطأتم او مبتدأ خبره محذوف اى ولكن ما
تعمدت قلوبكم فيه الجناح ويجوز ان يراد العموم فى الخطأ والعمد كقوله صلى الله عليه وسلم لا الخطأ اخشى عليكم ولكن
العمد وعلى الوجهين ذكرهما يؤكد امتثال ما ندبوا اليه وكان الله غفورا للمخطى رحيما بقبول توبه العامد النبى اولى
بالمؤمنين من انفسهم فيجب عليهم وقاته بالارواح والمهج وايثار رضاه على رضاهم ولذلك تحرم من غوته
على زوجها وفى الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين وهذا دفع لما
عسى يقال وان لم يكن الدعى ابنا فليس فى المرؤة نكاح زوجته او المعنى ارأف بهم من انفسهم لما روى
ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وانا اولى الناس به فى الدنيا والآخره فاقرؤا
ان شئتم النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او
ضياعا فليأتنى فانا مولاه وازواجه امهاتهم فى الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح لا فى تحريم بناتهن
وامهاتهن وفى قراءة ابى وهو اب لهم وقيل لا يقال لرسول الله ابو المؤمنين لقوله ما كان محمد ابا احد من
رجالكم والصواب الاول واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى التوارث نسخ توارث الموالاة بين المهاجرين
والانصار فى كتاب الله فى اللوح او فى القرآن وهى آية الانفال او هذه الآية من المؤمنين والمهاجرين من
بيان اى اولوا الارحام الذين هم هؤلاء بعضهم اولى ببعض فى التوارث من الاجانب او ابتدائية او تبعيضيه
اى اولوا الارحام الكائنين من هؤلاء او هم بعضهم الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا برا واحسانا استثناء من
اعم العام كقوله لا تشد الرحال الا الى ثلثه مساجد والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون من اقامه المظهر مقام
المضمر على تقدير الابتداء والتبعيض دون البيان لان الاجانب مدلول عليهم سياقا اذ ذلك كان ذلك فى الكتاب
مسطورا اى المذكور من الاحكام والكتاب ما ذكر آنفا واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اى اذكر والميثاق اخذ
العهد عليهم بان يبلغوا رسالته ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم هؤلاء اولوا العزم من الرسل
افردهم بالذكر تنبيها على عظم شانهم وقدم سيدهم اشارة الى انه المتقدم رتبة وان تاخر زمانا وعن الزجاج
هو اولهم خلقا وان كان اخرهم بعثا وتاخره فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا لان المراد بيان اصالة
دينه وقدم عهده واخذنا منهم ميثاقا غليظا هو ذلك الميثاق استعار له الغلظ من الاجرام اجلالا له وقيل هو
العهد المؤكد باليمين ليسئل الصادقين عن صدقهم اى الانبياء عن صدق عهدهم فى اداء الرسالة او عن تصديق
الامم اياهم تبكيت لمن كذب من وضع المظهر موضع المضمر مدحا للرسل بالصدق او المؤمنين الذين صدقوا فى عهدهم
حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم ليشهد لهم الانبياء بوفاء العهد واداء الامانة التى حملوها او تصديقهم الرسل
فان تصديق الصادق صدق واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من النبيين معنى لان التقدير اكد الله
العهد على الانبياء فى اداء الرسالة لاثابة المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسئل الصادقين
كانه قال فاثاب هؤلاء واعد لهؤلاء وذلك لان سؤال الصادقين عن صدقهم اثابة لهم وعنوان كل خير اذ لا يسأل
المجرمون يومئذ يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود هم قريش وقايدهم ابو سفيان وغطفان
وقايدهم عيينه بن حصن وانضم اليهم بنو قريظه والنضير من اليهود وذلك فى شوال سنه خمس من الهجرة وسبب
هذا الاجتماع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلى بنى النضير من المدينة الى خيبر فذهب اشرافهم الى ابى سفيان
واتفقوا على حرب رسول الله وبذلوا فى ذلك وسعهم فاتوا واحاطوا بالمدينه وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر
الخندق حول المدينه باشارة سلمان الفارسى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وذلك بعد ان اقاموا على محاصرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من شهر فارسل الله عليهم ريح الصبا والف من الملئكة فكبروا حول عسكرهم وقطعوا

اعم العام يريد به خيره من المساجد لا مطلق المواضع منه

المراد ليومئذ موقف خاص لقوله وقفوهم انهم مسؤلون منه

اطناب خيامهم والقوا قدورهم وسفت الريح في وجوههم والقى في قلوبهم الرعب فقال طلحة بن خويلد الاسدي
اما محمد فقد بدأكم بالسحر النجا النجا فنادوا بالرحيل وانصرفوا خائبين وكان الله بما تعملون بصيرا لا يخفى عليه
شيء اذ جاؤكم من فوقكم من اعلى الوادي بنو غطفان من شرقي المدينه ومن اسفل منكم من جهة الغرب وهم
قريش وكانوا عددا كثيرا قريبا من اثني عشر الفا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلثه آلاف واسند ظهره
الى سلع وحصن الذرارى والنساء في آطام المدينة واذ زاغت الابصار عن مستوى نظرها حيرة او مالت عن
كل شيء وشخصت نحو العدو وبلغت القلوب الحناجر جمع الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وهذا مثل في اضطراب القلوب
من شدة الخوف وقيل اذا خاف الانسان او غضب انتفخت الريه وارتفعت الى الحنجرة وارتفع القلب بارتفاعها
وتظنون بالله الظنونا فظن المؤمنون ان الله سينجز ما وعد رسوله من النصر ولكن خائفون ضعف الاحتمال
والمنافقون ظنوا ان الكفار يستأصلون محمدا واصحابه حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى
وقيصر واحدنا لا نقدر ان نذهب الى الغائط والمؤمنون الذين في ايمانهم ضعف وليس لهم فيه قدم راسخ تقولون
لو كان الله اراد نصر المؤمنين لما بلغ الامر في الشدة والضيق هذا المبلغ قرأ ابو عمرو وحمزه الظنون بالقصر
في الحالين وابن كثير وحفص والكسائي بالقصر وصلا والمد وقفا ونافع وابن عامر وابو بكر بالمد في الحالين
مناسبة للفواصل وعليه الرسم والقصر هو الاصل هنالك ابتلى المؤمنون امتحنوا فامتاز الثابت من المتزلزل
وزلزلوا زلزالا شديدا روى مسلم باسناده الى حذيفة بن اليمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يصلي تلك
الليلة التي رحلت الاحزاب ثم قال من يأتينا بخبر القوم ويكون له الجنة حتى عاد الكلام مرارا فلم يجبه احد ثم
قال لي يا حذيفه فلم اجد بدا من الجواب فقمت ولي من البرد والجوع ما لا يعلمه الا الله فقال يا حذيفه ادخل في
القوم وانظر ما يفعلون ولا تحدث شيئا قال فقمت ومشيت كانما امشي في الحمام ولا ارى اثر الجوع فلما دخلت
فيهم رايت اباسفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تحدث شيئا فرجعت واخبرت رسول الله بخبرهم واخذني البرد الذي كان بي ولا فالبسني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فضل عباءة كان يصلي فيها فنمت حتى الصباح فقال لي رسول الله قم يا نومان واذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض من عطف الصفات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام او من في قلبه مرض وضعف اعتقاد
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا باطلا لا حقيقه له واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم قاله اوس بن
قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدى قاله ابن ابي ويثرب اسم المدينه في الجاهلية سميت باسم رجل من
العمالقه نزل بها ثم ورد النهي عن تسميتها بذلك وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طابة وقرأ حفص
مقام بضم الميم من الاقامة والباقون بالفتح وهذا ابلغ والمعنى لا قيام لكم اولا اقامة اولا مكان لكم عند
رسول الله في وجه العدو فارجعوا الى بيوتكم او فارجعوا الكم عن دينه واسلموه الى عدوه ويستاذن فريق منهم
النبي يقولون ان بيوتنا عورة اي معرضه للعدو واصل العورة كل عيب وخلل يستحيى منه وما هي بعورة تكذيب من
الله لهم ان يريدون شيئا الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم من اقطارها من جوانب المدينه ولم يذكر
الفاعل اذ لم يتفاوت الحال سواء كان الداخل هؤلاء او غيرهم ثم سئلوا الفتنه الردة عن الاسلام لاتوها
لارتدوا وما تلبثوا بها الا يسيرا ريثما سئلوا لعدم ذوقهم حلاوة الايمان او لم يلبثوا في المدينه بعد الردة
الا زمانا يسيرا ويقلع الله شأفتهم وقرأ الكوفيون وابو عمرو وابن عامر وآتوها بالمد بمعنى لاعطاء والقصر
ابلغ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار بنو حارثة لما نزل في الغازين يوم احد ما نزل عاهدوا
الله ان لا يفروا بعدها وقيل هم السبعون الذين عاهدوا ليلة العقبه ان يمنعوا عن رسول الله ما يمنعوا عن
انفسهم وقيل هم طائفه غابوا عن بدر عاهدوا الله تعالى لئن حضروا قتالا ليقاتلن عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويكشفوا الكربة عن وجهه والكل خلاف الظاهر والظاهر انه في المنافقين وكان عهد الله

مسؤلا

قراه ابو عمرو بتاء الغيبة

في الامام فرو عن مالالف

وروى الامام احمد مرفوعا من سمى المدينة يثرب فليستغفر منه

مسؤلا عنه للمجازاة قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل اذ الموت لا بد منه اما حتف انف
او قتل واذا لا تمتعون الا قليلا جواب وجزاء اي وان نفعكم الفرار لا يكون ذلك الا زمانا قليلا ولا يرغب
العاقل في مثله قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي لا احد يقدر على خلاف
مراده وكان اصل الكلام او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاختصر الكلام او حمل الثاني
على الاول لما في العصمة من معنى المنع وهذا مقرر ومؤكد لعدم نفع الفرار ولا يجدون لهم من دون الله
وليا ولا نصيرا في حال من الاحوال قد يعلم الله المعوقين منكم المانعين من العوق وهو المنع والتفعيل لتكثير
الفعل والمبالغة فيه وقد للتحقيق وهم المنافقون المثبطون للمسلمين عن القتال والقائلين لاخوانهم من اهل
المدينه من الانصار هلم الينا قربوا انفسكم منا وتمتعوا بظل الاشجار واكل الثمار وما محمد واصحابه الا اكلة
رأس وهلم اسم الفعل يطلق على الواحد وما فوقه عند اهل الحجاز وعند تميم تثنى وتجمع ولا يأتون البأس الا
قليلا الا اتيانا قليلا يوهمون بذلك انهم مع المؤمنين اشحة عليكم بخلاء بالمعاونه والانفاق في سبيل الله
وقيل اضناء بكم مشفقين عليكم متحننين كما يفعله الذاب عن المناضل عنه والشح البخل اذا قارنه الحرص ونصبه
على الحال او الذم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم احداقهم لا تستقر في مكانها من شدة
الخوف كالذي يغشى عليه من الموت كمن وقع في سكرات الموت فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم
بالسنة حداد استقبلوكم سالقين السلق رفع الصوت ومنه في الحديث لعن الله الحالقه والسالقه اشحة على الخير
على الغنيمه كانها عين اموالهم ويقولون لولا نحن وشوكتنا لم تظفروا بشيء نصب على الحال ايضا او على الذم اولئك
الموصوفون لم يؤمنوا قط لان الايمان فعل القلب فاحبط الله اعمالهم لم يعتد بها وجعلها هباء منثورا لعدم
الاساس وكان ذلك على الله يسيرا لكونها حقيقة بالاحباط لا صارف عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وقد انهزموا
بذهابهم وذلك من غاية جبنهم وغلبة الوهم على القوة العاقلة وان يأت الاحزاب مرة اخرى يودوا لو انهم بادون
في الاعراب ساكنوا البدو بين الاعراب لا يبالون بفراق المال والوطن يسألون عن انبائكم كل قادم من جانب
المدينة او يسأل هؤلاء القائلون لاخوانهم هلم الينا عما جرى بينكم وبين الاحزاب ولو كانوا فيكم في جيشكم
حاضرين ما قاتلوا الا قليلا رياء او خوفا ثم يفرون لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الاسوة ما يؤتسى به
اي يقتدى والمعنى انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة كما تقول في البيضة كذا منا من الحديد اي هي في نفسها
عشرون منا وفيه خصلة من حقها ان تؤتسى بها وقرأ عاصم بضم الهمزه وهي لغة تميم والكسر لغة الحجاز الفصحا
لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي يأمل ثوابه او يخاف عقابه وخصوصا اليوم الاخر فان هوله شديد والجار
صلة حسنة لا اسوة لان المصدر الموصوف لا يعمل او مع المجرور بدل من لكم بدل بعض اي لمن كان يرجو الله منكم
وامتناع الابدال من المتكلم او المخاطب انما هو في بدل الكل وايضا ذلك في الابدال عن الضمير وهذا ابدال الجار والمجرور
وذكر الله كثيرا في احيانه جامعا بين الرجاء والذكر وهذه كانت صفة المقتدى به صلى الله عليه وسلم فيحصل بها
كمال التأسي ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما يأتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم ورسوله حيث قال ان الاحزاب سائرون اليكم في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم
وزلزلوا زلزالا شديدا ايقنوا بالنصر والعاقبه وصدق الله ورسوله اي ظهر صدقهما فيما وعدا واظهار المظهرين في
الاسمين للاستلذاذ ولان اسناد الصدق الى الصريح ابلغ وما زادهم ذلك الا ايمانا تصديقا بوعد الله وتسليما
لقضائه وانقيادا له من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه لما ذكر صدق وعده اردفه بذكر صدق
العهد من عباده الذين قد تخلقوا باخلاقه نزلت في انس بن النضر لم يكن شهد بدرا فقال اول مشهد شهده رسول
الله غبت عنه لئن شهدت معه مشهدا ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد نادى سعد بن معاذ يا ابا عمرو واها لريح
الجنه اجدها من قبل احد قال سعد فاردت ان اصنع مثل ما يصنع فلم اقدر فقتل شهيدا قالت اخته ما عرفته

اي بعقل ارماحا وذكران العصمة انما هي من السوء لا من الرحمة

او
اي رمحا
بيت روجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا
اي ومعتقلا رمحا اعمال الرمح ان يضعه
بين الساق والركاب

الحالقة التي تحلق شعرها لموت احد والسالقة النائحة

الابنانه ووجدت فيه بضعًا وثمانين من ضربة وطعنة فمنهم من قضى نحبه كانس وحمزه ومصعب بن عمير
النحب النذر اريد به الموت لانه لازم لزوم النذر ومنهم من ينتظر كطلحة وعثمان والزبير وما بدلوا تبديلا
كما فعل المنافقون الذين عاهدوا الله من قبل ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء اويتوب
عليهم متعلق بالمثبت والمنفى على سبيل النشر والمعنى قصد الذين صدقوا بصدقهم العاقبة الحسنى والمبدلون
العذاب وعكس ذلك وجعل التبديل للعذاب مجاز كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنا اويعذب
الاستعارة التى فى سلك الحقيقة ان الله كان غفورًا لما فرط من الصادقين رحيمًا بقبول توبة المنافقين
ان تابوا ورد الله الذين كفروا اى الاحزاب بغيظهم ملتبسين به لم ينالوا خيرًا قط بوجه مع ما خسروا
من الاموال ومشاق السفر ثم ولوا هاربين بيان بسبب الغيظ وكفى الله المؤمنين القتال بارسال الريح والملئكه
عليهم وهذا زيادة امتنان على المؤمنين حيث نجاهم من تلك البلية العظمى من غير حول منهم ولا قتال
وكان الله قويًا عزيزًا ذا قوة بالغة لا يغالب وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب اعانوهم وهم بنو قريظه
كانوا معاهدين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد من صياصيهم من حصونهم جمع صيصيه وهى ما
يدفع به الشى ويحصن ولذلك يقال لقرون البقر صياص وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا
تقتلون الكبار وتاسرون الصغار والنساء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من مقابلة الاحزاب
دخل بيت ام سلمة رضى الله عنها ووضع السلاح وشرع يغتسل تبدى له جبرئيل معتجرا بعمامه فقال اوضعت
السلاح قال بلى قال لكن الملئكة لم تضع السلاح وهذا الآن رجوعى من طلب القوم اخرج اليهم واشار الى
بنى قريظه فصلى بعضهم فى الطريق وقالوا لم يرد الا سرعة النهوض اليهم ولم يصل آخرون امتثالا لقوله فلم
يعنف على احد فحاصرهم خمسًا وعشرين ليله حتى جهدهم الحصار فرضوا بان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا
حلفاءه يرجون ان يستطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل ابن ابى بيهود بنى قينقاع وكان سعد
قد جرح يوم احد فى الكحله فاتوا به راكبًا على حمار فلما قرب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم
فقاموا فنزلوه فقال رسول الله ان هؤلاء قد نزلوا على حكمك فاعرض عن رسول الله اجلالا وقال قد حكمت
بان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله فوق
سبع ارقعه ثم امر بالاخاديد فحدت فى الارض ثم قدمهم وضرب اعناقهم وكانوا بين سبعمائه الى ثمانمائه واورثكم
ارضهم بلادهم وديارهم بيوتهم واموالهم ساير ما يملكون من الصامت والناطق وارضًا لم تطؤها بعد بشارة بفتح
مكه وقيل خيبر وقيل فارس والوجه انها كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شيئ قديرًا لا يعجزه
شئ يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها اى متاع الحيوة الدنيا وزخارفها فتعالين
امتعكن اعطكن المتعه واسرحكن اطلقكن سراحًا جميلا من غير بدعة ولا مضارة عن جابر رضى الله عنه ان
ابا بكر وعمر رضى الله عنهما دخلا على رسول الله وحوله نساؤه وهو واجم فقال عمر لا قولن كلامًا اضحك به رسول
الله فقال يا رسول الله لو رايتنى اليوم وقد سالتنى بنت زيد نفقه فقمت فوجأت عنقها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن حولى يطلبن النفقه فقام ابو بكر الى عايشه وعمر الى حفصه يريدان ضربهما فنهاهما رسول الله فنزلت
فبدأ بعايشه وقال يا عايشه انى ذاكر لك امرًا فلا تستعجلى حتى تستأمرى ابويك فلما تلا عليها الآية قالت ففى
هذا استأمر ابوى انى اختار الله ورسوله وقالت له لا تذكر لازواجك انى اخترت الله ورسوله فقال لا تسألنى
واحدة الا اخبرتها انما بعثت مبلغا ولم ابعث معنتا والتخيير نفسه ليس بطلاق لقول عايشه خيرنا رسول الله
فلم يكن ذلك طلاقًا واما اذا اختارت نفسها قبل الاشتغال بما يدل على الاعراض فطلقه رجعية عند الشافعى
وباينه عند ابى حنيفه رحمهما الله وعنده لا متعه حيث لا مهرا وكان كل المهر وعند ابى حنيفه رحمه الله اذا لم
تكن مدخولا بها ولم يفرض لها فى العقد شئ متعتها واجبة وساير المطلقات متعتهن مستحبة وتقديم المتعة على

الارقعة جمع رقيع وهى السماء لان كل دقيع الاخر كالرقاع لبعضها فوق بعض منه

على التسريح المسبب عنه اهتمامًا بما هو من محاسن الاخلاق وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان
الله اعد للمحسنات منكن من بيان لانهن كلهن محسنات وايثار المظهر موضع المضمر للدلالة على ان اختيار الله
ورسوله اتيان بالحسن اجرًا عظيمًا لا يحاط به ولا نسبة بينه وبين زخارف الدنيا يا نساء النبى من يات منكن
بفاحشة كبيرة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين اذ الذنب منهن اقبح وكما ان ثوابهن يضاعف فكذلك
العذاب قرأ نافع والكوفيون يضاعف بالياء والفتح والتخفيف ورفع العذاب وكذا ابو عمرو الا انه قصر و
شدد وابن كثير وابن عامر بالنون والقصر وكسر العين والتشديد ونصب العذاب والياء هو المختار لعدم
التصريح بالفاعل فى تضعيف العذاب بخلاف ايتاء الاجر مرتين المقابل له جريا على سنن سبق رحمته وكان
ذلك على الله يسيرًا لا تكن اماء الله واحترامكن انما هو لطاعة الله ورسوله فاذا خرجتم عن ذلك زال
موجبه ومن يقنت منكن لله ورسوله يطع لاوامره وتعمل صالحًا من الاعمال والتذكير فى احد الفعلين والتانيث
فى الاخر بالنظر الى لفظ من ومعناه نؤتها اجرها مرتين مرة على فعل الطاعة ومرة لكونها فى شرف
صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزه والكسائى تعمل ونؤتها بالياء باعتبار من فى الاول
ولفظ الجلالة فى الثانى واعتدنا لها رزقًا كريمًا زايدًا على ذلك الاجر تفضلا يا نساء النبى لستن كاحد
من النساء همزة احد اصلية وهو اسم لمن يخاطب مفردًا كان او اكثر مذكرًا كان او مؤنثا والمعنى لستن كجماعة
من النساء ليطابق المشبه لان الغرض تفضيلهن من حيث كونهن نساء النبى على ساير النساء لا تفضيل كل واحدة
ومثله لا نفرق بين احد وما منكم من احد عنه حاجزين ان اتقيتن ان صح ما توصفن به من التقوى سوقًا
للمعلوم مساق المجهول او ان اردتن التقوى فكيف وانتم متقيات فلا تخضعن بالقول لا ترخمن اصواتكن فى
خطاب الاجانب فيطمع الذى فى قلبه مرض ريبة وفجور وقلن قولا معروفًا بعيدًا عن الريبة وقرن فى
بيوتكن ملازمات للطاعة فانه افضل واستر وفى الحديث صلوة المرأة فى مخدعها خير من صلوتها فى بيتها
وصلوتها فى بيتها خير من صلوتها فى حجرتها قرأ نافع وعاصم قرن بفتح القاف اما لانه من قر مكسور
العين والامر منه اقررن حذف الراء الاولى استثقالا بعد نقل حركتها الى القاف ثم حذف الهمزة استغناء
عنها او امر من قار يقار كخاف يخاف اذا اجتمع والامر منه قر كخف والباقون بكسر القاف اما من قر
بفتح العين يقر بكسرها وحذف الراء والنقل كما تقدم واما من وقر وقارا فالامر منه قر كعد من وعد
ولا تبرجن لا تظهرن زينتكن تبرج الجاهلية الاولى قيل هو بين نوح وادريس عليهما السلام وقيل بين ادم
ونوح وقيل زمن ولادة ابرهيم وقيل بين داود وسليمان عليهم السلام وكانت المرأة تلبس درعًا من اللؤلؤ
ثم تمشى فيه تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام
او جاهلية فى الاسلام تشبه جاهلية الكفر لما فى حديث ابى ذر قال سابيت رجلا فعيرته بامه فقال لى رسول
الله اعيرته بامه انك امرؤ فيك جاهلية قلت جاهلية الكفر قال نعم واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله
ورسوله فى ساير الطاعات وافراد الصلوة والزكوة بالذكر لانافة محلهما انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت اى ما يريد الله بهذه الاوامر والنواهى الا اذهاب الاثام عنكم ولما استعار الرجس الذى هو
النجس للاثم لانه يدنس العرض رشحه بقوله ويطهركم تطهيرًا مبالغه فى التنفير واهل البيت نصب على النداء
او على المدح وهذا نص على ان نساءه اهل بيته واتفاق الكل على نص سبب النزول وما روت ام سلمه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه كساء اسود فجاء على وفاطمه وابناه الحسن والحسين فجلس ولف عليهم الكساء
وقال اللهم هؤلاء اهل بيتى فلا تقتضى الحصر والحق ان كل من حرمت عليه الصدقه من نسائه وآل على وآل
جعفر وآل عقيل وآل عباس رضى الله عنهم كلهم داخلون فى اهل البيت على ما رواه زيد بن ارقم واذكرن ما
يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة اى اشكرن هذه النعمة وهى الكتاب الجامع بين كونه معجزة دالة على

روى الحديث البخارى والرجل الذى غيره بلال وهذا بشهادة محدث الى ابى الدردا سهو منه

الحديث رواه مسلم منه

النبوة وعلم الشرايع وانتم فارون في مهبطه وجبرئيل يتردد بالوحي خلال منازلكم فمن اولى بالشكر منكم
ان الله كان لطيفا يدق مسالك علمه ولذلك جعل الكلام معجزا خبيرا ببواطن الامور ولذلك جعله مع اعجازه
مشتملا على الحكم والشرايع ان المسلمين والمسلمات المنقادين لامر الله المتوكلين عليه والمؤمنين والمؤمنات المصدقين
بما يجب التصديق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله
بالقلوب والجوارح والمتصدقين والمتصدقات الصدقة المفروضة والصادقين والصادقات في القول و
العمل والصابرين والصابرات على مشاق الطاعات وترك المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله
بالقلوب والجوارح والمتصدقين والمتصدقات الصدقة المفروضة او اعم والصائمين والصايمات ما فرض
عليهم والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بالقلب واللسان وفي
الحديث سيروا فقد سبق المفردون قالوا يا رسول الله ما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات اعد
الله لهم مغفرة لما فرط منهم واجرا عظيما على طاعتهم وعن ابي سعيد سئلت رسول الله صلى الله عليه
وسلم من افضل العباد قال الذاكرون الله كثيرا قلت ومن الغازي قال ولو ضرب سيفه حتى تكسر ويختضب
دما وعن ام سلمه رضي الله عنها قلت يا رسول الله ذكر الله الرجال ولم يذكر النساء فما لنا لم نذكر فنزلت وقيل
لما نزل في ازواج النبي ما نزل قالت النساء ما لنا لم نذكر فنزلت وعطف الاناث على الذكور في الاية لا بد منه
لتغاير الذوات والقصد الى الاشتراك في الحكم واما عطف الزوجين فلا لاتحاد الذوات وكما في قوله ثيبات
عابدات وانما عطف اشعارا باستقلال كل من اتصف بتلك الصفات بالخير ويجوز تركه اعتمادا على الالتيام
وشدة الاتصال معنى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم
نزلت في زينب بنت جحش الاسدية خطبها رسول الله لزيد بن حارثه فاستنكفت فلما نزلت رضيت بقضاء
الله ورسوله وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم نزلت في ام كلثوم بنت عقبه بن ابي معيط اول من هاجرت
الى رسول الله بعد الحديبية مع اخيها خطبها رسول الله لزيد بن حارثه بعد فراق زينب فسخطت هي واخوها
وقالا انما اردنا رسول الله فلما نزلت استسلما لقضاء الله ورسوله وعن انس بن مالك ان امراة من الانصار
خطبها رسول الله لجليبيب فابت امها فقالت الجارية لا تردوا على رسول الله قد رضيت لجليبيب فزوجها
اياه فلم ينفق ابوه في الاقصا وما نفقت والمعنى ما صح في الدين مخالفة رسول الله في امر اراده وذكر الله
للتعظيم والاشعار بان قضاءه قضاء الله وجمع الضمير المجرور نظرا الى المعنى لوقوع النكرة في سياق النفي
والخيرة على وزن العنبة المختار من الشيء يقال محمد خيرة الله في خلقه وقرأ الكوفيون وهشام عن ابن عامر
يكون بالتذكير وهو المختار لكون المؤنث غير حقيقي مع وجود الفاصل ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا
مبينا ● جليا لا يخفى على احد واذ تقول للذي انعم الله عليه بشرف صحبتك والاسلام والخروج عن الرق وانعمت
عليه بتقريبه ورفع شانه هو زيد بن حارثه عبده الذي تقدم ذكره امسك عليك زوجك وذلك ان رسول الله
راى زينب بعد ما تزوجها زيد فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب فكما القى محبتها في قلبه
القى بغضها في قلب زيد لما اراد الله واقتضت الحكمة ان لا يابى احد نكاح زوجة دعيه ولا يستقبح فشاوره
زيد في فراقها فقال له هل رابك منها شيء قال لا ولكن تفتخر على بشرفها فقال لا تفعل امسك عليك
زوجك واتق الله فان الطلاق من غير ضرورة انكر المباحات الى الله وتخفي في نفسك نكاحها ان طلقها
زيد وقيل تعلق قلبه بها وقيل مودة فراق زيد والاول هو الوجه لقوله ما الله مبديه ولم يبد سوى
نكاحها ولما روى ابن ابي حاتم عن الامام زين العابدين ان الله كان اعلمه انه سيزوجها له بعد فراق زيد
فعاتبه الله على قوله امسك عليك زوجك بعد علمه بان ذلك واقع لا محالة وعن عايشه رضي الله عنها
لو كتم رسول الله شيئا مما انزل اليه لكتم هذه الاية وتخشى الناس ان تقولوا تزوج امرأة ابنه والله احق ان

تخشيه وقد علمت انها زوجتك بعد زيد هذا على الوجه الاول او ان كان فيه ما تخشى والواو للحال وعلى
هذا المعاتبة ليس على الاخفاء وحده فانه مستحسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار خلاف ما في
الضمير فلما قضى زيد منها وطرا حاجة الرجال من النساء وملها زوجناكها اى بعد انقضاء عدتها وعن الشعبي ان
زينب قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى ادل عليك بثلث ليس لي حريمات في نسائك جدى وجدك واحد
وزوجني الله اياك فوق السماء وجبريل كان السفير وقد روى البخاري عن انس رضي الله عنه ان زينب كانت
تفتخر على ساير ازواجه زوجني الله وزوجكن اهاليكن لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا
قضوا منهن وطرا علة للتزويج وفيه دليل على ان حكم امته حكمه ما لم يقم دليل وكان امر الله مفعولا مكونا
لا محالة مثل ما اراده من تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدره سنة الله في
الذين خلوا من قبل اى سن به سنته بالانبياء وهو انه لا حرج عليهم فيما اباح لهم من النساء والسرارى روى
ان سليمان كان له ثلثمائة مهيرة وسبعمائة جاريه وكان امر الله ارادته اذا تعلقت بشيء قدرا مقدورا قضاء مبتوتا
وهذا ابلغ من الاول الذين يبلغون رسالات الله بدل من الذين خلوا او رفع او نصب على المدح وما بينهما اعتراض
ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وحده ليس فيه تعريض كما ظن لانه لم يكن ما اضمره مما امر بتبليغه ولذلك
قالت عايشه لو كتم شيئا لكتم هذه الاية كيف وقد قال انا اخشى الناس واتقاهم وهو اصدق القائلين الذي
ما ينطق عن الهوى وكفى بالله حسيبا ● كافيا للمخاوف فلا ينبغي ان يخشى غيره او محاسبا على الصغير والكبير ما كان
محمد ابا احد من رجالكم حقيقة يريد بالولادة فلا ينافيه التبني لزيد ولا كونه جد الحسنين واما اولاده الذكور
لم يبلغوا مبلغ الرجال بل ماتوا صغارا وما قيل لو عاشوا لكانوا انبياء لا يساعده النقل والعقل ولكن رسول
الله وخاتم النبيين لا نبي بعده وقرأ عاصم وخاتم بفتح التاء وهو ما يختم به وقراءة القوم اولى يؤيدها قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه وختم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ● كامل العلم وقد علم انه يليق به ان يكون
خاتم الرسل يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا في اغلب الاوقات يعم ذكر القلب واللسان بانواعه
وسبحوه بكرة واصيلا خصوصا في هذين الوقتين الشريفين كالتسبيح فانه اشرف الاذكار لكونه تنزيها عما لا يليق
بكبريائه وقيل الفعلان موجهان اليهما وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اريد بالتسبيح الصلوات
الخمس في اوقاتها هو الذي يصلي عليكم بترحم وملائكته لانهم يستغفرون للمؤمنين مجابوا الدعوة فكانهم مترحمون
او اريد بالصلوة مطلق العناية باصلاح الاحوال وقيل الصلوة لاشتمالها على الركوع والسجود استعيرت للانعطاف
المعنوي والحنو ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمة المعصية الى نور الايمان والطاعة حيث امركم بالذكر واكثاره
والثوب على الصلوة والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما ● بليغ الرحمة حيث لم يكتف بترحمه حتى شغل ملئكته المقربين
به تحيتهم يوم يلقونه اضافة المصدر الى المفعول واللقاء بعد الموت او عند الخروج من القبر او عند دخول الجنة
سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه واعد لهم اجرا كريما ● الجنة وما فيها من النعيم روى انه لما نزل قوله
تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما خصك الله بشرف الا واشركنا
فيه فنزلت يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بالتصديق والتكذيب ومبشرا بالجنة لمن امن
ونذيرا بالنار لمن كفر وداعيا الى الله باذنه بتيسيره وفيه اشارة الى ان الدعوة الى التوحيد امر صعب لا يتأتى
الا بتيسيره فان قلت كونه داعيا الى الله هو عين كونه مبشرا ونذيرا فما وجه الجمع قلت روعي في الجمع حال المرسل و
المرسل اليه صريحا وان كان كل منهما مستلزما للاخر وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل وكما يمد نور السراج
نور الابصار كذلك امد الله بنور نبوته نور البصاير وانما وصف السراج بالانارة لان من السراج ما لا يضيء كما
اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلثة تضني القلب رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر عليها من
يجيء وقيل السراج هو القران والمعنى ذا سراج او تاليا سراجا ويجوز ان يكون عطفا على كاف ارسلناك اى ارسلناك

قوله او ان كان فيه ما تخشى عطف على الوجه المرجوح والاول على الوجه الاول
منه

رد على الكشاف والبخاري

حديث عائشه رواه البخاري

اذ لا يلزم ان يكون ابن نبي نبيا ولا يرد بدكر ... منه

ان

الاعضاء من ...

والقرآن اما على سبيل التبعية واما من باب متقلدا سيفا ورمحا وبشر المؤمنين عطف على مقدر اى فراقب
احوال امتك وبشرهم بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم وفى الحديث تقدمكم سبعون امة انتم خيارها
او فضلا زائدا على مقدار الجزاء ولا تطع الكافرين والمنافقين اى دم وابثت على ما انت عليه يهيج والهاب ودع
اذاهم ما يؤذونك به لا تلتفت اليه او وما توذيهم به مجازاة او مؤاخذة على الكفر مصدر مضاف الى الفاعل
او الى المفعول وعن ابن عباس رضى الله عنه نسخت بآية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكه وكفى بالله
وكيلا موكولا اليه الامر وصف حبيبه بصفات خمس ثم قابل كلا منها بما يناسبه قابل الشاهد بالمراقبة
وحذفه لان ما بعده دال عليه مفصلا والمبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهى عن طاعة الكفار
وعدم المبالاة بهم والداعى الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به لان من جعله نورا
اضاء الشرق والغرب جدير بان يكتفى به يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن النكاح لغة الوطء واطلاقه على العقد اطلاق على السبب وقيد المؤمنات اشارة الى ما هو اولى
بالمؤمن من ان يؤثر لنطفته وان لا يجمع فراش ولى الله وعدوه وثم لدفع ما عسى يتوهم من ان طول المدة يؤثر
فى ايجاب العدة والمس كناية عن الوقاع وجعله ابو حنيفة رحمه الله اعم منه ومن المس بالشهوة وجعل الخلوة
الصحيحة قائمة مقامه فما لكم عليهن من عدة تعتدونها تستوفون عددها من عد الدراهم اذا عدها
لنفسه كتقولك اكتاله واتزنه وفى اللام وعلى دلالة على ان وجوب العدة انما هو للرجال وكونه من حقوقهم
فمتعوهن شطر المهر ان كان لها فرض والا فالمتعة الواجبة ومن جوز استعمال المشترك فى اكثر من معنى او
الجمع بين الحقيقة والمجاز فالتمتيع يشمل الواجب والمسنون عنده وسرحوهن سراحا جميلا اخرجوهن من غير
ضرر ولا منع حق يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن مهورهن سماه اجرا لكونه فى
مقابلة البضع والتقييد بايتاء الاجر وان صح النكاح بدونه اشارة الى ايثار الافضل على ما هو اللائق به
كما فى قوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك اى غنمت فان الجارية اذا كانت مما غنمها بسيفه احل واطيب
من المشتراة من شق الجلب وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك توسط بين الافراط
والتفريط فان اليهود ينكحون بنت الاخ وبنت الاخت والنصارى لا ينكحون الا اذا تباعدا بسبعة اجداد وافراد
العم والخال للتخفيف وايثارهما بذلك للشرف نظيره عن اليمين والشمائل وفى ذلك ايماء الى اجبار الناقص
بصيغة الجمع اللاتى هاجرن معك من قبيل الاول كما تقدم لان غير المهاجرات لا تحل وقيل لم تحل له غيرهن لما
روى ابن ابى حاتم باسناده الى ام هانى انها قالت خطبنى رسول الله فاعتذرت اليه فاعذرنى ثم انزل الله هذه
الآية فلم اكن احل له لانى كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى ان يستنكحها
اى واعلمناك باحلال امرأة مؤمنة ان وقع انها تهب لك وان تستنكحها انت وايثار لفظ النبى اشارة الى ان علة هذا
الاحلال شرف نبوته ولذلك عدل الى الخطاب فى خالصة لك من دون المؤمنين عن الشافعى ان النكاح
لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى والمعنى مختص به وعند ابى حنيفة رحمه الله الاختصاص فى المعنى
دون اللفظ ولا لزوم بين اللفظ والمعنى لان دلالة الالفاظ وضعية واختلف فى انه هل قبل نكاح واهبة
نفسها ام لا والحق انه لم يثبت وقيل قبل اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة وام شريك وخولة بنت
حكيم وخالصة مصدر مؤكد كوعد الله اى خلص لك احلال الواهبة او صفة مصدر اى هبة خالصة قد علمنا
ما فرضنا عليهم فى ازواجهم من اشتراط الولى والشهود والمهر والحصر فى الاربع وما ملكت ايمانهم لا يملكون
شيئا الا ارثا او هبة او بالعوض لك صفى المغنم ما شئت لكيلا يكون عليك حرج متعلق بخالصة وما بينهما
اعتراض يؤكد معنى اختصاصه بما اختص به وان هذه الاثرة مما يليق بمنصبه ناشية عن علم تام بحال من فضل
عليه من المؤمنين وقيل خالصة مصدر مؤكد للاحلالات الاربع ولكيلا يكون عليك حرج متعلق به والاعتراض

بجاله وفيه ان ما عدا الواهبة ليس من خصائصه لتساوى امته معه فى الاحلال واولوية ايثار الافضل
وكان الله غفورا لما يقع مما يعسر التحرز عنه رحيما لتوسعته فى مظان الحرج ترجى من تشاء منهن تؤخرها
وتترك مضاجعتها وتؤوى اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء من ازواجك او تطلق من تشاء و
تمسك من تشاء او لا تقسم لمن تشاء وتقسم لمن تشاء او تترك تزوج من تشاء وتتزوج بمن تشاء من نساء
امتك فالارجاء والايواء باطلاقهما تتناولان هذه الاقسام وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو
بكر ترجئ بالهمز والباقون بالياء ومن ابتغيت ممن عزلت وتراجع من تشاء من المطلقات فلا جناح
عليك فى شئ من ذلك وفى الآية دليل على انه لم يجب عليه القسم بين زوجاته ودل عليه ما روت
معاذة عن عائشة رضى الله عنها لما نزلت هذه الآية كان يستاذن المرأة منا فقلت ما كنت تقولين
قالت كنت اقول ان كان ذاك الى فانى لا اوثر عليك احدا ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين
بما آتيتهن كلهن اى ذلك التفويض اليك اقرب الى قرة اعينهن وقلة حزنهن ورضاهن كلهن لانك
ان قسمت علمن ان ذلك الذى تفعله تفضلا منك واحسانا وان لم تقسم لم يجدن عليك لعلمهن بانه حكم
الله والله يعلم ما فى قلوبكم من الميل الى البعض دون البعض وقد روت عائشة رضى الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا فعلى فيما املك فلا تلمنى فيما تملك ولا املك
وكان الله عليما بالمصالح حليما لا يعاجل بالعقوبة حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل
بهن من ازواج عن مجاهد والضحاك وابن عباس رضى الله عنهم انها نزلت بعد ما اختارت نساؤه الله
ورسوله كرامة ومجازاة لهن فلم يكن له بعد نكاح امرأة لكن لا الشرى وعن عائشة وام سلمة رضى الله
عنهما انه احل له ونسخت هذه الآية بقوله ترجى من تشاء فانها وان تقدمت فى ترتيب المصحف
فهى متأخرة نزولا وقيل انما حرم عليه غير الاجناس المذكورة من الاعرابيات فى ازاء المهاجرات والغرائب
فى ازاء القرائب والكتابيات بازاء المؤمنات ونكاح الاماء اكتفاء بما ملكت يمينه وعن ابى بن كعب انما
نهى عن التبدل الذى كان فى الجاهلية كان يقول احدهم انزل عن زوجتك لى وانزل عن زوجتى لك
روى البزار باسناده ان عيينة بن حصن دخل على رسول الله وعنده عائشة رضى الله عنها فقال له
رسول الله اين الاستيذان يا عيينة فقال ما استأذنت على احد من مضر منذ ادركت يا رسول الله ثم قال
ما هذه الجميلة الى جانبك فقال عائشة ام المؤمنين فقال انزل لى عنها وانزل لك عن احسن الخلق قال
ان الله قد حرم ذلك فلما ادبر قالت عائشة من هذا قال احمق مطاع فى قومه ولو اعجبك حسنهن
حال من فاعل تبدل او من المجرور فى من ازواج لانه فى سياق النفى مستغرق فكما يصلح مبتدأ يصلح
ذا حال الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء وكان الله على كل شئ رقيبا حفيظا ومهيمنا تحذير عن
تخطى حدوده يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم الى طعام متعلق بيؤذن
لانه فى معنى يدعى غير ناظرين اناه حال من ضمير لكم وقيل حال من ضمير لا تدخلوا والاستثناء واقع على
الوقت والحال كانه قيل لا تدخلوها الا وقت الاذن الا غير ناظرين والاول اولى اذ فى تعدد الاستثناء
المفرغ كلام وهذا مختص بطائفة كانوا يتحينون طعام رسول الله والا لما جاز دخول بيوته الا اذا اذن للطعام
واناء الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقلاه قلى ومنه قوله من حميم آن اى بالغ غاية الحرارة ولكن اذا دعيتم
فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا مستأنسين لحديث ولا تطلبوا الجلوس للاستيناس بعضكم ببعض لحديث او
ان تستأنسوا حديث اهل البيت تسمعا وتجسسا مجرور معطوف على ناظرين نصب على الحال من مقدر اى ولا تدخلوها
مستأنسين لحديث كما لم تدخلوها ناظرين اناء الطعام ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم فيحتمله ولا يظهر كراهته
حياء والله لا يستحيى من الحق وهو اخراجكم وكان حقا ابلغ اوليس لهم الجلوس فى بيته بغير رضاه طرفة عين

الطلقا الذين اسلموا يوم الفتح منه

فكيف وقد تأذى بذلك وهو اعز الخلق واكرمهم على الله تعالى والمعنى لا يتركه ترك من يستحى نزلت
فى وليمة زينب بنت جحش لما بنى بها رسول الله عليه وسلم اولم لها وليمة لم يولم على امرأة وليمة لم يولم على
امرأة وليمة مثلها ذبح شاة واشبع الصحابة خبزا ولحما فخرج القوم بعد الطعام وتخلف ثلثه نفر يتحدثون فى
بيته فثقل ذلك عليه واستحيى منهم فخرج ودار على حجر نسائه وسلم عليهن ودعت كل واحدة منهن له بالبركة فى
اهله وعاد فوجدهم فى الحديث فشق ذلك عليه فاحسوا بذلك فخرجوا فقال انس كنت باسكفه الباب حين نزلت
عليه فتلاها وارخى الحجاب وحرم النظر الى نسائه وهذه هى آيه الحجاب وعن ابن ابى حاتم باسناده الى عايشه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعشى وانا اكل معه فمر عمر فدعاه الى الطعام فاصاب اصبعى اصبعه فتأذ
وقال لو اطاعنى فيكن ما راتك عين وذلك انه كان يحث لرسول الله على ضرب الحجاب على نسائه ويقول يراهن
البر والفاجر فلما وقع اصبعه على اصبع عايشة وقال ما قال نزلت الاية واذا سئلتموهن متاعا فاسئلوهن
من وراء حجاب لحرمة النظر اليهن وان كن امهات احتراما واجلالا ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن دفعا
لهواجس النفس وخواطر الشيطان الجارى من الانسان مجرى الدم وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله فى وقت
من الاوقات توبيخ لهم على عدم احتياطهم والتوجه الى مراقبه احواله حتى يدركوا بالقراين ما يرضاه ويبادرون
اليه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فانهن ازواجه حيا وميتا واختلف فيمن فارقها فى حياته ولم
يمسها والحق جوازه ان ذلكم كان عند الله عظيما ذنبا لا يعادله ذنب جلالا له من ان يطأ فراشه غيره وتصل
يد الغير الى حرمه ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما كامل العلم الحالتان عنده سواء وعيد
شديد لمن يخفى فى صدره شيئا مما يؤذيه وان لم يقله او يفعله لا جناح عليهن فى آبائهن ولا ابنائهن ولا
اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن لما نزل الحجاب سئل هؤلاء الاقارب عن حالهم فى الحجاب فنزلت
وانما لم يذكر الخال والعم لانهما بمنزلة الوالدين وعن عكرمه والشعبى لانهما يصفان لابنائهما وهم غير محارم فكره
ذلك سد المسالك للشيطان ولا نسائهن اى نساء المؤمنات وهن المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من الارقاء
ذكورا واناثا وعن سعيد بن المسيب اناثا لا ذكورا واتقين الله فى السر والعلن ان الله كان على كل شئ شهيدا حاضرا
تخافوه فى السر كما تخافونه فى العلن ان الله وملائكته يصلون على النبى لما شيد اركان شرف رسول الله بما
اختصه به بين عباده المؤمنين من خصايص الاحكام بما عسى تذهب الوهم الى انه لا مزيد على هذا فى الاكرام
اشار الى انه قد بلغت كرامته الى انه تعالى وملئكته المقربون من الملأ الاعلى والكروبيين مستمرون على اظهار
شرفه والاعتناء بتبجيل شانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما بجلوه بما فى وسعكم وقد روى البخارى
باسناده الى كعب بن عجره قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف نصلى قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
ابرهيم وعلى ابرهيم انك حميد مجيد وجملة الكلام ان الله تعالى امر العالم العلوى والسفلى بالاشتغال بما فيه
تبجيل له كلا بما فى وسعه وكان فى ذلك اشارة الى انه المقصود والنتيجة وهما المقدمتان اللتان رتبهما العلام
الحكيم ولذلك كان متقدما خلقا وان تاخر بعثا وقد اختلف فى وجوب الصلوة عليه انا مرة فى الدهر فاتفاقا واما
كلما جرى ذكره فقيل لا يجب والحق وجوبه لظاهر الاحاديث الكثيرة ولكله يصلون على الاستمرار والتجدد واما
الصلوة على غيره من الانبياء فالافضل ان يصلى عليهم عند جرى ذكرهم واما غيرهم من الصحابة والتابعين
فلا يجوز الا تبعا لانه صار شعار الرفضه ان الذين يؤذون الله ورسوله ذكر الله للتوطيه اشعارا بان ايذاءه
نسبته ما لا يليق بجلاله وكبريائه اليه لما روى ابو هريرة رضى الله عنه يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر
اقلب الليل والنهار وايذاء رسوله اما بقولهم ساحر وشاعر واما بفعلهم كما كسروا رباعيته وشجوا رأسه الى غير
ذلك لعنهم الله فى الدنيا بالقتل والاسر والآخرة بعذاب النار واعد لهم عذابا مهينا مجازاة على اهانتهم

رسوله هذا فيمن اذاه قصدا واما ايذاء المؤمنين لم يكن كذلك بل عن غفله والذين يؤذون المؤمنين و
المؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جنايه توجب ذلك قيده لان ايذاء المؤمن قد يكون حقا بخلاف ايذاء الله و
رسوله فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا يشمل السب والغيبة والروافض اول داخل فيه نزلت فى المنافقين
الذين كانوا يؤذون على بن ابى طالب وقيل فى الزناة الذين كانوا يتبعون او يتعرضون للعفايف وهن كارهات
وهذا اوفق بقوله يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن كان
بيوت المدينة لا كنف لها وكانت النساء يخرجن لقضاء حاجة الانسان الى المناصع اذا اختلط الظلام وكان
الفساق والشطار يتعرضون لهن لاشتباههن بالاماء فامر الله رسوله بان يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين
بلبس الجلباب وهو ازار فوق الخمار او ملحفه ليمتاز سماتهن عن سمات نساء الجاهلية والاماء ومن تبعيضية
اى بعض الجلباب وعن ابن سيرين سالت عبيده السلمانى عن معناه فغطى وجهه وابرز عينه اليسرى ذلك ادنى
ان يعرفن فلا يؤذين لعدم اللبس وكان الله غفورا لما سلف رحيما يراعى مصالح عباده لئن لم ينته المنافقون
عن النفاق والذين فى قلوبهم مرض وهم الزناة واهل الفجور لقوله فيطمع الذى فى قلبه مرض وقيل قلة
ثبات فى الايمان والمرجفون فى المدينه ناس من المؤمنين يخبرون عن سرايا رسول اخبار السوء من القتل و
الانهزام وغير ذلك من الرجفه وهى الزلزله لانه خبر يزلزل قلوب المؤمنين لنغرينك بهم لنسلطنك
عليهم من الغراء وهو ما يلصق به الشئ بالشئ ولذلك عدى بالباء ثم لا يجاورونك فيها اى فى المدينة
الا قليلا عطف على لنغرينك جوابا للقسم وايثار ثم للدلالة على ان جلاء الوطن اعظم المصايب عندهم
ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا ولا يجوز تعلقه بقوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله سنة الله فى الذين خلوا من قبل من الامم الماضيه مصدر
مؤكد لوعد الله ولن تجد لسنة الله تبديلا اذ لا يقدر احد على تبديله وما تعلق بارادته كاين لا محالة
يسئلك الناس عن الساعة عن وقت قيامها والسائل المشركون استهزاء واليهود تعنتا لما فى التوريه و
ساير الكتب ان علمه مما استأثر الله به قل انما علمها عند الله لا عند غيره وما يدريك لعل الساعة تكون
قريبا او يكون عن قريب تهديد للمستعجل كقوله ماذا يستعجل منه المجرمون واسكات للممتحن ان الله لعن
الكافرين واعد لهم سعيرا نارا ذات هيجان ولهب خالدين فيها ابدا اى ما لا نهاية له لا يجدون وليا من يتولى
حفظهم ولا نصيرا يدفع عنهم العذاب يوم تقلب وجوههم فى النار تتصرف فيها من جهة الى اخرى كما ترى
البضعة من اللحم فى القدر حال غليانها او تغيرها بها او يطرحون منكوسين والتعبير بالوجه لانه اشرف
الاعضاء يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا تمنيا على ما فات وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
اشرافنا وعلماءنا فاضلونا السبيلا بما زينوه لنا يقال ضل السبيل واضله غيره والالف فى الرسولا
والسبيلا كالالف فى الظنونا والتوجيه ما تقدم ربنا آتهم ضعفين من العذاب للضلال والاضلال
والعنهم لعنا كثيرا افراده وقرأ عاصم بالباء الموحده اى اشد اللعن واعظمه وقراءه العموم اوفق للدلالة
ضعفين على التعدد يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا روى البخارى عن
ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى بن عمران كان رجلا حييا وكان بنو اسرائيل يغتسلون
عراة وكان موسى لا يغتسل الا مستترا فقالوا ما منعه ان يغتسل معنا عريانا الا انه ادر فاغتسل يوما ووضع
ثوبه على الحجر ففر بثوبه فاخذ العصى وعدا خلف الحجر وهو ينادى ثوبى حجر ثوبى حجر فوقف الحجر على ملأ
من بنى اسرائيل فقالوا والله ما بموسى من باس وقيل اتهموه بقتل هرون وقيل افتراء قارون عليه بالزنى
كما مر فى القصص وكان عند الله وجيها ذا مكانه ورتبه فكان حديرا بان يبرء عما يشينه
وشتان ما بين دهلجة الكليم والحبيب يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فى كل الامور لا سيما فيما يؤدى

رسول الله وقولوا قولا سديدا صوابا مستقيما لا اعوجاج فيه فيشمل قضية زينب وغيرها يصلح لكم
اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم جواب الامر اى اذا فعلتم ما امرتم به حصل لكم ما هو غاية طلبه كل عاقل وهو تقبل
حسناتكم او التوفيق لمجىء اعمالكم فى المستقبل مرضيه وهذه الاية مقررة لما تقدمها من اشتمالها على الوعد
كاشتمال تلك على الوعيد فتقوى الصارف عن الاذى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما يعيش فى الدنيا حميدا وفى الاخرة سعيدا
عذاب الدارين ونيل ما لا عين رأت انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان لما علق بالطاعة الفوز العظيم عظم شانها وفخم امرها وعبر عنها بالامانه
اشارة الى انها لازمة الرعاية واجبه الاداء والمراد منها ما يعم اللايق بالجماد من حيث كونها مسخرا
لما اريد منه ولم تمتنع عن المشية وبالانسان من الانقياد لاوامره ونواهيه فحيث حرب تلك الاجرام
واستمرت على ما يخرب له والانسان خاس به ولم يف بما كان فى وسعه حكم عليه بالخيانه من قولهم
حمل فلان الامانه اى استمر على حملها ولم يؤدها الى صاحبها فعلى هذا الاباء والعرض والاشفاق مجازات
متفرعة على تمثيل حال الجماد بالمامور الذى اذا ورد عليه امر سيده المطاع بادر بالامتثال وفيه تعريض بالانسان
وانه كان احق بذلك انه كان ظلوما جهولا فى ترك الاداء مع التمكن جهولا شديد الجهل بوخامة العاقبه لتفويته
الفوز العظيم وتوريطه نفسه فى العذاب المقيم واشارة الى عظم شان الطاعة حيث كان ما يشبهها مما يتبادر فى
اليه الجماد وقيل اريد بها الطاعة حقيقه والامر مبنى على الفرض والتصوير وذلك بان مثلث حال التكليف
صعوبته وثقل محمله وما فى المحافظة على الامانه الى حين الاداء على الوجه الاتم لو كان فى هذه الاجرام
العظام الاقوياء فهم وادراك الخطاب وعرضت الامانه عليها لما حملتها ولا اثرتها اختيارا والانسان الذى خلق
ضعيفا اتوه واحتمله وكان ظلوما واضعا لنفسه غير موضعها لحمله عليها ما عجزت عنه السموات والارض
والجبال جهولا بوخامه العاقبه وان ترك حفظها مع الامكان يورث الهبوط من اوج السعادة الى حضيض الشقا
وقيل الامر على ظاهره وان الله تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما واهليه خطاب وقال انى فرضت
فريضه وخلقت جنة لمن اطاعنى ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا له لا نحتمل فريضه وخلقت
جنة ولا نبغى ثوابا ولا نرضى لانفسنا عقابا والاوجه ان يقال العرض مجاز عن نسبة الامانة اليها واباء
الحمل عن عدم الاستعداد والقابلية لها وحمل الانسان عن استعداده وكمال القابلية فى اصل نشأته على
ما اشير اليه بفطرة الله التى فطر الناس عليها وبكل مولود يولد على الفطرة وكان ظلوما حيث افسد تلك
الفطرة التى هى مثابه الاكسير جهولا شديد الجهل بما ترتب على ذلك هلا حافظ على القوة العاقلة التى هى بمثابه
الاكسير الملك على ساير القوى وتقهر بها جنود القوة الغضبيه والشهوة التى هى بمنزلة الشياطين ليعذب الله
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات التعذيب نتيجة حمل الامانة
مجازا كما ان التاديب نتيجة الضرب حقيقة والمعنى ليعذب الله الخاين فى الامانة الخاين فى ضمانه ويتوب على
الامين الوافى بحق الامانة القايم بما ضمنه وفى هذا نوع آخر من عذاب الخاين الغادر وكان الله غفورا
لفرطات المؤمنين رحيما منفضلا بثواب طاعاتهم تمت سورة الاحزاب والصلوة على من انزل عليه الكتاب
واله وصحبه مدى الليالى الى يوم الحساب سورة سبا مكية وهى اربع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ما دخل فى قوامها وما يكون فيها واستقر فان كل ذلك نعمة
دنيويه يحمد موليها وله الحمد فى الاخرة على تلك النعم كانه قال هو المحمود على نعم الدارين لا غيره وكما دل على
الاختصاص هنا تقديم الصله دل عليه اللامان او لانسقط ما قيل قدم الصلة هنا لان نعم الدنيا قد يكون بواسطة
من يستحق الحمد لاجرى الى قوله فى سورة القصص له الحمد فى الاولى والاخرة بتقديم ذات الصلة فيهما مع ان
قوله نعم الاخرة لا يكون بواسطة من يستحق الحمد ممنوع واى واسطه اقوى من شفاعة رسول الله والملئكة

والصالحين

والصالحين وانما سمى مقام شفاعته مقاما محمودا لانه يحمده الاولون والاخرون كما رواه البخارى
وهو الحكيم المتقن امر الدارين الخبير بسواطن الامور وفى الوصفين اشارة الى ان كل ذلك انما هو
على وجه الحكمة وعلم تام بموضع الاستحقاق يعلم ما يلج فى الارض من الامطار والدفاين والاموات و
ساير ما له الارض كفاة وما يخرج منها من الاشجار والفلزات وانواع النبات وما ينزل من السماء
من الامطار والثلوج والملائكة باصناف البركات وما يعرج فيها من الاعمال والعبادات تقرير لوصف
الخبير وتفصيل لما اجمله فى قوله ما فى السموات وتبصير لانواع النعم الكليه وهو الرحيم المتفضل بافاضتها
الغفور لفرطاتهم وتقصيرهم فى شكرها وتقديم وصف الرحمة لان الكلام فى الانعام فذلك اوفق بالمقام وقال
الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها واستبطاء سخريه كقولهم متى هذا الوعد قل بلى وربى لتاتينكم
رد انكارهم واكده بالقسم ثم امده التاكيد بقوله عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر لان هذا الوصف بمنزلة الشاهد على وقوع المقسم عليه من غير مجال ريب
واوثر من بين صفاته العلى احاطه علمه بالمغيبات فى العالم العلوى والسفلى لان العلم بوقت الساعه من
امهات الغيوب فاذا وصف بالعلم الشامل دخل ذلك تحته ففيه رعاية حسن الاقسام قرأ حمزة والكسائى
علام على صيغه المبالغه بالجر ونافع وابن عامر بالرفع على انه خبر مبتداء او مبتدأ خبره ما بعده والباقون بالجر
وقرأ الكسائى لا يعزب بكسر الزاء الا فى كتاب مبين هو اللوح وجعل الضمير فى عنه للغيب على معنى لا ينفصل
عن الغيب شىء الا مسطورا فى اللوح لا يلايم المقام ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله
لتاتينكم ردا لانكارهم وصدق المخبر المؤكد جزم بالقسم البالغ كانه قيل له القدرة التامة على ايجاد العالم
والعلم الشامل بجليات الاشياء وخفياتها والحكمة تقتضى جزاء المحسن والمسىء وهذا ايضا مركوز فى
غرايزهم فقد تم المقتضى وارتفع المانع اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من والذين
سعوا فى اياتنا فى ابطالها والصد عنها معاجزين مفاتين فى زعمهم يقال عاجزه فلان اذا ذهب فلم يوصل
اليه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بلا مد من التعجيز وهو المختار لانه ابلغ اولئك لهم عذاب من رجز من عذاب
اليم من بيان اى لهم حصه من العذاب الاليم وقرأ ابن كثير وحفص برفع اليم والجر اولى لعدم الفصل
ولانه امكن معنى ويرى الذين اوتوا العلم عطف على قال الذين كفروا هم الصحابه ومن بعدهم او علماء
اهل الكتاب الذين امنوا الذى انزل اليك من ربك هو الحق مفعول لا يرى وهو ضمير الفصل ويجوز عطفه على
ليجزى والمعنى وليعلم الذين اوتوا العلم اذا عاينوها علما لا مزيد عليه فى الاتقان فيحتجوا به على من
انكرها وليعلم من لم يؤمن بها من الاحبار فيزداد حسرة ويهدى الى صراط العزيز الحميد هى دين الاسلام
وقال الذين كفروا بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل نكروه متجاهلين به كانه غريب جاد بامر بديع
لا تقبله العقول ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق اى كل تمزق على انه مصدر او ذهبت بكم السيول وصرتم فى اجواف
الطير وسفت بكم الريح على انه مكان انكم لفى خلق جديد ما دل عليه هو العامل فى اذا كما تقدم فى سورة
السجدة والجديد فعيل بمعنى الفاعل كالحديد وعند الكوفيين بمعنى المفعول لقولهم ملحفة جديد والجواب انه
من قبيل رحمة الله قريب افترى على الله كذبا ام به جنة حصروا خبر الكاذب فى الكذب قصدا وغير قصد
اذ لا اعتقاد لهم فى صدقه والعدول عن الفعل فى الثانى ايماء الى انه الكاين اذ لم يجربوا عليه كذبا قبل
النبوة بل الذين لا يؤمنون بالاخرة فى العذاب والضلال البعيد اضراب عن ذلك الحصر الباطل الى ما هو
الحق وتقديم العذاب على الضلال المتقدم عليه اشارة الى تحقيق استحقاقهم وتوفر اسبابه ووصف
الضلال بالبعيد وهو للضال على طريقة المجاز الحكمى مبالغة فيه وانهم لا يرجى خلاصهم افلم يروا الى ما
بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء

رض

رد على القايلين اسم الفاعل لا يعمل لفظه لا يفيد التعريف

اما لم يلايم لان سوق الكلام للاحاطة علما بالاشياء فاذا جعل الضمير للغيب فات ذلك

ولا مزيد فى الاتقان اصفى من الاول لا تفاضل على هذا النوع

المقدر موصوف الاشى جديد او الملحفة فى معنى الكاف او التعبد بمعنى الفاعل حمله على الفعيل بمعنى المفعول

اى اعموا فلم ينظروا الى السماء والارض المحيطين بهم حيث كانوا سفرًا وحضرًا والمعنى قد علموا ذلك ولهم
علم بانا ان نشأ نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم قطعة من السماء نهلكهم بها واذا علموا
ذلك وايقنوا فهلا استدلوا بذلك على القدرة على الانشاء والاعادة ثانيًا وقرأ حمزة والكسائى الافعال الثلثة
بالياء اسنادًا الى ضمير الله والباقون بالنون وهذا ابلغ وعيدًا لقوله ولقد آتينا وقرأ حفص بفتح السين فى كسفا
ان فى ذلك لاية لكل عبد منيب راجع الى الله بالتوبة فانه الناظر فى آيات الله ثم ذكر ما يرغب فى الانابة وما
يتفضل الله على المنيب بما اتبعه من قصة داود ولاشمالها على انابته وما ترتب عليها ولقد آتينا داود منا فضلًا
يا جبال اوبى معه اى قلنا يا جبال اوبى معه اى رجعى معه فى التسبيح لقوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن والترجيع
هو الرجوع الى الصوت الاول ومنه ترجيع الاذان والفضل المبين الجمع بين النبوة والملك وتسبيح الجبال الراسيات
والطيور السارحات وقيل كانت تسير معه بالنهار حيث سار والتأويب سير النهار والطير بالنصب معطوف على محل
يا جبال او على فضلًا او معمول مقدر مثل وسخرنا والنا له الحديد كالشمع يقبله بيده من غير نار والة ان اعمل سابغات
اى امرناه بعمل الدروع الوافية من سبغ الشئ اذا وفى وكمل ان مفسرة او مصدرية وقدر فى السرد فى النسج بان
يناسب بين الحلق ومنه سرد الصوم اذا تابع الايام وقيل قدر فى السرد اى عمل المسمار على قدر الحلق لا دقيقا يقلق
ولا غليظًا يخرق واعملوا صالحًا الخطاب له ولاتباعه انى بما تعملون بصير فاجازيكم عليه عن وهب بن منبه
ان داود كان يتنكر ويسئل الركبان عن حال داود وكانوا يثنون عليه فارسل الله ملكا فى صورة رجل فسأله
فقال هو خير الناس لولا انه ياكل هو واهله من بيت المال فسأل الله ان يعلمه صنعة ياكل منها هو واهله فعلمه
الله عمل الدرع ليكون سببًا لمعاشه والة للجهاد فكان كل يوم يفرغ من درع ويبيعه باربعة الاف ويتصدق
بستة الاف ينفق على نفسه واهله منه ثم يصرف الباقى الى مصالح بنى اسرائيل ولسليمن الريح اى وسخرنا له الريح
غدوها شهر جريها مسيرة شهر بالغدوة ورواحها شهر سيرها آخر النهار كذلك كان غدوها من دمشق الى
اصطخر فيتغدى به ثم يروح الى كابل فيتعشى به وكل من المسافتين شهر يحكى ان رجلًا وجد مكتوبًا كتبه بعض
اصحاب سليمان عليه السلام بناحية دجلة نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه و
نحن رايحون منه فبايتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له عين القطر النحاس المذاب جعله ينبع نبوع الماء
وكان ذلك باليمن ببلدة صنعاء ومن الجن من يعمل بين يديه مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن
حال قدمت اهتمامًا لان كونه من الجن هو المستغرب باذن ربه بارادته وتيسيره وفيه اشارة الى ان تسخيرهم
امر فى غاية البعد لولا تسهيله لما تيسر ومن يزغ منهم عن امرنا عما امرناه به من طاعة سليمان نذقه
من عذاب السعير الحريق يعملون له ما يشاء من محاريب قصورًا حصينة واماكن شريفة لانها تحارب عنها
و تذب وتماثيل صور الملئكة والانبياء ليروها على تلك الصور تذكرًا للناس بحالهم ليعبدوا عبادتهم و تحريم
الصور شرع مجدد وكانت بلا راس ولم يكن صور حيوان لان التمثال كل ما صور على صورة غيره وجفان كالجواب
كالحياض جمع جابية لان الماء يجبى فيها اى يجمع قال الاعشى وتروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى
تفهق وقدور راسيات ثابتات فى اماكنها لعظمها لا تنزل من الاثافى اعملوا آل داود شكرًا حكاية ما قيل
لآل داود شكرًا نصب على العلية لان العمل لله تعالى للشكر وفيه اشارة الى ان العبادة يجب ان تؤدى شكرًا
او مصدر لان اعملوا معناه اشكروا او مفعول به اى اعملوا انتم شكرًا لان الجن تعمل لكم ما شئتم وقليل من
عبادى الشكور المتوفر للشكر باللسان والجنان والاركان الباذل وسعه فى القيام وعن ابن عباس رضى
الله الشكور من يشكر على الاحوال كلها وقيل من يرى العجز عن الشكر وقد روى البخارى ومسلم رحمهما
الله باسنادهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احب الصلوة الى الله تعالى صلوة داود كان ينام نصف
الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه واحب الصيام اليه صيام داود وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا وقيل لم يخل

بيت آل داود من قايم يصلى لا ليلًا ولا نهارًا فلما قضينا عليه الموت على سليمان ما دلهم على موته اعاد
المظهر لئلا يتوهم عود الضمير الى سليمان الا دابة الارض دويبة يسمى سرفة والارض فعلها ولذلك يقال
لها الارضة تاكل منسأته عصاه لانه ينسأ بها اى يطرد ويوخر وقرأ نافع وابو عمرو بالالف بدلًا عن الهمزة
من غير قياس مبالغة فى التخفيف وابن ذكوان عن ابن عامر باسكان الهمزة نقلًا من الخفيف الى الاخف
والالف هى لغة الحجاز فلما خر تبينت الجن علمت علمًا جليًا ان لو كانوا يعلمون الغيب كما كانوا يزعمون و
يوهمون الناس ذلك ان مع صلتها بدل من الجن بدل اشتمال ما لبثوا فى العذاب المهين وذلك ان داود
اسس بيت المقدس مكان فسطاط موسى ثم مات قبل تمامه فوصى به سليمان فاستعمل فيه الشياطين
فلما دنى موته ولم تكمل بعد سئل ربه ان يعمى موته على الجن حتى يتموا المسجد فامر الجن ان يبنوا عليه صرحًا
من قوارير ليس له باب واتكى على المنساة يصلى فقبض فى الصلوة على تلك الهيئة فاكلت الارضة العصاة
فخر على الارض فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يومًا وليلة مقدارًا فقاسوه فكان موته منه سنة
وكان عمره حين ملك ثلث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلث وخمسين سنة وابتدأ ببناء المسجد لاربع مضين
من ملكه لقد كان لسبأ هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان اريد به القبيلة فى مسكنهم آية جنتان عن
يمين وشمال اى كان لكل رجل لهم بستانان احدهما عن يمين مسكنه والآخر عن شماله او كانت البساتين عن الجانبين
متصلة متضامة كانها جنتان قرأ ابو عمرو والبزى سبأ بفتح الهمزة من غير تنوين لارادة القبيلة وقنبل باسكان
الهمزة اجراء للوصل مجرى الوقف والباقون بالكسر والتنوين باعتبار الحى وقرأ حمزة والكسائى وحفص مسكنهم
بفتح الكاف مفردًا لارادة البلد او مسكن كل واحد والكسائى بالكسر على الشذوذ كالمسجد والباقون جمعًا على
التوزيع وهو الظاهر كلوا من رزق ربكم حكاية لما قال لهم نبيهم قيل بعث اليهم ثلثة عشر نبيًا او قيل لهم بلسان
الحال او احقاء بان يقال لهم ذلك واشكروا له طلبًا للمزيد ومحافظة على العتيد بلدة طيبة ورب غفور استيناف
لبيان موجب الشكر وعن ابن عباس كانت اخصب البلاد واطيبها كانت تخرج المرأة وعلى راسها المكتل فتسير بين
الاشجار كالحاجتها فتمتلى مما يتساقط فيه وقيل لم يكن فيها ذباب ولا بعوض ولا برغوث فاعرضوا عن الشكر
فارسلنا عليهم سيل العرم هو الجرذ الذى نقب السد الذى كان بناه بلقيس الملكة بالصخر والقار يجتمع فيه ماء
العيون والامطار وكانت جعلت فيه ثقبًا على قدر الحاجة يفتح فى وقت وقيل العرم السكر وهو السد وقيل المطر
الشديد وقيل اسم واديهم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط ثمر مر بشيع عطف بيان او صفة وقرأ ابو
عمرو بالاضافة على ان الخمط هو الشجر شجر الاراك عن ابن عباس وقيل كل شجر ذى شوك مر وعن الزجاج
كل شجر مر واثل هو الطرفاء عطف على اكل لا على خمط لان الطرفاء لا ثمر له وشئ من سدر قليل عطف على
خمط وهو النبق وله ثمر حسن والحكمة فى ابقائه زيادة العذاب عليهم كلما رأوه تذكروا ما فاتهم ولذلك قلله
وتسمية ما بدلوا بجنتين تهكم او مشاكلة ذلك جزيناهم بما كفروا اى ذلك الجزاء الذى جزيناهم لاجل كفرهم النعمة
او الرسل بالتكذيب وهل نجازى الا الكفور اى لا نجازى ذلك الجزاء البالغ الا البالغ فى الكفر والمراد
الجزاء عقابًا وما يصيب المؤمن تمحيص لذنوبه ولانه اريد العقاب على جميع ما فعله من السوء ولا كذلك المؤمن
لان حسناته يذهبن السيئات قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر بالياء على بناء المفعول والباقون
بالنون وهو ابلغ تقويلًا وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها هى قرى ظاهرة هى قرى الشام وقيل قرى
بصنعاء قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة وقدرنا فيها السير على ما يلايم
المسافر فقيل الغادى فى قرية والرايح يبيت فى اخرى سيروا فيها على القول حالًا او مقالًا ليالى واياما آمنين
لا يختلف الامن باختلاف الاوقات ليلًا ونهارًا او سيروا فيها مدة اعماركم فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
اشاروا السيرة سئموا العافية وبطروا وسئلوا الله ان يجعل تلك القرى ليكون مكانها مفاوز يركبون فيها الرواحل

وداوتق

البح بالسين المهملة وحاء كذكل يريد به ما الفرات
روى بالشين المعجمة وحاء كذلك والمعنى ان الفح لا العدد
عمل ركرله غبار الحوض صدرا من فعد الماء ملك بالجواب
ان الماء به تنبر وسع حدا جوض ملاء چوخ وقد ازاد
ما البح القراح كذى منه

مكان فسطاط موسى ذكره فى الكشاف وفيه اشكال
فان موسى كان داعيًا الشعب لمدنى لم سافر الى
مصر وارسل الله رسولا يعنى بالوادى الايمن
وبعد هلاك فرعون مات فى التيه والقدس فى
يد الجبارين وانما فتحه يوشع منه

الجرذ بضم الجيم والذال المعجمة الذكر من
الفار الكبير منه

ارادة

ويتزودون الا زواد كما استبدلت بنواسرائيل الثوم والبصل بالمن والسلوى وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام
عن ابن عامر بعد بتشديد العين وهما لغتان بمعنى والمذاكرة وظلموا انفسهم حيث حملوها الشقا بعد النعيم
والرخاء فجعلناهم احاديث تحدث بعدهم بما جرى عليهم ويضربون بهم الامثال اذا اغوا في وصف القوم بالتفرق
قال ذهبوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم كل تفريق لحق غسان بالشام والانمار بيثرب والاسد
بالبحرين وخزاعة بتهامة والازد بعمان والاية والتي قبلها تفصيل لما تقدم من حال الجنتين واربابهما وما
جروا على سبيل النشر وقدم جعلهم احاديث على التمزيق لانه الغرض ان في ذلك لايات لكل صبار شديد
الصبر على البلاء شكور كثير الشكر على النعم والمزايا ولقد صدق عليهم اي على اهل سبا ومن هو على
طريقتهم ابليس ظنه تحقق ظنه وتبينه لما كفروا وكذبوا الرسل هو الظن الذي حصل له لما وسوس الى آدم و
حوا ودلاهما بغرور او لما سمع مقالة الملئكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقرا غير الكوفيين
صدق مخففا على ان ظنه مفعول فيه او مفعول مطلق لمقدر فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين من بيان اي الا
فريقا هم المؤمنون او تبعيض اي الا فريقا من المؤمنين وهم الخلص ويؤيد الاول قوله لاملان جهنم منك
وممن تبعك منهم وما كان له عليهم من سلطان من تسلط واستيلاء بالاغواء والوسوسة الا لنعلم من
يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك اي لنميز بين المؤمن والشاك او لنعلمهما موصوفين بالصفتين او علما
ترتب عليه الجزاء او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله فالمراد من حصول العلم ما تعلق به مبالغة وفي
اسلوب نظم الصلتين اشارة الى نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ مراقب فعيل بمعنى الفاعل او وعد ووعيد
قل ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة حذف المفعولان لطول الصلة من دون الله صفة الهة ولا
يصح ان يكون هو المفعول الثاني لعدم الالتيام مع الاول لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
اي في العالم العلوي والسفلي ولا تعبد المعبود الا لجلب نفع او دفع ضر وفيه تبكيت لهم وانهم لا ينطقون بغير
هذا وما لهم فيهما في العالمين من شرك لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير من عون يعينه في
امر ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له دفع لما كانوا يتوهمون من الشفاعة ان لو كان بعث ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له ان يشفع او يشفع له فاللام هي المقدرة في شفاعة
زيدا ما فاعلا او مفعولا ولا يجوز ان يكون اي الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله كقولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله
وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي اذن على بناء المفعول بضم الهمزة والفتح اولى واخف ولذلك اتفقوا عليه في
لمن اذن له الرحمن حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمقدر دل عليه المقام اي يتربصون فزعين فهم في ذلك الفزع
يتوقفون ملقى عليهم رداء الهيبة حتى اذا كشف عنهم ذلك الفزع بالاذن في الشفاعة سئل بعضهم بعضا وقرا
ابن عامر فزع على بناء الفاعل وهو اولى لكونه الاصل واخف قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو الاذن
في الشفاعة ولايثار لفظ الرب ههنا شان لا يخفى وما روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلعم قال
اذا قضى الله امرا في السماء ضربت الملئكة اجنحتها خضعانا كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وكذا روي عن ابن مسعود رضي الله مثله فلا تنافي بينهما وكلاهما واقع وانما
ان ذلك تفسير للآية فلا لعدم الارتباط ومن قال به انما نظر الى طباق اللفظ ضمنا ونقدم الملئكة فيما لا
يجدي وهو العلي شانه الكبير سلطانه يحق له ان لا يتكلم احد الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض
تقرير لقوله لا يملكون مثقال ذرة قل الله اذ لا جواب له سواه وان سكتوا مخافة الالزام وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين بعد البرهان النير والتقرير الوافي البليغ نزل ورد الامر بين الفريقين بان المحق
واحد وفاقا فليتامل من المصيب منا ومن المخطئ ومثله يسمى كلام المنصف لان من سمعه من موال ومخالف
يقول للمخاطب قد انصفك ولا يرى اشد تبكيتا منه للخصم ولا اوصل بالمناظر الى الغرض ولا اهجم منه بالغلبة ولا ادفع

الاندي الطرق الشتى من قولهم ايدي البحر اي طريقه الاولاد لانها تشابه الايدي منه

في بعض نسخ الحديث ان الله خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم نورا فمن اصاب من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل منه

لام العلة

هذا الوجه ذكره القاضي وفي كونه تفسيرا للآية بعد عن المقام منه

لشب

لشغب المكابر ومنه بيت حسان يخاطب ابا سفيان اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء وانما
خالف بين الصلتين لان المحق كانه عال جوادا يركضه حيث يشاء والمبطل كانه منغمس في ظلمة لا
يدري اين توجه قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون فاذا لا غرض لي في دعائكم الا النصح
وفيه تنزل ابلغ من الاول حيث عبر عما نسب الى انفسهم بالاجرام وعما نسب الى الخصم بالعمل قل يجمع
بيننا ربنا للحجاج والخصام ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويجازي المحق والمبطل كلا على حسبه وهو الفتاح الحاكم
بالصواب العليم لا يحتمل تطرق الخلل الى حكمه قل اروني الذين الحقتم به شركاء كان يريهم ويعرفهم ولكن اراد
التنبيه على خطائهم وقياسهم كلا ليس الامر كما زعموا بل هو الله العزيز الحكيم واين تلك الجمادات من هذه
الصفات الضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة للناس صفة مصدر اي الا ارسالا عامة تكف
خروج احد منهم وعن الزجاج حال من الكاف والتاء للمبالغة كعلامة والمعنى كافا لهم اي جامعا في
الابلاغ والانذار لقوله بعثت الى الاحمر والاسود وعن ابن مالك حال من المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون لعدم التدبر في شانك او علمهم كلا علم حيث قارنه الانكار ويقولون متى هذا الوعد المبشر
والمنذر عنه ان كنتم صادقين خطاب له ولامته قل لكم ميعاد يوم وعد او زمان وعد لا تستاخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون جواب تهديد موافقا لما قصدوا بسؤالهم من التعنت والانكار فلوحظ المقصود دون ما
يعطيه ظاهر اللفظ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من الكتب الدال على قيام الساعة
ونشر الاموات وذلك ان كفار مكة سئلوا اهل الكتاب نعت رسول الله فاخبروهم انهم يجدونه في كتبهم
فاغضبهم ذلك فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة الذي دل القرآن على وقوعه ولو ترى
اذ الظالمون موقوفون عند ربهم في ذلك اليوم الذي ينكرونه يرجع بعضهم الى بعض القول يتجاوبون في الحوار
كل ينسب الذنب الى الآخر يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم اي اضلالكم لكنا مؤمنين
بما جاءت به الرسل قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم ادخلوا همزة
الانكار على الاسم لان الغرض انكار كونهم صادين عن الايمان لا انكار الفعل من اصله وانما اضيف بعد الى اذ
وهو لازم الظرفية كما يضاف الزمان الى الجمل اتساعا بل كنتم مجرمين بسوء اختياركم وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا كروا عليهم ثانيا وابطلوا اضرابهم بقولهم بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله
ونجعل له اندادا اي غرنا مكركم بالليل والنهار دايما وحملكم ايانا على الكفر بالله واتخاذ الانداد واضافة
مكرهم الى الليل والنهار للملابسة والاتساع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به او جعل الليل والنهار ماكرين
على الاسناد المجازي واسروا الندامة لما راوا العذاب اي كل من الضال والمضل مخافة التعيير او اظهروها
واذا لو اسرها ونظيره في الوجهين ليشكي كقول الشاعر فما زالت الايام الا شكاية وما زالت الايام تشكي ولا
تشكي وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم والاظهار للدلالة على الموجب هل يجزون
الا ما كانوا يعملون اي لا شيء سوى ذلك ومحل ما نصب بنزع الخافض او بتضمين الجزاء معنى القضاء وما ارسلنا
في قرية من نذير الا قال مترفوها بعد استنفاد الدلايل على التوحيد والرسالة وضرب الامثال بالقوارع
التي اصابت من لم يقابل النعم بالشكر سلى رسوله بان من قبلك من الرسل كل قد كابد من الجهلة ما كابده
انا بما ارسلتم به كافرون عنادا وجحودا من غير شبهة في الطريق فضلا عن امارة او برهان وقالوا نحن
اكثر اموالا واولادا للذين هما زينة الدنيا وما نحن بمعذبين في الآخرة قياسا على الدنيا جهلا وسفاهة
ولم يدروا ان الدنيا بحذافيرها لا تساوي عند الله جناح بعوضة وتلك الدار في جواره دار اوليائه واهل
عرفانه فكيف يقاس احديهما على الاخرى قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي حظوظ الدنيا انما هي
بمقتضى مشية الله وحكمته في البسط والقبض ولا يلاحظ فيها القرب والمحبة بخلاف الثواب والجزاء فانها في مقابلة

يريد ابا سفيان بن الحرث ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم منه

الاول على بناء المجهول والثاني على بناء الفاعل

الايمان والعمل الصالح ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليسوا في زمرة العلماء فيجرون على احد النقيضين
ما يجرونه على الآخر وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى اى قربة مفعول مطلق اى وما
اموالكم ولا اولادكم توجب عندنا زلفى وقربى والتي كناية عن التقوى اى ما اموالكم ولا اولادكم بالتي هي التقوى
حتى تقربكم عندنا زلفى ولا مقرب سواها الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اى الاموال
من آمن فانه ينتفع بصرفه في وجوه البر وعلى الثاني استثناء من اموالكم على معنى الا مال من آمن وفيه مبالغة
حيث جعل مال المؤمن وولده نفس التقوى ولا يصح الاستثناء على هذا من مفعول تقربكم لانه مثبت فاولئك
لهم جزاء الضعف بما عملوا اى الموصوفون بالايمان والعمل الصالح يجازون اضعاف استحقاقهم واقله
العشر واكثره لا يعلمه الا الله وهم في الغرفات آمنون في القصور آمنون عن المكاره وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله [عليه وسلم] قال ان في الجنة قصورا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها
فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله قال لمن اطعم الطعام وادام الصيام وطيب الكلام وقرأ حمزة الغرفة على ارادة
الجنس والذين يسعون في آياتنا معاجزين مغالبين وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالقصر
مشددا وقد سلف انه ابلغ اولئك في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون قل ان ربي يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق اخرى والاولى في رد مقالتهم وهذه في الحث على الانفاق
بدليل قوله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فلا تكرار اى وما انفقتم مما يصدق عليه اسم الشيء فالله تعالى
يخلف له خلفا في الدنيا فقللوا او كثروا وفي الحديث المشهور ان لله ملكين ينزلان كل صباح ينادي احدهما اللهم
اعط كل منفق خلفا والآخر ينادي اللهم اعط كل ممسك تلفا وهو خير الرازقين اذ من عداه انما يكون رازقا
مجازا كانه قيل فلينفق فان الله يرزقه من حيث لا يحتسب ويوم يحشرهم جميعا الرؤساء والضعفاء او العابدين
والمعبودين ثم نقول للملائكة خصوصا لكونهم اشرف من عبدوه ولانهم ما عبدوا الاصنام الا انها صور الملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون الغرض من السؤال تقريع المشركين وزيادة تعذيب بان من عبدوه ليكون شفيعا تبرأ
عنهم مواجهة وتكذيبهم احوج ما كانوا قالوا سبحانك تنزهت عن الشريك انت ولينا من دونهم متجاوزين منهم
لا ولاية ولا موالاة لنا الا لك بل كانوا يعبدون الجن حيث اطاعوهم وقيل كانوا يعبدون الاصنام والجن تدخل
في اجوافها فيعبدون بعبادتها وقيل صورت الشياطين صور الجن وقالوا هذه صور الملائكة اكثرهم اى كلهم بهم
مؤمنون الضمير الاول للمشركين والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا في ذلك اليوم ولا نافع
الا الله وتقديم النفع اهتماما لانه الغرض من عبادتهم ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها
تكذبون عطف على لا يملك مبين للغرض من تمهيده اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا اى القرآن
الا افك كذب لا يطابق الواقع مفترى في نسبته اليه تعالى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم اى القرآن او كلما
جاء به رسول الله ان هذا الا سحر مبين واضح لا ستره به وفي ايثار المظهر موصولا وما في لما من معنى المبادرة
على الكفر من غير تامل انكار شديد كانه قال اولئك الكفرة المتمردون قالوا لذلك الحق النير قبل ذوق معناه
ليس شيئا سوى السحر وما آتيناهم من كتب يدرسونها ليكون لهم في قولهم الباطل متشبث كاهل الكتاب وما
ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم الى ترك الشرك ويتوعدهم بالعقاب على ارتكابه فهم جهلة اميون ثم توعدهم
بقوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم اى كذب الذين من قبل هؤلاء وما بلغ كفار مكة عشر ما
آتينا اولئك من المال والقوة او ما بلغ اولئك معشار ما آتينا هم كفار مكة من الآيات والهدى فكذبوا رسلي عطف
المسبب على السبب وما بينهما اعتراض وجعل الاول للتكثير عايد الى الاطلاق او عطف على بلغوا من تتمة الاعتراض
والضمير لاهل مكة وتكذيبهم للرسل هو تكذيب محمد عليه السلام فانه تكذيب لهم من وجهين فكيف كان نكيرا
انكاري عليهم بالتدمير تنزيلا للفعل منزلة القول قل انما اعظكم بواحدة خصلة او صفة ان تقوموا لله تفسير لواحدة

الجار والمجرور في محل النصب اى مخلصين من غير اتباع هوى ولا تقليد والقيام اما هو المتعارف او
النهوض بالراى والمعنى مثنى اثنين اثنين وفرادى واحدا واحدا لان الكثرة تشوش الخاطر وتفرق البال
والاثنان كل منهما يعرض رايه على الآخر والواحد يؤامر نفسه ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ان
ليس به جنون وذلك ان ما ادعاه من الشان الذى دونه ملك الدارين لا يدعيه الا احد رجلين مجنون
لا يدري ما يقول او مؤيد من عند الله بمعجزة باهرة اذ العاقل لا يرضى بافتضاحه لدى المعارضة ومحمد بري
من الجنون قد صاحبتموه دهرا وتبين لكم انه اصدق الناس لهجة وارجحهم عقلا واوزنهم حلما بل هو مركز
دائرة الفضائل والمحامد هذا وقد ايده الله بمعجزات باهرة من انواع شتى لا يبقى شبهة في امره ويجوز ان يكون
ما بصاحبكم مستانفا منه تعالى تنبيها لهم على وجه النظر وهذا انجح واشد طباقا وما نافية وللاستفهام وجه
وجه حسن اى اى شيء فيه من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قدامه قال بعثت في
نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر فهو لكم اى اى شيء سألتكم من الاجر تجاوزت عنه وتركته لكم نفي لسؤال
الاجر على ابلغ وجه ويجوز ان يكون ما موصولة والذى سأله منهم هو قوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في
القربى وقوله ما اسألكم عليه الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ولا شك انهما له ان اجري الا على الله الذى
ارسلني وهو على كل شيء شهيد مهيمن يعلم صدق مقالتي وضميري قل ان ربي يقذف بالحق القذف الالقاء بدفع
واعتماد استعير للايحاء والانزال او يقذف به الباطل فيدمغه علام الغيوب لا يخفى عليه شيء فهو يعلم من
يستحق الاصطفاء او ما هو جدير بالدمغ والاذهاب وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الغين لمناسبة الياء والباقون بالضم
على الاصل كالقلوب قل جاء الحق وهو القرآن او دين الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد الباطل ما عبد من
دون الله لا يقدر على الانشاء ولا على الاعادة اللذين هما من لوازم الالوهية او كناية عن الهلاك كقولهم
لا ياكل ولا يشرب كناية عن الميت فان الحي يبدئ الفعل ويعيده وقيل الباطل ابليس لانه ذو الباطل او لانه هالك
وفيه تقريع لما تقدمه لانه اثبات الحق وهذا ازالة الباطل وعن الزجاج ان ما استفهامية قل ان ضللت فانما اضل
على نفسي عليها وزره لانها الامارة بالسوء فكل ضرر امرت به وبال لا يتخطاها وان اهتديت فبما يوحي الي
ربي بهداية الله وتوفيقه وان كان لها مدخل في الكسب هذا وان خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد دخل تحته كل مكلف انه سميع قريب لا يخفى عليه شيء من مقالي ولو ترى اذ فزعوا يوم القيمة او عند
الموت او يوم بدر فلا فوت منا واخذوا من مكان قريب من الموقف الى النار او من ظهر الارض الى بطنها
او صحراء بدر الى القليب وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في خسف البيداء وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يغزو جيش الكعبة حتى اذا كانوا بالبيداء خسف بهم الارض قالت عايشة رضي الله عنها فقلت
كيف من كان مستكرها وفيهم الاسواق قال يخسف بكلهم ثم يبعثون على نياتهم واخذوا عطف على فزعوا او على
فلا فوت على معنى فلم يفوتوا واخذوا والاول اوجه لانه يستدعي اعادة فلا فوت تقديرا فيفيد تاكيدا ولو وان
والافعال الواقعة بعد مما من فزعوا واخذوا وحيل وان كانت للمضي اريد بها المستقبل لان فعله المستقبل
كالواقع وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش هو التناول السهل اى قال الكفار حين اخذوا آمنا بمحمد لتقدم ذكره
في ما بصاحبكم من جنة من مكان بعيد مثل حالهم بحال من يريد تناول الشيء مع بعد المكان وقرأ ابو عمرو
وحمزة والكسائي وابو بكر التناؤش بهمزة مضمومة من ناش تناول من بعد والباقون بالواو من ناش ينوش
والمعنى واحد وقد كفروا به من قبل اى اوان التكليف ويقذفون بالغيب يرجمون به عطف على كفروا والمضارع
لحكاية الحال من مكان بعيد وذلك قولهم في رسول الله شاعر او ساحر او في القرآن شعر او اساطير الاولين
اذ لا مظنة للالتباس مثل حالهم بحال من يقذف شيئا من بعيد لا نظر لحوقه او قولهم ان كان هناك بعث
نحن احسن حالا من اصحاب محمد قياسا بلا جامع مع ظهور الفارق وحيل بينهم وبين ما يشتهون حيث آمنوا حين

لم يقبل منهم اوما كانوا يتصوّرون من انهم احسن حالًا كما فعل باشياعهم من الامم المكذبة الذين كانوا يشبعونهم فى الاعتقاد انهم كانوا فى شك مريب موقع فى الريب اوشك ذا ريب كلاهما اسناد مجازى والوجه مختلف تمت السّورة والحمد لله على جزيل نعمه والصّلوة على من فاق البريّة باخلاقه والشيمه

سورة فاطر مكية وهى خمس واربعون اية

بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله فاطر السّموات والارض خالقهما من فطر الشى شقه كانه شق العدم واخرجهما منه والاضافة محضه ولذلك وصف به المعرفه جاعل الملائكة رسلا بينه وبين عباده فى الايحاء وكتبة الاعمال اولى اجنحة ذوى اجنحة والو جمع ذو من غير لفظه كالمخاض وهى حوامل النوق مفرده خلفه مثنى وثلاث ورباع نصبها على الوصف غير منصرفه للعدل والوصف وفى الاختلاف فى الكلمة تنبيه على تفاوت رتبهم فلا دلالة فيه على عدم الزيادة ولذلك اردفه بقوله يزيد فى الخلق ما يشاء من الاجنحه وغيرها على ما اقتضته الحكمه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل فى صورته الحقيقيه له ستمائة جناح كل جناحين ما بين المشرق والمغرب والاية باطلاقها تتناول كل ما قيل فى تفسير الزيادة بالوجه الحسن والصوت والخط الحسن والملاحة وغيرها من السجايا والمزايا ان الله على كل شئ قدير فالموجب للتخصيص تعلق الارادة ما يفتح الله للناس ما يرسله ويطلقه عبر بالسبب عن المسبب من رحمة نعمة سماويه او ارضيه كالمطر والامن والعافيه فلا ممسك لها لا يقدر احد على منعها وما يمسك فلا مرسل له من بعده بعد امساكه وتذكير الضمير العايد الى ما تارة وتانيثه اخرى نظرا الى المعنى واللفظ واوثر ما فى التنزيل دون العكس لان الاول فسر بالرحمة فحسن التانيث وفى ذلك اشارة الى سبق رحمته وترك تفسير الثانى لدلالة الاول عليه اواطلق ليتناول كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وهو العزيز الغالب يرسل ويمسك على وفق مشيته الحكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة يا ايها النّاس اذكروا نعمة الله عليكم بالقيام بشكرها وصرف القلب والجوارح الى طاعة موليها هل من خالق لتلك النّعم اومطلقا فيتناولها تناولا اوليا والاستفهام الزام وتبكيت غير الله صفة خالق على المحل اوبدل وقرأ حمزة والكسائى بالجر على اللفظ يرزقكم مستانف كانه قيل لا خالق غير الله فقيل لم فاجيب بانه الرازق من السّماء والارض فيفيد الاختصاص به يقال وهذا هو المعنى الذى له سيق الكلام ولو قيل هل من خالق رازق من السماء والارض خرج الكلام عن سننه فلا يمنع اطلاق الخالق على غيره تعالى وان جعل صفة رفعا اوجرا ومفسرا لرافع من خالق محلا امتنع لاختصاصه بالرازق من السماء والارض لا اله الا هو مستانف كيرزقكم فى الوجه الاول اذ لو جعل صفة لخالق لزم التناقض لان هل من خالق غير الله اثبات للخالقية له تعالى فاذا وصف ذلك الخالق بانه لا اله الا هو كان تناقضا اذ التقدير هل من خالق اخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن التوحيد بعد هذا البيان وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا فاصبر انت فانك اولى بذلك لانك سيدهم المقدم والى الله ترجع الامور فيجازيكم على قدر المنصب وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح التاء وكسر الجيم يا ايها الناس ان وعد الله حق ثابت لا محالة لا نعتذر لما تندمه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فيمنعكم لذاتها بعد علمكم بزوالها عن قريب ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بالاغراء على المعاصى والوعد الكاذب ان الشيطان لكم عدو قديم عداوة عادى اباكم قبل كونه بشرا سويا فاتخذوه عدوا واحذروا عن كيده لان ازالة عداوته غير ممكن انما يدعوا حزبه شيعته ومن تبع خطواته بالوسواس وتزيين المعاصى ليكونوا من اصحاب السعير اللازمين لها واللام للعاقبه الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير بعد التحذير عن اتباعه بين حال حزبه وحزب الله ترغيبا وترهيبا وفى وصف العذاب افمن زين له سوء عمله فراه حسنا اى راى القبيح حسنا لقوله يحسبون انهم يحسنون صنعا والجواب محذوف اى كمن وفق وهداه الله حذف لدلالة قوله فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء عليه وعن الزجاج ان الكلام على التقديم والتاخير اى فمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف لدلالة فلا تذهب نفسك

عليهم حسرات والمعنى اذا علمت ان الاضلال والهداية بيده تعالى فلا تتاسف ولا تذهب نفسك وتفارقك للحسرات على عدم اهتدائهم والاوجه ان يكون حالا كان نفسه صارت عين الحسرات وفى ايثار الجمع مبالغة كان لحسرات بعدد كل شخص منهم اوبعدد كل سيئه الجار والمجرور متعلق بتذهب وبحسرات وتقديم معمول المصدر شايع ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذى ارسل الرياح من جهات مختلفه فتثير سحابا حكاية للحال تصويرا لتلك الهيئة البديعة ولان المراد بيان احداثها بتلك الخاصية ولذلك اسند الفعل اليها ويجوز ان يراد باختلاف الافعال الاستمرار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح بالافراد على الجنس فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض اى بالمطر دل عليه ذكر السحاب اوبالسحاب لانه سبب السبب ولما كان فى الفعلين مزيد صنع التفت الى ضمير المتكلم لانه ادخل فى الاختصاص قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر ميت مخففا بعد موتها بعد يبس نباتها وذهاب نضارتها كذلك النشور فى محل الرفع مثل احياء الاموات باحياء الموات وعن ابى رزين قلت يا رسول الله كيف يحيى الله قال هل مررت بوادى قومك ممحلا ثم مررت به يهتز قلت بلى قال فكذلك يحيى الله الموتى من كان وقيل الكلام فى الكيفيه المخصوصه لما روى انه ينزل مطر من تحت العرش مثل المنى ينبت منه الموتى من كان يريد العزة الرفعه والشرف فلله العزة جميعا فى الدارين فليطلبها منه فان الشى يطلب عند مالكه وعزة رسوله والمؤمنين عزته تعالى رد لتعززهم بالاصنام لقوله واتخذوا من دونه الهة ليكونوا لهم عزا الا يرى الى ابى سفيان يوم احد لما راى بالمسلمين اضطرابا كيف نادى لنا عزى ولا عزى لكم ثم قال اعل هبل اعل هبل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اشارة الى ما ينال به العزة من عند الله تعالى وهو الايمان والعمل الصالح روى الطبرى باسناده الى ابن مسعود ان الكلم الطيب سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قال العبد اخذهن الملك تحت جناحه لا يمر على الملئكة فى السموات الا استغفروا لقائلها فيحيى بها وجه الرحمن وعن ابن عباس رضى الله عنه العمل الصالح اداء الفرايض فمن ذكر الله وادى الفرايض حمل عمله ذكره ومن لم يؤد رد ذكره فعلى هذا المستكن فى يرفع للعمل وقيل للذكر اذ لا يقبل العمل الا من الموحد وقيل الرافع هو الله والحق ان الكلم الطيب تتناول كل كلمة صالحة وقراءة القران افضل من الذكر والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد حث على الاخلاص فى العمل الصالح فلا يدنسه بالرياء قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقيل هم المشركون الذين اداروا الراى فى شانه صلى الله عليه وسلم لقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك اخبار بالغيب قبل وقوعه ونصب السيئات على المصدر لان مكر فعل لازم اى المكرات السيئات ومكر اولئك هو يبور لا غيره وهو مكر الله حيث استدرجهم الى الدرك الاسفل اوالى قليب بدر ثم الى العذاب السرمد والله خلقكم من تراب اى ادم من نطفه ساير ذريته ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اى ملتبسة بعلمه محفوظا احوالها اشار بقوله والله خلقكم من تراب الى الحول الكامل وبهذا الى العلم الشامل ثم الى القضاء والقدر بقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره خطاب لافراد الانسان اى ما يمد فى عمر احد ولا ينقص من عمر اخر الا فى علمه اوفى اللوح وقيل التعمير والنقص راجع الى شخص على الفرض والتقدير وذلك انه كتب عمره اربعين ان لم يتصدق بكذا وستين ان تصدق لما روى ان الصدقة وصلة الارحام تزيدان فى العمر وعن سعيد بن جبير نقص العمر ما يمر من عمره والكتاب كتاب الحفظة يكتب فيه مضى يوم مضى يومان وهكذا وعن قتادة المعمر من بلغ عمره ستين والمنقوص من مات دونه وهذا راجع الى الوجه الاول الا انه اشار الى غالب الاعمار ان ذلك المذكور على الله يسير لحصوله بتعلق الارادة لا غير وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج العذب الحلو والفرات ما يكسر العطش من الفرت والسائغ السهل الانحدار والاجاج الذى يحرق بملوحته مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ثم استطرد وصف البحرين بما نيط بهما من المنافع بقوله ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها لان الكلام فى ادلة وحدانيته وكمال قدرته وقيل هو من تتمة

المثل لمفضل المشبه به على المشبه استدراكًا لدعوى الاشتراك فى الملح خاصة لاشتماله على فوايد لم توجد فى المشبه
فلا ترشيح وقيل هو من تتمة التمثيل على معنى ان البحرين وان اشتركا فى بعض الفوايد لكن خالط احدهما ما افسد
فطرته الاصلية كذلك المومن والكافر وان اتفقا فى بعض الاخلاق والمكارم تفاوتا فيما هو الاصل لبقاء
احدهما على الفطرة دون الآخر وترى الفلك فيه مواخر شواق من مخر شق وقيل هو صوت جريها وانما قدم الجار
والمجرور هنا وآخر فى النحل لان الكلام هناك فى تعداد النعم وكون الفلك ماخرة سبب قريب لها وهنا وقع
استطرادًا او تتمة للغرض لتبتغوا من فضله بالمسافرة للتجارة ولعلكم تشكرون تلك النعمة وحرف الترجى باعتبار
ظاهر حالهم يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى هو تمام دوره
او منتهاه وهو يوم القيمة ذلكم الموصوف مبتدا الله ربكم له الملك كلاهما مبتدأ فى قرآن قوله والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والقطمير لفافة النوى وما ايقاع اسم الجلالة
صفة لاسم الاشارة فلا يصح لفظًا لكونه علمًا ولا معنى لان الغرض انه منفرد بالالهية لا ان المتفرد بالالهية لا
المتفرد بالالهية هو ربكم وكذا عطف البيان لابهامه تخيل الشركة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا
فرضًا اذ كانوا من جملتهم يزعمون ذلك ما استجابوا لكم لعدم القدرة وهذا محسوس لا يكابرون فيه ويوم القيمة
يكفرون بشرككم يكفرون عبادتكم كقوله ويكونون عليهم ضدا انفى النفع وثبت الضر واى ضر ولا ينبئك مثل خبير
اى لا يخبرك بالامر مخبر مثل عالم خبير بحقايق الاشياء وبواطنها وهو الله تعالى وفيه تحقيق وتقرير لما اخبر به
عن حال آلهتهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله فى ذاتكم واحوالكم وتعريف الفقراء لافادة ان فقر غيرهم
كلا فقر لشدة احتياجهم من باب ذلك الكتاب وحاتم الجواد والله هو الغنى فى ذاته وصفاته وافعاله الحميد
المحمود على آلائه من باب التكميل اذ ليس كل غنى جواد وسوق هذا الكلام لدفع توهم ان دعاءهم الى التوحيد
والعبادة ليس للاحتياج ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بان ينشى عالمًا آخر ومن يوجده وما ذلك على الله
بعزيز متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر الثقل اريد به الاثم اى لا يحمل نفس اثم نفس اخرى وانما سيق
للدلالة على ان الله غنى عن عبادتكم ورسوله لا يحمل نفس وزركم فليس ارساله ودعاؤه الى الايمان الا رحمة لكم وان
تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ اى ان تدعو كل نفس مثقلة بالاوزار كل من يمكن ان يكون مدعوًا لحمل
بعض الاوزار لا يجيبها الى ذلك المدعو لشدة الهول فالاولى دلت على كمال العدل وهذه على شدة الهول
ولو كان ذا قربى اى المدعو دل عليه ان تدع وكيف ينفع ذو القرابة فى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اى لا تنذر الا على انذار هؤلاء لانتفاء القابلية عن غيرهم ومحل بالغيب نصب
على الحال من الفاعل اى غايبين او من المفعول اى غايبا عنهم او الباء صلة اى فى خلواتهم واقاموا الصلوة حلوا
ظواهرهم بالعبادات كما زينوا بواطنهم بالخشية والايمان بالغيب والاكتفاء بالصلوة لاستحلالها ساير الطاعات
ومن تزكى تطهر ظاهرًا وباطنًا اعتراض يؤكد ما تقدم فانما يتزكى لنفسه نفعه لا يتخطاها والى الله المصير
للجزاء وعدلهم وما يستوى الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن او للصنم والمعبود بالحق فعلى الاول عطف
على قوله وما يستوى البحران وعلى الثانى من تتمة قوله ذلكم الله ربكم له الملك والاول اولى لانه بالبحرين ثم فضل
الملح على الكافر ثم بالاعمى والبصير ففيه ترق ولا الظلمات ولا النور ولا شبهات الكفر ولا الاسلام
ولا الظل ولا الحرور الحرور هو السموم وقيل الحرور بالليل والسموم بالنهار وما يستوى الاحياء ولا الاموات
المؤمنون والكفار ترق ثان هذا وكلمة لا فى ولا الظلمات ولا الظل مذكرة للنفى مؤكدة له كما فى ولا
الضالين واما التى فى ولا النور والحرور ولا الاموات فليست كذلك اذ لا يصح تقدير الفعل بعدها
لان الفاعل مجموع المتقابلين فهى زايدة للتوكيد وقيل قصد بها نفى الاستواء من كل منهما مقيسًا الى الآخر
فان قلت لم يعد لا المؤكدة فى البصير كما اعادها فى ساير المعطوفات قلت لانه تمهيد للترقى ليلى

اى جاز منوادة مع اسم الاشارة اى علية الوصف لثبوت الاخبار ... الملك

التشبيه بالاحياء والاموات الا ترى كيف اعاد وما يستوى وما بينهما من التمثيلين مقصودان ذاتا فلذلك اعيد
وانما وسطتا لما بين فقدان نور البصر والنور الخارجى من التلازم ان الله يسمع من يشاء هدايته وما انت بمسمع
من فى القبور ترشيح لتشبيه المصرين على الكفر بالاموات ان انت الا نذير وما انذرت وليس عليك الاسماع
انا ارسلناك بالحق محقين او محقا حال من الفاعل او من المفعول او منهما او صفة المصدر او متعلق بقوله بشيرًا
ونذيرًا بالوعد الحق والوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا فيها نذير اى ليس من امة الا بعث اليها
نذير فاذا ذهب واندرست آثاره بعث آخر ويجوز ان يكون النذير اعم من النبى والعالم القايم مقامه وانما
اكتفى بالنذير لكونه قرين البشير غالبًا ولتقدم ذكره آنفا ولم يعكس لان الانذار هو الاهم وان يكذبوك فقد كذب
الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات الشواهد على نبوتهم وبالزبر الصحف وبالكتاب المنير كالتورية و
الانجيل والزبور والمجئ بالكتاب لا يقتضى الاتيان به اصالة لقوله تحكم بها النبيون وقيل الاسناد الى الكل بمعنى شمول
البعض للكل كالبينات واختصاص البعض بالبعض كالتورية والزبور ثم اخذت الذين كفروا بالاستيصال وقلع
شافتهم فكيف كان نكير انكارى بتعجيب بما صنع بهم الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفًا
الوانها انواعها واصنافها ومنه تلوين الكلام ورجل متلون او المتعارف من الحمرة والصفرة وغيرهما لقوله واختلاف
السنتكم والوانكم ومن الجبال جدد ذو جدد اى خطط جمع جدة من الجد وهو القطع لانها مقطوعة من ساير الالوان
وعن ابن عباس رضى الله عنه هى الطرايق بيض وحمر مختلف الوانها فى الشدة والضعف تنوق وفاقع ودونهما و
غرابيب سود اى متحد اللون جمع غربيب وهو الذى تناهى سواده صفة مضمر تفسيره سود اذ لا يجوز ان يكون سود تاكيدًا
له او سود بدل منه ومن الناس والدواب كل ما دب او الخيل والبغال والحمير والانعام الابل والغنم والبقر من
عطف الخاص على العام على الاول مختلف الوانه لذلك كاختلاف الثمرات والجبال نصب على المصدر او رفع
اى الامر كذلك ولما خاطبه وعدد عليه دلايل التوحيد من العالم العلوى والسفلى من البسايط والمركبات
من الحيوان والنبات وساير الهيئات من الالوان والصفات قال انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال
انما يخشاه مثلك ومن يدانيك فى المعرفة من الذين قدروا الله حق قدره وسلك فى ذلك طريق الكناية كقولهم
العرب لا تخفر الذمم دلالة على ان العلم صفة تناسب الخشية وراعى فى ذلك براعة المطلع تذكرا اوليا ثم ان
الله عزيز لا يغالب غفور لفرطات من خشيه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون فانها من افضل الاعمال
او يعملون بما فيه وقيل اريد به جنس الكتب ثناء على المصدقين من الامم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم
سرًّا وعلانية اى فى الاوقات كلها وقيل السر فى التطوع والعلانية فى الفرض واثر فى التلاوة المضارع
دون التاليين اشارة الى استغراقهم الماضى والمستقبل بالطاعات يرجون تجارة لن تبور لن تكسد من
البوار وهو الهلاك خبر ان ليوفيهم اجورهم علة لما دل عليه لن تبور اى تنفق عند الله ليوفيهم بها اجورهم و
يزيدهم على ما يقابل اعمالهم من فضله لقوله ويؤت من لدنه اجرًا عظيمًا ذلك ان يجعل يرجون حالا
عن فاعل ما تقدمه اى فعلوا جميع ذلك راجين لهذا الغرض وخبر ان انه غفور شكور اى غفور لفرطاتهم
شكور لطاعاتهم والذى اوحينا اليك من الكتاب من بيان ان اريد بالكتاب القرآن وبعيض ان اريد به
الجنس الشامل للمتلو وغيره هو الحق مصدقًا لما بين يديه حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق ان
الله بعباده لخبير بصير كامل العلم ببواطن احوالهم وظواهرها فلو لم يكن اهلا لهذا الكتاب المعجز المهيمن على ساير
الكتاب لما اثرك به وتقديم الخبير اهتمامًا لان الاطلاع على الخفايا والسراير هو المختص به تعالى وذكر البصير
على طريقة التتميم وقيل لان العمدة فى ذلك الامور الروحانية عند اهل الحق ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه
منك او نورثه وايثار الماضى كما فى نظايره لتحقق وقوع ما اخبر به او ورثناه من الامم السالفة ان جعل الذين
يتلون بناء على المصدقين من الامم والذى اوحينا اليك اعتراضًا لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من

لان الغريب ابلغ معنى وكذا الاسم اللازم لا ان شرط ان يساوى المقصود من الملزوم منه

قوله ان الذين يتلون كتاب الله

صح

عبادنا هم امة محمد كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل العلماء ويرده قوله فمنهم ظالم لنفسه بترك الاعمال
وارتكاب المحرمات ومنهم مقتصد متوسط خلط عملا صالحا واخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات بالاتيان بالطاعات
وترك المنكرات باذن الله بتوفيقه وتيسيره هذا الذى عليه اكثر المفسرين من الصحابه ومن بعدهم ودل عليه
العظيم بالايراث والاصطفاء وكيف لا وقد اشار الى القسيم بعده بقوله والذين كفروا لهم نار جهنم وبه فسر من
انزل عليه الكتاب روى الترمذى باسناده الى ابى سعيد ان رسول الله لما تلا هذه الآية قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة
وكلهم اهل الجنه وقد وافقه رواه اخر يكاد ان يتواتر وترتيب النظم على هذا لان الظالم اكثر والمقتصد كثير و
السابق قليل وقيل الظالم هو الكافر والضمير عايد الى عبادنا ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى الايراث والاصطفاء
جنات عدن يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير للفرق الثلث بدل عن الفضل الكبير يحلون فيها خبر آخر او حال مقدرة
من اساور من ذهب من الاولى تبعيضيه والثانية للبيان ولؤلؤا عطف على اساور فى قراءة نافع وعاصم بالنصب
وعلى لفظ ذهب فى قراءة غيرهم والمعنى من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب فى صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها
حرير على الدوام بخلاف الاسورة ربما ينزع كما هو المتعارف فى الدنيا وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن
جنسه او كل فرد منه مما يشفق منه فى الدنيا والاخرة وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليس على اهل لا اله الا الله وحشه فى القبور ولا فى النشور وكانى بهم ينفضون التراب ويقولون الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور لكثير الغفران شكور لليسير الذى احلنا دار المقامة من فضله اذ لا يستحق العبد
على مولاه اجر العمل لا يمسنا فيها نصب مشقه اذ لا تكليف هناك ولا افه ولا طلب رزق واذا لم يوجد المسن فكون
بالفوقيه ولا يمسنا فيها لغوب فتور يعترى الانسان من النصب وانما نفاه صريحا مبالغه والذين كفروا لهم نار
جهنم مختص بهم لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا فيستريحوا ونصب باضمار ان ولا يخفف عنهم من عذابها طرفة
عين كذلك اوكيف كذلك نجزى كل كفور مبالغ فى الكفر او فى الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى بالياء على بناء المفعول
والنون اشد تهويلا وهم يصطرخون فيها يتصارخون من الصراخ وهو الصياح بشده استعمل فى الاستغاثه
لان المستغيث يجهد فى الصياح ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل صالحا اذ كان فى حسبانهم انهم على عمل
صالح قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا او المراد التحسر على ما فاتهم من العمل الصالح فالوصف على الاول
مميز وعلى الثانى مؤكدا اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب منه تعالى على وجه التوبيخ والاقناط وجاءكم النذير
وهو النبى الصادق لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير احتجاجا عليهم بالعمر القابل للعمل مع الرسول المزيح
للشبه وقيل الشيب او العقل او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين اى لكم والاظهار للاشارة الى العلة
من نصير يدفع عنهم العذاب ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه شى وقد علم انهم اهل الطبع
وانهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه انه عليم بذات الصدور وهى الضماير التى لم تبرز واذا علمها فعلمه بغيرها
اولى هو الذى جعلكم خلائف فى الارض جمع خليفه وهو الذى استخلف على الشى والقى اليه مقاليد التصرف
فيه وفيه تقرير لقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فمن كفر فعليه كفره اى جزاؤه ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا لانهم كلما ازدادوا جرما بالاصرار ازدادوا ابعادا وعكس ذلك المؤمن ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم خير الناس من طال عمره وحسن عمله والمقت اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم
الا خسارا فى الاخره لازدياد العذاب بازدياد الاثام والتكرير لافادة استقلال الكفر باقتضاء كل من
الامرين قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اخبرونى عن حالها هل تستحق لشركه واضافتها اليهم
لانهم المثبتون لها اروني ماذا خلقوا من الارض اى جزء من اجزائها بدل اشتمال من ارايتم ام لهم شرك
فى السموات بان شاركوه فى خلقها فيشاركونه فى الالوهية ام آتيناهم كتابا ينطق بذلك فهم على بينة منه
على حجة واضحة والكلام على الترقى فى اثبات الشركة لان الاستقلال بخلق شى من الارض شركة ما و

والاشتراك

والاشتراك معه فى خلق السموات والارض ادل ثم انزال كتاب بانهم شركاؤه ادل وادل ويجوز ان يكون
على التدرج من الاستقلال الى الشركة ثم الى حجة مكتوب برهانها وان يكون الضمير فى اتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم
سلطانا وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر والكسائى بينات بصيغه الجمع وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد له من
دلايل والاولى ابلغ لان الكلام مسوق للتبكيت وان ليس لهم فى ذلك شبهه فضلا عن دليل وعليه الرسم بل ان
يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اضراب عن تلك الاقسام الى ما هو الواقع وهو قول الرؤسا للاتباع هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهية زوالها او لئلا لما بين عجز الشركاء
عن خلق ذرة فى العالم العلوى والسفلى اتبعه بما يدل على كمال قدرته وفيه دلالة على ان الممكن حال بقائه يحتاج
الى مبق ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده من بعد الزوال او من بعد الله من الاول زايد والثانية
ابتدائيه انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة وفيه ايماء الى ان دعوى الشرك لهما من يل هذه الاجرام عن
مقارها لولا حلمه كقوله تكاد السموات يتفطرن منه غفورا لمن تاب عن الشرك ما قد سلف واقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم هذه كانت مقاله مشركى العرب قبل بعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقدحون فى الامم المكذبه من اليهود والنصارى وغيرهم فكذبهم الله فى تلك المقاله ومعنى
احدى الامم اوضاها كقولهم زيد واحد القوم وقول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها او بعض الامم
من غير تعيين فلما جاءهم نذير محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم شيئا الا نفورا تبعدا عن الحق استكبارا
فى الارض مفعول له او بدل من نفورا ومكر السيئ برسول الله ومن آمن به عطف على استكبارا او على نفورا
اصله وان مكروا السيئ اى المكر السيئ ثم حذف الموصول استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ
حمزه مكر السيئ ولا باسكان الهمزة اجراء للوصل مجرى الوقف ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اى لا يحيط وكذا
كان يوم بدر ومن امثالهم من حفر لاخيه قليبا ومن حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فهل ينظرون ما ينظرون
الا سنة الاولين من الامم المكذبين وان ننزل بهم مثل ما نزل باولئك فلن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا بان يجعل
مكان العقاب ثوابا ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقل عقاب العاصى الى الطايع اولم يسيروا فى الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اى قد ساروا وشاهدوا فى اسفارهم الى العراق والشام واليمن اثار تلك
الامم ولا تبين اعلى واجلى من المشاهدة فكان ينبغى ان يعتبروا ويعلموا صدق مقالتك وكانوا اشد منهم قوة
عددا واجسادا واموالا وما كان الله ليعجزه من شى ليسبقه ويفوته فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما
كامل العلم قديرا تام الاقتدار اشارة الى ان امهالهم بعد الاصرار مع كمال الاقتدار لما فى علمه الشامل
من الحكم ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصى ما ترك على ظهرها اى على ظهر الارض من دابة ما
يدب على الارض من ساير الحيوانات بشؤم المعاصى وقيل الدابة الانسان وعن انس بن مالك ان الضب ليموت
فى حجره هزلا بذنب بنى آدم وفى روايه ان الحبارى ليموت فى حجره ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اخر اعمارهم او يوم
القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على حسب حالهم تمت والحمد لله حق حمده والصلوة
على رسوله وعبده وآله وصحبه الذين قاموا بشكره وحمده سورة يس مكيه وايها ثلث وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم
يس اسم السورة او حروف مقطعة كما تقدم وعن ابن عباس رضى الله عنه معناه يا انسان بلغة طى ووجه الاقتصار
على شطر الكلمة لكثرة الاستعمال بعد ان صغر على انيسان وعن ابن جنى حروف معجمة قايمة مقام انسان كما نقل عن ابن
عباس الم معناه انا الله اعلم ونحوه امال حمزه والكسائى وابو بكر ياء وادغم النون فى الواو ابن عامر وابو بكر
والكسائى وورش والقرآن الحكيم ذى الحكمة على معنى النسبة كلابن او ناطق بالحكمة استعارة مكنيه او وصف بوصف
صاحبه مجاز حكمى انك لمن المرسلين على صراط مستقيم خبر ثان او حال من المستكن فى الجار والمجرور هو التوحيد
ودين الاسلام والمرسل وان كان من لوازمه ان يكون على صراط مستقيم الا ان الغرض وصفه ووصف ما جاء به

صريحا وتنكير الصراط للتعظيم منهاجه على طريقة سائر الرسل لكونه حنيفيه سمحاء تنزيل العزيز الرحيم خبر
مبتدأ محذوف وقرأ ابن عامر وحمزه والكسائى وحفص بالنصب على المصدر لمقدرا وعلى المدح وهذا ابلغ واولى
لرؤيا حمزة لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى المرسلين ما انذر آباؤهم اى الادنون كقوله وما ارسلنا اليهم قبلك
من نذير فلا ينافى قوله وان من امة الا خلا فيها نذيرا وما موصولة اى لتنذر هؤلاء الذى انذر به آباؤهم
او مصدريه اى انذارا آبائهم فهم غافلون متعلق بالنفى على الاول بمعنى ان سبب غفلتهم عدم انذار آبائهم
وبقوله انك لمن المرسلين لتنذر على الثانى بمعنى الباعث كقولك اسقه ماء فانه عطشان لقد حق القول
على اكثرهم بانهم يموتون على الكفر لقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقوله خلقت هؤلاء للنار ولا
ابالى فهم لا يؤمنون بنحه ذلك القول وفيه تسليه لرسول الله انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان
اى واصله اليها والغل قد يجمع به الايدى الى العنق ولذلك يقال له الجامعة ويكون ملتقى طرفيه تحت
العنق فيه عمود يمنع المغلول من ان يطأطأ راسه ويؤطى فذا لهم مقمحون من قمح البعير رفع راسه
اى تركت الاغلال رؤسهم مرتفعة من الضيق وهذا مثل ضربه الله لمنع التوفيق ولبيان حالهم من التصميم
على الكفر والاعراض وعدم التامل فى آيات الله استكبارا بالمغلول الذى لا يقدر على النظر خلفه ولا
قدامه ثم قرر ذلك واكد بقوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا حاجزا قرأ ابن كثير وحمزه والكسائى
وحفص بفتح السين والباقون بالضم وعن ابى عبيده الضم لفعل الخالق والفتح لفعل المخلوق وشادضان
فاغشيناهم فهم لا يبصرون شيئا اما الآفات فلان السدين قد احاط بها واما السدين فلان الشئ اذا قرب
غايه لا يمكن رؤيته وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون لانهم اهل الطبع انما تنذر من اتبع الذكر اى
الانذار الذى يترتب عليه الغرض لان مطلق الانذار عام لهم ولغيرهم والذكر القرآن او الوعظ وخشى الرحمن
بالغيب حال كونه ملتبسا بالغيب لا اخبارك وتقلبه الذى هو غائب عن الخالق وفى ذكر الرحمن مع الخشيه اشاره
الى ان لا نغتر برحمانيته فانه شديد العقاب فبشره بمغفرة واجر كريم لا من فيه ولا تعب انا نحن نحيى
الموتى نبعثهم للجزاء وعد ووعيد وعن الحسن نخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما قدموا من الاعمال
الصالحه والطالحه قال حكيم بن حزام يا رسول الله ارايت اشياء كنت اتحنث بها فى الجاهلية فقال اسلمت على ما اسلفت
وآثارهم الباقية بعدهم من علم علموه وولد صالح تركوه وسنه حسنه سنوها واضدادها من السيئات
وقيل الآثار هى الخطى الى المسجد لما روى جابر ان بنى سلمه ارادوا الانتقال الى قرب مسجد رسول الله فقال
يا بنى سلمه دياركم تكتب آثاركم وكل شئ احصيناه فى امام مبين فى اللوح المحفوظ واضرب لهم مثلا لنفسك ولهم
من قولهم عندى من هذا الضرب كذا اى اذكر لهم قصه عجيبه اصحاب القريه اى قصه اصحاب القريه وهى
انطاكيه اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القريه اى قصه اصحاب القريه اذ ارسلنا اليهم اثنين هما
يحيى وبولس وعن ابن اسحاق تاروص وماروص وعن مقاتل تومان ومالوص واسناد الارسال اليه لانه
فعل رسوله المرسل باذنه فكذبوهما فعززنا بثالث هو شمعون اى قويناهما من عز المطر الارض لبدها
وقرأ ابو بكر مخففا من عز غلب والتشديد ابلغ وانما حذف المفعول لان الغرض ذكر المعزز به فقالوا انا اليكم
مرسلون وذلك ان اهل انطاكيه كانوا عبدة الاصنام فارسل اليهم عيسى اثنين يدعوهم الى عبادة الله فلما
قربا المدينه رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فاخبراه فقال هل معكما آيه قالا نعم نشفى المريض ونبرئ الاكمه
والابرص وكان له ابن مريض فمسحاه فشفى ثم شفى على يديهما خلق كثير ونما خبرهما الى الملك فدعاهما الجر فامر
بحبسهما ثم ارسل عيسى شمعون فدخل متنكرا وصاحب حاشيه الملك حتى اتصل به ونال مكانه عنده وكان يدخل
معه بيت الاصنام ويتذلل لها فقال يوما للملك سمعت انك حبست رجلين فقال نعم قال هل سمعت قولهما فارسل فدعاهما
وسالهما الخبر فاخبراه الخبر فقال ما آيتكما فقالا ما تتمنى فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله فشق له بصر فاخذا

رؤيا حمزة رأى رب العزة تعالى وتقدس فى
المنام وقرأ عليه القرآن فلما وصل الى هنا توقف
فقال له اقرأ ايش يس فانى هكذا اقرأته واقرأ
حملة العرش منه

يرعى

فاخبره

مقالتهما قال لا فاد لو سمعت

بندقتين

بندقتين فوضعا موضع العينين فصار ناظرا بهما فقال له شمعون ايها الملك لو سئلت آلهتك حتى تفعل
مثل هذا لكان شرفا لك قال ليس لى عنك سر ان آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تنفع ولا تضر ثم قال الملك ان
قدر الهكم على احياء ميت آمنا به فدعيا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال انى دخلت سبعة اودية
من النار وانا احذركم ما انتم فيه وقال انى نظرت الى السماء ففتحت ابوابها فرايت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلثه
فلما رأى شمعون ان القول قد اثر فيه دعاه الى الله فآمن وآمن معه جمع وصاح جبرئيل على من لم يؤمن فهلكوا
قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزيد لكم زعما ان البشر لا يكون رسولا وما انزل الرحمن من شئ من الوحى
لا عليكم ولا على غيركم ان انتم الا تكذبون تصريح بما علم ضمنا قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون اكدوا الكلام
بان واللام وما يجرى مجرى القسم لما قوى الانكار منهم وما علينا الا البلاغ المبين الواضح المؤيد بالمعجزات
قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم اى بما سمعنا منكم نخاف ان يسخط علينا الهنا وقيل حبس عنهم المطر لئن لم تنتهوا
لنرجمنكم بالحجارة او بالشتم وليمسنكم منا عذاب اليم مولم قالوا طائركم معكم شومكم دائر معكم بسبب كفركم ائن ذكرتم
جواب الشرط محذوف اى تطيرتم انكروا ان يكون التذكير الذى هو سبب السعادات كلها جالبا للشوم بل انتم
قوم مسرفون دابكم الاسراف فى العصيان وذلك اجلب شئ للشوم او اضراب عن مجموع الكلام اى انتم قوم مسرفون
فى الضلال ولذلك جعلتم سبب السعادة من اسباب الشوم والشقاء وجاء من اقصى المدينه رجل يسعى هو حبيب
النجار وكان فى غار يعبد الله فلما بلغه ان القوم عزموا على قتل الرسل سعى اليهم وباح باسلامه ليشتغلوا به عن
الرسل قال يا قوم اتبعوا المرسلين اضاف القوم الى نفسه واطلق الرسل اظهارا للنصح اتبعوا من لا يسئلكم اجرا
بدل من الاول واوفى بالمقصود وهم مهتدون الى البغيه فلا خسار لكم فى الدنيا ولا فى الآخرة وما لى لا اعبد
الذى فطرنى اى ما لكم لا تعبدون بدليل قوله واليه ترجعون وانما اسنده الى نفسه ابرازا له فى معرض المناصحة
وانه لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا
اى كيف افعل وكيف يترك عاقل عبادة من بيده ملكوت كل شئ الى عبادة من لا يغنى عنه فى الدارين شيئا ولا
ينقذون بالنصر والمظاهره انى اذا لفى ضلال مبين واضح لا يخفى على احد انى آمنت بربكم فاسمعون اى اسمعوا
قولى واطيعوا فقد ارشدتكم بما لا مزيد عليه وقيل لما ارادوا قتله خاطب الرسل اى اسمعوا كلامى واشهدوا لى
عند الله قيل ادخل الجنة استيناف كانه قيل ماذا كان جزاؤه بعد ذلك التصلب والتسخى بنفسه فى نصر
دينه فقتل فقيل له ادخل الجنة وانما حذف له لان الغرض بيان عظم المقول لا المقول له وكونه معلوما
قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ليكون ذلك باعثا لهم الى اكتساب الايمان وقد
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه للعالم ان لا يشتغل بالشماتة
باعدائه الجهله ويتلطف معهم لعلهم ان يقتدوا به الا يرى الى هذا العبد كيف تمنى الخير لقاتليه الساعين لدمه وقيل
تمنى ان يعلموا انهم على خطأ وانه كان على الحق وقد فاز لكون ذلك زياده فى سروره والاول اوجه للحديث المرفوع
وللتنبيه المذكور وما مصدريه او استفهاميه او موصولة وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء لا
لاهلاكهم ولا لانتقام منهم بل كانوا احقر من ذلك اذ كفى ذلك صيحه جبرئيل بهم وما كنا منزلين وما اقتضت
حكمتنا ذلك وفيه اشارة الى ان انزال خمسة آلاف من الملئكة مسومين والف مردفين انما كان اجلالا للقدر
واعظاما لرتبتك التى لم يؤهل لها احد من اولى العزم فضلا عن حبيب النجار الا يرى كيف دفع جبرئيل
مدائن لوط بريشه من جناحه ان كانت الا صيحة واحدة اى ما كانت الاخذة الا صيحة واحدة من جبرئيل وقرأ
ابن عباس ومسعود رضى الله عنه زقيه واحدة من زقاء الطير نزقوا اذا صاح فاذا هم خامدون كما يخمد النار
استعارة تبعيه اى ميتون يا حسرة على العباد اى المشركين كانه قال تعالى فان هذا اوانك وهو ما دل
عليه ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فان من استهزأ بناصح دال على خير الدارين حقيق بان يتلهف

الحديث رواه ابن ابى حاتم عن ابن عباس
مرفوعا منه

لقاتليه

من امثالهم اثقل من الزواقى وذلك انهم كانوا يسمرون
بالليل الى وقت صياح الديكة فاذا صاح
تفرقوا منه

عليه او الملئكة والمؤمنون تحسروا عليهم كما تمنى حبيب بان قومه بعد موته او تحسر من الله تعالى على عظم
ما جنوه على انفسهم كالتعجب والضحك على سبيل الاستعارة الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون اى قد علموا ذلك
فما لهم لا يعتبرون والفعل قد علق عن العمل في كم لان الخبرية اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم
اهلكنا معنى اى الم يروا كثرة اهلاكهم غير راجعين وان كل لما جميع لدينا محضرون ان مخففة واللام هي الفارقة وما
مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما مشددا بمعنى الا وان نافية وانما جمع بين كل وجميع لان الكل يفيد الاحاطة
وجميع الاجتماع كقوله ذلك يوم مجموع له الناس لانه فعيل بمعنى المفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وآية لهم الارض
الميتة قرأ نافع مشددا احييناها استيناف لبيان كونها آية او صفة الارض اذ لم يرد بها معينة وخبر الارض و
الجملة خبر آية واخرجنا منها حبا جنسه الشامل لانواع شتى فمنه ياكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب اعظم واعم
معاشهم وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب لم يذكر التمر مع الحب والاعناب لاختصاص شجره بمزيد الصنع
وكثرة المنافع وفي الحديث انه مثل المسلم وفجرنا فيها من العيون صفة محذوف اى شيئا من العيون او من زائدة
كما قال الاخفش ليأكلوا من ثمره اى ثمر المذكور او ثمر النخيل ويعلم حال الاعناب منه او الاصل من ثمرنا فالتفت
الى الغيبة اشارة الى انحطاط التمر عن الحب وقرأ حمزة والكسائى ثمر بضمتين لغة منه او جمع ثمار وما عملته ايديهم
ما موصولة او موصوفة اى الذى او اى شئ عملته ايديهم ولهم فيه صنع وهو ما تتخذ من الثمار كالدبس و
اشباهه او نافية اى ليس ذلك التمر بكسبهم وان غرسوا وسقوا بل هو خلق الله كقوله ا انتم تخلقونه ام نحن الخالقون
وهذا امس لكونه آية وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بحذف الهاء لجواز حذف المفعول عايدا كان او غير عائد
وليس فيه تايد للوجه الاول لان حذف العايد الى الموصول او الموصوف انما يكون احسن اذا لم يعارضه قوة
المعنى ومناسبة المقام افلا تشكرون ابلغ من الامر لانه انكار على الترك سبحان الذى خلق الازواج كلها مما
تنبت الارض ومن انفسهم من ذا نزعى الشريك لغيره تخلق ما فى الافاق والانفس من الاجناس والاصناف
ومما لا يعلمون ماهياتها وخواصها مفصلة وانما اعلمهم بها مجملة للدلالة على كمال القدرة روى ان موسى سال
ربنا تعالى انك لما قلت للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين لو قالتا ابينا ما كان عقابهما
قال كنت امر دابة تبلعهما قال يا رب واين تكون تلك الدابة قال في مرج من المروج قال يا رب واين يكون ذلك
المرج قال في غامض علمى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشطه عن مكانه وملتقى ظله والكلام في
الاعراب ما سبق في وآية لهم الارض الميتة فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجرى لمستقر لها لمكان
استقرارها من فلكها وهو ما ينتهى اليه فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر او منتهى المشارق والمغارب وهو اقصى
ما ينتهى اليه منهما ثم ترجع او لحد من مسيرها كل يوم وهو المغرب او الوقت الذى ينقطع فيه جريها عند خراب
العالم ويؤيد هذا ما روى ابو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس اذا غربت تذهب فتسجد تحت العرش
فيقال لها اذهبى فاطلعى حيث كنت تطلعين ويوشك اى يستأذن فلا يؤذن ويقال ارجعى حيث جئت فتطلع
من مغربها ذلك الجرى على هذا المنوال تقدير العزيز العليم الغالب القاهر العليم الكامل بالاشياء والقمر قدرناه
احوالها التى يدهش منها الفطن والقمر قدرناه منازل ذا منازل او مسيره في منازل نصب باضمار المفسر
وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بالرفع على الابتداء وما بعده خبر والعطف على السابقة وهو المختار للتقوى والسلامة
عن التقدير ويجوز انتظامه فى سلك الايات كانه قيل ومن آياته الليل ومن آياته الشمس ومن آياته القمر
وهى ثمانية وعشرون موزعة على اثنى عشر برجا ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص حتى عاد كالعرجون القديم العرجون فعلون
من الانعراج وهو الانعطاف وهو ما عليه جانب الرطب بمثابة العنقود من العنب والقديم ما تقادم عهده لانه
يدق ويصغر وينحنى فتشبه به من ثلثة اوجه لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر فيزيل سلطانه ويبطل ما ينوط به
من الفوايد ولا الليل سابق النهار اى آيته اذ الكلام فيهما يدل عليه السابق واللاحق وانما وحّد

طريق الكناية ليدرج فيه الاشارة الى اختلاف الليل والنهار ايضا ولما ذكر في الشمس لا الادراك الدال
على انها طالبة للحاق اردفه بلا ينبغى اى لا يصح ذلك لها ولما نفى السبق في القمر لانه اسرع سيرا اكده بالجملة
الاسمية فلم يبق لذلك لا انبغاء وجد وكل فى فلك اى كل واحد والتنوين عوض بسحون يسيرون سريعا من
سبح الفرس اذا جرى او من السباحة فى الماء وهذا صريح فى ان الحركة للكواكب خلاف ما عليه اهل النجوم وآية
لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون المملوء من المشحونة السفينة او قرها وهى سفينة نوح عليه السلام وانما ذكر
ذريتهم دون انفسهم لانه اعرق فى الامتنان او اريد سائر السفن والذرية الاولاد ونساؤهم فان الذرية
يطلق عليها اطلاق السماء على المطر وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم بالجمع وخلقنا لهم من مثله ما يركبون
اى من مثل سفينة نوح او من الابل فانها سفاين البر وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم مصدر في
الاصل كالصراخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت لشى الا رحمة منا الا لرحمة ومتاعا الى حين ولتمتع بالحيوة
ولكن رحمة وتمتيعا الى حين الى وقت آجالهم التى لا بد لهم منها واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم
ما تقدم وما تأخر من الذنوب او نوائب السماء والارض او عذاب الدنيا والاخرة او ما تقدم من عقوبات الله
للامم المكذبة ان ينزل بكم مثلها وما تأخر من عذاب الاخرة لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا
محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين اى دأبهم الاعراض عند
مجئ كل آية واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله هم الدهرية قال الذين كفروا اى الذين قيل لهم للذين آمنوا اى في
شأنهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه تهكما بالمؤمنين القائلين بالمتصف بالمشية والاقتدار ولما كان مدار
الايمان على تعظيم الله والشفقة على خلقه سلب عنهم الوصفين في الاثنين ان انتم الا في ضلال مبين من كلام
او جواب المؤمنين او قول الله تجهيلا لهم ويقولون متى هذا الوعد هو الذى اشير اليه بقوله وما خلفكم اى عذاب
يوم القيمة ان كنتم صادقين في دعويكم ما ينظرون الا صيحة واحدة هى نفخة الفزع وهى الاولى تاخذهم وهم
يخصمون اى تاخذهم وهم غافلون مشتغلون بالخصومات فى متاجرهم ومعاملاتهم او تاخذهم وهم يخصمون المؤمنين
مدلين بحجتهم الفاسدة على ان لا بعث قرأ ابن كثير وورش عن نافع وهشام عن ابن عامر بفتح الخاء وتشديد الصاد
على ان اصله يختصمون فادغمت التاء في الصاد للتقارب وابو عمرو وقالون كذلك الا انهما اختلسا الفتحة
لكونه اخف وكافيا فى تحريك الساكن وقرأ عاصم والكسائى وابن ذكوان عن ابن عامر بكسر الخاء وتشديد
الصاد تحريكا للساكن بالكسر الذى هو الاصل فيه وحمزة باسكان الخاء وتخفيف الصاد فلا يستطيعون توصية
في امر من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون بل يموتون حيث اخذتهم وتتل يحيط بهم النار ولتستوفيهم احياء الى
المحشر تنبيت معهم حيث باتوا كما جاءت به الاحاديث ونفخ فى الصور نفخة البعث فاذا هم من الاجداث
جمع جدث وهو القبر الى ربهم ينسلون يسرعون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا موضع نومنا لما شاهدوا
اهوال القيمة عدوا عذاب القبر راحة وعن مجاهد والحسن وقتادة يرفع الله عنهم العذاب بين النفختين
فيهجعون هجعة هذا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ وخبر محذوف اى ما وعده الرحمن وصدق
فيه المرسلون حق او وقع او خبر محذوف وما موصولة او مصدرية وهو من كلام الكفار اقرارا بما كذبوا به
من قبل او كلام الفريقين معا والسؤال وان كان عن الباعث الا انهم عدلوا عن السنن الظاهر تحيطة
لهم حيث حسبوه بعث النايم كأنهم قالوا الباعث معلوم وليس ذلك البعث الذى تظنونه بل هو بعث آخر ذو
الاهوال والافزاع الذى جاءت به الرسل والكتب ان كانت الا صيحة واحدة هى النفخة الاخيرة فاذا هم
جميع لدينا محضرون بمجرد الصيحة تهوين لامر الساعة وانها لا تحتاج الى اسباب فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا
تجزون الا ما كنتم تعملون تصوير لذلك الموعود فى صورة الحاضر تمكينا له فى النفس وترغيبا للسامعين و
ولطفا بهم وكذلك قوله ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون الفاكه والفكه المتنعم ومنه الفكاهة وهى حديث

الكفار

رواه البخاري ومسلم

او هذا صفة لمرقدنا وما وعد الرحمن مبتدا خبره محذوف

ذوى الانس والعشرة والتنكير في شغل للتعظيم اى في اىّ شغل عن ابن عباس رضى الله عنه هو افتضاض
الابكار وضرب الاوتار وعن ابن كيسان التزاور وعن الحسن عن اهل النار وعذابهم وقيل في ضيافة الله تعالى
وروى ابن ماجه باسناده الى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا مشمّر الى الجنة ورب الكعبة
نور كلها يتلألأ دار سلامه وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وزوجة جميلة وحلل كثيرة قالوا يا رسول الله
نحن مشمرون قال قولوا ان شاء الله وقرأ الكوفيون وابن عامر بضم الغين هم وازواجهم في ضلال جمع ظل
كقوله وظلالهم وقرأ حمزة والكسائى في ظلل جمع ظلة وهو الساتر العالى كقوله في ظلل من الغمام على الارائك
متكئون على السرر وهى هيئة جلوس اهل الدعة والفراغ هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه وفي ظلل خبرهما
كقولك زيد وعمرو منطلقان وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان لهم فيها فاكهة ما يتفكهون به ويتلذذون
لان الاكل هناك ليس لدفع الجوع ولهم ما يدعون لانفسهم من الملاذ كقولك اكتال واتزن اذا كال ووزن
لنفسه والمعنى لهم كل ما يطلبه احد لنفسه لان هناك طلبا اولهم الطلب والاجابة فان الاجابة من الملك المفضل
بعد الطلب توجب لذة سنية او يدعون بمعنى يتداعون كقولك ارتموا بمعنى تراموا والمعنى كل ما يصح ان يطالب
احد من صاحبه فهو حاصل لهم او الدعاء بمعنى التمنى اى لهم ما يتمنونه وما موصولة او موصوفة سلام بدل من
ما لانه موصوف بقوله من رب رحيم اى سلام يقال لهم قولا من رب رحيم او ما يدعون مبتدأ وخبره سلام
اى لهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه او صفة لما بعد وصفه وقولا مصدر مؤكدا ونصب على المدح وهو
احسن الوجوه والمعنى يسلم الله عليهم بواسطة الملائكة او بلا واسطة مبالغة في اكرامهم ولذلك آثر من الاسماء
الرحيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون عطف قصة المجرمين على قصة المؤمنين كقولك زيد يعاقب بالقيد و
الارهاق وبشر فلان عمرا بالعفو والاطلاق والانشاء في معنى الخبر كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون واوثر صورة الطلب لانه ابلغ في التهويل كقوله اصلوها وعن قتادة معناه اعتزلوا عن كل خير وعن
الضحاك لكل كافر بيت منفرد به لقوله في عمد ممدده والقولان في ايثار الطلب كما تقدم الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا
تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم في ذلك اليوم توبيخا لهم وقطعا للمعذرة والعهد التوصية والمراد به ما
نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية وعبادة الشيطان الاغراء بوسوسته او عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان
لانه الآمر بها والمزين انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة تعليل للنهى وان اعبدونى هذا صراط مستقيم اشارة
الى عبادتى او الى العهد والتنوين للتعظيم ويجوز التبعيض اى لو كان بعض الصراط المستقيم لكفى ذلك في انتهاجه
فكيف وهو الحق الذى ليس بعده الا الضلال ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون افتحذرونه قرأ نافع
وعاصم بكسر الجيم والباء وتشديد اللام جمع جبلة كقوله والجبلة الاولين بمعنى الخليقة وابن كثير وحمزة والكسائى
بضمها والتخفيف جمع جبيل بمعنى مجبول كسبيل وسبل وابو عمرو وابن عامر بالضم والاسكان مخفف جبلا
هذه جهنم التى كنتم توعدون على لسان الرسول يقال لهم اذا برزت الجحيم للغاوين اصلوها اليوم بما كنتم
تكفرون ذوقوا حرها بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا
يكسبون عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الكافر يا رب انى لا اجيز على الا شاهدا
من نفسى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتشهد عليه بما عملت فيقول
سحقا لكن فعنكن كنت اناضل وتاويل الكلام والشهادة بظهور آثار المعاصى على الاعضاء مستغنى عنه ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم لمسحنا عليها ومحونا آثارها فاستبقوا الصراط اى الى الصراط بحذف الجار وايصال الفعل
او ضمن الاستباق معنى الابتدار ونصب على الظرف اى ستبقوا في الطريق او مفعول به اى جاوزوه من
قولهم استبق الصراط خلفه اى لو نشاء لاعميناهم فلو ارادوا سلوك طريق غير الذى اعتادوا ما قدروا عليه كما ترى
العميان لا يقدرون الا على سلوك الطريق المألوف دون غيرها فانى يبصرون كيف يبصرون بعد ذلك

قوله ما بال الناس خالد الاحاديث من عمر داعية عنه

والغرض

والغرض ان الله تعالى سلب بصائرهم فضلوا طريق الاخرة فلو شاء سلب ابصارهم فلم يقدروا على الاهتداء الى
مقاصدهم لكن لم يفعل ذلك لاقتضاء الحكمة امهالهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم المسخ تحويل الصورة الى ما
هو اقبح منها والمكان والمكانة بمعنى كالمقام والمقامة والمعنى لو تعلقت ارادتنا لجعلناهم جمادا في مكانهم وعن
ابن عباس جعلناهم قردة وخنازير وعن قتادة جعلناهم زمنى والاول اشد وعيدا واوفق بقوله فما استطاعوا
مضيا ولا يرجعون ولا رجوعا ايثار المضارع للدلالة على الاستمرار ولتوافق الفواصل ومن نعمره ننكسه في
الخلق اى من نطل عمره نقلبه ونرده من قوة الشباب ونضارته الى ضعف الهرم وانتقاص القوى وانعدام
الادراك وهو ارذل العمر وقرأ عاصم وحمزة ننكسه مضارع التفعيل اشارة الى كثرة المراتب من الصبا
الى الشباب الى الكهولة الى الشيخوخة الى الهرم افلا يعقلون ان من قدر على انشاء هذه الاطوار قدر على
الطمس والمسخ ولذلك عطف عليه عطف العلة على المعلول قرأ نافع وابن ذكوان بالخطاب التفاتا وما علمناه
الشعر رد لقولهم شاعر قال قتادة القائل عقبة بن ابى معيط قاله عنادا والا فلا يلتبس بالشعر كلام مشتمل على تحقيق امر
المبدأ والمعاد واخبار القرون الخالية المتضمن للمنافع الدينية والدنيوية على اسلوب افحم كل منطيق وما ينبغى له
وما يليق به ان يكون في طبعه وسجيته ان يكون شاعرا ليكون ابعد من مخايل الشبهة ككونه اميا الا ترى
الى قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وما صدر منه من الكلام
الموزون انما وقع اتفاقا بحسب السليقة كما وقع اتفاقا امثاله في القرآن من سائر الابحر وشرط الشعر ان يكون موزونا
مقفى بالقصد وما روى عنه من ذم الشعر ومدحه محمول على ما يتعلق به من الغرض كهجاء المشركين ومدح
الله ورسوله والتغزل بالحسان والاكاذيب ان هو الا ذكر وقرآن مبين واضح اعجازه والعطف باعتبار الصفات
ذكر لما فيه من الموعظة والارشاد وقرآن يتعبد بلفظه يتلى في الصلوات وغيرها ويتبين الاحكام النظرية
والعملية لينذر من كان حيا عاقلا ساعيا في امر الاخرة اذ الغافل المعرض كالميت ويحق القول على الكافرين اى
كلمة العذاب وقرأ نافع وابن عامر لتنذر بالخطاب التفاتا وهو احسن اذ هو المنذر حقيقة ولاتفاقهم في اول
السورة ففى الخاتمة عود الى الفاتحة ثم الانتقال من حديث المعاد الى كون الرسول او القرآن منذرا لا يرى احسن
مخلصا منه اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما اى قد علموا ذلك توبيخ لهم على الاشراك بعد العلم بذلك
وذكر الايدى على طريقة التمثيل وزيادة التصوير وفي اشارة المثنى الى كمال الاقتدار انعاما خصها بالذكر
لكثرة وجودها عندهم وهى بمرأى منهم على الدوام في طرفى النهار الا ترى الى قوله ولكم فيها جمال حين تريحون و
حين تسرحون ولما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع التى وصل بعضها بقوله فهم لها مالكون لا يزاحمهم
فيها احد ولهم في ذلك عز وسرور ومتمكنون من ضبطها بتسخيرنا كقوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس
البعير ان نفرا وتأييدا للاول قوله وذللناها لهم اتماما للنعمة اذ لو كانت مملوكة وهى نادة لم تتم النعمة
فمنها ركوبهم مركوبهم كقوله وتحمل اثقالكم ومنها يأكلون ما يؤكل منها تفريع على كونها مذللة ولهم فيها منافع
اخر من جلودها واصوافها واوبارها واشعارها ومشارب وما يشرب من اللبن وما يتخذ منه ويجوز ان يكون
اسم مكان وهو ما يتخذ من جلودها من الروايا والقرب والمزاود افلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة
لم يرضوا بترك الشكر على تلك النعم حتى اشركوا في الوهيته جمادات لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا لا يستطيعون
نصرهم الذى كانوا يتوقعونه وهم لهم جند محضرون والمشركون جند لآلهتهم يخدمونهم ويذبون عنهم كقولهم
حرقوه وانصروا آلهتكم وهذا كمال السفاهة او الآلهة جند واتباع محضرون يوم القيمة ليكونوا وقود النار عليهم
فلا يحزنك قولهم في الله ما نزه عنه جناب قدسه وقرأ نافع بضم الياء من احزنه انا نعلم ما يسرون من العقائد
وما يعلنون من الافعال والاقوال فنجازيهم على ذلك اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم
مبين ظاهر الخصومة وضرب لنا مثلا امرا عجيبا بان شبهنا بالمخلوق حيث سلب القدرة عنا على الاعادة ونسى

خلقه من تلك النطفه القدرة التى لم تكن حل فيها حياة قط وفضلة عن ان يكون انسانا مكرما فى احسن تقويم
فاهما ناطقا قال من يحيى العظام وهى رميم القائل ابى بن خلف او عاص بن وائل كان جمع من قريش
جلوسا قال لاحدهما ان محمدا يزعم ان الله يبعث الموتى فاخذ عظما بالياء وقال والله لاجرن اليه والرميم بمعنى
الرمة والرفات اسم لما بلى من العظام وليس بفعيل حتى يستتل لم لم تؤنث وبه استدل الشافعى على نجاسة عظم
الميتة لان الحيوة تحله والجواب ان المراد بالحيوة ردها الى ما كانت عليه غضة طرية قل يحييها الذى انشأها
اول مرة فان نسبة القدرة لا تختلف وفى العرف الاعادة اهون كما اشار اليه بقوله وهو اهون وهو بكل
خلق عليم بكل مخلوق كامل العلم باجزائه وصفاته فاذا تقرر عندكم انه قادر على كل شئ عالم بكنه احواله
فما وجه انكاركم المعاد ثم انتقل من الدليل العقلى الى المحسوس الذى لا يمارون فيه بقوله الذى جعل لكم
من الشجر الاخضر نارا وهو المرخ والعفار المرخ الذكر والعفار الانثى او بالعكس يكون بارض الحجاز وفى
المثل استمجد المرخ والعفار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون فى انها نار فقيل تؤخذ قضيبان منه رطبان
فيحك الذكر على الانثى فيسيل منه الماء ومن ذلك الماء يحصل الحقيقة النارية وهل بعد تتوهم ابعد من ما
بين النار والماء والذى قدر على ذلك كيف لا تقدر على ايجاد الحيوة فى الاجزاء التى هى مادة لها مدة من
العمر ثم رقى الى دليل اخرا جلى واظهر من كل جلى وقال او ليس الذى خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم اى لو لم تكن تلك الاجزاء باقية حتى يعيد فيها الحيوة من خلق هذه الاجرام العظام
وفطرها من العدم كيف لا تقدر على ايجاد صغير حقير وهل تتوقف فى هذا من به مسكة او لثاث كالانعام بل هم
اضل بلى وهو الخلاق العليم بلى قادر على ذلك واشار الى الوصفين اللذين هما العمدة فى الايجاد وهما الاقتدار
الكامل والعلم الشامل ثم اشار الى ان الايجاد والانشاء الذى يعدونه مستبعدا بل مستحيلا فى مقام كبريائه
اهون شئ ولا توقف له الا على تعلق ارادته واقتضاء حكمته بقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
فان كلمة كن مجاز عن سرعة التكون بعد تعلق الارادة فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ تنزيه وتعجيب عما
قالوا من نفى قدرته على هذا الشئ اليسير مع تلك البراهين القواطع والملكوت من الملك بضم الميم يدل على مبالغة
الاستيلاء على كل ما يطلق عليه الشئ فى العالم العلوى والسفلى فهو تحت قهره وسلطانه لانه آخذ بناصيته
واليه ترجعون للجزاء فاختاروا بعد هذا البيان ما شئتم وتحته وعيد وليس فوقه وعيد ولذلك النعت
له الخطاب مكافحا به روى ابو داود والنسائى واحمد بن حنبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ
قلب وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر له وانما كانت قلب القرآن لان لب كل شئ وخلاصته
قلب ذلك الشئ وانزال الكتب وارسال الرسل مقدمات بل خلق العالم وانشاؤه لمعرفة المعاد ولا شك
ان السورة تشمل على فنون من الدلايل الدالة على تحقق ذلك بلا مزية عند من له قلب او القى السمع وهو
شهيد وكان هذا معنى تلك الاشارة منه عليه الصلوة والسلام تمت السورة والحمد لله على نعمه وصلى الله
على افضل الخلق واشرف امه سورة الصافات مكية وايها اثنان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم
والصافات صفا اقسم تعالى بطوايف من ملائكه قدسه الكمل الواقفين فى مقام العبودية صفا على وجه الخشية
لان هيئة الصف واجتماع الانفاس والهمم واتحاد توجه الكل له شان عند الله تعالى ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم لاصحابه الا تصفون كما تصف الملئكة عند ربها فالزاجرات زجرا يزجرون السحاب ويسوقونه الى حيث
امر بالامطار فيه من البقاع او الناس بالهام الخير وفى الحديث ان للملك لمة وهى ايعاده بالخير فالتاليات
ذكرا ايات الله تعالى من كتبه المنزلة وغيرها يتلونه تعبدا او تلذذا او يتلونه على الانبياء فهو جبرئيل واتباعه من
المقربين او بطوائف العلماء الراسخين الصافين فى عبادة تعالى متفقين على اعلاء كلماته المايلين لكمالات المتدبرين
فى رموزه واسراره او بنفوس الغزاة الصافين عند اللقاء الزاجرين الخيل فى الكر والغزا التالين لذكره لا يشغلهم

الحوف والحزن عند اللقاء والمبارزة وهذه كانت صفة على بن ابى طالب علمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان تقول عند اخذ المضجع ثلثا وثلثين تحميدة وثلثا وثلثين تكبيرة قال ما تركتها منذ سمعتها قيل له ولا
ليلة الصفين والعطف لتغاير الصفات ان قدر الموصوف متحدا والا فباعتبار الذات والفاء تفيد الترتيب
فى الرتبة يحتمل ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او العكس وقيل الصافات الطير لقوله والطير
صافات والزاجرات كل ما زجر عما نهى الله تعالى والتاليات كل من تلا كتاب الله ادغم حمزة وافقا لابى
عمرو التاء فى الكلمات الثلث ان الهكم لواحد جواب القسم رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق
دليل على تحقق المقسم عليه لانهم مسلمون انه منفرد بخلق السموات والارض وجمع المشارق لان للشمس فى كل
يوم مشرقا والاكتفاء به لدلالته على المغارب واثارها دون العكس لانه ابلغ فى النعمة واكمل فى القدرة و
انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب من اضافة المصدر الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها فزينت
السماء بحسنها او الى الفاعل بان زانت الكواكب السماء وقرأ حمزة وحفص بزينة الكواكب بالتنوين وجر
الكواكب على انه عطف بيان او بدل والزينة على اسمها هذا اسم ما زان به او جعلت الكواكب نفس الزينة
مبالغة وابو بكر بالتنوين ونصب الكواكب على انها مفعول المصدر او على ان الزينة اسم والكواكب بدل على
الموضع او نصب باعنى والمختار الاضافة لانها اخف واعم والسماء الدنيا القربى وهى فلك القمر و
تزيين الكواكب بالاضواء والاشكال والاوضاع والشروق والغروب ولا يلزم ان يكون محلها العدم توقف
الزينة على ذلك وحفظا عطف على المحل او مصدر لمقدر من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة كقوله
وجعلناها رجوما للشياطين لا يسمعون الى الملأ الاعلى صفة كل شيطان على معنى لا يتمكنون من السماع
مع الاصغاء ولا تمكنون من التسمع مع المبالغة كما هو قراءة حمزة والكسائى وحفص بالتشديد مع سقوطهم
فى ذلك الجملة فى محل الحال او استيناف عن سؤال كيفية ما يكون عند الحفظ فان قوله وحفظا مما تحرك
الخاطر له فقيل لا يسمعون وقيل كلام مبتدأ مستطرد لبيان حالهم بعد الحفظ وقراءة الجمهور لا يسمعون من
السماع ابلغ لان نفى السماع لا يستلزم الاستماع ولقول ابن عباس يسمعون ولكن لا يسمعون لقوله فمن
يستمع الان يجد له شهابا رصدا وقوله انهم عن السمع لمعزولون واستعماله بالى لتضمين معنى الاصغاء وهو
اماله الاذن للسماع فيفيد مبالغة فى نفيه ويقذفون من كل جانب من جوانب السماء دحورا علة
للرمى والدحور الطرد ومصدر يقذفون لتقاربه جلوسا او حال ولهم عذاب واصب فى الاخرة دايم
من وصب الامر دام او من الوصب وهو المرض اى شديد الا من خطف الخطفة اختلس كلمة الملئكة
استراقا ومن فى محل الرفع بدل من واو يسمعون فاتبعه شهاب ثاقب نجم مضئ وانقضاض الكواكب
من مركزه ممكن وقيل شعلة من النار وقوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح لا ينافيه لان كل ما فى
الجو من النيرات مصباح والاول هو الظاهر من السياق ولقوله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون فى الجاهلية
اذا انقض كوكب واتبعه لمعنى تبعه ادركه وفى الحديث تحرقه لما روى ابن عباس رضى الله عنه كانت الشياطين
مقاعد فى السماء يسمعون الوحى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قعد شيطان مقعده جاءه شهاب
فلم يخطه حتى يحرقه وقيل منعواحين ولد فاستفتهم بعد ما تلوت عليهم هذه الايات والاستفهام
للانكار والا انه لوحظ معناه فقيل فاستفتهم اهم اشد خلقا اى اصعب واشق انشاء بعد الرفات ام من خلقنا
من العالم العلوى والسفلى وما فيهما من الاجرام والاوضاع والآثار من تغليبا لاولى العقل وقيل من
عاد وثمود وساير الامم الدارجة من المكذبين لما اراهم الايات وكذبوا بها فكانه قال لهم انظروا اهلاك
من قبلكم ويرده قوله انا خلقناهم من طين لازب اذ لا فارق بين السابق واللاحق فى ذلك ويدل عليه
الاطلاق ايضا اكتفاء بالبيان السابق واللازب اللازج الذى يلزق بعضه بعضا وفيه رد لانكاره لانهم

ثلثا وثلثين تحميدة و
ثاد ولا ليله الصفين و

المعنى استكثر من النار من محد الالزاد واوقع
فى مرعى واسع مسه
المرخ نبح الميم وتحاء معجمة
والعفار بكسر العين المهملة
منه

نفى

تمام الحديث كما تقول الموت
كثير منه

خلقوا منه ابتداء ولم يكن لهم مثال فكيف ينكرون الاعادة وتلك الاجزاء المائية والارضية بحالها و
المقتدر والذي انشأ اشد منهم خلقا قدرته كما كانت لانها ذاتية بل عجبت ويسخرون اضراب من الاستفهام
لانهم لا يحسون بما هو الحق اي بل مثلك يقربه وتعجب من تلك الدلايل الدالة على كمال الاقتدار او من انكارهم
الوحي او من انكارهم البعث وهو اهون من البدء وهم يسخرون من امر البعث او هم يسخرون من تعجبك لكمال
سفاهتهم وقرأ حمزة والكسائي عجبت بصيغة التكلم والتعجب انفعال يعتري النفس عند رؤية شيء خفي سببه وهو
على الله محال فالمعنى ان حالهم حقيقة بان من يراها يقول عجبت او قل انت عجبت او هو على الفرض من الله تعالى
استعظاما لانكارهم ثم قرر ذلك بقوله واذا ذكروا لا يذكرون اي دابهم انهم اذا وعظوا لا يتعظون فاذا لم
يقدروا على فهم الخطابيات فهم عن تحقق القطعيات بالبراهين بمعزل واذا رأوا آية اي اذا شاهدوا بالابصار
معجزة يستسخرون يبالغون في السخرية او طلب بعضهم من بعض ان يسخر بها واذا كان حالهم في المحسوسات
بالبصر هذا فلا يبعد منهم انكار البعث وقالوا ان هذا الا سحر مبين ظاهر لا شيء به ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الاستفهام
مبالغة في الانكار لان البعث في هذه الحالة عندهم اشد استحالة وقرأ ابن عامر بطرح الهمزة الاولى و
قراءة الجمهور ابلغ اوآباؤنا الاولون وهذا ابعد عطف على محل ان واسمها او على المستكن في مبعوثون
للفصل بالهمزة وقرأ نافع في رواية وابن عامر بسكون الواو وعلى الترديد والباقون بالفتح بفتح الواو وعلى اعادة
همزة الانكار وهو ابلغ انكارا واوفق بقوله ائذا كنا ترابا وآباؤنا قل نعم قرأ الكسائي بكسر العين وانتم داخرون
صاغرون اذلاء لكما تزعمون ان كان بعث نحن احسن حالا من صعاليك المؤمنين فانما هي زجرة واحدة
جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك والضمير مبهم يفسره الجملة بعده والزجرة الصيحة من زجر الراعي بغنمه صاح
بها قال نابغة زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا
يوم الدين الجزاء الذي انكرناه وكذبنا فيه الرسل هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون هو كلام بعضهم
لبعض او جواب الملئكة والفصل قضاء الله بين عباده احشروا الذين ظلموا وازواجهم امر الله للملائكة او الملئكة
بعضهم لبعض وازواجهم اخوانهم من الشياطين او اضرابهم عابد الصنم والزاني مع الزاني والسارق مع السارق
وفي الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ونساؤهم اللاتي كانت على دينهم وما كانوا
يعبدون من دون الله من الالهة خرجت الملئكة وعيسى بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فاهدوهم
الى صراط الجحيم عرفوهم طريق النار وهذا يدل على ان الحشر من الموقف الى النار وقوله وقفوهم انهم مسؤولون
لا ينافيه لان الواو لا ترتب فيه وتقديم الحشر الى النار لانه اشق واوحش على السمع من الوقوف للسؤال
مالكم لا تناصرون ينصركم بعضكم بعضا تهكم بهم اذ كانوا في الدنيا يقولون نحن جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون
منقادون خاضعين لا يقدرون على المكابرة واقبل بعضهم على بعض يتساءلون تساءل خصام وتوبيخ قالوا انكم
كنتم تاتوننا عن اليمين اي قال الضعفاء للرؤساء بيان للتساؤل الواقع بينهم واليمين اقوى الجانبين واشرفه
ولذلك سمي يمينا من اليمن وكان على هذا اهل الجاهلية يؤثرون لليمين الافعال الحسنة وينسبون اليه الخير واليمن
ووقره الشرع وايده لان الحكمة اقتضت المناسبة وفي الحديث كانت يمين رسول الله للطيبات كالاكل والشرب والسواك
فاستعيرت لجهة الخير والمعنى كنتم تاتوننا من تلك الجهة وتصدوننا عن الايمان والخير او اليمين مجاز عن القهر والتسلط
قالوا بل لم تكونوا مؤمنين اجابهم الرؤساء بان ما وقعوا فيه من الضلال لم يكن بصدهم اياهم عن طريق الخير بل لم
تكونوا مؤمنين اجابهم الرؤساء بان ما وقعوا فيه من الضلال لم يكن بصدهم اياهم عن طريق الخير بل لم تكونوا مصدقين
في عقايدكم وما كان لنا عليكم من سلطان قهر واجبار بل كنتم قوما طاغين شانكم الطغيان والتجاوز عن
الحق وعدم الاكتراث به فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين اقروا على انفسهم بانهم

ابو عروة كنية عباس في ركاحلسه وفي الاسلام ابو الفضل منه

مع عابد الصنم و

الذين

الذين سبقت كلمة الله فيهم انهم اصحاب النار وترتب على ذلك انا اغويناكم ودعوناكم الى الضلال فآثرتم باختياركم انا كنا غاوين
استيناف جار مجرى التعليل للاغواء فانهم يومئذ في العذاب مشتركون كما اشتركوا في الدين والعقايد وان زاد المضل على
الضال في العذاب انا كذلك نفعل بالمجرمين بكل مجرم منهم ومن غيرهم انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون عن الاقرار
بالتوحيد بيان لاجرامهم ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون ويقدحون في المؤيد بالمعجزات والكلام الذي جاء به
بانه مجنون وما اتى به شعر مجنون لا يدري ما يقول لان الشعر كان مما يفتخر به عندهم فلذلك سموه شعر مجنون
بل جاء بالحق لا يلج وصدق المرسلين بقرآن عزبي مصدقا لما بين يديه فكيف يكون مثله شعر مجنون انكم لذائقوا
العذاب الاليم لا محالة وما تجزون الا ما كنتم تعملون من انكار الحق بعد ظهوره بالبراهين القاطعة الا
عباد الله المخلصين استثناء منقطع اي لكن حال المخلصين المختارين من عباده بخلاف هولاء اولئك لهم رزق معلوم
حاله بانه للتلذذ لا للتقوت ودفع الم الجوع فواكه بيان له لان الفاكهة لا تقصد باكلها الا التنعم او معلوم باوصاف
وخصايص من طعم ورايحة مميزة له عن ارزاق الدنيا وفواكه على هذا بدل دلالة على انه مع تميزه بذلك فواكه
وهم مكرمون نالهم ذلك الرزق من غير سعي وتعب في جنات النعيم ظرف مكرمون او حال من مستكنه او
خبر اولئك على سرر حال او خبر متقابلين لا ينظر احد في قفا احد ليكمل لذتهم بالمشاهدة يطاف عليهم بكأس
يدار عليهم بالقدح او بالشراب لقول الاعشى وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها من معين تجري
كانهار الدنيا لقوله وانهار من خمر والمعين الجاري وفيه اشارة الى كمال نظافته باق على خلقته لم يمسه يد ولا
مزج ولم يعمل بيضاء بلطف حاسة البصر رؤيتها لذة للشاربين هي عين اللذة لا تشوبها خمار ولا يعتري شاربها
ما يعتري شارب الخمر لا فيها غول صداع وسلب عقل تقريره وتقديم الظرف للاختصاص اي لا كخمور الدنيا ولا
هم عنها ينزفون بضم الياء وفتح الزاء يسكرون من انزفه الخمر اسكره وقرأ حمزة والكسائي ينزفون بكسر الزاء من
انزف الرجل سكر كقوله لعمري لئن انزفتموا وصحوتم او من انزف نفد اي لا ينفد شرابهم بل دايم وعندهم قاصرات
الطرف على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم عين نجل العيون كانهن بيض مكنون مصون في الكن عن الغبار ونحوه
باق على صفائه من البياض المشوب بادنى صفرة كما يكون في بيض النعام وهو احسن الوان البدن بخلاف البياض
المفرط فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم في الدنيا كما هو عادة الندامى اذا جلسوا على الشرب
قال واذا جلست على المدام وشربها فاجعل حديثك كله في الكأس وقال الاخر وما بقيت من اللذات الا
احاديث الكرام على المدام قال قائل منهم في اثناء المحاورة اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك
لمن المصدقين بالبعث منكرا على موبخا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون باعمالنا اي لا يكون
ذلك قال القائل المذكور هل انتم مطلعون لاريكم ذلك القرين او القائل هو الله اي ان شئتم اريتكم لتعرفوا منزلتكم
او بعض الملئكة فاطلع فرآه في سواء الجحيم في وسطه قال تالله ان كدت لتردين ان هي المخففة واللام فارقة
والمعنى كنت قاربت اهلاكي واشارا لنا للتعجب كيف نجاه منه ولولا نعمة ربي بالتوفيق لكنت من المحضرين معك
في العذاب افما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون فما نحن بميتين او بمن شانه الموت الا موتتنا الاولى
التي في الدنيا ويتناول لما في القبر بعد الاحياء لانه في حكم الدنيا كذا قيل والحق ان ذلك لا يسمى موتا لانه
اما منعم او معذب وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم اذ لا طيب للعيش مع مراقبة الموت هو كلام القايل
او الكل او كلام الله تعالى وكذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون في الاحتمالات اذلك خير نزلا ام شجرة
الزقوم عاد الى ذكر الرزق المعلوم بعد استطراد مقالة المؤمن لان الكلام يجر الكلام والشيء بالشيء يذكر
والنزل ما يعد للنازل من الرزق كالسكن وهو الرزق المعد لساكن البيت واصله الريع وما يحصل من
الشيء ومنه في الحديث العسل ليس من انزال الارض وبه استدل الشافعي على عدم الزكوة فيه لانه من انزال
الطير والتفاضل بين النزلين على التهكم اذ لا خير في نزل اهل النار ونصبه على التمييز او الحال وهذا اوجه لان

يعني كلي بعيد الناس اي اوى ابيت المعيشة من بابها

وفي حديث الاستسقاء وانزل في ارضنا سكنها منه

المفاضلة بن الرزقين فی هذه الحال لا بین الوصفین وشجرة الزقوم شجرة صغیرة الورق مرة کریهة الرایحة
تکون بتهامه انا جعلناها فتنة للظالمین عذابا لهم فی الآخرة او سبب ضلالهم فانهم لما سمعوا قالوا ما اعجب
هذا ان محمدا یقول نار جهنم تحرق الحجارة ثم یقول ینبت فیها الشجر وعن ابن عباس رضی الله عنه لما سمع
ابو جهل ان شجرة الزقوم طعام الاثیم خلط التمر بالزبد وقال تزقموا وذلک لان الزقوم کان اسم طعام
لهم من التمر والزبد فانزل الله تعالی انها شجرة تخرج فی اصل الجحیم فی قعرها وترتفع اغصانها الی درکاتها
فی مقابلة طوبی لاهل الجنة طلعها کانه رؤس الشیاطین فی تناهی القبح ونهایة الکراهة لما تقرر فی النفوس
ان الشیطان اقبح الاشیاء کما ان الملک احسنها والطلع ثمر النخلة استعیر لثمر الزقوم تخییلا علی وجه التهکم
وقیل الشیاطین حیات هایلة فی النار لها اعراف فانهم لآکلون منها الغایة الجوع او اجبارا وقسرا فمالئون
منها البطون ای من الشجرة ای من ثمرها ثم ان لهم علیها لشوبا من حمیم ماء حار مخلوط بصدید والاتیان
بثم للتراخی زمانا لانهم لا یسقون منه الا بعد زمان لتناهی عطشهم تعذیبا لهم او رتبة اشارة الی
ان کراهیة ذلک الحمیم وبشاعته فوق الزقوم ثم ان مرجعهم لالی الجحیم ای بعد ذلک الاکل والشرب
مصیرهم الیها فان ذلک نزلهم قبل الاستقرار فی درکاتها وقیل یخرجون من مقارهم الی شجرة الزقوم
فاذا ملؤا بطونهم اوردوا علی الحمیم ثم یرجعون الی تلک المقار وقیل الحمیم خارج عن الجحیم لقوله هذه جهنم
التی یطوفون بینها وبین حمیم آن ولا دلیل فیه انهم الفوا اباءهم ضالین فقلدوهم تعلیل لما هم فیه
فهم علی آثارهم یهرعون یسرعون من اهرع اسرع وبناؤه للمفعول مبالغة کانهم یزعجون قسرا فلا
التفات لهم الی التامل والنظر ولقد ضل قبلهم اکثر الاولین من الامم ولقد ارسلنا فیهم منذرین
الرسل فانظر کیف کان عاقبة المنذرین تسلیه له وتحذیر لقومه فانهم سمعوا اخبارهم وشاهدوا آثارهم
الا عباد الله المخلصین فی التوحید والایمان استثناء من الاولین او من المنذرین وقرأ نافع والکوفیون
بفتح اللام وهو المختار کما تقدم ثم اورد احوال مشاهیر الرسل مع المکذبین وبدأ بنوح لانه ابو البشر ثانیا واول
رسول عذب قومه فقال ولقد نادانا نوح حیث قال انه مغلوب فانتصر فلنعم المجیبون بحذف حذفه لدلالة الکلام
علیه واللام جواب القسم والفاء تدل علی سرعة الاجابة ونجیناه واهله من الکرب العظیم وهو الغرق او اذی
قومه وجعلنا ذریته هم الباقین لم یبق احد منهم ممن کان معه فی السفینة الا بنوه الثلثه وهم سام ابو
العرب وفارس والروم وحام ابو القبط والسودان ویافث ابو الترک ویأجوج ومأجوج والحق انه کان معهم من
المؤمنین سوی اولاده تقدم فی قوله ومن معه فی الفلک المشحون لکن الباقی ذریته وترکنا علیه فی الآخرین سلام
علی نوح فی العالمین ای هذا القول جیء به علی صورة الحکایة ای یسلمون علیه وقیل هو من الله تعالی و
مفعول ترکنا محذوف ای ذکرا حسنا فی العالمین دعاء بالثبات کانه قیل هذه التحیة واداسها فی الملئکة
والثقلین انا کذلک نجزی المحسنین تعلیل لاکرامه بتلک الاکرامات دلالة علی ان موجب ذلک احسانه لا غیرة عینا
فیه انه من عبادنا المؤمنین بیان لاحسانه اشارة الی شرف الایمان وجلالته وانه مستجلب لکل کمال ثم اغرقنا الآخرین
وان من شیعته لابرهیم ممن شایعه فی اصول العقاید والتصلب فی الدین ومصابرة الاعداء المکذبین ویجوز توافق
شرعیهما فی اکثر الاحکام وکان بینه وبین نوح الفان وسبعمائة سنه وقیل الف ومائة واثنان واربعون سنه اذ جاء
ربه متعلق بما فی الشیعة من معنی الفعل ای شایعه فی دینه حین جاء ربه بقلب سلیم عن آفات القلوب
من الشرک والغل والحقد وهذا ما اشار الیه ابن عباس رضی الله عنه کان یحب للناس ما یحب لنفسه او بقلب
حزین من قولهم للزیغ سلیم تفاؤلا وذکر المجیء علی المثل کانه جاء به متحفا اذ قال لابیه وقومه ماذا تعبدون
بدل من الاول ائفکا آلهة دون الله تریدون افکا مفعول له قدم علی المفعول به واولی همزة الانکار لان
الغرض مکافحتهم علی الباطل او هو مفعول به والهة بدل منه علی انها نفس الافک مبالغة او فی موقع

ثبتت الله و
بلسها

الحال

الحال ای آفکین او بتقدیر مضاف ای عبادتها فما ظنکم برب العالمین حتی اتخذتم له شریکا اذ توحده فی الالهیة
اظهر من ان یختلج فیه شبهة او ای شیء من الاشیاء ظننتم حتی جوزتم ان یکون له الاصنام شریکا
او ما ظنکم بعقابه حتی اجترأتم علی ذلک فنظر نظرة فی النجوم فقال انی سقیم قال ابن عباس انما نظر
فی النجوم لان قومه کانوا یتعاطون علمه فاوهمهم بذلک لیتمکن من التخلف او النظر بمعنی التامل فی علم
النجوم لذلک الایهام فقال انی سقیم ای موکونکم علی الشرک وعبادة غیر الله او سأسقم لعقاب انک میت
او مزاجی خارج عن الاعتدال وما رواه ابو هریرة رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال
لم یکذب ابراهیم غیر ثلث کذبات ثنتین فی ذات الله تعالی قوله انی سقیم وقوله بل فعله کبیرهم فالمراد
بها المعاریض لقوله فی المعاریض مندوحة من الکذب فهو لقوله نحن احق بالشک من ابراهیم فان
قلت ما تفعل بقوله فی حدیث الشفاعة حیث اعتذر بقوله لست لها وتذکر کذباته فلو کانت معاریض
لم یکن له کذب حقیقة حتی یعتذر به قلت هو من قبیل حسنات الابرار سیئات المقربین ولما کانت صورتها
صورة الکذب عدها کذبات فتولوا عنه مدبرین الی معبدهم فراغ الی آلهتهم مال الیهم خفیة من روغان
الثعلب واصله المیل بحیلة فقال الا تاکلون وذلک انهم کانوا وضعوا قدامها من اطعمة العید لتبرک
علیها ما لکم لا تنطقون قاله تهکما واشارة الی انحطاطها عن درجة عبدتها فراغ علیهم ضربا بالیمین ضربا
مصدر راغ لانه بمعناه او لمقدر ای نضربهم ضربا وذکر الیمین لانها اقوی الجارحتین وقوة الآلة تستلزم قوة الفعل
او الیمین هو الحلف ای بسببه وهو قوله وتالله لاکیدن اصنامکم فاقبلوا الیه یزفون یسرعون من زفیف النعامة
وقرأ حمزة یزفون من ازف دخل فی الزفیف کاصبح او معدی ای یزف بعضهم بعضا ثم اسند الی الکل
لان کلا منهم حامل ومحمول قال اتعبدون ما تنحتون الذی تنحتونه من الاصنام والله خلقکم وما تعملون
الذی تنحتونه فان جواهرها بخلق الله ولیس لکم فیه الا التشکیل والتصویر فکیف یجوز عبادة مخلوق لاخر
یحتاج الیه وقیل ما مصدریة ای وعملکم وفیه فوات الاحتجاج لان الغرض المسوق له الکلام کون المخلوق عابدا
لاخر والمناسبة لان ما فی ما تنحتونه موصولة والاستدلال بالمصدریة بناء علی ان فعلهم اذا کان بخلقه تعالی
فالموقوف علیه وهو المفعول من باب الاولی لا یجدی لان الخصم قایل بان العبد وارادته وقدرته بخلقه تعالی
والفعل المتوقف علیها بخلق العبد والحق ان القوم ما کانوا ینکرون ان تلک الاجرام قبل الصنع مخلوقة له
تعالی ولا تصلح للالوهیة وانما تصلح لذلک بتاثیرهم فیها فکانه قیل لهم ذلک التاثیر ایضا بخلقه تعالی
فلم یزدد بذلک الا بعدا عن تلک الرتبة فیتم الحجاج سالما واما ترجیح المصدریة علی الموصول وجعل العمل
بمعنی المعمول لسلامتها عن الحذف والمجاز فمعارض بکثرة الموصول وکون المصدر بمعنی المفعول مجازا مشهورا
قالوا ابنوا له بنیانا فالقوه فی الجحیم کل نار عظیمة فی مهواة فهی جحیم واللام بدل الاضافة ای جحیم ذلک
البنیان فارادوا به کیدا لما قهرهم بالحجة قصدوا احراقه فجعلناهم الاسفلین بان جعلنا النار علیه بردا
وسلاما وکان ذلک برهانا علی علو شانه وقال انی ذاهب الی ربی حیث یأتی لی عبادته سیهدین الی ما فیه
صلاح حالی وانما بت القول لسبق وعد الله له بذلک او لفرط توکله او لبنائه علی عادته معه او لانه تعالی
تجلی له بصفة الرحمة وتجلی لموسی بصفة الغنی ولذلک قال عسی ربی ان یهدینی سواء السبیل رب هب لی
من الصالحین لیوانسنی فی الغربة اراد الولد لان الهبة شایعة فیه فبشرناه بغلام حلیم انطوت البشارة
علی ثلث بشارات کون الموهوب له ذکرا وکونه یبلغ اوان الرجال فان الصبی لا یوصف بالحلم وکونه حلیما فیه
سر من ابیه شاهد لطهارة اصله ولم یوصف من الابناء احد بالحلم غیره وغیر ابیه وحالهما المذکور بعده
یکشف عنه الغطاء فلما بلغ معه السعی اوان ان یسعی مع ابیه فی اشغاله وذکر الاب لانه ارفق به فانه کان ابن
ثلث عشرة سنه لم یستحکم قواه وتعلق مع لا یجوز ان یکون ببلغ لاقتضائه ان یکون بلوغهما حد السعی معا ولا بالسعی

لانّ معمول المصدر لا يتقدمه لا سيما وهو معرفة فبعى ان يكون بيانًا كانه قيل فلمّا بلغ قال يا بنيّ انّى
ارى فى المنام انّى اذبحك قيل لما طلب الولد وبشرته الملئكه به قال هو ذبيح الله فلما بلغ حد السّعى معه
قيل له فى المنام اوف بنذرك فلما اصبح روى ذلك اليوم فسمى يوم التروية وراى ذلك المنام فى اللّيله
القابله فلما اصبح علم ان ذلك من الله تعالى فسمّى يوم عرفه وفى اليوم الثالث عزم على نحره فسمّى يوم
النحر وانما راى فى المنام دون ان يؤمر بذلك فى اليقظه ليعلم بذلك تساوى حالتيه فى الاحكام
الشرعيّة ولذلك كانت رؤيا الانبياء وحيًا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناى ولا ينام
قلبى وانما شاوره مع انه كان امرا لازمًا امضاه ليوطن نفسه على شدة تلك البلية وتلقاها بصلاح
رحيب وليكون المشاورة سنة بعده وفى المثل ما خاب من استشار ولو شاورادم الملئكة لما اصاب
الخطيئة فانظر ماذا ترى المراد النظر بالبصر وترى من الراى بمعنى الفكر وقرأ حمزه والكسائى بضم التا
وكسر الرّاء قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين اجابه بانه ليس من مجاز المشاو
بل يجب البدار اليه فلما اسلما انقادا لامر الله تعالى اسلم وسلم واستسلم بمعنى اصله من سلم المال لفلان
اذا خاص له عن منازع وتلّه للجبين صرعه على احد الجبينين وانما القاه على هذا الوجه لئلا يشاهد
فيرق له وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بمباشرة المقدمات وقيل امرا لسكين على المذبح فصار
صفحه نحاس وقيل كلما قطع مكانا التحم وليس بشئ اذ لو كان كذلك لم يحتج الى الفداء وجواب لما محذوف
اى كان من الامر ما نطق به الحال ولا يحيط به المقال من السرور والحبور من ذلك الفداء انا كذلك
نجزى المحسنين المخلصين الصابرين على البلاء الشاكرين فى الرخاء ان هذا هو البلاء المبين الاختبار الجلى
الذى لا يكون فوقه اختبار ولذلك قال فى حقه وابراهيم الذى وفى او المحنه التى لا محنه اشد منها او النعمه
العظمى وهى نجاة الولد من الذبح وفديناه بذبح عظيم ما يذبح بدله عظيم قدره من كباش الجنه ارسله
تعالى بحفه من عنده وعطاء الملوك جليله القدر وان قلت كما ترى الان اذا التى الملك لاحد خواصه
تفاحه فتلقاه قائما وربما قبل الارض له وليس الا افتخارا بما للملك معه من العناية وايضا فدى به ابن
خليل الله وابو حبيب الله واى عظم فوق ان يكون كبش وقائه لتلك النفس الزكيه والشجرة المثمرة وعن
قتاده كان الكبش الذى تقرب به هابيل وكان يرعى فى الجنه وترى لهذا المقصد المنيف وفى كون هذا من
قبيل النسخ قبل الفعل كلام طويل الذيل قال به الشافعيه وانكره الحنفيه وتركنا عليه فى الاخرين الذكر
الحسن والثناء الجميل سلام على ابرهيم كذلك نجزى المحسنين اعاده توكيدا لما سبق من حسن استسلامهما
وانهما معدودان من المحسنين داخلان فى زمرتهم دخولا اوليًا انه من عبادنا المؤمنين الكمل الذين يؤثرون
رضاء الله فى كل الاحوال ثم الولد الموصوف هو اسمعيل لانه اكبر من اسحاق اتفاقا ولانه الذى نشأ ببلاد
الحجاز وبنى البيت مع ابرهيم والذى بعث له بئر زمزم ولكونه وصف بصدق الوعد وهو قوله ستجدنى
ان شاء الله من الصابرين واثنى عليه تعالى بالصبر فى قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين
ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين ولقوله تعالى وبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب
ومن بشر بانه يولد له ابن اسمه فلان كيف يكلف بذبحه وهو غلام من احق ولقوله تعالى وبشرناه باسحق
نبيًا من الصالحين بعد استيفاء ذكر صفاته والذى وقع لبعض انه اسحاق من تخاليط اهل الكتاب
حسدا منهم ان يكون الذبيح من اجداد رسول الله صلعم وباركنا عليه وعلى اسحاق بان وهبنا ابرهيم اسحاق
واخرجنا ابناء بنى اسرائيل من نسله او بان افضنا عليهما بركات الدنيا والدين ومن ذريتهما محسن و
ظالم لنفسه بالكفر والمعاصى مبين ظلمه وانما قيد الظالم بالظهور لان النفوس الكامله قل ما تخلو عن ادنى
خطرات وارتكاب خلاف الاولى وفى بيان كون ذريتهما منقسما الى المحسن والظالم اشارة الى ان ظلم

ونه قوله تعالى ومن وراء اسحق يعقوب

اعقابهما لا يعود عليهما بضرر فان المرأ لا يؤاخذ بسوء فعل غيره كائنًا من كان ولقد مننا على موسى وهرون
بالنبوه التى كل نعمه دونها ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ظلم فرعون وطغيانه وقتل الابناء ونصرناهم
اى نصرناهم فكانوا هم الغالبين على عدوهم وهذا ابلغ فى الامتنان من الانجاء لان فى هلاك العدو حسم
ماده الاوهام والامن الكلى واتيناهما الكتاب المستبين الواضح الجلى او المبين للاحكام يقال استبان الشئ واستبنته
وهديناهما الصراط المستقيم وهى دين الاسلام وسبيل الذين انعم الله عليهم وفيه تعريض باليهود والنصارى
واللام للعهد وتركنا عليهما فى الاخرين سلام على موسى وهرون اى هذا الكلام اورده على وجه الحكاية انا
كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الياس بن ياسين
من سبط هرون وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بالوصل على ان الاصل ياس واللام للتعريف وبفتح الهمزة
فى الابتداء والباقون على انه عجمىّ غير منصرف الا تتقون من الشرك اتدعون بعلا اسم صنم لهم والبعل لغة
المالك وكانهم سموا ما عبدوه بعلاً لذلك المعنى وهم اهل المدينة المشهوره ببعلبك وتذرون احسن الخالقين
اى عبادته وفيه اشارة الى علة الانكار وكونه احسن الخالقين لا يقتضى جواز كون غيره خالقًا لقوله
هل من خالق غير الله الله ربكم ورب آبائكم الاولين الله ربكم مبتدأ وخبر ورب آبائكم عطف على الخبر
وقرأ حمزه والكسائى وحفص بنصب الاسماء الثلثه على البدل او البيان فى الاول والنعت فى الثانى والعطف
فى الثالث فيحسن الوقف على الخالقين فى الوجه الاول ويقبح فى الثانى فكذبوه فانهم لمحضرون فى العذاب وانما
اطلقه لاشتهاره فى الشرّ الا عباد الله المخلصين مستثنى من واو كذبوا لا من المحضرين وقرأ الكوفيون ونافع
بفتح اللام وتركنا عليه فى الاخرين سلامٌ على الياسين بكسر الهمزة قطعًا هو الياس المذكور انفا لغة فيه كطور
سينا وطور سينين وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكوفيون آل ياسين كآل محمد وعليه الرسم وهو المختار لكثرة
الفائدة وزياده الدلالة على شرف المضاف اليه وقيل الياسين صيغه الجمع اراد به نفسه واتباعه وقيل
ياسين محمد اضيف اليه او القرآن وذكر ياسين لانه قلب القرآن والوجهان لا يناسبان نظم سائر القصص انا كذلك
نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اى الياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزًا
فى الغابرين سبق مرارًا واهله وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم اى على منازلهم وآثارهم فان قرى لوط
على طريق الشام مصبحين داخلين فى الصباح وبالليل وتعيين الوقتين لان المسافر اكثر ما يكون سائرا اول
النهار وبالليل ويستريح فى اثناء النهار ولعلها كانت تقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحًا والقاصد لها
مساءا افلا تعقلون وتحذرون عن سخط الله وانّ يونس لمن المرسلين اذ ابق اى كان رسولا زمان اباقه
الى الفلك المشحون المملوّ فساهم فقارع من فى السفينه وذلك ان زعم البحارى هو ان السفينه اذا كان فيها
ابق لا تجرى فكان من المدحضين مغلوبين فى المقارعة من الادحاض وهو الازلاق فالتقمه الحوت وهو
مليم نفسه على ما فعل او واقع فى الملامه فلولا انه كان من المسبحين اى المصلين او الذاكرين الله
بالتقديس وفيه دلالة على ان المعرفه السابقه والعمل الصالح ينفعان فى المضايق وقد دل عليه دلالة صريحة
حديث الثلثه فى الغار الذى رواه البخارى ولذلك ايمان فرعون لم يقبل لعدم سابقة المعرفه وعلى هذا
دأب الملوك مع خدمهم اذا جنى احد منهم يجعلون سالف خدمته سببًا للعفو عن تلك الجريمة يقولون
لولا ان لك على يدا لفعلت بك كذا وكذا وقيل اراد تسبيحه فى بطن الحوت حين نادى فى الظلمات ان لا
اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا فنبذناه بالعراء
بالمكان الخالى عن الشّجر والنبات وذلك حين استجيب دعاؤه واراد الله انجاه فامر الحوت ان يلقيه الى البر
واختلف فى مده لبثه فقيل اربعون يومًا وقيل عشرون وقيل سبعه وقيل ثلثه وقيل بعض يوم وفى
شعر اميه بن الصّلت وانت بفضل منك نجيت يونسًا وقد بات فى اضعاف حوت لياليا وهو سقيم بدنه

ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم من الدمار وهو الهلاك

مما ناله فی تلك الواقعة الهایلة اوقلبه مما ارتکبه من الخروج والذهاب بغیر اذن الله تعالی وانبتنا علیه
شجرة من یقطین کل ما انبسط علی الارض من النبات والشجر کالقثاء والدباء وروی انه صلی الله علیه وسلم
قال فی الدباء انها شجرة اخی یونس علیه السلام والحکمة فی انباتها ان ورقها تستظل به ولا تقربها
الذباب ولو کل نیا ومطبوخا وقیل شجر الموز وقیل التین وقیل سخر الله له ظبیا تختلف الیه لتشرب من لبنها
ویحکی ان المسك اول ما خلق فی تلك الظبیة مکافاة لها وارسلناه الی مایة الف هم قومه اهل نینوی وبها
قرم الان یزاد فی الموصل یقطع بینهما الشط قیل ارسل الیهم ثانیا فامنوا به وقیل ارسل الی آخرین او
یزیدون بل یزیدون عن ابن عباس رضی الله عنه کانوا مائة وثلثین الفا وروی الترمذی عن ابی بن
کعب انه سال رسول الله فقال یزیدون عشرین الفا فآمنوا فمتعناهم الی حین اجالهم امنین وانما لم
یسلم علی لوط ویونس کما سلم علی من تقدم من الرسل لانه تکرر فاختصر الکلام ولقوله وسلام علی المرسلین فی آخر
السورة فیتناولهما وقیل تفرقة بین ارباب الشرایع واولی العزم وفیه ان الیاس لیس منهم فاستفتهم الربك
البنات ولهم البنون عطف علی استفتهم فی اول السورة وما بینهما اخذ بعضه بحجره بعض وذلك
انه استفتاهم اولا حین انکروا البعث بقوله اهم اشد خلقا امن خلقنا من السموات والارض تبکیتا لهم والزاما
واردفه بقصص المکذبین المنکرین للبعث تسجیلا علی المشرکین بانه سیحل بهم ما حل باولئك ثم استفتاهم ثانیا
عاطفا علی الاول اشارة الی کونه خالق السموات والارض کما یدل علی توحده وکمال اقتداره یدل علی تنزهه
عن الولد الا یری الی قوله بدیع السموات والارض انی یکون له ولد ثم لم یرضوا باثبات الولد مطلقا بل
اثبتوا له اخس النوعین وهو الانثی التی لا یرضی بها لانفسهم واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل
وجهه مسودا وقد زادوا علی الشرك انواعا من الکفر التجسیم فان الولد یستلزمه وتفضیل انفسهم
ونسبة الملأ الاعلی الی الانوثة التی یانف منها ادنی الناس بل کل عیب دونها ام خلقنا الملئکة
اناثا لم یذکر کونه منزها عن الولد بل نفی الانوثة عن الملئکة لان استحالة الولد منه تعالی جلی
لا یتوقف فیه الا من هو کالانعام بل اضل وهم شاهدون تهکم واستهزاء بهم فان العلم بوصف الانوثة
لا یمکن الا باخبار صادق ولم یصدقوا رسولا او باستدلال عقلة ولا سبیل للعقل الیه او بالمشاهدة ولا
یشکون فی انتفائها اومبالغة فی وصفهم بالکفر ای یجترئون علی هذا القول الذی تکاد السموات یتفطرن
منه کانهم شاهدوا ذلك الا انهم من افکهم لیقولون ولد الله ای بعض کاذبهم هذا القول وفیه
تقریر لسفاهتهم وان من یسند الی الله الولد لا یستبعد من جهله ان یثبت الملئکة لا یلیق بهم من
وصف الانوثة وانهم لکاذبون فی ذلك القول اصطفی البنات علی البنین استفهام انکار ای اثرهما
واختارها علی الذکور وهل یفعل ذلك من به مسکة ولذلك جهلهم بقوله ما لکم کیف تحکمون تعتقدون شیئا
لا یقدر العاقل علی اخطاره بقلبه فضلا عن ان یتخذه دینا افلا تذکرون تتعظون بعد هذا البیان
ام لکم سلطان مبین نزل علیکم نص قاطع لا یمکنکم العدول عنه وان کان معناه غیر معقول کبعض نصوص
الشارع فاتوا بکتابکم ان کنتم صادقین فی دعواکم وجعلوا بینه وبین الجنة نسبا حیث قالوا ان الملئکة
بنات الله وانما عبر بالجنة لاستتارهم عن الابصار وفیه دلالة علی حقه مقدارهم عن مجانسة الاله وفی
حد ذاتهم مقربون وعباده المکرمون واشارة الی ان من شان الاستتار الذی هو خواص الاجسام
کیف یجانس المنزه عن سمات الحدوث وقیل کانوا یقولون الشیطان والرحمن اخوان ولقد علمت الجنة
انهم لمحضرون فی العذاب ای الکفرة الذین یعبدونهم بکفرهم وافترائهم او الانس والجن ان فسرت الجنة
بغیر الملئکة سبحان الله عما یصفون الا عباد الله المخلصین استثناء منقطع من المحضرین او متصل من
ضمیر ان فسر بما یعمهم وما بینهما اعتراض او من واو یصفون فانکم وما تعبدون ما انتم علیه بفاتنین

حقر شانهم وما هم علیه من الاضلال ای انتم یا ایها الکافرون ومعبودکم لا تفسدون علی الله من عباده بالاغواء
والاضلال الا من هو صال الجحیم الذی خلق للنار ضال مثلکم من قولهم فتن علی فلان امرا ای افسدها ویجوز
ان یکون الواو بمعنی مع ساد امسد الخبر کقولك کل رجل وصنیعته ای انتم وما تعبدون لا تبرحون قرناء ثم قال ما انتم
علیه بفاتنین ای علی معبودیکم حاملین علی عبادتها الا من یکون ضالا مخلوقا للنار مثلکم وما منا الا له مقام
معلوم قوله سبحان الله عما یصفون الی هنا من کلام الملئکة فانهم کذبوا من نسبهم الی الله واستثنوا من
ذلك المخلصین ثم هونوا شان الکفرة بانهم لا یقدرون الا علی اغواء مثلهم ثم اعترفوا بانهم عباد منقادون لامر الله
لکل واحد منهم مقام فی المعبودیة لا یتجاوزه وقوله فانکم وما تعبدون التفات کقوله فقد کذبوکم بما تقولون ویجوز
ان یکون حکایة قولهم وان یکون قول رسول الله صلی الله علیه وسلم کانه قیل فاستفتهم وقل وما منا الا له
مقام معلوم ای انع علیهم مثالبهم فی کفرهم وانعت لهم ما انت واصحابك متصف به من اضدادها وموقعه
الاستطراد علی هذا لقوله وان کانوا لیقولون وانا لنحن الصافون فی طاعته تعالی علی الاقدام منا قائم وراکع
وساجد او صافون باجنحتنا مذعنین لاوامره خاشعین من هیبته او صافون حول العرش یستغفرون للذین آمنوا
روی مسلم باسناده عن حذیفة قال رسول الله صلی الله علیه وسلم فضلنا علی الناس بثلث جعلت صفوفنا کصفوف
الملئکة وجعلت لی الارض مسجدا وطهورا وقال یوما لجلسائه اطت السماء وحق لها ان تئط ما فیها موضع
قدم الا علیه ملك راکع او ساجد وقال لاصحابه الا تصفون کما تصف الملئکة عند ربها قالوا کیف ذلك قال تتمون الصف
الاول فالاول وانا لنحن الصافون المسبحون المقدسون عما لا یلیق بکبریائه وان کانوا لیقولون لو ان عندنا ذکرا
من الاولین لکنا عباد الله المخلصین ان هی المخففة واللام الفارقة ای کانوا یؤکدون کلامهم قاطعین ان لو
اتاهم کتاب من الله تعالی لتلقوه وعملوا الصالحات بما فیه مخلصین لله لا کاهل التوریة والانجیل المخالفین
لما فیه من الاوامر والنواهی فکفروا به ای بذلك الکتاب الذی کانوا یتمنونه وفی الفاء دلالة علی انهم کفروا
به بغتة من غیر رویة فسوف یعلمون ما یحل بهم من الانتقام ولقد سبقت کلمتنا لعبادنا المرسلین هی قوله انهم
لهم المنصورون ولا یقدح فی ذلك ما یقع من الانهزام فی بعض المواضع لان الامور بخواتیمها وعن الحسن لم یقتل نبی فی
حرب ولا غلب وکذلك کان شان رسول الله صلی الله علیه وسلم لم یزل فی حرب قط وعن ابن عباس رضی الله عنه
ان لم ینصروا فی الدنیا نصروا فی الاخرة وان جندنا لهم الغالبون وهم الطایفة التی تقاتل فی سبیل الله بالسیف
او بالحجة سواء کان فیهم نبی اولا والمذکور وان کان کلما سماها کلمة لانتظامها فی معنی واحد کما تقول ینعت
ثمره بستانی وان کان فیه ثمرات فتول عنهم بعدما فرغت جهدك فی التبلیغ حتی حین الی زمان قریب
یؤذن لك فی القتال او هو یوم بدر او وقت الموت او یوم الفتح وابصرهم وما یقضی علیهم من القتل والاسر
وفی ثار الابصار والامر یقبس عنه وتقریب للمدة کانما یحل بهم تدام عینیه فسوف یبصرون ما یکون لك
من النصر والتایید او الدرجات العلی فی الاخرة وسوف للوعید لا للتبعید افبعذابنا یستعجلون ای سلبت عقولهم
فبعذابنا الذی یحق له ان یستعاذ من شروره یستعجلون فاذا نزل بساحتهم بفناء منازلهم شبه عذابه النازل العائذ ما
الله منه بجیش اغار علی قوم انذرهم بعض نصحائهم فلم یلتفتوا الیه فاجتاحهم وقطع دابرهم فساء صباح المنذرین
صباحهم ترشیح للاستعارة والصباح من اسماء الغارة ومن دابهم اذا وقعت الاغارة ینادون واصباحاه
وذلك انهم کانوا یغیرون فی الصباح عن انس بن مالك ان رسول الله لما اصبح بخیبر قال الله اکبر خربت خیبر انا
اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرین وتول عنهم حتی حین وابصر فسوف یبصرون تسلیة بعد تسلیة
وتاکید الی تاکید واطلاق الفعلین للدلالة علی ان ما یبصره ویبصرون من انواع المسرة والمساءة مما یضیق عنه نطاق
البیان وقیل الاول ما یبصرون فی الدنیا وهذا فی الاخرة سبحان ربك رب العزة عما یصفون وسلام علی المرسلین
سوق الکلام من اول السورة الی هنا لاثبات التوحید وازاحة شبه المشرکین وابطال ما نسبوا الیه تعالی مما

یرید ان قوله بعد هذا وان کانوا لیقولون
من تمام کلام الکفر فلا بد وان یکون هذا
من رسول الله صلی الله علیه وسلم استطرادا
منه

تقدس ساحة عزه ومقام كبريائه عنه فنزه ذاته المقدسه بهذه الاية التى هى من الجوامع الكوامل فذلكه لذلك
واثنى على المرسلين الذين قدروه حق قدره وجاهدوا فى اعلاء كلمته حق جهاده ثم ختم بالختام المسكى بقوله
والحمد لله رب العالمين اشارة الى اختصاص المحامد كلها به تعالى وان ثناءه على الرسل بفضل منه اذ هو الذى
اختارهم ووفقهم لما اكتسبوا به الثناء الجميل فسبحان الذى يعطى ويثنى عن زيد بن ارقم عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قال فى دبر كل صلوة سبحان ربك رب العزة الى اخره ثلث مرات فقد اكتال
بالجريب الاوفى وعن على بن ابى طالب من سره ان يكتال الاجر يوم القيمة بالمكيال الاوفى فليقل اخر
مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى آخر الاية تمت والحمد لله رب العالمين سورة ص مكية
وايها ست وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم ص بالسكون على الوقف حرف من حروف الهجا للتحدى و
القرآن قسم حذف جوابه لدلالة التحدى عليه كانه قيل والقران المؤلف من هذه الحروف لمعجز او اسم السورة
خبر مبتدأ كانه قال هذه السورة اعجزت العرب والقران كقولك هذا حاتم والله تريد انه ذلك المشهور بالسخا
ويجوز ان يكون مقسما بها اسما للسورة او القران والعطف باعتبار تغاير الصفات والجواب محذوف اى انه
لمعجز ذى الذكر اى الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك او الموعظة او ذكر ما يحتاج اليه فى الدنيا والدين
من الشرايع والقصص بل الذين كفروا فى عزة وشقاق اى انه لمعجز ومن كفر به انما كفر استكبارا ومشاقة
مع الله ورسوله واصل العزة الشدة كنى بها عن الكبر وتنكير الاسمين مع ايراد فى الدال على الاستقرار اشارة
الى كمال اتصافهم بالوصفين واستغراقهم فيهما وايماء الى ان من لم يكن بهذه المثابة لانكر ذلك الامر الجلى
كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى كثيرا من القرون المكذبة اهلكنا قبل هولاء فنادوا رفعوا اصواتهم
بالاستغاثة والجوار ولات حين مناص ذهب الخليل وسيبويه الى انها لا التى شبهت بليس زيدت عليها التاء كما
زيدت فى رب وثم لتوكيد النفى وحدث لها احكام بعد هذه الزيادة اختصاصها بالاحيان وبروز احد جزئى
مدخولها اما الاسم او الخبر دون الاخر وعن الاخفش انها لا النافيه للجنس زيدت عليها التاء وحين منصوب به
كانك قلت ولات حين مناص لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اى ولا ارى حين مناص لهم وعندهما
ان النصب على ولات حين حين مناص اى وليس الحين حين مناص والرسم فيه مختلف فى الامام لا يخفى بانفصال
التاء بالحاء وفى غيره ولات وعجبوا ان جاءهم منذر منهم كائن من انفسهم يعرفون صدق قوله وامانته وقال
الكافرون هذا ساحر كذاب لم يقل قالوا اشارة الى ان هذا القول بعد ذلك الاعجاز لم ينشا الا عن
كفر بواح وانهماك فى الغى اجعل الالهة الها واحدا روى الزهرى عن ابن عباس رضى الله عنه لما مرض
ابو طالب دخل عليه مشيخه قريش وقالوا ان ابن اخيك يشتم آلهتنا فلو نهيته فبعث اليه ابو طالب فلما حضر
قال ابن اخى ان قومك تشكونك انك تشتم آلهتهم فقال يا عم انى اسئلهم كلمة تدين لهم بها العرب
ويؤدى الجزية اليهم العجم فقالوا ما هى تلك الكلمة نعم نعطيك عشرا قال تقولوا لا اله الا الله
فقاموا ينفضون ثيابهم يقولون اجعل الالهة الها واحدا قيل كان هذا بعد اسلام عمر ان هذا لشئ
عجاب بليغ العجب مخالف لما اطبق عليه آباؤنا الاولون ولم يكونوا ينكرون ان مدبر الكائنات وموجدها
هو الله ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلا وجه لما قيل انما قالوا لان الواحد لا يفى
علمه وقدرته بالاشياء وانطلق الملأ منهم ان امشوا اى انطلقوا اولئك الاشراف بعد ما سمعوا مقالته
وان بمعنى اى لان المنطلقين عن مجالس التقاول لا يخلون عن تقاوض واصبروا على آلهتكم على عبادتها
والتمسك بها ان هذا الامر الذى نطلبه من الترفع على كافه الخلق مراد كل واحد وهذا من ريب الدهر
ونوايبه الذى اريد بنا فلا بد من وقوعه ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة اى ملة النصارى التى
هى آخر الملل يريدون ان لو كان التوحيد حقا لم يثلثوا او ملة قريش التى ادركوا عليها آباءهم

او فى الملة الاخرة حال اى كائنا فى الملة وليس متعلقا بسمعنا اى لم نسمع من احد من اهل الكتاب
ولا الكهان ان يحدث فى الملة الاخرة القول بالتوحيد ان هذا الا اختلاق افتراء مخترع لم يسبق له
نظير ا انزل عليه الذكر من بيننا انكروا اختصاصه بشرف النبوة مع كونه واحدا منهم بل وفيهم من له
الاسباب من الاموال والاولاد والحشم اكثر منه ولهذا قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وهذا منهم منشاؤه الحسد لا غير وتلك الخرافات التى تقدمت ناشيه منه بل هم فى شك من ذكرى
اى جزمهم بالاختلاق ليس عن اعتقاد وثبت بل قول بافواههم اذ الشاك لا حكم له فان قلت الشك فى
الذكر وهو القرآن لا ينافى الجزم بان التوحيد مختلق قلت بلى ينافيه لاشتماله على دلائله والمرتاب فيها
شاك فيه بل لما يذوقوا عذاب اضراب عن حديث الحدث والشك والمعنى انهما لا يزولان الا بذوق
العذاب كقوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل
اعندهم وتحت تصرفهم خزائن من اتصف بالغلبه والفيض المطلق حتى يجعلوها لمن يشاؤا اضراب عن
قولهم اانزل عليه الذكر نظيره قوله اهم يقسمون رحمة ربك وفى وصفه بالعزة اشارة الى بطلان ما هم
فيه من الترفع والتجبر على من خص بالنبوة لانهم تحت قهر غالب لا يغالب وبالوهاب الى ان النبوة محض
موهبة ربانيه فلا وجه للمشاقه وذكر الوهاب يناسب الخزائن وفيه اشارة الى ان النبوة ليست عطيه
واحده بل عطايا جمة ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما يريد ان ملك السموات والارض شئ من
خزاينه الدنية لان عالم الجسمانيه لا تقاس بعالم الروحانيات واذا كانوا عاجزين عن التصرف فيه فهم
عن غيره اعجز ثم تهكم بهم بقوله فليرتقوا فى الاسباب الموصله الى العرش والاستيلاء عليه وانزال الوحى
الى من يختارونه ثم حقر شانهم وخساهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ما مزيد للتقليل وهنالك
ظرف مهزوم اشير به الى المحال والرتبه كقول الخليل عليه السلام فى حديث الشفاعة لست هنالك
والمعنى هولاء الكفار اعوان وانصار قليلون من الذين يتحزبون على الانبياء عما قريب مكسورون فى
المحل الذى وضعوا انفسهم فيه اى هم من التعرض لتلك المقاله والاعتراض على مالك الملك والملكوت
وقيل هنالك اشارة الى يوم بدر او يوم الخندق او يوم فتح مكة والاول هو الوجه كذبت قبلهم قوم نوح
وعاد وفرعون ذو الاوتاد هولاء الاحزاب الذين اهل مكة منهم وصف فرعون بذى الاوتاد اشارة
الى طول مدته استعارة من اوتاد البيت المطنب للثبات كقوله فى ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يعذب
بالاوتاد يجعل اعضاؤه الاربعة الى اربعة اطراف ويضرب على كل واحد وتدا ويتركه الى ان يموت وكان
يرسل عليه وهو كذلك الحيات والعقارب او الاوتاد مجاز عن الجموع لان بعضهم يشد بعضا وثمود وقوم لوط
واصحاب الايكة قوم شعيب والايكه الغيضه وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليكة على وزن ليله اولئك الاحزاب
اى الاحزاب الذين منهم جند مهزوم هم هولاء او المعنى المشار اليهم هم الذين يقال لهم الاحزاب لتفوقهم
بالاموال والاسباب وطول الاعمار لا جند مكة كما تقول بعد ذكر زيد وعمرو زيد الفاضل الرجل ان كل الا
كذب الرسل اعاد التكذيب ثانيا على اوكد وجه وافاد ان كل واحدة من تلك الامم كذبت كل رسول الله لان
تكذيب واحد منهم تكذيب لسايرهم لان بعضهم يصدق بعضا فحق عقاب بعد ذلك الافراط فى التكذيب وما ينظر
هولاء اى اهل مكة الا صيحة واحدة هى النفخة وقيل العذاب المفاجئ من قولهم صاح الزمان بفلان
قال صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان ما لها من فواق من لبث ماخوذ
من فواق الناقه وهو ما بين الحلبتين فانها لا تدر دفعه بل تترك ادنى زمان وقرأ حمزة والكسائى بضم
الفاء وهى لغة وقالوا ربنا عجل لنا قطنا القط القسط من الشئ من القط وهو القطع اى نصيبنا الموعود
من العذاب يريدون تكذيبه او نصيبنا من الجنه نؤمن بك لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما

وعدا المؤمنين الجنّة قالوا هذا الكلام استهزاء قبل يوم الحساب قبل يوم القيمة او لنؤمن كتوا لهم لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد اى تحمل اذاهم واذكر
لهم قصة داود فانه لم يكن في زمان بنو تر على وجه الارض اكرم على الله ولا اعز منه ومع ذلك جرى
عليه من ادنى خطره خطرت له ما جرى وكان على ذلك مدة طويلة ونقش جنايته في باطن كفه حتى لا ينساها فما
ظنك بهؤلاء المسرفين المستهزئين بالله وآياته او اصبر على ما يقولون واذكر لنفسك حال داود وحافظ على تذكرها
لئلا تقع لك في المصارع ما تعاتب عليه كما عوتب ذلك وعلى هذا الذكر ذكر الطلب ذا الايد ذا القوة في الدين
والمحافظة على الطاعات بدليل قوله انه اوّاب وقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام صيام داود كان
يصوم يوما ويفطر يوما وافضل الصلوة صلوة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ولان
الاوابيه لا مدخل لها في قوة البدن انا سخرنا الجبال معه يسبحن على الدوام بالعشي والاشراق اى في هذين
الوقتين يقال شرقت الشمس شروقا طلعت واشرقت اضاءت وصفا شعاعها وعن ابن عباس رضي الله عنه لما
سمع ام هانى تقول جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكه فوجدته يغتسل وفاطمه ابنته تستره فلما
اغتسل التحف بثوب وصلى ثمان ركعات وذلك ضحى فقال قد ظننت ان لهذه الساعة صلوة وتلاها فان قلت
كيف دل تسبيح الجبال معه على الصلوة في تلك الساعة قلت لما روى في الحديث ولان تسبيح الجبال
مجاز فحمل تسبيح داود على المجاز لان المجاز بالمجاز انسب والطير محشوره جملة واحدة ولذلك لم يراع المطابقة
بين الحالين او حشرها على هذا الوجه ادل على كمال الاقتدار كل له اوّاب رجاع الى الله رجوعا بعد رجوع
ويلزمه الذكر والتسبيح فكانه قال كل معه يسبح على الدوام او الرجاع كناية عن المرجوع ومعلوم ان الترجيع
في التسبيح لا في فعل اخر وشددنا ملكه قويناه بالرجال والعدد قيل كان يحرس محرابه اربعين الفا من
ذوى اللامه وقيل كان القى عليه المهابه وذلك ان رجلا ادعى على اخر بقره فانكر المدعى عليه
فاوحى الى داود ان اقتل المنكر فقال له فقال لم يؤاخذني الله بهذا بل انى قتلت اباه غيله فامر بقتله فهابه
الناس وآتيناه الحكمة النبوة وعلم الشرع كل كلم وافقت الحق فهي حكمه وفصل الخطاب المفصول الذي يتبينه
من يخاطب به ولا يلتبس عليه مصدر بمعنى المفعول او الفاصل بين الحق والباطل في القضايا والتدابير فانه اذا
انضم الى العلم والحكمة كمل شان الحاكم وحقيقته انه كان كاملا في البلاغه يورد كل كلام على ما تقتضيه الحال
خاليا عن الاملال والاخلال ويدخل فيه كل ما ذكروه من الوجوه وهذا مثل ما جاء في وصف كلام رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب الاستفهام للتشويق والدلالة على انه من
الامور المستغربة التي العلم بها امر خطير والخصم مصدر في الاصل يقع على الواحد والجمع مثل الضيف كقوله حديث ضيف
ابرهيم المكرمين تسوروا المحراب تصعدوا والسور حايط المدينه اراد حايط مسجده والمحراب الغرفه وصدر
المجلس واذ تعلق بالنبا لانه وان كان بمعنى القصه الا انه في الاصل مصدر والظرف يكفيه رايحه من الفعل
او متعلق بمقدر اى تحاكم الخصم وتعلقه باتاك لا يستقيم اذ دخلوا على داود ظرف تسوروا او بدل من اذ و
الضمير للخصم ففزع منهم لانهم نزلوا من الحايط من غير اذن وهم ناس اجانب لا يعرفهم وكان خاليا للعبادة
كان جزا الزمان جعل يوما للعبادة ويوما يقطر فيه بني اسرائيل ويوما يشتغل فيه بخاصته قالوا لا تخف
لما شاهدوا منه آثار الخوف خصمان اى نحن فوجان بدليل قوله تسوروا ودخلوا فهو كقوله هذان خصمان اختصموا
ولا ينافيه ان هذا اخى لانه قول بعضهم بغى بعضنا على بعض وهذا على التمثيل والغرض فلا يمتنع صدوره
عن الملئكه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكم من الشطط وهو مجاوزة الحد في كل شيء وفي الحديث
لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط واهدنا الى سواء الصراط الى وسط الطريق اى الحق الذي لا ميل فيه ان
هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجه واحدة هي الانثى من الضان يكنى بها عن المرأة لللين عريكتها

اللامه بالهمز السلاح

اى بين الغلط والكلام منه

ويوما للقضاء

اى لا نقص ولا زياده منه

وضعف

وضعف بينهما وكثيرا ما يطلق اهل مصر على الرجل الجبان الخوار نعجة فقال اكفلنيها اى اجعل امرها الى كالكفلها
كما اكفل ما تحت يدي وحقيقته القيام بامرها كقوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين واشار بالسبابة
والوسطى وعزني في الخطاب غلبني في الجدال لا اقدر على رده وقيل غلبني في الخطبة وبانيه ولي نعجة وقوله
لقد ظلمك بسؤال نعجتك وقوله اكفلنيها اذ لا يخاطب به الخاطب بل ولى المخطوبة الا ان يجعل مجازا قال لقد
ظلمك بسؤال نعجتك جواب قسم محذوف وانما اقسم مبالغة في الانكار وحكم عليه بالظلم اما لا عترافه او على تقدير
صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى المفعول الى نعاجه ضاما اليها وان كثيرا من الخلطاء من الاصدقاء
المتعارفين كقوله ان الخليط اجدوا البين فانصرموا ليبغي بعضهم على بعض فلا عجب مما شجر بينكم الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اى في غاية القله ما زايدة وهذا الكلام منه على طريق الموعظة و
الترغيب في ابتهاج مسالك ذلك القليل وايثار عادتهم والتدرع بلباسهم وحمل الخلطاء على الشركاء حديث الحلا يل
باب عنه وظن داود انما فتنّاه اى ايقن ابتليناه استعار الظن لليقين لان الظن الغالب يدانيه فاستغفر ربه
وخر راكعا سجد لله لان الركوع وحده ليس بعبادة فاطلق على السجود لانه مبداه ويدانيه في الخضوع واراد به
الصلوة مجازا واناب رجع اليه بالاستغفار وانما بدا بالسجود او الصلوة المشتمله عليه لانه مظنه الاجابه واليه
اشار بقوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد الى الله وهو ساجد وهذا من عزايم السجود عند ابي حنيفه
رحمه الله لما روى ابن عباس رضى الله عنه سجد رسول الله في ص وقال سجدها داود توبه ونسجدها شكرا
واستدل الشافعي رحمه الله تعالى بما رواه ابن عباس سجدة ص ليست من عزايم السجود لكن رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسجد فيها فقال بها استحبابا فان قلت ما صدر عن داود حتى وجب هذا الابتلاء والانبياء
عن الصغاير قصدا فضلا عن الكباير منزهون قلت هذا على طريقه حسنات الابرار سيئات المقربين و
غاية ما يمكن في حقه انه راى بغته امراة اوريا وهو رجل من غزاته فلقاه فسأله ان ينزل له عنها فاستحيى
منه فنزل وهي ام سليمان وقيل لم يكن امرا غير انه خطب على خطبته فعوتب في ذلك وقيل له ما كان ينبغي لمثلك
ان يمد عينيه الى متاع الدنيا مع ما خولناك من الملك المديد وكثرة النساء كيف تسئل رجلا له امراة واحدة
ان ينزل لك عنها بل كان الواجب عليك ان لو سئلك هو ان تنزل عنها الاباء الكلي وقهر النفس ومغالبة الهوى كما
فعله سيد الرسل حين شاوره زيد في فراق زينب هذا ان صح عنه كان مباحا غايته انه خلاف الاولى
وقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف انه لما نزل على سعد بن الربيع قال انظر اى زوجتي اعجبتك
نزلت لك عنها وان كان امرا اخر لم يحكه الله مفصلا بل ستره عليه فنحن اولى بذلك فما لنا وللخوض فيه و
لذلك لما حكى عند عمر بن عبد العزيز رجل قاص على غير هذا الوجه من تلك الخرافات التي لا يجوز اشاعتها
وكان رجل من اهل المعرفه حاضرا فقال يا ايها الرجل ان كانت القصة على ما في كتاب الله فاعظم بما
ذكرت قدره وان كانت كما ذكرت وقد سترها الله على عبده فكنت اولى بذلك فقال عمر لسماعي لهذا الكلام
احب الى مما طلعت عليه الشمس وعن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب قال من حدثكم بحديث
داود على ما يحكيه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ما وقع منه هو قوله لقد ظلمك بمجرد قوله قبل ان
يسئل المدعى عليه ويؤيده قوله بعد هذا فاحكم بين الناس بالحق فغفرنا له ذلك بعد الانابه وان له عندنا
لزلفى قربة ومكانة لم يحصل له بتلك الجنايه تنزل وحسن مآب مرجع هو جوار الله في اعلى الجنان يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض يقال استخلفه على كذا اذا جعله واليا متصرفا فيه كقوله وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه او خليفه عن الانبياء الذين تقدموا فاحكم بين الناس بالحق الذي امرك الله به اى بحكم الله ولا
تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله طريقه الموصل اليه ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب اى ذلك الضلال تسبب عن نسيان ذلك اليوم اذ لو تذكر وراقب احواله واعماله المعروفة

رد المعنى

الخليط يطلق على الواحد والجمع

الهوى

لكن نص بالى

في ذلك اليوم على العلام الجنير لم يتركب صلاة قال عبد الملك بن مروان يوما لابي زرعه انك قرأت
الكتاب الاول والقرآن هل وجدت ان الخلفاء لا يجري عليهم القلم فقال يا امير المؤمنين الخلفاء اعظم ام
الانبياء ثم تلا هذه الاية وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا عبثا خاليا عن الحكمة كقوله وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين بل انما خلقناهما ابتلاء لكم بالتكاليف والشرايع ذلك ظن الذين
كفروا اى كونهما مخلوقين باطلا مظنون الكفار فويل للذين كفروا من النار من بيان او ابتدائيه ام نجعل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض انكار لذلك وكيف تسوى الحكم بين المؤمن والكافر ام نجعل
المتقين من المؤمنين كالفجار كالفساق منهم او تكرير للاول باعتبار الوصفين واذا كان التساوي منكرا و
ليس هذا الدار دار الجزاء ولذلك ترى اكثر اهل الدين والتقوى ناقصه حظوظهم فيها فلا بد وان يكون
دار اخرى تقع فيها المجازاة كتاب انزلناه اليك مبارك لما بين جمله من المقاصد الصحيحة التي تذعن لها
العقل الصريح اردفه لوصف الكتاب المشتمل عليه بالبركة واى بركة اعظم من الارشاد الى البقاء سرمدا فيما لا
عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ليدبروا آياته ويستنبطوا منها دقائق حكمه وليتذكر اولوا الالباب
ذوو العقول الخالصة المبرؤن عن العوائق المؤيدون بالتوفيق الناظرون بنور الله فان تلك الدقايق كالمعلوم
عندهم لا تحتاج الا الى التفات الذهن ووهبنا لداود سليمان اردف قصه الوالد بقصة الولد لانه
فتن مثل ما فتن واناب مثل ما اناب عبر عن اعطائه بالهبة اشارة الى جلالة قدره نعم العبد حذف
المخصوص للعلم به اى سليمان انه اواب اى رجاع الى الله او مؤوب اى مسبح ولا يكون الا اوابا اذ عرض
عليه بالعشي الصافنات الجياد الصافن من الصفون وهو الوقوف على ثلث قوايم قال الف الصفون فما نزال
كانه مما تقوم على الثلث كثيرا والجياد جمع الجواد من الجوده بضم الجيم الفرس الواسع الجرى وهو الواسع العطا
ايضا من الجودة بفتح الجيم وصفها بالصفون والجودة جمعا للحسن في حالتها كانه قال ساكنه عند الوقوف
سراع عند الجرى وقيل الصفون وصف لها بالاصاله فانه يكون في العراب دون الهجن قيل غزا سليمان
دمشق فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصاب ابوه من العمالقه وقيل خرجت من البحر وكانت
ذات اجنحه وهذا هو الوجه اذ في الارث والاصابه غنيمه اشكال لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء
لا يورث ولقوله اوتيت خمسا لم يؤت احد من قبلي وعد منها حل الغنايم فقال اني احببت حب الخير عن
ذكر ربي استعمال احبه بعن لتضمين معنى آثرت او الجار متعلق بمقدر حالا اى معنيا والخير المال لقوله تعالى
ان ترك خيرا الوصيه للوالدين والمراد به الصافنات الجياد المذكوره فكان اصله احببت الخير وانما اقحم الحب
اشارة الى فرط المحبة كانه احبها حتى احب حبها والاوجه ان لا يكون تضمين ولا تقدير حتى توارت بالحجاب
الشمس وفاته صلوة العصر وقيل توارت الخيل بالحجاب اى بظلام الليل وفيه بعد ردوها علي فطفق مسحا
بالسوق والاعناق اى شرع تقطع اعناقها وعراقيبها قربانا في سبيل الله وخصها بذلك لانها كانت سببا
في الاشتغال وهذا كقطع يد السارق لانها آلة الخيانه وفي الحديث سمع رسول الله رجلا تقول لناقته يا ملعونه
فقال ردوها لا يصحبنا دابه ملعونه ولما فاته صلوة الصبح ارتحل من ذلك الى مكان اخر ثم قضيها كراهة
له حيث نام عن الصلوة فيه وقيل مسح اعرافها وعراقيبها احتراما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح اعراف
الخيل وقال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمه من اعزها اعزه الله ولقد فتنا سليمان والقينا
على كرسيه جسدا روى البخاري باسناده ان رسول الله صلعم قال ان سليمان قال يوما لاطوفن الليله
على اربعين امرأة تاتى كل واحدة بغلام يجاهد في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل فما
حملت الا واحدة اتت بشق ولد والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وروى انه كان له ابن
يخاف عليه من الجن فكان يربيه في السحاب فكان يوما جالسا فوقع على كرسيه ميتا فعلم انه كان تاركا

لماهو

لما هو الاليق من التوكل ثم اناب رجع الى الله تعالى بالتوبه وما ذكره بعضهم من ان خاتمه وقع في يد صخر
الجني وانه استولى على ملكه اربعين يوما وما يضمون الى ذلك من الخرافات فلا يجوز ذكرها لانها اكاذيب
لا يساعدها عقل ولا نقل قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي كان ناشيا في بيت
الملك سال معجزة تناسب حاله وقيل قاله شفقة على اخوانه النبيين حيث راى الدنيا غداره لا سيما ابهة الملك
فطلب من الله ان يزويه عن غيره ويخصه به وقيل لم يرد الا سعة الملك وعظمة الاختصاص ويرد قوله صلى
الله عليه وسلم تفلت على البارحة شيطان فقصدت ان اربطه بسارية من سوارى المسجد فيلعب به صبيان المدينة
ثم تذكرت دعوة اخي سليمان قيل للحجاج انك حسود قال احسد من سليمان حيث قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي وقد كفر في ذلك كما كفر في قوله طاعتنا اوجب من طاعة الله ورسوله لان الله تعالى قال
فاتقوا الله ما استطعتم وقال واولي الامر منكم فاطلق وقد عجز في كفره لان اولي الامر عطف على
طاعة الله ورسوله فكيف يكون احدهما مطلقا والاخر مقيدا وايضا ما استطعتم قيد الاطلاق انك انت الوهاب
لا غيرك فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء لينة من الرخاء وهو الخصب وطيعه وفي ذلك تمام النعمة كالفرس الذلول
حيث اصاب قصد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ وقصد روبة الشاعر رجلان اشكل عليهما
هذا اللفظ فقال ما نصيبا قالا هذا الجواب والشياطين كل بناء وغواص في البحار لاستخراج الدراري والجواهر
وآخرين مقرنين في الاصفاد في القيود كفا لشرهم جمع صفد بالتحريك وهو العطا ايضا لربطه المنعم عليه بالمنعم
قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وروى من برك اسرك ومن جفاك اطلقك والفعل للعطاء اصفد و
القيد صفد عكس وعدا وعد هذا عطاؤنا اشارة الى ملكه الممدود فامنن اعط ما شئت منه او امسك
بغير حساب حال كونك غير محاسب بل الامر مفوض اليك تتصرف كيف تشاء كما هو شان الملوك وعنه صلى الله
عليه وسلم خيرني الله بين ان يكون عبدا نبيا او ملكا فاشار الى جبرئيل ان تواضع فاخترت ان اكون عبدا نبيا
ولذلك كان مامورا لم يطلق له التصرف قال انما انا قاسم والله المعطى ولما تواضع ولم يلتفت الى ثلث الدنيا
عوضه المقام المحمود وان له عندنا لزلفى قربة ومنزلة وحسن ماب مرجع في جوارنا ولم ينقص ملك الدنيا
شيئا من مكانته واذكر عبدنا ايوب هو ايوب بن عيص بن اسحاق ولما ذكر اولي النعم والالاء اردف بذكر
ذوى العاهات والبلاء ليعلم انهم كانوا مع الله في السراء والضراء ولذلك قال بعد شرح ملك سليمان وبصبر ايوب
في كل منهما نعم العبد ومن ذلك افترق اهل الحق في الغني الشاكر والفقير الصابر ايهما اقرب الى الله اذ نادى
ربه بدل اشتمال اني مسني الشيطان بنصب تعب ومشقة في بدني وعذاب الم في القلب وقيل الاول في البدن
والثاني في المال والاولاد وانما نسبه الى الشيطان وان كان كل ذلك بخلق الله تعالى تأدبا او لان ما حصل له
الفعل ترتب على وسوسته اذا عجب بكثرة المال او استغاث مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحيه كافر فداهنه
وكان يغريه على الجزع والقنوط وان لو كان له عند الله منزلة لما ابتلاه اركض برجلك اضرب بها اى قيل له
ذلك اما بلا واسطه او بواسطة هذا مغتسل بارد وشراب وانما قدم البارد لانه اهم للمريض المحرور ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء وان صح ما يقال لما ركض برجله نبعت عينان حارة
وبارده فتقديم بارد للفواصل وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل خر
عليه رجل من جراد ذهب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم اى اضعاف ما كان رحمة منا عليه وذكرى وموعظة لمن
يسمع بحاله فيصبر على بلائه لاولي الالباب لارباب العقول الخالصة عن شوائب الاوهام ومن الامثال كل شئ
له اخوا الصبر نعم الناصر وخذ بيدك ضغثا حزمه من حشيش او ريحان او غيره اصله الاختلاط ومنه اضغاث
الاحلام فاضرب به ولا تحنث في يمينك فان زوجته كانت ذهبت في حاجه فابطأت عليه فحلف ليضربنها مائة
ضربه فحلل الله تعالى يمينه وهون عليه وتلك السنه باقيه في الحدود انا وجدناه صابرا ولانبياء الشكوى

اونبياه

الى الله تعالى واختلف فى مدة بلائه وقد تقدم فى سورة الانبياء نعم العبد انه اواب رجاع بالذكر والتوبه
واذكر عبادنا ابرهيم واسحاق ويعقوب هولاء ايضا اهل البلاء وقدم ايوب لانه علم فى ذلك وقرا ابن
كثير عبدنا بالافراد اما لقصد الجنس او لارادة ابرهيم عليه السلام اشارة الى شرفه والجمع هو المختار لقوله
آبائك ابرهيم واسحق ويعقوب اولى الايد والابصار ذوى القوة فى الاعمال والبصاير النافذة فى
التدبر والافكار وفيه تعريض بالبطلة الجهال بانهم كالزمنى والعمى انا اخلصناهم جعلناهم خلصا اصفياء لاكدر
فيهم ثم بينه بقوله بخالصة اى بخصلة لا يشوبها شى ذكرى الدار بيان لتلك الصفة وحاصله نزعنا من قلوبهم
حب الدنيا فليس همهم الا هم الدار الاخرة وانما اطلقها لانها الدار الاخرة حقيقة وانما الدنيا كمنزل راكب اراح
عشيا وهو فى الصبح راحل وقرأ نافع وهشام بالاضافة اما الى الفاعل اى بان خلصت ذكرى الدار لهم ولم
تشب بغيرها او الى المفعول على ان الخالصة مصدر متعد بمعنى الاخلاص اى بان ذكروا الناس ورغبوهم فى الاخرة
وزهدوهم وهذا الوجه احسن لانه تكميل يستدعى سبق الكلام الكامل وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار جمع
خير بكسر الخاء كشر واشرار او بفتح الخاء جمع خير مشددا ومخففا كميت واموات واردف المصطفين به اذ المختار
قد لا يكون خيرا واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل هما ابنا عم وكل من الاخيار اى كل هولاء هذا ذكر
اى القرآن شرف تذكرون به او هذا ذكر من مضى من الانبياء او لما اريد نقل الكلام من ذكر الانبياء الى ذكر
الجنة وهما نوعان من الكلام قال هذا ذكر كما يقول الكاتب اذا فرغ من باب واراد الشروع فى باب اخر هذا
وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن بدل او عطف بيان وهو من الاعلام الغالبة مفتحة لهم الابواب
بدل اشتمال بلا راجع اكتفاء بدلالة المعنى كقولك فى بدل البعض ضرب زيد اليد او الرجل متكئين فيها يدعون
فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان مترادفان من ضمير لهم او متداخلان وايثار المضارع فى الثانيه دون
الاولى لتجدد الدعاء بهما دون الاتكاء والاقتصار على الفاكهة والشراب لان ما يتناول فى الجنة انما هو للتلذذ
لا لدفع الجوع وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب متفقات فى السن او لازواجهن
فان التحاب بين اللذات اشد جمع ترب بمعنى المتارب كالمثل بمعنى المماثل لان التراب مسهن معا هذا ما
توعدون ليوم الحساب اى لاجله فان الحساب لاجل الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو يوعدون
بالياء جريا على سنن ما تقدم والباقون بالخطاب التفاتا وهو احسن معنى واوفق لقوله وانتم فيها خالدون
بعد قوله يطاف عليهم ان هذا لرزقنا ماله من نفاد انقطاع هذا تقدم الوجه فيه آنفا وان للطاغين لشر
مآب جهنم بدل او بيان يصلونها فبئس المهاد مهادهم مستعار من فراش النائم هذا فليذوقوه حميم هذا مبتدأ
وحميم خبره فليذوقوه اعتراض على نحو زيد فافهم رجل صالح او ليذوقوه فليذوقوه فى الاضمار على الشريطة
او خبر مبتدأ اى العذاب هذا وغساق عطف على حميم وهو ما يسيل من صديد اهل النار من غسق الدمع
نطفت وقيل هو شراب يحرق بالبرودة كما ان الحميم يحرق بفرط الحرارة وعن الحسن عذاب لا يعلم عظمته الا الله
تعالى مقابل لما اعده لاهل الجنة الذى اشار اليه بقوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقرأ
حمزة والكسائى وحفص مثقلا عن الفراء هما لغتان وقيل الاول اسم كالنكال والعذاب والمشدد صفة او
نسبة كالتمار وآخر من شكله من شكل هذا المذوق عطف على حميم وغساق ازواج صفة للثلاثة او لآخر لانه
ضروب واجناس وقرأ ابو عمرو وأخر بضم الهمزة جمع اخرى ككبرى وكبر وازواج خبر ومن شكله صفته
المفرد اخف والجمع اظهر ولا يخفى ما فى ابهام آخر من التهويل هذا فوج مقتحم معكم كلام الرؤسا من الطاغين
للاتباع حين دخول النار كقوله كلما دخلت امة لعنت اختها الا ان اللاعنة هناك هى الاتباع وهنا بالعكس
والاقتحام الدخول فى الشى عنفا وقيل هو كلام الخزنة وقوله لا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤسا تعليل
لاستيهال الاتباع هذا الدعا وقيل الكل كلام الخزنة قالوا اى الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا

حال والعامل فيه ما هو العامل فى الجار والمجرور والتقدير جنات عدن استقرت للمتقين حال كونها مفتحة لهم والابواب

بالاغوا

بالاغواء والاغراء فانتم احق بهذا الدعاء فبئس القرار مكاننا قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار
اى مضاعفا للضلال والاضلال كقوله ربنا هولاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وان جعل قوله لا مرحبا بهم
من كلام الخزنه فوجه قوله بل انتم لا مرحبا بكم ان يكون كلام الاتباع للرؤسا لما دعا عليهم الخزنه صرفوا الدعاء اليهم
لانهم السبب وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار استفهام تعجب وتحسر اتخذناهم سخريا صفة رجالا ام زاغت
عنهم الابصار ام منقطعة متصلة بقوله ما لنا لا نرى كانهم لما لم يروهم فى النار وتعجبوا من ذلك قياسا على حظوظ الدنيا
اسلوا انفسهم ببعض التسلى وقالوا بل زاغت عنهم الابصار فلا نراهم فى النار وهم فيها وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير و
عاصم بالاستفهام انكارا على انفسهم كيف اتخذوا سخريا من كان اعلى شانا منهم ثم اضربوا الى قولهم بل زاغت عنهم
الابصار او متصلة ومعادلها اتخذناهم على انكار الامرين جميعا كانهم قالوا منكرين على انفسهم اى الفعلين فعلنا بهم
السخرية او الازدراء والتحقير ما هو اشد منه وهو الازدراء اذ المسخور منه ربما كان محبوبا وفى اسناد الزيغ الى الابصار
اشارة الى شدة الازدراء بهم كانهم لفرط كراهتهم تمجهم الاعين وان قدر حذف همزة الاستفهام لدلالة ام عليه يستوى
القراءتان وقرأ نافع وحمزة والكسائى سخريا بضم السين وعن مجاهد ان الضمير فى قالوا لصناديد قريش ولا دليل له
فالوجه العموم فى كل طاغ ان ذلك لحق اى ما ذكر من التقاول كائن لا محالة تخاصم اهل النار بيان له وكان الظاهر
ان ذلك التخاصم حق وانما قدم الحق اهتماما قل يا محمد لمشركى مكة انما انا منذر لا ساحر كذاب كما تقدم منهم فى اول
السورة وهذا الدعوى منه بعد ما قدم ما يدل على كونه رسولا باثبات كون القرآن معجزا وما اردفه به من ذكر
الانبياء مع اممهم مما يستقل بانواع من الاعجاز وما من اله الا الله الواحد القهار اى مبعوث بهذين الامرين
الانذار والدعوة الى التوحيد والمعنى انما انا منذر وليس لى علم بمقدار عقاب من هذا شانه فالانذار هو المبعوث
وهذا التحقيق لم يتم والاول هو الوجه لقوله رب السموات وما بينهما العزيز الغفار اذ التعقيب بهذه الصفات دليل على
كون الدعوة مقصودة ولان هذا الملخص مما تقدم ومن ذلك قولهم اجعل الآلهة الها واحدا قل هو نبأ عظيم اى
ما انبئت به من الانذار والدعوة الى التوحيد وقيل يوم القيمة وقيل القرآن انتم عنه معرضون لتماديكم فى الغفلة
ما كان لى من علم بالملأ الاعلى دليل على كونه رسولا اذ يختصمون متعلق بمقدر اى بكلامهم فى ذلك الوقت ان يوحى
الى الا انما انا نذير مبين اى الا لانما انا نذير كقولك لمرسل فى امر ما كلفتك الا انك حكيم مرشد او لم او مر الا بهذا
الامر المشتمل على الامور كلها صريحا او التزاما او لم او مر الا بهذا الانذار دون الهداية اذ قال ربك للملائكة
انى خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون ظرف لكلام الملئكة وهذا لكلام الله فكيف يصح ابداله منه قلت ذلك
زمان ممتد وقع فيه القولان فان قلت ما كان ذلك الاختصام قلت هو تقاولهم فى شان آدم واباء ابليس فان قلت
الملأ هم الاشراف وذلك التقاول انما كان من جميع الملئكة كما صرح به فى البقرة بقوله واذ قال ربك للملئكة وقوله
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قلت ذلك القول نسب الى الكل لكونه صادرا عن البعض كما يقال
بنو فلان قتلوا زيدا ولا شك ان المتصدى بجواب الله انما هو الاشراف فان قلت الملأ اسم الجمع فلم وصف بالمفرد
قلت بالنظر الى اللفظ وما قيل من الجائز ان يكون تقاول الله اياهم بواسطة الملك وان يكون الملأ اشارة الى الله و
الملئكة ولا يخفى بعده من غير ضرورة تدعو الى ارتكابه هذا والاوجه ان يكون المراد باختصام الملأ الاعلى ما فى
الحديث وهو قوله رأيت ربى فى احسن صورة فقال لى يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا اعلم فوضع كفه بين كتفى فوجدت
برده فى صدرى فعلمت ما بين السماء والارض ثم قال لى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت فى الكفارات والحدود ثم اشار بسياقها
الى قصة ابعد واغرب بقوله اذ قال ربك للملائكة ومما يؤيده قوله ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين فاصلا فى
البين فاذا سويته عدلت خلقه ونفخت فيه من روحى الاضافة للتكريم فقعوا له ساجدين من غير تراخ لم تذكر جواب الملئكة
لانه تكرر مرارا ولان مصب الغرض هنا حديث ابليس اشارة الى انه بمخالفته امرا من الاوامر جرى عليه ما تلى عليهم
فكيف بهم وهم متمردون فى الكفر وانواع المعاصى وايماء الى انه امامهم فى الدنيا لانه اول من سن العصيان وفى الآخرة

قائدهم الى النار فسجد الملئكة كلهم اجمعون التاكيد بكل واجمعين للمبالغة فى الاحاطة والشمول وقيل للدلالة على ان سجود
الكل كان فى زمان واحد وذلك لملاحظة المعنى الاصلى لفظ اجمع وان كان علما من اعلام التاكيد ولمناسبة المقام
لان الاحاطة على وجه الاجتماع فى زمان اتم واكثر مدحا للملائكة واشد تقريعا لابليس الا ابليس استكبر ترفع عن قدره
لم يذكر اباه لان الاستكبار يستلزمه وكان من الكافرين فى علم الله فى الازل او صار من الملئكة كافرا قال يا ابليس ما
منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ذكر اليد تمثيل وتصوير والتثنية للدلالة على كمال الاعتناء بشانه وان لو كان
خلقه مما يحتاج الى الجارحة واستعمال الالة لكان من العظم بحيث لا نزاول الابا ليدين استكبرت ام كنت من
العالين اى ترفعت من غير استحقاق ام كنت من العالين بعضا ناشيا بنفسهم معدودا من جملتهم قال انا خير منه خلقتنى
من نار وخلقته من طين هذه الشبهة الفاسدة لم يلاحظ شان الآمر وانه المالك المتصرف له ان يامر الاشرف
بخدمة الاخس وان الحسن ما حسنه والملئكة الذين هم الملأ الاعلى لم يتجسسوا عن حال المادة ولا نظروا فى
التفاضل بين الاصلين بل بادروا بعد الامر الى ما امروا به هذا وهم مخلوقون من النور وجواب ابليس اختيار للشق
الثانى ودعوى انه فى نفسه من العالين معللا بكونه مخلوقا من النار وقد بينا فساد تعليله فى الاعراف قال
فاخرج منها فانك رجيم مرجوم مطرود من دار الكرامة ومحل الانس لان العادة رجم المطرود بالحجارة او مرجوم
بالشهب وان عليك لعنتى البعد من جوارى ذكرها بعد الرجم اشارة الى كمال خسرانه ببعده من الله الى يوم الدين
الى انقطاع التكليف وحرف الغاية ليس للانقطاع بل لانه يرى بعدها من العذاب ما هو اطم قال رب فانظرنى
الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اجابه لسؤاله وانما عبر عنه باليوم المعلوم اشارة
الى ان ذلك كان فى علم الله قبل سؤاله بل فى الازل وقيل لم يجبه الى ما سئل اذ قصد ابليس ان يوم البعث لا موت
ينجو بنه قال فبعزتك بصفات جلالك التى انا من مظاهرها ومحل حلولها لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين قرأ نافع والكوفيون بفتح اللام وهو المختار قال فالحق والحق اقول بنصب الاسمين على ان الاول مفعول
مطلق اى احق الحق او على الاغراء اى الزموا او على حذف حرف القسم وايصال الفعل كقولك ان عليك الله ان
تبايعا توخذ كرها او ترد طايعا وجوابه لاملأن والثانى نصب باقول والجملة اعتراض بين القسم وجوابه توكيدا
وقرأ عاصم وحمزة الاول بالرفع مبتدأ خبره لاملأن او مبنى كقوله الحق من ربك او خبرا انا اى انا الحق نحو فذلكم
الله الملك الحق او قولى الحق نحو قوله الحق لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين توكيد للضمير
المجرور فى منهم على معنى انى لا ابالى بمن تبعك من الناس كائنا من كان وترك ذكر التابع من الشياطين اكتفاء
اذهم اولى بذلك من الناس لقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس او تاكيد لضمير منك اى من جنسك
او المجرور فى من تبعك فيشمل الكل والاول اوجه لان التفاضل بينه تعالى وبين ابليس انما هو فى شان عباده
الذين عادى اباهم ولعن لاجلهم قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين بان اتقول على الله وادعى شيئا
ليس عندى وليس الغرض من قوله هذا اعلامهم بفائدة هذا الخبر بل استشهاد بمعرفتهم حاله على صدق مقالته ان هو الا
ذكر للعالمين اى القرآن موعظة للثقلين وهذا ابلغ من قوله ذى الذكر فى اول السورة فانتظم الخاتمة مع
الفاتحة ولتعلمن نبأه بعد حين بعد الموت او قيام الساعة او ظهور الاسلام وفيه تهديد ووعيد شديد تمت
السورة والحمد لله **سورة زمر وهى اثنتان وسبعون آية مكية الا قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا الى ثلث آيات**
بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب مبتدأ اخبر عنه بقوله من الله العزيز الحكيم او خبر مبتدأ محذوف
اى هذا والجار صلة التنزيل او خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف او حال عمل فيه معنى الاشارة لان المقدر كالملفوظ والكتاب
على الاول القرآن لاطلاق اللفظ وفخامة المعنى وعلى الثانى السورة بقرينة الاشارة والاول اوجه لما ذكرنا
ولقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا به او بسبب اظهاره فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين عن شوب
الشرك والريا الا لله الدين الخالص اى تنبهوا ايها السامعون بان الدين يجب ان يخلص له الدين هولاء غير

ماذكر من اطلاق اللفظ وفخامة المعنى منه

لاتصافه بصفات الجلال والجمال والاطلاع على الاسرار والذين اتخذوا من دونه اولياء المستكن فى اتخذوا للموصول
وهم العابدون والخبر يقولون مقدرا قبل قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى او الخبر ان الله يحكم بينهم والقول
حال او الموصول للمعبودين والمستكن للمشركين وان لم يسبق ذكرهم لدلالة السياق والعايد الى الموصول محذوف اى الذين
اتخذهم المشركون اولياء وتعين ان الله يحكم بينهم للخبرية والقول المقدر حال وقيل بدل من الصلة وليس بذاك
اذ حذف البدل مناف للمقصود منه فيما هم فيه يختلفون اى العابدون والمعبودون واختلافهم انهم يلعنونهم ويتبرؤن
منهم وهم يرجون تقربهم الى الله او الفريقان من المؤمنين والكفار واختلافهم ظاهر والحكم بينهم ادخال المحق
الجنة والمبطل النار ان الله لا يهدى لا يوفق من هو كاذب كفار اى لا يهديهم والاتيان بالمظهر لتعليل الحكم واتيا صيغة
المبالغة فى الوصف الثانى لانه منشأ الاول لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اى لو اراد اتخاذ الولد
لامتنعت تلك الارادة اى تعلقها لان الاتخاذ محال والارادة صفة ترجح بعض الممكنات فحذف الجواب وجئ
بدله لاصطفى اشارة الى ان الممكن فى حقه هو هذا لان المخلوق لا يماثل الخالق فلا يتأتى التولد حقيقة فلو
هنا مثله فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ثم اشار الى دليل الامتناع بقوله سبحانه هو الله الواحد
القهار اى فلو كان له ولد لكان شريكا له ولكان جزءا منفصلا منه والواحد الحقيقى من كل جهة لا يعقل فيه
ذلك ولانه يماثل الوالد فى تمام الماهية فيمتاز كل منهما بتعين ولا يستند ذلك التعين الى الماهية والا انحصرت
فى فرد فيكون بسبب منفصل وهو عين الاحتياج تعالى عن ذلك القهار الذى لا يغالب وكل شئ تحت قهره
فينافى الزوال المحوج الى الولد الذى يقوم مقامه ثم بين ذلك بما لا مزيد عليه بقوله خلق السموات والارض بالحق
يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل التكوير اللف من كار العمامة وكورها لفها على راسه ولما كان الليل
والنهار خلفة يعقب كل منهما الاخر الاخر شبه احاطة كل منهما بالاخر اى بمكانه بان يصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض
مشرقا وبالعكس باللباس الملفوف على صاحبه او شبه تعقب كل منهما الاخر بستر الشئ الظاهر عن مطامح الانظار او لما
كر كل منهما على الاخر كرورا متتابعا كتتابع اكوار العمامة شبه به وهذا اوجه لاشتماله على الزيادة وهى الاطراد الدال
على كمال الاقتدار ولا يضر كون الاكوار فى العمامة متظاهرة وفيهما متعاورة وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل
مسمى منتهى دوره ومنقطع حركته الا هو العزيز الغفار لما كان الدليل الذى ساقه يحسم مادة توهم الولد بل
الشرك مشتملا على كمال الاقتدار مدمجا فيه معنى الرأفة بما اشار اليه من التكوير الذى هو مدار الراحة و
التكسب له بالوصفين ترغيبا للمذنب فى التوبة وترهيبا للمصر بالعقاب خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها
قدم دلائل الآفاق لكونها اظهر وقد تقدم دلائل الانفس لكونها اغرب وابدع باعتبار المقامات وفيها ثلث
دلالات الاول خلق ادم من تراب ولم يصرح به لشهرته الثانى اخراج حوا من ضلعه الاقصر وثم للتراخى
رتبة لان خلقها على النمط المذكور ابدع من تشعب الخلق الكثير من ام واب او عطف على مقدر اى خلقكم من
نفس واحدة خلقها ثم خلق منها زوجها وقيل خلقكم اشارة الى اخراجهم فى عالم الذر وخلقها فى هذا العالم
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج هى التى عدها فى الانعام من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضان
اثنين ومن المعز اثنين والانزال اما انزال الماء الذى هو سبب تعيشها او لان قضاياه تعالى توصف بذلك لانها
مسطورة فى اللوح او لانه انزل هذه الاجناس من الجنة والزوج اسم لكل شئ معه آخر من جنسه فاذا انفرد فهو فرد
ووتر يخلقكم فى بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر خص الانسان لانه المقصود ويعلم حال البواقى منه او هو
على طريق التغليب خلقا من بعد خلق بشرا سويا من بعد خلق عظام مكسورة لحما من بعد مضغ من بعد علق من
بعد نطف فى ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والبطن والرحم ذلكم الموصوف الله ربكم الذى اوجدكم
له الملك السلطان دون غيره لا اله الا هو فانى تصرفون كيف يعدل بكم بعد هذا البيان الى الشرك تعجيب ان تكفروا
فان الله غنى عنكم لان ذاته كافية فى كل كمال تعالى عن ان ينتفع بخير او يتضرر بشر ولا يرضى لعباده الكفر لكل عبد

فاذا القاضى

اما بان وصل بعض العضو وخلقت منه او بان اخرج الضلع منه وابدل بمكانه آخر منه

فان الرضى ايثار الشيء مع الاستحسان فهو اخص من الارادة يقابل السخط والارادة الكراهة فيهما غيران بالضرورة ثم
في العدول من الخطاب اشارة الى ان كونهم عبيدا له يقتضى ان لا يرضى لهم بذلك وانهم اذا اتصفوا بالكفر خرجوا عن ربقه
العبوديه ثم اشار الى مزيد الاختصاص بقوله وان تشكروا يرضه لكم قرا ابو عمرو في رواية السوسى وهشام
في وجه ونافع وبالضم والصله ابن كثير والكسائي وابن ذكوان والدورى في الوجه الاخر وهو الاصل لوقوع
هاء الضمير بين متحركين ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور
بمضراته واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه لا يخطر بباله غيره لزوال ما ينازع العقل ثم اذا
خوله اعطاه مالا او ملكه من الخول وهو العطاء الذي لا يقصد به عوض اذا كان له وقع لان اصله التعاهد والحفظ
يقال فلان خايل مال اذا اصلحه وقام بامره ومنه حديث ابن مسعود كان رسول الله يتخولنا بالموعظة كراهة السآمة
علينا او من الخول وهو الافتخار والكبر ومنه الخيال لانه لو وقع فيما لا حقيقة له نعمة منه كانه منه نسي ما كان
يدعو اليه من قبل قبل الضر الذي كان يدعو الله لكشفه او الله الذي كان يتضرع اليه وما اريد بها الصفة وجعل
لله اندادا ليضل عن سبيله تعليل للجعل وان لم يكن غرضا وقرا ابن كثير وابو عمرو يضل بفتح الياء والضم ابلغ
ذما اذ كل مضل ضال قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد لا يراد منه وجود الفعل انك من اصحاب النار اقناط
له عن نعيم الجنة امن هو قانت اناء الليل قايم بوظايف الطاعات في ساعات الليل لان القيام فيها اشق واسرا
بعد من الرياء واقرب الى الاجابة ام متصله ومعادلها محذوف لتقدم ذكر الكافر ولقوله قل هل يستوى الذين
يعلمون والاستفهام للتبكيت كانه بعد ما حض الموجب لاخلاص الدين له قال سلهم هل من آثر الكفر كمن قام بشكر
النعمة ويجوز ان يكون منقطعه كانه قال اعرض عن بيان الموجب لانه جلي وقل اهذا خير ام ذلك وقرا نافع وابن
كثير وحمزة امن مخففا على انها همزة استفهام دخلت على من الموصول والمعادل محذوف لما تقدم ساجدا وقايما
حالان يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه حال آخر واستيناف للتعليل قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون
اى هل يستوى القانت وغيره وانما اثر مافي التنزيل دلالة على ان ذلك مقتضى العلم وان العلم اذا لم يقترن بالعمل
ليس بعلم سواء جعل من اقامة المظهر مقام المضمر او استينافا لسوال بكيت ويجوز ان يكون على طريقة التشبيه اى
كما لا يتساوى بين العالم والجاهل فكذا بين القانت وغيره ولا ارتياب لهم في الثاني لانه مركوز في الطباع وقيل
همزة امن حرف النداء كانه قيل يا من هو قانت اناء الليل قل لهم هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون على
ان المنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم والوجه هو الاول لو فور فوايده انما يتذكر اولوا الالباب العقول الخالصة
من شوايب الوهم قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم اذ قد علمتم ان الطبايع ليس كالعاصى للذين احسنوا في هذه
الدنيا اى اخلصوا الدين لله فيها حسنة واى حسنة وارض الله واسعة اعتراض لدفع ما عسى يتعلل به المفرط انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب من تتمة الاعتراض كانه لما ازاح عليهم بان في ارض الله سعة حاول في خلدهم هل يمكن ان
يكون الانسان فارغ البال في غير بلد ترا جيبوا بان اجر الصابرين بغير حساب انما هو لا تكابد مشقة الهجرة ومفارقة
المحاب وعن السدى ان حسنة مبتدا وفي هذه الدنيا بيان وللذين احسنوا الخبر والمعنى ان لهم في هذه الدنيا حسنة
يسيرة هي الصحة والعافيه وتمام توفيقه الاجر في الاخرة قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين جواب لقريش
لما دعوه الى ملة عبد المطلب وامرت لان اكون اول المسلمين اى وامرت بذلك الاخلاص لاكون مقدما في الدنيا
والاخرة جايزا قصب السبق ويجوز ان يكون اللام مزيده يدل عليه قوله امرت ان اكون اول من اسلم او المؤمنون
اول المسلمين وفايدتها تاكيد الطلب والارادة ولا زاد الا مع ان جرها فات من الاصل او الاصل في المفاعيل صرايح
الاسماء والمعنى امرت ان اكون اول الدين دعوتهم الى الاسلام اسلاما ويلزم ان يكون اول مسلم في زمانه ومن
قومه واول من دعا نفسه الى ما دعي اليه غيره قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم بترك الاخلاص
قل الله اعبد مخلصا له ديني وليس فيه تكرار لان الاول للاخبار بانه مامور بالاخلاص والثاني امر بالاخبار باخلاصه

عن ابن عامر والدورى عن ابي عمرو في احد الوجهين باسكان الهاء
لما نقل الفراء ان العرب تسكنها الضمير اذا تحرك ما قبلها
وضم بلا صلة عاصم وحمزة وما نسم

كلمة قول السماء وما بينا ماجاء

رد على الكشاف حيث جعلها
وجتن ها استعدها

تعالى

تعالى به دون غيره ما شئتم من دونه امر تهديد كما تقدم قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة
اى ان الكاملين في الخسران الذين اوردوا انفسهم واهليهم في النار وخسروا اهليهم بان فارقوهم مفارقة لا رجوع
بعدها ان كانوا من اهل الجنة واهليهم في الجنة ان لو كانوا مؤمنين وفي الحديث ما من عبد الا وله مقعد في الجنة
ومقعد في النار الا ذلك هو الخسران المبين استيناف صدر بحرف التنبيه والمبتدا اسم الاشارة ووصف الخسران
بالمبين بعد توسيط الفصل وتعريف الخبر مبالغة في خسرانهم ثم زاد عليه بقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
اى يحيط بهم النار المتكاثفة من جميع الجهات واطلاق الظلل على الاطباق السفلى من اطلاق اسم الضد او المماثل لتساويهما
في الحرارة وقيل لانها ظلل لآخرين ويرد عليه اهل الدرك الاسفل مع ان التكاثف هنا اشد ذلك يخوف الله به
عباده اى ذلك العذاب المذكور يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون اى عبادي المؤمنين فاتقوا العذاب المعد
للكافرين والذين اجتنبوا الطاغوت اصله طغيوت او طغووت من الطغيان قدم اللام على العين فعلوت مبالغات
من حيث البناء والتسميه بالمصدر والقلب ذلا دصار اليه الا للمبالغة يطلق على الشيطان حقيقة لانه راس في
الضلال وعلى غيره مجازا ان يعبدوها بدل اشتمال وانابوا الى الله لهم البشرى اقبلوا اليه بشراشرهم لهم البشرى
من الله على لسان الرسل والملكة عند الموت فبشر عبادي الذين يستمعون القول اى فبشرهم واثار المظهر لبيان
تعدد موجب الاستحقاق فيتبعون احسنه اى احسن الجايزين باثار الراجح كالعفو على القصاص والاغضاء على
الانتصار والاخفاء على الابداء وحاصله حراص على ايثار الافضل فلا وصل نقاد وفيه تحقيق الانابة وعن
ابن عباس هو الرجل يسمع الحديث فيه الحسن وغيره فيحدث بالحسن ويكف عما سواه اولئك الذين هداهم الله
وفقهم لذلك الايثار ذكره امتنانا واولئك هم اولوا الالباب العقول الخالصة عن شوايب الوهم ثناء عليهم
بانهم لم يدنسوا الفطرة افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جمله شرطيه عطف مقدر اى
انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب افانت تنقذه وكررت بهمزة لتاكيد الانكار والاستبعاد لان الشرط
والجزاء جملة واحدة والاستفهام انما توجه الى مضامين الجمله ويجوز تنزيله على الجملتين تقديره افمن حق عليه كلمة
العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ من في النار على ان الثانية استيناف بدل على الجزاء المحذوف وحاصل
الوجهين من انه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخول النار اما لان ضلالهم موصل اليه او مثلت
حاله صلى الله عليه وسلم في المبالغة معهم بحال من يريد انقاذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف
من فوقها غرف وقصور عاليه يقابل لقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل مبنية محكمة لا كعلالي
الدنيا يكون اضعف من الاسافل تجرى من تحتها الانهار لان الماء الجارى جالب للسرور وعد الله مصدر
مؤكد لا يخلف الله الميعاد لانه كذب وعجز تعالى عنه وعن على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في
الجنة غرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها فقال له اعرابي لمن هي يا رسول الله فقال لمن اطعم
الطعام واطاب الكلام وصلى بالليل والناس نيام وعن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اهل الجنة يتراؤن اهل الغرف كما تتراؤن الكوكب الدرى في الافق الشرقي او الغربي فقالوا يا رسول الله اولئك
النبيون قال والذى نفسي بيده واقوام آمنوا بالله ورسله الم تر ان الله انزل من السماء ماء المطر او ساير المياه لما
روى انه منزل تحت الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه ينابيع في الارض ادخله في اعماق الارض حال كونه عيونا تجرى في
المجارى كالعروق في الجسد ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه واصنافه من بر وشعير وساير الحبوب او اشكاله وهيآته
من السواد والبياض ثم يهيج ييبس فتراه مصفرا من غاية اليبس ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى
تذكره يدل على ان للعالم صانعا مدبرا او على ان هذا مثال الدنيا وسرعة زوال نعيمها فيكون تنفيرا عنها بعد
الترغيب في الاخرة لاولى الالباب اذ غيرهم لا يتذكر افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه اشارة
الى علة عدم قبول المشركين ما يدعوهم اليه من الايمان وان ذلك ليس لقصور ولا لغى وفتور في المبلغ بل لما استأ

رد على الكشاف والقاضي

بناء فعلوت للمبالغة كالرحموت والرهبوت

رواه الترمذي

في الدلائل

الله به من الهداية وفي الحديث ان الله خلق الخلق في الظلمة ثم القى عليهم نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى
ومن اخطاه غوى وشرح الصدر كناية عنه لانه محل القلب الذى به الادراك واليه اشار بقوله اذا دخل النور
القلب انشرح الصدر فقيل هل لذلك علامة قال بلى التجافي من دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتاهب لما بعد
الموت وهذا مثل امن هو قانت في حذف الخبر والدال عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله في اسناد شرح
الصدر اليه تعالى والقسوة الى قلوبهم اشارة الى سبق رحمته اولئك في ضلال مبين ظاهر بادي التامل نزلت
في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه ملوا يوما فقالوا حدثنا يا رسول
الله فنزلت ثم ان ايقاع اسم الجلالة مبتدا وبناء نزل عليه دليل على احسنيته لصدوره ممن لا نتصور احمل منه فهو احسن
حديث صدر من كل متكلم كتابا متشابها بدل من احسن اى متشابها ابعاضه في الصحة او الاحكام والبناء على الصدق
والحق ويناسب الالفاظ وبجاوب النظم وتالفه في الاعجاز مثاني جمع مثنى من التثنية او مثنى مفعل من التثني
لان اقاصيصه واحكامه ومواعظه تتكرر في اساليب مختلفه وفيه رمز الى نوع اعجاز وذلك ان كل حديث
اعيد يسمج في المسامع بخلاف القران فانه كلما اعيد حلا وازداد تجملا فكان الوصف به مؤكدا لاحسنيته او
جمع مثنية لاشتماله على الثناء على الله والرسل والملئكة والمؤمنين وانما وصف الكتاب باعتبار تفاصيله لقيام
المعنى بها لا بالجملة ويجوز ان يكون مثاني بيانا لمتشابها لقولك رايت رجلا احسن شمائل فيعتقد التشابه والاول املا
معنى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تصوير للخوف بذكر آثاره وتشبيه حاله باخرى على طريقة التمثيل او ذكر لانه
لازمه او هو تحقيق الواقع وانهم اذا سمعوا تلاوة القران يعتريهم تلك الحالة والاقشعرار انقباض الجلد ووقف الشعر
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الى رحمته الواسعة وانما لم يذكر لاشتهاره تعالى بسبق الرحمة فلا تسبق من ذكره
الله الى الخاطر غيرها وقد دل عليها لين الجلود والقلوب ايضا وانما لم يذكر القلوب اولا لان اقشعرار الجلد منشاؤه خشية
القلوب وقدم الجلود ثانيا اشارة الى فرط رحمته وشدة سرايتها ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ذلك الكتاب
والمنعوت نفس الهداية التي يوفق الله بها كقوله هدى للمتقين وفي اشار من يشاء الى الضمير تفخيم لشانهم كانهم ممتازون
من ساير العباد وكونهم مصب المشية ومن يضلل الله فما له من هاد اذ خلاف مراده محال افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
مثل آخر للمؤمن والكافر كقوله امن هو قانت وقوله افمن شرح الله والمقابل محذوف للعلم به اى كالامن وذكر الوجه
لان الكافر يلقى في النار منكوسا مغلولة الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه يوم القيمة متعلق بيتقي او هو من
تتمة سوء العذاب والمعنى افمن يتقي عذاب يوم القيمة كالمصر على الكفر ويجوز ان يراد بالوجه الجملة والاصل العذاب
السوء وصفا بالمصدر ثم قدم الوصف واضيف مبالغة وقيل للظالمين يقال لهم واثار المظهر للتسجيل عليهم والاشعار
بالموجب والواو للحال ذوقوا ما كنتم تكسبون اى وباله كذب الذين من قبلهم شرع يهددهم بعد ضرب الامثال وشرح
مباينة الاحوال وما للكفار من الويل والاهوال كانه يقول ان لم يكن لهم قلوب يعقلون بها فلا اقل من ان يدركوا المحسوس
فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاجاءهم بغتة من جهة لا يتصورون مجيئه منها وذلك افظع لان توطين النفس على
الشدة قبل اللقاء مما يهون فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا بالقتل والسبي والخسف وغيرها ولعذاب الآخرة اكبر
لو كانوا يعلمون اولئك او هؤلاء لاعتبروا ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل مما يحتاج اليه تتميم لما تقدم
من الامثال وتمهيد لما سيضربه لعلهم يتذكرون لان المثل يجعل المعقول كالمحسوس قرانا عربيا حال مؤكدة لان ذكر
الموصوف للتمهيد كانه قال عربيا محققا غير ذي عوج لا عوج فيه بوجه قط لانه في سياق النفي ولذلك اوثر على مستقيما
وغير معوج ولاختصاصه بالمعاني لعلهم يتقون بعد ذلك التذكر ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سلما لرجل ارشدهم الى طريق المحاجة والتبكيت في اوانها فكانه قال اضرب لقومك هذا المثل وقل لهم ما يقولون في
عبد مشترك بين شركاء مختلفين فيه متغالبين فيه يسعى في خدمة كل منهم على حسب اغراضهم ثم هو مع هذا التعب متحير
في شانه لا يدرى على من يعتمد وممن يطلب مؤنته فهو ابدا ضايع على اغر الحال مضطرب فيه شعاع وقلبه اوزاع واحد

بالظلم

لواحد من غير شركة فيه فهو فارغ البال رضي الحال احواله مضبوطة ومقاصده بالنجاح منوطة فهذا مثل من ثبت
آلهة شتى يتغالبون فيه فلا يدرى على ايهم يعتمد ولا احد منهم يغنيه يقوم بامره ولا من لا يثبت الا الها واحدا يقوم
بما كلفه به والمولى راض عنه ملاحظ له بعين عنايته قرا ابن كثير وابو عمرو سالما بالف بعد السين اسم فاعل اى
خالصا عن الشركة والباقون بفتح اللام من غير الف مصدر بمعنى الخلوص اما بتقدير مضاف وجعل عينه مبالغة
كرجل عدل وعليه الرسم هل يستويان مثلا نصب على التميز اى هل يستوى المثلان مثلين كلا لا يستويان وهم معترفون
بذلك فهم اذا محجوجون مبكتون ثم الحمد لله اى قل الحمد لله على ما انعم عليك بل اكثرهم لا يعلمون انك لم تحمد الله اولا
يعلمون ان المحامد مختصة به لا يشاركه فيها احد انك ميت وانهم ميتون اثر الميت على المايت مع ان المعنى
على الاستقبال لان من كان الموت طوق عنقه فحيوته عين موته وان طال المدى ثم انكم يوم القيمة غلب المخاطب
عند ربكم تختصمون بالبرهان على انك اجتهدت وبالغت ويعتذرون بالاباطيل البحتة مثل قولهم انا وجدنا اباءنا وقولهم
انا اطعنا سادتنا وكبراءنا وقيل الاختصام اعم من ان يكون بينه وبينهم او بين المؤمنين والكفار او المؤمنين
بعضهم مع بعض وهذا منقول عن جل الصحابة والتابعين وذلك لان ضرب المثل للتبيين ولعموم الموت والتقييد في
قوله بل اكثرهم واما قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق وقوله والذى جاء بالصدق انما يدل على دخوله
معهم دخولا اوليا والكذب على الله بنسبة الولد اليه والصدق ما جاء به محمد جعل نفس الصدق مبالغة اذ جاءه
من غير تامل بل عنادا ومكابرة اليس في جهنم مثوى للكافرين فهو كاف لهم مجازاة والذى جاء بالصدق وصدق به
هو رسول الله صلعم وقيل وصدق به ابو بكر وفيه ان تقدير الموصول غير جائز ويجوز ان يكون يراد الجنس او يقدر قبله
فوج او فريق والاحسن ان يراد رسول الله والاتباع يدخل بدلالة السياق كقوله ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم
يهتدون لهم ما يشاؤن عند ربهم من انواع الكرامة ذلك جزاء المحسنين كل محسن ليكفر الله عنهم اسوء الذى عملوا
ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون اضافة الاسوء والاحسن من اضافة الشيء الى ما هو بعض منه كاعلم قريش والاشج
اعدل بني مروان من غير مشاركة المضاف اليه في اصل المعنى مع قصد التفضيل على معنى ان الزلة المكفرة عندهم
هو الاسوء لاستعظامهم المعصية والحسن الذى يعملونه هو الاحسن عند الله حيث جازاهم على الحسن بجازاته على
الاحسن اليس الله بكاف عبده رد لمقالة المشركين حيث زعموا ان محمدا سيصيبه آفة لذمه آلهتهم همزة الانكار دخلت
على النفي فافادت تقرير الاثبات اى كاف وقرا حمزة والكسائي عباده اى الانبياء كلهم او رسول الله واتباعه و
الافراد اوفق بقوله ويخوفونك من دونه وقوله انا كفيناك ومن كفايته كفاية امته فهذا هو الوجه وعليه
الرسم ويؤيده انها نزلت حين ارسل خالدا لكسر العزى فقال له سادنها احذرك يا خالد ومن يضلل الله فما له من
هاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لقضائه ولا شيء دون ارادته اليس الله بعزيز غالب ذى انتقام من
اعدائه فما لهم يخوفونك بعد علمهم بهذا ثم استدل على ذلك بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله لا يقدرون على غير هذا القول قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته اى تقرون بانه المتفرد بالخلق فاخبروني عن حال آلهتكم ان اراد
ذلك الموصوف المتفرد ايصال ضر او خير الي هل تقدر على منع شيء من ذلك وانما انث الضمير بعد قوله بالذين من
دونه تحقيرا وتبعيدا عن رتبة الضر والنفع لان الانوثة تنبئ عن الرخاوة والعجز وتقديم وتقديم الضر لان دفعه
اهم واهون وقرا ابو عمرو كاشفات ممسكات منونا ناصبا ما بعده لانه اسم فاعل معتمد على صاحبه روى انه لما قاله
عليهم سكتوا فنزل قل حسبي الله اى كافيني عليه يتوكل المتوكلون لتفرده بايجاد الضر والنفع قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم المكانة ترادف المكان شاعت في الاحوال والرتب استعارة محسوس لمعقول وقرا ابو بكر بالجمع للتوزيع اني
عامل لم يقل على مكانتي لتقابل به مكانتهم لعدم استمراره على حال بل شانه في التزايد كل يوم وقد دل عليه قوله
فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه في الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم دايم في الآخرة فانه اشارة الى كونه منصورا

مظهر دين الله على الدين كله انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجل نفعهم بالحق بالتوحيد والدين فمن اهتدى
فلنفسه اذ نفعه لا يتجاوزه ومن ضل فانما يضل عليها كذلك وما انت عليهم بوكيل بمسلط تجبرهم كان عليك
البلاغ وقد تمت به قيام الا بدا الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها تقريرا لما تقدم من تفرده
بالالوهية واشارة الى ان الاضلال والهداية كالاحياء والاماتة لا تقدر عليهما غيره والنفس يرادف
الروح وهي الجسم النوراني في البدن باتصاله الحيوة وبانفصاله الممات فان قلت التوفي اخذ الشيء كملا فكيف يستقيم
في النائم والميت في عدم الحس والارادة سواء وبقاء التعلق لا يمنع ذلك الاطلاق وما روى عن ابن عباس
ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فبالنفس التعقل والتميز وبالروح التحرز فالمقبوض عند النوم
النفس دون الروح لم يوافق عليه دلالة في ذلك البرهان والله اعلم بصحة النقل عنه فيمسك التي قضى عليها
الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى الوقت المضروب لموته وقرأ حمزة والكسائي قضي على بناء المجهول ان في
ذلك لآيات لقوم يتفكرون في نوعي الاماتة والامساك والارسال ام اتخذوا من دون الله شفعاء تشفع لهم
قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي ويشفعون ولو كانوا جمادات لا قدرة ولا علم لها قل لله الشفاعة
جميعا لا يملكه احد منها شيئا الا باذنه كانوا يقولون ان الاصنام تماثيل لاناس مقربين عند الله والملائكة
رد ذلك بان اولئك ايضا لا يملكون شيئا من الشفاعة لاختصاصه به تعالى له ملك السموات والارض تقرير لذلك
الاختصاص ثم اليه ترجعون يوم القيمة وله الملك في ذلك اليوم على ابلغ وجه لانقطاع التعلقات كلها لقوله لمن
الملك اليوم واذا ذكر الله وحده اشمأزت انقبضت من التوحيد من شمز همز نزايده وعن ابي زيد اشماز ذعر
قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه مما تعبدونه اذا هم يستبشرون فاجاؤا الاستبشار
وامتلأوا سرورا لشدة غفلتهم واغراقهم في الكفر حتى لم يوازوا مبدع الكائنات بتلك الجمادات قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة بلغ غلوهم في الكفر وشدة شكيمتهم الى ان لم يبق الا الالتجاء
الى رب العباد بان يحكم بينه وبينهم وفيه اشارة الى ان ما يتقي به من بذل المجهود وبلوغه اقصى الغايات بمكان
عند الله حيث امره بهذه المقالة انت تحكم بين عبادك في ايثاره على قوله احكم بيني وبينهم مبالغة اخرى وكذا
في اجراء الاوصاف الدالة على كمال الاقتدار واحاطة علمه بالجبابرة ايماء الى الانتصار والبطش الشديد فيما كانوا
فيه يختلفون من التوحيد والشرك او الحق والباطل ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة اجابة لدعائه بانه قد اعد لهم عذابا لو كان لاحدهم الدنيا ومثلها معها وافتدى
نفسه بها لم يقبل منه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من العذاب الذي لم يخطر على قلب بشر كما لاهل
الجنة ضد ذلك وقيل من اعمال عملوها على انها حسنات فاذا هي سيئات قال ابن دريد يقال اصبت كذا اجرا
عند الله وبدا لهم سيئات ما كسبوا من اعمالهم حين عرضت الصحائف او جزاؤها كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا للكشف والعطف بالفاء دون ما
تقدم اول السورة لتسببه عما قبله كانه قال اذا ذكر الله وحده اشمأزوا واذا مسهم ضر والم دعوا الله الذي كانوا
يشمئزون من ذكره ونسوا ما كانوا يستبشرون بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة
منا كانه منا تفضلا ويحقق معنى التخويل تقدم في اول السورة قال انما اوتيته اي ذلك الحظ من النعمة وما في انما
موصولة والضمير لها على علم مني لوجوه كسبه او باني ساعطاه لما في من الاستحقاق او لعلمه تعالى بذلك
بل هي فتنة ابتلاء وامتحان ليمتاز الشاكر من الكافر وتانيث الضمير باعتبار اللفظ او الخبر كقولهم ولكن اكثرهم
لا يعلمون ذلك دليل على ان الانسان للجنس والاكثر بمعنى الكل كالقليل بمعنى المعدوم قد قالها الذين من قبلهم
اي مقالة مثل مقالة هؤلاء وهم قارون والذين قالوا نحن اكثر اموالا واولادا فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من
تلك الاموال فاصابهم بعد تلك المقالة عن قريب سيئات ما كسبوا جزاؤها والذين ظلموا من هؤلاء المشركين

سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وما هم بمعجزين الله اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر باعتبار
الاوقات فدل ذلك على ان البسط ليس لذاته وانما هو بمشيته تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان المؤثر في
الكائنات هو وحده ولما شدد في الوعيد وهدد اورد ما يدل على رحمته الواسعة كل شيء لسابقة غضبه بان امر
رسوله بان يسكن خوف المؤمن والكافر بقوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الظلم جانيين عليها لا
تقنطوا من رحمة الله روى البخاري ومسلم ان ناسا من اهل الشرك كانوا قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا قالوا يا محمد
ان ما تدعوا اليه لحسن لو علمنا ان لما عملناه كفارة فنزلت فسقط ما قيل ان اضافة العباد اليه يخصص بالمؤمنين ثم توسيط
ان الله يغفر الذنوب جميعا مصدرا باسم الجلالة الدالة على الالوهية المستلزمة للغنى المطلق وانه لا يبالي في كل ما
يفعل ويحكم بين المعطوف والمعطوف عليه وتعقيبه بقوله انه هو الغفور الرحيم الدال على انحصار الغفران والرحمة
فيه مع كون الجمع المحلى باللام مفيدا للاستغراق نص على ان شرط التوبة كلام من حاد عن الحق هذا وله نظاير كقوله
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتقييد المشبه بالتوبة كنسج
العنكبوت وقرأ ابو عمرو والكسائي لا تقنطوا بكسر النون وقد تقدم انهما لغتان وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل
ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اي توبوا الى الله واخلصوا له العمل قبل فوات وقته لان مغفرته لغير التائب ليست
بلازمة والعاقل يفر من مظان الخطر واتبعوا احسن ما انزل اليكم القرآن لانه احسن الحديث او الناسخ منه او المامور
به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص من ربكم من سيدكم المربي لكم بالارشاد الى الكمال من قبل ان ياتيكم
العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه ان تقول نفس كراهة ان تقول والتنكير لان القائل بعض النفوس وهي الكافرة
او النفس الممتازة بشدة الكفر او عظم العذاب او للتكثير يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله في طاعته مستعار من
الجارحة لما يلزم الشيء كقول سابق البربري اما تتقين الله في جنب عاشق له كبد حرى عليك تقطع وان كنت لمن الساخرين
كانه قال فرطت وانا ساخر والواو للحال او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين الشرك والمعاصي او تقول حين
ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين ثم وجه هذا الترتيب ان النفس اذا رات اهوال يوم القيمة عند تطاير
الصحف ومجازاة الناس باعمالهم تتحسر على التفويت ثم تتعلل بان التقصير لم يكن منها ثم يتامل في ان هذا لا يجدي نفعا
لوقوع التقصير منها فاخذ في تمني الرجوع واذا تقرر هذا علم ان او هنا مثل او في او كصيب دلالة على ان كل واحد
يكفي صارفا عن الكفر وداعيا الى اتباع احسن ما انزل بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين
رد للقرينة الثانية وهي قوله لو ان الله هداني وانما فصل عنها لئلا يتفكك نظم القرائن ولو اخرت الثانية لاختل
الترتيب الذي عليه الوجود كما تقدم آنفا وتذكير الخطاب على ارادة الشخص ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله
كل كذاب على الله وجوههم مسودة جملة موضحة لحال من تعلق به او حالية وقيل في محل النصب مفعول ثان لان
الرؤية رؤية القلب وفيه ان الغرض بيان فضاحتهم فلا تلايم رؤية القلب اليس في جهنم مثوى للمتكبرين اي لهم وابراز
المظهر للاشعار بالعلية والاستفهام للتقرير وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم بفلاحهم اسم مصدر من فاز بكذا ظفر به او
اسم مكان بمعنى النجاة لان النجاة من اعظم الفلاح او المراد العمل الصالح او الايمان من اطلاق اسم المسبب على
السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بصيغة الجمع المطابقة للمضاف اليه لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون استيناف لبيان
الفوز على الوجه الاول حال على الثاني الله خالق كل شيء عاد الى ادلة التوحيد بعد توفية مقام الوعد و
الوعيد حقه وهو على كل شيء وكيل حافظ رقيب له مقاليد السموات والارض كناية عن كونه مالك الامور فيهما
بيده ازمتها لان حافظ الخزائن هو الذي بيده مقاليدها جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كالمذاكير جمع ذكر
وقد روى ابن ابي حاتم عن عثمان انه سال رسول الله عن المقاليد فقال له يا عثمان ما سألني احد قبلك هي لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده
الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ولعل المراد ان من يجري بها فاضت عليه سجال نواله والذين كفروا بآيات الله

رد على الصاحب

الرؤية

ردعا

رد لقول الكشاف

اولئك هم الخاسرون متصل بينجي الله الذين اتقوا والتقدير وينجي الله المتقين والذين كفروا بايات الله اولئك المخصوصون
بعدم النجاة او بما يليه كانه قيل له مقاليد السموات والكافرون يجحدون ذلك اولئك هم الخاسرون وهذا احسن
لغرابته ولان قوله وينجي الله متصل بقوله ويوم القيمة ترى الذين كذبوا فلا يحسن ان يقال بعده والذين كفروا كذا وكذا
والمراد بايات الله دلائل قدرته قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اى اترون هذه الدلائل فغير الله تامروني
اعبد وانتصاب غير اما باعبد وتامروني اعتراض والمعنى افغير الله اعبد بامركم ولولا هذا التقرير لما صح لان ما
في حيز المصدر لا يتقدمه او بما دل عليه تامروني اعبد اى تعبدونني بمعنى تقولون لي اعبد غيره والاصل ان اعبد فحذف
ان كما في قوله الا ايها الزاجري احضر الوغا قرأ نافع تامروني بنون واحدة اكتفاء بها وابن عامر بنونين الاولى نون الاعراب
والاخرى نون الوقاية والباقون مشددا بادغام الاولى في الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك من الرسل
لئن اشركت ليحبطن عملك اللام الاولى موطئة والثانية لام جواب القسم الساد مسد الجوابين وهذا كلام على سبيل
الفرض في الرسل لايقاظ المؤمنين واقناط الكفار والمعنى اوحي اليك والى كل واحد من الرسل هذا القول لئن
اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين لحبوط عملك ولتكونن مقيد بالموت عليه لقوله فيمت وهو كافر او
الدنيا بعد الكفر اتفاقا والسابق عليه ايضا عند طائفة والقول بان هذا من خصايصهم لا سند له مع فوات الغرض و
هو تحذير الامة بل الله فاعبد رد لما كانوا يدعونه اليه من استلام اوثانهم اى اقصر عبادتك عليه وكن من الشاكرين
على هذا التوفيق وما قدروا الله حق قدره من عرف قدر شئ عظمه على حسبه فعبر عن اللازم بالملزوم ثم نبه
على عظمته وكبريائه بقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولما دلت البراهين على تنزهه
عن الجارحة والقبض بها فاما ان يؤول المفردات بمعان مجازية تناسب المقام او يؤخذ زبدة الكلام من غير التفات
الى المعاني الحقيقية ولا المجازية بان يراد كمال اقتداره وتحقير الافعال العظام التي يتحير فيها الافهام والاوهام بالنسبة
الى قدرته على طريقة التمثيل والتخييل فان قلت اللفظ المستعمل في المعنى لا يخلو عن كونه حقيقة او مجازا فما وجه
ما ذكرته قلت المراد عدم الالتفات الى معاني المفردات بالنظر الى الموصوف المجرى عليه وهو الله تعالى شانه اخذا
بزبدة الكلام ولا تقدح ذلك في استعمال المفردات في احد المعنيين من حيث هي والارض اى الارضون السبع لقوله
والسموات ولاقتضاء المقام ذلك ولذلك اكد قبل مجئ الخبر بقوله جميعا ومنه يظهر ضعف ارادة الابعاض البالية
والعامرة قبضته والقبضة مرة من القبض اطلق على المقبوض تسمية بالمصدر كما روى انه صلى الله عليه وسلم نهى عن
خطفة السبع ولقولهم الجزور كله لقمان واشار لفظ اليمين في السموات لدلالته على زيادة الاقتدار الملايم لطيهن
روى البخاري باسناده الى ابن مسعود رضي الله عنه ان حبرا من الاحبار اليهود قال يا محمد ان الله تعالى
يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والماء على اصبع والثرى على اصبع والخلايق
على اصبع فيقول انا الملك فضحك رسول الله ثم قرأ الاية سبحانه وتعالى عما يشركون به من الجمادات ما ابعد
ما راموا بعبادته مالم يبق ريبة في ادلة التوحيد بضرب الامثال في طرق شتى حتى وضح الصبح لذي العينين شرع
في المقصود وهو بيان كيفيته ووقوعه وما فيهما من الاهوال بقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات و
من في الارض الا من شاء الله هذه هي النفخة الاولى التي يموت فيها كل حي الا الحي القيوم وقيل هي الثانية
لمغايرتها نفخة الفزع والمستثنى جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يموت ميكائيل واسرافيل ثم جبرائيل
وملك الموت فانهما متقدم خلاف وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام لما تقدم في سورة النمل ثم نفخ
فيه اخرى وهي نفخة البعث فاول من يحيي بعد الصعق اسرافيل صاحب الصور والعطف بثم لما روي
ان بين النفختين اربعين يوما فاذا هم قيام ينظرون ينظرون ما يفعل بهم او يقلبون ابصارهم وجيه كالمبهوت
واشرقت الارض بنور ربها عبر عن الحق والكتاب والدليل بالنور الذي هو الظاهر في نفسه المظهر لغيره وقد
استعير هنا للعدل الذي يقيمه في ذلك اليوم وقد دل على ذلك اضافته الى اسمه ثم اضافة اسمه الى الارض اذ نشر

قائله الكسائي والعاصي

الاستلام هو التقبيل والاشان باليد من السلام وهو الحجر منه

قائله العاصي

هو بالخطفة من اعضاء الحيوان فانه في حكم الميتة منه

هو لعمان بن عاد صاحب النسور منه

الساعة

العدل

العدل وبسطه رونقها وكما افتتح الاية ختمها بنفي الظلم ولقوله صلى الله عليه الظلم ظلمات يوم القيمة ولان ما
عطف عليه من وضع الكتاب وما بعده تفاصيل العدل وملايماته وقيل هو عرض يخلقه في الارض من غير شمس
ولا قمر وقيل هو نور التجلي الجلالي او الجمالي باعتبار الاوقات ووضع الكتاب ديوان القضاء وهو اللوح المحفوظ
فيه كل حركة وسكون او كتاب الحفظة واكتفى باسم الجنس وجئ بالنبيين والشهداء المؤمنين من امتهم يشهدون لهم
بالتبليغ او الكتبة او من استشهد في سبيل الله فانهم كانوا حول العرش طائفين متقلدي السيوف فيحضرون ذلك
اليوم وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقضي بينهم بالحق بين العباد وهم لا يظلمون بنقص حق او زيادة
عقاب ووفيت كل نفس ما عملت جزاؤه تقريرا لما تقدم لان القضاء بالحق لا يكون الا كذلك وهو اعلم بما يفعلون
من الاعمال وصفاتها من الاخلاص والرياء وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ساقتهم الملئكة بعد القضاء الى
جهنم سوق الدواب بالعنف عطاشا عميا والزمر جمع زمرة لجمع القليل شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل
المروة ولعله بالنظر الى الجمع والمراد طوايف الكفار مع ما عبدوه يتبعونه الى النار بذلك ورد الحديث حتى اذا
جاؤها فتحت ابوابها حين وصولهم بلا لبث وقال لهم خزنتها على وجه التوبيخ الم ياتكم رسل منكم من جنسكم استفهام
تقرير يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اى لقاء ما فيه من الجزاء وفيه دليل على ان لا تكليف
قبل البعثة قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين اى علينا وذكر المظهر للاشعار بالعلية والكلمة قوله
لاملأن جهنم اعترفوا بان لم يكن للرسل تقصير ولا في الايات من خفاء وانما الصارف القضاء الازلي الذي لا
يتبدل قيل ادخلوا ابواب جهنم طبقاتها تقدر مراتبهم في الكفر والقائل تهويلا اذ من حقهم ان تقول لهم اى سبع
هذا القول كل قائل خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين جهنم اللام للجنس لان كل من ستر الحق وانكره
فهو متكبر وفي الحديث التكبر هو الترفع على الناس وغمط الحق وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا طوائف
النبيين والشهداء والعلماء والزهاد وسوق هؤلاء سوق مراكبهم ليصلون الى الحور والقصور سريعا كما كانوا يسارعون
الى الخيرات حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وجدوها مفتحة الابواب قبل مجيئهم اكراما واجلالا كما ترى الملوك في
الدنيا كذلك وقال لهم خزنتها سلام عليكم امن من كل مكروه طبتم فادخلوها خالدين اى طهرتم عن الذنوب
فادخلوا طبقاتها على مراتبكم وترتب الدخول على الطيب والطهارة اشارة الى انه لا يدخل الجنة الا من طهر عن
دنس الاثام اما ابتداء او بالتوبة او بالشفاعة او بعد تمحيص الذنوب ويجوز ان يكون دعاء من الملئكة كما يقول لمن
يكون في سرور طاب عيشك وقالوا الحمد لله تلذذا لا تعبدا الذي صدقنا وعده بقوله ان المتقين في جنات واورثنا
الارض ارض الجنة ترابها المسك نتبوأ منها حيث نشاء لغاية اتساعها فنعم اجر العاملين الجنة من كلام الله
او من كلامهم بعد الدخول وترى الملئكة حافين من حول العرش محدقين به دايرين حوله اجلالا من مزيدة
يسبحون بحمد ربهم ملتبسين به حال اخرى او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين في طوافهم صفات جلاله وجماله وقضي
بينهم بالحق اى بين العباد كلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اعاده لان الحمد الاول على التفريق بينهم في الوعد
والوعيد والسخط والرضا وهذا على التفريق في الابدان فريق في الجنة وفريق في السعير وقيل القضاء
الثاني بين الملئكة والحمد منهم على تخصص كل منه بمنزلته ومقامه اللائق به والقائل هو المقضي بينهم او الكون
كله ولذلك ابهم تمت سورة الزمر والصلوة على خير البشر واصحابه اشرف الزمر من اهل المدر والوبر
سورة المؤمن مكية آيها اثنان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم امال الحا حمزة والكسائي
وابو بكر وابن ذكوان لان الفها تنقلب ياء في التثنية اسم للسورة امتنع صرفه للعلمية والتانيث او للتركيب والعلمية
او لكونه على وزن العجمي كقابيل وهابيل او حروف مقطعة واما امالة الصغرى ابن عمران في رواية ابن ذكوان وعاصم درش وابو عمرو
في رواية شعبة وحمزة والكسائي تنزيل الكتاب خبر حم او مبتدأ خبره من الله العزيز العليم ايثار الوصفين للدلالة
على ان من يجادل اياته جاهل مقهور غافر الذنب وقابل التوب الايمان بالواو للدلالة على ان التائب فايز بالطلبتين

غفران الذنوب وقبول التوبة الذى هو من اعظم المقاصد ولا يمنع ذلك غفران غير التائب والتوب مصدر كالتوبة
وقيل جمعه والاضافة حقيقية لارادة الاستمرار شديد العقاب اضافته لفظية نعم تنكيره لدلالته على زيادة
الانذار كقوله عند مليك مقتدر لكمال الاقتدار اى لا يوصف ملكه ولا كنته اقتدار فهو بدل على ما نقل عن الزجاج
وحده او الكل ابدال ووصف بنية اللازم كما قال الخليل في قولك ما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل كذا انه على نية
اللام ذى الطول الفضل الوافر من الطول بالضم اطول الامتداد وفي توحيد صفة العذاب وتكثير صفات الجلال
دلالة على غلبة رحمته وانها مغمورة بها لا اله الا هو الاذلت الموصوف اليه المصير للجزاء لا الى غيره فلا تعبد غيره وما
يجادل في ايات الله الا الذين كفروا بعد ما بين ان القرآن تنزيل من الاله الموصوف بالجلال والجمال اشار الى ان ان جدال
المجادل فيه كافر واراد الجدال بالباطل لقوله وجادلوا بالباطل ولقوله صلى الله عليه ان الجدال في القرآن كفر اراد نوعا
منه وهو المراء واما الجدال فيه لايضاح مشكله وازاحة الشبه وتكثير الفوايد واستخراج الفرايد فهو شان رسول
الله والراسخين في العلم فلا يغررك تقلبهم في البلاد في رحلتي الشتاء والصيف الى الشام واليمن بالتجارات
النافعة والمكاسب المربحة والفاء لسببية ما قبله اى اذا تبين انهم كفار عند الله فلا ينبغي لاحد ان يلتفت الى
ما هم فيه من الحطام اولك ايها الرسول كقوله فلا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم كذبت قبلهم قوم
نوح رسولهم كما كذبوك هؤلاء والاحزاب من بعدهم الذين تحزبوا على الرسل كعاد وثمود وفرعون وهمت كل امة
برسولهم لياخذوه قتلا او اسرا يقال للاسير اخيذ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ليزلقوه عن مقره وفي لفظ
الحق اشارة الى عدم امكان ادحاضه فاخذتهم اى لم يتم لهم ما راموه وبسبب ذلك لاخذى اياهم جزاء تشكلا لما
هموا به فكيف كان عقاب تعجبوا منه ايها السامعون فانكم قد شاهدتم تلك الاثار وفيه مزيد تسلى رسوله بانهم
ماخوذون عما قليل وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا قضاءه انهم اصحاب النار بدل من كلمة والمعنى كما
ثبت للكفار العذاب المستاصل في الدنيا كذلك ثابت لهم عذاب النار والموصول معهود وهم كفار قريش واللام محذوف
من ان وذا اشارة الى الامم المتحزبة اى كما حق اهلاك اولئك فكذلك اهلاك هؤلاء لانهم معاندون مجادلون
بالباطل هامون باخذك فالعلة متحدة وانما لم يعلل بتلك الصفات لان كونهم اصحاب احرها ونتيجتها الذين يحملون
العرش ومن حوله وجه اتصاله بما تقدم هو ان الجامع بين من يجادل من هؤلاء وبين الاحزاب الكفر وبين هؤلاء
الملئكة المقربين وبين المؤمنين هو الايمان يسبحون بحمد ربهم تقدسون عما لا يليق بكبريائه مثنين عليه وبكل كمال وانما
جعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح لانهم مظهر الجمال ويؤمنون به حامل العرش الحمد
الحامد لا يكون الا مؤمنا وانما ذكر لاظهار شرف الايمان والدلالة على ان ايمانهم وايمان غيرهم سيان في كونهما بالدليل
والبرهان دون المشاهدة والعيان والمانع خارج عن الطريق السواء ويستغفرون للذين آمنوا ربنا قائلين ربنا وسعت
كل شيء رحمة وعلما توسلوا اليه برحمته الواسعة وعلمه الشامل وجعلوهما تمهيدا لما طلبوه بقولهم فاغفر للذين
تابوا اى رحمتك واسعة وعلمك محيط بما اخفوا وما اعلنوا وهما يقتضيان ذلك وفيه اشارة الى طهارتهم من
كدر الرياء والهواء فان قلت اى فرق بين هذا وبين قوله ويستغفرون لمن في الارض قلت يحتمل ان يكون هذا
مفسرا لذلك وان يكون من عام في المؤمن والكافر والمراد ترك المعاجلة بالعقاب وادرار الرزق والارفاق
بما خلق من المنافع وان كان المؤمنون هم الاصل في ذلك فان قلت هل يحمل التوبة على التوبة من الشرك وجه
قلت لا لتقدم ذكر المؤمن ولان التوبة عند الاطلاق تنصرف الى التوبة عن الذنوب فان قلت الثابت المنع سبيل
الحق اى حاجة الى استغفار الملئكة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له قلت ليس فايدة الاستغفار منحصرة في
طلب الغفران بل لاظهار شرف الايمان وان المؤمنين بمكان عند الله حتى ان حملة العرش والمقربين من الكروبيين
يشتغلون بالدعاء لهم الا ترى انا مامورون بالصلوة على رسول الله الذى يصلى الله عليه وملئكته وقد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر واتبعوا سبيلك الطريق الموصل اليك اى رحمتك التوبة اشارة الى التخلية وهذا الى التحلية وقهم عذاب

ان جدال

ربنا وسعت ...

وعلى ... حبه

الجحيم تصريح بما علم ضمنا فان المغفور له لا عذاب عليه والتقييد بالجحيم لشدة هوله ربنا اعاده تلذذا بذكره
وتذللا لعزه وتوسلا به الى ما طلبوه وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم عطف على هم الاول اى ادخلهم من هؤلاء ليتم سرورهم كقوله الحقنا بهم ذرياتهم او على الثانى لعموم الوعد
انك انت العزيز الذى لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذى لا يفعل الا بحكمة ومنه الوفاء بالوعد وقهم السيآت العقابات
او على تقدير مضاف اى جزاء السيآت تعميم بعد التخصيص لان عذاب الجحيم منها وقد علم ان الغرض اظهار شرف
المؤمنين فلا يقدح ان الكباير مكفرة بالتوبة والصغاير باجتناب الكباير والضمير لمن صلح او المعاصى في الدنيا
لقوله ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته اى من وقيته لشدة هوله في الدنيا فقد رحمته في الآخرة وذلك هو
الفوز العظيم لانه ملك الابد بعمل يسير ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون
الى الايمان المقت اشد البغض واذ تدعون ظرف للمقت الاول ولا يمنعه فصل الخبر للاتساع في الظروف والمعنى ان
مقت الله لكم في الدنيا حين دعاكم الرسل الى الايمان فتكفرون فكفرتم بالله وكذبتم الرسل اشد من مقتكم انفسكم
الان واثار المضارع للدلالة على استمرار الرسل على الدعوة واستمرارهم على الكفر او مقت الله يوم القيمة اكبر من
مقتكم فيه واذ تدعون تعليل للثانى لانه لم يكن حين الدعاء قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين الاماتة الاولى
السابقة على افاضة الحيوة على النطفة والثانية عند انقضاء الاجال والاحياءة الاولى هى المتعقبة لتلك الاماتة
والاخرى الابدية التى بعد البعث وطوى ذكر الاماتة والاحياءة في القبر لان المنكر الحيوة بعد البعث منكر لهما
هكذا عن ابن عباس وابن مسعود واليه اشير بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم والتحقيق ان الاماتة لا تستدعى
سبق الحيوة حقيقة لان صرف المصنوع عن احد الجائزين كنقله عنه كما يقولون للراسم اوسع الدائرة هذا ومن قال
ان الاماتتين هى الاولى المعروفة والتى في القبر لزمه ثلث احياآت فان اجاب بان احياء القبر واحياء البعث نوع
واحد وهم ينكرونه بقسميه فلذلك اقتصر على احدهما ورد عليه ان الاماتة في القبر على ما قاله دليل على ان التعدد
شخصى اللهم الا ان يقال المراد بالاحياء تين احياءة القبر واحياءة البعث لانهما المنكرتان وتفرع عليه قولهم
فاعترفنا بذنوبنا وهى التكذيب بالاماتة الثانية والاحياءتين فهل الى خروج من سبيل من طريق نسلكه سريعا او
بطيئا كلام القانط بقوله تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم اى ما انتم فيه بانه اذا دعى الله وحده كفرتم بالتوحيد
وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك مستمرين على ذلك الايمان لا ارعواء ولا مدبر فالحكم لله بعدما اعترفتم العلى الكبير ذى
العظمة والكبرياء فلا يكون عذابه لمن كفر به الا ابدا سرمدا الوقوع افعاله على اتم الوجوه وهو اللايق بجبروته هو الذى
يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا المطر الذى هو سبب المأكل والمشرب وما يتذكر وما يلتفت الى هذا الامر الجلى الا
من ينيب يرجع عن الانكار والتقليد وتدبر فادعوا الله مخلصين له الدين خطاب للمنيبين مسبب عن الايات التفت
اليهم تقريبا لهم وتنشيطا للاقبال على العبادة او مسبب عن قوله هو الذى يريكم بعم المؤمن والكافر وما تذكر الا من ينيب
على اعتراض يفيد ان الانتفاع بتلك الايات انما هو للمنيب ولو كره الكافرون ولو غاظ ذلك اعداءكم فكان قد حصل
ذلك ووقع التضاد بينهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران اخران لهو او لمبتدأ محذوف والدرجات مصاعد الملئكة
كقوله ذى المعارج ورفعها دليل على عزه وملكوته كما ان ذى العرش كناية عن ملكه وسلطانه او درجات ثوابه التى
ينزلها اولياءه وهذا انسب بقوله فادعوا الله مخلصين له الدين كما ان قوله يلقى الروح من امره على من يشاء
من عباده انسب بالاول والروح هو الوحى الذى به الحيوة الابدية ولذلك اوثر عليه ومن بيان للوحى فالامر هو
الحث على الخير كفا او امتثالا لان تلك الحيوة انما تكون بعد التحلى لينذر يوم التلاق اى الله او الروح او الملقى اليه
وهو الرسول وهذا اقرب لفظا واسد معنى ويوم التلاق يوم القيمة لتلاقى الخلايق والعابد والمعبود باطلا
كان او حقا يومهم بارزون بدل من الاول اى خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء حفاة عراة واعمالهم
وسرائرهم لقوله يوم تبلى السرائر لا يخفى على الله منهم شيء من ذواتهم وصفاتهم واعمالهم لمن الملك اليوم لله الواحد

القهار قد سبق فى حديث موت الخلق طرا ان الله تعالى يقول ثلث مرات لمن الملك اليوم ثم يجيب نفسه تعالى بقوله لله
الواحد القهار وقيل ينادى مناد فى اهل المحشر لمن الملك فيجيبونه بقولهم لله الواحد القهار اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان خيرا فخير وان شرا فشر ولا ظلم بنقص ثواب او زيادة عقاب ان الله سريع الحساب
لا يشغله شان عن شان هذه نتايج تفرده بالملك فى ذلك اليوم والتقييد بذلك اليوم لانقطاع العلايق المجازية فيه
وانذرهم يوم الازفة يوم القيمة سميت بها لازوفها اى قربها والخطة الازفة وهى حال مشارفتهم دخول النار لقوله فلما
راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اذ القلوب لدى الحناجر مرتفعة الى حلوقهم زايلة عن اماكنها من شدة
كاظمين عليها من كظم القربة اذا ملأها وشد فاها والمعنى ممسكين انفاسهم حابسين اياها على القلوب لئلا
تخرج معها او حال من القلوب اى كاظمة على الغم والجمع بالواو والنون لاسناد فعل العقلاء اليها ما للظالمين
اللام فيه للجنس المشار به الى الكل فى الظلم وهم الكفار من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع اذا توجه النفى الى المقيد
اما النفى القيد وحده كما اذا كان عندك كتاب لا تريد بيعه فتقول ليس عندى كتاب ابيعه وتارة يتوجه الى اصل
الكلام فينتفى القيد مع المقيد كما فى الاية اذ لا شفيع لهم راسا لقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وفايدة ذكر القيد ثم
سلبه مع القيد الاستدلال بانتفاء الموصوف على انتفاء الصفة كانه قيل كيف يتصور الاطاعة ولا شفيع لهم
يعلم خائنة الاعين الخائنة صفة النظرة وهى الثانية قصدا الى غير المحارم او مصدر كالعافية وجعله صفة العين
لا يلايم وما تخفى الصدور اى مضمراتها والله يقضى بالحق لانه العالم الحكيم ولذلك اعاد الاسم الجامع والذين
يدعون من دونه لا يقضون بشىء تهكم بهم لان الجماد لا حراك به فضلا عن الحكم والقضاء وقرأ نافع وهشام بالخطاب
على الالتفات تقريعا وهو احسن ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه خائنة الاعين ومضمرات الصدور ووعيد
لهم بانه يسمع ما يقولون ويرى ما يفعلون وفيه اشارة الى ان شرط القاضى ان يكون سميعا بصيرا او لم
يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اى قد ساروا ونظروا فما بالهم لا يعتبرون
حتى لو لم يكن عذاب الاخرة كان الواجب ان يحذروا عذاب الدنيا كانوا هم اشد منهم قوة اجسادا وعددا وايقاع
ضمير الفصل بين اسم كان وافعل من لمضارعته المعرفة فى امتناع دخول اللام وقرأ ابن عامر منكم تغليبا وعليه رسم
مصحف الشام وآثارا فى الارض كالقلاع والحصون والمدن الحصينة او اكثر آثارا لقولك تقلدت سيفا ورمحا فاخذهم
الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق من عذاب الله ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات المعجزات
الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوى شديد العقاب وقد دل عليه تلك الاثار ولقد ارسلنا موسى باياتنا المعجزات
لما ذكر انه اهلك اشد منهم قوة اردفه باشهرهم وهو فرعون وهامان وقارون فرعون بالعتو وهامان بالدهاء
وقارون بالمال وسلطان مبين حجة واضحة العطف باعتبار الصفات او اريد اشهرها كاليد البيضاء والعصا
الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب جعلوا افعاله سحرا واقواله كذبا فلما جاءهم بالحق من عندنا بالرسالة
قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم عن ابن عباس اعيدوا القتل فانه كان امر اولا بالقتل خوفا
من المولود الذى اخبره الكهان فلما مضت تلك السنة دفع القتل فلما جاء موسى واظهر المعجزات اعاد القتل غيظا له
وتخويفا لبنى اسرائيل عن مظاهرته وما كيد الكافرين الا فى ضلال اى كيدهم واثار المظهر ليوسموا بالكفر ويقاس عليه
كيد كل كفار ويشار به الى ان كيد قريش كذلك وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه كان سفاكا للدماء
فى اهون شىء فكيف بمن جاء بثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه يتيقن من آياته انه رسول العزيز المقتدر وخاف انه
لو هم بقتله ان يعاجل بالبوار وتعلل بهذا الكلام وموه انه لا يبالى بموسى وربه انى اخاف ان يبدل دينكم الذى شرعته
لكم كان قد امر باتخاذ اصنام وامر بعبادتها ليتقربوا بذلك اليه فانه الرب الاعلى او ان يظهر فى الارض الفساد
من التهارج والتحارب وابطال اسباب المعايش قرأ الكوفيون او على معنى الخوف من احد الامرين والباقون بالواو
لقصد الجمع بين الامرين وهو اوفق بالمقام اذ قصد التنفير عنه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص بضم ياء يظهر وكسر الهاء

ونصب الفساد والباقون بفتحهما والاول ابلغ واوفق بما تقدم وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب لما خاطب فرعون مستشيرا بهم ليحيلوا الراى فى شانه خاطب موسى قومه ايضا واضاف الرب اليهم
حثا لهم على الاقتداء واشار الى ان الاعتماد فى هذه القضية على الالتجاء الى الله وآثر لفظ الرب دلالة على ان المرتجى
يراعى احوال مرباه والمتكبر يعنى المستكبر ذكره على طريقة التعريض ليسلوه بلبس جلد النمر وعدم ايمانه بيوم الحساب هو الذى
بعثه على هذه الجراءة وكان لعنه الله دهريا وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه يكتم ايمانه من فرعون
وقيل من آل متعلق بيكتم وهو اسرائيلى والاول هو الصواب لقوله يا قوم مكررا ولقوله رجل مؤمن لكثرة
مؤمنى بنى اسرائيل وقد دل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه واختلف فى اسمه فقيل سمعان بالمهملة او
المعجمة وقيل حبيب وقيل غيرهما والله اعلم اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله اتقصدون قتل من هو بهذه الصفة
التى هى واسطة العقد واخص المناقب واشار الى الاثبات مدعاه بقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم حججا متكثرة قواطع
فلا وجه لانكاركم على من ثبت انه رسول ربكم ثم تنزل بعهم وقال وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا
يصبكم بعض الذى يعدكم اى لا تعرض له لانه كاذب اثم كذبه لا يتجاوزه ولا يصبكم منه وعاده شىء ويحتمل ان يكون
محقا اقل ما يصبكم بعض ما يعدكم به وهذا يقتضى ان يكون المقدم على فعل ليس له فيه متثبت الا العناد ان الله لا
يهدى من هو مسرف كذاب رجح جانب صدقه بانه لو كان مسرفا كذابا لما عضده الله بالبينات ويحتمل ان يريد انه
ان كان مسرفا كذابا كما يزعمون فسيضمحل امره عن قريب لان الباطل كفار العرفج وفيه تعريض بفرعون
بانه مسرف كذاب وسوق تلاشى شانه يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله
ان جاءنا ادخل نفسه معهم اكمالا للنصح قال فرعون ما اريكم الا ما ارى من استصواب قتله وما اهديكم الا سبيل
الرشاد وما ادلكم عليه من قتله هو الصواب كان يعلم انه كاذب فى قوله وان ما يدل عليه انما هو عين الضلال وانما
كان يقول ما يقول حمية ومكابرة وقال الذى آمن يا قوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب افرد اليوم اختصارا
لدلالة المضاف اليه وعدم اللبس كقوله كلوا واشربوا فى بعض بطنكم تعفوا ولانه بينه بقوله مثل دأب قوم نوح وعاد
وثمود والمعنى جزاء ما كانوا دائبين عليه ملازمين من الكفر والتكذيب وساير المعاصى والذين من بعدهم كقوم لوط
وما الله يريد ظلما للعباد واذا لم يرده فعن ارتكابه ابعد ولذلك كان ابلغ من وما ربك بظلام للعبيد ولا يريد الظلم
للعباد اى لا ترك الظالم حتى ينتقم منه والى كلا المعنيين اشار فى الحديث القدسى يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى و
حرمته فيما بينكم ويا قوم انى اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة ينادى بعضهم بعضا استغاثة او منادة اهل الجنة
واهل النار واصحاب الاعراف كما تقدم او المناداة بالويل والثبور او مناداتهم مالك النار ليقض علينا ربك يوم
تولون من الموقف يؤيد الاول مدبرين منصرفين الى النار وعن مجاهد فارين من النار ما لكم من الله من عاصم
زيادة تهديد ومن يضلل الله فما له من هاد لما آيس لا ليّن شكيمتهم بعد ذلك الارشاد والناصح البليغ عرض بانهم
الذين ختم الله على قلوبهم ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما الصلوة والسلام على ان فرعون يوسف
قد عاش الى زمن موسى وقيل هو يوسف بن ابرهيم بن يوسف الصديق عاش فيهم قبل موسى عشرين سنة من
قبل بالبينات بالمعجزات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ليس هذا
الاضلال اقرارا برسالته بل الغرض تكذيب من يدعى الرسالة بعده مضموما الى تكذيب رسالته كذلك يضل الله مثل
هذا الاضلال من هو مسرف فى العصيان مرتاب فى المعجزات الذين يجادلون فى آيات الله بدل من من لانه
فى معنى كل من هو مسرف بغير سلطان اتيهم بل بمجرد تقليد واتباع هوى كبر مقتا عند الله وعند الصميم باعتبار
من لان الذين بدل منه كاعتبار التذكير والتانيث فى قوله ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا او الذين
يجادلون مبتدأ بتقدير مضاف اى جدال الذين وضمير كبر عايد اليه او الذين مبتدأ وبغير سلطان خبر وفاعل
كبر وعند الذين آمنوا ايضا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استيناف لبيان موجب الجدال وقرأ ابو عمرو

وابن ذكوان قلب منونا تقطع الاضافة وهو الوجه لانه محل الكبر وساير الاوصاف النفسانيه والجاه انما يوصف لها
بالواسطة وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اردف وصفه بالكبر افعاله الدالة عليه والصرح القصر العالي الظاهر
من صرح الشئ ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات الطرق الموصلة اليها ابهم اولا ثم فسرها لما في الابهام والايضاح
من المبالغه وتشويق السامع لمعطيه حق السماع لانه امر بديع فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا قرأ حفص فاطلع
بالنصب حملا للترجي على التمني بجامع عدم التحقق وكذلك زين لفرعون سوء عمله المزين هو الشيطان لقوله وزين لهم
الشيطان او الله تعالى لقوله زينا لكل امة عملهم وصد عن السبيل الفاعل فيه هو الفاعل في الاول وقرأ نافع
وابو عمرو وابن عامر وابن كثير صد على بناء الفاعل وهو فرعون الذي صد الناس عن اتباع موسى وهو المختار
لان الحديث عنه والسوق لعد مثالبه وما كيد فرعون الا في تباب في خسار من تب هلك مبالغه في خسرانه
وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ولله دره وما ادراه بايراد الكلام في الحجاج لما لم يرعو فرعون
عن غوايته وجهله المفرط صرح بمعارضته وانه الدال على سبيل الرشاد دونه يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع
شئ تمتع به يسيرا وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ان لم يعف عنها فلا يزيد على
المثل ومن عمل صالحا من ذكر او انثى سيان في جزاء العمل لا تفاضل كما في الدنيا وهو مؤمن اذ لا عبرة لعمل دونه
ولذلك اوقعه قيدا فاولئك يدخلون الجنة بتلك الاعمال وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون على بناء
المفعول وهو ابلغ معنى واوفق بقوله وادخل الذين آمنوا يرزقون فيها بغير حساب تفضلا منه تعالى ويا قوم ما لي
ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداهم لما لاح له انهم مستغرقون في بحر الغفلة واعاد الواو ههنا دون
الثاني لانه بيان لما اجمل لانه ذم الدنيا وعظم الآخرة وهو عين الارشاد والدلالة على سبيل الرشاد واما قوله
ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار فللموازنة بين دعوته التي ثمرتها الجنه ودعوتهم التي ثمرتها النار فليس من
تفسير الارشاد تدعونني لاكفر بالله بدل على الاول والدعاء كالهداية تتعدى باللام والى واشرك به ما ليس لي به
علم ما ليس باله نفي للمعلوم على طريق الكناية وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع للصفات فانهما مستلزمان
للعلم والارادة المسبوقان بالحيوة لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة رد لما يدعونه اليه
واستدلال على بطلان صلوحه للاشراك اي حق بطلان دعوته لانه لا يدعو الى دعوته في الدنيا وشان المعبود ان
يدعو عباده المكرمون كالانبياء او لانه يدعو بعضهم بعضا وفي الآخرة اذا خلق الله فيه الادراك يلعن العباد ويتبرأ
منهم او ليس له استجابة دعوة في الدارين تسميه للاستجابة باسم الدعوة كما يسمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء يؤيده
قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ او جرم بمعنى كسب والفاعل مستكن اي كسب ذلك الدعاء منكم
ان لا دعوة لما يدعونني اليه بمعنى انه لم نظهر الابطال دعوته او معناه لابد فعل من التبديد وهو التفريق اي لا
قطع لبطلان دعوة الاصنام بل مستمر وقد سبق في النحل ان هذا اصله لكن كثر استعماله في معنى حق ولذلك يجاب
باللام كالجواب القسم وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين المبالغين في العصيان السفاكين الدماء بغير موجب
تعريض بما افتتح به من قوله اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله هم اصحاب النار الملازمون لها ماد زمه المالك ملكه
فستذكرون ما اقول لكم اذا جاء باس الله اما في الدنيا كوقت الغرق او عند معاينه عذاب الآخرة وافوض امري الى
الله لما رآهم لا يدعون وقد بان لهم انه على دين موسى التجأ الى الله في دفع مكرهم ان الله بصير بالعباد فيجازي كلا على
حسب حاله فوقيه الله سيئات ما مكروا شدايد مكرهم قيل فر منهم فامر فرعون بطلبه فوجدوه يصلي والوحوش
حوله فرجعوا الى فرعون فقتلهم وحاق بآل فرعون سوء العذاب اي العذاب السوء النار بدل منه وقوله يعرضون
عليها غدوا وعشيا حال منها او من الآل او جزء مبتدأ محذوف كانه قيل ما سوء العذاب قيل هو النار او مبتدأ
خبره يعرضون عليها والجملة مستانفه بيانا وتفسيرا لقوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب وهذا الوجه للابهام والتفسير
ولافادة الاولى احاطة سوء العذاب والثانيه ان لا اسوأ من ذلك المحيط وهو النار المعروض هم عليها غدوا وعشيا

وبتخصيص

وتخصيص الوقتين لانهما اطيب الاوقات فاذا ذاقوا فيهما اسوء العذاب كان اقطع وما بينهما مسكوت عنه اما
لانهم يعذبون بذلك ايضا او يجلس حزا وينفس عنهم وقيل كناية عن الدوام لقوله ويوم تقوم الساعة اي هذا
دايم الى ذلك الوقت وفيه دليل على ان عذاب القبر حق ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وهي جهنم واشد عذابها
وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بقطع الهمزة وكسر الخاء والوصل ابلغ لوقفه لحظ المسامع من العذاب
فانه نوع آخر منه واذ يتحاجون في النار اي واذكر لقومك محاجة اهل النار لعلهم يرعوون فيقول الضعفاء
اي الاتباع تفصيل للمحاجة للذين استكبروا وهم الرؤساء انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم جمع خادم او ذي تبع فهل
انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالرفع او بالحمل ونصيبا مفعول ما دل عليه مغنون او له على التضمين او مصدر كشيئا
في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم سواء فكيف
يستغيثون بنا ان الله قد حكم بين العباد فريق في الجنه وفريق في السعير لا تبديل لحكمه وقال الذين في النار
كلهم التابع والمتبوع لما آيس الاتباع من نصرة الرؤساء لخزنة جهنم للموكلين بها واثار جهنم والاختصار على الخزنة
للتهويل وقيل لان جهنم ابعد طبقات النار قعرا من قولهم بئر جهنام وهذا انما يستقيم ان لو كان اللفظ عربيا
والاكثر على انه عجمي ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب شيئا من الاوقات قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات المعجزات الدالة على صدقهم وينذرونكم لقاء يومكم هذا استفهام توبيخ وتقريع قالوا بلى قالوا فادعوا
انتم اذ لا نقدر على الشفاعة الا بشرط ان يكون المشفوع له مؤمنا ويؤذن لنا في الشفاعة وما دعاء الكافرين
الا في ضلال في ضياع لا تأثير له انا لننصر رسلنا مبني السورة على بيان مجادلة الكفار مع الرسل ولما امتد الكلام
في الرد عليهم عاد الى تسليه رسوله وانه منصور لا محالة في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين وان
وقع بعض فتور في شانهم فذلك امتحان ولهم العاقبة والاشهاد جمع شاهد وهم الذين يشهدون على الناس
من الملئكة والانبياء والمؤمنين والتعبير عن يوم القيمة بيوم يقوم الاشهاد للتهويل ولذلك ابدل عنه يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم ظاهرة انهم يعتذرون ولا يقبل منهم والحق انه مبني على الفرض اي لو اتوا بمعاذير
لا ينفع لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ الكوفيون ونافع ينفع بالتذكير وهو احسن لوجود الفصل ولهم
اللعنة الطرد من رحمة الله ولهم سوء الدار هو ما يسوء من النار تعريض لعدم قبول المعذرة اذ من كان هذا حاله
كيف يرجى قبول عذره ولقد آتينا موسى الهدى التورية وساير ما يحتاج اليه في باب الدين واورثنا بني اسرائيل
الكتاب اي جعلناهم متصرفين فيه تصرف الوارث في مال مورثه وفي ذكر الكتاب اشارة الى ان ما عداه ذهب
بذهابه عليه السلام وان الكتاب كاف لقوله هدى وذكرى لاولي الالباب اي هاديا ومذكرا لذوي العقول
وهذا مثل قوله في هذه الامه ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا وفيه بيان نصر المؤمنين في الدنيا بالحجة
بعد ذهاب الانبياء فاصبر ان وعد الله وهو قوله انا لننصر رسلنا وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون حق كاين لا محاله وقد سمعت حال موسى ومن كذبه واستغفر لذنبك لذنب امتك لقوله واستغفر لهم
ويهيج لامته او لما وقع منه من خلاف الاولى بحاله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار طرفي النهار لشرف في
الوقتين او داوم على ذكره بصفات الجلال والجمال في جميع الاوقات والمراد الصلوات الخمس وما قيل كان بمكه
الواجب ركعتين بكرة وركعتين عشيا لا سند له مع انه يوهم ان الخمس وجب بالمدينة والاجماع انها وجبت
بمكه ليلة المعراج ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتيهم ان في صدورهم الا كبر اعاد ذكر المجادلين
لبيان الموجب لجدالهم وهو الكبر والترفع خوفا من فوات الرياسة او النبوة بسلب كل ملك ورياسة ما هم ببالغيه
ليسوا بالغين موجب ذكر الكبر وهو ما تعلقت به ارادتهم من الترؤس او دفع الآيات فاستعذ بالله من شرهم انه هو
السميع البصير لاقوالكم وافعالكم نزلت في المشركين وقيل في اليهود قالوا سيخرج صاحبنا المسيح بن داود
يسير معه الانهار ويبلغ سلطانه البر والبحر يريدون به الدجال لعنهم الله ويؤيد الاول قوله لخلق السموات

والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء

والارض اكبر من خلق الناس فانه استدلال به على من انكر البعث واليهود لا ينكرونه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ذلك لاغفالهم النظر الصحيح وما يستوي الاعمى والبصير ضرب مثلا للمحسن والمسيء عطف الموصول بما
عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الصراحة والتمثيل ولا المسيء مذكر له واذا لم
يتساويا فلا بد من مجازاة وليس ذلك في الدنيا فلا بد من ان يكون بعد البعث قليلا ما تتذكرون التعبير
للناس او الكفار والقلة بمعنى العدم لقوله وما يتذكر الا من ينيب وقرا الكوفيون بالخطاب اما تغليبا او امرا
للرسول بالمخاطبة او التفاتا وهذا اوفق لان العدول الى الخطاب في مقام التوبيخ اشد تعنيفا وابلغ في
الانكار ان الساعة لآتية لا ريب فيها لا ارتياب في وقوعها لما تقدم من الادلة ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
بذلك لقصور النظر وقال ربكم عطف على ان الذين يجادلون عطف قصة على اخرى ادعوني استجب
لكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي ولما روي عن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب
هو الدعاء اراد ان ترك الذنوب من اجل العبادات وسئل الحسن عنه فقال اعملوا وابشروا والدعاء والاستجابة
على اصلهما وقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي معناه عن دعائي لان الغرض من العبادة الخضوع ولا
شك ان ذلك في الداعي اظهر وايقاع العبادة صلة الاستكبار مما يؤيد هذا لان الداعي مستكين خاضع
سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وقرا ابن كثير وابو بكر بضم الياء وفتح الخاء وهذا ابلغ ما يناسبه الله الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا اي خلق الليل باردا مظلما ليؤدي الى ضعف الحركات وهدوء
الحواس ولما كان السكون والاستراحة علة غائية في الليل دون الابصار في النهار بل العلة ابتغاء
الفضل صرح به في الاول واشار اليه في الثاني رمزا مع ما افاده الاسناد المجازي من المبالغة حتى كان الابصار
سرى في نهار المبصرات ان الله لذو فضل على الناس اي فضل لا يوازيه فضل ولذلك نكره واثره على
المفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعم الله وتكرير الناس لايقاع عدم الشكر على صريح اللفظ ذلكم الموصوف
بصفات الالوهية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة او كل بدل عن سابقه ان جوز البدل
عن البدل والا فالكل عن الاول فان قلت قد وقع مثل هذا التركيب في سورة الانعام خالق كل شيء مؤخرا
عن كلمة التوحيد وقدم هنا فما وجه ذلك قلت وجهه والله اعلم ان خالقيته كل شيء دليل توحيده وفي
الانعام قدم قوله خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم فكان نتيجة المقدمتين لا اله الا هو ثم اردفه بقوله خالق
كل شيء على سبيل التقرير والتوكيد وهنا لم يتقدم مثله وكان حقه ان يتقدم ليكون كلمة التوحيد نتيجة له
فانى تؤفكون من اي وجه تصرفون عن عبادته انكار وتوبيخ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون
مثل صرف هؤلاء صرف الذين كانوا قبلهم ينكرون آيات الله عنادا فهم على آثارهم يقتدون الله الذي
جعل لكم الارض قرارا يستقرون فيها احياء وامواتا والسماء بناء قبة العرب تسمي القباب ابنية على التشبيه
وصوركم فاحسن صوركم خصكم باحسن الصور في احسن تقويم وفي الحديث خلق الله تعالى آدم على صورته
طوله ستون ذراعا ورزقكم من الطيبات لذائذ الانواع طعاما وشرابا وفاكهة ذلكم الله ربكم اي الموصوف
الممتاز فتبارك الله رب العالمين فان ما سواه مربوب مفتقر ولما كانت الادلة المذكورة من الآفاق
والانفس مع كونها ادلة نعما جساما عقبها بقوله فتبارك الدال على كثرة نعمائه وتوافر آلائه هو الحي
لا غير لان من عداه اما ميت او بصدده لا اله الا هو لان من يعتريه الموت كيف يصلح للالوهية فادعوه مخلصين
له الدين فكما انفرد بالالوهية افردوا له العبادة لانه المستحق الحمد لله رب العالمين قولوا الحمد لله رب العالمين
وعن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل بعده الحمد لله وذلك للدلالة على اختصاص الحمدية كاختصاص
الالوهية قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي شامل لادلة
العقل والنقل والآيات الدالة على صدقه فانها كلام معجز يؤيد الادلة العقلية وناصر الادلة اقوى

في ابطال

في ابطال مذهبهم وامرت ان اسلم لرب العالمين انقاد له اشار الى انه لا يريد لهم الا ما اراد لنفسه
هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا لما امتن عليهم بانه خلقهم
في احسن الصور اشار الى بدء خلقهم من التراب الذي هو مادة ابيهم آدم او مادة كل واحد منهم
لما ورد ان النطفة تعجن بالتربة التي يكون مضجع الميت ثم بعده الانقلابات البديعة الدالة على كمال
الاقتدار وافراد طفلا لارادة الجنس او كل واحد ثم لتبلغوا اشدكم اللام متعلق بمقدر اي يبقيكم
وكذا ثم لتكونوا شيوخا قرا نافع وابو عمرو وهشام وحفص بضم الشين اتباعا لضم الياء ومنكم
من يتوفى من قبل الشيخوخة او قبل هذه الاحوال كما اذا وقع سقطا والاول هو الوجه ولتبلغوا
اجلا مسمى اي وفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة والاول اوجه لقوله اذا
جاء اجلهم واوفق بالسياق ولعلكم تعقلون ما في ذلك من دلايل كمال الصانع والعبر هو الذي يحيي
ويميت اي القادر الذي ينقل النطفة من تلك الاطوار بعضها الى بعض هو الذي شانه الاحياء والاماتة ثم
هون شان ذلك بقوله فاذا قضى امرا توجهت ارادته اليه فانما يقول له كن فيكون بلا احتياج الى آلة
وتعمل كان اسرع شيء وقرا ابن عامر يكون بالنصب بتقدير ان الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله
انى يصرفون كرره لان مبنى السورة على رد المجادلين في آيات الله الدالة على التوحيد والبعث بفنون مختلفة
من الدلايل ولما استوفى تلك الفنون ولم تؤثر فيهم عجب السامع من حالهم الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن
او بجنسه وبما ارسلنا به رسلنا من الآيات ليؤيد الوجه الثاني فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في
اعناقهم ولا ينافي من سوف واذ لان المترقب في كلامه تعالى كالكاين والسلاسل عطف على الاغلال
يسحبون في الحميم الماء الشديد الحرارة حال من الفاعل او خبر سلاسل ان لم يعطف محذوف العايد ثم في
النار يسجرون يحرقون الى ظاهرها يراهم اهل الجنة من سجرت التنور اوقدتها واصله الملء يقال سجرت
الثمار اذا امتلأت من المطر والمعنى ملئوا نارا ظاهرا وباطنا كقوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة
ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا يقال لهم توبيخا ومعنى ضلوا عنا غابوا
ولا ينافي قولهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لجواز كونهم غيبا اوان التوبيخ او لما لم
ينفع حضورهم كانهم غيب بل لم نكن ندعو من قبل شيئا لعدم غنائهم كانهم ليسوا بالشيء او قالوه كذبا
على انفسهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين كذلك يضل الله الكافرين اي مثل ضلال آلهتهم يضلهم الله
في الدنيا عن طريق الحق وقيل يضلهم عن آلهتهم حتى لا يصادفوا ولو تطالبوا ذلكم بما كنتم تفرحون
في الارض بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تبطرون وتفرطون في الفرح والعدول الى
الخطاب لكونه ابلغ في التقريع ادخلوا ابواب جهنم طبقاتها على قدر الاعمال كقوله لكل باب منهم جزء
مقسوم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين مثواكم او جهنم فاصبر ان وعد الله حق في نصرك
واتمام ما ارسلت به فاما نرينك ان شرطية وما زايدة للتوكيد ولذلك لحقه نون التاكيد وجواب الشرط
محذوف اي فذاك بعض الذي نعدهم من العذاب كالقتل والاسر يوم بدر او نتوفينك قبله فالينا يرجعون
فيرون اشد العذاب فان قلت قد تقدم مثل هذا التركيب في الرعد ولم يقدر لكل واحد من المعطوف
عليه جزاء فلم سلك تلك الطريقة قلت مساق الكلام ثمة لانجاز الوعد بالنصر وهم رسول الله
والمؤمنين معقود به فاقتضى تقدير الجزاء مستقلا تعجيلا للمسرة بخلاف ما في الرعد فان الكلام في ايجاب
تبليغه وانه ليس عليه الا ذلك كيف دارت القضية ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك دل على انه لم يخبر بتفاصيل ساير الانبياء وقد روى ابو ذر انه سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن عدتهم فقال مائة واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة وثلثون عشرا وخمسة عشر جما

لترتبه على الانقلابات

غفترًا وماكان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله بارادته وتيسيره جواب لاقتراحهم الايات عليه كانه ان
قيل لهم اذا كان الامر في الايات الى الله تعالى ولم يمكن لاحد ممن تقدم ان ياتي باية فمن اين لي ان آتي باية
فاذا جاء امر الله بالعذاب قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون اي اذا جاء يوم القيمة الذي هو يوم الفصل
قضى بينك وبينهم بالحق وخسر اذ ذاك المبطلون في الاقتراح المجادلون عنادًا الله الذي جعل لكم الانعام
لتركبوا منها ومنها تاكلون من جنسها ما يوكل كالغنم ومنها ما يوكل ويركب كالابل والبقر ولكم فيها
منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم من المسافر لمقاصدكم وعليها في
البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك دون في الفلك كما في قوله قلنا احمل فيها لان الفلك
وعاء ما فيها وحمولة مع ما في ذلك من المزاوجة مع ما قبله وانما غير النظم في الجمل الاربع لان الركوب من المزاوجة
وبلوغ الحاجة قد يكون في مهم ديني واجب ومندوب بخلاف الاكل وساير الانتفاعات فكانا اولى
بدخول اللام الدال على العلية والغرض وقيل فرقا بين العين والمنفعة وانما جعلها مكتنفين بما خلا
عنه اشارة الى قصورهما عنهما وعن الزجاج ان الانعام هي الابل خاصة وعلى تصحيح الوجه لان الركوب
وبلوغ الحاجة من اتم الغرض منها ويريكم آياته فاي آيات الله تنكرون لم تقل اية لان التعرفة في غير
الصفات بالتاء نحو حمار وحماره غريب وفي اي لوضعه على الابهام اغرب افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارًا في الارض قصورهم المشيدة ومصانعهم
المحكمة وقيل مشيهم بالاقدام لعظم اجرامهم وبعده لا يخ فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او
استفهامية منصوبة المحل والثانية موصولة او مصدرية اي مكسوبهم او كسبهم رفع على الفاعلية فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم بامور الدنيا واسباب المعاش يعلمون ظاهرًا من الحيوة الدنيا او علم
الفلاسفة والدهرية يدفعون بيانات الاوهام علم الانبياء كما روي ان سقراط كان في زمن موسى فقيل له هلا
تتبعه فقال نحن مهذبون او سمي جهلهم المفرط علما اي لم يفرحوا بعلم الرسل وفرحوا بجهلهم المفرط سماه علما على
طريقة التهكم او المراد علم الرسل وفرحهم بما اتوه من العلم بسوء عاقبته الكفار وشكرهم لله على ما منحهم وفيه بما عند الرسل من العلم فرحوا
تفكيك الضماير والمعنى فرح الكفار ضحك واستهزاء لقوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن الا ان في
الدلالة على هذا المعنى غموضا فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين البأس شدة
العذاب لقوله بعذاب بئيس فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لفوات وقته والوجه في ترتيب الفاآت ان قوله
فما اغنى نتيجة ما كانوا فيه من التكاثر بالاموال والاولاد وقوله فلما جاءتهم رسلهم الى قوله وحاق بهم ايضاح
لذلك المجمل وكيف انقلب الحال بهم الى عكس ما املوه وقوله فلما راوا باسنا مترتب على قوله فلما جاءتهم
تابع له كانه قال لما جاءتهم رسلهم كفروا فلما راوا باسنا امنوا الا انه فصل ذلك الكفر المشتمل على سوء
معاملة الرسل وكفران اعظم نعم الله وكذا فلم يك ينفعهم مع الايمان سنة الله التي قد خلت في عباده
اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد مصدر مؤكد وخسر هنالك الكافرون هنا مستعار من المكان
للزمان اي خسروا وقت رؤية الباس لزوال ما كانوا فيه من النعيم ولزوم الخلود في عذاب الجحيم تمت سورة
غافر والحمد لله على فضله الوافر والصلوة على سيد الاوائل والاواخر وآله وصحبه ذوي المحاسن والمآثر

سورة السجدة آيها ثلث او اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته
اسم السورة كان مبتدأ تنزيل من الرحمن الرحيم خبره وان جعل تعديدًا تنزيل خبر مبتدأ محذوف كتاب بدل
من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف او تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة وكتاب خبره فصلت آياته
جعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد او ميزت باعتبار اللفظ
والمعنى قرآنا عربيا نصب على المدح ويجوز الحال وفي كونه عربيا امتنان لسهولة تلاوته وفهم معناه لانه افصح

العربية و اللغات لقوم يعلمون صفة اخرى لقرانا اي كائنا لقوم يعلمون او لاهل العلم والنظر وقيل متعلق بتنزيل
وفيه الفصل بين المتعلقين وهو كتاب الى قوله عربيا وبين الصفات ايضا لان بشيرا ونذيرا صفتا قرانا
وقيل بفصلت وفيه تفريق بين الصفات والفصل بين الصلة وموصولها ايضا بشيرا ونذيرا للمقبل
والمعرض فاعرض اكثرهم انكروا اعجازه ولم يقبلوا بشايره ونذره فهم لا يسمعون لا يذعنون له مع
العلم بانه الحق وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه في اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم
واصله الثقل اي جمعوا بين الاعراض وهذا القول مبالغة في الانكار فان قلت هلا قيل على قلوبنا
اكنة كما في سورة بني اسرائيل والكهف قلت المراعى في البلاغة جانب المعنى وهو كذلك في الاسلوبين
لا الاستعلاء والاحتواء من واد واحد مع رعاية التفنن فان قلت كان العكس محصلا لذلك فلا بد من اختصاص
كل بموضعه من نكتة قلت الكلام في بني اسرائيل والكهف منسوب اليه تعالى فالاستعلاء اظهر انسب وهنا
حكاية مقالهم فالاحتواء اقرب ومن بيننا وبينك حجاب البين هو الوسط بالسكون اصدق على كل جزء من المسافة
استوعب او لا فزيد من لتدل على الاستيعاب الذي هو غرضهم وذلك لان من لابتداء الغاية الذي هو طرف
المتكلم فيقع الظرف الاخر غاية فاعمل اننا عاملون اعمل في دينك او في ابطال ديننا فانا على ديننا او
ابطال دينك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي كان انكارهم نبوته لكونه بشرا مثلهم فقلب عليهم القول بان البشرية
هي التي تناسب الرسالة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا انما الهكم اله واحد اشارة الى ما هو الغرض من
البعثة وهو التوحيد فاستقيموا اليه فاستقيموا على التوحيد والاخلاص متوجهين اليه واعرضوا عن اعراضكم
معرجين على تقليد آبائكم الضالين واستغفروه واطلبوا الغفران منه على ما صنعتم فيه الاعمار من عبادة الجماد
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة تاكيد للامر بالاستقامة وترغيب فيه وترهيب عن الشرك قرن به الزكوة
من بين ساير الاعمال لانها شقيقة الروح والمعيار على الايمان المتمكن في القلب والزكوة وعلى هذا
الوجه المقرر في الاحاديث والفروع وان فرض بالمدينة الا ان اخراج طائفة من المال على وجه القربة كان
شائعا اطلاق اسم الزكوة عليه في الجاهلية ايضا كما وقع في شعر امية بن ابي الصلت الفاعلون للزكوة
والى ذلك اشار في آخر المزمل واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة والمزمل من اوائل القرآن نزولا وهم بالآخرة
هم كافرون دهرية لا يقولون بالمعاد ولا يعترفون بالجزاء وفيه اشارة الى علة منع الزكوة فان قلت اذا
كانوا دهرية فلم كانوا يعبدون الاصنام قلت لبركاتها في درّ الارزاق واندفاع البلايا ولو فرض وقوع
المعاد كانت شافعة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون غير مقطوع او غير مشوب
عنه لان الواهب غني عن ذلك مقابل لسابقه كانه قال ويل للمشركين وطوبى للمؤمنين وفيهما من التحذير
والترغيب ما يوكد امر الايمان والاستقامة تاكيدا لا يخفى وقيل نزلت في المرضى والهرمى فانه تكتب
لهم من الاجر على قدر الطاعة حال العافية ولا ينقطع من ذلك شيء قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
الى عبادة في يومين بعد تقرير دليل التوحيد والامر بالاستقامة انكر على من يعلم منه هذه الصفات ثم يعدل عنه
ثم اعترض في البين بقوله وتجعلون له اندادا اي من لا يتصور له ند واحد تجعلون له اندادا ذلك الذي خلق
الارض في يومين رب العالمين موجد الكائنات كلها وجعل فيها رواسي عطف على خلق مقدرا او مستأنف
اذ لا يعطف على خلق المذكور للزوم الفصل بين اجزاء الصلة من فوقها مرتفعة بارزة للنظار ليشاهدوا ما فيها
من ضروب الاستبصار اظهارا لاتمام النعمة وكمال الاقتدار وخص بالذكر هنا لانه اتم موضع تفصيلا لهذا
البيان في القرآن وبارك فيها بان جعلها منابع المياه ومنابت الاشجار ومرابع الحيوان وقدر فيها اقواتها
اقوات اهلها بان عين لكل ما يليق به او خص كل قطر بنوع منه تحسينا للنظام في اربعة ايام سواء فذلكة ما
تقدم وتجمل ما فصل كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كوامل مستوية ولو قال يومين آخرين لاحتمل الاطلاق

على اكثرهما بجوزا وقال الزجاج في اربعة ايام اي في تتمة اربعة وهما يومان والاول املا فايدة بالانقدير
حذف والمراد المقدار الذي وقع فيه الخلق لا اليوم المصطلح وقرا حمزة للسائلين متعلق بمقدر اي هذا
الحصر للسائلين عن المقدار او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين للرزق وانما يستقيم على تقدير الزجاج
ثم استوى الى السماء توجهت ارادته الى ايجادها من قولهم استوى الى كذا قصده قصدا لا يلوي الى غيره
وثم على اصله من التراخي زمانا لا رتبة استدلالا بان وجود الارض متاخر بقوله والارض بعد ذلك دحيها
لان خلق الاقوات منها قبل الدحو غير ممكن فان قلت التقدير لا يستلزم الخلق بالفعل قلت فسر في سورة
البقرة قوله خلق لكم ما في الارض جميعا فان قلت نحمل الخلق على التقدير قلت لا يلائم مقام الامتنان فالوجه
ان دحيها ليس عاملا في بعد ذلك بل هو جملة مستانفة كما تقدم الاشارة اليه في سورة البقرة قيل كان
عرش الرحمن على الماء فصعد منه دخان فخلق منه الارض ثم فتقها ارضين وخلق من ذلك الدخان السماء فقال
لها وللارض ائتيا اي كونا مسخرين لما اريد منكما بان تكون احديكما مقلة والاخرى مضلة وابرازهما او دعنا
من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او تكونا على ان معنى الخلق او التقدير والكلام على التمثيل بان مثل
حالهما في سرعة التكون على وفق الارادة ومقتضى الحكمة بحال المامور المطيع المبادر الى امتثال الامر
المطاع طوعا او كرها مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وامتناع عدم حصول ما اريد منهما وحاصله تصوير كمال
عظمته وكبريائه وعدم تخلف مراده في شيء اصلا بالعالم العلوي والسفلي قالتا اتينا طائعين منقادين
اجرى عليهما وصف العقلاء لما جعلهما مخاطبين كقوله رايتهم لي ساجدين فقضيهن سبع سموات الضمير للسماء
على المعنى كقوله اعجاز نخل خاوية او مبهم فسره سبع سموات تمييز وعلى الاول حال في يومين خلقهن وما فيها
في يومين فتم شان العالمين في ستة ايام خلق الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلثاء
وخلق الاشجار والمياه يوم الاربعاء وخلق السماء يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملئكة يوم الجمعة
في ثلاث ساعات وفي اخر ساعة خلق ادم فقيل هي الساعة التي تقوم فيها الساعة واوحى في كل سماء
امرها ما امر به ودبرا واوحى الى اهلها بما اراد وزينا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا وانما قدم اليومين
مع ان ما ذكر بعدهما من تدبير امر السموات واقع فيهما للاهتمام اشارة الى ان العلوي العالم الذي نسبة السفلي اليه
نسبة الحلقة الى الفلاة تكون وتم امره في اقصر من مدة تكون فيعلم ان ايقاع هذه الافعال على وجه التدريج
انما هو لارشاد العباد الى التاني في الامور والا فامره تعالى في الايجاد انما هو بين الكاف والنون ذلك
تقدير العزيز العليم اي المذكور صنع الغالب على كل شيء العالم به فان اعرضوا بعد هذا البرهان النير فقل
انذرتكم صاعقة عذابا شديدا يشبه الصاعقة في الرفع والشدة مثل صاعقة عاد وثمود مثل ذلك العذاب
في الشدة كان ابو جهل في ملأ من قريش فقال قد التبس علينا امر محمد فهل منكم احد ياتينا ببيان منه
قال عتبة بن ربيعة انا لكم فاني قد علمت من السحر والشعر والكهانة ما لا يخفى فاتى رسول الله ودعاه الى
ترك سب الاصنام وذكر اباءهم فلما فرغ من كلامه تلا عليه السورة الى ان بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد و
ثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ان يكف وولى هاربا اذ جاءتهم الرسل صفة صاعقة الثانية لا
الاولى ولا ظرف انذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من كل جانب واجتهدوا في كل حيلة وعن
الحسن حذرهم بالوقائع في الامم الماضية وبعذاب الاخرة او ان هودا وصالحا كل منهما دعا قومه الى الايمان
ولمن تقدم من الرسل ولمن ياتي من بعد فان الايمان بالكل واجب فكان الكل قد جاؤا والحمل على الكثرة كما
في قوله ياتيها رزقها رغدا من كل مكان لا يستقيم لاختصاص كل قوم بنبيهم الا تعبدوا الا الله ان مخففة حذف
منها ضمير الشان او مفسرة قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملئكة بالرسالة فانا بما ارسلتم به كافرون
ليس اقرارا بالرسالة بل قالوه تهكما والخطاب لهما ولمن دعوهم الى الايمان به من ساير الرسل فاما عاد فاستكبروا

والكسائي وحفص سواء بالنصب

رد على القاضي

وحفظا من ان يقع فيها خلل او مفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح

رد على [illegible]

في الارض

في الارض بغير الحق استحقاق ذكر اولا كفرهم ثم بين ما خص كل طائفة وقالوا من اشد منا قوة اي لا احد
كانوا طوالا او غلاظا حتى كان الرجل منهم يقتلع الصخرة من الجبل بيده فاغتروا بذلك اولم يروا يعلموا
ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اذ هم لا يقدرون على مثله فصح انه اقوى واقدر وكانوا باياتنا يجحدون
اي كانوا يعلمون ذلك الاقدار منا وغيره من الايات الا انهم كانوا ينكرون عنادا وعتوا فارسلنا عليهم
ريحا صرصرا ريحا باردة تصر ما اصابته اي تقبضه وتشده ومنه الصرة لانها تجمع الدراهم او من الصرير وهو
صوت هبوبها في ايام نحسات هي الثمانية في قوله تعالى سبع ليال وثمانية ايام والنحس ضد السعد وقرا
الكوفيون وابن عامر بكسر الحاء والباقون بالاسكان والكسر اولى لانه قياس الصفة من فعل كحذر وفهم ونهم
وروى امالة السين عن الكسائي لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اي الذل صفة للمعذب وصفة العذاب
كشعر شاعر على الاسناد المجازي مبالغة كان الخزي سرى من المعذب الى العذاب ولعذاب الاخرة اخزى
لكونه اشد واعم وهم لا ينصرون في الدارين بدفع العذاب واما ثمود فهديناهم بنصب الادلة وارسال الرسول
فاستحبوا العمى على الهدى اي هديناهم على طريقة الضلالة والرشاد كقوله فهديناه النجدين وفيه دلالة على ان
الهداية لا يستلزم الاهتداء وفي الاستحباب اشارة الى عدم استقلال العبد بالايمان لان القاء الحب في القلب
ليس بقدرة العبد وان كان ايثار العمى حبا باختياره وهذا مما يقصم القدرية جبرا فاخذتهم صاعقة العذاب
الهون صاعقة من السماء والهون الهوان والكلام في اضافة العذاب اليه كما تقدم في عذاب الخزي بما كانوا
يكسبون من الكفر ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار
اراد بيان عذاب الاخرة بعد ذكر عذاب الدنيا قرا نافع بالنون على نمط ونجينا ونصب اعداء والباقون بالياء
على بناء المفعول والنون اشد تهويلا فهم يوزعون يحبس اولهم حتى يلحق اخرهم كناية عن الكثرة حتى اذا ما
جاؤها ما مزيدة للدلالة على ان وقت مجيئهم لا محالة وقت الشهادة شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا
يكسبون وفي الحديث ان الكافر يقول يوم القيمة يا رب اليس قد وعدت انك لا تظلم فيقول بلى فيقول اني
لا اقبل الا شاهدا من نفسي فيختم الله على فيه وينطق جوارحه بالاعمال التي صدرت منه فيقول سحقا لكن
فعنكن كنت اناضل وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا توبيخا لهم على عدم مراعاة الصحبة مع ان العذاب
مشترك والخطاب للجلود وحدها لشمولها ساير الاعضاء قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اعتذروا بان
ذلك لم يكن باختيار منهم بل ممن انطق كل حي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون اي الذي انطقنا هو
الذي انشاكم ابتداء واليه ترجعون للجزاء فلا عجب منه اذا انطقنا ويجوز ان يكون ابتداء كلام منه تعالى يؤيده
قوله اليه ترجعون وقوله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي ما كان
استتاركم وقت فعل القبائح خيفة من شهادة الجوارح كيف وانتم منكرون للبعث ولكن ظننتم ان الله لا يعلم
كثيرا مما تعملون اي لكن كان استتاركم من الناس دونه لانكم ظننتم انه غير عالم بخفيات اموركم وذلكم
الظن ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم اهلككم خبران لذلكم او ظنكم بدل عنه اي ما اهلككم الا ذلك الظن الكاذب
فاصبحتم من الخاسرين داخلين في زمرة الكاملين في الخسران وعلى العاقل ان يكون في خلواته اشد حياء واتم
وقوف تحفظا لعلمه بانه لم يزل عليه منه تعالى عين كالئة ورقيب مهيمن فان يصبروا فالنار مثوى لهم فيقاسون حرها
واحراقها وان يستعتبوا يطلبوا العتبى وهو الرضا عنهم فما هم من المعتبين من الذين يعطون الرضا ويفوزون به
والعدول الى الاسمية من لم يعتبوا مبالغة في اخراجهم عن زمرة المعتبين وقيضنا لهم قرناء قدرنا لهم شياطين
شابهوهم وصادروا اخوانا واحبابا واصل القيض المساواة يقال ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين ومنه
القيض البيض القشر لانها تتقدر وكذا المقايضة لتقدير يساوي الثمن في البدلين فزينوا لهم ما بين ايديهم
وما خلفهم ما تقدم من قبائحهم وما هم عازمون عليها في المستقبل او بين ايديهم من الدنيا واتباع الشهوات

وما خلفهم من امر الاخرة بان لا بعث فاقترصوا اللذات قبل فواتها وحق عليهم القول كلمة العذاب في امم
قد خلت من قبلهم من الجن والانس في جملة اولئك الذين كانوا على مثل اعمالهم ليكونوا في العذاب قرناء
كما كانوا في الدنيا احبة واخلاء انهم كانوا خاسرين في استبدال الضلالة بالهدى تعليل لاستحقاق العذاب
واشارة الى ان ذلك الشقاق نتيجة هذا الخسران وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه كانوا يعلمون
فصاحة الفاظ القرآن وحلاوة معناه وانه جلاب للقلوب سلاب للعقول والنهى ومن سمعه سماع
تامل وتدبر آمن به وايقن انه ليس بشعر ولا سحر وانه خارج عن طوق البشر فتواصوا بانهم اذا سمعوا قارئا
يكثرون اللغط والاباطيل حتى لا يفهم وتشوش القارى لعلكم تغلبون الخصم فلنذيقن الذين كفروا عذابا
شديدا هم هؤلاء وايقاع الكفر صلة اشارة الى علة العذاب او عامة الكفار ولنجزينهم اسوء الذي كانوا
يعملون اى اسوء جزاء اعمالهم او جزاء العمل الاسوء والاول اولى لقوله ذلك جزاء اعداء الله فانه خبر عن
الاسوء النار عطف بيان او خبر مبتدأ محذوف لهم فيها دار الخلد هى دار الاقامة كما تقول لك في هذه الدار
دار سرور على طريقة التجريد جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون يكذبون بها عالمين عنادا ولذلك جوزوا الجزاء
الاوفى وفيه اشارة الى ان عذاب الاخرة كله اسوء بالنسبة الى عذاب الدنيا وقال الذين كفروا ربنا ارنا
اللذين اضلانا من الجن والانس الشياطين على قسمين كما اشار اليه بقوله من الجنة والناس ولقوله وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقيل هما ابليس وقابيل سنا الكفر والقتل نجعلهما تحت اقدامنا
انتقاما منهم لقوله هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ليكونا من الاسفلين لكونهما اشد كفرا
للضلال والاضلال ان الذين قالوا ربنا الله آمنوا به معترفين بربوبيته ثم استقاموا ولم يزل قدمهم عن
طريق العبودية قلبا وجوارحا وهذا مقام عزيز واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله شيبتني هود واخواتها
وروى الامام احمد عن سفيان بن عبد الله الثقفي انه قال يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به فقال قل
ربي الله ثم استقم تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ان
مفسرة بمعنى اى او مخففة حذف منها ضمير الشان الخوف يكون من مكروه مترقب والحزن على فائت في الماضي
والمعنى لا تخافوا على ما تقدمون اليه ولا تحزنون على ما خلفتم من الاهل والمال وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون على لسان الرسل قيل بشر الملائكة في ثلثة مواطن عند الموت وفي نزول القبر وعند البعث
والظاهر ان ما في الاية هو الاول لقولهم نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا بالمحافظة عن الشياطين والهام الخير
وفي الحديث ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير ولمة الشيطان ايعاد بالشر وفي الاخرة
بالشفاعة والتلقي بالاكرام هؤلاء في مقابلة القرناء للكفار ولكم فيها ما تشتهى انفسكم من اللذائذ ولكم فيها
ما تدعون تطلبون من الدعاء بمعنى الطلب اعم من الاول وحمل الدعاء على التمني لا يلائم المقام نزلا من
غفور رحيم حال من الضمير في لكم لانه خبر ما تدعون اى المدعى كائن لكم حال كونه نزلا لا من المحذوف
العائد الى ما لان الادعاء والتمنى ليسا في حال كونه نزلا وفيه اشارة الى ان هذا نزل الضيف وله بعد الذي
لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل
صالحا اى وافق فعله قوله وقال انني من المسلمين اى اتخذ الاخلاص دينا كما تقول هذا قول فلان في
حنيفة اى معتقده وما يدين به وقيل قاله مفتخرا به وهذه الرتبة اعلى من الايمان والاستقامة فانها اكمال
وتلك كمال ولذلك قيل هو رسول الله والحق انها عامة وهو اول داخل فيها وما روى انها نزلت في
المؤذنين يرده كونها مكية والاذان شرع بالمدينة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة اى الحسنات تتفاوت الى
حسن واحسن وكذلك السيئات الى السيئ والاسوء ادفع بالتي هي احسن اى ادفع السيئ والاسوء باحسن
الحسنيين كما اذا قدرت على من اساء اليك فالحسنة ان تعفو عنه والاحسن ان تحسن اليه مقام اساءته

بفعله العاصي

والماترك

وانما ترك الفاء لان الاستيناف اقوى لوصلين فهو على تقدير قائل وقيل لا مزيد والمراد نفي المساواة
بين الجنسين والاعلام بان بينهما بونا بعيدا وكان الظاهر ادفع بالحسنة السيئة عدل الى المنزل لان من دفع
بالاحسن هان عليه الدفع بالحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اى اذا جازيت المسيء بالاحسان
صار عدوك المشاق كانه ذو قرابة شفوق وفي معناه قال شعر ان العداوة تستحيل مودة بتدارك
الهفوات بالحسنات وما يلقاها الا الذين صبروا اى ما يعطى هذه الخليقة الا من حبس نفسه على
المكروه وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الحلم وكمال النفس وعن الحسن ما عظم حظ والله دون الجنة
واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ هو النخس اريد به وسوسته وبعثه على الشر وهو الانتقام والدفع
بالاسوء وقيل من قبيل جد جده او وصف للشيطان بالمصدر على طريقة التجريد فاستعذ بالله من شره انه
هو السميع لاستعاذتك العليم بقصدك ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر دلائل على ذاته
ووحدانيته ذكر ان لا احسن قولا من الداعي الى الله ثم ارشد الى ما يدعوا به من ادلة الافاق لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر كانوا يسجدون للكواكب على قصد التقرب الى الله فنهوا عن ذلك واسجدوا لله الذي
خلقهن فان المستحق وحده والضمير للاربعة لانها جماعة ما لا يعقل ان كنتم اياه تعبدون ان كنتم
موحدين غير مشركين فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك ملئكة المقربون يسبحون له بالليل و
النهار مداومون على تقديسه وهم لا يسأمون لا يملون هذا موضع السجود عند ابي حنيفة والشافعي
في اصح الوجهين لانه تمام المعنى واحتياطا لانه ان كان عند تعبدون فالفصل يسير والتقديم غير جائز وفي
وجه تعبدون لاتصاله بواسجدوا ومن اياته انك ترى الارض خاشعة ذليلة اصله الانخفاض من قولهم
اكمة خاشعة اى لاطية فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانتفخت وتزخرفت بالنبات كالمختال
في زيه بعد ما كانت كالذليل في اطمارة ان الذي احياها بالنبات النضر البهيج لمحيى الموتى لا محالة انه
على كل شيء قدير كامل الاقتدار ان الذين يلحدون في آياتنا الحد ولحد مال عن الاستقامة استعير لصرف
الكلام عن وجهه وقرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء لا يخفون علينا وعيد لهم افمن يلقى في النار خير
ام من ياتي آمنا يوم القيمة تهديد لمن يلحد في آيات الله بانه كما انحرف في تأويل الايات كذلك يعدل به
عن الصراط الموصل الى النعيم الى الجحيم اعملوا ما شئتم اذ قد علمتم حال الرجلين ومآلهما الامر للتهديد
لا لايجاب الفعل انه بما تعملون بصير فيجازى على وفق ما علم ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من
الذين يلحدون اشارة الى ان الحامل على الالحاد مجرد كفرهم وفيه امداد للتحذير لوضع الذكر موضع الايات
تحسيرا لهم وبما في لما من الدلالة على انهم كفروا اول ما قرع سمعهم من غير تدبر تمهيد للحديث عن كمال
الكتاب بقوله وانه لكتاب عزيز شريف جم المنافع او غالب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل
حاله بحال الشيء المحمي من جميع الجوانب فلا يمكن للعدو الوصول اليه وفيه اشارة الى انه محفوظ من حين النزول
الى اخر الدهر كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ورد لالحاد الملحدين فيه بان سعيهم في ذلك
كالرقم على الماء تنزيل من حكيم واى حكيم حميد افعاله واقواله على وجه الاتقان والكمال فكيف يتطرق
الباطل الى وجهه ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اى ما تقول لك كفار قريش الا اشياء
قيل لمن تقدمك من الرسل مثله كقوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة
لانبيائه واوليائهم وذو عقاب اليم لاعدائه وما تقول لك الله الا ما قد قيل للرسل قبلك وهو الوعد بالمغفرة
لمن آمن وبالعقاب لمن كفر وانما وصف العقاب دون المغفرة لان الكلام في الترهيب ولو جعلناه قرآنا
اعجميا اى لو فرض كذلك لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان عربى نفهمه والغرض ان تعنتهم لا سبيل الى
دفعه أأعجمي وعربي اى هذا امر منكر والاعجم هو الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اى لغة كان والياء

واوليائهم

للنسبة والعجمي منسوب الى الطائفه المعروفه واتما اتى بالمفرد مع ان المنزل عليهم امه العرب لان القصد بيان
منافرحالتي الكتاب والمكتوب اليه فالو جمع كان اتيانا بما لا مدخل له في الغرض وهذا اصل كلي في
الاثبات والحذف والاطلاق والتقييد لا يعجز ذلك في كل كلام بليغ وقرأ حمزه والكسائي وابو بكر بتحقيق
الهمزتين على الاصل والباقون بتسهيل الثانيه تخفيفا سوى هشام فانه قرا باسقاط الاولى اما على الاخبار
على معنى لولا نوعت آياته فكون بعضها اعجميا وبعضها عربيا ليكون لكل طائفه منه خط او على حذف
وتقدير فتوافق الاولى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء هادى الى كل خير وشفاء عن داء الجهل
والشبه والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر عطف على المجرور اى هو للذين امنوا هدى وشفاء وللذين
لا يؤمنون وقر في آذانهم بيان لمحل الوقر او حال من المستكن في الظرف عايد الى وقر وهو من العطف على
عاملين مختلفين او مبتدأ ما بعده خبره اى والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر ووقر منه في آذانهم بحذف
الرابط وهو عليهم عمى استولى على بصايرهم ولم يتعرض لحال القلب لانه علم مما في شفاء من التعريض انه مريض
بعلة الطبع اولئك ينادون من مكان بعيد لا يمكن لحوق الصوت اليهم تمثيل لبعدهم عن الحق ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه فقال بعضهم حق وكذب البعض فكذلك حالك وحال من ارسلت اليه ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضي بينهم باستيصال المكذبين وانهم اى اليهود او الذين كفروا لفي شك منه من التورية او القران مريب
موقع للقلق والاضطراب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يجاوزها خير وشر وما ربك
بظلام للعبيد بان يؤاخذ من غير جرم والكلمة السابقه هي العده بالفصل يوم القيمه وفيه تخلص الى ذكر
الساعه بقوله اليه يرد علم الساعه ارشاد للمؤمنين الى الجواب ان سئل احدهم عنها بان يقول لا يعلمها الا
الله وما يخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الاكمام جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة
الاستثناء من الكل اى لا يحدث شئ من هذه الاشياء الا ملتبسا بعلمه وليس من الاستثناء المعقب للجمل
المختلفه في متعلقه لاتحاد المقصود ولاختصاص ذلك بغير المفرغ وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات
بالجمع لاختلاف الانواع ويوم يناديهم اين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد اى اعلمناك ان احدا منا
لا يشهد اليوم انهم شركاؤك فاعادة السؤال عليهم لزيادة التوبيخ او ما منا احد يشاهدهم لغفوله وضل عنهم
ما كانوا يدعون من قبل او معناه انك علمت بواطننا انا لم نعتقد الا آن فيك شريكا فالاعلام بلسان الحال
او آذناك انشاء فلا يقتضي سبق اعلام ويجوز ان يكون من كلام المعبودين والضلال مجاز عن عدم النفع
وفيه تقليبات الضماير وظنوا ما لهم من محيص اتقنوا ان لا مهرب الظن متعلق بحرف النفي لا يسام الانسان
من دعاء الخير من طلب الزيادة في المال والجاه وان مسه الشر في بعض الاوقات فيؤس كثير الياس قنوط
ظاهر عليه آثاره فالاول فعل القلب والثاني للجوارح بولغ فيه بناء وتكريرا وهذا شان الكافر ولئن اذقناه
رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي لاني كنت مستحقه ولا يرى في ذلك منه المنعم ولا يتلقاه
بالشكر عظم الرحمة بالتنكير والوصف وحقر الضراء بلفظ المس وما اظن الساعة قائمة جلب له الاغترار بذلك
سوء الاعتقاد في المعاد ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اى لو فرض ذلك ان لي عند الله الحالة
الحسنى فايسا امر الاخرة على الدنيا فلننبئن الذين كفروا بما عملوا عكس ما اعتقدوه ولنذيقنهم من عذاب
غليظ مفرط في العظم وفوق جهلهم المفرط واذا انعمنا على الانسان اعرض عن شكر المنعم ونأى بجانبه تكبر ولعطف
الجانب مفخم اشارة الى تعاظمه كقول الكتاب الجناب العالي والمجلس السامي فانه عند الاعراض يثني عطفه
على قوله تولى بركنه وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر ناء بتقديم الالف على الهمزة مقلوب نأى او من ناء
بنوء نهض والقلب وهو الموافق الاولى في معنى البعد زايدا على الاعراض واذا مسه الشر فذو دعاء عريض
كثير استعير مما له عرض وهو ابلغ من الطويل فانه اقصر الامتدادين فاذا كان كذلك فالطول اولى ذمه اولى

على شدة حرصه على الجمع وغاية جزعه على الفقد وثانيا بطشه المتولد عن الاستكبار عند وجود النعمة
والاستكانه عند فقدها لانه في حالة السعة شاكر ولا في حال الفقد صابر مدمجا فيه الاشارة الى
غاية حماقته فان الياس والقنوط ينافيان الدعاء العريض واين ادعاء استحقاق الحسنى عند الله
من هذا بل هو كالغريق في المثل قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق
بعيد اى اخبروني ان صح ان القران من عند الله فانكم لستم على حجة في انكاره وقد كفرتم به من يكون اغرق
في الشقاق منكم واثرتم لبيان بعد الكفر بالقرآن ولا تقتدكذبوا به لما جاءهم من غير تعلم اورده على
اسلوب كلام المنصف حثا على التامل واستدراجا الى الاقرار ثم بقوله سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق اى عن قريب نريهم ما يدل على ان القران حق لا ريب فيه او الرسول او التوحيد بما يجرى
على يدي رسولنا ومن بعده من الخلفاء وساير الصحابة من الفتوح في مشارق الارض ومغاربها لا سيما في ناحية
العرب وساحتها وفي ذلك من الدلالة على قوة الاسلام واهله ووهن الباطل وحزبه ما يحقق صدق قوله
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وبه يتبين انه الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد يعلم الاشياء علما شهوديا يستوى عنده كل غيب وشهادة تحقيق لتلك
الاراءة فانها نزلت والمؤمنون في غاية الضعف والقلة كذا عن مجاهد والحسن والسدى وعن عطا آيات
الافاق والانفس ما في اقطار السماء والارض وما في الانسان من بدايع الصنع ولطايف الحكم والالتفات
الى التكلم لزيادة الاختصاص تحقيقا لثبوت الاراءة ومعنى يتبين لهم انه الحق انه الله ذاتا وصفة وقولا وفعلا
فهو الحق من كل وجه واذا تبين لهم ذلك تبين حقية القرآن فانه كلامه ثم قيل اولم يكف بربك شهودا على كل
شئ فبه تشهد الاشياء على التحقيق لانه استدلال بالموثر على الاثر على طريقة البرهان اللمى وهو اقوى من
الاستدلال بالاثر وفي اضافة الرب اليه اشارة الى ان ذلك ليس للعمل فيه مدخل بل هو محض عناية كما اشير
اليه جذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين الا انهم في مرية من لقاء ربهم لعدم ذلك الشهود فهم في
ظلمة مكاشفة الا انه بكل شئ محيط علما وقدرة فمن شهده شهد كل شئ

سورة الشورى مكية وهي ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق مقطعات للانقاط او اسمان للسورة
ولذلك فصل بينهما او ليوافق ساير الحواميم كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك اى مثل المعاني التي في
هذه السورة اوحى الله اليك في ساير السور والى الرسل من قبلك في ساير الكتب امثالها لما في التكرير من
التقرير والتذكير والدلالة على انها امور مهمة واثار المضارع حكاية الحال الماضية لافادة الاستمرار وان
ايحاء مثله حقيق به وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان ذلك مبتدأ وهو خبره والله مرتفع بما دل عليه يوحى
كارتفاع رجال في يسبح بفتح الباء كانه قيل من الموحى فقيل يوحى الله على ان قوله العزيز الحكيم وصفان له او يوحى
على من قبلك ووقف التمام والله مبتدأ والاسمان بعده خبران او الاول خبر والثاني نعته او كلاهما نعت والخبر
ما بعدهما وايثار الوصفين للدلالة على انه غالب على امره مختار من يشاء لرسالته حكيم في افعاله يوحي الى رسله
ما العبادة فيه خير الدارين له ما في السموات وما في الارض مالكهما وخالقهما وهو العلي شانه العظيم سلطانه
تكاد السموات قرأ نافع والكسائي يكاد بالياء والباقون بالتاء لعدم الفصل يتفطرن يتشققن وقرأ نافع وابن
كثير والكسائي وحفص يتفطرن بالتاء المفتوحة وتشديد الطاء من التفعل وهو اولى لدلالة الصيغة على
المبالغة اللايقة بالمقام وانفطارها اما من عظمة الله وكبريائه كما دل عليه العلي العظيم او من نسبة الولد اليه كما في
من قوله ام اتخذوا من دونه اولياء ولقوله في سورة مريم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض ان دعوا
للرحمن ولدا والاول اولى بالمقام من فوقهن من جهة الفوق كالعرش والكرسي دلالة على ان كل ما عظم
وعلا من الكاينات اخضع لجلاله جبروته او من اعالى سطوحهن فان الكلمة الفحشاء وهو اتخاذ الولد جاءت من تحتها

فحنت اثرت فى جهه الفوق كان تاثيرها فى جهة التحت من باب الاولى والملئكة يسبحون بحمد ربهم مداوسون على
تقديسه وتمجيده خاضعين لكبريائه حامدين على ما اوليهم او تقدسونه عن اضافه الولد اليه حامدين له على ما عصمهم
عن موجبات سخطه ويستغفرون لمن فى الارض اى للمؤمنين لقوله ويستغفرون للذين امنوا او لاهل الارض قاطبة
حرصًا على نجاة الخلق بان لا يعاجلهم بالعذاب عسى ان يتوب المسئ الا ان الله هو الغفور الرحيم حث على الاستغفار
وان الناس اولى بذلك من الملئكة ولذلك صدر الكلام بحرف التنبيه والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ
عليهم رقيب فيجازيهم على وفق عملهم وما انت عليهم بوكيل موكول اليه امرهم وكذلك اوحينا اليك قرانا
عربيا ذلك اشارة الى كونه رقيبا وحده وهذا المعنى مكرر فى القران والكاف مفعول به وقرانا عربيا حال
منه او الى مصدر الايحاء اى مثل ذلك الايحاء اوحينا اليك قرانا عربيا بلسانك تفهمه لتنذر ام القرى وهى
مكه لان الارض دحيت من تحتها فهى اصلها ومن حولها من العرب تذرع وانذر به بمعنى وتنذر يوم الجمع يوم
القيمة لاجتماع الخلق فيه او الارواح والاجساد او العامل وعمله افرده بالذكر لعظم اهواله ولوقوع عليه لفظ
الانذار صريحا لاريب فيه اعتراض لا محل له فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى من المجموعين لدلالة الجمع عليه
والمعنى بعد الجمع والقضاء تفرقوا ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة فى الهدى او الضلال ولكن يدخل
من يشاء فى رحمته وهم المؤمنون بالتوفيق والظالمون المتخذون من دونه وليًّا اتى بالظاهر ليكون علة
لقوله ما لهم من ولى ولا نصير او عام فيدخلون دخولا اوليا وتغير المقابلة فى الوعيد لان الكلام فى
الانذار ام اتخذوا من دونه اولياء انكار هم لاتخاذهم اولياء من دونه وما بين الاتخاذين اعتراض
فالله هو الولى جواب شرط مقدر اى ان ارادوا وليا بحق فالله هو ذلك الحق ارشاد الى من يصلح بعد
انكار من لا يصلح وفيه شد لعضد الانكار وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير ومن هذا شانه
حقيق بالولاية وما اختلفتم فيه من شئ من امور الدين انتم والكفار حكاية قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحكمه الى الله مفوض اليه يثيب المحق ويعاقب المبطل او ما وقع بينكم ايها المؤمنون من الحكومات فتحاكموا
الى رسوله او ما اشتبه من الكتاب ردوه الى المحكم او فى المجتهدات لجواز الاجتهاد فى زمانه وبحضرته دل عليه
حكم الصديق فى السلب لابى قتادة على ما رواه البخارى من غير معارض ذلكم الله ربى عليه توكلت فى اموري
واليه انيب فى حل المعضلات فاتدا او بدل بذلك فاطر السموات والارض خبر اخر او مبتدا خبره جعل لكم من
انفسكم من جنسكم ازواجا اناثا للتوالد والتناسل يذرؤكم يكثركم والذرء والذر اخوات فيه اى فى هذا التدبير
والجعل الضمير لما دل عليه الفعل فى يذرؤكم بتغليب العقلاء والخطاب ليس كمثله شئ نفى لمن يماثله على طريق
الكناية وذلك ان البرهان دل على نفى مثله فلو كان لمثله مثل كان مثلا له وهذا اسلوب معروف بين
البلغاء يقولون انعت لذاته وبلغت اترابه وفى المدح بالجود مثلك لا يبخل ولا فرق بينه وبين قولك
انت لا تبخل الا ما تعطيه الكناية من المبالغة من وجهين الدلالة على موجب عدم البخل والثاني ادخاله
فى زمرة من لا يبخل فهو دل على عدم البخل وقيل حرف التشبيه للتاكيد والوجه ما تقدم وهو السميع
لكل المسموعات البصير بكل المبصرات تقرير لنفى المماثل له مقاليد السموات والارض خزائنها او مفاتيحها
يتضمن ذكر ساير الصفات الذاتية وافراد السمع والبصر لانهما اخص اوصاف المعبود من حيث انه معبود
الا يرى الى قول ابرهيم عند نصح ابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يوسع ويضيق فى وقتين انه بكل شئ عليم فيغنى ويفقر على حسب علمه شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى تفصيل لما اوحى اليه والى الذين من
قبله وهو باب الالهيات والعقايد الى لا تبدل لا الفروع لقوله ولكل جعلنا منكم شرعة ان اقيموا الدين
بدل من مفعول شرع او استئناف جواب ماذا شرع ولا تتفرقوا فيه اى فى هذا الاصل كبر على المشركين

رد على الكشاف

نشاء ومن الانعام ازواجا م

ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب الضمير لله والاجتباء الاصطفاء
وتقدمهم على اهل الاهتداء وان اتخذوا فى التوحيد لشرفهم او للدين والاجتباء من الجباية وهى
الجمع لانه لما نهى عن التفرق وان ذلك شاق على المشركين اردفه بان الله يجمع على دينه من يشاء فيفقه
على زعم المشركين والاول املأ فايدة لدلالته على ان الله عاداهم صفوة ولان الاجتباء فى الاصطفاء
اظهر والثانى اوفق بالمقام وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم اى لم تتفرق الامم بعد موت الانبياء
من لدن نوح الا بعد علمهم ان الفرقة ضلالة وفساد او وما تفرق ابناء الموحدين الا بعد العلم من الانبياء
بان التفرق ضلال لان الناس كانوا بعد الطوفان امة واحدة مؤمنين فاختلفوا او وما تفرق اهل الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم من المبعوث المصدق لكتابهم آمن بعضهم وكفر آخرون بغيا بينهم ظلما فيما بينهم
لطلب الدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى هى العدة الى قيام الساعة لقضى بينهم باستيصال
المبطل وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم اعقابهم الذين كانوا فى عهده لفى شك منه من كتابهم ضموا
الى التفرق الشك فى الكتاب الذى هو اصل دينهم وعلى الثالث هم مشركوا مكة اورثوا القران ثم فى
شك منه مريب معلق فلذلك فادع اى لاجل تشعب الكفر فى الامم فادع الى الملة الحنيفية القديمة والاتفاق
عليها او اشارة الى مضمون شرع وما يتصل به اى لاجل ما شوركت معه او لكاف الرسل من الامر باقامة
الدين والنهى عن التفرق فادع واستقم كما امرت على الدعوة ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل
الله من كتاب اى كتاب نزل فانهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم ان تحاكمتم الى فالاول
اشارة الى القوة النظرية وهذا الى العملية الله ربنا وربكم لنا اعمالنا نجازى بها ولكم
اعمالكم كذلك تجازون فانظروا لانفسكم لا حجة بيننا وبينكم لا احتجاج لان الحق قد ظهر والمراد ترك المقاولة
الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير الى جزاء والذين يحاجون فى الله اى فى دينه من بعد ما استجيب له
من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا او استجاب الله لرسوله بالنصر والوعد باظهار دينه حجتهم داحضة
عند ربهم ساقطة هم المشركون والذين كانوا يصدون عن سبيل الله بان ما اتى به محمد سحر او شعر وقيل هم
اليهود كانوا يقرون بنبوته ويستفتحون به فلما جاءهم كفروا به فان قلت التقييد بقوله من بعد ما استجيب له
يدل على ان قبل الاستجابة كانت حجتهم ناهضة قلت لا دلالة فيه بل انما ذكر اشارة الى فرط جهلهم اذ بعد
ظهور تباشير النصر وشروق شمس الحق لا وجه للانكار وبعد الاقرار حماقة فهم فى ذلك كالراتم على الماء وعليهم
غضب واى غضب ولهم عذاب شديد ملايم لشدة جهلهم الله الذى انزل الكتاب بالحق والميزان العدل والمعنى
الله الذى انزل جنس الكتاب مشتملا على الحق وامركم باقامة العدل بينكم وما يدريك لعل الساعة قريب فيفاجئكم
اليوم الذى يحاسبكم فيه فيوفى لمن وفى ويطفف لمن طفف والساعة فى تاويل البعث ولذلك قيل قريب
او على تقدير المجئ واختصاصه بالخطاب لانه اذا لم يدر به وفور علمه صلعم من باب الاولى يستعجل بها الذين لا
يؤمنون بها يقولون متى هذا الوعد والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها غاية الخوف كيف وهو يوم
يجعل الولدان شيبا ويعلمون انها الحق الذى لا مرية فيه تاكيدا للاشفاق الا ان الذين يمارون فى الساعة
يجادلون فى وقوعها من المراء او من المرى يقال مريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجرى فان كلا
من المتناظرين يستخرج من قريحته ما يقدر عليه لفى ضلال بعيد عن الحق لتوافق العقل والنقل على وقوعها
الله لطيف بعباده بليغ البر بهم ولذلك اخر العذاب عن منكرى الساعة مع تحقق استحقاقهم واللطف
ايصال نفع له موقع بدقة يرزق من يشاء ما يشاء مترتب على السابق ترتب الانواع على الجنس فالكل
للكل بحض هذا نعمه وذاك باخرى وهو القوى العزيز بليغ القدرة الغالب على ما اراد ولما شمل رزق الدارين
قال من كان يريد حرث الاخرة الحرث فى الاصل الالقاء البذر فى الارض شبه به العمل الذى يطلب به الثواب فان الدنيا

لمن فى الاول تمكنك الجامو سه

اما النقل فظاهر واما العقل فلان الجزاء لابد منه وليس فى الدنيا
سه

مزرعة الآخرة نزد له في حرثه اي في ثواب عمله الحسنة بعشر امثالها الى ما شاء الله تعالى ومن كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها وهو المقدر له اذ ليس كل ما تمناه يدركه ولم يذكر للمؤمنين من الدنيا لحقارته
ولانه ليس مرادا له بل وسيلة الى المراد كاينا بالعرض وما له في الآخرة من نصيب اذ لم يزرع لها شيئا ام لهم
شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله من الشرك وانكار البعث وقصر النظر على حرث الدنيا الهمزة في
ام للتقرير والتوبيخ اضراب عن قوله شرع لكم من الدين وما في البين اعتراض تتميما للاول وتاخير الاضراب
عنه ليدل على ان ما شرعوه مخالف لشرع الله من كل وجه ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل
العذاب او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم بين المؤمنين والكافرين او بين المشركين وشركائهم
وان الظالمين لهم عذاب اليم يوم القيمة وكل آت قريب ثم هول شانه بقوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا
من وبال وهو واقع بهم لا محالة اذ قد فات وقت التلافي والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات في انزه اماكن الجنة واشرفها لهم ما يشاؤن عند ربهم عند ربهم نصب بالظرف لا بيشاؤن لفوات
غرض المبالغة لانك اذا قلت لي عند فلان ما شئت افاد ان كل مطالبك ثابتة عنده واذا قلت ما شئت
عند فلان فهو ثابت لا يفيد حصول كل مطلوب والاولى جعله خبرا آخر وانما اخر ترقيا من الادنى وذلك
ان الوافد المكرم ينزل اولا في انزه الاماكن ثم تقدم اليه المتناول ثم يقربه رب المنزل وجعله حالا يفيد
هذا المعنى ايضا الا انه فضله ذلك هو الفضل الكبير اي ما يعطى المؤمن هو الذي يصغر دونه كل فضل ذلك
الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي به حذف الجار ثم العايد او ذلك التبشير الذي
يبشر الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بفتح الياء واسكان الباء وضم الشين مخففا
والتشديد ابلغ قل لا اسئلكم عليه اجرا على تبليغ الرسالة الا المودة في القربى الا ان تودوني لقرابتي
منكم وذلك انه لم يكن في قريش بطن الا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة كذا رواه البخاري
عن ابن عباس لما سئل عن تفسير القربى في الآية وقيل الا التقرب بالطاعة وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا
اسئلكم عليه اجرا قط لكن اسئلكم المودة وفي القربى حال اي ثابتة متمكنة في حق القرابة وما يروى انها لما
نزلت قيل يا رسول الله من هؤلاء الذين امر الله بمودتهم قال فاطمة وعلي وابناهما فحديث منكر لان الآية
مكية اتفاقا وعلي انما تزوج فاطمة بعد بدر وما رواه مسلم باسناده الى زيد بن ارقم انه صلى الله عليه وسلم
قال في خطبته اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي
ولم يفترقا حتى يردا علي الحوض ففيه كفاية في ايجاب حب اهل بيته واجلال قدرهم وايثارهم على الارواح
والمهج واذا كان الحب في الله بين المؤمنين من الايمان فكيف بحب ذريته اللهم اني احبهم واحب من يحبهم
اللهم ابقني على محبتهم واحشرني في زمرتهم اللهم اشدد وطاتك على من ناواهم واو من اواهم ومن يقترف
حسنة يكتسب طاعة وعن السدي هي المودة في القربى والحق عمومها لكن تناولها اولى لانها سبب نزولها نزد له
فيها حسنا لمضاعفة ثوابها ان الله غفور لمن اذنب شكور مجاز عن اعتداده بالطاعة ام يقولون افترى
على الله كذبا اضراب آخر احط من الاول فان شرع الشركاء لهم الدين وان كان شرا الا انه لا يبلغ فحشه رتبة الافتراء
على الله من مدعي الرسالة والاستفهام للتوبيخ كانه قال ايقدرون على اجراء هذه الكلمة على افواههم ولا يخافون
ان تصيبهم قارعة من السماء فان يشأ الله يختم على قلبك لتكون مثلهم اشارة الى ان الافتراء على الله تعالى شان
من كان مختوما على قلبه وفيه تعريض بهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استيناف تؤكد لمفهوم السابق
اي كيف يكون افتراء وعادة الله القذف بالحق على الباطل وازهاقه وما اتى به يزداد كل يوم فهو
الحق الذي يؤيده بوحيه او بقضاياه وقيل هو وعد لرسول الله بالنصر ومحق باطلهم بالقران فهو اعتراض
يؤكد كونهم مبطلين في نسبة الافتراء الى من هو اصدق الناس لهجة ما صدق حديث من اصدق متكلم

المكان اولى لوجود تلك الفايدة مع الاستقلال منه

وعن

وعن قتادة يختم على قلبك ينقطع الوحي عنك او يربط بالصبر على قلبك حتى لا يشق عليك توهم فيك انه عليم
بذات الصدور بمضمراتها فيجازيهم على ما اضمروا من بغضهم وحسدهم اياك فضلا عما اظهروه وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده لا فظ جرمهم دعاهم الى التوبة اشارة الى ان الذنب وان عظم فعفوه اعظم واضافهم
اليه ايماء الى انهم لم يخرجوا بالذنب عن حوزته ولم ينقطع بذلك العلاقة وحقيقة التوبة الاقلاع عن الذنب
خوفا منه تعالى واما الندم على الماضي والعزم على ان لا يعود فمن شرايطه ويعفو عن السيئات لمن يشاء
صغيرها وكبيرها الا ما استثناه من الشرك ويعلم ما يفعلون من خير وشر وقرأ حفص وحمزة والكسائي بتاء
الخطاب التفاتا مقبلا عليهم ليكون اوعى لهم الى الرجوع ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب
لهم بحذف الصلة وايصال الفعل او دعاهم بحذف المضاف ويزيدهم من فضله زيادة على ما سألوه وقيل
الاستجابة فعل المؤمنين حين دعاهم الى التوحيد وما يروى عن ابراهيم بن ادهم قدس سره انه قيل
له ما لنا ندعو فلا نجاب قال لانكم دعيتم فلم تجيبوا ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا
يؤيده وهو من قبيل كما تدين تدان ومن تقرب الي شبرا تقربت اليه باعا ويزيدهم من فضله على هذا
معطوف على مقدر اي فيوفيهم اجورهم ويزيدهم والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من النعيم
ولو بسط الله الرزق لعباده بان يفيض عليهم فوق حاجتهم لبغوا في الارض لافسدوا فيها بطرا واشرا
فان المال مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة وفي الحديث والله لا الفقر اخشى عليكم ولكن اخاف ان
يبسط عليكم فتنافسوا فيها كما تنافس من قبلكم وفيه عنه تعالى ان من عبادي من لا يصلح له الا الفقر والمراد
البغي الذي يختل به النظام فلا يرد ان البغي كاين والحالة هذه ولكن ينزل بقدر ما يشاء بقدر ما اوجبته المشية
واقتضته الحكمة انه بعباده خبير بصير يعلم بواطنهم وظواهرهم تقرير للسابق وهو الذي ينزل الغيث المطر
النافع الذي يغيثهم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا لبعد العهد وعدم ظهور
العلامات وينشر رحمته بركات الغيث ومنافعه او رحمته من ساير الوجوه قيل شكي الى عمر قحط المطر فقال
مطروا اشار الى الآية وهو الولي الحميد السيد الذي يستحق ان يحمد ومن آياته خلق السموات والارض دلايله
الدالة على انه صانع حكيم وما بث فيهما من دابة ما مرفوع او مجرور اي من آياته ما بث او خلق ما بث قيل نسبة
الدابة الى السموات والارض مع اختصاصها بالارض كنسبة اللؤلؤ الى العذب والاجاج وكقولهم بنو فلان
فعلوا كذا ولا داعي الى هذا لوجود الدواب فيها حقيقة دل عليه حديث البراق وكبش اسمعيل ومراكيب
اهل الجنة وهي كاينة الآن في السماء وهو من معجزات القرآن لبناء السورة على بيان كمال الاقتدار
وفي تغليبها على العقلاء اشارة الى كثرة الانواع والاصناف وما يعلم جنود ربك الا هو وهو على جمعهم اذا
يشاء قدير اي وقت اراد واذا تدخل المضارع دخولها على الماضي كقوله والليل اذا يغشى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم من المعاصي فتلك كفارة لها وعن بعض العارفين اني اذا ارتكبت معصية
اعرف ذلك من خلق دابتي وذكر الايدي مقحم لان اكثر الاعمال بها وقرأ نافع وابن عامر بدون الفاء
لان ما الموصولة لا تستلزمها فاتى بها تارة وتحذف اخرى حطا للمشبه عن المشبه به مع ما تفيد الباء
من معنى السببية والنظم لا يدل على الحصر فما يصيب اهل العصمة كالانبياء والاطفال فلرفع درجاتهم ودرجات
آبائهم بالصبر ويعفو عن كثير لا يؤاخذ به وما عفا عنه فهو اكرم من ان يرجع عن عفوه ولذلك قال
علي رضي الله عنه هي ارجى آية وما انتم بمعجزين في الارض من بفائتين لما قضي عليكم وما لكم من دون الله
من ولي يتولى امركم ولا نصير يدفع عنكم ما قضاه فلولا لطفه بكم لما عفا عن كثير ومن آياته الجوار
في البحر من آيات كمال اقتداره السفن الجارية في البحر مسخرة تحت امره كالاعلام كالجبال كقول الخنساء كانه
علم من فوقه نار ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره اي فيصرن واقفات على ظهر البحر من ركد الماء

هذا اختيار الغزالي في الاحياء منه

المشبه الموصولة والمشبه به الشرطية منه

اوله اغر ابلج تاتم الهداة به

سكن ان في ذلك التصرف لآيات لكل صبار شكور اى لكل مؤمن لانهما صفتاه حالتى الضراء والسراء او يوبقهن
بما كسبوا يهلك السفن بسبب معاصيهم عطف على يسكن الريح وانتفاع الاتباق عليها مع ان الغرض ابا فهم
للدلالة على ان شؤم معاصيهم قد سرى لمالك الجمادات ويعف عن كثير عطف على يوبقهن بمعنى ان يشاء
يهلك بالريح العاصفة ما يشاء وينج اخرين وقيد الكثرة في مقام الانتقام اشارة الى سبق رحمته ويعلم
الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص استيناف او عطف على مجموع الشرطية كانه قال يعترف
بآياتنا المتدبرون ويعلم المجادلون فيها ما لهم من محيص وعلى ومن آياته الجوار وما بينهما اعتراض بما دل
على وعيد المجادل لانها مع الاشارة الى اشتمال تلك الآية آيات وقرأ نافع وابن عامر بالنصب عطفا
على تعليل مقدر نحو لينتقم منهم وكم مثله في القرآن نحو ولنجزى كل نفس وقدر الزجاج ان ناصبه
ولم يستحسن سيبويه تقديران بعد الواو والفاء في مثل ان تأتنى آتك واكرمك او فاكرمك لكونه عدولا
عن الاصل بلا فائدة فما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله من الثواب خير وافضل وابقى
وادوم للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون عن على رضى الله عنه كان عند ابى بكر مال فتصدق به
فلامه المسلمون فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم عطف على للذين آمنوا وكذا ما بعده اى الكبائر من
هذا الجنس وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم والفواحش اى الشرك لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
او الجنس وكان فعيلا يقع موضع الجمع نحو وحسن اولئك رفيقا والجمع اظهر واذا ما غضبوا هم يغفرون اى هم
احضاء بالغفران والتجاوز عن المسئ اذ لا يتعال احلامهم الغضب والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة
نزلت في الانصار لما دعاهم رسول الله بعد ان دعاء سائر العرب فلم يجيبوه وامرهم شورى بينهم ذو شورى
بمعنى التشاور وكانوا على ذلك قبل مقدم رسول الله فلذلك عطف الاسمية على الفعلية وبالغ بجعل الامر
نفس الشورى ومما رزقناهم ينفقون اى بعضه في وجوه البر والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون اى هم
مخصوصون بالانتصار وهو الاقتصار على قدر الاستحقاق دون غيرهم فانهم يعتدون لا انهم ينتصرون
ولا يعفون لما تقدم وجزاء سيئة سيئة مثلها والثانية سيئة لانها تسوء من ينزل به وقيل للازدواج وفيه
اشارة الى ان طريق الانتصار عزما من العثار لانه انما يحمد بشرط رعاية الاحتياط وهي عسرة ولذلك
فرع عليه فمن عفا واصلح تجاوز عن خصمه واصلح ما بينه وبينه فاجره على الله لا يغادر قدره
انه لا يحب الظالمين فليحذر المنتصر عن التجاوز لئلا يدخل في زمرة الظالمين فقد ارشد الى ايثار
الاحسن على ابلغ وجه ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل لان مؤثر الحسن لا عتب عليه
بترك الافضل لا حالا ولا مآلا انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدأ مستمرين عليه ويبغون في
الارض بغير الحق يتكبرون ويفسدون اولئك لهم عذاب اليم على بغيهم ولمن صبر وغفر لمن ظلمه ان
ذلك لمن عزم الامور الامور المطلوبة المرغوبة وهذا اذا لم يزد طغيان الظالم بالعفو عنه لما روى
عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنهم دخلت على زينب وهي غضبى فاغلظت الكلام على رسول
صلى الله عليه وسلم ثم اقبلت على فاعرضت عنها حتى قال رسول الله دونك فانتصرى فاقحمتها حتى يبس
ريقها في فيها ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده يتولى امره عطف على اولئك لهم عذاب اليم
كنى به عن الظالم لتسجيله عليه بالضلال وما في البين اعتراض تحذيرا عن الظلم وترى الظالمين لما راوا
العذاب يرونه والماضى لكونه لازم التحقق والخطاب عام يقولون هل الى مرد من سبيل الى الدنيا وتريهم
يعرضون عليها على النار دل عليه العذاب خاشعين من الذل متخفضين لما يلحقهم من الذل ينظرون من
طرف خفى من بين الاجفان كالمصبور اذا نظر السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيامة يتعلق بالخسران على ان قول المؤمنين في الدنيا او بالقول على طريق التنازع بينه وبين

بالتنزيه عن العذاب ح

الخسران

الخسران والاصل ثم والعدول الى المنزل للتسجيل عليهم بكمال الخسران والقول كالرؤية وان كان عاما
الا انه اسند الى المؤمنين لابتهاجهم بالنجاة الا ان الظالمين في عذاب مقيم دائم من كلام المؤمنين او
تصديق من الله وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى
الهدى او النجاة استجيبوا لربكم اذ لم يبق في البيان موضع اشتباه من قبل ان يأتى يوم لا مرد له من
الله صلة مرد له من آياته اى بعد ما قضى به لا يرده او متعلق بيأتى اى اذا اتى لا يقدر احد على رده
ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير انكار يجدى وذلك بعد شهادة الجوارح عليهم فان اعرضوا
بعد الدعاء عن الاستجابة فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا تضبط احوالهم حتى تهالك على هدايتهم
ان عليك الا البلاغ وقد قمت به قيام الايد وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها فرح بطر
لا استبشار بما تفضل به ملقيها اياه بالشكر وان تصبهم سيئة آفة في المال او في البدن بما قدمت
ايديهم لشؤم ما اكتسبوا من الكفر والمعاصى فان الانسان كفور بالغ الكفران والمراد به المجرم لما تقدم
فاللام للعهد وانما اوقع موقع المضمر للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بالكفران مثل قوله ان الانسان لظلوم
كفار واسنادا في الحسنة وان في السيئة لتحقق الحسنة وشيوعها وندرة السيئة ووقوعها لله ملك السموات
والارض تذنيب ناده الحسنة واجرى السيئة كما يشاء بين الآلاء والبلاء ثم بينه بامر مسلم لا يماردون فيه فقال
يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ولما كان الكلام فيما لا يهواه الانسان ولم يكن عندهم بلاء اعظم
من الاناث وحدوث واد البنات اصدق شاهد قدم الاناث وجبر مافات الذكور من رتبة التصدير
بان عرف اشارة الى انه الحاضر في خواطرهم اول كل خاطر ثم اعطى بعد انقضاء هذا الوطر كلا منهما حقه بقوله
او يزوجهم ذكرانا واناثا ولم يعد لفظ المشية لذكره من الاولين واعاد في قوله ويجعل من يشاء عقيما لا يولد
له اصلا لانه قسيمهما انه عليم قدير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحى باذنه ما يشاء يشير الى انه كما خص من شاء ما شاء من الاناث والذكور كذلك تكليمه لخواص البشر
اطوار على مقتضى المشية والظاهر الحصر في الاوجه الثلثة واراد بالوحى ما يعم الالهام كالام موسى والمنام
كما لابراهيم ومن وراء حجاب كما كلم موسى ويرسل رسولا ملكا كاكثر احوال رسول الله صلعم او رسولا من البشر
الى الامم وهم الرسل ووحيا وان يرسل ومن وراء حجاب احوال من فاعل يكلمه او مفعوله او الثلثة
موضوعة موضع كلاما لان الوحى كلام خفى والارسال كلام على السنة الرسل او التقدير بان في الثلثة هذا
وليس في الاية دليل لمثبت الرؤية ولا لنافيها لانها لو وقعت لم تكن في احد الاحوال الثلثة وعليه الكمل الواصلون
اذ في مقام الشهود يرتفع حجاب المخاطبة لكون البقاء به تعالى وفي ايرادها روعى اسلوب الترقى وقرأ نافع
او يرسل بالرفع خبر مبتدأ اى هو يرسل وكذا فيوحى انه على متعال في ذاته وصفاته وافعاله فلذلك كان
كلامه على النعت المذكور حكيم يضع كل شئ موضعه وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا كما علمناك مراتب
الكلام اوحينا اليك القرآن الذى تحيى به القلوب الميتة بداء الجهل وقيل هو جبرئيل ارسل بالوحى ما كنت
تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى شرايعه وتفاصيله اذ كان اكمل المؤمنين قبل النبوة اما تعبدا بالاجتهاد
او بشرع او نفس الايمان فان الذى نفى هو العلم به لا وجوده ولا تلازم بينهما ولكن جعلناه نورا نهدى به من
نشاء من عبادنا بالتوفيق وانك لتهدى الى صراط مستقيم لا عوج فيه صراط الله شرعه الذى شرع لك
الذى له ما في السموات وما في الارض ومن يكون هذا شأنه صراطه اقوم السبل الا الى الله تصير الامور
ويرى كل جزاء تمت الشورى والحمد لله في الآخرة والاولى

سورة الزخرف مكية وعن مقاتل الا قوله واسئل من ارسلنا وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا عربيا وهو من بدائع الايمان

وفيه اشارة الى انه كان يجب عليه عند اذاقة الرحمة الاستكانة شكرا لموليها لا البطر والاشر وعند اذاقة ضدها الرجوع بالتوبة الى مبليها لا الجزع والخور يخلق ما يشاء احوال الكائنات من الآلاء والبلاء ح ح

للتناسب الظاهر وللاشارة الى انه لا شئ اعلى منه يقسم به ولا اهم من وصفه فيقسم عليه مثله قول ابى تمام
وثناياك انها اغريض المبين الواضح لمن تدبرا والموضح طريق الهدى او ما يحتاج اليه فى الدين او باعجازه
صدق المرسل به وجعل بمعنى صير معدى الى مفعولين او خلق فالى واحد وقرآنا عربيا حالان والاول
اوفق اذ لم يقع الكلام فى كونه مخلوقا بل فى كونه واردا على اسلوب كلامهم ليدركوا اعجازه لعلكم
تعقلون لكى تفهموا معانيه وانه فى ام الكتاب فى اللوح لانه اصل الكتب منه ينقل وقرا حمزة والكسائى
بكسرة همزة ام لدينا لعلى شانه ذو شرف او عال على ساير الكتب باعجازه او عن تطرق التحريف ووجوه
الفساد انا له لحافظون حكيم ذو حكم او محكم لا ينسخ ابدا وهما خبران وفى ام الكتاب متعلق بهما واللام
غير مانعة لاتساع الظروف ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا عطف
على مقدر اى انترككم ونذود عنكم انزال القرآن وننحيه تمثيل شبه حال الذكر وتنحيته بحال غرايب
الابل وذودها كقول طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والمعنى انكار ان
يكون الامر على خلاف ما تقدم من انزال القران عربيا لتعقلوه وصفحا مصدر من غير فعله او حال اى
صافحين او مفعول له او ظرف بمعنى الجانب اى ننحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين لان كنتم وقرا
نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر شرطا لقصد التحقيق وان كان العلم بكونهم مسرفين قطعيا كقول الاجير
عملت لك فاعطنى حقى وكم ارسلنا من نبى فى الاولين فى الامم وما ياتيهم من نبى حكاية الحال
الماضية دلالة على استمرارهم الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا اشد منهم بطشا من المسرفين صرف
الخطاب عنهم بعد الانكار ومضى مثل الاولين وصفهم وحال ما نزل بهم من الامر العزيز الذى سبق
ان يسير مسير المثل وسينزل بهؤلاء مثله سنة الله فى الذين خلوا من قبل وقيل مضى سلف فى القران ذكر
قصتهم فى مواضع ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الوصفان
وما بعدهما من الصفات من كلامه تعالى لقوله الذى جعل لكم الارض مهدا ولقولهم خلقهن الله فى
مواضع والمعنى ليسندن خلقها الى الموصوف بهذه الصفات كما اذا سميت لمخاطبات رجلا باسمه العلم
ليبلغه عنك كلاما فتسماه عند التبليغ بلقبه الدال على المدح وقيل هما من كلامهم وما بعده استيناف
الذى جعل لكم الارض مهادا وراشا وقرا الكوفيون مهدا اسم لما يمهد راجع الى الاول وجعل لكم
فيها سبلا طرقا تسلكونها لقضاء الاوطار او ما يوصلكم بالتدبر فيها الى الصانع ووحدانيته لعلكم
تهتدون لكى ترشدوا والذى نزل من السماء ماء بقدر بمقدار وحد اقتضته الحكمة لا افراط ولا تفريط
فانشرنا به بلدة غلبها اليبس وفارقها النضارة والنماء وتذكير ميتا باعتبار المكان كذلك تخرجون
من القبور اذ كل منهما نوع احياء واما وسط بين الصفات اسما ما لكونها الغرض المسوق له الكلام وليكون
محاطا بالادلة واشارة الى ان كلا من السابق واللاحق كاف على حياله دليلا وقرا حمزة والكسائى
تخرجون البناء والذى خلق الازواج كلها الاصناف بلا واسطة وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
تركبونه يقال ركب فى الفلك وركب الانعام غلب المتعدى لقوته وتقديم الفلك لكونه اغرق فى كونه
نعمة لتستوا على ظهوره ظهر المركوب الضمير له باعتبار اللفظ ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه
باللسان والقلب ولذلك اثره على الحمد والمراد مقابلة تلك النعمة بالشكر وفى ثم اشارة الى انه
لا يفوت وقته بالتراخى لو ذهل عند الركوب وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
مطيقين لولا تسخيره اصله من القران وهو الجمع ومنه الاقران لاجتماعهم فى الزمان والصفات عن على
بن ابى طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بدابة فلما اراد الركوب قال بسم الله
فلما استوى عليها قال الحمد لله الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ثم ضحك فقلت مما تضحك يا رسول

ولا يوم وبرق وميض واقاح منور فى بطاح هزه فى الصباح روض اريض

انما يستقيم اذا سبق نزول هذه السورة

ميتا

ولعل احتياج الفلك الى الجارى لكونه غير مخلوق للركوب

بفتح

روى الحديث ابو داود واحمد والترمذى والنسائى

الله قال يعجب الرب من عبده اذا قال رب اغفر لى فيقول علم عبدى ان له ربا يغفر الذنوب وانا الى ربنا لمنقلبون
بعد الموت تذكرة بيسر الحقيقى وركوب الجنازة ولانها حالة اعتزاز وللنفس فى ذلك الوقت شموخ فتذكرها الموت
والرجوع اليه تعالى حافيا عاريا لا مركب له سوى العمل الصالح هذا فى ركوب الدابة ويقول عند ركوب السفينة بسم الله
مجريها ومرسيها وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم حال من فاعل ليقولن اى بعد ذلك الاعتراف
المنافى لهذا القول اتكلبوه ولم يخشوا وصمة التهافت والتناقض وهو قولهم الملئكة بنات الله وعبر بالجزء لان الولد
بضعة من ابيه كقوله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى وفيه اشارة الى استحالة مقالتهم لان الواحد الحقيقى
لا يعقل له جزء بوجه وقرا ابو بكر باسكان الزاء وهما لغتان كالكفو والعقب ان الانسان لكفور مبين ظاهر
الكفران ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين انكار وتعجيب من فرط جهالتهم حيث اثبتوا له اخس الصنفين
ثم بين ذلك بقوله واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالبنات سماه مثلا لانه بلغ فى الشناعة الى حيث جدير
بان يسير مسير الامثال ظل وجهه مسودا صار اسود غاية من شدة الحياء وهو كظيم مملو غيظا او كاظم على غيظه
اومن ينشؤ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين انكار آخر اشد من الاول لشرح حال ذلك الاخس والمعنى
اجعلوا له من تربى فى الزينة والحال انه لا يقدر على اقامة برهان عند الجدال والحجاج فالاول اشارة الى ضعف
البنية والثانى الى نقصان العقل وقلما قصدت امراة الى محاجة الا اتت بما هو عليها وقرا حمزة والكسائى
وحفص ينشؤ بضم الياء وتشديد الشين وهو اولى لدلالته على زيادة الاحتياج وجعلوا الملئكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا اى جعلوا اعباده المكرمين والملأ الاعلى المقربين اناثا مع ان ادنى مخلوق يستنكف
من هذا الاسم والغرض من ذكره على وجه الاغراض الدلالة على ان ما هم عليه من اعتقاد الولد مثل ما هم
عليه من تانيث الملئكة انه مع عدم ملاحظة نسبة الولد اليه فى نفسه كفر عظيم وتحقير لما عظمه الله وافتراء
على سكان ملكوته ونفى العباد اباء الى تكذيبهم وقرا نافع وابن عامر وابن كثير عند الرحمن كقوله الذى عند
ربك والمراد قربهم رتبة وهذا ابلغ ذما اشهدوا خلقهم وذلك لم يكن قط ولا دليل لهم عقلا ولا تساعدهم
نقل فليس ذلك الا افتراء وقرا نافع اشهدوا بزيادة همزة مضمومة مسهلة كالواو وسكون الشين وقالون
عنه وجه آخر هو الفصل بينهما بالالف ستكتب شهادتهم على الملئكة اى كبت لا محالة والسين للتوكيد ويسئلون
سوال تقريع وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم قالوه استهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين لما تقرر ان
لا كاين دون مشيته هذا والحق انهم لم يكفروا بالجرد قولهم ان الكفر بمشيته تعالى بل لقولهم انه اذا شاء ذلك
لا يجوز منه الامر بالايمان ولذلك جهلهم بقوله ما لهم بذلك من علم لاعتقادهم عدم الانفكاك بين الامر و
الارادة مع تحققه ان هم الا يخرصون يكذبون ويجوز ان يكون الاشارة الى جميع ما سبق من قوله وجعلوا له
من عباده جزءا والاول اقرب للقرب وليعقب كل بانكار مستقل ولطافته ما فى الانعام ام آتيناهم
كتابا من قبله ابطال لطريق النقل فى ذلك بعد ابطال طريق العقل فهم به مستمسكون معتصمون لا يقدرون
على تركه بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اى ليس لهم فى ذلك دليل عقلا
او نقلا بل مبنى امرهم على تقليد آبائهم الضالين والامة الطريقة التى تقصد من الام كالرحلة لمن يرحل اليه
ثم اشار الى ان هذا الضلال طريقة امثالهم فى تكذيب الرسل بقوله وكذلك ما ارسلنا من قبلك
فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وفى ذكر المترفين دون
غيرهم اشارة الى ان التنعم يوجب البطالة فى العواقب ولان غيرهم اتباع لهم لقوله صلى الله عليه وسلم لهرقل
فان توليت فعليك اثم الاريسيين قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اى اتعتدون بهم
ولو جئتكم بما هو اهدى من دين آبائكم وهذا على زعمهم اذ لا هداية من آبائهم والمخاطب رسول الله او النذير
ويؤيده قراءة ابن عامر وحفص قال قالوا انا بما ارسلتم به كافرون بما ارسلوا به كناية عن الثبات على

وعدم النظام

اى المكابرين الابتاع

دين آبائهم واشارة الى ان مقصودهم غير حاصل ولو انتقلوا من دين آبائهم لانهم كافرون بما ارسلوا به
فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين فتامل وتسل فانك سترى مثله فيمن كذبك واذ قال
ابرهيم لابيه وقومه اي اذكر لقومك وقت قوله لا عزته انني براء مما تعبدون من الاصنام كيف ترك
التقليد وتبرأ منه وهم يفتخرون بالانتماء اليه فهلا اتبعوه وهب انهم لا يرعوون عن تقليد الآباء فكان
تقليد الاب الافضل الاعلم اولى واحق وبراء كسماع مصدر وصف به الا الذي فطرني استثناء منقطع
او متصل لشمول المعبود الحق والباطل ويجوز ان تكون بدلا الا ان معنى قوله انني براء مما تعبدون لا اعبد
ما تعبدون فانه سيهدين سيثبتني على الهداية او يزيدني وجعلها كلمة باقية في عقبه اي كلمة التوحيد كقوله ووصى
بها ابرهيم بنيه او الضمير لله لعلهم يرجعون يرجع المشرك عن الاشراك بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء
وآباءهم بطول العمر وبسط الرزق والعافية فاشتغلوا به عن التوحيد والنظر في دلائله حتى جاءهم الحق
ورسول مبين واضح الرسالة بالمعجزات ولما جاءهم الحق اي القرآن قالوا هذا سحر وانا به كافرون اي
لما جاءهم الرسول بالحق لينبههم عن سنة الغفلة ويزجرهم عن الانهماك في الملاذ عكسوا فجعلوا ما هو
سبب للتنصل موجبا للتوغل فضموا الى الشرك والغفلة هذه القبائح بعد مجئ ما تقلعه عن اصله وقالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم باب آخر من كفرهم احدثوا في التحكم والاعتراض على العلام
الخبير كانوا ينكرون ان تكون الرسل من البشر فلما تكرر عليهم الحجج قاسوا امر النبوة على حظوظ الدنيا اي لو كان
الامر كذلك كان اللائق بهذه الرتبة رجل من مكة او من طايف ذو مال وجاه مثل ارادوا الوليد بن المغيرة
وعروة بن مسعود الثقفي وقيل الوليد وحبيب بن عمرو الثقفي وقيل عتبة بن ربيعة وابن عبد ياليل وعن ابن
عباس رضي الله عنه جبار من جبابرة قريش وهذا اظهر اهم يقسمون رحمة ربك وهي النبوة انكار وتعجيب
من تحكمهم نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ما يعيشون به ويتمتعون ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
في المال والجاه والقوة والضعف فمنهم الموالي ومنهم الخدم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستخدم في اشغاله ويستعمله
في خدمه واعماله حتى يتم النظام ويحصل بينهم التآلف والتضام واذا كانوا عن تدبير المنزل عاجزين اين هم
من تدبير الدارين واختيار من يكون واسطة بين الله وبين عباده ورحمة ربك النبوة والدين خير مما
يجمعون من الحطام الفاني ثم حقر شان ما هم فيه من الدنيا وزخارفها بقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة
في الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج جمع معرج وهي المصاعد عليها يظهرون
اي العلالي والسطوح وانما انتفى الثاني لوجود الاول وهو كراهة اجتماع الكل على ملة الكفر المنافي للحكمة لبيوتهم
بدل اشتمال وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين مفردا لدلالة جمع البيوت ولبيوتهم ابوابا وسررا
عليها يتكئون نرضها وزخرفا اي ولجعلنا لهم زخرفا زينة من الذهب في كل شئ من الاواني والالات
ويجوز عطفه على محل من فضة اي بعضها ذهبا والغرض تحقير زهرة الدنيا وفي معناه قوله صلى الله
عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا شربة ماء وان كل ذلك لما متاع
الحيوة الدنيا شئ يتمتع به ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ حمزة وعاصم وهشام بخلاف عنه لما
بتشديد الميم بمعنى الا وان نافية والآخرة عند ربك للمتقين الكفر والمعاصي ومن يعش عن ذكر الرحمن يقال
عشي الرجل اذا صار لا يبصر بالليل دون النهار فهو اعشى واذا نظر نظر الاعشى ولم يكن به آفة يقال عشا يعشى
نقيض له شيطانا يزين له المعاصي ويوسوس اليه فهو له قرين مصاحب ملازم وانهم اي الشياطين ليصدونهم
عن السبيل الطريق الموصل الى الله وجمع الضمير لارادة الجنس لقوله وقيضنا لهم قرناء ويحسبون انهم
مهتدون باتباع الشياطين كذلك يضل الله من يشاء حتى اذا جاءنا العاشي وقرأ نافع وابن كثير
وابن عامر وابو بكر بلفظ المثنى اسنادا للفعل الى القرينين والاول اولى لان الاتي قصدا هو العاشي

له لان البدل لا يكون في الموجب

نظره

يؤيده

يؤيده قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين القائل هو العاشي والمعنى بعد المشرق من المغرب لانه غاية
البعد لا بعدهما من شئ آخر فاقتصر لامن اللبس وفيه تغليب الاشرف فبئس القرين انت ولن ينفعكم
اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون اي لا ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في بلية
اشتراكهم بتحمل الاعباء وتقسيم العناء لان كلا منكم قد حمل ما لا يبلغه طاقته او لا ينفعكم هذا التمني لان حقكم
ان تشتركوا في العذاب كما اشتركتم في سببه وانكم تعليل اوليس لكم ما يجده المكروب من الروح والتاسي اذا
راى من شاركه في العذاب كالخنساء اعزي النفس عنه بالتاسي واذ بدل من اليوم بتقدير ماض اي تبين ووضح
افانت تسمع الصم او تهدي العمي انكار وتعجيب من ان تكون له القدرة على ذلك فانه من خواص مقام الربوبية
وفيه مدح له حيث بالغ في تحصيل هدايتهم الى ان بلغ هذا الحد شبههم بالاعشى نظرا الى البداية وحكم بالصم
والعمي بعد التمرن ومن كان في ضلال مبين مستغرقا فيه لا يرجى خلاصه عطف على العمي باعتبار الوصف
وفيه اشارة الى ان ذلك الاستغراق هو علة العمى والصمم فاما نذهبن بك فان قبضناك واهلكناهم فانا منهم
منتقمون اشد انتقام في الآخرة لا محالة او نرينك الذي وعدناهم او نخرجن في حياتك العذاب الموعود لهم فانا
عليهم مقتدرون لانهم تحت ملكتنا لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي اليك سواء عجلنا لك الظفر او اخرنا
لا تضجر وتمسك بما اوحي اليك وتصلب على الحق كما تصلبوا هم على الباطل انك على صراط مستقيم استيناف
في موضع التعليل وانه لذكر لك ولقومك اي القرآن مع كونه هاديا الى سبيل السعادة شرف لك ولقومك
في الدنيا وسوف تسئلون عن معاملتكم اياه وهل وفيتم بحقه واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
كان انكارهم عليه انه نهى عن عبادة الاوثان اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب فاستشهد
عليهم باجماع الرسل على التوحيد وانه شرع قديم والمراد سؤال اتباعهم الذين آمنوا كقوله فان كنت في شك مما
انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون هل اذنا
بذلك في ملة من الملل ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب
العالمين كما قلت فكذبوه كما كذبوك وافتخروا بما اوتوا من زهرة الدنيا كما افتخرت قريش فلما جاءهم باياتنا اذا
هم منها يضحكون اي فاجؤا وقت مجيئها الضحك من غير تامل لتظهر لهم الصدق من الكذب ولذلك لم
يصفها بالبينات لان فايدة ذلك انما يظهر لمن تدبر وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها اخت الآية ما يكون
مثلها ولما كان في سياق النفي افاد ان كل واحدة اكبر من البواقي اذا نظر الى فرد فرد منفصلا وان لوحظ
الكل توقف كقوله الانمارية في بنيها الكملة وقول الحماسي من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي
يسري بها الساري والمعنى ان الكل موصوفات بالكبر لا تفاوت بينها في افادة المقصود على التمام واخذناهم بالعذاب
الطوفان وما عداه اجمله لانه بصدد بيان كفرهم لا بيانه لعلهم يرجعون كي يرجعوا وقالوا يا ايها الساحر
ادع لنا ربك بما عهد عندك من النبوة او من استجابة دعائك او كشف العذاب عمن آمن بك او بما عهد اليك
من الايمان والطاعة فوفيت اننا لمهتدون لا ينافي هذا تسميتهم اياه ساحرا لانهم لفرط حيرتهم سبق لسانهم الى ما
تعودوا به او لان السحر كان عندهم فضيلة يسمون العالم الماهر ساحرا وقيل هذا من حماقتهم وقيل قولهم اننا
لمهتدون وعد منوي فيه الاخلاف فلذلك سموه ساحرا وكلاهما بعيد اذ حالة الفزع تنافي اظهار الاخلاف
والحمق فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجاؤا نكث عهدهم ونادى فرعون في قومه لما حشرهم او امر
بان ينادي في المجالس والاسواق والاسناد مجاز قال يا قوم اليس لي ملك مصر تقرير للنداء وهذه
الانهار تجري من تحتي امري او قصري او بين يدي في جناني وحدائقي الواو اما عاطفة للانهار على
الملك فتجري حال منها او هذه الانهار مبتدأ موصوف وتجري هو الخبر افلا تبصرون ام انا خير ام متصلة وذلك
انه لما قدم ذكر اسباب التقدم عقبها فلا تبصرون اشارة الى انه من الوضوح بحيث لا يخفى على ذي بصر ثم وضع

او لم يذكر في طلوع الشمس صخرا
واذكره لكل مغيب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي
على اخوانهم لاقتلت نفسي
وما يكون مثل اخي ولكن

الاول للعاصي والثاني للكفار

ام انا خير مكان ام تبصرون دلالة على ان هذا الشق هو الواقع كانه يحكيه على لسانهم وقيل هو من اقامة المسبب
مكان السبب لان تلك الاسباب سبب ان يقال فيه انت خير وقيل لان علمهم بانه خير مستفاد من الابصار من
هذا الذى هو مهين يريد موسى من المهانة وهى القلة ولا يكاد يبين لا يقرب من بيان المقصود واراد ما كان
به الرتة فلولا القى عليه اساورة من ذهب كناية عن اسباب الملك فانهم كانوا اذا ملكوا رجلا سوروه
وطوقوه وقرأ حفص اسورة جمع سوار وقراءة القوم اساورة جمع الجمع اوفق لان المعنى على الكثرة او جاء معه
الملئكة مقترنين حافين به يعينونه ويصدقونه فاستخف قومه استخف احلامهم واستزل عقولهم فاطاعوه
وعن الرشيد لما بلا اليس لى ملك مصر قال لاولينها اخس عبيدى فولاها خصيبا وكان على وضوئه وعن عبد
الله بن طاهر لما ولى مصر سار اليها فلما اشرف عليها قال هذه القرية التى ادعى فرعون الربوبية بملكها والله
لهى اقل عندى من ان ادخلها فثنى عنان فرسه انهم كانوا قوما فاسقين ولذلك اطاعوا فاسقا مثلهم فلما آسفونا
اغضبونا من الاسف وهو شدة الغضب انتقمنا منهم اردنا الانتقام فاغرقناهم اجمعين التابع والمتبوع
فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين قدوة فى العذاب لمن عمل مثل عملهم وحديثا عجيبا يضرب به المثل كما ترى
فى الالسنة اطلاق فرعون على كل جائر مسرف وقرأ حمزة والكسائى سلفا بضم السين واللام جمع سلف
كاسد واسد او سليف كرغيف ورغف او سالف كصابر وصبر ولما ضرب ابن مريم مثلا باب اخر من كفر
قريش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا عليهم قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم قال ابن الزبعرى النا ولالهتنا يا محمد ام عامة فيمن عبد من دون الله قال بل عامة فقال
خصمتك ورب الكعبة عبدت الملئكة والمسيح فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقيل لما سمعوا ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
فقالوا ان النصارى وهم اهل الكتاب قد عبدوا من هو مخلوق من تراب ونحن عبدنا الملئكة وقيل
لما سمعوا ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا يريد محمد ان نعبده كما عبد عيسى وليس بظاهر وفيه فك الضماير
وقيل لما انكر عليهم عبادة الملئكة فقالوا لم نفعل بدعا فان النصارى ايضا قد عبدوا عيسى المعانى الغريبة
والحكم البديعة تسمى امثالا لانها تسير مسيرها اذا قومك منه يصدون يضجون من الصديد وهو الجلبة واللفظ
فى اللفظ فى الكلام وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بضم الصاد وهو الاعراض والاول ابلغ وعن الفراء
هما لغتان وقالوا ءالهتنا خير ام هو اى عيسى او محمد ما ضربوه لك الا جدلا لاجل الجدل او جدلين ابطال
لقولهم اجمالا اشارة الى ما قالوه لم يكن اعتقادا بل عنادا اذ لا نقول بان عيسى والملئكة فى النار ذو مسكة
لكن التعصب يغطى على الابصار والبصاير بل هم قوم خصمون لداء شداد فى الخصام ان هو الا عبد انعمنا عليه
بالرسالة رد لما ادعته النصارى وما فرحت به اليهود وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل شانه بديعا اشارة الى وجه
افتنان النصارى واليهودية ولو نشاء لجعلنا منكم ولدنا من الانس ملئكة فى الارض يخلفون كما يخلفكم
اولادكم تذييل للدلالة على كمال اقتداره والاشارة الى بعد المسيح عن ذلك الافراط والتفريط وانه لعلم للساعة
شرط من اشراطها يعلم به دنوها روى البخارى مرفوعا يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا يكسر الصليب
ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام او لانه كان يحيى الموتى فدل على جواز البعث فلا تمترن
بها فلا تشكوا جاحدين بها واتبعون هداى او رسولى اوقل واتبعون فلا يحتاج الى التقدير هذا صراط مستقيم
اشاره الى ما ذكر من الجواب وبيان شان المسيح ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعى انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة من لدن آدم والبغض والحب يتوارثان ولما جاء عيسى بالبينات المعجزات الواضحات او الاحكام
الجلية قال قد جئتكم بالحكمة الانجيل او الشريعة ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه ما يتعلق بامر الدين
عطف على مقدر اى لادعوكم الى الله فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه

من ح
كان قصير العامة اكرم اهل زمانه اكثر فى مدحه ابو نواس منه

وجدوه

وجدوه وايثار ضمير الفصل هنا دون غيره لان الكلام فى كونه عبد من دون الله فكان المقام جديرا بالتاكيد
هذا صراط مستقيم من كلامه عليه السلام او من كلامه تعالى ثناء عليه ودلالة على ما يقتضى اتباعه فاختلف
الاحزاب من بينهم الذين تحزبوا بعد عيسى وهم الملكانية واليعاقبة والنسطورية وقيل اليهود والنصارى الضمير
لمن خاطبهم عيسى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وعيد للاحزاب بعد الجواب عن شبهتهم اشارة الى ان
حال عيسى مع ان ارسل اليهم مثل حالك دعاهم الى الله فاختلفوا فيه كما اختلف فيك قريش ثم هددهم
بقوله هل ينظرون الا الساعة اى لا ينتظرون شيئا سواها لقيام البراهين وانزياح الشبه ان تاتيهم بغتة
بدل من الساعة وهم لا يشعرون غافلون فى اشتغالهم قيد للاتيان لجواز اجتماع البغتة والشعور الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين شرع بعد ترهيبهم بمجئ الساعة تبيين بعض احوالها والمعنى ان فى ذلك اليوم
تنقطع المحبات وتنقلب عداوة ويلعن بعضهم بعضا الا محبة المتقين الذين احبوا لله واتقوا ان يشوب حبهم
غرض غير الهى فان ذلك باق لانه من اوثق عرى الايمان يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
حكاية ما ينادى به المتقون المتحابون فى الله وعن معتمر بن سليمان اذا كان يوم القيمة نادى بها فيرجوها
كل احد ثم يتبعها الذين آمنوا باياتنا فيياس غير المؤمنين فالعام مخصوص اما بالسابق او باللاحق والاول
اوفق وكانوا مسلمين مخلصين حال من الواو ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون تسرون من
الحبار وهو الاثر وتزينون من الحبر وهى المبالغة فيما وصف به الجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واوانى
المآكل جمع صحفة وصحفة تشبع خمسة واكواب جمع كوب كوز لا عروة لها على ما تعارفه اهل السكر من السراحات
وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين اى تتوافق فيه العين والقلب وهو الغاية والعين رائد القلب وكنت
اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وتدرك سائر المشاعر اندرج فى مدارك القلب وقرأ
نافع وابن عامر وحفص تشتهيه بها الضمير وانتم فيها خالدون هذا راس النعم بل لا نعمة بدونه قال
لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته باذكار الموت والهرم وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون اى
الموصوفة هى الجنة التى اورثتموها جزاء لعملكم والتعبير بالايراث مبالغة لان ملك الارث لازم لا يمكن
رده وقيل لان المؤمن يرث ما كان معدا للكافر لو آمن لقوله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وكتب له
مقعد من الجنة ومقعد من النار لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون من الفاكهة تاكلون لا من
غيرها اذا كل اهل الجنة لا يكون الا الفكها وقيل من تبعيضية لانهم لا ياكلون الا الفكها بعضها ان
المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا ردف الوعد بالوعيد على الدأب المستمر والمراد الكاملون فى الاجرام
لا يفتر عنهم لا يخفف عن عذابها من فتر الحمى سكن حرها قليلا ومن قال يعتادون فلا يالمون فقد كذب
القرآن وهم فيه فى العذاب مبلسون آيسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين بتعريضها للسخط ونادوا
يا مالك ليقض علينا ربك بالموت لنستريح ولا ينافيه الابلاس لاختلاف الاوقات وله نظاير او لشدة ما بهم
لا يدرون ما يقولون كما نرى الواقع فى شدة يناقض كلامه معترفا بذلك قال انكم ماكثون اقام المكث
مقام الخلود لاشعاره بالانقطاع تهكما والقائل هو الله تعالى لقوله لقد جئناكم بالحق اى بالارسال او انزال
الكتب ولكن اكثركم للحق كارهون لما فيه من ترك الترؤس ومفارقة المألوف واحتمال اعباء التكاليف
روى ان اعشى اراد القدوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه احد المشركين فسئله عن حاله فقال يأمر
وينهى فقال عماذا نهى قال ينهى عن كذا وكذا حتى بلغ الخمر فقال ان للنفس فيه لذة اقضى منه الوطر
هذا العام واقدم فى القابل فمات قبل تمام السنة ام ابرموا امرا احكموا واتقنوا تهكمهم بان ما هم فيه من
انواع المكر وما يخترعونه من الحيل رد فى على المكة فانا مبرمون تدبيرا لمجازاتهم ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ما فى
انفسهم قبل التكلم به ونجواهم وتناجيهم فى شان رسول الله بلى نسمع ورسلنا لديهم ملازمون يكتبون كل

الرائد من يتقدم القوم لطلب الماء والكلأ
وصلة فى قال ضمير المالك وفيه فك النظم منه

حركه وسكون ما يلفظ الا لديه رقيب عتيد قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين ان صح برهان ان له
ولدا فانا اول من يعظم ذلك الولد وهذا على الفرض لغرض المبالغه في نفي الولد تعليقا بالمحال وقيل
اول الجاحدين لقولكم الموحدين لله وقيل اول الانفين من عبد بالكسر استنكف واشتد انفه وقيل ان نافية
اى ما كان له ولد يؤيده ما روى انه لما نزلت فقال النضر قد صدقني الله فقال له الوليد بن المغيرة ما
صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد ثم نزه ذاته المقدسه بقوله سبحان رب السموات والارض رب العرش
عما يصفون اى من هذا شانه كيف يكون جسما يتولد منه اخر وان هذه الاجسام لما كانت اصولا ذات استمرار
تنزهت عن التوالد فكيف مبدعها الذى ليس كمثله شئ فذرهم يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا في
دنياهم كالصبيان والبله الذين لم يجر عليهم القلم وفيه اشاره الى انهم اهل الطبع حتى يلاقوا يومهم
الذى يوعدون يوم جزائهم وهو الذى في السماء اله وفي الارض اله اى المعبود فيهما ولذلك صح
تعلق في السماء وفي الارض به والعايد محذوف لطول الصله وزاده طولا ان المعطوف داخل في حيز
الصله ويجوز ان يكون في السماء صله الذى واله خبر مبتدا محذوف على ان الجمله بيان للصله وان كونه في
السماء الهيته لا بمعنى الاستقرار وهو الحكيم في صنعه العليم وتبارك الذى له ملك السموات والارض
وما بينهما وعنده علم الساعة مختص به متصل بقوله حتى يلاقوا يومهم مسوق للوعيد واليه ترجعون
وقرا ابن كثير وحمزه والكسائي بياء الغيبة على سنن السابق والخطاب على الالتفات اشد تهويلا
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق بالتوحيد استثناء متصل ان اريد بالموصول
كل ما عبد من دون الله لشموله الملئكه وان خص بالاصنام فمنقطع وهم يعلمون ما يشهدون به موقنين مخلصين
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله لا يقدرون على غيرهم قدم السؤال عن الافاق ثم عن انفسهم وذكر
الجواب عنهم متحلا ثم عجب من حالهم بقوله فانى يؤفكون يصرفون عن التوحيد بعد هذا الاقرار
وقيله يا رب الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم القيل والقال والقول مصادر بمعنى جر عاصم و
حمزه عطفا على الساعة اى عنده علم الساعة وعلم قيله ونصبه الباقون عطفا على محل الساعة واثره الزجاج ولا
يقدح وجود الفاصل للانفصال معنى وارتباط اللاحق بالسابق او مفعول مطلق او عطف على سرهم ونجواهم
او النصب على حذف حرف القسم والجر على اضماره وان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه والاقسام بقوله تعظيم
لجنابه فاصفح عنهم اعرض آيسا من ايمانهم وقل سلام متاركة لا تحية فسوف يعلمون عاقبة امرهم
تسليه له ووعيد لهم وقرا نافع وابن عامر بالخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اوفق لعدم
الفصل واشفى لعليله واكلى لخصمه تمت والحمد لمن نعمه جمت سورة الدخان مكيه وايها خمس او
تسع وخمسون ايه بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين الواو
للقسم ان جعلت حم تعديدا او اسم السورة خبر مبتدا محذوف وللعطف ان جعلت حم مقسما به انا انزلناه في
ليلة مباركة جواب القسم وهي ليلة القدر لقوله انا انزلناه في ليلة القدر ولقوله شهر رمضان الذى انزل
فيه القران وكونها في رمضان كان بتواتر وكونها مباركة لكثرة منافع الدين والدنيا فيها ويكفي بانزال
القران فيها بركة وقيل هي ليلة النصف من شعبان وليس له دليل سوى حديث مرسل ومعنى انزاله فيها
انزاله الى السماء الدنيا جملة كما تقدم في شهر رمضان الذى انزل فيه القران انا كنا منذرين مستانف
لتعليل الانزال اى انزلناه لان شاننا الانذار والتحذير فيها يفرق كل امر حكيم جواب عن تخصيص الانزال
بتلك الليلة كانه قال هي جديرة بذلك لان الله اثرها بفصل كل امر محكم لا يبدل من الارزاق والاجال
وغيرها من شئون الكائنات الى القابله فيدفع نسخة الارزاق واسبابها الى ميكائيل ونسخة الحروب
وما يليها من الزلازل والطواعن الى جبرئيل ونسخة الموت والمصائب الى ملك الموت ونسخة الاعمال

من قوله

كامل العلم

الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا امرا من عندنا نصب على الاختصاص وما فيه من التنكير والوصف و
الاختصاص يزيد فخامة امر الحكيم والمعنى امرا كائنا من لدنا كما اقتضاه تدبيرنا ويجوز نصبه على المصدر
لان يفرق بمعنى يؤمر كانه قيل يؤمر منها بكل شان على وجه الحكمة امرا وان يكون حالا من فاعل انزلناه
او مفعوله والفاصل بين الحال وصاحبه ليس باجنبي انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلناه
لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب رحمة من ربك اى لاجل الرحمة على العباد وابراز لفظ الرب
للدلالة على ان مقام الربوبيه اقتضت ذلك لانه من اجل انواع النعم وافراده بالخطاب تارة الى ان
كونه ربك وارسلت رحمة للعالمين اقتضى ارسال الرحمة او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به والمعنى في
تلك الليله يفصل كل امر او تصدر الاوامر من لدنا لانا من شاننا ان نرسل الرحمة ولا يستقيم ان يكون
على هذا مفعولا له انه هو السميع لاقوال عباده العليم بحاجاتهم وبهما يكمل الربوبيه رب السموات والارض
وما بينهما ان كنتم موقنين في قولكم حين تسئلون من خلق السموات والارض وكالدليل على ان الانزال
للرحمة وان المنزل في غاية الشرف لانه كلام من هذا شانه وقرا الكوفيون رب بالجر بدلا من ربك او صفة
والباقون رفعا بدلا من السميع العليم او صفة وهو المختار لعدم الحذف والفصل لا اله الا هو يحيي
ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين والنعمة على الاصل او ضال على الفرع بل هم في شك يلعبون نزلهم
اولا منزلة الشاكين ثم سجل عليهم بالشك قطعا لانهم وان اقروا لم يكن اقرارهم عن علم ولذلك الحدوا في
صفاته واشركوا به ولما لم ينتفعوا بالمنزل عليه وقابلوا النعمة بالكفران اوعدهم بقوله فارتقب يوم تاتي السماء
بدخان مبين دلالة على انهم اهل السخط والخذلان لا اهل الرحمة والغفران عن ابن مسعود رضي الله عنه
ان قريشا ابطات عن الاسلام فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعا كسبع يوسف فاصابتهم السنة
حتى اكلوا الجيف وكان الرجل ينظر الى السماء ويرى شبه الدخان من غاية الجوع ثم قال مضى خمس الدخان و
الروم والقمر والبطشة واللزام وقيل الدخان مرتقب بعد لما روى حذيفة بن اسيد الغفاري ان رسول
الله صلعم قال لا تقوم الساعة حتى تروا عشر ايات قبلها فعد منها الدخان يمكث اربعين يوما بين المشرق
والمغرب اما المؤمن فياخذه كهيئة الزكام واما الكافر فكالسكران ولا منافي لجواز الامرين الا ان السابق
ما رواه ابن مسعود واشد ملائمه يغشى الناس يحيط بهم هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب مقدر بالقول
وقع حالا انا مؤمنون وعد بالايمان على تقدير الكشف انى لهم الذكرى بالكشف العذاب وقد جاءهم رسول
امين واضح الشان بالبرهان ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون اعرضوا عنه ولم يكتفوا بالاعراض حتى قال
بعضهم يعلمه غلام اعجمي وبعضهم لما راى ان صدور مثله عن الاعجمي محال قال انه مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا
انكم عائدون الى الكفر في ذلك الزمان القليل اشارة الى ان ذلك الايمان لم يكن عن اتقان بل كان اضطرارا
عن خوف العذاب هذا على قول ابن مسعود ظاهر وعلى قول حذيفة هو مثل قوله ولو ردوا لعادوا يوم نبطش
البطشة الكبرى يوم بدر او يوم القيامة ونصب يوم بما دل عليه انا منتقمون لا به لان ان حاجزة ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون بان وسعنا عليهم الارزاق واسباب البطر من العافية وطول العمر وجاءهم رسول كريم
على الله او على المؤمنين او في نفسه شريف لنسب كريم الحسب ان ادوا الى عباد الله وهم بنوا اسرائيل
الذين استبدهم القبط كقوله ان ارسل معنا بني اسرائيل ان مفسرة لان الرسالة في معنى القول او مخففة
اى بان ويجوز ان يكون عباد الله منادى والمعنى ادوا حق الله من الايمان وقبول الدعوة انى لكم
رسول امين على وحي الله وقد بان بالمعجزات صدقي وان لا تعلوا على الله لا تتكبروا انى آتيكم بسلطان
مبين علة للنهي ولا يخفى حسن المراعاة في ذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء وانى عذت بربي
وربكم ان ترجمون ضربا او شتما وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون لا موالاة بيننا او كفوا شركم عني الى ان يفعل

نفعل الله ما يشاء فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون اى بان هؤلاء الجار صلة الدعا كما يقال دعا بهذا الدعا و
قيل هو قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم او قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقوله ان
هؤلاء قوم مجرمون من كلامه تعالى بيانا لما استوجبوا به الدعا من موسى والاستجابة منه وانه ما دعا
الا بعد الياس فاسر بعبادى ليلا انكم متبعون بقطع الهمزة وقرأ نافع وابن كثير بالوصل وهما لغتان والتقدير
فقال اسر او بتقدير شرط اى ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادى بنى اسرائيل اضافة تشريف واترك البحر
رهوا ساكنا قارا على حاله ليدخله فرعون وجنوده فانه اراد بعد العبور ان يضربه بالعصا ليعود الى ما كان
ليلا يلحقه القبط او مفتوحا من رها بين رجليه اذا وسع انهم جند مغرقون لا محالة كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم كم خبرية للتكثير والمقام الكريم منازلهم الحسنة او المنابر ونعمة كانوا فيها فاكهين ناعمين
وقرئ فكهين بطرين كذلك مثل الاخراج اخرجناهم الكاف فى محل النصب او مرفوعة اى الامر مثل ذلك وهى مقحمة
للدلالة على ان الوصف لا يعى به فكانه قال الامر مثل ذلك وما اشبهه واورثناها قوما آخرين اجانب لا قرابة
بينهم وهم بنو اسرائيل لقوله واورثناها بنى اسرائيل فما بكت عليهم السماء والارض تمثيل على سبيل التهكم وعدم
الاكتراث بهم او اهل السماء والارض من المؤمنين والملائكة او هو حقيقة لما روى ابو يعلى عن انس بن مالك
ان رسول الله صلعم قال اذا مات العبد المؤمن بكت السماء والارض عليه وتلا هذه الآية وابن جرير اذا مات
المؤمن بارض غربة وغابت عنه بواكيه بكت عليه السماء والارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما تبكى عليه الارض
اربعين صباحا وما كانوا منظرين طرفة عين سنة الله فى الذين خلوا ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب
المهين علم نجاتهم من هلاك عدوهم الا انه ذكر ليبتنى عليه ما خولهم به من النعم من فرعون بدل من العذاب
المهين جعل نفس العذاب لافراطه ولذلك علله بقوله انه كان عاليا من المسرفين متكبرا متجاوزا فى عتوه خبران او
الاول خبر والثانى حال من المستكن فى الاول وقرئ من فرعون بفتح الميم على الاستفهام للتقرير اى تعرفونه
فى عتوه كيف كان ولقد اخترناهم على علم بانهم احقاء بذلك او مع علمنا بانه قد تفرط منهم فرطات على العالمين
عالمى زمانهم كقوله فى موسى انى اصطفيتك على الناس او على الكل من حيث ان فيهم الانبياء فلا ينافى تفضيل
الآحاد عليهم وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة سميت بلاء لوقوع الاختبار بها او اختبارا ظاهرا
وحمله على المحنة لا يلائم لانه فى مقام الامتنان ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى اشارة الى كفار قريش
الذين هم فى شك يلعبون وقصة موسى كانت استطرادا الموتة الاولى هى التى اشير اليها بقوله وكنتم امواتا
فاحياكم وذلك انهم لما قيل لهم لكم حيوة بعد الموت قالوا لا نعرف الا الموتة الاولى تعقبها الحيوة والاظهر
ان الموتة الاولى هى التى بعد الحيوة الدنيا وهى المتبادرة المتعارفة وذلك انهم انذروا بان فى القبر احياء ثم
موتا الى وقت البعث فانكروا موتة القبر وما بعدها بقولهم وما نحن بمنشرين على ان الاولى لا تقتضى ان
يكون لها ثانية كما تقول قتلته باول ضربة وصرعته اول مسكة فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين فى ان هناك
حشرا احيوا لنا واحدا ممن سلف لنشاهده ونسائله وقيل سألوه ان يحيى قصيا لنشاوره هل نبعث ام لا اهم
خير ام قوم تبع ملك اليمن اسمه اسعد بن كريب اول سلاطين بنى قحطان وكان مسلما وقد اسلم قومه على يده
ثم بعده كفروا قيل انه عاش ملكا ثلثمائة سنة وهو اول من سن كسوة الكعبة وكان قد عزم على تخريب الكعبة
ثم ندم وتاب وقرب قربانا كبيرا واحسن على اهل مكة مات قبل البعثة بسبعمائة سنة ولما اختار المدينة
قالت احبار اليهود ان نبى آخر الزمان هذه البلدة مهاجره قال فى ذلك ابياتا توارثها اهل المدينة
وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا تبعا فانه كان مسلما ولا ادرى اكان نبيا ام لا والذين
من قبلهم كعاد وثمود والتفاضل فى الخيرية ولا خير فى الكل انما هو باعتبار القوة والاسباب اهلكناهم
استئناف او حال بتقدير قد انهم كانوا مجرمين بيان للموجب الجامع وما خلقنا السموات والارض وما

بينهما لاعبين من غير حكمة بل لا بد من محاسبة ومجازاة لا تفوت مثقال ذرة كقوله افحسبتم انما خلقناكم
عبثا ما خلقناهما الا بالحق ملتبسا بالحق هو الايمان والطاعة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ولكن اكثرهم لا يعلمون هذه الحكمة لاغفالهم النظر والتأمل ان يوم الفصل يوم القضاء بين المحق والمبطل
او يوم الفصل بين المرء واحبائه ميقاتهم اجمعين يجمع هؤلاء المشركين واولئك المتقدمين يوم لا يغنى
بدل من ميقاتهم او صفته او بدل من الفصل او معمول لما دل عليه الفصل لا للوجود الفاصل مولى صديق
اى صديق كان من قرابة او غيرها عن مولى شيئا عن اى صديق كان شيئا نزرا يسيرا من الاغناء ولا هم
ينصرون لو طلبوا النصر الضمير للموالى الاول والجمع لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه او بقبول الشفاعة
رفع على البدل من واو ينصرون او نصب على الاستثناء انه هو العزيز الرحيم الغالب لا ينصر من خذله
ولا يبعد من اشفاه ذكر رسول الله ان طعام اهل النار هو الزقوم واهل اليمن اكل الزبد والتمر يسمونه
الترقيم فدعا ابو جهل زبدا وتمرا وقال هلموا الى ما يخوفكم محمد فنزلت ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم الكافر الكثير الآثام كالمهل كالحديد او النحاس الذى امهل فى النار حتى ذاب وقيل
هو دردى الزيت يغلى فى البطون خبر آخر والمستكن فيه للطعام دون المهل لفساد المعنى وقرأ
ابن كثير وحفص بتاء التانيث مسندا الى ضمير الشجرة والاول احسن لكونه اقرب ولسلامته عن الحذف
كغلى الحميم الماء الحار الذى انتهى غليانه خذوه فاعتلوه فردوه والعتل الاخذ بتلابيب الرجل بعنف و
غلظة ثم جره الى ما يكره الى سواء الجحيم الى وسطه واقبح اماكنه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم
جعل العذاب مصبوبا دون الحميم كما فى قوله يصب من فوق رؤسهم الحميم ايثارا للابلغ وهو طريق الاستعارة
لانه فى مقام الكبرياء واظهارا للسخط العظيم وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر فاعتلوه بضم التاء وهما
لغتان ذق انك انت العزيز الكريم امرا اهانة تهكما به وايفاء لحق حاسة السمع من العذاب نزلت فى
ابى جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بين جبليها اعز ولا اكرم منى ان هذا ما كنتم به تمترون
تشكون ضمن معنى التكذيب ان المتقين فى مقام امين هو موضع القيام ثم اتسع فيه فاستعمل فى مطلق
المكان والامين من الامانة ضد الخيانة استعير لما لا مكروه فيه فى جنات وعيون بدل من مقام لدلالته
على المآكل والمشارب التى بها قوام الملاذ يلبسون من سندس ما رق من الديباج واستبرق ما غلظ منه
معرب وبالتعريب صار عربيا بالتصرف واجراء احكام لفظ العرب عليه على ان وقوع الفاظ يسيرة لا يخرجه
عن العربى متقابلين ينظر بعضهم بعضا فى مجالس الانس كذلك وزوجناهم بحور عين زوجات حسان الحور
شدة بياض العين مع شدة سوادها وعن ابى عمرو هو ان تكون العين كلها سوداء كعين الظباء ونفى
الانسان على التشبيه والعين جمع العيناء واسعة العين يدعون فيها بكل فاكهة اى نوع ارادوا فى اى
وقت كان آمنين من كل المكاره لا يذوقون فيها الموت هذا رأس النعم كلها الا الموتة الاولى فى
الدنيا من التعليق بالمحال لان موتة الدنيا لا يمكن وقوعها فى الجنة او لان المؤمن لا يموت حتى يرى
مقعده من الجنة فكان موته فيها او الضمير للآخرة والموت اول احوالها او الاستثناء منقطع ووقاهم
عذاب الجحيم اى والحال انهم حفظوا من عذاب النار ولا ينافى دخول بعض المؤمنين لان الكلام فى
المتقين فضلا من ربك اى اعطوا كل ذلك تفضلا لا لسابقة وجوب اذ العبد لا يستحق على المولى اجرا
ذلك هو الفوز العظيم لانها نعم خالصة عن شوب كدر فانما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة تذكيرا بما سلف
من انزال الكتاب وما ترتب عليه واجمال بعد التفصيل لعلهم يتذكرون يتعظون به فارتقب فانتظر ما
يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك روى الترمذى باسناده الى ابى هريرة عن رسول الله صلعم من قرأ
حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وباسناده ايضا من قراها فى ليلة الجمعة غفر له تمت

سورة الدخان والحمد لولى للاحسان والصلوة على المبعوث من عدنان واله وصحبه السابقين الى الايمان **سورة**
الجاثية مكية سبع وثلثون آيه وقيل ست بسم الله الرحمن الرحيم حم حروف
مقطعة تنزيل الكتاب مبتدأ من الله العزيز الحكيم خبر او اسم السورة مبتدأ بتقدير مضاف اى تنزيل حم فان اريد
بالكتاب السورة ثم اقامة الظاهر مقام المضمر اشارة الى انه الكتاب الكامل وان اريد به القران فلا اشعار
بان انزاله كان انزال كله فى عرض التحدى والهدى فان قلت فلم لم يؤت هذا الاسلوب فى حم تنزيل من الرحمن
الرحيم قلت قد افاد هذا المعنى بقوله كتاب فصلت مع الافتنان فى الكلام ان فى السموات والارض لايات
للمؤمنين اى فى انفسهما لما فيهما من فنون الدلالة على القادر الحكيم او فيما خلق فيهما من الكواكب والجبال
وساير الكيفيات والاول ابلغ وفى خلقكم عطف الخاص على العام على الثانى ومايبث فيهما من دابة اى و
خلق مايبث لان العطف على المجرور بدون اعادة الخافض غير فصيح ايات لقوم يوقنون قرأ حمزة والكسائى
نصب آيات عطفا على لفظ الايات والباقون رفعا على الابتداء اما عطف مفرد او عطف جملة واختلاف
الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر لانه سبب الرزق فاحيا به الارض بعد موتها
هيج النبات بعد اليبس وتصريف الرياح تغييرها من جهة الى اخرى قرأ حمزة والكسائى الريح على ارادة
الجنس لايات لقوم يعقلون عطف على معمول عاملين مختلفين رفعت الايات او نصبت لقراءة حمزة و
الكسائى ففى الرفع الابتداء وفى النصب ان وفى فاجاز الفراء والكوفيون مطلقا والاخفش اذا تقدم
المجرور المعطوف ومنعه سيبويه والبصريون معللين بقصور الحرف عن نيابة العاملين فالوجه عندهم النصب
والرفع على الاختصاص او تقدير فى لتقدمه فى الاوليين وفى ترتيب الفواصل روعى الترتيب فى الدليل والمدلول
وذلك ان السموات والارض اظهر الكاينات جعلت دليلا على اصل الايمان ثم نظر الانسان فى حاله وحال
ساير الحيوان لكثرة تروتكرر ادخل فى نفى الشك واجلب لاطمئنان القلب جعل دليلا على الايقان الذى
هو اعلى درجات الايمان ولما كان التامل فى الاختلاف والتصريف ومابينهما ادل على استحكام اليقين لانه
تجدد حينا فحينا وتجدد فيه النظر والاعتبار جعل دليلا على العقل الذى هو مدار الايمان واليقين
تلك ايات الله دلايله الدالة على وحدته وكمال اقتداره نتلوها عليك حال الفاعل والعامل معنى
الاشارة بالحق ملتبسا به او ملتبسين فباى حديث بعد الله واياته يؤمنون اى بعد آيات الله وتقديم
الاسم الاعظم لتعظيم الآيات الله كقولك اعجبنى زيد وعلمه دلالة على انه لا بيان ازيد من هذا البيان و
لذلك اشار اليها بما وضع لاكمل التميز واضاف الايات الى ضمير اخرى او بتقدير مضاف اى بعد حديث الله
وهو القرآن وحسن الاضمار لتقدمه وعطف الايات عليه عطف المفصل على المجمل او اريد ما فيه من الدلالات
وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بالخطاب وهو ابلغ تقريعا ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثم
يسمع ايات الله تتلى عليه ليتأملها ويؤمن بما فيها ثم يصر يقيم على كفره من اصرار الحمار اذا معه مستكبرا عن الايمان
وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماعها كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها ويجوز ان يكون على اصله لان اصراره
يكون بعد تردده كان لم يسمعها حال فاعل مستكبرا اى مثل غير السامع وكان مخفف كان حذف منه ضمير
الشان كقوله كان ظبية تعطوا الى ناضر السلم فبشره بعذاب اليم استعار البشارة تهكما واذا علم من اياتنا شيئا
اتخذها هزوا وترقى من الاصرار الى الاستهزاء بآيات الله بعد علمه بانها ايات الله ولم يقل اتخذه اشارة الى
افراطه فى طغيانه بانه اذا علم شيئا ما من الآيات خاض فى الكل ولم يقتصر على ما بلغه واذا علم ادنى شئ من
المواضع التى يمكن التلبيس والمغالطة فيها كما فعله ابن الزبعرى والنضر جعله دستورا للباقى وزعم ان الكل من
هذا القبيل فالاول قبل التامل وهذا بعده والضمير للايات او للشئ لانه فى معناها اولئك لهم عذاب
مهين لاهانتهم بآيات الله من ورائهم جهنم قدامهم او خلفهم اى بعد آجالهم والوراء اسم لما يواريه الشخص من

قدام وخلف ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا من العذاب ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء من الاوثان
ولهم عذاب اليم لا يحاط بكنهه هذا هدى اى القران لان الكلام فيه والذين كفروا بايات ربهم لهم
عذاب من رجز اليم لهم من العذاب اليمه وقرأ ابن كثير وحفص بجر اليم على انه صفة الرجز وهو اشد العذاب
اى لهم عذاب من هذا الجنس وهو ابلغ واوفق لعدم الفصل الله الذى سخر لكم البحر بان خلقه على وجه يمكن
الانتفاع به لتجرى الفلك فيه بامره باذنه وتسهيله ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص على اللالى والصيد
وغيره ولعلكم تشكرون عقب به الايات المتلوة زيادة فى توبيخهم ولذلك رتب عليه الاعراض العاجلة التى تستجلب
بها الشكر من الكافر غالبا فكانه قال ملك اولى بالشكر من هذه وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض
جميعا منه حالان من فاعل سخر او منه خبر مبتدأ اى منه والمعنى كما ان التسخير منه كذلك الايجاد والتكوين او
وسخر لكم تاكيد للاول والعطف لتعقيبه بقوله ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون لان المتفكر يزداد ايقانا وكان
الثانى غير الاول وعلى هذا ما فى السموات مبتدأ خبره منه قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله
وقايعه وانزال باسه بالمكذبين تقال ايام العرب لوقايعها او الاوقات التى وقتها الله للجزاء من الثواب
والعقاب فى ابتداء الاسلام كانوا مامورين بالصفح وقيل فى عمر بن الخطاب شتمه رجل من غفار والقول
بنزولها فى غزوة بنى المصطلق سهو ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من الغفران والصبر عليه للامر وتنكير قوما
واى قوم ففى هذا التنكير كمال التعريف ايماء الى انهم لا يخفون عرفوا او نكروا مع العلم بان المجزى لا يكون
الا الغافر ومن حمل قوما على الكفار او على الشيوخ استبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرأ ابن عامر والكسائى
وحمزة لنجزى بالنون التفاتا لكون اشد تعظيما من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها تقدم مرارا ثم الى
ربكم ترجعون للجزاء ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب التورية والحكم والنبوة اى الحكمة او الفقه او فصل الخصومات
ورزقناهم من الطيبات المن والسلوى وساير الماكل والثمار وفضلناهم على العالمين بالملك والنبوة لم يجتمعا
فى غيرهم وآتيناهم بينات من الامر معجزات دالة على حقية دينهم فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم جعلوا ما هو سبب الالفة موجب الاختلاف ظلما وحسدا ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون ويجازى المحق والمبطل ثم جعلناك على شريعة من الامر على منهاج خاص من امر دينك والتنوين للتعظيم
كما اشار اليه بقوله جئتكم بالحنفية السمحاء ولو كان ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعى فاتبعها اى اثبت على
سلوكها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون بدع الجهال كانوا يدعونه الى ملة عبد المطلب انهم لن يغنوا عنك من
الله شيئا ان خالفت امره من قبيل الالهاب والتهييج وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الضم والله
ولى المتقين فتولاهم وانت امامهم فعليك بموالاته هذا بصائر للناس اى القرآن والمراد ما فيه من المعارف
والحكم بصاير للقلوب كما جعلت روحا وحيوة وهدى من الضلال ورحمة من العذاب لقوم يوقنون لمن آمن وايقن
ام حسب الذين اجترحوا السيئات اكتسبوا ومنه جوارح الطيور لكواسبها ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
نصيرهم مثلهم سواء محياهم ومماتهم كما للمؤمنين المنكر حسبان المجترحين تساوى حاليهم على معنى انهم وان
ساووا المؤمنين فى الحيوة الدنيا فى شمول الرحمة لم يساووهم موتا لانهم فى النعيم وهؤلاء اهل الخذلان والخسران
وعلى التقديرين ان كان الضمير للموصول الاول فالجملة بدل من الكاف وان كان للفريقين فاستيناف بدل
من الكاف على ان المشابهة والتساوى دون التفاضل والجوار ان يكون كلاما مستانفا غير داخل فى حكم
الانكار بين حال المؤمنين فى الحالين خاصة وكذلك حال المجترحين فهو حال المجترحين تعليل للانكار دال على
عدم المماثلة فى الحالين لان المؤمنين تساوى حالاهم كما ان اولئك كذلك وان اختلف وجه التساوى
وقرأ حمزة والكسائى وحفص سواء بالنصب على انه حال من الضمير المنصوب او من الكاف وما اضيف اليه ساء
ما يحكمون بئس حكمهم هذا وخلق الله السموات والارض بالحق دليل على الحكم الاول لان العدل يقتضى عدم تساوى

هى

تولت

للتعظيم كانه قيل فتوما

[illegible]

فى الجحيم او على معنى ان لا تساوى فى الحالين
فى الطاعة وهم فى المعصية وفى الاخرة هم اهل
وهؤلاء

المسيئ والمحسن وليس ذلك في المحيا فلا بد وان يكون في الممات ولتجزى كل نفس عطف على علة محذوفة مثل
ليعدل وليدل على قدرته او على بالحق لكونه في معناها بما كسبت وهم لا يظلمون بنقص ثواب او بزيادة عقاب
وقد تقدم مرارا ان مثله جار على المتعارف لانه لو فعله كان ظلما لعدم امكانه افرايت من اتخذ الهه
هواه تعجيب من حال من تبع ما يهواه من غير نظر وتأمل كما كان المشركون عليه يعبد واحد منهم حجرا ثم اذا راى
حجرا احسن منه رمى الاول بعد تعفير وجهه له زمانا واصل الكلام هواه الهه وفي اسلوبه اتخذوا اصناما
الهة وانما قلبه مبالغة واضله الله على علم اي على علم منه تعالى بانه يستحق الاضلال لكونه مخلوقا للنار
او بعد بلوغ العلم اليه وقيام الحجة عليه وختم على سمعه وقلبه فلا يلقى سمعه الى ما يتلى ولا يوجه
قلبه الى التدبر في ايات الله وتقديم السمع على القلب عكس ما في البقرة لان الكلام في المعرض عن الهدى
المتبع لما يهواه المستكبر عن الايات كان لم يسمعها وما في البقرة ابتداء كلام منه تعالى اشارة الى الجبلة والقلب
هو الاصل في ذلك وجعل على بصره غشاوة فلا يتجلى ايات الله بعين الاستبصار وقرا حمزة والكسائي غشوة
وهما لغتان والاول اشهر ولذلك اتفقوا عليه في البقرة فمن يهديه من بعد الله استفهام انكار اي لا
احد افلا تذكرون ان الكل منه تعالى وفيه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تهالكه على ايمانهم وقالوا
ما هي الا حيوتنا الدنيا بالحيوة الا هذه التي نحن بها نموت ونحيى يموت بعضنا ويحيى بعضنا او نكون نطفا
ونحيى بعد ذلك او نموت نحن ويحيى اولادنا او يصيبنا الامران وما يهلكنا الا الدهر الزمان كسائر
الاشجار والنبات في الاصل اسم لمدة بقاء العالم من المبدا الى الانقضاء وقوله تعالى انا الدهر انا الجالب
لحوادث الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون تقليدا لاباءهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
الدالة على عكس ما يظنونه لعلهم يرشدون ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا باباءنا ان كنتم صادقين
سماها حجة تهكما او على زعمهم قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه اجاب عن حجتهم
بما هو اثبات للمطلوب وذلك انهم مقرون بان الاحياء والاماتة منه تعالى ومن سلم قدرته على هذا يلزمه
ان يسلمه على ذلك وعدم الاتيان بالاباء لحكمة اقتضت ذلك ولكن اكثر الناس لا يعلمون لاخلالهم بالنظر
والتدبر في الايات المبثوثة في الافاق والانفس ولله ملك السموات والارض هو الخالق لهما والمدبر ومن
هذا شانه فالاعادة منه اهون ما يكون ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون المنكرون لها سماهم
مبطلين لان انكار الحشر ابطال لكلمته تعالى العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية
باركة على الركب من شدة الخوف او للخصومة ومنه قول علي بن ابي طالب انا اول من يجثو بين يدي الله للخصومة
او مجتمعة لما روى ابن عمران الناس يكونون جثا كل امة تتبع نبيها كل امة تدعى الى كتابها كتاب اعمالها
كقوله ووضع الكتاب اليوم تجزون ما كنتم تعملون على تقدير القول كقوله ينبا الانسان يومئذ بما قدم
واخر هذا كتابنا اضافه اليهم اولا لانه صحايف اعمالهم وثانيا اليه تعالى لانه كتب بامره ينطق عليكم بالحق
ما هو ثابت في نفس الامر من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ على ايدي الكتبة ما كنتم تعملون من
نقير وقطمير تقرير وتوكيد لشهادته بالحق فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته
في الجنة ذلك هو الفوز المبين الجلي لا يحتاج الى تردد واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم جوابه محذوف
اي فيوبخون ويقال لهم هذا القول وفيه دلالة على ان اهل الجنة يدخلون الجنة وهم في الموقف بعد
كذا قيل وفيه نظر لان الواو لا تدل على الترتيب والحديث يخالفه فاستكبرتم عن الايمان وكنتم قوما مجرمين
دابكم الاجرام اشارة الى علة الاستكبار واذا قيل ان وعد الله حق كائن لا محالة والساعة لا ريب فيها
افردها بالذكر اهتماما بشانها وقراها حمزة بالنصب عطفا على اسم ان والرفع احسن للاستقلال والتاكيد
حاصل لا ندراجها في المؤكد قلتم ما ندري ما الساعة تجاهلتم كانكم ما تعلمون معناها ان نظن الا ظنا اي

اي ظنا ضعيفا او لا اعتقادا ولا فعل اطلاقا للخاص على العام او ما الثابت الا ذلك الظن اشارة الى ان
المورد كله مظنون وقيل لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ولا دلالة للكلام عليه وما نحن بمستيقنين توكيد
للظن بسلب نقيضه يؤيد الوجه الاول وبدا لهم سيئات ما عملوا اي جزاؤها من اطلاق السبب على المسبب
او ما يسوؤهم والالتفات الى الغيبة لحكاية حالهم بعد تمام التوبيخ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن احاطهم
جزاء استهزائهم بحيث لا يخرج عنه وقيل اليوم ننسكم اي نترككم في العذاب لان من نسي شيئا تركه او نجعلكم
بمنزلة الشيء المنسي على الاستعارة التمثيلية كما نسيتم لقاء يومكم هذا اي كما تركتم الاستعداد له ولم تكترثوا به
واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى الظرف اما اجراء له مجرى المفعول به واما مجرى الفاعل لان ما
لقيته فقد لقيك وماويكم النار وما لكم من ناصرين يدفعون عنكم العذاب ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا
اي انما تركتم الاستعداد لاستهزائكم بايات الله ولم تتاملوا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فظننتم ان لا حيوة بعدها
فاليوم لا يخرجون منها لسبق القول وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء والضم ابلغ واوفق لقوله ولا هم يستعتبون
لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم لفوات وقته يقال اعتبه ارضاه بمعنى ازال عتباه التفت الى الغيبة بعد تمام التقريع
كانه يخبر غيرهم بسوء جزاءهم ليعتبر فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اي له المحامد
كلها نطقا وحالا سواء حمده الحامدون او لا اذ الكائنات كلها منه وبه بقاؤها وله الكبرياء في السموات
والارض لا يشاركه فيها احد ولا يليق الا بجلال جبروته وهو العزيز الغالب الذي لا يغالب تقرير لكبريائه الحكيم
الذي اتقن كل شيء فلا يحمد غيره اذ له الكمال المطلق ختم السورة بما افتتح به وله الحمد والكبرياء والصلوة على
افضل اهل الارض والسماء واصحابه البررة الانقياء سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلثون اية
وقيل خمس وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم الكلام في اعرابه كما تقدم في اول السابقة ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق الذي تقتضيه الحكمة المستدعية لاثابة المحسن وعقاب المسيء واجل مسمى وبتقدير اجل مضروب
وهو يوم القيمة الذي ينتهي اليه امر الكل وقيل كل واحد وهو اخر بقاء مدته ولا يلائم لان الكلام في تقرير
ما ينكره المشركون من البعث والذين كفروا عما انذروا به من هول ذلك اليوم او عن انذاره على ان ما مصدرية
معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون للقائه قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا
من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال الاوثان التي تعبدونها هل خلقت جزءا من
اجزاء الارض او مما نشا منها من النبات والحيوان اشيروا اليه فانه بمرأى منكم ام لكم دليل على ان لها شركا
في شيء من السموات وقيل تخصيص الشرك بالسموات احترازا عما يتوهم ان للوسايط شركة في ايجاد الحوادث
السفلية قلت فعلى هذا كان اللازم دفع ذلك الوهم كما في سورة الرعد يسقى بماء واحد ومع ذلك لا يسلم
لقوله في سبا وما لهم فيهما من شرك ائتوني بكتاب من قبل هذا اي القران اذ ليس فيه ما يدل على ذلك
او اثارة من علم بقية من علوم الانبياء من اثر الحديث نقله ومنه الاثار للاخبار ان كنتم صادقين في
دعواكم ولما الكمهم نعى عليهم بقوله ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة
لا تقدر على الجواب لكونه جمادا فضلا عن كشف ملمة او دفع بلية وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات
او ملئكة مكرمون ليس لهم علم بعبادتهم هذا وهم في عبادتهم كافرون قايلين كانوا يعبدون الجن والعباد
يقولون والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات قال الذين كفروا للحق لما
جاءهم هذا سحر مبين نوع اخر من كفرهم عنادا كما ان الاول كان جهلا عبر اولا بالبينات وثانيا
بالحق واتى بالمظهر الدال على العناد ولما الدال على كفرهم كما جاء من غير تدبر كما هو شان اللبيب الحازم
دلالة على اغراقهم في الكفر ام يقولون افتريه اضراب عن نسبة السحر الى ما هو ادخل في الانكار وذلك

في الدنيا واذا حشر الناس فالامر انهم كانوا لهم اعداء لعبادهم او العباد لهم يلعن بعضهم بعضا او كفروا بعبادتهم

ان السحر امر خارق لا تقدرون على الاتيان به مع انه ما كان عندهم صفة ذم واما الكذب وكان عندهم
اقبح ما يوصف به كما دل عليه حديث ابي سفيان مع هرقل لا سيما الكذب على الله قل ان افتريته فلا
تملكون لي من الله شيئا ان اراد عقوبتي فكيف اجترئ على الافتراء واي فائدة لي في ذلك هو اعلم بما
تفيضون فيه افاض في الحديث اندفع فيه من قدح وتكذيب كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالتبليغ وعليكم
بالتكذيب وهو الغفور الرحيم ترغيب لهم في التوبة مع الاشعار بكمال حلمه عنهم مع عظم جريمتهم قل ما
كنت بدعا من الرسل بديعا مثله خف بمعنى خفيف والمعنى لست اول رسول حتى تستبعد عليكم شاني بل قد
تقدم رسل دعوى الكل واحدة وكلهم من البشر ولم يقدر احد على الاتيان باية الا باذن الله وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم مفصلا لانه غيب وعن ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة رضي الله عنهم نسخت
بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ولما نزلت قال المؤمنون هنيئا لك يا رسول الله فما لنا
فنزلت ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري وعن ابي هريرة ان هذا في امر الدنيا وما يؤول اليه حاله
معهم يؤيده قوله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اقدر على الاتيان بما تقترحون وما انا الا نذير مبين لا
ساحر ولا كذاب قل ارأيتم ان كان من عند الله اي القرآن وكفرتم به عطف على فعل الشرط وشهد شاهد
من بني اسرائيل عطف على الشرط وما عطف عليه على مثله على المعاني المطابقة لما في القرآن من التوحيد
والوعد والوعيد فآمن بالقرآن واستكبرتم انتم وشاهد بني اسرائيل موسى وعبد الله بن سلام
فان قلت الاية مكية وعبد الله بن سلام بالمدينة قلت نزل ما سيكون منزلة الواقع وتحقيقه ان مناط
الالزام اتيان شاهد ما من بني اسرائيل لما رآه موافقا للتوراة اي لو وقع ذلك الستم اضل الناس ثم آمن
عبد الله بعد مدة فكان هو ذلك الشاهد هذا تأويل ما روي انها نزلت فيه ان الله لا يهدي القوم الظالمين
دليل على الجواب المحذوف واشعار بان ضلالهم ناشئ عن ظلمهم وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا
ما سبقونا اليه اي قالوا في حقهم ولاجلهم ارادوا عمارا وبلالا وصهيبا واضرابهم من فقراء الصحابة
وقيل قاله غطفان وبنو عامر واشجع واسد طوايف من الاعراب لما اسلم غفار واسلم ومزينة وجهينة
واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف اي ظهر لعدم جواز تعلقه بقوله فسيقولون لتدافع دلالتي المضي والاستقبال
وليس من قبيل فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم نظما للمستقبل في سلك المقطوع لان عدم الهداية
محقق ولا تأويل سيقولوا بمعنى قالوا والعدول للاستمرار لكون السين مانعا هذا افك قديم كقولهم اساطير
الاولين ومن قبله كتاب موسى مبتدأ وخبر اماما ورحمة نصبا على الحال والعامل الظرف وهذا القرآن
كتاب مصدق لكتاب موسى ولغيره لسانا عربيا حال من فاعل مصدق وفيه دلالة على انه كما دل على صدق
كتاب موسى دل باعجازه على انه في نفسه كلام الله لينذر الذين ظلموا اي القرآن وقرأ نافع وابن عامر
والبزي في وجه بالتاء مسندا الى رسول الله او الله وبشرى للمحسنين اي هو بشرى او عطف على محل
لينذر مفعولا له لما استشهد بشاهد بني اسرائيل على صدق القرآن وكونه كتاب الله استطرد كتاب موسى
بانه والقرآن متطابقان كل منهما يصدق الآخر وذلك كاف شهد الشاهد او لم يشهد وتقدم من قبله
للاستشهاد بان انزال الكتاب امر مستمر او نزلوا منزلة من لا يعرف ان كتاب موسى نزل من قبله لعنادهم فقدم
تخصيصا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على ما التزموه اعتقادا وعملا فلا خوف عليهم من لحوق
مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب جزاء
بما كانوا يعملون ليشمل العقائد لانها عمل القلب ووصينا الانسان بوالديه افرده بالذكر بعد اندراجه تحت
الاستقامة اهتماما لان طاعتهما شقيقة طاعة الله حسنا فعلا ذا حسن وقرأ الكوفيون احسانا وعليه
رسم مصحفهم واسلم من الحذف حملته امه كرها ووضعته كرها ترجيح لجانبها في البر على الاب اي ذات

كره او حملا ذا كره وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان والضم في المشقة
اشهر والفتح في الاجبار وحمله وفصاله ومدة حمله وفطامه ثلاثون شهرا ومنه علم ان اقل مدة
الحمل ستة اشهر لقوله حولين كاملين في مدة الرضاع ولذلك عبر عن الفطام بالفصال اذ قد يفطم
قبل الرضاع التام حتى اذا بلغ اشده اكتمل وثلثين سنة وبلغ اربعين سنة وتكامل قواه واستحكم عقله ولذلك
لم يبعث نبي الا بعد اربعين سنة وذلك لان القوى الشهوانية تاخذ في الانتقاص فيقل نزاعها مع العقلية
قال رب اوزعني الهمني اصل الايزاع الاغراء بالشيء ان اشكر نعمتك التي انعمت علي بالتوفيق للدين
الاسلام وعلى والدي كذلك قيل نزلت في ابي بكر فانه اسلم هو ووالداه واولاده واولاد اولاده ولم يتفق
في المهاجرين والانصار اربعة ابطن صحابيون غيرهم وما قال لم يكن في المهاجرين والانصار من اسلم
هو وابوه غيره سهو ففي المهاجرين ابن عمر وابوه ابن عباس وابوه وفي الانصار جابر وابوه وغيرهم
وان اعمل صالحا ترضيه تقبله واصلح لي في ذريتي اجعلهم مكان الصلاح وموقعه اني تبت اليك واني
من المسلمين المخلصين جعله وسيلة اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا جميع حسناتهم كقولهم الاشج
اعدل بني مروان او غير المباح فانه حسن لا ثواب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم ذكره لان قبول العمل لا يستلزم
العفو عن الزلل في اصحاب الجنة كائنا في زمرة الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين وعد الصدق
الذي كانوا يوعدون مصدر مؤكد لان يتقبل ونتجاوز في معنى الوعد وقرأ حفص وحمزة والكسائي
الفعلين بالنون ونصب احسن والسيئات وهو احسن لكونه نصا على الفاعل مع التعظيم والذي قال
لوالديه اف لكما هذا العاق ضد ذلك الصالح والمراد به الجنس الذي هذا شأنه يدل عليه الاخبار
باولئك وما قيل انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر كذب لان عبد الرحمن من كبار الصحابة وقد اخبر
في الاية ان هذا حق عليه العذاب ولما روي ان عائشة رضي الله عنها لما بلغها ان مروان بن الحكم
هو الذي قال هذا القول لما طلب من عبد الرحمن البيعة ليزيد وابى عبد الرحمن قالت والله عبد
الرحمن ليس بذلك ولكن انت لعنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت في ظهر ابيك ارادت الحكم بن
العاص طريد رسول الله الى الطائف وقرأ ابن كثير وابن عامر اف بفتح الفاء والباقون بالكسر ونونها
نافع وحفص تنكيرا والكسر احسن لانه الاصل عند التقاء الساكنين اتعدانني ان اخرج من القبر
وقرأ ابن عامر في رواية هشام بالادغام وقد خلت القرون من قبلي ولم يخرج واحد منهم
وهما يستغيثان الله ويلك من شرك كيلا يصيبهما او ان يوفقه ويلك آمن اصل الويل الدعاء بالهلاك اريد به
الحث على الايمان لدلالته على ان مرتكبه حقيق بان يدعى عليه بالهلاك ان وعد الله حق في قيام الساعة
والجزاء على الاعمال فيقول ما هذا الا اساطير الاولين الا اباطيل التي دونها الناس اولئك الذين
حق عليهم القول بانهم اهل النار في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس كقوله في ضده في اصحاب الجنة
انهم كانوا خاسرين استئناف لتعليل الحكم ولكل درجات اي لكل من الفريقين والدرجات على التغليب او لكل
مؤمن ويعلم حال المقابل منه او اريد مراتب اعمالهم مما عملوا من جزاء اعمالهم وليوفيهم اعمالهم
اي جزاءها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون وهو ادل على التعظيم وهم لا يظلمون بنقص
ثواب او زيادة عقاب تعليل حذف معلله كانه قيل ليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم قدر لهم جزاء اعمالهم على
مقاديرها ولما كان مبنى السورة على تهديد الكفار ومن يقابلهم ذكر اعتراضا شرح حالهم بقوله ويوم يعرض
الذين كفروا على النار العرض على النار التعذيب بها يقال عرضه على السيف اذا قتله به وعن ابن عباس رضي
الله عنهما تكشف لهم عنها اذهبتم استوفيتم هو العامل في يوم وقرأ ابن كثير وابن عامر بالاستفهام
[illegible] طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها فتمتعتم بمتع الانعام فاليوم تجزون عذاب الهون بما

كنتم تستكبرون فى الارض تتكبرون بغير الحق ولم يكونوا اهلا له لان الكبرياء ردا الله وبما كنتم تفسقون
تخرجون عن الطاعة والاحسن ردا لفسق الى العذاب والهون الى الكبر نشرا بعد اللف واذكر اخا عاد
اى حاله مع قومه لتقومك فان غلوهم واغراقهم فى الكفر يشبه اغراق اولئك اذ انذر قومه بالاحقاف
بدل اشتمال والاحقاف جمع حقف وهو الرمل المستطيل الذى فيه انحناء من احقوقف الشئ اعوج عن على
بن ابى طالب رضى الله عنه واد بحضرموت يلتقى فيه ارواح الكفار وعن قتادة سكان ببلاد يمن يقال له
الشجر وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه حال من الفاعل اى معلما اياهم انذار الرسل او المفعول
اى عالمين بذلك اما باعلامه او بما تواتر عندهم فان قلت من لم يات من الرسل كيف يصدق عليه قد خلت
قلت نظما لما ياتى فى سلك الماضى لتحقق وقوعه او اعتراض بين المفسر والمفسر هو المعنى اذكر لهم اخا عاد وساير
الرسل الذى قبله والذى بعده وغير الاسلوب اشارة الى ان المذكور اصالة قوم هود وهذا اسلم من التكلف
فى الجمع بين الماضى والمستقبل ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هايل قالوا اجئتنا لتافكنا
عن الهتنا لتصرفنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فى وعدك العذاب كما قال فى حق قريش
يستعجلونك بالعذاب قال انما العلم عند الله ما نعلم ذلك الوقت الا هو وابلغكم ما ارسلت به ما لم يات العذاب
وكنت بينكم وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف ولكنى اريكم قوما تجهلون غارقين فى الجهل مستمرين لا تجدى فيكم الآيات
والنذر وهل يكون اجهل ممن يطلب حلول باس الله به سريعا قال معاويه لم يكن اقل عقلا من اهل سبا حيث
ولوا عليهم امراة فقال رجل من اهل سبا بلى اقل عقلا منهم من قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض
ممطرنا لما استمروا على تكذيبه امسك الله تعالى عنهم الغيث فارسلوا رجلا منهم يسمى قيلا ليستسقى لهم عند الكعبة
فلما استسقى ظهرت لهم سحابة فظنوا انه سحاب ممطر على ما تعارفوا والعارض السحاب الذى يعرض فى افق السماء
والضمير فى رواه اما عايد الى ما تعدنا او مبهم يفسره عارضا حالا او تميزا وهذا احسن للاجمال والتفصيل والاضافة
فى مستقبل وممطرنا اضافة الصفة الى معمولها بل هو ما استعجلتم به من العذاب القايل هود وقيل كلام الله تعالى
ريح بدل من ما فيها عذاب اليم صفتها تدمر كل شئ بامر
وفيه فك الضماير مع ان المناظره بينهم وبين هود
ربها تهلك كل شئ تمر به من اموالهم وانفسهم عام خص واضافه الرب اليها للدلالة على انها فى تصريفه وتحت
ارادته وان شان المربى ان يكون فى طاعة المربى ساعيا فى قضاياه وعن ابن عباس رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم تهب على عاد من الريح الا قدر موضع الخاتم ثم عتت على خزانها فلم يعلم قدر ما
خرج الا علام الغيوب قيل اول ما راوها يطير بمواشيهم واهل الحرث بين السماء والارض كالجراد دخلوا البيوت واغلقوها
فنزعت البيوت وامالت عليهم الاحقاف فبقوا سبع ليال وثمانيه ايام تحت الرمل لهم انين ثم اخذتهم والقتهم فى البحر
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ايها الراى او يا محمد وقرأ عاصم وحمزة بياء الغيبة اى لا يرى الا المار بديارهم ثم ضم
الياء وبنى على بناء المفعول والخطاب ابلغ واسلم كذلك نجزى القوم المجرمين كل مجرم كامل ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه ما موصول وان نافيه والمعنى مكنا عادا فى شئ من الاسباب والاموال ما مكناكم فيه
ولم نعطكم ما اعطينا اولئك وقد علمتم حالهم وما جرى عليهم وقيل ان شرطيه اى ان مكناكم فيه كنتم اكثر
بغيا منهم وقيل صله والوجه هو الاول لقوله كانوا اشد منهم قوة واثارا فى الارض وجعلنا لهم سمعا
وابصارا وافئدة ليستدلوا بها على وجود المنعم ويقابل النعمه بالشكر فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا
افئدتهم من شئ ادنى شئ من الاغناء اذ كانوا يجحدون بآيات الله اذ منصوب باغنى جار مجرى التعليل لان
مؤدى التعليل والظرف واحد كقولك ضربته لاساءته وضربته اذ اساء الا ان اذ وحيث خصا بذلك
دون ساير الظروف وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى اى اهل القرى

وهم عاد بحضرموت وسبا باليمن وقوم شعيب بمدين وثمود بالحجر وقوم لوط بسدوم وكانوا يمرون على الكل فى اسفارهم
وصرفنا الآيات كررناها عليهم قبل الاهلاك فلم يبق لهم حجة لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من
دون الله قربانا آلهة هلا نصرهم لما جاءهم بأسنا كما كانوا يزعمون انهم شفعاؤهم وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى احد مفعولى اتخذوا العايد المحذوف والثانى آلهة وقربانا حال او مفعول له وجعله مفعولا ثانيا وآلهة
بدلا منه غير سديد لان المنكر اتخاذهم آلهة دون الله يتقربون بهم لا اتخاذهم قربانا دون الله اذ ليس من شان الله
ان يكونوا قربانا حتى يكون التجاوز عنه منكرا بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وقت الاحتياج وذلك افكهم
وما كانوا يفترون اى ذلك الامتناع عن نصرهم اثر افكهم وصرفهم عن الحق وهو الاتخاذ واثر افترائهم
على الله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن اى اذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا من الجن كيف لم يتوقفوا
فى الايمان لما سمعوا القرآن روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رض انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيل بين الجن وبين خبر السماء وقالوا ما هذا الا لامر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانصرف
نفر منهم نحو تهامة فوافوا رسول الله بنخلة فى طايفة من اصحابه عامدين سوق عكاظ يصلى بهم الصبح
ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء والنفر ما بين الواحد الى العشرة قيل
كانوا تسعة مقدمهم زوبعة يستمعون القرآن استيناف او حال اى مقدرين استماعهم فلما حضروه القرآن او
الرسول قالوا انصتوا اى قال بعضهم لبعض الانصات السكوت لقصد الاستماع فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين
بما سمعوا من كلام الله قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى كانوا يهودا آمنوا بموسى ولم يسمعوا بعيسى
او لم يكن شرعه ناسخا بل كان اكثر احكامه بالتوريه وهذا اوجه مصدقا لما بين يديه من الكتب السماويه يهدى
الى الحق الى الثابت من العقايد التى لا تتبدل والى طريق مستقيم شريعة لا عوج فيها يا قومنا اجيبوا داعى الله
وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم ولا ينافى قوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف لانها فى الحربى وهؤلاء
كانوا مؤمنين بنبيهم ثم برسول الله والمؤمن لا يسقط عنه تبعات الناس الا بالاداء او الاستحلال مع ان
غفران البعض لا ينافى غفران الكل فانه مفهوم اللقب ويجركم من عذاب اليم استدل به من قال ان الجن لا
يدخل الجنة اذ لم يذكروا الا النجاة من العذاب وهو مروى عن الامام ابى حنيفة رحمه الله والحق دخولهم
لانهم مكلفون بما كلف به الانسان ولقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فباى آلاء ربكما تكذبان ومن
لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض لا يعجزه وليس له من دونه من دون الله اولياء اولئك فى ضلال مبين
حيث اعرضوا عن الحق بعد ظهوره اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن صدر السورة
بما حقق به المبدأ وختمها بما تحقق المعاد وقرر بينهما التوحيد والنبوة وهذه هى المقاصد وما عداها فروع وتوابع
بقادر على الامر اذا كل ولم يهتد لوجهه بقادر على ان يحيى الموتى جزاء وادخل الباء لان المقصود اثبات
القدرة ولهذا عجب من عدم رؤيتهم كانه قال اليس الله بقادر ولذلك اجاب بقوله بلى انه على كل شئ قدير
تقريرا لها ويوم يعرض الذين كفروا على النار نصب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والمشار اليه العذاب لقوله
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون معنى الامر الاهانة فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل اولوا الثبات والجد من بيان فيشمل الرسل كلهم او تبعيض لقوله فى آدم فنسى ولم نجد له عزما وفى يونس
فلا تكن كصاحب الحوت وهم اصحاب الشرايع الذين جدوا وسعوا فى تقريرها وصبروا على اذى الطاعنين
ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على البلاء وهم نوح كان يضرب حتى يغشى عليه
وابرهيم القى فى النار وامر بذبح ولده واسمعيل صبر على الذبح ويعقوب على فقد يوسف ويوسف على السجن
وايوب على الضر وموسى على طغيان فرعون عن عايشه ان رسول الله صلعم صام ثلثة ايام مواصلة
ثم قال يا عايشه ما ينبغى هذه الدنيا لمحمد ولا لال محمد ان الله لم يرض من اولى العزم من الرسل الا الصبر

وقد كلفني ما كلفتهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وانى لاصبرن كما صبروا ولا تستعجل لهم لكفار قريش
كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا المدة من هول العذاب بلاغ
اى هذه السورة او هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة لمن كان له قلب او القى السمع او تبليغ من
الرسول وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض والمعنى لهم وقت يبلغونه فاذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا
مدة لبثهم فهل يهلك الا القوم الفاسقون اى بعد هذا البلاغ لا يهلك الا الخارج عن الطاعة تمت سورة الاحقاف
والحمد لمن له المن والالطاف والصلوة على من كلت عن نعته الاوصاف وآله وصحبه اهل التقى والانصاف

سورة محمد وتسمى سورة القتال مكيه وقيل مدنيه وهذا اصح تسع او ثمان وثلثون آيه

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اى اعرضوا عن
الاسلام او منعوا الغير عن الدخول فيه والاول اوفق بقوله والذين آمنوا عن ابن عباس هم المطعمون يوم بدر
وعن مقاتل اثنى عشر رجلا من اهل الشرك وقيل هم اليهود واضل اعمالهم المكارم التى كانوا يباهون بها
من فك الاسارى وصلة الرحم وقرى الاضياف والذين آمنوا وعملوا الصالحات يشمل كل مؤمن وقيل ناس
من قريش وقيل من الانصار وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويؤيد قوله وآمنوا بما نزل على محمد وعلى الاول
افراده اشعار بتعظيمه وانه الاصل الذى لا يعتد باعتقاد ولا بعمل دونه ولذلك اكد بقوله وهو الحق من
ربهم اى الثابت الذى لا يعقبه نسخ كفر عنهم سيئاتهم سترها خبر ثان او حال بتقدير قد واصلح بالهم وسدد
حالهم فى الدين ذلك اشارة الى ما مر من اضلال طائفة وتكفير سيآت اخرى مبتدأ خبره بان الذين كفروا
اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم اى ذلك كان بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق
او خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك والجار والمجرور منصوب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة والباطل
ما لا ينتفع به وعن مجاهد هو الشيطان كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم اى امثال
الناس او امثال المذكورين للناس ليعتبروا وذلك بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا
لعمل المؤمنين او جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيآت مثلا لفوز المؤمنين فالمثل على هذا مستعار
وبناء الوجهين على اختلاف المشار اليه بذلك فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب اى بعد ما علمتم من
ضرب المثل اذا حاربتم الكفار واللقاء اسم الحرب فاضربوا الرقاب حذف الفعل واقيم المصدر مقامه
اختصارا مع ما فيه من التاكيد والمراد به القتل كيف كان واثاره لما جرت العادة بان من يقتل يضرب
عنقه مع ما فى اللفظ من الغلظة وتصوير القتل باشنع صورة وهو اطارة الراس الذى هو رئيس الاعضاء
وزاد على هذه الغلظة فى قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم
القتل من الشىء الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق شدوا الاسرى بالوثاق وهو ما يوثق به فاما منا بعد
واما فداء ما تمنون عليهم بالاطلاق او هم يفدون فداء وتفكون رقابهم وهذا دليل على ان الآيه نزلت بعد
بدر اذ لو نزلت قبلها لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى اخذ الفداء وعند ابى حنيفه رحمه الله
المن مأول بالاسترقاق او بان يخلى سبيله ليكون ذمة للمسلمين ولا فداء عنده وعند الشافعى رحمه الله الامام
مخير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء استدلالا بما روى البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من على ثمامة بن اثال وفادى رجلا من المسلمين برجلين من المشركين وقتل عقبة بن ابى معيط والنضر بن
الحارث بعد الاسر حتى تضع الحرب اوزارها الاتها من السلاح والكراع سميت اوزارا لان الحرب لا تستقل
بدونها فكانها حاملها وقيل آثامها حتى لا يبقى لاهل الشرك شوكة غاية لما تقدم من الضرب وما بعده
والمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا تكون حرب مع المشركين وقيل ذلك عند نزول عيسى
لما فى الحديث ان الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى ان يقاتل آخرهم الدجال ذلك الامر ذلك او افعلوا ذلك

الكراع اسم للخيل خاصه لانها تحفظ بكراعها اى بعقوبها وتقاتل بسنابكها

اشارة الى ضرب الرقاب وما بعده ولو يشاء الله لانتصر منهم استأصلهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض بان
بان يستوجب المؤمنون الاجر العظيم ويرى الكفار على ايديهم بعض العذاب لكى يرتدع آخرون والذين قاتلوا
فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم لن يضيعها ترغيب فى الجهاد وقرأ ابو عمرو وحفص قتلوا اى استشهدوا
وعليه الرسم وهو المختار لما روى قتاده انها نزلت فى قتلى احد سيهديهم طريق الجنه ويصلح بالهم حالهم الذى انسد
بالقتل من ان يبذلهم اعضاء خيرا من اعضائهم ولذلك سمى جعفر بن ابى طالب الطيار لان الله تعالى عوضه
عن يديه المقطوعتين فى الحرب جناحين مرصعين يطير بهما فى الجنه ويدخلهم الجنة عرفها لهم من العرف وهو
الرائحة اى طيبها لهم او اعلمهم طرقها وعن مقاتل الملك الذى وكل بعمله تقدمه حتى يدخله الجنه وعنه
صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان احدهم لاعرف بمنزله فى الجنه منه بمنزله فى الدنيا وذلك لانه
يفتح له فى قبره باب الى منزله فى الجنه فيقدر اى منزله مدة متطاوله يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله تنصروا
رسوله ودينه ينصركم على عدوكم فى مواقف القتال ويثبت اقدامكم فى القيام بحقوق الاسلام فلا
يعتريكم شكوك وريب والذين كفروا فتعسا لهم عثورا وسقوطا فى مقابلة التثبيت للمؤمنين نصب على المصدر
اى اتعس الذين كفروا دعاء من الله دال على استحقاقهم الهلاك وتحققه ويقال فى عثرته والدعاء بالسلامة
لعا قال شعر لحا الله قوما لم يقولوا لعاثر ولا لابن عم ناله الدهر لعا واضل اعمالهم جعلها
ضايعة عطف على ناصب تعسا اما دعاء او على تقدير قضى تعسا لهم ذلك الهلاك بانهم كرهوا ما انزل الله
من الاحكام والشرايع لكونها على خلاف ما الفوه من اطلاق العنان والانهماك فى الشهوات والملاذ
فاحبط اعمالهم كرره اشاره الى شدة اللزوم وعدم الانفكاك ومبالغه فى التحذير افلم يسيروا فى الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اى قد ساروا وشاهدوا فما لهم لا يعتبرون دمر الله عليهم
يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك كل ماله من نفس ومال وولد ومنشأه حذف المفعول وجعله نسيا
مع الاتيان بكلمة الاستعلاء وللكافرين امثالها اى لهم امثال تلك العاقبه او السنه لقوله سنة الله التى
قد خلت وجمع الامثال للدلالة على ان لكل من هؤلاء امثال عاقبة اولئك لغلظ جنايتهم لان الكفر
بمحمد والقرآن ليس كالكفر بساير الانبياء والكتب وعلى التوزيع ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ناصرهم
وان الكافرين لا مولى لهم لا ناصر لهم ومعنى قوله ثم ردوا الى الله موليهم الحق اى مالكهم وسيدهم قالوا
نزلت لما راى ابو سفيان يوم احد بالمؤمنين بعض انهزام نادى باعلى صوته اعل هبل اعل هبل ثم قال
لنا عزى ولا عزى لكم قال رسول الله لاصحابه وهو جالس يداوى جرحه الا تجيبونه قالوا ما ذا نقول
قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من
تحتها الانهار تقرير لتوليه والذين كفروا يتمتعون اياما قلايل ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين فى
الكفر غافلين عن العاقبه غفلة الانعام عما هى بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم ماوى ومقام
نصب على الحال وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك وقرأ ابن كثير وكاء على وزن
فاع بعد بيان ما للفريقين التفت اليه مسليا اى وكم من اهل قرية كانوا اشد قوة من هؤلاء واكثر اسبابا
واموالا اهلكناهم لما كذبوا الرسل فلا ناصر لهم اى لم يكن من ينصرهم والعدول الى المنزل لاجرائه
مجرى الحال المحكيه كانه قيل فهم لا ينصرون افمن كان على بينة من ربه اراد به رسوله والبينه ما معه من
القرآن المعجز الدال على الوعد والوعيد او كل مؤمن لقوله افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق
كمن هو اعمى كمن زين له سوء عمله هم مشركوا مكه واتبعوا اهواءهم لا لشبهه فضلا عن حجة مثل الجنة
التى وعد المتقون مبتدأ خبره كمن هو خالد فى النار مرتب على الانكار السابق فى افمن كان والمعنى امثل
الجنة التى وعد المتقون كمثل جزاء من هو خالد فى النار فحذف المضاف لدلالة ما تقدم عليه وفائدته

هبل اسم صنم وكذا عزى مسم

التوبيخ عن حرف الانكار الدلالة على ان من اشتبه عليه الاول فالثاني مثله واذ ذاك لسقط عن رتبة
الخطاب فيها انهار من ماء غير آسن تكرير للصلة وتفصيل للموعود ولذلك لم يدخل العاطف او حال
سؤال او استيناف بتقدير مبتدأ كأنه قيل ما مثلها فقال مثلها كذا وكذا والجملة خبر المبتدأ وعن سيبويه
فيما قصصنا عليك مثل الجنة وعلى الوجهين كمن هو خالد خبر مبتدأ محذوف اي ليس المتقي الذي له الجنة كالخالد
في النار وقرينة المحذوف وعد المتقون والآسن المتغير من أسن وقرأ ابن كثير أسن على فعل والاول
ابلغ لان نفي العام يستلزم نفي الخاص دون العكس وانهار من لبن لم يتغير طعمه حموضة وغيرها وانهار
من خمر لذة للشاربين اي لاجل لذة الشاربين خاليا من آفات خمر الدنيا من ذهاب عقل وغول وخمار تأنيث
لذ كجد وجد او مصدر وصف به مبالغة وعنه صلى الله عليه وسلم من سأل منكم فليسأل الله الفردوس فانه
اوسط الجنة منه تتفجر الانهار وانهار من عسل مصفى خلق كذلك لا يخالطه شمع ولا روايح نور ولهم فيها من
كل الثمرات ما عدا المذكور ومغفرة من ربهم من سيئاتهم هذا اجل من تلك النعم اذ لا يوازي رضى الله شيء
كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما بالغا في الحرارة يشوي الوجوه فقطع امعاءهم من شدة الحرارة ومنهم
من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا كان المنافقون يحضرون
خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالس تذكيره ومواعظه ولا يلتفتون السمع الى مقالته ولا يكترثون به
فاذا خرجوا من عنده سألوا الصحابة ماذا قال محمد في اول الساعة القريبة منا استهزاء وايذانا بانهم
يحضرون بابدانهم دون قلوبهم وقرأ ابن كثير في رواية البزي انفا مقصورا قال ابو علي هما لغتان كفاكه
وفكه اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلا يمكنهم ادراك مقالتك واتبعوا اهواءهم فلذلك يستهزؤن ولا
يبالون بها والذين اهتدوا الى الايمان وادراك المعارف والحكم زادهم هدى بالتوفيق والالهام والايمان بما يتجدد
من الوحي والاحكام وآتاهم تقواهم جزاء تقويهم او منحهم تقويهم الخاص وهو ربط السر على الله وكما ان المعاصي
بالمداومة عليها يؤدي الى الطبع والرين فكذلك الطاعات تؤدي بالسالك الى الفناء عن وجوده فيكون
الرب تعالى سمعه وبصره فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة اي ما ينتظرون
الا اتيانها فقد جاء اشراطها للانتظار كأنه قال ما ينتظرون الا اتيان الساعة بغتة لان اشراطها قد جاءت
وبعد مجيئها لا بد من مجيء الساعة جمع شرط بفتح الراء بمعنى العلامة والمراد بها رسول الله وما فتح على المسلمين والاشراط ه
من الاموال والاسباب وكثرة السبايا وعن سهل بن سعد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير باصبعه الوسطى
والتي تليها بعثت انا والساعة كهاتين ثم تعجب من نفع الذكر بعد وقوعها بقوله فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم
توبيخا على ترك التشمر لها قبل فوات الوقت فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك مسبب عن جملة ما سبق
من اول السورة من حال الفريقين كأنه قال اذا علمت ذلك فدم على موجبات السعادة وتمسك بها وللمؤمنين
والمؤمنات واطلب لذنب متبعات المغفرة من الله تعالى فقال استغفر لذنبه ومن ذنبه والاول ابلغ كأنه
قيل لانك مذنب وفي اعادة الجار دلالة على ان ذنوبهم نوع آخر اذ لا يجوز في حقه الا ترك الاولى
نادرا والله يعلم متقلبكم بالنهار في حوايجكم ومثواكم فاستقراركم بالليل كقوله الا حين يستغشون ثيابهم
يعلم ما يسرون وما يعلنون فراقبوه في الاحوال كلها او في حيوتكم وفي القبور او في اعمالكم ومثواكم في
الجنة فاخلصوا العمل وفيه اشارة الى فضل العلم وان لا عمل بدونه وان فضله انما يظهر اذا شفع
بالعمل ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة قبل الاذن في القتال حين كانوا مأمورين بالصبر فاذا
انزلت سورة محكمة في شأن القتال لم يعترها نسخ ولا اشتباه وذكر فيها القتال الامر به رأيت الذين
في قلوبهم مرض هم المنافقون لقوله في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولقوله ينظرون اليك نظر
المغشي عليه من الموت فاولى لهم اي فاهلكهم الله اهلاكا اقرب من كل شيء ولا يمكن هذا في حق مؤمن

ضعف

ضعيف الايمان طاعة وقول معروف امتثالهم او امرهم طاعة استيناف او يقول قولهم قبل القتال لقوله ويقولون
طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طايفة منهم غير الذي تقول فاذا عزم الامر جد هو فعل صاحب الامر
اسند اليه مجازا كقولهم قام الحرب فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض و اي المنافقون
تقطعوا ارحامكم نقل الكلام معهم الى الخطاب ليكون انكى واشد توبيخا والاستفهام للتقرير والمعنى انكم
تقولون كيف نقاتل قبايل العرب وهم من جلدتنا يظهرون هذا من ديانتكم ووفور مروتكم وكمال شفقتكم
فلو فوض الامر اليكم وتوليتم واستقام لكم الامر بلا منازع هل نتوقع منكم الا الفساد في الارض وقطع الرحم
الذي لا شيء اقبح عند العرب منه ولا في الشرع اشنع منه وان كان بعض الكبائر اكبر منه وهذا منه تعالى
على لسان العباد كأنه قال يقول لكم قائل هذا الكلام ثم كشف عن حالهم بما لا مزيد عليه بقوله اولئك الذين
لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم طردهم عن مظان رحمته ومهاب نسيم لطفه وازال حاسة السمع عنهم فلا
يستطيعون تلقي المعارف والحكم ولم يصل بصاير الوحي الى شغاف قلوبهم وازال ابصارهم فلا يدركون الآيات
المبثوثة في الآفاق والانفس فهذا التقرير يرشدك ان الكلام كله بعضه مرتبط ببعض في شأن الكاملين
في النفاق ولا مجال لتوهم ارادة ضعفاء المؤمنين الغير الراسخين في الايمان مع هذا الغضب الشديد على
ان الالتفات لا يقع موقعه الا اذا كان الكلام مع المنافقين افلا يتدبرون القرآن الفاظه الرايقة ومعانيه
الموثقة التي لو انزلت على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ام على قلوب اقفالها ام بمعنى بل
والهمزة تقرير لهذا الشق من الترديد وان القلوب مقفلة مختوم عليها وان التنكير في القلوب اما للتهويل وتفظيع
شأنها في القسوة كأنه لا يمكن تعريفها ولا نفاذ قدرها ولانها قلوب تتميز عن ساير القلوب وهذا ايضا
معنى حسن واما اضافة الاقفال فهي التي لا يجوز غيرها لانها تفيد ان تلك الاقفال مختصة بها لا يمكن رفعها
ابدا ان الذين ارتدوا على ادبارهم هم المنافقون من بعد ما تبين لهم الهدى ظهر لهم بحيث لم يبق شبهة الشيطان
سول لهم اي سهل لهم ارتكابه وهونه من السول اجوف واوي وقيل من السؤل مهموز العين بمعنى التمني
وفي صحته تصريفا واشتقاقا نوع تكلف واملى لهم ارخى لهم العنان ومد لهم في العمر ومناهم الاماني
والآمال قرأ ابو عمرو واملي على بناء المجهول ماضيا ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله القائلون
هم المنافقون والذين كرهوا ما نزل الله هم اليهود لقوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا
ان ينزل الله من فضله على من يشاء وقيل القائل يهود والذين كرهوا المنافقون وقيل قول المنافقين لقريظة
والنضير او احد الفريقين للمشركين والوجه هو الاول كما اشير اليه مرارا سنطيعكم في بعض الامر وهو المهم
الذي يحتاج الى التظاهر والتعاون كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاتفاق على تكذيبه والتكذيب
بالتوحيد والله يعلم اسرارهم فان هذه من تلك الاسرار وقرأ حمزة والكسائي وحفص اسرارهم بكسر الهمزة
مصدر اسر وهذا ابلغ وذاك اظهر وانسب بالفواصل فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم
اي حال لهم حال كونهم يضرب اشرف اعضائهم واخسها ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه اتبعوا
الطاغوت وكرهوا الكلام المنزل وسماه رضوانا مبالغة لانه سبب رضوانه او الاسلام او رسول الله فاحبط
اعمالهم اسقطها عن درجة الاعتبار وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ام حسب الذين
في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم اي بلى كان حسبانهم ذلك اذ لو علموا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين سيطلعون على ما هم فيه من النفاق لم يرتكبوه ولو نشاء لاريناكهم لعرفناك ذواتهم ومبانيهم
فلعرفتهم بسيماهم بتلك العلامات التي اعلمناك ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول
اسلوبه ونحواه واصله امالة الكلام من ظاهره الى نحو من الانحاء قال ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا واللحن
يعرفه ذوو الالباب ومنه اللحن في الاعراب لانه عدول عن الصواب وعن ابن عباس رضي الله عنهما

هو قولهم ما لنا من الثواب ان اطعنا ولم يتولوا ما علينا من العقاب ان عصينا وعن عثمان رضى الله عنه ما
اسر احد سريرة الا ابداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم بالاوامر
والنواهي الدالة على التكاليف لشاقه حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها علما متعلقا بوقوعها
ونبلوا اخباركم اى اعمالكم فان الخبر على وفق المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح واذا يميز الخبر الحسن
عن الخبر القبيح فقد تميز المخبر عنه كذلك فصح ان يكون بلاء الاخبار كناية عن بلاء الاعمال وقرأ ابو بكر
الافعال الثلثه بالياء ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى
قريظه والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا لا ينقص ذلك من ملكه شيئا او رسول الله عليه الصلوة
والسلام ولفظ الجلالة معجم وسيحبط اعمالهم ثوابها ولا يثيب عليها او مكايدهم وحيلهم التى بيتوها رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فلا يصلون الى مقاصدهم منها يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول ولا تبطلوا اعمالكم كما ابطل هؤلاء بالنفاق اى لا تاتوا بها على وجه لا يثاب عليها بان تفرطوها بالعجب
والمن والاذى عبر عن ذلك بالاحباط بجعل ما كان بصدد الثبوت كالثابت مبالغة فى التحذير وعن ابن
عمر كنا معشر اصحاب محمد عليه السلام نرى كل حسنة مقبوله حتى نزل لا تبطلوا اعمالكم قلنا ما هذا الذى يبطل
اعمالنا حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ولا دليل فيه لمن يقول الكبيرة تحبط العمل ولذلك اردفه بقوله
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم اذ مفهومه ان من لم يمت على تلك
الحالة جائز ان يغفر له كائنا ما كان من ذنوبه فلا تهنوا اى بعد ما علمتم ان الغرض من الامر بالقتال
وسائر التكاليف تعلق علمه بالمجاهدين الصابرين فلا تكن منكم وهن بل تجلدوا لتنالوا اجر الصابرين وتدعوا
الى السلم الصلح وترك القتال ابتداء فانه يطمع العدو ولا تنافى ما صالح عليه فى الحديبية اذ لم يكن ذلك
الا بسؤال المشركين وقرأ حمزة وابو بكر بكسر السين وانتم الاعلون والحال انكم الغالبون فى الوقائع
والحروب والله معكم بالنصر والاعانة فلا وجه للوهن ولن يتركم اعمالكم ينقص من ثوابها شيئا دفع لما يوهم
من ان النصر اذا كان منه تعالى فاى اجر لهم يقال وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا قريبا كالولد والاخ
فانك افردته عن قرينه فشبه به الافراد عن العمل فى عظم المصيبة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من
فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولا بد من تضمين معنى السلب ليتعدى الى المفعول الثانى
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اللعب ما يجلب السرور واللهو ما يدفع به الغموم والهموم وان تؤمنوا تدوموا
على الايمان وتتقوا مخالفة اوامره ونواهيه يؤتكم اجوركم كاملة ولا يسألكم اموالكم عطف على الجزاء و
فيه مقابله حسنه بين اعطاء الاجور كلها واخذ بعض المال وهو العشر وربعه نزر يسير ان يسألكموها
فيحفكم يجهدكم الاخفاء المبالغة فى السؤال من احفيت الشارب اذا استأصلته تبخلوا باعطاء جميع المال
ويخرج اضغانكم تظهر كراهتكم ومقتكم لمحمد ولدينه لذهابه باموالكم والضمير فى يخرج لله تعالى او للبخل
فانه سبب الاضغان ها انتم هؤلاء هذا شانكم ايها المخاطبون وصفتكم تدعون استيناف كانهم قالوا ما
وصفنا ويجوز ان يكون هؤلاء موصولا تدعون صلة لتنفقوا فى سبيل الله فى الجهاد والفقراء يشمل الزكوة
فمنكم من يبخل بهذا القدر ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اذ ضرره لا يتعداها والبخل لتضمنه المنع والضيق
يعدى بعن نظر الى الاول وبعلى الى الثانى ثم قرر ذلك بقوله والله الغنى وانتم الفقراء اى كما
ان الغنا لازم ذاتى لا يفارقها كذلك الاحتياج لكم قال فالفقر وصف لذاتى دائم ابدا كما ان الغنى
ابدا وصف له ذاتى وان تتولوا تعرضوا عطف على تؤمنوا يستبدل قوما غيركم كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد ثم لا يكونوا امثالكم بل يكونوا سامعين مطيعين روى ابن جرير باسناده الى ابى هريرة رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية قالوا من هؤلاء يا رسول الله فضرب بيده على كتف سلمان وقال

هذا وقومه ولو كان الدين بالثريا لتناوله رجال من الفرس تمت سورة القتال والحمد لمولى النعم والنوال والصلوة
على السيد المفضال وآله وصحبه خير صحب وآل

سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا نزلت بعد صلح الحديبية بكراع الغميم
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قصد زيارة البيت قبل الفتح سنة ست قبل الهجرة فحالت كفار قريش
بينه وبين البيت واجتمعوا بالحديبية وهى بئر بقرب مكة فوقع بينهم الصلح على ان يدخل فى القابل مكة
ويطوف بالبيت ويقيم بها ثلثة ايام فلما تلاها على الناس قال عمر بن الخطاب اوفتح هو يا رسول الله قال
اى والذى نفسى بيده وانما كان فتحا لانه سبب لفتوح كثيرة لانه تفرغ لقتال سائر العرب وفتح فى تلك
السنة خيبر وامن الناس واجتمع المؤمن بالكافر والصديق بالصديق وسمعوا القرآن واسلم بشر كثير وانتشر
العلم والايمان وقيل هو فتح مكة والتعبير بالماضى على دأب اخباره تعالى وفيه فخامة حيث جعل المفرب كالمتحقق
وان الازمنة كلها عنده على السواء فاذا اخبر عن حادث فهو كائن لا محالة ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر علة للفتح من حيث انه مسبب عن الجهاد والسعى فى ازاحة الكفر وتكميل النفوس واعلاء كلمة الله و
مع ما بعده معلول الفتح من حيث المجموع فانه علة للنصر العزيز والذنب المغفور له مما لا يخلو البشر عنه من
خلاف الاولى وقيل ما تقدم تحريم مارية وما تأخر اخفاء قصة زينب وفيه ان قصة زينب متقدمة ويتم
نعمته عليك بنعمة الاسلام واعلاء كلمته ويهديك صراطا مستقيما موصلا لا عوج فيه وهى الملة الحنيفية و
شرعته الغراء وينصرك الله نصرا عزيزا غلبة على العدو مع العز اذ النصر قد يخلو عنه وذلك صلح
الحديبية لانه كان بسؤالهم لما القى الله فى قلوبهم من الرعب او العز للمنصور فالاسناد مجازى هو الذى
انزل السكينة فى قلوب المؤمنين لما اصطلحوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحر الهدى انكر اصحابه ذلك و
قالوا كان يعدنا انا نطوف بالبيت حتى قال لهم ذلك ثلث مرات لم يتحرك منهم احد فدخل على ام سلمة
وشكا اليها ما رأى منهم فقالت انحر انت هديك واحلق راسك حتى يتبعوك ففعل فاتبعوه فالسكينة
هى الطمانينة التى كانت بعد القلق والاضطراب او انزل السكون الى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الشرائع ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اذ لم يكن فى بدء الاسلام الا التوحيد ثم نزلت الصلوة والزكوة
وسائر الشرائع قالت عائشة رضى الله عنها لو نزلت الفرائض جملة لم يؤمن منهم احد ولله جنود السموات والارض
لو اراد اهلاك اعدائه لاهلكهم طرفة عين ولكن اجرى الامور على وفق حكمته ومن ذلك قصة الحديبية
وما كان فى ذلك من الحكم وكان الله عليما كامل العلم حكيما فى كل ما دبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها معلله محذوف اى دبر ما دبر وقضى ما قضى ليعرف المؤمنون
نعمه عليهم فيشكروها وينالوا بها هذه الرتبة او بدل اشتمال ليزدادوا ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك
عند الله فوزا عظيما اذ هو منتهى المطالب وغاية الغايات عند حال من المستكن فى عظيما ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على ليدخل الا اذا جعل بدلا فيعطف على المبدل وتقديم
المنافقين لان عز الاسلام واهله كان اغيظ لهم الظانين بالله ظن السوء وهو ان الله لا ينصر رسوله و
المؤمنين او ان الله لا يعلم كثيرا مما يعملون والسوء الفساد والذم والاضافة فيه كرجل صدق والمعنى
ظن الشئ الفاسد عليهم دائرة السوء دائرة ذلك الفساد الذى يظنونه بالمؤمنين والدائرة ما احاط بالشئ
من جميع جوانبه خيرا كان او شرا غلبت فى الشر لغلبة الدولة فى الخير فالاضافة للبيان كشمس النهار وقرأ ابن
كثير وابو عمرو بضم السين وهو الشر والعذاب والبلاء وهو ابلغ واصرح وغضب الله عليهم اراد الانتقام
لان المصاب قد لا يكون مغضوبا عليه ولعنهم طردهم عن رحمته اذ الغضب ربما لا يؤدى الى الطرد ثم اشار
الى ما لهم فى الآخرة بقوله واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولم يعطف الاخيرين بالفاء مع ان كل واحد

مسبب عن سابقه اشارة الى استقلال الكل بالوعيد ولله جنود السموات والارض فلو شاء لانتقم منهم
واستأصلهم كما فعل بعاد وثمود وكان الله عزيزا حكيما غالبا لا تغالب حكيما في تأخير العذاب لما فيه
من المصالح انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعه والمعصيه ليؤمنوا بالله ورسوله
اى المرسل اليهم ويعزروه التعزير النصر القوى ويوقروه ويعظموه وتسبحوه ينزهوه بكرة واصيلا دايما
او في هذين الوقتين لانهما اشرف الاوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد صلوة الصبح والظهر والعصر
الصلوات لله وقرأ نافع وابن عامر بتاء الخطاب في الافعال الاربعة والمخاطب رسول الله وامته لانه يؤمن
بما جاء به قبل كل احد فغلب على الغايب ان الذين يبايعونك المضارع لتصوير الماضى بصورة الحال انما يبايعون
الله لانك رسوله والواسطة بين الله وبينهم يد الله فوق ايديهم اراد يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
المبايعه والله منزه عن الجارحة بل هو على سبيل التخييل وان العقد والميثاق مع رسوله انما هو معه تعالى
وهذه البيعة هى بيعة الرضوان واهلها كلهم في الجنه وهم الف وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وسببها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عمر بن الخطاب ليرسله الى كفار قريش ورئيسهم ابو سفيان ليخبرهم
انه انما جاء زائرا لا يريد حربا فقال عمر يا رسول الله قد علمت كفار قريش ما كان منى من الغلظة و
ليس بمكة من بنى عدى من يحمينى ولكن ادلك على من ترسله عثمان بن عفان فانه من بنى اميه فارسله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجف الناس ان الكفار قتلوا
عثمان فعند ذلك دعاهم الى البيعه واختلفت الروايه في كيفيه البيعه عن سلمه بن الاكوع انهم
بايعوه على الموت وعن جابر انهم بايعوه على ان لا تفروا ولما بايع الحاضرين رفع يده وقال هذه يد
عثمان ووضعها على الاخرى ثم قال كلكم في الجنه الا صاحب الجمل الاحمر قال جابر فابتدرنا اليه فقلنا
فقال بايع رسول الله وكان قد اضل جمله فقال لان اصيب جملى خير لى من ان ابايع صاحبكم فمن نكث
فانما ينكث على نفسه اذ لا يعود ضرره الا اليها قال جابر ولم ينكث احد منا ومن اوفى بما عاهد عليه الله
فسيؤتيه اجرا عظيما لا يحاط به قرأ حفص بضم هاء عليه وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بالنون التفاتا وهو
ابلغ في الترغيب سيقول لك المخلفون من الاعراب هم المنافقون منهم بنو لحيان وغطفان وعصيه
والديل وعد غفار واسلم ومزينه وجهينه غير سديد لانهم خلص استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة الحديبيه حذرا من قريش ان يحاربوه او يصدوه عن البيت فاعتذروا بالاموال والاهل ولما رجع
رسول الله قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا لم نجد من يقوم مقامنا فاستغفر لنا قالوه نفاقا واستهزاء
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا
ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا اى قل لا احد يدفع ضره ولا نفعه فليس الشغل بالمال والاهل عذرا اذ
لا يرد ذلك من الضر شيئا ولا معارضه العدو ومنع النفع ان اراده واللام اما للبيان كما في هيت لك
او صله وقرأ حمزة والكسائى بضم الضاد على انهما لغتان او هو الاذى وسوء الحال وبالفتح ضد النفع
مصدر وهو اوفق واخف ثم ترقى الى التهديد بقوله بل كان الله بما تعملون خبيرا بما اكننتم في
انفسكم ثم كشف الغطاء عنه بقوله بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وذلك انه
عليه السلام لما استنفرهم قالوا غزوه في المدينه وقتلوا اصحابه وشارفوا على قتله كيف نذهب اليهم وزين
ذلك في قلوبكم المزين هو الله حقيقه والشيطان سبب وظننتم ظن السوء الفساد وهو ان لا ينصر الله رسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ومن لم يؤمن بالله ورسوله ظاهرا وباطنا فانا اعتدنا لهم وضع الظاهر موضع المضمر
وتنكير سعيرا لانها نار مخصوصه كفارا تلظى ولله ملك السموات والارض يتصرف فيه كيف يشاء يغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء لا عله لصنعه وفيه ترغيب لمن نافق وتخلف في التوبه وكان الله غفورا رحيما كثير

قال الجوهرى الديل بكسر الدال حى من كنانه مه

و د على العاصى والكسائى وروى البخارى عن رسول الله غفار غفر الله لها اسلم سالمها الله مه

وكنتم قوما بورا هلكى وصف بالمصدر مبالغة او جمع باير كعايذ وعوذ قال كعب عوذ مطافيل ومن لم يؤمن بالله ورسوله حمم

الغفران

الغفران والرحمة سيقول المخلفون عن الحديبيه اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها هى غنايم خيبر وعد الله
رسوله والمؤمنين ان يعوضهم عن غنايم قريش بشرط ان لا يشاركهم فيها احد والتعبير بالمغانم والاخذ
اشارة الى سهولة حصولها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله حكمه السابق لاهل الحديبيه بان تكون
غنايم خيبر لهم دون شريك الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى جعفر بن ابى طالب ومن قدم معه من
الحبشه فانهم جاؤا ورسول الله على خيبر قرأ حمزة والكسائى كلم الله جمع كلمه وقراءة الجمهور اولى اذ لا بد
من تاويل هذا الى الكلام قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل هو ذلك الوعد فسيقولون بل تحسدوننا
تكذيب كلام الله كما هو دابهم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اضراب عن اضافه الحسد الى المؤمنين الى
ما هو اقبح منه وهو الجهل وعدم الفهم الذى كل داء دونه ولذلك نسبوا الحسد الى من طلق الدنيا وضرتها
وما زاغ البصر الى شئ دون جناب القدس وما طغى قل للمخلفين من الاعراب كرر هذا الاسم لبشاعته تنفيرا
للسامعين ستدعون الى قوم اولى بأس شديد فيختبر ايمانكم قيل هم هوازن وثقيف قاتلهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد الفتح وقيل فارس والروم وعن الضحاك هم بنو حنيفه قوم مسيلمه الكذاب قاتلهم خالد بن
الوليد في خلافه الصديق تقاتلونهم او يسلمون مستأنف وليس بصفه قوم لانهم دعوا الى القتال قوم
لا الى قتال قوم موصوفين بالمقاتله والايراد بانه لا بد من تأويله بالامداد قد تنزلوا سدى او هد نه
غير قادح اذ الكلام في قوم مخصوصين وقد وقع الانقياد على اى تفسير فسر القوم اما ايمانا او جزيه او للتنويع
والحصر اذ لا ثالث فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا الغنيمه في الدنيا والجنه في العقبى وان تتولوا كما
توليتم من قبل عن الحديبيه يعذبكم عذابا اليما ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج استثنى المعذورين عن المخلفين ووعيدهم ومن يطع الله ورسوله كائنا من كان يدخله جنات تجرى
من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا قرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه وهو ابلغ ترغيبا وترهيبا
لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة هى السمرة نوع من شجر الطلح عن سعيد بن المسيب ان
اباه اخبره انهم خرجوا في العام القابل فنسوها فلم يظفروا بها وكان ذلك حكمة من الله لئلا يضل بها
اقوام فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينه عليهم الطمانينه الى قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عمر لما عاهد قريشا على ان يرد اليهم من جاءه مسلما قلت الست رسول الله حقا
قال بلى قلت لست رسول الله تعدنا ان نطوف بالبيت قال بلى قلت فلم نعطى الدنية في ديننا قال
انى رسول الله ولن يضيعنى الله هل قلت لك انك تطوف بالبيت فى هذا العام قلت لا قال فانك آت
ومطوف واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا غالبا حكيما راى حاجتكم و
اخلا قكم وعدكم الله مغانم كثيرة هى ما يفئ الله على المؤمنين الى يوم القيمة تأخذونها ذكر الاخذ
في الموضعين للدلالة على سهولة الحصول فعجل لكم هذه غنايم خيبر كانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم
وكف ايدى الناس عنكم اهل خيبر وحلفائهم اسد وغطفان جاؤا لنصرهم فقذف الله في قلوبهم الرعب
فنكصوا خائبين او اهل مكه بالحديبيه حين سألوا الصلح ولتكون آيه للمؤمنين اى هذه الكفه ليعلموا انهم
بمكان من الله وعين كالئه والعطف على عله محذوفه مثل لينفعكم بها او ولتكون الكفه آيه للمؤمنين
فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما اذا وجدتم وعد الله ورسوله صادقا ازددتم ايقانا وتفويضا
اليه لانه العالم بعواقب الامور واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها عن ابن عباس رضى الله عنهما
هى الفتوح التى تفتح الى يوم القيمه اخرى مجرور برب ومرفوع على الابتداء قد احاط الله الجمله خبره و
قيل عطف على هذه والمراد بها غنيمه هوازن يوم حنين ومعنى لم تقدروا عليها انهم انهزموا والمعنى
غنمكم الله من غير حول وقوة وفى جعلها من الغنيمه المعجله وهى بعد فتح مكه بعد وقيل فتح مكه وهذا

التمام

ليعلموا انهم بمكان من الله وعين كالئة والعطف على علة محذوفه مثل لينفعكم بها او ولتكون الكفة حم

قائد الكساد

ابعد اذ لم يكن فيها غنيمه سواء قلنا فتحت صلحًا او عنوة وعن ابن ابى ليلى انها الروم والفرس وكان الله
على كل شئ قديرا لا تفاوت نسبة الممكنات الى قدرته ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون
وليا ولا نصيرا سنة الله مصدر مؤكد اى سن غلبة انبيائه التى قد خلت من قبل فى الامم الماضيه ولن
تجد لسنة الله تبديلا تغيرا اكتب الله لاغلبن انا ورسلى تشجيع لهم ليثبتوا فى مواطن الحرب بعد ان علموا ذلك
وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكه روى انس بن مالك ان ثمانين رجلا من المشركين
نزلوا من جبل التنعيم يوم الحديبيه يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذهم المسلمون واتوا بهم
رسول الله فقال هل لكم على عهد احد من اصحابى قالوا لا وكذا عن سلمه بن الاكوع وعكرمه مولى
ابن عباس الا ان فى رواية سلمه سبعين وفى روايه عكرمه اربعين فعفا عنهم وقال دعوهم يكن بدء
الفجور منهم وثناؤه وقيل ان عكرمه بن ابى جهل خرج فى خمسمائه فارس يريد قتال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فارسل اليه خالد بن الوليد فهزمه حتى ادخله حيطان مكه وفيه ان خالدا لم يكن اسلم يوم الحديبيه
بل كان طليعه للمشركين كما رواه البخارى وقيل كان يوم الفتح وبه استدل على ان مكه فتحت عنوة ولا يستقيم
اذ لم يكن يوم الفتح مع رسول الله هدى بل جاء فى حديث كثيف محاربا من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله
بما تعملون من اعمال البر ومحاسن الاخلاق بصيرا لا يخفى عليه وقرأ ابو عمرو يعملون بياء الغيبه والخطاب
اوجه لان الكلام فى مناقب المؤمنين هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ
محله الهدى ما يهدى الى الكعبه من الانعام معكوفا محبوسا عن البلوغ الى محله المعهود وهو منى لقوله صلعم
نحرت هنا ومنى كله منحر واستدل به الشافعى رحمه الله على ان المحصر ينحر حيث احصر كما فعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحديبيه وقال ابو حنيفه رحمه الله يبعثه الى الحرم لان الاراقة قربه فلا تقع قربه فيها
الا فى زمان ومكان اعتبره الشارع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاج مكه كلها منحر وكان
مضارب رسول الله فى الحل ومصلاه فى الحرم فدل على انه نحرها فى الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم ان تطؤوهم اى تهلكوهم وتستاصلوهم اصله الدوس بالقدم عبر به عن الاهلاك لان من
وطئ برجله على شئ فقد استقصى فى هلاكه قال الشاعر ووطئتنا وطأ على حنق وطأ المقيد نابت الهرم وفى
حديث خولة بنت حكيم انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر وطأة وطأها الله بوج فتصيبكم منهم
معرة بغير علم مشقه وكراهة من العر وذلك انهم لو قاتلوا لقتل من بمكه من المستضعفين وكان يجب عليهم
الديه والكفارة ولاشاع المشركون ان محمدا قتل من امن به فى الحرم والجار والمجرور متعلق بان تطؤوهم على انه
حال من ضمير المخاطبين ولا تكرار سواء جعل ان تطؤوهم بدل اشتمال من رجال ونساء او من المنصوب
فى لم تعلموهم لان عدم العلم فى الاول بالايمان وفى الثانى بالاهلاك وجواب لو محذوف دل عليه
الكلام وفيه اشارة الى شدة غضب الله اى لولا حق المؤمنين ومكانهم عند الله لاوقع بمن صدكم
عن بيته ما لا يدخل تحت الوصف ليدخل الله فى رحمته من يشاء كان ذلك الكف وذلك بان يسلم المؤمنين
من القتل ويدخل فى الاسلام من وفقه ممن كان مشركا لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا
اليما لو تفرقوا وتميز بعضهم عن بعض من زال يزيل كما زيل لفظا ومعنى ومنه قوله تعالى فزيلنا
بينكم ويجوز ان يكون لو تزيلوا تكرارا لقوله لولا رجال مؤمنون لان مآل المعنى واحد ويكون لعذبنا
او صدوكم او نصب باذكر حمية الجاهليه التعصب للباطل لا الحميه الاسلاميه من المحافظه على حرمات الله
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين اى الوقار والطمانينه وقد تقدم ما كان من عمر واصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامتناع عن نحر الهدى ولما كتب على كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما قاضى محمد رسول الله اهل مكه فقال سهيل بن عمرو اما الرحمن فلا نعرفه اكتب باسمك اللهم

قاله القاضى تابعا للكشاف

الهرم بن سليل الضبيع وقيد لوطاه بالمقيد لان [illegible]

[illegible] جعل الذين كفروا [illegible] طرف لعذبنا [illegible]

ولو عرفناك

ولو عرفناك انك رسول الله ما قاتلناك اكتب محمد بن عبد الله فقال لعلى امح رسول الله قال والله لا امحاك
ابدا فاخذ منه ومحاه وكتب محمد بن عبد الله والزمهم كلمة التقوى الوفاء بالعهد وذلك انه لما وصل
الى الحديبيه بركت ناقته فقالوا خلأت القصواء فقال والله ما خلأت وليس ذلك لها بخلق ولكن
حبسها حابس الفيل والله لا يسئلونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم فكل ذلك كان وفاء
بما عاهد الله عليه وقيل كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم اختارها له وللمؤمنين
وان ابى المشركون والاضافة الى التقوى لانها سببها وكانوا احق بها واولى من غيرهم لا من غيرها
كما توهم واهلها ومستاهلها وكان الله بكل شئ عليما علما استحقاقهم لها وانهم اهل الهدايه لقد
صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحديبيه فى المنام
انه دخل هو واصحابه المسجد الحرام وطافوا وحلقوا وقصروا فقصها على اصحابه ففرحوا بذلك وايقنوا
انهم يدخلون فى تلك السنه فلما كان من امر الصلح ما كان تغيرت خواطرهم ووسوس اليهم الشيطان
حتى قال عمر ما قال واجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اجاب فانزل الله ان ذلك المنام حق ولا بد
من وقوعه على الوجه الذى رآه وما قيل ان عبد الله بن ابى وعبد الله بن نفيل ورفاعه
بن الحرث قالوا والله ما حلقنا وما قصرنا ولا اتينا المسجد الحرام لا يستقيم لانه لم يكن معه فى الحديبيه منافق
الا اصحاب الجمل الاحمر كما تقدم بالحق صفه مصدر اى صدقا ملتبسا بالحق اى الحكمة البالغه من الابتلاء
او حال من الرؤيا اى لم يكن من اضغاث الاحلام او قسم اما باسمه تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن
المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله امنين محلقين رؤسكم ومقصرين كما رآه رسول
الله صلعم من غير تبدل ولا نقصان والتقييد بالمشيه تعليم للعباد فى العزم على المرتب واشارة الى ان ذلك
بمجرد مشيته لا بجلادتهم او هو حكاية ما قاله ملك الرؤيا او رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قص
الرؤيا وقيل الخبر باسركم ان لم يمت منكم احد او يغب ويرد عليه ان علمه تعالى لا بجلادتهم او هو حكاية ما
قاله ملك الرؤيا او رسول الله صلى الله عليه وسلم شاء ذلك لا تخافون اى بعد الدخول حال مقيده لان
الاحوال المتقدمه احوال مقدرة فعلم ما لم تعلموا من الحكمه الفاء للتعقيب فى الذكر فجعل من دون ذلك فتحا
قريبا صلح الحديبيه لما تقدم ان عمر رضى الله عنه قال او فتح ذلك قال اى والذى نفسى بيده
وقيل فتح خيبر هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ملتبسا بالهدايه ودين الله الذى ارتضاه لهم او
الدين الحق اضيف اليه مبالغه كرجل صدق ليظهره على الدين كله يجعله غالبا بحيث لا يبقى لتلك الاديان
بقاء واذا كان عناية الله معه فى هذه الرتبه فكيف يستبعدون فتح مكه ودخول المسجد الحرام آمنين وكفى
بالله شهيدا على انه فى انجاز هذه المواعيد محمد رسول الله صرح باسمه العلم دفعا لتوهم عجز من لفظ الرسول
اى ذلك الرسول الموصوف محمد ورسول الله عطف بيان ولا يكون تركيبا ابلغ منه ويجوز ان يكون مبتدأ ورسول
الله خبره والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بكمال الرجوليه والحلم حيث وضعوا كل
شئ موضعه وفى الحديث المؤمنون فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر
الجسد بالحمى والسهر والمتشى ابو دجانه الى القتال يتبختر فنظر اليه النبى وهو يختال فى مشيته قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان هذه مشيه يكرهها الله الا فى هذا الموطن تريهم ركعا سجدا هذه معاملتهم مع الله
وتلك معاملتهم مع الناس يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضاء الذى هو اعلى المطالب وفيه
تعريض بالمنافقين الذين يراؤن الناس سيماهم فى وجوههم من اثر السجود السيما العلامه من السومه والياء
بدل من الواو ومن بيان اى سيماهم التى هى اثر السجود وقد روى ابن ماجه باسناده من صلى بالليل حسن
وجهه بالنهار واليه اشار صلى الله عليه وسلم فى قوله الصلوة نور ولذلك ترى تارك الصلوة على

قاله الكشاف

وجهه ظلام ولو فعل من البرها فعل وعن منصور سئلت مجاهدًا فقال هو الخشوع فقلت ما ارى الا الاثر
في الوجه فقال ربما كان ذلك بين عيني من هو اقسى قلبا من فرعون ذلك الوصف العجيب مثلهم في التورية
ومثلهم في الانجيل في الكتابين اللذين لم ينزل مثل القرآن اعظم منهما ثم ابتدأ فقال كزرع اي هم كزرع وقيل
تم الكلام في قوله مثلهم في التورية ثم ابتدأ بقوله ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فرخه والجمع اشطأ
ما يخرج حول السنبلة من الفروع وقرأ ابن كثير وابن عامر في رواية ابن ذكوان بفتح الطاء لغة منه فآزره قواه
واعانه من الازر او من الموازرة وقرأ ابن ذكوان ازره كنصر لغة والمد اشهر واكد فاستغلظ صار من
الدقة الى الغلظ او استحكم غلظه فاستوى على سوقه على قصبه جمع مبالغة في استحكامه وقرأ ابن كثير في
رواية قبل بالهمزة على ان مفرده مهموز كالكأس يعجب الزراع بقوته وحسن منظره اي مثل محمد في قيامه
وحده في مكة ودعواه الرسالة ثم تأييده بالصحابة كسنبلة هذا شأنها ليغيظ بهم الكفار تعليل لما دل
عليه الكلام اي كونهم بهذه الصفة لغيظ الكفار وشجر حلقهم او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة واجرًا عظيما من بيان كقوله واجتنبوا الرجس من الاوثان تمت والحمد لمن آلاؤه
جمت والصلوة على من عليه الاملاك صلت

سورة الحجرات مدنية وهي ثمانية عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
التقديم جعل الشيء متقدما فاما ان يجعل مفعوله محذوفا ليذهب النفس كل مذهب او منسيًا كيحيي ويميت وجاء
بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش والاول ابلغ واشهر تقال فلان بين يدي زيد اذا كان قريبًا منه بين
الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله وذكرهما مع الله على سنن المجاز المسمى تمثيلا وفيه تصوير لشفاعة ما نهوا
عنه والمعنى لا تقطعوا بامر ديني ولا تحكموا به من دون اذن الله ورسوله منه والاولى ان يجعل
ذكر الله توطية من قبيل اعجبني زيد وكرمه لان الكلام مسوق لاجلاله رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي ذلك من قوة الاختصاص والمكانة ما لا يخفى وهو الموافق لقوله تعالى فما اتيكم الرسول فخذوه
ثم اذا علم شان التقديم بين يدي الله من باب الاولى واتقوا الله فان التقوى ملاك الامر ومن تمسك
بها جانب كل ادب وجانب كل شبهة وريب ان الله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمايركم يا ايها الذين
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اذ من كان مقامه ومكانته عند الله من القرب والحظوة ما تقدم
كان خفض الصوت والتخافت بالكلام بين يديه ادخل فيما يجب له من التوقير والاجلال ولذلك اعاد
النداء حثا على الاستبصار وايقاظا عن سنة الغفلة تذكيرًا واعتبارًا روى البخاري باسناده الى
ابن ابي مليكة قال كاد الخيران ان يهلكا ابو بكر وعمر رفعا اصواتهما عند رسول الله لما قدم عليه
ركب بني تميم اشار الصديق بان يؤمر القعقاع بن معبد عليهم واشار الفاروق الى الاقرع بن
حابس فارتفعت في ذلك اصواتهما فنزلت فقال ابو بكر والله لا اكلمك بعد هذا الا كاخي السرار
وكان عمر اذا خاطب رسول الله لا يسمعه حتى يستفهمه ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فضلًا
عن رفع الصوت فوق صوته ان تحبط اعمالكم فان الاستخفاف به كفر محبط للعمل والمعنى انتهوا عن
ذلك خشية من حبوط العمل على ان المنهي معلل او الفعل لاجل الحبوط منهي على ان المعلل منهي لانه
لما اوى اليه فكانه فعل لاجله فلما نزلت افتقد رسول الله صلعم ثابت بن قيس الانصاري فذهب
اليه عاصم بن عدي فوجده يبكي في بيته فاخبر بذلك رسول الله فدعاه فقال ما يبكيك يا ثابت
فقال قد خفت ان يكون قد حبط عملي وكان جهوري الصوت قال لست هناك تعيش حميدًا
وتموت شهيدًا قال انس لما كان يوم قتال مسيلمة الكذاب تحنط ولبس كفنه فقاتل حتى قتل في
كفنه وانتم لا تشعرون بذلك وعنه صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقي

بين يديه على شان التقديم

لها بالا يكتب له بها الجنة وان الرجل ليتكلم بكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي به في النار ابعد ما بين السماء
والارض ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله يخفضونها كل شيء كففته فقد غضضته اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى اي علم انها اقوياء على احتمال التكاليف والمشاق لان الامتحان سبب المعرفة
الجار والمجرور حال اي كائنة للتقوى خليقة بها كقولك انت لهذا الامر اي مختص به لا تتجاوزك او ضربها
بانواع المحن لتظهر تقواها لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند الابتلاء او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب
اذابه وخلص ابريزه وعن عمر اذهب شهواتها ثم في جعل اسم ان الموكدة موصولًا مشيرًا بصلته الى وجه
بناء الخبر وتعريفه والاتيان باسم الاشارة والاشارة باللام الى الاختصاص والاستيناف في لهم وابهام
الجزاء وتنكيره في مغفرة واجر عظيم احماد وارتضاء لمن تأدب بهذا الادب وسلك مع رسوله سبيل التوقير
والاجلال وتعريض باضدادهم نزلت في الشيخين ايضًا ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ناس من بني
تميم مقدمهم الاقرع بن حابس نادوه باسمه وهو في حريم الحجرات بيوت ازواجه جمع حجرة فعلة بمعنى المفعول
من الحجر وهو المنع والوراء وان كان حقيقة في الخلف والقدام الا انهما لم يرادا بخصوصهما لان مناط الانكار نداؤه
على الوجه المذكور في اي جهة كان والجمع لانها كانت متصلة فالمنادي من وراء احدها مناد من وراء الكل
او تفرقوا فيها او على التعاقب وانما علم انه كان داخلًا الحجرات من زيادة من اذ لا بد ان يختلف المبدأ و
المنتهى اكثرهم لا يعقلون اي كلهم واطلاق القلة على النفي والعدم عزيز او يكون فيهم من لم يرتض ذلك
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرًا لهم في الدنيا لان الاداب مغناطيس القلوب والاخرة فان توقيرك
من اجل الطاعات والقربات وفي التقييد باليهم اشارة الى انه لو خرج لا اليهم بل لامر آخر لم يكن لهم
ان ينادونه بالخطاب فضلًا عن ندائه على ذلك الوجه والله غفور رحيم وافق الغفران والرحمة ترغيب لهم
في التوبة ولما ارشدهم الى طريق السلوك معه وشيد اركان اجلاله بما لا مزيد عليه شرع يبين معاملة المؤمنين
بعضهم مع بعض بقوله يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط
ارسله رسول الله وكان بينه وبينهم مشاحنة ظن انهم مقاتلوه فكر راجعا واخبر انهم منعوا الزكوة وارادوا
قتله فبعث اليهم بعثا فلما كانوا بالطريق رآوا الحرث بن ضرار وهو ابو ميمونة زوجة رسول الله صلعم مع قومه
الى رسول الله وحلف له فنزلت وروى انه بعث بعد الوليد خالدا فرآهم مواظبين على الطاعات فاتى بصدقاتهم
وقصد بتنكير فاسق وبناء العموم اي اي فاسق كان باي نبإ كان فان النكرة في الشرط تعم والفسق
الخروج عن الطاعة باتيان الكبيرة والاصرار على الصغيرة وفي تركيب هذه الحروف معنى الخروج كيف ركبت
وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا بالثاء وقراءة الباء اوفق لانه المقصود من التثبت ولما روى انه قال
بعد نزولها الا ان التبين من الله فتبينوا وفيه دلالة على رد خبر الفاسق وقبول خبر العدل ان تصيبوا قومًا
بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين كراهة اصابتكم قومًا يكرهونه وهم براء عن موجبه حال كونكم جاهلين
بحقيقة الحال فتصيروا ذوي ندم وهو الغم اللازم اما لفوته او لعدم غيبته موجبه او لكثرة تذكره كالتائب
الصادق في توبته وتركيب الحروف يدل على الدوام ومنه النديم والدمنة والادمان واعلموا ان
فيكم رسول الله نعى عليهم ما فرط من الوليد وما كان من بعض المؤمنين من حث رسول الله على
الايقاع ببني المصطلق قبل التثبت ونزلهم منزلة من لم يعلم انه بين اظهرهم هذا وقد تقدم لهم النهي عن
التقديم بين يدي الله ورسوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم نصب على الحال من المستكن في الفعل
او الجار والمجرور اي هو فيكم على حال يجب تغييرها وهي ارادتكم استتباع رايه لما نظره لكم في كثير من
الامور وذلك مما يوقعكم في المشقة وفي ايثار لو اشارة الى ان ما ارادوه حقه ان يكون مفروضًا
كالمستحيل واتى بالمضارع تصويرًا لاستهجان ما كانوا عليه من ارادة الاستمرار فيما حقه ان يكون

صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق لياخذ صدقاتهم
فاستقبلوه اكراما له ... الوليد بن عقبة بن ابي
معيط ارسله ... لانه رسول رسول الله

... لوا البعث فقال الوحشان معا بلبن اروع ترك الوليد
منعت الزكوة فقال معاذ الله مورد مسوق ...

معروضًا وباللعنت الذي هو الكسر بعد الجبر الى اشد المحذور مع الرمز الى انه ليس باول بادرة منهم وتعميم
الخطاب ليكون تعريضا وهو اردع لمرتكبه وازجر لغيره فان قلت اذا نزلوا منزلة الجاهل كان قوله واعلموا ان
فيكم رسول الله كلامًا مفيدًا وكان الاستيناف في لو يطيعكم ظاهرًا كان قائلاً قال ماذا فعلوا حتى نسبوا
الى ذلك التفريط ويجاب بانهم يريدون ما يوقعهم في العنت بسبب ستتباع من تتخطى على المجرم في الكمال
وتتضال الشمس دون رأيه لذي الظهيرة قبل الزوال قلت ذلك وجه حسن لولا ارتباط الكلام بما تقدم من
شان الوليد ومبادرة البعض الى تصديقه وحث رسول الله على الايقاع فيفوت التعريض ويسفك النظام
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم
وهو ان فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر وما يخالف طاعة الله ورسوله حملهم على ذلك اوبصفة من
لم يفعل ذلك منهم احمادًا له وذمًا لغيره تعريضا اولئك هم الراشدون يؤيد الثاني والكفر عدم الايمان
والفسوق الكبائر والعصيان الصغائر وكل ما انكره الشرع والرشد الاستقامة على الحق من الرشادة وهي
الصخرة فضلاً من الله ونعمة متحدان ذاتًا الاول بالنظر الى المنعم والثاني الى المنعم عليه ونصبه على المصدر
لان الرشد فضل او مفعول له لمقدر اي جرى ذلك فضلاً او لحبب وما عطف عليه واولئك هم الراشدون
اعتراض او للراشدين لان الرشد لما كان بتوفيقه فكانه فعله ولا يخلو عن تعسف والله عليم باحوال
الناس حكيم متفضل ومنعم على من اقتضت حكمته وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الجمع باعتبار المعنى
فان كل طائفة جمع واشاران مع كثرة الاقتتال اشارة الى ان الايمان خليق بان لا يوجد معه الاقتتال
الا نادرًا فاصلحوا بينهما بين الطائفتين فان بغت احديهما على الاخرى تعدت فقاتلوا التي تبغي حتى
تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه وايثار المضارع لان المقاتلة باعتبار البغي الحالي فان فاءت رجعت فاصلحوا
بينهما بالعدل قيد بالعدل دون الاول اشارة الى ان الباغي بعد الفيء حكمه حكم العادل والتائب من
الذنب كمن لا ذنب له لا سيما وكانت لهم شبهة واقسطوا في ساير الامور او تاكيد للاصلاح بالعدل ان
الله يحب المقسطين يثيبهم على فعلهم وفي الحديث المقسطون على منابر من نور يوم القيمة يقال قسط ظلم مصدره
القسط بالفتح واقسط ازال القسط من القسط بالكسر العدل نزلت في الاوس والخزرج ركب رسول الله صلعم
حمارًا يعود سعد بن عبادة فمر على مجلس فيه الانصار وابن ابي المنافق واخذ بانفه وقال لا تؤذنا
بنتن حمارك فقال عبد الله بن رواحة ان حمار اطيب ريحًا منك فوقع بين الطائفتين القتال بالايدي و
النعال انما المؤمنون اخوة في الدين لتي بالحصر اهتمامًا بشانها واشارة الى ان مع الايمان زالت الاجنبية
وهي اشرف من اخوة النسب لانقطاع الانساب يوم القيمة واخوة الدين باقية ابدا صافية لا كدر فيها بخلاف
اخوة النسب اذ قل ما تخلو عن كدورة ومجانبة فاصلحوا بين اخويكم ان وقع شنآن واثار المثنى لان اكثر ما
يكون بين الاثنين ولانه اذا وجب الاصلاح بينهما ففي الاكثر اوجب والزم واتقوا الله في مجامع
امورکم او في ترك الاصلاح بين الاخوين فانه كثيرًا ما يتساهل فيه لعلكم ترحمون حال كونكم راجين رحمة
الله يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرًا منهم ولا نساء عسى ان يكن خيرًا منهن
القوم الرجال خاصة ولذا قوبل بالنساء ولانهم قوامون على النساء ولقول زهير اقوم آل حصن ام نساء
وقوم نوح ونظايره تغليب او لانهن توابع مصدر في الاصل لقولهم اذا اكلت احببت نوما وابغضت قومًا
اي قياما او جمع قايم كزور في زاير والتنكير لارادة البعض او الشيوع ولم تقتصر على التوحيد لان السخرية
اكثر ما يكون في المحافل والراضي بها كالساخر ولم يعطف عسى بالفاء لكونه مستانفا جوابًا عن سؤال
الموجب ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضًا لان المؤمنين كنفس واحدة كقوله ولا تقتلوا انفسكم
او لا تفعلوا ما تلمزون بسببه كقوله صلى الله عليه وسلم لا يسبن احدكم اباه قالوا وهل يسب احد اباه قال

نعم يسب باحد فيسب اباه واللمز في الاصل الاشارة بالعين شاع في القول كالهمز في الفعل ولا تنابزوا
بالالقاب النبز بالتحريك اللقب والمراد به ما يسوء الانسان وفي الحديث على المؤمن ان يدعو اخاه باحب اسمائه
وقد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا من الاسماء بئس الاسم الفسوق بعد الايمان المراد بالاسم الذكر
يقال طار اسمه في الافاق اي ذكره والفسوق مصدر فصح الحمل والمعنى ذم الاجتماع فان الايمان يابى ذلك
كما تقول بئست الصبوة بعد الكبر او ذكر المرء بالفسق بعد ما اتصف بضده كما لو قيل لمن اسلم من اليهود يا
يهودي وبئس الاسم الفسوق بدل الايمان تغليظًا كانه بذلك يخرج عن الايمان والاية نزلت في الانصار
كانوا يتنابزون بالالقاب رواه ابو داود وقيل في نساء النبي عليه السلام عير زينب ام سلمة بالقصر
او صفية شكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نساءك يقلن لي يا يهودية بنت اليهودي فقال هلا
قلت ان ابي هرون بني وعمي موسى نبي وانا زوجة نبي ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الكاملون في
الظلم لاستمرارهم على الباطل بعد العلم به يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن اي كونوا في جانب
منه ونكر كثيرًا لئلا يجترأ على اي ظن كان الا بعد التأمل ولو عرفه لكان المنهي عنه الظن الموصوف
بالكثرة ان بعض الظن اثم منه الاثم ذنب يوجب العقاب من الوثم وهو الكسر الهمزة بدل من الواو وعن
مالك عن ابي هريرة عن رسول الله صلعم اياكم والظن فانه اكذب الحديث وعن عمر رضي الله عنه لا تظن
بكلمة تسمعها من اخيك سوءًا وانت تجد لها محملا ولا تجسسوا ولا تفتشوا على عورات المسلمين من الجس وهو
وهو الاختبار باليد شاع في الشر كالتحسس بالحاء في الخير كقوله فتحسسوا من يوسف واخيه وعن عتبة بن
مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ستر على مسلم عورته فكانما احيا مؤودة من قبرها ولا يغتب
بعضكم بعضًا الغيبة ذكر المسلم بما كان فيه مما يكرهه وان لم يكن فيه فبهتان وعن عايشة رضي الله
عنها ذكرت صفية عند رسول الله بالقصر فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بالبحر مزجته وعنه عرض
المؤمن كدمه الا اذا كان المغتاب مجاهرا بالفسق كما روي عن الحسن لما مات الحجاج قال اللهم امته
فاقطع سنته اخيفنا عيش لا من الله يتقي ولا من الناس يستحيي او احتيج اليه للجرح او استشير فيه وما لم يبلغ
المغتاب اذا تيب عنه سقط الاثم ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتًا تصوير وتمثيل لما يناله المغتاب من عرض
اخيه على اشنع وجه بابلغ طرق استفهام التقرير الذي لا يكون الا في كل مسلم عند كل سامع وجعل اكره
الاشياء محبوبا وتخصيص لحم الانسان الذي ينفر منه الطباع حال كونه ميتا من غير ذكره وكون ذلك من
اخيه واسناد الفعل الى احد دلالة على ان احدا من الاحاد لا يرضى بذلك وقرا نافع مشددًا فكرهتموه لا
محالة انتم قائلون به فقدم الالزام والفاء فصيحة مثل فقد جئنا خراسانا وعن ابي هريرة لما رجم ماعز
فقال رجلان قد ستر الله عليه فلم يستر على نفسه حتى رجم رجم الكلب فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسار معه حتى مر بجيفة حمار فقال اين فلان وفلان فقالا ها نحن يا رسول الله فقال انزلا فكلا من
لحم هذا الحمار فقالا يغفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل لحم هذا فقال ما نلتما من عرض اخيكما اشد من
هذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة فنام يوما عن شانه فبعثناه
الى اسامة وكان على طعام رسول الله يطلب لهما ادامًا فقال ما عندي شيء فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة
لغار ماؤها فانطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اري خضرة اللحم في افواهكما قالا ما اصبنا
طعامًا منذ نزلنا قال قد اغتبتما سلمان وفي لفظ الخضرة زيادة تهجين لانه من خواص لحم الجيفة فنزلت
واتقوا الله ان الله تواب رحيم شديد الاعتناء بقبول التوبة وافر الرحمة بعد الاسراف دهرًا طويلًا
اذا تاب قبل الغرغرة يحط يبدل معاصيه طاعات يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى آدم وحوا
او كلا منكم من اب وام فلا وجه للتفاخر وجعلناكم شعوبًا وقبائل للعرب في الانساب مصطلح حصروها

فی ست مراتب الشعب والقبیله والعمارة والبطن والفخذ والفضیله علی هذا الترتیب اعلاها الشعب
نحو ربیعه شعب وکنانه قبیله وقریش عمارة و قصی بطن و هاشم فخذ والعباس فضیله لتعارفوا الانسا
فلا تعتزی احد الی غیر ابیه ویسهل نقل الاخبار فلان بن فلان ورعایة الاصول فی صله الارحام
ومراعاة الاکفاء فی الازواج وتحمل الدیة ان اکرمکم عند الله اتقکم لا دخل للانساب فی امر الاخرة
من ابطا به عمله لم یسرع به نسبه روی البخاری باسناده الی ابی هریرة ان رسول الله صلی الله علیه وسلم
سئل عن اکرم الناس عند الله قال اتقاهم وعنه لا فضل لاحد علی احد الا بالتقوی ان الله علیم خبیر
یعلم حقیقه التقوی تحذیر عن شوب الریا بعد حصر الکرامه فیها قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولکن قولوا
اسلمنا لما ذکر ان املاک الامر هو التقوی اشار الی ما به قوامه وهو الایمان الذی لا یعتد بعمل دونه وساق
الکلام لهذا الغرض مساقا بدیعا حتا دبجه فی غرض اخر وهو توبیخ من زعم انه احاط بهذا المطلب الشریف
وهو عنه بمراحل ولم یصرح بتکذیبهم لئلا یغلبوا حما لتقهم ویلبسوا جلد النمر ولیرشد المنزل علیه فی سلوک
هذا المنهج مع الجاهلین وکون احد الجملتین خبریه والاخری انشائیه ونفی الایمان ومقابله اثبات الاسلام
دون الامر به لا یقدح فی الغرض بعد وجود المطابقه المعنویه مع ما فیها من الفواید الزواید ولما یدخل
الایمان فی قلوبکم فی موقع الحال من واو قولوا ای قولوا اسلمنا والحال ان الایمان غیر داخل محله وکون
لما للتوقع لا یستلزم وقوع ما دخله وان تطیعوا الله ورسوله لا یلتکم من اعمالکم شیئا لا ینقصکم من لاته نقصه
ومنه الحمد لله الذی لا یفات ولا یلات لغه اسد والحجاز وقرا ابو عمرو فی روایه الدوری یالتکم من الت
السلطان حقه وهی لغه غطفان ان الله غفور لما فرط منکم من الدعوی المجردة رحیم حیث ارشدکم
الی طریق الصواب انما المؤمنون الذین آمنوا بالله ورسوله ثم لم یرتابوا فی هذا الحصر تعریض وکشف عن
حقیقه الایمان ومعنی ثم انهم استمروا علی ذلک ولم یعترهم ما ینافی الایمان من الارتیاب بل هم فی ثلج
الصدر دوام حیاتهم او هو من عطف جبرئیل علی الملئکه وایثار ثم للدلاله علی ان حالهم فی الایمان علی
الترقی والازدیاد اما فی الکمال او فی اصل الاتقان عند القائل بالزیاده والنقصان ومن لم یرتب فبانضمام
العیان الی البیان وجاهدوا باموالهم وانفسهم فی سبیل الله یشمل سایر العبادات لانها اما مالیه او بدنیه
او مرکبة ثم اما ان نوی مجاهدا کالشیطان والهوی او یکون فاعل بمعنی فعل جیء به علی صیغه المبالغة
لیکون ابلغ واقوی وفی تاخیر الانفس رعایه الترقی اولئک هم الصادقون ای الذین لم یکذبوا والذین
ایمانهم ایمان جد وثبات علی ان الصدق شامل للقول والفعل والعقد وعلی الوجهین تعریض بالاعراب
والثانی احسن واوفق بقوله لم تؤمنوا لانه فی معنی کذبتم قل اتعلمون الله بدینکم توبیخ لهم علی تلک الدعوی
المجردة ای هب ان دعواکم اشتبهت علینا لان الایمان محله خفی فکیف شانکم مع الله تعلمونه ما لا یعلم
والله یعلم ما فی السموات وما فی الارض والله بکل شیء علیم اعاد لفظ الجلاله مبالغه فی احاطة علمه
لاقتضاء الالوهیه ذلک ودل علی ان خارج السموات والارض اشیاء لا یحیط بها الا علمه یمنون علیک
ان اسلموا ای ذلک الایمان الذی لیس شیئا واراد الاسلام الذی هو الانقیاد یمنون علیک به قل لا
تمنوا علی اسلامکم باسلامکم علی نزع الخافض وفی اضافته الیهم اشارة الی خساسته وانه
شیء یلیق بامثالهم بل الله یمن علیکم ان هداکم للایمان ذلکم علی ما هو ایمان حقیقه ولم یضفه الیهم
لعدم الملابسه ولذلک اکده بقوله ان کنتم صادقین دلالة علی ان ذلک کذب واختلاق والجواب
محذوف دلالة ما قبله علیه ان الله یعلم غیب السموات والارض یطلعک علی ما یخفی علیک وبعض
من المعارف والحکم ما لیس لک الیه سبیل والله بصیر بما تعملون عیان عنده سرکم وعلانیتکم وقرا
ابن کثیر یعملون بیاء الغیبه مسندا الی ضمیر الماضین تمت سورة الحجرات والحمد لخالق الارض والسموات

رد علی الکشاف حیث زعم انهم آمنوا بعد ذلک مع ان الضحاک ذکر انهم المنافقون منه

والصلوة

والصلوة علی المبعوث باهر المعجزات واله وصحبه ذوی المکارم واولی الکرامات **سورة ق مکیه خمس**
واربعون آیه بسم الله الرحمن الرحیم ق حرف الهجا او اسم السورة مقسم به والجواب
محذوف ای لاتی به لصادق والقرآن المجید عطف علی القسم او قسم والمجد الشرف المتسع من مجدت الابل
اذا رعیتها فی مرعی واسع فهو ابلغ من قوله ذی الذکر ولذلک عقبه بقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انکارا
لتعجبهم دالا علی جهلهم لان التعجب یکون من شیء خفی سببه وکونه مجیدا اما لانافیه علی سایر الکتب او وصف
بنعت منزله او لان من احاط به علما مجد فقال الکافرون هذا شیء عجیب فی اضمار ذکرهم ثم اظهارا اشارة
الی ان اقدامهم علی هذا القول ناش من الکفر وهذا اشارة الی الرجع الدال علیه الانذار ائذا متنا وکنا
ترابا استئناف لبیان موجب تعجبهم وعولوا علی المنذر به دون التعرض للمنذر لانه ادخل فی الانکار لاستقصارهم
القدرة بخلاف کون واحد منهم رسولا فانه مجرد استبعاد ذلک رجع بعید من کلامه تعالی مصدر بمعنی المفعول
تخطیه لهم فی المناظرة ای بروج کلامهم ومحصل جوابهم بعید عن الصواب لکون ما انکروه اهون مما یشاهدون
لخلق السموات والارض اکبر من خلق الناس ویجوز ان یکون من کلامهم وذلک اشارة الی ائذا متنا والناصب
لاذا البعث الدال علیه قد علمنا ما تنقص الارض منهم تاکل من اجسادهم والقدرة علی الانشاء مسلمه عندهم
فالانکار لماذا وعندنا کتاب حفیظ ضابط للحوادث ما کان وما یکون فلو فرض خروج شیء من علمنا بناء علی
جهلهم لم یخرج من ذلک الکتاب او محفوظ عن التبدل وفیه کما بدانا اول خلق نعیده وعدا علینا بل کذبوا
بالحق لما جاءهم بالنبوة راسا فان انکارها انکار المبانیه الذی بعث وما یتبعه من جزئیاته او الاخبار
بالبعث فان التکذیب به اسوء من التعجب منه او القرآن فان قوله بل عجبوا اضراب عن حدیث القرآن ومجد
وما یدل علیه اعجازه من صدق من اتی به فانکاره حقیقة ادخل فی الانکار من انکار ما یلزم منه من
النبوة والبعث وعلی کل تقدیر الاضراب الثانی ابلغ ذما لهم من الاول فهم فی امر مریج مختلط تارة یسمون
المؤید بالمعجز الباهر ساحرا وتارة شاعرا الی غیر ذلک من خرافاتهم افلم ینظروا الی السماء فوقهم کیف
بنیناها من غیر سبق مثال فیدلهم ذلک النظر علی ان اعادتهم امثالهم اهون شیء ای قد نظروا ولکن
تعمی القلوب التی فی الصدور وزیناها بزینه الکواکب وما لها من فروج فطور وفتوق بان خلقت
ملساء ولا شک ان هذا الصنع اتقن من ذی خشونه ومسام والارض مددناها بسطناها والقینا فیها
رواسی جبالا ثوابت شامخات اوتادا لها وانبتنا فیها من کل زوج بهیج من کل صنف یبهج به لحسنه ورواه
تبصرة وذکری لکل عبد منیب راجع الی الله فی التدبر فی بدایع صنعه علتان للافعال المذکورة الاولی
للراسخین والثانیه للقاصرین ونزلنا من السماء ماء مبارکا کثیر الخیر والمنافع فانبتنا به جنات اشجارا ذوات
ثمار وحب الحصید ما شانه ان یحصد مما یقتات واخره لقلته عند العرب فان اکثر ما یعیشهم الماء والتمر
ولذلک عقبه بقوله والنخل باسقات لها طلع نضید بعد تناول الجنات ایاها والباسق الطویل والطلع ثمر
النخل والنضید المنضود اما التراکمه لکثرته او لکثرة ثمره رزقا للعباد علة للانبات او مصدر لانه بمعنا
واحیینا به بلدة میتا ارضا یابسة بایجاد النبات والنضارة فیها ولم یؤنثه باعتبار المکان والبلد
لقوله والبلد الطیب کذلک الخروج الخروج من القبور مثل ذلک علی انه مبتدا والکاف خبر وقیل عکسه والاول
اظهر والثانی ابلغ کانه قال مثل هذا المحسوس الخروج الذی تستحیلونه والمشار الیه خروج النبات لا الاحیا
کذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس قوم شعیب وثمود وعاد وفرعون ای قومه وانما ذکره دلالة
علی کونه السبب لتکذیبهم والداعی الیه فاستخف قومه فاطاعوه واخوان لوط ای قومه کقوله واذکر
اخا عاد والاختلاف للتفنن واصحاب الایکة وقوم تبع کل کذب الرسل ای کل فردا وکلهم وافراد الضمیر
باعتبار اللفظ فحق وعید حل بهم واستقر افعیینا بالخلق الاول ای عدم الاهتداء الی وجه المطلوب

والمعنى انهم معترفون بالاقتدار على الخلق الاول لا ينكرونه ومن اعترف بذلك لزمه الاعتراف
بالثاني بل هم في لبس من خلق جديد مستغرقون في الحيرة لاجل ذلك انكروا ونكر الخلق ووصفه بالجديد
تنبيه على مكان شبهتهم الناشئة من الوهم الحاكم باستحالة العظم الرميم انسانا في احسن تقويم ولذلك
قلع شافة شبهتهم بقوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به من الهواجس
من وسوسة الحلي الصوت الخفي ومن علمه بخفايا المعقولات هكذا فباجزاء الاجسام اجلى واصغر ما يكون
والقدرة قد شاهدوا آثارها في الآفاق والانفس ويجوز ان تكون ما مصدرية والباء للتعدية والمعنى
ان النفس تجعل الانسان قائما به الوسوسة فالانسان هو المحدث والوسوسة حديثه كقول لبيد
وكذب النفس او احدثتها ونحن اقرب اليه من حبل الوريد تمثيل لعلمه او من اطلاق السبب وارادة المسبب
لان القرب من الشيء سبب العلم به والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق سميا بذلك لانهما يردان من
الراس او لان الروح يرديهما واضافة الحبل اليه بيانية كشجر الاراك او هو في الاصل للعاتق اضيف اليه
للمجاورة اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد اذ ظرف لاقرب وان لم يكن افعل التفضيل
عاملا في المظهر فاعلا او مفعولا للاتساع في الظرف والمعنى نحن اقرب من حبل الوريد في تلك
الحالة فليس توكيل الملكين لاستفادة علم بل لطفا بالانسان فانه اذا علم بذلك وان ما يعمله ملزم
في عنقه يخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا كان ازجر له واكبح لعنانه الا ترى انه اذا ارتكب معصية
يتستر من الناس مع علمه بان الله تعالى يراه ولذلك كان ظلوما جهولا ويجوز تعلقه باذكر والقعيد بمعنى
المقاعد كالجليس بمعنى المجالس حذف احدهما لدلالة الآخر عليه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد حافظ
حاضر لا تفوته شيء وتخصيص القول مع ان المراقبة عامة لان السياق في حديث الانسان نفسه ولفظ
ما مع زيادة من تدلان على كتابة كل نقير وبه قال الحسن وقتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كان
من خير او شر وصاحب اليمين امين على صاحب اليسار فاذا اذنب الانسان ذنبا لا يمكنه من كتابته الى
سبع ساعات لعله يستغفر وجاءت سكرت الموت بالحق بعدما اثبت انكروه من امر المعاد بما دل على
شمول علمه بالجزئيات واحاطة قدرته بالممكنات اشار الى ان هذا المنكر انتم لاقوه عن قريب فخذوا
حذركم والباء للتعدية كقولك جاء زيد بعمرو اي احضرت الامر الذي بعثت الرسل لاجله او جلية الحال
من السعادة والشقاوة من ان كل نفس ذائقة الموت او للملابسة اي ملتبسة بحقيقة الامر وسكرة الموت
شدته الذاهبة بالعقل ذلك ما كنت منه تحيد اشارة الى الموت والخطاب للكافر لان الكلام معه
وفي احواله او للانسان التفاتا والحيد الميل والنفرة وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه
فك النظم وركاكة المعنى ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة
الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه
او ملك واحد جامع للوصفين ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لكونه في معنى كل النفوس
لقد كنت في غفلة من هذا مستغرقا فيها لا ترى شيئا فكشفنا عنك غطاءك ازلنا الساتر بينك
وبين الحق فبصرك اليوم حديد شديد الرؤية نافذ وقال قرينه الملك الموكل به هذا ما لدي
عتيد صفة ما ان كانت موصوفة وبدل ان كانت موصولة وفيه ابدال النكرة من المعرفة او خبر بعد
خبر او خبر مبتدأ محذوف اي هذا الذي من اعماله محفوظ عندي حاضر بلا زيادة ولا نقصان او الشيطان
الذي قيض به يقول هذا الذي في ملكي اعددته لجهنم باغوائي ولا ينافيه قوله ربنا ما اطغيته لانه
مثل قول ابليس وما كان لي عليكم من سلطان بعد قوله ووعدتكم فاخلفتكم القيا في جهنم كل كفار
عنيد خطاب للسائق والشهيد فان كان واحدا فالالف بدل نون الخفيفة اجراء للوصل مجرى الوقف

كقول الحجاج يا حرسي اضربا عنقه او نزل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل لدلالته على تعدده في قام الزيدان
لما بينهما من شبه الاتحاد لفظا ومعنى كانه قيل الق الق او لان العرب كثر في خطاباتها لفظ المثنى خليلي
صاحبي الى غير ذلك فنسج هذا على ذلك المنوال لقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا
ممتنعا مناع للخير كثير المنع عن البر والمعروف او الاسلام على ما روى انها نزلت في الوليد لما منع بني
اخيه عن الاسلام والوجه الاول لتناوله الاسلام لانه راس الخير معتد متجاوز مريب شاك في الدين
الله تعالى الذي جعل مع الله الها آخر رفع او نصب على الذم فالقياه في العذاب الشديد من ذكر الخاص
بعد العام او الذي جعل مبتدأ تضمن معنى الشرط فالقياه جزاؤه او بدل من كل كفار فالقياه توكيد للاول
والفاء للدلالة على ان الالقاء لتلك الصفات المذكورة قال قرينه ربنا ما اطغيته جواب للكافر
حين ادعى على القرين انه السبب في ضلاله لقوله لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ولذلك لم يعطفه بخلاف
الاولى فان العطف فيها لازم للدلالة على الجمع بين مجيء كل نفس وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد حيث
ترك الحق بعد ظهوره بوسوسة ووعد كاذب قال لا تختصموا لدي استئناف كانه قيل ماذا قال تعالى في
جوابه والمعنى ان دار الجزاء ليس محل الخصام لعدم الجدوى وقد قدمت اليكم بالوعيد والحال اني لم ابق لاحد
حجة وقد صح عدم ذلك والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او صلة قدم
على انه بمعنى تقدم او الجار والمجرور حال من الفاعل او المفعول متقدما عليه والفعل واقع على قوله ما
يبدل القول لدي اي بينت لكم مضمونه وما انا بظلام للعبيد اي لا احد شيئا من الظلم والمبالغة اما
بالنظر الى الافراد واما لانه لو ظلم لكان كسائر صفاته وافعاله في غاية الكمال يوم نقول لجهنم هل امتلأت
وتقول هل من مزيد يوم ظرف ظلام او نصب باذكر او انذر او نفخ واشار بذلك الى اليوم كانه قيل ذلك
اليوم اي يوم القول يوم الوعيد وفيه بعد لوقوع الفصل بما لا يصلح اعتراضا على ان زمان النفخ ليس يوم
القول الا على فرض الامتداد وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء التفاتا والنون ابلغ ترهيبا روى البخاري
عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى في النار وهي تقول هل من مزيد حتى تضع الجبار
فيها قدمه فتقول قط قط بعزتك فعلى هذا الاستفهام على اصله وما روى عن ابن عباس رضي الله عنه
وعكرمة هل من مزيد هل بقي في من مكان اي لم يبق في موضع ابرة وذلك لما روى مسلم عن ابي سعيد
ان الله تعالى وعد لكل من الجنة والنار ملاءها فمحمول على ما بعد وضع القدم ولا ضرورة من صرف
السؤال والجواب عن الحقيقة وقيل هو من التخييل الذي يقصد به التصوير والتبيين وازلفت الجنة للمتقين
قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد نصب على الحال الظرف او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالهدير
والوجيب او على حذف الموصوف اي شيئا وعلى كل تقدير توكيد لازلفت هذا ما توعدون جملة اعتراض صح
وقرأ ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ على حدوده من خشي
الرحمن بدل بعد بدل او من موصوف اواب ان جوز حذف المبدل ولا يجوز بدله من اواب لان من
لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها بسلام او منادى حذف حرف النداء منه جعله بمنزلة الحاضر عناية ورفعا
لمحله واشار الرحمن من بين اسمائه تعالى وجعله مقرونا بالخشية للثناء على الخاشي بانه يخشاه مع علمه بسعة
رحمته او لعلمه بشدة عقابه فلم يامن ولم يغتر بكرم رحمته بالغيب زيادة في الثناء اي يخشاه وهو غائب
عنه حال من المفعول او من الفاعل اي في خلواته غائبا عن اعين الناس او بسبب الغيب الذي اوعده به
وجاء بقلب منيب تائب والاقتصار على القلب لان الجسد وسائر الحواس آلات وجنود وفي الحديث
ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب ادخلوها بسلام
سالمين من العذاب ومن زوال النعم او مسلما عليكم ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كان ذلك اشارة

الى زمان الدخول ويجوز ان يشار به الى ما بعده نحو هذا اخوك او يجعل يوم الخلود مبتدأ من حين الدخول
فيستغنى عن التقدير لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد الذي لم يخطر بخاطرهم روى مسلم عن صهيب انه النظر الى وجه
الله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن اى قبل قومك هم اشد منهم بطشا كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد
اى تفرقوا في البلاد وجالوا في الارض من كل مجال حذر الموت هل من محيص من ملجأ او منجا من عقاب الله و
اهلاكه ويجوز ان يراد اهل مكة وتنقيبهم اسفارهم ومسايرهم على ديار المهلكين كقوله فسيروا في الارض
والغرض منه انهم وان عموا عن دلائل البعث فكان عليهم الحذر من العقاب العاجل لما شاهدوا من
حال امثالهم ان في ذلك فيما ذكر من حال الامم او فيما ذكر في السورة لذكرى موعظة واعتبارا لمن كان له
قلب فاهم عن الله او القى السمع اى استمع لذلك الاستعداد مستفيدا منه وهو شهيد اى حاضر بقلبه متهيئ
للتفطن اذ غيره بمثابة الغائب ويجوز ان يكون من الشهادة اى القى السمع والحال انه مؤمن بما تلي عليه او من
الذين قال الله فيهم لتكونوا شهداء على الناس والاول اوجه والصق بالمقام ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ادنى تعب تكذيب لليهود في قولهم بدأ بخلق العالم
يوم الاحد ووقع الفراغ يوم الجمعة واستراح يوم السبت فاصبر على ما يقولون اى المشركون او اليهود والاول
اوجه وسبح بحمد ربك نزهه حامدا قبل طلوع الشمس وقبل الغروب لشرف الوقتين ومن الليل فسبحه
في جزء من الليل ايضا وهو الثلث الاخير وقيل المراد بالصلوة قبل طلوع الشمس الصبح وقبل غروبها
العصر والظهر ومن الليل العشاء وادبار السجود وخلف الصلوة روى مسلم باسناده انه صلى الله عليه وسلم قال
من قال في دبر كل صلوة ثلثا وثلثين تسبيحة وثلثا وثلثين تحميدة واربعا وثلثين تكبيرة غفرت ذنوبه وان كانت
مثل زبد البحر وعن على رضى الله عنه ركعتان بعد المغرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما الوتر وقرأ نافع
وابن كثير وحمزة وادبار بكسر الهمزة مصدر ادبر اذا انقضى بتقدير مضاف اى وقت انقضاء السجود واستمع يوم
ينادى المناد اى استمع لما اخبرك به من احوال يوم القيمة وفيه تهويل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لمعاذ استمع ثم اخبره بعد سبعة ايام والمنادى اسرافيل ينفخ في الصور وينادى ايتها العظام البالية
والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة هلم لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ في الصور
وجبرئيل ينادى قرأ ابن كثير ينادى باثبات الياء في الوقف لانها جزء الكلمة وحذفها الباقون اتباعا للرسم
من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب ارض الى السماء باثنى عشر ميلا وهي وسط الارض
او من تحت اقدامهم او من منابت شعورهم يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادى وانتصابهما بما دل عليه
الخروج اى يخرجون من القبور يوم ينادى المنادى بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والصيحة النفخة
الثانية ذلك يوم الخروج من اسماء يوم القيمة انا نحن نحيى ونميت والينا المصير للجزاء جرده عن الدليل
لما تقدم من الادلة مستوفاة يوم تشقق الارض عنهم بدل بعد بدل او ظرف للمصير او نصب بما دل عليه حشر
علينا وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين لان اصله تتشقق والباقون مخففا بحذف احدى التائين
سراعا مسرعين حال من المجرور ذلك حشر علينا يسير تقدم الظرف للاختصاص اذ لا يتيسر ذلك الامر البديع
الا لمن امره بين الكاف والنون نحن اعلم بما يقولون منك تسلية له وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار
بقهار تكرههم على مرادك انما انت منذر لا غير وقد وفيت بما ارسلت به فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
اذ لا ينتفع به غيره فان الدواء لا يجدى الا اذا صادف محلا قابلا للشفاء تمت سورة ق والحمد لمن
لا يفي بحمده الاوصاف والصلوة على خير خلقه وآله وصحبه اولى المكارم والالطاف

سورة الذاريات مكية وهي ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات
ذروا الرياح التى تذرو التراب وغيره ادغم ابو عمرو وحمزة التاء في الذال فالحاملات وقرا السحاب

لانها تحمل المطر فالجاريات يسرا السفن الجارية في البحر جريا ذا سهولة فالمقسمات امرا الملئكة تقسم
الامور كل واحد موكل بشأن جبرئيل بالوحي واهلاك المكذبين وميكائيل بالارزاق واسبابها وملك
البحار بالبحار الى غير ذلك مما لا يحيط به الا علمه الشامل هذا هو المروى عن عمر بن الخطاب وعلى والترتيب
باعتبار ما سيق له الكلام من الدلالة على كمال القدرة المحقق لما اقسم عليه من صدق الوعد بالبعث الاظهر
فالاظهر لان الكلام مع الجاحد وقيل الكل صفات الرياح لانها تنشر السحاب وتحمله وتجرى به في الجو و
تقسمه على الاماكن على ما امرت به فالعطف باعتبار الصفات انما توعدون من البعث ايهمه لتعينه
لصادق مطابق للواقع والوعد الصادق كعيشة راضية وان الدين الجزاء لواقع والسماء ذات الحبك ذات
الطرايق وهي طرائق النجوم في مسيرها او ذات المظاهر الذين يتفكرون فيها من حبكت الريح الرمل والماء
اذا اثرت فيه بالتجعيد والتكسر قال زهير يصف غديرا مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحى
ماء حبك ولما كان في ذلك التكسر حسن منظر قال الحسن الحبك النجوم لانها زينة السماء وقيل صفاتها من حبك
النساج اذا احكم النسج وعن ابن الاعرابى كل شئ احكمته فقد حبكته جمع حبيكة كطريقة وطرائق او حبال
كمثال ومثل انكم لفى قول مختلف في الرسول منكم مكذب ومنكم مصدق او منكم من يقول شاعر ومنكم
من يقول ساحر او في القرآن كذلك وقد روعى في القسم اولا وثانيا ملاءمة المقسم عليه وذلك ان المقسم
عليه اولا لما كان البعث وما بعده جعل القسم بما شاء من القدرة من الآثار والاطوار وثانيا كونهم
مختلفين فيما لا يقبل الاختلاف جعل المقسم به ذا طرائق مختلفة يؤفك عنه من افك يصرف عنه من
صرف الضمير للرسول او للقرآن ولما اسند الفعل الى الموصوف به جاءت المبالغة اى صرف لا صرف اشد منه
كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم او المعنى يؤفك عنه من افك في علم الله لا يمكن عنه الا دعواه فيكون اشارة
الى الختم ويجوز عود الضمير الى ما يوعدون او الدين اقسم اولا على وقوعه ثم على كونهم مختلفين فيه وقيل الضمير
للقول المختلف اى يصدر افكهم عن القول المختلف وفيه تعسف وفوات تلك المبالغة قتل الخراصون
لعن الكذابون اى هؤلاء المكذبون بالدين والعدول الى المنزل لان تكذيبهم من جملة الكذب واصله الدعاء
بالقتل ثم شاع في اللعن لانه فوق القتل الذين هم في غمرة في جهل عظيم غارقون فيه واصله الماء الساتر
ما تحته ساهون غافلون عما امروا به يسئلون ايان يوم الدين تكذيبا به واستهزاء والمعنى اى زمان زمانه
او في اى زمان وقوعه بان يجعل الزمان لكونه مترقبا منتظرا ملحقا بالزمانات وهذا شايع في كل زمان
له شان كيوم العيد والنيروز يوم هم على النار يفتنون يحرقون يقال للحجر فتين لان حجارتها السود كانها
محرقة ويوم منصوب بما دل عليه السؤال اى يقع او مفتوح لاضافته الى الجملة والعامل فيه ذلك الفعل
المدلول عليه او خبر مبتدأ اى هو يوم هم وعلى اى تقدير كان قايم مقام الجواب ذوقوا فتنتكم عذابكم
بتقدير القول هذا الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون بدلا من فتنتكم والموصول صفته ان
المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتيهم ربهم اى قابلين لكل ما اعطاهم راضين به من اخذت اخذ
فلان سرت بسيرته الحسنة والمعنى ان كل ما اعطاهم حسن مرضى انهم كانوا قبل ذلك محسنين تعليل
لاستحقاقهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون بيان لاحسانهم ما مزيدة وقليلا صفة مصدر محذوف
اى هجوعا قليلا ومن الليل صفة اى مبتدئا منه او لغو متعلق بيهجعون او موصولة او مصدرية
فاعل قليلا ومن الليل حال مقدم على الاول بيان على الثاني لان معمول المصدر لا يتقدم ولا يجوز
ان يكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لفظ الهجوع الذي هو قليل من النوم و
تأكيده بالقلة وذكر الليل الذي هو محل الراحة ولفظ كان الدال على الاستمرار وبالاسحار هم يستغفرون
يستقصرون علمهم كان ما فعلوه من الطاعات في تجدهم جرايم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم

لان السورة مكية

وملك الموت بالارواح واسرافيل بالنفخ
وملك الجبال بالجبال

الحرة ارض ذات حجارة سود

هذا على المشهور والحق جواز تقدم معمول
المصدر منه

الاحقاء بالاستغفار دون غيرهم لكمال خشيتهم وعنه صلى الله عليه وسلم اذا بقي ثلث الاخير من الليل
ينزل ربنا الى السماء الدنيا ويبسط يده ويقول من تايب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له الى طلوع
الفجر وذلك كل ليله وفي اموالهم حق للسائل والمحروم المستجدي والذي لا يسئل اما العدم قدرته على السوال
او يمنعه الحياء وعنه صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي يرده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان انما
المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق وان جاء على فرس وفي الارض ايات للموقنين عطف على انما توعدون
لصادق وقصه المنافقين معترضه وفي تخصيص الموقنين مع ان الكلام مع الجاحدين لانهم الذين تجدي عليهم
الايات والنذر وايات الارض ما فيها من الصفات وما عليها من النبات والحيوان وما اشتملت عليه من
الاشكال والالوان والخواص التي تفوتها الحصر وفي انفسكم من الايات اذ ليس في العالم شي الا وفي الانسان
نظيره بل هو الذي اختص به من بدايع الاوصاف وغرايب المعاني والمعقولات ولذلك افنى بعض العارفين
العمر في التامل في قوله افرايتم ما تمنون اانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ولم يقض منه الوطر افلا تبصرون
تنظرون نظرا اعتبار والتعبير بالابصار اشارة الى غاية الظهور وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم من الامطار
والثلوج والكواكب وما توعدون ثواب اعمالكم والجنة فانها فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن
فورب السماء والارض انه لحق كل ما تقدم من اول السورة وقيل الضمير لما توعدون مثل ما انكم تنطقون
كما لا تشك احدكم في نطقه فكذلك لا يجوز له ان تشك في حقيته وقرا حمزة والكسائي وابو بكر مثل
بالرفع صفة حق والباقون بالفتح لبنائه بالاضافة الى المبني محله الرفع على الوصف او نصب صفة مصدر
اي حقا مثل نطقكم او حال من مستكن حق وعن الاصمعي ان بدويا سمعني اقراها قال من ذا الذي
اغضبه حتى حلف له بذاته لم يصدقوه حتى الجاوه الى اليمين قالها ثلثا وخرجت روحه هل اتاك
حديث ضيف ابرهيم لما استوفى في ادلة المعاد بما دل على كمال اقتداره بحيث لم يبق ريبا الذي عين
مهد لاثبات نبوته وفخم شان الحديث اشارة الى انه من العلم الذي لا يمكن الوصول اليه الا بالوحي
فعلى من تلى عليه الاتباع لمن اتى به لانه صادق مؤيد بهذا المعجز الباهر وضمن فيه تسليه المنزل عليه
من تكذيب من ارسل اليه بان له اسوة حسنه في قدوة الانبياء وسيد الموحدين خليل رب العالمين قيل
كانوا اثني عشر وقيل ثلثه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الجمع وسموا ضيفا لانهم كانوا
في صورة الضيف المكرمين عند الله او عند ابرهيم حيث خدمهم واخدمهم زوجته او عجل لهم القرى
اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او للضيف او نصب باذكر او بما في المكرمين من الاكرام ان فسر باكرام
ابرهيم فقالوا سلاما اي نسلم سلاما قال سلام اي حياهم باحسن من تحيتهم لما في الرفع من الدلالة
على الدوام بمعونة المقام قوم منكرون اي انتم لم تكونوا على اشكال الناس المعهودين او لان السلام
تحيه الاسلام ولم يكن بارضه كقول الخضر لما سلم عليه موسى واني بارضك السلام او كان على
طريق السوال اي عرفوني فاني لا اعرفكم فراغ الى اهله ذهب اليهم خفية من الضيف اذ ليس من
الفتوة اعلام المضيف صنيعه انه يسعى في قراه فجاء بعجل سمين وكان عامة ماله البقر وقيل
لحمه خير اللحوم فقربه اليهم قال الا تاكلون لما راهم لم يتناولوه منكرا عليهم او الهمزة للعرض
على ما هو داب المضيف فاوجس منهم خيفه اضمر يؤيد الاول وكذا قوله فلما راى ايديهم لا تصل
اليه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم كامل العلم اذا بلغ مبلغ الرجال وهو اسحق فاقبلت
امراته لما سمعت حديث الغلام في صرة في صيحة من صرير القلم والباب فصكت وجهها قيل
لطمت وجهها على داب النساء عند سماع امر غريب وقالت عجوز عقيم ليس من شانها الولاد

في اوانه فكيف بعد سن اليأس قالوا كذلك قال ربك ليس هذا من عندنا انه هو الحكيم
المتقن في صنعه العليم بالاشياء واوقاتها فلا استبعاد ولا وجه له قال فما خطبكم ايها المرسلون
اي فما الامر العظيم الذي جئتم بسببه فان الاجتماع وهذه البيئة ليست الا لذلك قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين ارادوا قوم لوط لقوله انا ارسلنا الى قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين طبخ حتى
تحجر وهو السجيل مسومة معلمة من السومة مكتوبا على كل حجر اسم من يهلك به او علامة انها حجر العذاب
او انها ليست من حجر الدنيا عند ربك بعلمه واذنه فيه تهويل للمسرفين المجاوزين الحد سماهم مجرمين ومسرفين
وتارة عادين تشويها واشعارا باستحقاقهم العذاب فاخرجنا من كان فيها غير بيت من المسلمين اي اهل
بيت هو وبناته وفيه دلالة على اتحاد الايمان والاسلام صدقا لا مفهوما لان المعنى اخرجنا من كان فيها
من المؤمنين فلم يكن المخرج الا اهل بيت وفي ايرادهما والاتيان بمن دلالة على استقلال كل سببا للنجوة
الموصوف بهما كاينا من كان اين كان وتركنا فيها اية علامة ماء اسود منتن لا ينتفع به بعد ان كانت ارضا
ذات اشجار للذين يخافون العذاب الاليم لان غيرهم لا يتدبر ولا يعتبر وفي موسى عطف على وتركنا
فيها اية او على وفي الارض ايات والاول اولى لقربه ولدخوله فيما يسلي به رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما في ساير السور مع ان الثاني لا يستفيد الا على تقدير وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا
اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين معجز ظاهر ولم يذكره الا في معجز موسى ولعل الحكمة فيه انه
مشتق من السلاطة وهو القهر المناسب لمن ارسل اليه من فرعون وقومه فتولى بركنه كناية عن الاعراض
كتاى بجانبه وثاني عطفه والباء للتعدية او بملائه وجنوده لان ركن الشي جانبه الاقوى وما به قوامه
فالباء للصاحبة وقال ساحر او مجنون اي ما به من الجن اما تعلما او اصابه دون اختيار فاخذناه و
جنوده فنبذناهم في اليم في البحر وهو مليم ات بما يلام عليه من الام الرجل اتى بما يلام عليه قال
ومن يخذل اخاه فقد الاما وفي المثل رب لايم وهو مليم حال من ضمير اخذناه وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم هي الدبور على ما رواه البخاري نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور سميت عقيما لانها
لا تلقح سحابا ولا شجرا ولانها خربت ديارهم واعدمت اثارهم من قولهم الملك عقيم ويوم القيمة عقيم
لانه لا يوم بعده ما تذر من شي اتت عليه الا جعلته كالرميم كل ما بلي وتفتت من عظام ونبات وغيره
ذلك فهو رميم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ثلثة ايام لقوله تمتعوا ثلثة ايام فعتوا عن
امر ربهم استكبروا وترتب على تمام القصة لا على تمتعوا لقوله فعقروها فقال تمتعوا فاخذتهم الصاعقة النار
النازلة من السماء وقرا الكسائي الصعقة مقصورا ساكن العين وهي الصوت الذي مع النار لقوله ومنهم
من اخذته الصيحة وهم ينظرون لانها جاءت معاينة بالنهار ولا يقدرون على دفعها فما استطاعوا
من قيام اي قياما من صلة بل ماتوا جاثمين مكانهم او لم يقدروا على دفعه من قام بالامر اذا كفاه ومنه
قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وما كانوا منتصرين بوجه لا مباشرة ولا
معاونة وقوم نوح من قبل قبل هولاء المذكورين عطف على مفعول فاخذتهم بمعنى اي اهلكناهم واهلكنا
قوم نوح من قبل قبل هولاء المذكورين او على مفعول نبذناهم اي غرقناهم واغرقنا قوم نوح وفيه لطف
او نصب باذكر وقرا حمزة والكسائي وابو عمرو بالجر على تقدير الجار وفي قوم نوح انهم كانوا قوما
فاسقين علة للاهلاك والسماء بنيناها بايد بقوة مصدر آد اشتد وقوي وانا لموسعون ذووا
استطاعة وقدرة على كل شي فضلا عن بناء السماء من اوسع صار ذا وسع وطاعة وفيه رد لوهم
الجارحة او لموسعون الرزق المطر النازل من السماء او لموسعون ما بين السماء والارض والارض
فرشناها فنعم الماهدون نحن ومن كل شي خلقنا زوجين صنفين ليل ونهار ظلام وضياء شمس وقمر

بر وبحر وموت وحيوة سعادة وشقاء ارض وسماء وقيل من كل حيوان ذكر وانثى لعلكم تذكرون التدبر
فيها وتعلمون ان موجدها واحد ليس كمثله شئ وان من قدر على هذا لا يعجز عن الاعادة ففروا
الى الله اى قل لهم يا محمد بعد ما علمتم من كمال قدرته وما احل بمن تقدمكم من الامم اعتصموا به والجأوا
اليه انى لكم منه نذير واضح امره ولا تجعلوا مع الله الها اخر انى لكم منه نذير مبين كرره لاتصال
الاول بالامر والثانى بالنهى وقيل الاول انذار ترك العمل والثانى بالتوحيد كقوله واعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئا ولا يدل على عدم نفع المجرد كذلك الامر مثل ذلك تقرير وتوكيد لما تقدم او فصل خطاب
اى مثل اختلافهم فيك على ان ذلك اشارة الى القول المختلف فى الرسول عليه السلام ثم بينه بقوله ما
اتى الذين من قبلهم من قبل هؤلاء من رسول الا قالوا ساحر او مجنون فاختلفوا فيه اتواصوا به اى وصى
الاولون الاخرين استفهام انكار ولذلك اضرب عنه بقوله بل هم قوم طاغون اى ليس الجامع التواصى
بل الطغيان والعناد فتول عنهم لان المناظرة لا تجدى مع المكابر فما انت بملوم بعد الابلاغ وذكر فان
الذكرى تنفع المؤمنين المستعدين للايمان او الراسخين فيه زيادة وثباتا وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اى بحيث تتاتى منهم العبادة بسلامة الاسباب والدلالة على انها غاية كماليه وراءها غاية الغايات
وعدم وصول البعض لعائق لا تقدح وقيل ليقروا بعبادتى طوعا او كرها ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وقيل المراد منهم المؤمنون ويرده ما اريد منهم من رزق لاخلال منفهومه وابعد
منه الا امرهم بالعبادة وما اريد ان يطعمون كما هو شان السادات مع العبيد وتقديم الرزق وتنكيره
وتاخير الاطعام وتخصيصه به تعالى فيه ترق اى لا اريد منهم تحصيل الرزق ولا تقديم الحاصل لى كما هو داب
الملوك مع خواص خدمهم ان الله هو الرزاق حقيقة وغيره اسباب واعادة المظهر لدلالة لفظ الجلالة على
الالوهية المستلزمة لذلك ذو القوة القدرة التامة المتين من المتانة وهى الصلابة تاكيد بعد تاكيد فان للذين
ظلموا رسول الله بالتكذيب ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم الذين تقدموهم فى تكذيب الرسل والذنوب
دلو ملأن مثل لنوفرحظهم من العذاب فلا يستعجلون بقولهم متى هذا وقولهم اللهم ان كان هذا هو
الحق فامطر علينا حجارة من السماء فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون يوم القيمة او يوم بدر
فالموصول معهود تمت سورة الذاريات والحمد لمن لالائه متواليات والصلوة على المؤيد بالبينات سورة

الطور مكية ثمان واربعون آيه بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب

من عنده

وطور سينين جبل كلم الله موسى عليه وقيل ما طار من عالم الغيب الى عالم الشهادة من المعارف والاشتقاق
لا يساعده وكتاب مسطور مكتوب فى رق منشور الجلد الذى يكتب فيه اى والقران او التورية او ما فى اللوح
او ما فى القلب العارف من المعارف والحكم او صحيفة الاعمال والبيت المعمور بالعبادة هو الذى كان
فى الارض ياقوتة حمراء رفع فى الطوفان الى السماء السابعة يدخله سبعون الف ملك كل يوم لا يأتيهم النوبة
الى آخر الدهر والسقف المرفوع والبحر المسجور المملو او الموقد به كذا فسره باب العلم كرم الله وجهه ان عذاب
ربك لواقع لا محالة اقسم عليه بامور متعلقة بالمبدأ والمعاد كلها دالة على كمال اقتداره مع اشارة الى ان ذلك
لاقامة العدل لانه مدون فى الكتاب كما تدون الحقوق ما له من دافع قط اذ غيره لا يقدر وهو لا يريد يوم
تمور السماء مورا تدور من مار يمور جاء وذهب وقيل المور تحرك فى تموج وتسير الجبال سيرا سريعا تمر مر
السحاب فويل يومئذ للمكذبين يوم وقوعه الذين هم فى خوض يلعبون اصله دخول الماء ثم غلب على الشروع
فى الباطل كالاحضار فى العذاب يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف يؤخذ بالنواصى
والاقدام ويلقون منها على وجوههم زخا فى اقفائهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون اى يقال لهم توبيخا
وتوقيرا لحظ الاسماع من العذاب افسحر هذا كما انتم تقولون للوحى ام انتم لا تبصرون ما انتم فيه

وهذا كما تقول لمن يجادلك فى مسئلة بعد ظهورها فاوردت عليه ما لا مجال له لدفعه افتدكر هذا اصلوها فاصبروا
او لا تصبروا لا بد من صلاها سواء عليكم مبتدأ حذف خبره او بالعكس انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء
فان الجزاء لما كان واجب الوقوع فالصبر وعدمه سيان ان المتقين فى جنات اى جنات ونعيم اى نعيم او جنات
مخصوصة بهم ممتازة عن غيرها ولذا انكرت فاكهين ناعمين متلذذين بما آتيهم ربهم بالذى او بالاتيان ووقيهم ربهم
عذاب الجحيم اعاد المظهر دلالة على استقلال كل نعمة عطف على جنات او آتيهم وتقدر فى المعطوف عايد ان كانت
ما موصولة او حال باضمار قد من المستكن فى الظرف او من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا يقال لهم هنيئا
اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا وهو الذى لا غصة فيه او مصدر اى هناكم هنيئا كقول كثير هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من اعراضنا ما استحلت وقيل فاعله بما كنتم تعملون على ان الباء زايدة وفيه ان زيادتها لا تسمع فى
غيرها كفى متكئين على سرر على طريقة المتنعمين مصفوفة لتقع المواجهة مع الاخوان والاحباب وزوجناهم
بحور عين بيض نجل العيون والذين آمنوا عطف على حور اى قرناهم بقرناهم والا فمبتدأ خبره الحقنا بهم و
اتبعتهم ذريتهم اعتراض لتعليل الحكم وقرأ ابو عمرو واتبعناهم وهو ابلغ واوفق بالسابق واللاحق بايمان
الحقنا بهم ذريتهم اى بايمان رفيع المحل وهو ايمان الآباء او بايمان يسير لولا كرامة الآباء لم يكونوا اهلا لتلك
المنزلة فان قلت هذا حال الذرية فما حال الاصول ان قصرت عن رتبة الفروع قلت هم بذلك اولى
لزيادة استحقاق الكرامة وكثرة الحقوق واليه يشير قوله وكم اب قد علا بابن له شرفا كما علت برسول الله عدنان
وقد روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرفع المؤمن فى الجنة درجة يستقصر نفسه دونها
فيقول يا رب انى لى هذا فيقول بدعاء ولدك واستغفاره وقرأ الكوفيون وابن كثير ذريتهم بالتوحيد
لدلالة الكلمة على الكثرة وما التناهم من عملهم من شئ اى ما نقصنا الآباء ادنى شئ بل كان ذلك تفضلا
واكراما لهم كل امرئ بما كسب رهين مرهون عند الله بكسبه ما افترض عليه فان اداه اليه فكت رقبته كقوله
كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فانهم فكوها وامددناهم بفاكهة زدناهم وقتا بعد وقت ولحم مما
يشتهون يستلذون يتنازعون فيها كاسا يتعاطون متغالبين فيه كما هو داب اهل الشرب يتناهون بكثرة الشرب
لا لغو فيها ولا تأثيم لا يتكلمون بسقط الكلام ولا بما يورث اثما مما تقع امثاله فى الدنيا من متعاطى الخمر بل
يشكرون الله على ما خولهم قرأ ابن كثير وابو عمرو لا لغو بالفتح غير منون ويطوف عليهم غلمان لهم سقاة
مخصوصون بهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون فى الصدف فى غاية الصفاء والطراوة او مخزون محفوظ لكماله وشرفه
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم فى الدنيا كما يفعله السكارى اذا اخذت منهم الخمر قالوا انا كنا
قبل فى اهلنا مشفقين خائفين استيناف لبيان تسائلهم فمن الله علينا بما نحن فيه من اللذة والسرور ووقانا
عذاب السموم النار التى تدخل فى المسام انا كنا ندعوه من قبل قبل هذا فى الدنيا انه هو البر المحسن الرحيم
المتفضل بالنعم قرأ نافع والكسائى بالفتح بتقدير اللام والكسر ابلغ فذكر تدم على التذكير فان الذكرى تنفع المؤمنين
ولا تبال فما انت بنعمة ربك بحمد الله بكاهن ولا مجنون كما يزعم من يحسدك اذ حالك مباين لحال الكهنة
والمجانين ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ام منقطعة دلت على ان هذا هو الراجح عندهم والمنون
الدهر لانه يقطع الاعمار من المن وهو القطع قال الاعشى اان رأت رجلا اعشى اضر به ريب المنون ودهر
مبتل خبل او الموت لانه يقطع العلايق والاسباب قل تربصوا فانى معكم من المتربصين بكم ما يتربصون
بى من الدواير من باب مجاراة الخصم ام تأمرهم احلامهم بهذا عقولهم وكانت سكان مكة بين العرب تدعى
اولى الاحلام لورود اهل الآفاق عليهم واكتساب الاخلاق والآداب منهم وفى الكلام تهكم بهم لتناقض
كلماتهم ام هم قوم طاغون مجاوزون طور العقل عنادا ام يقولون تقوله افتراه بل لا يؤمنون لشئ ولذلك
اضطربت اقوالهم فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين انه شاعر او كاهن جواب عن كل ما تقدم او عن

اما كان وجد لا شما لعلى كنا ... كه ثم نراه

القول فانه اوغل في الانكار لا شهادة عندهم بالصدق والامانة فالافتراء منه ابعد شئ والاول
اوجه ام خلقوا من غير شئ احدثوا من غير خالق موجد لهم والا لاهمهم البحث عنه وعن صفاته و
افعاله او المعنى ام خلقوا سدى من غير خطاب ولا تكليف ام هم الخالقون ولذلك علموا انك شاعر او
كاهن او متقول ام خلقوا السموات والارض ادخالهم في الكبر والعلو تشبه شان من يكون هذا فعله
عن غاية عنادهم وتماديهم في الاستكبار والالم تصدر عنهم بهذه المقالات صرحوا بل لا يوقنون امرا فلذلك
في ريبهم يترددون لا يقولون على شئ كل يوم في محال ام عندهم خزاين ربك خزاين رحمته ليختاروا للنبوة من
شاؤا او يعلموا انك متقول لانهم لم يرسلوك رسولا للناس والاول اوجه لما سيشير الى خزاين العلم في قوله
ام عندهم الغيب ام هم المسيطرون الارباب الغالبون الذين يدبرون امر العالم كيف شاؤا يقال سيطر عبده
قرأ ابن كثير وابن عامر في رواية هشام وقنبل بالسين على الاصل وحفص بالوجهين وحمزة في رواية خلف
باشمام الصاد وفي رواية خلاد بصاد خالصة والرسم بالصاد ولما ابطل مقالتهم بالدليل العقلي ولم يتولهم
الا المشاهدة والعيان اشار الى ابطاله على وجه التهكم بقوله ام لهم سلم يصعدون به الى السماء يستمعون
فيه كلام الملائكة وما يوحى اليهم فليات مستمعهم بسلطان مبين بدليل واضح على ذلك اذ مثل هذا الامر
العظيم لا يثبت الا بمثل ذلك ام له البنات ولكم البنون ومن يكن هذا حاله في الجهالة حتى جعل لرب الارباب
ما لا يرضاه لنفسه لا يبعد منه تلك الخرافات وكانه قال له ناهيك بذلك تسليتا ولما لم يكن مقالة اشنع
منها ولا محال لسه على منه التفت اليهم في مقام السخط مكافحا بها ضاربا في وجوههم المسودة ام تسألهم اجرا
فهم من مغرم مثقلون فلذلك زهدوا فيك واعرضوا والمغرم التزام ما لم يلزم وفيه تقرير لحسدهم لان
من برئت ساحته عن لوث الطمع فلا وجه لاتهامه ام عندهم الغيب خزاين علمه تعالى فهم يكتبون منه ما
شاؤا من غير مانع فاستدلوا بذلك على عدم نبوتك ولما كان العلم اشمل موردا اخره جريا على سنن
الترقي ثم اضرب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم بقوله ام يريدون كيدا بك حين يجيلون الرأي في دار
الندوة فالذين كفروا اي هم هم المكيدون المصابون بوبال كيدهم ويحتمل الموصول العموم ثم حقق ذلك بقوله
ام لهم اله غير الله ينجيهم من عذابه سبحان الله عما يشركون به او عن اشراكهم وان يروا كسفا من السماء ساقطا
جواب لقولهم اسقط علينا كسفا من السماء انفا لسبعة على اسكان سينه يقولوا سحاب مركوم ركم بعضه فوق
بعض وليس ما سألناه لفرط عنادهم فذرهم اذ لا مناظرة مع المكابرة حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون
يموتون فيعرفون ما اعد لهم وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على بناء المفعول اما من اصعقه او صعقه يوم
لا يغني عنهم كيدهم شيئا من الاشياء بدل من يومهم ولا هم ينصرون من عذاب الله بوجه آخر وان للذين ظلموا
بالتكذيب عذابا دون ذلك قبل عذاب القيمة بالقحط والقتل والاسر ولكن اكثرهم لا يعلمون وقيد
الاكثر لان بعضهم كان يعلم ذلك واختار النار على العار واصبر لحكم ربك ستر قباله فان وعدك كاين فانك
باعيننا جمع العين مبالغة في العناية بكلاءته فان الكلام على التمثيل الا يرى كيف افرده في قوله ولتصنع
على عيني في قصة موسى ليمتاز بذلك مقام الحبيب عن مقام الكليم وسبح بحمد ربك حين تقوم اي من اي
مكان تقوم منه او من منامك فان النوم شاغل ومقاماتك وعلو شانك تقتضي استيعاب الازمان بذكره
او للصلوة ومن الليل فسبحه في بعضه فان العبادة فيها اشق وادخل وابعد عن الريا واقرب الى
القبول وادبار النجوم بعد طلوع الفجر فانه وقت شريف ان قرآن الفجر كان مشهودا وانتق السبعة
على كسر الهمزة تمت سورة الطور والحمد لله على فضله الموفور والصلوة على رسوله وآله وصحبه الى يوم
النشور سورة النجم مكية احدى وستون آية او اثنان وستون بسم الله الرحمن الرحيم
والنجم اذا هوى اقسم بالثريا فانه ابدع الكواكب صنعا والنجم علم غالب له عند العرب وفي امثالهم

اذا طلب النجم عشاء طلب الراعي كساء وقيل جنس النجوم لانها زينة السماء ورجوم الشياطين وهوى من الهوى
بفتح الهاء وهو السقوط او نصبها وهو الطلوع لانه ادل على كمال الاقتدار كقوله والليل اذا عسعس او نجم
القرآن لانه نزل منجما وهذا اوفق لوجود تناسب والصق بقوله ما ضل صاحبكم وما غوى الضلال ضد الاهتداء
وهما جواب القسم اي ليس هو كما تزعمون ضالا غاويا في تزكية دين آبائه وفي لفظ الصاحب واضافته توبيخ لهم
حيث عرفوا امانته وصدق لهجته ثم نسبوه الى الضلال وما ينطق عن الهوى في امر الدين والدعوة اليه
وفي الاتيان به مضارعا بعد قوله ما ضل وما غوى اشارة الى انه اذا لم يكن له سابقة ضلال قبل النبوة فبعدها
ابعد ان هو الا وحي يوحى استدل به من منع اجتهاده وليس بتام لانه اذا قال له تعالى وتقدس ما ظننت فهو
حكم يكون اجتهاده وحيا لا بالوحي وغيره ليس كذلك علمه شديد القوى جبرئيل والاضافة لفظية اي قواه
الجسمانية من البطش والسمع والبصر ذو مرة عقل كامل ورأي وافر ان يأتي به في اسلوب الترقي فاستوى على
صورته الحقيقية وهو بالافق الاعلى مطلع الشمس وانما ظهر له في تلك الصورة ليتيقن انه ذلك الذي اتاه في
غير تلك الصورة ثم دنى فتدلى قرب من محمد فتعلق به فكان قاب قوسين او ادنى اي كان البعد بينهما مسافة
قوسين او اقرب في مرأكم لو رايتموه القاب والقيب كالقاد والقيد هو المقدار وقيل القاب ما بين المقبض
الى السية فلكل قوس قابان او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون وهذه الرؤية كانت بعد مجيئه بحراء اول
ما بعث لما فتر الوحي على ما رواه الثقاة انه لما اشتد به الكرب من تكذيب قريش حتى قالوا مجنون قال
فاردت ان القي نفسي من شاهق فلما خرجت فاذا هو جالس على كرسي بين السماء والارض وقال لا تفعل
فانت رسول الله حقا فرعبت منه فرجعت الى اهلي فقلت دثروني فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر فهذا معنى
الدنو والتدلي والقرب لانه تمثيل للعروج به فاوحى الى عبده الموحى هو جبرئيل وضمير عبده لله ولا لبس فيه
والقول بان الضماير لله فالدنو والتدلي على التأويل خلاف الظاهر بعيد عن المساق ما اوحى لم يأت بالضمير
تفخيما لشان المنزل وانه مما يجل عن الوصف اي سوهم الباسه بالشعر والكهانة كما فخم شان المنزل كذلك
شان المنزل اليه بايثار لفظ العبد المضاف اليه تعالى اشارة الى انه العبد الحقيقي الكامل الذي لا تذهب
الوهم منه واياه الى انه خليق بالخطوة والاصطفاء ما كذب الفؤاد ما رأى اي ما رآه من صورة جبرئيل
اي لم يكن قلبه منكرا له اذا رآه مرة اخرى في غير صورته وقيل ما رآه من جلال الله تعالى لما روى مسلم
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده مرتين والحق ان ذلك
ليس تفسيرا للاية وان صح افتمارونه على ما يرى يجادلونه من المراء اصله المري يقال مريت الناقة
اذا جذبت ضرعها للدر وقرأ حمزة والكسائي افتمرونه على المغالبة من ماريته فمريته ولقد رآه نزلة اخرى
فعلة من النزول اي مرة اخرى ولذلك نصبت على الظرف عند سدرة المنتهى ليلة الاسرى وهي شجرة
النبق كل نبقة كقلة من قلال هجر واوراقها كآذان الفيلة وقد غشيها من الانوار ما لا تقدر على نعتها
الا الله وسميت بالمنتهى لانها علم الخلايق اليها وهي في السماء السابعة كذلك رواه البخاري عندها جنة
المأوى الجنة التي تأوي اليها ارواح الشهداء او المتقون اذ يغشى السدرة ما يغشى من الانوار والالوان
ما يجل عن الوصف وقيل ملئكة كالغربان على كل ورق ملك يسبح ما زاغ البصر ما مال عن سنن الاستقامة
وما طغى وما يجاوز عن المرئي لما قرر ان الفؤاد لم يكذب ما رأى ازال شبهة من يتوهم ان آلة الادراك
قد تخطئ في الادراك كما بين في موضعه او انما مال البصر ولا تجاوز عن مطلبه وهو الحق تعالى وهذا
مخصوص لم يتيسر لغيره من البشر لقد رأى من آيات ربه الكبرى استيناف لتأكيد ما تقرر اي قد رأى من عجايب
الملكوت ما لا يمكن وصفه فضلا عن رؤية جبرئيل ويجوز ان تكون الكبرى مفعول الرؤية اي رأى الكبرى
وبه يتمسك من اثبت الرؤية اذ لا اكبر منها آية افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هذه

اصنام كان اهل الجاهليه يعبدونها اللات كان بالطايف تعبدها ثقيف والعزى سمرة بجيله يعبده
غطفان ومنوة صنم كان على الساحل تعبده هذيل وخزاعه وقد هدم ابن كثير جعله معقله من النوع
لانهم كانوا يستمطرون عنده بالانواء ومن لم يهمزها اخذها من منى اراق فانهم كانوا يريقون دماء
النسايك عليها والعزى تانيث الاعز قطعها خالد بن الوليد فخرج منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل
فضربها خالد بن الوليد بالسيف وقال كفرانك يا عزى لا سبحانك فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد بعد اليوم ابدا واللات قيل اسم رجل كان يلت لها السويق وعن
مجاهد اسم رجل كان يلت السمن ويطعمه فلما مات اتخذوا قبره وثنا والمعنى ابعد هذا البيان يستمرون
على الضلال فيرون هذه الاصنام آلهة تستحق العبادة ويجعلونها شركاء الله الاخرى صفة ذم اى الوضيعة
فانهم كانوا يرون التقدم للات والعزى الكم الذكر والانثى وانتم تعتلون الاناث ولا ترضونها وتانفون
منها عارا فكيف تجوزون ان يكون اولادا له وشركاء في الالوهيه واذا كان شانكم في الجهالة والضلا
هذا فكيف تضللون من يدعو الى التوحيد والى عبادة من له الخلق والامر تلك اذا قسمة ضيزى
جايرة من ضازه يضيزه اذا ظلمه اصله ضوزى لان فعلى صفة لم يثبت على ما ذكره سيبويه الامع الثاء
كوزهات فكسر الفاء لتسلم الثاء كما فعل ببيض وقرا ابن كثير بالهمز من ضازه ان هى اى الاصنام
الا اسماء سميتموها اى لا حقيقة لها باعتبار الالوهية انتم واباؤكم بما انزل الله بها من سلطان
برهان يدل على جواز اطلاق اسم الاله عليها وفيه تهكم بهم بان العقل لا يجيز اطلاق الاله على الجماد
ولو فرض ذلك لم يكن الا تعبدا محضا من الله ان يتبعون الا الظن تقلدون اباءهم ولا عبادة للظن في
العقايد ولا تقليد وما تهوى الانفس انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول او الكتاب الذى هو
مناط الاتقان ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى همزتها الانكار اى ليس للانسان ما تمناه حاصلا
وهو طمع هولاء في شفاعه تلك الجمادات او ما كانوا يقولون لئن كان هناك بعث نحن احق حالا من
محمد واصحابه كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم او هو قول عاص بن وايل لاوتين مالا وولدا فلله الآخرة والاولى يعطى ما يشاء لمن يشاء
ليس لاحد فيهما شرك وقدم الآخرة لان الكلام فيها وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم
شيئا ادنى شىء مع مكانتهم وقربهم عند الله فكيف تشفع هذه الجمادات التى هى اخس الكاينات والمراد اشرف
الملئكة ليدل بالاولويه على انتفائها من غيرهم ولذلك ذكر الملك وخصه بان في السموات والا من بعد
ان ياذن الله لمن يشاء ان يشفع ويشفع له ويرضى بتلك الشفاعه اى يكون مقبولا لان الاذن في الشفاعه
لا يستلزم القبول ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملئكة تسمية الانثى حيث قالوا هم بنات الله قالوا
تزوج سروات الجن فولدت له الملئكة والتقييد بالآخرة اشارة الى فرط جهلهم بانهم يعتقدون ان الانسان
يترك سدى ومن كان هذا شانه لا يبعد منه تلك المقالة وما لهم به من علم اى في علم ان يتبعون الا
الظن لما سمعوه من آبائهم وان الظن لا يغنى من الحق الذى لا يمكن تبدله باختلاف الشرايع وتبدل الاعصار
وهى المسائل الاصليه والمباحث الالهية شيئا ادنى شىء فاعرض عمن تولى عن ذكرنا اعرض عنه ولم
تتامله والمراد به القرآن وفي اضافته الى نفسه اشارة الى انه كان حقيقا بالاقبال ولم يرد الا
الحيوة الدنيا الا هذا الخسيس الان ذلك كان لعاقل اخر ذلك مبلغهم من العلم اعتراض يؤكد
الامر بالاعراض لان السعى في الارشاد انما يجدى لمن له قابليه التهذيب ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم بمن اهتدى يعلم من يجيب ومن لا يجيب وقد علم ان هولاء اهل الطبع وفي اعادة العلم
ثانيه مبالغه داله على كمال تمايز الحزبين عنده ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ينفي به توهم

الاعمال وتزكيهم سيأتي من قوله فاعرض ولذلك عقبه بقوله ليجزى الذين اساؤا بما عملوا بجزاء اعمالهم
ويجزى الذين احسنوا بالحسنى غير النظم للدلالة على ان جزاءهم ليس على قدر اعمالهم ويجوز ان يتعلق
ليجزى بقوله ان ربك هو اعلم وقوله ولله ما في السموات اعتراض يؤكد حدوث الجزاء بانهم تحت ملكه
الذين يجتنبون كباير الاثم بدل من الذين احسنوا او صفته او نصب او رفع على المدح اى الكباير من الاثم
فانه جنس الذنوب والكبيرة ما توعد عليه الشارع بخصوصه كالقتل والزنى او كان قبحه ازيد منه او مساويا
وقرا حمزة والكسائى بالافراد على ارادة الجنس والفواحش ما زاد قبحه من الكباير من عطف الخاص
على العام الا اللمم ما قل قبحه فانه معفو عنه اذا اجتنب الكباير وهو ما دون الكبيرة كمقدمات الزنى
والسرقه والقتل قبل الوقوع واصل التركيب يدل على القلة ومنه اللمة لشعر جاوز الاذن والمام الضيف
قال لقاد اخلاد الصفا لمام وهو استثناء منقطع او صفه كانه قيل كباير الاثم غير اللمم لان المضاف
الى المعرف الجنسى في حكم النكرة ان ربك واسع المغفرة حيث يتجاوز عن الصغاير الى ما قبل ان يخلو عنه الانسان
واليه اشار صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واى عبد لك ما الما هو اعلم بكم منكم اذ انشاكم من
الارض لما خلق اباكم ادم واخرجكم من ظهره ذريه واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فعلمه بكم الان وبما
يصدر منكم اجلى واظهر فان قلت اذا كان اعلم بهم وقت الانشاء من الارض فلا يخفى انه اعلم بهم حال كونهم
اجنه فما الفائده في ذكره قلت اراد ان علمه لا يتفاوت بحال المعلوم وخفائه كما هو شان العلم الحادث
فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى فان محل التقوى هو القلب والوقوف على حاله واسراره تنقطع دون
القوى والمنهى تزكيه النفس تمدحا لا تشكرا وترغيبا للغير ويجوز ان يراد مدح المومن اخاه لما روى ابو بكرة
ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله فقال قطعت عنق صاحبك فاذا كان احدكم مادحا اخاه فليقل احسبه كذا
ولا ازكى على الله احدا افرايت الذى تولى اى ابعد علمك بان الله هو اعلم بحال الانسان منه بنفسه
اخبرنى عن حال من اراد سلوك سبيل الآخرة والوصول الى الله استقلالا لا يعجب منه واعطى قليلا و
اكدى وامسك بعده عن الخير كنفا يدل القليل اصله اكداء الحافر وهو ان يلقاه كديه اى صخرة فيمسك
عن الحفر والآيه نزلت في الوليد بن المغيرة اراد ان يتبع رسول الله فعيره بعض المشركين وقال تترك
دين الاشياخ فقال اني اخاف عذاب الله فقال اعطنى بعض مالك وانا احمل عنك العذاب ففعل
معتقدا ذلك ونزولها في عثمان وتفسير التولى بالفرار يوم احد باطل لان السورة من اول ما نزل بمكه
اعنده علم الغيب ما فيه العلم بالمغيبات وهو اللوح فهو يرى يشاهد ما فيه فلذلك اكتفى به واستغنى
عن اتباع الرسول ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذى وفى الا تزر وازرة وزر اخرى والمعنى
ان هذا شرع قديم ليس من خواص ما جاء به محمد فهلا استفتى في ذلك علماء اهل الكتاب ليخبروه
بجليه الحال وتقديم موسى لكون كتابه اشهر والاطلاع على ما فيه ايسر ولا ينافيه قوله ان هذا لفي الصحف
الاولى صحف ابرهيم وموسى لان الغرض هناك تقرير كون الآخرة خيرا وابقى وذلك مما سطر في صحف
ابرهيم فضلا عن التوريه الذى هو اعلى واجل فلما تاخر ذكره زاده وصفا وهو التوفيه المبالغه
في الوفاء واطلقه ليتناول كل وفاء من تبليغ الرسالة والقيام بساير المكارم من ذبح الولد والصبر
على نار نمرود قيل كان عاهد الله ان لا يسال غيره فلما القى الى النار لقيه جبريل فقال له هل من حاجة
يا خليل الله فقال اما اليك فلا فقال سل ربك قال علمه بحالى يغنينى عن سؤالى وروى الترمذى
عن ابى ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم لم سمى الله ابراهيم الذى وفى كان اذا
اصبح يقول كل يوم سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى اخر الاية وليس معنى الحديث انه لمجرد هذا الذكر
بلغ تلك الرتبه بل اشارة الى انه كان يحافظ على محاسن الاعمال وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه

تمامه
دكل وصال العنا باب لمام ٢

تسقط اعتراض التقديت على الكسائى مه

اى كما لا يواخذ احد بذنب غيره كذلك لا يصل اليه ثواب عمله وما يصل الى المومن من ثواب دعاء المومنين
واستغفار الملئكة والصدقة له هو ايضا من سعيه لانه اعم من المباشرة والتسبب واليه يشير قوله صلى
الله عليه وسلم من دعا الى هدى فله اجرها واجر فاعله وان سعيه سوف يرى يوم القيمة فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ثم يجزيه يجزى العبد سعيه اى على سعيه نصب على نزع الخافض الجزاء الاوفى الاوفر مستحقا فى
ولذلك يرى عمله الحقير نصب على المصدر ويجوز ان يكون الباذر المنصوب ضمير الجزاء المدلول عليه والجزاء الاوفى
بدل منه وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق كلهم هذا وما بعده ايضا من جملة ما فى الصحف وانه هو اضحك
وابكى اى خلق الضحك والبكاء واسبابهما وانه هو امات واحيى خلق الموت والحيوة وفيه مراعاة النظير مع
اللف والنشر وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق فيقال منى وامنى او تقدر من منى
المانى اى قدر واكد فى الاولين بضمير الفصل لمظنة وهم العراء الابرى فى قول من حاج ابرهيم انا احيى واميت
وقولهم اضحكنى الدهر دون هذه اذ لا مجال لذلك الوهم وان عليه النشاة الاخرى وفاء بوعده وقرا ابو عمرو
وابن كثير بالمد كلاهما مصدر نشاه وانه هو اغنى بالمال واقنى اى اعطاه ما يقتنيه زيادة على قدر حاجته من
القنية وهى المال المحفوظ للتجارة او ارضاء من القنا وهو الرضا وعن ابى زيد تقول العرب من اعطى
مائة من المعز فقد اعطى القنا ومن اعطى مائة من الضان فقد اعطى الغنا ومن اعطى مائة من الابل فقد
اعطى المنا وعن ابى عبيدة اقناه الله اعطاه ما يقتنى من المال والنسب وانه هو رب الشعرى كوكب معروف
يتبع الجوزاء وهو كوكب وقاد يقال له مرزم الجوزاء كانت الخزاعة تعبده اول من عبدها احد اجداد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من جهة امه يسمى ابا كبشة ولهذا لما ادعى رسول الله النبوة وفارق دين آبائه سموه ابن
ابى كبشة كما جاء فى حديث هرقل من قول ابى سفيان وفيه اشارة الى رد قولهم الباطل فانه وان وافق
جده فى مخالفة دينهم فقد خالفه ايضا فى عبادتها وانه اهلك عادا الاولى والكلام فى تاكيد الاولين
بضمير الفصل وتركه فى الاخير كما تقدم انفا وعاد الاولى قوم هود والثانية ارم وقيل الاولى القدماء لانهم
اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون الاشراف وثمودا عطف على عاد لان ما بعده ما النافية
لا يعمل فيما قبلها فما ابقى اى من الفريقين احدا كقوله فهل ترى لهم من باقية وقرا عاصم وحمزة وثمود بغير
تنوين والوقف بلا الف لمن قرا بالتنوين وقوم نوح من قبل عاد وثمود نصب بما نصبا به انهم
كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم وان لم يؤمنوا بنبيهم فلم يوذوه كما اذى قوم نوح نوحا اذ قد تواتر
انهم كانوا يشجونه ويضربونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون و
الموتفكة قرى قوم لوط ائتفكت انقلب قلبها عليهم جبرئيل عاليها سافلها اهوى اسقطها بعد ان رفعها الاسناد
الى الله لانه الآمر فغشيها ما غشى فباى آلاء ربك تتمارى المذكورات بعضها وان كانت نقما لا فوائد فهو نعم
للانبياء واتباعهم قال ابو الطيب بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قوم عند قوم فوائد تتمارى
تتشكك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الهابا وتهييجا وتعريضا بالغير او للانسان على الاطلاق وهذا
او وفق هذا نذير من النذر الاولى اى هذا القرآن من الانذارات الاولى اى من جنس الكتب المنزلة فذلكة
لما عدد من الآى والاحكام التى اشتمل عليها الصحف اولما افتتح به السورة اوالرسول قل ما كنت بدعا
من الرسل ازفت الازفة قربت القريبة وهى الساعة المخبر عن قربها فى قوله اقتربت الساعة واقترب
للناس حسابهم ليس لها من دون الله كاشفة لا يعلمها غيره لقوله لا يجليها لوقتها الا هو او ليس نفس تقدر
على كشفها اذا وقعت الا هو لكنه لا يكشفها او ليس احد يقدر على كشفها الان بالتاخير لو وقعت ويجوز ان يكون
كاشفة مصدرا كالعافية افمن هذا الحديث تعجبون اى من القرآن وتضحكون استهزاء ولا تبكون وكان الواجب
عليكم ذلك كما يفعله الموقنون يحزنون للادقان بكون وانتم سامدون مستكبرون من سمد رفع راسه

تكبرا او لاهون من سمد البعير فى سيره فاسجدوا لله واعبدوا بعد هذا البيان والزجر اعبدوه ولا تعبدوا
غيره تمت سورة النجم والحمد لكاشف النجم والصلوة على من به فضله عم

سورة القمر مكية وهى خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة اى قد قرب قيام الساعة وانشق القمر وانشقاقه
من آياتها روى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه ان اهل مكة سالوا رسول الله ان يريهم آية فاراهم
القمر شقتين حتى راوا الحراء بينهما وان يروا آية اهل مكة وان لم يسبق لهم ذكر للعلم بهم كقوله زادت عليها
للظلام رواق يعرضوا ويقولوا سحر مستمر مر بين او مر غاية لا يقدر على ساعته من استمر التى قويت مرارته
او مار لا بقاء له يسلون بذلك انفسهم ويمنونها وكذبوا واتبعوا على التكذيب ودفع الحق واتبعوا اهوائهم
ما سولت لهم انفسهم وكل امر مستقر اى كل امر له نهاية يثبت فيه كلام مستقل جارى مجرى المثل كقوله كل شئ
له اجر والصبر نعم الناصر اى كل امر منتهى اما الى السعادة او الى الشقاوة او كل من امره وامرهم يستقر
على حالة من خذلان او نصر وقرا ابو جعفر مستقر مجرورا عطفا على الساعة اى اقترب كل امر مستقر
على ان انشق القمر حال بتقدير قد وان يروا آية اعتراض وفى قراءته زيادة تسليه وتهويل ولقد جاءهم
من الانباء فى القرآن مما نزل بامثالهم ما فيه مزدجر ازدجار افتعال من الزجر قلبت تاؤه دالا
لتناسب الدال والزاء حكمة بالغة غايتها فى الاحكام بدل من ما او خبر مبتدأ محذوف فما تغنى النذر بعدها
نفى او استفهام انكار اى اى غناء يغنى النذر بعد وصول الامر الى الغاية فتول عنهم اعرض يوم يدع الداع
اسرافيل نصب بيخرجون او باذكر اثبت ياء الداع البزى عن ابن كثير فى الحالين وابو عمرو وورش وصلا
الى شئ نكر منكر تنكره النفوس لفظاعته قرا ابن كثير بضم الكاف خشعا ابصارهم كناية عن الذل لان العز
والذل يظهر آثارهما فى العيون واسناد وجمع التكسير الى المظهر فاش فصيح وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائى
خاشعا وهو المختار ولم يؤنث لعدم الفاصل وانتصابه على الحال من فاعل يخرجون من الاجداث
وقرى خشع بالرفع على الخبرية فيكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر فى الكثرة والتفرق مهطعين الى الداع
مسرعين مادين اعناقهم اثبت ابن كثير ياء الداع فى الحالين ونافع وابو عمرو فى الوصل يقول الكافرون
هذا يوم عسر شاق كذبت قبلهم قوم نوح تسليه وترهيب فكذبوا عبدنا تفصيل للاجمال او كذبوه تكذيبا
اثر تكذيب كلما مضى قرن تبعه اخر او كذبوا الرسل راسا فكذبوه لانه من جملتهم وقالوا مجنون اصابه الجنون
وازدجر زجروه شتما وضربا عطف على قالوا واوثر بناء المفعول تطهيرا للالسنة عن ذكرهم ولا لة على ان
فعلهم اسوء من قولهم ولتوافق الفواصل او هو من قولهم انه مجنون وقد ازدجرته الجن والاول اوجه واوفق
لقوله فدعا ربه انى مغلوب بعد ما ايس وجرب الاولاد والاحفاد فانتصر انتقم ففتحنا ابواب السماء
اى بعد الامر باتخاذ السفينة والفراغ منها وركوبه بمن معه بماء منهمر منصب بكثرة وتتابع مطاوع
همره قيل لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا جعلنا الارض كلها كانها عيون اصله فجرنا عيون
الارض عدل الى المنزل مبالغة فالتقى الماء على امر قد قدر اى ماء الارض وماء السماء التقيا على
مقدار سواء بسواء او على امر قدر فى اللوح من هلاك قوم نوح او على امر قدرة الله تعالى واقتضته حكمته
وحملناه على ذات الواح ودسر اى السفينة عبر بالوصف عن الموصوف كناية كقولهم فى الانسان حى
مستقيم القامة عريض الاظفار وفيه فخامة ليس فى الاصل واشارة الى كمال الاقتدار لبعد حال
الخشب والحديد عن دفع ذلك الطوفان العظيم والدسر جمع دسار وهى المسمار من الدسر وهو الدفع
تجرى باعيننا محفوظة بكلاءتنا جزاء لمن كان كفر علة للفتح وما بعده والذى كفر نوح لان كل نبى نعمة من
الله او على حذف الجار وايصال الفعل اى كفر به ولقد تركناها آية اى الفعلة او السفينة بقوا ثم
خبرها فى اقطار الارض فى الاعصار كلها الى آخر الدهر فهل من مدكر معتبر يتعظ بها فكيف كان

دايم اى ليس هذا واحد من سحر محمد بل كلها من هذا
يريدون بما سبقه من المعجزات او محكم من استمر

عذابي ونذر وانذار جمع نذير بمعناه استفهام تعجيب وتهويل ولقد يسرنا القرآن للذكر للاتعاظ
لاشتماله على انباء الاولين والاخرين وبيان ما اصاب من كذب الرسل او سهلناه للتلاوة لانه عربي
مبين يتلوه اهل كل لسان او حفظه دون ساير الكتب او بان انزلناه على سبعة احرف بحسب لغة القبايل
تيسيرا على العرب ازاحة لعذرهم والاول اوفق بالمقام ولذلك اعاده مرارا فهل من مدكر متعظ كذبت
عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم قبل نزول الاية العذاب وبعده لمن بعدهم انا ارسلنا عليهم
ريحا صرصرا باردا من الصر بكسر الصاد او شديد الصوت من الصرير في يوم نحس شوم مستمر شومه
او اليوم على ارادة الحين لانه كان سبع ليال وثمانية ايام او على اشخاصهم لم يدع صغيرا ولا كبيرا او شديدة
مرارته تنزع الناس يقلعهم بيان لشومه كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع من مغارسها وتذكير الصفة
باعتبار لفظ النخل وتانيثه في قوله اعجاز نخل خاوية باعتبار المعنى او لانهم كانوا يصطفون اخذا كل واحد بيد
الاخر فيدخلون في الشعاب والحزون فنزعهم وتدق رقابهم وقيل تقلع رؤسهم وتبقى الجثث ساقطة
على الارض فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل او الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيط به
في الاخرة لقوله في شانهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات او بالايات او بالرسل فقالوا ابشرا
منا واحدا نتبعه انكروا ان يكون الرسول بشرا لا سيما وهو ليس من طايفة اخرى ليكون له المزية موصوفا
بالوحدة والانفراد فكيف نتبعه الجم الغفير ونصب بشرا بمضمر على شريطة التفسير وهو المختار للنصب
لمكان الاستفهام انا اذا لفي ضلال وسعر وجنون يقال ناقة مسعورة اي مجنونة او عليه لما دعاهم
الى التوحيد لئلا يقعوا في سعر قالوا لو اتبعناه وقعنا فيها على ان السعر جمع سعير االقي الذكر عليه
من بيننا وفينا من هو اكثر سوالا واسبابا كقول قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
بل هو كذاب شديد الكذب حتى اخترع هذا الكذب البديع اشر بطر حمله عليه بطره سيعلمون غدا من
الكذاب الاشر اي يوم القيمة فان الدنيا والاخرة يومان وقرا ابن عامر وحمزة بالتاء على حكاية قوم
صالح او التفات من الله تعالى اليهم كانهم حضور شغ عليهم جنايتهم ثم حكاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
دلالة على انهم كانوا احقاء بذلك الوعيد انا مرسلوا الناقة فتنة لهم امتحانا وذلك بعد ان سئلوها فارتقبهم
انتظرهم ما قاموا احوالهم مع الناقة واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم ذو قسمة لهم شرب يوم
معلوم في الضمير تغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه خاصة فنادوا صاحبهم قدار بن سالف
اشقى الناس نطق به القرآن وقال رسول الله اشقى الناس رجلان عاقر الناقة وقاتل علي فتعاطى
اجتراء على تعاطي الامر العظيم من باب تعطي ولم يبال او تعاطى قتل الناقة او السيف والتعاطي تناول
الشئ بتكلف فعقر اي الناقة فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صاح بهم جبرئيل
فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر المنكسر اليابس الذي مر عليه زمان طويل والمحتظر من يعمل الحظيرة لماشيته
او هو الحشيش الذي يجمعه ليعلفها به في الشتاء ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر لم يعد حديث
الانذار كما اعاده في قصة هود والكفاية وكذا لم يعده في قوم نوح لانهم بذلك اولى اذ هم اظلم واطغى
وتركه راسا في قصة لوط لتكرر مرارا وترك ذكر التبشير والاذكار في آل فرعون لانها اخر القصص
فاختصر ليدل الاختصار على الاقتصار وهذا من اسرار التنزيل لله دره كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا
عليهم حاصبا ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحجارة وقد جمع الله عليهم انواعا من العذاب قلب الارض
وامطار الحجارة عليهم والرمي بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر هو قبيل الصبح صرف لانه لم يرد به معين
ولا يعلم وعدل وقد يطلق على ما بعد انصداع الفجر فيقيد الاول بالاعلى ومنه حديث عايشة رضي الله

والمارز بيوم م

عنها

عنها ما القاه السحر الاعلى عندي الا نائما وذلك ليكون في صلوة الصبح على نشاط بخلاف ما اذا وصل بين التهجد
وبينها نعمة من عندنا انعاما عليه تفضلا كذلك نجزي من شكر بالايمان والطاعة كما نامن كان ولقد
انذرهم بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر كذبوا بها متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه جبرئيل ومن
معه من الملئكة فطمسنا اعينهم مسخناها بحيث لم يبق لها اثر بل بقيت كساير اجزاء الوجه طمسها جبرئيل لما دخلوا
بيت لوط فصاروا يترددون في الازقة لا يهتدون الى منازلهم وشرعوا يتهددون لوطا ان اصبحنا لنفعلن بك
كذا وكذا فكانوا وقت الصبح في مهم آخر فذوقوا عذابي ونذر على تقدير القول من الملئكة ولقد صبحهم
بكرة اول طلوع الفجر عذاب مستقر بهم لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر الاول قيل
لهم عند الطمس وهذا عند قلب الارض ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر اعاده في كل قصة
تجديدا للايقاظ وحثا على الاتعاظ لئلا يستولي عليهم الغفلة وهذا شان كل تكرير في القرآن ولقد
جاء آل فرعون النذر الانذارات واكتفى بالآل للعلم بانه اشر منهم كذبوا باياتنا كلها مع كثرتها وهي الايات
التسع لم يعطف بالفاء اكتفاء بالاتصال معنى واشارة الى شدة كفرهم كان تكذيبهم كان مع مجئ تلك
الايات فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر بان طبق البحر على ذلك الجيش الكثيف في لمحة طرف كان لم يكونوا اكفاركم
يا اهل مكة خير من اولئكم المهلكين زينة واموالا وقوة واسبابا اولين شكيمة وعنادا اي ليس الامر كذلك
بل هؤلاء اقل اسبابا واكثر كفرا وعنادا ام لكم براءة في الزبر بان لا عذاب عليكم الزبر الكتب السماوية جمع
زبور ام يقولون نحن جميع منتصر افرد الضمير باعتبار لفظ الجميع وعدل عن الخطاب كانه
يحكي جهلهم لغيرهم كما يقول المولى بعد استيفاء عتاب عبده او به جنون سيهزم الجمع ويولون الدبر الادبار
افرده لارادة الجنس او باعتبار كل واحد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج يوم بدر من القبة يثب في درعه وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر وعن عكرمة ان عمر
قال كنت اقول اي جمع يهزم فلما رايت رسول الله يوم بدر يثب في الدرع وهو يتلوها عرفت تاويلها
بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر من القتل والاسر والداهية داء لا دواء لها وانما اعاد لفظ الساعة
تهويلا ولئلا يتوهم عود الضمير الى وقعة بدر ان المجرمين في ضلال في الدنيا وسعر ونيران في الاخرة
او في ضلال وجنون ناقة مسعورة اي مجنونة يوم يسحبون في النار على وجوههم ظرف لسعر او بدل اشتمال
منه ذوقوا مس سقر اي يقال لهم هذا القول في ذلك الحين تقريعا وايقاع الحق الساعة من العذاب والمس
مستعار للايلام كما يقال ذاق طعم الموت وسقر علم نار الاخرة من سقره وصقره اذا لوحه قال ذو الرمة
اذا ذاب الشمس اتقى سقراتها بافنان مربوع الصريمة معبل انا كل شئ خلقناه بقدر منصوب بمضمر اي خلقنا
كل شئ واوجدنا ملتبسا بما سبق من التقدير في الازل وسطر في اللوح روى مسلم والترمذي انها نزلت
في اهل القدر وعن زرارة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها قال هذه في اناس من امتي
يكونون في اخر الزمان يكذبون بالقدر وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة دفعة بلا آلة واسباب كلمح
بالبصر في سرعة التكون كقوله كن فيكون ولقد اهلكنا اشياعكم ومن شايعكم في الاعتقاد فهل من مدكر
متعظ بمعصية اولئك وكل شئ فعلوه في الزبر ثابت فيه مسطور فيجازون به وكل صغير وكبير قولا كان
او فعلا او اعتقادا مستطر مكتوب لا محالة ان المتقين في جنات ونهر وضياء وسعة او في انهار و
اكتفى باسم الجنس في مقعد صدق بدل من في جنات سميت به لانها منزل الصادقين او لانها مكان مرضي
كما يقال رجل صدق اي مرضي الخصال محمود الفعال عند مليك مقتدر حال من المستكن في الجار اي
مقربين ذوي زلفى عند سلطان كامل الاقتدار ولا الذ للنفس من قرب الملوك ولذا يبذل الاموال والارواح
دونه مع ملوك الدنيا تمت سورة القمر ولله الحمد في الاصال والبكر والصلوة على صفوة عدنان ومضر واله

يصف ثور الوحش انه اذا اصابه
حر الشمس التجأ الى اغصان الشجر والصريمة
معظم الرمل والمعبل العظيم العبل
والعبل ورق الشجر المفتول منه

اشباهكم

وصحبه من هاجر اواوى ونصر سورة الرحمن مكية ست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الرحمن علم القرآن هذه السورة مقصورة على بيان نعم الدارين التى لها شان لان احصاء الكل محال فلذلك
صدرها بالاسم الدال على جلايل النعم براعة للاستهلال وبدأ باجلها وهى نعم الدين ثم اختار اعلاها
شانا واسناها مكانا وهى القرآن الحاوى لاصول الدين وفروعه الموضح للسبيل المصدق لساير الكتب والرسل
ولما كان كمال الانسان فى تكميل قوته النظرية وهو افادة المطلوب من خلفه تقدم تعليم القرآن ثم اردفه بما
يوقف عليه بقوله خلق الانسان علمه البيان المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير الذى لا يمكن تعلم القرآن
وتعليمه الا به واتى بالجمل الثلث على نمط التعديد اشارة الى تقاعد الانسان عن الوفاء بشكرها كما تقول
فمن قصر فى مكافاة معروفك ياهذا كنت صغيرا ربيتك محتاجا اعطيتك ضايعا آويتك ثم بعد قضاء الوطر
من هذا الاسلوب افاض فى تعداد النعم واحدة اثر اخرى على النمط المعروف بحرف النسق مراعيا التقارب
التناسب بقوله الشمس والقمر بحسبان يجرى كل منهما فى منازله وبروجه بلا اختلال ليضبط بذلك احوال الكاينات
ويتميز به الفصول والاوقات والنجم والشجر يسجدان ينقادان لامره فيما خلقناله شبه ذلك بسجود المكلف
والنجم نبت لا ساق له والشجر ما له ساق وارتباط الجملتين بما تقدم معنوى وذلك انه لما رمز الى تقاعده
فى الشكر اخذ فى تعداد نعم اخرى حثا له على ماطلب منه ولو عطف لم يفد هذا الغرض وفيهما اشارة
الى ان ما فى العالم العلوى والسفلى قايم بخلقه والانسان مع كونه المقصود من الكون حقيق بذلك
وكان طلوعا جهولا والسماء رفعها شرفا ورتبة لانها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومنزل اوامره ونواهيه
او مكانا فوق الارض لنزول وجعلنا السماء سقفا محفوظا دل به على علو شانه وعظم كبريائه وسلطانه مع
مبدأ جوده واحسانه ووضع الميزان قانون الشرع الذى به النظام والوفاق بين الانام الذى هو لافعال
المكلفين كالمكيال والمقياس الذى يعرف به الاشباه والامثال ان لا تطغوا فى الميزان لا تتجاوزوه بالزيادة
والنقصان فيورثكم الندم والخسران واقيموا الوزن بالقسط اجعلوا وزن اعمالكم قويما لا عوج به بالعدل
السوى وهو ما قننه الشارع ولا تخسروا الميزان لا تنقصوا ما اوجب عليكم عن حقه اعاده مبالغة فى التوصية
والارض وضعها للانام بسطها مدحوة لئلا يشق عليهم التصرف والتردد فى اكتساب المعاش والمعاد
والانام الانس والجن كذا عن الحسن فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام
جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع او اريد به كل ما يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وبالجملة ليس فى شجر النخل
ما لا ينتفع به ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم ثم قال انها النخلة
وعلى هذا ذكرها بعد الفاكهة ليس كذكر جبرئيل بعد الملئكة والحب ذو العصف كالبر وساير الحبوب
والعصف ورق النبات والريحان لب الحب وما يوكل منه ولذلك فسر بالرزق استوعب اقسام ما يتناول
فى حالة الرفاهية لانه اما للتلذذ وهو الفاكهة اوله وللتغذى وهو ثمر النخل او للتغذى وحده وهو
الحب وفى ذكرها على هذا الاسلوب ترق من الادنى الى ما هو اعلى ادخل فى الامتنان وقرأ ابن عامر
الثلثة بالنصب عطفا على المفعلية بتقدير خلق وعليه رسم الشام ونافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم برفعها
عطفا على الاسمية اى فيها فاكهة وفيها الحب وعليه بقية الرسوم وقرأ حمزة والكسائى بجر الثالث ورفع
الاولين اى ذو العصف والريحان والريحان اصله روحان قلبت واوه ياء تخفيفا او ريوحان حذف واوه فون له
فيلان فباى آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين لما تقدم ذكرهما فى الانام ولقوله ايها الثقلان عن جابر
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا سورة الرحمن الى آخرها ثم قال قرأتها على الجن كانوا احسن
ردا منكم كلما اتيت الى فباى آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشئ من آلائك نكذب ربنا خلق الانسان من
صلصال من طين يابس له صلصلة اى صوت كالفخار كالخزف وعبر عنه بالطين اللازب والحمأ المسنون

والرب

والتراب ايضا باعتبار انقلابه فى الاطوار وخلق الجان ابا الجن وهو ابليس من مارج من نار اى من
نار صافية او مختلطة بالدخان ومنه الامر المريج من بيان او من نار مخصوصة ممتازة عن هذه النيران
فلذا نكره فمن ابتدائه فباى آلاء ربكما تكذبان اذا فاضه الوجود اجل الانعامات واولاها رب المشرقين
ورب المغربين مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما فباى آلاء ربكما تكذبان لما فى ذلك من الفوايد التى لا تحصى
مرج البحرين بلتقيان ارسلهما متلاقيين من مرجت الدابة ارسلتها بينهما برزخ لا يبغيان فباى آلاء ربكما
تكذبان حاجب من قدرته يمنع احدهما من التعدى على الآخر بالاختلاط فباى آلاء ربكما تكذبان اوفى
ذلك من الآيات مما يدل على كمال اقتداره الموصل الى الايمان الذى كل نعمة دونه ويفسر الالتقاء بتماس
السطوح ثم يفسر البرزخ بحاجب من الارض وحمل البحرين على بحر فارس والروم غير سديد يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان احدهما ابيض نقى والآخر احمر قانى وهما من خواص الملح دون العذب وانما قال منهما لاتصالهما
فى المرأى والقول بانهما يخرجان من مجمع البحرين يرده المشاهدة قرأ نافع وابو عمرو بضم الياء وفتح الراء و
الباقون بالعكس والاولى الاصل والثانية التعبير اللازم فباى آلاء ربكما تكذبان وكونهما من فواخر
النعم غنى عن البيان وله الجوار السفن الجارية فى البحر المنشآت فى البحر المرفوعات الشرع وقرأ حمزة بالكسر اى
رافعات الشرع او الموج او السير انشاءا او المبدئات فى الفعل من انشأ شرع فى الفعل كالاعلام كالجبال
الشامخة قالت الخنساء كانه علم فى راسه نار فباى آلاء ربكما تكذبان لما فى ذلك من الدلايل الدالة على كمال
علمه تعالى واقتداره وما فى ضمنه من منافع العباد كل من عليها فان اى على الارض من الموجودات ومن
لتغليب العقلاء بقوله كل شئ هالك الا وجهه والاقتصار على من على الارض لانه فى تعداد النعم واشار
الى العموم بقوله ويبقى وجه ربك اى ذاته يجوز به اولا عن الجملة كاليد والعين ثم اشتهر حتى صار حقيقة فاستعمل
فيمن ينزه عن الاجزاء ذو الجلال والاكرام اى الذى يجله الموحدون وينسبونه الى الكرم او الذى جدير ان
يقال ما اجله وما اكرمه فتأمل ولم يقل وتقديم صفة السلب لانه فى مقام الجلال وقهر الخلق بالفناء
فباى آلاء ربكما تكذبان لما فى ذلك من العلم بكمال الصانع وكبريائه مع الوصول الى الجزاء والحيوة الابدية
يسأله من فى السموات والارض لافتقار الكل اليه ابتداء وبقاء روى انه تعالى لما لعن ابليس وطرده
من جواره وكان من الحافين بالعرش بكى جبرئيل وميكائيل فسألهما الرب تعالى وهو اعلم بهما لم تبكيان
قالا يا ربنا من خوفك فقال هكذا كونا راهبين كل يوم هو فى شان يسعد ويشقى يحيى ويميت ويغنى
ويفقر شؤون يبديها فباى آلاء ربكما تكذبان لما فى ذلك من دفع الضر وجلب النفع والاعتبار والتذكر المنجى
من عقابه سنفرغ لكم ايها الثقلان كناية عن التوفر للانتقام وتوجه الارادة اليه او تمثيل بان مثله
حاله تعالى بعد انتهاء الشؤون الى واحد وهو الاخذ بالجزاء بحال من له سابقة اشتغال عن شئ ثم فرغ
له والثقلان الانس والجن لان الارض ثقلهما كالحمولة قرأ حمزة وابو بكر فى وجه سيفرغ بالياء فباى آلاء ربكما
تكذبان لما فى هذا الترهيب من الحث على الطاعة يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض من ملكوتى لتنجوا بذلك من قهرى فانفذوا امر تعجيز وفى معناه ام حسب الذين يعملون
السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون وقيل المراد به يوم الحشر فان الملئكة تحدق بهم سبعة صفوف بقول الانسان
يومئذ اين المفر وتقدم لا ينفذون ولا تقدرون على النفوذ ولا تنفذون الا بسلطان فانى لكم ذلك يرسل عليكما
شواظ لهب مركب من النار والدخان وعن ابن عباس نار لا دخان فيه وقرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين
من نار ونحاس صفر مذاب يحشر الناس الى الموقف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالجر عطفا على المجرور اى من
نار ومن نحاس على ان المراد به الدخان وانشد يضئ كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا
والرفع ابلغ واليه ذهب ابن عباس فلا تنتصران فباى آلاء ربكما تكذبان فان فى التهديد يدكيح عنان العاصى

الشرع على وزن الكتب جمع شراع ككتاب هو القلع الذى يسمى بالفارسية بادبان منه

وحث الطايع على المزيد فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان قطعة حمراء كلون الورد وعن ابن عباس رضى الله عنه الوردة اديم احمر كالدهان كالزيت المذاب الذى يدهن به كقوله يوم تكون السماء كالمهل والمعنى انها تذوب من حر نار جهنم والدهان كل ما يدهن به كالحزام واللثام والختام فباى الاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان هذا فى اول الحال قبل شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم للفصل والقضا فلا ينافيه فوربك لنسئلنهم اجمعين والها للانس والجان لتقدمهما رتبة فباى الاء ربكما تكذبان لما فى ذلك الوقت من النعيم فى ظل عرش الرحمن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعرف المجرمون بسيماهم بعلاماتهم سواد الوجه وزرقة العين فيؤخذ بالنواصى والاقدام مجموعا بينهما او على التعاقب فباى الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان بلغ نهاية الحرارة يحترقون بالنار ويشربون من ذلك الحميم فباى الاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه الوقوف بين يديه يوم يقوم الناس لرب العالمين كقوله ذلك لمن خاف مقامى او لفظ المقام مقحم اى لمن خاف الله كقول الشماخ ونفيت عنه مقام الذيب كالرجل اللعين جنتان فباى الاء ربكما تكذبان اى لكل واحد احديهما للاعتقاد والاخرى للعمل او احديهما لترك المعاصى والاخرى لفعل الطاعات وجعل احديهما للخايف من الانس والاخرى للخايف من الجن بعيد مخالف للاحاديث ذواتا افنان جمع فنن وهو الغصن خصهما بالذكر لانها التى تنتفع بظلالها وثمارها وحسن المنظر باوراقها او جمع فن اى انواع من الثمار فباى الاء ربكما تكذبان حيث اعد لكم هذا وانتم بعد فى العدم فيهما عينان تجريان كيف شاؤا احديهما السلسبيل و الاخرى للتسنيم روى انهما ينبعان من جبل من مسك والوصف بالجريان لتوفر حظ الباصرة فان النظر الى الماء الزلال اجلب شى للسرور فباى الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان مما تعلمون ومما لا تعلمون او رطب ويابس لتلايل فباى الاء ربكما تكذبان واى نعيم افضل من هذا التنويع متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان قريب يناله القاعد والمتكئ اسم بمعنى المجنى فباى الاء ربكما تكذبان فيهن اى فى الجنان التى لكل واحد منهما جنتان او فى الجنتين لاشتمالهما على الاماكن او فى الالاء المعدودة قاصرات الطرف على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان هن ابكار كما خلقن وقرء الكسائى فى رواية الدورى هنا بضم الميم وكسرها فى الثانية وفى رواية الليث عنه بالعكس وفى رواية الجوهرى المرجان خير الكسائى بين ضم احديهما وكسر الاخرى على اللغات وهذا اعن جمعا بين اللغتين بلا ترجيح من غير حرج كانهن الياقوت والمرجان فى صفاء الياقوت وبياض المرجان روى مسلم عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل واحد زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وفى رواية ابن مسعود رضى الله عنه من وراء سبعين حلة فباى الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان اى لا يكون الا ذلك فباى الاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان دون الجنتين الاولين فى الشرف لما للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين روى البخارى عن عبد الله بن قيس عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وجنتان من فضة انيتهما وما فيهما وفى اللفظ دلالة على مزية الاولين فباى الاء ربكما تكذبان مدهامتان سوداوان من الرى فى مقابلة ذواتا افنان فباى الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فى مقابلة عينان تجريان والنضخ الفوران اقل من الجرى فباى الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان افردهما لبيان شرفهما على سائر الفواكه كانهما جنسان اخران او لاشتمالهما على غير التفكه كالتغذى فى التمر والتداوى فى الرمان ولذلك ذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان من حلف لا ياكل الفاكهة لا يحنث باكل احدهما والوجه هو الاول اذ هذا انما يتصور فى فاكهة الدنيا لان كل ما يتناول فى الجنة لا يتناول الا على وجه التفكه فباى الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان جميلات

من حرير غليظ بطانها من سندس
نصب على المدح او حال من فاعل
خاف لانه فى معنى الجمع ح

حسان الاخلاق تخفيف خيرات صفة لا اسم تفضيل اذ ذاك لا يجمع هذا الجمع فباى الاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام محذورات لا يخرجن او مقصور طرفهن على ازواجهن فباى الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباى الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وسائد من حرير اخضر لانه لون مفرح ويقال ايضا للبسط ولاطراف الخيمة وكل ثوب اخضر وعبقرى حسان بسط حسنة منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد للجن ينسبون اليه كل شى عجيب ومنه فى وصف عمر فلم ار عبقريا يفرى فريه والمراد به الجنس ولذلك جمع وصفه فباى الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك كثر خيره وازداد اراد لفظ الرحمن الذى تعقبه هذه النعم او كل اسم له فانه لا يبدأ به شى الا صار ذا بركة ويمن ذى الجلال والاكرام تقدم الكلام فيه وقرأ ابن عامر ذو مرفوعا صفة للاسم وفيه مبالغة حسنة تمت سورة الرحمن والحمد لمن له الفضل والاحسان والصلوة على المبعوث الى الانس والجان واله وصحبه ذوى الرتب والشان

سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اى القيمة عبر عنها بالواقعة دلالة على تحقق وقوعها لا محالة كقولك حدثت الحادثة واذا ظرف لليس او نصب باذكر او لمقدر اى اذا وقعت تكون كيت وكيت وهذا اجزل ليس لوقعتها كاذبة نفس تكذب فى الاخبار عن عدم وقوعها كاليوم لما راوا باسنا قالوا امنا بالله او من كذبته نفسه عند الخطب اذا شجعته على ما لا طاقة له به كانه قال هذا الخطب ليس من الخطوب التى تقدر نفس على الكذب مع صاحبها فى احتماله وعلى الوجهين اللام للوقت مثلها فى قدمت لحيوتى وهو كلام على طريقة التمثيل اى بعد وقوعها ليس نفس تكذب بلسان الحال او المقال وتقول لها لم تكونى او مصدر بمعنى الكذب كما يقال حمل عليه حملة صادقة اى ذات صدق خافضة لاقوام رافعة لاخرين لقوم ويل ولقوم نيل اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا عنيفا كقوله اذا زلزلت الارض وبست الجبال بسا سيرت وفى الحديث اذا فتحت العراق ماتى قوم يبسون باهليهم او فتت لقوله فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة اى اصحاب الجنة هل تدرى ما صفتهم وما هم فيه اقام المظهر مقام المضمر لما فيه من الفخامة والميمنة الجهة التى تسامت اقوى الجانبين من اليمن وهو البركة والعرب تتيامن باليمين وتتشاءم بالشمال وتسميها الشؤمى او لان اهل السعادة يؤخذ بهم ذات اليمين واهل الشقاوة ذات الشمال واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة اى ما هم وما صفتهم سيق للتعجب والسابقون السابقون مبتدأ وخبر اى السابقون الى الايمان هم الذين بلغت خيرهم فى علو الرفعة ورفعة الشان كقوله انا ابو النجم وشعرى شعرى وتخصيصهم بالابتداء مما لا وجه له اولئك المقربون فى جنات النعيم اى الموصوفون بالسبق هم الذين قربت درجاتهم من الله تعالى واعلت منازلهم فى الجنة استيناف لبيان ذلك الابهام ثلة من الاولين جماعة كثيرون من الثل وهو الصب والهدم خبر محذوف اى هم وقليل من الاخرين وفى تفسير الاولين وجهان قيل السابقون على هذه الامة من لدن ادم الى محمد عليهما السلام فالسابقون من اولئك اكثر من سابقى هذه الامة ورووا هذا عن الحسن وهذا قول لا سند له بل السابقون واللاحقون من هذه الامة وذلك لما صح ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون من هذه الامة واربعون من سائر الامم وقد نطق القران بان هذه الامة خير الامم وروى البخارى وسلم انه صلى الله عليه وسلم قال نحن اقل عملا واكثر اجرا وخير من اولئك بعض القران والحديث بل الاولون هم اوائل هذه الامة الذين اشار اليهم بانهم خير القرون السابقون الاولون من المهاجرين والانصار على سرر موضونة منسوجة بالدر واليواقيت داخلا بعضها فى بعض كحلق الدرع وقيل متدانية ادنى بعضها من بعض كحلق الدرع وقيل متدانية متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير فى على سرر يطوف

كقوله

فكيف يكون السابقون من اربعين اكثر من
السابقين من ثمانين مع ان متولاه اكثر اجرا

عليهم ولدان مخلدون مبقون على ثلاث المهيأة ابدا لا يعتريهم تغير وتبدل من كبر سن او في
اذانهم الحلقة وهي القرطة وعن الحسن هم اولاد الكفار اذ الحق انهم اهل الجنة وقيل هم
الاولاد والاطفال الذين ماتوا من غير عمل باكواب واباريق متعلق بطوف والكوب ما ليس له
عروة ولا خرطوم والابريق عكس ذلك وهذا التنوع على طريقة اهل الشراب في الدنيا وكاس من معين
هو القدح الذي يشرب به والمعين الجاري اي ليس مثل خمر الدنيا توخذ من مجاورة الدن لا يصدعون
عنها لا يحصل لهم بشربها صداع ولا ينزفون يسكرون يقال انزف سكر قال لعمري لئن انزفتموا او
صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا او لا ينفد شرابهم من انزف نفد والمعنى لا يصدعون ولا
شرابهم وقرأ غير الكوفيين بفتح الزاء على بناء المفعول من انزفه اسكره وهذا اوفق بقوله لا يصدعون
وفاكهة مما يتخيرون يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين بيض نجل العيون عطف
على ولدان مبتدأ اي لهم ولدان وعندهم حور او على فاعل متكئين لوجود الفاصل كقوله ما اشركنا ولا
اباؤنا وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات اي في جنات ومعاشرة حور عين وعن الزجاج عطف
على باكواب اي يطوف عليهم الولدان بالحور كما هو دأب الملوك باتي الخادم بخطاياهم الى اماكن انسهم
وعن الفراء الجر على الجوار كامثال اللؤلؤ المكنون في الصدف في الصفاء والطراوة والمخزون لشرفه
وبهائه جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي هذا الذي الحقناهم به لجزاء اعمالهم لا يسمعون فيها لغوا
باطلا ولا تأثيما ولا نسبة لو كان في الدنيا او حب تأثيما كما يقع من اهل السكر في مجالسهم الا قيلا قولا
سلاما سلاما عن ذلك سلاما بدل منه او الا سلاما اثر سلام بتحيتهم فيها سلام واصحاب اليمين
ما اصحاب اليمين اي لهم شان واي شان ثم شرع بتفصيله في سدر مخضود عن الشوك كانه خضد وقيل
موقر بالحمل من خضده اذا ثناه وامال وطلح منضود نضد بالثمر من اسفله الى اعلاه هو شجر الموز
او ام غيلان وقيل شجر في البادية والظاهر انه انما خصا بالذكر لكثرتهما في ارض العرب وليس لهما
ثمر فاخر فاشار الى انهما في الجنة ليسا على ما كانا عليه وقيل انما ذكر المعنى التظليل دون الثمر وليس
بوجه لذكر الظل بعده ولكون الوصف بالخضد والنضد غير ملائم وقيل هذا كلام مع اهل الوبر
وام غيلان له رائحة طيبة وله شوك فاشار الى ان ما في الجنة لا شوك له مع كونه موقرا بالثمر و
ظل ممدود لا يزج فيه ولا يتقلص كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب على الدوام كيف
شاؤوا وفاكهة كثيرة الانواع لا مقطوعة في وقت كفاكهة الدنيا ولا ممنوعة من الوصول اليها
وفرش مرفوعة على السرر او نضد بعضها فوق بعض فارتفعت روى الترمذي عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في تفسير فرش مرفوعة ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة
عام او هو كناية عن الحور انا انشاناهن انشاء اي خلقناهن خلقا جديدا اما ابتداء او هن الحور او
نساء الدنيا والضمير للعرش ان كان كناية عن النساء او لما دل عليه ذكر الفرش وان لم يسبق له ذكر وعن
ام سلمة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله انا انشاناهن قال هن اللاتي كن
في الدنيا شمطا رمصا عجايز فجعلناهن ابكارا عربا جمع عروب متحببات الى ازواجهن وقرأ ابو بكر
بسكون الراء مخففا اترابا لدات هن والازواج في سن واحد بنات ثلثين وطول آدم ستين ذراعا في عرض سبعة
اذرع لاصحاب اليمين متعلق بانشانا او صفة اخرى لابكارا ثلة من الاولين وثلة من الآخرين خبر
مبتدأ محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سوء الحال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم
وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم دخان اسود من الحمة وهي السواد لا بارد ولا كريم ليس فيه برد
وروح كساير الظلال اثبت لهم الظل ثم نفى برده وروحه تهكما وتعريضا بان ذلك انما يستحقه اضدادهم

النجل جمع نجلاء واسعة العين

انهم كانوا قبل ذلك مترفين منعمين اذ يسبوا طيبا بتقمهم في الحيوة الدنيا من اترفته النعمة اطغته وكانوا
يصرون على الحنث العظيم الكفر بالله وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
منكرين ذلك مكذبين للرسل نافين لقدرة المقتدر اواباؤنا الاولون مع تقادم العهد هذا اشد بعدا و
العطف على المستكن في لمبعوثون لوجود الفاصل او على محل ان واسمها وقرأ ابن عامر وقالون بسكون الواو
وسكن العطف على المحل قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم الميقات ما
وقت به الشيء ومنه مواقيت الاحرام اي الى وقت معين من يوم معلوم والاضافة بمعنى من ثم انكم ايها
الضالون المكذبون بالبعث قدم الضلال لانه منشأ الكذب لآكلون من شجر من زقوم من الاولى
لابتداء الغاية والثانية بيان فمالئون منها البطون لغلبة الجوع فشاربون عليه من الحميم الماء المتناهي
في الحرارة وتانيث الضمير اولا وتذكيره ثانيا باعتبار اللفظ والمعنى وحمل التذكير على الاكل يفك الضماير
فشاربون شرب الهيم جمع هيماء وهي التي لا تروى من العطش لداء بها قال ذو الرمة فاصبحت
كالهيماء لا الماء مبرد صديها ولا يقضي عليها هيامها او جمع هيام وهو الرمل الذي لا يتماسك الماء والعطف
باعتبار الصفة لان شربهم الحميم لدفع العطش بديع كما ان شربهم له كشرب الهيم عجيب وقرأ ابن كثير وابو
عمرو وابن عامر والكسائي بفتح الشين وهما لغتان والضم اشهر هذا نزلهم يوم الدين هو ما يعد
للضيف النازل واذا كان هذا النزل فما بعده اطم نحن خلقناكم لا تشكون في ذلك فلولا تصدقون بالاعادة
فانها اوضح من المبدأ افرايتم ما تمنون تقذفون في الارحام من النطف انتم تخلقونه ام نحن الخالقون هب
انكم لا تعلمون خلق انفسكم افلستم تشاهدون ما تولد منكم نحن قدرنا بينكم الموت قضينا بذلك وسوينا كم فيه
مع الاختلاف في الاعمار كالارزاق وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم يقال سبقت على كذا غلبت عليه
وننشئكم فيما لا تعلمون ما هو وما عهدتم مثله قدرتنا على الامرين سواء ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا
تذكرون فانها في غاية الظهور لا تحتاج الى ترتيب مقدمات افرايتم ما تحرثون تشقون الارض وتلقون
فيها من البذر انتم تزرعونه تنبتونه وتوصلونه الى الكمال ام نحن الزارعون الفاعلون لذلك لو نشاء
لجعلناه حطاما متكسرا فظلتم تفكهون فصيرتم نهاركم تتعجبون او تندمون على تعبكم فيه او على المعاصي التي
تسببت له وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم زرعت وليقل حرثت
انا لمغرمون لذهاب رزقنا من الغرام او ملزمون بغرامة ما انفقنا فيه من الغرامة وقرأ ابو بكر بالاستفهام
تعجبا والاخبار ابلغ بل نحن محرومون مصابون بالحرمان والشقا افرايتم الماء الذي تشربون عذبا
فراتا ءانتم انزلتموه من المزن جمع مزنة السحاب الابيض فان ماءه اعذب ام نحن المنزلون لو
نشاء جعلناه اجاجا مرا زعاقا لا يسوغ فلولا تشكرون هذه النعمة وانما حذف اللام لتقدمها قريبا مع
اشتهار لويها ولان المشروب تبع للماكول لتدل على ان فقدها وعدم الاهتمام به اتم افرايتم النار التي
تورون تقدحون بالزند والزندة انتم انشاتم شجرتها المودعة فيها النار ام نحن المنشؤون نحن جعلناها
تذكرة تدل على قدرتنا على الاعادة وانموذجا من نار الآخرة ومتاعا للمقوين النازلين بالقواء ممدود
ومقصور من القي وهو المكان القفر وخص بالذكر لفرط الاحتياج فيه او من اقوى وهو الخلو ففيه المسافر
والمقيم فسبح باسم ربك العظيم نزهه عما لا يليق بجلاله بذكر اسمه العظيم شكرا لعظيم الائه او اذكر
اسمه العظيم تعجبا ممن يرى هذه النعم ثم يكفر بها للاستعانة او للملابسة فلا اقسم بمواقع النجوم بمساقطها
او في ذلك الوقت نزول سلطانها فيكون ادل على وجود الصانع وعن الحسن انشارها يوم القيمة وقيل
منازلها وقيل اوقات نزول القرآن ولا مزيد وقرأ حمزة والكسائي بموقع النجوم لارادة الجنس وانه لقسم
لو تعلمون عظيم اعتراض فيه اعتراض لما في المقسم به من كمال القدرة او نهاية الرافة انه لقرآن كريم

انما نعت العطف على المحل لان التردد بين عطفهم وبين ابائهم

والرافة اذا فسر المواقع باوقات نجوم القرآن

شريف ننط به امر المعاش والمعاد او كريم عند الله وانما بالغ في القسم وجعل القرآن مقسما به لكون السورة مصدرة
بامر المعاد وقد استوفي فيها ادلة الافاق والانفس على وجه تحار فيه الالباب ولا يبقى لذي العينين ارتياب
في كتاب مكنون مصون عن يد الاغيار لم يقع فيه شائبة تبديل لا يمسه الا المطهرون من دنس الاثام وهم
السفرة الكرام البررة او المطهرون من الاحداث رواه مالك وابو داود والنفي بمعنى النهي تنزيل من رب العالمين
مصدر نعت به صفة اخرى للقرآن افبهذا الحديث انتم مدهنون متساهلون من الدهن فان المتهاون
لين جانبه وتجعلون رزقكم شكر ما رزقتم من فهمه او رزقكم الذي بين في السورة من نعم الدارين انكم
تكذبون به وقيل الرزق المطر وتكذيبهم به نسبته الى الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس والخطاب
للذي حول المحتضر وانتم حينئذ تنظرون نظر المحتاج العاجز ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
ذلك فلولا ان كنتم غير مدينين مربوبين مملوكين من دان السلطان رعيته ساسها ترجعونها النفس الى
البدن ان كنتم صادقين في ان لا صانع وانكم تتركون سدى وهؤلاء وان لم يصرحوا بنفي الصانع الا ان تكذيبهم
الرسل وانكار البعث والجزاء مؤد اليه ثم استطرد ذكر الازواج الثلثة التي صدر بها السورة زيادة في
الترغيب والترهيب وليتجاوب طرفاها ردا للعجز على الصدر قال فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم راحة ورزق ومقام كريم قدم الاهم فالاهم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام
لك من اصحاب اليمين اي من اخوانك المؤمنين من ابتدائه وقيل مسلم انك منهم واما ان كان من
المكذبين الضالين اي من اصحاب الشمال عبر عنهم بالوصف دلالة على ان ذلك الوصف اورثهم الشقا فنزل
من حميم وتصلية جحيم في ذكر النزل تهكم بهم ان هذا ما ذكر في السورة او في شان الازواج لهو حق
اليقين حق الخبر اليقين لا تحتمل فوقه كقولك امين حق امين فسبح باسم ربك العظيم اي بعدما بلغت هذه
البلاغة المبين نزه ربك عما لا يليق بجلاله مستعينا باسمه الاعظم وذرهم في خوضهم يلعبون تمت سورة
الواقعة والحمد لمن رحمته واسعة والصلوة على من شفاعته شايعة وعلى آله وصحبه دايمة متتابعة

سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله
ما في السموات والارض جاء بلفظ الماضي في مواضع والمضارع اخرى دلالة على ان شأن من اسند
اليه الفعل الاستمرار في جميع الازمان وحيث كانت هذه اطول ما صدرت بلفظ التسبيح لم يعد الجار
في المعطوف بخلاف سائرها ولم تغلب العقلاء اشارة الى انهم في القلة مغمورون في جملة لا يحصى كثرة في
كل شيء آية تدل على انه واحد وان من شيء الا يسبح بحمده وهو العزيز الغالب القاهر الحكيم المتقن
في صنعه فهو حقيق بالتسبيح له ملك السموات والارض يحيي ويميت مرفوع خبر مبتدأ او منصوب حال من
المجرور او استيناف مقرر لما تقدم وهو على كل شيء قدير كامل القدرة احياء واماتة وغيرهما هو الاول
قبل كل شيء والآخر الباقي بعد فناء كل شيء والباطن عن كل شيء لا يحيط به شيء علما ولا دليل فيه
لنا في الرؤية وتفسير البطون بعدم ادراك كنهه ازلا وابدا حسا وعقلا تعالى عن ذلك علوا كبيرا والواو
الاولى والثالثة لعطف المفرد على المفرد والوسط لعطف المركب على المركب والمعنى انه جامع لهذه الصفات
ازلا وابدا ولما اوهم بطونه عن الاشياء بطونها عنه كما في الشاهد دفعه بقوله وهو بكل شيء عليم
يستوي في علمه الظاهر والباطن هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
لتدبير الكائنات بمثل يعلم ما يلج في الارض من ماء وحب وما يخرج منها من نبات وزرع وما ينزل من
السماء من مطر وثلج وبرد واقدار واحكام وما يعرج فيها من الملائكة والارواح والاعمال وهو معكم
اينما كنتم والله بما تعملون بصير شاهد لا يخفى عليه الاخلاص والرياء واعادة الجلالة دلالة على ان ذلك
من لوازم الالوهية له ملك السموات والارض اعادة ليقترن به امر المعاد كما قرن به المبدأ والى الله

الحواس قصور بل بطونه عدم ادراكه

ترجع الامور فيجازي كلا على حسبه تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور
بمضمراتها ابلغ من قوله بما تعملون بصير آمنوا بالله ورسوله اذ لم يبق لكم شبهة وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه من الاموال التي بايديكم اذ هي في الحقيقة لله تعالى وانتم بمنزلة الوكلاء والخزان فانتم تحت امره فكما
يامركم به يجب عليكم الامتثال ولا ينبغي ان يشق عليكم اذ لا اخس ممن يشح بمال الغير فالذين آمنوا منكم وانفقوا
لهم اجر كبير مع كونكم غير مالكين لكم اجر لا يحاط به ترغيب ووعد فيه مبالغات بناء الخبر على الموصول
واعادة الايمان والانفاق وتنكير الاجر والوصف بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من ضمير لا تؤمنون وهو من ضمير يصنعون حالان متداخلان وقد اخذ ميثاقكم حال من احد

ما تصنعون غير مؤمنين بالله ح

ضميري يدعوكم او حال بعد حال من ضمير تؤمنون والحال انه قد اخذ عليكم الميثاق قبل الرسول بما ركب فيكم
من العقل ونصب الادلة فقد ازاح الشبهة عنكم من كل وجه وقرأ ابو عمرو اخذ على بناء المفعول ان كنتم
مؤمنين بموجب الايمان فقد بان لكم الموجب بما لا مزيد عليه كقولك لتارك الصلوة هذا الماء والمحراب ان كنت
تصلي والعتاب عام لمن لم يؤمن ومن آمن ولم ينفق هو الذي ينزل على عبده آيات بينات واضحات الاعجاز
او الدلالة على الاحكام ليخرجكم اي الله او الرسول والاول اولى لقوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من
الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف رحيم حيث بين لكم واوضح وما لكم ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون
قربة اليه من الجهاد والصدقة على المحاويج ولله ميراث السموات والارض هو الباقي بعد فناء من في السموات
والارض فاي فائدة في الامساك هلا تقدم العاقل ما له بين يديه وتشتري بالفاني الباقي عنه صلى الله عليه
وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلته فافنيت او لبسته فابليت او تصدقت به فابقيت لا
يستوي منكم من انفق من قبل الفتح فتح مكة وقيل حديبية في حال شدة الاحتياج ومن بعده حذف لوضوح
الدلالة عليه وقاتل بيان لتفاوت الانفاق وحث على طلب المحل القابل وتقديم الاولى والاحوج اولئك
المنفقين السابقين واللاحقين موعود بالجنة وان تفاوت حالهم وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء والفعلية
خبر بحذف العائد والنصب احسن لعدم التقدير والله بما تعملون خبير يعلم منه المنفق خلاصا ورياء قيل نزلت
في الصديق انفق ماله في سبيل الله حتى تخلل بعباءة فجاء جبريل فقال لرسول الله يقول الله تعالى قل لابي
بكر هل هو راض عني في فقره وسلم عليه مني من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا مثل حال المنفق في سبيل
الله بحال من اقرض حسنا مثل حال انسانا يؤديه اليه وقت حاجته والقرض الحسن ما لا يجر نفعا ولا يطلب
فيه زيادة فيضاعفه له اضعافا لا يعلمها غير قراءة بالنصب ابن عامر وعاصم بان مضمرة بعد الفاء جوابا
للاستفهام معنى وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعف مشددا وكما زاد كما فكذلك عظم كيفا وله اجر كريم شريف
لا يكسب الاجور يكون معه فيها يوم ترى المؤمنين والمؤمنات مقدر باذكر فانه يوم عظيم او ظرف
ليضاعفه او لاجر كريم يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اي يسرع نورهم قدامهم وعن اليمين والشمائل
على قدر سيرهم منهم من سيرهم كالبرق الخاطف ومنهم كالريح ومنهم كاجاويد الخيل وكذلك انوارهم على
قدر اعمالهم حتى ان فيهم من نوره ويتبع لضعف نوره وفي لفظ الايمان تغليب بشراكم اليوم اي تقول
لهم الذين يبشرونهم به اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر بشراكم ذلك هو الفوز العظيم اي
الفوز الذي بشروا به من كلامه تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا
نقتبس من نوركم بعد الفصل بين العباد يؤخذ بالكفار الخالص الى النار وبالمؤمنين الى الجنة ويتبعهم المنافقون
كما كانوا في الدنيا يعدون انفسهم منهم ويعطون نورا مجازاة لخداعهم فاذا توسطوا الصراط انطفى نورهم نادوا
المؤمنين انظرونا الينا نأخذ قبسا اي شعلة من نوركم كما يفعله الاصحاب في الدنيا اذا انطفى مصباح احدهم
قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا القائل المؤمنون او الملئكة فالتمسوا نورا آخر لانه محل الاعمال التي صارت

المنفقون اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا بعد فتح مكة وكلا وعد الله الحسنى اي من ح

روى الحديث بحسنه وفي اسناده نظر مه

او انظروا

اليوم انوارا وقرأ حمزة انظرونا بهمزة القطع اى امهلونا وهو قريب من الاول فضرب بينهم بسور هو
الاعراف حائط الجنة له باب يدخل منه المؤمنون الجنة باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
وتغيير الاسلوب للدلالة على ان داخله كله نعيم بخلاف ظاهره لبعد النار عنه ينادونهم الم نكن معكم
في الدنيا متفقين في الدين قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر
وللتدريج الاسلام تهب ساعة وتسكن وارتبتم في امر الساعة ان ظنة الاطنا وغرتكم الاماني
الكاذبة وقلتم ان كان بعث سيغفر لنا حتى جاء امر الله قيام الساعة او امره بدخول النار وغركم
بالله الغرور بوعده الكاذب فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ان لو كان لكم ما تفدون قرأ ابن عامر بالتاء و
التذكر احسن لوجود الفصل ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا ماويكم النار مقامكم هي موليكم اى اولى
بكم من غيرها الماهكم مما يلايمها من الاعمال او هي التي تتولى امركم او ناصركم تهكما وبئس المصير مصيركم
الربان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق اى القران من عطف العام على الخاص او
عطف باعتبار الصفه وقرأ نافع وحفص نزل مخففا والشديد ابلغ يان من انى يانى الامر اذا جاء اناه
اى وقته والهمزة للاستبطاء كقولك للغلام الم ادعك والمعنى ليس للمؤمنين عذر في عدم خشوع قلوبهم
وما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه لم يكن بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله الا اربع سنين وما رواه
قتادة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله عاتب المؤمنين على راس ثلث عشرة من نزول القران يدل
على ان السورة مكية فان قلت اذا كانت السورة مكية فما وجه قصة المنافقين والنفاق انما نجم بالمدينة
قلت اخبار بما يقع كسائر الاخبار عن المغيبات ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع ويجوز
ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اولئك فطال عليهم الامد الزمان فقست قلوبهم فغلب عليها القسوة و
الجفاء لتراكم الذنوب وظلمات المعاصي فاحدثوا التحريف والبدع وكثير منهم فاسقون خارجون بالكلية
عن دينهم لفرط قسوتهم اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها مثل حال القلوب النابية عن الخشوع
ثم اتاتيها من ذكر الله وما نزل من الحق بحال ارض غلب عليها اليبس ثم اصابها الغيث فاخضرت قد بينا لكم
الايات لعلكم تعقلون في تصديره الكلام باعلموا وختمه بلعلكم تعقلون نوع عتاب اذ كان الاولى بهم التدبر
بدون هذا الحث ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على المصدقين لكونه
في معنى الذين صدقوا واخلصوا في ذلك واخرجوه من مالهم الطيب وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد
من التصديق اى امنوا بالله ورسوله والتشديد اولى لذكر الايمان بعد يضاعف لهم ولهم اجر كريم تقدم
تفسيره انفا والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اى بمنزلة هؤلاء
وان كانوا قاصرين تنزلوا منزلتهم لهم اجرهم ونورهم اى مثل اجر اولئك ونورهم لا في الاضعاف
اى جميع ما يحصل لهم من الاجر والاضعاف بل مثل مجرد اجر الصديقين وحده فان قلت فاى ترغيب
في ذلك قلت كل ترغيب لان احاد المؤمنين اذا جعل ثواب عمل الصديق فاى احسان فوق ذلك واما
الاضعاف فذلك ليس راجعا الى الاعمال بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ويجوز ان يكون والشهداء مبتدا
ولهم اجرهم خبره وليس بقوى والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم الذين لا يفارقونها
لافادة الكلام الحصر اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لما ذكر ما للفريقين في الاخرة حقر امر الدنيا
بان حصرها فيها في امور خيالية قليلة النفع ترغيبا فيما عنده وتحذيرا عن الاغترار بها واللعب ما
يجلب السرور واللهو ما يدفع الهم وزينة بالاموال والبنين وتفاخر بينكم انا ابن فلان وانت ابن فلان
وتكاثر في الاموال والاولاد انا لي كذا مالا وولدا وانت لا تملك ما املك كمثل غيث اعجب الكفار نباته
ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما مثل حال الدنيا في قلة جدواها وسرعة تقضيها بحال نبات انبته الغيث

فاستوى على سوقه اخضر ناضرا وارفا فاعجب الزراع شانه او الكفار بالله لقصور نظرهم الى الدنيا
والمؤمن اذا راه علم ان ما عند الله هو الباقي وان هذا عن قريب زائل ثم اصفر بعد ذلك النضارة
وتبدل حاله ثم يكسر وذهب كان لم يكن وفي الاخرة عذاب شديد تنفير عن الركون اليه ومغفرة
من الله ورضوان حث على العمل المثمر ذلك وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور الا شيء يسير ونفع قليل
يغتر به سابقوا الى مغفرة من ربكم مسابقة الفرسان الى الاحراز قصب السبق وجنة عرضها كعرض السماء
والارض انما ذكر العرض لانه اقصر الامتدادين فاذا كان حاله كذلك فما ظنك بالطول والمراد جنس
السماء لقوله عرضها السموات والارض فان قلت ايهما ابلغ قلت الثاني لحذف ادات التشبيه والتصريح
بما يدل على العدد فان قلت لم اختص كل بموقعه قلت لان الثاني في ال عمران وهو متاخر نزولا فلو عكس
لم يبق فائدة في ذكره اعدت للذين امنوا بالله ورسله الاستدلال به على ان مجرد الايمان كاف ليس
بناهض لقوله في ال عمران اعدت للمتقين الذين نعتهم كيت وكيت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من
عباده من غير ايجاب لان العبد لا يستحق على المالك اجرا والله ذو الفضل العظيم لا يحاط بفضله خلق
وهدى واعطى ما لم يخطر على قلب من غير وجوب ولا استحقاق ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب في اللوح من قبل ان نبرأها نخلقها اى الانفس او المصيبة والاول
اوجه لما روى مسلم ان الله كتب مقادير الخلائق قبل خلق السموات والارض بخمسين الف عام وكان
عرشه على الماء ان ذلك على الله يسير لعلمه بالاشياء قبل وقوعها كعلمه بها حال وقوعها ثم اشار الى الحكمة
في ذلك بقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم فان من علم ان ما اصابه من الضر كان
مقدرا عليه في الازل لم يحزن الحزن الشديد لانه قد وطن نفسه على ذلك وكذا في جانب الخير
لانه كان مترقبا والمراد بهما ما يخرج الى الجزع وعدم الصبر والفرح المطغي المفضي الى البطر لا ما
يعتري الانسان من الهم والسرور شكرا لنعمة الله وقرأ ابو عمرو اتاكم مقصورا اى جاءكم وهي قراءة
حسنة فسرها لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا بما اصابكم والله لا يحب كل مختال فخور متكبر فخور على الناس
بكثرة المال واكتفى باحد الشقين لدلالته على الاخر واثر الثاني لانه اشد نكرا الذين يبخلون و
يامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال واوفي منه لدلالته على ان عز المال وحبه بلغ حدا ينشح بمال
الغير وقرأ حمزة والكسائي البخل بفتح الباء وهما لغتان كالرشد والرشد ومن يتول يعرض ولم ينته
عما نهى الله فان الله هو الغني لا يحتاج الى انفاق المنفق الحميد محمود في ذاته وان تولوا عن شكره وقرأ
نافع وابن عامر بحذف ضمير الفصل وعليه رسم مصحف المدينة والشام والاثبات اكد وعليه بقية الرسوم
لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اى الملئكة الى الانبياء بالمعجزات او الانبياء الى الناس لقوله وانزلنا معهم الكتاب
والميزان قانون الشرع يشمل الميزان الذي به تعامل الناس وكل ما يعرف به الانصاف من امور المعاش
والمعاد ولذلك علله بقوله ليقوم الناس بالقسط بالعدل وانزلنا الحديد فيه باس شديد يتخذ منه آلة الجهاد
والقتل وفيه اشارة الى ان امر الشرع لا يستقل بدون السيف والسنان الظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعله لا يظلم وعنه صلى الله عليه وسلم رزقي تحت ظل رمحي ومنافع للناس اذ لا صنعة الا وللحديد
فيه مدخل وليعلم الله من ينصره ورسله عطف على محذوف دل عليه السياق اى ليستعملوه وليعلم الله وفي
الحذف اشارة الى ان الثاني هو المطلوب بالذات بالغيب حال من المستكن في ينصره اى غائبا عنه
عن ابن عباس رضى الله عنه ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي ذو قوة بالغة عزيز غالب على كل شيء وانما
انزل الحديد وامر بالقتال لينالوا بذلك القربة عنده والزلفى ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا
في ذريتهما النبوة والكتاب اى الوحي المتلو اشارة الى ان قانون الشرع والامر بالقسط بين الناس

فيه بين من لدن نوح الى محمد عليهما السلام فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون غير الاسلوب للدلالة على ان
الغلبة للاهل الضلالة ثم قفينا على اثارهم اى اثار نوح وابرهيم والجمع للتعظيم او بما ومن عاصرهما
من الرسل اومن ارسلا اليه وقفينا بعيسى بن مريم اى انتهى ارسال الرسل اليه واتيناه الانجيل وجعلنا في
قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية مصدر رهب وهو شدة الخوف والمراد تعبدهم في الجبال
والمغاير والكهوف وذلك ان بنى اسرائيل بعد صعود عيسى افترقوا اثنين وسبعين فرقة ثلث فرق على الحق
والباقون على الضلال فدعوا الملوك والجبابرة الى دين عيسى وقاتلوهم حتى لم يبق منهم الا قليل فلم
يقدروا على المقاومة فتفرقوا في الجبال ابتدعوها اخترعوها من عند انفسهم ما كتبناها عليهم ما فرضناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اى لكن ابتدعوها طلبا لمرضاة الله فما رعوها حق رعايتها
ما قاموا بها حق القيام وفيه اشارة الى ان طرفيها التعمق في العبادة فوق ما سنه الله ورسوله مذموم
وقد روى البخارى عنه صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ولن يشاد احد الدين الا غلبه فان بنى اسرئيل شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع رهبانية ابتدعوها وانتصابها بمضمر يفسر
وجعلها من المجعولات عدول عن الظاهر مخالف للاحاديث فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم الذين
وفوا بما نذروا وكثير منهم فاسقون لم يحافظوا على ما عاهدوا الله عليه يا ايها الذين امنوا احدثوا الايمان
اتقوا الله في اوامره ونواهيه وامنوا برسوله محمد عليه السلام عن ابن عباس والضحاك رضى الله عنهم
انها نزلت في مؤمنى اهل الكتاب ويدل عليه قوله يؤتكم كفلين من رحمته وذلك لما رواه البخارى ومسلم
رحمهما الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلثة يؤتون اجرهم مرتين رجل امن بنبيه وامن بمحمد وعبد
مملوك ادى حق الله وحق مواليه ورجل له امة فادبها ثم اعتقها فتزوجها والكفل الحظ الوافر والنصيب
الكامل كانه يكفل بالكفاية ويجعل لكم نورا تمشون به على الصراط يسعى بين ايديكم وبايمانكم او نورا تهتدون
به عن ظلمات الجهل ويغفر لكم ما سلف لكم والله غفور رحيم عن سعد بن جبير رضى الله عنهما افتخر مؤمنوا
اهل الكتاب بان لهم الاجر مرتين فانزل الله تعالى لمؤمنى هذه الامة وزادهم النور والمغفرة ويؤيده
ما رواه البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلكم ومثل اهل الكتابين مثل رجل استاجر قوما
فعملوا له الى الظهر واستاجر اخرين فعملوا الى العصر ثم استاجر قوما فاكملوا بقية اليوم فاعطاهم مثل
اجر الفريقين فغضبوا وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال هل نقصتكم مما شرطت لكم قالوا لا قال
فذلك فضلى اوتيه من اشاء وما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نجاشى رسول الله قد تهيا لوقعه
احد كلام لا اصل له وجعفر انما قدم مع من هاجر الى الحبشة ورسول الله في محاصرة خيبر بعد احد بثلث
سنين رواه البخارى مكررا في مواضع لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله لا مزيد
والمعنى على الاول انما وعدنا من امن من اهل الكتاب كفلين من رحمتنا ليعلم الذين لم يؤمنوا منهم
ان ايمانهم السابق لا يورثهم شيئا من فضل الله قط وعلى الثانى اثبتوا لها المؤمنون على ايمانكم واتقوا
الله يؤتكم ما وعد من امن من اهل الكتاب من الاجر مرتين ويزيدكم النور والمغفرة وان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء وقيل لا غير مزيدة والمعنى انما فعلنا كذا وكذا لئلا يعتقد اهل الكتاب ان رسول
والمؤمنين لا يقدرون على حصر فضل الله فيمن امن بمحمد وقوله والله ذو الفضل العظيم عطف على لا يعلم
ولا يخفى بعده تمت والحمد لله على العقد ونسئله من فضله المزيد والصلوة على الماجد الفريد واله
وصحبه الذين قتلوا بالحديد هام كل جبار عنيد سورة المجادلة مدنية وهى اثنا وعشرون اية
بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها وتشتكى
الى الله عن عائشة رضى الله عنها تبارك الذى اوعى سمعه كل شيء لقد جادلت المجادلة خولة بنت ثعلبة

واقتصر على نوح وانه ابو البشر ثانيا
ليس في الدنيا الا ذريته م

بدليل نام

ارسل جعفر ليدعو النجاشى
الى الايمان فامن به
وارسل سبعين رجلا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

زوجة اوس بن صامت الانصارى الى رسول الله تشتكى زوجها وانا في ناحية البيت يخفى على بعض كلامها
وكان اوس ولاج الخوالف كان به حدة فدعاها الى الفراش فابت فظاهر عنها فاستفتت رسول الله
فقال احرمت عليه فقالت ان لى منه صبية ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا فقال
قد حرمت فقالت اشكو الى الله فاقتى فنزلت روى انها استوقفت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما
زمانا طويلا فدنا منها واصغى اليها فقال رجل يا امير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز
قال ويحك هذه خولة التى سمع الله تعالى شكواها من فوق سبع سموات لو لم تنصرف لوقفت معها الى الليل
وفي قد دلالة على ان رسول الله والمجادلة كانا متوقعان ان الله تعالى سينزل في شانها ما يفرج كربتها
والله يسمع تحاوركما تراجعكما في الكلام ان الله سميع بصير للاقوال الذين يظاهرون منكم من نسائهم
الظهار كان طلاقا في الجاهلية موكدا باليمين وفي الحام منكم توبيخ للعرب وتصوير للزيادة التهجين لانه
كان مخصوصا بهم وقرا حمزة والكسائى بفتح التاء والهاء والتشديد من اظاهر وعاصم بضم التاء وكسر الهاء
والتخفيف من ظاهر ما هن امهاتهم حقيقة بكسر التاء قراءة السبعة على ان ما عاملة ان امهاتهم الا اللائى
ولدنهم والمرضعات وازواج الرسول ملحقات بهن احتراما قرا الكوفيون وابن عامر اللائى بالهمز
والياء وابو عمرو وابن كثير في رواية فتبل بالياء ساكنة ونافع في رواية ورش كالياء مكسورة
وفي رواية قالون وابن كثير في رواية البزى بالهمز وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا باطلا
منحرفا عن الصواب اذ بين الزوجات والامهات ابعد ما بين الضب والنون فان قلت الظهار
كالطلاق فكيف يوصف بالزور الذى هو من خواص الخبر قلت باعتبار ما تضمن من الحاقها بالام وان
الله لعفو غفور والذين تظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا الظهار قول الرجل لزوجته
انت على كظهر امى او كراسها او كجسدها وساير المحارم كالام الا انه الاولى في ذم المظاهر وهذه
في بيان حكمه ثم العود عند الظاهرية ان يعود الى لفظ الظهار فيكرره وعند ابى حنيفة رحمه الله باستباحة
ما حرم ولو بالنظر بالشهوة وعند الشافعى رحمه الله بان يمسكها زمانا يمكنه ان يفارقها وعند الامام
احمد رحمه الله ان يعود الى الجماع او يعزم عليه وعند مالك العزم على الوطى او الامساك فتحرير رقبة
اى كفارته تحرير رقبة قيد الشافعى رحمه الله بالمؤمنة بناء على اصله من حمل المطلق على المقيد
والفاء للسببية وفائدتها الدلالة على تكرر الكفارة بتكرر لفظ الظهار من قبل ان يتماسا يستمتع
كل من المظاهر والمظاهر بالاخر لعموم اللفظ او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم
التكفير على هذا الوجه توعظون به تزجرون به لان المظاهر اذا علم بوجوب الكفارة وهى اعتاق رقبة
تزجر والله بما تعملون خبير حث على الاتعاظ به على الوجه الاكمل فمن لم يجد ما لا يعتق به رقبة ومن
ماله غائب واجد فلا يعدل عن العتق فصيام شهرين متتابعين فان افطر يوما لغير عذر او نسى النية
او مرض بطل التتابع دون الحيض والقربان بالليل فقطعه عند ابى حنيفة ومالك وقال الشافعى
رحمهم الله من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع لفرط شبق او هرم او مرض لا يرجى زواله فاطعام ستين
مسكينا وهو نصف صاع من بر او صاع من شعير اعتبارا بالفطرة وعند الشافعى رحمه الله مد بمد رسول
الله صلعم وهو رطل وثلث وكل خمسة ارطال وثلث ستمائه درهم وثلثة وسبعون درهما وثلث درهم والدليل
للشافعى حديث الاعرابى الذى جامع في رمضان وما لم يعد التماس لتقدمه مكررا او لجوازه في خلال
الاطعام كما قال ابو حنيفة رحمه الله واجراه بعضهم على الظاهر ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اى فرض
ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فيما شرع من الاحكام وتتركوا ما كنتم عليه في الجاهلية وتلك حدود الله
اى الاحكام المذكورة فلا تتجاوزوها وللكافرين الذين لم يصدقوا عذاب اليم جزاء لكفرهم ان الذين

ولاج الخوالف كناية عن حب النساء منه

والاحوال م

يحادون الله ورسوله شاقوهما من الحد لان كلا من المتعادين في حد او يقابلونهما في شرع الحدود وخلاف
ما شرع كبتوا كما كبت الذين من قبلهم اخزوا واهلكوا شلهم قتل الصغير في كبتوا لبني قريظة فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم وسبى ذراريهم بعد الخندق ومن قبلهم المشركون يوم بدر وقد انزلنا ايات
بينات واضحات لا لبس لها وللكافرين بتلك الايات عذاب مهين لاستكبارهم عن الايمان بها يوم يبعثهم
الله جميعا ظرف لمهين لان الخزي في الجمع الكثير اشق او منصوب باذكر فينبئهم بما عملوا من التكذيب وسائر
المعاصي على رؤس الاشهاد تكميلا للخزي والاهانة وسؤال الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم احصاه الله
علما مفصلا ونسوه لتهاونهم والله على كل شيء كل ما يطلق عليه اسم الشيء من الذرات شهيد حاضر
يعلمه عيانا ثم اقام البرهان عليه بقوله الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض من الاجزاء
والجزئيات والخطاب عام ما يكون من نجوى ثلثة نفر على ان نجوى مضاف الى الثلثة او موصوف بها
اى من اهل النجوى بحذف الاهل وجعلوا نفس النجوى مبالغة الا هو رابعهم في العلم ولا خمسة الا
هو سادسهم كذلك وتخصيص العددين اما لخصوص الواقع وهو ما روي انها نزلت في حبيب وربيعة بني
عمرو وصفوان بن امية كانوا يتناجون باحوال المؤمنين وذكر معه الخمسة ليناسب الوترين او لان النجوى
اغلبا يكون من ذوي الاحلام والنهى وهم قليلون في الاغلب لا يعدون عشرة فذكر الوترين لان الله
يحب الوتر ثم اشار الى الطرفين بقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر على انه لو ذكر الاربعة لم يتناول
الادنى الا الاثنين الا على التوسع الا هو معهم اينما كانوا اذ علمه بالاشياء لا يتفاوت بالقرب والبعد منه محالا لان
ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة اى يجازيهم عليه او يوبخهم به تفضيحا ان الله بكل شيء عليم الم تر الى الذين
نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه تعجيب للسامع لوقاحتهم عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المنافقين
وعن مجاهد في اليهود وكانوا اذا راوا المؤمنين سار بعضهم بعضا وغمزوهم فشكوا ذلك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنهيهم فلم ينتهوا ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول بالكذب والظلم ومخالفة
الرسول بيان ولكشف عن حال نجويهم بما يؤكد ذمهم اذ لو كان تناجيهم بما فيه خير كان امر الرسول
موجبا للانتهاء والامتثال وقرأ حمزة ينتجون مقصورا عن القراءة كلاهما بمعنى واذا جاؤك حيوك
بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليكم والسام هو الموت وقول الله وسلام على عباده الذين اصطفى
روى البخاري ان يهوديا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعايشه رضي الله عنها عنده فقال السام
عليك فقالت عايشة وعليكم السام واللعن فقال رسول الله لا تكوني فحاشة قالت الم تسمع ما قال
قال اولم تسمعي ما قلت قلت وعليك فيستجاب لي ولا يستجاب له ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول ان كان نبيا كما يزعم حسبهم جهنم كافيهم في العذاب يصلونها يدخلونها فبئس المصير
جهنم والفاء للسببية مبالغة في استحقاقهم وليس في القرآن غيره يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول صرح بما علم ضمنا ليرتب عليه قوله وتناجوا بالبر والتقوى
بما فيه الثواب والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه تحشرون في مجامع اموركم انما
النجوى من الشيطان اى نجوى المنافقين ليحزن الذين امنوا الشيطان او النجوى وقرأ نافع يحزن بضم
الياء على انهما لغتان وقال الخليل احزنه ادخل فيه الحزن فهو ابلغ وليس بضارهم شيئا الا باذن الله
فعلى المؤمن اذا راى شيئا من ذلك ان لا يحزن وعلى الله فليتوكل المؤمنون لعلمهم بان لا ضار ولا نافع
غيره يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا وتباعدوا عن ابن عباس رضي الله عنه
نزلت في مواضع الحرب كانوا يتشاحون فيها وعن مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفة
يوم الجمعة فجاء البدريون والصفة غاصة بالناس فلم يجدوا موضع الجلوس فوقفوا واقام رسول الله صلى الله

[illegible]
ام من النجو وملو القطع لان المنقطع
عن الغير او من النجوة وهي الارتفاع
لعدم وصول الغير اليه والمعنى
ما يكون شيء من نجوى ثلثة ٢٥

عليه وسلم طائفة حتى جلس البدريون والصفة فنزلت روى البخاري ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يقم احدكم اخاه ثم يجلس مكانه ولكن تفسحوا وقرأ غير عاصم المجلس مفردا وعليه الرسم فافسحوا يفسح
الله لكم المجلس قيل لم يضق المكان قط عمن جاء بعد التفسح او في اموركم كلها بركم الامثال واذا قيل
انشزوا فانشزوا عن الحسن انهضوا الى الحرب وعن قتادة الى كل معروف وعن ابي زيد ارتفعوا عن
مجلسه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بضم الشين وابو بكر بخلاف عنه وهما لغتان والكسر اخف يرفع الله
الذين آمنوا منكم جزم على الجواب اى ان امتثلوا امر الله يرفع الله لهم المنزلة لاجل تواضعهم والذين
اوتوا العلم خاصة درجات لجمع بين العلم والعمل وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم
والله بما تعملون من الامتثال خبير فليكن ذلك عن الاخلاص وصفاء قلب يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم
الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة كان تخاطبه المؤمنون والمنافقون واجلاف البوادي والاماء والعبيد
ويبرمون بما لا طائل تحته فاراد الله اظهار كرامته فاوجب لمن اراد ان يناجيه ان يتصدق امام نجويه
بشيء فبقي الامر على ذلك عشرة ايام وقيل ساعة ثم نسخ بالذي بعدها وعن علي بن ابي طالب لم يعمل بها
غيري كان لي دينار فصرفته وكنت اذا ناجيت تصدقت قبله بدرهم وعن ابن عمر كانت في علي
ثلث لو كانت لي واحدة كانت احب الي من جميع النعم مصاهرة رسول الله بفاطمة والنجوى والراية يوم خيبر
ذلك خير لكم اى التصدق من الامساك واطهر فان الصدقة طهر الذنوب لا سيما في مناجاة رسول الله
فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اباح المناجاة من غير تقدم صدقة ااشفقتم ان تقدموا
بين يدي نجويكم صدقات اى اخفتم مما امرتم به من الصدقة بين يدي النجوى والجمع باعتبار
كثرة المخاطبين الهمزة للتقرير ولم يرد نص على اظهارهم الخوف ولكن الله اخبر عما حدثت به انفسهم
فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ترك الصدقة امام النجوى الجمهور على ان هذا ناسخ لوجوب
الصدقة وقيل نسخت لوجوب الزكوة فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة مسبب عما قبله كانه قال لا تقصروا في
ادائهما كما قصرتم في الصدقة وفيه تعيير لهم واطيعوا الله ورسوله في سائر الامور وان كانت شاقة
عليكم والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا فيجازيكم على حسب ذلك الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله
عليهم تعجيب من حال المنافقين يتولون اليهود الذين غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم اى المنافقون
ليسوا من المسلمين ولا من اليهود ويحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون متعمدون
الكذب وهي اليمين الغموس اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا منه متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون
في الازمنة المتطاولة او هو حكاية ما يقال لهم يوم القيمة اتخذوا ايمانهم جنة يتسترون بها ويدفعون
اطلاع المؤمنين على حالهم فصدوا عن سبيل الله الذين يريدون الاسلام يوهنون امر الاسلام وانه لا بقاء
له عن ابن عباس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من اصحابه رضي الله عنهم
في ظل حجرة فقال سيأتيكم الآن رجل ينظر بعين شيطان فدخل عليه عبد الله بن نبتل فقال له رسول الله
على ما تشتمني انت واصحابك فجاء باصحابه فحلفوا انهم لم يفعلوا فنزلت فلهم عذاب مهين لكفرهم
وصدهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من
الله شيئا من عذاب الله او شيئا من الاغناء وذلك انهم كانوا يقولون لنا الاموال والاولاد ان كان
لقول محمد اصل نفتدي بها يوم القيمة اولئك اصحاب النار الملازمون لها هم فيها خالدون ابدا يوم يبعثهم
الله جميعا مجتمعين فيحلفون له انهم مؤمنون حقا كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون انهم على شيء ان تلك
الايمان تروج عنهم كما راجت في الدنيا جاهلين بعلم علام الغيوب الا انهم هم الكاذبون الغالون في الكذب
كان من عداهم ليس بكاذب استحوذ عليهم الشيطان استولى على قلوبهم بيان لذلك الكذب المفرط فانسيهم

نوع

من جحودهم

والنصل من الشواذ التي طابت
على الارض كا استنوح

ذكر الله فلا يتأملون في صفاته ليتميز لهم ما لا يليق بكبريائه اولئك حزب الشيطان جنده الا ان حزب الشيطان هم
الخاسرون الكاملون في الخسران ان الذين يحادون الله ورسوله اعاده لتفصيل احوالهم المجمله في كبتوا وتقرير تقولوا ان
بها احوال اضدادهم المؤمنين حزب الرحمن اولئك في الاذلين في زمرتهم اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن
انا ورسلي بالسيف والبرهان وذكر الله لبيان ان الرسل عنده بمكان كانه معهم في المناظره والمحاربه ان الله قوى
ذو قدرة كامله عزيز غالب قاهر لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله لانه جمع
بين الضدين قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب والمعنى لا ينبغي الوجدان وانما
عبر عنه به مبالغه فان الواقع عدم الاعتقاد لا الوجدان فصور بصورته ابرازا لما لا يمتنع ممتنعا ولو كانوا
آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم كما فعل ابو عبيدة بن الجراح قتل اباه يوم بدر وكان اسيرا ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يليق به فضرب عنقه وابو بكر دعا ابنه على البراز يوم بدر ومصعب بن عمير
قتل اخاه يوم بدر ولما استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاسرى قال
هؤلاء رؤس الكفار مكني من فلان لقريب له ومكن عليا من عقيل وفلانا من فلان ليعلم المشركون ان لا هواه
في قلوبنا اولئك كتب في قلوبهم الايمان الزمه منها الزام المكتوب في الرق وايدهم بروح منه بعون من عنده
حتى اجترؤا على قتل اعزتهم او بنور الايمان فانه حيوة للقلوب او من كان ميتا فاحييناه وفيه دليل على ان
الايمان فعل القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم قبل طاعاتهم ورضوا
عنه بما جاءهم به اولئك حزب الله اولئك هم الفائزون في الدارين بالغلبه في الدنيا والجنة في العقبى
الا ان حزب الله هم المفلحون اولئك هم الفائزون في الدارين بالغلبه في الدنيا والجنه في العقبى تمت المجادله
والحمد لمن آلاؤه شامله والصلوة على سيد الزمره الكامله وآله وصحبه دايمه متواصله سورة الحشر مدنيه
وانها اربع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض
وهو العزيز الحكيم سبق الكلام عليه هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر والمراد
بنو النضير وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء الى المدينه ودعاهم الى الايمان وابوا عاهدهم ان لا
يكونوا له ولا عليه حتى قتل عمرو بن اميه رجلين من بني عامر خطأ فخرج رسول الله صلعم الى بني النضير
يستعين بهم في دية الرجلين وكان بنو عامر حلفاء بني النضير فقالوا نفعل ذلك يا ابا القاسم واجلسوه في ظل
جدار واخذوا في المشاورة وقالوا ما نرى فرصه احسن من هذه فانتدب عمرو بن جحاش لقتله بان يصعد
ويلقي عليه صخرة فاتاه خبر السماء بكيدهم فكر راجعا وكان معه ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فتجهز لقتالهم
وسار اليهم وكانت لهم حصون منيعه فتحصنوا بها على ما نفصل بعد كان بعد احد وقيل بعد بدر بستة اشهر
لاول الحشر واللام للتوقيت مثل قدمت لحيوتي ومعنى اوليه الحشر انهم لم يكن اصابهم جلاء واول حشرهم من
الشام الى ارض العرب كان باختيارهم او انهم اول من خرج من جزيرة العرب او ان هذا اول حشر اهل
الكتاب والثاني اجلاء عمر اهل خيبر واخر حشرهم يوم القيمه حاصرهم سته ايام ثم اتفقوا على ان لهم ما حملت
الابل فاجلاهم الى الشام ولحق بعضهم بخيبر واسلم منهم رجلان يامين بن عمرو وابو سعيد بن وهب واستدل
عكرمه بالآيه على ان ارض الشام هي المحشر غير تام ما ظننتم ان يخرجوا ايها المؤمنون لكثرة عددهم وعددهم
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله كان الظاهر وظنوا ان لا يخرجوا فالعدول الى المنزل لما في تقديم
الخبر ثم اسناد الجمله الى الضمير من الدلاله على ان ظنهم قارب اليقين لا كظن المؤمنين فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
اي باسه ولم يكن ذلك في حسابهم لاعتمادهم على شده باسهم وحصانه حصونهم وقذف في قلوبهم الرعب الخوف
الذي يملأ الصدر واكده بلفظ القذف الدال على القوه يخربون بيوتهم بايديهم عن قتاده كانوا يخربونها ليصلحوا به
ما انهدم من السور وكانوا يفعلون ذلك لئلا يبقى للمسلمين جنه وايدي المؤمنين لانهم تسببوا لذلك فاعتبروا

يا اولي الابصار ولا تخالفوه امر الله ورسوله ولا تعتمدوا على قواكم واتكلوا على الله في اموركم
وفيه دليل على جواز القياس فيما لا نص فيه بشرايطه المعلومه في موضعه وقرا ابو عمرو بالتشديد وهو
ابلغ لدلالته على التكثير ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الذي هو اشق لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي الذراري
كما فعل ببني قريظه ولهم في الآخرة عذاب النار الذي القتل والجلاء عنده اهون شي ذلك بانهم شاقوا الله
ورسوله اي ذلك المفصل الذي ورثهم عذاب الدارين لاجل انهم عادوا رسول الله وكذبوه وذكر الله تعالى
للدلاله على ان مشاقه رسوله مشاقته ولذلك اكتفى به في قوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب
وفيه تهديد لغيرهم ما قطعتم من لينة هي النخله ما عدا العجوة والبرنية من اللون سميت به لاشتمالها على
الالوان قلبت الواو ياء للكسرة والجمع لين او تركتموها قايمه على اصولها فباذن الله لما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقطعها وتحريقها وقع في قلوب المؤمنين وسوسة وقيل ارسلت قريظه تقول يا محمد كنت تنهى عن
الفساد فنزلت وفيه يقول حسان بن ثابت وهان على سراة بني لوى حريق بالبويرة مستطير وانما ابقوا العجوة
والبرنية لانها احسن وليخزي الفاسقين اليهود اذا شاهدوا ذلك والمعلل محذوف اي اذن لكم وما افاء
الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب لقرب حصونهم ولم يقع منهم قتال الايجاف
الاسراع والركاب الابل التي يسار بها لا واحد له من لفظه ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بالقاء الرعب
في قلوب عدوهم نزلت حين طلبوا منه قسمه اموالهم كما قسم اموال المشركين ببدر والله على كل شي قدير بنصر
بالملئكه وبدونها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى لم يدخل العاطف لانه بيان الاول شامل لمال بني
النضير ولساير اموال الفيء الى يوم القيمه فلله وللرسول ولذي القربى واليتمى والمساكين وابن السبيل
هذه مصارف مال الفيء وهي مصارف خمس الغنيمه فلما قطع عنه مطامع انظار اهل الغزو وامرهم ان يصرفها
هذه المواضع فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ من ذلك قوت سنته واهله ثم يصرف الباقي في
هذه المصارف وكذلك فعلت الخلفاء مع امهات المؤمنين وذكر الله للتعظيم وقيل يصرف سهمه في عمارة
الكعبة شرفها الله ولساير المساجد وذهب الشافعي الى ان المصروف في هذه المصارف في زمانه كان
اربعة اخماس الخمس الاربعه مضافا اليها خمس الخمس كانت خالصه رسول الله ياخذ منه نفقه اهله ويصرف
الباقي الى الكراع والسلاح وهي الان تصرف الى المرتزقه واستدل بحديث رواه البخاري عن عمر بن
الخطاب كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم اي انما بينا مصارف الفيء كيلا يكون حالا وحظا بين الاغنياء
يتكاثرون به والدولة ما يدول مع الانسان من الحظ اي يدور وفعله بمعنى الفاعل او كيلا يكون دولة جاهليه
وكان اهل الشوكه يختصون بها ويقولون من عزيز او بمعنى المفعول اي شيا ولونه يتعاورونه كالغرفه لما
يغرف وقرا هشام في احد الوجهين بتانيث الفعل ونصب دولة على ان كان ناقصه وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا لا تخالفوه في شي ولا تتوهموا في افعاله واقواله غير الحق واتقوا الله بطاعة
رسوله ان الله شديد العقاب حقيق بان يتقى للفقراء المهاجرين بدل من ذوي القربى باعادة الجار لا من
الرسول وما عطف عليه لخروجه عنهم بقوله وينصرون الله ورسوله ولكونه اجل من ان يطلق عليه اسم
الفقير ولان المبدل في حكم السقوط وذلك مخل بتعظيم الله لان الاسم الاعظم وان كان مذكورا توطيه وتمهيدا
الا انه لا يليق ان يقال انه في حكم السقوط الا يرى انه لا يقال لم علامة لمكان الثناء الذين اخرجوا من
ديارهم واموالهم استولى عليها المشركون يبتغون فضلا من الله الجنه ورضوانا ورضاه حال مقبله
وينصرون الله ورسوله دينهما اولئك هم الصادقون في دعوى الايمان لتيورد عوهم بالبرهان والذين
تبوؤا الدار والايمان هم الانصار عطف على المهاجرين اي دار الهجره ودار الايمان فاللام في الاول نفي عن
الاضافه وحذف المضاف من الثاني واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا او جعل الايمان مستقرا

واما الاخماس
عن الميداني مفاه من علب سلب

ومستوطنا على انه استعارة مكنية وهذا ابلغ الوجوه واطلاق الدار حينئذ للتنويه كانها الدار التي تحق لها
ان تسمى دارا من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل سبقوا المهاجرين بالتبوء والايمان ولا يصح اذ سبق الانصار
بالايمان على كل من هاجر غير مسلم ولا يستفيد الا بتقدير الاضافة يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون كما قال
سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا بينهما كما آخا بين المهاجرين
والانصار اشاطرك مالي وانظر اي زوجتي اعجبتك اطلقها فتزوجها اعجبتك ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما اوتوا مما اعطي المهاجرون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعط من مال بني النضير
الانصار شيئا الا ابا دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقد بالغ في مدحهم حيث نكر الحاجة
وذكر الصدر والوجدان اي لم يخطر ببالهم ما يسمى حاجة فضلا عن توجه النفس الى طلبها ولذا اوثر الوجدان
دون العلم ويؤثرون على انفسهم اي يختارون المحتاج على انفسهم بما لهم فكيف يطمح احدهم الى شيء ليس لهم
ولو كان بهم خصاصة فقر وحاجة من خصاص الاثاث في الفرج بين احجارها روى البخاري عن ابي هريرة
رضي الله عنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصابه الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد شيئا فقال
الا رجل يضيف هذا فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فذهب به فقال لامرأته ما اجد الا قوت
الصبية قال نومي الصبية وقدمي الطعام ثم قومي كانك تصلحين السراج فاطفئيه ليأكل وحده فانه ضيف
رسول الله ففعلت فلما اصبح جاء الى رسول الله فقال لقد عجب الله منك فنزلت ومن يوق شح نفسه
الشح البخل مع الحرص واضافه الى النفس لانه غريزة فيها اي ومن يحفظ عن هذه الرذيلة فاولئك هم
المفلحون الفائزون بالثناء من الله عاجلا والثواب آجلا والانصار قد خلوا اول دخول والذين
جاؤا من بعدهم اي من بعد الفريقين وهم الذين اتبعوهم باحسان الى يوم الدين وقيل الذين هاجروا
بعد السابقين الاولين وفيه انه لا يستوعب مستحق الفيء ويرده قوله يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان لان اللاحق مهاجر يجوز ان يكون اسبق ايمانا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا غشا
وحقدا من الغلل وهو الماء بين الاشجار وعن مالك ان ساب السلف لا يستحق من الفيء شيئا لعدم اتصافه
بما في الاية ربنا انك رؤف رحيم حقيق باجابة دعائنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين
كفروا من اهل الكتاب ابن ابي واضرابه من المنافقين ومن تبعه رسولا الى اهل الكتاب بما اخبر الله به رسوله
والمراد بالاخوة توادهم واتفاقهم في الكفر فلا ينافيه قوله ما هم منكم ولا منهم لئن اخرجتم من
دياركم لنخرجن معكم اذ لا عيش لنا بدونكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا محمدا وغيره وان قوتلتم لننصرنكم
لا محالة والله يشهد انهم لكاذبون في كل ما قالوه ثم رد مقالتهم مفصلة بقوله لئن اخرجوا لا يخرجون
معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم فرضا وتقديرا ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون اي
المنافقون بل يقتلون لظهور نفاقهم وقيل الضمير لليهود وليس بوجه لان سوق الكلام لذم المنافقين لانتم
اشد رهبة في صدورهم من الله اي مرهوبية والمعنى يخافونكم في السر اكثر من تخوفهم من الله او
من اظهارهم الخوف من الله لكم اذ لم يكن لهم خوف من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون عظمة الله
ليعلموا انه الحقيق بان يخاف لا يقاتلونكم جميعا المنافقون واليهود الا في قرى محصنة لضعف قلوبهم وسبيلا
الجبن عليها او من وراء جدر جمع جدار كحمر وحمار وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار مفردا لقصد الجنس
او ارادة السور الجامع والجمع اظهر واوفق بالغرى باسهم بينهم شديد اذا تقاتلوا واما حاربوا
الله ورسوله اجبن من صافر تحسبهم جميعا ذوي الف واتحاد ظاهرا وقلوبهم شتى جمع شتيت متفرقة هؤلاء
عبدة الاصنام واولئك اهل الكتاب ذلك بانهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب والآراء مما
يورث الفشل والوهن كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود في محاربة رسول الله كمثل المشركين يوم بدر

في قتالكم

وعن ابن عباس بنو قينقاع اجلاهم رسول الله قبل هؤلاء قريبا اي في زمان قريب وانتصابه على الحال
اي وجد مثل هؤلاء مثل وجود مثل اولئك قريبا لم يطمئن بعد اثره فكان لهم عبرة منهم ذاقوا وبال
امرهم بيان للمشبه به بعين وفيه زيادة تجميل لليهود الوبال سوء العاقبة من قولهم مرعى وبيل وخيم ولهم
عذاب اليم في الآخرة كمثل الشيطان لما مثل حال اليهود بحال اهل بدر مثل المنافقين بحال الشيطان يوم
بدر جاءهم في صورة سراقة سيد كنانة وقال للمشركين اني جار لكم فلما تراءى الجمعان نكص على عقبيه هاربا
وقال اني بريء منكم اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين والمراد
بالانسان الجنس او كفار قريش وقيل راهب حمله على الفجور بامرأة وله قصة يرويها القصاص فكان
عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها نصب على الحال والظرف خبر كان وفيها تاكيد وذلك جزاء الظالمين
كل كامل في الظلم وهم الكفار يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله
يوم القيمة سماه غدا لقربه او لان اليوم يومان ونكره لاستقلال الاعين النواظر كانه قال
ولتنظر النفس التي لها قدر واما جعله من قبيل علمت نفس فاباه المقام لان سوق الكلام لبيان استيلاء
الغفلة والقسوة على الانسان ونكر الغد للتعظيم اي غد واتقوا الله اعاده لان الاول فيما قدم من
الاعمال وهذا جار مجرى الوعيد ولذا عقبه بقوله ان الله خبير بما تعملون وفي مجيئهما مطلقين من
الفخامة ما لا يخفى ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم حيث لم يرشدهم الى طريق الهدى
او اراهم يوم القيمة ما نسوا انفسهم عنده اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة كان الناس لاستيلاء الغفلة عليهم لم يفرقوا بين الفريقين فاحتاجوا الى
الاعلام كقوله وما يستوي الاعمى والبصير واستدل الشافعي بالاية على ان المسلم لا يقتل بالذمي وذلك
لانه لما نهى المؤمنين ان يكونوا كالذين نسوا الله اشار الى عدم مساواة الحزبين في احكام الدارين وان كان
الملحوظ بالقصد الاول احكام الاخرة ولذلك عقبه بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون بما لم يخطر على قلب
بشر لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتصوير لزواجر
القرآن وما فيه من الوعيد والآيات الدالة على شدة سخطه على من كفر ان لو كان في الجبل فهم
وكان هو المكلف والمخاطب لتكسر وتفرقت اجزاؤه من الخوف وتلك الامثال هذا المثل ونظائره
نضربها للناس لعلهم يتفكرون وفيه من الدلالة على قسوة قلبه وعدم تدبره ما لا يخفى هو الله الذي
لا اله الا هو لما اثنى على القرآن واعلى شانه بما لا مزيد عليه اقام البرهان على ذلك بانه كلام من اوصافه
ونعوته عالم الغيب والشهادة ما غاب عن الضمير وما شاهده او الموجود والمعدوم او الدنيا والاخرة
او السر والعلن هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلطان المنزه عن وصمة
النقص والزوال واختلال ملكه كساير الملوك السلام ذو السلامة عن الآفات كانه عينها المؤمن
الجاعل غيره آمنا المهيمن الرقيب الحافظ من الامن الا انه ابلغ منه ذهابا ومنقلبه من الهمزة وقيل
من الامانة لان الامين هو الحافظ العزيز الغالب الجبار الذي جبر الخلق على ما اراد او كثير الجبر للمنكسرين
ما كسر الا وجبر المتكبر البليغ الكبرياء وكلت العقول من ادراك ذاته سبحان الله عما يشركون ليس كمثله
شيء فكيف يكون له شريكا هو الله الخالق المقدر للاشياء على وفق حكمته البارئ الموجد لها بريئة عما لا
يريده بل جارية كما اراد المصور المفيض للصور والاشكال على المواد القابلة له الاسماء الحسنى الدالة
على صفات الجلال ونعوت الكمال وهذه نبذة منها عن ابي هريرة رضي الله عنه ان لله تسعة وتسعين
اسما من حفظها دخل الجنة وقيل انما يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا لانه لم يعرف الله
بهذه الاسماء ولم يؤمن بها يسبح له ما في السموات والارض من الاجزاء والجزئيات وان من شيء

اي

واحد او للتعظيم ومع النفس المطمئنة كانه قال
ولتنظر المنغمس

واي غد

السنة

الا يسبح بحمده وهو العزيز الغالب الحكيم المتقن في صنعه فذلكه للسورة ورمز الى اجلاء اليهود وايراث
اموالهم لرسول الله والمؤمنين روى الامام احمد بن حنبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلث مرات ثم قرا ثلث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين الف
ملك يصلون عليه الى ان يمسي وان مات في يومه مات شهيدا تمت سورة الحشر والحمد للرؤف البر والصلوة
على المؤيد بالعز والنصر وآله وصحبه الى آخر الدهر سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم هادن قريشا سنة الحديبية ثم نقضوا العهد فاراد ان يغزوهم وكان وقت الفتح فقال
اللهم اعم عن المشركين شاننا فكتب حاطب بن ابي بلتعه وهو رجل من المهاجرين ولم يكن من قريش بل كان
حليفا لعثمان رضي الله عنه وكان قد تخلف عنه اهله وماله كتابا الى اهل مكه يخبرهم بامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقصدهم واعطاه لعجوز من عجز مزينه وقيل لساره مولاه ابي المطلب فلما توجهت اخبر
جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم بشانها فارسل عليا والزبير واباً مرثد والمقداد بن الاسود وقال
ائتوا روضه خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال علي رضي الله عنه فذهبنا نتعادى بنا خيلنا
فادركناها فقالت ليس معي كتاب فقلت ما كذب رسول الله لتخرجن الكتاب او لنجردنك فاخرجته من
حجزتها وكانت محتجزة بكساء وفي روايه اخرجته من عقاصها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب
حاطبا وقال ما هذا الكتاب قال يا رسول الله لا تعجل فوالله منذ اسلمت ما ازددت الا ايمانا ولكن
كان من هاجر من اصحابك لهم قرابات يحمون بها اهليهم وكنت لصيقا فيهم فاردت اذ فاتني ذلك ان اصطنع
اليهم يدا عندهم يحمون بها اهليهم وقرابتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صدقكم فلا تقولوا له الا خيرا
فقال عمر يا رسول الله منافق دعني اضرب عنقه فقال يا عمر وما يدريك ان الله قد اطلع على اهل بدر
وقال افعلوا ولا حرج قد غفرت لكم ففاضت عينا عمر فنزلت والعدو فعول من عداه جاوزه ولكونه
على زنة المصدر كالقبول يطلق على الجمع وفي تقديم عدوي اشارة الى انه المهم وان فرض ان لم يكن
عدوا لهم تلقون اليهم بالمودة حال من فاعل لا تتخذوا او صفه اولياء جرت على غير من هي له من دون
الابراز لكونها فعلا او استيناف والباء مزيدة للتوكيد كما في ولا تلقوا بايديكم او للسببيه والمفعول محذوف
اي اخبار رسول الله بسبب المودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل يلقون ان جعل مستانفا
والا جاز ان يكون منه او من فاعل لا تتخذوا يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم استيناف
جار مجرى التفسير كانه قيل كفروا فقيل كفروا اشد الكفر لاخراجهم الرسول والمؤمنين لا يمانهم بالله موليهم
خاصة لا لغرض آخر وهذا املا فائدة من جعله حالا من فاعل كفروا ان كنتم خرجتم جهادا في
سبيلي وابتغاء مرضاتي حذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه تسرون اليهم بالمودة جواب لسؤال
مقدر كانه قيل ماذا تفعلوا حتى عوتبوا ولذلك اوثر ان على اذا ويجوز ابداله من يلقون والباء فيه
كما في يلقون وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم منكم واطلع رسولي عليه فاي فائدة في الاسرار
بعد علمكم بهذا واياكم به ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل الطريق القويم ان يثقفوكم
يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ان يظفروا بكم يظهر لكم منه نتيجه العداوة من الاضرار بما يمكنهم ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء بالقتل والشتم جار مجرى تفسير العداوة وودوا لو تكفرون كفارا واثار بالماضي
هنا وان كان الماضي والمضارع لا يتفاوتان بعد وقوعهما جزاء الشرط للاشارة الى ان ودادتهم
للكفر المؤمنين اهم لانحسام مادة العداوة وارتفاع المشاقة حينئذ والمراد وداده مقارنه للعداوة
على ردهم كفارا فلا يرد ان ودادتهم مستمرة فلا يتسدا التقييد بالشرط لكن ثرالعطف على الشرطيه لا الجزاء

فيما ثم لا ينصرون في سورة الحشر لن ينفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار لاجلهم
خطاهم اولا في موالاتهم من هو خالص العداوة لهم ثم في من توالون لاجله وبين وجه ذلك بقوله يوم
القيمه يفصل بينكم يفرق بينكم يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه فاي فائدة في موالاة اعداء الله لمن
لا يبقاد ولا ينفع في وده قراءة غير عاصم بضم الياء وكسر الصاد وشدده حمزة والكسائي وابن عامر وهو ابلغ
واوفق بالمقام والله بما تعملون بصير مشاهد له قد كان لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه الاسوة
اسم لما يؤتسى به كالقدوة لفظا ومعنى كسر همزته عاصم اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان وهو لكم انا برءآؤا منكم
جمع بريء كظرفاء جمع ظريف ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بكل شيء يلتبسون به مما يدانون به والكلام على
المشاكله والتهكم اذ الكفر انما يكون بالحق وما اتى به الرسل وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى
تؤمنوا بالله وحده فحينئذ ينقلب العداوة موالاة والبغضاء حبا الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك
مستثنى من اسوة حسنة لانها عبارة عن قولهم انا برءآؤا الى آخره وما املك لك من الله من شيء هذا وان صح
ان يكون من الاسوة لكونه كلاما حقا الا انه جعله تابعا للاستغفار مبالغه في تحقيق الوعد كانه قال
ابذل جهدي ولو ملكت غير الاستغفار لفعلته ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير كلام مستانف
التجا الى الله بعد اظهار العداوة والتبري عنهم في كفاية شرهم او تعليم من الله للصحابه بعد النهي عن
موالاة الكفار والامر بالاقتداء بابرهيم عليه السلام تتميما للوصيه كقوله اتقوا خيرا لكم ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا محل فتنه بان تسلطهم علينا فيفسدوا علينا ديننا واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم
حقيق باجابة الدعاء وبتحقيق رجاء المتوكلين لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة كرره مبالغه في الحث على الائتساء
ولهذا اكده بما هو غاية في التوكيد وهو القسم وابدل عن قوله لكم لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر اشارة
الى من توقف ليس بمؤمن بالآخرة وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلا يضره توليه بل ضر نفسه
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة تولد للامر بالتصلب وتوبيخ عليهم بان ذلك عن قريب
ينقلب موده وسببا للسعاده اولئك بدخولهم في الايمان على ما كانوا يودونه من كفر المؤمنين ونظراء ان حزب
الله هم الغالبون ولفظ عسى على داب الملوك في المواعيد التي لا يخلفون في انجازها والله قدير على ذلك والله
غفور لما فرط من موالاتكم سابقا رحيم يجمع بينكم في الايمان عن قريب لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم كالنساء والضعفاء ان تبروهم بدل من الذين بتقدير مضاف اي مبرة الذين
وتقسطوا اليهم تعاملوهم بالعدل فيما بينكم من الحقوق ان الله يحب المقسطين روى البخاري ومسلم عن اسماء بنت
ابي بكر انها قالت يا رسول الله امي قدمت وهي راغبه افاصلها قال نعم صلي امك وارسل رسول الله صلعم
لعمر حله من حرير فكساها اخا مشركا له بمكه انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم
وظاهروا على اخراجكم سعى بعضهم في الاخراج وعاون عليه البعض ان تولوهم بدل اشتمال من الذين
ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم اذ لا عذر له بعد هذا البيان يا ايها الذين آمنوا
اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله عن ابن عباس رضي الله عنه كان الامتحان ان تقول لا
اله الا الله محمد رسول الله ثم تقول بالله ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة في ارض عن ارض بل حبا
لله ولرسوله وكان الذي يتولى الامتحان عمر بن الخطاب رضي الله عنه الله اعلم بايمانهن منكم وانما امركم
بالامتحان لاجراء الحكم وعدم اللبس فان علمتموهن مؤمنات بالامارات الداله الظن واطلاق العلم عليه
شايع وفائدة الامعان في الامتحان فلا ترجعوهن الى الكفار لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرط في صلح
الحديبيه ان من جاء مسلما يرده اليهم فجاءت نساء مؤمنات وهو باسفل الحديبيه على ما رواه الزهري فنزلت
فكانت ناسخه للسنه وقيل كان ذلك منه اجتهادا واجتهاده الخطأ لا يقرر وعن عروة والضحاك

ان الشرط كان في الرجال خاصة لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن اى الحل مرتفع من الجانبين لا كالكتابية مع المسلم
وآتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وكان هذا مخصوصا بتلك الواقعة في المهاجرات وبعد
الفتح لا هجرة فانتهى الحكم بانتفاء سببه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن المهاجرات لوقوع البينونة وعدم حلهن
لازواجهن اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن لان المهر اجر البضع وانما تعرض له لئلا يظن ان ما اعطى
الازواج بدل ما انفقوا يغني عن المهر وبه استدل ابو حنيفة رحمه الله على ان من اسلمت من الحربيات وخلف
زوجها في دار الحرب وقعت الفرقة ولا عدة واجاب الشافعي رحمه الله بان عدم التعرض للعدة ليس تعرضا لعدمها
وعدم العدة تؤدى الى اختلاط المائين ولا تمسكوا بعصم الكوافر اللاتى يلحقن في دار الكفر جمع عصمة وهي
النكاح فقال هي في عصمة الزوج اى في نكاحه عن المسور بن مخرمة ان عمر طلق يومئذ قريبة بنت ابي امية
فتزوجها معاوية وام كلثوم بنت عمرو فتزوجها ابو جهم واسئلوا ما انفقتم من مهور المشركات وليسئلوا
ما انفقوا من مهور المهاجرات اعاده توكيدا لئلا يتهاونوا به من حيث انهم مشركون ولذلك امرهم
بالسؤال فانه حق من حقوقهم ذلكم حكم الله اى ما ذكر يحكم بينكم مستأنف او حال والله عليم باحوال
العباد حكيم فيما شرع وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار راجعة عن الاسلام كان في صلح الحديبية ان من
ذهب اليهم لا يردونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءكم منا فسحقا له ولذلك نكر الشيء استهانة
بالراجعة وقيل لزيادة العموم فعاقبتم جاءت عقبتكم اى نوبتكم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
عن الزهري ان المؤمنين لما سئلوا ما انفقوا الى المشركين فكان الحكم ان ما كان يعطى زوج من المهر يعطى زوج
المرتدة وعن ابن عباس رضي الله عنه عاقبتم غنمتم امروا بان يعطوا زوج الراجعة ما انفق من الغنيمة وهو
الوجه واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به حامل على التقوى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات
يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا من الاشياء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن كما كان الوائدات
يفعلن ذلك ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت احديهن تلتقط لقيطا وتقول لزوجها ولدته
منك وما بين ايديهن وارجلهن البطن والفرج ولا يعصينك في معروف هذا القيد مع ان امره لا يكون الا بمعروف
للدلالة على ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولو فرض ان تكون انت فبايعهن على هذه الشرائط روى البخاري
عن ابن عباس رضي الله عنه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر ثم شق الرجال واتى النساء فقرأ
عليهن هذه الآية ثم قال انتن على ذلك فاجابته واحدة ثم قال تصدقن فنثرن يلقين الخواتم والافراط
في ثوب بلال وعن ام عطية لما قال ولا يعصينك في معروف قالت امرأة ان فلانة اسعدتني تريد النياحة
وانا اريد ان اجزيها فذهبت ثم عادت فبايعت وعن عائشة رضي الله عنها والله ما مست يده يد امرأة
قط وانما بايعهن بهذه الآية واستغفر لهن الله سالف ذنوبهن ان الله غفور رحيم يا ايها الذين
آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم روى ان بعض فقراء المؤمنين كانوا يوالون اليهود لعل ان يصيبوا منهم
بعض ثمار قد يئسوا من الآخرة لعنادهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه الموعود في التورية كما يئس
الكفار من اصحاب القبور من بيان اى كما يئس من مات على الكفر من رحمة الله او كما يئس الكفار من الملتقى
لعدم اعتقادهم الحشر تمت سورة الامتحان ولله المن والاحسان والصلوة على المبعوث من عدنان
وآله وصحبه الى انصرام الزمان **سورة الصف مدنية وآيها اربع عشرة** بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
الاستفهام للانكار ولما صار الجار والمجرور لشدة الاتصال كشيء واحد حذف منه الالف مثله عم وبم
ويوقف عليه بالاسكان وبهاء السكت عن مقاتل تمنوا احب الاعمال فنزلت ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا فلما ولوا يوم احد عوتبوا بهذه الآية وعن قتادة كانوا يقولون قتلنا ضربنا ولم يكونوا

فعلوا ذلك روى ان صهيبا قتل كافرا شديد النكاية في المسلمين وراه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانتحل آخر قتله فقال عمر ذلك لصهيب فقال انما قتلته لله ويشمل كل قول خالف الفعل وبه استدل
مالك على ان الوعد ملتزم وحمله الجمهور على امر الآخرة كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون بالغ في تهجينه
لان في كبر معنى التعجب المراد منه تعظيم الجناية واسناده الى القول او لا ثم تمييزه بالمقت وتقديره وجعله
عند الله مع كون المقت اشد البغض ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا صافين فانه اهيب في عين
العدو واشد تقوية لقلب المقاتل كانهم بنيان مرصوص محكم من الرصاص وهو الآنك حال من المستكن
في الحال واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني اى اذكر للمؤمنين ذلك الوقت وقد تعلمون اني رسول
الله اليكم والذنب مع العلم اشد فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم صرفها عنه والله لا يهدي القوم الفاسقين
لا يوفقهم لانهم اهل الزيغ الذين خلقوا للنار واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل لم يقل يا قوم تذكرا
لهم بانهم اولاد اسرائيل الذي وصى بنيه ان لا تعبدوا الا الله لانهم ليسوا من قومه لانه لا نسب له فيهم
لدخوله في ذرية اسرائيل كما تقدم في الانعام اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية
ومبشرا برسول يأتي من بعدي اى انا على ما عليه سائر الرسل ممن تقدم ومن تأخر هذا كقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كنت بدعا من الرسل وانتصاب مصدقا ومبشرا على الحال والعامل فيه معنى
الرسالة في رسولا لا في اليكم لان حروف الجر اذا وقعت صلة ليس فيها معنى الفعل اسمه احمد قيل
كذا كان مكتوبا في الانجيل ولعل ذلك لما فيه من الاشارة الى انه اكمل الرسل روى البخاري عن جبير بن
مطعم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لي اسماء انا محمد وانا احمد وعن ابي اسحق
انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي فلما جاءهم بالبينات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
قالوا هذا سحر مبين اى ما جاء به او عيسى مبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي ساحر والرسم على الاول
ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اى لا احد اظلم منه اذ لا جناية فوقه
مع عدم العذر وزوال الاشتباه والله لا يهدي القوم الظالمين الكاملين في الظلم يريدون ليطفئوا
نور الله بافواههم هو اليهود الذين حرفوا الكلم وبدلوا نعته مثل حالهم بمن يريد اطفاء نور الشمس بنفخ
نفخه في الهواء والاصل يريدون ان يطفئوا كما في سورة براءة واللام جيء باللام توكيدا للارادة لما في
اللام من معناها والله متم نوره لا محالة وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وابو بكر منونا ناصبا ما بعده
ولو كره الكافرون الساترون نعمة الله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الذي لا تطرقه
نسخ ولا تبديل ليظهره على الدين كله اذ لم يأت احد بما جاء به وضع الاصر والاغلال بالحنفية السمحاء ولو كان
موسى بن عمران حيا ما وسعه الا اتباعه ولو كره المشركون عباد الاوثان واليهود القائلون عزير ابن الله
والنصارى المثلثون يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم قرأ ابن عامر بتشديد
الجيم وهو ابلغ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف كانهم
قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وايثاره على آمنوا مبالغة في الحث عليه كانهم امتثلوا فهو يخبر عنهم وهذا
سبيل كل دعاء الى نصيحة الاخبار ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم اى لو علمتم لسعيتم في تحصيله
ببذل الاموال والانفس يغفر لكم ذنوبكم مما بينكم وبينه جزم جوابا للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او
لشرط مقدر اى ان تؤمنوا او استفهام اى هل تتجرون بالايمان يغفر لكم ويدخلكم جنات تجري من
تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك المذكور الفوز العظيم الذي لا يحيط به الوصف واخرى
تحبونها اى ولكم النعمة الاخرى الدنية بالنسبة الى الاولى وفي الوصف بالمحبة بعد الدلالة على انها دون الاولى
نوع تعبير لهم وفي ايثار الاسمية مع العطف على الفعلية وهي يغفر لكم دلالة على ان هذه الدنيوية امكن

في نفوسهم وهي اليها اميل نصر من الله بدل او بيان وفتح قريب فتح مكه وعن الحسن فارس والروم وبشر
المؤمنين عطف على تؤمنون لانه بمعنى آمنوا وما في البين ليس باجنبي كانهم قالوا دلنا يا رب على تلك التجارة
فقال آمنوا وبشر انت يا محمد وفيه تنويع الخطاب وايقاع المظهر موقع المضمر فهو اما لا فايدة من تقدير
فابشر يا محمد وبشر والعطف على قل مقدرا والقول بان ذلك انما يحسن اذا اعيد حرف النداء لا ستدله ولو سلم فلعدم
تعين المخاطب بدونه واما اذا تعين فذكره وطيه سيان يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله انصار دينه كما
قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله من جندي متوجها الى نصرة دينه وقرا نافع وابن كثير
وابو عمرو انصارا لله منونا والمعنى كونوا من جملة من ينصر الله والاضافة اقوى معنى واخف لفظا ولذلك
اتفقوا عليه في آل عمران قال الحواريون نحن انصار الله الاضافه الاولى اضافه احد المتشاركين
والثانيه اضافه الفاعل الى المفعول والتشبيه بحسب المعنى اي قل لهم كقول عيسى او كونوا ايها المؤمنون
انصار الله كالحواريين وقت قول عيسى عليه السلام كانوا اثني عشر رجلا قصارين يقصرون الثياب ولذا
قيل لهم حواريون وعنه صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري الزبير فآمنت طائفه من بني اسرائيل وكفرت طائفه
بعيسى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم على الكافرين وايثار لفظ العدو لاشعاره بالشقي فاصبحوا ظاهرين
غالبين بالسيف والحجه عليه لا خفائها تمت السورة والحمد لمن آلاؤه منشوره والصلوة على من سيره مشكوره
وآله وصحبه الذين آثارهم مشهوره **سورة الجمعه مدنيه وهي عشر آيه** بسم الله الرحمن الرحيم
يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس البليغ التنزه عن وصمة النقص والتشين العزيز
الحكيم الغالب البالغ حكمته توطيه لقوله هو الذي بعث في الاميين رسولا لفرط احتياجهم اليه لانهم
لا يكتبون ولا يقرؤن منهم يعرفون صدقه وامانته ولكونه اشفق بهم وارفق يتلو عليهم آياته مع كونه
اميا مثلهم اشارة الى معجزته الموقوفه نبوته عليها ويزكيهم من الاخلاق الذميمه او عند الله حيث
يشهد لهم بالايمان يوم القيمه ويعلمهم الكتاب والحكمه الشرايع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ظاهر
يعبدون الحجر وياكلون الجيف ويطوفون بالبيت عراه وآخرين منهم عطف على الاميين اي وفي آخرين من
الاميين لما يلحقوا بهم بعد وسيلحقون لما في لما من معنى التوقع روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنهما
لما نزلت سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم هؤلاء وفينا سلمان فوضع يده عليه وقال هم قوم
هذا لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء وليس فيه منع الغير فيتناول كل من ياتي بعد الصحابة
رضي الله عنهم الى آخر الدهر وهو العزيز الحكيم في تمكينه من هذا الامر العظيم واختياره له ذلك
فضل الله كونه رسولا للاولين والآخرين وفي ايثار اسم الاشارة بلفظ البعيد واضافة الفضل الى كلمة الجلالة
اشارة الى ان كل فضل دونه يؤتيه من يشاء تفضلا والله ذو الفضل العظيم الذي لا يحاط به مثل الذين
حملوا التوريه تعلموها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولا حملوها على محاملها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا كبارا
من كتب العلم مثل حالهم في حمل التوريه بحال الحمار الحامل للاسفار من الكتب والجامع الحرمان من الانتفاع
بابلغ نافع مع الكد والتعب والجمله في محل النصب على الحال او الصفه اذ لم يرد بالحمار معين وهذا ابلغ ذما
واتصاله بما قبله انهم علموا ان في التوريه نعت المبعوث في الاميين رسولا وكتموه بئس مثل القوم الذين
كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا بآيات اي مثلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او حذف
المخصوص اي هو والضمير لمثل اليهود او بئس مثلا مثل الذين على حذف المميز وهذا قليل والله لا يهدي
القوم الظالمين اي اليهود الذين لم يحملوا التوريه قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء
لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين في زعمكم لان من علم ان ماواه جنة عدن تمنى
الخلاص من دار العناء وانما خوف الانسان من عدم علمه بحاله وانما اتى بان مع الزعم اشارة الى ان

الاولى بحال من على طريقتهم الشك والدعوى الباطلة ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من الكفر
وتحريف آيات الله واختصاص آية البقرة بلن لان دعواهم هناك ان اختصاصهم بها امر مكشوف
فبولغ في الرد عليهم والله عليم بالظالمين ظاهرا وباطنا قل ان الموت الذي تفرون منه لا تجترؤن
على تمنيه فانه ملاقيكم ودخول الفاء في خبر الموصوف بالموصول للسببيه باعتبار الوصف كانه قيل ان
الفرار الذي تظنونه سبب النجاة سبب الملاقات مبالغة في عدم الغوث ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعه فاسعوا الى ذكر
الله لما نعى على اليهود ما يمنون به انفسهم من الاماني الباطله امر المؤمنين بالسعي الى ما فات اليهود من
ادراك فضيله يوم الجمعة لما روى البخاري ومسلم ان يوم الجمعه هو اليوم الذي فضل على ساير الايام واختلف
فيه اهل الكتابين فلم يهتدوا اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدانا الله تعالى اليه نحن الآخرون
السابقون يوم القيمه هو سيد الايام فيها ساعه يستجاب فيها الدعا الاصح انها من وقت خروج الامام
الى الفراغ من الصلوة وقيل بعد العصر وكانت العرب تسميه يوم العروبه فسماه الله يوم الجمعه والمراد
النداء بين يدي الخطيب فان الاول شرعه عثمان على الزوراء عند كثرة الناس والبيع والشراء وساير
الاشتغال حرام اتفاقا والمراد بالسعي القصد والاهتمام لا الاسراع لورود النهي عنه والمراد بذكر الله الخطبه
لانها موعظه وتذكير ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اشار الى ان على اذا جامع علمهم بذلك تعيبا لما بدا منهم من الخروج
وتركه قائما لاشعاره بعدم علمهم فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله من رزقه
خبر لما فاتكم روى ابن ابي حاتم عن بعض السلف ان من باع او اشترى بعد الجمعه بارك الله له
سبعين مرة وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة وقف على باب المسجد وقال اللهم اني اجبت دعوتك وصليت
فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني وانت خير الرازقين وقيل المراد به الطاعه كعيادة المريض
وتشييع الجنازة وزيارة الاخوان في الله واذكروا الله كثيرا في الاحوال كلها لعلكم تفلحون تفوزون
بمرضاته واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روى البخاري ومسلم عن جابر ان رسول الله صلعم كان على
المنبر يخطب فقدمت عير من الشام فخرجوا اليها حتى لم يبق الا اثني عشر رجلا قال مقاتل العير كانت لدحيه قبل اسلامه
وكان معها طبل وهو الذي اريد باللهو والضمير للتجاره لان الانفضاض اليها اذا كان مذموما فالى
اللهو اولى وتركوك قائما فيه غايه التعيير اذ لو لم يكن الا تركه على هذه الحالة دون ان يكون خطيبا كان
شنيعا قل ما عند الله مدخرا لكم خير من اللهو ومن التجارة لكونه باقيا صافيا بلا كدر والله خير الرازقين
هو الرزاق حقيقه والبواقي وسائل اليه لتوجهوا في طلب الرزق تمت السورة ولله المنة والصلوة على رسوله
وآله وصحبه السابقين الى الجنة **سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آيه** بسم الله الرحمن الرحيم
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله انشاء جار مجرى القسم ولذلك الكذبان واللام تتضمن
ادعاء المواطاه بين القلب واللسان والله يعلم انك لرسوله وان ما قالوه كلام مطابق للواقع قطعا والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون في ادعاء المواطأة لانهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم او كاذبون في
انفسهم لا يعتقدون صدق مقالهم ومطابقتها للواقع وانما اعترض بقوله والله يعلم انك لرسوله ليميط
رجوع التكذيب الى قولهم انك لرسول الله اتخذوا ايمانهم جنة وقاية استيناف لبيان ما دعى لكل الشهادة
التي هي بمثابه اليمين او كلام مستقل لعد قبائحهم وان من قبائحهم الاتقاء بالايمان الكاذبه كما سجلوا بالشهادة
الكاذبة فصدوا عن سبيل الله اعرضوا او منعوا غيرهم عن سلوكها انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق
انشاء كانه قيل ما اسوء ما ارتكبوه ذلك كله بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم منع دخول نور الحق
فيها فهم لا يفقهون شيئا من الحق فلذلك جروا على تلك العظايم وانما قال آمنوا ثم كفروا مع انهم لم

يومنوا طرفة عين لانهم نطقوا بالشهادة ثم ظهر كفرهم او نطقوا بها عند المومنين وكفروا عند شياطينهم والحمل
على اهل الردة بعيد ناب عند المقام واذا رايتهم تعجبك اجسامهم هيا كلهم لرواء منظرهم وجسامتهم وان يقولوا
تسمع لقولهم لفصاحة كلامهم وحلاوة الفاظهم قيل كان ابن ابي راس المنافقين وبعض اتباعه اجساما
وسا ما فصحاء بلغاء والخطاب في رايتهم اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او عام والاول اوجه لتقدم اذا جاءك
ولانه اذا اعجبته فغيره اولى كانهم خشب مسندة الى الحايط لعدم الانتفاع بها بوجه او كالاصنام المسندة الى
الحيطان في حسن الصور وبهجة المنظر قرا ابو عمرو وقنبل والكسائي باسكان الشين اما مخفف خشب او جمع
خشباء وهي الخشبة المجوفة وهذا اخف واقوى شبها وناهيك بسفالة النفاق ظ حيث شبه اهله بجماد هذا
شانه وشبه الكفار بالانعام يحسبون كل صيحة عليهم واقعة عليهم وقيل كانوا خائفين من ان ينزل
فيهم ما يهتك استارهم ويظهر اسرارهم ويبيح دماءهم وديارهم هم العدو لا غير لان اعدى العدو من
تلقاك بوجه الصديق لوقوفه على اسرارك وتمكنه من اشاعة اخبارك وقيل عليهم صلة وهم العدو
المفعول الثاني والتذكر باعتبار الخبر وليس بوجه فاحذرهم خذ حذرك منهم ولا تغتر قاتلهم الله لعنهم
الله دعاء منه تعالى نبي عن فرط السخط او تعليم للمومنين انى يوفكون يصرفون عن الحق تعجب عن
العدول بعد موجب الاقبال والقبول واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ابا لوها
ولم يلتفت السمع اليه قرا نافع لووا مخففا وقراءة القوم ابلغ ورايتهم يصدون يعرضون وصلا عن
الاستماع وهم مستكبرون رافعون انفسهم فوق حدها اتفق الثقاة على ان السورة نزلت في ابن سلول
كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك او بني المصطلق فاقتتل على الماء جهجاه بن سعد
الغفاري وكان اجيرا لعمر بن الخطاب وسنان بن يزيد وكان حليفا لابن سلول فبلغ ذلك ابن سلول
وكان عنده جمع من الانصار فقال افعلوها والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك ياكلك
والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فنقل كلامه زيد بن ارقم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله الى ابن سلول فحلف انه لم يقل شيئا من ذلك فقال عم زيد لي
ما اردت الا ان كذبك رسول الله ومقتك فقال فبت في شر ليلة فلما قفل رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقيني في الطريق ضحك في وجهي وفرك اذني فلقيني عمر فقال ماذا قال لك رسول الله قلت
ما زاد على ان ضحك في وجهي وفرك اذني فلقيني عمر فقال ماذا قال لك رسول الله وكذلك
سالني ابو بكر فلما نزل قرا عليهم السورة وقال ان الله قد صدقك يا غلام ثم ارسل اليهم ليستغفر لهم
لووا رؤسهم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لا يومنون بك ولا يعتدون باستغفارك لن
يغفر الله لهم لعلمه بانهم اهل الدرك الاسفل ومن الذين وراهم لجهنم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
المنهمكين في الكفر والنفاق هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا قاله ابن سلول
ذلك اليوم ولله خزائن السموات والارض قادر على اغناء محمد واصحابه عن انفاق الانصار وانما وفق
الانصار لذلك ليتالوا به القربة والزلفى ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك يقولون لئن رجعنا الى المد
ينة ليخرجن الاعز منها الاذل يريد بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله ولله العزة ولرسوله وللمومنين تخصه
بهم لا حظ لغيرهم منها ولا ينافيه ان العزة لله جميعا لان عزة رسول الله والمومنين عزة الله تعالى
ولكن المنافقين اعاد المظهر لئلا يفادهم هذا الوصف لا يعلمون ليسوا من ذوي العلم ليدركوا هذا الامر
الجلي ولما كان في امر الرزق نوع اخفاء في بادي الراي جعل الفاصلة الفقه المبني عن نوع تعقل وعن
قتادة ان ابنه عبد الله لما بلغه ذلك جاء الى رسول الله وقال ان كنت قائلا ابي فمرني به لاحمل اليك
راسه والله لقد علمت الخزرج ان ليس فيهم ابن ابر بوالديه مني واخاف ان يقتله غيري فلا احتمله فادخل

صوابه والمومنين

النار فقال لا اقتله بل تحسن صحبته وعن عكرمة وابن زيد انه وقف بباب المدينة وسل سيفه فلما جاء
ابوه قال له وراءك حتى جاء رسول الله وهو حابسه فشكى اليه فقال له خل سبيله وقيل لم يمكنه حتى
اقر انه الاذل ورسول الله هو الاعز فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لما كان اغترار المنافقين بالحطام الفاني وانهم اذا لم ينفقوا على المومنين
تلاشى امرهم ورد الله عليهم بانه مالك خزائن السموات والارض وكان فيه اشارة الى انه سيغني المومنين
ويفيض عليهم من خزائنه بما ليس في حسابهم نهيهم عن الاشتغال بها عن ذكر الله قبل وجودها ليوطنوا انفسهم
على ذلك والمنهي المتوجه اليها بحيث تفوت القيام بحق العبادة الا ترى الى قوله في معرض المدح رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون لاستبدالهم الخسيس بالشريف
وانفقوا مما رزقناكم بعض ما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت اماراته ومخايله فيقول رب لولا
اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين فعلى العاقل المبادرة الى التصدق اذ كل لمحة بصدد
الموت ولا يغتر بالصحة اذ كم صحيح مات وكم سقيم عاش فال تعجبين من سقمي صحتي هي العجب وقرا ابو عمرو
اكون بالنصب عطفا على لفظ فاصدق وهو الاظهر لاحتياج الجزم الى التقدير اي ان اخرتني اصدق واكن
ولن يوخر الله نفسا اذا جاء اجلها انتهاء عمرها والله خبير بما تعملون فاختاروا لانفسكم ما شئتم وقرا
ابو بكر بياء الغيبة نظرا الى اولئك هم والخطاب لقوله لا تلهكم وهذا اشد تهديدا تمت سورة المنافقين والحمد
لله رب العالمين والصلوة على صفوة المرسلين واله وصحبه اجمعين سورة التغابن قال عطاء مكية

الا يا ايها الذين امنوا الى اخر الثلث وهي ثماني عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض تقدم الكلام في مثله له الملك وله الحمد قدم الظرفان لتاكيد
الاختصاص وازاحة الشبهة لا سيما وقد اذا اختص به المحامد بما معنى قوله صلى الله عليه وسلم
من لم يشكر الناس لم يشكر الله قلت الكلام في حقيقة الامر الحمد واما حمد غيره فاجراء ان نعمة الله على يده
فهو حمد الله حقيقة وهو على كل شيء قدير كامل القدرة لا يقاومها قدرة ولا يشاركها في التاثير دليل
على الاختصاصين هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن باختياركم لا اجبر فمن راى خيرا فليحمد الله ومن
راى شرا فليستغفر الله والله بما تعملون بصير مشاهد فيجازي عليه خلق السموات والارض بالحكمة بالحق
بالحكمة البالغة مرتبا اسباب معايشكم فيهما وصوركم فاحسن صوركم فخصكم باحسن الصور بين المخلوقات
ليس فيها رشاقة قده ولا صباحة خده وانظر الى شتيت العجب في تركيب بنانه وجواهر اسنانه وقوس
حاجبه ونال اهلانه بيدها اودع من القوى المدركة ولذلك كان نسخة عالم الملك والملكوت واليه
المصير فينبئكم عن النقير والقطمير فاشكروا انعامه الله واحذروا عذابه ونقمته يعلم ما في السموات
والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور مضمراتها فضلا عن السر والعلن فاستعملوا
في عباداتكم ظواهركم وطهروا سرائركم واخلصوا ضمائركم لتحمدوا عواقبكم الم ياتكم نبا الذين كفروا من
قبل قبلكم اي كفار مكة بلى فذاقوا فذاقوا وبال امرهم وخامة كفرهم في الدنيا بالاستيصال ولهم
عذاب اليم في الاخرة ذلك المذكور من عذاب الدارين بانه بان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
فقالوا ابشر يهدوننا ينكرون كون البشر رسولا يطلق على الواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا
اعرضوا واستغنى الله بليغ الغناء عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني في ذاته وصفاته وافعاله
حميد ذاتا وصفة وفعلا دلت على ذلك ذرات الكون زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا اي كفار مكة
او هم ومن حملوا على الاعتبار بهم الزعم يعني العلم وان مع ما في حيزها قائم مقام المفعولين قل بلى يبعثون
وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لغناه عن الالات ودورانه

بين الكاف والنون فآمنوا بالله ورسوله اليكم والنور الذي انزلنا القرآن والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه
منه شيء يوم يجمعكم متعلق بخبير او بلتنبؤن وذلك على الله يسير وقوله فآمنوا اعتراض الاول لتوكيد القدرة
والثاني ما سيق له الكلام من الحث على الايمان به وبالقرآن وبمن جاء به وبما تعملون خبير من تمة الثاني او نصب
باذكر ليوم الجمع ليوم خاص بالجمع يجمع فيه والاولين اللام للتعليل كقوله اعددتك لهذا اليوم ذلك يوم التغابن
هو ان يغبن التاجر شاريه والعكس استعارة لنيل السعداء وويل الاشقياء وكان لا تغابن الا ذلك فلذلك عرف
واطلق لكونه علما له ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قرأ نافع وابن عامر الفعلين بالنون اليقانا وهو ابلغ في الترغيب
والذين كفروا وكذبوا اولئك اصحاب النار خالدين فيها غير الاسلوب اشارة الى سبق رحمته وبئس المصير
مصيرهم الا بيان بان لوجه التغابن ما اصاب من مصيبة الا باذن الله بتقديره لقوله الا في كتاب من قبل
ان نبرأها ويدخل فيها كفر الكافر ولا اذ لا مصيبة اعظم منها ومن يؤمن بالله يهد قلبه يثبته ان ابتلاه
صبر وان اعطاه شكر وان ظلمه احد غفر اومن كان قابلا مستعدا للايمان يوفقه له ويؤيده والله بكل شيء عليم
يعلم من هو اهل للهداية واطيعوا الله واطيعوا الرسول لان عصيانهما اعظم المصائب فان توليتم اعرضتم
فانما على رسولنا البلاغ المبين الواضح وقد وفى به الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لعلمهم
ان لا مؤثر في الكون غيره وفيه حث لرسول الله والمؤمنين على الصبر لما يصيبهم من اذى الكفار يا ايها
الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم لانه تشاغل به عن امر الدين لقوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
وفي الحديث الولد مجبنة مبخلة فاحذروهم احذروا حذركم ولا تغفلوا عن العدو وعن ابن عباس رضي الله عنه
نزلت في اناس ارادوا الهجرة منعهم نساؤهم واولادهم فلما هاجروا بعد برهة وجدوا السابقين تفقهوا في
الدين تغاضبوا وهموا بالانتقام منهم فنزلت وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا العفو محو الجريمة عن الخاطر والصفح
الاعراض والغفران الستر كان لم يكن ولما كان الصبر على ذي من احسنت اليه اشق وابعث على الانتقام
جمع بين الثلثة فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة ابتلاء لينظر هل تؤثرون محبتهم على طاعة الله
والله عنده اجر عظيم حث على ايثار طاعته فاتقوا الله ما استطعتم ما بلغه جهدكم اذ لا تكليف فوق ذلك
فسرت قوله اتقوا الله حق تقاته واسمعوا واطيعوا اولي الامر واوامرهم ما لم يكن معصية اذ لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق وانفقوا خيرا لانفسكم نصب خيرا بكن اي ان تنفقوا يكن خيرا لكم او صفة مصدر او بفعل مقدر
اي ائتوا والترغيب كون السوابق كلها من شان الخير ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون ان
تقرضوا الله قرضا حسنا عن طيب نفس خالصا لوجه الله ولتعبير عن الصدقة بلفظ القرض تلطف في الطلب
يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة الى ما لا يعلمه غيره ويغفر لكم ما فرط لان الحسنات يذهبن السيئات
والله شكور يقابل القليل بالكثير حليم لا يعاجل بالعقاب عالم الغيب والشهادة على سواء حث على الاخلاص
وهو العزيز الغالب لا مانع لعطائه الحكيم في كل ما دبر تمت سورة التغابن والحمد لمن اعطى وشكر والصلوة
على المبعوث من مضر وآله وصحبه ذوي العليا والخطر

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنا عشر

آية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن نادى اولا ثم عمم لانه سيد
القوم وامامهم وفيه اجلال له واشارة الى انهم لا يصدرون الا عن رأيه والمعنى اذا اردتم الطلاق كقوله
اذا قمتم الى الصلوة وله نظائر تنزيلا للمشرف على الشيء منزلة المباشر والطلاق المأمور به ان يكون في طهر
لم يجامع فيه او حامل استبان حملها واللام للتوقيت فالذي يقول ان الاقراء بالاطهار فلا اشكال عنده والذي
يقول بالحيض يقدر مستقبلات كقولك جئتك لليلة بقيت في الشهر روى البخاري عن ابن عمر انه طلق امرأة
وهي حائض فسأل عمر رضي الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه وقال مره فليراجعها فاذا طهرت ثم حاضت

ثم طهرت فليطلقها ان شاء فان قلت اذا كان الغرض ايقاع الطلاق في الطهر فما معنى تكرار الطهر في الحديث
قلت ان لا يكون الرجوع للطلاق ولان طول المدة عسى يؤثر في تبدل الحال والطلاق ابغض المباحات فاحتيط
لذلك وقوله صلى فليراجعها دل على وقوع الطلاق في الحيض واطلاقه على ان الثلث دفعة لا بدعة فيها ومما
روي ان رجلا طلق امرأته ثلثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايلعب بكتاب الله لا اصل له ولا ذكر الثلث في
كتاب الله في معرض الذم واحصوا العدة واحفظوها واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بالنساء لا
تخرجوهن من بيوتهن مساكنهن الى انقضاء العدة ولا يخرجن ايضا استقلالا وان اذن الازواج لان ذلك حق
الشارع ليس لاحد اسقاطه الا ان يأتين بفاحشة مبينة هي الزنا او النشوز بان طلقت وهي ناشزة لان النشوز
يسقط الحق حال الوفاق فاولى ان يسقطه حال الفراق فالاستثناء راجع الى الامرين او البذاء وايذاء الزوج
فيرجع الى الاول وتلك حدود الله الاحكام ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه عرضها لسخط الله لا تدري لعل
الله يحدث بعد ذلك امرا الرغبة في المطلقة والندم على فراقها واستدل الامام احمد على ان المبتوتة
والمتوفى عنها زوجها لا سكنى لها فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر العدة فامسكوهن راجعوهن
ان شئتم بمعروف بحسن عشرة لئلا يؤدي الى فراق اخر او فارقوهن بمعروف بابقاء حق واتقاء ضرار
بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند الفراق والرجعة لانه ابعد
عن الريبة واقطع للنزاع امر ندب وعن الشافعي رحمه الله قول بالوجوب في الرجعة واقيموا
الشهادة لله ادوها من غير ميل ولا غرض ايها الشهود ذلكم المذكور من ايقاع الطلاق على وجه السنة
واحصاء العدة لله ادوها من غير والكف عن الاخراج واقامة الشهادة وقيل اشارة الى الاخير و
الاول اوجه لقوله يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر سيما اذا جعل ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب اعتراضا مؤكدا لتلك الامور وان كان الاوجه ان يكون استطرادا
دالا على ان التقوى ملاك الامر به يناط سعادة الدارين ويتناول امر الزوجين اول تناول
عن ابن اسحق ان عوف بن مالك الاشجعي اسر ابنه فشكى الى رسول الله الفاقة فامره بالصبر وكثرة
قول لا حول ولا قوة الا بالله فلم ينشب ان جاء ابنه وهو بالباب سار دهما ومعه سرح العدو قد
استاقها فنزلت ومن يتوكل على الله في امره فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره الذي يريده ولا يفوته
قرأ حفص بالاضافة قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او توقيتا لا يتقدمه ولا يتجاوزه وفي الحديث
يستجاب لاحدكم ما لم يستعجل يقول دعوت فلم يستجب لي واللائي يئسن من المحيض من نسائكم روى ابن
جرير عن ابي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عدد النساء لم تذكر في الكتاب
فنزلت والآيسة هي التي انقطع دمها لكبر السن واختلاف القراء في اللائي تقدم في الاحزاب
ان ارتبتم جهلتم وشككتم في عدتهن واللائي لم يحضن من الصغر فعدتهن واولات الاحمال طلقت او
توفي عنها زوجها اجلهن ان يضعن حملهن ذهب علي وابن عباس رضي الله عنهما الى ان عدة المتوفى
زوجها ابعد الاجلين من اربعة اشهر وعشر ومدة الحمل للتعارض من غير علم بتأخر احدهما وذهب
ابن مسعود رضي الله عنه الى ان هذه الآية ناسخة لآية البقرة في قدر ما تناولته من الحوامل وقال
من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى بعد التي في البقرة والعام المتأخر ناسخ للخاص المتقدم فاولى
اذا كان العموم من وجه ويؤيد قول ابن مسعود رضي الله عنه ما روى البخاري ومسلم ان سبيعة الاسلمية
كانت تحت سعد بن خولة توفي زوجها وهي حامل فوضعت بعده باربعين يوما فانكحها رسول الله صلى الله عليه
وسلم واما كون العموم هنا بالذات وهناك بالعرض وكون الحكم معللا مما لا يعد مرجحا ومن يتق الله يجعل له
من امره يسرا يسهل عليه امره ذلك امر الله انزله اليكم لتعملوا بموجبه ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته و

البذاء بالمد الفحش بالقول منه

صوابه شارفن

ثلثة اشهر

رد على القاضي ودكان اهل الاصول لم يذكروا في باب الترجيح ما ذكره منه

يعظم له اجراً يوم الجزاء ولقد بالغ في امر النساء بالحث على التقوى مراراً وذلك لضعفهن ونقصان عقلهن وما
يبدو منهن مما يوجب البغض والغضب وفي اخر خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيراً
خلقهن من ضلع اعوج ان ذهبت تقيمه كسرته اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ما تقدرون عليه الوجد الوسع
ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن فيحتجن الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن تعميم الاسكان
وتخصيص الانفاق باولات الاحمال دليل ظاهر للشافعي رحمه الله على ان المبانة لا نفقة لها وللحنفية ان هذا
مفهوم لا يعارض ما روى عثمان وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها السكنى والنفقة وفائدة التقييد
دفع وهم من يذهب الى ان المدة اذا زادت على اربعة اشهر وعشر لا يستحق الزيادة فان ارضعن لكم بعد
انقطاع النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع مقيد بغير اللباء الذي به البقاء غالباً وأتمروا بينكم
بمعروف انفقوا على امر الولد بلا مشاقة ولا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وان تعاسرتم تضايقتم
فسترضع له اخرى امرأة وفيه معاتبة للام وحث على المساهلة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه
رزقه فلينفق مما آتاه الله كل من الموسر والمعسر على قدر حاله لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها من المال
سيجعل الله بعد عسر يسراً وعد للفقراء بان الحال يتبدل كقوله ان مع العسر يسراً وحث على الانفاق بقدر
الطاقة وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحل بهم باس الله تعالى فخذوا حذركم بعد بيان جمل من
الاحكام اشارة الى ان اهل قرى كثيرة عاندوا واشتغلوا عن امتثال الاوامر قرأ ابن كثير كائن على وزن
فاعل فحاسبناها حساباً شديداً اهلكناهم لقوله صلى الله عليه وسلم من نوقش في الحساب هلك
وعذبناها عذاباً نكراً كالخسف والغرق فذاقت وبال امرها وخامة الامر الذي خالفته وكان عاقبة امرها
خسراً لا ربح فيه اعد الله لهم عذاباً شديداً يوم القيمة وقيل الحساب والعذاب يوم القيمة والتعبير
بالماضي كقوله ونادى اصحاب الجنة لان المترقب من وعده ووعيده كالكائن وقوله اعد الله لهم عذاباً
شديداً تكرار للوعيد فاتقوا الله بعد هذا البيان يا اولي الالباب العقول الخالصة الذين آمنوا
قد انزل الله اليكم ذكراً رسولاً الذكر القرآن ورسولاً بدل منه بدل اشتمال والمراد به جبرئيل او الشرف
فبدل كل ويجوز ان يراد محمد عليه السلام او نصبه بارسل مقدراً دل عليه الانزال وهذا هو المتبادر
ويدل عليه قوله يتلو عليكم آيات الله مبينات لان تلاوة جبرئيل عليهم تجوز وجعل الخطاب
شاملاً له وللمؤمنين تكلف ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي ليخرجكم والاتيان بالظاهر للاشارة
الى فائدة الارسال من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً قرأ نافع وابن عامر بالنون وهو الابلغ في الوعد
قد احسن الله رزقاً اي رزق فيه تعجيب الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن سبع ارضين
ايضاً روى البخاري عن سعيد بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غصب شبراً طوقه من
سبع ارضين وفي الحديث ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة في فلاة وحملها
على الاقاليم باطل يتنزل الامر بينهن اي قضاء الله بالاماتة والاحياء وسائر الاحكام لتعلموا ان الله
على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً علة لخلق او يتنزل او لمقدر يعمهما فان كل واحد يدل
على كمال القدرة تمت سورة الطلاق والحمد لله الملك الخلاق والصلوة على الكامل بالاتفاق وآله وصحبه
الى يوم التلاق

سورة التحريم مدنية اثنا عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اضطربت الروايات في سبب نزولها وما الذي اوجب تحريم ما احل وما
المحرم روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على زينب فشرب
عندها عسلاً فتواطأت انا وحفصة على ان ايتنا دخل عليها تقول نجد منك ريح مغافير وكان يكره الرائحة

المغافير جمع مغفور وهو البناء للجمع قليل وهو شوك له نور كالنحل

الكريهة فدخل على حفصة فقالت له ذلك فقال شربت عسلاً عند زينب وقد حلفت لا اعود اليه فلا تخبري
احداً وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها ايضاً ان التي سقته هي حفصة وعائشة وسودة رضي الله عنهما هما
اللتان تواطأتا وروى النسائي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصاب مارية في يوم حفصة في بيتها
فقالت اي رسول الله في يومي وفي بيتي فقال قد حرمتها فلا تقولي لاحد فذكرته لعائشة تبتغي مرضات
ازواجك حال او تفسير تبتغي زيادة تهجين او استيناف كانه قيل ما وجه العتاب وقد تقدمه في ذلك الانبياء
كقوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه فقيل لمثل مثل عن طلب مرضات النساء في ترك ما اباحه الله فالمنكر هو
الباعث لا التحريم والله غفور غفر لك ما تقدم وما تأخر رحيم اعطاك ما لم يعط احداً من العالمين قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم بينها لكم بشرعية الكفارة فاذا حلف احدكم على فعل ورأى غيره خيراً فليأته وليكفر او شرع
استثناء اليمين بان يقول في حلفه ان شاء الله واستدل به الامام احمد على ان من حرم شيئاً ثم فعله يلزمه
الكفارة وليس فيه دليل لما في رواية البخاري حلفت والله مولاكم متولي اموركم وهو العليم باحوالكم
الحكيم المتقن في احكامه فبادروا الى ما امرتم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه هي حفصة او سودة حديثاً
تحريم العسل او مارية وما قيل من ان الخلافة بعدي لابي بكر وعمر منكر فلما نبأت به واظهره الله عليه اطلعه
على افشائه عرف بعضه واعرض عن بعض عرف مقدار ما علمت اطلاعه عن الاستقصاء على ما هو دأب
الكرام وقرأ الكسائي عرف مخففاً اي جازاها على البعض اطلاقاً للسبب على المسبب كقوله وما تفعلوا من
خير يعلمه الله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا تعجباً لبنائها الامر على الكتمان بينهما قال نبأني العليم
بالاشياء الخبير بمواطنها ان تتوبا الى الله عائشة وحفصة او سودة فقد صغت قلوبكما اي حق لكما التوبة
لوجود موجبه وهو ميل قلوبكما الى مخالفة الرسول والتفت اليهما مكافحة زيادة في التوبيخ وان تظاهرا
عليه مرة اخرى وقرأ الكوفيون بالتخفيف بحذف احدى التائين فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
اي فلن يعدم مظاهراً من هذا نعته وهو الله ورئيس الكروبيين الذي تباشر عقاب المخالف وصالح المؤمنين
الذين هم اعوانه واتباعه والملئكة بعد ذلك ظهير عطف على قوله ان الله مولاه وما عطف عليه وفي
بعد ذلك دلالة على ان وجوه نصر الله له وان تنوعت اقواها نصرة الملئكة ومنهم جبرئيل لان افراده
بالذكر اولا لعلو شانه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجاً خيراً منكن عن انس رضي الله عنه ان عمر
رضي الله قال اجتمعت نساء النبي في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجاً خيراً منكن فنزلت
وقرأ نافع وابو عمرو ان يبدله بالتخفيف والتشديد ابلغ مسلمات منقادات او امر مؤمنات بان
مخالفته عصيان قانتات طائعات تائبات عن الذنوب عابدات متذللات الاخلاق سائحات
صائمات لما في الحديث سياحة امتي الصيام وقيل مهاجرات ثيبات وابكاراً ادخل الواو هنا دون
سائر الصفات لانهما متنافيان فلا بد من العاطف يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي
واهليكم ايضاً بان تأمروهم بالطاعات وتنهوهم عن المعاصي وفي الحديث كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
ناراً وقودها الناس والحجارة حجر الكبريت يتقد بهما كما يتقد غيرها بالحطب عليها ملئكة الزبانية تسعة عشر
غلاظ الاخلاق شداد القوى لا تأخذهم في تعذيب اعداء الله رأفة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون
ما يؤمرون في المستقبل او يتقبلون الاوامر ويأتون بموجباتها يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم تقال
لهم حين يساق بهم الى النار اذ لا عذر لهم او لانه لا يقبل الاعتذار انما تجزون ما كنتم تعملون جزاؤه يا ايها
الذين آمنوا توبوا الى الله بالاقلاع عن الذنب والندم على الماضي توبة نصوحاً النصح لغة خلوص كل شيء
يقال عسل صاف ناصح والنصوح صيغة مبالغة منه اي بالغة في الصفاء عن شوب ويجوز ان يكون
من النصح بفتح النون بمعنى الخياطة اصلاح الثوب بعد الخرق وفي الحديث من اغتاب خرق ومن استغفر رفا

فهي تنصح صاحبها او تدعو غيره الى التوبة لظهور آثارها على الاسناد المجازي وفسرها جار الله بالتيقن بالقلب و
الاستغفار باللسان والاقلاع بالجوارح والاستمرار على الترك وقرأ ابو بكر بضم النون مصدرا بمعنى ذات
خلوص عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار اردف التوبة النصوح بعسى
على آداب الملوك واشعارا بان لا وجوب بل تفضل منه يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه طرف
ليدخلكم ومعنى المعية الاجتماع في الايمان لا في الزمان نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم استيناف
للتعريض بمن ناواهم وقيل خبر للذين آمنوا وليس بوجه يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذا راوا نور المنافقين
قد انطفى يعتريهم الخوف على ما هو مقتضى البشرية وان كانوا جازمين بالاتمام والنجوة او هو قول من يكون
نوره ضعيفا فان الانوار على قدر الاعمال فيسئلون اتمامه تفضلا او يقولون ذلك على وجه التقرب والتلذذ
كساير الاذكار في الجنة يؤيده قوله واغفر لنا انك على كل شيء قدير اذ اعطاء النور انما هو بعد الغفران يا ايها
النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم بالحجة والسيف لان الرفق قد بلغ مداه ومأويهم جهنم وبئس
المصير مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله حالهم الكفار في عدم الانتفاع
بما لهم مع الانبياء والمؤمنين من العلائق صهرا ونسبا بحال المرأتين كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
ممتازين عن ساير العباد بالصلاح والزلفى فخانتاهما في الدين لا في الفجور لانها فراش النبي ولا عاد
عليه في كفرها فلم يغنيا عنهما من الله شيئا يسيرا من الاغناء وقيل ادخلا النار مع الداخلين الذين
لا علاقة بينهم وبين الانبياء وفيه تهديد للتين تظاهرا على رسول الله لا سيما افشت سره كامرأة لوط حين
دلت على اضيافه واشارة الى ان شرف صحبته انما يفيد زيادة الكرامة اذا نصحت لله ولرسوله وضرب
الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اعدى عدو الله هي آسية بنت مزاحم اذ قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة ومعنى عندك مرتفع الدرجة كقوله عند مليك مقتدر ونجني من فرعون وعمله من عذابه
والابتلاء بعمله قيل لما علم بايمانها هددها لترجع فابت وتدلها اوتادا فربطها وارسل عليها الحيات
ونجني من القوم الظالمين هم القبط اتباع فرعون ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها عطف على
امرأة فرعون جمع في المثل بين ذات الزوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وحثا لهن على المحافظة وتحصين
الفروج فنفخنا فيه في الفرج هو نفخ جبرئيل والاسناد اليه للتشريف من روحنا مخلوق بلا واسطة وصدقت
بكلمات ربها باحكامه او الصحف المنزلة عنها لقصرها وكتبه وقرأ غير ابي عمرو وحفص كتابه مفردا عبرها
على ارادة الجنس او الانجيل والمؤمن به حقا مؤمن بساير الكتب وكانت من القانتين من جملة العابدين
غلب المذكر اشارة الى ان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكمل والجواز ان يكون من ابتدائية لانها كانت
من اعقاب هرون فتكون مدحا لها بشرف النسب بعد مدحها بكرم الحسب روى مسلم والبخاري رحمهما الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم
ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام وفيه دليل ظاهر
على ان عائشة افضل النساء على الاطلاق ولان الرفعة وعلو الشان انما هو بالعلم ولم يدانيها كثير من
الرجال فضلا عن النساء تمت سورة التحريم والحمد لمن فضله عميم والصلوة على النبي الكريم وآله وصحبه ذوي
الفضل الجسيم

سورة الملك مكية وهي ثلثون آية وتسمى الواقية والمنجية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك تعالى وكثر خيره ودام من في قبضته الملك المطلق ذكر اليد معه مثل لاستغنائه
عن الكل وافتقار الكل اليه وهو على كل شيء قدير ما يصح ان يكون كان او لم يكن مما يطلق عليه اسم الشيء كالدليل
على تلك الاحاطة والاستغناء والافتقار الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة واعدمها قدم
الموت لانه اقوى شيء داعيا الى العمل وفي الحديث كفى بالموت واعظا وفيه اكثروا ذكر هادم اللذات

ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعاملكم معاملة من يبلو ويختبر وايكم احسن عملا الجملة في محل النصب مفعول
ثان للبلوى المتضمن معنى العلم وليس من باب التعليق لانه مشروط بايقاع الجملة موقع المفعولين وقد تقدم
المفعول الاول الاستفهام فانتفى الشرط روي مرفوعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احسن
عملا اتم عقلا عن الله واورع عن محارمه واسرع في طاعته وهو العزيز الغالب الغفور للذنوب ترهيب
وترغيب للعاصي في التوبة الذي خلق سبع سموات طباقا بعضها فوق بعض مصدر طابق النعل وخصف
بعضها فوق بعض ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي في خلقهن صفة مقوية لطباقا وانما اقام
الظاهر مقام المضمر تعظيما ودلالة على ان سبب سلامتها صدورها من الموصوف بنهاية الرحمة واشارة
الى ان كونها مبدعة على تلك الصفة كما دل على كمال الاقتدار تحته من جلايل النعم ما لا يحصى وقرأ
حمزة والكسائي من تفوت عن سيبويه وابي زيد انهما بمعنى كتعاهد وتعهد فارجع البصر ثانيا لان النظر
الثانية الاولى حمقاء هل ترى من فطور من شقوق جمع فطر كبدر وبدور ثم ارجع البصر كرتين ثم
بعد النظرة الثانية داوم على النظر متفحصا احوالها ملتمسا خللا التثنية للتكرير مثل لبيك ينقلب اليك
البصر خاسئا وهو حسير بعيدا كالمطرود عن وجدان الخلل كليلا اذا تعب في الطلب ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح هذا ادل على كمال الاقتدار من كونها ملساء مستوية والمصابيح النجوم المضيئة في السقف المرفوع
كالسرج في سقوف البيت والدنو بالنسبة الى من في الارض وكونها دنية لها لا يقتضي ان يكون مركوزة
فيها وجعلناها رجوما للشياطين بانفصال الشهب منها كالنار المقتبسة وعليه يحمل انقضاض الكوكب
في الحديث واشعار العرب لان كونها دنية السماء يقتضي استمرارها وقيل جعلناها رجوما اي ظنونا لشياطين
الانس اي منجميهم التي يرمون بها الغيب جمع رجم بالفتح مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب
السعير في الآخرة مستطر لذكر الشياطين وللذين كفروا بربهم بعد هذه الدلايل النيرة عذاب جهنم وبئس المصير
جهنم او عذابه اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمار اما منها او ممن تقدمهم وهي تفور فوران
المرجل تكاد تميز من الغيظ تمثيل لشدة اشتعالها وامتلائها بالنار او الخلق الله فيها ادراكا كما عليه ظواهر
النصوص كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير ينذركم عذاب اليوم سؤال توبيخ قالوا
بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء قط ان انتم الا في ضلال كبير كلام الكفار للنذير
لانه مصدر وصف به الجمع مبالغة في انذارهم كرجل عدل او نذر مضاف اي اهل انذار او من كلام
الخزنة على طريق حكاية ما كانوا عليه او الضلال الهلاك او سمى عقابه باسمه وقالوا لو كنا نسمع كلام
الرسل سماع تفهم وتدبر او نعقل بتامل آيات الآفاق والانفس ونستدل بها على ان الانسان لم يخلق
سدى ما كنا في اصحاب السعير في جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفع الاعتراف فسحقا لاصحاب
السعير بعدا لهم اي اسحقهم الله اسحاقا حذف منه الزايد كانبت نباتا وقرأ الكسائي بضم الحاء
على انها لغة ان الذين يخشون ربهم ذكر الكفار كان بالعرض لان الذي سيق له الكلام بيان حال
من هو احسن عملا كانه قيل ماذا حال من سبق الكلام فاثبت لهم كمال العلم الذي اشير اليه بقوله
انما يخشى الله من عباده العلماء وكمال التقوى بقوله بالغيب بالغايب عنهم او غايبين عنه او بالغائب
المخفي وهو القلب لهم مغفرة لما فرط منهم واجر كبير لا يسعه تصورهم واسروا قولكم او اجهروا به
خطاب عام كما في ليبلوكم اي اتقوا في السر والعلن لاستوائهما في علمه حث للخاشي على الاستدامة والترقي
الى حق الخشية وللغافل المغتر على الانابة ويجوز ان يكون التفاتا الى اصحاب السعير لما روي ان المشركين
كانوا يقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنجز انه عليم بذات الصدور بضمائرها فضلا عن
الصادر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الاشياء كلها وهو اللطيف

وفي الحديث اشتكت النار الى ربها فقالت رب
اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الصيف
ونفس في الشتاء منه

الدقيق في صنعه و في حكمته في كل شيء الخبير ببواطن الاشياء و حذف المفعول من خلق للتعميم ولا يجوز ان
يكون من قبيل يعطي و يمنع لارتباطه بما تقدم من حديث السر فلا بد من ملاحظة المفعول و يجوز ان يكون من مفعولا
و في يعلم ضمير الرب اي لا يعلم الله مخلوقه و هذا شانه والاول اوجه لاقامة الظاهر مقام المضمر ولكونه ادل
على المحذوف ولعموم المقدر المتناول لما ولا اوليا هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم سلوكها
فامشوا في مناكبها في جوانبها مثل في فرط التذلل لان منكب البعير ارق شيء فيه وانباه عن وطي الراكب
بقدمه فاذا ذلل ذلك فقد بلغ التذليل غايته وقيل مناكبها جبالها فالاستعاره في لفظ المنكب وكلوا من رزقه
ما اخرج منها اقواتا وثمارا واليه النشور فاجتهدوا في الشكر فانه يسئلكم عنها ءامنتم من في السماء ملكوته
وسلطانه او نفسه على زعم جهلة العرب وقيل الملك الموكل بالعذاب وليس برضى ان يخسف بكم الارض كما
خسف بقارون مقابل لقوله فامشوا بدل اشتمال من من فاذا هي تمور تضطرب في ذهاب ومجي من هيبة
الله وشدة غضبه ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ريحا فيها الحصباء والاحجار كقوم لوط مقابل
لقوله و كلوا من رزقه ولقوله و في السماء رزقكم فستعلمون كيف نذير اذا شاهدتم المنذر به ولقد كذب
الذين من قبلهم قبل قريش فكيف كان نكير انكاري بالانتقام و قد شاهدوا اثاره و تواتر عندهم خبر ما
لم يشاهدوه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو فانها اذا بسطت الاجنحة
صفت القوادم ويقبضن لم يقل قابضات لان الطيران كالسباحة الاصل فيه المد والقبض تارة وتارة و
الفعل دال على التجدد والحدوث ما يمسكهن الا الرحمن بليغ الرحمة بان خلقها على وضع وهيئة يمكن بها من
الطيران بان جعل لها القوادم تشق بها الريح والخوافي تشدها والاذناب تقيمها كما في السفن انه بكل شيء
بصير عليم عيانا لا يخفى عليه شيء مما يدهش الفطن و في ذكره عقيب الخسف وارسال الحاصب اشارة الى
ان من هذا شانه ذلك اهون شيء عنده وايماء الى ان دافع العذاب عن هؤلاء مع موجباته وتكامل اسبابه
منهم انما هو ملك الرحمة البالغة التي امسكت الطير في الهواء امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من
دون الرحمن متعلق بحديث الخسف لان قوله ولقد كذب الذين من قبلهم اعتراض يشد من عضد التحذير
وكذا قوله اولم يروا تصوير لقدرته الباهرة والمعنى ام الذي يقال فيه هذا الذي هو جند لكم انكم من عذاب الله
على ان ام منقطعة والاستفهام تهكم والمشار اليه اما فوج مقدرا واصنامهم من مبتدا و هذا خبره والموصول
صفته هذا وينصركم وصف لجند على اللفظ ان الكافرون الا في غرور مستغرقون في الغفلة امن هذا الذي
يرزقكم اي ام الذي يقال فيه هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه اي الله تعالى بامساكه اسبابه من المطر
والانبات متعلق بارسال الحاصب بل لجوا في عتو تمادوا في العناد ونفور واعراض وهذا ادل
على اغراقهم في الكفر من قوله الا في غرور كان توهم الرزق من الاصنام او من فوج مقدر ابعد من
تخيل النصر منها افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب وعدوه من النوادر لان القياس
كون المجرد مطاوعا للمزيد وقيل ليس من ذلك بل المعنى صار ذا كب كاعذ البعير ومعنى مشيه مكبا على وجهه
يقع تارة ويقوم اخرى لكونه ماشيا في عز الطريق اولكونه اعمى لا ابصار امن يمشي سويا على صراط
مستقيم هذا مثل ضربه للكافر والمؤمن فان الكافر في ظلمات الشبه والشكوك كمن لا يرى جهة قصده
او يسلك نكانا وعر افهو بين قيام وسقوط والمؤمن في نور ايمانه كمن يرى مواطئ قدميه او كمن سلك
طريقا جادة سهلة السلوك وان شئت شبهت الدينين بالمسلكين قل هو الذي انشأكم من تراب
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة آلات الادراك واي بعد ابعد ما بين التراب وهذه الامور قليلا
ما تشكرون بصرفها الى ما خلقت له فلا سمعتم سماع تفهم ولا نظرتم نظر اعتبار ولا تدبرتم في دلائل
الانفس والافاق قل هو الذي ذراكم في الارض بثكم فيها متمكنين من اي تصرف شئتم واليه تحشرون للجزاء

فتميزوا له ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او العذاب كالخسف وارسال الحاصب ان كنتم صادقين الخطاب له
ولمن امن به قل انما العلم عند الله لا يعلم ذلك غيره وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة الضمير للموعود وعبر عنه
بالماضي لتحقق وقوعه سيئت وجوه الذين كفروا ساءها رؤية العذاب وغشيها القترة وقيل هذا الذي كنتم به
تدعون تستعجلون من الدعاء والباء صلة او تدعون ان لا بعث من الدعوى فالباء سببية قل ارايتم ان اهلكني
الله اماتني ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتاخير الاجال فمن يجير الكافرين من عذاب اليم كانوا يتمنون هلاكه
كما قال الله تعالى نتربص به ريب المنون اي ان اهلكنا الله كما تتمنون انتم او رحمنا بالنصر عليكم كما نرجو نحن لا
مجير لكم من عذاب الله او نحن هداتكم ودعاتكم الى النجاة فان اهلك الله هداتكم كما تتمنون او رحمهم عكس ما تتمنون فمن
يجيركم او نحن مؤمنون وحالنا دائر بين الاهلاك بالذنب والرحمة بالايمان فماذا حالكم مع كفركم وعلى
الوجوه من ايقاع المظهر موضع المضمر قل هو الرحمن امنا به فيجيرنا من عذابه ولم نكفر مثلكم وعليه توكلنا
لا على العدد والعدد مثلكم فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم من كلام المنصف وقرا الكسائي
بياء الغيبة قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض فمن ياتيكم بماء معين جار او سهل الماخذ
فان لم تعبدوه للحيوة الباقية فاعبدوه للفانية فالكل منه واليه يرجع الامر كله فاعبدوه وتوكل عليه
تمت سورة الملك والحمد لمن بيده البقاء والهلاك والصلوة والسلام على خير الانام وآله وصحبه الى
يوم القيام

سورة ن مكية وآيها ثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ن اسم السورة او من حروف الهجا كما في نظائره وقيل اسم الحوت الذي عليه الارض المسمى
بالبهموت وقيل اسم اللوح الذي كتب فيه القلم ما هو كائن وقيل اسم الدواة وفي الكل بعد اذ الوجه
فلم تسكن سكونا آخر فليكن كذلك اذا جعل اسم الدواة او اللوح قلت قد سبق ان الحكاية في هذه الحروف
انما يصح اذا كانت اسماء للسور للحظ معانيها الاصلية اقتصاصا لمن تحدى بها واقرب الوجوه ان يكون اسما
للدواة التي كتب منها القلم الكائنات وسكونه اجراء للوصل مجرى الوقف والقلم هو الذي خلقه الله اول
او جنسه اقسم به لشرفه لانه اله لكتابة وحيه وحكمه وما يسطرون ما يكتبه من كتب من المعارف او الحفظة
من الاعمال ويجوز ان يكون ما مصدرية وان يراد بالقلم اصحابه وهم كتاب وحيه وحملة شرايعه اقسم
بهم وبمسطوراتهم او سطرهم وكتابتهم ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما
عليك بالنعم من رزانة الراي وحصافة العقل على ان الجار والمجرور حال من المستكن في بمجنون وهو العامل
فيه والباء فيه زائدة فلا يمنع العمل فيما قبله وان لك لاجرا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ
او خاليا عن المنة والمعنى ان لك عندنا من الزلفى والمكانة زيادة على اجر صبرك على اذاهم ما لا يستحق
الاجر ان يمن به عليك وقيل ممنون من الناس لانه من عطاء ربك وانك لعلى خلق عظيم وبه استوجب
تلك الرتبة العظمى وعن قتادة رحمه الله قلت لعايشة رضي الله عنها اخبريني عن خلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وكذا عن سعيد بن هشام رحمه الله تعالى اشارت الى قوله خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو ان نعته في التورية محمد عبدي سميته
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا يجازي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
كان رسول الله اجود الناس صدرا واصدقهم لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة من راه بديهة هابه ومن
خالطه احبه فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اي ايكم الذي فتن بالجنون الباء زائدة او المفتون مصدر
كالمعقول او الباء بمعنى في اي في فريق منكم يوجد من يستحق هذا الاسم والخطاب وان كان معه الا ان امته
داخله تبعا وهذا اوجه الاوجه لاشتماله على التعريض مع سلامته عن استعمال النادر ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله اي بالمجانين وهو اعلم بالمهتدين العقلاء اشار الى ان الجنون والعقل بهذا الاعتبار لا بما

توهموا فهم في هذا الزعم مجانين ويجوز ان يكون وعيدا ووعدا اى اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين
كانوا يدعونه الى عبادة الاصنام وفيا يدعوه من غوائلهم او يعبد وما يعبده وفيا ودوا لو تدهن تلين لهم
فيدهنون فيلينون لك الفاء للعطف اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او السببية اى ودوا ادهانك
او ودوا ادهانك فهم الآن تدهنون طمعا فيه ولا تطع كل حلاف كثير الحلف وفي جعله فاتحة المثالب
واسام القبايح دلالة على انه شر الخصال وذلك لانه يدل على عدم استشعار عظمته تعالى مهين حقير هماز
عياب من الهمز وهو الكسر مشاء بنميم النميم والنميمة نقل الحديث لايقاع الفتنة وافساد ذات البين
مناع للخير شديد البخل والخير المال او اهله من الخير وهم الايمان ذكر الممنوع منه دون الممنوع عكس
الوجه الاول لان عدم ذكر الممنوع منه هناك اوقع معتد ظالم متجاوز الحد اثيم كثير الاثم عتل جاف
غليظ من عتله اذا قاده بعنف بعد ذلك زنيم بعد ما ذكر من المثالب دعي لا نسب له وهذا كما اذا
عددت مثالب انسان ثم تقول وبعد ذلك لا يحب ابا بكر وعمر رضي الله عنهما والزنيم شاة له زنمة
وهي ما تقطع من اذنها من غير فصل فتتدلى قيل هو الوليد بن المغيرة استلحقه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده
وقيل بغت امه فولد من الزنا وقيل هو الاخنس بن شريق كان من ثقيف وعداده في زهرة وليس
بصواب لانه اسلم معدود في الصحابة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين
متعلق بقوله ولا تطع اى لا تطعه بعد هذه المثالب لكونه ذا يسار وحظ من الدنيا او بما دل عليه ما بعد
من معنى التكذيب لا بقال لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله اى كذب بآياتنا لان كان مستظهرا بالمال
والبنين مغرورا بهما قيل كان له عشرة من البنين وله مال وافر ويقول من آمن بمحمد سعت ديذى وقرا حمزة
وابو بكر بالاستفهام انكار الطاعة له لكونه ذا مال وكذا ابن عامر الا انه سهل الثانية بزيادة الف بينهما
لهشام ولابن ذكوان بين بين سنسمه على الخرطوم الوجه اشرف الاعضاء انه سهل الثانية بزيادة الف وانه
الاعضاء واشرف اجزاء الوجه الانف والعرب على ان الشرف نظرت في الانف يقولون فلان به شمم والعقوم
شم العرانين وفي وصفه صلى الله عليه وسلم اشم العرنين فالكي على الانف اهانة واذلال يجوز ان يكون
حقيقة او كناية عن الاذلال والتعبير عنه بالخرطوم زيادة تشويه لانه لا يستعمل الا في الفيل والخنزير
وما قيل انه خطم يوم بدر فبقي سمة على خرطومه سهو لان الوليد مات قبل بدر والعبد منه ما نقل عن
النضر بن شميل ان الخرطوم هو الخمر ومعناه سنحد على شربها انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اى انا اختبرنا
اهل مكة بارسال محمد نعمة عليهم فلما كفروا به سلطنا عليهم القحط كما اختبرنا اصحاب الجنة عن سعيد بن
جبير ان هؤلاء كانوا من قرية يقال لها ضروان من قرى صنعاء وكان ابوهم ذا بر واحسان على الفقراء
كان ياخذ من غلة بستانه هذه قوت سنته ويصرف الباقي على الفقراء والمحاويج فقال بنوه ان فعلنا ما
كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن ذووا عيال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين داخلين في الصباح
قبل ان يعلم بذلك الفقراء ولا يستثنون في ايمانهم لم يقولوا ان شاء الله بل بتوا القول وجزموا به وانما سمي الشرط
استثناء لانه يؤدي مؤداه في الاخراج فطاف عليها على الجنة طائف بلاء من الطوفان من ربك مرسل
من عند الله وهم نائمون لا علم لهم بذلك فاصبحت كالصريم كالمجدود تارة من الصرم والقطع او كالليل
المظلم محترقا والليل الابيض المقمر فان الصرم من الاضداد او كالرمل المنصرم او كالى اصابها الصرام
وهي الداهية ان اغدوا على حرثكم ان مفسرة واستعمال فتنادوا مصبحين نادى بعضهم بعضا مصبحين ان
اغدوا على حرثكم ان مفسرة واستعمال الغدو بعلى لتضمينه معنى الاقبال ولان الغدو للصرام استيلاء وهو
والاستعلاء من واد واحد ان كنتم صارمين على الوجه الذي عزمتم عليه فانطلقوا وهم يتخافتون يتكلمون
الحديث ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي

عن تمكينه

عن تمكينه كقوله لا اريتك هنا وغدوا على حرد قادرين الحرد المنع يقال حاردت السنة اذا منعت المطر
والابل اذا انجلت بالدر اى غدوا عازمين على المنع حال كونهم قادرين على الخير او غدوا على محاردة
جنتهم ومنع خيرها يدل كونهم قادرين على اصابة خيرها وقيل الحرد السرعة يقال قطا حراد اى سراع
اى ذهبوا على وجه السرعة لئلا يدركهم المساكين وقيل الحرد القصد اى غدوا قاصدين الصرام قادرين على
ذلك من عند انفسهم حال مقدرة وقيل الحرد اسم بستانهم فلما راوها على تلك الحالة قالوا انا لضالون طريق
جنتنا قالوه قبل فلما استيقنوا الامر قالوا بل نحن محرومون حرمنا خير جنتنا لجنايتنا على انفسنا قال
اوسطهم اى خيرهم رايا الم اقل لكم لولا تسبحون اى تستثنون لبناء في الاستثناء والتسبيح في التعظيم
فاستعمل مكانه وعن الحسن لولا تصلون فان الصلوة تنهى عن الفحشاء او لولا تذكرون الله وتتوبون اليه
كانه نصحهم على خبث نيتهم فلم يطيعوه قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين في القصد الى حرمان المساكين
قالوه بعد خراب البصر واتساع الحرف على الراقع فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون كل منهم يقول للآخر
انت السبب ولان بعضهم قاله وبعضهم رضي به وبعضهم كف فلم يطيعوه قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
فلذلك اصابنا البلاء عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها كما هو شانه مع التائبين انا الى ربنا راغبون في
العفو ومحو الجريمة واضافه الخير والظاهر ان الله تعالى قبل توبتهم لوقوعها في الدنيا كذلك العذاب
اى مثل ما بلوناه اهل مكة واصحاب الجنة العذاب الواقع في الدنيا وقد اوجز في التمثيل باصحاب الجنة
ان اهل مكة اولى بالبوار والنكال لان القصد الى حرمان المساكين اذا افضى بهم الى ما ذكر فكيف
بمن عاند الحق وكذب اشرف الرسل وقطع الرحم التي اوصى الله تعالى بصلتها ولعذاب الآخرة اكبر من عذاب
الدنيا لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم لعلموا ذلك ولاخذوا حذرهم ان للمتقين عند ربهم في جوار
قدسه جنات النعيم جنات ليس فيها الا النعيم تعريض بجنات الدنيا فان الغالب فيه التعب والنكد
وحسن موقعه بعد ذكر اصحاب الجنة المذكورة وذكر حالها افنجعل المسلمين كالمجرمين قال مقاتل كانوا
يقولون ان لم تكن في الآخرة احسن حالا من المسلمين فلا اقل من المساواة قياسا على حظوظ الدنيا ما لكم
ما حصل لكم من الخلل كيف تحكمون هذا الحكم الذي لا يصدر عن ذي مسكة وفي الاستفهام مبالغة في
التعجيب من سفاهتهم ام لكم كتاب فيه تدرسون بما فيه علم تام ان لكم فيه لما تخيرون تختارونه وتشتهونه
وكان الظاهر فتح ان لانه مدروس وانما كسر لوجود اللام او هو على الحكاية كقوله وتركنا عليه في الآخرين
سلام على نوح ولا تقدح في هذا تكرير فيه لكونه على سؤال وقد قرأت الكشاف ان في الكشاف لفوائد
وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا يقال لفلان علي يمين اذا حلفت له على امر تضمنه له بالغة
متناهية في التغليظ جمع اليمين واكده لفرط اعتمادهم الى يوم القيمة غاية للثبوت المقدر في الظرف
اى ثابتة ذلك اليوم كالاجل للدين فاذا وفينا بالمقسم عليه خرجنا عن عهدتها او مبالغة على معنى انها مستمرة
الى ذلك اليوم لا نخل منها يمين ولم يبطل حتى يحصل المقسم عليه ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم
ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم كافل باثبات ما ذكر ام لهم شركاء في هذه
العقيدة فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم انه لا يوافقهم عاقل فقد الحسم مادة
الشبه عقلا ونقلا يوم يكشف عن ساق منصوب بفليأتوا او باذكر او بمقدر اى يكون كيت وكيت
الكشف عن الساق والتشمير عنها جرى مجرى المثل عن شدة الامر واستعمله البلغاء حيث لا تصور ساق
قال جرير الا رب سامي الطرف من آل مازن اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا واصل هذا ان الرجل
اذا وقع في امر عظيم شمر عن ساقه ولا ينافي ما رواه البخاري عن ابي سعيد انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان في الدنيا

يسجد رياء فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا اذ عند الاشتداد والفزع الاكبر يتجلى للمؤمنين بصفة الجمال
وهذا انما يكون بعد ذهاب اهل الدنيا ولم يبق الا المؤمنون وبينهم المنافقون فارادوا النفاق كما في الدنيا
فافتضحوا وهذا معنى قوله ويدعون الى السجود فلا يستطيعون لا ان هناك دعاء صريحا وتكليفا خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة تغشاهم وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون من العوائق فذرني
ومن يكذب بهذا الحديث اى كله الى فانا اكفيكه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انه استدراج بان نفيض
عليهم الرزق والعافية فيحسبونه ايثارا لهم وتفضلا على المؤمنين فيتمادون في الضلال والاستدراج
استنزال الشخص درجة بعد درجة حتى يتورط في الهلاك واملي لهم اى اطيل لهم المدة ليزدادوا اثما
ان كيدي متين قوى وانما سمي احسانه استدراجا وكيدا لانه في صورته ام تسئلهم اجرا متصل بقوله
ام لهم شركاء وما في البين اعتراض ترغيبا للسامعين في البدار قبل فوت الوقت فهم من مغرم مثقلون
فلذلك يعرضون ام عندهم الغيب اللوح الذى هو خزانة المغيبات فهم يكتبون منه فهم يستغنون به
عنك وعما جئت به فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم الى وقت معلوم ولا تكن كصاحب الحوت هو يونس
بن متى اذ نادى وهو مكظوم في بطن الحوت ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين والمعنى
لا تكن مكظوما اى مملوا غيظا على عدم ايمان قومك مثله فالمنهى عنه مشابهته اياه في الكظم ولما كان
موهما بنوع الخطاطة قال لا تفضلوني على يونس بن متى اذ كان غضبه لله وان لم يكن من عزم الامور لو
لا ان تداركه نعمة من ربه رحمة منه او توفيقه اياه للتوبة لنبذ بالعراء وهو مذموم اى امتنع نبذه بالعراء
مذموما لوجود التدارك فالمعتمد في جواب لولا هو الحال لا النبذ لوجوده والعراء الفضاء الذى لا اساتر له
فاجتباه ربه بعد الانابة فجعله من الصالحين من عداد الانبياء وقيل ستنبأه وهو خطأ فاحش
وكذا القول بنزول الاية حين اراد ان يدعو على المؤمنين الذين انهزموا يوم احد لان السورة من اوائل
ما نزل بمكة وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ذلقه وازلقه بمعنى ازاله عن مكانه وصفهم
بالمبالغة في العداوة كانها سرت من القلب والجوارح الى النظر فصار يعمل عملها واليه اشار من قال
وسقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزيل مواطئ الاقدام وقيل العين كان في بنى اسد وكان يتجوع منهم
رجل ثلثة ايام فلا يمر به شئ يقول لم اركاليوم مثله الا عانه فارادوا فعله برسول الله فوقاه الله بعناية
وعن الحسن ان هذه الاية رقية العين من خاف من اصابة العين فليقراها وروى امام احمد بن حنبل عن
ابن عباس رضى الله عنهم لو كان شئ سابق القدر لسبقته العين والاخبار في حقية العين متواترة
المعنى ومن شاهد تاثير المغناطيس في جذب الحديد لم يستبعد تاثير العين وقرا نافع ليزلقونك بفتح الياء
وهى لغة والضم اشهر لما سمعوا الذكر القران الذى هو شرف لهم ويقولون انه لمجنون ولذلك خالف
كلامه اساليب كلام العرب وما هو الا ذكر للعالمين عظة لكل ذى عقل من الملئكة والثقلين او شرف
لمن حفظه وعمل بما فيه كائنا من كان وهذا ابلغ من قوله وانه لذكر لك ولقومك تمت سورة ن
والحمد لمن اجر غير ممنون والصلوة على خير الخلق الى يوم يبعثون سورة الحاقة مكية وانها احدى
وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة من اسماء يوم القيمة اى الساعة
الثابتة التى لا ريب في ثبوتها او التى فيها ثوابت الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازى وكذا
ان فسرت بما يحق فيها الامور وتعرف على الحقيقة ما الحاقة ما حقيقتها الجملة خبر الاول والاصل ما هى
تعظيم وتهويل لها ووضع المظهر مقام المضمر زيادة ومبالغة واكد ذلك بقوله وما ادريك ما الحاقة
اى لم تحط علما بكنهها وكل شئ قدرته في نفسك فهى اقطع من ذلك وما الاستفهامية علق عنها
الفعل ولما هول امرها بما لا مزيد عليه اردفه بذكر المكذبين بها وما حل بهم وادخلهم في الاخرة

تحذيرا لاهل مكة كذبت ثمود وعاد بالقارعة من اسمائها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال
والجبال بالدك والسماء بالانفطار والارض بالزلزال وهذا تهويل اخر حيث لم يعبر عنها بالضمير
ولا بالمظهر المذكور فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة عن الحد في الفظاعة وهى الصاعقة
لقوله فاخذتهم صاعقة العذاب ويجوز ان يكون معها الصيحة والرجفة كما يحاصر مع الخسف في قوم لوط
وقيل مصدر كالعاقبة ولا يلائم قوله واما عاد فاهلكوا بريح لان الاية من قبيل الجمع والتفريق والحذ
لا يناسب العين صرصر شديدة الصوت لها صرصرة في هبوبها او من الصر وهو البرد كانها التى كرر فيها البرد
عاتية على قوم عاد فلم يقدروا على دفعها وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه عتت على خزانها فخرجت بغير
حساب سخرها عليهم سلطها سبع ليال وثمانية ايام استيناف لبيان الكمية بعد الكيف لتكامل حسوما
حاسمات كل خير جمع حاسم كشهود جمع شاهد والحسم ازالة اثر الشئ ومنه الحسم للكى المستاصل للداء او متابعة
هبوب الريح حتى استاصلتهم كان كل هبة كية ويجوز ان يكون مصدر الفعل مقدر اى يحسم حسوما اى يفرق
بينهم تفريقا شديدا لا اجتماع بعده لكمال النحوسة فترى القوم فيها في مهابها صرعى ملقى على الارض
كالاخشاب اليابسة قيل كانت من صبيحة الاربعاء الى غروب وسميت ايام العجوز لان عجوزا توارت
في سرب فوجدها الريح في اليوم الثامن وقيل ايام العجز وهى اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر
والامر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر كانهم اعجاز نخل خاوية اصول نخل متاكلة الاجواف فهل
ترى لهم من باقية بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله قبل فرعون وقرا ابو عمرو
والكسائى قبله بكسر القاف اى اتباعه والاول ابلغ واشمل اذ ذكر فرعون دل على اتباعه والمؤتفكات
قرى قوم لوط والاسناد مجاز بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة ذات الخطأ او بالافعال الخاطئة مجاز
في الحكم فعصوا رسول ربهم كل منهم رسولهم فاخذهم اخذة رابية شديدة لعظم جرمهم من ربا الشئ
زاد انا لما طغى الماء على الخزان يوم الطوفان او جاوز الحد حملناكم في الجارية في السفينة وذكرها
باسم الجارية تصوير لاظهار القدرة اذ لم يكن لها مجر ولا نوتى بل كان باسم الله مجريها ومرسيها لنجعلها
لكم تذكرة تلك الفعلة موعظة وتعيها اذن واعية من شانها الوعى يقال وعيته اذا حفظته في نفسك
واوعيته اذا حفظته في وعاء اخر والتنكير للدلالة على قلة الاذن الموصوفة وان واحدة منها اذا
وجدت كانت بمثابة السواد الاعظم وقرا نافع بسكون الذال وعن على رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سئلت الله ان يجعل اذنك واعية قال فما نسيت بعد ذلك شيئا وما كان لى
ان انسى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وهى النفخة الاولى نفخة الفزع وبعدها نفخة الصعق وبعدها
نفخة القيام وابتداء خراب العالم وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ضربت احديهما على
الاخرى بالقدرة الكاملة فصارتا كثيبا مهيلا كما تضرب احدى البيضتين على الاخرى فيومئذ وقعت
الواقعة قامت القيامة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية مسترخية والملك على ارجائها جنس
الملك على اطرافها جمع رجا مقصور ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فان الحملة اليوم اربعة
فاذا كان ذلك اليوم امدوا باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله وروى ابو
داود في سننه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذن لى ان احدثكم عن ملك من حملة العرش
ما بين شحمة اذنه الى عاتقه سبعمائة عام واذا نطق القران بامر ممكن ووافقه الاحاديث فلا وجه
للتاويل والعدول عن الظاهر يومئذ تعرضون العرض انما يكون بعد النفخة الاخيرة والكلام في النفخة
الاولى لان اليوم اريد به الزمان المتسع روى الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يعرض
الناس يوم القيمة ثلث عرضات عرضتان جدال ومعاذير والثالثة تطير فيها الصحف لا تخفى منكم

خافيه سريره والمراد من العرض اظهار المعدله واخزاء الجاحدين على رؤس الاشهاد وقرا حمزه والكسائى بالياء
وحسن لوجود الفصل فاما من اوتى كتابه بيمينه تفصيل للعرض روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه ان
رسول الله قال يدنى الله المؤمن يوم القيمه فيقرره بذنوبه حتى اذا راى انه قد هلك يقول له قد سترتها
عليك فى الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته بيمينه واما الكافر فيقول الاشهاد
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه يقوله لكل من رآه فرحا
وهاء وجمع هاء بالف بعده همزه نصريف الكاف ومعناه خذ اسم فعل تنازع هاؤم واقرؤا فاعمل الثانى
لقربه على ما اختاره البصريون والا لقيل اقرؤه انى ظننت انى ملاق حسابيه ايقنت وانما عبر عنه بالظن
دلاله على ان هواجس النفس وخطراتها مما لا ينفك عنه العلوم النظريه لا تقدح فى الاعتقاد فهو فى
عيشة راضيه ذات رضا كلابن وتامر فان النسبه كما يكون بالحرف يكون بالصيغه او راض صاحبها
على المجاز فى جنة عاليه فوق السماء السابع سقفها عرش الرحمن او عاليه قصورها واشجارها بدل
من عيشه او خبر بعد خبر قطوفها جمع قطف بالكسر من القطاف وهو تقارب الخطى فى سرعة
دانيه تجتنى من غير تعب دانيه منا ولها القاعد والمضطجع كلوا واشربوا على تقدير القول هنيئا اكلا
وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا بما اسلفتم من الاعمال فى الايام الخاليه الماضيه فى الدنيا واما من
اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما يرى من سوء الحال يا ليتها
الموته الاولى كانت القاضيه القاطعه فلم ابعث بعدها او يا ليتها دامت يرى من الشده ما يعد
مرارة الموت حلاوة عندها ما اغنى عنى ماليه شيئا من الاشياء او اى شىء اغنى على ان ما استفهام
انكارا هلك عنى سلطانيه ملكى وتسلطى على الاموال والحشم قرا حمزه فى الوصل بدون الهاء فى الموضعين
وهذا هو الاصل لانها هاء السكت ولا سكت فى الوصل ومن اثبتها اجرى الوصل مجرى الوقف اتباعا
للرسم خذوه امر من الله للخزنه فغلوه اجعلوه فى الغل ثم الجحيم وهى النار العظمى صلوه لا غيرها
يقال صليته النار ادخلته اياها ثم فى سلسله ذرعها سبعون ذراعا المراد منه الكثره كقوله ان تستغفر لهم
سبعين مرة فاسلكوه اى لا يسلكوه الا فى السلسله الموصوفه ومعنى سلكه فيها ان تلف عليه مع ذلك الطول
المفرط مبالغه فى التضيق عليه وثم فى الموضعين للتفاوت بين ما دخله وما تقدمه انه كان لا يؤمن
بالله تعليل على طريقه الاستيناف العظيم اى ذلك العظيم لكفره بالعظيم ولا يحض على طعام المسكين فيه مبالغتا
ذكره قرين الكفر وترك الحض دون منع الطعام ليعلم من باب الاولى وفيه اشارة الى ان شر الخصال بعد الكفر
البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه وقد فر كل امرى من اخيه وابيه ولا طعام
الا من غسلين غسالة اهل النار من دم وصديد فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون العامدون للاثم
من الخطا بكسر الخاء ومن الخطا بفتحها ضد العمد الذى ذكره الفقهاء فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون اى
بجميع الكائنات التى هى اثار الصنع ولا مزيده او لا اقسم بهذه الاشياء لظهور الامر انه ان القران لقول
رسول كريم مبلغ عن الله وما هو بقول شاعر كما تزعمون قليلا ما تؤمنون لفرط عنادكم ولا بقول كاهن قليلا
ما تذكرون القله فى الموضعين بمعنى العدم ولما كان عدم التباس القران بالشعر بينا جعل الفاصله عدم الايمان
عنادا لخلاف الكهانه فانها تتوقف على تدبر احوال القائل من الصدق والصلاح فذكر معها التذكر وقرا ابن
كثير وهشام يؤمنون ويذكرون بياء الغيبة مسندا الى ضمير الخاطئون ولابن ذكوان وجهان تنزيل من
رب العالمين رفع لتوهم ان يكون كلام الرسول حقيقه لاسناد القول اليه والمراد بالرسول محمد لا جبرئيل
عليهما السلام اذ لم ينسبوا اليه شعرا ولا كهانه ويجوز ان يكون جبرئيل كانه قيل انه لقول جبرئيل الرسول
الكريم وليس من تلقاء محمد كما تزعمون انه شاعر او كاهن والاول اوجه ولو تقول علينا بعض الاقاويل

اى لو نسب الينا قولا لم نقله من التقول وهو نسبة القول الى من لم يقله تكلفا ويسمى الاقوال المتقولة
اقاويل تحقيرا كالاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعوله لاخذنا منه باليمين اى بيمينه ثم لقطعنا منه
الوتين كما يفعل الملوك بمن يكذب عليهم وصور القتل فى اشنع صورة وهو ان ياخذ الجلاد بيمين المصور
ليرى السيف فى يده بخلاف ما اذا اخذ بيساره والوتين نياط القلب وفى ذكره اشارة الى محل الجنايه كاليد
للسارق فان اللسان ترجمان لا مواخذ عليه فما منكم من احد عنه حاجزين عن القتل او المقتول احد
استعمل جمعا والخطاب للناس كلهم وانه لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين
لما نقول من تزكية الرسول وكون القران ليس بشعر ولا كهانه وانه اى التكذيب او القران لحسرة على
الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين وانه لحق اليقين اى انه اليقين حق اليقين وحاصله عين اليقين كقولك
عين الشىء ونفسه فسبح باسم ربك العظيم اى نزه بذكر اسمه العظيم الدال على تقدسه عن امكان التقول عليه
وشكرا لما اولاك واوحى اليك تمت والحمد لمن الاؤه جلت والصلوة على من به الرساله تمت سورة المعارج
مكيه وهى اربع واربعون آيه بسم الله الرحمن الرحيم سئل سائل بعذاب
واقع السائل هو النضر بن الحارث الذى قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال اللهم عليك بقريش ويؤيد الاول قوله انهم يرونه بعيدا
وقرا نافع وابن عامر سال بالالف اما مبدله من الهمزه تخفيفا او اجوف واوى كخاف يخاف قال ابو
زيد سمعت من يقول هما يتساولان فهمزة سائل بدل عن الواو كهمزة كاين وعلى الوجهين تتعدى الى المفعولين
بنفسه وتعديته بالباء لتضمن معنى الاستعجال او من سال يسيل اجوف يائى كباع يبيع والمعنى سال
سائل اى جرى وادٍ ذو سيل بعذاب واقع ويؤيده قراءة ابن عباس رضى الله عنه سال سيل للكافرين
صفه عذاب واقع اى كائن او يتعلق بالفعل اى سال سيل للكافرين او بواقع اى نازل لاجلهم وعن قتاده
سئل سائل على من ينزل عذاب الله فعلى هذا قوله للكافرين جواب لذلك السائل والباء لتضمن سال
معنى اهتم ليس له دافع من الله جمله مؤكده على قول قتاده صفه اخرى لعذاب على الاول وعلى الوجهين من الله
اما متعلق بواقع اى من جهته او بدافع لامته ولا من غيره ذى المعارج ذى المصاعد جمع معراج او معرج يصعد
منها الاعمال الصالحه او المؤمنون فى سلوكهم او دار ثوابهم تعرج الملئكه والروح اليه فى يوم كان مقداره
خمسين الف سنه بيان وتفصيل لتلك المعارج اظهار لعز شانه وملكوته والروح جبرئيل وافراده لمزيته وقيل
خلق آخر موكلون بالملئكه بنا واليوم يوم القيمة وصف بغايه الطول اما كنايه عن شدته او حقيقه على ما
قيل ان فيه خمسين موطنا يقف الخلق فى كل موطن الف سنه ويؤيد الاول ما رواه الامام احمد بن حنبل عن
ابى سعيد انه قيل لرسول الله صلى الله عليه ما اطول هذا اليوم قال والذى نفسى بيده انه ليخف على
المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبه وقيل من اسفل الارض الى عرش الرحمن مسافه خمسين الف
سنه لو قطعها الانسان وهذا ان صح لا تعلق له بتفسير الايه لان العرض تتوسل ليوم القيمه وقرا الكسائى
يعرج بياء الغيبه فاصبر صبرا جميلا لا قلق معه ولا شكوى بعد علمك بوقوع العذاب على عدائك انهم
يرونه بعيدا عن امكان الوقوع ونريه قريبا منه لكمال قدرتنا والضمير للعذاب او لليوم فان قلت
السائل سواء كان رسول الله او غيره لم يسئل الا عذاب الدنيا كما نزل بسائر الامم والسياق يدل على وقوع
العذاب يوم القيمه فكيف طابق السؤال قلت هو من قبيل قوله حسبهم جهنم كان قيل العذاب المستعجل به ليس
بعذاب حقيقه بل العذاب هو المعد لهم وهم ينكرونه ويدعون احالته لم هول شانه بما فصله يوم تكون
السماء كالمهل منصوب بقريبا او بنقع مقدرا لدلاله واقع عليه او بدل عن محل فى يوم ان علق بواقع او
بودّ تكون السماء كالمهل تكون كيت وكيت والمهل دردى الزيت وعن ابن مسعود رضى الله عنه الفضة

المذاب ويكون الجبال كالعهن كالصوف الملون لاختلاف الوان الجبال بيض وحمر وغرابيب سود فاذا طارت
في الهواء اختلطت الوانها ولا يسئل حميم حميما كيف حالك لكل شان يغنيه ويشغله عن غيره يبصرونهم
استيناف جواب لمن لا يسئل كانه لا يراه او حال وجمع الضمير لان المعنى على العموم والاصل يبصر فريقهم
يقال بصرته بالشيء اذا اوضحته له وكانه ضمن معنى التعريف او حذفت الصلة واوصل الفعل يود المجرم
لو يفتدي من عذاب يومئذ حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان الامر اعظم من الاشتغال بالسؤال
عن حال احد ببنيه الذين هم اعز من الروح وصاحبته التي يختار ذهاب مهجته دونها غيرة واخيه
الذي هو شقيقه وفصيلته وعشيرته الذين فصل منهم التي تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في
الارض جميعا كائنا من كان ثم ينجيه عطف على يفتدي استبعاد لما يتمناه هيهات كلا ردع له عن ارتكاب
ما لا ينفع فيه انها لظى الضمير للنار دل عليه ذكر العذاب او مبهم فسره الخبر وهو لظى او ضمير القصة ولظى
علم النار منقول من اللظى وهي اللهب ويجوز ان يراد بها نفس اللهب مبالغة كان كلها لهب خالص
نزاعة للشوى جزء بعد جزء لان او خبر لظى ان كان الضمير للقصة ويجوز ان يكون صفة ان اريد باللظى اللهب
لان علم الجنس كالمعرف باللام في اجرائه مجرى النكرة وان لم يجعل علم الجنس فحذف التنوين لاجراء الوصل
مجرى الوقف وقرا حفص نزاعة بالنصب على الاختصاص كانه قيل تتلظى نزاعة والشوى جمع شواة جلدة
الراس او اطراف الانسان وكل ما ليس معتل يقال للرامي اذا لم يصب المقتل اشوى تدعو من ادبر وتولى
مجاز عن جذبها واحضارها من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة او تدعوهم بلسان المقال يا كافر
يا منافق وهذا ابلغ وجمع فاوعى لبخله وحرصه حفظه في الوعاء ولم يود حق الله منه ان الانسان
خلق هلوعا الهلع شدة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره بقوله اذا مسه الشر
جزوعا واذا مسه الخير منوعا فان جزوعا ومنوعا وصف كاشف هلوعا الا المصلين استثناء منقطع
لما وصف من ادبر وتولى بالهلع قال لكن المصلين الموصوفين في مقابله اولئك او متصل اي ان الانسان
خلق هلوعا واستمر ذلك عليه ولم يفارقه الا المصلين الموصوفين بالصفات الاتية فانهم خلعوا ربقة
الهلع عن اعناقهم روى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه شر ما في
الرجل شح هالع وجبن خالع الذين هم على صلوتهم دائمون لا يتركونها في اوقات الاعذار والضرورات
والذين في اموالهم حق معلوم مقدار معلوم هو الزكوة لان وجوبه كان بمكة وتقديره ونصبه مفصلا بالمدينة
للسائل الذي يسال والمحروم الذي لا يسال فيظنونه غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين
تصديقا بالاعمال بالابدان والاموال ولذلك ذكره بيوم الدين
اخرها اهتماما بالصلوة والزكوة وقيل يصدقونه بالاعمال بالابدان والاموال ولذلك ذكر بيوم الدين
والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض دال على انه
لا ينبغي لاحد ان يامن وان كان على قدم راسخ في الطاعه والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين دل على ان المباح لا يمدح عليه فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم
العادون المتجاوزون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون وقرا ابن كثير امانتهم على
التوحيد لارادة الجنس والذين هم بشهاداتهم قائمون احياء للحقوق وهي من الامانة افردها لا على
زياده فضلها وقرا حفص بالجمع مناسبة للمضاف اليه ولاختلاف انواعها والذين هم على صلوتهم يحافظون
على شرائطها واركانها وواجباتها وسننها وادابها وكفاها شرفا حيث ابتداها في عد المحاسن وختم
بها اولئك الموصوفون بتلك الصفات في جنات مكرمون بانواع الاكرام فما للذين كفروا قبلك
مهطعين مسرعين مادي اعناقهم عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة قلبت
الواو ياء لانكسار ما قبلها ثم حذفت الياء وعوض عنها التاء كانوا حلقا ارهطا كل واحد تعتزي

حولك

الى غير من معتزي اليه الاخرى ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كانوا يقولون استهزاء لنحن اولى
بالجنة من محمد واتباعه كلا ردع لهم عن هذا الاعتقاد انا خلقناهم مما يعلمون استدل على امكان البعث
بخلقهم اولا والقدرة على خلق مثلهم ثانيا واشار الى ان استحقاق دخول الجنة انما هو بالاعمال
الزاكيه ولا فاضل نشاتهم من ماء مهين من المياه يستحيى من ذكره صريحا ولذلك ابهمه بقوله مما يعلمون
فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم بان نذهبهم وناتي بقوم اخرين
او نوفق لمحمد طائفة خيرا من اهل مكه وهم الاوس والخزرج وفي المقسم به دلالة ظاهرة على القدرة على
تحقيق المقسم عليه وما نحن بمسبوقين بمغلوبين على ذلك فذرهم يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا كالصبيان
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اضافة اليوم اليهم لمزيد الاختصاص يوم يخرجون من الاجداث
سراعا كانهم الى نصب يوفضون اي مسرعين اسراعا يشبه الاسراع الذي كانوا يسرعونه الى الحجر الذي
كان علما لذبح النسائك وعن الحسن كانوا يبتدرون عند طلوع الشمس الى اصنامهم لا يلوي احدهم على الاخر
وقرا ابن عامر وحفص نصب بضم النون والصاد جمع نصب كسقف جمع سقفا ومفرد انصاب والباقون بفتح
النون واسكان الصاد وسراعا وكانهم حالان من فاعل يخرجون وكذا خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة
ويجوز ان يكون احوالا متداخلة ذلك اليوم الموصوف الذي كانوا يوعدون في الدنيا على السنة
الرسل تمت سورة المعارج والحمد لمن لكل هم فارج والصلوة على المختار عدد رمل عالج سورة نوح
مكية ثمان او تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا
نوحا الى قومه ان انذر بان انذر حذف الجار واوصل الفعل او ان مفسرة لاشتمال معنى الارسال على
القول قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم الطوفان او عذاب يوم القيمه والاول اوجه قال
يا قوم اني لكم نذير مبين لا فرق ان قولي بالمعجزة ان اعبدوا الله بان اعبدوا الله واتقوه واطيعون
يغفر لكم من ذنوبكم ما كان لكم من الذنوب او بعضها وهي التي تقدمت الايمان فان الاسلام يجب ما
قبله ويؤخركم الى اجل مسمى هو آخر الاجال ان اجل الله اذا جاء اجلها لا يؤخر والتوفيق بينه و
تاخير الاجال ان القضاء معلق ومبرم فالتاخير بالنظر الى الاول وعدمه بالنظر الى الثاني اي لو امنوا
عاشوا كذا وان لم يؤمنوا فكذا او هذا في زيادة الصدقة والصله في العمر وما في علمه تعالى لا يبدل
لو كنتم تعلمون جعلهم جاهلين بذلك لعدم جريهم على موجب العلم قال رب اني دعوت قومي
ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان واسناد الزيادة اسناد الى السبب واني
كلما دعوتهم لتغفر لهم اي ليؤمنوا فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم ليكون ادل على قبح اعراضهم جعلوا
اصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا كلامي المجعول في الاذان رؤوس الانامل واطلاق الاصابع مجاز
مبالغه واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة منهم لرؤيتي او لئلا اعرفهم فادعوهم الى
الايمان والاتيان بصيغة الطلب للمبالغة كانهم طلبوا من الثياب ان تغشاهم واصروا على
الكفر من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها يطردها للسفاد وكفى بهذا التشبيه مذمة واستكبروا عن اتباع الحق
استكبارا مفرطا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا هذا دأب الناصح الشفوق
نصح سرا وان لم ينجع يعلن بنصحه لكي يساعده من له وعى ثم يبالغ بالجمع بين السر والجهر ونصب جهارا
على المصدر من غير فعله او على الحال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا تفسير لدعائه وكانهم كانوا
يتعللون بما اسلفوا من الذنوب فوعدهم المغفرة ان تابوا بما يحبها من الايمان يرسل السماء عليكم
مدرارا قيل حبس الله عنهم المطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم باعادة الخصب ان
تابوا والسماء المظلة او السحاب وارسالها ارسال المطر منها دلالة على كثرته او المطر كقوله اذا نزل

السماء بارض فوفير والمدرار اسم فاعل كثر الدرور كالمضراب يستوي فيه المذكر والمؤنث ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا جمع لهم في الوعد بين منافع الدارين روى ان رجلا اشتكى
الى الحسن الجدب فامره بالاستغفار والاخر الفقر فامره به والاخر قلة ريع ارضه فقال استغفر فقال
الربيع بن صبيح شكوا اليك ابوابا وسالوك والجواب واحد فتلا عليه الآية ولما استسقى عمر في خلافته لم
يزد على الاستغفار فقيل له في ذلك فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر
ما لكم لا ترجون لله وقارا اى ما حصل لكم من الصارف حتى لا تكونوا على حالة ترجون من الله تعظيما
ولله بيان كانه قيل لمن التعظيم اما ما فقيل لله ولو اخر لكان صلة الوقار ولا تتوهم ذلك مع التقديم
لان معمول المصدر لا يتقدم عليه في الاكثر والحث على الرجاء كناية عن الحث على الايمان لا نعقاد
اسبابه او لا تخافون لله عظمة او حلما لان الوقور معظم في النفوس والحلم لا تفارقه وتفسيره
بالعاقبة كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه ماخوذ من الوقار بمعنى الثبات لان العاقبة حال
استقرار الثواب والعقاب ثم نبههم على النظر في انفسهم لانها اقرب منظور بقوله وقد خلقكم
اطوارا على طريقة الحال اى خلقكم ترابا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم لحما ثم عظاما ثم خلقا اخر
ثم على النظر في الافاق على وجه التعجيب من تغافلهم بقوله الم تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا علم ذلك باخبار القرآن المعجز او بالارصاد والطباق وهو كون بعضها فوق بعض لا يقتضي المماسة
وجعل القمر فيهن نورا اى في السماء الدنيا نسب الى الكل لملابسه بينها وجعل الشمس سراجا
كالسراج في ازاحة ظلمة الليل كقوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والله انبتكم من الارض
نباتا انشاكم استعار الانبات له لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض والاصل انبتكم
فنبتم نباتا كقولك كسرته فانكسر او نصب بانبتكم لان الفعل والانفعال واحد حقيقة والاختلاف
بالنسبة الى القابل والفاعل ثم يعيدكم فيها بعد الموت ويخرجكم اخراجا لا محالة ولذلك اكده
بالمصدر كالاول اشارة الى اتحاد الرتبة وكونهما في قرن والله جعل لكم الارض بساطا مبسوطة
تتقلبون عليها تقلب الرجل على فراشه لتسلكوا منها سبلا فجاجا طرقا واسعة ومن لتضمن الفعل
معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني في الامر بعبادة الله واتقائه بعد ما تلوت عليهم آيات
الافاق والانفس وصرح باسم نوح لطول الفصل ولم يعطفه لانه تفصيل لقوله فلم يزدهم دعائي
الا فرارا واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اى رؤساءهم المتقدمين بالاموال والاولاد
واسند اليه ذلك وان كان في الظاهر سببا للتقدم في الحقيقة ليس سببا الا للبوار وقرا ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائي وولده جمع ولد كاسد واسد ومكروا عطف على من لم يزد والجمع باعتبار
معنى من مكرا كبارا غاية في الكبر بانواع الاذى وتسليط السفهاء عليه ابلغ من الكبار مخففا وهو
من الكبير ابلغ وقالوا لا تذرن الهتكم عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا
خص هذه الاوثان بالذكر كانها كانت كبار الهتهم واشرافها اسماء رجال صالحين فلما هلكوا وسوس
الشيطان الى قومهم ان صوروا صورهم حتى يتبركوا بها ويبقى تذكيره فلما انقرضوا اولئك وسوس
الى اولادهم ان آباءكم كانوا يعبدونها فعبدوها من دون الله روى البخاري عن ابن عباس رضي الله
عنه ان هذه الاوثان التي كانت في قوم نوح عليه السلام انتقلت الى العرب اما ود كانت بدومة
الجندل لكلب وسواع كانت لهذيل ويغوث لمراد ثم لبني غطيف بالجوف ويعوق لهمدان ونسر لحمير
لآل ذي الكلاع وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا اللام للعهد وهم اولئك الذين آيس من
ايمانهم والرضا بكفر العدو مع استقباحه قصدا الى زيادة عذابه لا غرو فيه الا يرى الى قول موسى

المحادح جمع مخدح وهى عند العرب من الانواء التي لا تخطى وادها جعله لانه اراده وما شاكله

الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله رب انهن اضللن كثيرا

ربنا

ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وقيل اراد في تزويج مكرهم او الضياع والهلاك لقوله ان المجرمين
في ضلال وسعر مما خطيئاتهم اى لاجل خطيئاتهم وما مزيده للتوكيد اغرقوا بالطوفان وقرا ابو عمرو خطاياهم
وهذا احسن لانه جمع الكثرة والاولى يحتاج الى التاويل فادخلوا نارا اى تعقب الغرق دخول النار من غير
تراخ والمراد عذاب القبر لانها روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران والتنكير للتعظيم او النوع
فلم يجدوا لهم من دون الله دون عذابه انصارا كما كانوا يزعمون النصر من الالهة وقال نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ديار من الالفاظ المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار اى
احد من الدور او من الدار فيقال قلبت الواو ياء وادغمت الاولى ولو كان فعالا لكان دوارا انك ان
تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك بعد ما اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن
من قومك الا من قد آمن واصطحبهم الف سنة الا خمسين عاما وكانوا يتواصون بعدم الايمان ويقولون
لذرياتهم اباكم وهذا الشيخ ومضى على هذا جيل بعد جيل والفاجر الكفار للمولود باعتبار المآل كقوله من
قتل قتيلا رب اغفر لي ولوالدي كان ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش ولمن دخل بيتي مؤمنا
او مسجدي او سفينتي وللمؤمنين والمؤمنات من مضى منهم ومن هو آت ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا
وبوارا تمت سورة نوح والحمد لمن بيده الخزائن والفتوح والصلوة على سيد الدوح وآله وصحبه كل
مساء وصبوح

سورة الجن مكية ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحى الي انه استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلثة الى العشرة والجن احد الثقلين بعث اليهم رسول
الله عليه السلام كما بعث الى الانس فدعاهم الى الله فمنهم من آمن ومنهم من كفر وهؤلاء النفر هم
الذين سمعوا القرآن من رسول الله وهو يصلي الصبح ببطن نخلة كما تقدم في اخر الاحقاف ولا دلالة
فيه على انه لم ير الجن وليلة الجن رواها ابن مسعود رضي الله عنه وروى جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما قرات عليهم سورة الرحمن فكانوا احسن مردودا منكم والقول بانها ارواح مجردة او نفوس
بشرية مفارقة عن ابدانها لا يجوز تفسير كلام الله بها ولم يذهب اليه احد من اهل الحق مخالف للنصوص
فقالوا بعد ما انصرفوا الى قومهم انا سمعنا قرآنا عجبا في اسلوبه ومعناه وصفه بالمصدر مبالغة
يهدي الى الحق الرشد الى الحق فآمنا به بما فيه من التوحيد ولن نشرك بربنا احدا ولا دلالة فيه على انهم
كانوا مشركين بل كانوا هودا لقولهم انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى وانه تعالى جد ربنا عظمته من جد
فلان عظم او غناه مستعار من الجد بمعنى البخت والغرض وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد وقوله
ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ان المسبوقة بالواو بفتح
الهمزة في اثني عشر موضعا متواليه والباقون بكسرها ووافقهم على الفتح في وانه لما قام عبد الله ابن
كثير وابو عمرو واتفق الكل على فتح وان المساجد لله والوجه في الفتح في وانه لما قام عبد الله وان
العطف على الهاء في آمنا به من غير اعادة الجار على المذهب الكوفي او على محل الجار والمجرور او الايصال
بعد الحذف واضمار الجار والكسر على الاستئناف او بالعطف على انا سمعنا او على وانه تعالى لان الكل في
خبر القول وانه كان يقول سفيهنا ابليس ومردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وصف بالمصدر مبالغة
والشطط تجاوز الحد وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا نصب على المصدر لان الكذب
نوع من القول ولا دلالة فيه على انهم الى حين سماع القرآن كانوا مشركين وانه كان رجال من
الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا نزل بارض قاصية يقول اعوذ بسيد هذا
الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم رهقا فزاد الانس الجن تكبرا وعتوا باستعاذتهم بهم او بالعكس
لزيادة اغوائهم الانس بالاستعاذة والرهق غشيان المحارم واطلاق الرجال على ذكر الجن للمشاكلة

وانهم ظنوا كما ظننتم القائل الجن بعضهم لبعض والضمير في انهم للانس والعكس ولا معنى له لان السياق
في حكاية كلام الجن وقيل الاية والتي قبلها من كلام الله جار مجرى الاعتراض يوكد ما حدث منهم من تماديهم
في الكفر وقراءة الفتح تويد الاول ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء اللمس
المس مجاز عن الطلب لان اللامس طالب متعرف والمعنى طلبنا خبر السماء على ما كنا نفعله قديما فوجدناها ملئت
حرسا حراسا اسم جمع كخدم في خدام شديدا اقوياء افرده باعتبار اللفظ وشهبا جمع شهاب وهو الشعلة
من النار وانا كنا نقعد منها من السماء مقاعد خالية عن الحراس للسمع للاستماع فمن يستمع الآن يجد له
شهابا رصدا هو كالحرس اسم جمع اى ذوى شهاب راصدين للرجم وهم الملائكة ويجوز ان يكون بمعنى الراصد
صفة للشهاب كانت الشياطين يسترقون السمع قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجم بالشهب لقوله
تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ولما روى ابن عباس رضي الله عنه
كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في هذا في الجاهلية
قلنا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم وفي لفظ ملئت ومقاعد اشارة الى ان ذلك قبل البعثة
كان قليلا واما الآن فلا مجال وانا لا ندرى اشر اريد بمن في الارض بخراب السماء ام اراد بهم ربهم
رشدا امرا ذا رشد وانا منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك وهم المقتصدون كنا طرائق
قددا ذوى مذاهب متفرقة جمع قدة كقطع وقطعة وعن ابى معوية قال سمعت الاعمش يقول
قلت لجنى فيكم الاهواء التي فينا قال نعم قلت كيف حال الرافضة قال هم شرنا وانا ظننا ان لن
نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او ان طلبنا
في الارض كائنين في الارض اينما كنا ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او ان طلبنا في الارض
لم نفته وان هربنا منه لم ننج والظن بمعنى اليقين لكونه كلام الموقنين وانا لما سمعنا الهدى القرآن كانوا
كاملي المعرفة حيث جعلوا القرآن نفس الهدى آمنا به من غير توقف فمن يومن بربه فلا يخاف اى فهو لا
يخاف آثره على لا يخف لافادة التقوى والاختصاص كانه قيل فهو ناج لا محالة ومختص بذلك بخسا ولا
رهقا البخس النقص والرهق الغرب ومنه الصبي المراهق والمعنى ان المومن لا جناية البخس
وظلم الناس لا يخاف جزاوهما وكان اصل الكلام ومن لا يبخس احدا ولا يرهق ظلمه فوضع قوله ومن يومن
موضعه اشارة الى ان حق المومن وشانه ان يكون كذلك او المومن المعنى ان المومن لا يخاف نقصان جزائه
ولا ان يرهقه ذله وغير المومن كل ما فيه عين البخس لا يحقق حق وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
الجائرون عن طريق الحق فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واى رشد واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا على الطريقة عطف على انه استمع من كلام
الله الموحى اليه وان مخففة حذف منها ضمير الشان والضمير للانس او للجن اولهما والطريقة التوحيد
والاسلام لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا عليهم الرزق والتخصيص للماء لعزة وجوده في ارض العرب
ولانه اصل سائر الاقوات والثمار والغدق الكثير لنفتنهم فيه لنبتليهم في ذلك التوسيع ايشكرون
ام يكفرون وقيل لو استقاموا على ما كانوا عليه ولم يومنوا لوسعنا عليهم الرزق استدراجا ومن يعرض
عن ذكر ربه عن عبادته لان الغرض منها ذكر المعبود يسلكه عذابا صعدا اى في عذاب كقوله واختار
موسى قومه او ضمن معنى يدخله والصعد مصدر صعد وصف به مبالغة في علوه على المعذب كقوله
تطلع على الافئدة وقرا غير الكوفيين بالنون موافقة لاسقيناهم وان المساجد لله من الموحى اليه ليس من
كلام الجن فلا تدعوا مع الله احدا خطاب للجن كانه قيل قل لمشركي مكة اوحى الي كذا وان اقول
للجن كذا وفي ضمن الحكاية اثبات الحكم للمشركين ايضا ويجوز ان يكون الخطاب للمشركين او عاما للانس

والجن وعن سيبويه والخليل ولان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والوجه فيه ان يكون
كلاما مستطردا عقيب وعيد المعرض وعن الحسن المساجد الارض كلها لقوله عليه السلام جعلت لي
الارض مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد فالجمع للتعظيم وقيل اعضاء السجود وهي سبعة
الرجلان والركبتان واليدان والجبهة والانف وهذا اوجه لان فيه تذكيرا لكونه المنعم بها وان
الحكم في خلقها خدمة المعبود والتعبير بالمساجد لله اشارة الى ما خلقت له وانه لما قام عبد الله يدعوه
كادوا يكونون عليه لبدا اى لما سمع الجن تلاوة رسول الله بنخلة كاد ان يدخل بعضهم في بعض من الازدحام
عليه حرصا على السماع منه كل شيء تلبد بعضه الى اخر فقد لبدة او قال الجن لقومهم لما قام عبد
الله كاد اصحابه ان يكونوا عليه لبدا من شدة طواعيتهم وعن الحسن كادت العرب يتلبد عليه لما قال
لا اله الا الله وعن قتادة كادت الانس والجن يتلبد عليه وعلى اطفاء نوره ثم الوجه على قراءة الكسر
ان يكون استينافا ابتدا قصة لبيان حال الرسول مع المشركين كانه قال له قل اوحى الي من حال
الجن وايمان بعضهم وكفر اخرين وفي ذلك حث للسامعين على الايمان ولطف بهم ثم ابتدا بقوله
انه لما قام عبد الله يدعوه ويوحده كاد الفريقان يكونون عليه لبدا عنادا وروما لاطفاء نوره مع
ما تلا عليهم من الآيات الباهرة والدلائل النيرة والظاهرة لما ثبت بدعوه فالعدول الى المظهر واختار
عبد الله على الرسول والنبي لانه واقع في كلامه فيوذن على ما يقتضيه التواضع او اشار تعالى الى ان
العبادة من العبد لا تستبعد فما لهم ينكرون ذلك فنقل كلامه تعالى احقا لنفسه عن النبي
اذ لا اعتداد بالاثر بعد العين وقرا هشام في وجه لبدا بضم اللام جمع لبدة كغرفة وغرف وبالكسر
جمع لبدة اخف قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فما للانكار وجه على من يعبد ربه وقرا
عاصم وحمزة قال على سوال قام وعليه رسم الامام وهذا ابلغ في ملاحه لقيامه بالجواب من غير
تعلم قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اى نفعا وغيرا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم
سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد جملة معترضة لبيان عجزه
وتاكيد نفي الاستطاعة فكيف يقدر من هذا شانه على نفع احد او ضره ولن اجد من دونه ملتحدا
ملاذا وملتجا من اللحد وهو الميل الا بلاغا من الله كائنا منه استثناء متصل اى قل لا املك شيئا
الا بلاغا وان فسر لا املك ان اقسركم على الغي والرشد كان منقطعا او من باب ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم ورسالاته عطف على بلاغا بتقدير مضمر اى بلاغ رسالاته والاصل الا بلاغ رسالات
الله والعدول الى المنزل تذكرة لبلاغ مرتين مبالغة لان كونه من الله وكونه بلاغ رسالاته مما
يقتضي التشمر له ومن يعص الله ورسوله ولم يطع امرهما بالتوحيد فان له نار جهنم لا محالة خالدين
فيها ابدا جمعه على اعتبار الجمع في من حتى اذا راوا ما يوعدون غاية لقوله يكونون عليه لبدا
ان فسر بالتلبد على العداوة والا فالمقدر اى لا يزالون يستضعفون حاله ويستقلون عدده حتى اذا راوا
يوم بدر او يوم القيمة بين لهم من المستضعف دل عليه جواب اذا وما قبله لان السورة من فاتحتها
تعريض بمشركي مكة وتعيير لهم لقصور نظرهم عن الجن وفرط تمردهم حيث بادروا بالتكذيب بدل
مبادرة الجن بالتصديق فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان ادرى اقريب ما
توعدون جواب قولهم متى يكون هذا الوعد ام يجعل له ربي امدا اى هو كائن لا محالة ولا علم لي
بوقته والامد يطلق على القريب والبعيد واريد به الثاني بقرينة المقام كانه قال لا ادرى انه
في الحال او عن قريب او ضرب له امد بعيد عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا اى هو عالم الغيوب
كلها ولا يطلع على غيبه المختص به وهو ما يتعلق بذاته وصفاته وافعاله الا من ارتضى من رسول

مكلي او بشري فانه مطلعه على مايشاء من ذلك ولا دلالة في هذا على ان غير ذلك المختص لا يطلع عليه
غير الرسول ولا يجوز حمله على العموم لاستلزامه ان يكون رسول مطلعا على جميع المغيبات ولا دلالة في الآية
على بطلان الكهانة والتنجيم ولا على ان كرامات الاولياء يكون تلقيا من الملئكة ولا التخصيص لرسول بالملك
على ان قوله فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا اى ملئكة يحفظونه من تخاليط الشياطين ظاهر في
ان المراد بالغيب ماهو بطريق الوحي ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم علة لقوله يسلك من بين يديه
ومن خلفه رصدا اى ليتعلق علمه تعالى بابلاغ الرسل ما اوحى اليهم صافيا عن تخاليط الشياطين
او ليعلم الرسول ان قد ابلغ جبرئيل والملئكة النازلون واحاط بما لديهم لدى الرسل من الشرايع والاحكام
واحصى كل شيء عددا كل ما دخل في الوجود في اي عالم كان ومن هذا شانه كيف يخفى عليه خافية
وكيف لا يحيط بالدي المرسل تمت سورة الجان والحمد للمنان والصلوة على خلاصة الانسان وآله وصحبه
لا الى اطرام الرنان سورة المزمل مكية وهي عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها المزمل اى المتزمل وهو الملتف في ثيابه ادغمت التاء في الزاء روى ابو بكر البزار عن جابر ان
مشركي مكة لما اختلفوا شاعر او ساحر او كاهن او مجنون تزمل في ثيابه في بيته حزينا فاتاه جبرئيل
وقال يا ايها المزمل امر له بان ينهض الى القيام في عبادة ربه في اشرف الاوقات وهو
الليل الخالي عن الشواغل وفيه من لطيف العتاب الممزوج بالرافة لينشط ويستعد لتلقي ما ياتي
من قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وما قيل انه كان متزملا في مرط لعايشة في نصفه عليه ونصف
آخر على عايشة رضي الله عنها فلا وجه له اذا السورة من اوايل القرآن نزولا وعايشة لم يكن موجودة
فضلا عن كونها عنده وكذا القول بانه اول ما اتاه جبرئيل اتى خديجة وقال زملوني فبينا هو
كذلك اذ ناداه جبرئيل فناداه يا ايها المزمل بل كان هذا بعد فترة الوحي لما راى جبرئيل قاعدا
على كرسي بين السماء والارض ورجع الى خديجة فنزل يا ايها المدثر قم الليل الا قليلا نصفه بدل
من الليل والا قليلا استثناء منه اى قم اقل من النصف على البت او انقص منه او زد عليه انقص
النصف وزد على التخيير ولما كان الاقل هو الاصل كرر كقولك اكرم زيدا او اما زيدا واما عمروا فان
قلت ذا كان التخيير بين الاقل من النصف على البت وبين احد الامرين النقصان عن النصف و
الزيادة عليه فقد خرج النصف عن الاقسام وقراءة الكوفيين وابن كثير ان ربك يعلم انك تقوم
ادنى من ثلثي الليل ونصفه بنصبه تدل على انه كان يقوم تارة نصف الليل قلت الضمير في منه وعليه
للنصف واذا جاز له الزيادة على النصف فقد جاز له النصف لا انه اذا جاز له النصف ليلزم استدراك
ذكر الزيادة او نصفه بدل من قليلا فالتخيير بين امور ثلثة قيام النصف بتمامه وقيام الناقص منه وقيام
الزايد عليه وعلى هذا وصف النصف بالقلة بالنظر الى الكل وفيه اشارة الى ان النصف المعمور بالعبادة
وذكر الله تعالى اجل الليل والنصف الخالي عنه نزر قليل وان ساواه كما ويجوز ان يكون الضمير
في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث والتخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والزايد عليه كالنصف
وعن الاخفش نصفه عطف على الليل بتقدير اى قم الليل الا قليلا او قم نصفه او ثلثه او ثلثيه فالتخيير
بين اربعة امور وروى مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان قيام الليل كان فرضا باول هذه السورة فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم حولا حتى انتفخت اقدامهم واصفرت وجوههم
فنسخه آخر السورة فصار تطوعا وعن ابن جبير نسخ بعد عشر سنين وقيل نسخ عن الامة فقط ورتل القرآن
ترتيلا اقرأه على مهل وتؤدة لتتمكن من التامل والتدبر في دقائقه وحكمه فيكون قيامك في الليل
الذي اشرف الاوقات على اكمل الاحوال شبه القراءة المتصلة بالثغر المرتل وهو المفلج الشبيه بالاقحوان

انا سنلقي

انا سنلقي عليك قولا ثقيلا اعتراض ذكر به على ان قيام الليل من التكاليف الشاقة التي وردها
القرآن لان الليل محل الراحة فاجتنابه بالعبادة مضاد للطبع وفيه ايقاظ له على التشمر لتحمله و
توطين النفس على المكابدة في تبليغه وتحميله روى البخاري عن عايشة رضي الله عنها رأيته في
اليوم الشديد البرد ينزل عليه الوحي وان جبينه ليتفصد عرقا وقيل ثقيل في الميزان او على الكفار
او على المتامل لافتقاره الى اتعاب القريحة في استنباط معانيه او ثقيل تلاوته على الوجه المنزل ولذلك
خفف عن هذه الامة بالقراءة على سبعة احرف وعلى الراسخين لاشتماله على المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ
وعلى الاوجه الجملة تعليل للامر بقيام الليل لانه يعد للنفس ما به يعالج ذلك الثقل ان ناشئة الليل
قيامه مصدر نشأ قام بالحبشية وقيل ساعاته لانها تحدث واحدة اثر اخرى وقيل النفس التي تنشأ
عن المضجع وترتفع من نشأت السحابة ارتفعت عن ابن عباس رضي الله عنه اول الليل وعن ابن
عمر من العشاء الى الصبح اي وقت كان وعن علي والحسن رضي الله عنهما بين العشائين وعن عايشة
ومجاهد رضي الله عنهما الصلوة بعد النوم وهو الاصوب لمداومة رسول الله صلى الله عليه وسلم
على القيام بعد النوم ولقوله هي اشد وطئا اى موافقة للحواس مع القلب على التوجه لعدم الشاغل
وعن الفراء اشق واكثر علاجا لترك الراحة وعن الاخفش اثبت قياما وقرأ الكوفيون ونافع
وابن كثير وطأ بفتح الواو وسكون الطاء من وطأهم وطأ ثقل عليهم ومنه قوله صلعم اللهم اشدد
وطأتك على مضر والمداحسن واوفق بقوله واقوم قيلا اى اصح قراءة لهدو الاصوات وعدم الخواطر
والالتفات وان لك في النهار سبحا طويلا فراغا او متقلبا في معاشك فتوفر بالليل من عبادة
ربك مستعار من سبح العوم وهو مد اليدين في الجري والطول ترشيح واذكر اسم ربك دم على ذكره
في كل الاوقات واستغرق في ملاحظة المذكور لتحظى بالزلفى والقرب عنده وتبتل اليه تبتيلا و
وانفصل بالكلية عن الدنيا او عن وجودك لتبقى بوجوده الباقي ولما كان المطاوع والمطاوع
واحدا في الخارج ذكر التبتيل موضع التبتل مراعاة للفاصلة وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك رب المشرق
والمغرب لا اله الا هو مبتدأ وخبر او خبر مبتدأ محذوف ولا اله الا هو خبر آخر وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وشعبة رب بالجر بدلا من ربك وعن ابن عباس رضي الله عنه جرا باضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو
فاتخذه وكيلا متفرع على التوحيد اى اذا انفرد بالالوهية فاجعل امورك موكولة اليه واجعله
كفيلا بمصالحك واصبر على ما يقولون فيك وفيما انزل اليك واهجرهم هجرا جميلا اعرض عنهم وجانب
من غير مقاولة ولا مقاتلة نسخت باية السيف وذرني والمكذبين فانا كافيك امرهم كلام من
يكون واثقا بالوفاء متمكنا منه اقصى التمكن ولذلك ابرزه في صورة المنع عن الاستكفاء اولي النعمة
التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يريد المترفين من صناديد قريش المغترين بالحطام المانعين
اتباعهم عن الدخول في الاسلام ومهلهم قليلا امهالا قليلا او زمانا قليلا ان لدينا انكالا
جمع نكل القيد الثقيل وجحيما نارا شديد الحر والاتقاد وطعاما ذا غصة آخذا بالحلق لا يسوغ
وعذابا اليما نوعا آخر لا يعرف كنهه الا الله يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل
منصوب بما في لدينا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا مهيلا رملا مجتمعا من هيل متبدد
ومهيل من هلت الدقيق اذا ارسلته من غير كيل انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم
الخطاب للمكذبين التفات حسن الموقع كما ارسلنا الى فرعون رسولا اى عصيتموه كما عصاه
فرعون ولم يسمه لان الغرض عصيان الرسول كائنا من كان فعصى فرعون الرسول اعاده معرفة
لتقدم ذكره ولا يخفى ان تشبيه عصيانهم بعصيان فرعون ينبي عن فرط عتو وزاد لذا الرسول

كونه شاهدًا عليهم ليكون عصيانه المعز في الذم واشار به الى انهم لو آمنوا به كان شاهدًا لهم لا عليهم فاخذناه في الدنيا اخذًا وبيلًا ثقيلًا ومنه الوابل للمطر العظيم القطر اصله الوخامة يقال مرعى وبيل فكيف تتقون ان كفرتم يومًا مفعول به اى انكم لا تواخذون في الدنيا اخذة فرعون فكيف تتقون انفسكم هول يوم يجعل الولدان شيبًا كناية عن شدة تداذ عند تفاقم المصائب يسرع الشيب قال ابو الطيب والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم او عن طوله وفي ابتدا ان مع القطع لوجود الكفر واستمراره منهم اشارة الى ان وجود الكفر مع هذا الرسول الذي هو النور المبين ينبغي ان يكون على الفرض والتقدير والمعنى فكيف تتقون الله في ذلك اليوم بعد فوات الوقت فيه حث على الاقلاع قبل ان لا ينفع الندم او فكيف يرجى منكم التقوى وانتم جاحدون ذلك اليوم والمجازاة فيه السماء منفطر منشق والتذكير باعتبار السقف به اى بذلك اليوم لشدته وهوله كان وعده مفعولًا لا محالة الضمير لله او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الآيات تذكرة موعظة لجلائها فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلًا موصلًا اليه ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه لما نزل اول السورة كان الرجل يحتاط في تقدير الاوقات ولا يدري متى الثلث والنصف والثلثان فشق ذلك عليهم فنزلت واستعار الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا قربت قلت الاحياز وقرا الكوفيون نصفه وثلثه بالنصب عطفًا على ادنى وهو المختار لدلالته على انهم قاموا بافضل ما وقع فيه التخيير وهو الاجدر بالجلالة منصبه على ذاته افضل الصلوة وقرا هشام باسكان لام ثلثه تخفيفًا وطائفة من الذين معك من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم تقدير ساعاتهما وضبط مقدارها غيره علم ان لن تحصوه اى تقدير الاوقات لاختصاص ذلك به تعالى فتاب عليكم رفع عنكم ما كان تركه معصية فاقرؤا ما تيسر من القرآن في صلوة الليل اى اى وقت كان امر ندب علم ان سيكون منكم مرضى استيناف لبيان حكمة اخرى اقوى من الاولى مقتضى الترخيص ولذلك كرر الحكم مرتبًا عليه وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله الضرب في الارض الابتغاء فضل الله المسافرة للتجارة وآخرون يقاتلون في سبيل الله اخبار عما يكون مستقبلًا بالاعجاز لان الآية مكية وتسويته بين الضارب في الارض للتجارة والمجاهدة في سبيل الله دلت على ان طلب الرزق اذا قرن بالنية الصالحة لمكان عند الله كيف وقد قدمه على المجاهدة ولذلك روى عن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغاء فضل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة وهي فرضت ليلة الاسراء بمكة بعد خمس من البعثة على الاصح وآتوا الزكوة قدرًا من المال كان فرضًا بمكة وتقرر المقادير بالمدينة واقرضوا الله قرضًا حسنًا انفقوا في سبيله على وجه الاخلاص يتناول المفروض والمسنون بل ساير اعمال البر بدنية ومالية وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا واعظم اجرًا من تاخيره الى حين الموت والوصية به لقوله الصدقة ان تصدق وانت صحيح شحيح ترجو الغنى وتخشى الفقر ولا تدع ان يبلغ الحلقوم ثم تقول لفلان كذا ولفلان كذا وعن الزجاج خيرًا من متاع الدنيا ويرده اعظم اجرًا واستغفروا الله لما فرط منكم لان الاستقامة متعذرة او متعسرة ان الله غفور رحيم للذنوب رحيم يجعل مكانها الحسنات تمت سورة المزمل والحمد لله الرحيم المفضل والصلوة على الكامل المكمل

سورة المدثر مكية ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر ما يلي الجلد من الثياب يسمى شعارًا وما فوقه دثارًا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

اذ لا اجر في متاع الدنيا منه

الناس

اراد قوم بهم منه والمختصصهم منه

الناس دثار والانصار شعار واول هذه السورة اول ما نزل بعد فترة الوحي لما روى مسلم والبخاري عن جابر انه سمع رسول الله يحدث عن فترة الوحي فبينا انا امشي سمعت صوتًا فرفعت بصري قبل السماء فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعدًا على كرسي بين السماء والارض فجثثت منه حتى هويت الى الارض فجئت اهلي فقلت زملوني فانزل الله يا ايها المدثر قم فانذر الى فاهجر ولم يقع ذكر حراء في بعض الروايات فظن انها اول السورة نزلت وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه ان قريشًا لما قالت في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وقال بعضهم ساحر تدثر في ثيابه حزينًا فانزل الله يا ايها المدثر ولا منافاة بينهما لامكان وقوع الامرين فاول اقرا كان نبوة واول هذه كان رسالة قم فانذر اى قومك لقوله وانذر عشيرتك الاقربين او افعل الانذار وهذا ابلغ وربك فكبر صفه بالكبرياء وحده وقيل لما نزل كبر رسول الله وكبرت خديجة وايقنت انه الوحي اذ الشيطان لا يامر بالتكبير وحمله على تكبير الصلوة بعيد وثيابك فطهر قصرها وهذا اول ما امر به من مخالفة قومه فانهم كانوا يجرون الثياب على الارض خيلاء او طهرها من النجاسة لانه الواجب في الصلوة والاحب في غيرها او اخلاقك عما يدنسها من الرذائل والرجز فاهجر هو العذاب لقوله لئن كشفت عنا الرجز اريد به ما يؤدي اليه اى ادم على هجر الاوثان وهجران الاثام والفاءات اجوبة للشرط كانه قيل ومهما يكن فكذا وقرا حفص بضم الراء وهما لغتان والكسر اشهر ولا تمنن تستكثر لا تعط شيئًا حال كونك تعده كثيرًا لاحتقار متاع الدنيا وان جل وقيل لا تعط مستعزًا اى طامعًا ان تعوض اكثر مما بذلت وهو من خواصه لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته او نهي تنزيه ولربك فاصبر لوجهه وانقياد الامر استعمل الصبر في مشاق التبليغ واذى الكفار فاذا نقر في الناقور نفخ في الصور سمي ناقورًا لما روي ان فيه بعدد كل روح ثقبة بناء مبالغة كالكاسوس والفاء للسببية اى اصبر على اذاهم الى زمان تلقى فيه عاقبة صبرك ويلقون فيه عاقبة ضرهم والعامل في اذا ما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فذلك مبتدأ ويوم عسير خبره ويومئذ ظرف اى فذلك الوقوع وقوع يوم فالزمان ليس مظروف الزمان ويجوز ان يكون يومئذ مرفوع المحل غير يسير فائدته التعريض بحال المومنين وانها تضاد حال الكفرة كما في قوله لا بارد ولا كريم وفي ذلك زيادة غيظ لهم او عسير حالًا ومآلًا بخلاف عسر الدنيا فانه سريع التبدل ذرني ومن خلقت وحيدًا اطبقوا على انه وليد بن المغيرة المخزومي وحيدًا حال من الفاعل اى دعني وحدي معه في الانتقام ففي كفاية او خلقته وحدي لم يشاركني احد في خلقه والاحسن جعله حالًا من المفعول اى خلقته منفردًا عن المال لقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة ولقوله وجعلت له مالًا ممدودًا مبسوطًا من كل نوع كان صاحب الضرع والزرع والذرع قيل كان له بستان في الطائف لا ينقطع ثماره صيفًا وشتاء وكان يملك الف الف وبنين شهودًا معه المجالس والمحافل ولهم ابهة ورونق او شهودًا عنده لعدم تزودهم في اسباب المعاش استغناء بالخدم فهو يتمتع بهم ليلًا ونهارًا قيل كانوا عشرة وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة ومهدت له تمهيدًا من ساير اسباب الرياسة والجاه العريض ثم يطمع ان ازيد ليقوله ان كان محمد صادقًا فالجنة لي او مطلب ان ازيد له في الدنيا فوق ما هو فيه كلا ردع له وعلله بقوله انه كان لآياتنا عنيدًا كافرًا مكابرًا من غير شبهة وذلك موجب لزوال النعمة فكيف يجعل سبب الزيادة قيل بعد نزول هذه الآية لم يزل في نقصان حتى ذهب اكثر ما له قيل اسلم من اولاده خالد وعمارة والوليد ولم يصح الاسلام خالد اما عمارة فقتل يوم بدر او قتله النجاشي لما ارسله قريش مع عمرو بن العاص بعد بدر لخيانة نسبت اليه والوليد مختلف فيه

العابد الذي داكرهم

سارهقه صعودًا كلفه مشتقا عليه طلوعه في جبل من النار طوله سبعون خريفا اذا وضع يده ذابت
واذا رفعها عادت وعن ابن عباس رضي الله عنه هو جبل في جهنم وقيل هو مثل لما يلقى في الشدة
انه فكر وقدر بدل او بيان لقوله انه كان لاياتنا عنيدًا او تعليل لارهاقه صعودًا لابعاده في التفكير
وعوضه على بذل ما يقدح به في كلام رب العزة فقتل كيف قدر تعجيب من سداد تقديره كقوله قاتلهم الله
انى يؤفكون او ثناء عليه تهكما نحو قاتله الله ما اشجعه او حكاية ما قالوه لما سمعوا كلمته الحمقاء ثم قتل
كيف قدر تعجيب ابلغ من الاول لانه صدر عن رؤية بخلاف الاول فانه نشأ عن النظر الاول وهي
حمقاء وفي هذا التكرير غاية تهكم به وبمن اغتر بما تفوه به ثم نظر في امر القرآن او في وجوه الناس
ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد طعنا شافيًا وبسر وكلح من البسور وهو الكلوح من توابع عبس
اومن بسر الرجل طلب الحاجة في غير موضعها ثم ادبر عن الحق واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا
سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطر بباله لم يتمالك ان هذا الا قول البشر من اساطير الاولين
لم يدخل العاطف لانه توكيد للاول او بيان عن ابن عباس رضي الله عنه لما سمع الوليد القرآن قيل
سمع حم السجدة يتلوه رسول الله قال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه
لمثمر وانه ليعلو ولا يعلى فلما سمعوه قالوا لابن اخته ابي جهل صبا الوليد فجاءه وجلس اليه ولامه
على ما بدا منه فقال فما اقول والله ما منكم اعلم بالاشعار مني اعلم رجزه وقصيده واعلم اشعار
الجن ولا يشبه شيئا من ذلك فقال لا يرضى قومك حتى تقول فيه ففكر وقدر فقال ان هذا الا سحر
يؤثر ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودًا وما ادريك ما سقر لا تبقي سالمًا ولا تذر ولا تدعه
بعد احراقه واعدامه او لا تبقي شيئا من الاشياء ولا تذره كبقية النيران بل تهلك كل رطب ويابس وهذا
اوجه والصق بقوله وما ادريك ما سقر المسوق للتهويل لواحة للبشر مسودة اعالي الجلد كالليل البهيم
من لوحته غيرته وسفعته وعن الحسن لواحة للبشر شديدة الظهور كقوله لترونها عين اليقين عليها تسعة
عشر يلي امرها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا او نقيبا وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة لانهم
خلاف جنس المعذب من الجن والانس فلا تأخذهم رأفة لعدم رقة الجنسية ولانهم اطوع خلق الله
لسنده او امره واشد غضبا له واقواهم عن عمرو بن دينار رضي الله عنه ان واحدًا منهم يدفع بالدفعة
الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وروي مرفوعًا ان لاحدهم قوة الثقلين يسوق امة الى النار
على عاتقه جبل فاذا القاهم في النار القى الجبل وراءهم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا لما
سمع ابو جهل تسعة عشر قال ثكلتكم امهاتكم ايعجز كل عشرة منكم ان يبطش بواحد منهم فقال ابو
الاشد كلدة بن خلف انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين وكان بلغ من قوته انه يقف على
جلد البقر ويجذبه عشرة فيتمزق الجلد تحت رجليه ولا يقدرون على اخراجه قال السهيلي دعا رسول
الله الى المصارعة وقال ان صرعتني امنت بك فصرعه مرارًا فلم يؤمن والمعنى ما جعلنا عدتهم
الا العدد المخصوص الذي اقتضى فتنتهم واستهزاءهم ليستيقن الذين اوتوا الكتاب لتوافق الكتابين
في هذا العدد على حذف العاطف اي وليستيقن او عبر عن المؤثر وهو تسعة عشر بالاثر وهو فتنة للذين
كفروا اشارة الى ان هذا الاثر من لوازم ذلك المؤثر ويزداد الذين امنوا ايمانا اذا صدقوا بذلك
واذا راوا تسليم اهل الكتاب لهذا العدد ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تصريح بما علم
ضمنا توكيدًا وليقول الذين في قلوبهم مرض نفاق اخبار بالغيب عما يكون لان السورة مكية والنفاق
انما نجم بالمدينة او الشك والارتياب وكان اكثر المشركين كذلك والكافرون غير المنافقين او الشاكين
وانما عطف قول المنافقين والكافرين على الاستيقان مع كون المعطوف عليه غرضا دون المعطوف

الشمس

اوصفا

لان اللام

لان اللام للعلة والعلة لا يلزم ان يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر ماذا اراد الله بهذا مثلا تمييز او حال
استعاروا العدد الحقير لفظ المثل من المثل المضروب لكونه غريبا عندهم بديعًا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
الكاف في محل النصب اي مثل ذلك الاضلال المذكور والهدى يضل الله الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم
جنود ربك الا هو لفرط الكثرة فليس تخصيص الخزنة بهذا العدد الا لحكمة اقتضته لعدد السموات والارضين
وحملة العرش وما هي الا ذكرى للبشر متصل بوصف سقر وقوله وما جعلنا اصحاب النار الى وما هي اعتراض
يؤكد بعضه بعضًا زيادة في تهويل جهنم اي وما سقر او وما صفتها او وما الايات المذكورة فيها
الا تذكرة لهم كلا ردع لمن ذكرهم اي وان جعل تذكرة فهم لا يتذكرون او ردع لمن نكر ان تكون احدى الكبر
والقمر والليل اذ ادبر تولى قال الزجاج تقول قريش قبل الشتاء ودبر جاء وذهب ومنه امس الدابر
وغيرهم اقبل وادبر وعن يونس ادبر تولى ودبر انقضى وقرأ نافع وحمزة وحفص اذ بسكون الذال وادبر بهمزة
القطع والرسم لا يختلف لوجود صورة الالف في القرائتين والمختار اذ اللغة قريش ولقوله والصبح
اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض والضمير لسقر والكبر جمع كبرى
والفعل ليس من ابنية جمع فعلى بل فعلة كزمرة وزمر الا ان الالف الحقت بالتاء كالقواصع في جمع قاصعاء
لالحاقها بها بناء قاصعة والمعنى ان سقر من احدى البلايا التي لا يوجد لها نظير كقولك هند احدى
النساء في العفاف وعلي احد الرجال في العلم نذيرًا للبشر تمييز من النسبة اي احدى الكبر انذارًا او حال
عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر بدل من للبشر وان يتقدم او
يتأخر مفعول شاء او مبتدأ خبره لمن شاء اي التقدم والتأخر ممكنان لمن شاء كقوله فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مصدر كالشتيمة والشريطة ولو كان وصفا لجرد عن التاء
الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بالاعمال الصالحة وقيل هم الملائكة او الاطفال في جنات
حال من اصحاب اليمين والتنكير للتعظيم يتساءلون عن المجرمين يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم ما
سلككم في سقر مع جوابه حكاية لما جرى بين المسؤول عنهم وبين المجرمين فاختصر الكلام لعدم اللبس
والسؤال عن حالهم ما سلككم في سقر مع كونه معلومًا لقصد التوبيخ وليحكى في الكتاب لطفا بالسامعين
ومن فسر اصحاب اليمين بالاطفال ايده بهذا السؤال لان الاطفال لا يعلمون موجب ذلك قالوا لم نك من
المصلين الداخلين في عدادهم ولم نك نطعم المسكين المحتاج اي لم نعظم امر الله ولم نشفق على
خلق الله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل
مع كل مبطل ونغوى مع كل غاو وكنا نكذب بيوم الدين وبعد ذلك كله كنا نكذب بيوم الجزاء كقوله ثم كان
من الذين امنوا حتى اتانا اليقين الموت لقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين
لو فرض شفاعتهم اذ لا يشفعون الا لمن ارتضى فما لهم عن التذكرة معرضين حال من المجرور كقولك
ما لك قائما والتذكرة القرآن او هو وسائر المواعظ كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة حمر الوحش
مثل في النفار من ادنى شيء والقسورة الاسد وعن ابن عباس الصائد وابن جبير الرامي فوعلة من
القسر كالحيدرة فعلة من الحدر وكلاهما ملحق بالفعللة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكوفيون مستنفرة بكسر الفاء
يقال نفر واستنفر مثل عجب واستعجب بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة تنشر وتقرأ و
قالوا لن نؤمن حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه كلا بل لا يخافون الاخرة ولذلك يتعنتون ويعاندون ولم
يريدوا بقولهم حتى تنزل علينا كتابا الا عنادًا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين كلا حقا انه تذكرة وان اعرضوا او الاول ردع عن اقتراحهم الايات
وهذا عن الاعراض فمن شاء ذكره من الذكر بضم الذال فعل القلب وما يذكرون الا ان يشاء الله

كان المسئولين قالوا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك الى آخره منه

مشيئتهم لقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله او ذكرهم وقرأ نافع تذكرون بالخطاب على الالتفات وقد يشعر هو اهل
التقوى واهل المغفرة حقيق بان يتقى لعلو شانه وجدير بالمغفرة لسعة عفوه روى الترمذى وابن ماجه
والامام احمد عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها قال انا اهل ان يتقى فمن اتقانى
ولم يجعل معى الها فانا اهل لان اغفر له تمت بحمد الله والصلوة على افضل خلق الله **سورة القيمة**
مكية وهى تسع وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة لا اصله
نزاد لتاكيد القسم مثلها فى لئلا يعلم تاكيدا للعلم وقيل هذا انما يكون اذا وقعت فى خلال الكلام
كقوله فلا وربك واما اذا وقعت فى صدر الكلام كما فى هذه السورة وسورة البلد فهى للنفى والمعنى
نفى ان يقسم بيوم القيمة لان الاقسام بالشئ اعظام له ليتوسل به الى تاكيد المقسم عليه وحاصله ان
يوم القيمة فى نفسه اعظم من ان يعظم بالقسم ويجوز ان يكون لا ردا لتوهمهم انما انت مفتر والمعنى اقسم
باليوم وقرأ ابن كثير لاقسم على ان اللام جواب القسم ولا اقسم بالنفس اللوامة هى المتقية التى تلوم
النفس المقصرة يوم القيمة على التقصير او نفس السالك التى تلوم نفسها اذا ترقت الى مقام
اعلى فهى ابدا فى اللوم او نفس آدم لانها بعد الجناية داومت على اللوم والحمل على الجنس استدلالا
بقوله صلى الله عليه وسلم ما من نفس برة وفاجرة الا تلوم نفسها يوم القيمة لا يلايم الاعظام بالقسم وقيل
النفس المطمئنة لانها تلوم الامارة اى فى حال الاطمئنان تلوم نفسها على ما فرط منها وجواب
القسم محذوف اى لتبعثن دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها قيل نزلت
فى عدى بن ربيعة ختن الاخنس بن شريق سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر الساعة فاخبره
فقال والله لو عاينت ذلك لما اومن بك بلى قادرين على ان نسوى بنانه مع صغر العظام فكيف
بكبارها واذا قدرنا على الالطف الابعد عن العادة فعلى الغير اقدر وماله الى عدم التفاوت
بين الاعادة والبدء وقيل معنى تسويه بنانه جعلها كخف البعير دلالة على كمال القدرة والظاهر
ان تخصيص البنان بالذكر لانه اعجب شئ فى الانسان واخص به من بين الحيوانات ثم فى تصدير
الكلام بالقسم بيوم البعث والمبعوث فيه على تحقق البعث على اسلوب وثنايا له انها اغريض ثم
ايثار الحسبان وهمزة الانكار مسندا الى الجنس والاتيان بحرف الايجاب وايقاع قادرين حالا
بعده من المبالغات فى تحقق المطلوب وتهجين حال المعرض عن الاستعداد له ما يبهر عجائبه و
زاده رونقا وحسنا بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه عطفا على ايحسب ترق فى الانكار الدلالة
على ان ذلك الحسبان المجرد ارادة الفجور واضراب عن الانكار عن حاله بما هو ادخل فى اللوم
كانه قيل دع الانكار وعليه انى يرتدع بالانكار وهو يريد الدوام على الفجور وعلى الوجهين فيه ايماء
الى انه عالم بوقوع البعث الا انه يتغابى يسئل ايان يوم القيمة سوال تعنت لما تقدم من انكاره فاذا
برق البصر تحير فزعا كانه نظر البرق فدهش بصره وقرأ نافع برق بفتح الراء اى لمع من البريق وعن
الفراء هما لغتان والكسر افصح وخسف القمر بذهاب ضوءه وجمع الشمس والقمر فى الطلوع
من المغرب وفى النار يعذب بهما من عبدهما وتذكير الفعل لانه احد الجابرين والموافقة خسف ومقارنه
القمر حسن يقول الانسان يومئذ اين المفر اين القرار وبكسر الفاء اسم مكان كلا ردع عن طلب المفر
لا وزر لاملجأ واصله الجبل لانه يلجأ اليه فى الغارات الى ربك خاصة يومئذ المستقر لا لجأ غيره
او الى حكمه ترجع امور العباد او الى مشيته استقرار فريق فى الجنة وفريق فى السعير ينبؤ الانسان
يومئذ بما قدم واخر بما قدم من ماله فتصدق وبما خلفه او بما قدم من الاعمال وما اخر لم
يعمل او بما اخر من سنة حسنة او سيئة او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة

واضحة فلا يحتاج معها الى ان ينبأ بما قدم واخر حين ينطق جوارحه ولو القى معاذيره اى ولو اتى بكل معذرة
لا يقبل لان الشاهد من نفسه لا يقبل الجرح وعن مجاهد المعاذير الستور والمعنى ولو القى الستور عليه
حين عصيانه لا تخفى عنه شيئا لان عليه من نفسه بصيرة لاحظ قوله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا
ابصاركم والمعاذير اسم جمع كالمناكير لان قياس جمع المعذرة بدون الثناء وجمع معذار على تفسير مجاهد لا تحرك به
لسانك اى بالقرآن عند اخذه من جبرئيل لتعجل به لتحفظه مخافة ان ينفلت منك شئ ان علينا جمعه فى صدرك
وقرآنه وقراءته على لسانك فاذا قرأناه قراءة جبرئيل والاسناد اليه لانه سفير فاتبع قرآنه قراءته اى اقرأه
بعد ذلك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وعن ابن عباس فاتبع قرآنه فاستمع لقراءته
ثم ان علينا بيانه قراءته على لسانك كان يستعجل الاخذ من جبرئيل مخافة ان تفوته شئ فنهى عنه كلا ردع
له عما كان عليه واستطراد بين حبه العاجلة المدلول عليه بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه وقوله بل تحبون
العاجلة للدلالة على ان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو رحمة وشفاء فكيف بما هو محنة وشقاء وفى
تحبون العاجلة تغليب للمخاطب كانه قال وانتم يا بنى آدم عادتكم العجلة فى كل شئ بجبلتكم دل على ذلك
خلق الانسان من عجل فان قلت اذا كانت العجلة جبلة فى الانسان فما معنى الردع فى كلا قلت وان كانت
من مقتضى الطبع الا انها قابلة العلاج كسائر الملكات الرديه ومن كان فى اعلى منصب الرسالة لا ينبغى له
الا استيصال شافة تلك الملكات وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابن عامر يحبون ويذرون الاخرة بالياء وهو
ابلغ لان فيه التفاتا واخراجا له عن صريح الخطاب بحب العاجلة مع الرمز اللطيف اللايق بشأنه صلى الله عليه
وسلم وجوه يومئذ ناضرة بهية عليها اثر السرور الى ربها ناظرة قصرا الا الى غيره كالطالب رؤية الهلال او ان
النظر الى غيره تعالى كلا نظر كما تقدم فى ذلك الكتاب او التقديم للاهتمام ورعاية الفاصلة والحمل على
الانتظار موت احمر كناية عن الرجاء لا يلايم روى الترمذى والامام ابن حنبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اكرم الخلق على الله تعالى من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ الاية ووجوه يومئذ باسرة عابسة
شديدة الكلوح تظن ان يفعل بها فاقرة داهية شديدة كانها تكسر فقار الظهر وايثار الظن لانها آنا فآنا
تتوقع وتترقب اشد مما هى فيه كلا ردع عن حب العاجلة وايثار الدنيا على الاخرة بذكر ما هو اعظم شئ
للانسان وهو الموت واهواله اذا بلغت التراقى الضمير للنفس وان لم يتقدم لان قرينتها اظهر من نار
على علم الا يرى ان حاتما من بلغاء العرب وهو الذى لا يشق غباره فى قرى الارواح بكلمه كما حاز قصب السبق
فى مضمار قرى الاشباح بشعره سلك هذه الطريقة اماوى ما يغنى الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق
بها الصدر يخاطب ماوية بنت عفر وكانت ملكة تحت حاتم والتراقى العظام المتداخلة عن يمين النحر
وشماله وقيل من راق القائل الاحباب والخلان بعضهم لبعض من يرقيه منكم لعل ان يكون يبرأ له الرقية
نجاه وهذا انما يقال عند الياس وعجز الاطباء وقرأ حفص بسكتة لطيفة على من للدلالة على ان الادغام
فيه غير لازم وخلاصا من ثقل التقارب وظن انه الفراق اى ظن المحتضر انه الفراق الحقيقى والتفت الساق
بالساق من شدة الالم وسقوط القوى مع خوف المآل بعض المشايخ جزع جزعا شديدا عند الموت قال
بعض اصحابه على ما هذا الجزع قال يابا ذقه سبعين منه الآن يفتح ولا ادرى ما وراءه الى ربك يومئذ
المساق لا الى غيره وهو عليم بذات الصدور وقد علمتم ان حب الدنيا راس كل خطيئة فكيف تؤثرون الحيوة
الدنيا على الاخرة فلا صدق ولا صلى اى الانسان الحاسب ان لن نجمع عظامه لا صدق بقلبه ولا الى
بالاعمال المصدقة لعقد القلب وعبر عنها بالصلوة لانها رئيسة العبادات ولا اصدق ماله يقال صدق
اذا اعطى الصدقة ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر ذاهبا الى اهله مفتخرا
بما فعل من التكذيب والتولى من غاية جهله يعتقد ان اشنع المثالب ارفع المناقب اولى لك فاولى اى

اولاك ما تكرهه فاولاك مرة بعد اخرى واللام مثل اللام في ردف لكم وقيل افعل من الويل بعد القلب
ثم اولى لك فاولى ابلغ فابلغ ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يجزاه ولا حساب اى لا يكون ما حسب
لان فيه بطلان الحكمة الم يك نطفة من منى يمنى وقرأ حفص بالتذكير والضمير للمنى ثم كان علقة فخلق فسوى
فقدره وعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى اليس ذلك الصانع بقادر على ان يحيى الموتى
روى ابو داود عن موسى بن ابى عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قراها قال سبحانك بلى تمت
والحمد لله على انعامه والصلوة على محمد واله وصحبه

سورة الانسان مكية وهى احدى وثلثون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان هل بمعنى قد مع الاستفهام اى اقد كقوله
اهل راونا بسفح القاع ذى الاكم والمعنى على التقرير والتقريب حين من الدهر طائفة من الزمن الممتد
غير المحدود لم يكن شيئا مذكورا شيئا يعتد به ويذكر بل منقلبا في الاطوار نطفة وعلقة ومضغة والمراد
به بنو آدم لقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة فالمعرفة عين الاولى وفى ايثار المظهر فضل تقرير
وقيل الاول آدم والثانى بنوه امشاج جمع مشيج كايتام في يتيم لان ماء الرجل والمراة كل منهما مختلف
الاجزاء رقة وقواما وخواص وما يصلح مادة جزء منه لا يصلح الاخر وعن ابى مسعود عروق النطفة وعن قتادة
امشاج الوان واطوار وقيل لفظه جمع ومعناه مفرد كبرمة اعشار وبرد اكياش نبتليه حال مقدرة اى
مقدرين ابتلاءه او ناقلين له من حال الى حال فالابتلاء مستعار لان في كل طور يظهر ظهورا
آخر كظهور الممتحن وقيل على التقديم والتاخير اى فجعلناه سميعا بصيرا نبتليه وفيه تكلف لوجود الفاء
وتخصيص السمع والبصر لانهما اعظم الحواس وبهما تتلقى الاوامر وتشاهد المعجزات انا هديناه السبيل
بانزال الايات ونصب الادلة اما شاكرا واما كفورا حال من الهاء اى هديناه في حاليه لئلا يكون
للكفور حجة ومقابلة الشاكر بالكفور اشارة الى غلبة الكفران على الانسان انا اعتدنا للكافرين
سلاسل واغلالا وسعيرا ذكر الوعد والوعيد بعد ذكر الشاكر والكفور وقدم الوعيد مع تاخر
الكفور لان الانذار اهم وليكون فتح الكلام وختمه مع المؤمنين قرأ نافع والكسائى وابو بكر وهشام سلاسلا
منونا لتناسب اغلالا وحمزة وقنبل باسكان اللام في الوقف وكذا حفص وابن ذكوان والبزى في
وجه لمنعهما من الصرف ان الابرار جمع بر كارباب جمع رب يشربون من كاس هو الزجاج ما دام
فيه الخمر ويطلق على الخمر وهو المراد لقوله كان مزاجها كافورا اى ماء كافور وهو عين في
الجنة وقيل تخلق فيه رائحة الكافور وبرده وقيل يمزج خمرهم بالكافور عينا بدل من كافورا على
الاول وعلى الاخير من محل من كاس على تقدير مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين او نصب على
الاختصاص يشرب بها عباد الله المقربون اى يمزجون الخمر بمائها كقوله ومزاجه من تسنيم هذا ان
جعل كافورا اسم عين والا فالباء مزيدة يفجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا كثيرا سهلا بلا تعب
يوفون بالنذر استيناف لما عسى ان يسئل لماذا كان ذلك الاكرام وبنه يذكر النذر على نفسه في واجبات
الله اسعى واوفى ويخافون يوما كان شره مستطيرا منتشرا اقصى ما يمكن من الانتشار من استطار الفجر
ويطعمون الطعام على حبه اى حب الطعام والاحتياج لقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقيل
على حب الله وفى قوله لوجه الله غنية عن هذا مسكينا ويتيما واسيرا مدح لهم على اختيار موضع
الصدقة فانهما كالبذر لا تنبت الا في ارض طيبة ويدخل في الاسير المسلم والكافر والمعاهد و
المملوك وفى الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك وكان يؤتى بالاسير الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيدفعه الى بعض المسلمين ويقول احسن اليه انما نطعمكم لوجه الله يقولونه بلسان الحال او بلسان
المقال منعا لمن احسنوا اليه عن المكافاة والثناء لا نريد منكم جزاء ولا شكورا تاكيد للاولى انا نخاف

من ربنا

من ربنا يوما عذاب يوم اى انما اردنا بالاطعام وجه الله لانا نخاف جزاء ذلك اليوم ومن خاف ذلك لازم
الاخلاص اولم نرد منكم على الصدقة مكافاة خوفا من عقاب الله على طلب المكافاة عبوسا قمطريرا شديد العبوس
من القمطر والميم مزيدة يقال جمع فلان قطريه اذا اشتد تغيره مغضبا اما مجاز حكمى وصف يوصف اهله لما
في الحديث ان الكافر يعبس حتى يسيل من بين عينيه مثل القطران او استعارة بالكناية تشبيها بالاسد العبوس
في ضراوته فوقاهم الله شر ذلك اليوم لما قدموه من البر ولقاهم نضرة بهجة في وجوههم وسرورا في قلبهم
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا لياكلوا الهنى ويلبسوا البهى وما يقال من عن على لا يصح لان السورة مكية
متكئين فيها على الارائك على هيئة المرتفقين نصب على الحال لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اى لا حر ولا برد
لاعتدال الهواء وعن ثعلب الزمهرير القمر بلغة الطى وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر
والمعنى لا احتياج الى الشمس والقمر لضياء الهواء ودانية عليهم ظلالها عطف على الجملة الحالية لانها في تاويل
المفرد والواو للدلالة على اجتماع الامرين لهم كانه قيل جامعين في الجنة بين البعد عن الحر ودنو الظلال
عليهم ويجوز ان يجعل متكئين وما بعده صفات الجنة على مذهب من لا يوجب ابراز الضمير في صفة جرت
على غير من هى له لكون متكئين كذلك او عطف على جنة على انهم وعدوا جنتين لقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان وذللت قطوفها تذليلا اى لا يمتنع على القطاف بل يتطفون كما شاؤا عطف على دانية وايثار
الفعلية لقصد التجدد لان القطوف بحسب الحاجة او صفة لها او حال من ضميرها ويطاف عليهم بآنية
من فضة واكواب اباريق بلا عرى كانت قواريرا قواريرا من فضة القارورة ما يكون من الزجاج
استعيرت لما كانت من فضة بجامع الصفا والشفيف فجاءت حسنه بديعة وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة
وحفص قواريرا الاول غير منون ووقف عليه حمزة بدون الف وهم مع ابن كثير الثانى ايضا ووقفوا بلا الف
سوى هشام قدروها تقديرا صفة قواريرا اى جاءت على مقدار ما صوروها في انفسهم او قدروها باعمالهم
الصالحة او الضمير للطائفين والمعنى قدروا الشراب الذى منها على قدر الرى وهو الذ للشاربين ويسقون
فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا لان العرب يستلذ طعمه قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بها واريا
مشورا وعن قتادة يمزج لهم تارة بالكافور البارد واخرى بالزنجبيل الحار ليعتدل الامر عينا تسمى سلسبيلا بدل
من زنجبيلا وقيل تخلق الله تعالى طعمه فيها وقيل يمزج بالزنجبيل وعلى الوجهين عينا بدل من كاسا والسلسبيل
كالسلسل والسلسال سهل الانحدار اى وان كان فيها طعم الزنجبيل فليس فيه لذعه ولارادة المبالغة في
به خماسيا وقيل اصله سل سبيلا سميت به لانه لا يشرب منها الا من يسئل السبيل اليها بالعمل الصالح وفيه تكلف
وفوات المبالغة بالوصف ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في الحسن
وصفاء اللون والتفرق في المجالس وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض او كانهم لؤلؤ نثر من صدفه طريا
من تشبيه المفرد واذا رايت ثم ليس له مفعول والمعنى اذا كنت ذا بصر هناك رايت نعيما وملكا كبيرا واسعا
حيث وقع بصرك عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة لمن ينظر في ملكه
الفى سنة ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه وروى البخارى عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان آخر اهل الجنة دخولا له مثل الدنيا عشر مرات عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق عاليهم
نصب على الحال اما من المجرور في عليهم او المنصوب في حسبتهم او لقاهم او جزاهم وقرأ نافع وحمزة بسكون
الياء على انه مبتدا مفرد في معنى الجمع كدابر القوم وسامرا تهجرون وثياب سندس خبره خضر بالجر صفة سندس
وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص بالرفع صفة ثياب واستبرق بالجر عطف على سندس ورفعه نافع وابن
كثير وعاصم عطفا على ثياب والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ معرب استبرك عن ابن عباس
رضى الله عنه كما ترى الرجل يكون عليه الثياب يعلوها الافضل ويجوز ان يكون الاستبرق بطانة لقوله

بل قوله كذب محض لان الله تعالى قوله تعالى نحن نزلنا
عليك القرآن تنزيلا ...
وغفل ...

لقوله بطائنها من استبرق وحلوا اساور من فضة ولا ينافيه قوله اساور من ذهب لاحتمال الجمع والمعاقبة
وقيل الفضة للابرار والذهب للمقربين وسقيهم ربهم شرابا طهورا طهر باطنهم عن الغل والحسد كما زين
ظاهرهم بالثياب والحلي وقيل هذا نوع اخر فوق الاول لذلك اسنده الى ذاته ووصفه بالطهور فانه يذهب عن
خاطرهم سوى الاستغراق بمطالعة جماله وهذا نهاية درجاتهم ولذلك ختم به السؤال ان هذا كان لكم جزاء على
اعمالكم والمشار اليه الثواب المذكور وكان سعيكم مشكورا مجازى عن الاعتداد به وفائدة هذا القول ابراز
الفضل في صورة الاجر المستحق اخراجا له عن صورة الممنون به انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا كرر الضمير واكده
بان مع ايثار التنزيل الدال على التفريق الذي هو مقتضى الحكمة ليدل على ان قوله فاصبر لحكم ربك صادر عن كلمة بالغة
وان تاخير نصرك لما فيه من الحكم الخفية ولا تطع منهم آثما او كفورا اى كل واحد منهما ولذلك اتى باو لئلا يتوهم
الجمع وهم وان كانوا كلهم كفرة الا ان منهم من كان يدعوه الى الاثم ومنهم من يدعوه الى الكفر وقيل الآثم
عتبة والكفور الوليد لان ذلك كان غاليا في الفسوق وهذا في الكفر واذكر اسم ربك بكرة واصيلا طرفي
النهار ولتنال به حلاوة تذهب عنك مرارة الصبر وخص طرفي النهار لشرفهما وقيل داوم على صلوة الفجر والظهر
والعصر فان الاصيل يتناولهما ومن الليل بعض الليل فاسجد له فانه وقت الاقتراب اليه لدنو رحمته وخلو
الوقت للمناجاة وقيل صلوتي المغرب والعشاء ويوتر وسبحه ليلا طويلا اى نزهه او صل له تطوعا ان
هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا استعار الثقل من الجملة والمراد شدته نحن خلقناهم
وشددنا اسرهم الاسر الربط الوثيق بالاساور والمراد توصيل عظامهم بعضها مع بعض وتوثيق مفاصلهم
بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اى اهلكناهم وانشاناهم نشاة اخرى فالتبديل في الصفات
لان المعاد هو المبتدأ او بدلنا مكانهم قوما آخرين لقوله ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين واذا
مع ان ذلك امر فرضى للدلالة على تمام الاقتدار ان هذه تذكرة السورة او الآيات القريبة فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا موصلا اليه يتقرب بالطاعة اليه وما تشاؤن الا ان يشاء الله مشيئتكم لان
المفعول المحذوف هو ما دل عليه المذكور كقولك لو شئت لقتلت زيدا اى لو شئت قتله وفي اثبات المشيئتين
بطلان الجبر والاعتزال والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ان الله كان عليما بكنه الاشياء حكيما لا يشاء
الا ما اقتضته الحكمة يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين
على شريطة التفسير بما يلائم المفسر نحو اوعد وكافا تمت سورة الانسان والحمد لله الواحد المنان والصلوة على
صفوة الانسان وآله وصحبه الى آخر الزمان

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن لامضاء
اوامره حال كونها كعرف الفرس في الاتباع والتتابع فالعاصفات عصفا يعصفن عصف الرياح
مبادرة الى امتثال امره او العرف ضد النكر مفعول له اى المرسلة لانفاذ الانبياء واهلاك الكفار
نعمة لاولئك ونقمة لهؤلاء والناشرات نشرا نشرن اجنحتهن في الجو نازلين بالوحي او ناشرين الشرايع
او النفوس الموتى بآفة الجهل فالفارقات فرقا بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا وحيا الى الانبياء
فان قلت الالقاء متقدم على الفرق فما وجه العطف بالفاء قلت الالقاء متقدم على العلم بالفرق لا عليه
وقيل على تقدير الارادة او اقسم برياح ارسلت للعذاب متتابعة عاصفات وباخرى نشرن السحاب
في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا او نشرن الموتى ففرقن بين المؤمن القائل مطرنا بفضل الله تعالى
والكافر القائل بالانواء والقاء الذكر منها لكونها سببا له اذا شكرت النعمة عذرا مصدر عذر بمحى الاساءة
او نذرا اسم مصدر هو الانذار او مصدر نذر بمعنى انذر او جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير وانتصابهما على
العلية اى عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين واو للتنويع لا للترديد او البدل من ذكرا او يجوز ان يكونا

بمعنى العاذر والمنذر فالنصب على الحال وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص نذرا بالتخفيف انما توعدون
لواقع لا محالة وهو قيام الساعة فاذا النجوم طمست محيت واعدمت او اذهب نورها واذا السماء فرجت
فتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت نسف الحب والرمل فكانت كثيبا مهيلا واصله القلع بسرعة
واذا الرسل اقتت بلغت وقتها الموعود وهو وقت الحضور للشهادة على الامم وقرأ ابو عمرو بالواو وهو
الاصل لانه من الوقت الا ان الرسم على الهمزة لانه وان كان اثقل من الواو الا ان الضم عليه اخف
منه على الواو لاى يوم اجلت الرسل ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادراك ما يوم الفصل بالغ في
تهويله بابهامه اولا ثم بيانه بانه يوم الحكم والقضاء ثم هول شانه بانك لم تحط علما بكنهه ذلك ويل يومئذ
للمكذبين به الويل الهلاك اصله النصب على المصدر لغيره فعله لعدم استعماله والعدول الى الرفع لكونه
ابلغ في الدعاء لدلالته على الدوام الم نهلك الاولين من تقدم كفار مكة من الامم المكذبة ثم نتبعهم
الآخرين نحن نتبع اولئك في الاهلاك اهل مكة كذلك نفعل بالمجرمين بكل مجرم في كل عصر ويل يومئذ
للمكذبين اى يوم اهلاكهم فليس فيه تكرير لان الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا مع ان التكرير
للتهويل له موقع حسن الم نخلقكم من ماء مهين هي النطفة القذرة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم تفصيل
لكيفية الخلق الى قدر معلوم له تعالى وهو وقت الولادة فقدرنا فنعم القادرون نحن على الاعادة
وقرأ نافع والكسائي فقدرنا بالتشديد اى ذلك المولود شقيا او سعيدا الى غير ذلك من حال النطفة علقة
ومضغة وعظاما والقادرون بمعنى مقتدرون من قدرت الشيء اقدره قال الشاعر وقد قدر الرحمن
ما هو قادر وهذا اوفق لقوله من نطفة خلقه فقدره ولان حدث القدر قد تم في قوله الم نخلقكم
لكون الاستفهام للتقرير ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا اسم لما يكفت اى يجمع كالضمام اسم
لما يضم او مصدر نعت به لا جمع كافت كصيام في صائم لاسناده الى ضمير الارض احياء وامواتا نكرهما لان
احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات ولانا فيه التفخيم لدلالته على كثرتهم لا تحصى وانتصابهما
على المفعولية او الحالية من مفعوله المحذوف وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا و
التنكير للتعظيم او التبعيض لكون بعض الجبال في السماء لقوله من جبال فيها واسقيناكم ماء فراتا
عذبا واى عذاب ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا على تقدير القول الى ما كنتم
به تكذبون من العذاب انطلقوا الى ظل من حر الشمس ذي ثلاث شعب يحيط بهم من فوقهم وعن ايمانهم
وعن شمائلهم لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن من الحر كقوله
لا بارد ولا كريم وهذا الظل هو الدخان الذي هو سرادق النار احاط بهم سرادقها تفقون فيه
الى الفراغ من الحساب بدل وقوف المؤمنين في ظل عرش الله انها ترمي بشرر كالقصر في العظم كانه
جمالات صفر جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت اولا بالقصور ثم بالجمال فان العرب تشبه الابل
بالقصور قال كما طينت بالفدن السياعا شبه الشرر حين ينفصل من النار بالقصر في العظم وحين ياخذ
في الارتفاع والانشقاق عن اعداد غير محصورة مع الحركات السريعة في الجهات بالجمال وعن ابن
عباس رضي الله عنه كنا نرفع خشبة للشتاء طولها ثلثة اذرع او اقل نسميه القصر وعنه الجمالات حبال
السفن يجمع حتى يكون كاوساط الرجال والاول هو الوجه وقد روى عنه ايضا وقرأ حمزة والكسائي
وحفص جمالة وجمالات ابلغ واوفق بالمقام ويل يومئذ للمكذبين بذلك هذا اى الذي قص
عليكم يوم لا ينطقون يوم القيمة ذو مواطن ينطقون في موطن دون آخر او لا ينطقون بما يحق ان
يسمى نطقا لعرائه عن الفائدة ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن اى لا اذن ولا اعتذار
متعقبا له ولو جعل جوابا لدل على ان عدم الاعتذار لعدم الاذن واوهم ان لهم عذرا يعتد به لكن لم

يؤذن لهم فيه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين للحكم بين المحق والمبطل فان كان لكم كيد
فكيدون توبيخ لهم على ما كانوا يكيدون به المؤمنين وتسجيل عليهم بالاستكانة ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين
من الشرك لانه في مقابلة المكذبين في ظلال منزالمه وعيون جارية وفواكه مما يشتهون كثير من الانواع كلوا واشربوا
هنيئا على تقدير القول بما كنتم تعملون في الدنيا من الصالحات انا كذلك نجزي المحسنين المخلصين ويل يومئذ
للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون تذكير لما كان يقال لهم في الدنيا وتحذير لهم بايثار الحقير على الخطير وويل
يومئذ للمكذبين به واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون متصل بقوله للمكذبين كانه قيل ويل يومئذ للمكذبين الذين
كذبوا والذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويجوز اتصاله بالمجرمين كانه قيل هم احقاء بان يقال لهم كلوا
وتمتعوا لكونهم مجرمين ولكونهم اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين به فباي حديث بعده
يؤمنون اي بعد القرآن فانه لا حديث يدانيه فضلا ان يساويه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من قرأ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنت بالله وبما انزل تمت المرسلات والحمد الواهب البركات
وعلى المختار افضل الصلوات **سورة النبأ مكية وآيها اربعون** بسم الله الرحمن الرحيم
عم يتساءلون اصله عن ما فاتصلت في الخط وحذف الالف فرقا بينها وبين الخبريه واذنا بشدة الاتصال
وكثرة الدوران وقرأ ابن كثير في رواية البزي عمه بهاء السكت في الوقف ليكون جرانا عن الذاهب
وهو احد حرفي الثنائي كان مشركوا مكة يسئل بعضهم بعضا عن امر القيمة او رسول الله والمؤمنين استهزاء
على ان التساؤل بمعنى السؤال كالتداعي والترائي بمعنى الدعوة والرؤية والمراد تفخيم شان المسئول عنه
مجردا عن الاستفهام لوقوعه في كلام من لا يخفى عليه خافية عن النبأ العظيم بيان للشان المفخم او
متعلق بيتساءلون وعم بما فسره الذي هم فيه مختلفون منهم المنكر له ومنهم الشاك او الضمير للفريقين
المؤمنون يسألون لزيادة الاستيقان والاستعداد له والكفار استهزاء وعنادا كلا سيعلمون
ردع للمتسائلين هزوا ووعيد ثم كلا سيعلمون كرر مبالغة وأتى بثم دلالة على ان الثاني اشد من الاول
وكما فخم شان البعث فخم ما يقع بعده وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة او الاول للبعث والثاني
للجزاء الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وانتم لا تنكرون شيئا من ذلك فانكار البعث لماذا
وهل ذاك الا على سوال هذا او من ابدع هذه الاشياء انما ابدعها لحكمة لا عبثا فلا بد من البعث
والجزاء وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا موتا من السبت وهو القطع والنوم احد
التوفيين وجعلنا الليل لباسا ساترا عن العيون يمكن فيه اخفاء ما لا يراد اظهاره من بيات العدو والفرار
منه الى امور شتى وجعلنا النهار معاشا وقت معاشكم تتقلبون فيه لحوائجكم استدل بخلقهم ذكرا وانثى
واستوى في احوالهم مفترقين ومجتمعين وبنينا فوقكم سبعا شدادا محكمة لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا
سراجا وهاجا اي الشمس النير الاعظم من وهجت النار اذا لهبت او اضاءت وانزلنا من المعصرات
من السحاب التي شارفت ان تعصرها الرياح للمطر من اعصرت الجارية قاربت عصر الحيض او من الرياح
التي حان لها ان تعصر السحاب وعن الحسن وقتادة رضي الله عنهما من السموات لان الماء ينزل من السماء الى السحاب
فكأن السموات يعصرن اي يمكن من العصر ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث
الحج عج وثج اي رفع الصوت بالتلبيه والذكر وكثرة دماء القرابين لنخرج به حبا للانسان ونباتا
للدواب وجنات الفافا ملتفة جمع لف كجف وخفاف او جمع لفيف كشريف او لفاء كخضراء
او ملتف بحذف الزوائد وفيه ان هذا لا نظير له لان تصغير الترخيم ثابت دون تكسيره ان يوم الفصل
كان ميقاتا في علم الله والميقات ما يوقت به الشيء والمراد به حد الدنيا ونهايته او حد الخلائق
وما ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتأتون افواجا جماعات يوم ندعو

كل اناس بامامهم والحديث المروي ان امته عليه السلام تحشر عشرة اصناف موضوع مختلف وفتحت السماء
فكانت ابوابا عطف على فتأتون وايثار الماضي لكونه محقق الوقوع او حال اي فتأتون والحال انها قد فتحت
والمراد كثرة الطرق والشقوق كقوله وفجرنا الارض عيونا وقرأ الكوفيون مخففا وسيرت الجبال في الهواء كمر
مر السحاب فكانت سرابا اي كالسراب يحسب ماء ولا ماء لان شان الجبل الثبات والقرار ان جهنم كانت
مرصادا مكانا يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزان الجنة المؤمنين ليحرسوهم اذا مروا عليها للطاغين
مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا الاحقاب
جمع حقب وهو ثمانون سنه وقيل دهر طويل كقوله او امضي حقبا والمعنى يلبثون احقابا كثيرة لا يذوقون فيها
الا الماء الحار وغسالة اهل النار وصديدهم ثم ينقلبون الى نوع اخر من العذاب وان جعل لا يذوقون
استينافا فالمراد باحقابا دهور غير متناهية كلما مضى حقب تبعه اخر الا ترى كيف وقع وهم الانقطاع
بقوله فلن نزيدكم الا عذابا وقرأ حمزة لبثين مقصورا وهو اقوى وعليه الرسم وحمزة والكسائي وحفص
غساقا مشددا جزاء وفاقا اي جوزوا جزاء ذا وفاق لاعمالهم او وصف بالمصدر انهم كانوا لا يرجون
حسابا وكذبوا باياتنا كذابا يقال كذب تكذيبا وكذابا قال سيبويه الاصل كذابا والياء عوض عن
التضعيف والياء عن الالف وكل شيء احصيناه كتابا نصب على المصدر احصاء او احصينا بمعنى كتبنا لالتقاء
الاحصاء والكتبة في الضبط او على الحال اي مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة فذوقوا اي العذاب التفت
اليهم في مقام السخط زيادة في العذاب فلن نزيدكم الا عذابا استثناء من الاعم اي شيئا من الاشياء
وعن ابي برزة الاسلمي سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشد آية في كتاب الله على الكفار فقال هذا
ان للمتقين مفازا مكان فوز هي الجنة كما ان جهنم للطاغين مآبا ثم فسره بقوله حدائق جمع حديقة وهي
روضة ذات اشجار وقيل روضة احاط بها حائط واعنابا افردها لقلة وجودها في ارض العرب و
كواعب جمع كاعب ناهدة الثدي اترابا لدات وكاسا دهاقا مترعة من ادهقت الحوض فهو داهق لا
يسمعون فيها لغوا ولا كذابا اي لا يتأذون من سماع اللغو وتكذيب بعضهم بعضا وقرأ الكسائي
كذابا مخففا اما مصدر كاذب او كذب نحو كتب كتابا كقول الاعشى فصدقتها وكذبته والمرء ينفعه كذابه
اي لا يصدر منهم كذب حتى يسمعه السامع جزاء من ربك نصب على المصدر عطاء بدل من جزاء او مفعول به
له او لناصبه المحذوف حسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب
اعمالهم رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك ورفعه نافع وابن كثير وابو عمرو على انه مبتدأ خبر
الرحمن او هو بدل خبره لا يملكون وقرأ الرحمن بالجر ابن عامر وعاصم على البدل ومن جر الاول ورفع الثاني
ابدل الاول وجعل الثاني مبتدأ خبره لا يملكون او خبر محذوف منه خطابا اي من الله والمعنى لا يملكون
من جهته شيئا من الخطاب لان المملوك لا يملك شيئا على مالكه وهذا لا ينافي الشفاعة بعد الاذن يوم يقوم
الروح والملئكة صفا ظرف لا يملكون او لما بعده والروح جبرئيل وافراده لشرفه وقيل نوع اخص من المخلوقات
وقيل ملك لم يخلق الله بعد العرش اعظم منه لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا اي من يتكلم
من هؤلاء الاشراف انما تتكلم بشرط الاذن وقيل الصواب فيه تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون منه خطابا
ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا وقيل الصواب منزلا وماوى بالايمان
والعمل الصالح انا انذرناكم عذابا قريبا اذ كل آت قريب ولان ابتداءه من الموت يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه اي كل امرئ ينظر عمله خيرا كان او شرا لقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا وقيل المرء هو الكافر
لقوله انا انذرناكم وضع موضع المضمر وعن قتادة هو المؤمن لقوله ويقول الكافر والاول هو الوجه
لقوله ان يوم الفصل ولقوله فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا

لم اخلق وفي هذا اليوم لما يرى سائر الحيوانات والوحوش يصير ترابا بعد جريان القصاص بينها تمت
والحمد لله على الدوام والصلوة على خير الانام وآله وصحبه الى يوم القيمة سورة النازعات
مكية وهي خمس او ست واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات
غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسم بالملئكة الموصوفة
بصفات تدل على كمال قدرته ونفاذه فالنازعات هم ملك الموت واعوانه الذين ينزعون ارواح الكفار
من اعماق ابدانهم والغرق اسم الاغراق كالسلام اسم التسليم او مصدر بحذف الزوايد والناشطات الذين
ينشطون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو اخرجها من البئر ونشط الحبل حله برفق والسابحون الذين يسبحون
فيما امروا به فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر ثوابها وعقابها
او النجوم تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها قطع الفلك بتمامه الى ان ينغرب بان ينشط من برج
الى اخر من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد فيسرع في السير فيسبق بعضها بعضا فتدبر ما نيط بها من العوايد
او خيول الغزاة تنزع في اعنتها اغراقا لطول اعناقها لانها عراب فتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر
فيسبح في جريها فيسبق بعضها بعضا فتدبر امر الظفر على الجهاد او نفوس السالكين تنزع عن الشهوات ونشاطا
وتنشط الى عالم الملكوت فتسبح في بحر المعارف فيسبق بعضها بعضا بقدر القابليات فتدبر سائر النفوس
بالارشاد والتكميل والمقسم عليه محذوف دل عليه ذكر القيمة بعده اي لتبعثن يوم ترجف الراجفة نصب بذلك
المحذوف والراجفة الواقعة ووصفت بما يحدث بحدوثها من رجف الارض والجبال مبالغة وهي النفخة
الاولى وانما صح ان يكون وقتها ظرفا للبعث مع انه لا يكون الا بعد النفخة الثانية لاتساع الوقت على ان تتبعها
الرادفة وهي النفخة الثانية حال منها فلا بد من امتداد لا يجوز وجودها وقيل الراجفة الارض
والجبال والرادفة السماء والكواكب قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف والوجيب
ابصارها خاشعة ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب وقلوب مبتدأ ... ناظر
او خبر بعد خبر لان تنكير التنويع قائم مقام الوصف يقولون ءانا لمردودون في الحافرة يريدون الحيوة
بعد الموت والحالة التي كانوا عليها في الدنيا انكارا للمعاد والحافرة الطريقة التي حفرها واثر فيها
بمشيه والقياس محفورة فاما على تقدير ذات حفر او على الاسناد مجازا نحو عيشة راضية وعن
ابن السكيت حافرة الشيء اوله واستشهد بما انشده ابن الاعرابي احافرة على صلع وشيب معاذ الله
من سفه وعار ءاذا كنا عظاما نخرة اي كون ذلك والنخرة البالية من النخر وهو صوت الريح
والعظم اذا بلي يخر فيه الريح لصيرورته اجوف وقرأ حمزة والكسائي وابوبكر ناخرة بالمد وهو
ابلغ واذا منصوب بمقدر اي نرد ونبعث قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي رجعة ذات خسران او خاسر
صاحبها ان صح ما يقول محمد قالوه استهزاء فانما هي زجرة واحدة جواب استبعاد ولا استصعاب اي
في غاية السهولة على الله لا توقف لها الا على صيحة واحدة وهي النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة
احياء كقوله فاذا هم قيام ينظرون والساهرة الارض البيضاء المستوية لان السراب يجري فيها
من قولهم عين ساهرة اي جارية او على المجاز لان سالكها لا ينام خوفا وعن قتادة اسم جهنم ولما كان
الكلام من مفتتح السورة الى هنا مسوقا للتهديد بدأ بما يجانس تسلية رسوله عقبه بقصة موسى وفرعون
لعراقتهما في هذا الباب وهل اتاك حديث موسى اي قد اتيك حديثه المشتمل على نصرة موسى وقهر
عدوه ففيه ما يسليك ثم وصفه بقوله اذ ناداه ربه بالواد المقدس الذي ... طوى
عطف بيان او بدل ونونه الكوفيون وابن عامر بتأويل المكان اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة
القول فقل هل لك الى ان تزكى اي هل لك رغبة في ان تتطهر من درن الكفر والطغيان وارشدك

الحالة

اراد انا لا نرجع الى ما كان عليه من التصابي بعد شيبه

الى طريق الدعوة بالطف طريق وذلك ان يعرض عليه ليوامر نفسه ويرى رايه كما تقول للضيف الا تنزل بنا
وهذا نحو قوله فقولا له قولا لينا وقرأ نافع وابن كثير تزكى بتشديد الزاء على ادغام احدى التائين في
الزاء وحذفها الاخرون تخفيفا واهديك الى ربك الى معرفته فتخشى لان الخشية على قدر المعرفة قال
الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وروى الترمذي عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية فاراه الآية الكبرى اي فذهب اليه
فدعاه فابى فاراه المعجزة العظمى من معجزاته وهي قلب العصا ثعبانا او كل معجزاته لانها كالواحدة في الدلالة
فكذب موسى وعصى الله ثم ادبر يسعى اي اقبل يسعى في دفع موسى بمكايده من قولهم اقبل يفعل كذا وعبر
عنه بالادبار اشارة الى ان ذلك الاقبال كان ادبارا وعليه دمارا او ادبر هاربا لما انقلب العصا
ثعبانا فحشر فنادى اي حشر السحرة او جنوده فنادى بنفسه او من امره به على انه اسناد الى السبب
فقال انا ربكم الاعلى اي اعلى من كل رب لما تقدم في الاعراف انه كان امر قومه باتخاذ الاصنام
يتقربون بها اليه فاخذه الله نكال الآخرة والاولى النكال كالسلام اسم للتنكيل اي نكل الله به في الدنيا
بالاغراق وفي الآخرة بالاحراق وعن ابن عباس رضي الله عنه نكال كلمتيه الاولى هي قوله ما
علمت لكم من اله غيري والاخرى قوله انا ربكم الاعلى ان في ذلك اي فيما حكى عنه وعن ماله لعبرة
لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا الخطاب لمشركي مكة ام السماء ولا شك ان الثاني
اصعب ثم شرع يبين كيفية ايجادها من غير عمد ومعين ليدل به على ان انكار البعث اما عنادا وتعام او
تصام بناها خلقها على صورة القبة المنبنة رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا
رفيعا مقدار خمسمائة عام فسويها فجعلها مستوية الاجزاء مزينة بالكواكب على ما اقتضته الحكمة واغطش
ليلها اظلمه يقال غطش الليل واغطشه الله كظلم واظلم ويقال اغطش الليل ايضا كاظلم لازما
واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها وانما اضاف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظل السماء في
المرائي وان كان ظل الارض حقيقة او لانهما يحصلان بغروب الشمس وطلوعها والارض بعد ذلك
دحيها بسطها وقد سبق الكلام في سبق خلق الارض في اوايل البقرة في قوله ثم استوى الى السماء
بما لا مزيد عليه اخرج منها ماءها ومرعيها اي رعيها تفسير للدحو بالابد للثاني للسكنى منه من
المأكل والمشرب او حال باضمار قد ودل بالماء والمرعى على كل ما يرتفق به من امر المعاش والجبال
ارسيها اثبتها كالاوتاد لتستقر الارض متاعا لكم ولانعامكم لسائر الحيوانات ففيه تغليب فاذا جاءت
الطامة الكبرى الداهية العظمى التي تطم على ساير الدواهي من طم الشيء علاه وغلبه فالوصف للتاكيد
والمراد النفخة الثانية او الساعة التي تساق الفريقان الى داري الخلود يوم يتذكر الانسان ما سعى
بدل من اذا جاءت اي يتذكر اعماله المسيئة اذا راى الكتاب منشورا واني له الذكرى وما موصولة او
مصدرية وبرزت الجحيم لمن يرى لكل راء لا يخفى على احد فاما من طغى واثر الحيوة فان الجحيم هي الماوى
امامع جوابه جواب اذا جاءت اي اذا جاءت الطامة فالطاغي ماويه الجحيم او جواب اذا محذوف كان
كيت وكيت والمذكور بعدها تفصيل له واما من خاف مقام ربه اي بين يديه للحساب ونهى النفس عن
الهوى لعلمه بانه يجانب الهدى فان الجنة هي الماوى هي ماويه لا غير يسئلونك عن الساعة ايان
مرسيها اي اقامتها من ارسيت الشيء اثبته او متى استقرارها كما ان مرسى السفينة استقرارها وانتهاؤها
فيم انت من ذكريها اي في اي شيء انت من ذكر الساعة لهم فان علمها من امهات الغيوب لا يعلمه
الا علمه تعالى او فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها ابتداء كلام والمعنى في اي شيء هم من سؤال
الساعة انت من علاماتها فانك بعثت في نسم الساعة واسمك نبي اخر الزمان فقد دنت الساعة الي

الا ادلج ... على سير اول الليل واخره واراد
لانه سير اول الليل منه ...

ربك منتهيها انتهاء علمها انما انت منذر من يخشيها من يخاف هولها ولست مبعوثا لتعليمهم بوقت الساعة وعن
ابي عمرو منذر بالتنوين كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها عشية
يوم او ضحاه كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى ولو قطع لاحتمل عشيه يوم وضحى آخر
فيتوهم الاستمرار في ذلك الزمان الى مثله من اليوم الاخر واحتمل ايضا ان يراد بالعشيه او الضحى كل اليوم
تجوزا سورة عبس مكيه وهي احدى واربعون آيه بسم الله الرحمن الرحيم
عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك اتفقوا على انها نزلت في ابن ام مكتوم موذن رسول الله واسمه عمرو بن
قيس او عبد الله بن عمرو واسم امه عاتكه بنت عبد الله المخزوميه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الله باهتمام فقطع عليه كلامه وكرر عليه يقول يا رسول الله علمني مما علمك
الله ولم يعلم تشاغله فتعبس في وجهه واعرض عنه والمعنى عبس لان جاءه واعرض لذلك على تنازع الفعلين وفي
الوصف بالاعمى دون اسمه او وصف آخر توكيد للعتاب فان ذلك يناسب الاقبال والتعطف دون العبوس و
الاعراض وايماء الى ان كل ضعيف في معناه كقوله لا يقضي القاضي وهو غضبان فكان بعد ذلك يكرمه ويقول
مرحبا بمن عاتبني فيه ربي وما يدريك لعله يزكى بما يسمعه منك من اوضار الاثام والمراد نفي درايته بما هو
مترقب له والرجاء اما راجع الى الاعمى او الى الرسول واشارة للدلاله على ان رجاء التزكي كاف في منع العبوس
والاعراض كيف وهو في نفسه زكي حقيقه وقيل الضمير للكافر اي وما يدريك ان ماطمعت فيه من تزكيه كائن
حتى تهتم به فالترجي لرسول الله او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقرا عاصم بالنصب جواب
لعل المحمول على التمني وهذا يويد رجوع الضمير الى الكافر الا ان يحمل في الوجه الاول على المبالغه اي كان
الاعمى جديرا بالاقبال لضعفه وان كان بعيدا حصول تزكيه اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال
اليه وما عليك الا يزكى اي وليس عليك عتب في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ هذا واشاله
وان كان عتابا في الظاهر لكن فيه كمال مدح له لاهتمامه بشان ما ارسل به وبذل جهده واما من جاءك
يسعى يسرع الى تعلم شرايع الاسلام وهو يخشى يخاف الله بقلبه فانت عنه تلهى وهو الشاغل من لهى يلهى
وتقدم الضمير في الموضعين للتقوي ويجوز التخصيص على معنى ان التصدي والتلهي مما يمكنه منه دون غيره لعلو مقامه
كلا ردع عن المعاتب عليه والعود الى مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره الضمير للقرآن والثانيث باعتبار
الخبر ولذا ذكر ثانيا والمعنى ان القران موعظه فمن شاء حفظها فلا حاجة في الموعظه الى المبالغه وفيه توكيد
لما تقدم في صحف مكرمة فيها خبر ثان او خبر محذوف او صفه لتذكرة مكرمه عند الله لانها اوعيه كلامه
مرفوعه في السماء او مرفوعه المقدار مطهرة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبه ينسخونها من اللوح
المحفوظ جمع سافر وهو الكاتب او من السفر وهو الكشف لاظهاره المكتوب ومنه السفر لانه يكشف عن الاخلاق
كرام عند الله بررة اتقياء روى البخاري عن عايشه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الماهر بالقرآن مع
السفرة الكرام البررة قتل الانسان ما اكفره القتل اعظم ما يخافه الانسان من الشدايد وعابه على الانسان
المرتكب اعظم القبايح والدعاء منه تعالى اظهار لغايه السخط من اي شيء خلقه تحقير له ولذلك فسره بقوله
من نطفه خلقه ولا اقذر منه فقدره فسواه مهيئا معدا بالقوى والالات لمصالح التكليف ثم السبيل يسره
اي طريق خروجه من بطن امه بان فتح له فم الرحم والهمه بان ينتكس فانه في البطن جالس وجهه الى ظهر
امه فاذا حان وقت خروجه قدم راسه واخر رجليه على صفه الغواص وذلك السبيل الخير ولم يكلفه ما لا
طاقه له به وفي هذا اشارة الى ان الدنيا طريق الاخرة كسبيل المارة وانتصاب السبيل بما يفسره الظاهر ثم
اماته فاقبره عد الموت من النعم لانه وسيله الى النعيم في الجمله يقال قبرت الرجل اذا دفنته واقبرته اذا
امكنته من ان تقبره والاقبار تشريف له ليلا يلقى كساير الجيف ثم اذا شاء انشره للجزاء كلا ردع للانسان عما

هو عليه لما يقض ما امره الله به من الايمان به بعد هذه النعم وعن مجاهد لم يقض احد من لدن آدم الى
هذا الاوان ما امره الله به اذ لم يخل احد من نوع تفريط ووجه ذلك ان الضمير عايد الى مطلق الانسان
المذكور في ضمن المقيد ولذلك اعاد ذكر الانسان في قوله فلينظر الانسان الى طعامه لان المذكور بعده
يعم الكل انا صببنا الماء صبا استيناف لبيان كيفيته ايجاد الطعام وقرا الكوفيون انا بفتح الالف بدل
اشتمال ثم شققنا الارض شقا بالنبات او الحراث واسنده الى ذاته لانه السبب فانبتنا فيها حبا
حبوب الحبوب وعنبا وقضبا مصدر قضب قطع سمي به الرطبه وهي المسمى بالقت لانها تقطع في عام مرارا
وعن الحسن كل علف يقطع وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا متكاثفه الاوراق والعروق مستعار من
وصف الرقاب بغلظ الاوداج وانتفاخ الاعصاب مع تداخل بعضها في بعض وفاكهه وابا هو
للدواب كالفاكهه للانسان وعن ابن عباس رضي الله عنه كل مرعى للدواب اب وروى ابو عبيد القاسم
بن سلام ان الصديق رضي الله عنه سئل عن الاب فقال لا اقول في كتاب الله الا اعلم وعن انس
ان عمر بن الخطاب تلا هذه الآيه فلما وصل الى قوله وابا قال ما الاب ثم حار وقال لعمرك يا عمر ان هذا
لهو التكلف وهذا يدل على انهم كانوا طالبين لمقاصد كلام الله تعالى والعمل بمقتضى ما علموا ولهم عن طلب
اللغات شغل شاغل وقد علموا ان الايه مسوقه للامتنان على الانسان فهم كانوا ساعين في القيام بشكر
تلك النعم متاعا لكم ولانعامكم اي للمذكورات فاذا جاءت الصاخة اي النفخه الثانيه تفاصح للحديث
واصاخ اذا استمع له ووصفت النفخه به مجازا لان الناس يصخون عندها يوم يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بحاله او خوفا عن مطالبتهم اياه بما قصر فيه من حقوقهم ويويد
الاول قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وقول الرسل نفسي نفسي وتاخير الاحب فالاحب للترقي
كانه قال يفر من اخيه من ابويه من صاحبته من بنيه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر الصبح
اضاء لسرور القلوب وقيل من الصلوة بالليل فان من تهجد استنار وجهه وقيل من آثار الوضوء وقيل
من طول ما اغبرت في سبيل الله ضاحكه بما نالت من الروح والفوز مستبشرة برحمة الله ورضوانه ووجوه يومئذ
عليها غبرة ترهقها قترة غبار وكدورة ترهقها قترة يعلوها سواد كالدخان ولا ترى اقبح من سواد
الوجه اذا علاه الغبار اولئك هم الكفرة الفجرة اي الموصوفون باغبرار الوجوه واسودادها هم الذين ضموا الى
الكفر الفجور فالجزاء على وفق العمل تمت سورة عبس والحمد لله عن كل مكروه ونقص والصلوة على رسوله بالليل
عسعس وآله وصحبه بالصبح تنفس سورة التكوير مكيه وهي سبع وعشرون آيه بسم الله الرحمن الرحيم
اذا الشمس كورت روى الامام ابن حنبل عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من سره ان ينظر الى القيمة راي عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت
والتكوير من كورت العمامة اذا لففتها والمراد اذهاب ضوئها او جمعها لان الثوب اذا اريد رفعه لف
وطوي او من طعنه فكوره اي القاه لما روي ان الشمس والقمر يكوران في جهنم لقوله انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم واذا النجوم انكدرت انتثرت لقوله واذا الكواكب انتثرت وقيل اظلمت من كدرت
الماء فانكدر وهو تفسير باللازم واذا الجبال سيرت عن وجه الارض تمر مر السحاب واذا العشار عطلت
اهملت جمع عشراء وهي الناقه التي اتى على حملها عشر اشهر ويبقى هذا الاسم بعد حملها ايضا ولذلك فسر تعطيلها
بعدم الحلب وقيل هي السحاب عطلت عن المطر واذا الوحوش حشرت من كل ادب كما يحشر الانس والجن
واذا البحار سجرت ملئت بان يفجر بعضها الى بعض حتى يصير بحرا واحدا او احميت من سجرت التنور عن ابن
عباس رضي الله عنه اوقدت فصارت نيرانا وقرا ابن كثير وابو عمرو سجرت مخففا والتشديد ابلغ واوفق
بقوله زدناهم سعيرا واذا النفوس زوجت كل نفس بشكلها في الموقف الانبياء ثم الصديقون ثم الشهداء

دفع لما استشكله الامام من ان معدم الانسان الكافر كيف معود اليه الضمير المراد به كل الاوله

بحرام

ثم الامثل فالامثل اوزوجت باعمالها وقيل نفوس المؤمنين بالحور والكفار بالشياطين واذا الموءوده سئلت
باى ذنب قتلت الموءود دفن الحى في القبر والغرض من سؤالها تبكيت الوايد على فعله وليس في الايه دليل
على انها في الجنه ولكن دلت الاحاديث على ان اطفال المشركين في الجنه فهى من باب الاولى فان قلت روى
سلمة بن يزيد انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امه قد وءدت اختا له في الجاهليه فقال الوائدة
والموءوده في النار قلت معارض بما روت خنساء بنت معاويه ان عمها اخبرها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الموءوده في الجنه ويحمل قوله الموءودة في النار على ان تلك المعينه كانت بالغه فانهم كانوا
يدفنون اذا صار قامتها ستة اشبار واذا الصحف نشرت عند الحساب فانها تطوى بعد الموت
وقيل هى غير صحف الاعمال بل صحف تصير من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في الجنة
وصحيفة الكافر في يده في النار وقرأ ابو عمرو وابن كثير وحمزه والكسائى نشرت مشددا لكثرة
الصحف اولشده التطاير واذا السماء كشطت كما يكشط الجلد من المسلوخ واذا الجحيم سعرت اوقدت
ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن ذكوان وحفص بتشديد العين والابلغيه فيه كما في سجرت واذا الجنة
ازلفت قربت من المؤمنين كقوله وازلفت الجنه للمتقين غير بعيد هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها
في الدنيا وست في الاخرة علمت نفس ما احضرت جواب اذا الشمس كورت وما عطف عليه وهو العا
العامل فيها والمعنى علمت كل نفس لقوله يوم تجد كل نفس ما عملت وانما نكرت لان الكلام صادر عن مقام
الكبرياء اشارة الى ان من يكون بعبر هذه الاجسام العظام فعله يستقل النفوس لا نسابيه في جنب
قدرته فهى كنفس واحدة فلا اقسم بالخنس هى الكواكب لانها تخنس اى تتاخر في المغيب او تختفى ومنه
سمى الشيطان خناسا لانه يتاخر اذا ذكر الله وقيل هى السيارة دون الثوابت وقال الفراء هى الخمسة
زحل والمشترى والمريخ والزهره وعطارد الجوارى الكنس التى يكنسن اى تستتر من كنس الظبى دخل في
كناسه وقيل تظهر بالليل بعد الخنس بالنهار والليل اذا عسعس ادبر لقول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا
وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل اقبل وهو من الاضداد وكلا المعنيين حسن والصبح اذا تنفس
النهار بغشيان الليل يصير كالمكروب فيحصل تخلصه منه بانكشاف الليل عنه كتنفس المكروب بعد زوال
الكرب او جعل نسيم الصباح لاشتماله على الروح كالنفس المفرج عن القلب انه اى القرآن لقول
رسول كريم عند الله وهو جبرئيل وكون القرآن قوله لملابسة التبليغ ذى قوة اى قوى كقوله شديد القوى
عند ذى العرش مكين ذى مكانة وعز مطاع بين الملأ الاعلى والكروبين ثم امين اى عند الله موصوف
بالامانة على وحى الله ويتعبد اوامره وما صاحبكم اى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجنون كما يزعمون
وليس الكلام مسوقا للموازنة والمفاضلة بين جبرئيل ورسول الله عليهما السلام حتى يستدل بتلك الاوصاف
الفاضله على افضليته على المرسل اليه بل مسوق لبيان حقية المنزل ولاشك ان وصف الاتى به بتلك الصفات
الكوامل يشد من اعضاده ابلغ شد الا يرى الى مقام الحث على اتباعه كيف جعله سراجا منيرا ورحمة
للعالمين ولقد راه بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو على الغيب اى محمد في اخباره عن المغيبات
بظنين بمتهم ولذلك تعدى الى مفعول واحد اى لا تهم فيما يوحى اليه بنقص وزيادة وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم وحمزه بالضاد وعليه الرسم اى ليس ببخيل في تبليغ ما اوحى اليه والاول اوفق بقوله وما
صاحبكم بمجنون وقوله افترى على الله كذبا ام به جنة ونظايرها وما هو اى القرآن بقول شيطان رجيم
مطرود تصريح بما علم ضمنا ونفى للكهانة والتنجيم ولتقابل به رسول كريم فاين تذهبون شبه عدولهم
عن الحق واتباعه بالعدول عن الجاده والذهاب عنها الى المهالك من الغيابى والمفاوز ان
هو الا ذكر موعظة للعالمين من الثقلين لمن شاء منكم ان يستقيم بدل من العالمين لانهم المنتفعون

بالذكر

بالتذكير وما تشاؤن الا ان يشاء الله مشيتكم حذف لدلالة الفعل عليه رب العالمين مالكهم والمتصرف فيه
فلا يكون شى الا بارادته ومقتضى مشيته تمت سورة التكوير والحمد للواحد العفو والخبير والصلوة على
البشير النذير واله وصحبه كل صغير وكبير **سورة الانفطار مكيه واياتها سبع عشرة**
بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت
تساقطت واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض بازالة البرزخ فصير بحرا واحدا ثم تنشف الارض فتبقى
مستويه لا ترى فيها عوجا ولا امتا واذا القبور بعثرت بعثت موتاها والتاء زائدة للالحاق بالغة
مثله بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت واخرت ما قدمت من الاعمال الصالحة وما ضيعت اوما
اخرت من سنه حسنه او سيئه اوما قدمت في اول عمرها وما اخرت في اخره يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم اى شى جراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغه في المنع عن الاغترار وللاشارة الى
ان الباعث على ذلك انما كان تسويل الشيطان بان ربك كريم يعفو ويغفر وقيل انما ذكر وصف الكرم
من كرمه تلقينا له ليقول غرنى كرمك وهذا باطل لان الانسان المذكور خاص بالكافر لقوله كلا بل تكذبون
او عام له وللمؤمن لقوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ولا وجه لتلقين الكافر حجته الذى
خلقك فسويك فعدلك الذى وجدت سويا تام الخلق معتدل الاعضاء فلا يد اطول من اختها ولا
عين اوسع من نظيرتها وكذا ماثل بين سائر الاطراف وقرأ الكوفيون عدلك مخففا من العدل وهو الميل
وكالمشدد الا ما فيه من المبالغه او الصرف اى تخالف عن خلق ساير الحيوانات او الى شبه الابوين او
الى الطول والقصر والذكوره والانوثه في اى صورة ما شاء ركبك اى ركبك في اى صورة اقتضتها
مشيته فما زائده واى للصفه ولما اريد التفخيم حذف موصوفها ويجوز تعلقها بعدلك اى عدلك في
صورة واى صورة كقولك مررت برجل اى رجل وحذف الموصوف لزيادة التفخيم والتعجيب ثم قال
ما شاء ركبك اى ركبك ما شاء اى تركيبا بديعا كلا ردع عن الاغترار بكرمه بل تكذبون بالدين اضراب
الى ما هو السبب الاصلى في الاغترار وهو تكذيب القرآن والرسل بوقوع الجزاء فان قلت هذا انما يستقيم
اذا اريد بالانسان الكافر اما اذا كان عاما فلا قلت اذا كان عاما يكون خطابا للكل بما وجد بينهم
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون جملة حالية اى انكم تكذبون بالجزاء والحال ان شانه
امر خطير مع علمه الشامل قد وكل بكم من يحفظ عليكم النقير والقطمير واثنى على الكتبة اشارة الى عظم امر
الجزاء ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم اللام للعهد وهم الذين يكذبون بيوم الدين
لقوله هذا الذى كنتم به تكذبون يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم عنها بمخرجين صريح
في سرمدية العذاب ثم فخم شان الجزاء بتفخيم يومه بقوله وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين
ابهم امره وخاطب اعلم الخلق بانه لم يحط بكنه ذلك اليوم وكرر ذلك واتى بثم للتراخى رتبة اشارة الى
انه مهما ترقى في العلم لم يبلغ ذلك ثم اجمل بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير
للشده هوله وفخامة امره وقرأ ابن كثير وابو عمرو يوم بالرفع خبر مبتدا اى يوم الدين يوم لا تملك
او بدل كل منه ومن قرأ بالفتح بناه لاضافته الى غير المتمكن كقول على رضى الله عنه من اى يومى من
الموت افر ايوم لم يقدر ام يوم قدر تمت سورة انفطرت والحمد لمن لالاؤه تواترت والصلوة على من
اياته بهرت واله وصحبه ما غابت النجوم او لمعت **سورة المطففين اياتها ست وثلثون**
بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف نقص الكيل والوزن
من الطفف وهو القليل لان الذى يسرق من كيل او وزن واحد لا يكون الا قليلا وعن الزجاج ماخوذ
من طف الشى جانبه روى النسائى وابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه قدم

المدينة وهم اخبث الناس كيلاً فنزلت فاحسنوا الكيل وروى انه لما قرأ الاية عليهم قال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا سلط عليهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا اخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اى اذا اكتالوا لانفسهم ما لهم على الناس يأخذونه كملاً واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اى كالوا لهم بحذف الجار واوصل الفعل او مكيالهم بحذف المضاف وقيل الضمير للفصل راجع الى المطففين وليس كذلك لان الغرض بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والاعطاء لا فى بيان المباشر وعدمها ولا يستدعاه اثبات الالف بعد الواو كما فى نظائره ولم يذكر الاتزان مع الاكتيال اكتفاء به وقيل كانهم كانوا يأخذون الموزون بالمكيال ليتمكنوا من الاستيفاء والسرقة لاحتمال ان تزعزع الكيل ويحتال فى الملأ بخلاف الميزان لانه لا يقبل ذلك الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم صدر الكلام بحرف التنبيه ايقاظا وذكر الظن دلالة على ان الظن كاف فى الكف عن التطفيف كيف والفاعل قاطع متيقن ووصف اليوم بالعظم لعظم ما يقع فيه واسم الاشارة للشتم نحو ذلك اللعين وكل هذه التشديدات ليس من حيث التطفيف بل لان الميزان قانون العدل الذى به قامت السموات والارض يوم يقوم الناس لرب العالمين نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين يغيب احدهم فى رشحه الى انصاف اذنيه كلا ردع عن التطفيف ان كتاب الفجار لفى سجين عقب ذكر التطفيف حديث الفجار زيادة تنفير عنه والسجين فعيل من السجن وهو الضيق سمى به الكتاب الجامع لاعمال الشياطين والكفرة لانه سبب للتضيق او لانه مطروح فى مكان مظلم تحت الارض السابعة فيقدر مضاف اى ان موضع كتاب الفجار ونقل الواحدى باسناده ان السجين بئر مفتوح فى جهنم والغرض من وصف كتابهم بالوصف التشنيع تقبيح حالهم وسفالة محلهم وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه او مسطور بين الكتابة وان كان اسم موضع فالتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم حذف منه المضاف ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وصف مؤكد او ذام لان اللام فى المكذبين للعهد وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن الحد حيث يعقله فيما لا يصح فيه وقطع النظر عن الايات والنذر اثيم كثير الاثم منهمك فى الشهوات حيث شغله ذلك عن التفكر اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله وعدم تأمله لا ينفعه شواهد النقل كما لا ينفعه دلائل العقل كلا ليس الامر كما قالوا من انه اساطير بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون الرين صدأ يعترى القلب من كثرة الذنوب عن الحسن هو الذنب حتى يعمى القلب روى النسائى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اذنب العبد ذنبا كانت نكتة فى قلبه فان هو نزع واستغفر صقل قلبه وان عاد ازدادت حتى تعلو القلب فهو الرين الذى قال الله تعالى بل ران على قلوبهم كلا ردع عن الكسب الران انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون تمثيل لحالهم فى الاهانة بحال من استأذن على ملك فلم يؤذن له ثم انهم لصالوا الجحيم لداخلون النار لا محالة ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون تقريعا لهم وزيادة فى العذاب كلا تكرير للاول ليعقب له وعد الابرار كما عقب به وعيد الفجار او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم علم كتاب الابرار او موضع يكون فيه الكتاب جمع على فى الاصل من العلو سمى به لانه سبب للعلو والارتفاع فى الجنة او لانه مرفوع الى السماء السابعة يشهده المقربون الملائكة يحفظون منه المعارف او يشهدوا على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون على الاسرة فى الحجال ينظرون الى ما شاؤوا مد ابصارهم مما تستلذه الاعين تعرف فى وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم ورونقه كما ترى وجوه اهل الترفه والملوك فى الدنيا يسقون

من

على الذنب

من رحيق من شراب خالص مختوم لئلا ينبذ له الايدى ختامه مسك مكان الطينة فى اباريق الملوك وهذا غاية الاكرام وقرأ الكسائى وخاتمه بفتح التاء وهو ما يختم به كالاول ان المسك يرى الى اخره وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم اسم عين فى الاصل مصدر تسنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب فى الجنة او لانها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى اوانيهم عينا يشرب بها المقربون صرفا لانهم لم يلتفتوا الى غير طاعة الله تعالى ولم يشتغلوا سرهم بغيره وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والباء فى بها مزيدة او بمعنى من ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون هم ابوجهل واضرابه كانوا اذا راوا صهيبا وبلالا وعمارا وساير الفقراء يضحكون استهزاء بهم واذا مروا بهم يتغامزون يشير بعضهم الى بعض بالعين والحاجب استحقارا واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين متلذذين اشرا وبطرا بما هم فيه من الحطام وبما فيه فقراء الصحابة رضى الله عنهم من الضنك والبلاء وقرأ حفص فكهين مقصورا فالمد اولى لوجود ذلك وقت الانقلاب والرسم على القصر واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون طريق الرشاد فى اتباع محمد وترك دين الاشياخ وما ارسلوا عليهم حافظين موكلين بهم حتى يقولوا فيهم بالضلال والرشد رد منه تعالى عليهم او هو كلام الكفار لهم اذا دعوهم الى الايمان وكان الظاهر وما ارسلوا علينا حافظين الا انه سلك طريقة الغيبة كقولك قال زيد لا فعلن كذا فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون بدل ما كانوا يضحكون منهم فى الدنيا على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون المخاطب هم المؤمنون على الارائك اذا نظروا الى الكفار فى جهنم زيادة فى سرورهم وان الله تعالى قد كافاهم والتثويب الاثابة استعمل فى العذاب تهكما والاستفهام للتقرير تمت سورة التطفيف والحمد لله الكريم اللطيف والصلوة على الرسول الشريف واله وصحبه ذوى الفضل المنيف

سورة الانشقاق مكية وايها خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت اى بالغمام وينزل فيه ملئكة العذاب كقوله يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملئكة تنزيلا وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له من الاذن وهو الاستماع والمعنى اطاعت لما اريد منها من الانشقاق اطاعة المامور اذا ورد عليه امر من الآمر المطاع وحقت وكانت محقوقة حديرة بالاطاعة لورود امر القاهر المقتدر الذى لا يتابى عليه مراد والجواب محذوف ليذهب المقتدر كل مذهب واكتفاء بما علم فى سورتى التكوير والانفطار وقيل الجواب ما دل عليه فملاقيه اى اذا وقع ذلك لاقى الانسان كدحه او فملاقيه على ان يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اعتراض واذا الارض مدت عن ابن عباس مد الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا امتا او هو من المدد اى زيدت سعة وبسطة والاول اظهر اذ ابدادا اجزاءه اخى مضافه لم يشهد له خبر ولا اثر والقت ما فيها من الاموات والكنوز وتخلت غاية الخلو لا له الفعل على التكلف كانها تكلفت ان تبلغ فى ذلك غاية الجهد واذنت لربها وحقت اى فى القاء ما فى بطنها وتخليها ولا تكرار لان الاول فى السماء وهذا فى الارض يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه الكدح الجهد فى العمل والضمير فى ملاقيه للرب اى لا مفر لك منه او للكدح اى ملاق جزاءه كما فى الحديث انما هى اعمالكم ترد اليكم ثم فصل ذلك بقوله فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا من غير مناقشة يشق عليه روى الشيخان وابو داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس احد يحاسب الا عذب قلت اوليس الله تعالى يقول فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض ومن نوقش فى الحساب هلك وعنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم حاسبنى حسابا يسيرا قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر فى كتابه فيتجاوز عنه وينقلب الى اهله اى عشيرته او الى فريق المؤمنين

اوالى اهله في الجنة من الحور والولدان مسرورا فرحا واما من اوتى كتابه وراء ظهره تغل يمناه الى عنقه
وتجعل شماله الى وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا اى يدعو بالويل والهلاك ويصلى سعيرا وقرأ نافع وابن
كثير وابن عامر والكسائى بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام من التصلية كقوله وتصلية جحيم معدى الى
مفعولين انه كان في اهله مسرورا سرور بطر بالمال والجاه لا يخطر بباله امر الاخرة انه ظن ان لن يحور
تعليل لذلك السرور بلى ايجاب بعد النفى بلى اى ليحورن لا محالة والحور هو الرجوع وفي الحديث نعوذ بالله من
الحور بعد الكور اى الرجوع عن الدين بعد الدخول فيه ان ربه كان به بصيرا فيجازيه على اعماله فلا اقسم بالشفق
وهي الحمرة بعد مغيب الشمس وعن ابي حنيفة هي البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عن ذلك ماخوذ
من الشفقة لرقته والليل وما وسق وما احاط به الليل من الكائنات من الوسق وهو الجمع والقمر اذا
اتسق اى اتسق انتظم واجتمع نوره اذا كان بدرا لتركبن طبقا عن طبق اى حالا متجاوزا عن الاخرى في الشدة وهي
الموت وما بعده من الاهوال والطبق ما طابق غيره اى وافقه ومنه اطباق الثرى والطبق الغطاء
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بفتح الباء على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدله بالاسراء
اى لتسلكن اطباق السموات في المعراج او لكل احد من افراد الانسان نظرا الى لفظه اى لفظ الانسان
فانه مفرد فما لهم لا يؤمنون بالبعث بعد ظهور دلايله واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون
اكراما له لدلالة اعجازه على انه كلام الله واستدل به ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجود لان الذم لا يكون
الا على ترك الواجب روى مسلم والبخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه انه سجد فيها وقال
سجدت خلف ابي القاسم فلا ازال اسجد بها حتى القاه قيل قرأ رسول الله صلعم ذات يوم واسجد واقترب
فسجد وسجد معه المؤمنون فصفق المشركون فتضاحكوا فنزلت بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن والدليل
انما شفع المرشد والله اعلم بما يوعون بما يضمرون من الكفر والرذائل او بما يجمعون في صحايف اعمالهم
فبشرهم بعذاب اليم تهكم بهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل بتقدير
الضمير اى منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او مشوب بالمنة تمت سورة الانشقاق والحمد للواحد
الخلاق والصلوة على الكامل بالاتفاق وآله وصحبه الى يوم التلاق سورة البروج مكية وآيها اثنتان
وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج هي البروج
الاثنى عشر المشهورة والاقسام بها لان سير الشمس فيها وبه نيط الكلام نظام العالم السفلى او منازل القمر لان تلك
البروج منقسمة الى ثمانية وعشرين منزلا او الكواكب العظام او ابواب السماء فان النوازل تظهر منها
واصل التركيب للظهور ومنه تبرج المرأة واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود عن ابي هريرة وابي
مالك الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وكذا عن سعيد بن
المسيب وعن ابن عباس رضى الله عنه الشاهد محمد والمشهود يوم القيمة وعن سعيد بن جبير الشاهد
هو الله والمشهود يوم القيمة قتل اصحاب الاخدود دليل جواب القسم اى انهم اى ان قريشا الملعونون
احقاء بان يقال فيهم قتلوا كما قتل اصحاب الاخدود وقيل المذكور هو الجواب والاول هو الوجه لان الكلام
مسوق لتصبير المؤمنين وتهديدا للمشركين كما دل عليه آخر السورة والاول هو الوجه لان الكلام والاخدود
جمع خد وهو الشق وفي الحديث انهار الجنة تجرى في غير اخدود والقصة على ما رواها مسلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخبر انه كان لمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر سأل الملك ان يدفع اليه غلاما
ليعلمه السحر فدفع اليه غلاما وكان في طريق الغلام راهب على ملة عيسى فسمع الراهب واعجبه كلامه فانقطع
عن الساحر الى الراهب فكان يضربه الساحر لانقطاعه فقال له الراهب اذا قال لك الساحر ما حبسك عنى
قل حبسني اهلي واذا سألك اهلك قل حبسني الساحر فمر يوما على دابة عظيمة في الطريق قد حبست الناس
واخذ

واخذ حجرا وقال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من الساحر فاقتل هذه الدابة فرماها فقتلها
فاخبر الراهب فقال انك افضل منى وستبتلى فلا تدل على فشرع الغلام يبرئ الاكمه والابرص وكان
جليس الملك قد عمى فاتى الغلام باموال وقال اشفنى قال الشافى هو الله فان امنت به دعوت الله فشفاك
فآمن فدعا الغلام فشفاه الله فلما حضر الملك قال من رد عليك البصر قال ربى قال انا قال
لا ربى وربك الله فاخذ يعذبه حتى دل على الغلام فلما اتى به قال بلغ من سحرك انك تبرئ الاكمه
والابرص قال الشافى هو الله قال اولك رب غيرى قال ربى وربك الله فلم يزل يعذبه حتى
دل على الراهب فقال للراهب ارجع عن دينك فلم يرجع فوضع المنشار على راسه فشقه ودفع الغلام
الى جماعة فقال اذهبوا به الى ذروة شاهق فالقوه فلما علوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم فرجف
بهم الجبل فهلكوا عن آخرهم ورجع الغلام سالما فسأله الملك عن القوم فقال هلكوا فدفعه الى نفر
وقال اجعلوه فى قرقور فاذا توسطتم البحر فالقوه في البحر فلما توسطوا البحر قال اللهم اكفنيهم فغرقوا
ورجع الغلام الى الملك فقال ما فعل اصحابك قال غرقوا ثم قال للملك انك لا تقدر على قتلى الا اذا
فعلت ما آمرك به اجمع الناس في صعيد واحد واصلبنى وخذ سهما من كنانتى وقل بسم الله رب
الغلام فانك اذا فعلت ذلك قدرت على قتلى ففعل ذلك فقتل الغلام فقال الناس آمنا برب
الغلام فامر باخاديد فخدت اخاديد واضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه فكانوا
يتعادون ويتدافعون الى النار حتى جاءت امرأة تحمل رضيعا فتقاعست فناداها
الرضيع يا اماه اصبرى فانك على الحق فالقت نفسها مع الصبى وعن على انهم حين اختلفوا في احكام
المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين به فشرب بعض ملوكهم الخمر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب
المخرج فقالت اخته المخرج ان تخطب وتقول في الخطبة ايها الناس ان الله قد احل نكاح الاخوات
ثم بعد ذلك تخطب وتقول ان الله قد حرم ذلك فخطب فلم يقبلوا منه فبسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت
ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامرته بالاخدود وايقاد النار والقاء من ابى فيها وروى
ابن اسحق ان رجلا عالما من علماء النصارى وقع بنجران فدعاهم الى دين عيسى فآمنوا به فسار
اليهم ذو نواس اليهودى من بلاد اليمن فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثنى عشر
الفا وقيل سبعين ونجا منهم رجل فلحق بقيصر فكتب قيصر الى ملك الحبشة يحثه على قتال ذى نواس ونصر
دين عيسى فارسل النجاشى جيشا اميرهم ارباط فهزم ذا نواس اليهودى حتى دخل البحر في سفينة وغرق
فيها واستمر ملك اليمن في يد الحبشة سبعين سنة حتى استنقذه سيف بن ذى يزن من ابناء تبع وهم
الذى اخبر عبد المطلب بشان رسول الله وصفاته النار ذات الوقود النار بدل اشتمال وذات الوقود
صفة لها بالعظمة وكثرة الوقود من الحطب والناس قيل كان طول الاخدود اربعين ذراعا
في عرض اثنى عشر اذ هم عليها قعود طرف لقتل اى لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها وهم على ما يفعلون
بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك لانه يسعى في احراقهم ولم يقصر او يشهدون يوم القيمة
على انفسهم يوم يشهد عليهم السنتهم وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد اى وما عابوا
منهم الا افضل المناقب واحسن الخصال وهو الايمان بمن هذه صفاته من كونه غالبا على كل
شئ منعما محمودا على نعمه لقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد عاد المظهر للدلالة على ان شمول العلم
شان الالوهية ومن لوازمها ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا يشمل اصحاب
الاخدود وغيرهم فلهم عذاب جهنم لكفرهم ولهم عذاب الحريق نار اخرى عظيمة تتسع بهم كما يتسع الحريق

لفتنتهم وقيل هم اصحاب الاخدود لما روى ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير الذي تصغر عنده الدنيا دونه ان بطش ربك لشديد
البطش هو الاخذ بالشدة والعنف فالوصف بالشدة زيادة مبالغة ثم قرر ذلك بقوله انه هو يبدئ ويعيد
ومن هذا شانه كان بطشه وانتقامه من اعدائه في نهاية الشدة وقيل يبدئ البطش في الدنيا ويعيده في
الآخرة وهذا يلائم ما قيل ان النار انقلبت على اصحاب الاخدود وهو الغفور للذنوب الودود لمن تاب
ذو العرش خالق العرش او كني به عن الملك المجيد خبر رابع لهو ومجد الله عظمته وكبرياؤه وقرأ حمزة
والكسائي بالجر صفة العرش والمراد به عظمة جرمه او اتساع الملك دلالة على كمال الاقتدار والرفع اولى
لكونه غالبا في صفاته تعالى فعال لما يريد لا يتاتى عليه مراد خبر مبتدا محذوف لدلالته على تحقق الوصفين
البطش بالاعداء والمغفرة والود للاولياء ولو جعل خبر هو المذكور فات ولا يخفى ما في التنكير وزيادة
اللام من الفخامة هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود ابدلهما عن الجنود لان المراد فرعون و
ملاؤه وضم ثمود اليه دون غيرهم لقرب بلادهم ورعاية للفاصلة والمعنى قد احطت علما بتكذيبهم وما
حاق بهم تسلية له وتهديد لقومه بل الذين كفروا في تكذيب في الاضراب دلالة على ان حال
هؤلاء اعجب من اولئك فانهم سمعوا باخبارهم وشهدوا آثارهم وهم مستغرقون في التكذيب والله من
ورائهم محيط علما وقدرة لا يفوتونه احد جملة معترضة بل هو قرآن مجيد اي ما كذبوا به قرآن شريف معجز
في الارض ترق واشاره الى ان تكذيبه خارج عن سائر انواع التكذيب في لوح محفوظ عن جمهور الملائكة
لا يطلع عليه الا بعض المقربين فكيف يكون كذبا **سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة**

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق
من الطرق وهو القرع والدق اطلق على الآتي بالليل لانه يحتاج الى دق الباب والمراد به الكوكب
لظهوره بالليل النجم الثاقب ابهمه اولا ثم فسره اظهار الفخامة شان المقسم به والثاقب المضيء كانه يثقب
الظلام بنوره ان كل نفس لما عليها حافظ ان هي المخففة واللام الفارقة وما مزيدة اي ان الشان كل
نفس لما عليها حافظ ان هي المخففة واللام الفارقة وما مزيدة اي ان الشان كل نفس عليها حافظ
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بالميم بمعنى الا على ان ان نافية والجملة جواب القسم فلينظر الانسان
مم خلق اي لما بين ان عليه حافظا فلينظر في نفسه فانها اقرب الاشياء اليه وكيفية تكونها فان ذلك النظر
يوصله الى الحافظ الحقيقي ويعرفه انه لم يخلق سدى خلق من ماء دافق ذي دفق نسبة كلابن وتامر والاسناد
مجازي وصف بوصف صاحبه يخرج من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل وترائب المرأة موضع القلادة
او ما بين ثدييها كذا عن ابن عباس رضي الله عنه جمع تريبة ولا ينافي قول الاطباء انه يتولد من جميع اجزاء
البدن بعد الهضم الرابع فياخذ من كل عضو ما يستعد لان يكون عضوا آخر مثله لانه ينبعث مع الاختصاص
على الاعضاء التي هي اصول في التولد وذلك ان الترائب تشمل القلب والكبد والكلى والصلب الدماغ
لاتصال النخاع بالدماغ وينزل من الدماغ شعب الى مقدم البدن وهي الترائب على ان كلا منهما مبناه على
الاوهام والظنون وكلام الله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انه اي الله تعالى لخم اولا
يترك الفاعل في مم خلق وثانيا بالاضمار لعدم ذهاب الوهم الى الغير على رجعه لقادر اي على اعادة الانسان
وقيل الضمير للماء اي يقتدر على رجعه الى مخرجه يوم تبلى السرائر منصوب برجعه والفاصل ليس
باجنبي لانه متعلق الجار اي يكشف ويظهر جمع سريرة وهي ما اخفي من العقائد والاعمال فما له من قوة
ولا ناصر من منعة في نفسه ولا من عزم والسماء ذات الرجع ذات المطر سمي رجعا تفاولا او لان الله
يرجعه وقتا وقتا او لان العرب يزعم ان السحاب تحمل من بحار الارض ثم ترجعه الى الارض والارض

ذات

النخاع الخيط الابيض الذي في الفقار منه

ذات الصدع النبات او الشق بالنبات والعيون انه اي القرآن او ما اخبرتم به من الانذار على الاحياء
والاول اولى لمناولة هذا وعيد لقول فصل حد فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل
في شيء بل جد كله انهم اي اهل مكة يكيدون كيدا بافاضة النعم عليهم والعافية في مقابلة
ذلك استدراجا ليزدادوا فمهل الكافرين الى الوقت المضروب لهم في علمه تعالى امهلهم رويدا امهالا
يسيرا كرر مبالغة في التسكين والتصبر وخالف لانه اوكد من مجرد التكرار تمت سورة الطارق والحمد
للخالق والصلوة على الكامل الصادق وآله وصحبه ما لمع شارق **سورة الاعلى مكية وهي تسع**
عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الخطاب عام او له وامته
تبع وكما يجب ان ينزه ذاته عما لا يليق من الاوصاف فكذا الاسماء الدالة عليه تحمل على معاني الكمال
والجلال وتصان عن الثناء وبلاد الزايغة وان لا يذكر الا على وجه التعظيم تادبا بآداب الله الذي
الى قوله ولله الاسماء الحسنى كيف يرشد الى ذلك الاعلى جعله صفة للاسم ويجوز ان يكون وصفا للرب
عن عقبة بن عامر لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوه في ركوعكم
فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوه في سجودكم الذي خلق فسوى خلق كل شيء فسواه بان جعل
له ما يتاتى كماله به ويتم معاشه والذي قدر الاشياء اجناسا وانواعا فهدى نصب الدلايل وانزل الالهام
وارسال الرسل وانزال الآيات قرأ الكسائي قدر مخففا من القدرة والتشديد ابلغ واوفق بسائر
الآيات والذي اخرج المرعى انبت الذي ترعاه الدواب فجعله غثاء احوى حطاما اسود بعد
خضرته ورفيفه والاولى جعل احوى حالا من المرعى اي اخرجه اسود من شدة الخضرة والفاصل
بين الحال وصاحبها ليس اجنبيا وفي تقديمه اشارة الى سرعة طريان الجفاف كانه قبل ان يتم فيه
يصير غثاء سنقرئك فلا تنسى كانه لما امر بتنزيه اسمه خالج قلبه خوف النسيان فبشره تعالى بكمال
قوته الحافظة بان لا ينسى شيئا الا ما شاء الله نسيانه برفع تلاوته وحكمه وقيل نفي النسيان راسا وقيل
نهي والالف للفاصلة انه يعلم الجهر وما يخفى وقد علم خوفك من النسيان ولذلك ازال عنك او
عالم بالاحوال ولذلك تنسى ما فيه حكمه ومصلحه او يعلم جهرك في القراءة مع جبرئيل مخافة فوت
شيء منه فلذلك ضمن لك حفظه ونيسرك لليسرى ونوفقك للطريقة التي هي شريعته التي لا اصرفيها ولا
اغلال كما قال عليه السلام جئتكم بالحنيفية السمحاء لو كان ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي عطف على
سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض فذكر اشتغل بالذكر بعدما امنت من النسيان ان نفعت
الذكرى كان مامورا بالتبليغ والدعوة نفعت الذكرى او لم تنفع فلما دعاهم وبلغ في ذلك اقصى جهده
حتى قال له لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين اشار الى استبعاد النفع فيهم كانه قال افعل ما امرت
به لتوجر وان كانوا اهل الطبع او المعنى ذكر المؤمنين واعرض عن هؤلاء فان الذكرى تنفع المؤمنين
يؤيده قوله سيذكر من يخشى الله فانه يتفكر في الآيات وينتفع بالمواعظ ويتجنبها الاشقى اي الكامل
في الشقاوة وهو الكافر وافعل للزيادة المطلقة لدخول الفاسق في السعداء في قوله فمنهم شقي وسعيد
الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم في مقابلة النار الصغرى وهو النار الدنيا او الدرك الاسفل ثم لا يموت
فيها فيستريح ولا يحيى حيوة طيبة ثم للدلالة على ان كونه لا ميتا ولا حيا اقطع من دخول روى مسلم عن ابي
سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل النار الذين لا يريد الله اخراجهم لا يموتون منها ولا يحيون
والذين يريد اخراجهم يميتهم فيها اماتة ثم يخرجون فيلقون في انهار الجنة قد افلح من تزكى تطهر من اوضار
الشرك والمعاصي او تكثر من الوصفات التقوى او تطهر للصلوة او اتى الزكوة والرواية عن علي ان المراد
زكوة الفطر لا يصح لان السورة مكية ولا عيد بها ولا فطر والاوجه حمله على التزكي في الاعمال

يجهدون في ضبط الكتاب وابطاله بسوقه شعرا وسحرا وكهانة

والاخلاص فيها لقوله ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه وذكر اسم ربه فصلى ولا دلالة فيه على تكبيرة الافتتاح
ليستدل به على خروجها عن الصلوة وجواز قيام سائر الاذكار مقام التكبير بل تؤثرون الحيوة الدنيا
الخطاب عام او خاص باهل مكة والمضرب عنه قد افلح او ذكر اي تؤثرون الحيوة الدنيا على الفلاح او الذكر
وقرا ابو عمرو بالغيبة باعتبار الاشقى اذ لم يرد به معين والخطاب اولى لقوله ابن مسعود رضي الله عنه
عجلت لنا الدنيا فآثرناها ولقراءة ابي بل انتم تؤثرون الحيوة الدنيا وفيه اشارة الى قلة النفوس
الكمل على اسلوب وقليل من عبادي الشكور والآخرة خير وابقى اذ نعم الدنيا لا ابقاء لها نعم الآخرة
الا في الاسم مع سرعة زوالها ان هذا لفي الصحف الاولى المشار اليه جميع ما في السورة او قد افلح من تزكى
او خير وابقى والاول اعم واصح لما روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال كلها صحف ابرهيم وموسى روى عن ابي ذر ان رسول الله صلعم قال انزل الله تعالى مائة
واربعة كتب على آدم عشر صحايف وعلى شيث خمسين وعلى ادريس ثلثين وعلى ابرهيم عشرا والتورية
والزبور والانجيل والفرقان تمت سورة الاعلى والحمد لمن له الاسماء الحسنى والصلوة على صاحب
المعراج والاسرى وآله وصحبه اولى الفضائل والتقى

سورة الغاشية مكية ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتاك حديث الغاشية اي القيمة لانها
تغشى الناس باهوالها وافزاعها وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة عملت في الدنيا وتعبت
بلا نفع وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا او عاملة في النار بجر السلاسل والاغلال
ناصبة في الصعود والهبوط في جبال النار واوديتها وقيل هؤلاء نساك اليهود والنصارى اصحاب
الصوامع كانوا يحسبون انهم يحسنون صنعا تصلى نارا تدخلها وقرا ابو عمرو وابو بكر بضم التاء على
بناء المفعول من اصليته ادخلته النار وهو ابلغ واوفق بقوله تسقى حامية في غاية الحرارة لان النار لا
يكون الا حارة تسقى من عين آنية متناهية ليس لهم طعام الا من ضريع جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام
رطبا فاذا يبس تحاماه وهو سم قاتل ولا ينافيه الا من غسلين لاختلاف طبقات الآكلة فبعضهم الغسلين
وبعضهم الضريع وبعضهم الزقوم او بحسب الاوقات كماكولات الدنيا في كل وصل يؤكل ما يلائم جزاء
على ما كانوا فيه من التنعم في اللذات لا يسمن ولا يغني من جوع مرفوع المحل او مجرور على وصف
طعام او ضريع اي مع ما يقاسون منه في التناول لم تترتب فائدة الاكل لان الغرض منه احد الامرين
وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة ورونق كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم ولم تعطف الوجوه
على الوجوه عطف احد الضدين على الاخر لان الاتيان بها على وجه الاعتراض استطرادا لسعيها راضية
لما رات من ثوابها في جنة عالية علو المكان او المقدار لا تسمع فيها في المخاطبة او الوجوه
لاغية كلمة ذات لغو او لغوا او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة ذكر وحكم فيها عين جارية اي
عيون كثيرة كقوله علمت نفس وفائدة التنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة سمكا او قدرا واكواب اباريق
لا عرى لها موضوعة عن حد الكبر اي اوساط معتدلة او موضوعة بين ايديهم لا يحتاجون الى الطلب او
على حافات العيون لانها الذ منظرا كما يتعاطاه اهل الثروة في مجالسهم ونمارق جمع نمرقة بضم النون والراء
وكسرها وهي الوسادة مصفوفة بعضها الى بعض بمجلس حيث اختار كما يفعله الملوك في قصورهم لئلا
يحتاجوا الى النقل وزرابي بسط عراض فاخرة وقيل ما فيه خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة
ومفرقة في المجالس افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت عادلا الى ما افتتح به السورة من ذكر الغاشية
واهوالها ولما كان الكلام مع العرب وجل مالهم هي الابل ولم تزل مخيلتهم مشحونة بحيل الماء والمرعى
فكما انتظم حياتهم الابل والمطر النازل من السماء المنبت في الجبال والاراضي الكلأ انتظم الذكر على نحو ما

انتظمه ذلك الخيال وفي خلق الابل واعضائها واخلاقها من التحمل على المشاق وسرعة الانقياد مع
عظم الجثة ما ينقضي منه العجب حكى بعض الثقات ان قطارا منها انقادت لجرذ فاخذ فاره بحبل
خطامها فدخلت به بيتها فتبعتها قال بعض الادباء اردت ان اؤلف كتابا في شرح خلقها فتصورت
ان لو فعلت جاء مجلدا والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت نصبا راسخا لا يميل ولا
يزول وفي ثلاث المدد المتطاولة والى الارض كيف سطحت حتى صارت مهادا سهل التقلب عليها فذكر
انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا عصموا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى ثم قرأ انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر
ثم خلف عن حمزة باشمام الصاد زايا وللخلاد وجهان الصاد الخالصة والاشمام وهشام بالسين
وهو الاصل والباقون بالصاد وعليه الرسم الا من تولى وكفر استثناء منقطع اي لكن من اعرض وكفر
فيعذبه الله العذاب الاكبر عذاب الحريق في جهنم وقيل متصل فان الجهاد مع الكفار تسلط عليهم وقيل
استثناء من فذكر اي فذكر الا المعرض الكافر وما بينهما اعتراض ان الينا ايابهم رجوعهم ثم ان علينا
حسابهم لا محالة سبق به الوعد وفيه تسلية له وتهديد لهم تمت سورة الغاشية والحمد على نعمه الوافرة
الوافية والصلوة على من شفاعته كافية وعلى آله وصحبه صلوة زاكية

سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر هو الصبح اقسم به كما اقسم
به في قوله والصبح اذا تنفس وعن عكرمة ومحمد بن كعب هو فجر يوم النحر وقيل بتقدير المضاف اي و
صلوة الفجر وليال عشر عشر ذي الحجة قاله ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما روى البخاري عن
ابن عباس مرفوعا ما من ايام العمل الصالح احب الى الله فيهن من عشر ذي الحجة قالوا ولا الجهاد
يا رسول الله قال ولا الجهاد الا رجل خرج بماله ونفسه ثم لم يرجع بشيء منهما وانما لم يعرف الليالي
العشر لانها ليال مخصوصة فلو عرفت كانت اللام للعهد فلم يجانس السابقة واللاحقة والشفع والوتر
الاشياء كلها او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين وقد اكثروا القول في المحتملات ولا طائل
تحته وقرأ حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو وهما لغتان والفتح اخف ومصدر وتر حقه بالكسر لا غير
والليل اذا يسر اذا انقضى ومضى كقوله والليل اذ ادبر اثبت ياءه ابن كثير في الحالين ونافع وابو
عمرو في الوصل وحذفها الباقون اكتفاء بالكسرة هل في ذلك قسم لذي حجر اي هل في الاشياء
المذكورة ما يحق عنده ان يكون مقسما به او هل في الاقسام بها اقسام او على الوجهين اريد تعظيم المقسم به
ويلزم منه تاكيد المقسم عليه والاستفهام للتقرير والحجر العقل لانه يمنع صاحبه عن ارتكاب ما
لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لذلك وجواب المقسم محذوف اي ليعذبن دل عليه قوله فصب عليهم ربك
سوط عذاب الم تر كيف فعل ربك بعاد الم تعلم الخطاب عام وكان هذا متواترا عند العرب
وعاد هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح سميت اولاده عادا كما يقال لبني هاشم هاشم ارم ذات العماد
ارم عطف بيان لعاد وذلك ان اولاد ارم سموا عادا الاولى وقيل ارم بلدتهم وعلى الوجهين منع
الصرف للعلمية والتانيث وانما وصفوا بذات العماد لكونهم اهل خيام يسكنون البادية او لطول قامتهم
روى ان الرجل منهم كان اربعمائة ذراع فشبهت قدودهم بالاعمدة والظاهر ان ارم اسم بلدة وذات العماد
صفتها لما تواتر وكثر في الاشعار ذكرها وقصتها ان عادا كان له ابنان شداد وشديد فملكا الارض
وقهرا الملوك ثم مات شديد واستقل شداد بالملك ملك الدنيا باسرها بلا منازع فسمع بذكر الجنة وكان
عمره اذ ذاك ستمائة سنة فبنى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من اليواقيت

والنار حجيت في مدة ثلثمائة سنة وفيها الاشجار والانهار المطردة وكانت بارض عدن فلما تم بناؤها
سار اليها بعسكره ليتمتع بتلك القصور والانهار فلما كان بينه وبين المدينة مسيرة يوم وليلة صاح بهم
ملك صيحة هلكوا عن اخرهم وحكى ان عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل له فانتهى دخوله فيها فحمل ما قدر
عليه واتى به معاوية واخبر الخبر والله اعلم التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم وهذا ايضا
يؤيد انها اسم البلدة اذ لو كان اسم القبيلة كان المناسب لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم
وهذا ايضا يؤيد انها اسم البلدة اذ لو كان اسم القبيلة كان المناسب لم يخلق مثلها في البلاد في العباد
وثمود الذين جابوا الصخر بالواد قطعوا الصخور واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا
قيل نحتوا من الجبال الفا وسبعمائة مدينة بالوادي القرى اثبت البزي وقنبل في احد وجهيه الياء في
الحالين وورش وقنبل في الوجه الاخر في الوصل وحذفها الاخرون وفرعون ذي الاوتاد سمي
به لكثرة جنوده اما لان الجنود كالاوتاد للامير على التشبيه او لكثرة خيامهم او لانه كان يعذب بالاوتاد
وهذا اشهر الذين طغوا في البلاد صفة المذكورين من عاد وثمود وفرعون مرفوع او منصوب فاكثروا
فيها الفساد تفسير لطغيانهم فصب عليهم ربك سوط عذاب الاضافة بمعنى من اى سوطا منه والمراد تعليل
ما اصابهم في جنب عذاب الاخرة ولذلك روى عن الحسن انه لما تلاها قال ان عند الله اسواطا كثيرة
وقيل ما خلط منه وذكر السوط كناية عنه والاول اوفق بساير الايات واشد تخويفا ان ربك لبالمرصاد
مفعال من رصده اذا ترقبه كناية عن عدم الفوت فاما الانسان متعلق بقوله ان ربك لبالمرصاد
كانه قيل ان الله تعالى بمرصد العصاة بالعقوبة والانسان لا يهمه الا العاجلة اذا ما ابتليه ربه اختبره بالغنى
فاكرمه ونعمه بالمال والجاه فيقول ربي اكرمن مفتخرا بذلك مدعيا استحقاقه ولم يتلقه بالشكر واما اذا
ما ابتليه فقدر عليه رزقه ضيقه عليه وقرأ ابن عامر قدر مشددا والمخفف اخف واوفق بقوله ومن
قدر عليه رزقه ضيقه عليه وقرأ ابن عامر قدر مشددا والمخفف رزقه فيقول ربي اهانن لقصور نظره
الى الحطام ولم يدر ان الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة وان الفقر قد يؤدي الى كرامة الدارين
ولذلك ردهما عن اكثر اصحابه اثبت نافع في الوصل والبزي في الحالين ياء اكرمن واهانن ولابي عمرو
وجهان الحذف والاثبات وحذفها الباقون اكتفاء بالكسرة كلا ردع للانسان عن هذا القول ثم اشار
الى انه مرتكب ما هو شر من هذا القول بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين لا تتفقدون اليتيم
بالاحسان ولا تحثون انفسكم ولا غيركم على طعام المسكين من غاية الشح وقلة الشفقة وقرأ الكوفيون بفتح التاء
والحاء والالف بعده من التفاعل حذف منه احدى التائين اى لا يحث بعضهم بعضا وهذا ابلغ لدلالته على
انهم لا يفعلون المعروف ولا يامرون به وتاكلون التراث الميراث اصله وراث قلبت الواو تاء كما في تجاه
اكلا لما ذا لم اى جمع بين الحلال والحرام لانهم كانوا لا يورثون النساء ويقولون المال لمن يحمي الحريم او يأكلون
ما جمعه المورث من الحلال والحرام لا يميزون بينهما او يسرفون في انواع الماكيل والفواكه كما يفعله الآن الوارث
لانه لم يتعب في تحصيله وتحبون المال حبا جما شديدا مع الشره والحرص ومنع الحقوق وقرأ ابو عمرو الافعال
الاربعة بالياء غيبة والخطاب ابلغ تقريعا كلا ردع لهم وانكار لفعلهم اذا دكت الارض دكا دكا بعد دك
حتى تصير هباء منبثا وعيدلهم على تلك الافعال التي يتحسرون على تركها حين لا ينفع وجاء ربك مثل حاله
في ظهور آثار قدرته وسلطانه وتوجه ارادته الى الانتقام من المجرمين بحال ملك اعتنى بقهر اعدائه
فلم يكتف بالجند والعساكر باشر بنفسه والملك صفا صفا اى الملائكة كلهم صفا بعد صف على قدر
مراتبهم محدقين بالانس والجن وجيء يومئذ بجهنم روى مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف

وادی

دكا

ملك

ملك يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان ما فرط منه او يتعظ وانى له الذكرى استبعاد
لها من حيث النفع لئلا تتناقض ما تقدمه ومن استدل به على عدم وجوب قبول التوبة فقد ابعد
عن الصواب لان عدم قبولها ليس بناء على عدم وجوب القبول بل لفوات الوقت بانقطاع التكليف يقول
يا ليتني قدمت لحيوتي هذه وهي حيوة الاخرة او وقت حيوتي في الدنيا كقولك جئت لعشر خلون
من رجب وهذا من تمني المحال وفيه دلالة على ان للانسان اختيارا في افعاله فيومئذ لا يعذب
عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الضمير لله اى لا يتولى عذاب الكافر ولا ايثاقه احد غيره تعالى
ففيه تهويل نعوذ بالله من غضب الحليم او للانسان باضافة المصدر الى المفعول اى لا يعذب الزبانية
احدا من خلق الله مثل تعذيب هذا الانسان وقرأ الكسائي بفتح الدال والعذاب بمعنى التعذيب و
الوثاق بمعنى الايثاق كالسلام بمعنى التسليم والعطاء بمعنى الاعطاء والضمير للانسان والمعنى كالوجه
الثاني في قراءة الكسر يا ايتها النفس المطمئنة المؤمنة التي اطمأنت في الدنيا الى ذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب
او الامنة من الخوف والحزن القائلة يا ليتني قدمت لحيوتي تحزنا وتحسرا وهذا اما عند الموت او البعث
او دخول الجنة ارجعي الى ربك راضية بما اوتيت من الاماني مرضية عند الله فادخلي في عبادي
في زمرة عبادي الصالحين وادخلي جنتي دار كرامتي ومقر اوليائي تمت والحمد لمن نعمه عمت والصلوة
على من به الرسل تمت

سورة البلد مكية وآيها عشرون بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد اقسم تعالى بالبلد الحرام الذي هو اشرف الاماكن حرمه يوم خلق السموات والارض على
ان الانسان مخلوق في كبد مستغرق في الشدايد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد
دلالة على ان من المكابد كون مثلك حلا اى مستحلا حرمته في مثل هذه البلدة التي لا يجوز التعرض لنباتها
فضلا عن صيدها وفيه تسكين له واشارة الى ان سوء صنيع المشركين قد بلغ الاية القصوى فيقع الذم
الاتي لهم في حاق موقعه او وعد له بفتح مكة تسلية له بان ما يقاسيه من الاذى والمكايد عاقبته الظفر
وحل البلد الذي لم يحل لاحد قبله ولا لاحد بعده يفعل فيه ما شاء قتلا ونهبا وفيه من اجلال قدره
ما ترى وتنظره في الاستقبال انك ميت وقولك لمن تعده انت مكرم ووالد وما ولد وآدم وذريته
او ابراهيم مؤسس البلد واسمعيل ومحمد وذريته الطاهرة والعدول الى ما للدلالة على الوصفية فيفيد فخامة
كقوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد اى في شدة ومشقة لان اول احواله ضيق
الرحم وآخرها الموت وضيق القبر وما بعده من كبد الرجل اذا وجع كبده ثم اتسع فيه فاطلق على كل مشقة
ايحسب ان لن يقدر عليه احد انطق هذا الصنديد القوي ان لن يقوم القيمة ولا يقدر احد على الانتقام
منه ثم ذكر ما يقول في ذلك اليوم يقول اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع يريد ما كان ينفقه
رياء وسمعة مما كانوا في الجاهلية ينفقونه مفاخرة والمعنى على العموم وان نزلت في ابي الاشد بن كلدة
فانه كان قويا يبسط الاديم العكاظي تحت قدميه ويقوم عليه ثم يقول من ازالني عنه فله كذا فيتقطع
ويبقى ما تحت قدميه وقيل نزلت في الوليد ايحسب ان لم يره احد حين ينفق ما ينفق رياء وفخرا اى ان
الله كان رقيبا عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به ويعبر به عن مقاصده وشفتين زينة و
يستعين بهما على النطق والاكل والشرب وهديناه النجدين طريقي الخير والشر كقوله انا هديناه السبيل
اما شاكرا واما كفورا والنجد ما ارتفع ففيه اشارة الى غاية الوضوح والبيان وقيل هما الثديان فان
العرب يسمونها يقولون ونجدها فالبطن كالغور وهما النجدان فلا اقتحم العقبة بعد تلك النعم وما ادريك
ما العقبة ابهمه على وجه الاعتراض ثم فسره بقوله فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة
او مسكينا ذا متربة العقبة ما صعب من طرق الجبال كني به عن صعوبة هذه الاعمال على النفس ولذلك

الابد ذكر الله

في لفظ الرجوع اشعار بان الارواح كانت قبل التعلق في عالم القدس ... ورد به الحديث والله ... اكرم العارف في القدس بان ... او الكاتب وهو البرزخ ... والكائنات

والقرابة ه

عبر عن الاتيان بها بالاقتحام الذى هو الدخول في الشى عنفا من القحمه وهى الشدة والمسغبة والمقربة والمتربة
مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر كانه التصق بالتراب والمعنى ان الانفاق عند
الله هو هذا لا ما اقتحم به ذلك المرائى وقدم فك الرقبة لانه اقرب القربات روى مسلم والبخارى عن
عمرو بن عبسه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبه مسلمه كانت له فكاكا من النار
عضوا بعضو وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة فك واطعام مصدرين الى المفعول بالرفع على الخبرية
والباقون بالفعل بدلا من اقتحم ولا مكررة تقديرا اى لا فك ولا اطعم على ان تكررها غير لازم والنحو فلا صدق
ولا صلى انما يدل على الوقوع دون اللزوم ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم اى لا اقتحم ولا آمن ولا
يلزم كونه خارجا بل لكونه اشرف الاجزاء واساس سايرها خص بالذكر مع ثم دلالة على انافة محله وتواصوا
بالصبر عن المعاصى وعلى مشاق الطاعات وتواصوا بالمرحمة الشفقة على خلق الله تعالى اولئك اصحاب
الميمنة اليمين واليمن والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة الشؤم او الشمال عليهم نار مؤصدة
مطبقة وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمز يقال اوصدت الباب واصدته اذا اغلقته والواو افصح
لانفاقهم في الوصيد تمت سورة البلد والحمد لمن وفق وسدد والصلوة على السيد الاوحد وآله وصحبه
الى آخر الامد **سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة** بسم الله الرحمن الرحيم
والشمس وضحيها اقسم بالشمس وضوءها لان كلا منهما من بدايع صنعه الضحوة وقت ارتفاع النهار والضحى
فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد قريب نصف النهار والقمر اذا تلاها تلا الشمس في النور والكمال
ليلة البدر فانه يظهر سلطانه لوقت الضحى للشمس وتلا الشمس آخذا من نورها وذلك في النصف الاول
من الشهر واما في النصف الثانى فلا تلو لانه مفارق او تلا طلوعه طلوعها والنهار اذا جليها اى الشمس
على التقابل كما جعل الليل غاشيا للشمس جعل النهار مجليا لها فانها تظهر غاية الظهور اذا انبسط النهار
وقيل الضمير للظلمة او الليل او الارض والليل اذا يغشاها يغشى الشمس فيستر ضوءها بظلامه ولما
كانت واوات العطف نوايب للواو القسمية الجارة بنفسها قايم مقام الفعل ساده مسده بحيث طرح
ذكره راسا بخلاف الباء جاز ان يكن عوامل عمل الفعل والجار معا كقولك ضرب زيد عمروا وبكر خالدا
من غير عطف على عاملين مختلفين هذا ويرد عليه والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس فانه عطف
على المجرور بالباء والحق ان الظرف ليس متعلقا بفعل القسم لان التقييد بالزمان غير مراد لا حالا
ولا استقبالا بل المعنى وعظمة الليل وقت غشيانه لان الاقسام بالشى اعظام له والسماء وما بناها
ما ليست مصدرية لقوله فالهمها بل موصولة وايثارها على من لارادة الوصف يتعقد فخامه كانه قال
والسماء والقادر العظيم الذى بناها ولذا يتعدد ما ناسب في غيرها والقول باضمار العايد اليه تع
للعلم به مفوت لتلك الفخامه والارض وما طحيها دحاها وبسطها ونفس وما سويها هى نفس آدم او التنكير
للتكثير اى كل نفس وتسويتها خلقها في احسن تقويم فالهمها فجورها وتقويها ارشدها الى الطريق
الخير والشر وتقدم الفجور للدلالة على انه بقدره وارادته ايضا ولا ينافيه مدخلية قدرة العبد كسبا
فان قلت التسوية خلق الاعضاء وتعديلها واما ضد الروح والقوى والهام الفجور والتقوى انما يكون
بعد البلوغ وتوجه التكليف والفاء تقتضى التعقيب من غير تراخ قلت التعقيب امر عرفى ولما كان
كامل القوى وقت البلوغ فكان لا تسوية قبله قد افلح من زكيها طهرها من درن الاخلاق الذميمه
وانماها بالاعمال السيئه جواب القسم حذف منه اللام لطول الفصل وقيل مستطرد لذكر بعض احوال
النفس والجواب محذوف اى ليدمدمن الله على كفار مكه كما دمدم على ثمود وقد خاب من
دسيها اخفاها واطفأ نور الفطرة بظلمات المعاصى اصله دسس قلبت الثانيه ياء كما في

املت

امليت وتقضى البازى واسناد التزكية والتدسيه الى العبد انما يقتضى القيام به لا استقلال
ولا الايجاد فلا دليل فيه للقدريه على ان الارجح عود المستتر اليه تعالى والبارز المنصوب الى من
تأويل النفس لما روى زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم آت نفسى تقويها
وزكها انت خير من زكيها كذبت ثمود بطغويها اسم بمعنى الطغيان ولذلك قلبت ياؤه واوا فرقا بينه
وبين الصفه اى كذبت بسبب طغيانها او بعذابها الموعود ذى الطغوى كقوله فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغيه فالباء صلة اذ انبعث اشقيها اشقى ثمود قدار بن سالف او هو ومن وافقه لان اسم
التفضيل اذا اضيف صلح لما فوق الواحد فقال لهم رسول الله ناقة الله نصب على التحذير ولما اضاف
الناقة اليه لتشريفا ذكر صالحا باسم الرسول واضافه ايضا لانه اولى بالاجلال وسقياها لا تذودها
عنه فكذبوه فيما حذرهم من نزول العذاب فعقروها فدمدم عليهم ربهم اطبق عليهم العذاب وعمهم به
تكريرهم الشى كبس نحو كبكبهم في كب وقيل غضب من الدمدمه وهو الكلام المزعج وقيل ارجف الارض بهم
بذنبهم بسبب ذنبهم فسويها اى العقوبة بينهم عموما او سوى ثمود بالارض ولا يخاف عقبيها عقبى
الدمدمة او التسوية الواو للحال اى فعل ذلك والحال انه غير خائف من عاقبة فعله كبعض الملوك
وقرأ نافع وابن عامر بالفاء والواو ابلغ روى البخارى ومسلم عن عمار بن ياسر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعلى رض الا اخبرك باشقى الناس قال بلى قال احمر ثمود عاقر الناقة والذى
يضربك على هذا واشار الى قرنه راسه حتى تبتل منه هذه يريد لحيته تمت والحمد لمولى الاولى عمت **سورة
والليل مكية وآيها احدى وعشرون** بسم الله الرحمن الرحيم والليل
اذا يغشى بظلامه كل ما يواريه او النهار او الشمس والنهار اذا تجلى تبين وانكشف بانسلاخ الليل
عنه وما خلق الذكر والانثى والقادر الذى خلق الزوجين من كل نوع او آدم وحواء ويجوز
ان يكون ما مصدريه وقرأ ابن مسعود وابو الدرداء رضى الله عنهما والذكر والانثى ان سعيكم لشتى
جمع شتيت جواب القسم اى ان مساعيكم مختلفه الاغراض متباينة الجزاء ثم فصل بما على اثره واما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى اعطى الطاعة في حقوق الله تعالى واتقى المعصيه وصدق بالتوحيد
او الجنه فسنيسره لليسرى فسنوفقه للخلة التى تؤدى به الى اليسر والراحة واما من بخل بحقوق
الله واستغنى بالحطام الفانى وكذب بالحسنى بالنعيم الباقى او التوحيد فسنيسره للعسرى فسنخذله
وندله على الطريقه التى اختارها واطلاق التيسير للمشاكله وما يغنى عنه ماله اذا تردى سقط في
حفرة القبر او في قعر جهنم او مات من الردى وهو الموت نفى او استفهام انكار ان علينا للهدى
الدلالة والارشاد الى طريق الصواب بشرع الاحكام وبيان الحلال والحرام وان لنا للآخرة والاولى
نعطى ما نشاء لمن نشاء او لنا الغنى المطلق لا ينفعنا طاعة ولا يضرنا معصيه فانذرتكم نارا تلظى تتلهب
لا يصليها لا يدخلها الا الاشقى الذى كذب بالحق وتولى واعرض عنه وسيجنبها الاتقى
والحصر فيه ادعائى كان غير هذا الاشقى لا يصليها وغير هذا الاتقى لا يجنب لاتفاق الكل على
انها نزلت في ابى بكر وامية بن خلف حين اشترى منه بلالا ببردة وعشر اواق وقيل في ابى جهل وامية
وابى بكر والاشقى لم يرد به واحد واما تفسير الصلى باللزوم فلا يدل عليه اللفظ ويلزم منه ان الشقى
لا يلزمها وينافيه واما الذين شقوا ففى النار خالدين فيها الذى يؤتى ماله في مصارف الخير
يتزكى من الزكاء اى يطلب ان يكون عند الله زكيا لا رياء او من الزكوة بدل من يؤتى داخل في
حكم الصلة او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى قيل لما اشترى بلالا قالوا انما اشتراه
الايد له عليه وعن ابن الزبير ان ابا بكر رض كان يشترى الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه لو اشتريت

الا ابتغاء وجه ربه الاعلى منقطع اى لكن ابتغاء وجه ربه او متصل مفعول له عن محذوف اى لا يؤتى
ماله الا ابتغاء وجه ربه ولسوف يرضى بما نقربه عينه وعد جميل وفى ابهامه ما لا يخفى **سورة الضحى مكية**
وهى احدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم والضحى اى ووقت
الضحى وهو حين ارتفاع الشمس وظهور سلطانه وقيل اقسم به لانه وقت غلبة موسى فرعون لقوله وان يحشر
الناس ضحى وقيل جميع النهار لقوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى فى مقابلة بياتا والليل اذا سجى
ستر بتغطية من سجية او سكن من سجى البحر اى سكن من فيه ظلامه واستقر تقدم الليل باعتبار الاصل
فان الليالى غرر الايام والنهار احرى باعتبار الشرف ما ودعك ربك جواب القسم اى ما تركك
ترك المودع وما قلى ما ابغضك من القلى بكسر القاف مقصورا روى البخارى عن جندب البجلى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فلم يقم ليلتين او ثلثا فجاءت امراة فقالت يا محمد انى لارجو ان يكون
شيطانك قد تركك فانزل الله تعالى والضحى وللآخرة خير لك من الاولى اى الاوقات المستقبلة خير
لك من الايام الماضية فانه يعلو شانك فيها ويظهر دينك على ساير الاديان وترى الناس يدخلون
فى دين الله افواجا ولسوف يعطيك ربك فى الدارين فترضى بحيث لا يبقى لك طلب بعد تلك العطية
وانما حذف المفعول لغرض العموم فيشمل مقام الشفاعة وساير المزايا التى تخصه واللام للابتداء
دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير لانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا
مع النون وجمع مع سوف للدلالة على ان العطا كاين لا محالة وان تاخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى
من الوجود بمعنى العلم والاستفهام للتقرير اى قد كنت يتيما آويك مات ابوه وهو جنين اتى عليه ستة
اشهر فلما ولد كان فى حجر امه ويحوطه عبد المطلب جده الى ان بلغ عمره ثمان سنين مات عبد المطلب
وامه فعطف الله عليه عمه ابا طالب ووجدك ضالا فهدى قيل اضلته ظئره حليمة عند باب مكة
وقيل ضل فى بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عمه ابى طالب وقيل ضل فى طريق الشام
اضله ابليس حل راحلته فرده جبرئيل الى الركب او كنت ضالا عن علم الشرايع والاحكام وما طريقه
السمع ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ووجدك عائلا فاغنى كنت عديم المال فاغناك
بمال خديجة رضى الله عنها او احل لك الغنايم ولم يحلها لاحد قبلك او كنت مبعوثا الى الاحمر
والاسود فاغناك بكنز المعارف وهو القرآن فتستخرج امتك من فرائد درره الى آخر الدهر
عدد عليه بعض نعمه السابقة تقريرا لقوله وللآخرة خير لك من الاولى لانه اذا كانت هذه
عنايته معه ولم يكن لابسا خلعة رسالته فكيف به وقد ارسله للناس كافة بشيرا ونذيرا فاما
اليتيم فلا تقهر لا تظلمه فى حقه وتعطف عليه واذكر حالك فى اليتيم واما السائل فلا
تنهر لا تزجر يشمل الفقير والمسترشد فى دينه واما بنعمة ربك فحدث فان اشاعتها شكر لها روى
ابو داود عن جابر رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى عطاء فوجد فليكافئ
وان لم يجد فليثن به فمن اثنى فقد شكره ومن كتم فقد كفره ولما من الله عليه بثلث خلال ارشده
وحثه على ثلث فى مقابلها لتكون متخلقا باخلاق الله ويقتدى به فى ذلك امته تمت سورة الضحى
والحمد لمن له العطاء والصلوة على المجتبى وآله وصحبه الاتقياء **سورة الم نشرح مكية وهى ثمان ايات**
بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك اى شرحناه لان انكار
النفى اثبات والمعنى نورنا صدرك بنور النبوة حتى وسع علم الاولين والآخرين روى البخارى
عن مالك بن صعصعة رض عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر عن ليلة اسرى به قال فجاء
جبرئيل بطست من ذهب ملئ حكمة وايمانا فشق من نحر صدرى الى مراق بطنى فاخرج قلبى وشقه ثم

الظئر المرضعة

غسله بماء زمزم فحشاه حكمة وايمانا او ترقبه الاجمال والتفصيل مبالغة فى الايضاح ووضعنا عنك وزرك
ما كان يثقل عليك من عدم العلم بالحكم والاحكام او ما كنت تراه من ضلال قومك مع عدم الاهتداء الى
ما ترشدهم اليه او ما كنت تلقى من الشدة عند تلقى الوحى خوفا من فوت شئ منه فصممناك حتى سكن روعك
الذى انقض ظهرك من النقض وهو صوت الرحل من ثقل الحمل مثل حاله به كناية عن غاية الشدة ورفعنا لك
ذكرك فى الدارين بانك سيد المرسلين وخاتم النبيين ونعتك فى زبر الاولين واسمك مقرون باسم
رب العالمين براءة من الله ورسوله واطيعوا الله ورسوله ومن يطع الله ورسوله عدد عليه بعض
جلائل نعمه ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال اذا كنت بهذه الرتبة عندنا فلا تبال بقول
من قصر نظره على حطام الدنيا معيرا لك ولاصحابك بضيق ذات اليد فانك ستبرون عن قريب يسرا واى
يسر ودل على القرب بلفظ مع الدال على المقارنة والمصاحبة ان مع العسر يسرا استيناف والعسر الثانى
عين الاول على قانون النكرة المعادة وترجيحا على التاسيس التاكيد وحملا لكلام الله تعالى على
ابلغ الاحتمالين مع اقتضاء المقام زيادة التسلية والتنفيس ولما روى مرفوعا انه قال لن يغلب عسر
يسرين فان قلت فما تقول فى معنى الحديث من حمل الثانى على التاكيد وجعله مثل قولك ان زيدا قايم
ان زيدا قايم قلت يحمل اليسرين على يسر الدنيا والآخرة فان قلت كان الواجب تعريفه لانه الاول
كالعسر قلت ذلك ليس بواجب بل اكثرى عدل عنه للتفخيم فاذا فرغت فانصب فاذا فرغت من
عبادة اتبعها باخرى لتكون شكرك على وفق النعم واشار بلفظ النصب وهو التعب الى الترقى
كانى طائب النعم بقوله وللآخرة خير لك من الاولى وعن ابن عباس رضى الله عنه اذا فرغت من
الصلوة فاجتهد فى الدعاء وذلك لان الصلوة عماد الدين والدعاء مخ العبادة وعن الحسن اذا
فرغت من الغزو فاجتهد فى العبادة وكانه لاحظ قوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
والى ربك فارغب فى مطالبك لا الى غيره لعلك متفرد بالتاثير لا يشاركه احد الكل منه وبه
واليه وتوكل عليه تمت بحمد الله والصلوة على افضل خلق الله **سورة والتين مكية وهى ثمان ايات**
بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين القسم بجبال
الارض المقدسة والاولان سميا باسم الشجرتين النابتين بها والطور هو الجبل الذى كلم الله تعالى عليه
موسى وسينين وسينا اسم البقعة التى بها الجبال قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد
بيت المقدس وقيل اراد الشجرتين لكثرة منافعهما وليس بقوى لان النخلة اشرف الاشجار حتى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثلها مثل المسلم ولعدم الملايمة من المعطوف والمعطوف عليه وهذا
البلد الامين الحافظ داخله هى مكة شرفها الله كانه قال والارض المباركة دنيا ودينا والبلد
الذى من دخله كان امنا فى الدارين وفيه نجح الترقى اذ لا مطمح وراء من الدارين لقد خلقنا
الانسان فى احسن تقويم تعديل شكلا وصورة لا ترى فى الكائنات احسن منه حتى يبلغ منه سن الملاحة
حدا يعجز الواصف عن ابرازه قطعا ثم رددناه اسفل سافلين وهو الكافر فى النار سنه مثل احد ويجر
شفته على الارض والوجه اسود مظلم وما بين كتفيه ما بين مكة والمدينة عافانا الله او رددناه
فى الدنيا بعد ذلك الحسن والجمال اسفل من سفل بقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد اسوداده
وكل سمعه وبصره ووهنت قواه وعقله وانفه من كان بجنبه الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
استثناء متصل على الاول ظاهر الاتصال منقطع على الثانى اى لكن الذين امنوا وكانوا صالحين
من الهرم فلهم اجر غير ممنون غير مقطوع بل يجرى عليهم ثواب الاعمال التى كانوا يعملونها وهم
اقوياء فما يكذبك بعد بالدين الخطاب للانسان اى بعد هذه الدلايل المشاهدة اى شئ يجعلك كاذبا

بالاعادة فان مكذب الحق كاذب والباء للسببيه اولرسول الله صلى الله عليه وسلم الهابا اوتعريضا بالمكذبين
اى بعد هذا البيان لا يكذبك شى كهولاء الذين لا يبالون بآيات الله تعالى وعلى الاول استفهام توبيخ
اليس الله باحكم الحاكمين اى اليس ذلك الموصوف اقدر من كل قادر فما وجه انكار الاعاده بعد اختاره
واثر الاسم الاعظم دلاله على ان ذلك من خواص الالوهيه تمت سورة الدين والحمد لله رب العالمين والصلوه
على سيد المرسلين واله وصحبه اجمعين **سورة اقرا مكيه وهى سبع عشره آيه** بسم الله الرحمن الرحيم
اقرأ باسم ربك الجار فى محل النصب على الحال اى اقرأ حال كونك مفتتحا قراءتك باسم الله الذى
خلق خلق الانسان لانه اشرف البريه والمقصود بالانزال او المراد خلق الانسان او ترفيه الابهام
والتفسير وفيه اشاره الى انه مخلوق للقراءة من علق جمع باعتبار الافراد اقرأ تكرير للاول
وهو محزم لانه اول امر ورد بالقراءه ولانكاره القراءة بقوله ما انا بقارى وقيل الاول لنفسه
والثانى للتبليغ او الاول خارج الصلوه والثانى فيها وربك الاكرم على الاطلاق اذ كرمه غيره تكلف
فى جزئى لعرض الذى علم بالقلم دليل على اكرميته لان كل عطيه دون العلم والمعرفه كنقطه من المحيط
وقيل رب زدنى علما ورمز فى ضمن ذلك الى فضل الكتابه لانها آلة التعليم وضابطة الحكم وفى المثل العلم
صيد والكتابه قيد علم الانسان ما لم يعلم ما لا يمكنه علمه الا بالتعلم كلا ردع للانسان الذى قابل هذه
النعم بالكفر والطغيان ان الانسان ليطغى ليتجاوز عن حده ان رآه استغنى لان راى نفسه غنيا
اى علم ولذلك جاز ان يكون الفاعل والمفعول ضميرين لشئ واحد وذلك من بعض خصائص فعل القلب
ان الى ربك الرجعى خطاب لذلك الانسان الطاغى التفاتا لكونه ابلغ تحذيرا والرجعى مصدر كالبشرى
ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى روى الترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنه ان ابا جهل قال
هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال والذى يحلف به لئن رايته لاطان عنقه فجاءه وهو
يصلى عند المقام فتوجه اليه والمشركون ينظرون اليه فما راوه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل
له مالك فقال رأيت بينى وبينه خندقا من نار وهولا واجنحه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو دنا منى لاختطفته الملئكه عضوا عضوا ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت
تكرير للاول والشرط مفعول ثان حذف منه الجواب لدلاله قوله الم يعلم عليه وحذف المفعول الاول
لظهوره ارايت ان كذب وتولى مقابل للاول والشرط مفعول ثان حذف منه الجواب لدلاله قوله الم
يعلم عليه وحذف المفعول الاول لظهوره ارايت ان كان كذب وتولى مقابل للاول لتقابل الشرطين
والمعنى اخبرنى يا من له ادنى تمييز عن حال من ينهى عبدا يصلى ان كان ذلك الناهى على الهدى او امر بالتقوى
فيما يامر به من عباده الاوثان كما هو معتقد او كان مكذبا معرضا الم يعلم بان الله يرى ويشاهد وسوق
الكلام على طريقه المنصف والتهكم لان الناهى عن الصلوه ليس على الهدى قطعا وكذا كونه مكذبا مجزوم
به كلا ردع للناهى لئن لم ينته لنسفعا بالناصيه لناخذن بناصيته ولنجرنه الى النار والسفع القبض
على الشئ وجره بعنف قال عمرو بن معدى كرب قوم اذا نقع الصريخ رايتهم ما بين ملجم مهره او سافع ناصيه
كاذبه خاطئه بدل من الاول وحسنه الوصف وكان اوفى بالمقصود ولدلالته على عله السفع واسناد
الكذب والخطا الى الناصيه مجاز عقلى وتخصيصها لانها اشرف الاعضاء فليدع ناديه عن ابن عباس رض
ان ابا جهل لما لم يقدر ان تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم توعده بالكلام فاغلظ له رسول الله صلعم فقال
تهددنى يا محمد وانا اكثر اهل الوادى ناديا اراد عشيرته فسماهم باسم مجلسهم ومجتمعهم سندع الزبانيه عن
ورتب ليجروه الى النار جمع زبنى او زبانى او زبنيه كعفرية قال الاخفش العرب لا تكاد تعرف هذا بل
جعله من الجمع الذى لا واحد له مثل ابابيل واصل الزبن الدفع كلا ردع للناهى ايضا لا تطعه الخطا

اى خلق كل شئ ثم خص الانسان
فاصله قبل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرا له
والدينه

لتقابل الشرطين
رد على النسائى لان قال بتكراره
ايضا منه

وقال فى الكشاف ان اميه بن خلف
كان ينهى سلمان عن الصلوه
موضعه وهو خطا لان سلمان
لم ير اميه لان اميه قتل
فى بدر وسلمان سوى رسول
الله اشتراه من يهودى
بالمدينه منه

لرسول

لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد تمت سورة العلق والحمد لمن
خلق والصلوة على من فى مضمار السعاده سبق واله وصحبه بالليل وسق **سورة القدر مدنيه وايها**
خمس بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه فى ليله القدر فخم شان القران بان
خص انزاله به وبالاضمار لانه العلم الذى لا يذهب الوهم الى غيره وبزمان نزوله اتفقوا على ان القران
نزل به جبرئيل فى ليله القدر الى بيت العزه فى السماء الدنيا فكتبه السفره ثم نزل منجما فى ثلث وعشرين
سنه وسميت ليله القدر لان الامور المتعلقه بذلك العام واقدارها تكتب من اللوح فيها وتدفع
الى الملئكه وما ادريك ما ليلة القدر لم يبلغ درايتك كنه فضلها ثم بينه بقوله ليلة القدر خير من الف
شهر اى القيام بالعباده فيها خير من القيام بالعباده فى الف شهر خاليه عنها عن مجاهد ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فى بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فتعجب المسلمون فنزلت
وروى البخارى ومسلم عن ابى هريره رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليله القدر
ايمانا واحتسابا غفر له من ذنبه ما تقدم والاكثر على انها فى اوتار العشر الاخير من رمضان ومن
علاماتها ان ليلتها ساكنه لا حر ولا برد ولا يرى فيها بكوكب وهى صافيه كانها قمراء وتطلع
الشمس فى صبيحها ليس لها شعاع وروى الترمذى عن حسن بن على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه راى بنى اميه على منبره فنزلت وعدوا ايام بنى اميه فوجدوها الف شهر واهل الحديث ينكرونه
تنزل الملئكه والروح فيها باذن ربهم بيان لما فضلت به والروح جبرئيل وقيل خلق لا تراهم الملئكه
الا تلك الليله من كل امر اى تنزل لاجل كل امر قضاء قدر فى تلك السنه وانما نزل تعظيما له ونشرا
لخيرها وبركتها سلام هى تثنيه انا اى ما هى الا سلامه اى لا تقضى فيها الا السلامه والخير وعن مجاهد
لا يستطيع الشيطان فى تلك الليله على عمل السوء وقيل سميت سلاما لكثره سلام الملئكه على المومنين
والمومنات حتى مطلع الفجر غايه للسلامه او السلام والمطلع مصدر او زمان وقرا الكسائى بكسر اللام و
الفتح احفظ وهو القياس تمت سورة القدر ولله الحمد **سورة القيمه مكيه وقيل مدنيه وهى ثمان ايات**

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين
حتى تاتيهم البينه حكايه مقاله اهل الكتاب والمشركين كانوا قبل البعثه يقولون لا نفك عما نحن
فيه حتى ياتينا النبى الموعود رسول من الله بدل من البينه يتلو صحفا مطهره فيها كتب قيمه الصحف صحائف
المصاحف والكتب القيمه القضايا والاحكام القويمه المسطورة فيها وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينه توبيخ لهم والزام بانهم ما كانوا يعدونه سبب الوفاق والزام جعلوه
سبب الافتراق والاختلاف ونظيره قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وانما افرد اهل الكتاب بعد جمعهم مع المشركين اولا لانهم اذا تفرقوا مع علمهم فالمشركون
اولى بذلك وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين استدل به على وجوب النيه فى العبادات
حنفاء مائلين عن الباطل والعقائد الزايغه ويقيموا الصلوه ويوتوا الزكوه وذلك دين القيمه
دين المله القويمه ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها يوم القيمه او بعد
موتهم لان تنويهم حمل النيران والاشتراك فى مطلق الدخول لا فى مقدار العذاب والدركات
اولئك هم شر البريه الخليقه ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريه جزاؤهم عند ربهم
جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اطنب فى اوصاف الجنه وقيد الجزاء بانه عنده
واكد الخلود بالتابيد اشارة الى سبق رحمته رضى الله عنهم فوق ذلك الجزاء ورضوان من الله اكبر
ورضوا عنه بما منحهم مما لا مزيد عليه ذلك لمن خشى ربه ذلك المذكور لكل من خشى ربه وقرا نافع

ام على عصيانه واسجد ودام على ال
تقرب بها فانها المعراج الله او با
هريره رضى الله عنه ان رس

وابن ذكوان البريئة بالهمزة وهو الاصل من برأ خلق قال يونس خالف اهل مكة العرب فهمزوا البريئة
والنبيء وكذا عن سيبويه تمت والحمد على نعم عمت سورة الزلزلة مختلف فيها وهي سبع آيات
بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها الزلزلة تحريك بعنف ومنه الزلزال
للشدايد واضافته الى الارض للمبالغة اي ما يمكن لها من الزلزال والمراد النفخة الثانية لقوله واخرجت
الارض اثقالها ما في بطنها من الاموات والكنوز روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه تقي الارض افلاذ
كبدها كالاسطوان من الذهب والفضة فيقول القاتل في هذا قتلت ويقول القاطع في هذا قطعت
ويقول السارق في هذا قطعت ثم يدعونه فلا ياخذون منه شيئا وقال الانسان مالها حتى اخرجت
هذه الاثقال يقولون تعجبا وقيل القائل الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث واما المؤمن فيقول هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او اضمر اذا بمضمر ويومئذ تحدث
تحدث اخبارها اي تحدث كل احد باخبار عبد وامة بما عمل على ظهرها رواه الترمذي والنسائي واحمد
وقيل بلسان الحال وهي الاحوال التي احدثها الله تعالى فيها من الزلزلة ولفظ الاموات والدفائن
بان ربك اوحى لها الباء للسببية اي بسبب ايحاء ربك اليها بالتحدث ويجوز ان يكون بان ربك
اوحى لها بدلا من اخبارها تعالى اوحى له واليه كذا وبكذا يومئذ يصدر الناس اشتاتا متفرقين كل شيعة
مع امامها كما كانوا في الدنيا يوم ندعو كل اناس بامامهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي يوما
بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما اخذا بيد كل منهما فقال وهكذا نبعث ان شاء الله تعالى ليروا
اعمالهم ويخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره اي يرى جزاءه تفصيل لقوله اشتاتا وحسنات الكافر لها مدخل في التخفيف كما ان زيادة
سيئاته توجب ضعف العذاب ولا ينافي حبوط عمله لان ذلك معنى آخر تمت السورة والحمد لله على الآية
الموعود سورة العاديات مكية احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة العاديات في الكر والفر والضبح صوت انفاسها حين العدو وعن
ابي عبيدة هو السير نصبه على المصدر اما من فعله المحذوف او بالعاديات لانه يلازم العدو او الحال
وعن علي بن ابي طالب رض انها الابل اذ لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سوى فرسين
فرس المقداد وفرس ابي قتادة ولا اظن صحته لان الخيل الة الجهاد لقوله من رباط فرسا في سبيل الله
فله اجرا بولها وارواثها رواه البخاري وناهيك قوله من رباط الخيل وعدم وجدان الخيل في غزوة
بدر لا يمنع الاقسام بها وادل من ذلك قوله فالموريات قدحا فالمخرجات نارا من الحجارة بصك حوافرها
فالمغيرات صبحا وقت الصباح كان رسول الله ينزل بقرب العدو حتى يصبح فان سمع الاذان كف
والا اغار وقال انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فاثرن به نقعا بذلك الوقت والمكان
غبارا كما ترى في مواقع الحروب كان مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه وقيل اصوات
الذين اعز عليهم فوسطن به جمعا من جموع الاعداء او اقسم بالنفوس العادية في طلب الكمال المتاوهة
على القرطات الموريه باقدام الافكار من صخور المسالك انوار المعارف المغيرات على جيش الهوى بالاستغفار
في الاسحار فاثرن به غبار الشوق فوسطن به جمعا من جموع الملأ الاعلى ان الانسان لربه لكنود لكفور
جحود وعن الحسن هو الذي يذكر المصايب وينسى النعم وعن ابي امامة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من ياكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده وانه على ذلك لشهيد يدل على كونه كنودا حاله وعن
الثوري الضمير لله وانه لحب الخير لشديد شديد الحب للمال الكثير لو كان له واديان من ذهب لابتغى ثالثا
ولا يملأ عين ابن ادم الا التراب افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور من الموتى اي بعث وفي زيادة الراء

مبالغه كبحث مع البحث وحصل ما في الصدور ابرز ما فيها من السراير والضمائر ان ربهم بهم يومئذ لخبير
باعمالهم والاخلاص فيها وآثر ما او لا ثم قال بهم لانهم حال البعث تراب ورفات تمت ولله الحمد
والصلوة على رسوله واله وصحبه سورة القارعة مكية عشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم
القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة القرع الضرب بشدة والقارعة من اسماء الساعة لانها
تقرع الناس بالاهوال والافزاع او تقرع اعداء الله بالعذاب او لاصطكاك الاجرام العلوية والسفلية
فيها وقد بالغ في التهويل بابهام امرها مرتين ولفظ القارعة ابلغ من الحاقة يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث يوم نصب بما دل عليه القارعة شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار مثله قوله كانهم جراد
منتشر وهذا ابلغ لما في المثل اضعف من فراشة واذل واجهل وتكون الجبال كالعهن المنفوش
الصوف الملون المندوف لان الجبال بيض وحمر وغرابيب سود فاما من ثقلت موازينه ترجحت مقادير
حسناته روى البخاري بسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينشر للمؤمن صحايف سيئاته
الثمانية صحيفة كل منها مد بصره ثم يخرج له بطاقة منها كلمة لا اله الا الله ويقال احضر وزنك فيقول ماذا
عسى يفعل هذه البطاقة مع تلك الصحايف فتوضع البطاقة في كفة والصحايف في اخرى فيطيش صحايف
السيئات ولا يوازن اسم الله تعالى شيء فهو في عيشة راضية مرضية الاسناد مجازي او ذات رضى
واما من خفت موازينه وهو الكافر الذي ليست معه كلمة الاخلاص فامه هاوية من اسماء النار لانها تهوي
بالداخل فيها سبعين خريفا وسميت اما على التشبيه لان الام ماوى الولد وعن قتادة ام راسه هاوية
لانه يسقط فيها منكوسا ويرده قوله وما ادريك ما هيه نار حامية لانه شرح للهاوية فان قلت
كل نار حامية قلت معناه حامية واي حامية كان ساير النيران بالنسبة اليها ليست حامية روى
البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه جزء
من سبعين جزءا من نار جهنم وروى الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة رض ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد
عليها الف سنة حتى اسودت فهي الآن سوداء مظلمة عافانا الله منها تمت والحمد لله على الدوام وعلى
رسوله افضل الصلوة والسلام سورة التكاثر مختلف فيها وهي ثمان آيات
بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر شغلكم التباري والتباهي بالكثرة عن طاعة الله
اي عن الشيء غفل عنه حتى زرتم المقابر اي حين الموت لم ترجعوا عنه وقيل تفاخر بنو عبد مناف
وبنو سهم بكثرة القبيلة فنزلت وعن قتادة نزلت في طايفتين من الانصار تكاثروا حتى عدوا الاموات
كلا ردع لهم عن مثله سوف تعلمون خطاكم في ذلك ما لابن آدم وللفخر واوله نطفة مذرة واخره جيفة
قذرة بين الحجر والتراب ثم كلا سوف تعلمون كرره تاكيدا والاول عند الموت او في القبر والثاني عند
النشور وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ كلا لو تعلمون علم اليقين تكرير للتنبيه والجواب محذوف
اي لو علمتم ما امامكم من العقبة الكؤدة كما ستعلمون من ساير الامور لجهدتم غاية الجهد وفي
الحديث لو علمتم ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا لترون الجحيم جواب قسم محذوف ولا يصلح ان
يكون جواب لو لكونه محقق الوقوع قرأ ابن عامر والكسائي لترون الجحيم بضم التاء ثم لترونها
عين اليقين مشاهدة ولا علم فوقها ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الذي كنتم فيه هل شكرتم
ام لا روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر رضي الله عنهما دخلوا حديقة
لابي الهيثم ايام الرطب فذبح شاة واطعمهم من الرطب والبسر وسقى ماء باردا فقال رسول الله صلعم
هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيمة وقيل الخطاب خاص بمن الهاه المنعم والتكاثر

البطاقة قطعة صغيرة من الورق منه

بالاسباب عما يعينه من الشكر لموليها تمت والحمد لمن آلاؤه جلت **سورة العصر مكية ثلث آيات**
بسم الله الرحمن الرحيم والعصر وصلوة العصر فانها افضل الصلوات لانها
الصلوة الوسطى وبالليل والنهار وهو الدهر عظمه لانهم كانوا يسبون الدهر او بوقت العصر
لانه وقت شريف كما اقسم بالضحى او بالعصر الذى انت فيه فانه اشرف الاعصار بوجودك ان الانسان
لفى خسر لان راس ماله عمره وهو شئ لا اعز منه يشترى به النعيم المقيم فاذا ضيعه لا يكون اخسر
منه الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم ربحوا ما لا عين رات ولا خطر على قلب فى جوار رب
العالمين وتواصوا بالحق وصى بعضهم بعضا بالدين الثابت مرشدا له تكميلا كما كمل فى نفسه وتواصوا
بالصبر على اقامة الحق لكثرة المبطلين اعداء الدين او بالصبر عن اتباع الشهوات **سورة الهمزة مكية تسع آيات**
بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر واللمز الاشارة بالعين
قال ومنهم من يلمزك فى الصدقات والمراد الطعن فى الاعراض قولا وفعلا صريحا واشارة
والبناء يعنى للاعتياد والاستمرار كالضحكة واللحنة نزلت فى امية او فى الوليد كان هذا شانهم
مع رسول الله وقراءه الصحابه والحكم عام ولذلك صرح بلفظ الكل الذى جمع مالا وعدده اى
كثيرا مذموما نعذب به القيمة بدل كل او رفع او نصب على الذم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى
بالتشديد وهو المبالغ ذما وعدده احصاه وضبطه كما هو شان البخلاء ليلا ونهارا تراهم فى الحساب
او جعله عدة وذخيرة يقال اعددته وعددته بمعنى روى ان الاخفش قال للموسر ما تقول فى
الوفر لم افدها من لئيم ولا فضلت على كريم قال ولكن لما اذا قال لجفوة السلطان ونوائب
الزمان قال اذا تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك يحسب ان ماله اخلده لجهله وغروره
واشتغاله عما امامه من قوارع الاخرة او يعمل اعمال من يظن انه مخلده من تشييد الاركان
وتشييد البنيان وفيه تعريض بالعمل الصالح بانه المخلد كلا ردع له عن حسبانه لينبذن فى
الحطمة من اسماء النار لانها تحطم اى تكسر ما يلقى فيها قابل بكسر الاعراض بكسر الاعضاء واستعمل
بالبناء الدال على غاية الحقارة وما ادريك ما الحطمة لم تحط به علما نار الله الموقدة التى
اوقدها للانتقام والاضافة فيه كما فى ناقة الله التى تطلع على الافئدة يستولى عليها بالاحراق
بعد احراق الاعضاء والفؤاد الطف الاجزاء تتادى بادنى شئ فكيف بنار جهنم او تطلع على
الافئدة اى يظهر فيها ويطلعها لانها معادن الذنوب ومصادرها ليكون العذاب على قدر
ما تولد منها انها عليهم موصدة مطبقة واختلاف القراء كما فى سورة البلد فى عمد ممددة
حال من ضمير موصدة والمعنى يغلق عليهم ابواب النار وتوثق بالاعمدة توكيدا ليأسهم من الخروج او من
المجرور فى عليهم اى تغلق عليهم الابواب حال كونهم مسلسلين فى العمد كاللصوص فى المقاطر لانهم
سراق الاعراض وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر عمد بضمتين والباقون بالفتح وكلاهما جمع عمود تمت
ولله الحمد والصلوة على رسوله محمد **سورة الفيل مكية وآيها خمس** بسم الله الرحمن الرحيم
الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل هم ابرهة الاشرم والى يمن من قبل النجاشى ملك الحبشة
وليس باصحمة الذى صلعم وقصته انه قتل ارباطا من امراء النجاشى فغضب عليه فتداركت ابرهة
ذلك بان بنى له كنيسة بصنعاء اليمن لم ير مثلها واراد ان يصرف حج العرب اليها وارسل
بخبر ذلك النجاشى فاعجبه ذلك ورضى عنه فشق ذلك على العرب فاحتال رجل من كنانة
فدطها ليلة واحدث فيها فاخبروا بذلك ابرهة فاشتد غضبه وعزم على تخريب الكعبة
الشريفة زادها الله شرفا واصطحب فيلة ليهدم البيت بها فلما توجه عارضه ذو نفر مع جيش

من قومه من بنى قحطان فلم يقدر عليه فاسره ولما بلغ ارض خثعم قاتله نفيل بن حبيب الخثعمى فاسره
ايضا ولم يقتله ليدله على الطريق ولما بلغ المغمس وهو موضع بقرب مكة فارسل حناطة الحميرى ليخبرهم
بان الملك لم يات لحربهم وانما قصده تخريب البيت واتته باشرف البلد فجاء عبد المطلب فخرج معه
الى ابرهة ليخبرهم بان الملك لم يات لحربهم فلما راه اكرمه وكان عبد المطلب وسيما حسن المنظر
فقام له ابرهة واجلسه على سريره وسأله عن حاجته فقال ان جيشك قد اغار على سرح مكة واخذوا
ابلا وكانوا اخذوا له مائتى بعير فقال لترجمانه قل له انى جئت فى تخريب بيت هو شرفك وشرف
آبائك فلم تذكره وتطلب الابل فقال عبد المطلب انا رجل مضياف ولا اقدر على قيام الضيافة
الا بالابل والبيت له صاحب انت وذاك فرد ابله وذهب فلما اصبحوا هيئوا الفيلة وكان اكبرها
اسمه محمود فقدموه فبرك فضربوه ضربا شديدا لم يتحرك فوجهوه نحو اليمن فهرول ثم نحو الشام فهرول
ثم نحو مكة فبرك هذا وعبد المطلب اخذ بحلقة الكعبة وهو يقول لاهم ان المرء منع رحله فامنع
رحالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك ان تركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك بذالك جزوا جموع
بلادهم والفيل كى يسبوا عيالك حمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك فلم يتم كلامه الا والطير
اقبلت الم يجعل كيدهم فى تضليل فى تضييع وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات متفرقة كسرا وبل
لا واحد له وقيل جمع ابالة وهى الجماعة وقيل ابول كعجول وقيل ابيل كقنديل كانت فى جثة الخطاطيف
ترميهم بحجارة من سجيل معرب من سنك وكل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير وقيل من السجل
فانه كان مكتوبا على كل حجارة اسم من قتل بها فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع اكله الدود او كروث
الدواب وانما عدل الى المنزل على نمط اداب القرآن قيل كان كل طير يحمل احجارا ثلثة يرمى بكل واحد
انسانا لا يرده شئ من الحديد ففر ابو كبسوم وزيرهم حتى بلغ النجاشى فاخبره فلما اتم حديثه كان فوق
راسه طير فرماه بحجر فقتله واما ابرهه فتساقطت اعضاؤه وتصدع صدره وقلبه وجمع عبد المطلب
واهل الحرم اموالهم وما نقل عن عايشة رضى الله عنها انها قالت رايت قايد الفيل وسايسه
مقعدين ظاهر القرآن تخالفه واتفق الثقات ان رسول الله صلعم ولد فى ذلك العام بعد وقعة
الفيل وذلك يبين تقدمه لله درّ من صادم قيل ما سل نقطع تمت ولله الحمد والمنة والصلوة على
كاشف الغمة **سورة قريش مكية وآيها اربع** بسم الله الرحمن الرحيم
لايلاف قريش تتعلق بآخر الاولى كانه قيل انما جعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش او بالعجبوا او
بقوله فليعبدوا والفاء جواب شرط اى وان لم يعبدوا الله لنعم الدارين فليعبدوه لايلافهم رحلة
الشتاء الى اليمن والصيف الى الشام نصبه على مفعوليه الايلاف يقال آلف الشئ والفه بمعنى
وقرأ ابن عامر الاول بحذف الياء جمعا بين اللغتين او هو ايضا مصدر آلف روى ان قريشا وهم
اولاد النضر بن كنانة والقرش دابة عظيمة فى البحر تلعب فى السفن ولا يدفعها غير النار والتصغير
للتعظيم كانوا سكان الحرم وكان اذا اصابهم مجاعة خرجوا الى البر وضربوا الاخبية متفرقين
ربما مات طائفة جوعا فقام هاشم يوما خطيبا وحثهم على الرحلتين فاثروا بعد ذلك وحسن
حالهم ولما اهلك الله اصحاب الفيل امنوا من تعرض الناس من الله عليهم بذلك او لم نمكن لهم
حرما آمنا فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وامنهم من خوف تمت والحمد
لمن آلاؤه عمت والصلوة على المختار من هاشم **سورة الماعون مكية وآيها سبع**
بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذى يكذب بالدين اى بالجزاء لاعتقاده
عدم البعث الاستفهام للتعجيب وقرأ الكسائى بحذف الهمزة الحاقا له بالمضارع ولما كان فى

ايلافهم

التعجب بشوقوق الى تعرف حال المكذب رتب عليه قوله فذلك الذى يدع اليتيم اى يدفعه عنفا هو
ابو جهل كان وصيا على يتيم فجاءه عريانا يسأله عن مال نفسه فدفعه وقيل الوليد وقيل ابو سفيان
سأله يتيم وكان نحر جزورا فقرعه بالعصا واسم الاشارة للتحقير وفى الصلة اشارة الى ان
المكذب بالجزاء لا ينفك عن هذه الرذائل ولا يحض على طعام المسكين عزم ضو بخل بكلا الوجهين
لا يفعل الخير ولا يأمر به فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون تاركون لها غير مبالين الذين هم يراؤن
باعمالهم ويمنعون الماعون الزكوة فاعول من العون لكونه معونا للفقراء والمحاويج وفى الكلام
ترق ولذلك زاد لفظ الويل اى اذا كان دع اليتيم وترك الحض على الاطعام من سمات التكذيب
ومعنى فانه فالويل لمن ترك عماد الدين قله مبالاة والزكوة الذى هو قنطرة الاسلام ويلبس بالرياء
الذى هو الشرك الخفى فاشار الى العقيدة بالتكذيب والى الافعال بهذه الخصال ولذا كان
دليلا على كونه مخاطبا به بالفروع فعلى المومن بالدين البعد عنها بمراحل فان قلت عن ابن مسعود
ان الماعون محقرات المتاع كالفاس والنار والملح فما وجه ذلك قلت المراد تجريد المكذب
عن الخير راسا والوصف بكمال الخسة وعدم المروة تمت والحمد لله على نعم عمت والصلوة على
محمد واله وصحبه **سورة الكوثر وآيها ثلث** بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر فوعل من الكثرة وهو الافراط فى الخير من العلم والعمل وشرف الدارين
روى البخارى ومسلم عن انس ان رسول الله قال ليلة اسرى بي اتيت على نهر حافتاه قباب
اللؤلؤ قلت ما هذا يا جبرئيل قال هذا الكوثر وفى رواية ترابه المسك وحصباؤه اللولؤ
ماؤه احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج آنيته اكثر من نجوم السماء من شرب
منه شربة لا يظمأ بعدها ابدا اول من يرد على فقراء المهاجرين فصل لربك اى اذا خصك الله بذلك
فخصه بالصلوة والسجود وانحر له القرابين والبدن مراغما للمشركين الذين يسجدون للاوثان
وينحرون لها وقيل ضع يدك على النحر فى الصلوة وفيه بعد ويؤيد الاول قوله ان صلوتى
ونسكى ان شانئك عائبك ومبغضك هو الابتر الذى لا عقب له مات له ابن فعابه بذلك العاص
بن وائل قال محمد ابتر اذا مات انقطع ذكره وقيل القائل ابو لهب وقيل كعب بن الاشرف والمعنى
ان الابتر من انقطع ذكره بموته والنسل يكون سببا للذكر وانت مرفوع الذكر على المنابر الى اخر
الدهر مع ما اخفى لك من الشرف والمقام المحمود وشانئك عليه اللعن من كل مومن ومأواه جهنم
مقرونا مع الشيطان فلينظر من الابتر تمت سورة الكوثر ولله الحمد على الحظ الاوفر والصلوة على خير
البشر **سورة الكافرين مكية وآيها ست** بسم الله الرحمن الرحيم
قل يا ايها الكافرون الخطاب لرهط من قريش وهم الذين ماتوا على الكفر دعوه الى عبادة الهتهم
ليعبدوا آلهة لا اعبد ما تعبدون فى المستقبل لان لا لنفيه كما ان ما لنفى الحال ولا انتم عابدون
ما اعبد ايضا ولا انا عابد ما عبدتم فى الماضى اذ لم اكن مرسلا فكيف وانا رسول من رب العالمين
ولا انتم عابدون ما اعبد اى ما عبدت وانا مستمر على عبادته ولذلك لم يقابل الماضى بمثله وقيل
انما عدل عنه لانه لم يكن موسوما بعبادة قبل البعثة ولا عبادته على نمط التكليف واما طوافه
وتحنثه كان على مجرى العادة دون التعبد وهذا كلام باطل بل كان متعبدا قطعا اما بشرع من
شرايع من قبله او اجتهادا كيف وقد صح فى البخارى تعبده بحراء وكان قريش فى موسم
الحج يقفون بمزدلفة وهو بعرفات فاين اقتصار العادة لكم دينكم ولى دين كل منا لا يتجاوز دينه
الى ان يموت وليس فيه نسخ كما ظن ولا منع عن القتال معهم بعد الاذن والله اعلم تمت سورة

اردعلى القاضي وصاحب البغوي والكشاف

الكافرون والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين **سورة النصر مدنية وآيها ثلث**
بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله دينه والفتح فتح مكة نزلت فى حجة الوداع
ففهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام الامر فركب ناقته القصوى فى المسجد الحرام وخطب الناس
الخطبة المشهورة وودع فيها وقال ليبلغ الشاهد الغائب فلذلك سميت حجة الوداع وكان بين
حجته واجابته داعى الحق ثلثة اشهر ونيف فان قلت فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وحجة
الوداع سنة عشر فكيف يصح نزولها فى حجة الوداع وانما يدل على الاستقبال قلت قد روى
انها نزلت قبل بسنتين وعلى تلك الرواية يحمل اذا ولما كان فتح مكة ام الفتوح جعله مترقبا باعتبار
ما ردفه من الفتوح وان كان متحققا فى نفسه يدل عليه قوله ورايت الناس يدخلون فى دين
الله افواجا جماعات كثيرة فوجا بعد فوج كانت العرب والاعراب ينظرون فتح مكة ويقولون
ان من قصد مكة تصيبه مثل ما اصاب اصحاب الفيل فلما فتحها قهرا وتمكن من رقابهم ثم اعتقهم
وسموا سلمه الفتح طلقاء لذلك تبادروا الى الاسلام قبيلة فسبح بحمد ربك نزهه عن خلف
الوعد الذى سبق معلقا بالنصر وفتح مكة بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين واستغفره
لما عسى فرط منك من خلاف الاولى الذى لا يليق بجاله قدرك او لامتك لما روت عايشة رض
انه عليه السلام كان عندى فى ليلة فلما ظن انى نائمة قام الى الباب ففتحه خفية فذهب
فتلففت بخمارى وذهبت وراءه فجاء الى البقيع فوقف ودعا زمانا طويلا ثم انصرف فاسرعت
واسرع ورائى حتى دخلت البيت فدخل فوجدنى الهث فقال ما لك قلت لا شئ قال
اخبرنى او ليخبرنى اللطيف الخبير قلت خرجت فظننت انك ذهبت الى بعض ازواجك فقال انت
ذلك السواد الذى رايته قلت بلى قال جاءنى جبرئيل وناداني من وراء الباب ولم يدخل لانك
وضعت الخمار وقال لى تعالى استغفر لاهل البقيع فذهبت ثم قال وارسله فكان ذلك ابتداء
مرضه صلوات الله عليه انه كان توابا لمن استغفر تمت سورة النصر ونسأل الله النصر على
الاعادى بحق افضل العباد **سورة تبت مكية وهى خمس آيات** بسم الله الرحمن الرحيم
تبت يدا ابى لهب التباب الهلاك والمراد جملته لان اليدين للانسان كالجناحين للطائر فمن
عدمت يداه فهو والهالك سواء وقيل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا بيديه روى البخارى
عن ابن عباس رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الجبل ثم نادى واصباحاه فاجتمعت
اليه قريش فقال ارايتم ان حدثتكم ان العدو مصبحكم هل انتم مصدقى قالوا نعم ما جربنا
عليك كذبا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا جمعتنا
فنزلت واسمه عبد العزى وانما سمى ابا لهب لاشراق وجهه وكان احول العين وهو عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرا ابن كثير ابى لهب بسكون الهاء وتب اى كان ذلك وحصل فالاول
دعاء والثانى اخبار كما فى قوله جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ما اغنى عنه ماله وما
كسب استيناف ردا لما كان يقول انا افتدى بمالى ان صدق محمد والمراد من الكسب الربح
او ما حصله من مال وربه او ما عمله من اعمال البر او اولاده وفى الحديث ولد العبد من كسبه
سيصلى نارا ذات لهب تصوير للهلاك بما يظهر الوعيد معه عدم اغناء المال والولد وجمع
بين طريقى التاكيد بقوله وتب اولا ماضيا للتحقيق والسين ثانيا لتاكيد الوعيد وامراته حمالة
الحطب اسمها اروى بنت حرب بن امية اخت ابى سفيان كانت مع زوجها فى الكفر شيئا وطبقة
عدل عن كنيتها لا ينضاف ما بالضد عن ابن عباس رض كانت تحمل الشوك على ظهرها فتضعه فى

قبيلة

طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج للصلوة وقيل مجاز عن الشي بالنميمه وحمل الخطايا وقرأ عاصم حمالة
بالنصب على الذم والشتم وقد طبق فيه المفصل في جيدها حبل من مسد المسد الليف او شجر باليمن وعن ابي
عبيد حبل مفتل من اخلاط حقر شانها بان صورها بصورة بعض الحطابات اللاتي لا يجد حموله فجعل الحبل
في العنق الذي هو اشرف الاعضاء هذا وهي من الثروه وشرف النسب بمكان اوهذا حالها في جهنم
صورها الله لاهل النار بما كانت متصفه به في الدنيا جعل الغل في عنقها وعلى ظهرها حزمة من حطب
الزقوم والضريع وكذا كل مجرم يعذب بما يلايم عمله تمت سورة تبت والحمد على نعم عمت والصلوة على سيد
الرسل وموضح السبل

سورة الاخلاص مكية وهي اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد روى الترمذي والامام احمد ان المشركين سئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصف لهم
الاله الذي يدعو الى عبادته فنزلت فضمير هو لما سالوه مبتدا والجمله خبر ولا حاجة الى العايد لان الجملة
اذا كان احد جزئيها عين المبتدأ كقوله ولباس التقوى ذلك خير لا يحتاج الى رابط وكذا ان جعل ضمير
الشان لان الشان الله احد نفسه وعلى الاول يجوز ان يكون الله بدلا ولذلك قرئ الله احد بدون هو
واما جعل احد بدلا فلا لان النكرة لا تبدل من المعرفه الا اذا كان فيه زياده فايده والاسم الاعظم
لا تقوم مقامه احد لان شرط البدل ان يكون اوفى بما سيق الكلام والاحديه توحيد الذات بانتفاء
انحاء جهات التركيب عقلا وخارجا والموصوف بها هو الواحد الحقيقي والواحديه عدم المماثله في
الصفات وكل منهما يجوز انفكاكه عن الآخر وفي ذاته تعالى تلازمان ولذلك وصف بالواحد الاحد
وقدم وصف الواحديه لانه محل الاشتباه في الجمله واما كونه احدي الذات جلي لا يخفى على الله الصمد
الصمد فعل بمعنى المصمود وهو السيد الذي يقصد في الحوايج من الصمد وهو المكان المرتفع اخلاه عن
العاطف لانه نتيجه الاولى اذ من كان احدي الذات واحدي الصفات لا يكون الا غنيا مطلقا او دليل
لها لان من كان مقصود الكل في الاحتياج ولا يحتاج الى شي فهو المتوحد ذاتا وصفه لم يلد ولم يولد لانتفائهما
التجانس والتماثل وقد دل التوحد على انتفائهما اي يكون له ولد ولم يكن له صاحبة ولانه لو ولد او ولد
لم يكن غنيا مطلقا ولم يكن له كفوا احد كفو الشي ما يماثله ذاتا او وصفه فالمتوحد المطلق الغني عن
كل شي لا يماثله احد في شي والاشتراك في الشيئية ليس الا في الاسم ولذا يتقيد بكونه شيئا لا كالاشياء
وقرأ حمزه كفؤا باسكان الفاء وبالواو وقفا وكذا حفص وقفا ووصلا بالابدال لاستثقال الهمز بعد
الضمتين روى البخاري عن ابي سعيد رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم ان يقرأ
ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقال قل هو الله احد ثلث القرآن وذلك لاشتماله على
التوحيد ومباحث المبدأ والمعاد ومقاصد القرآن ثلث عقايد واحكام وقصص وروى مالك
واحمد والترمذي والنسائي ان رسول الله صلعم سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت قيل
يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنه وروى الامام احمد عن تميم الداري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله واحدا احدا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد عشر
مرات كتب الله له اربعون الف الف حسنه وعن بريده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد
فسمع رجلا يقول اللهم اني اشهد ان لا اله الا الله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد ساله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي
به اجاب تمت وفضائلها لا تتم والحمد للواحد الاحد والصلوة على الاوحدي في جمع الرسل وآله وصحبه
اجمعين

سورة الفلق مدنيه وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق فلق الشي شقه قال تعالى فالق الحب والنوى والمراد به الصباح فعل بمعنى المفعول

وكذا رواه ابو داود ومالك والنسائي مسه

لان الليل تعلق عنه لان الله تعالى اخرجه من جيب الليل لقوله فالق الاصباح وفي المثل فلق الصبح
فالقه وعن الضحاك هو الخلق كله لانه فلق من ظلمة العدم وعن علي بن ابي طالب رض جب في جهنم
اذا فتح صاح اهل النار من شدة حره واصل الفلق المطمئن من الارض من شر ما خلق من شر مخلوقاته
كلها ذوي العقول وغيرهم عم شر الدارين في العالم السفلي والعلوي ومن شر غاسق اذا وقب من
شر الليل اذا دخل ظلامه من الغسق وهو الظلام لقوله الى غسق الليل يقال غسقت العين
اذا امتلأت دمعا وخص بالذكر لان انبثاث الشر فيه اكثر والتحرز منه اشق روى البخاري
ان رسول الله صلعم قال اذا دخل الظلام اجيفوا الابواب وكفوا الصبيان حتى تذهب فحمة العشاء لان
الشياطين تنتشر بعد المغرب وقيل هو القمر اذا خسف لقول عايشه رضي الله عنها اخذ رسول الله صلعم
بيدي ونظر الى القمر وقال تعوذي من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب والمعنى انه يغسق الليل
بوقوبه فالاسناد مجازي واضافة الشر اليه للملابسة لانه يحدث بسببه والوقوب الدخول
من وقب العين وهو النقره التي يكون فيها العين ومن شر النفاثات في العقد من شر النفوس
الساحرة التي تعقد الخيوط وتنفث فيها لعمل السحر ولعل ذلك اكثري اذ قد يكون بدونه والنفث
فوق النفخ يجوز ان يكون معه ريق والتفل لا يكون الا مع ريق والتعوذ من اثم ذلك العمل والا
تصاف به او من الانخداع لتلك الاباطيل او مما يصيب الله به المسحور فانه صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان
يخيل اليه انه فعل شيئا لم يكن فعله سحره لبيد بن الاعصم اليهودي فان قلت اذا صح انه سحر فكيف كذبهم
الله في قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا قلت هذه مقالة المشركين بمكه وانما سحر بالمدينه وعايشه
رضي الله عنها عنده وايضا لم يكن قصدهم في تسميته مسحورا ذلك المعنى بل المجنون بواسطة السحر ومن شر
حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده بالقول او الفعل والحسد تمني زوال نعمة الغير وحصولها للحاسد
والاغتباط وهو تمني حصول مثله من غير طلب زوال عنه وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا
في اثنين العلم الذي يعمل به والمال الذي ينفق في سبيل الخير وانما عبر عنهما بالحسد مبالغة
في الحرص عليهما وانما عرف النفاثات دون غاسق وحاسد لوصفهما بالظرف بعدهما وقيل لان
كل النفاثات شر بخلاف الغاسق والحاسد استدلالا بالحديث وليس بناهض لما اشير اليه من
الفرق بين الحسد والاغتباط ولقوله عليه السلام اذا دخل الظلام اجيفوا الابواب وكفوا
الصبيان من غير تفرقه بين غاسق وغاسق وفي دعائه صلى الله عليه اعوذ بك من شر كل
حاسد تمت والحمد لله وحده

سورة الناس مدنيه ست ايات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس بسيدهم المتولي امورهم المتصرف فيهم ملك الناس اله الناس عطف
بيان على طريقة التربية لان الرب قد لا يكون سلطانا وهو اعم من ان يكون الها يستحق العباده وتكرير
الناس مظهرا لانه اكمل في البيان من شر الوسواس الوسواس اسم المصدر اطلق على الفاعل مبالغة
والوسوسة حديث النفس بالشر واصله صوت الحلي قال الاعشى تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت
روى الترمذي عن ابن مسعود رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يا ابن آدم
لمة يوعده بالشر وتكذيب الحق الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر لانه كلما سمع ذكر الله تأخر
الذي يوسوس في صدور الناس روى البخاري ومسلم عن ابي هريره رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تجاوز عن امتي ما وسوست به صدورها ما لم تتكلم او تعمل به ويجوز في محل الموصول
الحركات الثلث الجر على الصفه والرفع والنصب على الشتم من الجنة والناس بيان الذي يوسوس على ان
الشيطان يعم القبيلين لقوله شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض ويجوز ان يكون من ابتدائيه اي

رد على القاضي حيث حمله على هذا العالم مسه

البس على صاحب الكشاف الحسد بالاغتباط مسه

اى من جهة هذين النوعين فان قلت الوسوسة حديث النفس وذلك يختص بشيطان الجن فكيف اسند الى
الانس قلت المراد بالوسوسة الدلالة على الشر والقاؤه في النفس فهي تتحدث به سواء كان بطريق
ظاهر او خفي ولذلك قيل شيطان الانس اشد اغواء من شيطان الجن لانه يخنس عند ذكر الله تعالى دون
شيطان الانس ولما كان شان الديانة اهم واوجب افرد الاستعاذة له بعد ما كان داخلا في عموم
شر ما خلق روى مسلم عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر ايات انزلت
الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وروى البخاري ومسلم عن عايشة
رضي الله عنها كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه وقرأ قل هو الله احد والمعوذتين ونفث
فيهما ثم مسح بهما ما استطاع من جسده هذا وانا اعوذ بهما من شر نفسي ومن شر كل ما ذرأ وبرأ واستغفر
الله من خطرات الاوهام وعثرات الاقلام واساله العفو والمغفرة لي ولوالدي ولمشايخ
الكرام ولكافة المسلمين هذا آخر ما اوردته من تفسير كلام الملك العلام مع انحطاط رتبتي عن
هذا المقام ولكن للمجتهد الاجر وان حرم اصابة المرام وقصر عن شاو الكرام والحمد لله المفضل
المنعم اولا واخرا والصلوة على اكمل خلقه نوعا ثم للشيطان واخرا وعلى اخوانه
من المرسلين وساير الانبياء والصالحين من آله وصحبه ومن تبعهم الى
يوم الدين فرغ مؤلفه من تاليفه يوم الخميس الثالث من
رجب الفرد الواقع في سنة سبع وستين وثمانمائة
وكان الابتداء به في اواخر سنة ستين
وثمانمائة في المسجد الاقصى تجاه
باب الجنة تعالى والله
خير مامول
ومسؤل
تم